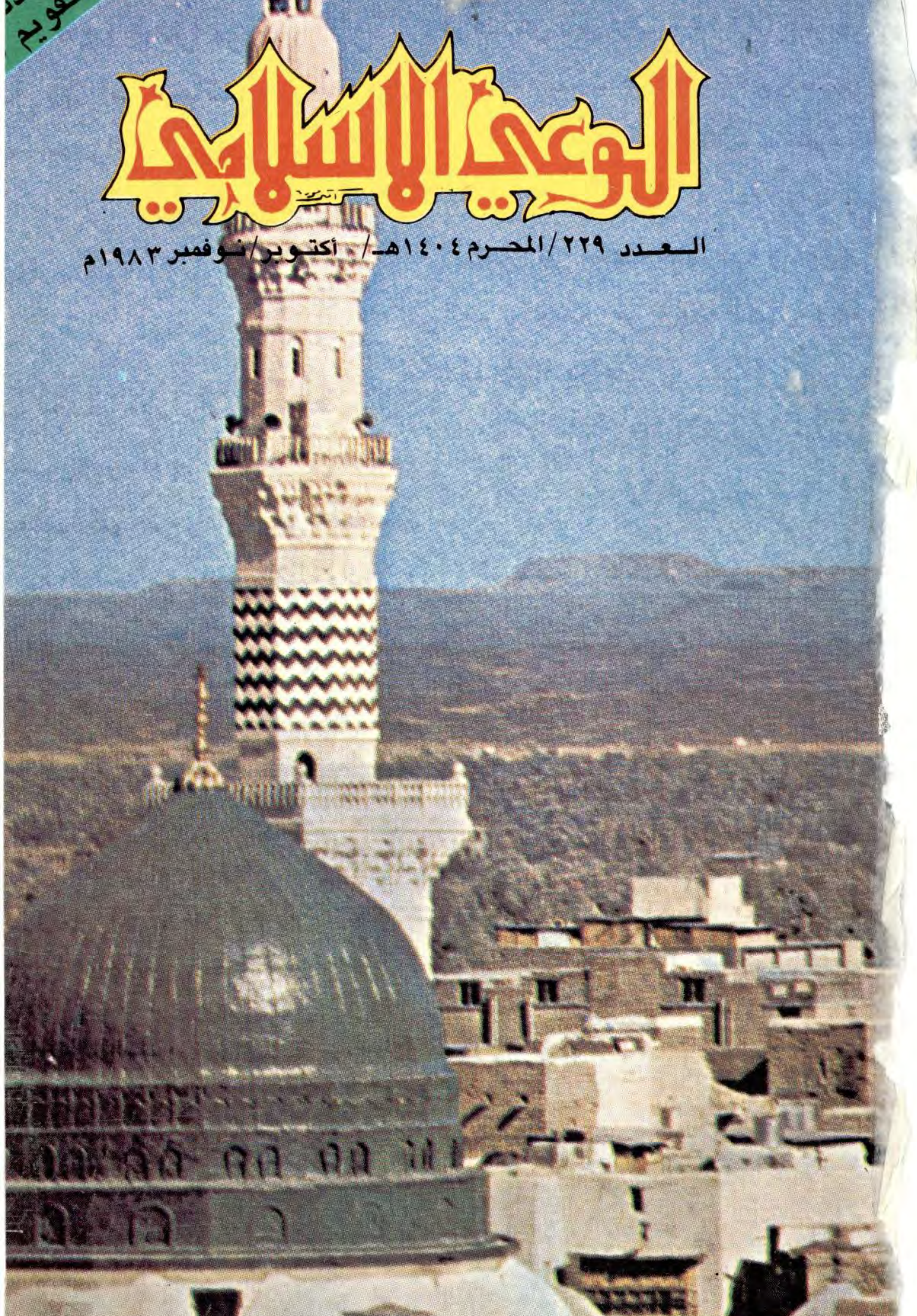


الوعي الاسلامي
العدد ٢٢٩ / المحرم ١٤٠٤هـ / أكتوبر / نوفمبر ١٩٨٣م

قال الله تعالى

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ . الأنفال آية ٣٠ .

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة العشرون

العدد ٢٢٩ / المحرم ١٤٠٤هـ / أكتوبر ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي، وإيقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش م ل)
ص ب ٤٢٢٨ بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الاردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

شهر الله المحرم

لقد فضل الله الناس بعضهم على بعض ، واختار منهم رسلا للقيادة والهداية كما اختار من الأمكنة ما جعلها مهابط للوحي ومنازل للنور ومواضع للتقديس والعبادة . كذلك الأزمنة اختار الله منها مواسم للرحمة ومواكب للخير ومعالم على طريق الدروس والذكرى والعبر .

من هذه الأزمنة المختارة شهر الله المحرم ، فهو شهر كريم على الله ، عزيز على المسلمين ، وحينما اعتدى اهل الجاهلية على هذا الشهر بالتبديل والتغيير أبطل الاسلام هذه التقاليد المضطربة ، معلنا أن حق التشريع في الحل والحرمة قاصر على الله وحده ، لا يجوز تحريفه تبعا للهوى والغرض ، كما كان يفعل رجل من بني كنانة ، يأتي كل عام الى موسم الحج وينادي في الناس قائلا : إني لا أعاب ، ولا أخاب ، ولا مرد لما أقول : إني حرمت المحرم ، وأخرت صفر ، ثم يجيء في العام المقبل ويقول : إنا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم .

فصان الله شهره الحرام من العبث وقال : « **إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدي القوم الكافرين** » التوبة ـ ٣٧ .

بهذا الشهر الكريم على الله وعلى الناس ابتدأ التاريخ الهجري حين فكر عمر وفكر معه الصحابة رضى الله عنهم في اتخاذ حادثة هامة تكون مبدأ للتاريخ الاسلامي فلم يجدوا أعظم أثرا من الهجرة ، فقال عمر : الهجرة

فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ، وبالمحرم لأنه منصرف الناس من الحج . وبذلك ربطوا تاريخنا بأهم حدث فيه ، لنظل دائما على اتصال بدروس الهجرة نستمد منها هديا لأنفسنا ونصحح على ضوئها خطانا على طريق العزة والكرامة .

في مطلع هذا الشهر الكريم ومع بداية عام هجري جديد لابد للمسلمين من وقفة تأمل وحساب صريح ، وقد استقر في ضمير الناس أن ما يعانيه المسلمون الآن من محن وتمزق وضياع ليس من قلة عددهم ، فقد بلغ عدد المسلمين أكثر من ألف مليون نسمة ، وليس من عجز مادي فوطنهم الفسيح يفيض بخيرات وثروات أودعها الله فيه ، قد لا تتوفر في غيره من بلاد العالم .

ولكن ما اصابهم كان بسبب بعدهم عن هدى الله وغفلتهم عن منهجه هذه قضية يصرح بها كل فرد وتطرح في كل مناسبة .

ولكن ما هي الخطوات الايجابية من جانب الأفراد والجماعات ؟ وأين دور الشعوب والقيادات في العمل على نهضة الأمة وانقاذها مما تردت فيه ؟

من المؤسف أن الجانب السلبي لا زال من أهم عوامل التخلف .

والاسلام ينادينا بأن نكون إيجابيين ، فاعلين ، نغير من الواقع الذي نعيشه وصولا الى الأفضل ، والله ينصر من ينصر دينه ! ولقد درج المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على الاحتفال بذكرى الهجرة في كل عام هجري جديد .

وما ينبغي أن تكون الحفاوة بالهجرة مجرد انفعال لا يلبث أن يتلاشى بعد انقضاء المناسبة لأن الظروف تفرض على المسلمين أينما حلوا وحيثما ارتحلوا أن ينطلقوا الى العمل وأن يتركوا الكلام والجدل ،

على كل فرد في الأمة أن يؤدي واجبه قبل ان يطلب حقه .

ويوم يسود منهج الاسلام ونحتكم الى القرآن فإن الخلاص قريب ، ووعد الله قائم : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » النور / ٥٥ .

نعم لا بد لنا من وقفة في أول شهر المحرم نودع فيها عاما مر علينا ثقيلا بالمآسي والأحداث مخضبا بدم المسلمين الزكي ، مليئا بالآلام والجراح فقد ارتفع في حسابه عدد الضحايا والشهداءوسالت فيه دماء الابرياء ، ونستقبل عاما جديدا بالايمان والعمل والبشرى والأمل لنؤكد من جديد أننا من سلالة أبطال لم يعرفوا الشعور بالقلق واليأس ، وإنما واجهوا مرارة الأحداث بالصبر والحذر ، فما ضعفوا أمام الخطوب وما استكانوا حتى

جاءهم النصر مع الصبر ووافاهم الفرج بعد الكرب .
ففي معركة أحد وقد أصاب المسلمين ما أصابهم لم يستسلموا ولم يهنوا .
بل دفنوا حزنهم في أفئدتهم واظهروا للناس بقية من قوة ترد عنهم شماتة الأعداء وكيد الخصوم ، كما قال الشاعر :

وتجلدي للشامتين أريهم
أني لريب الدهر لا أتضعضع

وتحامل الجريح مع السليم على تكوين جيش جديد ، ومع الجراح النازفة خرجوا في أعقاب قريش على عجل إذ كانت المعركة في يوم السبت لخمسة عشر من شوال ، وكان خروج هذا الجيش بعد أن نظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأحد لستة عشر منه ، وظل المسلمون في معسكرهم (بحمراء الاسد) يوقدون النار ثلاث ليال في انتظار قريش التي آثرت النجاة بنفسها فعادت الى مكة مذعورة وعاد المسلمون الى المدينة أعز مكانة وأرفع رأسا .
ونزل في ذلك قرآن يتلى . « **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** » آل عمران ١٧٣ / ١٧٤ .
لعل المسلمين ينتفعون من هذه الدروس في واقعهم الاليم . ليضعوا عن كواهلهم ثقل المحنة وليحبطوا كل تخطيط منظم حاقد على الاسلام والمسلمين .
بقى على أتباع هذا الرسول القائد أن يستقبلوا العام الجديد بالايمان ومعه العمل بالحق ومعه القوة ، بالاعتصام بالله أولا وأخيرا ، ثم الانتصار على النفس والتضحية بالخلافات والمنازعات ، والبعد عن الأطماع والشهوات حتى تواجه الأمة أخطارها المتلاحقة في قوة واستعلاء ، ويومها تدخل التاريخ من جديد وتستحق بشارة القرآن الكريم .
« **واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » الصف - ١٣ . والله ولي التوفيق ، ومنه سبحانه نستمد العون والسداد .

رئيس التحرير

حسن مناع

في نظر المستشرقين

الأحاديث الموضوعة ودورها في التشريع

للدكتور عجيل النشمي

عول المغرضون من المستشرقين كثيرا على وضع الأحاديث ، ووجدوا في هذا الباب مجالا فسيحا للطعن بالسنة طعنا يؤدي الى فصلها عن القرآن الكريم واعتبار القرآن هو المصدر للتشريع وحده ، وقد رأينا قولهم في القرآن

باعتباره مصدر التشريع ، فاذا اضيف اليه هذا الزعم في السنة لم يبق للاسلام كتشريع أي مصدر سليم يستند اليه في تقرير الأحكام .

ولقد ساعدهم على بسط الكلام وتشعيب مسائله ما وجدوه فعلا من كلام علماء المسلمين في وضع الأحاديث ، وهذا مما لا ينكر . الا أن المنطق العلمي والنظر الموضوعي كان يقتضي من المستشرقين مناقشة طرق علماء المسلمين في نقد الأحاديث ومنهجهم في غربلتها ومعرفة الصحيح من غيره . ونتائج الجهود الجبارة التي بذلوها لافراز الصحيح عن غيره وتخليصه مما شابه .

ولقد حاول (جولد تسيهر) أن يؤصل لفكرة وضع الأحاديث ويوسع رقعتها وتبعه في ذلك من أتي بعده فيقول « لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه ما قالها الرسول (صلى الله عليه وسلم)

أو هي من عمل رجال الاسلام القدامى ، وينقل (شاخت) عن (جولد تسيهر) ما هو أبعد من ذلك فيقول« إن جولد تسيهر أعرب عن تحفظه وريبته بالنسبة للأحاديث الموجودة حتى في الكتب الأصلية ، وليس ذلك فحسب بل بين بطريقة ايجابية الأغلبية العظمى لأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) هي عبارة عن وثائق لا للعصر الذي تزعم الانتساب اليه ، بل للمراحل التاليةمن تطور المذاهب في قرون الاسلام الأولى .

ثم يفصح (شاخت) عن الأساس الخاطىء الذي يبني عليه المستشرقون دراساتهم فيقول مشيرا الى كلام (جولد تسيهر) السابق « وقد اصبح هذا الاكتشاف اللامع حجر الزاوية لكافة البحوث الجادة للقانون والفقه المحمدي في عهده المبكر ».

ويحاول (جولد تسيهر) أن يجعل من الحكومة في عهد بني أمية طرفا في عملية الوضع فيقول :« ولم يقتصر الأمر على هؤلاء ، فإن الحكومة نفسها لم تقف ساكنة إزاء ذلك ، فإذا أرادت أن تعمم رأيا ، أو تسكت هؤلاء الأتقياء ، تذرعت ايضا بالحديث الموافق لوجهات نظرها ، فكانت تعمل ما يعمله خصومها ، فتضع الحديث أو تدعو الى وضعه ».

ويرد الدكتور السباعي على هذا بقوله : وهذه دعوى جديدة لا وجود لها إلا في خيال كاتبها ، فما روي لنا التاريخ أن(الحكومة الأموية) وضعت الأحاديث لتعمم بها رأيا من آرائها ، ونحن نسأله أين هي تلك الأحاديث التي وضعتها الحكومة ؟

إن علماءنا اعتادوا ألا ينقلوا حديثا إلا بسنده وها هي أسانيد الاحاديث الصحيحة محفوظة في كتب السنة ولا نجد في حديث واحد من آلافها الكثيرة ، في سنده عبد الملك أو يزيد أو الوليد أو أحد عمالهم كالحجاج وخالد بن عبد الله القسري وأمثالهم ، فأين ضاع ذلك في زوايا التاريخ لو كان له وجود ؟ واذا كانت الحكومة الأموية لم تضع ، بل

دعت الى الوضع ، فما الدليل على ذلك ؟

ومن جانب آخر لم يقتصر زعم الوضع على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) بل إن معظم الأحاديث ابتكرت في عهود لاحقة ، فهذا (شاخت) يزعم أن معظم الأحاديث في الصحاح والمجموعات الأخرى وضعت بعد وقت الامام مالك والشافعي ، وأن أول مجموعة جديرة بالاعتبار في الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) نشأة حوالي وسط القرن الثاني للهجرة ويقول : (جولد تسيهر) :« إن المسلمين لما فتحوا هذه البلاد حكموها بما فيها من تقاليد وقوانين بعد أن حوروا هذه التقاليد والقوانين واضفوا عليها من عندهم صبغة دينية ، ثم جعلوها أحاديث شريفة نسبوها الى نبيهم ».

ويرى أولئك المستشرقون أن وضع الأحاديث كان لأجل إسناد أصحاب المذاهب لآرائهم ، فكانوا يضعون الأحاديث لتسند رأيهم ثم يرفعونها الى النبي صلى الله عليه وسلم . ويضيفون الى ذلك أن فقهاء المسلمين لما رأواقصور القرآن عن استيعاب حاجات المجتمع التشريعية أرادوا اضفاء الشمولية على الفقه والتشريع الاسلامي عن طريق وضع الأحاديث ، وفي ذلك يقول (جولد تسيهر) « ألوف الأحاديث هي من وضع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام دينا شاملا فخلقوا هذه الأحاديث ، والقرآن لم يعط من الأحكام إلا القليل ، ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة» .

وهنا يفصح هذا المستشرق عن نيتهم الدفينة المكشوفة في الطعن بشمولية الاسلام من خلال زعم وضع الأحاديث ، فهو اقرار منهم بشمولية الاسلام من ناحية تشريعية ، وفي نفس الوقت طعن في شرعية هذه الشمولية بنسبتها الى عمل الفقهاء ووضاع الأحاديث .

ويريد المستشرقون من ذلك ايضا التوصل إلى حصر الشرعية في القرآن الكريم فكل ما جاء عن السنة ينبغي عرضه على القرآن فإن وافقه قبل وإن لم يوافقه فهو مردود . وهذا حجب لأحكام السنة فيما عدا ما وافق القرآن الكريم ، وفي هذا ما فيه من خطورة وخطأ علمي لا يمكن التسليم به كما سنكشفه فيما يلي من .

حقيقة وضع الأحاديث :

إن كلام المستشرقين السابق في وضع الأحاديث كلام ليس صحيحا في جملته ، وإن كان صحيحا في بعض جوانبه مما يحتاج في الحكم عليه إلى وزنه في ميزان علمي دقيق ، نعرضه الآن بشكل مختصر . كانت سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع ، والتزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية . بعد أن اتخذ الخلاف بين علي ومعاوية شكلا حربيا سالت به دماء وازهقت فيه أرواح ، وبعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف وأحزاب متعددة . وحاول كل حزب أن يؤيد موقفه بالقرآن وبالسنة ، فعمل البعض على تأويل آي

القرآن على غير المراد فيها لتأيد مذهبهم ورأيهم ، واضطروا إلى تحميل النصوص من القرآن والسنة باكثر مما تتحمله ، ووضعوا على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد مدعاهم .

نشأة الوضع :

ولم تكن بداية وضع الأحاديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يتصور ذلك من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أولئك الذين تركوا ديارهم وأموالهم في سبيل الله ، وهاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليقيموا دولة الاسلام ويبذلوا في سبيل ذلك الدماء زكية طاهرة وكانوا قاعدة الاسلام الصلبة الأولى ، وماكان يتصور كذبهم على نبيهم وقدوتهم محمد صلى الله عليه وسلم ،خصوصا وهم يحفظون عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قوله : « أن كذبا علي ليس ككذب على أحد ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه . وكان خوف الله وتقواه يغمر قلوبهم ويحول دون التفكير على التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرج البيهقي عن البراء قوله : « ليس كلنا يسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب » .

واخرج قتادة : أن أنسا حدث بحديث فقال له رجل : أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : نعم ، أو حدثنى من لم يكذب ، والله ما كنا نكذب ولا ندرى ما الكذب .

أسباب الوضع :

أولا : الخلافات السياسية : كانت فتنة عثمان وما تلاها بداية الانقسامات السياسية في الدولة الاسلامية الى فرق وأحزاب وبدأ كل فريق أو حزب يؤيد مسلكه وإن اقتضى الأمر وضع الأحاديث ـ كما سبق ـ وظهر جليا وضع الأحاديث في مدح الأشخاص والبيوتات أو الجنس أو القبيلةالى غير ذلك

ثانيا : الخلافات الفقهية : فإن التعصب للمذاهب أدى بالجهلة الى ابتكار أحاديث يؤيدون بها مذاهبهم حيث لا حديث ، ويقابلهم الخصوم بمثل ذلك فيضعون ما يؤيد مذهبهم ، ولقد كان هذا النوع من الوضع وللأسف ـ موجودا ، ولكنه ليس بالشكل الواسع الذي صوره المستشرقون ، أو يتصوره البعض .

ثالثا ـ الترغيب والترهيب : فقد نشط بعض الزهاد والوعاظ في ذكر أحاديث الرقائق والترغيب والترهيب ، لما وجدوا الناس قست قلوبهم ، ولا يلينها الا ذكر أهوال النار ونعيم الجنة ، وقد كان أولئك الوضاع يحتسبون هذا العمل عند الله ، ويظنونه عملا يتقربون به الى الله عز وجل ، ويقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم « فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » : اننا نكذب له صلى الله عليه وسلم لا عليه ، ولا شك أن صنيع هؤلاء وإن حسنت نيات الكثير منهم ، جهل بمعنى الحديث كمصدر للتشريع في امور العبادة والعمل أو الدين والدنيا ، وصدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم غير صدوره بأقوال من عند

أنفسهم . وساند مسلك هؤلاء القصاصون الكذابون الذين كانوا يسوقون القصص الطوال وينسبونها الى النبي صلى الله عليه وسلم ليجذبوا انتباه العوام السامعين ويبالغوا في التأثير عليهم ، ويعطوا لأنفسهم مكانة ولأقوالهم قدسية ، ومما زاد من إيغالهم في هذا تأييد العامة لهم وانتصارهم لهم حتى على العلماء . فقد روى السيوطي في كتابه « تحذير الخواص من أكاذيب القصاص » أن أحد القصاص جلس ببغداد ، فروى تفسير قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) الاسراء / ٧٩ . وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع الله على عرشه فبلغ ذلك محمد بن جرير الطبرى ، فغضب من ذلك ، وبالغ في انكاره ، وكتب على باب داره « سبحان من ليس له أنيس ، ولا له على عرشه جليس » فثارت عليه عوام بغداد ورجموا بيته بالحجارة حتى استد بابه بالحجارة وعلت عليه .

رابعا : الحاقدون والانتهازيون :
لا شك أن هذه الأجواء العامة التى كان يعيشها المسلمون فتحت المجال للحاقدين والمنافقين الزنادقة أن يلجوا هذا المجال وينفثوا سمومهم ويوجهوا للشريعة والمسلمين سهامهم ، وخاصة أولئك الذين دخل الاسلام ديارهم وسحب معه من تحتهم بساط العز والمكانة والمهابة المبنية على الظلم والكفر ، وأبدله بعدل الاسلام ونوره ، فوجدوا واتباعهم الفرصة ليقوضوا الاسلام من هذه الناحية ناحية التشريع عن طريق تشويه سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتحريم الحلال وتحليل الحرام واحداث ما يمكنهم من بلبلة وتشويش .

وقد اقر زنديق من هؤلاء أمام المهدى بأنه وضع مائة حديث تجول في أيدى الناس ، ولما قدم عبد الكريم بن أبى العوجاء للقتل اعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث يحرم فيها الحلال ويحلل فيها الحرام ، وقد لمس بعض خلفاء بني العباس ما وراء هذه الحركة من خطر على كيان الاسلام السياسي والتشريعي ، فتعقبوهم قتلا وتشتيتا ، وأشهر من عمل في رقابهم السيف الخليفة المهدى الذي أنشأ ديواناً خاصا للزندقة ، تتبع فيه أوكارهم ورؤساءهم من شعراء وأدباء وعلماء .

مقاومة حركة الوضع :

لم يكن علماء المسلمين غافلين عن حركة الوضع وخطورتها وأبعادها ، ولذا كانت جهودهم مواكبة لبداية الوضع بعد الفتنة ، يقول ابن سيرين : مؤرخا لبداية النظر في الاسناد بعد أن لم يكن الصحابة والتابعون يطلبون ذلك : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى اهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر الى اهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » .

وروى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيرا العدوى جاء الى ابن عباس فجعل يحدث ، ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ،وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه ، فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك لا تسمع لحديثي احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال

ابن عباس : إنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف . ثم أخذ التابعون يطالبون بالاسناد حين فشا الكذب ، يقول أبو العالية « كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب اليهم فنسمعه منهم.» ويقول ابن المبارك : « الاسناد من الدين ، لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » .

واصبح الاسناد والتثبت منه مطلبا هاما ، ولذا كان العلماء يرحلون من بلد الى آخر ، يقول سعيد بن المسيب: إني كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد .

وهذا المسلك في التثبت فتح للمسلمين باب نقد الرواة ، وتصنيفهم ، ثم أصبح لكل راو سجل يعرف منه حاله من صدق او كذب أو غير ذلك من رتب الرواة بعد دراسة حاله من نشأته حتى وفاته ومن تلقى عنهم العلم وقولهم فيه ، وأسفاره وتنقلاته ومواقفه وسيرته عامة كانت أو خاصة خلقية وسلوكية .

وأفرز هذا البحث والتقصى علما خاصا وبابا دقيقا امتاز به المسلمون دون سواهم من الأمم هو علم الرجال والجرح والتعديل ، ولم يعد بعد ذلك خافيا على العلماء معرفة أهل الكذب والأهواء والبدع والفساق ومن على شاكلتهم .

ولم يكتف علماء المسلمين بتوجيه جهودهم النقدية الى رواة الأحاديث بل فرغوا جهودهم مركزة على السند ، وتعدوا نقد المتن فبينوا علامات الوضع والكذب في متن الحديث كما بينوا علامة الصحة .

وهكذا طوق علماء المسلمين وضاع الأحاديث والكذابين وأصحاب الأغراض والأهواء ، وهتكوا سترهم الآثم وكشفوا زيفهم ، فتركوا حديثهم دون خوف أو محاباة مبتغين نصرة حديث النبي صلى الله عليه وسلم مؤدين أمانة التبليغ ، قيل ليحيى بن سعيد القطان « أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي أحب الي من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لِمَ لَمْ تذب الكذب عن حديثي ؟ » .

وهكذا تمخض هذا الجهد الكبير في تدوين سنة النبي صلى الله عليه وسلم بعد معرفة الصحيح من السقيم عن اسلوب نقدى علمى دقيق فريد ، شهد له العدو قبل الصديق .

ومن هذا الذي عرضنا بيانه نستطيع وزن عبارات المستشرقين في توهين السنة وتضعيفها عن طريق إشاعة وتضخيم القول في وضع الأحاديث ، فقد تبين أن مبدأ الوضع لا نشك في وجوده ، ولا نلوم المستشرقين في طرحه والتنبيه عليه ، وإنما الذي وضح أن هذا الوضع قد لاحقه علماء المسلمين وطوقوه وحصروا دائرته وسلطوا الأضواء عليه وكشفوا للمسلمين جهة الوضع وحذروا منه حتى لم يعد الوضع مطعنا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم يؤدى بالباحث الى استبعاد الاستفادة أو الاعتماد عليها ، فقد تبين الصحيح من الضعيف والرشد من الغي لمن أراد البحث العلمى النزيه من المستشرقين أو غيرهم .

ترجمة القرآن بين القديم والحديث

للدكتور/محمد الدسوقي

يقتضي الحديث عن ترجمة القرآن او على وجه الدقة ترجمة معانيه بين القديم والحديث او الماضي والحاضر ذكر ما يلي :

١ ـ أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، واعجازه يشمل اللفظ والمعنى ، كما ان التعبد بتلاوته لا يكون الا بهما : (**إنا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**) يوسف/٢ (**نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء/١٩٣ ـ ١٩٥ .

٢ ـ هذا القرآن المجيد دعوة الله للناس جميعا ، فهو يخاطبهم في كثير من آياته ، يدعوهم الى الايمان ، وينهاهم عن الشرك ، بل ان من هذه الآيات ما ينص صراحة على عموم رسالة الاسلام ، وان كل مكلف مخاطب بها ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل للعرب وحدهم ، وإنما بعث رحمة للعالمين : (**وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**)سبأ/٢٨ (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الانبياء/١٠٧ .

٣ ـ من دلائل قدرة الله تبارك وتعالى

وآياته في خلقه اختلاف الناس في الالسن والالوان : (**ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**) الروم/٢٢ .

ومـا دام القرآن عـربي اللسان ، ومعجزا بنظمه ومعنـاه ، وما دام رسالة الله الخاتمة العامة ، وما دام الناس أمة غير واحدة لسانا ولونا فكيف يمكن تبليغ دعوة القرآن الى كل انسان تبليغا يضع عن المسلمين إصر ألتقصير ، ويلزم الآخرين مسئولية البلاغ ؟

إن الدارس لتاريخ انتشار الدعوة الاسلامية في اقطار شتى متباينـة اللغات والثقافات والعادات يلفت نظره ان المسلمين لم يتخذوا من ترجمة القـرآن الى لغات هـذه الشعـوب والاقطار سبيلا لتبليغهم وإنذارهم ، وانما كانـوا يفسرون لهم اركـان العقيدة وقيمها قولا وعملا ، لقد كانوا إسلاماً يتحرك بين الناس ، وكان هؤلاء يؤمنون بالاسلام او يعرضون عنه رغبة واختيارا **فلا اكـراه في الدين** ، وما كانت الحروب الاسلامية لحمل احد على الايمان بعقيدة كرها وقسرا ، وانما كانت هذه الحروب ـ وستظـل ـ **وسيلة لحمـاية الحق وارهاب الباطل ، وكفالة الحرية الدينية لكل انسان ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر** .

ومـع هذا تعـرض العلماء قـديما لموضوع ترجمة القـرآن ، فهم قد تحدثوا في صلاة من يعجز عن القراءة بالعربية ، ويكاد الجمهور يذهب الى أنّ من قرأ في صلاته بغير العربية كالفارسية مثلا فان صلاته باطلة ، قال الامام الزركشي : لا تجوز قراءته ـ اي القرآن ـ بالعجمية ، سواء احسن العربية ام لا في الصلاة وخارجها ؟ لقوله تعالى : **إنا أنزلناه قرآنا عربيا** (البرهان جـ ٢ ص ٤٦٤) .

واما من يعجز عن القراءة بالعربية لحداثة إسلامه ، فله ان يدعو بلسانه ما شاء له ان يدعو .

ويعزى الى الامام ابي حنيفة انه يرى صحة صلاة من قرأ فيها بغير العربية سواء أكان عاجزا عنها ام قادرا عليها ، غير ان الصاحبين يخالفان إمامهما في صحة هذه الصلاة لمن قدر على العربية ، ويذهبان مذهبه فيمن عجز عنها .

ويعزى الى هذا الامام ايضا انه رجع عن ذلك الرأي ، ولا يكون العدول الا عن يقين بان ما كان قد افتى به اولا لم يرضه او لم يطمئن اليه ، أو لعله راعى ظروف الذين دخلوا في الاسلام من الفرس فيسر عليهم امر الصلاة وحكم بصحتها لمن قرأ فيها بالفارسية حتى لانت ألسنتهم للقراءة بالعربية ، فهي الضرورة التي تبيح المحظور ، او ترفع الضيق والحرج . (انظر ابو حنيفة للشيخ محمد ابو زهرة)

وكما تحدث العلماء في قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة ، تحدثوا كذلك في ترجمته الى غير اللغة التي انزل بها ، وهم في هذا الموضوع قد أطبقت كلمتهم على ان هذه الترجمة امر جائز ، بل ان منهم من انزلها منزلة فروض الكفاية ، فهي احدى وسائل

التبليغ والبيان الى من كان لسانهم غير عربي .

قال الزمخشري وهو يفسر قوله تعالى : **(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه)** ابراهيم/٤ ، فان قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وانما بعث الى الناس اجمعين ، بل الى الثقلين ، وهم على السنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم فلغيرهم من الاعاجم الحجة ، قلت : لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الالسنة ؛ لان الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفي التطويل ، فبقي ان ينزل بلسان واحد ، فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول ؛ لانهم اقرب اليه ، فاذا فهموا عنه وتبينوه ، وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما نرى الحال ونشاهدها في كل امة من امم العجم « انظر الكشاف جـ ٢ ص ٣٦٦ »

وقال ابن حجر في فتح الباري في باب « نزل القرآن بلسان قريش والعرب »: ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ؛ لان اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي ، وهو يبلغه الى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بالسنتهم .

واذا كان الاقدمون يذهبون الى ان ترجمة القرآن امر لا بأس به فانهم مع هذا يرون ان الترجمة الحرفية للقرآن كله امر متعذر بل مستحيل ، إذ لكل لغة خصائص تركيبية وبيانية تنفرد بها ولا يمكن نقلها الى لغة أخرى اذ يقول ابن فارس : « لا يقدر احد من التراجم على ان ينقل القرآن الى شيء من الالسن كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ، لان العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب ، الا ترى انك لو اردت ان تنقل قوله تعالى : **(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء)** الانفال/٥٨ لم تستطع ان تأتي بهذه الالفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعتها ، وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول « ان كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فاعلمهم انك قد نقضت ما شرطته لهم ، وآذنهم بالحرب لتكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء »

ومن ثم فان أية ترجمة للقرآن مهما علا كعب صاحبها في البلاغة لا يمكن ان تحمل وجوه الاعجاز التي يحملها القرآن ، فلا تكون القرآن المتعبد بتلاوته ولا تأخذ قدسيته ، وهي لا تتجاوز بعض المعاني التي فهمها المترجم بقدر الامكان من النص المقدس .

من تاريخ ترجمة القرآن :

لم يترجم المسلمون ـ اذن ـ قديما القرآن الكريم ؛ ليدعوا الناس اليه ، وان كانت لهم آراؤهم في صلاة من قرأ بغير العربية ، وكذلك في حكم ترجمة

القرآن الى سائر اللغات ، وانما ترجم القرآن اول ما ترجم على ايدي غير المسلمين ، وتذكر الروايات ان السريان كانوا اول من ترجم بعض آيات القرآن الى لغتهم ، وذلك في عهد هشام بن عبد الملك « ت ١٢٥ هـ » ففي متحف لندن مجموعة من المخطوطات باللغة السريانية تعود الى خلافة هشام ، وفيها طائفة من آيات القرآن الكريم مترجمة الى هذه اللغة .

ولما عبر الاسلام الى اوروبا في مستهل القرن الهجري الثاني واستقر في الاندلس وجنوب ايطاليا وجزر البحر المتوسط انزعجت الكنيسة ، وخافت على ما كانت تتمتع به من سلطة كبرى وكلمة عليا ليس على الشعوب بجميع طبقاتها فحسب ، بل على الرؤوس المتوجة نفسها ، لان مبادىء هذا الدين لا تجعل لانسان سلطانا على غيره في عقيدته وتقضي بالمساواة بين الناس كافة ، وتقيم مقياسا واحدا للتفاضل بينهم عند الله وهو التقوى والعمل الصالح : **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/١٣ ، ومن ثم مارست الكنيسة ضد الاسلام كل دعاية ظالمة وراحت بكل الوسائل تنفر اتباعها منه كل التنفير ، ومن ذلك الاقدام على ترجمة القرآن ترجمة محرفة مشوهة لا تعرف الموضوعية ، او الامانة العلمية ، وكان كل من يترجم القرآن من الاوروبيين المسيحيين يشفع ترجمته بمقدمات وتذييلات وبعض الحواشي في دحض الكتاب الكريم وتفنيده ؛ وذلك من قبيل الاعلان عن حسن ايمانه وصحة عقيدته ، حتى يمكن ان تنشر ترجمته وترضى الكنيسة عنه .

وكانت اول ترجمة اوروبية للقرآن تستحق الذكر تلك التي تمت في « دير كليني » في جنوب فرنسا ، وهو من الاديرة التي كان فيها مركز للدراسات العربية ، فقد اصدر راعي الدير « بطرس المبجل » تعليماته الخاصة بوضع ترجمة للقرآن باللاتينية وذلك في مقابل اجر طائل .

وقد اشترك في هذه الترجمة ثلاثة : منهم انجليزي ، وآخر الماني ، وراهب اسباني عربي ، واستغرقت مدة الترجمة ثلاث سنوات (١١٤١ـ١١٤٣م) خرجت بعدها الترجمة غير جديرة بان تسمى ترجمة ، لكثرة ما فيها من حرية التصرف والاخطاء التي لا عداد لها فضلا عن الحذف والاضافة ، حتى لم يبق بها من المشابهة للاصل الا النادر الاقل .

وبقيت هذه الترجمة مخطوطا نحو اربعة قرون ثم طبعت سنة ١٥٤٣ في مدينة بال السويسرية ، وما كادت هذه الترجمة تنشر حتى ترجمت من اللاتينية الى الايطالية والالمانية والهولاندية ، وسواها من اللغات الاوروبية .

ومنذ عصر النهضة وحتى الآن كثرت في اوروبا وامريكا وآسيا ترجمات القرآن ، وبلغت باحصاء بعض الباحثين مائة وعشرين ترجمة في ست وثلاثين لغة ما بين شرقية وغربية ، وكان من بينها ترجمات قام

بها مسلمون غير عرب كالفرس والترك والباكستانيين ، ومسلمي الصين وروسيا واليابان ... الخ .

والترجمات التي قام بها غير العرب من المسلمين كانت افضل حالا من الترجمات التي قام بها سواهم ، وما وقع فيها من بعض الهنات او الهفوات ليس مرده الى سوء النية والرغبة في تشويه القرآن ، وانما مرده الى ما يمكن ان يقع فيه المجتهد المسلم من خطأ في اجتهاده ؛ لأسباب مختلفة .

على ان هناك ترجمات قام بها اناس يزعمون انهم مسلمون ، ولكنهم اشد خطرا عليه من غير المسلمين ، وهم طائفة القاديانية ، وقد ظهرت هذه الطائفة في الهند في القرن الماضي ، وزعم مؤسسها الميرزا غلام احمد القادياني المتوفي سنة ١٩٠٨ انه نبي مرسل ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس خاتم الانبياء وان الجهاد قد انتهى ؛ لانه قد استنفد اغراضه ، الى غير ذلك من الآراء الفاسدة التي تخرج صاحبها من الاسلام (تاريخ المذاهب الاسلامية للشيخ ابي زهرة ج١ص ٢٥٠)

لقد حاولت هذه الطائفة بمساعدة القوى المعادية للاسلام من الانجليز واليهود وغيرهم نشر آرائها المنحرفة تحت ستار ترجمة القرآن ، وكان لما قاموا به ـ وما زالوا يقومون ـ افدح الخطر والضرر على الاسلام بين غير المسلمين في العصر الحاضر .

اما الترجمات التي تمت على ايدي المبشرين والمستشرقين ، واساتذة الدراسات العربية في الجامعات الاجنبية فانها لا تخلو من تحريف وتشويه ومهاجمة للقرآن واثارة الشبهات والاتهامات الباطلة حوله ، وان كانت هناك بعض الترجمات القليلة التي يمكن وصفها بالامانة العلمية بيد أن مثل هذه الترجمات النادرة لم يكن يتاح لها من الذيوع ما يتاح لغيرها من الترجمات المحرفة ، ومن ثم لم يكن لها تأثير ذو بال بين غير المسلمين ، وظلت الصورة المشوهة عن القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ؛ بسبب تلك الترجمات التي تفتقر الى الموضوعية والامانة العلمية-تسيطر على مشاعر وافكار غير المسلمين وبخاصة في اوروبا وامريكا حتى الآن .

الترجمة بين الاباحة والمنع :

نبهت كثرة الترجمات المحرفة المسلمين في العصر الحديث الى خطورة الامر ، والى ما يجب عليهم حياله ، فكانت لهم آراؤهم المتباينة فيه ، ومن هذه الآراء ما يذهب إلى تحريم الترجمة ، وان الاقدام عليها من المسلمين يعد اخطر حدث في تاريخ الاسلام في العصر الحاضر ، واعتمد اصحاب هذا الرأي على الحجج التالية :

١ ـ ان القرآن معجز لا يمكن ترجمته .
٢ ـ ان ترجمة القرآن بحرفيته غير ميسورة .
٣ ـ ان الترجمة تفقد القرآن روعة

النظم العربي والطلاوة واللذة والتأثير في النفوس .
٤ ـ ان بعض الفاظ القرآن يجب ان يسلط عليها التأويل ؛ امتثالا لحكم العقل ، وهذا لا يمكن في التراجم .

ولكن هذا الاتجاه الذي يرى حرمة الترجمة لم يصمد امام تيار الدعوة الى جواز الترجمة ووجوب القيام بها ؛ تبليغا للدين الى كل انسان .
واما تلك الحجج التي استند عليها دعاة الحظر للترجمة فلا تسلم لهم ولا تنهض على ادلة مقبولة ، فالاعجاز البياني ليس غاية من غايات الترجمة فهو امر لا سبيل اليه باتفاق الجميع ، ومن ثم يستحيل ان تحمل الترجمة الى اية لغة ، ـ من اللغات ـ المعني ووجه الاعجاز ، ولكن عدم امكان ترجمة دليل الاعجاز لا يستلزم عدم نقل المعنى نقلا صادقا امينا يشرح المعاني القرآنية ، ويتيح لغير العرب فرصة الاطلاع عليها والالمام بها ، ولذلك تعد الترجمة تفسيرا للقرآن ولا تعد عينه ، ولا يضير اذا اخلت بشيء من معانيه الكثيرة التي ليس في طوق غير العربي ان يدركها ويعبر عنها .
ودعا بعض الذين نادوا بالترجمة الى ان تكون هذه الترجمة حرفية ، قال المفكر العالم الاستاذ محمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣ هـ) : ان وضع القيود غير المعقولة في مسألة نقل القرآن ، يقضي عليه بهزيمة منكرة تقع نتائجها علينا وعلى اعقابنا قرونا طويلة ، ومعناه صده عن الجولان في الدورة الفكرية العالمية مع غيره من الاديان السابقة ، وان كل ما يخشى منه ان يوكل امر البت في هذا الشأن لمن لا يعرفون لغات اجنبية ، فيخيل اليهم انها لغات بربرية تخلو من جميع الزخارف اللفظية والمعنوية التي لا توجد الا في اللغة العربية ، وان تعطيل القرآن عن الترجمة الحرفية ، والزج به في معترك الافهام الى اليوم قضي عليه بالا يكسب انصارا من الامم الغربية ، فصار مقصورا على الامم الشرقية التي رضيت ان يكون حظها من دينها كحظ الببغاء (انظر المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ص ٧٤)
ولم يلق هذا الاتجاه في الترجمة اذنا صاغية ، وعارضه بعض العلماء معارضة شديدة وانتصر عليه الاتجاه الذي يذهب الى استحالة الترجمة الحرفية ، وان الترجمة التفسيرية هي وحدها السبيل الامثل لنقل المعاني القرآنية الى غير الناطقين باللسان العربي .
وكان للامام الشيخ محمد مصطفى المراغي (ت ١٣٦٤ هـ) شيخ الجامع الازهر دور بارز في الدعوة الى الترجمة التفسيرية ، وله في الموضوع دراسة قيمة عرض فيها لآراء الاقدمين ، وناقش ادلة المانعين ، ودعا المسئولين الى العمل من أجل ترجمة معاني القرآن ترجمة صحيحة تحقيقا لمبدأ عالمية القرآن وإن الناس كافة على تباين السنتهم مخاطبون به . (انظر مجلة الازهر المجلد السابع ص ٧٧ـ١١٢)
ومع ان الشيخ المراغي شكل لجنة

فنية من علماء الازهر لوضع قواعد لتفسير القرآن تفسيرا وجيزا يقتصر فيه على المعنى العام للآيات دون الاشارة الى الآراء الخلافية والقضايا الجانبية ، والنظريات العلمية ، ثم ينقل هذا التفسير عن طريق لجان متخصصة الى اللغات الاجنبية ، العالمية منها والمحلية ـ مع هذا لم تظهر حتى الآن ـ فيما اعلم ـ ترجمة للقرآن تعاون على اخراجها لجان فنية للتفسير ، واخرى للترجمة الامينة التي لا تعرف التزيد او القصور ، وكل ما ظهر من ترجمات للقرآن في العصر الحاضر بين المسلمين يمثل جهودا فردية ، وهي وحدها لا تكفي ولا تضع عنا إصر التقصير والاهمال في التبليغ ، ومقاومة المحرفين والمشوهين ومن في قلوبهم مرض من اليهود والنصارى .

والخلاصة ان القرآن دعوة الله العامة الخاتمة ، وانه نزل بلسان عربي مبين ، وان ترجمته الحرفية مستحيلة ، وان ترجمته الصحيحة لا تعدو ان تكون تفسيرا له بلسان غير عربي ، وان هذه الترجمة لا تحمل قدسية القرآن ، فلا تصح الصلاة بها ولا يتعبد بتلاوتها ، ولا يحظر على غير الطاهر مسها ، فهي لون من التفسير وما قد يقع فيها من هنات هو كالذي يقع من المفسرين للقرآن باللسان العربي .

والتعاون اليوم بين المسلمين وبخاصة اجهزة الدعوة الاسلامية وما اكثرها ، ضرورة دينية لتقديم ترجمات اكثر دقة لمعاني القرآن ، وكذلك لكتابة دراسات حوله . وهذا التعاون اذا كان بمنجاة من الاهواء السياسية والفكرية ، وخلص لوجه الله فانه يحقق اطيب الثمرات ويضع امام البشرية التائهة في دياجير المادية والعنصرية ، وصراع التسلح الرهيب ، المبادىء التي تهدى للتي هي أقوم ، لعلها تسلك طريق الرشاد ، فتنقذ نفسها مما هي فيه ، ومما قد تتعرض له من دمار شامل يقضي على الانسان والحيوان والنبات .

ويذهب بعض المعاصرين الى ان ترجمة معاني الجانب العلمي في القرآن الكريم تفيد أكبر فائدة في توجيه انظار العالم اليوم نحو الاسلام وانه دين صحيح ،وتقتلع ما غرسه الاستشراق والتبشير من خرافات واوهام في اذهان ومشاعر غير المسلمين حول هذا الدين (انظر القرآن والعلم الحديث للاستاذ عبد الرزاق نوفل ص ٢٥). وهذا صحيح الى حد ما ، والاصح منه ان يقدم المسلمون ترجمة عملية لمعاني القرآن من خلال سلوكهم واعتصامهم بحبل الله ، فالعالم الآن لا يعير الآراء والنظريات المجردة اهتماما ، ولكن يعير الواقع العملي اكبر الاهتمام ، وأعتقد ان واقع العالم الاسلامي المعاصر حجة داحضة على ان الاسلام دين الوحدة والقوة والعزة والفضيلة . فلنترجم القرآن الى سلوك وتطبيق عملي ، حتى يكون للترجمة النظرية برهانها الواقعي ، وبذلك تحقق هذه الترجمة الغاية المنشودة منها تحقيقا كاملا ان شاء الله .

بين الهجرة

« والله انك لأحب أرض الله الى الله ، وانك لأحب أرض الله الي ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » .

بتلك الكلمات التي تفيض بالحب الشديد والحنان الفريد ودع محمد بن عبد الله مكة بلده الذي فيه ولد فكان طفلا صغيرا وعلى أرضه نما وترعرع فكان شابا قويا أمينا وبين بطاحه نزل عليه الوحي فكان داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

الا أن شوكة الكفر ما تزال قوية ، والمسلمون ما زالوا مستضعفين ، والمؤامرات على الدوام تدبر والفتن في كل حين تحاك والعذاب يستعمل ألوانا مع أصحابه الذين آمنوا به . فماذا يفعل وقد قرر من قبل أنه لا رجعة الى الوراء حين أعلنها مدوية في سمع الزمان : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وأمام هذا الجبروت ، وذلك التحدي لم يجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا أن يصرح لبعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة قائلا لهم :

« لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » وقد كانت تلك الهجرة أول هجرة في الاسلام .

والفتح

للاستاذ / عمر حافظ سليم عاصي

ومكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكة مع بقية أصحابه ينتظر الاذن من الله تعالى بالهجرة الى المدينة المنورة التي كان أهلها في نفس هذا الوقت تتطلع أفئدتهم ـ في لهفة ـ الى رؤية الرسول القائد الذي سيخرجهم من الظلمات الى النور ، ذلكم الرسول الذي بايعوه من قبل على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

وبينما الحال كذلك نزل الاذن من الله تعالى لرسوله الكريم بالهجرة الى المدينة المنورة فراح يعد للأمر عدته حيث استصحب أبا بكر الصديق معه وترك عليا نائما في فراشه مسجى ببردته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وما أن علمت قريش بذلك حتى أعلنت حالة الطوارىء في صفوف جنودها الأشرار فرسموا مخططهم الفاشل الذي يقضي باغتيال محمد عن طريق اختيار شاب قوي من كل قبيلة ثم يجتمع هؤلاء الشباب الأقوياء فيميلون عليه ميلة واحدة ويضربونه ضربة تقضي على حياته وتفرق دمه بين القبائل . ولكن هيهات هيهات ،

فقد أبطل الله مخططهم ونصر رسوله : « **اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** » ٤٠/ التوبة .

وقطع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعه أبوبكر الصديق طريقهما حتى وصلا المدينة بسلامة الله ، فاستقبلهما أهل المدينة أعظم استقبال فأنشدوا أناشيد الفرح وغردوا أغاريد السرور وأقام محمد بين أهله واخوانه وأحبابه من المهاجرين والأنصار فأنشأ مجتمعا تسوده الاخوة والمحبة وينتشر بين ربوعه الأمن والأمان .

الا أن أعين المسلمين كانت ترنو الى مكة دائما فهي مسقط رؤوسهم ومهد طفولتهم ، وقد أخرجوا منها لضعفهم وقلة حيلتهم ثم انهم الآن قد أصبحوا قوة تستطيع تطهير مكة من الأدناس والأرجاس التي توجد فيها .

وبينما هم على تلك الدرجة العالية من الشوق الى بلدهم اذا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبرهم أنه رأى رؤيا أنهم سيدخلون المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون ، فهللوا بحمد الله وكبروا ، وصدق الله رسوله الرؤيا بالحق « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** » الفتح / ٢٧ .

○ صلح الحديبية :

وفي شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعه أصحابه رضوان الله عنهم قاصدين مكة من أجل العمرة لا يبتغون الا اجلال البيت الحرام وتعظيمه .

حتى اذا علمت قريش بذلك خرجوا لملاقاة المسلمين وعلم الرسول بنبأ خروجهم عن طريق بديل بن ورقاء الخزاعي الذي جاء في نفر من قومه من خزاعة قائلا :

- يا رسول الله اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوااعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت .

فأخبرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته . فانطلق بديل الى قريش ليخبرهم بما قاله له رسول الله فاتهم هو وقومه وخوطبوا بما يكرهون وقد بعثت قريش الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر من واحد ليخبروه أنهم مصممون على عدم دخول المسلمين مكة ومن هؤلاء الحليس بن علقمة سيد الاحابيش وعروة بن مسعود الثقفي .

فما كان من هؤلاء الرسل الا أن شهدوا لرسول الله وأصحابه أنهم أهل حق لا ينبغي أن يصدوا عن البيت الحرام .

فهذه شهادة الحليس بن علقمة سيد الأحابيش الذي رجع الى قريش وقد سيطر عليه الغضب قائلا : « يا معشر قريش ،؛ والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد».

وهذا ـ أيضا ـ عروة بن مسعود الثقفي يقوم من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه ، فيرجع الى قريش قائلا :

يا معشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم .

○ بيعة الرضوان :

لقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإلهام من الله سبحانه يتحاشى اراقة الدماء في هذا الفتح الى أبلغ درجة وخير دليل على ذلك أنه بعث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه انما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته . فما كان من قريش الا أن احتبست عثمان بن عفان فبلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين أن عثمان قد قتل فما كان منه حين بلغه ذلك الا أن قال : لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة حيث بايع المسلمون رسول الله على الموت في سبيل الله وقد نزل في ذلك قول الله تعالى :

« **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** » ١٨/ الفتح .

○ شروط الصلح :

ولما علمت قريش بأمر هذه البيعة دخل الرعب الى قلوبهم فبعثوا سهيل بن عمرو لابرام صلح مع الرسول فلما انتهى الى رسول الله تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح الذي قبله رسول الله على الرغم من أن المسلمين كانوا لشروطه كارهين فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما التأم الأمر ولم يبق الا كتابة الصلح جاء الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا : يا رسول الله ، ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ؟

يقول ابن اسحق : « ثم دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ـ فقال : اكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : «اكتب باسمك اللهم » ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وان بيننا عيبة مكفوفة-اي صدرا منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة-وأنه لا إسلال ولا إغلال - السرقة والخيانة وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » فتواثبت قبيلة خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها » . هكذا كانت شروط صلح الحديبية شروطا مجحفة بالنسبة للمسلمين الا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبلها تنفيذا لأمر الله سبحانه .



ونريد هنا أن نقف وقفة ، فقد يتخذ بعض الناس قبول الرسول لصلح الحديبية تكأة للقول بأن الشورى غير ملزمة للحاكم ويستدلون بعدم نزول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على رأي أغلبية المسلمين ، ولهؤلاء نقول : لو رجعتم الى ما قاله رسول الله لعمر لعلمتم أن هذا أمر من الله وليس للرسول أن يخالف أمر الله وينزل على قول البشر .

لقد قال الرسول لعمر ـ كما سبق أن ذكرنا ـ « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » وطالما أن الأمر من الله سبحانه فلا مجال للشورى فيه فتلك الحادثة خارجة من هذا النطاق ولقد كشفت الأحداث فيما بعد عن عمق تفكير الرسول وبعد نظره ـ صلوات الله وسلامه عليه .

○ عمرة القضاء :

وفي شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة دخل رسول الله والمسلمون مكة وأقاموا بها ثلاثا وفقا لشروط صلح الحديبية ، وأدوا العمرة حيث دخل الرسول المسجد الحرام وأدخل بعض ردائه تحت عضده اليمنى وجعل طرفه على منكبه

الأيسر ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وأخذ يهرول ويهرول أصحابه معه حتى اذا واراه البيت من الكفار واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الحجر الأسود .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل ـ فيما حدثني أبوعبيدة : « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** » الفتح / ٢٧ .

وهنا تضاعف حنين المسلمين الى مكة واشتد شوقهم الى فتحها وأيضا تطلع الرسول ـ الى يوم الفتح الأعظم الذي كان يمنعه منه صلح الحديبية والعهد الذي كان بينه وبين قريش .

○ الفتح الأعظم

اذا أراد الله أمرا هيأ له من الأسباب ما يكفل تحقيقه ، وهذا ما حدث عند فتح مكة فبينما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحترم العهد والصلح الذي كان قد أبرم بينه وبين الكفار ، وكان هذا الصلح هو السبب الذي يمنعه من الفتح .

بينما الأمر كذلك هيأ الله الفرصة فجعل المشركين ـ وهذه طبيعتهم ـ ينقضون العهد الذي دخلت بموجبه قبيلة خزاعة في حزب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبيلة بكر في حزب قريش فهاجمت قريش خزاعة غدرا ونقضوا العهد المبرم ، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال :

يا رب اني ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ... ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك الموكدا ... وجعلوا لي من كداء رصدا

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «نصرت يا عمرو بن سالم » ثم عرض لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنان سحاب ـ من السماء فقال : ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب .

رواه ابن اسحاق

وتجهز رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لغزو مكة وأعد للأمر عدته ، وايثارا للسلم على الحرب أخفى الرسول الخبر فلم يشعر به كثير من الناس وذلك حتى لا تعلم قريش فتستعد للحرب ، والرسول لا يريد الحرب بل يريد فتح مكة مع عدم المساس بحرمتها لذلك فقد روى ابن اسحاق أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا الله ـ عز وجل ـ قائلا :

« اللهم خذ على أبصار قريش فلا يروني الا بغتة »

أما قريش فانهم ندموا على ما فعلوا فأرسلوا أبا سفيان يطلب تجديد مدة الهدنة فلم يهتم به أحد .

وفي شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة للهجرة بدأ الزحف المقدس فخرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه عشرة آلاف مقاتل قاصدين مكة المكرمة التي اشتد شوقهم وزاد حنينهم اليها .

ولم يكن هدف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القتل واراقة الدماء ، وانما كان هدفه الأسمى هو نشر الخير والسلام وتطهير البيت الحرام من رجس الوثنية وارساء دعائم التوحيد في مكة المكرمة التي أخرج منها كرها .

ولما وصل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى (مر الظهران) أمر بايقاد عشرة آلاف نار وكانت قريش قد علمت ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد يؤثر الاستسلام وخرج أبوسفيان ليتعرف الأخبار فقابلته الطلائع وأدركه حرس الجيش ورآه العباس فغدا به الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رآه رسول الله قال له : : « ويحك أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟

قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد » .

قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟

قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئا ، فقال له العباس : ويحك أسلم وأشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فشهد شهادة الحق وأسلم .

وهنا يتجلى ايثار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للسلم على الحرب في هذا الفتح ، فقد دخل جند الله مكة دون اراقة دم وأمنوا حياة كل من يدخل بيته أو يدخل الحرم أو يدخل بيت أبي سفيان ، ورأى الرسول ان مكة لا تقاوم فاستوقف راحلته وانحنى لله شكرا واطمأن الناس ، وخرج الرسول حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن «عود» في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها وحطم ما فيها من أصنام وأوثان .

ثم وقف على باب الكعبة وقد استجمع له الناس فقال : «يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم » .

وهنا يصل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى قمة الانسانية ويضرب المثل

الأعلى في العفو عند المقدرة فيعلنها صريحة لا لبس فيها واضحة لا غموض فيها :

« **اذهبوا فأنتم الطلقاء** »

وهكذا تحقق أمل القائد واستسلم أهل مكة جميعا واندك معقل الشرك وطهر البيت الحرام مما فيه من أوثان وأصنام .

وهكذا صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . وعن هذا الفتح يقول الله تعالى : « **انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا** » الفتح/ ١ ـ ٣ ويقول : « **اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » سورة النصر .

وبعد :

فإن من ينظر في سير أحداث الهجرة النبوية الشريفة ثم ينظر في سير أحداث الفتح الأعظم فتح مكة المكرمة يجد الفرق كبيرا والبون شاسعا بين ملة الكفر ، وملة الاسلام ، يجد الاخلاق في اقبح صورها عند الكفار كما يجدها في أحسن صورها وأبهى مناظرها عند محمد وصحبه .

فيوم أن كان هؤلاء الكفار قادرين على محمد لم يرحموه بل مضوا يعذبون ويؤذون ويعربدون وبذلك مثلوا الاخلاق في اقبح وأرذل صورها .

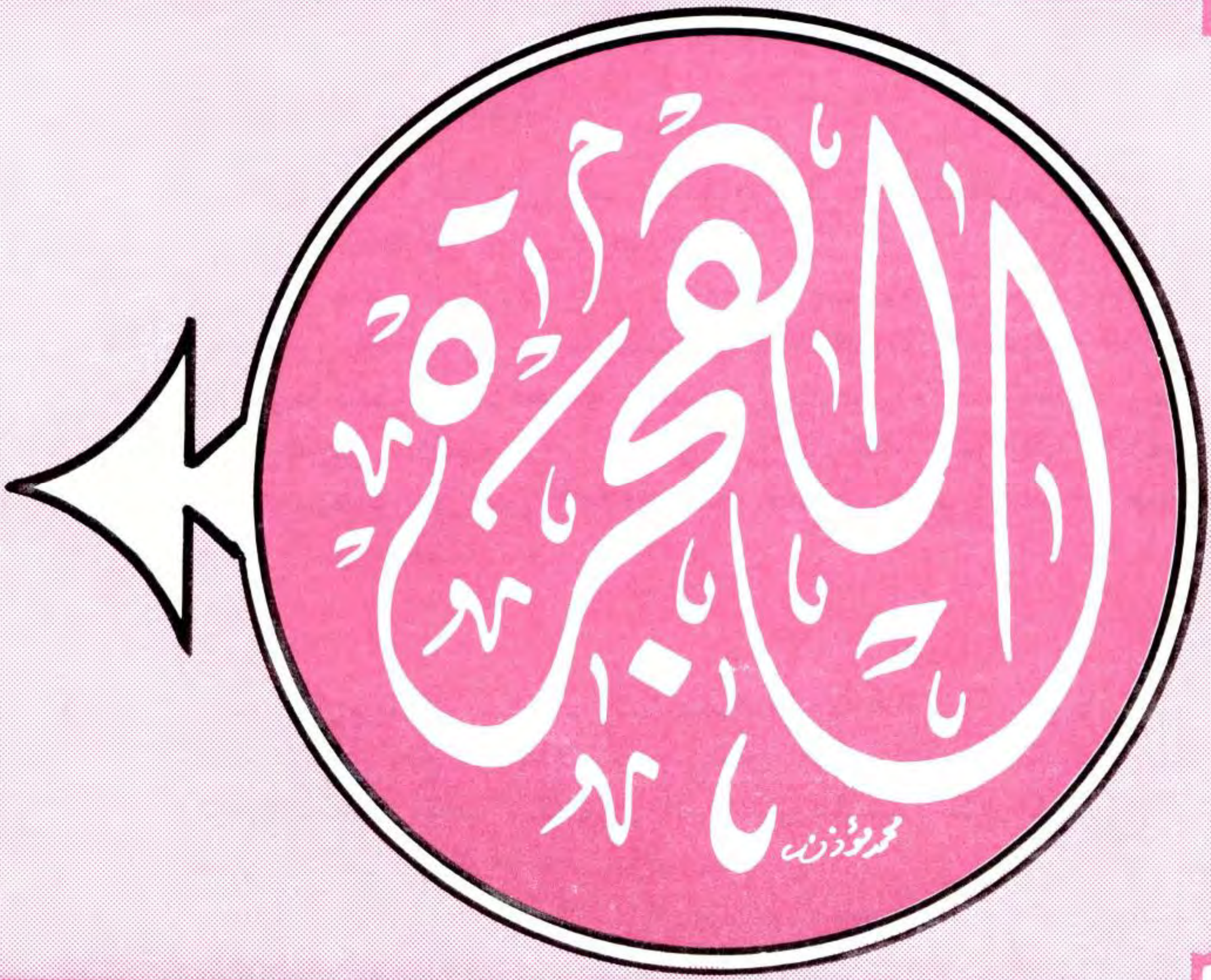
ويوم أن أصبح محمد قادراً عليهم متمكناً منهم ـ بفضل الله ـ مثل الاخلاق الطيبة ، والمثل العليا والمبادىء السامية حيث عفا عنهم .

وبذلك يكون قد قابل الاساءة بالاحسان ، والغلظة باللين ، والجهل بالحلم، إن الهجرة المباركة ترجمة صادقة للتضحية والفداء في سبيل نشر العقيدة وتبليغ الرسالة وإن الفتح الأعظم ترجمة صادقة لخلق العفو عند المقدرة ، ذلك الخلق الذي دعا إليه قرآننا حين قال الله تعالى ، « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** » آل عمران / ١٣٤ .

وحين قال : « **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** » الاعراف / ١٩٩ .

ثم إنه دليل قاطع وبرهان ساطع على أن الاسلام لم ينتشر بحد السيف ـ كما يزعم الزاعمون من المستشرقين وتلاميذهم على أن الاسلام لم ينتشر بحد السيف وإنما انتشر بالقدوة الطيبة والأخلاق الفاضلة مع استعمال السيف إذا دعت اليه الضرورة . كما أن هذا الفتح ترجمة صادقة لحب الاوطان والحنين إليها مهما تباعدت المسافات وتعسرت الظروف وأظلمت الدنيا .

ادعو الله سبحانه ان ينفعنا بسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه الطيبين الأبرار ـ رضوان الله عنهم ـ إنه سميع الدعاء .



يحلو لكثير من البسطاء والسذج من المسلمين أن يصوروا الهجرة بأنها كانت فرارا بدين الله وهروبا من المشركين في مكة ، وكأنهم يؤيدون ما يردده أعداء الاسلام وخاصة المستشرقين والمغرضين الذين يصفون الهجرة بأنها كانت فرارا وخوفا وجبنا ، ثم يقولون كيف يفر النبي من الميدان ؟ اذن فهم يريدون بذلك الانتقاص من شخص النبي والكيد للاسلام والمسلمين ليطمسوا أمجاد الاسلام ويشوهوا بطولاته التاريخية المشرقة .

والحقيقة أن ما يردده هؤلاء المستشرقون دعاوى باطلة قد أجهدوا أنفسهم في اختلاقها يدفعهم الى ذلك الحقد الأسود الذي يملأ قلوبهم على الاسلام ورسوله ولا سند لهم على ما يقولون من واقع او تاريخ .

فالهجرة لغة : الترك ـ تقول : هجرت وهاجرت واهتجرت بمعنى الترك

وقال الشاعر العربي :

فان لم تندموا فثكلت عمرا
وهاجرت المروق والسماطا

وقال السائب أخو الزبير :

يا قوم جدوا في قتال القوم
واهتجروا النوم فما من نوم

والهجر نوعان : معنوي وحسي ـ وكلاهما بمعنى الترك ـ فأنت

جرأة وثبات

للاستاذ / سيد عطا محمد

إذا لم تعجبك فكرة أو نظرية فأعرضت عنها وتركتها ولم تأخذ بها فقد هجرتها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) رواه البخاري - وإذا كرهت قوما وسئمت الاقامة بينهم لما تنكره من طباعهم وأخلاقهم وتركتهم وتحولت عنهم فقد هجرتهم .

وليس بالضرورة أن يوجه اللوم إلى المهاجر الذي ترك قومه فقد يكون الأمر بالعكس فقد يكون هذا المهاجر على حق فيما جاء به إلى قومه أراد بهم الخير فرفضوه وتمسكوا بما هم عليه من باطل وهجروا دعوته فاضطر إلى هجرهم إلى غيرهم قال الشاعر :

إذا ارتحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقهم فالراحلون همو

الجرأة والشجاعة في الهجرة : -

لو انصف هؤلاء وتجردوا من هوى النفس ، ونفضوا عن أفكارهم رداء التعصب وتحرروا في أفكارهم ونظروا الى الهجرة نظرة موضوعية لتغير تصورهم ولتغير حكمهم على الاسلام ونبيه فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤثر عنه أنه كان جبانا فقد تفتحت عيناه أول ما تفتحت على الصحراء فتغذى على لبان الصحراء واكتحلت عيناه بسهولها

وجبالها ، وجاءه الملكان وشقا صدره وأخرجا قلبه وملآه حكمة وعلما ثم أعاداه كما كان ، وشب محمد قوي الارادة شجاع النفس رابط الجأش وقد زادته الأحداث الجسام التي تعرض لها صلابة ومضاء فكتاب السيرة مثل ابن هشام والطبري وغيرهما يجمعون على أن محمدا كان رمزا للشجاعة في صغره ، فقد اشترك في حرب الفجار التي وقعت بين العرب في سوق عكاظ ، وكان محمد يضع السهام في الاقواس ويساعد اعمامه على سرعة الرمي وهو صبي صغير ،وحق لمحمد أن يكون كذلك فالشيء من معدنه لا يستغرب ، فهو ابن عبد المطلب الذي تحدى إرادة قريش كلها حين حاولت منعه من حفر زمزم ، ونذر لله إن أعطاه الله عشرة من الاولاد يمنعونه ، ليذبحن واحدا منهم لله قربانا وشكرا ، وقد أعطاه الله تعالى عشرة من الاولاد وكان أصغرهم عبد الله ، فلما استوى عوده وبلغ رشده ، توجه عبد المطلب إلى الكعبة ليدير السهام على أولاده العشرة ، فخرجت السهام على عبد الله وكان امتحانا قاسيا وبلاء عظيما ، فعبد الله كان آثر أولاده وأحبهم إلى قلبه ، وأجيلت السهام مرتين أخريين فوقع الخيار على عبد الله نفسه ، فنهض عبد المطلب في شجاعة ومضاء لا تثنيه عن تنفيذ نذره والوفاء به عاطفة أبوة أو أثرة أو شفقة ، إلا أن الخبر قد ارتجت له بطاح مكة ، ففزعت القلوب وجزعت النفوس فعبد الله زين شباب مكة وخلقا ووسامة وقسامة يحبه شيوخها وصغارها ، رجالها ونساؤها وتهواه كل فتاة فيها ، فهو المثل الأعلى لفتى أحلامها - وتشبثت قريش بعبد الله وعرضوا على ابيه الفداء فرفض حتى يستشير العرافة ، وتوجهت كوكبة من سادات قريش إلى العرافة فأجالت سهامها واقداحها بين عبد الله وعشرة من الابل فخرجت السهام على عبد الله ، فزادوا الفداء حتى وصل مائة من الابل وعندها خرجت السهام على الابل ، فنحرها عبد المطلب راضيا مغتبطا ليأكل منها الانس والطير والوحوش ، كان حقا عبد المطلب شجاعا كريما سيد سادات قريش ومحمد تربى في حضنه صغيرا - وحمل صفاته كبيرا . فقد شهد الأبطال المغاوير بشجاعة النبي وجرأته ، يقول علي كرم الله وجهه : كنا إذا حمى الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون احد منا أقرب إلى العدو منه .

سلسلة من البطولات المتصلة : -

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم سلسلة من البطولات المتصلة لا تسمح للأدعياء أن يفتروا عليه ما ليس من أخلاقه ، ومواقفه مشهورة ومشرقة على سمع الزمان وبصره لا يحجبها جاحد ولا ينكرها مكابر وقديما قال الشاعر :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

منذ أن هبط الوحي على رسول الله في الغار ، ورجع إلى بيته وتلفع وتدثر ، ونزل عليه الوحي مرة أخرى يحمل الرسالة ويكلفه التبليغ : (**يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن**

تستكثر * ولربك فاصبر) أول سورة المدثر .

منذ ذلك حمل الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة وتصدى للدعوة وتعرض لأذى قريش وسخريتها واستهزائها به فما عرض نفسه على قوم وعرض عليهم دينه الجديد إلا وصاح خلفه ابو لهب : (لا يدري من أين جاء) لا تصدقوه فإنه كاذب إنه مجنون انه كذا وكذا ومجالس قريش تسخر من محمد واتباعه ويتغامزون عليهم : **(إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون)** المطففين / ٢٩ ـ ٣٢ **(وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا)** الفرقان / ٤١ وكلما صعد المشركون من تصديهم للدعوة وتفننهم في تعذيب الرسول وأصحابه ، زاد الرسول شدة وصلابة وقوة وثباتا ، الم تر إلى الرسول وقد ضاقت قريش بمحمد ودعوته ، فقد عاب آلهتهم وسفه احلامهم ، وكفر الماضين من آبائهم وأجدادهم ، فذهب سادة قريش إلى ابي طالب عم الرسول وكان على دين قومه إلا أنه كان الحصن الحصين للرسول ودعوته ، قالوا لأبي طالب : يا أبا طالب إن ابن أخيك عاب آلهتنا وسفه احلامنا ... وإن لم تنهه عنا نازلناك وإياه الحرب ، قال أبو طالب للنبي يا ابن أخي إن القوم هددوني بحرب لا طاقة لي بها فأبق علي وعلى نفسك ، وهنا يظهر معدن الرسول الأصيل « **جرأة وشجاعة وثباتا على المبدأ** » قال النبي لعمه وقد استعبر باكيا وظن أن عمه خاذله : **(والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)** أية شجاعة وأية عزيمة أمضى من أن يقف الرجل وحيدا منفردا لا جيش يحميه ولا سلاح يمنعه ويتحدى دولة الكفر كلها وكأنما يتحدى الدنيا كلها ، فقد فسدت العقائد فالناس جميعا بين عابد لصنم أو راكع لوثن ، وبين ساجد لنار أو حيوان أو انسان أو ملك ، وفسدت الطباع وانحطت الأخلاق وفسق الرجال والنساء ، ومحمد الوحيد يعلن بكل شجاعة أنه يتحدى ذلك كله حتى ينتصر دين الله وتعلو راية الحق أو يهلك دونه .

★ **بطولة نادرة :** ـ من بطولات الرسول النادرة موقفه يوم حنين ، وقد اعجب المسلمون بكثرتهم وقد بلغ عدد المقاتلين اثنى عشر ألفا حتى قال بعضهم لن نغلب اليوم من قلة وغرتهم كثرتهم ونسوا الاعتماد على الله تعالى فوكلهم الى انفسهم وساروا في طريقهم مدلين بكثرتهم معجبين بأنفسهم ، وإذا بالعدو يخرج عليهم من الكمائن فيشيع الاضطراب في صفوف المسلمين وولوا الأدبار هاربين امام ثقيف ، وكان ذلك درسا قاسيا للمسلمين تربية وتعليما ليعلموا أن النصر من عند الله لمن أطاع الله ورسوله وأعد العدة اللازمة واعتمد على ربه في طلب النصر قال تعالى : **(ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)** التوبة / ٢٥

ولكن الرسول العظيم أعرف الناس بربه وأخشاهم وأتقاهم لله وقف على ظهر بغلته وسط المعمعة ينادي بأعلى صوته : انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب .

وأمر عمه العباس أن ينادي في المسلمين بالعودة وكان جهوري الصوت ، وعاد المسلمون والتفوا حوله ، واعتمدوا على ربهم وتغير خط سير المعركة ، وبدلت هزيمة المسلمين نصرا بفضل شجاعة الرسول وثقته في ربه ، وهزمت ثقيف هزيمة منكرة وقع على اثرها الآلاف من رجالها أسرى في يد المسلمين ووزعت الغنائم ووزع الأسرى على المقاتلين ، ولكن بعض دهاة ثقيف وسعد بن بكر فطنوا إلى أن الوفاء خلق أصيل بين طباع الرسول واخلاقه ، فذهبوا اليه وذكروه بخالاته اللاتي في الحظائر وما يلحن له به ايام طفولته حينما كان يرضع عند حليمة السعدية ، فعفا عن نصيب آل عبد المطلب من الأسرى ، ولما رأى بقية المهاجرين والأنصار ما فعله الرسول عفوا عن أسراهم جميعا إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أسباب الهجرة :- إن الحديث عن بطولات الرسول ومواقفه الشجاعة حديث ممتع لا ينتهي ، لذا أفضل أن أعرض الاسباب التي أدت للهجرة لنقف من خلالها على مقدار شجاعة الرسول واصحابه ، فمنذ أحست قريش بالدعوة الجديدة ، وأحست بخطرها الداهم على آلهتهم التي لا تملك أن تدافع عن نفسها امام الحق الواقع خوفا على مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فما سادت قريش العرب الا لأنها اهل البيت الذي يحج اليه العرب من كل فج عميق وحوله ثلاثمائة وستون صنما يخربين يديها العرب راكعين وساجدين ، ينحرون لها ويذبحون معتقدين انها تنفع وتضر وتقربهم الى الله زلفى ، منذ ذلك الحين ولهذه الأسباب شمرت قريش عن سواعدها ووقفت للرسول واتباعه بكل مرصد ليصدوهم عن الدين الجديد الذي سوف يحرمهم من جاههم وسلطانهم ، كما سوف يحرمهم مما تدر عليهم هذه الاصنام المنصوبة حول الكعبة ، ولذلك ما تركوا وسيلة من وسائل التنكيل والتعذيب إلا أذاقوها لمحمد واتباعه ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يهال عليه التراب احيانا ، واحيانا يلقى على ظهره وهو ساجد جلد جزور ملطخ بالشحم والدم ، حتى تأتي فاطمة وتطرحه عن ظهره الشريف ، ويخنقه عقبة ابن ابي معيط حتى تكاد تبرز عيناه ، ويدفع عنه ابو بكر وهو يقول اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . أما اصحابه فحدث بما شئت من احاديث التعذيب ، فبلال يربط في عنقه بالحبال ويسلم للاطفال يسحبونه في شوارع مكة كما يسحبون ويجرون الكلاب الميتة إذلالا للمسلمين وامتهانا لكرامتهم ، ويكوى بلال وخباب بن الأرت بالنار ، وعمار بن ياسر وأمه وأبوه يعذبون أشد أنواع العذاب لدرجة أن تربط رجلا سمية أم عمار إلى جملين ويضربان بالسياط ليذهب كل منهما في ناحية ، فتشهد سمية أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتفارق روحها الطيبة الجسد الطاهر ، وتصعد إلى خالقها لتشكو إليه ظلم القوم ووحشيتهم ، يرى النبي ذلك كله بل

يحسه بقلبه ومشاعره ويحس وقعه على نفسه فيتألم أكثر مما يتألمون ، الا أنه يعلو كعادته فوق هذه الآلام النفسية والبدنية ، ويقول للمسلمين وهم تحت سياط العذاب تلهب ظهورهم ، صبرا فإن موعدكم الجنة .

قمة المأساة : -

وتمر الأيام وتكر الليالي والكفار سادرون في غيهم ما ضون في ضلا لهم يصعدون من تعذيبهم للرسول واتباعه ، حتى تأتي الاقدار بما لم يكن في الحسبان ويفجع الرسول في أعز الناس لديه حيث يتوفى عمه ابو طالب الحصن الحصين والركن الركين للرسول . كانت قريش تحسب له ألف حساب كلما همت بالنيل من رسول الله ، وبعده بثلاثة ايام تفاجئه الأقدار بفجيعة الفواجع حيث تموت حاضنة الاسلام خديجة بنت خويلد ، نبع الثقة والاطمئنان ومرفأ الراحة والحنان ، آمنت به وقد كفر به الناس وصدقته وقد كذب به الناس ، وقالت له لا تخف والله لا يخزيك الله أبدا ، بعد موتهما اصبح طريق قريش إلى الرسول ممهدا ، فقد نالوا منه ما لم ينالوه من قبل ، حتى خيروه بين إهدار دمه أو خروجه من مكة ، وخرج الرسول ومعه غلامه زيد بن حارثة متوجها إلى ثقيف يرجو أن يجد بها رجالا يؤمنون بالله ورسوله ، يؤيدون رسول الله حتى يبلغ رسالة ربه ولكن ما لا قاه من ثقيف كان قمة مأساة عام الحزن ، فلم يكتفوا برفض دعوة الرسول بل اغروا به سفهاءهم وغلمانهم ، فوقفوا له صفين يرمونه بالحجارة حتى سالت الدماء من قدميه ، ولما زاد عليه الاعياء انهار على الأرض ليلتقط انفاسه ، فهرعوا اليه ورفعوه من تحت إبطيه ودفعوا به إلى الطريق ليواصلوا رضخ قدميه بالحجارة وزيد غلامه يدفع عنه حتى شجت رأسه شجاجا ، وخرج الرسول من ثقيف مهموما محزونا وفي الطريق مال إلى ظل شجرة ، ولما اطمأن توجه إلى ربه في دعاء ضارع : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالى ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » سيرة ابن هشام ص ٦١ وهنا ينزل الملك الموكل بالجبال ويقول للرسول عليه الصلاة والسلام يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام وقد جعلني طوع أمرك فلو أمرتني أن أطبق عليهم « الاخشبين » « الجبلين » فعلت - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون - أية نفس علوية هذه التى تعلو فوق كل الآلام وتتخطى كل هذه الأحزان وتنسى أو تتناسى ما كان ، اية شجاعة تنسيه آلامه النفسية وجراحه التى ما زالت تنزف من رجليه وهذه رأس غلامه تنزف من جراحها بين يديه ، ينسى كل ذلك ولا يذكر الا اثنتين تملكان عليه فكره ووجدانه أولاهما :

مرضاة ربه عز وجل،والدنيا كلها ونفسه وروحه وكل ما يلاقيه كل ذلك هين في جنب مرضاة الله حيث يقول « إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي » وثانيهما : هي حرصه على مصلحة قومه وهدايتهم مهما عذبوه ومهما آذوه فإنه ينسى كل ما صنعوه معه ويعلو فوق طبائع البشر فلا يفكر في مقابلة اساءتهم بمثلها ولو عقوبة وردعا ، ولكن يقول لملك الجبال : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »

احتفال الملأ الأعلى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم : ـ

بعد رحلة الطائف المضنية دخل النبي مكة في جوار المطعم بن عدي وطاف النبي بالكعبة وصلى ، ثم توجه الى دار أم هانيء فكثيرا ما يتردد على دار عمته أم هانيء أو الحطيم لينام هناك بعيدا عن الدار التي فقدت آ ثر الناس الى قلبه حتى لا تحتوشه الهموم والاحزان ، وذات ليلة جاءه جبريل وأيقظه ودعاه الى الحضرة الربانية وأسرى به من مكة الى المسجد الاقصى ثم عرج به الى السماوات العلا حتى كان من الحضرة الربانية قاب قوسين او ادنى ورأى من آيات ربه الكبرى .

كان ذلك تسرية للهموم عن نفس الرسول وإعلاء لقدره ورفعة لشأنه وتعويضا له عما ناله من اهل مكة والطائف ، وكان الاسراء ايضا امتحانا آخر للرسول فقد تعددت ندوات قريش ومجالسها التي لا هم لها الا السخرية والاستهزاء بمحمد وأتباعه ، في ليلة واحدة يسري محمد من مكة الى بيت المقدس وهذه مسافة يقطعها المسافر في شهرين ذهابا وإيابا غير رحلة العروج الى السموات العلا حتى ان بعض ضعاف الايمان من المسلمين قد ارتد عن الاسلام ومع ذلك ثبت النبي وواصل الدعوة حتى اراد الله اظهار دينه ونصرة نبيه وانجاز ما وعد ، فقد ساق الله الى نبيه نفرا من الاوس والخزرج لما اراد الله لهم من الكرامة فعرض عليهم النبي دعوته فأجابوه وقالوا إنه الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم اليه فأجابوه لما دعاهم اليه ، ولما عادوا الى يثرب ذكروا ذلك لقومهم ودعوهم الى الاسلام فلم يبق دار للأوس والخزرج الا وفيها ذكر من رسول الله فلما كان العام المقبل وافى موسم الحج اثنا عشر رجلا فلاقوا النبي بالعقبة وبايعوه بيعة النساء :

« الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين في معروف » وطلبوا من الرسول رجلا مسلما يعلمهم امور دينهم فارسل معهم مصعب بن عمير فأقام عند سعد بن زرارة يدعو الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور العرب الا وفيها رجال ونساء مسلمون في المدينة وفي العام التالي قدم على الرسول من المدينة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الانصار فبايعهم الرسول على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم واولادهم وبايعوه على حرب الاحمر والاسود ولما احست قريش بذلك جن جنونها وطار صوابها فعما قريب يظهر الاسلام وتقوى شوكته ويغلبهم على أمرهم ويفرض عليهم ما يريد فقد هاجر اكثر المسلمين من مكة الى يثرب فاجتمعوا في دار الندوة ليروا رأيهم في

محمد وكيف يمنعونه من اللحاق بالمسلمين في يثرب فقال قائل منهم احبسوه في الحديد واغلقوا عليه الباب ، فقال ابليس وقد اجتمع معهم في صورة شيخ نجدي قد سمع اجتماعهم فحرص على شهوده معهم قال لا ليس هذا برأي ، لو حبستموه لخرج أمره من وراء هذا الباب وجاء اصحابه ووثبوا عليكم وخلصوه من ايديكم وغلبوكم على امركم وقال ثان ننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا امرنا ، قال **الشيخ** النجدي لا و الله ما هذا لكم **برأي** ، فوالله ان فعلتم هذا ما أمنتم ان يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يبايعوه ، ثم يميل عليكم ، هو وأصحابه فيغلبكم ويأخذوا امركم من ايديكم قال ابو جهل ان لي رأيا ما اراكم وقعتم على مثله ، قالوا ما هو يا ابا الحكم قال ارى ان نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسطا ونعطي كل واحد سيفا قاطعا فيثبون على محمد ويضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا بالعقل :« الدية » فعقلناه لهم ، فقال الشيخ النجدي نعم الرأي لا أرى لكم غيره فتفرق القوم وهم مجمعون على ذلك .

ثلة من الفدائيين : ـ

حاول ابو بكر ان يهاجر كما هاجر اصحابه فقال له الرسول لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ففطن ابو بكر الى ما يريد الرسول ففرح بذلك ، وجاء اليوم المنتظر فقد اجتمع شباب قريش وفي ايديهم السيوف على باب النبي ينتظرون خروجه ليثبوا عليه جميعا ، ولكن جبريل قد سبقهم الى محمد يخبره بما عزم عليه القوم ، وقال له لا تبت في فراشك الليلة يا محمد ، وعند الظهيرة أخبر محمد ابا بكر بما عزم عليه من الهجرة الليلة ليستعد ، فقد جاء الاذن من السماء ، قال تعالى : **(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** الأنفال / ٣٠ .

وفي الليلة الموعودة خرج الرسول على القوم وهو يتلو :(**يس والقرآن الحكيم**) حتى وصل الى قوله تعالى :(**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) يس / ١ ـ ٩ فأخذ الله أبصارهم وضرب على آذانهم فناموا فخرج عليهم وقد نثر التراب على رءوسهم جميعا ، أهذا فعل خائن او جبان ؟ كلا انه فعل الشجاع الواثق في ربه وفي نصرته له ، وإنه ممنوع من عدوه ، قال تعالى :(**يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين**) المائدة / ٦٧ من هذا نتبين ان الرسول لم يهاجر خوفا على حياته ولا جبنا ولا فرارا ، فهو معصوم وممنوع من عدوه انظر اليه وهو يأمر عليا أن ينام في فراشه وهو يقول تسج ببردتي الحضرمية الخضراء ، ويشجعه قائلا انهم لن يصلوا اليك بشيء تكرهه ـ فينام الفدائي غير وجل ولا هياب ويدخل النبي وابو بكر غار ثور ، وتقف على فمه

قريش ، فقد هداهم القفاة اليه حيث انتهت اليه آثار الاقدام ، وابو بكر يسمع كلام القوم ويلتصق بالرسول خوفا على حياته قائلا : ان قتلت انا فانا رجل واحد ، وإن قتلت انت قتلت الامة ، فقال

الرسول في شجاعة المؤمن بربه الواثق في وعده ونصره ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا .

فدائية ابى بكر : -

سار موكب النور وابو بكر تارة يسير امام الرسول وتارة خلفه ، وتارة عن يمينه وتارة عن يساره - فيسأله الرسول لم تفعل هذا وهذه ليست عادتك ؟ قال يا رسول الله اذكر الرصد فأكون امامك ، واذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لآ من عليك الطلب : « الرياض النضرة ص ٩٠ » هل هناك فدائية او شجاعة اجل من هذا وأعلى قدرا ؟!

كيف انت وسواري كسرى :-

واصل موكب النور رحلته وقد جعلت قريش مائة من الابل لمن يأتي بمحمد حيا او ميتا ، وبينما سراقة بن مالك جالس في نادي قومه سمع ان ثلاثة قد مروا في طريقهم للشمال فتأكد لديه أنه محمد وأصحابه ، فخرج سرا يتبع محمدا ليفوز بهذا الجعل الثمين ، وشد على فرسه وانبلجت اسارير وجهه فقد اقترب من الصيد الثمين ، واذا بحصانه فجأة يتعثر ويسقط سراقة عن ظهره ، وقد غاصت اقدام حصانه ثم ينتزع الحصان قدميه فيتبعهما دخان كالاعصار ، فعلم ان الرجل ممنوع فطلب من النبي الامان وكتب لـه الرسـول كتابـا ، ولمـا هم بالانصراف قال النبي صلى الله عليه وسلم ، ياسراقة كيف انت وسواري كسرى ، أية شجاعة اعظم من هذا ؟؟ رجل يطارده قومه وقد جعلوا جعلا كبيراً لمن يأتيهم به ، وفي مثل هذه الظروف العصيبة يتكلم بكل هدوء وثقة ، ويعد سراقة بسوارى كسرى وكأنه ينظر الى الغيب كأنما يقرأ في كتاب مفتوح - :
« محمد رسول الله ج ١ ١ »

وانطلق موكب النور حتى وصل قباء وأهل يثرب يشرفون من أعلى الدور تطلعا الى رؤية النبي بل أن الكثيرين كانوا يخرجون كل صباح وينتظرونه حتى وقت الظهيرة واخيرا وصل الرسول وخرج الرجال والنساء يغنون جميعا :

طلـع البـدر علينـا
من ثنيـات الـوداع
وجب الشكـر علينا
مـا دعـا للـه داع
ايهـا المبعوث فينـا
جئت بالأمر المطـاع

★★★

وفـوق كل هـذا وذاك - ليعلم أولئك المستشرقون والمغرضون أن الهجـرة كانت طاعة لأمر الله وامتثالا ، فقد فرضت على كل مسلم ومسلمة قادر على الهجرة لا عذر له في التخلف عنها فالمدينة المنورة كما سميت بعد الهجرة هي مهجر

الاسلام كما ورد في كتب الاولين : ان خاتم الانبياء والمرسلين سيكون مهجره أرض ذات نخل بين حرتين .

نعم يثرب هي مدينة فتحت قلوب بنيها للاسلام واشرأبت اعناقهم تطلعاً اليه ، وأنه ليس من الحكمة أن يتقاعس المسلمون عن الهجرة اليها بعد ما صمت قريش آذانها عن الدعوة الجديدة ، وفتحت يثرب اليها آذانها - قال تعالى :(**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم**) الأنفال / ٧٤ و ٧٥ .

هكذا يبين الحق تعالى أن الذين هاجروا هم المؤمنون حقا كما اثبت أن لهم ولاية على إخوانهم في يثرب يتوارثون فيما بينهم بالهجرة وإن كان قد تعدل هذا المبدأ بعد ذلك قال تعالى :(**إن الذين هاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولا يتهم من شيء حتى يهاجروا**) الأنفال / ٧٢

نعم كانت الهجرة جرأة وشجاعة وطاعة لأمر الله وتحديا لارادة الكفار ، الذين حاولوا أن يمنعوا المسلمين من الهجرة ، وكانت استعلاء على العواطف والمشاعر المرتبطة بمسقط الرأس ومدارج الطفولة وذكرياتها الغالية ، لا سيما اذا كانت مكة المكرمة البلد الحرام وبلد **البيت الحرام** ولذلك وقف الرسول **ليله الهجرة** شمالي مكة عند ثنية الوداع **يودع مكة متألما قائلا** : والله إنك لأحب **بلاد الله الى الله** وإنك لأحب بلاد الله الي **ولولا** أن قومك أخرجوني منك ما خرجت أخرجوني بتصديهم للدين وعدم استجابتهم للدعوة وتعذيبهم المسلمين ، ويشتد شوق الرسول الى مكة عند الجحفة بين مكة ويثرب فينزل القرآن الكريم يطمئنه بالعودة اليها قال تعالى :(**إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**) القصص / ٥٨

خلاصة القول : الهجرة لم تكن فراراً او هروبا كما يحلو للبعض أن يصورها ، ولكنها كانت جرأة وشجاعة وارتفاعاً فوق علائق البشرية والروابط النفسية طاعة لله وامتثالا قال تعالى :(**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفوراً**) النساء / ٩٧ و ٩٩

كما كانت الهجرة تحديا لارادة قريش التي جندت كل امكانياتها لتقبر الاسلام في مكة وتئده في مهده فلا اسم له يذكر ولا دعوة له تنتشر ولكن الله وعد رسوله بنصرة دينه واظهار أمره .

قال تعالى :(**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) الصف / ٨ هذا وعلى الله قصد السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير



هواتف الايمان

يا هجرة المختار عودي   ذكرى البسالة والصمود
ذكرى الصحابة هاجروا   في الله للبلد السعيد
ذكرى الوفاء والافتداء   ... الحق للهادي الرشيد
ذكرى الثبات على العقيدة   ... رغم طغيان عنيد
ركبت قريش رأسها   فيه إلى أقصى الحدود
لم تستجب للمصطفى   يدعو الى الدين الجديد
دين التفاضل بالتقى   والطهر ، لا شرف الجدود
وعنت لأصنام لها   نحتت من الحجر البليد
فزعت اليها في الكريهة   ... واغتدت لمنى وجود
يا ضلة الانسان يرجو   ... غير ديان الوجود
ويرى سوى الرحمن أهلا   ... للتضرع والسجود
ويضيق ذرعا بالذين   .. هدوا إلى المولى الحميد
أتعز عزى .. أو تجير اللات   .. من شر مبيد
كلا ـ فأمر الكون رهن   .. مشيئة المبدي المعيد



يا هجرة المختار عودي   بمعالم النصر الأكيد
بهواتف الايمان تشجي   منك للأبد الأبيد

في ذكرى الهجرة

للشيخ / معوض عوض ابراهيم

بأخوة الأنصار من آووا وبروا بالعهود
باهى بها القرآن بالايثار .. بالحب الفريد
ومضت سبيل المؤمنين .. إلى المعالي والخلود
وهي الغداة سبيلنا الأهدى .. إلى العيش الرغيد
للثأر ممن دنسوا مسرى النبي ، من اليهود
للعودة الكبرى ، وبورك يومها ، من يوم عيد

* * * *

كم في الطريق ليثرب الغراء .. من مثل شرود
يجلو صحيفته أبو الحسنين .. ذو البأس الشديد
والصاحب الصديق ثاني اثنين .. في الذكر المجيد
وبناته وبنوه ما بالوا بزمجرة الوعيد
ويرن في أذني ، وينعش .. خافقي أحلى نشيد
حيا به ركب النبي .. رجال يثرب في حشود
والأمهات على النجود .. وثبن في عزم الأسود
وولائد يهزجن أكرم .. بالوليدة والوليد
إني لارقب يمن هذا .. اليوم للشعب الطريد

الهجرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة

كانت هجرة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » احتجاجا صارخا على الظالمين ، وإنذارا واقعيا للمعتدين ، وتأنيبا واضحا للمقيمين على الباطل بعدما تبين لهم الحق ، ودرسا لأولئك المتزعمين الذين يتخذون من فرض زعامتهم على الضعفاء سبيلا لإشباع رغباتهم وهم قابعون في دورهم يتنعمون ويأكلون كما تأكل الأنعام والأمة تلطمها يد الاعتداء ، ويضربها سوط الجور في أوطانها ، وأعراضها ، وأقواتها ، وأبنائها تحت سمعهم وبصرهم يقولون ولا يفعلون !!

الهجرة في اللغة :

(هجره) يهجره هجرا بالفتح ، وهجرا بالكسر : صرمه وقطعه والهجر ضد الوصل ، وهجر الشيء يهجره هجرا تركه وأغفله وأعرض عنه ، ومنه حديث أبي الدرداء : « ولا يسمعون القرآن إلا هجرا » يريد الترك له ، والإعراض عنه .

وهجر الرجل هجرا إذا تباعد ونأى ، وقال الليث : الهجر من الهجران وهو ترك ما لا يلزمك تعاهده .. وهجر في الصوم يهجر هجرانا اعتزل فيه عن النكاح .. والهجرة بالكسر والضم : الخروج من أرض إلى أخرى . قال الأزهري : وأصل المهاجرة عند العرب : خروج البدوى من باديته الى المدن ، يقال : هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه .. ، وسمى المهاجرون مهاجرين ، لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل



للأستاذ
صلاح
احمد
الطنوبي

ولا مال حين هاجروا إلى المدينة : وكل من فارق بلده من بدوى أو حضرى أو سكن بلدة أخرى فهو مهاجر ، والاسم منه الهجرة ..

والهجران يكون بالبدن ، وباللسان والقلب .. وقوله تعالى : (**واهجروهن في المضاجع**) النساء ٣٤ أي بالأبدان ، وقوله سبحانه : (**إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**) الفرقان ٣٠ أي باللسان أو بالقلب .. وقوله تعالى : (**واهجرهم هجرا جميلا**) المزمل ١٠ محتمل للثلاثة .. وقوله جل ثناؤه : (**والرجز فاهجر**) المدثر / ٥ حث على المفارقة بالوجوه كلها .. والهجرتان : هجرة الى الحبشة وهجرة الى المدينة ، وهذا هو المراد من الهجرتين إذا أطلق ذكرهما ، والمهاجرة من أرض : ترك الأولى للثانية ، وذو الهجرتين من الصحابة من هاجر إليهما ..

حديث القرآن الكريم عن الهجرة :

استعمل القرآن الكريم مادة الهجرة ، والمراد في أغلب استعمالها معنى الارتحال والانتقال من مكان الى مكان ، أو من بلد الى بلد ، فرارا من ضلال أو أذى ، وطلبا لموطن سكينة وطمأنينة

الهجرة مفتوحة في كل زمان والى كل مكان :

قال الله جل ثناؤه : (**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا**) النساء ٩٧ ـ ٩٩ .

الهجرة لم يغلق بابها ، ولن يغلق الى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، لأن بواعثها باقية دائمة مادام في الدنيا عسف وظلم يضطر الانسان الى

الانتقال ، لينجو بعقيدته وإيمانه ، فحيثما جارت السلطة الحاكمة ، وفسقت عن أمر ربها ، وتعقبت عباده المؤمنين تفتنهم في دينهم ، وتصرفهم عن عبادة ربهم ، وتحول بينهم وبين التعبير عن عقيدتهم وأداء الشعائر ، وتعطيل أحكام الله ، والتعدى على حدوده سبحانه ، ولم تكن بالمؤمنين قدرة على وضع حد لهذا الجور والعسف فان الهجرة من تلك الأرض تصبح واجبة وجوبا عينيا لايعفى منها إلا الضعفاء والمرضى ، والتقصير في تلك الهجرة ضرب من الهوان .. وإن الحياة في تلك الأجواء المستبدة ضرب من المذلة التي يأباها الله تعالى لعباده المؤمنين : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون ـ ٨ .

فالهجرة ثورة على الاستسلام لأعداء الدعوة الاسلامية ، والهجرة ثورة على الأوضاع الفاسدة وثورة على العبودية ، وثورة على الكافرين والظالمين والفاسقين الذين لم يحكموا بما أنزل الله ، وثورة إنسانية رائدة تستهدف تأكيد حقوق الانسان الاجتماعية التي قررها الاسلام منذ خمسة عشر قرنا ..

الضمان الالهى للمهاجر :

قال الله تبارك وتعالى : (**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما**) النساء / ١٠٠ .

إن المهاجر في سبيل الله تبارك وتعالى سيجد في أرض الله تعالى منطلقا ، وسيجد فيها سعة ، وسيجد الله تعالى في كل مكان يذهب إليه يجيبه ويرزقه وينجيه .. ولكن الأجل قد يوافي في أثناء الهجرة في سبيله سبحانه وتعالى ، والموت إنما هو حتم محتوم عندما يحين الأجل المرسوم ، وسواء أقام أم هاجر ، فأن الأجل لا يستقدم ولا يستأخر ، فأعطى الله جل ثناؤه ضمانا بوقوع الأجر عليه سبحانه منذ الخطوة الأولى في الهجرة إليه .. فماذا بعد ضمان الله تبارك وتعالى من ضمان ؟!

روى الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عتيك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج من بيته مهاجرا في سبيل الله فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله ، أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله » .

الهجرة من ثمرات الايمان :

من الملامح التي نلحظها في

حديث القرآن الكريم عن الهجرة أنه يقرنها بالايمان في كثير من المواطن .. قال الله تعالى : (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) البقرة / ٢١٨ .

وقال الله جل جلاله : (**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون**) التوبة / ٢٠ .

وقال الله عز وجل : (**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم**) الأنفال / ٧٤ .

الهجرة وسام شرف للمهاجرين والأنصار :

قال الله جل ثناؤه : (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم**) التوبة / ١٠٠ .

السبق الى الهجرة طاعة عظيمة ، من حيث إن الهجرة فعل شاق على النفس ومخالف للطبع ، فمن أقدم على الهجرة صار قدوة لغيره في هذه الطاعة .. ، وكذلك السبق في النصرة .. ، وللجميع الجنة والرضوان ..

وقال الله تعالى : (**فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب**) آل عمران / ١٩٥ .

وقال الله سبحانه : (**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**) النحل / ٤١ .

وقال الله جل شأنه : (**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين . ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم**) الحج / ٥٨ و٥٩ .

المهاجرون الصادقون والأنصار المفلحون :

قال الله عز وجل : (**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**

ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر / ٨و٩ .
هذه صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين لاملجأ لهم سوى اللـه ، ولا جناب لهم الا حماه ، وهم مع أنهم مطاردون قليلون ينصرون الله ورسوله بقلوبهم ..
وصورة صادقة أيضا تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار الذين استقبلـوا المهاجـرين بالحب الكـريم ، وبالبـذل السخى ، وبالمشاركة الرضية ، وبالتسابق الى الايواء ، واحتمال الأعباء ..
أفضل أنواع الهجرة : هجرة محمد بن عبد الله « صلى الله عليه وسلم »:
قـال الله جـل ثناؤه : (**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الـذين كفروا ثـاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفـلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) التوبة / ٤٠ .
تجلى الله تعـالى على محمـد « صلى الله عليه وسلم » بالنصر في حادث الهجرة .. وفي قلب الغار « غار ثور » سلم كما سلم ابراهيم « عليه السـلام « في وسط النـار ، وموسى « عليـه السلام » في التابوت ، ويونس « عليــه الســلام » في بطـن الحوت ...، وإذا لم يرد الله نجاة أحد فهو في البرج الشامخ يموت ، وإذا تولى برعايته أحدا من خلقه حفظه بخيط العنكبوت وعصمه ، فمن كان في ميدان العصمـة كان مستغنيـا عن نصرة المخلوقين ...

حديث السنة المطهرة عن الهجرة :

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » قال : سمعت رسول الله « صلى الله عليـه وسلم » يقـول : إنمـا الأعمال بالنيات ، وإنما لكـل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »
رواه البخاري ومسلم

دل الحديث الشريف على أن النية معيار لتصحيح الأعمال ، فحيث صلحت النية صلح العمل وحيث فسدت فسد العمـل ، والنيـة محلها القلب بـاتفاق العلماء .. ومن قصد بهجرته الله تعالى ورسوله حصل له ما قصـده ، ومن كـان قصـده الهجرة الى دنيا أو امراة فليس له الا ذلك .
وعن عبد الله بن عمرو بن

العاص « رضى الله عنهما » أن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » رواه البخاري .

المهاجر على الحقيقة هو من هجر السيئات وترك ما نهى الله عنه ، والمسلم في نظر الاسلام هو من سلم المسلمون من ضرره وأذاه فكف عنهم لسانه ويده .

وروى ابن حبان أن الرسول « صلى الله عليه وسلم » قال : « المهاجر من هجر السيئات والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده » والانسان مسئول امام الله تعالى عن كل كلمة يتحرك بها لسانه وتلفظها شفتاه .. قال تعالى : (**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**) ق /١٨ .

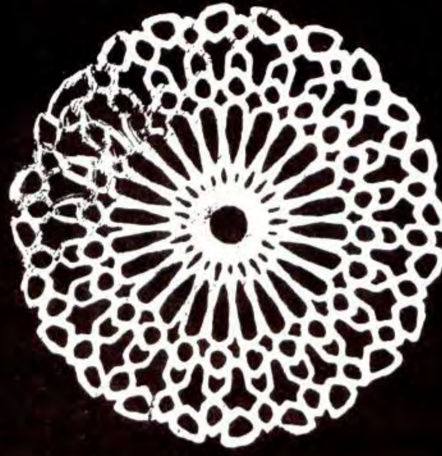
وعن ابن عباس « رضى الله عنهما » قال : قال : رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادونية ، فاذا استنفرتم فانفروا » . رواه البخارى .

هذا الحديث يرشد المسلمين الى حقيقة هي : أن المسلم لا يفرط في وطنه ، ولا يستسلم لعدوه ، وعليه أن يتخذ العدة التي تكفل له الحياة التي خلق من اجلها وأمر بالحفاظ عليها والموت دونها ، وهي حياة العزة والكرامة .

إن الهجرة الباقية الى يوم القيامة هي هجرة المساوىء والتوبة منها ، لا هجرة الأوطان والتخلى عنها ، وقدروى مسلم في كتاب « الامارة » من صحيحه عن أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود السلمي قال : جئت بأخي الى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بعد الفتح فقلت يا رسول الله بايعه على الهجرة ، فقال « صلى الله عليه وسلم » قد مضت الهجرة بأهلها ، قال مجاشع : فبأى شىء تبايعه ؟ قال : على الاسلام والجهاد والخير .

وروى من حديث فضالة بن عبيد أن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال في حجة الوداع : « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم ؟ من سلم الناس من لسانه ويده ، والمجاهد ؟ من جاهد نفسه في طاعة الله ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب .

والله تبارك وتعالى أسأل أن يجعل من ذكرى الهجرة النبوية الشريفة في هذا العام للمسلمين قوة يعيدون بها للاسلام مجده ، ويرفعون شانه ، حتى تصبح كلمة الله تبارك وتعالى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .. وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمى وسلم تسليما كثيرا .



الهجرة

مبادئ وقيم

للأستاذ /سيد خليل الأبو تيجي

مع إشراق هلال المحرم لهذا العام يستقبل المسلمون العام الرابع من القرن الخامس عشر الهجري وتفتتح الأمة الاسلامية صفحة « جديدة » من صفحات تاريخها المبارك .. وتتنسم الدنيا أريج أروع ذكرى وعبير أعظم حادثة . إنها ذكرى يوم الهجرة

النبوية ذلك اليوم الذي غير وجه التاريخ وحول ميزان القوى ولا يزال يهتف في أذن الكون يوقظ النائمين وينبه الغافلين ، فقد كان فرقانا بين الحق والباطل وبين الظلام والنور ، وفجرا أطل على الدنيا بعد ليل حالك الظلمات وكان حدا فاصلا بين عهدين هما عهد الجهل والشرك والوثنية وعهد أشرقت فيه شمس الهداية ونور الرسالة ـ نور الاسلام ـ الذي أنقذ الانسانية من عصور الظلم والوحشية الى عصور العدل والحرية ، وإن البشرية كلها مدينة لهذا الدين الذي أضاء طريقها وأخرجها من ظلمتها ورفعها من عثرتها وهداها الى الرشاد .. وما اكثر ما تحمل ذكرى الهجرة من حقائق عليا ومبادىء قيمة ونماذج فريدة تستوقف النظر وتأخذ بمجامع القلوب وتلقى على المسلمين أضواء كاشفة تنير السبيل وتقوى العزائم وتشحذ الهمم وتحرك المشاعر نحو الجهاد الدائب والكفاح المستمر لرفع لواء الدين ومكافحة الباطل ومقاومة الطغيان ما دام في المسلمين قلب ينبض ولسان يلهج .. ومن حق هذه الذكرى العطرة أن نقف عندها وقفة تأمل وتدبر ودراسة لنستلهمها الهداية ونستوحيها القدرة على العمل ومواصلة الجهاد ..

فقد كانت الهجرة نقطة تحول في حياة الطليعة المؤمنة وتجسيدا للعقيدة الصحيحة والايمان الكامل ورفضا لمقاييس الجاهلية والقيم الأرضية الباطلة .. إنها حياة وأفكار وقيم ومبادىء تتمخض عن تأريخ جديد في عمر الانسانية .. ومن الحقائق السافرة انها لم تكن فكرة طارئة ولا أمرا ارتجاليا بل كانت خطة مدبرة وخطوة مدروسة وعملا كبيرا له مقدماته وله نتائجه الباهرة حيث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في دقة الاعداد وشمولية التخطيط وهذا ما يترجم الارادة القاصدة والعزيمة الصادقة فقد صبر محمد صلى الله عليه وسلم كما صبر اولو العزم من الرسل وصبر أصحابه الكرام ما وسعهم أن يصبروا ، ولكن المشركين كانوا مع كل يوم جديد يزدادون ضراوة وتوحشا وعنادا وسفاهة ، واشتد البلاء وعظمت الفتنة وكان النبي يصبر ويأمر أصحابه بالصبر والبقاء وتحمل الألم فاستعذبوا الصعاب ولم تلن لهم قناة حتى أذن لصاحب الدعوة بالهجرة من مكة الى المدينة لينشر الهدى ويؤسس دعائم الدين ويقيم صرح المجتمع الفاضل الذي يرفرف عليه الأمان ويسود فيه الحب والوئام ، ولكن لما أحس المشركون بعزم النبي وتصميمه على الهجرة جمعوا جموعهم وعقدوا خناصرهم وبيتوا النية وتآمروا على قتله ليقضوا على الدين الجديد ، وتجمع فتيانهم وحاصروا البيت النبوى الكريم .. ولكن للسماء مقادير وللسماء تدابير .. فقد غشيهم النعاس وخرج الرسول وألقى عليهم التراب وغرقوا في النوم حتى أصبح الصباح وفسد تدبيرهم وهكذا حفظت رعاية الحى القيوم محمدا حتى نجا من أيديهم وخاب مكرهم وردت سهامهم

الى نحورهم قال تعالى « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » الأنفال - ٣٠ .

ثورة في وجه الباطل ..

لقد ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام تيار الصراع العنيف والشدائد الضارية ثبات الجبال وصمد للنوازل رابط الجأش ثابت القدم لا تزحزحه الخطوب عن دعوته والمشركون يقفون له بالمرصاد فقد ران الضلال على قلوبهم وتأصل العناد والصلف في نفوسهم ولم تعد رحاب مكة المناخ الصالح للدعوة وتلاحقت الخطوب وتوالت النكبات واشتدت الأزمات ولم تبق الا الهجرة والتماس المناخ الذي يوائم الدين الناشىء فكانت الهجرة ثورة على الباطل الغشوم وتعبيرا صادقا بليغا عن رفض واقع متخلف وظلام مجتمع فاسد مغلق أصر سادته وزعماؤه على بقائه في أوحال الظلمات وجموده على التحجر ورفض منطق العقل وإغلاق نوافذ النور وحجب دلائل الهدى ليخيم الظلام ليسجد الانسان لما يصنع بيديه من حجارة صماءلا تنفع ولا تضر وهكذا حاول الطغاة المستبدون أن يحجبوا النور خوفا على سلطانهم قال تعالى « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » التوبة - ٣٢ .

ونجحت الهجرة فكانت ثورة على الظلم وعلى عبادة الأصنام وأشكالها وعلى الطغيان والفساد الذي كانت تعيش فيه الجزيرة العربية كما كانت ثورة على الهمجية والفوضى وشريعة الغاب والعادات الموروثة والتقاليد العاتية والنظم الضالة

أجل .. لقد كانت ضربة قاصمة لكل العقائد الزائفة والأهواء الزائغة من شرب الخمر ولعب الميسر ووأد البنات والتعامل بالربا والسجود لغير الله لذلك كانت الهجرة انقلابا لكل هذه الأوضاع فغيرت وبدلت وقضت على الظلم وأذلت صناديد قريش وساوت بين الناس جميعا فلا سادة ولا عبيد ولا كبر ولا استعلاء ولا ترفع ولا غرورفالمسلمون إخوة متعاضدون يسيرون يدا واحدة وقلبا واحدا الى كل ما تكون فيه مرضاة الله ورسوله فالمسلم أخ للمسلم وأصبح الجار أحب الناس الى جاره والولد أولى وأبر الناس بوالديه . وهكذا تغير المجتمع كله فاذا بالصفوف الممزقة تجتمع في صف واحد واذا بالجماعات المتخاصمة المتنافرة يربط بينهم الإيمان وتجمعهم روابط الأخوة في الله وبذلك كانت هجرة محمد عليه السلام انتصارا حقيقيا للدين على الدنيا وانتصارا للعقيدة والمبادىء على مغريات الحياة وزينتها الكاذبة وآمالها الزائفة فانخفض صوت الباطل وارتفعت كلمة الحق ...

وكانت منطلقا الى الله :

لا يخفى على مؤمن أن الهجرة النبوية كانت محاولة صادقة من

الكوكبة المؤمنة للانطلاق والسعي نحو الله أولا وقبل كل شيء ، فقد هاجر محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام بدينهم وعقيدتهم وليس بدنياهم وأموالهم ، هاجروا باحثين عن فرصة سانحة يجسدون فيها عبوديتهم لله ، ومن هنا نقول ليست الهجرة في حقيقتها هي النقلة المكانية السطحية من مكة الى المدينة كما يفهم كثير من الناس ، بل كانت امضاء للعقيدة على ساحة الممارسة العملية وفرارا الى الله الحي القيوم الذي أثابهم أحسن الجزاء قال تعالى « **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** » النحل ـ ٤١ .

إنها رحلة ملؤها النور في معية الله وهي نقطة انطلاق نحو طموحات لم تعهد من قبل ، وبداية تطلع واع الى نعيم دائم فقد ألغت الفئة المؤمنة والطليعة المهاجرة الدنيا وملذاتها وزخارفها من قاموس حياتهم ولم تتسع قلوبهم لأغراضها الزائلة وأسبابها الرخيصة ولم تضعف عزائمهم القوية في الاضطلاع بمهمتهم النبيلة وأهدافهم الكبرى فخرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم وأولادهم طلبا للآخرة واستجابة لنداء الإيمان الذي هز مشاعرهم وأنار طريقهم قال تعالى « **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون** » التوبة ـ ٢٠ .

ومن يقرأ عن الهجرة يجد زادا روحيا وطاقة هائلة تبعث في نفوس المؤمنين اشراقات أمل عظيم كما يجد في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم شعاعا يهتدي به الأحياء على مر الأجيال فقد ضرب الرسول أروع المثل لكل داع ومصلح في الصبر والجهاد والتضحية والفداء ونجاح الداعية ، كما استطاع عليه السلام أن يجعل من ثباته وجهاده وهجرته منارا للمصلحين ودرسا للمؤمنين ومنبعا فياضا يوحي بجليل العبر وأعظم السبل والمناهج في القدوة الصالحة والقيادة الناجحة فقد تلاقت أشعة الايمان بيقين الإرادة الصالحة حتى استطاعت الفئة المؤمنة المستضعفة التى لا حول لها ولا قوة أن تصنع تاريخ اعظم أمة وقد سجل الاسلاف الأماجد أنصع الصفحات في الثبات على المبدأ والفداء في سبيل النور الذي ملأ قلوبهم ..

ثبات لا فرار :

يظن بعض الناس أن الهجرة كانت فرارا من الموت أو هروبا من الميدان أو حرصا على الحياة ومتاعها ، ويتشدق فريق من المغرضين وهم يتناولون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بالدراسة أن يطلقوا عليه لقب « النبي الفار » وتوهموا في ظل من الحيرة والارتياب ان هذا الوصف قد يشين او يشوه صورة النبي الأكرم والمهاجرين معه ، ونقول لهم خسئتم وخسرتم فقد كانت الهجرة جهادا في سبيل الله وبرهانا على قوة الايمان وكمال البطولة

وصدق العقيدة كما كانت مكابدة شاقة على درب الوصول الى الحق وإزاحة العوائق ومواصلة السير على طريق الحق ولم تكن فرارا بالأموال والأنفس فما أرخص الدنيا ومتاعها لدى قوم آمنوا بربهم ورغبوا فيما عنده من جزيل الثواب ، والواقع

النقي يفند مزاعم المبطلين ويدعها زاهقة طائشة فهذا رسول الله لا يعرف الخوف الى قلبه سبيلا ومن يستعرض حياته الحافلة بالجهاد المرير يعرف مدى شجاعته وقوة إيمانه ولو كان خوفه على نفسه لهاجر هو قبل أصحابه .

ثم كانت هجرته صيانة للدين الجديد وحفاظا على الخير ونقطة التحول الكبرى للجهاد في سبيل الله

فلا بد الحق من قوة تحميه ، ولا بد للدين الناشىء من أنصار يؤمنون به ويدافعون عنه ولذا صارت الهجرة ملحمة كبرى تزخر بالأحداث الجسام والمعارك المشبوبة الأوار ، انتقل بعدها المسلمون الضعفاء من نصر الى نصر وازدادوا قوة وكثرة .

فدائية وجهاد :

لقد سجل المجاهدون مع رسول الله - بدمائهم - سطورا مضيئة وصفحات مشرفة خالدة حيث انطلقوا بدعوتهم غير مبالين وواجهوا الباطل بإيمان لا يتزعزع وثقة لا تهتز لأنهم مؤمنون بأن طريق النصر مخاطر والحرية أرضها أشواك وسماؤها رعود ومعالمها دماء الشهداء ، عرفوا هذا بحق فضحوا بكل غال ونفيس وبذلوا الأرواح والنفوس حفاظا على العقيدة وحماية للدين فهذا هو علي بن أبي طالب يضرب المثل الأعلى في الإيثار والفداء حيث نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم في شجاعة واطمئنان وهو يعلم أن الخطر محدق به وأن الرماح مشرعة اليه لتمزق جسده ، لكنه ينام غير عابىء بالمتآمرين ويتسجى ببرد النبي في طمأنينة وسرور ثابت الجأش قوى الايمان لا يخالط قلبه خوف ، نام ليلته يحلم بعزة الاسلام ترعاه عناية السماء ..

وهذا هو صهيب بن سنان الرومي يشتري نفسه المؤمنة من قريش بكل ماله ليلحق برسول الله ويقول للمطاردين يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا وايم الله لاتصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي حتى لايبقى معي منه شيء فاقدموا إن شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي وتتركوني وشأني .. ثم دلهم على ماله راضيا مسرورا ويسرع المسير ليدرك الركب المنطلق ويلتقي بالنبي ويخبره بموقفه فيقول له « ربح البيع أبا يحى ربح البيع أبا يحى » وقد خلد القرآن هذا البيع المبارك قال تعالى « **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء**

مرضاة الله والله رءوف بالعباد » البقرة ـ ٢٠٧ .

ولك أن تقف في إعجاب مع « أم سلمة » لترى نموذجا فريدا للإيمان الصادق فقد هاجر زوجها ولكن قومها بنى المغيرة أبوا أن تهاجر معه ونزعوا من يده خطام البعير وفرقوا بينها وبينه فهاجر أبو سلمة.ويتخاصم أهله وأهل زوجته ، وترى أم سلمة طفلها الرضيع تخلع يده أمام عينيها ولكنها تصبر وتحتسب المثوبة عند الله وتصمم على الهجرة فتلحق بركب المهاجرين .. ولتنظر الدنيا بأسرها الى موقف الصحابي الجليل جندب بن ضمره وهو شيخ متقدم في السن محني الظهر لا يستطيع الوقوف على قدميه ويريد أن يلحق بركب النبي صلى الله عليه وسلم ويحظى بشرف الهجرة فيقول لأولاده احملوني الى رسول الله بالمدينة والله لا أبيت هذه الليلة بمكة فجاءه الموت عند « التنعيم » فوضع يده اليمنى على اليسرى كأنه يعاهد ربه ويقول هذه لك وهذه لرسولك أعاهدك على ما عاهدك عليه رسولك اللهم اكتب لى الهجرة فنزل قوله تعالى « **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما** » النساء / ١٠٠ .

ولا ينسى التاريخ عمر بن الخطاب الذي أبت نفسه أن يهاجر سرا فخرج على مرأى ومسمع من قريش وقد تقلد سيفه وتنكب قوسه وعلق حربته ومضى يطوف بالكعبة ثم يقول قولته المدوية من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو تـرمل زوجتـه فليلقني وراء هـذا الوادي ..

ولا تغفل صحائف المجد البطلة الفريدة أسماء بنت أبي بكر الفتاة الناشئة وهي ترتقب الليل حتى اذا نشر خيوطه أخـذت الماء والطعـام وسـارت ثلاثـة أميال عـلى أسنـة الصخور ومتاهات الرمال حتى تصل الى الغار فتقدم الى الرفيقين الكريمين ما حملته من طعام وماء ثم تعود ولا هادى لها ولا مؤنس لها الا الله ..

إي وربي : إن البيان ليعجز أن يصف تلك التضحيات الغر وللعقل أن يتساءل في عجب ما هذه البطولات الانسانية ؟

وما هذا الجلال الروحي ؟ إنه أثر الايمان وثمار العقيدة .

هذه هجرة محمد ، مبادىء وقيم ، مهما يكتب عنها الكاتبون فسيظلون دون الوفاء بمدى بعيد ولو كتبنا عنها كل يوم لوجدنا زادا جديدا .

هذه هجرة محمد ـ إيمان لا تزعزعه الشدائد وصبر على المكاره وبطولة نادرة رغم ما اعترض طريقها من عقبات وتحديات ورغم الأسوار العالية التي اقامها اعـداء الحق .. أجل ستبقى هذه الهجرة غرة في تاريخ البشرية تنير السبيل للمسلمين لعلهم يستعيدون أمجادهم وقوتهم ووحدتهم وستبقى الهجرة لعل أبناء الاسلام أن يدركوا مسئوليتهم نحو دينهم وأن الدين أمانة في أعناقهم وأنه الهادى الى العزة والكرامة وسترقى رايته وما ذلك على الله بعزيز .

التربية الاجتماعية في الاسلام

للاستاذ / حسن عبد الغني أبو غدة

أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، والشريعة الجامعة التي تكفل للناس حياة كريمة ، قائمة على دعائم واقعية ، ومن أجل ذلك لم تكن رسالة الاسلام موضعية محددة ، يختص بها جيل من الناس ، دون جيل آخر بل كانت للناس جميعا . الى إن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولبيان أثر الاسلام في حياة العرب بل الشعوب التي آمنت به ، لا بد من التعرف على أحوال المجتمعات المختلفة قبل الاسلام .

في القرن السادس الميلادي كان العالم يعيش في تنازع واضطراب ، دول متناحرة وشعوب مقهورة ووسط هذا الفساد يعيش العرب تحفهم دولتا الفرس والروم بما فيهما من علوم وفنون وحضارات مادية .

وفي مجتمع الروم ساد الظلم والتعسف ، حيث القوي يفتك بالضعيف هذا إن كان من الرومان أنفسهم ، اما إن كان الضعيف من رعايا الدولة الذين ليس لهم سلالة مرموقة ، كما كانوا يزعمون ، فهو حقا من المغلوبين على أمرهم ، حيث الظلم والقهر

من غير معقب ولا حسيب ، تضاعف العقوبة لغير الرومي ، ولا يجد له نصيرا ولا شفيعا .

والمرأة عند الرومان ، لم تكن اسعد حظا من الغرباء ، إذ لم تكن لها شخصية مستقلة بل هي ومالها ملك للرجل ، وليست العلاقة بينهما ذات حقوق وواجبات مشتركة ،بل الحقوق كلها للرجل ، والواجبات كلها على المرأة .

هكذا عاش اكثر الناس في دولة الروم ، ينظرون الى الأثرياء والاشراف نظرة الحاقد المحروم ، يسألون اين تعاليم الدين المسيحي في هذا المجتمع ؟ أين السماحة والرفق والزهد ؟ لقد فقدت تأثيرها على الناس ، فدبت الخلافات وقويت النزاعات الدينية ، حتى عجزت أصوات المصلحين عن الوصول الى اعماق القلوب المنكوبة البائسة .

والى جوار الروم كان المجتمع الفارسي يعيش في تمزق وتفسخ ونكد ، لقد فشت فيه دعوات التشاؤم التي قادها (ماني) ودعا الى فناء الانسان ، ليتخلص العالم من شره ! وحرم الزواج ، ليتسارع العالم الى الفناء ، لأن الانسان لعنة في هذا الوجودكما كان يزعم ، وفي الطرف المقابل نشطت (المزدكية) التي أسسها (مزدك) عكس ذلك ، وحاولت الاصلاح عن طريق الابقاء لا الافناء ، ولكن على شر حال من الانحلال والفساد ، فاذا كانت حيازة الاموال او العقارات او التزوج بالنساء سببا في الخصومة والأحقاد ، فان إزالة السبب تذهب الاحقاد كما كانوا يزعمون . وبناء على ذلك انتشرت الدعوة الى الاشتراك في الاموال والنساء والملكية ، فأقبل السفلة الغوغاء على هذه المبادىء المنحرفة فاعتنقوها حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وامواله كما يقول الطبري .

وهكذا انتشرت الفوضى في المجتمع الفارسى ولم تخف حدتها إلا بعد مقتل مزدك .

وأما جزيرة العرب بأراضيها الواسعة وصحاريها المترامية ، فقد تقطعت أوصالها ما بين موالين للروم أو موالين للفرس ، او قبائل مستقلة منعزلة عن العالم في وسط الصحراء وفي مدن الحجاز واليمن ، ولا يعرفون وحدة سياسية تجمعهم أو تؤلف بينهم فلا نظام ولا قانون سوى أحكام القبيلة ، وتعاليم سادتها وطاعة الكبير فيها .

وفضلا عن ذلك فقد فشت في جزيرة العرب العقائد الضالة والعادات السيئة كعبادة الأوثان ، وإنكار اليوم الآخر ، ووأد البنات ، وتسلط القوي على الضعيف ، وشرب الخمور ، وانتشار الزنى ، ولعل أبلغ تصوير للحال التي وصل اليها العرب في جاهليتهم ، ما قاله جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه أمام النجاشي ملك الحبشة ! قال له : « كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولا نعرف نسبه وصدقه ... » سيرة ابن هشام .

وفي هذا الحال الذي وصفه جعفر بن ابي طالب يتحقق قول الله تعالى في سورة الروم(**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**). الروم ـ ٤١

هذا حال العالم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليتفكر القارىء الكريم بعظم جهود رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصلاحية ويقدرها حق قدرها ، ويعرف ان الاسلام ارتفع بالانسانية وتقدم بها تقدما حقيقيا لا يزال العالم يعيش في فضله . وكما لا يخفى على أحد فان الاسلام سعى سعيا حثيثا للارتقاء بالحياة واقامتها على اسس كريمة .

ولتحقيق ذلك نظم العلاقة بين الانسان وأخيه ، كما نظمها بين الانسان وخالقه ، بل إن الاساءة الى الخلق إساءة الى الخالق سبحانه . جاء في الحديث الذي رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الخلق عيال الله ، وأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله » ومن أجل ذلك كان التعامل الفاضل دائما متلازما مع العبادة السليمة .

أما القواعد التي تضبط علاقات الناس ببعضهم ، فهي موزعة بين القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذه القواعد تمثل الدستور الاسلامي. اقرأ قوله تعالى في سورة الحشر آية ـ ٧ (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**).

وهكذا يتضح أن سلطان القانون في الإسلام مستمد من الله ورسوله في القرآن والسنة .

فالقرآن الكريم نزل به جبريل الأمين على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسنة النبوية هي تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، القوليه ، والفعلية ، وما أقره مما رآه فسكت عنه .

القرآن والسنة هما مصدر الأحكام الشرعية ، ولا تملك الأمة أن تخالف ما جاء في أحدهما . واذا شرع أحد من البشر ما يخالفهما ، فليس لتشريعه أي سلطان على المسلم .

أما إذا لم توجد نصوص في الكتاب والسنة بخصوص أمر أو مسألة فالسبيل في ذلك اجتهاد المجتهدين من علماء المسلمين المخلصين اجتهادا مرجعه القرآن والسنه ذاتهما .

أخرج ابو داوود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل معاذ بن جبل لما أرسله الى اليمن : كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال أقضي بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟ قال معاذ: اجتهد رأيي ولا آلو . فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله . وهكذا انحصرت سلطة الاجتهاد في هذه الحدود ليكون التشريع الاسلامي مرتبطا بخالق الكون ومتناسقا مع الحياة .

هذا : وقد اشتملت النصوص الاسلامية ، من قرآن وسنة على المعاملات المالية ، والعلاقات الأسرية ، والروابط الاجتماعية والعقائد الفطرية ، وفصلت الحقوق والواجبات بين افراد الأسر ثم أفراد المجتمع ، بحيث اكتملت أمور الدين ، بدليل

قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة ـ ٣

فلا يجوز للمسلم ان يتصور أن في هذا الاسلام نقصا يستدعي الاكمال ، ولا قصورا يتطلب الإضافة ، فهو دين الله ، صالح لكل زمان ومكان ، وأن ما قام به العلماء والمجتهدون إنما هو تفسير لنصوص الكتاب والسنة ، وربط لها بتطبيقاتها ، واستخلاص للغايات والمقاصد ، وسبب ذلك أن نصوص القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، حوت المبادىء الكلية التي نستطيع أن نطلق عليها الاطار الذي تنمو في داخله الحياة البشرية . الى آخر الزمان .

إن تعاليم الاسلام تتجه في احكامها الى تحقيق أهداف اجتماعية نبيلة ، ومقاصد كريمة ، ومن أجل ذلك اهتم الاسلام اهتماما خاصا بتربية المسلم . ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع فمسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية في بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ».

وحتى تؤتي التربية الاسلامية ثمارها ، شرعت العبادات والفضائل الاسلامية ، اما العبادات فقد شرعت لتربية النفوس وتهذيبها على المساواة والتعاون والطاعة واذا كانت العبادة لا تحقق هذه الاهداف جلبت لصاحبها المقت والكراهية من الله تعالى والناس .

ولنضرب مثلا بالصلاة التي وصفها رب العزة ، بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فان لم تثمر الصلاة غايتها ، واستمر صاحبها في الظلم والغش وأخذ الرشوة فهي ليست صلاة صالحة . بل وعلى صاحبها المسئولية والعقاب ، إقرأ قوله تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون**) الماعون ـ ٤ ـ٧ .

اولئك الذين يؤدون الصلاة لكن قلوبهم غافلة عنها ولا تعيش معها ، ومن هنا فقدوا آثار صلاتهم في نفوسهم فمنعوا البر والخير عن الآخرين .

وأما الزكاة فهي حق معلوم في مال الغني لأخيه الفقير ، من أجل تحقيق التعاون الاجتماعي بنظام لا يذل الفقير ولا يبطر الغني . لأن الذي يجمعها ويوزعها ولي الأمر . يقول الله تعالى في سورة التوبة ـ آية ـ ١٠٣ (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) وهكذا كانت التزكية والتطهير مقصدا للزكاة .

وهنالك وسائل اخرى شرعها الله تعالى كفارات للذنوب ، واصلاحا للنفوس . فمن افطر في رمضان فعليه عتق رقبة ، أو صيام ستين يوما ، أو اطعام ستين مسكينا ، ومن حلف وحنث في يمينه كان عليه عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين اوكسوتهم . وهكذا فالذنب الذي يرتكب عدوان على المجتمع لا يغفر الا بتعاون اجتماعي يسد النقص ويزيل الخلل .

ولعل المعنى يزداد وضوحا بما رواه الترمذي وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » إذ كل معصية هي عدوان على المجتمع لا تزول إلا بتعويض يستفيد منه المجتمع . فالكذب والغيبة وغير ذلك من الآفات الاجتماعية يجب تكفيرها بالتوبة والصدقة التي تنهض بالمجتمع بقدر ما أساء اليه المكلف .

وإذا كان تهذيب النفوس هدفا من أهداف الاسلام فهو قد حثهم على أمرين لتطهير بيئتهم ومجتمعهم : الأمر الأول هو الحياء : لأنه اساس الخلق واللباقة في المجتمعات فقد أخرج مالك وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لكل دين خلقا ، وان خلق الاسلام الحياء » فمن يفعل فعلا ينافي الذوق والحياء فانه يدل بتصرفه على نفس مفككه : غير متآلفة مع من يعايشها ويتعامل معها .

والأمر الثاني الذي حث عليه الاسلام لتكوين مظهر فاضل للمجتمع هو وجوب الستر على ضعف الانسان ووقوعه في المعصية . لأن الاعلان عنها يفسد وحدة الجو الخلقي للمجتمع ، ويشجع الآخرين على اتباع الشرور والأثام والفاحشة إذا أعلنت ونشرت اتبعت إذ كل نفس تميل الى الغواية ومن أجل ذلك عد الاسلام المعلن عن ارتكاب الفاحشة مرتكبا لجريمتين : جريمة الارتكاب وجريمة الاعلان » فتح الباري ـ ١٠ ـ ٤٨٧ . أما من ينشر جرائم غيره فهو شريكه في الاثم ، وفي هذا المعنى أخرج الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل أمتي معافى الا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا . وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه ».

وروى الامام مالك في الموطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أصاب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ، فانه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله » جامع الأصول ـ ٣ ـ٥٩٨ .

وهكذا نرى العقوبات المشددة تكاد تكون للاعلان والمجاهرة ، لأن من ستر على نفسه فأمره الى الله سبحانه وتعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه .

فالمسلم يجب عليه الالتزام بأساليب التربية الاجتماعية الاسلامية وان يبتعد عن كل محظور لأنه مسئول في الآخرة عن كل تصرفاته أمام الله سبحانه وتعالى الذي خلقه وصوره في أحسن صوره وأكرمه بالعقل والعلم لينتفع به في وجوده فقد أكرم الله تعالى الانسان واختاره للخلافة في الارض وسخر له جميع ما فيها إقرأ قوله تعالى في سورة الاسراء آية ـ ٧٠ (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أنها أبرزت كرامة الانسان لا لكونه منتميا الى جنس معين أو لون خاص ، او صفة أخرى وإنما للانسانية التي فيه .

ولذلك اقتضى أن تدور التكاليف الشرعية والأحكام الاسلامية حول المحافظة على كرامة النفس البشرية .. ومن ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مناداة السيد عبده بيا عبدي . فروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماءالله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي » أليس في هذا تحقيق للكرامة الانسانية واحلال للألفة بين الخادم والمخدوم بدل الكبرياء والاستعلاء ؟

بل ان الاسلام ذهب الى أبعد من ذلك حينما أمر المخدوم أن يطعم خادمه مما يأكله هو ، ويلبسه مما يكسو به نفسه واولاده ، وان كلفه بحمل حاجة وعجز عنها فليعنه عليها . فكما ان للمخدوم طاقة محدودة ، فالخادم مثله . أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الخدم والرقيق : « جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم وإن كلفتموهم فأعينوهم عليه .» .

حينما دعا الاسلام الى احترام كرامة الانسان ولو كان غير مسلم ، لم يكن يكبر فيه سوى مشاعره الانسانية وانتمائه لآدم أبي البشر عليه السلام ففي الحديث المتفق عليه ان جنازة مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقام لها فقيل له : إنها جنازة يهودي !! فقال : أوليست نفسا ؟! ومن أجل ذلك ذهب ابن حزم من علماء المسلمين الى استحباب القيام للجنازة وان كانت جنازة كافر . فقه السنة ـ ١/ ٤٥٥ .

لقد استطاع الاسلام أن يمحو الفوارق العرقية واللونية التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي عصورا طويلة ، ذاق فيها الملونون الذل والهوان والاستهزاء ممن يزعمون أنهم خلقوا من جنس أرقى ، وعرق أصفى ، فاذا بالاسلام يهتف بهؤلاء وهؤلاء ليردهم الى أصلهم الواحد ، وميزان الحياة العادل ، حيث لا ينبغي عنده التناحر والتفرق . اقرأ قوله تعالى في سورة الحجرات الآية ـ ١٣ (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) .

وأين هذه المواقف الكريمة في معاملة الغربيين للملونين والزنوج وهم كما يزعمون أصحاب فكرة حقوق الانسان ؟!

لقد بلغ من تكريم الله تعالى للانسان ، أنه أعطاه العزة والاحترام في الحياة ، وأوجب تجهيزه وتكفينه ، استكمالا لكرامته بعد الممات ، وحرم التمثيل به أو تشويه جزء من جسمه . ففي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة لأن التمثيل بجسم الميت أو القتيل إهانة للانسانية ذاتها .

وتنمية من الاسلام لكرامة الانسان ، اوجب عليه حرية الفكر والقول والعمل ، إلا ما خرج عن النظام العام ، وخدش العرف الاجتماعي السليم . وفي هذا كله يتضح لنا أن المحافظة على الكرامة الانسانية التي سعى اليها الاسلام ، تحقق المجتمع الصالح القائم على الود والتآلف .

مكانة المهاجرين والأنصار

قال تعالى : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا معكم فأولئك منكم .»

من سورة الأنفال .

وفود المهاجرين الى الله

عن البراء قال : كان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضوان الله عليهم أجمعين ، مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، ثم قدم بلال ، وسعد ، وعمار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

اترك الذنوب

قال سهل بن عبد الله : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسوله ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا بالصبر عليه ، ومن أراد أن تصح له التقوى ، فليترك الذنوب .

الحسنة

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونورا في القلب ، وصحة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق .

الحزم

سئل حكيم عن الحزم فقال : هو تجرع الغصص الى ان تنال الفرص .

الكتاب

قال الأصمعي : الا أدلك على لسان يكون في كمك ، وروضة مكانها حجرك ، واخرس يعلمك إذا شئت ، وينقطع عنك إذا سئمت .

خليفة الله

نادى رجل عمر بن عبد العزيز قائلا : يا خليفة الله في الأرض .
فقال له عمر : مه ، إني لما ولدت اختار لي أهلي اسما ، فسموني عمر ، فلو ناديتني يا عمر أجبتك .
فلما كبرت اخترت لنفسى الكنى ، فكنيت بابي حفص ، فلو ناديتني يا أبا حفص اجبتك .
فلما وليتموني أموركم سميتموني أمير المؤمنين ، فلو ناديتني يا أمير المؤمنين اجبتك .
وأما خليفة الله في الأرض . فلست كذلك ، ولكن خلفاء الله في الأرض داود النبي عليه السلام وشبهه ، قال الله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ».

صدق الله فصدقه

جاء رجل من الاعراب الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فامن به واتبعه فقال : اهاجر معك : فاوصى به بعض الصحابة ، فلما كانت (غزوة خيبر) غنم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا ؛ فقسمه ، وقسم للأعرابي . فقال الأعرابي للرسول : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن ارمي ها هنا ـ واشار الى حلقه ـ بسهم فاموت فادخل الجنة . فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم :ـ إن تصدق الله ليصدقنك الله . ثم نهضوا الى القتال ، فاتي به وهو مقتول . فقال الرسول أهو هو ؟

فقالوا : نعم . قال صدق الله فصدقه .

دعاء

يا رب كن لي وليا	بالحفظ حتى أطيعك
فان ذممت صنيعي	فقد حمدت صنيعك
أو كنت أعصيك إني	أحب فيك مطيعك

على طريق الهجرة

سراقة بن

لم يكن حديث الهجرة النبوية من مكة الى المدينة .. حديث لهو يستمتع به السمار ، ولا اهزوجة عبث يتلهى بها الاخلاء .. وانما كانت الهجرة من اول امرها ، وحتى نهاية شوطها ملحمة اخلاقية دينية جادة .. كأبلغ ما يكون الجد .. حاسمة كأروع ما يكون الحسم والحزم .. وقد حفلت بالكثير من مواقف البطولة والشهامة ، والصدق والاخلاص والامانة .. سواء في ذلك ما ظهرت به المرأة متمثلة في اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وما قامت به من دور اشهر من ان يذكر ، وابهر من ان ينكرحين حملت الزاد خفية الى الرفيقين المهاجرين وهما في غار ثور .. مع تعرضها لاخطار جسيمة ، ومفاجآت رهيبة .. وهي في سن النضج والمراهقة .. او في موقف ام معبد وما ظهر في خيمتها من معجزات خارقة ، وآيات صادقة .. ثم في دفاعها عن الركب المهاجر حين وصل الى خيمتها المطاردون بحثا عن فريستهم المنشودة .. او ما ظهر به الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. متمثلا ذلك .. في موقف الصديق ابي بكر رضي الله عنه وهو يحوط النبي صلى الله عليه وسلم بكل دلائل الحب والتفاني .. حرصا على ذاته الشريفة ، وإبقاء على شريعته الحنيفة .. وآخر ما كان من ذلك على طريق الهجرة .. هو دور سراقة بن مالك الذي آثرنا في هذا المقال ان نلقي عليه ضوءا يحيط به من كل جوانبه ، ويجلى هذه اللقطة التاريخية الرائعة من شتى زواياها وجوانبها ..

مالك

للدكتور محمد محمد الشرقاوي

وحديث سراقة بن مالك على طريق الهجرة يكاد يكون متواترا بين الاحاديث ، فقد تضافرت على روايته كتب كثيرة ، ورواة ثقات .. بحيث تعطي في مجموعها ككل درجة الشهرة .. والتواتر المعنوي لتلك القصة العجيبة .. التي سارت بذكرها الركبان ، وتعاقب على تجديدها الجديدان .. فقد اخرجها البخاري (٧ / ١٩٠ ـ ١٩٢) من حديث انس ، والحاكم (٣/٦ ـ ٧) من حديث سراقة بن جشعم ، ومسلم (٨ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧) من حديث البراء بن عازب ، ورواها ايضا احمد (٣ / ٢١١) وتحدثت عنها كتب السيرة النبوية على اختلاف درجاتها ، ومنها السيرة الحلبية ، وسيرة الزيني ، وابن هشام ، والامتاع ، والسبعيات للهمداني ، وبعض كتب التفسير ، والفصول المهمة .. وغيرها كما تعددت الروايات في هذه الحادثة الواحدة .. وتحدثت بعض الروايات عن جانب .. بينما ذكرت غيرها جانبا اخر .. ولما كان المحور الذي دارت من حوله كل هذه الروايات .. وتنوعت من اجله تلك النظرات .. واحدا فقد صار محل إجماع من الرواة .. مع الأخذ في الاعتبار ما تميزت به كل رواية من أسلوب خاص بها ، وبرواتها .. مما تقتضيه طبيعة الاشياء حين تتصدى لمثل هذا الحدث بالتعليق عليه .. والرواية له .. ونستطيع ان نسلك كل تلك الروايات في خيط واحد .. حين نسرد قصة سراقة بن مالك على طريق الهجرة .. ناسين .. او متناسين ما بين

الروايات والرواة من تخالف في الشكل لا في الموضوع ، ومن تنوع في العرض لا في المقصود .

في صبيحة الليلة الثالثة من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابي بكر رضي الله عنه الغار .. جاءهما الدليل الذي اخذ على عاتقه مصاحبتهما الى المدينة في هذه الرحلة التاريخية الفريدة لقاء أجر ، وهو عبد الله بن أريقط الدؤلي .. ومعه راحلتاهما .. فركبا ، وانطلق بهما ميمما طريق الساحل .. وانطلق معهم خادمهما عامر بن فهيرة .. وذلك بعد أن انجاهما الله تعالى من مؤامرة مشركي مكة مرتين : مرة بخروجه صلى الله عليه وسلم من داره وهم جلوس حولها من حيث لا يشعرون ، ومرة بتعمية أمره في غار ثور ، وكان هو وصاحبه يريانهم من حيث لا يرونهما .. وبدأت بهذه الرحلة الحلقة الثالثة في مسلسل الرعب والمطاردة المسعورة .. التي ألهبت أقدام المشركين بحثا عن فريستهما الغالية .. ولذا أبلغت رسلهم أهل السواحل وغيرهم : أن من قتل أو اسر محمدا أو أبا بكر أو هما معا .. كان له بكل رأس مائة ناقة .. ووقع البلاغ في أذن سراقة بن مالك موقع الرضا وهو جالس في مجلس من مجالس قومه بني مدلج بقديد في مكان قريب من رابغ على بعد أربعة وتسعين ميلا من مكة وهو ميقات أهل مصر الذي يحرمون عنده بحجهم أو بعمرتهم .. أو بهما معا ، وداعبت هذه الجائزة الثمينة احلام سراقة ، وأثارت في خياله حديث الثروة والشهرة .. وهما الشغل الشاغل لفتيان العرب ومغاويرهم .. ورأى الفرصة سانحة في رجل من قومه يقول : يا سراقة إني رأيت أسودة - اي رجالا - بالسواحل .. أراهم محمدا وأصحابه .. فعرف سراقة انهم هم .. وسرعان ما صرف الرجل عن مقالته بقوله : انهم ليسوا بهم ، ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يطلبون ضالة لهم عبر الصحراء .. وانطلى الموقف على القائل المتفرس .. ولا سيما بعدما لبث سراقة برهة لا يريم .. ثم انفلت من مجلسه خلسة الى جاريته التي امرها ان تنتظره خفية بفرسه في بطن الوادي ، ومرق من باب خلفي يجرجر رمحه .. خاطا بزجه في الارض مبالغة في التخفي والحذر .. حتى لا يشاركه احد من قومه .. او من غير قومه في الظفر بهذا العطاء الموعود ، والحظ المنشود .. وركب فرسه ورفعها - اي بالغ في سرعتها -

والحق ان سراقة بن مالك بدأ مطاردته للرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه من مكة .. لا من قديد .. وانها اتخذت حلقتين : حلقة قبل أن تعلن قريش عن مكافآتها المجزية .. وهذه بدأت من مكة .. لانه كان احد القصاصين لأثر النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل حين لاذ صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه في غار ثور .. ثم لما حبط مسعى القصاصين ومن وراءهم .. سلك في المطاردة طريقا غير

الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في هجرتهم .. حيث سبقهم الى قديد عند قومه بني مدلج .. واتخذ له بينهم مجلسا من مجالسه المعتادة فيهم .. حتى جاءه خبر الجعل المغري الذي أعلنته قريش لأهل السواحل وغيرهم مكافأة لمن يأتي بمحمد وصاحبه حيين او ميتين .. وهنا تبدأ الحلقة الثانية في المطاردة .. وهي التي اختلس فيها الخروج بعد التمويه على من أبلغه بمرور الاسودة .. وأخذ فرسه من جاريته ، وامتشق رمحه ، وأغذ السير بفرسه للحاق بطلبته المرتجاة في تجاويف الصحراء ، وبطون الاودية ، ومخارم الجبال .. وسار مع أحلامه الخادعة يذرع دروب الصحراء في لهفة وشوق للغنى المتمثل في مائة او مائتين من العيس .. وهي ثروة هائلة في تقدير سكان الصحراء الذين يرون في الابل بصفة عامة مصدرا رئيسيا للقوت والكساء ، والركوب والاكتفاء .. وقد ركب سراقة في بادىء أمره راحلته واستجنب فرسه مصطحبا عبدأ له أسود مشهورا بشجاعته وإقدامه .. جعله رديفا له على الراحلة ، فلما أبصر سراقة الركب المهاجر نزل عن راحلته ، وركب فرسه ، وتناول رمحه .. وأقبل نحوهم .. فعثرت به فرسه ، ووقعت لمنخريها .. بادىء ذي بدء .. وخر من فوقها .. ثم قامت الفرس من عثرتها تحمحم .. ومد سراقة يده الى أزلامه التي يستفتيها في كل أموره الهامة ، وهي أعواد ثلاثة : الآمر .. وقد كتب عليه افعل ، والناهي .. وعليه لا تفعل .. والثالث غفل من الكتابة .. فإن خرج الاول فعل ، وإن خرج الثاني لم يفعل ، وإن خرج الثالث أعاد القرعة .. وكانت هذه العقيدة الزائفة شائعة في المجتمع الجاهلي شيوع الماء والهواء ، وقد أبطلها الاسلام ، وكشف عن زيفها بقوله تعالى : **(وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق)** المائدة / ٣ .. وبقوله جل شأنه : **(إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)** المائدة / ٩٠ وخرج الناهي في قرعة سراقة .. ولكنه عصاه .. لاول مرة في حياته - على ما يبدو - واستخفه نزوعه العجول الى الثروة المرتقبة الى ان اقترب من الرسول حتى سمع قراءته .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يلتفت اليه .. بل استمر في ثباته كالطود الاشم ، وفي هدوئه ورباطة جأشه كصفحة النهر الرقراق ، بينما كان ابو بكر كثير الالتفات ، بادي الحذر والترقب خوفا على الرسول وحبا له وتقدم سراقة على فرسه عاصيا ازلامه فقال ابو بكر : يا رسول الله قد دهينا .. هذا سراقة قد اقبل في طلبنا ومعه غلامه الاسود .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفنا سراقة بما شئت وكيف شئت وأنى شئت .. فغابت قوائم فرسه في الارض الصلبة الى الركبتين .. حتى فقد الفرس حركته .. فرمى بنفسه عن الفرس ، وألقى رمحه .. فلما نظر سراقة الى ذلك هاله

ما رأى .. ووقع في قلبه انه النبي الحق . فقال : يا محمد انت انت واصحابك .. فادع ربك يطلق لي جوادي ، ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك .. فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال : اللهم إن كان صادقا فيما يقول فأطلق لـه جواده .. فانطلق جواده .. وقد عاهد سراقة سبع مرات .. وفي كل مرة ينكث العهد .. وكلما نكثه عادت قوائم فرسه الى الارض .. مع الزيادة في الغوص في كل مرة عن التي قبلها .. حتى ساخت الى بطنها في كل مرة أشد من الاولى .. وفي كل مرة يزجر فرسه للنهوض بعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بالانطلاق ، وفي المرة الثانية لما استوت قوائم فرسه ظهر لأثريديها غبار ساطع كالدخان يصعد في السماء مـع جلـد الارض وصـلابتهـا .. فاستفتى ازلامه مرة ثانية .. فخرج الناهي فعصاه ثانيا ، كما عصاه اولا .. بعد ان أعمته وأصمته الرغبة الجامحة في الحصول على الجائزة الهائلة .. وفي المرة الاخيرة ركب فرسه بعد نهوضها حتى جاءهم وعرض عليهم الأمن والأمان .. ومما قاله : يا محمد إن قومك جعلوا فيك الدية لمن قتلك أو أسرك .. واكتفى بذكر محمد عن ذكر أبي بكر .. وقال لهما : خذا هذه الاسهم من كنانتي ، وغنمي وابلي بمحل كذا وكذا فخذا منهما ما شئتما .. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام .. فاني لا أرغب في ابلك ومواشيك .. فنادى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه بالامان وقال لهم : انظروني لا اؤذيكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، وانا لكم نافع غير ضار ، واني لا أدري لعل قومي فطنوا لركوبي ، وانا راجع إليهم ، ورادهم عنكم ، ووالله لأعمين على من ورائي من الطلب .. ومما قاله في تهديداته الجوفاء : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يمنعني الجبار .. الواحد القهار .. ونزل جبريل عليه السلام وقال : يا محمد .. ان الله عز وجل يقول : جعلت الارض مطيعة لك .. فامرها بما شئت .. فقال صلى الله عليه وسلم : يا أرض خذيه .. فتأخذ الارض أرجل جواده الى الركب فما فوقها .. حتى إن سراقة يسوق فرسه فلا تتحرك .. فيقول : يا محمد .. الامان ، وعزة العزى لو أنجيتني لأكونن لك لا عليك .. فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام : يا ارض اطلقيه .. فاذا انطلق قال يا محمد مرني بما شئت ، فيقول له : تقف مكانك .. لا تتركن أحدا يلحق بنا .. وهكذا لم يجد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي بداً من الاعتراف بالامر الواقع .. وهو وإن كان قد تأخر إسلامه الى منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف حين اسلم بالجعرانة سنة ثمان من الهجرة .. الا ان ما رآه بعينيه ، وسمعه بأذنيه ، قد فجر في قلبه ثورة عارمة على الكفر وأهله ، وقد بدأت الثورة صغيرة في اول امرها .. ثم ما لبثت ان استحالت الى بركان هادر

يقذف برواسب الكفر والجهالة من قلب هذا المؤمن الصادق الى غير رجعة .. فهذا الفتى الكناني الحجازي الذي ابكى ابا بكر قدومه مع غلامه الاسود .. رهبة مما يرفل فيه من قوة وفتوة ، حتى قال الرسول لصاحبه : ما يبكيك ..؟ فقال : اما والله ما على نفسي ابكي .. ولكن عليك .. فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى ساخت قوائم فرسه .. فقال للرسول صلى الله عليه وسلم .. قد علمت يا محمد ان هذا من دعائك فادع الله ان ينجيني مما انا فيه ، ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما .. هذا الفتى الذي شهد المعجزة بنفسه ورآها رأى العين بناظريه .. لم يبارح مكانه هذا .. قبل ان يعترف اعترافا صريحا بما يعتلج في قرارة نفسه من صدق النبي ، وأحقية رسالته ، وصعود شأنه ، وازدهار مستقبله .. فقال : يا محمد إني أعلم أنه سيظهر أمرك في العالم ، وتملك رقاب الناس ، فعاهدني اني اذا أتيتك يوم ملكك .. فاكرمني .. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكتب له كتاب بالامان .. وقبل ان ينصرف به ويعود ادراجه من حيث اقبل .. زوده الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجزة المستقبل .. بعد ان أفحمه بمعجزة الحاضر ، فقال له : كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسواري كسرى .. ؟ .. فقال متعجبا : كسرى ابن هرمز ؟ .. قال : نعم .. ويمضي سراقة وفيا بعهده .. راداً كل طلب للرسول ورفاقه .. وأرسل الى أبي جهل زعيم قريش ، وكافل الجائزة يقول :

أبا حكم .. والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادي اذ تسوخ قوائمه
علمت .. ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان .. فمن ذا يقاومه؟

وتمضي المقادير في أزمنتها .. تخط للناس أسطر الحكمة البالغة ، فيما تحركهم به على درب الحياة .. حتى يجيء اليوم الذي يفرغ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف .. فيخرج سراقة بن مالك ومعه كتاب أمانه ليلتقي بالرسول صلى الله عليه وسلم في الجعرانة .. ويدخل في كتيبة من خيل الانصار .. والجنود يقرعونه بالرماح ، ويقولون له : اليك .. اليك .. ماذا تريد ؟ حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته .. فرفع يده بالكتاب قائلا : يا رسول الله .. هذا كتابي ، وانا سراقة ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : هذا يوم وفاء وبشر .. ادنه .. فدنا منه ، وأسلم بين يديه وحسن إسلامه بعد ذلك رضي الله عنه .. وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل إليه سوارا كسرى فيما حمل له وكان قد سمع بوعد سراقة من ابي بكر فقال عمر لسراقة : ارفع يديك ، وألبسه بنفسه السوارين إظهارا للمعجزة وقال له : قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول : انا رب الناس ، وألبسهما سراقة بن مالك .

من وحي

الـدهر لا زال يقظـانـاً يحـدثني ... حديث أفضل رهط في الدنى ارتحلوا

في جنح ليل وعين الله تكلؤهم ... مما يحاك وحقـد القوم يشتعـل

والشرك في مكة يغرى جحافلـه ... بالنور..والنور يسطع في الدنيا ويكتمل

هم أجمعوا امرهم والغدر يدفعهم ... كي يطمسوا الحق في مكر وقد فشلوا

والنور لن ينطفي مهما هم نفخوا ... فيه بأفواههم ... بل سـاء ما فعلوا

وانسـل خير بنى حـواء مدرعـا ... بالليل ... والليل فوق الكون منسدل

لم يبصروه ولم يمنع تـربصهم ... ان ينثر الترب فوق الهام اذ غفلوا

واستقبل الغار من يسمو بدعوته ... الى الجنان بمن لبوا ومن قبلوا

خاف الرفيق على الهادي وقد وقفوا ... على فم الغار والكفار قد جهلوا

لكن « دعـوة ابراهيم » في ثقـة ... يضفي الامان فلا خوف ولا وجل

يقول للصاحب المفزوع ليس على ... مثلى ومثلك يـوما تظهـر الحيل

الهجرة

للاستاذ / شوقي محمود ابو ناجي

مـاذا تظن ونحن اثنان ثـالثنـا ... اللـه ... إنا عـلى الرحمن نتكـل

ورد كيـد بني الكفار وانقلبـوا ... بالخزى لم يجدهم عُزّى ولا هُبَل

ودوت الدعوة الكبـرى مجلجلة ... اللــه اكبر ... ان الظلم منخـذل

اللــه اكبـرنـور الحق عم عـلى ... كل البطاح فضاء السهل والجبل

ولا إلـه سوى الـرحمن منفردا ... بالحكم والامر لا شـكٌ ولا جدل

الارض قبضتـه يوم القيـامة إذ ... تطوى السموات في يمناه والازل

فلنرجع اليوم للاسلام يرفع من ... خسيسة هبطت بالناس اذ نزلوا

مهاجرين نواهي الله ... زخرفها ... ان يعل بالقوم في أمر فقد سفلوا

ان الكتاب وما سن الرسول لنا ... هما السبيل إذا ما اعوجت السبل

واللهَ أسأل ان يهـدى نوازعنـا ... على الصراط،صراط الحق تعتدل

دور المسجد

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ونزل بقباء ، كان أول عمل قام به هو بناء مسجد قباء وهو المسجد الذي ذكره القرآن في قوله تعالى : « **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين** » التوبة / ١٠٨

وذلك ليكون مجمعا يجتمع فيه الناس بقباء يؤدون صلواتهم ويقرؤون القرآن ويذكرون الله تبارك وتعالى ويتشاورون في امور دينهم ودنياهم وليكون مظهرا لوحدتهم وألفتهم وأخوتهم وليكون منارة يدعون منها الى صلواتهم وبيتا من بيوت الله التي أشاد الله بها في قوله سبحانه وتعالى : « **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** » النور / ٣٦ / ٣٧ وبذلك وضعت اول لبنة في بناء صرح المساجد في الاسلام التي هي بيوت الله في الارض قال تعالى : (**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا**) الجن / ١٨ وهي مهبط الملائكة كما ورد في الحديث الصحيح : وقال صلى الله عليه وسلم



عبر عصور الإسلام

للاستاذ / حسن منصور

« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار في صلاة الفجر وصلاة العصر » اخرجه البخاري وهي مثوى عباد الله الصالحين في الأرض . ففيها يصل المسلم حباله بحبال السماء ويزكي نفسه ويسمو بروحه حتى تصل الى معارج القدس .

ثم هي علاوة عن ذلك مصحات للأبدان كما هي مصحات للارواح فلا بد لمن يغشاها مصليا وقارئا أن يتطهر من الأحداث والأنجاس في المسجد والثوب والمكان وهي المستراح لمن لا مستراح له ، والملجأ والمأوى لمن لا مأوى له ، وهي منازل طهر ونظافة وتجمل كما لا يجوز ان تكون المساجد للبيع والشراء والعبث واللهو ولا لنشدان الضالة ولا للأهواء والشهوات والمنازعات والمشاحنات ، ولا للخلافات العقائدية والمذهبية لان رسالتها رسالة توحيد وهدى وحق وخير . رسالة وفاق ووحدة واعتصام بحبل الله .

○ وظيفة المسجد في صدر الاسلام ○

كانت المساجد في صدر الاسلام تؤدي وظائف وخدمات دينية وعلمية واجتماعية وصحية وحربية وسياسية .

○ **المساجد أماكن عبادة** .

إن الوظيفة الأولى للمساجد هي أنها أماكن عبادة فيها يؤدي المسلمون صلواتهم ويقرؤون القرآن ويذكرون الله وصدق الله إذ يقول : « **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** » التوبة/١٨ .

وعمارة المساجد لها معنيان وكلاهما مقصود : الأول تشييدها وإقامتها وبنيانها وقد جاء في الحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » رواه البخاري والمعنى الثاني من الحديث عمارتها بالعبادة والاجتماع فيها للجماعة وقراءة القرآن والذكر والاعتكاف ونحو ذلك . وهذا المعنى هو الأهم في العمارة فقد كانت المساجد في صدر الاسلام في غاية البساطة والسماحة حيث كانت مبنية بالطوب والطين والحجارة وكانت اساطينها من جذوع النخل وسقفها مغطاة بالجذوع والجريد ومع ذلك كانت عامرة بالإيمان والمؤمنين وساهمت مساهمة جادة في تكوين أعظم أمة وخير أمة عرفها التاريخ أما اليوم فقد أصبحت العمارة بالمعنى الأول أي البناء والتشييد أصح من العمارة بالمعنى الثاني ... وقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بما صار اليه الحال حيث قال: « ليأتين على أمتي زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلا » رواه أبو داود . ولهذا التجمع في المساجد الذي أكده الاسلام وحبب اليه ورغب فيه آثاره البعيدة في حياة المسلمين الدينية والدنيوية .

○ **المسجد مجلس للشورى** ○

كان المسجد النبوي الشريف في العهد الاسلامي الاول يقوم مقام المجالس الشورية الآن كمجالس النواب ومجالس الشيوخ مع الفرق الكبير بين الشورى الاسلامية في حقيقتها وجوهرها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ما هي عليه اليوم فقد كانت الشورى في صدر الإسلام اسما على مسمى أما اليوم فهي اسم بلا مسمى .

فكثيرا ما عقدت هذه المجالس الشورية في المسجد وذلك كما حدث قبيل غزوة أحد ، وما حدث قبيل غزوة الأحزاب وغيرها من الغزوات والسرايا التي كان يرسلها الرسول وكان من ورائها الغنم والخير للدعوة الاسلامية وللمسلمين .

وكثيرا ما تشاور في هذا المسجد الخلفاء الراشدون من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في شؤون الحرب والمعاهدات والصلح وشؤون السياسة ومصالح الدولة وحقوق الرعية . فقد كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

مجلس شورى من كبار المهاجرين والأنصار وكذلك كان لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم لمن جاء من بعد هما من الخليفتين الرشيدين عثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعا كما أنه كان بمثابة دار للقضاء يجلس فيه الرسول والخلفاء من بعده للفصل بين الخصوم فيقضي بينهم ويفض منازعاتهم ويصلح فيما بينهم .

○ المسجد ملجأ ومبرة ○

وكذلك كان المسجد النبوي يقوم مقام الملاجيء والمبرات التي يأوى اليها الغريب وابن السبيل ، فيجد المبيت والطعام والشراب بل والكساء . فقد كان بالمسجد النبوي صفة (وهي مكان مظلل في مؤخرة المسجد) يأوى اليها من لا دار له ولا أهل ولا مال وبها نزل أهل الصفة وهم ضيوف الله وضيوف الاسلام . كانوا يجدون المأوى والطعام والشراب والكساء كما حدث بذلك أبو هريرة وغيره من الصحابة في صحيح البخاري . وكانوا يحتطبون بالنهار ويقرؤون القرآن ويصلون بالليل فإذا دعا داعي الجهاد لبوا مسرعين ولم يكونوا عالة ولا كسالى ولكنهم ما كانوا يجدون عملا وإذا وجدوه فما كان يقوم بكفايتهم ومن ثم كان الرسول صلى الله عليه وسلم - يصلهم ويتبارى المسلمون في إكرامهم وبرهم

كما أن المسجد لعب دورا آخر من أدوار البر والمعروف فقد كان المسجد النبوي يقوم مقام الجمعيات الخيرية اليوم في جمع الزكاة والصدقات من المزكين والمنفقين في سبيل الله ويوزعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين . فقد كان يجمع في المسجد بعض زكاة الفطر والزكاة العامة وبعض الاموال التي كانت ترد من الأقاليم لتوزع على مستحقيها كما ورد ذلك في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن . ثم إن المسجد أيضا كان دار ضيافة للوفود التي ترد على النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن بعض الوفود كانت تبيت بالمسجد ويوكل الرسول بهم من يرعاهم وذلك ليعرفوا الاسلام عمليا (مثل كيفية أداء الصلاة) بعد أن يلقن اليهم ويدعون اليه .

○ المسجد مستشفى عسكري ومركز تدريب ○

وكذلك كان المسجد النبوي يقوم مقام المستشفيات العسكرية التي يقيم بها المرضى والجرحى فيمرضون ويداوون . وقد كانت بالمسجد النبوي خيمة السيدة رفيدة الصحابية الجليلة التي كانت تقوم بتمريض الجرحى وتضميد جروحهم . وكان بالمسجد خيمة اخرى لبني غفار .

وكذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تضرب خيمة لسيدنا سعد بن معاذ لما اصيب يوم الخندق ليكون قريبا منه يرعاه ويعوده .

وفي الوقت نفسه كان المسجد النبوي مركز تدريب على فنون القتال وإعداد الجنود والسلاح وقد ثبت أن

بعض الصحابة كان يعد القسي ويثقفها ويعدل السهام ويعدها في المسجد النبوي .

○ المسجد وسيلة إعلام ايضا ○

وكذلك كان المسجد النبوي يقوم مقام وسائل الاعلام في الدفاع عن الاسلام والمسلمين والمنافحة عن الدين وتثبيت الدعوى وإبطال الترهات والأقوال الزائفة وتصحيح المفاهيم الخاطئة . فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن حسان بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاعره كان ينشد الشعر في المسجد النبوي في إظهار محاسن الاسلام ويدافع عن الرسول والمسلمين ويظهر فضائلهم ومحاسنهم وذلك بمحضر الرسول صلى الله عليه وسلم ففي صحيح البخاري أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له مرة : (أجب عن رسول الله ، فقال اللهم أيده بروح القدس) .

وهكذا نرى المسجد في صدر الاسلام كان يؤدي دورا كبيرا واسعا في حياة المجتمع أوسع شمولا من كونه مجرد مكان تؤدى فيه العبادات .

○ المدرسة الأولى في الاسلام ○

من المعلوم بأنه لم يكن للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدرسة مشيدة ولا معهد للتعليم يجلس فيه الى أصحابه يحاضرهم بل كانت مجالسه العلمية واسعة عامة شاملة كالغيث ينزل في كل مكان وينفع الخاص والعام . فهو في الجيش معلم وواعظ يلهب القلوب بوعظه ويحمس الجنود بقوله وهو في السفر مرشد وهاد . وهو في البيت يعلم أهله . وهو في المسجد مدرس وخطيب وقاض ومرب . وهو في الطريق يستوقفه أضعف الناس ليسأله عن أمر دينه فيقف . وهو على كل أحواله مرشد وناصح ومعلم . إلا أنه كثيرا ما يعقد لأصحابه المجالس العلمية بالمسجد حيث يجتمعون فيه أغلب الأوقات لأداء الفرائض . فالمسجد إذن هو المكان الرسمي الأصلي للعلم والتعليم والمذاكرة والوعظ والارشاد لأنها تدخل تحت مفهوم العبادة كما تدخل ايضا تحت مفهوم ذكر الله . يقول الله تعالى : **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)** النور ٣٦/ ٣٧ وقد أخبرنا عن ذلك صراحة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : (من دخل مسجدنا هذا ليُعَلِّمَ خيرا أو ليتعلم كان كالمجاهد في سبيل الله) رواه ابن ماجه . وقد كان المسجد النبوي الشريف هو المدرسة والجامعة التي تشرفت بجلوس وتصدر صاحب الفضل المتتابع على كافة أفراد هذه الامة الرسول الاكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان إذا جلس أحاط أصحابه به من كل جانب وتحلقوا عليه في شكل دائرة كهالة النجوم التي تحيط بالبدر . ولم تكن هذه الحلقات مقيدة

بحضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بل كانت تعقد بحضرته أو بعض أصحابه فقد جاء عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أنه كان يقول لأصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (تعالـوا حتى نؤمن ساعة) فيجلسون اليه فيذكرهم العلم بالله والتوحيد في الآخرة كما كان يخلف رسول الله بعد قيامـه من الدرس فيجمع الناس ويذكرهم الله ويفقههم في ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما خرج اليهم رسـول الله وهم مجتمعـون عنده فيسكتون ، فيقعد إليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه .

وممن كان ينوب عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا عبادة بن الصامت فكان يعلم أهل الصفة القرآن . رواه ابن الجوزي ومنهم أيضا أبو عبيدة بن الجراح الذي أرسل اليه النبي واحدا من أصحابه وقال له : (دفعتك الى رجل يحسن تعليمـك وأدبك) أخرجه ابن عساكر .

كما كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبعث الفقهاء والقراء الى الجهـاد يعلمون الناس ويفقهونهم في الدين منهم مصعب بن عمير ومعاذ بن جبل الذي بعثه ـ صلى الله عليه وسلم قاضيا على الجند يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ومنهم عمرو بن حزم الخزرجي استعمله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على نجران ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن .

ومنهم البعثات التي غدر بها الأعداء واستشهدوا في سبيل الله كأصحاب الرجيع وبئر معونة .

كما كانت صفـة المسجد النبـوي مدرسة للقراءة والفقه يأوي اليها فقراء الصحابـة ممن لا أهل لهم يتدارسون القرآن ويتعلمونـه ، ثم يذهبون في نواحي البلاد فيعلمونه الناس ففي مسجد الرسول الشريف تربى الجيل المثالي في تاريخ الدنيا وهو جيل الصحابة ، رضوان الله عليهم حتى كون منهم أعظم وخير أمـة أخرجت للناس ، وصير منهم علماء وحكماء وخلفاء وأمراء وقادة وساسة تفوقوا على الرومان والفرس .

● المسجـد في عصـور الاسـلام الزاهرة ●

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية تطور تبعا لذلك دور المسجد وصار معاهد علم وتـدريس لكل الفنـون والعلوم فعرف المسجد النبوي حلقات ابن المسيب والامام مالك إمام دار الهجرة ثم أدخلت عليه تنظيمـات جديدة وصار جامعات علمية تدرس فيها علوم الشريعة والعلوم العامة الأخرى وبرز في هذا المضمار مساجد صنعـاء باليمن والجـامع الأمـوي بدمشق والجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامعة القـرويين بفاس . وتبارى الملوك والأمراء في بناء مـدارس ومعاهـد ملحقـة بهـاتـه الجامعات لسكنى الطلبة وغير ذلك ورصدت لها الأوقاف الخاصة والعامة للصرف عليها وكان من أثر ذلـك ازدهـار العلوم والثقـافة في كـافة

المجتمعات الاسلامية وقيام حضارة راقية يدين لها بالفضل عصرنا الحديث خرجت ألوف العلماء في كل علم وفن : في التفسير والحديث ، والفقه ، والأصول ، واللغة والآداب ، والفلك والطب ، والهندسة والرياضيات ، وشتى ألوان المعرفة والعلوم ، حتى زخرت الحضارة الاسلامية بما لم تزخر به حضارة قط .

وكانت المستقى الأول للحضارة الأوروبية حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم ، واستطاعت هذه المؤسسات العلمية أن تصنع من الأمة مجتمعا يتعاون على تحويل العلم الى عمل مثمر وجهاد نافع وأداء منظم لشتى الحقوق والتزام كامل بكل الواجبات وتحقيق بارز لأهداف الرسالة .

○ دور مساجد اليوم وما آلت اليه ○

أما رسالة المسجد اليوم فقد انحسرت وتقلصت حتى أصبحت أماكن للعبادة والصلاة فحسب وفقدت الكثير من هذه الخصائص والوظائف التي قامت بها في صدر الاسلام وبعده في عصوره الزاهرة . حتى جرت عليها سنة الحياة فضعف دور المسجد وانزوت رسالته ولم يجد بين المسلمين فريق الدعاة الذي يتصدى لهذا الزحف المادي والحضارة المزيفة التي شغلت ببريقها كثرة المسلمين عن حقائق الاسلام وقضاياه الأصلية ، فركنوا الى الراحة واستثقلوا الجهاد فدب الوهن في نفوسهم وأحبوا الحياة وكرهوا الموت واتسعت الفجوة بين المسجد وبين الواقع المعاش في المجتمع . وماذا يفعل أو يثمر القول البليغ الذي يهتف به الواعظ في المسجد اذا كان الناس في المجتمع مثقلين بقيود من الحاجة الملحة التي تحبسهم في سجون الضرورات التي لا يستطيعون منها فرارا . وهذا ما أدى برسالة المسجد الى التضاؤل والانزواء وضعف التأثير في المجتمع لأن الأوضاع الاقتصادية أثرت في المناخ خارج المسجد وأصبحت عقبة كأداء في سبيل أداء المسجد لدوره وفي امكانية تأثيره على المجتمع .

وأما من حيث ترميم المساجد وتجديدها فقد هبت عليها ريح المدنية وشملها الزحف المعماري والتقدم الحضري الحديث ، فتبارى المسلمون في الترميم والتزويق مواكبة لعصر النهضة وتمشيا مع التطور والتقدم ، حتى تم تجديد أكثرها وتجهيزه بالمرافق العصرية الحديثة على نمط مريح وبني العديد من المساجد الجديدة في المناطق السكنية الحديثة وتعالت صوامعها سامقة تردد الآذان وتعلن التوحيد الذي نؤمل منه تغيير مجرى حياتنا وتخفيف حدة المادة من نفوسنا حتى تستشف معاني الايمان وتتشبع بروح الاسلام فتزكو بالهداية وتثوب الى رشدها بالتوجيه الصحيح فتهتدي الى الصراط السوي .. والله ولي التوفيق والسلام .

الغزو الثقافي ضد المسلمين والعرب

للشيخ/ عبد الحميد السائح

الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني ضد الأمة العربية ، وما يحمله من حضارة انسانية ورسالة اسلامية ، قديم قدم أحقاد ترسبت في نفوس تجردت من صفائها وانسانيتها ، ودفعتهم المطامع المادية وحب السيطرة والاستيلاء والاستعمار والاستغلال الى أن يعتدوا على أيَّة أمة يجدونها دونهم سلاحا ورجالا وحضارة ، ويعمدوا الى تجهيلها وإبعادها عن مواطن التقدم والتطور والمعرفة ، وإفقارها حتى تشعر بحاجتها الماسة الى أولئك المهيمنين المسيطرين .

قال الدكتور محسن جمال الدين : استاذ الأدب الاندلسي في كلية الآداب بجامعة بغداد ، إني لا أعرف أمة من

الأمم أو شعبا من الشعوب ازدادت عليه النوائب وتعاورته الشدائد واحاطت به ألآلام مثل الشعب العربي ، ذلك الشعب الذي احتل مكانته في التاريخ ، وانتقل من طور التأخر الى طور التقدم ، ومن الظلمات القاتمة الى النور الساطع ، ومن الجمود الى النشاط ، سواء في عاصمة المشرق بغداد ، أو عاصمة المغرب قرطبة . (المستشرقون والاماكن المقدسة ص٧).

وأن من يدرس حالة العرب التاريخية والاجتماعية يتحقق أن العرب رغم كل الظروف الخطيرة التي مرت بهم ، والمؤامرات التي دُبِّرت لهم ضد عقيدتهم وإسلامهم ، فإنهم دأبوا على استنكار الظلم بكل اشكاله والوانه ، ومقاومته ومجابهته والنضال ضده ، وفي إبان الحروب الصليبية رغم تجميع القوى المادية والعسكرية لأوروبا الحاقدة حينئذ ، واستعمالهم لكل وسائل القهر والبطش والعدوان على الاشخاص والمقدسات ، فإن الشعب استمر في مقاومته ، حتى لجأ الى ما يشبه حرب العصابات ، لإقلاق راحة الغزاة وإشعارهم بالتصميم على استنكار ومقاومة كل انواع الغزو ، واستمر كذلك حتى حلت ساعة الفرج والنصر .

ونحن نعترف أنه مرت على أمتنا فترة أو فترات معيّنة ، أحاطت بها حالة من التوقف والجمود ، استطاعت خلالها الدعاية الامبريالية والصهيونية أن تشوه حقائق رسالتنا وتاريخها ، ولا تزال تعاني من آثار ذلك ونتائجه ، وما وجود اسرائيل في قلب الوطن العربي ، وما هيمنة الامبريالية ودول الاستعمار الآن على أوطاننا وخيراتنا ، الا أثر من آثار ذلك التشويه ، ومن المؤسف أن الأمر انطلى على بعض المثقفين منا الذين تربوا على موائد الحاقدين والمنحرفين والمشوهين ، حتى تكونت فئة من هؤلاء بيننا تنطق بلسانهم وتردد افتراءاتهم، دون أن تلجأ الى دراسة العلماء وتمحيص المحققين .

ما هو الغزو الثقافي ؟

الاستاذ المهندس زكريا هاشم في كتابه « فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم » تحدث عن الثقافة والمدنية والحضارة ، ورأى أن معظم الباحثين اليوم يتفقون على أن كلمة « ثقافة » تعني التهذيب والتربية والتنمية . ونحن لو رجعنا الى استعمال مادة الثقافة في لغتنا العربية الأصيلة ، لوجدناها تهدف الى التقدم الى الأمام ، والتطور نحو الأفضل ، وقد جاء في «المصباح المنير» ثقفت الحديث فهمته بسرعة ، وثقفته بالتسديد أقمت المعوج منه . وفي لسان العرب ج ١ (ص ٣٦٤) ما يدل على أن المادة تعني سرعة التعلم أو الوصول الى درجة رفيعة من الفطنة والذكاء ، وقد أورد حديث أم حكيم بنت عبد المطلب « إني حَصانٌ فما أكلّمُ وَثِقافٌ فما أعلّم ».

ويظهر من الاصطلاح اللغوي أن اللفظ يشمل الناحيتين المادية

والمعنوية . وكما قال الدكتور فؤاد زكريا ، فان كلمة « المثقف في اللغة العربية تحمل معاني تتجاوز ما يمكن أن يقابلها في اللغات الأجنبية ». فكلمة المثقف في العربية تعني مَنْ يحب المعرفة وتعني أيضا من يتذوق الفن والأدب وغيرهما من نواتج الخيال . (من مقال في مجلة العربي العدد ٢٤٢).

وإذن فإننا نعني بالغزو الثقافي الغربي للمسلمين والعرب هو ما يطلق عليه الغزو الفكري ، وهو التغير الذي حصل في استراتيجية الغزاة ، الذين استبدلوا باستعمار الأراضي والأوطان ، استعمار العقول والقلوب ، ومحاولة التشويه والتدجيل .

واذ كان الغزو العسكري يعتمد السلاح والرجال ، ويغزو الأوطان ، فانه يقابل بالثورات والنضال ، حتى تزول معالمه وآثاره ولو ظاهريا ، أما الغزو الفكري فإنه أسهل منالاً للغزاة في تحقيق أهدافهم ، لأنه مغلف بما يحجب حقيقته ويسهل على المخدوعين الانتماء اليه والسير في سبيله ، تحقيقا لما يريد المخططون ، ولذلك يجب التنبيه الى خطره والتوعية بوسائله ، وإظهار أبعاده ومراميه ، حتى ينال من المقاومة الفعلية مثل ما نال وينال الاستعمار والغزو العسكري والسياسي .

وسائل الغزو الفكري

يعتمد الغزو الفكري في تحقيق أهدافه أية وسيلة توصله الى مبتغاه ، وهي تتطور وتتغير بتطور الزمان ، ومن أهم تلك الوسائل :ـ

١ ـ التبشير .
٢ ـ الاستشراق والاستلاب الفكري .
٣ ـ إحياء الدعوات الهدامة .
٤ ـ إنشاء ودعم الحركات المعادية .
٥ ـ إشاعة وسائل الترف والمجون ، وافلام الجنس وغير ذلك ، في الاذاعة المرئية وغير المرئية .

أما التبشير فقد كان يعتمد على بعض الرهبان الذين يلقنون وسائل الدعوة الى تغيير العقيدة ، بالاغراء والاساليب المتعددة ، وحينما تحققوا فشل هذه الوسيلة ، اكتفوا بالتشكيك بكل ما يَمُتّ الى التدين والعقيدة والسلوك الانساني ، وتشويه كل ذلك ، حتى يصبح المرء في ضياع ومتاهات ، ولذلك عمدت الدول الواعية الى مقاومة التبشير والغاء المدارس والمعاهد التي تحمل نزعة تبشيرية بأية صفة من الصفات ، وجعلت معاهد العلم تابعة للدولة،تتولى تعليم وتثقيف الطلاب على اختلافهم ، وهو ما ينبغي اعتماده والسير على نهجه .

وأما الاستشراق فيقصد به ما كتبه الغربيون عن الاسلام وقضاياه ، والأمة العربية وظروفها وما يتعلق بها ، وهو حلقة الوصل بين التبشير والاستعمار .«دراسات في الثقافة الاسلامية»(ص ٢٠٨).

ويقول: جمال الدين الالوسي ، هو اشتغال غير الشرقيين وغير العرب بدراسة حضارة الشرق ولغاته وأديانه وروحانياته ، وأثر ذلك في تطور البناء

الحضاري للعالم .«المستشرقون والتراث»(ص ١).

ويقول آخرون إن قضية الاستشراق من القضايا الجديرة بالبحث والتعمق والتفكير ، لا لكونها حركة عملية ، بل حركة سياسية ترمي الى اهداف بعيدة . المستشرقون والأماكن المقدسة (ص ٨).

وقال مالك بن نبيٍ الجزائري : نعني بالمستشرقين الكُتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي وعن الحضارة الاسلامية ، وقد صنفهم من حيث الزمن الى طبقتين :

١ ـ القدماء : مثل جيبر دورياك والقديس توماس الاكويني .

٢ ـ المحدثين : مثل كاره دو فو وجولد تسهير .

ومن حيث الاتجاه الى نوعين :

١ ـ المادحين للحضارة الاسلامية والمقدرين لخصائصها .

٢ ـ المنتقدين لها والمشوهين لسمعتها .

وبعد أن أوضح أنواع الانتاج الاستشراقي قال : إن كلا نوعيه كان شراً على المجتمع الاسلامي ، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والاطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر ، وأغمستنا في النعيم الوهمي ، الذي نجده في ماضينا ، أو في التفنيد والاقلال من شأننا ، بحيث صيرونا حماة الضيم عن مجتمع منهار ، بينما كان واجبنا أن نقف منه على بصيرة ، ولكن دون هوادة ، ولا نراعي في كل ذلك إلا الحقيقة الاسلامية ، غير المستسلمة لأي ظرف من التاريخ الخ.ـ انتاج المستشرقين.(ص ٣٣).

دوافع الاستشراق

إن غرض المستشرقين إما أن يكون سياسيا أو استعماريا أو علميا (المستشرقون والأماكن المقدسة « ص ١٠ ») ويقول آخرون ليس الدافع الى الاستشراق علميا ، بل يعود ذلك الى النزعة العدوانية التي حملت فريقا من الأوروبيين على شن الحروب الصليبية ، وقد كان لهم وسائل متعددة للتمهيد لما يهدفون اليه . دراسات في الثقافة الاسلامية (ص ٢١٢ ـ ٢١٥).

متى بدأ الاستشراق ؟

اختلاط الغرب بالشرق وبالعرب خاصة يعود الى القرن السابع الميلادي ، ولا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك . وقام الاستشراق في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان من اوروبا ، ثم اتصل بالاستعمار وكان ركيزة له يعتمد عليه ، ومن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الاندلس في إبان عظمتها وازدهارها ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية الى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم خاصة الفلسفة والطب والرياضيات .

ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي

جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما سنة ٩٩٩ م وبطرس ١١٠٢ ـ ١١٥٦ م وجيزار دي كريمون ١١١٤ ـ ١١٨٢ م .

ويكاد الدارسون لتاريخ الاستشراق يجمعون على أن انتشاره في اوروبا بصفة جدية كان بعد فترةما يسمى في التاريخ الاوروبي بعهد الاصلاح الديني . (المستشرقون والتراث ص ٢)، دراسات في الثقافة الاسلامية ص ٢١٢ و ٢١٣ .

أنواع المستشرقين

مع أن النظرة العامة الى المستشرقين تأخذ طابع الريبة والاتهام نظرا لما بدر من الكثيرين منهم بحق الاسلام وتشويهه والافتراء عليه . والافتراء على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتمهيد للطعن في القرآن الكريم ، حتى يزلزلوا عقيدة المسلمين ، وارتباط الأمة العربية بلغتها ومصدر أمجادها ، فإن بعض هؤلاء وخصوصا المتأخرين منهم تغلبت عليه الروح العلمية فلم ينكر ما وصل اليه نتيجة الدراسة الواعية ، من عظمة الحضارة الاسلامية والمبادىء الاسلامية ، ومن التنكر لكل ما افتراه الآخرون على الاسلام والقرآن الكريم ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولنضرب بعض الأمثلة لكل فريق ممن أشرنا اليهم ونبدأ بالنوع الأول :

١ ـ دانتي في الكوميديا الالهية ، وضع محمدا صلى الله عليه وسلم ، في أدنى مقاعد الجحيم .

٢ الفرنسي دربر بيلوم ، وصف الرسول بأنه دجال .

٣ ـ المستشرق لامانسي وصفه بأنه لص نياق .

٤ ـ إحدى اللوحات الأوروبية جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم أحد ثلاثة أساءوا الى البشرية إساءات بالغة ، وثانيهما ابن رشد ، وثالثهم الشيطان .

٥ ـ الكنيسة حرمت كتب ابن رشد ، وكانت تثني على توماس الاكويني الذي ينقل عن ابن رشد مع تحوير في نقله لمصلحة المسيحية .

٦ ـ الكنيسة حرمت تراث ابن حزم الاندلسي ، لانه قارن بين الأديان بمنهج عقلي منطقي في موسوعته ـ الفصل في الملل والاهواء والنحل ـ دوافع الاستشراق وأهدافه .(الوعي الاسلامي الكويتي العدد ٢٠٨ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ)

٧ ـ ما زال الكثرة منهم ينفثون سمومهم حقدا وبغضا أمثال لامانسي ورينان .

ومن النوع الآخر الذين أدركوا حقيقة الاسلام وكتبوا المجلدات عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأشادوا بعظمته :

١ ـ وليم سيو الانكليزي في كتابه « محمد » والشاعر الألماني « غوته » والمستشرق الفرنسي « سيديو » والمؤرخ توماس كارليل ، والفرنسي غوستاف لوبون ، والفيلسوف الروسي تولستوي وغيرهم .

٢ ـ ومنهم برنارد شو ، ومايكل هارت الذي كان كتابه من أروج الكتب في أوروبا سنة ١٩٧٨ م ، وهو « العظماء في التاريخ مائة » أولهم محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ وكما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم حدث للقرآن الكريم ، حيث ظهر الطبيب موريس بوكاي في كتابه « دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » يثبت أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يصطدم بالحقائق العلميه ، وهو المنزل من عند الله سبحانه ، وقد اجتمعت به في عمان واستمعت الى محاضرته حول ذلك الموضوع ، وتحدثت معه طويلا ، مما أوحى إليَّ بأنه قانع قناعة تامة ، بما كتب وحدث .

٤ ـ المستشرق النمساوي الذي أعلن اسلامه سنة ١٩٢٦ م وسمى نفسه « محمد أسد » وقد حسن إسلامه ، واجتمعت به في مكة ! ويقول في كتابه « الاسلام على مفترق الطرق » ما يلي :

« إن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الاسلامية وكانت الصورة المشوهة عن تعاليم الاسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الاوروبيين من المسلمين ، وغير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر ، مع أن علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير ، وأن تحامل المستشرقين غريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية ، بكل ما لها من ذيول في عقول الاوروبيين الأولين « المستشرقون والأماكن المقدسة » ص ٢١ ـ ٢٣ .

ورغم أنني لست مع الذين يضعون جميع المستشرقين في كفة واحدة إلا أنني أقول إنه يجب أن ننظر بحذر ويقظة لكل ما يكتب عن الاسلام ، وخصوصا ما يتعلق بالرسول والقرآن وترجمته ، ونتأكد من عدم وجود الاخطاء المقصودة وغير المقصودة ، حتى لو كان ما يكتب صادرا عن مسلمين غير اوروبيين ، فإن بعض ما يكتبه أو يعلنه المسلمون غير المختصين خصوصا من ينصِّبون من أنفسهم أوصياء على الاسلام ، يضر بالاسلام ودعوته أكثر مما يضر قول الآخرين .

الحركة المعادية

ومن أشد الحركات المعادية إيذاء للاسلام والعروبة ، وتأثيرا على قضيتنا في القدس وفلسطين ، الماسونية وأمثالها من الحركات المشبوهة التي لا تفرح إلا حيث تتمكن الصهيونية وتنفث سمومها ، وكلها من مرتكزات الصهيونية التي تعتمد عليها ، وأتباع هذه الحركات لا يدعون وسيلة لتحقيق اهدافهم إلا اتبعوها كالرشوة والاغراء بالمال والنساء ، واخيرا الارهاب والعنف ، كما نسمع ونرى في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ، ونرجو من المخدوعين بهذه الحركات ومروجيها ، أن يتنبهوا لمدى أخطارها وأضرارها على أمتهم

وذراريهم وقضاياهم والمبادرة الى التنصل منها ومن كل حركة تهدف الى ما يتنافى مع عقيدتنا وحضارتنا وحفظ شخصيتنا ومصالح أمتنا . بحث الماسونية من مرتكزات الصهيونية ، من كتاب ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى ص ١٦١ .

إشاعة وسائل الترف والحفلات الماجنة

ومن مظاهر الغزو الثقافي الذي يفسد علينا مجتمعاتنا ما نراه ونسمعه في الاذاعة المرئية وغير المرئية ، من أفلام خليعة وأقوال وعمليات مخزية تتعلق بالجنس ، ومنها تقبيل الرجال الأجانب للنساء الأجنبيات وبالعكس ، على مرأى ومسمع من الآخرين ، وما يحدث في الحفلات التي يتبارى الناس في ترفها ومجونها ، حتى تصل الى ارتكاب المحرمات وعمل المنكرات ، مع استباحتها والنظر اليها نظرة التطور والتقدم ، وهي في حقيقتها إفساد لأخلاقنا وتغريب لمجتمعاتنا ، وانحراف في تقاليدنا ، وبعد عن تعاليم ديننا .

وأن ما نراه اليوم من انحلال خلقي وفساد اجتماعي وتخاذل سياسي ، وهيمنة استعمارية امبريالية ،في المجتمعات العربية والاسلامية ليس إلا نتيجة حتمية لتغلغل ذلك الغزو بمختلف صوره وأشكاله حتى أصبحنا ننظر الى الجهاد واستعادة المقدسات وحفظ الكرامات نظرتنا الى المستحيلات ، مع أننا لو تخلينا عن آثار ذلك الغزو والتبعية لأصحابه ورجعنا الى منابع حضارتنا ومصدر أمجادنا لأدركنا أن السبيل الوحيد لاستعادة أوطاننا ومقدساتنا وعزتنا هو التخلص من ذلك الكابوس المخيم فوق رؤوس بعض قادتنا وكبرائنا نتيجة ذلك الغزو الفكري المتغلغل في أعماق أعماقهم ، حتى أفسد عليهم سلامة تفكيرهم وممارساتهم ، مع أن الايمان الصحيح يستلزم أ لا يكون المؤمن مستعبدا لغيره وأن يستقل مع إخوانه المخلصين بوضع القرار وتنفيذه على وجه يحفظ الشخصية الاسلامية العربية ويعيد العزة والكرامة ويضع حداً للشحناء والبغضاء والنزاع بسبب أنانيات شخصية ومصالح ذاتية ، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على أننا لا نزال في أغلال الاستعمار والاستعباد الفكري الذي حَدَّ من حريتنا وسلامة تصرفاتنا ، وأبعدنا عن مواقف التضحية بكل ما نملك في سبيل إعزازنا ، وحرياتنا والاحتفاظ بشخصياتنا ، وهذه المواقف هي ما يقتضيه الايمان ويستلزمه الاسلام ، ويعيد لنا مكانة الاحترام في نظر الدول والشعوب على اختلافها ، فإلى هذه المواقف يجب أن نسير ، في عز وتصميم . ونختم كلمتنا بقول الله سبحانه :(**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون**) الحجرات / ١٥ .

المسيحية والسيف

للاستاذ/معالي عبدالحميد حمودة

منذ سنوات بعيدة والأجهزة الاعلامية الصليبية - وغيرها - تنشر افتراءات مروعة على الاسلام تتجمع تلك الافتراءات في عبارة واحدة هي « أن الاسلام انتشر بالسيف » . ومنذ سنوات بعيدة تخرج آلاف المؤلفات والأبحاث النصرانية لتواصل الافتراء على الاسلام مرددة المزيد من الافتراءات تحت عبارة مخادعة هي : البحث العلمي والمقارنة بين الأديان .

والحقيقة أن الاعلام الاسلامي وقع في خطأ خطير وذلك في مقام الرد على تلك الافتراءات فرأينا الكثير من الباحثين المسلمين يتصدون لهذا وكأن الاعلام الصليبي وصى علينا ورقيب . في حين ان الرد على الافتراءات التي يروجها الأعداء ضد الاسلام ينبغي أن تكون ردا على تلك الافتراءات من جهة ومن جهة اخرى - مرتبطة بما سبق - ينبغي علينا ان نقلب في تلك الصفحات « الوريقات » التي يقال لنا إنها كتب مقدسة ومن ثم نتدارسها ونخرج منها بما يسكت الألسن النصرانية الصليبية ويخرسها ويجعلها تتوقف عن توجيه الافتراءات ضد الاسلام

ولنحقق أخيرا إن من يسكن بيتا من زجاج فمن العقل والحكمة ألا يرجم الناس بالحجارة .

وفي معرض تصدينا للافتراءات الموجهة ضد الاسلام فإننا نوجه السؤال بطريقة أخرى وهو : ما شأن المسيحية هل انتشرت بالدعوة الحسنة أو بالسيف ؟ ومن هذا السؤال يكون المنطلق للبحث في وريقات غير المسلمين التي يقال لنا إنها مقدسة .

ما وصلنا اليه في بحثنا هذا ، هو أن المسيحية لم تنتشر إلا بالسيف بل إن السيف في المسيحية أصبح « إلها » رابعا ضمن سلسلة الآلهة المزعومة التي تقوم عليها المسيحية المعاصرة .

كان السيف هو الوسيلة الرئيسة لنشر المسيحية بل إن السيف كان الوسيلة الوحيدة لتعامل المسيحية في كل وقت وزمان مع الاسلام بل وبين المسيحية نفسها .

ومع كتب المسيحية المتداولة التي يقال لنا إنها مقدسة ومع التاريخ ومع أقوال المؤرخين المسلمين انفسهم .. ومع الوقائع المادية الحقيقية نتجول لنثبت في النهاية أن المسيحية انتشرت فعلا بالسيف ولولا السيف وأنهار الدماء ما انتشرت المسيحية .

يرى الكثير من المسيحيين أن هناك نصوصا « مقدسة » جاءت فيما يطلق عليه الأناجيل الأربعة المتداولة ، تثبت أن السيد المسيح رسول الله عليه السلام جاء بالسيف ليحرق الأرض ، وليقتل الناس وليقيم المذابح ويسفك الدماء ؟

في الواقع أن عملية التزييف الدينية التي قام بها القطيع النصراني ألحقت الضرر بالمسيحية نفسها ، ذلك أن الأناجيل الاربعة المتداولة كما اثبت البحث العلمي الغربي ، أنها ليست من السماء ولا علاقة للسماء بها . والثابت تاريخيا أن تلك الأناجيل لم يكتبها المسيح ، ولم يقم باملاء كتبتها ، بل كتبها اربعة من الاشخاص يكتنف الغموض بعضهم .

كما أن المتتبع لسيرة السيد المسيح عليه السلام - حتى من الناحية التاريخية المجردة - تثبت أن هذا النبي الكريم عليه السلام لم يجىء بتلك التعاليم التي تبيح القتل وسفك الدماء ، كما أن المسيح لم يخض حربا واحدة في حياته وكانت كل تعليماته - وتعليماته ضاعت واندثرت الى الابد - روحية لا علاقة لها بجهاد أو بحرب او بأي شيء من هذا القبيل .

ولا بأس من أن نتعرض للأقوال التي ينسبها أهل الصليب للسيد المسيح لعل هذه الأقوال تكون خير شاهد على ان هذه الديانة المسيحية المتداولة لا شأن لها مطلقا بما جاء به المسيح عليه السلام من عند ربه تعالى الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وتلك الأقوال ايضا تثبت أن كتبة الأناجيل لا يخرجون عن كونهم مجموعة من الناس تستبيح سفك الدماء والقتل والسلب والنهب من أجل نشر الديانة الدموية : المسيحية المتداولة .

يزعم كتبة الأناجيل أن السيد المسيح قال : « أما أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامى » لوقا ١٩/ ٣٧ .

هذه العبارة المنسوبة الى السيد المسيح عليه السلام أخذها أبناء المسيحية المتداولة ليطبقوها في كل تعامل تعاملوه سواء مع المسيحيين أنفسهم أم مع غير المسيحيين « المسلمين » كما سنعرف من بعض وقائع التاريخ .

تلك العبارة الواردة في أنجيل لوقا يتشدق بها زعماء المجتمعات المسيحية المعاصرة عندما يأخذونها على أنها « دستور » الديانة المسيحية المتداولة ، فإذا اعتدوا على المسلمين قالوا ماذا نفعل وأناجيلنا تقول ذلك ؟ واذا قتلوا الآلاف من ابناء أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : ماذا نفعل ألم يقل لنا لوقا هكذا ؟

والسيد المسيح بريء من هذا كله فلا المسيح أمر به ولا هو قال ذلك .

ونأخذ المزيد من الرغبة في الغزو والتدمير وسفك الدماء من تلك الأناجيل المتداولة فيزعم النصارى أن المسيح قال :

« لا تظنوا اني جئت أنشر السلام على الأرض إنني لم آت أحمل السلام وإنما السيف » أنجيل متى ١٠/ ٣٤ .

وهكذا يجيء النص واضحا في أنجيل متى ليأمر باستخدام السيف وإحلاله محل السلام والوئام والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثم يزعم الندسارى أيضا أن المسيح قال :

« إنني جئت لألقي النار على الأرض وماذا أريد من ذلك إلا اشتعالها ؟ » لوقا ١٢/ ٤٩ .

وهكذا يعلن القطيع المسيحي بكل وقاحة أن ديانتهم تحرض على إشعال الأرض وإذكاء الفتن وحرق هذا الكون بكل ما فيه وما عليه .

وتمضي الأناجيل المتداولة في بث الرغبة الشديدة في التدمير الاجتماعي وإحلال البغضاء والكراهية محل الحب والوئام فيزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قال :

« إني جئت لأفرق بين الولد وأبيه والبنت وأمها وبين زوجة الابن وأمه » متى ١٠/ ٣٥ .

ويواصل القطيع الضال الافتراءات فيزعم القطيع أن المسيح قال :

« إن كان أحد يأتي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا » متى ١٤/ ٣٥ .

وهكذا ..

تعلن المسيحية ـ المتداولة ـ عن وجهها القبيح فتقول لنا إن من شروط التلمذة للسيد المسيح أن يكره الانسان عائلته ووالديه وأولاده وإخوته وأخواته ونفسه وكل شيء .. فاذا لم يفعل الانسان هذا كله فلا يكون تلميذا للسيد المسيح عليه السلام .

على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ وضعنا تلك الفقرات من أناجيلهم

المتداولة لتكون شاهدا عليهم ومع ذلك فنحن لا نرغمهم على أي شيء فقد زعموا ان المسيح إله ثم ابنا للاله ثم روح القدس . ثم زعموا أن الاله نزل من السماء وترك « نفسه » هناك ، واصبح في الأرض ينادي نفسه !! ثم ها هم يقولون بكل صفاقة إن المسيح جاء ليغزو البشرية ليدمرها ويحرقها ويفرق بين الناس !!

والمثير بعد هذا كله أن طوفان المنشورات التبشيرية والتنصيرية يحمل عناوين براقة خادعة مثل :

« دين المسيح دين السلام »

و «المسيحية لا تعرف سفك الدماء »

وغير ذلك من المغالطات التبشيرية ..

يذكر لنا التاريخ أن ما يسمى بالبابا أوربان الثاني « البابا الذهبي » بدأ حروب السيف الصليبي عندما دعا - ١٠٩٥م - حكام أوروبا وشعوبها بالكف عن الحروب المحلية والخروج بدلا من ذلك لمحاربة العالم الاسلامي والاستيلاء على خيراته ، وبعد أن أعلن أوربان الثاني أن المسلمين « كفرة » تستباح دماؤهم ، فقد دعا سامعيه الى تخليص ما يسمى بالقبر المقدس من أيديهم مع وعد بغفران الخطايا لقتلى تلك المعارك بمقتضى « التفويض الرباني » الممنوح لقداسة البابا أوربان الثاني !!

وبدأت بذلك أقذر حروب عرفها التاريخ وهي الحروب الصليبية التي رفع فيها ابناء الصليب السيف لقتل المسلمين .

وكنماذج فهيا نقلب أوراق التاريخ لنعرف ماذا فعلت المسيحية ؟

على سبيل المثال لا الحصر تعهد ريتشارد قلب الأسد بإطلاق سراح أسرى عكا من المسلمين وفقا للاتفاقية بين المسلمين والصليبيين سنة ١١٩١م . وما إن تم لريتشارد الاستيلاء على عكا حتى جمع من فيها من الأسرى المسلمين ، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم ، وقتلهم الصليبي الكافر كلهم طعنا بالرمح وضربا بالسيف !!

وعندما دخل أبناء الصليب القدس ماذا فعلوا ؟ هل استخدموا الكلمة الحسنة ؟ هل عاملوا مخالفيهم في الدين معاملة إنسانية ؟ هل سلكوا سلوكا حضاريا إنسانيا محترما ؟ كلا

إن أبناء الصليب أفحشوا القتل في المسلمين حتى استشهد منهم عشرات الألوف فيهم جماعات من العلماء والأئمة والعباد والزهاد لدرجة أن المؤرخ النصراني الشهير « ميشو » قال :

« تعصب الصليبيين في القدس من أنواع التعصب الأعمى الذي لم يسبق له نظير ، حتى شكا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم فكانوا - أي الصليبيين - يُكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البروج والبيوت ويجعلونهم طعاما للنار ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ويجرونهم في الساحات ويقتلونهم فوق جثث الآدميين » .

وقد دام السيف المسيحي يذبح في المسلمين اسبوعا حتى قتلوا منهم على ما اتفق على روايته - مؤرخو الشرق

والغرب ـ سبعين ألف نسمة .

وها هو المؤرخ « جوستاف لوبون » ـ وهو غير مسلم ـ يسجل في كتابه : حضارة العرب عبارة واضحة لا لبس فيها ولا غموض :

« أراد الصليبيون ان يستريحوا من عناء تذبيح أهل القدس قاطبة ، فانهمكوا في كل ما يستقذره الانسان من ضروب السكر والعربدة ، واغتاظ مؤرخو النصارى أنفسهم من سلوك حماة النصارى مع اتصاف هؤلاء المؤرخين بروح الاغضاء والتساهل فنعتهم « برنارد الخازن » بالمجانين وشبههم « بودوان » الذي كان رئيس أساقفة « دول » بالفرس التي تتمرغ في الأقذار » .

وينقل جوستاف لوبون قول المؤرخ النصراني « الراهب روبرت » الذي قال يصف فظائع الصليبية في القدس :

« كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها ، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ويقطعونهم إربا إربا ، وكانوا لا يستبقون إنسانا وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، فيالعجب ويالغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة .. وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعا ذهبية فيالشره وحب الذهب ، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث .. ثم أحضر « بوهيموند » جميع الذين اعتقلهم في برج القصر وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعافهم ويسوق فتيانهم وكهولهم الى انطاكية لكي يباعوا فيها » .

وهكذا قدمنا نماذج بسيطة لما فعله السيف المسيحي بالمسلمين .. في إجرام وقسوة وسفك دماء لا شبيه له في التاريخ ..

السيف المسيحي يذبح المسيحيين :

قدمنا فيما سبق مجرد نماذج للمسيحية عندما تنتصر وعندما تدخل بلدا مسلما .. فقد استخدمت السيف بل ومازالت تستخدمه ـ ووسائل القتل المتطورة حديثا ـ ضد المسلمين في المجتمعات المعاصرة ولم يتغير الوضع كثيرا منذ أيام البابا أوربان الثاني حتى يومنا هذا ، وكل الساسة والقادة ورجال الدين المسيحي لا هم لهم سوى نشر المسيحية بالسيف طلبا لبركات يسوع وتنفيذا لتعليماته .

ونقلب أوراق التاريخ لنتوقف عند سنة ١٢٠٤ ميلادية وهذه السنة شهدت وقائع مثيرة بل ومروعة ، ففي هذه السنة وقعت مذبحة دامية قام بها السيف المسيحي . وليس هناك غرابة في أن المسيحية تستخدم السيف ، ولكن الغرابة تكمن في أن أبناء المسيحية ذبحوا بالسيف ابناء المسيحية ؟

فعندما اقتحم الصليبيون القسطنطينية سنة ١٢٠٤م لم يتورع

القطيع الصليبي عن نهب الكنائس والاعتداء على أهاليها المسيحيين وهم « اخوانهم في الديانة المسيحية » .

فما جرى ؟

عندما وصل فرسان الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية « وكانت مدينة مسيحية » ، كانوا يجوسون بخيولهم شوارع المدينة وتوقفت الحركة التجارية ودأبت جماعة من عساكر الحملة الصليبية السكارى على نهب القرى وضواحي المدينة وأتى حريق هائل على حي بأكمله ، حينما عمد بعض الفرنسيين - من فرسان الحملة - بدافع التقوى والتدين إلى إشعال الحريق بمسجد يؤمه التجار المسلمون القادمون إلى المدينة ..

وسارت وقائع التاريخ في الحملة الصليبية الرابعة كما هو معروف إلى أن سقطت القسطنطينية المسيحية في أيدي المسيحيين ، ماذا جرى ؟

انطلق الفرسان الصليبيون - الفرنسيون والفلمنكيون - وقد تسلطت عليهم الشهوة للتدمير فاندفعوا كالرعاع الهائجة يجوبون الشوارع ويدخلون البيوت ، ينتزعون كل ما يتراءى لهم ، من قتل ونهب واقتحام مستودعات النبيذ لينتشوا منها ، ولم يفلت من التخريب الا الأديرة والكنائس والمكتبات ، بل حدث في كنيسة القديسة صوفيا ذاتها أن جرت مشاهدة العساكر السكارى يمزقون الستائر الحريرية ، ويحطمون الأواني الفضية الكبيرة ، ويدوسون بأقدامهم « الكتب المقدسة » والأيقونات .

وشرب الفرسان الخمر في أواني المذبح المقدس في بهجة وسعادة .. وتربعت إحدى العاهرات على كرسي البطريرك وأخذت تشدو بأغنية فرنسية بذيئة العبارات بل وتعرضت الراهبات للاغتصاب في أديرتهن .. وأخذ الجرحى من النساء والأطفال يلفظون أنفاسهم في الشوارع .

وظلت مناظر النهب وسفك الدماء المريعة مستمرة خلال ثلاثة أيام حتى أصبحت المدينة الجميلة تسبح في نهر من الدماء وكان حقا ما قاله المؤرخ الصليبي « نكتياس » « إن المسلمين أكثر رحمة منهم » .

وهذا نموذج من النماذج التي تثبت أن المسيحية استخدمت السيف الدامي حتى في تعاملها مع نفسها .

نماذج لانتشار الديانة المسيحية بالسيف :

عندما نستقرىء تاريخ انتشار المسيحية في أوروبا فإننا - لضيق المقام - نقدم نماذج بسيطة عن انتشار المسيحية في أوروبا وإن هذا الانتشار لم يتم إلا بالسيف والمؤامرات الدموية . ففي فرنسا وألمانيا مثلا في عام ٤٩٣ تزوج الملك كلوفيس من أميرة مسيحية وقامت هذه الأميرة ببذل المحاولات المستميتة لتنصير كلوفيس فلم يتحقق لها النجاح ، وعندما هدد كلوفيس بالقهر في معركته ضد أعرق الشعوب الألمانية فانه أقسم في وقت الخطر على أن يصير

خادما لاله المسيحيين إذا كان النصر حليفه ، وتعمد الملك يوم عيد الميلاد عـام-٤٩٦-ومعه ثـلاثة آلاف من مقاتليه .

وما فعله الامبراطور شارلمان جد خطير فقد استخدم هذا الـداهية السيف المسيحي ومعه مجموعة من العقائد الـدينية المسيحيـة لارغام الناس وإجبارهم على اعتناق الديانة المسيحية ، فقد سجل مثلا أنه في إحـدى المنـاسبـات قتـل ٤٥٠٠ سكسوني « من سكسونيا » في يوم واحد ، بل أن قوانين الدولة وقتها كانت تنص على « أن أي سكسوني غير معمد يحاول أن يختبىء بين شعبه ويرفض قبول التعميد مسيحيا سوف يقتل » .

وعن النرويج وكيف دخل شعبها إلى المسيحية فان الشعب النرويجي لم يعتنق المسيحية إلا بحد السيف ، فهـذا الملك « أولاف تـريجفسن » عندما أصبح ملكا للنرويج استخدم كل الوسـائل التي تجبـر الشعب النـرويجي على اعتنـاق الـديـانـة المسيحية ، وكان المبدأ المعمول به أن الشعب عندما يرى أن الملك أصبح مسيحيا يلوح لهم بالسيف ، فإن الشعب ـ في إذلال وخضوع ـ يسارع على الفور باعتناق الديانة المسيحية هربا من السيف والذبح .

وما جرى في السويد والدنمارك من إجبار شعوبها على اعتناق المسيحية بالسيف أمر يثبته التاريخ الغربي المعاصر .. وفنلندا .. وبروسيا .. بل وروسيا نفسها .. وبولندا .. والمجر وغير ذلك من الأقطار الاوروبية لم يعتنق شعب واحد من تلك الشعوب الديانة المسيحية إلا بالسيف وسفك الدماء .

وهكذا ..

واذا نحن قد وصلنا إلى ختام الكلمة ، فقد استبان لنا أن المسيحية لم تنتشر إلا بالسيف ، واستخدمت السيف أيضا في مواجهتها للديانة الاسلامية واستعملت السيف فذبحت آلاف المسلمين في القدس .. وغـير القدس .. ثم استخدمت المسيحية السيف في نشر ديانتها بين المجتمعات الأوروبية . وكان القتل ولا شيء غير القتل هو المقابل الوحيد لمن رفض من الـوثنيين ـ في أوروبـا ـ المسيحية دينا ..

وكما قدمنا في مطلع الكلمة إن النصارى يرتكزون الى بعض العبارات الواردة في الأناجيل المتداولة .. ثم جاءت العصابة المكونة من البابوات ورجال الدين ، وسنت هذه العصابة دستورا همجيا استمر على مـدى العصور ، وهو أن يرفع السيف أولا ووراءه الصليـب .. وجـاء قـادة المجتمعـات المسيحيـة ـ القـديمـة والمعاصرة ـ كلهم دون أي استثناء يـرون أن المسيحيـة لا تنتشر إلا بـالسيف ، ومن ذلـك أنهم رتبـوا سيـاساتهم عـلى هـذا الـدستـور الهمجي .

ولذا لم يكن من المصادفة أن يقوم الصليبيون المعاصرون بزرع جسم غريب في قلب الأمة العربية الاسلامية هذا الجسم « هو اسرائيل » .. يجمع

الصهاينة واللصوص وأهل الحقد ، وقاموا بمعاونة زعيمة الصليبية بالاستيلاء على أرض فلسطين ، وأقامت لها فوق الأرض المسلمة كيانا دمويا غير شرعي ..

ولم يكن من المصادفة أن تظل زعيمة الصليبية واقفة وراء اسرائيل تمدها بكل شيء من أجل إجبار المسلمين جميعا على الخضوع للصليب .. ذلك أن الكثير من شبابنا لا يعرف حقيقة الصراع بيننا وبين غير المسلمين « نصارى أو صهاينة » إنها معركة عقيدة .. وليست معركة من أجل ظواهر جغرافية .. ليست معركة من أجل نهر من الأنهار أو هضبة من الهضبات أو مدينة من المدن ولكنها معركة العقيدة ..

إن المسيحية المعاصرة تكشف عن نفسها جهارا في تحد حضاري خطير للاسلام والمسلمين ، وتعلن المسيحية المعاصرة أنها ترفع السيف الصليبي لتذبح به كل من يرفض المسيحية المعاصرة بيد أن ساسة المجتمعات المسيحية قد تسلحوا بقليل من الذكاء إذ أنهم قد درسوا وقائع التاريخ والصراع بين المسلمين وغير المسلمين ، فرأى الساسة النصارى أن يقيموا جدارا صهيونيا في قلب الأمة العربية المسلمة ، ويقوموا بامداد هذا الجدار بكل الوسائل المادية والمعنوية ، وتقف المسيحية المعاصرة ذات الأنياب الدموية الصليبية تلعق لسانها ترقبا للحظة المنتظرة ، وهي سقوط العالم الاسلامي .

والاسلام لن يسقط فهو دين الله .. وإن مجتمعات الاسلام لن تسقط بإذن الله تعالى مادام فيها من يجاهد ـ كل حسب طاقته ـ من اجل العودة الى الله تعالى ومن أجل إقامة مجتمعاتنا ـ عقيدة وشريعة ـ حسبما أمر الله تعالى وحسبما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وختاما .

إن الذي انتشر بالسيف لم يكن الاسلام فلم يعرف في تاريخ الاسلام أية واقعة من وقائع نشر العقيدة بالسيف .. وأن الذي انتشر بالسيف لم يكن إلا الديانة المسيحية .. وخليق بهؤلاء الأفاعي والعقارب الزرقاء والسوداء والحمراء أن يلتزموا الصمت وأن يكفوا عن افتراءاتهم القذرة ضد الاسلام والمسلمين .

وقاتل الناس .. وسافك الدماء عندما تضيق به الأمور وينكشف أمره فانه لا يجد إلا أن يقول إن منافسه هو القاتل وسافك دماء .

وقد استبان لنا أن القاتل .. وسافك الدماء .. ليس إلا السيف الصليبي .. وأنه لو لم يستخدم السيف لما كان هناك مسيحية ولكان الكون قد استراح من هؤلاء القتلة .. السفاكين .. السفاحين .

قال تعالى :

(ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) البقرة/ ١٠٩ .

من معطيات الحضارة الغربية :

التلوث الفكري

للاستاذ / علي القاضي

ما المقصود بالتلوث ؟

شاع في العصر الحديث استخدام كلمة تلوث البيئة ـ ويقصد به الحالة الناتجة عن التغيرات المستحدثة في البيئة والتي ينتج عنها للانسان التأذي أو المرض أو الوفاة ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ او عن طريق الاخلال بالنظم البيئية السائدة .

وقد اهتمت الدول والأمم المتحدة بهذه الظاهرة وأصبحت تناقشها وتتعرف على مصادرها وتعقد المؤتمرات لمناقشة الأخطار الناجمة عنها وترسم الطريق لتلافيها وتصدر التوصيات للدول المختلفة للعمل على الابتعاد عنها وبذلك يمكن للانسان أن يعيش بعيدا عن المتاعب الصحية .

التلوث الفكري :

ثم سار هذا التعبير وأصبح يطلق على أشياء أخرى ومنها التلوث الفكري **ومعنى ذلك :**

« أن فكر الانسان الذي كان صافيا نقيا أصبح متأثرا بمؤثرات خارجية مختلفة تعود عليه بالضرر في تقديره للامور وفي توجيه صاحبه الى أمور تعود عليه وعلى مجتمعه بل وعلى الانسانية أحيانا بالاضرار المختلفة .

وقد لا يظهر الأثر واضحا على المدى القصير ، ولكن على المدى الطويل تظهر الآثار تباعا الى درجة قد تدمر الحياة على ظهر الأرض .

مظاهر التلوث الفكري :

ويظهر التلوث الفكري في تصرفات الانسان المختلفة التي تعود عليه بالاضرار ، فالانسان يعيش في بيئة طبيعية ـ هذه البيئة صديقة له ـ فهو يتعامل معها بما يعود عليه بالفائدة ، فالغابات والمزارع والحدائق والمناظر الطبيعية الخلابة تساعد على تنمية الذوق الهادىء عند الانسان وتريح أعصابه من ضغوط المدنية ـ ولكن تلوث فكر الانسان يجعله لا يلتفت الى هذه الفوائد ولا يعمل على ابقاء الصداقة بينه وبين بيئته ـ ومن هنا فإنه يعمل على تخريب هذه المناطق

الفسيحة من المزارع والغابات والحدائق بسبب أو بغير سبب .

السرعة :

ومن مظاهر التلوث الفكري رغبة الانسان في السرعة الهائلة في كل تصرف من تصرفاته ، مما يطبع الحياة بطابع من التوتر الدائم لدى الانسان بدلا من ان يكون هذا التوتر في فترات قليلة يمكن ان يستريح الانسان منه فيعود الى حالته الطبيعية ـ ونتج عن ذلك انتشار امراض المدنية الحديثة التي يتجلى معظمها في التوتر الدائم ـ نتيجة للارهاق النفسي والاجتماعي الذي يؤدي بشكل طبيعي الى شعور بعدم الارتياح من الحياة بوجه عام ـ ونتج عن هذا التوتر الدائم زيادة حوادث الانتحار .

وتدل الاحصاءات على انه في عام ١٩٧٧ ـ انتحر ما يقرب من خمسة آلاف مراهق أمريكي من الجنسين ، وقد حاول مائة الف آخرون أن ينتحروا ـ كما فكر ثلاثمائة الف في الانتحار ـ وهذا الرقم يمثل ١٥ ٪ من الشباب الامريكي ـ وعدد النساء من هؤلاء نحو ٨٠٪ .

عدم القناعة في متطلبات الحياة :

لكل انسان ضرورات في هذه الحياة لا يمكن أن يستغني عنها ، كالطعام الذي يقيم أوده ، والملبس الذي يزين به نفسه ، والبيت الذي يأويه ، والدابة التي يركبها ، فما زاد على ذلك فهو من وسائل الرفاهية ... ومع ذلك فان الانسان قد يتعدى مرحلة الرفاهية الى مرحلة عدم الاكتفاء بشيء مهما كان ـ وعلى عدم الاقتناع بما تصل اليه يده من المأكل أو المشرب أو الملبس أو المسكن أو وسائل المواصلات ـ وبخاصة وأن التقنية تتيح له في كل يوم ألوانا من المخترعات والمنتجات فيها الطريف والجديد والمحسن وما الى ذلك ـ وأصبح يتوق دائما الى كل جديد يظهر في السوق ـ وهذا يسبب له جهدا فكريا يرتكس على جسمه وعلى صحته بوجه عام ، وذلك كله نتيجة النمو المفرط لغريزة حب الاستطلاع وغريزة التملك التي فرضتها المدنية الحديثة حاليا .

كما أصبح لدى الكثيرين جشع في الغذاء ، سواء أكان ذلك من ناحية الكم أم من ناحية الكيف ، وهذا يؤدي الى سوء التغذية ـ اذا كان الغذاء غير متكامل لا يشتمل على كل ما يحتاج اليه الجسم ، أو اذا كان زائدا عن الحاجة يؤدي الى الاجهاد العصبي ، وأمراض جهاز الهضم أو الشرايين أو الاصابة بالسكري أو ما الى ذلك .

وهناك من يميل الى الرشاقة فيتخذ ريجيما قاسيا ـ فلا يأخذ الجسم كفايته من الغذاء ـ فيؤدي هذا الى النحافة من ناحية المظهر أو الى ظهور بعض الأمراض كالسل وفقر الدم والانهيار العصبي .

والعناية بهذه النقطة خطوة هامة في تحقيق نوع من الحضارة التي يتطلبها العالم بالعقل ، والتي تؤمن للناس الراحة النفسية والاتزان النفسي في كافة تصرفاتهم وشؤون معاشهم .

الاكتئاب :

ومن مظاهر التلوث الفكري الاكتئاب ـ يقول الدكتور الفرنسي زاريفيان : ان زيادة نسبة الاصابة

بمرض الاكتئاب ترجع الى أسباب كثيرة منها :

● ان حجم المعلومات التي أصبح على الانسان أن يستوعبها قد ازداد بشكل هائل ـ وأصبحت الذاكرة من جراء ذلك متعبة ـ اضافة الى التغيرات العميقة في الحياة الاجتماعية التي أصبحت تلزم الانسان بالتكيف معها ـ بصرف النظر عن قدرات الانسان على التكيف مع هذه التغيرات .

وينصح الطبيب الفرنسي الفرد : بأن يدرب الانسان نفسه على تهدئة الصراع الداخلي ـ وذلك بقدر من عدم الاندفاع وباعطاء نفسه فترة للتأمل قبل الرد ـ ويتعلم الصمت قليلا قبل الاجابة على أي موقف قد يحوله الى شخص ثائر ، وأن يجتهد ليكون متماسكا على الدوام ، وأن يحدد أهدافا قريبة غير مبالغ فيها حتى يستطيع تحقيقها ـ وبالتالي يصل الى درجة من الاتساق النسبي مع نفسه .

- صحيفة الراية القطرية في ١٧/١١/١٩٨١ -

ومن مظاهر الاكتئاب ـ عدم قدرة الانسان على التأقلم عند حدوث أي تغير في حياته « ولو للأحسن » يقول الدكتور : هانز ستانلي « استاذ علم النفس الامريكي » الذي أجرى دراسة مكثفة حول مرض الاكتئاب :

« ان عدم قدرة الانسان على التكيف مع متغيرات الحياة وعدم القدرة على التمييز بين التحديات البناءة التي يواجهها الانسان في حياته المادية اليومية والأحداث المثيرة ـ قد تؤدي الى الاصابة بالامراض النفسية التي تؤدي في النهاية الى اصابته بالامراض والى احتمال موته المفاجىء » .

الانفاق الهائل على الحرب تلوث فكري :

الحرب والتفكير فيها لون من ألوان التلوث الفكري ـ جاء في صحيفة مستقبل التربية التي تصدرها هيئة اليونسكو ـ العدد الرابع عام ١٩٧٧ ـ لجابريل كارسلس ـ رئيس قسم الاحصاء عن التربية باليونسكو ما يأتي :ـ

في عام ١٩٧٤ خصصت دول العالم ٢٩٥ الف مليون دولار للأغراض العسكرية ـ وذلك يعادل ١٥,٦٪ من القيمة الاجمالية للدخل القومي .

والزيادة في الانفاق الحربي ـ ارتفعت ما بين عامي ١٩٧٤/١٩٧٦ في الدول المتقدمة الى حوالي ٦٠ الف مليون دولار .

وتقول الاحصائية : ان الدول العربية أنفقت على التسليح عام ١٩٧٤ـ ٨٩٣ر٧ آلاف مليون دولار بنسبة ٨,٣٪ من الدخل القومي ـ وأنفقت على التعليم ٤,٥٧٠ آلاف مليون دولار بنسبة ٤,٨٪ .

وأعلن تقرير للمعهد الدولي لابحاث السلام في استوكهولم :

« أن حجم الانفاق العسكري بلغ ٦٥٠ مليار دولار خلال ١٩٨١ .

ومن مظاهر التلوث الفكري في ميدان الحروب الاسلحة الجرثومية ـ حيث تقوم بعض الدول بنشر عدد من الفيروسات المسببة لعديد من الامراض الخطيرة مثل الكوليرا أو الطاعون ـ والقنبلة الواحدة في استطاعتها أن تحدث العدوى على نطاق الف كيلو متر مربع ـ مع موت ما لا

يقل عن ٥٠٪ من سكان تلك المساحة .
وكذلك استخدام الاسلحة الكيماوية من غازات خانقة أو غازات شالة للأعصاب .
وكذلك استخدام الاسلحة البيولوجية أو حرب الميكروبات ـ ولها فاعلية شديدة في شل الجملة العصبية عن طريق فعلها الحاد في ايقاف النقل العصبي بحيث تؤدي في النهاية الى الموت عن طريق الاختناق .

العنف : من التلوث الفكري

وظاهرة العنف التي انتشرت في الغرب لون من ألوان التلوث الفكري فقد نشرت الحكومة الامريكية أن عدد الجرائم في عام ١٩٧٠ كان يزيد على المليون ارتفع في عام ١٩٧٥ الى ١١,٥ مليون منها عشرة ملايين ضد الممتلكات و ١,٥ ضد الافراد .
وأن ضحايا الأفراد في القتل في عام ١٩٧٠ هو ٢١,٥ الف قتيل .

وفي باريس :

ازداد العنف بصورة ملحوظة ـ مما اضطر الحكومة الفرنسية الى تأليف لجنة سنة ١٩٧٩ برئاسة بريفيت وزير العدل لدراسة هذه الظاهرة ـ وقد توصلت اللجنة الى الآتي :

أسباب العنف :

العنف ناتج عن الشعور بعدم الامان الذي ساد في الفترة الأخيرة وأصبح هناك : عنف اجرامي ، وعنف اقتصادي ، وعنف في الرياضة ، وعنف في الحروب ، وعنف في الارهاب السياسي ، وقد ثبت للجنة أن :
٦٩٪ من عينات البحث لا يلجئون الى الشرطة لحل مشكلاتهم لأنهم لا يثقون في امكاناتها .
وأن ٢٠٪ تدرب لذلك على الكاراتيه والجودو ليدافعوا عن أنفسهم .
وأن ١٢٪ أحكموا اغلاق أبواب منازلهم .
وأن ٦٠٪ يملكون أسلحة مرخصة للدفاع عن أنفسهم .

كما لاحظت اللجنة :

أن بعض الناس يطلقون النار على بعض الأشخاص ـ لمجرد قيامهم ببعض الضوضاء وذلك بسبب الضيق والتوتر .
وأن ٢٥٪ من السكان تواتيهم الرغبة في ضرب انسان ـ أي انسان ـ مرة على الأقل كل أسبوع وأن نصف سكان باريس ـ اعترفوا بأنهم يتعاركون بشكل مستمر مع أحد أفراد العائلة وقد سجل عام ١٩٧٦ :
أن ٣٢,٤٠٠ جهاز تلفاز عام ـ تم تحطيمها .
وأن ١١٥١ جهازا تم سرقتها .

الوجه السلبي للعلم والثقافة نوع من التلوث الفكري :

والحضارة الحديثة لها لون سلبي ـ يظهر في عزوف الناس وبخاصة الشباب على ما وصلت اليه المدنية من الرفاهية التي لا تقف عند حد ـ مما حدا بالكثير من الشباب الى الاعراض عن حياة الترف الى حياة الانسان في عصر الهمجية .
كما أن بعض الناس قد هربوا من

حياة المدنية ـ وبدءوا يتناولون المهدئات والمخدرات في صور مختلفة .

وفي دراسة لقسم الدراسات والابحاث الاجتماعية في جامعة ميتشغن تبين منها :

أن نسبة تعاطي المخدرات عموما في أمريكا بلغت ٤٩٪ عام ١٩٧٥ ـ ارتفعت الى ٥٩٪ عام ١٩٧٨ .

وقد تنبأ وليم سايمون وزير مالية أمريكا الاسبق في كتابه :

« حان وقت العمل » في الفصل الاول تحت عنوان « الازمة الامريكية » بنهاية هذا المجتمع فقال :

« مجتمع الحرية والوفرة الذي تعتبره أمريكا من مفاخرها ، وتعتبره مثل حق الحياة، موجود ومكفول للانسان الامريكي ـ هذا المجتمع معرض لأن ينتهي ويتمزق قبل نهاية القرن العشرين .

كيف يكون العلاج ؟

والعلاج من هذا التلوث الفكري يكمن في أن يتجه الانسان الى الايمان بالله تعالى ومعرفة وظيفته في هذه الحياة ـ فالحياة الانسانية جعلت لعمارة الارض طبقا لما رسمه خالق الانسان والحياة ـ وهناك حياة أخرى يلقى الانسان فيها اما سعادة دائمة واما عذابا دائماوالايمان شرط لازم لتصور معنى مفهوم ومقنع للحياة ولابراز قيمة هذه الحياة من جهة أخرى .

والحياة متصلة بالله تعالى ـ وهي جديرة بأن تعاش ولها معنى خالد ، فهموم والمحن والآلام التي يلقاها الانسان اذا أحسن استغلالها تصقل النفس الانسانية وتشحذها ـ وقد تستثير مقومات الصمود حتى تزول هذه المحن وتلك الالام ـ وعندئذ تسترد الانسانية ابتسامتها واشراقها .

والحياة فيها البؤس والنعمة، فيها الصحة والمرض ، فيها الضحك والبكاء ، وهي بذلك تقدم للانسان أنواعا جديدة متواصلة من التجربة مما يتطلبه موقف المسؤولية الهادف .

والحياة في صورها الراهنة معرض غنى بالتجارب الحسية والعقلية والجمالية والأخلاق الدينية ... والقرآن الكريم يلفت النظر الى جمال الطبيعة في صورتها المنظورة وصورتها المعقولة : **(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج)** ق/٦ .

واستشعار الجمال النفسي والروحي في الحياة الزوجية السعيدة **(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)** الروم/٢١ . فهذه النظرة تسمح بالايجابية الواعية لا الساذجة التي تقصراهتمامها وغايتها على المظهر المحدود الموقوت .

وقصر الحياة الدنيا يعتبر في الاسلام مدعاة لاغتنام كل ثانية فيما يفيد الانسان حسيا ومعنويا ـ ذلك لأن الحياة المستقبلية والآخرة يصنعها كل انسان بنفسه الآن .

والايمان كالضوء الذي يوضع خلف الظهور ليكشف عن الأشياء أمامك ـ وضوء الايمان بالوحي السماوي هو الذي يزيل أمية البصر الانساني فيقرأ ـ

العالم ـ في يسر وسهولة ـ في رضا واقتناع ـ فالنموذج يستتبع فكرا وسلوكا وتقيدا واقعيا واضحا .

والاسلام لا يقلل من ايجابية الفرد ودوره في الحياة : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)** التوبة/١٠٥ والآلام والاحزان التي لا يتقبلها الفرد سببها النظرة السطحية والطبيعة الانسانية التي لم تتهذب :

قال تعالى : (إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين) المعارج/١٩ ـ ٢٢ .

والموقف الانساني المثالي ازاء هذه الحياة يتمثل في قوله تعالى : **(لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)** الحديد/٢٣ .

وموقف التحمل والتعالي على المصائب يحبذه القرآن الكريم ـ تلميحا الى مافي بعض المصائب من أوجه الخير الخفية كالآية السابقة أو تصريحا لعدم دقة الحكم أو صحة الحكم الانساني الذي يكره الشيء وهو خير : **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** البقرة ٢١٦ .

وأحيانا يصرح بالحكمة التربوية التي تكمن في مثل هذا اللون من المصائب : **(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات)** البقرة/١٥٥ فهذه الآية تحمل كل مؤهلات التجدد والانطلاق المقنع في كل جيل وفي كل زمان والعمل تحت كل الظروف مهما كانت قسوتها : **(ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل)** هود/٩٣ . وجزاء الله سبحانه وتعالى يكون في الدنيا كما يكون في الآخرة ـ ويكون في الدنيا بالاسلوب الذي يختاره خالق الانسان وهو أدرى بحاجاته في هذه الحياة : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)** النحل/٩٧ وجزاء الله تعالى يكون في الآخرة بالجنة ـ والجنة يجمع لها الاسلام من الصور العديدة ما يجعلها موازية لطاقات المستويات البشرية : **(لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد)** الزمر/٢٠ .

والجنة لا تقتصر على المتع الحسية : **(ورضوان من الله أكبر)** التوبة/٧٢ ثم النظر الى وجهه الكريم : **(وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة)** القيامة/٢٢ و ٢٣ .

من هنا فاننا نرى انه لا بد من اعادة بناء الانسان ـ حتى يمكنه أن يسير على المنهج الذي يبعده عن الفساد في الارض طبقا لفكره الملوث ـ فيحس بأن له في هذه الحياة رسالة سامية وبأنه مسؤول عن تنفيذها ـ وقد تنبه ألكسيس كاريل مؤلف كتاب :

« **الانسان ذلك المجهول** » فقال في كتابه :

« الانسان الحديث أضعفته الحياة العصرية ومقاييسها الموضوعية ـ ولذلك ينبغي علينا ان نعيد إنشاءه في تمام شخصيته » .

القشرة الأرضية

والزلازل والبراكين التي تنتابها

يقول الله تعالى في كتابه العزيز : **(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب)** الرعد/٤ ، استوقفني وأنا اقرأ هذه الآية تعبير « قطع متجاورات » فعدت الى كتب التفسير أبحث عن طبيعة هذه القطع المتجاورة فوجدت أن معظمها قد اتفق على أنها أراض متباينة في نوعية التربة . بعضها ذو تربة طيبة وأخرى ذات تربة غير صالحة للزراعة . ولما كان القرآن الكريم كتابا لا تنقضي عجائبه فقد أحببت أن أنقل للقاريء الكريم ما أوحت لي به هذه الآية وسواها سائلا المولى عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا .

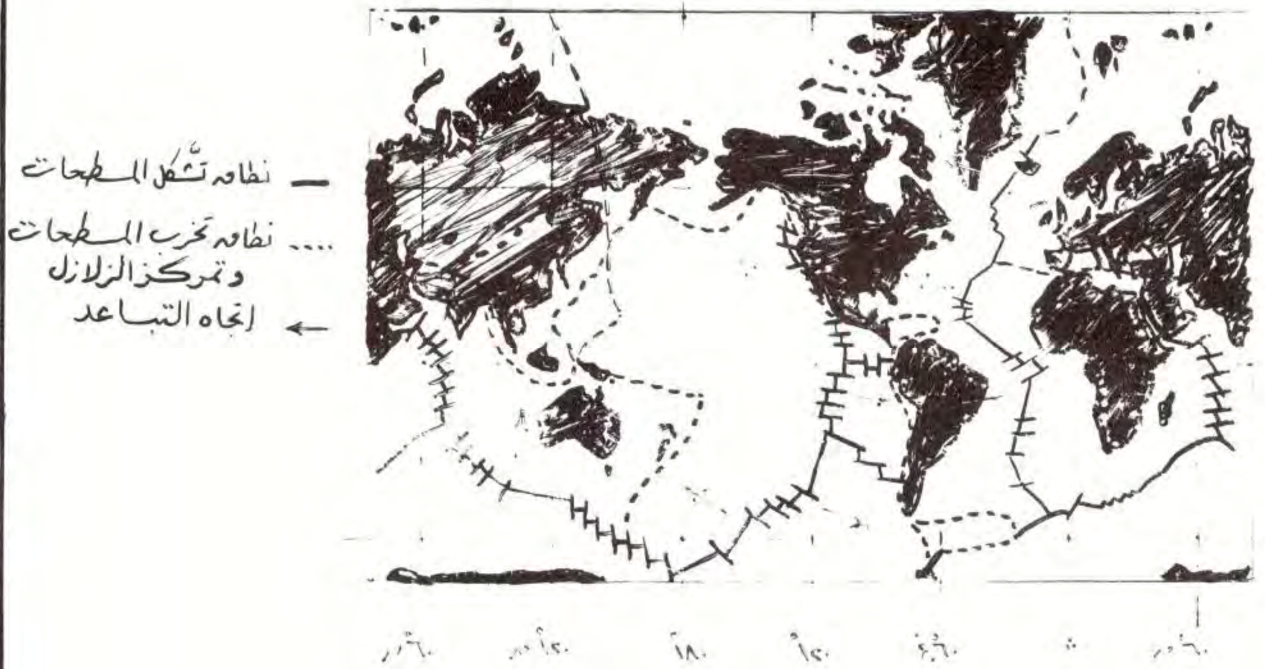
تتراوح ثخانة القشرة الأرضية التي نعيش عليها ما بين (٥ حتى ٥٠كم) وتغطي هذه القشرة طبقة تحتها تدعى الوشاح أو المعطف ويحيط هذا الوشاح بكرة مركزية



للأستاذ / غسان محمد قرة بلا

تدعى النواة . وقد أمكن التعرف على هذه الأقسام من خلال دراسة الهزات الأرضية وتسجيل موجاتها الزلزالية . ولا تشكل القشرة الأرضية سوى غلاف رقيق جدا اذا ما قورنت بنصف قطر الأرض الذي يبلغ وسطيا حوالي (٦٣٧٠)كم . وتزداد كثافة مادة الأرض كلما اتجهنا نحو المركز . ويعتقد العلماء أن الحديد والنيكل هما المكونان الرئيسيان للنواة ، وهو نفس تركيب بعض النيازك التي سقطت على سطح الأرض ، والتي يعتقد أنها قد انفصلت من كواكب مشابهة لأرضنا في تركيبها الكيميائي ، والتي يشكل عنصر السيليكون فيها الجزء الأعظم .

وتتحرك الصخور المصهورة في منطقة الوشاح بشكل دائم بفعل تيارات حرارية تدعى (تيارات الحمل) . وتعتبر هذه المنطقة



المسؤول الأول عما يصيب القشرة من هزات ارضية وحوادث بركنة وطي وتصدعات . وترجع الحرارة الداخلية الموجودة في باطن الأرض الى الضغط الكبير الذي تتعرض له صخور الباطن بفعل ثقل ما يعلوها ، كما تعزى ايضا للنشاط الاشعاعي الناجم عن تفكك بعض العناصر المشعة .

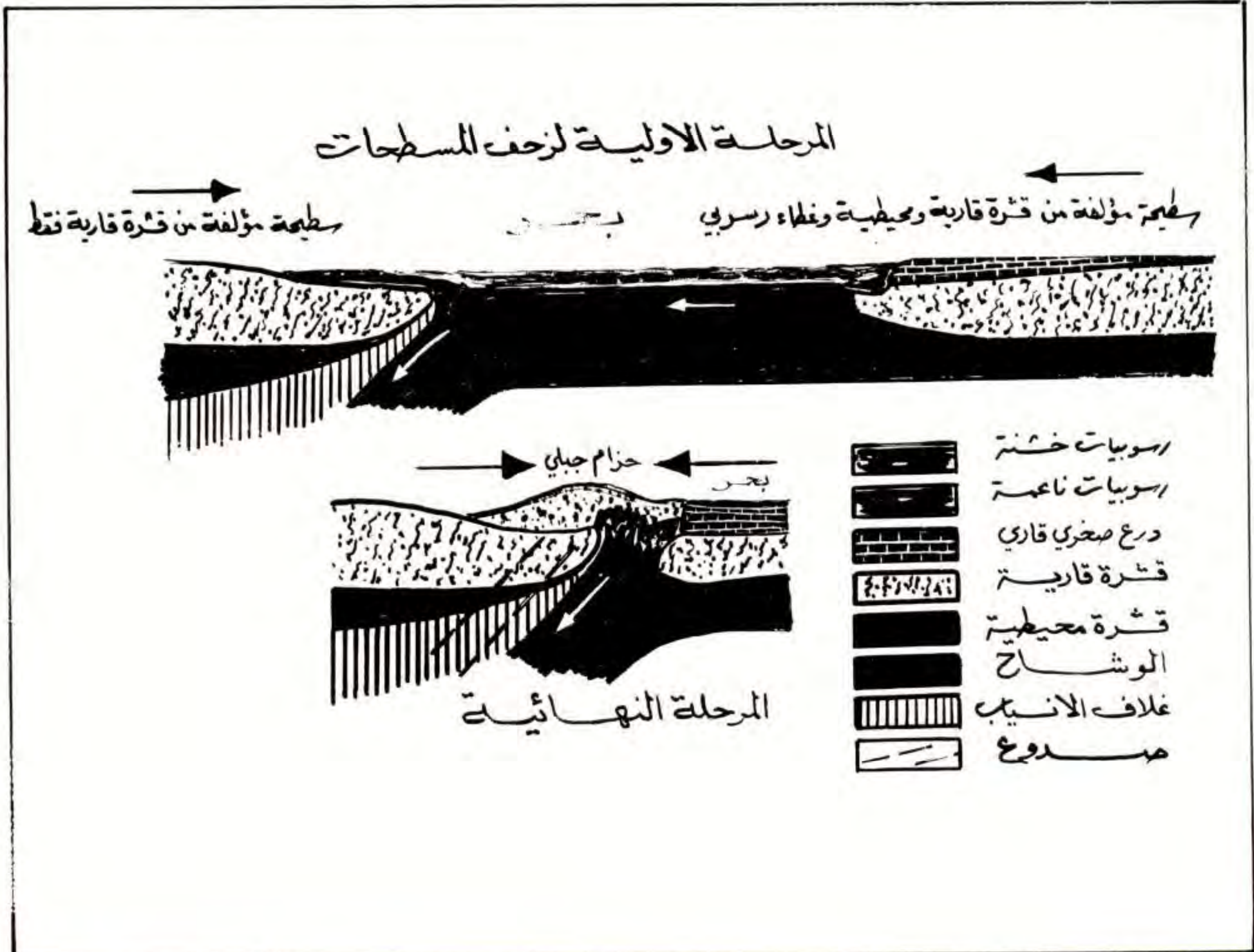
في عام ١٩١٢ اقترح العالم (الفرد وغنر) نظرية تدعى بانزياح القارات ، فقد افترض ان القارات كلها قد تشكلت في كتلة واحدة قبل حوالي (٢٠٠) مليون عام مضت ، ثم بدأت هذه الكتلة بالتصدع ، وتحركت أجزاؤها باتجاهات معينة ، معطية القارات التي نجدها موزعة حاليا على سطح الأرض . وقد استند العالم (وغنر) في نظريته هذه على مقارنة أشكال هوامش القارات مع بعضها والأحافير والبيئات القديمة التي سادت هذه الحواف . وحتى الآن لم يجد الجيوفيزيائيون تفسيرا مرضيا لحركة هذه القارات وتباعد الأجزاء عن بعضها ، على الرغم من ان هذه الحركة لا تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر ، فقد وجد أن الامريكيتين تتباعدان عن اوروبا وافريقيا بمعدل (٢)سم سنويا .

ومنذ عام ١٩٦٥ برز مفهوم جديد يدعى بمفهوم « المسطحات البلورية » . وبناء على هذا المفهوم فان هذه المسطحات تغطي معظم سطح الأرض ، وتستولي على جزء كبير من قشرة المحيط ، وبعضها يحمل فوقه فقط قشرة قارية . وقد قدرت الثخانة

الوسطية لهذه المسطحات بحوالي (١٠٠)كم . ولما كانت تتمتع بصلابة كافية فقد أطلق عليها تعبير (الغلاف الصخري) . أما القسم العلوي من منطقة الوشاح والذي يقع تماما تحت هذه المسطحات فقد اطلق عليه اسم (غلاف الانسياب) وهو بحد ذاته اقل صلابة من سابقه . الرسم (٢)

وتتحرك هذه المسطحات فوق منطقة الوشاح وكأنها جبال جليدية تقوم على وجه الماء . ويحدث احيانا ان تتلاقى المسطحات نظرا لحركتها باتجاهات متقابلة ، وعند حدوث هذا التلاقي فان المسطح الذي يحمل قشرة محيطية يبدأ بالغوص تحت المسطح ذي القشرة القارية ، وذلك نظرا لتباين ثخانة ومقاومة هوامش هذين المسطحين . وتحدث هذه الظاهرة في نطاق يدعى بنطاق (Benioff) . ان هذا هو ما يحدث تماما الآن تحت اليابان .

ويقدر العلماء النهوض الذي يحصل بالقشرة القارية التي رفعت نحو الأعلى بـ (٢٠٠) ملم سنويا . اما المسطح المحيطي فانه يهبط في رحلة اللاعودة حيث ينصهر في منطقة الوشاح . ولا يزال مجهولا حتى الآن فيما إذا كان الهبوط في أحد أطراف قارة ما يكافيء النهوض في طرف قارة أخرى ، أم أن اليابسة في تزايد مستمر ، وتدعى هذه العملية بتخرب المسطحات وينجم عن استمرارها تقلص رقعة المحيط . أما الرواسب التي كانت تنقل من القارة إلى منطقة



الشاطيء البحري فانها تشكل ثقلا كبيرا على قاع القشرة المحيطية مما يجعلها تنحني نحو الأسفل مشكلة وهدة كبيرة جدا مملوءة بالرسوبيات تدعى المقعر ، وينشأ عن استمرار حركة المسطحين باتجاه بعضهما ان تصاب هذه الرواسب بطي عنيف مما يجعلها تظهر من جديد فوق سطح الماء بشكل أحزمة من الجبال وذلك كمرحلة نهائية من مراحل الحركة .

أما عن طريقة تشكل هذه المسطحات فيقول العلماء إن سلسلة الجبال التي تقع في أواسط المحيط الأطلسي هي المحل الهندسي لمواد القشرة الحديثة التشكل التي تخرج من الوشاح بشكل صخور مصهورة . وتضاف هذه المواد الجديدة بشكل متناظر إلى جانبي حافتي السطيحتين « أمريكا الشمالية وابو راسيا (أوروبا وآسيا) » . وقد أمكن اثبات ذلك كما يلي :

● تتصلب الصخور المصهورة فور خروجها من الصدع نتيجة تماسها مع مياه البحر الباردة نسبيا ، ولما كانت هذه الصخور تحتوي على معادن غنية بالحديد فان هذه المعادن التي يكون لها شكل ابري متطاول أحيانا تتصرف تصرف ابرة مغناطيسية وضعت في الحقل المغناطيسي الأرضي . أي ان هذه المعادن تأخذ اتجاها موافقا لاتجاه المغناطيسية الأرضية الذي كان يسود في تلك الحقبة الزمنية الماضية .

وقد أظهرت الدراسات المغناطيسية التي تمت على هذه الطفوح تحت المحيطية أن لمعادنها الحديدية اتجاهات مختلفة ، استخلص منها العلماء الزمن الذي انبثقت فيه . كما تمت ايضا دراسة مشابهة في جزيرة آيسلندا التي تعتبر احدى ذرى هذه السلسلة تحت المحيطية ، وتتعرض هذه الجزيرة حاليا لنشاط زلزالي وبركاني إضافة الى أنها تغوص بشكل بطيء جدا في مياه المحيط الأطلسي .

لم يكتف العلماء بالدلائل المغناطيسية لدعم نظريتهم هذه فقد قاموا بدراسة الهزات الأرضية التي تحدث على أرضنا بمعدل مليون هزة في العام تقريبا بعضها عنيف مدمر وبعضها الآخر لا تشعر به سوى الأجهزة الحديثة . وصنفت الهزات تبعا لعمق مركزها . وقد وجد بأن مراكز الهزات الأرضية القريبة من القشرة او الضحلة العمق تتمركز دوما على هوامش المسطحات بشكل أحزمة ، اما الهزات العميقة التي تحدث تحت القشرة الأرضية بعمق كبير (من ٣٢٠ وحتى ٧٠٠كم) فقد وجد بأن مراكزها بعيدة عن الأحزمة السابق ذكرها . وهذا يتفق مع اطراف المسطحات التي تلتوي نحو الأسفل غاطسة في القسم العلوي لنطاق الوشاح .

يبين الشكل الموضح (٢) اهم هذه المسطحات وهي (أنتراكتيك) - افريقيا - الهند - الأطلسي - شرق الهادي - أمريكا - اوروبا - آسيا - جنوب شرق آسيا - اضافة الى قطع صغيرة متناثرة.ألسنا نستطيع الآن ،

بعد اكتشافنا لطبيعة هذه المسطحات ، ان نفهم دلالة جديدة لقوله تعالى : (**قطع متجاورات**) ؟

ان القوى التي تحرك هذه المسطحات قد تكون ناجمة كما ذكرنا عن تيارات الحمل الحرارية ، وقد تكون ناجمة عن دوران الكوكب حول نفسه وما ينجم عن ذلك من قوى مد تسعى لجر كل الأجسام الموجودة على سطح الأرض من الشرق نحو الغرب ، وقوى الجذب الشمسي والقمري اضافة لجذب نواة الأرض ذاتها للأجسام الواقعة على سطحها . الا ان اهم قوة مقاومة لهذه الحركة هي تلك الأوتاد التي جعلها الله تحت الجبال ، يقول تبارك وتعالى : (**وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم**) الأنبياء/ ٣١ وكذلك في سورة النبأ : (**ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا**) ٦و٧ ، ويعرف العرب حق المعرفة ان الوتد كي يعتمد عليه في تثبيت جوانب الخيمة لابد له من أن ينغرس في عمق يزيد عن ثلثيه في الأرض ، وقد أثبتت الدراسات الجيوفيزيائية أن جزءا كبيرا من كتل القارات ينغرس بهذه الصورة في منطقة الوشاح . وأن هذا الجزء المغمور تحت الجبال قد يبلغ ثمانية أمثال الجزء الظاهر منها .

والآن ، ما السبب الذي يؤدي الى حدوث الزلازل والبراكين اعتمادا على نظرية المسطحات ؟

يقول أصحاب هذه النظرية إن حركة اللي التي تحدث في المناطق الهامشية من المسطحات كثيرا ما تكبح بفعل قوى الاحتكاك الكبيرة بين الصخور . وتتصرف الطبقات الصخرية تحت تأثير هذه القوى الهائلة تصرفين متباينين ، إذ أن هذه الطبقات يمكن أن تنفتل وتصاب بلي شديد مشكلة طيات وجبالا ، خاصة إذا طبقت هذه القوى على فترات زمنية طويلة جدا . أما إذا كانت هذه الصخور من النوع القصيف وتعرضت لقوى مفاجئة فان هزات أرضية شديدة مرتبطة بحدوث تصدعات كبيرة هي النتيجة الحتمية . ويحدث أحيانا أن تصل هذه الصدوع ما بين سطح الأرض وبين ذاك النطاق الواقع تحت القشرة حيث تكون الصخور بحالة مصهورة مما يمكن هذه المواد من الخروج تحت تأثير ضغوط الطبقات العليا وضغوط الغازات المكظومة . وأول ما يخرج من هذه الصدوع هو الأبخرة والغازات ، ويشكل بخار الماء النسبة العظمى فيها (٦٠ ـ ٩٠٪) يقول الله تعالى : (**أخرج منها ماءها ومرعاها**) النازعات/ ٣١ .

ويحدث أحيانا أن تخرج هذه الغازات بصورة مفاجئة ، مشكلة فوق فتحة الصدع غمامة لها شكل فطري ، حارة وخانقة ، نظرا لاحتوائها على بعض الغازات السامة كأول وثاني أوكسيد الكربون . وفي هذه الحالة فان كارثة بشرية كبيرة يمكن أن تحدث في المناطق الآهلة المحيطة بهذه الفوهة ، إن هذا هو ما حدث بالضبط عندما ثار بركان بيليه في جزر المارتينيك عام ١٩٠٢ حيث قضى على نحو (٣٠) ألف نسمة . وتكررت الحادثة ثانية

فوق بركان فيزوف في ايطاليا الذي لم يكتف بسحابة الغاز السوداء القاتلة بل طمر المدينة ايضا برماد ومقذوفات فأزال مدينتي بومبي وهوكولا نيوم من الوجود . ومن المحتمل ان تكون الغمامة الغازية تلك هي المقصودة بالظلة التي وصفتها لنا آيات من سورة الشعراء ، حين تحدثت عن عذاب يوم الظلة : (**فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم**) ١٨٩ الشعراء .

وعقب الغازات يخرج من الفوهة طفوح بركانية سماها العرب (لابة) تتباين في تركيبها تباينا كبيرا . وغالبا ما تكون هذه الطفوح غنية بالحديد والمغنزيوم وفقيرة بالسيليكون فتعطي عند تصلبها صخورا قاتمة اللون يطلق عليها « الصخور القاعدية » و « فوق القاعدية » ويعتبر البازلت ممثلا لهذه الصخور .

إلا أنه يحدث أن تقوم هذه المواد المصهورة خلال رحلة الصعود نحو السطح بهضم صخور القشرة الأرضية الغنية بالأوكسجين والسيليكون ، مما يعطي نوعا مغايرا من الطفوح يؤدي تصلبها الى اعطاء صخور فاتحة اللون ، يدعوها العلماء بالصخور الحامضية . وبين هذين النوعين نمر بحدود وسطية تعطي ألوانا عديدة جدا من الصخور . يقول الله تعالى في سورة فاطر : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود**) ٢٧ فاطر .

ويرافق عادة خروج هذه الطفوح الحامضية انفجارات بركانية عنيفة ، ذلك أن هذا النوع يتميز بلزوجته الكبيرة مما يجعله يتصلب بسرعة فور خروجه من الفوهة . وينجم عن ذلك إغلاق فوهة البركان الثائر ، مما يجعل الغازات الموجودة في الداخل تتفجر تحت ازدياد الضغط الناجم عنها ، دافعة بتلك السدادة نحو الخارج بشكل كتل هائلة . وقد ينجم عن ذلك تدمير شامل للفوهة أو ظهور فوهات ثانوية . وهكذا نجد حتى هذه الجبال الهائلة المؤلفة من أقسى انواع الصخور تقف خاشعة امام قدرة الله القادر على أن ينسفها نسفا كما ذكر في آيات سورة طه : (**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا**) ١٠٥ .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نار ستخرج من حضرموت كشرط من أشراط الساعة تحشر الناس نحو بلاد الشام .

وقد تكون الكسور مقتصرة على جزء عميق من القشرة الأرضية دون ان تصل الى السطح . وفي هذه الحالة فان المواد المصهورة تندفع نحو الأعلى عبر هذه الشقوق متجمعة في مستودعات ضخمة أو مندسة بين فراغات الطبقات الرسوبية . ونظرا لانعزال هذه المستودعات عن الجو الخارجي فان تمايزا ثقليا للمعادن المركبة لهذه الصخور المصهورة والتي تدعى (ماغما) يمكن ان يؤدي الى هبوط المعادن الثقيلة نحو أسفل المستودع بينما تطفو المعادن الأقل

كثافة نحو الأعلى . ويعتبر صخر الغرانيت ممثلا للصخور التي تتشكل أعلى هذه المستودعات بينما نجد صخر الجابرو ممثلا للصخور التي تتشكل أسفل هذه المستودعات . وبين هذين النوعين نمر بحدود وسطية انتقالية .

ويحدث أحيانا ان تعزل أنواع من المعادن تشكل مكامن اقتصادية هامة وقد تضخ هذه المعادن عبر أحد الشقوق فتسيل على سطح الأرض بالحالة المصهورة . وقد اشار القرآن الكريم ايضا الى هذه الظاهرة حينما ذكر في سورة الزلزلة : (**إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها**) ١و٢ . فقد فسر بعض الصحابة تلك الأثقال بأنها الكنوز ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال : « **تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة**) تفسير القرطبي .

وتختلف هذه التوضعات المعدنية باختلاف نوع الصهير ومرحلة النشاط البركاني . وقد صنفها العلماء إلى توضعات انعزاليةوأولية ومتأخرة . وقد وجد أن هذه التوضعات ترتبط بخامات إلى بعض العناصر النادرة مثل النيوبيوم والتنتاليوم والزركون .. ولما كانت هذه المستودعات الماغمية معزولة عن الهواء الجوي فانها تتبرد ببطء ، مما يمكن المعادن المشكلة لهذا الصهير من أن تنمو بلوراتها الى حجم كبير . وهنا تسنح الفرصة لتواجد أحجار كريمة مثل (الماس ـ الزبرجد ـ العقيق ـ الياقوت ـ السفير ـ اليشب ـ الفيروز وانواع مختلفة الألوان من بلور الصخر وغيرها ، مما ليس له مرادفات باللغة العربية) . اضافة لمعادن ذات خواص اشعاعية وايضا الميكا التي تستخدم في الصناعات الكهربائية .

وهناك نوع آخر من التوضعات يرتبط بتلك الغازات والأبخرة الحارة التي تسربت عبر الشقوق الصخرية حاملة معها بعض العناصر التي تسامت مباشرة من الحالة الصلبة الى الحالة الغازية بفعل الحرارة المرتفعة . إن هذه الغازات لا تلبث أن تضع حمولتها بمجرد تبردها مالئة بذلك تلك الشقوق بتوضعات معدنية توصف بأنها من أهم التوضعات المعدنية في العالم نظرا لغناها . وأهم العناصر التي ترتبط بهذا النوع نجد النحاس والرصاص والزنك والاثمد والزئبق والفضة والذهب وبعض العناصر المشعة أهمها الأورانيوم . اخيرا فقد ذكر القرآن الكريم أن الله عز وجل قد أسال لسيدنا سليمان عليه السلام نحاسا مصهورا استمر تدفقه فترة طويلة من الزمن وذلك في أرض اليمن : (**وأسلنا له عين القطر**) سبأ/١٢ .

هل من علمائنا المسلمين من فكر بتحري هذه الكنوز ؟ نسأل الله ان يوفقنا لذلك .

مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ تفسير القرطبي
٣ ـ صحيح البخاري
٤ ـ الجيولوجيا التطبيقية للمهندسين
٥ ـ جيولوجيا التوضعات المعدنية .

أهميّة التبرع

أتطرق الى التكلم عن تعريف الدم ، وعملية نقل الدم والشروط الواجب توافرها ، والى الحالات التي تستدعي نقل الدم ، وإن عملية التبرع هي عملية تبرع لا بيع ، وأخيرا فإن التبرع بالدم مساهمة في الجهاد وعون للمؤمنين .

نسمع كثيرا أن الاطباء يقومون بالقاء محاضرات عن نقل الدم وأهمية التبرع به ، هل هذا دعاية ، أم أنه مساعدة في إسعاف المرضى وإنقاذ الجرحى ، وسد حاجة الأمة في الحالات المفاجئة كحالات الحرب ..؟

تعريف : الدم هو ذلك السائل الأحمر ، الموجود في الأوعية الدموية والقلب ، ويحتوي جسم الانسان حوالي ٥ ـ ٦ لترات من الدم ، وتشكل العناصر الخلوية (كريات الدم الحمراء والبيضاء والصفيحات الدموية) ما مقداره ٤٦٪ من حجم هذا الدم ، أما السائل المعروف بالبلازما فهو يكوّن ٥٤٪ من حجم الدم ، وكذلك يحتوي الدم على الحديد والبروتين وسموم وفضلات الجسم الأخرى .

نقل الدم :

يتم نقل الدم وذلك بأخذ دم من شخص وإعطائه لشخص آخر محتاج اليه ،

بالدم

محمود مؤذن

للدكتور : هشام ابراهيم الخطيب

وهو بهذا يختلف عن الدم المسفوح الذي يسيل ويخرج من العروق متعرجا ، والذي حرّمه الله وفقا لقوله تعالى :

(**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم**) البقرة ـ ١٧٣ .

(**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم ما ذبح على النصب**) المائدة ـ ٣ .

(**قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرّما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا**) الانعام ـ ١٤٥ .

لقد وضع الأطباء شروطا لسلامة عملية نقل الدم منها :

١ ـ الا يقل هيموغلوبين الشخص المتبرع عن ١١ غم٪ .

٢ ـ ان يكون ضغطه الاعظمي فوق الـ ١٠٠ ملم من الزئبق .

٣ ـ الا يكون مصابا بآفة قلبية أو تنفسية .

٤ ـ الا يكون قد أعطى دما منذ شهرين .
٥ ـ الا يكون مصابا بامراض مزمنة كالسل أو الأفرنجي او البرداء أو الامراض التخسيسية .
٦ ـ يجب سؤال كل متبرع بالدم عن إصابته بالتهاب الكبد الوبائي الانتاني ، أو أحد افراد عائلته خلال الستة اشهر السابقة على تبرعه ، لامكان انتقال هذا المرض بواسطة الدم .
٧ ـ اذا اريد نقل الدم مباشرة بعد أخذه من المعطي فلا بد من إجراء تفاعل واسرمان Wasermann test للتحري عن الداء الأفرنجي .
٨ ـ لا يجوز للحامل أو المرضع أن تتبرع بالدم .
٩ ـ أن يكون مقدار الدم المأخوذ متناسبا مع الوضع الصحي العام للمتبرع ويحدد الطبيب الفاحص ذلك المقدار .
١٠ ـ حفظ الدم في المصرف لئلا يتلف .

استطبابات نقل الدم :

أو الحالات التي تستدعي اسعاف المريض أو معالجته باعطائه الدم ، وهي حالات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :
١ ـ الأنزفة الغزيرة والمتكررة : ومنها الأنزفة الجراحية ، والأنزفة التي تحدث في الأمراض النسائية ، ونزف القرحة المعدية ، والنزوف السرطانية وغيرها من أنواع الأنزفة .
٢ ـ الامراض النزفية ، وأهمها الناعور ,Haemophi lia والفرمزية النزفية .
٣ ـ الصدمة الرضية والنزفية : الصدمة هي حالة اختلال في الدوران وتؤدي الى نقص في حجم الدم الجاري ، فالمعالجة الرشيدة هي نقل الدم .
٤ ـ فاقات الدم المزمنة ، كفقر الدم الشديد ، فقر دم البحر المتوسط ، وفقر الدم المنجلي وغيرها .
٥ ـ التسممات ، واهمها التسمم بأول أوكسيد الكربون وإعطاء الدم في هذه الحالة لتخليصه « الدم » والجسم من الهيموغلوبين الذي اتحد مع اول اوكسيد الكربون ، واعطاء المريض كريات حمر قادرة على نقل الأوكسجين .
٦ ـ بعض الانتانات الشديدة .
٧ ـ تغيير الدم للاطفال حديثي الولادة والمصابين بانحلال الدم الولادي بسبب اختلاف زمرة العامل الريزسي R h بينهم وبين والدتهم .

تبرع لا بيع :

إن تكريم الانسان في الاسلام أمر معلوم وواضح ، قال تعالى : (**ولقد**

كرمنا بني آدم) الاسراء ـ ٧٠ ، إن تلك الكرامة تمنع الانسان أن يبيع جزءا منه بيع المتاع والسلع فلا يجوز له أن يبيع شعره من أجل النسيج أو عمل قبعات الشعر المستعار مثلا ، كما لا يجوز له ان يبيع دمه كما تباع الأدوية والمصول الاصطناعية ، واتفق الفقهاء على ذلك .

وجاء في السنّة النبوية المطهرة ما يؤيد ذلك فعن عون بن ابي جحيفة عن أبيه أنه اشتري غلاما حجاما ، فقال : « إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب ، وكسب البغي ، ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة »(صحيح البخاري) .

التبرع بالدم مساهمة في الجهاد وعون للمؤمنين :

إن من افضل القربات عند الله تبارك وتعالى الجهاد في سبيله وإن تقديم العون الى المجاهدين يحصل به المؤمن ثواب الجهاد أو بعض ثوابه بمقدار عونه وصدق اخلاصه ، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهّز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا » رواه الترمذي .

ومن احق من المؤمنين والمؤمنات بالتسابق الى الانفاق من دمائهم لأسعاف المجاهدين مشاركة لهم في الجهاد ، واستبقاء النفس الانسانية التي قال الله تعالى في حقها : (**ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** المائدة ـ ٣٢ ، فالتبرع **بالدم** لا نقاذ مريض ينزف دمه إحياء لهذه النفس .

وعلى المؤمنين الصادقين والمؤمنات رد لهفة المحتاج وتنفيس كربة المسلم ونفع الخلق عيال الله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » رواه مسلم .

وإني لآمل من الشباب المؤمن والشابات المؤمنات ومن الكهول رجالا ونساء من ذوي الصحة الجيدة ، أن يبادروا الى التبرع بشيء من دمائهم عونا للمجاهدين وإخوانهم من أبناء هذه الأمة المدافعين عن كيانها ، المقاتلين لاعداء الله تعالى والوطن ، وإذا كانت الحالة الصحية للمؤمن أو المؤمنة لا تساعدهما على التبرع بشيء من الدم فلا أقل من أن يبثوا الوعي حول التبرع به ، ويشجعوا عليه بين صفوف هذه الأمة ، بعد أن اطلعوا على الضرورات الموجبة له ، ومكانة إسداء العون عند الله تبارك وتعالى ، وفي الدلالة على الخير والتشجيع على عمله أجر عظيم قال صلى الله عليه وسلم : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم .

دور الأسرة والمدرسة في

محمد موزني

لا شك انه يقع على الاسرة دور هام في تكوين الجوانب المختلفة لشخصية الطفل خاصة في مراحل النبت المبكرة حيث يرى علماء النفس ان السنوات الأولى في حياة الطفل هي التي تكون شخصيته وتحدد سلوكه واسلوب تفكيره الذي سيواجه به مشوار حياته الطويل . ويتطلب ذلك ان يكون لدى الاباء وعي تربوي لتوفير جو اسري ملائم وعناية دقيقة تجاه الصغار في مراحل الطفولة المختلفة لتكسبه الشخصية السوية وحتى تهيئه للحياة المدرسية فتتولاه المدرسة لتكمل الدور التربوي فيحدث تكامل بين دور الاسرة والمدرسة في بناء المفاهيم والجوانب المعرفية واهم هذه الجوانب

تنمية التفكير الابتكاري لدى الطفل

للاستاذ : محمد محمد عيسوي الفيومي

تنمية القدرة على التفكير الابتكاري تلك القدرة الانسانية التي يعزي اليها ما احرزته البشرية من انتصارات ومنجزات علمية وفنية وفكرية وفلسفية . اذا نمت لدى الفرد وصل الى حد العباقرة والعظماء وصناع التاريخ انها القدرة المسؤولة عن صنع حضارة الانسان ولذلك فكلما ارتفع مستوى هذه الحضارة وزاد تعقيدها كلما احتاج الفرد لمزيد من الابتكار ليحسن التعامل مع ظروف العصر ونظرا لاهمية هذه القدرة الانسانية كانت محط اهتمام العلماء والباحثين والفلاسفة والمفكرين ولابد ان يسبق عملية الابتكار التفكير .

★ والتفكير كل نشاط عقلي يستخدم

الصور الذهنية او المعاني او الالفاظ والرموز ويشمل التصور والتخيل والتذكر والفهم والتمييز والتجريد والتعميم والتعليل والاستنتاج والفهم : يعني ادراك علاقة بين شيء معلوم وشيء مجهول . كما ان التعميم يقوم على اساس ادراك العلاقة بين شيء معلوم وشيء مجهول وادراك العلاقة بين العام والخاص . او الموقف الحاضر والموقف المستقبل .

★ والتفكير هام في حياتنا فهو يساعد على حل كثير من المشكلات وتجنب كثير من الاخطار . وهو سمة تميز بها الانسان ومنحه الله القدرة عليها وخصه بنعمة العقل اذ يمكن ان يميز بين الخير والشر والصواب والخطأ اذا استخدم الاسلوب السليم في التفكير مصداقا لقوله تعالى : (**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك**) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ .

★ ولقد حرص القرآن الكريم على حماية المؤمن مما يؤثر على قواه العقلية فنهى عن تناول الخمور بقوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**) المائدة / ٩٠ .

ويمر التفكير بعدة خطوات .. كما حددها جون ديوي :

١ ـ الشعور بوجود المشكلة كالرغبة في تفسير ظاهرة طبيعية .

٢ ـ تحديد المشكلة : وتحليلها الى عناصر بسيطة ومعرفة قيمة كل عنصر ومعناه ووظيفته ويستدل الفرد بما لديه من خبرات سابقة .

٣ ـ فرض الفروض : او وضع الاحتمالات المختلفة للحل ويقصد بالفرض الحل المؤقت للمشكلة .

٤ ـ مناقشة الفروض او غربلة الفروض لامكان حذف بعضها غير الصالح والتمسك بالصالح .

٥ ـ مرحلة اصدار الاحكام والوصول الى حل المشكلة وتفسير الموقف المشكل وتشبه هذه الطريقة طريقة خطوات التفكير العلمي .

هل يمكن تنمية القدرة على التفكير الابتكاري ؟

١ ـ إن التفكير الابتكاري عبارة عن عادة يمكن التدريب عليها كالشأن في شتى العادات والمهارات العقلية والحركية الأخرى .

وللتفكير الابتكاري الصائب فوائد جليلة في النجاح في الحياة ولاسيما في الحياة العصرية المعقدة التي تتطلب الكثير من المعارف والخبرات والمهارات .

ويفيد التفكير الابتكاري الخلاق في نمو شخصية الفرد وكذلك نمو الجماعة وتقدمها فاذا ما نجح الفرد في الوصول الى أحكام جديدة صائبة اكتسب شعورا بالثقة بنفسه والاعتداد بها واحترام ذاته . وشعر بالرضا والسعادة ومن ناحية اخرى فان

التفكير الابتكاري يفيد اكثر ما يفيد في ظل الحياة الديمقراطية التي يتاح للفرد فيها ان يفكر بنفسه ولنفسه وأن يعبر عن آرائه وافكاره وأن يسهم كل فرد في حل مشاكل المجتمع الذي يعيش فيه وينعكس هذا على نمو شخصيتـه كما ينعكس عـلى نمـو المجتمع بأسره ذلك لان ذكاء الجماعة اكبر من ذكاء الفرد وان المشكلات في ظل النظم الديمقراطية يناقشها عدد كبير من افراد الجماعة كل من زاويته وطبقا لخبراته ومن وجهة نظره وبذلك تعرض المشكلة عرضا شاملا لجميع جوانبها وملابساتها ومنظورا اليها من وجهات نظر متعددة . ومن أجل هذا كان التدريب على التفكير الابتكاري هدفا اساسيا من اهداف الديمقراطية الحديثة فعن طريق تدريب التلميذ على التفكير العلمي الجيد يصبح قادرا على التمييز بنفسه بين الحق والباطل وبين الأهواء الذاتية وبين الموضوعية وبين الواقعية .

★ الابتكار أو الإبداع (Creation)

هو ايجاد حل جديد واصيل لمشكلة علمية أو عملية أو فنية أو اجتماعية ويقصد بالحل الأصيل الحل الذي لم يسبق صاحبه فيه أحد .

والمشكلات على أنواع : فمنها ما يستهدف تفسير ظاهرة : أي معرفة أسبابها كالمشكلات الفلكية والفيزيقية والطبيعية التي تعرض لحلها أمثال نيوتن وجاليليو واينشتين وجينز ، او مشكلة نشأة الأمراض النفسية التي عالجها فرويد وهنا يكون الابتكار من قبيل الكشف . ومن المشكلات ما يستهدف خلق شيء جديد أو أداة جديدة ، مادية أو معنوية ، أو ظروف اجتماعية معينة ، وهذا هو الاختراع inyention كاختراع الميكروسكوب او تأليف قصة أو اقامة نظام تربوي أو اقتصادي جديد . وقد جرت العادة على التمييز بين الاستدلال والابتكار فيقال أن الاستدلال هدفه الكشف على أشياء أو علاقات خافية كانت موجودة من قبل في حين أن الابتكار هدفه خلق اشياء او علاقات جديـدة لم تكن موجودة من قبل وكأن الاستدلال يقتصر على الكشف والابتكار يقتصر على الخلق فجاليليو ابتكر المنظـار المسمى بـاسمه واكتشف تـوابـع المريخ . فكل اكتشاف يمكن اعتباره ابداعا ان جاء بحل جديد اصيل للمشكلـة وكل ابتكـار مهما بلغت اصالته يستعين بمواد قديمة موجودة من قبل والجديد فيه هو التأليف بين هذه العناصر القديمة ومتى تحرر العقل من قيود العلاقات القـديمة ووجهات النظر القديمة استطاع ان يفرغ عن عناصر المشكلـة معاني ووظائف جديدة وان يؤلف بين هذه العنـاصر في وحـدة جـديـدة ذات خصائص فريدة .

ولقد كان الابتكار يعتبر الى عهد قريب مرادفا لحدة الذكاء ، فكان كل ذى ذكاء رفيع يسمى « عبقريا » وكان الطفل متوقد الذكاء يسمى موهوبا ولا شك ان بين الذكاء والابتكار صلة وثيقة غير انه اتضح من الدراسات

التجريبية الحديثة والقياس العقلي ان الذكاء وان كان شرطا ضروريا للابتكار الا انه شرط غير كاف فلابد ان تقوم الى جانبه قدرات ابتكارية معينة حيث اتضح ان اختبارات الذكاء بوضعها الحالي لا تصلح للتمييز بين المبتكرين وغير المبتكرين ولقد اسفرت بحوث جلفورد ١٩٥٠ وهو من اتباع مدرسة تحليل العوامل عن وجود قدرات ابتكارية مستقلة عن القدرات العقلية التي تقيسها اختبارات الذكاء ومن هذه القدرات :ـ

١ ـ **الاصالة** : وهي قدرة الفرد على التجديد واعراضه عن الاذعان للمألوف والمعتاد . فالابتكار يتعارض مع هذه السلبية التي تبدو في الامتثال للقديم والمألوف .

٢ ـ **مرونة التفكير** : وهي قدرة الفرد على تغيير وجهة نظره الى المشكلة التي يعالجها في نظره اليها من زوايا مختلفة . وهي عكس جهود التفكير ويصور لنا « شوبنهاور » هذه المرونة بقوله ليس المهم ان نرى شيئا جديدا بل الأهم ان **نرى معنى جديدا** في شيء يراه كل الناس ، أي ان توحى الينا الأشياء المألوفة بأفكار جديدة . إن كثيرا من الاختراعات والكشوف العلمية والأدبية والفنية ظهرت حين أفرغ المخترعون والمكتشفون معاني جديدة على الوقائع التي يعرفها كل الناس . فقد اوحى سقوط التفاحة من الشجرة الى نيوتن بأسس قانون الجاذبية كما أوحى فيضان الماء على جوانب حمام السباحة الى ارشميدس بقاعدته المشهورة في الأجسام الطافية ، والقصصي المبدع ليس فقط من يأتي بموضوعات وأفكار جديدة ، بل هو أيضا من ينظر الى الموضوعات المتداولة من زوايا جديدة او يلقى عليها اضواء جديدة .

٣ ـ **الطلاقة** : هي قدرة الفرد على ان يتذكر عددا كبيرا من الأفكار والألفاظ والمعلومات والصور الذهنية في سهولة ويسر . وهذا يحتم ان يكون المبتكر ذا ثقافة واسعة اذ لا تذكر بدون تحصيل . اما القول بأن الموهبة وحدها تكفي للابتكار فقول خاطىء . وقد صرح نيوتن بأنه غير صحيح أنه اكتشف الجاذبية بمجرد رؤيته تفاحة تسقط من شجرة ، بل لأنه كان يفكر فيها دائما ، وان نتائج بحوثه ترجع الى العمل والكد الدائب الصبور .

٤ ـ **التأليف** : هو القدرة على إدماج أجزاء مختلفة ـ معان وصور ذهنية في وحدات جديدة ـ كالتأليف بين رأس الانسان وجسم الأسد في وحدة ابي الهول ، وكالتأليف القصصي بين شخصيات مختلفة في قصة جديدة وكالتأليف بين جسم الطائر وجناحه وبين مروحة الباخرة وآلة السيارة في ابتكار الطائرة .

وللاسرة دور هام في تكوين البناء المعرفي لدى الطفل حيث تستطيع الاسرة ان تنمي في طفلها القدرات الابداعية اذا هيأت له فرص البحث والتنقيب والاطلاع وزودته بالمعارف والمعلومات واتاحت له فرصة الاشتراك في الرحلات العلمية الاستكشافية ووفرت له الكتب والمجلات والمراجع وشجعته على

قراءتها على شرط ان تتفق مع مستوى قدراته العقلية وكذلك إذا وفرت له جوا يتسم بالحرية الفكرية وفرص التعبير الصريح عن الذات وحيث ان الابداع ينمو ويزدهر إذا تمتع الطفل بالصحة والعقلية السوية فإن حرص الأسرة على ان تهيىء جوا خاليا من الأزمات والانفعالات الحادة والتوترات وخبرات الفشل والاحباط والصد والزجر فإن ذلك ولا شك يؤدي إلى تكوين الطفل تكوينا سليما ومن ثم ينعكس أثره على قدرته في الخلق والابداع ويتمشى هذا مع الحقيقة العلمية التي تواترت في كثير من البحوث ومؤداها أن الابداع او الخلق ليس ثمة فطرية محضة وانما يكفي لكي يكون الفرد مبدعا ان يتمتع بقدر من الذكاء حدد في بعض الابحاث بـ ١٢٠ نسبة ومؤدي هذا أن الابتكار لا يعتمد على الذكاء وحده بل يعتمد على كثير من العادات الذهنية والسمات التي تلعب الأسرة والمدرسة دورا أساسيا في تكوينها .

إذ دلت الدراسات أن الآباء الذين يشغلون الوظائف الفنية التخصصية الراقية يوفرون بيئة تعليمية مثيرة ومشجعة لأبنائهم كأن يتوفر للطفل الغذاء الجيد والكتاب والمجلة والمذياع والتليفزيون والأحاديث الراقية .

ومؤدى هذه الدراسات أن هناك تأثيرا للعوامل البيئية على نمو القدرة الابتكارية وهنا نتساءل ما هي تلك العوامل بغية العمل على توفير المزيد منها لأبناء أمتنا العربية ؟

لقد وجد أن الطفل الذي يذهب إلى إحدى دور الحضانة يمتلك قدرة ابتكارية أعلى من زميله الذي لا يذهب اليها ، على اعتبار أن دور الحضانة تمثل بيئة اكثر غنى من الناحية التعليمية عن البيئة المنزلية الصرفة للطفل . وهناك دراسات أخرى أوضحت ان البيئة المثبطة عقليا للطفل تؤدي الى أنخفاض القدرة الابتكارية ، فحرمان الطفل من الاتصال الطبيعي بالأم يخفض القدرة الابتكارية ومن الآثار الايجابية على نمو القدرة الابتكارية لدى الطفل مقدار الساعات التي يقضيها معه الأب وكذلك فرص اللعب البنائي أمام الطفل ، وعدد الساعات التي يقضيها الأب في القراءة مع ابنه . فالعوامل البيئية تؤثر ولو تأثيرا محدودا على نمو القدرة الابداعية وتؤثر بالقطع في كيفية استخدام الابداع وتحدد الوجهة التي يتخذها إبداع الفرد فإما ان يتجه نحو الخلق والابداع والابتكار في العلم والفن والتحصيل والأعمال الايجابية النافعة وإما أن يتجه نحو السرقة والجريمة والانحراف ومعنى ذلك أن التربة الصالحة هي التي تحدد إما أن تنمو القدرة الابتكارية وتزدهر أو تطمس وتندثر ، إما أن ترتقي بصاحبها إلى مراتب الخير وإما أن تتجه الى الشر والجريمة واذا كان هناك من يرون أن أثر العوامل البيئية صغير الا أننا لا بد وأن نتمسك به ونحرص عليه ونسعى لتحسينه وتطويره لأنه العامل الوحيد الذي نستطيع ان نعدله ونطوره .

كما أنه ينبغي أن تراعي الاسرة

الجوانب الاتية لاشباعها : .

○ **الحاجة الى الحب** :

وتنشأ هذه الحاجة عند الطفل في السنوات الاولى من عمره خلال علاقته مع أمه وأبيه وإخوته وتفاعله معهم . فالحب للطفل هو الغذاء النفسي تنمو وتنضج عليه شخصيته ولا يقل عن الطعام الصحي اللازم لنمو الجسد .

الحاجة الى الانتماء :

ان الانسان اجتماعي بطبعه ويؤكد علماء النفس ان الانسان يحتاج دائما الى الانتماء الى جماعة يحس بانتمائه لها بدوره وتتأكد من خلال هذا الدور شخصيته وذاتيته ويكتسب مكانة اجتماعية يحس معها بالراحة والسعادة ، والأسرة أول جماعة يحس بالانتماء لها . ثم جماعة اللعب وجماعة المدرسة والجماعة الدينية ونحو ذلك ودور الأسرة دور هام في اختيار الجماعة الصالحة التي ينتمي اليها الطفل .

○ **الحاجة الى الأمن والاستقرار** :

يحتاج الطفل الى الاحساس بالأمن والاستقرار داخل الأسرة ولهذا ينبغي أن يسود جو من الود والتفاهم بين الزوج والزوجة حيث تنعكس سلامة المنزل وتمتد ظلاله الوارفة لتحمي حياة الطفل من المشكلات التي تواجهه وليكتسب شخصية سوية خالية من الصراعات والقلق .

○ **الحاجة الى التقدير** :

يحتاج الأطفال الى من يستمع اليهم ويعترف بهم ويعاملهم كأفراد لهم أهميتهم . ويجب ان تقدم لهم المدح عندما يحسنون العمل وتخلق فيهم روح المنافسة البناءة . ودور الاسرة هنا دور حيوي .

○ **الحاجة الى النجاح** :

النجاح دائما يدفع الشخص إلى مواصلة التقدم نحو تحسين سلوكه وتحسين ما يقوم به من أعمال . كما أن النجاح ينمي الثقة بالنفس أما الفشل فيؤدي إلى فقد الثقة بالنفس ويدعو إلى القلق . لذلك يجب علينا عدم المغالاة في الأهداف التي نتوقعها من أطفالنا .... كما يجب أن نشجع الناجحين ونساعد الذي يفشل في عمل ونوجهه بدلا من أن نلومه .

○ **الحاجة الى الحرية** :

لا يطيق الانسان بطبيعته الشعور بأن هناك أي قيد يمنعه عن حرية (الحركة) والتعبير عن النفس لأن الحركة تساعد على النمو والتقدم بشرط ألا تكون حرية مطلقة بل لا بد من سلطة موجهة وضابطة .

الحاجة الى التوجيه وضبط السلوك :

يشعر الطفل بحاجته إلى من

يوجهه ويبصره بالامور ويرد على تساؤلاته المتعددة التي تسبب له القلق النفسي . ينبغي على الأسرة تبصير الطفل بالامور الغامضة والاجابة الواضحة على تساؤلاته .

○ **الحاجة الى المعرفة** :

الحاجة الى المعرفة من الحاجات المهمة لدى الطفل ومحاولة الطفل ان يتعرف على بيئتة من العوامل الهامة التي إذا ما عولجت بحكمة . أمكن عن طريق ذلك تنمية ما يمكن أن يكون لدى الطفل من إمكانيات وقدرات فيجب على الآباء الاهتمام بحاجات المعرفة لدى الاطفال لأهميتها .

النشاط الذاتي :

من الأمور الهامة اتاحة الفرصة أمام الطفل لكي يبذل نشاطا ذاتيا لأن ذلك من المبادىء الأساسية التي أكدها علم النفس في عملية التعلم .... وهناك العديد من المهارات لا يجدي الشرح النظري وحده في تعليمها بل لا بد من بذل جهد ذاتي مثل السباحة وغير ذلك .

الصراعات النفسية والتعليمية

ينجم في بعض الاحيان عن كبت الحاجات الابداعية صور متعددة من الصراع النفسي . حينما تخمد الرغبات الابداعية ، فان العزم أو القصد المختفي داخليا يهتز منبثقا في صور متعددة الأغراض ، نتيجة أحيانا ، لمرض الاكتئاب ، القلق ، الارهاب ، عندما تكون الرغبات الابداعية نشطة ، شديدة وثائرة وحدث في نفس الوقت أن قيدت في التعبير ، فان العرض النفس الرئيسي هو التوتر النفسي وإذا كانت الحاجات الابداعية قوية وفي نفس الوقت تخضع لقمع وكبت مزمن أو عنيف فإن التوتر الناجم قد يكون شاملا بحيث يشل التفكير ويؤدي إلى الاضطراب العقلي .

دور المدرسة والمجتمع في تنمية التفكير الابتكاري لدى الاطفال ..

- إثابة الأنواع المختلفة للمواهب والانجازات الابتكارية .
- مساعدة الأطفال في التعرف على قيمة مواهبهم الابتكارية .
- تعليم الاطفال استخدام الطرق الابتكارية في حل المشكلات .
- عرض الدروس على صور مشكلات تتحدى تفكير التلاميذ وتعمل على قدح قدراتهم العقلية وعلى ادراك عقالهم وبذلك تساعد التلميذ على ان يستدل بنفسه وعلى ان يستخلص النتائج والحقائق بمجهوده الذاتي وكلما كانت المشكلة ذات صلة بميول التلميذ واهتماماته كلما كان اكثر تحمسا للتفكير في حلها .
- ينبغي ان تكون المشكلة في مستوى القدرة للتلميذ ولا تكون سهلة جدا فيسخر منها ولا تكون صعبة فتشعره بالعجز والاحباط .
- لا ينبغي ان يقف الأمر عند مجرد

وصول التلاميذ بأنفسهم الى نتائج جديدة ولكن ينبغي تشجيعهم على تطبيق هذه النتائج على الميادين العلمية المختلفة ، تشجيع التلاميذ على الاشتراك في المناقشات الجماعية المنظمة وعقد الندوات والمناظرات التي يتم فيها تبادل الآراء والخبرات وعرض وجهات النظر المختلفة وتصويب الاخطاء .

- تشجيع المدرسة وتقديرها للاعمال الابتكارية لدى الطفل .
- التقليل من عزلة الاطفال الموهوبين .
- توفير مسئولين ومشرفين للرعاية وحماية هؤلاء الاطفال الموهوبين .
- تنمية القيم والأغراض التي تحفز على الابتكار .

مساعدة الاطفال الموهوبين على تعلم معالجة ما ينتابهم من قلق ومخاوف .

- مساعدة الاطفال الموهوبين على تنمية الشجاعة وتحمل القلق الناشيء عن انتمائهم لأقلية صغيرة وعن اكتشافهم للمجهول .
- مساعدة التلاميذ لكي يصبحوا اكثر حساسية للمثيرات البيئية .
- تشجيع تداول الأشياء والآراء .
- تعليم كيفية اختيار كل رأي على أساس منظم .
- تنمية احتمال وجود آراء جديدة .
- الحذر من فرض نموذج معين .
- خلق جو ابداعي في الفصل المدرسي .
- تعليم التلاميذ تقدير تفكيرهم الابداعي .
- تعليم التلاميذ المهارات في تجنب او معالجة مضايقات الزملاء لهم دون التضحية بقدراتهم الابتكارية .
- اعطاء معلومات عن عملية الابتكار .
- استبعاد الاحساس بالرهبة من الاعمال الخالدة .
- تشجيع وتقسيم التعليم بالمبادأة الذاتية .
- جعل التلاميذ يفطنون الى المشكلات والعيوب .
- خلق لوازم التفكير الابتكاري .
- توفير فترات للنشاط والراحة .
- توفير مصادر طاقات لتنفيذ الأفكار .
- تشجيع عادة تحصيل وإنجاز تصميمات الأفكار جميعها .
- تنمية مهارات النقد البنائي .
- تشجيع تحصيل المعرفة في مجالات متنوعة .
- ينبغي على المدرس نفسه أن يكتسب روح المخاطرة .

هذا وينبغي ان تتعاون الاسرة والمدرسة حتى يكتمل الدور التربوي الفعال في خلق الشخصية السوية المتكاملة وحتى يتم تكوين البناء المعرفي السليم لدى النشء وابراز القدرات والمواهب المختلفة لدى التلاميذ والعمل على تنميتها ليكتسبوا طريقة التفكير العلمي السليم ويصبح اسلوبا في حياتهم ويكونوا أكثر قدرة على الخلق والابداع والابتكار وكم نحن في حاجة الى رعاية أطفال أمتنا العربية واحاطة قدراتهم بالرعاية والعناية وحسن التوجيه وتوفير الكتب والمجلات والمدارس والرحلات وغير ذلك من العوامل التي تنمي قدراتهم وتوسع أفاقهم .

وقفة تأمل

القول والعمل

○ كثيرة هي الاقوال ، وعديدة وسائل التعبير ... فذاك خطيب بيانه سحر .. وذاك محدث ينطق بالدرر ... وآخر تجري الحكمة على لسانه ... وكم من كتّاب سطروا صفحات اودعوها نتاج عقولهم وروائع فكرهم ... وكم بثت الاذاعات من ساعات وساعات ، وكم شاهدنا على شاشات التلفاز من آحاديث ومناظرات ، دعا فيها أصحابها إلى الفضيلة ، والمثل العليا .

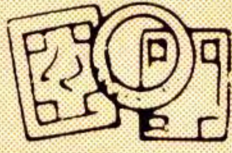
○ أكثر من صحيفة يومية . وأكثر من مجلة أسبوعية ، وأكثر من مجلة شهرية ... والأساتذة يكتبون ، والناس يقرءون . ولكن ما الحصيلة ؟

○ هذا هو المهم .... فالقول بلا عمل جهد ضائع ... والقراءة بلا استيعاب لا قيمة لها .... والمعرفة بلا إيمان معرفة ناقصة . والكلام من اجل الكلام سفسطة لا قيمة لها ، والنظريات والنظريات المضادة جدل عقيم .

○ المهم أن يقترن القول بالعمل ، بل أن يسبق العمل القول . الا نتجاوز في القراءة ـ حتى قراءة القرآن الكريم ـ الحدّ الذي نقدر على استيعابه وفهمه والعمل به ، ومن ثم ننتقل الى مرحلة اخرى .. فقد كان الصحابة الكرام لا يتجاوزون العشر آيات حتى يتقنوها حفظا وتلاوة وفهما وعملا .. هكذا علمهم الرسول الكريم ، بل كانت الأحداث الواقعية هي السبب في نزول القرآن الكريم ، ومن هنا نشأ علم اسباب النزول .

○ لا بدّ إذن من ربط القول بالعمل ، لا بد من ان تتمثل المعاني السامية في واقع محسوس متحرك ، ولذا كان خلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم « القرآن » . وكانت قيم الاسلام الخالدة صورة ناطقة في شخصية الصديق ، والفاروق ، وذي النورين ، وأبي الحسن ، وغيرهم من الصحابة الأعلام .

○ ألسْت معي أيها القارىء الكريم في وجوب التمسك بالدين قولا وعملا ؟ وفي وجوب الدعوة الى الله بالأسوة الحسنة قبل القول الجميل ؟ إن مجرد القول بلا عمل جسد بلا روح ، بل إذا خالف الباطن الظاهر كان نفاقا ... ونعوذ بالله من النفاق والمنافقين .... وقد شدد الله النكير على هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ... ولنقف وقفة تأمل في قوله سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون.كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ . فلنحاول إصلاح انفسنا أولا ... حتى تؤتي دعوتنا ثمرتها الخيرة إن شاء الله .



جاءتنا من الجمعية الاسلامية في اسبانيا هذه المذكرة ننشرها تعريفا بما يقوم بها الطلبة المسلمون هناك من نشاط اسلامي خدمة لدينهم الخالد .. ونهيب بالغيورين على دينهم ان يمدوا لهم يد العون ، والله يوفق الجميع لما فيه صالح الاسلام والمسلمين .

مذكرة تعريف بمسجد غرناطة : (مسجد عمر بن الخطاب)

يعود النشاط الاسلامي في مدينة غرناطة الى منتصف الستينات من القرن الحالي ، حيث تجمَّع في هذه البلدة عشرات من الطلبة الوافدين اليها بقصد الدراسة الجامعية من بلدان المشرق والمغرب العربي الاسلامي ، وفي عام ١٩٦٦م أقيمت أول صلاة جمعة بعد انقطاع دام قرونا خمسة ، كما انه في هذه الآونة صدر أول قانون لحرية الأديان في أسبانية ، وسمح عندها باقامة النشاطات الدينية والشعائر لغير المسيحيين الكاثوليك ، مما حدا بالطلبة هناك لاستصدار ترخيص محلي ذي طابع طلابي « المركز الاسلامي في غرناطة » .

ومع تنامي العمل ، وكثرة الوافدين ، تنوع الشكل الاجتماعي للمسلمين في هذه المدينة ، وأصبح مكان اجتماع المسلمين (والذي كان عبارة عن شقة سكنية في احدى العمارات المكتظة بالسكان ، جهزت بشكل عفوي) الذي يؤدون صلاتهم فيه ، يضيق بالمصلين ولا يفي بالحاجات الأساسية الضرورية لأداء الشعائر الاسلامية فحسب .

كما أن وضع المصلين في عين المكان لا تتوفر فيه الشروط الشرعية (حيث يضطر الإمام لتغيير مكانه فهو تارة يخطب في مكان وأخرى في مكان آخر ، والمصلون موزعون في غرف مفصولة بالجدران فلا تستقيم الصفوف ولا تتوفر شروط الطمأنينة والخشوع) .

وقد رأى العاملون في الحقل الاسلامي ، الحاجة الماسة لوجود مكان يفي بالأغراض الأساسية للمسلمين .. ويوفر جزءا من النشاط الضروري لأبناء المسلمين لوصلهم بالمسجد وربطهم بتعاليم الاسلام الحنيف .. فتنادوا لشراء مكان يفي بهذا الغرض .. وبالفعل فقد اشترت الجمعية الاسلامية في أسبانيا مقرا

لها ، وهو عبارة عن طابق أرضي بمدخل مستقل يتصل بالطريق العام مساحته ٢٤٣ مترا مربعا ، وموقعه متوسط تتوفر له كافة وسائل المواصلات .

وقسّمته بصورة تلبي حاجات الجالية الاسلامية المتزايد عددها في هذه المدينة :

● مصلى : يتسع لمائتي مُصَلٍّ . مع مرافقه من : « ميضأة وحمامات ودورات مياه » .

● قاعة محاضرات ومكتبة . تعطى فيها الدروس الاسلامية لأبناء المسلمين الصغار وستكون نواة لمدرسة لهم . كذلك يمكن الاستفادة منها لدعوة الاسبان الى الاسلام وتعريف الناس بالدين الحنيف .

● صالة رياضة ومطعم ومطبخ . وهذه المرافق توفر للناشئة من المسلمين مكانا طيبا حيث يرتبطون بالمسجد ويحيون سنن الاسلام فيه وخاصة الأعياد والمناسبات الاجتماعية من عقيقة وزواج وغيرها .

● صالة انتظار ومكتب استقبال .

وقد تمت بحمد الله عملية الشراء ودفع المبلغ الأول من الثمن ، الذي جمع (بشكل قرض حسن) من الاخوة الطلبة والعمال وأقدمت الجمعية متوكلة على الله ، بتنفيذ التجهيزات حتى أصبح المسجد مهيأ في منتصف رمضان ١٤٠٣هـ .. على أن تسدد المبالغ المترتبة على الإعداد والشراء في موعد أقصاه ١٩٨٣/١١/٢١م .

والجدير بالذكر أن احصائية المسلمين هنا كما يلي :

★ مائتا أسرة .

★ خمسمائة طالب جامعي .

★ عدد آخر غير محدد من العمال والمقيمين بصورة متقطعة على مدار السنة من تجار وغيرهم في هذه المدينة .

بالاضافة لكون هذه المدينة من المدن التي يرتادها المسلمون بقصد التعرف على ما خلّفه الأجداد من الآثار الاسلامية الشهيرة .

كما أن زواج المسلم من الكتابية ، وانجاب اطفال - يبلغ عددهم التقريبي ٢٥٠ طفلا - يحتاجون الى رعاية تامة لحمايتهم من الضياع في وسط مسيحي مهيمن .

وان وفرة الكفاءات الجامعية المؤهلة ، والتي تبذل الغالي والرخيص في سبيل دينها سيكفل بإذن الله النشاط المتوازن الايجابي الذي يحمي هذه الجماعة الصغيرة في دينها وثقافتها وصلتها بحضارتها .

كل ذلك ، جعل الاخوة القائمين على النشاط الاسلامي لا يأبهون للصعاب التي تقف في سبيل رفع هذا المسجد لتقام فيه الصلوات الخمس ويذكر فيه اسم الله كثيرا .

وقد أقدموا على الشراء واثقين بأن الله سبحانه وتعالى سوف يهيىء من يدعم هذا المشروع المبارك من أهل البر والاحسان ممن وصفهم الله تعالى بقوله :

[إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة] التوبة/١٨ . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الاعتداء الصهيوني
على الجامعة الاسلامية بالخليل

من مسلسل جرائم الصهيونية هذا الاعتداء الوقح ، والذي جاءنا بشأنه هذا البيان من مكتب رابطة العالم الاسلامي بالاردن ننشره بنصه :

منذ أن دخل الاحتلال الصهيوني البغيض الى مدينة الخليل وهو يحاول باساليبه المعهودة التي تنطوي على المكر والدهاء والفتنة والاعتداء السيطرة على المسجد الابراهيمي بزعم ان اضرحة انبيائهم واجدادهم تقع داخل حرم المسجد .كانت بداية التدخل في محاولاتهم الصلاة داخل المسجد ودأبوا على حشد جموعهم للصلاة يومي السبت والأحد من كل اسبوع وحينما ثار المسلمون في مدينة الخليل لمواجهة هذه الهجمة خوفا على مسجدهم من التهويد وتحسبا من اخطار قيام الاسرائيليين بتحقيق نواياهم وتنفيذ مخططاتهم ، واجهتهم سلطات الاحتلال في برود يتسم بالمكر والخداع والمراوغة واشعرتهم ان رغبة اليهود لا تعدو عن كونها إتاحة الفرصة للمتدينين باقامة شعائرهم الدينية جنبا الى جنب أسوة بالمسلمين وهذا حق تكفلت به الأديان جميعا ، وقد حذرنا في حينه من نوايا اسرائيل العدوانية وخطورة عمليات الترويض معتمدين على عامل الزمن وأنه الى جانبهم وكانت دائما حملات التوعية بين المسلمين والتحذير من اخطار ونوايا الاسرائيلين يقودها طلاب واساتذة الجامعة الاسلامية في الخليل وهذا ما تعلمه السلطات الاسرائيلية حق العلم ، مما أفشل معظم المخططات التي كانت تعتمد اسرائيل في تنفيذها على المكر والخديعة وأخيرا كشفت اسرائيل عن نواياها بشكل واضح وصريح فاشهرت السلاح وحسرت عن ذراعيها لاستعمال القوة في تنفيذ مخططاتها بدون مواربة ، فاقالت رئيس بلدية الخليل بالوكالة المهندس مصطفى عبد النبي وعينت مكانه رئيس بلدية اسرائيلي وقامت قواتها بفرض منع التجول وقامت جرافاتها بفتح شارع عريض يمتد من المسجد الأقصى الى وسط المدينة ليسهل الوصول الى المسجد واستقدمت مجموعات من الاسرائيليين ليقيموا مستوطنات داخل المدينة في الحي القديم ، واخيرا قامت قواتها باقتحام الجامعة الاسلامية لقمع المقاومة من جذورها مما ادى الى قتل الأبرياء والعزل ، واعتقلت مجموعة كبيرة من الشباب ، واغلقت الجامعة الاسلامية ومازالت تقوم بعمليات الاستيلاء والتصفية تباعا ضمن مخطط مدروس ، وهي تعلم ان الأمة بمجموعها مازالت في سبات وأن الخلافات والحروب الجانبية قد انهكت قواها ، وصيحة النذير اضحت لا تأثير لها في عالم العروبة والاسلام ، وينطبق عليها قول الشاعر :

فلو ان قومي انطقتني رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

ومع علمنا بأن الكلمة والبيان لم يعد لهما تأثير في وسط هذه الدوامة العالمية والعربية والاسلامية منها بخاصة ، بيد أننا مطالبون باعلان كلمة الحق وصيحة النذير تخرج من بين السحب الداكنة وسدف الظلمة المعتمة لعل فيها ما يوقظ النيام وينبه الى

فداحة الخطب في مستقبل مجهول ، والله تعالى يقول : **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾** البقرة / ١٩٣ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، جمع الله أمتنا على الخير وهداها الى الرشد لتوحيد أمرها وإعداد نفسها ، ونبذ خلافاتها ، لتخوض معركتها مع أعدائها ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** . الصف / ٤ .

اقتراح

الأخ / منير الأدغيري ـ من المغرب الأقصى الشقيق ـ بعث إلينا باقتراح مفاده أنه يتمنى ان تنظم المجلة مسابقة يكون مستواها أعلى من مسابقة « براعم الايمان » وان تتضمن أسئلة تدور حول حالة الاسلام والمسلمين في العصر النبوي الكريم وماتلاه من عصور الصحابة والتابعين ـ عليهم رضوان الله ـ وحتى العصر الذي نحياه .
كما يأمل أن تدور الأسئلة أيضا حول الشعراء والكتاب الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين . ويقترح أن تكون جوائز الفائزين عبارة عن كتب ومراجع اسلامية قيمة ، وغير ذلك ، وفي النهاية أثنى على مجلته المفضلة « الوعي الاسلامي » .

المحرر **اولا** : لا شكر على واجب يا أخ منير ، وإنا لنرجو الله أن يتقبل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا دائما لما فيه صالح الاسلام والمسلمين .
ثانيا : بالنسبة لاقتراحك ، فهو اقتراح مفيد ، وهو قيد الدرس ، ونتمنى الله ان يوفقك لما فيه خير المسلمين .
ثالثا : تحيات المجلة لك وللقراء الأعزاء جميعا في المغرب الشقيق ، نفع الله بكم الاسلام .

داعية إلى الاسلام

الأخت لطيفة الخمليش ـ من المغرب الشقيق ـ كتبت تقول : إنها غيورة على دينها ، وتحارب الفساد والخلاعة والمجون ، وتدعو إلى الفضيلة والأخلاق الحسنة ، والأخذ بتعاليم الاسلام ، غير أنها لا تحفظ إلا القليل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وتسأل : هل يسمح لي وأنا لم أتلق الا القليل من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة ، أن أكون داعية إلى السلام ؟

المحرر : ـ محاربتك للفساد ، ودعوتك إلى الخير ، أمر محمود منك ، بل إن المسلم مطلوب منه دائما أن يكون كذلك ، قال تعالى: **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾** آل عمران / ١١٠ .

وتلك الدعوة إلى الله في إطارها العام لا مانع أن يقوم بها كل من يستطيع ذلك ، أما إذا تعلق الأمر بأحكام إسلامية ، بالحلال والحرام ، بالجائز والممنوع ، بالصحيح والفاسد ، بالمقبول وغير المقبول ، فذلك يقتضي دراسة خاصة ، ومعرفة تامة بأصول الشريعة وقواعدها وأدلتها ، وطرق الاستنباط ، الى غير ذلك .

فلتكن دعوتك على علم وبصيرة كما قال تعالى : **﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن ﴾** . **والله يوفقك للخير** .

الفتاوى

نزولا على رغبة القراء .. وابتداء من عددنا هذا .. سنواصل بعون الله نشر هذا الباب « ركن الفتاوى » .
ويطيب للوعي الاسلامي أن تتلقى أسئلتكم لتجيب عليها .. وبالله التوفيق .

نزول القرآن مفرقا

السؤال :
ما الحكمة من نزول القرآن الكريم على فترات ولم ينزل دفعة واحدة ؟ وهل كان الوحي يدل الرسول صلى الله عليه وسلم على ترتيب السور والآيات كما هي عليه الأن ؟

الجواب : انزل الله تعالى القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا آيات آيات وسورا سورا على حسب الحوادث والمناسبات وكان نزول القرآن الكريم مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة وقد عاب الكفار من اليهود والمشركين نزول القرآن الكريم مفرقا كما حكى القرآن ذلك بقول الله تعالى (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة**) ولكن القرآن الكريم يبين الحكمة في ذلك بقول الله تعالى (**كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا**) لهذا كان من حكمة نزوله مفرقا تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم والتيسير عليه وانه بتجدد نزول الوحي بنزول القرآن يتجدد سرور النبي صلى الله عليه وسلم . كذلك نزوله مفرقا تخفيفا على النبي ورحمة به لشدة الوحى وثقله فكان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يتصبب عرقا في اليوم الشديد البرد . ومن الحكمة ايضا تمكين الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه من كتابته وحفظه وتعلمه وهذا لا يتأتى لو نزل جملة واحدة وفي وقت واحد .

اما ترتيب القرآن الكريم فكان عن طريق الوحى حيث كان جبريل عليه السلام ينزل

بالآيات ويعلم النبي صلى الله عليه وسلم موضع الآيات النازلة مما قبلها ومما بعدها حتى يوافق التنزيل ما في اللوح المحفوظ وكان صلى الله عليه وسلم يقول لكتاب الوحى ضعوا هذه الآية في سورة كذا بعد آيه كذا وكان صلى الله عليه وسلم يعرض ما نزل من القرآن على جبريل في رمضان كل عام مرة الا العام الذي توفى فيه فقد عرضه مرتين فترتيب السور والآيات بالوضع الذي عليه المصحف الآن كان عن طريق الوحي .

وضع المصحف مع المتوفى

سؤال من أحد القراء يقول فيه . والدي يقول إذا مت ضعوا المصحف معي داخل الكفن فهل هذا جائز ؟

الجواب : الوالد يقصد بذلك الحصول على الرحمة بسبب مرافقة المصحف له في قبره ولكن الرحمة لا تكون بذلك بل بالدعاء والاستغفار والصدقة والقراءة وبعمله الصالح فانه يلازمه في قبره ويكون القبر روضة من رياض الجنة اذا كان العمل صالحا ويكون حفرة من حفر النار اذا كان غير صالح والعياذ بالله اما وضع المصحف بهذه الطريقة فلا يجوز صيانة للمصحف مما يسيل من جسم الميت من قيح وصديد وسوائل نجسه والمصحف يجب احترامه وصيانته والابتعاد به عن ذلك .

الزكاة للأخ

أحد القراء يسأل قائلا : لي أخ عنده عقار يؤجره ولكنه خسر في تجارته وأصبح مدينا فهل يصح أن أعطيه من الزكاة ولو كان عنده عقار أم لا يجوز ؟

الجواب :إذا كان الدين بسبب خسارته في التجارة يستغرق الدخل العائد من العقار أو كان الدخل الذي يأتيه من أية جهة لا يكفيه فانه يعتبر من الغارمين وعليك أن تبادر باعطائه من الزكاة . فقد ثبت أنه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى رجل ثمارا خسر فيها واصبح مدينا فقال صلى الله عليه وسلم تصدقوا عليه فتصدق الناس عليه ولكن مجموع الصدقات لم تسدد ما عليه من دين فقال صلى الله عليه وسلم لاصحاب الدَّيْن . خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك . يعني ليس لكم إلا المال الموجود وليس لكم حبسه مادام معسرا . نقول للأخ السائل ، أخوك أولى بالصلة والصدقة من غيره واذا سدد ديونه واصبح عنده دخل يكفيه فلا يستحق الزكاة وبذل الصدقة على الاقارب المحتاجين أولى من بذلها لغيرهم لأنها صدقة وصلة كما قال صلى الله عليه وسلم : الصدقة على المسلمين صدقة وعلى ذي القربى ثنتان صلة وصدقة .

هل زوجتي محرمة ؟

وهذا سؤال من أحد الأخوة القراء يقول لقد مضى على زواجي ست سنوات أنجبت فيها من زوجتي ثلاثة اولاد وفوجئت في هذه الأيام بقول أمي اني

رضعت مع زوجتي من امرأة تعرفها والمرضعة هذه توفيت فهل زوجتي محرمة كما تدعي أمي ؟

الجواب : ظاهر من هذه الدعوى انها كيدية والأم تريد أن تفرق بين ابنها وزوجته والا لماذا سكتت الام عند الخطبة وعند العقد وعند الزفاف ؟
ولماذا لم تتذكر هذا الرضاع طول هذه المدة وعلى مدى السنوات الست واثناء حياة المرضعة ؟
قولها لا يكفي في التفريق بينهما لأنها متهمة في دعواها هذا من جهة ومن جهة اخرى لم يوجد شهود بالارضاع واكثر الفقهاء يرى ان يشهد على الرضاع اكثر من امرأة بحيث لا يقل عدد الشهود عن امرأتين بشرط ان يكون الرضاع شائعا قبل الشهادة . بل أن مذهب الاحناف يشدد في ذلك ويشترط شهادة رجلين او رجل وامرأتين ولا تقبل شهادة النساء وحدهن لقول الله تعالى (**فاستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء**) حتى لو جاءت المرأة التي ارضعتهما وشهدت فجمهور الفقهاء يرى ان شهادة المرضعة لا تكفي في التحريم لأنها تشهد على فعل نفسها .
اما اذا وجد النصاب القانوني من الشهود وشهدوا بذلك فيلزم التفريق فورا .

الصلاة الابراهيمية

السؤال : لماذا بعد التشهد نصلى على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم دون بقية الأنبياء والمرسلين ؟
الجواب : من المعلوم أن المسلم يؤمن بجميع الرسل عليهم السلام ولا نفرق بين احد منهم في قضية الايمان كما جاء في قول الله تعالى .
آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ...
وهذا على نقيض ما فعله اليهود والنصارى ، كانوا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض بل قتل اليهود الأنبياء بغير حق .
اما تخصيص سيدنا ابراهيم بالصلاة لأن الله أمر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال سبحانه (**إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين**) وقوله سبحانه (**فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين**) ومن جهة اخرى سيدنا ابرهيم خليل الله واب لكثير من الأنبياء والرسل ومن ذريته اسماعيل ابو العرب واسحاق ابو اسرائيل ومن ذريته داود وسليمان ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس . هذه خصائص لم تتوفر لغيره من الرسل فليس عليه بكثير أن يخصه الاسلام بالصلاة عليه في التشهد .

مع الصحافة

في الشهر الماضي تفاقمت الأزمة اللبنانية بصورة خطيرة جدا ، وهذا أمر كان معظم المراقبين السياسيين يتوقعونه ، نظرا للتناقض الحاد في المصالح والأهداف بين الأطراف على الساحة اللبنانية ، وصعوبة الوصول الى شكل من أشكال الحل لمشكلة ، أو على الأصح مشكلات ، تكاثرت على الخوض فيها مختلف الدلاء ، واتسع فيها مجال التدخل الدولي ، وقد صاحبت الحملات الاعلامية المكثفة عمليات استعراض للعضلات على السواحل وفي الأجواء اللبنانية . وتبعا لذلك شغلت أزمة لبنان معظم الاهتمام الاعلامي في الصحافة العربية والعالمية ، مما دفع الى الظل أحداثا أخرى في العالم الاسلامي ليست قليلة الخطورة . ففي سجون اسرائيل يجري تنفيذ أحكام الاعدام في الفلسطينيين بالتقسيط كما ذكرت محامية تتولى الدفاع في المحاكم عن المسجونين والمعتقلين الفلسطينيين ، وفي الوقت نفسه تستمر القوات الاسرائيلية بتعزيز مواقعها العسكرية التي أقامتها في جنوبي لبنان مما يؤكد انها تعد العدة لاقامة طويلة كما يذكر تقرير لوكالة الأنباء الكويتية .

وفي تشاد ما يزال الصراع على أهبته بين المتنازعين ، على الرغم من الهدوء النسبي للمناوشات العسكرية ، وليس من السهل عادة أن يوضع حد لصراع أوغلت فيه أيدي الدول العظمى ، وأخرجته عن اطاره المحلي .

وفي ارتيريا يخوض الثوار معارك عنيفة ضد القوات الأثيوبية في وادي «لابا» وجبل « معز » . وفي باكستان تتعاظم حدة السخط الشعبي ضد السلطة ، وخاصة في اقليم السند ، وتشكل التظاهرات الشعبية ضغطا كبيرا على السلطة ، بيد أن محاولة الكشف عن تطور الأحداث في الأسابيع القادمة ليست أمرا سهلا على كل حال .

وفي أفغانستان يواصل المسلمون جهادهم البطولي ضد الغزاة السوفييت .

وفي جنيف عقد المؤتمر الدولي الخاص بالقضية الفلسطينية ، ومع أن المؤتمر أكد على عدد من حقوق الشعب الفلسطيني ، وعبر عن تعاطف دولي مع القضية الفلسطينية ، غير أنه ، كغيره من المؤتمرات الدولية ، لا يتجاوز حدود الطابع الأدبي والأخلاقي . ولقد لوحظ بصورة متزايدة تخاذل الغرب عن دعم القضية الفلسطينية ، ووقوعه في إسار الاستراتيجية الأمريكية المؤيدة لاسرائيل تأييدا مطلقا .

وفي سياق الحديث عن تعاظم الهيمنة الأمريكية على الصعيد الدولي يمكننا أن نشير الى الأزمة المالية والاقتصادية التي يسببها الدولار الأمريكي في عدد من بلدان العالم . وهو أمر مفهوم طبعا ، اذ إن أمريكا استطاعت - أو فسح لها المجال - أن تسيطر على كثير من المجالات الحيوية في الاقتصاد العالمي ، وبذلك تمكنت من ربط مصائر عدد من شعوب العالم بأوضاعها الاقتصادية ، وعلى ذلك فان هذه الأوضاع تنعكس بصورة جلية على البلدان التي تربطها بالاقتصاد الأمريكي روابط وثيقة ، مما يكشف بالطبع عن وجه من أوجه النفوذ السياسي الأمريكي في تلك البلدان .

وعندما نتجاوز قليلا طابع «البرود الهادىء » الذي يبديه المراقبون السياسيون في معالجة الأحداث ، ونحاول أن نتلمس ما يمكن أن يحس به الفرد المسلم وهو يتلفت في هذه الدوامة ، فمن المؤكد أننا سوف نشعر بأن شيئا ما ثقيلا .. ثقيلا يجثم على الصدر ، ويضغط مثل كابوس ، غير أن الكوابيس تزول عادة بعد هنيهة ، ولكن هذا الكابوس الثقيل تتزايد وطأته على الصدر دون أن تضيء في الأفق المنظور بارقة من بوارق الأمل بانحساره .

○ حول أزمة لبنان

قليلة هي الأحداث التي تكشف بوضوح عن خلفياتها السياسية ، وقد تبدو أحداث لبنان في هذه الآونة من هذا النوع ، غير أننا نعتقد أن الصراعات في لبنان

أعقد من أن توصف خلفياتها السياسية بالوضوح ، واذا كان لنا أن نعلق على آخر ما يحدث في لبنان أمكننا أن نقول : ان أحداث لبنان تثبت كغيرها أن المراهنة على القوى الخارجية ليست ضمانا كافيا ولا مستمرا ، وفي الصراع السياسي حين يرتضي أحد الأطراف أن يكون مجرد ورقة للعب على مائدة السياسة يكون بذلك قد قرر ألا يكون لاعبا ، فضلا عن أن يكون رابحا طبعا .

نشرت مجلة المستقبل في عددها ٣٤٢ للسنة السابقة مقالا يوضح جانبا من أسباب الأزمة وملابساتها السياسية ، جاء فيه :

يختلف المراقبون حول تقييم الدور الاسرائيلي في لبنان ، وما اذا كان هذا الانكفاء المأساوي الذي لم يستغرق أكثر من ساعات معدودات يمثل انسحابا نهائيا أم أنه مجرد خطة مؤقتة ربما تظهر خطوطها في القريب العاجل . ذلك ان وزير الدفاع ارينز يعتقد ان المجازر التي سيرتكبها اللبنانيون أثناء نزاعهم على الهيمنة وملء الفراغ الأمني ، ستوفر لاسرائيل فرصا أفضل للعودة الى هذه المنطقة . وهو يرى بأن الدول التي رحبت بالجلاء أول الأمر مثل أمريكا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا ، ستجد قواتها محشورة في خنادق بيروت .. الأمر الذي قد يضطرها الى طلب النجدة من اسرائيل ذاتها . وهو يراهن بطبيعة الحال على معركة فاصلة في الجبل يحسم فيها القتال لصالح الشرعية أو وليد جنبلاط أو القوات اللبنانية . ومعنى هذا ان المهزوم سيلقي بكامل أوراقه على الطاولة الاسرائيلية .. تماما مثلما حدث عام ١٩٧٦ عندما طلبت القوات اللبنانية نجدة سوريا .

ويذهب الوزراء الاسرائيليون في توقعاتهم الى أبعد من هذه الأهداف ، فيلمحون الى أن جيشهم قد يعود الى المناطق الساخنة التي انكفأ عنها . وهم يربطون هذه العودة بنشوء أوضاع معينة تتمثل في انقسام الجيش اللبناني وانتشار الفوضى ، وانتصار تيارات سياسية من النوع الذي يشكل تهديدا مباشرا للنظام . عندها قد تسقط التوازنات وتقضي الاستراتيجية الغربية بعودة اسرائيل للمحافظة على مواقعها السابقة خلف الخطوط المعروفة

وعن التحرك الأمريكي تتابع المجلة قولها :

والطريف ان التهديد الخجول الذي أطلقه وزير الدفاع الأمريكي واينبرغر وقال فيه انه لن يسمح للقوات السورية النظامية بالاشتراك في معركة الحسم في الجبل .. هذا التصريح اعلن في وقت كان ماكفرلين يفاوض في دمشق بحثا عن حل سياسي للأزمة . لذلك ظهر تصريح وزير الدفاع وكأنه شهادة لرفع العتب وايهام الدولة اللبنانية بأن الولايات المتحدة قد حركت أسطولها وعرضت عضلاتها .. ولكن المشكلة في النهاية هي مشكلة داخلية بين الدروز والموارنة ، وان واشنطن ليست معنية من قريب أو بعيد بهذا النزاع الطائفي التاريخي . أي أنه تناسى دور بلاده في تسخين هذا النزاع وكيف ان ريغان بواسطة درايبر وحبيب وشولتز قد شجع الدولة اللبنانية على الغطس في هذا المستنقع بعد ما وضع أمام الرئيس

الجميل كل الضمانات العسكرية وكل الوعود السياسية ، بل كل الالتزامات الرسمية .

○ المعارضة الشعبية في باكستان

نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٤٣ للسنة السابعة مقالا عن التهديدات التي يتعرض لها نظام الحكم في باكستان جاء فيه :

نظمت المعارضة في ٥ تموز (يوليو) الفائت «يوم حداد وطني » في مختلف مدن البلاد بمناسبة مرور ستة أعوام على تسلم العسكر لمقاليد الحكم . وهذه المعارضة تضم ثمانية أحزاب محظورة رسميا تتحالف ضمن «حركة اعادة الديمقراطية » برئاسة سردار شرباز مازاري ، وهي التي قادت تظاهرات كان لها نصيب معين من النجاح خارقة القوانين العرفية التي تمنع ممارسة أي نشاط سياسي . وقد تم اعتقال عدد من قادة هذه الحركة التي تطالب بالغاء القوانين العرفية واجراء انتخابات فورية . ومن المعتقلين بعض القادة من حزب الشعب الباكستاني الذي اسسه علي بوتو والذي يخشى النظام الحالي عودته عبر انتخابات قد يتم اجراؤها . وقد ازداد التوتر في ١٤ آب (اغسطس) في اليوم الأول من «العصيان المدني » حين سارت تظاهرات في الشوارع تلبية لنداء حركة اعادة الديمقراطية وبحجم لم يكن متوقعا . حينذاك نظم الجنرال ضياء الحق تظاهرة مضادة ووعد الباكستانيين بالغاء حالة الطوارىء وبالعودة الى الديمقراطية في غضون الأشهر الثمانية عشر المقبلة . ولكن المعارضين عملوا في الأيام التالية على نشر حركتهم التي اختاروا لها الطابع السلمي ، فكانوا يتقدمون من قوى الأمن بأنفسهم حتى تعتقلهم .

وينتهي مبدئيا تنفيذ برنامج اعادة الديمقراطية في ٢٣ آذار (مارس) ١٩٨٥ علما بان قوانين الطوارىء لن ترفع الا بعد تشكيل حكومات المقاطعات والحكومة المركزية . وليس واردا على ما يبدو أن يقدم الحكم الحالي تنازلات معينة وهو يحظى بتأييد حزب « جماعة اسلامي » وبثقة البورجوازية المحافظة في البلاد .

ومن جهة أخرى لا يستدعي الوضع القائم تنازلات معينة ، فحركة الاحتجاج ، مهما بدت جدية من الخارج ، لا تهدد حكومة الجنرال ضياء الحق . وقد تمكن الرئيس الباكستاني من كسب ولاء مجموعات مؤثرة ، ليس بالضرورة بعددها بل بقدرتها المالية والسياسية . وهي تضم عسكريين وموظفين كبارا ورجال اعمال يرون من مصلحتهم دعم المؤسسات القائمة حالية . وما لا شك فيه هو ان الطبقات الاجتماعية الأكثر حرمانا تعاني من الفساد الذي تدينه السلطة نفسها ومن التضخم المالي ايضا ولكن المساعدات الخارجية التي تغطي ٨٠ في المائة من أعباء الديون توفر وضعا ماليا لا يستهان به . ومن جهة أخرى ، تمكن الجنرال ضياء الحق من الافادة من الوضع الأفغاني ليكسب دعم الولايات المتحدة طالما أن الباكستان من وجهة نظر أمريكية ، مهدد بالتحول الى ركيزة أخرى للشيوعية الدولية . والمعلوم ان ادارة ريغان اقرت للباكستان برنامج مساعدات بقيمة ٣

مليارات و ٢٠٠ مليون دولار ، بشكل معونات عسكرية واقتصادية . ومؤخرا تسلم الباكستان من واشنطن ست طائرات من طراز «اف ـ١٦» من أصل أربعين طائرة من هذا النوع . واذا صح ما يقال عن البرنامج النووي الباكستاني فان اسلام آباد قد تصبح العاصمة النووية الأولى في العالم الاسلامي . وفي أي حال تعتبر العلاقات الأمريكية ـ الباكستانية غاية في المتانة ، طالما ان عودة باكستان الى المعسكر الأمريكي بعد سنوات من العلاقات المضطربة تبدو تماما في آوانها . واذ تعلن الباكستان انها « خط الدفاع الأول ضد التوسع السوفييتي » تحتل بطبيعة الحال مكانتها في استراتيجية الرئيس ريغان الهادفة الى «صد » الهجمة السوفييتية . وهذا الاهتمام الأمريكي بالباكستان ساعد الجنرال ضياء الحق ، لا على تثبيت سلطته على الصعيد الداخلي وحسب بل على الخروج من عزلته الدولية أيضا .

○ الدولار الأمريكي يشيع القلق

صدر في لندن تقرير عن ازدياد قوة الدولار الأمريكي ، وأثر ذلك في الاقتصاد العالمي ، وقامت بنشره صحيفة الرأي العام في ٢٨ من ذي القعدة جاء فيه :

لندن ـ أصبح الدولار القوي الذي يتوقع أن يظل قويا بعض الوقت مصدر قلق مستمر للمخططين الاقتصاديين الحكوميين ، الذين يخشون أن يضع حدا للانتعاش الاقتصادي الهش في أنحاء العالم . وقد ارتفع سعر الدولار بنحو عشرة في المئة بالنسبة الى العملات الرئيسية الأخرى منذ بداية عام ١٩٨٢ . وعلى الرغم من تنبؤات بين الحين والآخر بان الدولار لا بد وأن ينخفض قريبا لأن العجز التجاري الأمريكي آخذ في الازدياد والسلع الأمريكية أصبحت أقل قدرة على المنافسة فانه ظل حول أعلى مستوى له منذ قرابة عشرة أعوام وهو نحو ٣,٧٠ مارك الماني غربي . وأدى ازدياد التوتر بسبب مأساة الطائرة الكورية الى تدفق الأموال فترة قصيرة على الدولار في أواخر الأسبوع الماضي مبرهنا مرة أخرى على جاذبيته كملجأ مأمون .

ومع احتمال أن يبقى الدولار قويا بعض الوقت فان الحكومات تواجه مأزقا في مواجهة الدولار الراسخ . فهي ان تركت عملاتها تستمر في الهبوط بالنسبة الى الدولار فانها تخاطر بزيادة معدلات التضخم في الداخل لأن واردات كثيرة منها النفط مسعرة بالدولار .

واذا حاولت حكومات في ميزانياتها عجز هائل ايقاف صعود الدولار عن طريق زيادة أسعار الفائدة لتقريبها من أسعار الفائدة الأمريكية فانها لا تستطيع تخفيف الضرائب لانعاش اقتصاداتها على نحو أسرع . ولقوة الدولار مزية واحدة هي ان الدول المصدرة للولايات المتحدة تجد الآن منتجاتها أقدر على المنافسة في السوق الأمريكية . ولكن مصدر القلق الرئيسي لحلفاء أمريكا الغربيين والبلدان النامية هو ارتفاع أسعار الفائدة الأمريكية التي تبقى على الدولار في وضع قوي . وتجد أوروبا الغربية واليابان ان اسعار الفائدة الأمريكية تجعل أسعار الفائدة الأمريكية تجعل أسعار الفائدة الأمريكية تجعل أسعار فائدتها في مستوى غير مشجع مما يؤدي

بالتالي الى خنق النمو الاقتصادي .

وتجد الدول النامية المدينة للبنوك الدولية بمليارات الدولارات من الصعب عليها بصورة متزايدة دفع ديونها لأن ما تدفعه من اقساط الفائدة يلتهم المزيد والمزيد .

ويقول خبير اقتصادي في وكالة التخطيط الاقتصادي اليابانية ان صعود الدولار سيزيل على الأرجح مزايا خفض أسعار النفط الذي أجرته منظمة البلدان المصدرة للبترول - أوبيك - في مارس الماضي . وداخل المجموعة الاقتصادية الأوروبية حيث يتعين على كل الدول عدا بريطانيا استيراد النفط فان ارتفاع نفقات النفط يعد عاملا رئيسيا في الصورة الكئيبة . وقوة الدولار مثار قلق على وجه الخصوص بالنسبة الى الاقتصاد الفرنسي المريض المثقل بمعدل تضخم نسبته ٩,٤ بالمئة وعجز تجاري هائل . وقد قدرت الحكومة في الآونة الأخيرة ان ارتفاع سعر الدولار قد أضاف ما بين ٠,٣ و ٠,٤ في المئة الى معدل التضخم . ويتوقع ان يظل العجز في الميزانية الأمريكية قريبا من رقم مذهل هو ٢٠٠ مليار دولار خلال العامين المقبلين ، وستكون هناك حاجة الى تمويله عن طريق عرض أسعار فائدة عالية بما فيه الكفاية على المستثمرين وسوف تستمر أسعار الفائدة العالية هذه في تعزيز مركز الدولار . وبالنسبة الى أوروبا فان احتمال بقاء الدولار ثابتا في المستقبل المنظور أمر يبعث على القلق ولكن خلال العام الماضي فانهم أظهروا انه يمكنهم مواجهته حسبما قال احد محللي أسواق النقد الأجنبي هنا و بالنسبة الى الدول النامية فان قوة الدولار ليست مثيرة للقلق فحسب بل قد تكون مدمرة كما قال محللون . فارتفاع سعر الدولار وأسعار الفائدة الأمريكية التي تصاحبه يجعل من الصعب على نحو متزايد على البلدان النامية دفع ديونها المحدد معظمها بالدولار .

ويعد المغرب والجزائر في شمال افريقيا مثلين طيبين للدول النامية التي تواجه صعوبات بسبب ارتفاع سعر الدولار ، فقد هبطت العملة المغربية وهي الدرهم بنسبة ٧٠ في المئة مقابل الدولار في العام الماضي . وأدى الجفاف الذي استمر ثلاث سنوات الى استيراد كميات كبيرة من الحبوب واسهمت نفقات استيراد النفط العالية وانخفاض الأسعار العالمية لسلعة التصدير الرئيسية للمغرب وهي الفوسفات في عجز تجاري هائل يزيد على ملياري دولار . وتقدر ديون المغرب بأكثر من عشرة مليارات وتلتهم مدفوعات فوائد هذه الديون ٣٦ في المئة من عائدات صادراته ولذلك فان أية زيادة في أسعار الفائدة الأمريكية تعد ضربة مهلكة . ولخفض العجز التجاري قام المغرب بخفض كل وارداته باستثناء السلع الضرورية وخفض الانفاق الحكومي بنسبة ١٣ في المئة وزاد أسعار الأغذية ومنتجات النفط بنسبة تتراوح بين سبعة و ٦٧ في المئة . وتمول الجزائر وهي عضو في أوبيك ٨,٤ مليار دولار من ميزانيتها العامة الحالية البالغة ١٣,٨ مليار دولار عن طريق عائدات النفط ولكن هذا ليس بالأمر الهين عندما يلغى خفض أسعار أوبيك زيادة قيمة الدولار لمبيعاتها النفطية وينخفض الطلب على الغاز الطبيعي بين الزبائن الأوروبيين الذين أضيروا بسبب ارتفاع النفقات ، وتواجه الجزائر هذا الوضع بالابقاء على وارداتها عند مستواها الحالي ورفع أسعار الأغذية الأساسية بنسبة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ في المئة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

مجلة الوعي الاسلامي ـ ص.ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت
KUWAIT

الوعي الإسلامي

العدد ٢٣٠ • صفر ١٤٠٤هـ • نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٣م



مسجد فاطمة - ضاحية عبد الله السالم - الكويت

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم

دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيبُكَ

فَإِنَّ الصِّدقَ طُمَأنِينَةٌ

وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ

من مجلس الامة ..
صاحب السمو يقول :

● وحدتنا الوطنية أمانة .. ورعاية شبابنا أمانة
● كانت الحروب فوق الأرض العربية والإسلامية ضد المستعمرين وأصبحت بعد الاستقلال بين إخوة يجمعهم الوطن .

افتتح صاحب السمو امير البلاد الشيخ جابر الاحمد الصباح يوم السبت ٢٤ من ذي الحجة ١٤٠٣ هـ - الموافق ١ من اكتوبر ١٩٨٣ م دور الانعقاد العادي الرابع من الفصل التشريعي الخامس من مجلس الامة وفيما يلي نص الكلمة التي القاها صاحب السمو امير البلاد :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم المرسلين .

بعون من الله تعالى نفتتح دور الانعقاد الرابع من الفصل التشريعي الخامس لمجلس الامة .

إخواني :

بعد أيام سيبدأ عام هجري جديد ، ويسعدني في هذا اللقاء الذي يجمع ممثلي الشعب والحكومة ، ان أبعث باسم الشعب الكويتي وباسمكم جميعا وباسمي ، بالتهنئة الى العالم العربي والاسلامي متوجها الى الله تعالى بالدعاء ، ان يجعل مع العام الجديد مواقف جديدة ، يتخذها العرب والمسلمون حفظا لدمائهم وديارهم ، ومودة بينهم وتحقيقا لأهدافهم الخيرة .

إخواني :

كانت الحروب فوق الارض العربية والاسلامية ضد المستعمرين ، واصبحت بعد الاستقلال بين إخوة يجمعهم الوطن ، أو جيران تجمعهم العقيدة ، ويقوم المستعمرون القدامى والجدد بتغذيتها وزيادة اشتعالها .

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة العشرون

العدد ٢٣٠ ● صفر ١٤٠٤هـ ● نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٣م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)

ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان

تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



إن ميادين هذه الحروب ارضنا ، والقتلى أبناؤنا ، والضائع أموالنا وجهودنا .
نسأل الله تعالى أن يهدي العرب والمسلمين الى طريق الخير والصواب .
إخواني :
أن علينا ان نستعين بالله تعالى ، ونصبر على الخير قولا وعملا ، ونزداد تمسكا بما نؤمن أنه الحق .
إن المحافظة على وحدتنا الوطنية أمانة ، وتعميق التشاور فيما بيننا أمانة ، ورعاية شبابنا أمانة ، وتنمية اقتصادنا أمانة ، وبناء قواتنا لحماية وطننا داخليا وخارجيا أمانة ، فكونوا لأماناتكم وعهدكم راعين .
إن هذه الأمانات هي ركائز السور الجديد ، الذي علينا أن نتعاون على بنائه ليحفظ الكويت ويزيد من قدرتها على حمل مسئولياتها ، جامعة بين أصالتها وما يناسبها من المنجزات الحديثة ، داعين الله تعالى « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » .
إخواني :
أن الحدث الذي شهده اقتصادنا ، اقتضى منا جميعا بذل جهود كبيرة ، نأمل ان تكون قادرة على احتواء مظاهره وآثاره ، مؤمنين بضرورة تكريس قيم العمل الجاد الذي يربط بين الجهد والابداع والجزاء ، ذاكرين قول الله ووعده الصادق .
« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .
وفقكم الله ، وجمع على المودة والعمل كلمتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخطاب الأميري

ثم القى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح الخطاب الأميري فاستعرض الأحداث التي يعيشها عالمنا العربي المعاصر ..

نص الخطاب الأميري : -

● إخواني اعضاء مجلس الأمة الموقر

يسعدني مع بداية دور الانعقاد العادي الرابع لهذا الفصل التشريعي الخامس ان اتوجه اليكم جميعا باسمي واسم اخواني اعضاء الحكومة بالتحية والتقدير ، لما أبديتموه من حرص على أداء الواجب والتفاني فيه حين بادرتم الى تلبية الدعوة لدور انعقاد غير عادي بين دوري انعقاد مجلسكم الموقر ، استجابة لداعي المسئولية الوطنية ، وتعاونا مع الحكومة في مواجهة امر من امور التشريع ، قدرتم كما قدرت الحكومة انه لا يحتمل الارجاء ..

ولقد اعتدنا في بداية كل دور من ادوار انعقاد مجلسكم الموقر ان نتذاكر معا جوانب مسئوليتنا المشتركة ، حتى نواصل العمل الذي لا يتوقف لخدمة الكويت العزيزة وشعبها الذي اولانا ثقته وحملنا امانة السعي لتحقيق آماله وتطلعاته .

ولقد كان العام الذي انقضى عاما حافلا بالتحديات وحافلا كذلك بالانجازات ، على الصعيدين الخارجي والداخلي على السواء .

وحين نذكر الصعيد الخارجي فاننا لا نملك الا ان نذكر بكل مشاعر الالم ما تعرض له لبنان وشعبه الشقيق والاخوة الفلسطينيون نتيجة

استمرار العدوان الصهيوني الوحشي الاخير، وعدم تنفيذ حكومة الكيان الصهيوني لقرار مجلس الامن بضرورة سحب القوات الاسرائيلية المعتدية من الاراضي اللبنانية، مما زاد الموقف تعقيدا وهدد السلام في المنطقة كلها.

كذلك نذكر - بكل مشاعر الحزن والاسف - تصاعد الصراع بين الفئات اللبنانية المختلفة، واتخاذه اشكالا تهدد وحدة لبنان كما تهدد استقلاله في صميمه .. مما فتح الباب امام تدخل قوى اجنبية متعددة جاءت باسم المحافظة على السلام، فلم تلبث ان تورطت في القتال.

واذا كانت الجهود المكثفة التي بذلت للوساطة بين اطراف النزاع قد توجت بالاتفاق الاخير على وقف اطلاق النار تمهيدا لمصالحة وطنية شاملة، فان الكويت وهي تشعر بالارتياح العميق لهذه الخطوة المبدئية تأمل ان يكون وقف اطلاق النار بداية لا رجعة فيها لعودة



الحياة الطبيعية الى لبنان الشقيق، على نحو يحافظ على وحدته واستقلاله واستقرار الامن في ربوعه، كما تبارك الجهود الكبيرة التي بذلتها اطراف عديدة، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية الشقيقة، من اجل التوصل الى هذه الخطوة.

لقد مرت القضية الفلسطينية خلال الفترة الماضية بظروف عصيبة وشهدت المقاومة الفلسطينية مواجهات صعبة تابعناها معا بكثير من القلق والالم، ولكننا نعلم ان كل ذلك لن يفل من عزيمة المؤمنين بحقهم في الحياة وفي العيش الكريم. ولن يحول دون تحقيق اهدافهم

في الوصول الى الحل العادل لقضيتهم ، التي هي قضيتنا وقضية العرب والمسلمين في كل مكان .

وما تزال الكويت تتطلع الى استجابة الجمهورية الايرانية الاسلامية للمساعي الموصولة على طريق وضع حد للحرب الدائرة بينها وبين الجمهورية العراقية ، فما اشد حاجة البلدين وحاجة العالم العربي والاسلامي الى تضافر القوى وحشد الطاقات المهدورة في هذه الحرب لمواجهة المخططات العدوانية التي تستهدف المنطقة بأجمعها . ولتوجيه كل الطاقات للتنمية ولتحقيق الامن والرخاء والاستقرار .

وستستمر الكويت مع الدول الشقيقة والصديقة في بذل المزيد من المساعي لانهاء هذه المأساة التي تلقي ظلالا قاتمة كثيفة على مستقبل المنطقة كلها .

وللمحافظة على تماسك الصف العربي في وجه الاخطار الجسيمة التي تجمعت عليه ... تعددت خلال العام الماضي رسائل صاحب السمو امير البلاد الى اخوته الملوك والرؤساء العرب ، كما قام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الاعلام بالعديد من الزيارات والاتصالات باسم حكومة الكويت ، تقريبا لوجهات النظر ، وتضييقا لشقة الخلاف ، كما استقبلت الكويت خلال هذا العام عددا من المسئولين العرب ، استكمالا لحلقات الدور الذي تقوم به مع شقيقاتها لمواجهة اخطار التفرق واختلاف الكلمة والاستغراق في صراعات محلية لا يستفيد منها الا خصوم الامة العربية .

وفي نطاق تقوية الروابط مع الاشقاء في دول الخليج العربية تم تبادل الزيارات بين كبار المسئولين في هذه الدول بقصد التنسيق والتشاور حول المصالح والقضايا المشتركة .. كذلك استمر العمل في تطبيق بنود اتفاقية التعاون الاقتصادي بين دول مجلس التعاون ، كما تم التفاهم بين دول

المجلس حول عديد من الامور التي ناقشها المجلس في العام الماضي ..

وسوف يعقد خلال الشهر المقبل بمشيئة الله في دولة قطر الشقيقة لقاء قمة لدول مجلس التعاون ، تجري خلاله متابعة جهود وخطوات التعاون بين دول المجلس ، والتنسيق بين مواقفها في مواجهة القضايا المشتركة .

واذا كانت الكويت قد اعلنت مرارا تمسكها المطلق بأن المحافظة على امن الخليج هي في المقام الاول مسئولية ابناء الخليج ، فان مقتضى هذا المبدأ ، ان تتوفر لدول مجلس التعاون ، القوة الدفاعية الذاتية للقيام بمسئوليتها في حماية الامن في المنطقة . ولقد تم في هذا الشأن تعاون وتنسيق مع الاشقاء في دول المجلس ، كما وجهت الحكومة عناية خاصة لرفع كفاءة قواتنا المسلحة تنظيما وتدريبا وتسليحا .. وسوف تشهد الايام المقبلة اول مناورات عسكرية مشتركة تسهم فيها القوات المسلحة لدول مجلس التعاون. (وقدتم)

اما على الصعيد الداخلي فقد تابعت الحكومة تنفيذ البرامج الواردة في بيانها الذي تقدمت به الى مجلسكم الموقر في دور انعقاده الاول .. وكانت المحافظة على الامن والاستقرار في مقدمة ما حرصت الحكومة على تحقيقه ، ذلك ان التطور الاجتماعي والاقتصادي في الكويت ، والتطورات التي طرأت على المنطقة كلها قد كان من آثارها الجانبية ظهور انواع من الجرائم الغريبة على مجتمعنا وبيئتنا ، مما اقتضى مواجهتها باقصى درجات الحزم والكفاءة .

ولقد تمثل حسن اداء اجهزة الامن في هذا الشأن في السرعة القياسية التي تم بها اكتشاف مرتكبي هذه الجرائم والقبض عليهم تمهيدا لمحاكمتهم . وسوف تواصل اجهزة الامن ملاحقة كافة العناصر التي تسيء الى امن الوطن او تحاول العبث بسلامته ،

وهي تتطلع في كل ما تبذله من جهد الى مزيد من تعاون المواطنين مع اجهزة الدولة المختصة تعبيرا عن المسئولية التي نحملها جميعا حتى تظل الكويت كما كانت دائما ، واحة امن واستقرار وامان لكل من يعيش على ارضها الطيبة .

● الاخوة اعضاء المجلس الموقر

لقد حرصت الحكومة منذ بداية ظهور مشكلة معاملات الاسهم التي تمت بالاجل على ان تشرك مجلسكم الموقر في اتخاذ الخطوات التشريعية الكفيلة باحتواء المشكلة وتصفيتها تدريجيا .. ولقد توجت الجهود المضنية التي بذلت لانهاء هذه المشكلة باصدار القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٣ ، واذا كان هذا القانون قد ارسى اساسا عادلا ومعقولا لتسوية المعاملات التي تشابكت وطال امد تعليقها ، فقد وجب الآن على كل مدين ان يسارع ـ في غير انتظار ولا مماطلة ـ الى الوفاء بحقوق دائنيه .. فليس بعد ما جاء به هذا القانون عذر ولا حجة لاحد .. ولقد اوشكت الجهات المختصة على الانتهاء من تحديد قيمة دينار المعسرين ، وبذلك لن يكون امام المدينين الا المبادرة الى الوفاء بحقوق اصحاب الحقوق ، والا تعرضوا للجزاءات التي تضمنتها نصوص القوانين .

واستكمالا لعلاج الاوضاع التي سمحت بنشوء مشكلة سوق الاوراق المالية كان لا بد من ضبط القواعد التي تعمل في ظلها تلك السوق ، ولذلك اصدرت الحكومة في ١٤ اغسطس ١٩٨٣ مرسوما ينظم سوق الاوراق المالية وذلك بقصد تطويرها على النحو الذي يخدم عمليات التنمية الاقتصادية ويساعد في تحقيق اهداف السياسة الاقتصادية للدولة وبقصد تطوير وترشيد اساليب التعامل في السوق بما يكفل سلامة المعاملات ودقتها ويسرها ويوفر الحماية اللازمة للمتعاملين

فيها ، كما صدر قرار بتشكيل لجنة السوق ، وستبدأ في ممارسة عملها وفقا للمرسوم .

● الاخوة اعضاء المجلس الموقر

تولي الحكومة موضوع الاسكان عناية خاصة تمثلت في انشاء المجلس الاعلى للاسكان بالمرسوم الصادر في ٣١ مارس ١٩٨٢ بقصد رسم سياسة متكاملة للاسكان تكفل توفير السكن اللائق للمواطنين جميعا .. ولقد اصدر المجلس منذ بدأ اجتماعاته في اكتوبر ١٩٨٢ عددا من التوصيات الهامة التي عرضت على مجلس الوزراء وتم اتخاذ القرارات اللازمة في شأنها .. وتقوم السياسة الاسكانية الجديدة على اساس منح الاولوية في السكن الحكومي للأحق في الرعاية السكنية ، وذلك بدلا من النظام الحالي الذي يقوم على اساس التخصيص حسب اولوية تقديم الطلب وحدها . كما تقوم السياسة الجديدة على اساس توحيد نمط الاسكان الحكومي لكافة المواطنين المستحقين ، وقد اقتضى تطبيق هذا النظام الجديد تحديث طلبات الاسكان التي سبق التقدم بها . كذلك تقرر العمل بنظام توزيع قسائم على مستحقي الرعاية السكنية كأحد البدائل ضمن ضوابط وقواعد جديدة وبنسب محددة من الاراضي المخصصة للاسكان الحكومي . وكذلك اشتملت تلك التوصيات على دراسة تطوير اسلوب عمل بنك التسليف والادخار وكيفية مساهمته بشكل ايجابي في تمويل الاحتياجات الاسكانية للبلاد ، ودراسة افضل السبل الممكنة لقيام القطاع الخاص وجهات حكومية معينة بالمشاركة في تنفيذ المشروعات الاسكانية .

واذا كانت الحكومة ماضية على هذا النحو في تنفيذ برامج التنمية والتعمير وفي تقديم الخدمات الاساسية للمواطنين على مستوى يناسب طموحاتهم

وتطلعاتهم الكبيرة ، فانها ترى من واجبها مع ذلك ان تذكر بأن المحافظة على الرخاء هي مسئولية جميع المواطنين .. وهي مسئولية تقتضي منا جميعاً ان نراجع نظام انفاقنا ، وان نبذل مزيدا من الجهد لترشيد هذا الانفاق .. فهذا وحده هو الضمان لاستمرار الرخاء .

● الاخوة اعضاء مجلس الامة الموقر
ان مستقبل وطننا ورخاءه واستقراره انما يتحقق بتكافل ابناء الكويت جميعا وترابطهم وهم يعملون معا كالبنيان المرصوص لتحقيق هذه التطلعات ، ولاداء دورهم الذي حافظوا عليه دائما في قلب امتهم العربية والاسلامية ، بتوجيه ورعاية من قائد مسيرتنا صاحب السمو امير البلاد حفظه الله . والله تعالى نسأل ان يكون معنا جميعا بتيسيره وتوفيقه ورعايته حتى نؤدي الامانة على الوجه الذي يحبه ويرضاه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

يَقُولُ الخِطَابُ الأَمِيرِيُّ عَنِ الحَرْبِ العِرَاقِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ :

«ما أشدّ حاجة البلدين، وحاجة العالم العربي والإسلامي، إلى تضافر القوى وحشد الطاقات المهدورة في هذه الحرب لمواجهة المخططات العدوانية التي تستهدف المنطقة بأجمعها . ولتوجيه كل الطاقات للتنمية ولتحقيق الأمن والرخاء والاستقرار»

في ذكرى الهجرة

اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها السنوي المعتاد في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة في مسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم ليلة السبت الأول من المحرم ١٤٠٤ هـ .
وقد القى كلمة الوزارة الأستاذ / محمد ناصر الحمضان وكيل الوزارة .. وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن حكمة الله تعالى اقتضتْ أن يكونَ الزمنُ الذي يعيشه الأفرادُ وتحياه الأممُ مليئاً بالمحطات التي تُتيح الوقوفَ للتأملِ والتفكيرِ والتقويمِ والتخطيطِ ، ليكونَ المستقبل خيراً من الحاضر :

(هو الذي جعل الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدّره منازلَ لِتعلموا عددَ السنينَ والحسابِ) .
(أو لم نُعمِّرْكُم ما يتذكرُ فيه مَنْ تَذَكَّر وجاءكمُ النذير)

ونحن الآنَ بين عامين : عام نودّعه بعد أن اصبحتْ أحداثه

جزءاً من تاريخنا ، نستلهمُ منه وجوهَ العِبرة ونستمد من وقائعه دروساً تنفع في حاضرنا العتيد ، وعامُ جديد نستقبله ولنا من صدى الآلام حافزٌ لاستدراك ما فات وتحاشي الأخطاءِ والتقصير ، كما لنا من الآمالِ حادٍ ينفحنا بقوة الايمان ، ويدرأ عنا اليأسَ والقنوطَ من رَوْحِ الله .

(إنّه لا يَيأسُ من رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرون) .

إن استقبال عامٍ جديدٍ من أعوام الهجرة يفتح لنا صفحاتِ الذكرى لتلك العهودِ المشرقةِ التي بدأتْ بخروجِ هذه الأمةِ والناس من ورائها من الظلماتِ الى النور ، ومن جَوْرِ الأديانِ الى عَدْلِ الاسلامِ ، ومِن ضيقِ الدنيا الى سَعَة الدنيا والآخِرة ، في ظل حضارةٍ شهد بها التاريخ ... واننا أحوجُ ما نكون الى تجديدِ معاني الهجرةِ في النصرة والإيواء والألفةِ والاتحاد لإنقاذ الأمة مما تعانيه مِن تمزّقٍ في الكيان الواحد ، وشَتاتٍ في الأفكار ، وتفرّقٍ عن سبيل الاعتصامِ بحبل الله ، أن يتكرر ما أفاءتْه حادثةُ الهجرةِ العظيمة من تغيير في الأنفس نشأ عنه تغييرٌ في المجتمع ، وهداية عمَّتْ مشارقَ الأرض ومغاربها .

(إنَّ اللهَ لا يُغيِّر ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم)

هذا ، وان الذكرى التي نعيشها تُوافق العامَ الرابعَ من دخول القرنِ الهجريِّ الخامسَ عَشرَ ، وقد رافق استهلالَ هذا القرن تسليطُ الأضواء على محاولات النهوضِ بالأمة وتصحيحِ مسارها وتكثيف الإعلام بشكل له خطره البعيد اذا لم يصحبه تحوّل فعليٌ باتجاه الاصلاحِ وإرادةُ التغيير وضبطُ المسارات في تفتّح الشباب وإقباله على دينِ الله ووضعُ الأسس الثابتة للاصلاح المنشود في الفكر والاقتصادِ والاجتماعِ والسياسةِ .

إن مما ينبَغي رعايتُه وتأصيلُه تلكَ الغَرَساتِ الجديدةَ التي شهدتْها السنواتُ الأولى من هذا القرن متمثلةً في تطوير القوانين



بما يوافق الشريعة الاسلامية ، وتنشيطِ المؤسساتِ المَاليةِ التي تضمن الاستثمارَ الحلالَ وطهارةَ الأموال ، والعناية بالقرآن الكريم وتيسير حفظه وتعليمه ، ونشر الكتاب الاسلامي وإحياءِ ذلك التراث وكلّ ما يجلّي وجهَ الحضارة الاسلاميَة التي تبعث فينا روح التجديد والعودة الحميدة الى كتاب الله وسنة رسوله .

وان هذا النشاطَ الفكريّ والاقتصاديّ لا بدّ أن تستمر خطواته بصورةٍ شاملةٍ تؤدي الى إصلاح المجتمع وتوثيقِ عُراه ، وجمع الصَفّ وتوحيدِ كلمةِ الأمةِ الاسلاميةِ على اختلاف أقطارِها والسنتِها وانظمتِها حتى تكون ـ كما أمر الله ـ كالبنيانِ المرصوصِ لا تنفذ فيها الدسائسُ الخارجيةُ الماكرةُ ونارُ الفتنةِ التي يكون حصادها ضياعُ الأمن وقَطْعُ مسيرةِ البناءِ والسقوط في وهدة النفوذ الخارجي . وبذلك نحيي ذكرى الهجرة التي كانت نقطة الانطلاق لإيجاد خير أمةٍ أُخرجَتْ للناس وننتهزُ هذه الفرصةَ لنقدّم الى صاحب السمو أمير البلاد ، وسمو ولي العهد ، والى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أطيبَ التهاني بالعام الجديد ، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يجعلهُ عامَ النصر واليمنِ والرخاءِ وكلّ عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وَبركاته .



كلمة الوعي

نحن والقرآن

أمة الاسلام على اختلاف مستوى الافراد والجماعات فيها يشيع بين أبنائها إحساس مشترك بأن واقع المسلمين الآن ـ وهم يجتازون أقسى مراحل تاريخهم الطويل ـ يعصر القلوب بالألم والأسى مماجعل المسلم الغيور على دينه ووطنه يسأل نفسه ويسائل غيره ـ متى يسترد المسلمون ما سلف من مجد وما ضاع من تراث خلفه الآباء والأجداد ؟ ومتى يعودون كما كانوا قادة الدنيا وهداة العالم ؟ وبم تبدأ مسيرتهم على طريق الوحدة والترابط والاعتصام بحبل الله ؟

تتردد هذه الاسئلة كلما اشتدت المحن وتوالت الأحداث نسمعها في كل بيت وكل ناد ومجتمع وهكذا يبكي الكل أو يتباكى على ما أصاب المسلمين من تفرق وتناحر وضعف وهوان ؟

ولكن علام البكاء وكل المسلمين مسئولون عن هذا التمزق والضياع والمعاناة ؟
ولا يخفى على أحد منا ان سبب ذلك يرجع الى هجرنا للقرآن وإهمالنا السنة .

نعم هجرنا القرآن فلم نقف عند حدوده ما حرمنا حرامه ولا أحللنا حلاله ولا أقمنا معالمه . ما طبقناه في السلوك والأخلاق ولا في المتاجر والأسواق ولافي المكاتب والمدارس ولا في البيوت والأسر ولا في السلم ولا في الحرب فهل بعد ذلك يجدي البكاء ؟

دخل العز بن عبد السلام يوما على تلاميذه فوجدهم جميعا يبكون لأن أحدهم سرق منه مصحفه فقال عجبا كلكم يبكي فمن سرق المصحف !

كذلك المسلمون اليوم كل منهم يبكي على ضياع القرآن ولا يدري أنه يتحمل قدرا من وزر هذا الضياع قد يتهم البعض منا فساد الزمان وفي الواقع،العيب فينا وليس العيب في الزمان المتهم البريء وصدق ابو الطيب إذ يقول :
نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

يشترك في هجر القرآن من يقتصر على تلاوته ولا يظهر أثره في سلوكه ومعاملته . ومن يلفه بالحرير ويضعه في علبة فاخرة . يزين به مكتبه أو يجعله حرزا لسيارته أو يتخذ من آياته لوحات معبرة لجمال الخط والرسم وباسم التبرك به نشترك في هجر القرآن وعزله عن حياة الناس ؟
ان بركة القرآن في العمل به والاحتكام اليه وإيجاد المجال لينطلق مؤديا رسالة الهداية والنور في ظلمة الحياة
وصدق الله العظيم « وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون

فما أنزل القرآن الا ليفهم الناس روحه ويستنيروا بهديه ويتبعوا حدوده وآدابه ليخرجهم من الظلمات الى النور
وصدق الله العظيم "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »
ان هذه الامة بأفرادها وجماعاتها بقادتها وشعوبها جميعا يتحملون مسئولياتهم بقدر ما يملكون من قوة ومافي استطاعتهم من توجيه وتأثير وقيادة ولا عذر لأحد منهم   مادام القرآن بينهم محفوظا بحفظ الله لم

تتبدل منه كلمة ولم يتغير منه حرف ومادامت السنة المطهرة مسطورة في الكتب محفوظة في الصدور . وصدق الله العظيم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »
لم يغب عن فهم المسلم وفكره ان الاسلام . وهو الدين عند الله . أنقذ البشرية من ضلال وهداها من حيرة عندما نزل القرآن يهدي للتي هي اقوم وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين للناس ما نزل اليهم

وفي رحاب القرآن وفي مدرسة النبوة تعمق الايمان وقويت العقيدة وتربى الرجال والنساء تربية رشيدة وعاش المجتمع الجديد ينعم بالرحمة بعد القسوة وبالأمن بعد الخوف وبالهدى بعد الضلال كما اعترف بفضل القرآن أعداؤه حين نطقوا بهذه الشهادة ـ والله إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر .
آمن به الجن وقد وجدوا فيه الهداية والرشد وقالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا »

ولا عجب إذا رأينا أعرابيا أميا مثل ربعى بن عامر وقد اشرق قلبه واستنار فكره بالقرآن يقف مرفوع الرأس امام رستم قائد قوات الفرس وقد سأله رستم ما الذي جاء بكم ؟
قال ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام
وهكذا ربى القرآن رجالا عزت بهم الحياة وابطالا استنارت بايمانهم صفحات التاريخ .

وسعدت به اجيال عاشوا في ظلاله وتمسكوا به واحتكموا إليه .
كما سجل التاريخ أن الاسلام أساس الحضارة المعاصرة فيوم كانت اوروبا تكبلها قيود الجهل كانت الجامعات الاسلامية تنتشر في شرق الدنيا وغربها ووصل المد الاسلامي الى الصين شرقا والى ابعد من الاندلس غربا وتنبه الغرب الى صوت القرآن يملأ سمع الدنيا وعلموا أن قوة الاسلام اساسها القرآن الكريم ودعوته الى اكتشاف اسرار الكون عن طريق النظر في السموات والارض فأرسلوا بعوثهم الأوربية الى أقرب الجامعات الاسلامية وكانت في الاندلس

تعلموا الطب والفلسفة والفلك والكيمياء وغير ذلك من العلوم والمعارف على يد

علماء المسلمين كما قرر ذلك المؤرخون المنصفون منهم
ومازالت صورة الامام الرازي والامام ابن سينا تتصدر كلتاهما كلية الطب في باريس اعترافا بفضلهما وتخليدا لعلمهما
أشار الى ذلك (بريفولت) مؤلف كتاب « بناء الانسانية » وجاء في بعض فقراته : قوله لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ويستطرد قائلا ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد الى اوروبا الحياة بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة اشعتها الى الحياة الاوروبية .
وهكذا كان من غير المسلمين قلة منصفة اعترفت بأثر القرآن وفضله كما كان منهم كثرة حاقدة دأبت على الكيد للاسلام وأهله وحاولت أن تصرف الأمة عن دينها وتباعد بين المسلم وقرآن ربه بكل الوسائل وما رحل الاستعمار عن بلد إسلامي الا بعد ان سيطر على المناهج التعليمية ودس فيها مبادىء الالحاد والعلمانية واتخذ من المدارس والمستشفيات الاجنبية اوكارا للتبشير وحملاته وان كانت هذه الدول تنبهت الى ذلك بعد التحرير من سلطان المستعمر إلا أن أثر ذلك خلف في شعوبها المرارة والمعاناة والتخلف
وسيبقى المسلمون في اوطانهم حيارى ان ظلوا بعيدين عن كتاب الله وسنة رسوله وماداموا يحتكمون الى القانون الوضعي ولا يحتكمون الى شريعة الله .
ان الأمة لن تضع اقدامها على طريق العزة والكرامة الا اذا اسلمت قيادها للقرآن وبدأت حركتها من تعاليم الاسلام
بقي على كل فرد منها وعلى الباحثين والمفكرين واصحاب السلطة فيها ان يلبوا داعي الله وان يعودوا بكل امانة وصدق إلى كتاب الله وسنة رسوله حتى لا يضلوا وحتى لا يذلوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنة رسوله »
هذا ومن بوادر الخير وبشارات النصر اتجاه كثير من البلاد الاسلامية الى تطبيق الشريعة الاسلامية . بهذا يسير المسلمون في الطريق الصحيح ويفوزون بعز الدنيا وسعادة الآخرة
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »

رئيس التحرير

حسن فنّاع

مفهوم الفكر الإسلامي وأصالته

للدكتور/محسن عبدالحميد

مصطلح الفكر الاسلامي من المصطلحات الجديدة ، فهو يعني كل ما انتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والانسان ، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الانساني لتفسير تلك المعارف العامة في اطار المبادىء الاسلامية ، عقيدة وشريعة وسلوكا .

وكل فكر بشري نتج عن فكر مستقل ولم ينطلق من مفاهيم الاسلام الواضحة المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، لا يمكن وصفه بأنه فكر اسلامي . لأن قولنا « فكر اسلامي » يعني وصفنا اياه بصفة « الاسلامي » . وليس من المنطق السليم ان يحسب فكر ما على الاسلام وهو ليس باسلامي ، بل نصفه بأنه فكر عام لم ينطلق من الاسلام وانما انطلق من أديان وعقائد اخرى ، تقترب من الاسلام حينا وتبتعد عنه احيانا اخرى .

وهذا الفكر الاسلامي ليس هو

الاسلام نفسه ، من حيث هو وحي إلهي ثابت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولذلك فان ذلك الفكر ليست له عصمة وقداسة الاسلام ، ويجب ألا يخلط به ، لأن خلطه به يؤدي الى اقحام الفكر البشري بالوحي الالهي . وقد جر ذلك كثيرا من الالتباسات التي أدت الى نتائج في غاية الخطورة عبر التاريخ ، حيث أضيفت افكار بشرية عرضت في اطار الاسلام الى الاسلام نفسه ، وانتهت الى إعاقة المسلمين والحضارة الاسلامية ، لأنه من اخطر مظاهر الانحراف العقيدي ، ان تتحول افكار بشرية في نواحي الحياة الى دين مقدس ، يحاسب الناس عليه ، فالنتيجة الطبيعية لذلك ، ادخال فساد كبير على مبادىء الدين وتشويهه وتحريفه عن الغاية التي جاء من اجل تحقيقها في المجتمع الانساني .

ومن المؤسف أن كثيرا من الباحثين عن الفكر الاسلامي القديم والحديث وقعوا في هذا الخطأ الكبير ، وهم عندما يتحدثون عن الفكر الاسلامي يخلطونه بمبادىء الاسلام ويتحدثون عن القرآن والسنة مظهرا من مظاهر الفكر دون ان يضعوا خطا واضحا بين الأصول الاسلامية والفكر المنتج منها أو التفسيرات التي تدور حولها .

نعم ان الفكر الاسلامي الذي نقصده لابد له ان ينطلق من ضوابط الاسلام ولكنه بالرغم من ذلك هو عبارة عن مواقف اجتهادية لعلماء الاسلام ومفكريه . فعند تصنيفه والحديث عنه وعن مراحله لابد ان يدرك كل قارىء لذلك الفكر ، ذلك الفصل الحاسم بينه وبين أسسه وضوابطه وقواعده ، وهي الوحي الالهي الممثل بالكتاب الكريم والسنة الشريفة .

ويجب على كل مسلم أن يعرف أن الدين الاسلامي ليس فكرا او تصورا او فلسفة ، لأن مصطلحات الفكر والتصور والفلسفة انما هي افرازات العقل الانساني في تاريخه الطويل ، سواء تم ذلك الافراز في المجتمع الاسلامي أم في المجتمعات الأخرى . ولكن من الحقائق الواضحة ان نقول : ان الفكر المفرز اذا كان قد اهتدى بهداية الاسلام في اطار ضوابطه وقواعده ، فان امكانية الخطأ فيه تقل كثيرا عن امكانية الخطأ في الفكر التائه الذي لا يضبطه ضابط يستند الى عصمة الوحي الالهي واصوله العامة ، وذلك لسببين .

الأول : ان الاسلام يضع الحقائق الكاملة عن الوجود امام العقل في المجالات التي ليس له ان يلجها ، لكون ذلك العقل محدودا ناقصا ، وجد اصلا لكي يكون عقلا عمليا يتحرك في اطار عالم المادة ، فيحاول الكشف عن قوانينه واسراره ، ولذلك نجد أن العقل الانساني عبر التاريخ ، كلما حمل نفسه في قضايا ما وراء المادة اكثر مما يتحمل ، ضل وتاه ولن يصل قط الى الأمان . والدليل القاطع على ذلك آراء الفلاسفة والمفكرين في القضايا الغيبية خاصة ، منذ اقدم

العصور الى اليوم . فهي عبارة عن مجموعة من الأفكار المضطربة المتصارعة والمتناقضة الساذجة في كثير من الأحيان والتي تحمل قصور ذلك العقل المحدود في المجال المذكور .

ومن جهة اخرى ، فإنه كلما عرف العقل الانساني مقداره ومجاله واشتغل في اطار كشف اسرار عالم المادة ، انتج بل ابدع في هذا الانتاج ، والدليل التاريخي على ذلك ثمرات الحضارات التي حقق بها الانسان جزءا مهما من خلافته على الأرض .

وكلما ادعى العقل الانساني المعرفة المطلقة في حل اسرار العالم الأول ، ضل وتاه وانتهى الى الالحاد والانحراف وارتمى في احضان المادية ، وانتج حضارة غير متزنة ، بعيدة عن تمثيل الفطرة الكونية والانسانية بعدا كبيرا .

الثاني : أن الهوى المعبر عن حركة الانفعالات الغريزية لدى الانسان يعيق العقل عن حركته السليمة ويحجبه عن الادراك السليم لحقائق الاشياء ، بل يعطله تعطيلا كاملا ، فيستعين الانسان بهواه ، فلا يضع الأمور في اماكنها الصحيحة ، فينتهي الى الحاق الضرر والظلم بنفسه وبغيره .

هذه هي حدود الفكر الاسلامي الأصيل المنبثق من الكتاب والسنة ، عند من يفهم حقائقهما ، ويعلم ان ذلك الفكر حيث ظهر صافيا انطلق من ذينك المصدرين المعصومين . غير ان الدوائر الاستشراقية قد حاولت خلال اكثر من قرن أن تثبت أن الفكر الاسلامي في مظاهره المتنوعة نبع من اصول الثقافات الأجنبية ، وطرحت في ساحة البحث العلمي قضايا ودعاوى ضخمة في هذا المجال . ولكن محاولتها لم يحالفها النجاح ولم تستطع اثباتها ، بل قدمت أبحاثها من خلال ادعاءات خاطئة واحقاد موروثة وتهويشات وأباطيل سمتها علما وحيادا وموضوعية ، لم تستطع ان تقف امام البحث الجاد والنظر السديد والمناقشة الموضوعية .

لقد سلكت تلك الدوائر في سبيل الوصول الى اهدافها مسلكين :

الأول :

تشويه معالم الثقافة الاسلامية ذات الاصول السليمة وادعاء انها قد تأثرت بالثقافات الأجنبية ، كادعاء ان المذاهب الكلامية التي ظهرت في العالم الاسلامي بعد القرن الأول الهجري نتجت عن الثقافات الأجنبية ، الفكرية منها والدينية ، وكادعاء ان الفقه الاسلامي الذي يعتبر اكبر مظهر من مظاهر عبقرية الفكر الاسلامي قد تأثر بالقانون الروماني !!

الثاني : محاولة توسيع دائرة الفكر الاسلامي حتى تشمل الفلسفات الغريبة ، الفلسفة المشائية منها والصوفية الباطنية والتيارات المنحرفة ذات الأصول الهندية والمجوسية ، والباطنية ربيبة الثقافة الغنوصية واليهودية ، ثم سحب ذلك على الفكر الاسلامي . وبما انه قد ثبت ان تلك الفلسفات الوثنية والانحرافات الصوفية والتأويلات الباطنية كانت الثمرة الطبيعية لغزو الثقافات

الأجنبية للمجتمع الاسلامي . إذن فالفكر الاسلامي برمته غدا في نظر هؤلاء متهما بأنه لم يصدر عن الاسلام نفسه ، بل ان كثيرا من المستشرقين ولاسيما اليهود ، مثل « كوزيهر » حاولوا بأسلوب مكشوف ان يقدموا الاسلام نفسه ، وكأنه ثمرة طبيعية للتراث اليهودي ، دون أدنى اعتبار للمنهج العلمي في البحث والنظر والمقابلة والمقارنة .

على انه لم يمض زمن طويل حتى ظهرت الحقائق الفكرية والتاريخية عن مجمل حركة الفكر الاسلامي الأصيل وأثبت الباحثون والمفكرون امورا في غاية الخطورة والوضوح ، نجملها فيما يلي :

- ان حركة الجدال العقلي في الاسلام نبعت من تطور المجتمع الاسلامي نفسه في ضوء تعاليم القرآن ومنهجه في الجدال وعرض الحقائق الكونية والحيوية والانسانية .

- ان الفقه الاسلامي بنى على أصول الشريعة الاسلامية وقواعدها العامة ، وان حركة الاستنباط كانت نابعة من نمو المجتمع الاسلامي وتطوره في ضوء تلك الأصول والقواعد .

- ان حركة الزهد والتصوف الاسلامي المستقيم غير المنحرف كانت ثمرة طبيعية للمبادىء الاخلاقية التي رسمها القرآن الكريم للحياة البشرية ، وطبقها الرسول الكريم وصحابته الكرام في حياتهم العامة والخاصة .

- إن الأفكار الاسلامية الاصيلة لابد أن تستكشف في مصادرها الحقيقية النابعة من الأصول الاسلامية وتطور الفكر الاسلامي السليم ، لا في الثمرة البائرة التي انتجتها الثقافات الدخيلة .

واليوم ونحن نعيش في خضم الصراع الفكري الذي تتصادم فيه الفلسفات والأفكار . لابد لنا ان نتعرف عليها ، ونتغلغل في اصولها واتجاهاتها حتى نستطيع أن نميز الأمور ونحدد المبادىء ، فلا نحسب افكارا كثيرة يرددها كتاب قد لا نستطيع ان نخرجهم من دائرة الاسلام ، لسبب بديهي وهو أنهم ينطلقون من منطلقات غير اسلامية .

لقد ظهر اسلوب فكري جديد لا يحاول انكار الاسلام صراحة كالماركسيين والماديين ، ولكنه يحاول ان يعرض الأفكار عينها تحت ستار كلمات الايمان والأصالة والمعاصرة ، فيمكن للاتجاهات المادية والعلمانية .

وخطر هذا الاتجاه عظيم جدا على الجيل الجديد ، لعدم معرفته بحقائق الاسلام وبجذور تلك الأفكار ومقاصدها . فمهمة المفكرين الاسلاميين ان يكشفوا التيار الجديد بمقدماته ونتائجه ومصطلحاته ، حتى لا نعيد مأساة من صاغوا ثقافات اجنبية في اصولها وفروعها بصيغ اسلامية رقيقة مهلهلة .

عناصر القوة

تمهيد ما قبل الاسلام ـ

لقد تحدثت الكتب المقدسة قبل ميلاد الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وسلم بقرون عن أهداف رسالته قبل أن يكون صلى اللّه عليه وسلم في عالم الوجود وهذا ما يؤكده قوله عز وجل « **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** »الأعراف / ١٥٦ ، ١٥٧

كما أخبرنا التاريخ عن حديث الكهان والرهبان عن ذلك النبي الذي لمع نوره ـ قالوا : نبي مصلح يظهر في بلاد العرب يغير وجه التاريخ ـ

أما العرب أنفسهم الذين بعث رسول اللّه منهم فقد كان لهم معتقدات كثيرة كلها ضلال وشرك ـ ففي الجاهلية كانوا يعاملون المرأة على أنها سقط متاع ... لذلك كان إذا ابلغ الرجل منهم أن زوجته ولدت له بنتا غضب وحزن ـ يقول في ذلك

في الإسلام

للأستاذ / عبد الحميد عمّار

القرآن الكريم « **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** » النحل / ٥٨ - ٥٩

وإذا كان في الرجل حمية الجاهلية - أو كانت المولودة دميمة فإنه يدفن هذه المولودة حية وكانت طريقة وأد البنات كما يقول ابن عباس رضي الله عنه :

كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأسها فإذا كان المولود أنثى قذفت بها في الحفرة وإذا كان ذكراً استبقته في حنان ... - كما كان هناك طريقة أخرى للوأد - وهي أن الرجل يترك البنت حتى السادسة من سنها فإن أراد التخلص منها قال لأمها طيبيها وزينيها ثم يذهب الى بئر حفرها في الصحراء ويقول لها انظري في هذا البئر ثم يأتي من خلفها ويدفعها في البئر ويهيل عليها التراب - ففي هذا الوقت المليء بالشرك والضلال بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لينقذ البشرية من الظلمات الى النور وأنزل عليه القرآن فيه هدى ونور وشفاء لما في الصدور ونادى « **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا** » النساء / ١٧٤

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » آل عمران / ١٦٤

لقد حول الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة المتناحرة إلى أمة ناهضة استطاعت أن تكون امبراطورية عظيمة .

وفي ذلك يقول الفيلسوف والمؤرخ هـ . ج ويلز : إنقضت انذاك أكثر من الف سنة ولم ينشيء شعب سامي امبراطورية واحدة وماكان أحد يتكهن للصحراء العربية التي كانت مرتعاً للقبائل الرحل أن يسطع نجم البدو ويبنوا ملكهم وينشروا لغتهم في بلاد الأندلس حتى حدود الصين فقد منحوا العالم ثقافة جديدة وأقاموا عقيدة لا تزال الى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم أما الرجل الذي أشعل هذا القبس فهو محمد صلى الله عليه وسلم ـ

فقد ورد في دائرة المعارف البريطانية ـ « كان محمد أظهر الشخصيات الدينية والسياسية واكثرها نجاحاً وتوفيقاً »

ويقول دينسون في كتابه ـ الحركات كأساس للحضارة ـ

وفي القرنين الخامس والسادس كان العالم على شفا جرف هارمن الفوضى لأن العقائد التي كانت تعيش على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التي قامت بعد جهود أربعة آلآف سنة مشرفة على التفكك والانحلال وإن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية إذ القبائل تتحارب وتتناحر لا قانونٍ ولا نظام أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلاً من الاتحاد والنظام وكانت المدنية كشجرة فخمة متفرعة امتد ظلها الى العالم كله واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه ـ

أما جيمس متشنز ـ فيقول عن الرسول الكريم « إن محمداً هذا الرجل الملهم الذي أقام الاسلام ولد حوالي ٥٧٠ م ـ ميلادية في قبيلة عربية ... ولد يتيما محباً للفقراء والآرامل واليتامى والمستضعفين وقد أحدث محمد بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية وفي الشرق كله فقد حطم الأصنام بيديه واقام دينا يدعو إلى الله وحده ورفع عن المرأة قيد العبودية ونادى بالعدالة الاجتماعية ـ

وفي وسط الاضطرابات التي كانت تسود العالم إبان الحرب العالمية الأخيرة وتنافر الدول وتناحر الشعوب يقول الكاتب الانجليزي المعروف برناردشو : ـ إنه لو تولى العالم الأوروبي رجل عظيم كمحمد لشفاه من علله كافة »

« إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها ـ

ويقول الكاتب جب ـ في كتابه مع الاسلام ـ « ليس هناك أية هيئة سوى الاسلام يمكن أن تنجح مثله نجاحاً باهراً في تأليف هذه الأجناس البشرية المتنازعة المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة ـ وإذا وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس فلا بد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع »

العنصر الأول ـ حقوق الانسان والمساواة ـ

لقد حرم الاسلام قتل البنات ومنح للمرأة حقوقا لم تعهدها من قبل ... وبذلك كان هو النظام الأول الذي أخذ بيد المرأة من وهدتها الى حيث جعل لها ما للرجل وعليها ما عليه إلا مازاد للرجل في سبيل تبعات الانفاق عليها ومراعاة صالحها فيقول المولى عز وجل في سورة البقرة « **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** »

لم تكن المساواة معروفة قبل الاسلام بل كان يسود المجتمعات البشرية نظام الطبقات والتفرقة بين الطبقة والأخرى .... وكان القصاص في القتلى قصاصاً جائراً أساسه الجور والظلم وعدم الاعتراف بالمساواة بين الناس ... ومازالت التفرقة العنصرية واختلاف الاصل في بعض البلاد سبباً في اندلاع الثورات وعدم الاستقرار ... ومماروته أنباء العالم في اكتوبر ١٩٥٧ ـ طالعته ومازال بخلدى ـ من أن وزير مالية غانة طرد من أحد المطاعم في مدينة (دوفي) بالولايات المتحدة لأنه غير مسموح للملونين بتناول الطعام في هذا المطعم ـ

لقد عالج الاسلام مثل هذه الحالة وحمى بلاد المسلمين من هذه الانقسامات بأن ساوى بين الناس جميعاً في الحقوق والواجبات ودعا الى المساواة التامة والاخاء الشامل بين أبناء البشر جميعاً فقد وجه الله سبحانه وتعالى الخطاب في قوله « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » الحجرات / ١٣

العنصر الثاني ـ التشريع الاسلامي لا يختص بقوم دون قوم :

لقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ـ التشريع الاسلامي لا يختص بقوم دون قوم وانما هو لكل المسلمين ـ وذلك مظهر من مظاهر المساواة أمام العدالة .

ومن أبرز ما يؤكد هذه الحقيقة موقفه صلى الله عليه وسلم ـ من أسامة بن زيد وقد جاء ليشفع في فاطمة بنت الأسود المخزومية لتنجو من حد السرقة فقد قال له «أتشفع في حد من حدود الله ! ثم قام فخطب في الناس وقال «**انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ـ وأيم الله ـ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » رواه البخاري ومسلم .

العنصر الثالث ـ الاسلام يكره من العبد ان يراه متميزا بين اصحابه :

روى في التاريخ الاسلامي ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في سفر وقام أصحابه باعداد شاة للطعام فقال رجل يا رسول الله علىٰ ذبحها ـ وقال الآخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال صلى الله عليه وسلم وعلى جمع الحطب ـ قالوا يا رسول الله ـ نكفيك العمل ـ فقال «علمت أنكم تكفونني ولكنني أكره أن أتميز عليكم ـ وان الله سبحانه يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » يشعر بأنه سبحانه لا يرضى حتى من المصطفين من عباده ـ أن يشعروا بأنهم ممتازون عن غيرهم وان كانوا أقرب خلقه اليه .

العنصر الرابع ـ العمل والسعي في الاسلام :

لقد حث الاسلام على العمل والسعي في طلب الرزق من وجوهه المشروعة ـ وحارب البطالة والخمول والكسل ـ قال أحكم الحاكمين في محكم التنزيل ـ « **وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين** » القصص / ٧٧ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ـ وان النبي داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وأحمد .

الاسلام يكرم العامل :

لقد كرم النبي صلى الله عليه وسلم العمل في شخص معاذ بن جبل رضي الله عنه ـ فقد سلم عليه يوما فوجد النبي صلى الله عليه وسلم بيده قروحا فسأله عن السبب ! فأخبره انه اثر العمل فقبله النبي ـ صلى الله عليه وسلم .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المضمار «من آمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » .

وروى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يأخذ أحدكم حبلا ثم يغدو الى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس » .

وروى الطبراني ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جلس مع أصحابه يوما فنظر أصحابه الى شاب ذي جلدة وقوة قد بكر ليسعى ـ فقالوا ويح هذا لو كان

شبابه وجلده في سبيل الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا ـ فانه ان كان خرج يسعى على ولدة صغار فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » .

لقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل شيئا فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام ـ أما فى بيتك شيء ؟ قال الرجل : بلى.حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه الماء ـ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ائتني بهما ـ فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه ـ وقال من يشتري هذين ؟ فقال رجل أنا آخذهما بدرهم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا ـ فقال رجل آخر بدرهمين فأعطاه الحلس والقعب وأخذ منه الدرهمين ودفعهما الى الانصاري ـ وقال له ائت بأحدهما طعاما وأرسله الى أهلك وائت بالآخر (قدوما) وائتني به ـ فلما جاء الرجل بالقدوم أخذه الرسول عليه الصلاة والسلام قشد فيه عودا ثم قال له اذهب واحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ـ ففعل الرجل ثم جاء وقد ربح عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال له الرسول «هذا خير لك من أن تجيىء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » وبقدر ما حث الاسلام على العمل في طلب الرزق بقدر ما حذر الانسان من الغلو والانشغال في طلب المال عن طاعة الله .

يقول الله عزل وجل في محكم التنزيل « **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » الجمعة/ ٩ ، ١٠ .

لأن الحرص في طلب المال قد يشغل الانسان عن طاعة الله عز وجل وهذا ما وقع بالضبط في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لدحية الكلبي كان دحية من كبار تجار العرب في عهد رسول الله صلى عليه وسلم وكان يقدم الى المدينة من الشام بالأبل المحملة بالسلع على اختلافها فيقبل عليه الناس رجالا ونساء لجودة بضاعته ـ وكانت طريقته في الاعلان عنها ـ أنه يضرب على الطبل ليعلم الناس بقدومه ـ دخل دحية الكلبي ذات يوم من أيام الجمعة الى المدينة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قائما يخطب على المنبر وما أن وقع الاعلان عن قدوم بضاعة دحية حتى هرع الناس اليها ولم يبق بالمسجد الا اثنى عشر رجلا منهم أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وبعض كبار الصحابة رضي الله عنهم ـ ولم يتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة وأقيمت الصلاة ـ وإثر هذه الحادثة أنزل الله تعالى قوله الكريم في محكم التنزيل « **واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**

هدانا الله جميعا الى سواء السبيل وسلك بنا سلوك عباده المتقين .

وقفة تأمل

الخلاف المذهبي

○ قال صديقنا لماذا أنتم في ـ الوعي الاسلامي ـ بعيدون عن الخلافات المذهبية ؟ أليس الخلاف في الفهم والاستنباط والفكر والرأي من طبيعة الانسان ؟ أليس الخلاف الفقهي . وطرائقه المذهبية إثراء للفقه الاسلامي . وتنشيطا لحركة الاستنباط وعودة إلى عصر الاجتهاد الذي به نواجه معضلات العصر ومشكلات الحياة ؟

○ ونقول لصديقنا نحن معك في أن اختلاف الفهم تبعا لطرق الاستنباط من النص أمر طبعي في بني الانسان ، وإن ألفاظ العربية وتراكيبها فيها من الاسرار ما يجعلها أحيانا تحمل المعنى ونقيضه .. ولذا نجد من العلماء من فسّر القرء في قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » بالطهر ، ومنهم من فسَّره بالحيض .

○ ومنهم من تكلم في صفات الله سبحانه نافيا عنه الشبيه والنظير ، ومنزها له عن كل نقص أو عيب .. وتعددت بهم الطرق من أجل الوصول الى تلك الغاية .

○ نعم نحن معك في أن الخلاف المذهبي إثراء للفكر الاسلامي ، وتيسير على الناس لمواجهة مصاعب الحياة وحلّها بما يتلاءم وروح الاسلام ومنهجه ، فما دامت الأصول ثابتة وراسخة ومادام الاجتهاد في دائرة النص والفهم المستقيم ، فلا مانع من الأخذ به ، والعمل بمقتضاه

○ ومع تسليمنا بكل ذلك ، وإيماننا بحرية الفكر الاسلامي مادام مستندا الى الكتاب والسنة ، وأنه ـ كما علمنا الرسول ـ إذا اجتهد الحاكم فاخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران .

○ غير أن هذا التكتل ، وهذا التعصب المذهبي ، وتطاول كل جماعة على الأخرى ، الى درجة قد يتبادلون فيها الاتهام بالخروج عن الدين ، إن هذا الذي نشاهده حتى داخل المساجد دفعنا الى الابتعاد عما يؤجج نار الفتنة ، حيث أن دفع الضرر أولى من جلب النفع .

○ وعندما لا نلمس فائدة من تصارع آراء ومفاهيم لكل منها وجهة نظر ، ولها سند من الدين ، عندما لا نلمس فائدة من ذكرها غير اتساع هوة الخلاف ، فإن من المصلحة العامة أن نبتعد عنها .

○ وإننا لنعتقد أن صلاح المسلمين منوط بصلاح اثنين :

أولا : العالم المجتهد المخلص لدينه الذي لا يخشى في الله لومة لائم .

ثانيا : الحاكم الحافظ لحدود الله ، الساهر على مصالح المسلمين ، الذي يعلم أن الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ولنا أن نقف وقفة تأمل فيما يمكن أن يؤول إليه حالنا إذا صلح العالم والحاكم

فهمي الإمام

الإسلام

أعز من أن ينال منه الكائدون

للشيخ / محمد الأباصيري خليفة

يذكر الاسلام الحنيف فيرى فيه الجاهلون به والمتجاهلون لحقيقته أنه (دين) ويفسرون هذه الكلمة بما تمليه عليهم أهواؤهم وثقافاتهم المتباينة وتصوراتهم المختلفة .. فمنهم من يراه كسلا وتواكلا أو ضعفا وتخاذلا ، ومنهم من يراه أوهاما وخرافات وتمائم وشعوذات .. ومنهم من يحصره في العبادات الروحية ، والطقوس الشكلية ، ويرى أن لا شأن له في مسيرة الحياة وتنظيم المجتمعات .. ومنهم من يذهب به جهله الى أعرق المذاهب في الوهم وأبعدها في الضلال فيعتقد أن الاسلام عقبة في طريق الاصلاح ، وسد أمام التقدم ، وصرف للجماهير عن تعرف حقوقها والجهاد في سبيل الحصول عليها ، ويصف أهله والمؤمنين به والداعين اليه بأنهم دعاة الرجعية والتأخر ، وخصوم التحرر والتقدم .. الى غير ذلك من أوصاف ابتدعوها ونعوت اخترعوها ما أنزل الله بها من سلطان (**إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**) النجم/ ٢٣ .

والحقيقة الناصعة للاسلام أنه نظام كامل شامل يحقق الاصلاح العقائدي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي ، والأخلاقي ، وأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الناس الا أحصاها ، وبين شأنها ، ووزنها بميزان الحق والعدل ، وأن فيه الهداية والرحمة والبشرى في الدنيا والآخرة لمن سلك طريقه واتبع سبيله . قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**) النحل/ ٨٩ .

لقد تعامى المنافقون عن تلك الحقيقة الناصعة ، ونسوا أن الاسلام الذي

يجحدونه ويحاربونه تمشيا مع مرض قلوبهم وارضاء لسادتهم من الكافرين . نظام فريد للحياة وضعه العليم بأحوال الناس الخبير بما يصلحهم ، تتضاءل دونه نظريا وعلميا وتاريخيا آثار كل نظام يضعه الناس بعلمهم القاصر المحدود ، وأهوائهم الجامحة عن العدل ، وأغراضهم الشاردة عن الحق ، وفهمهم السقيم لما يجب أن تكون عليه الحياة .

لقد جاء الاسلام مزلزلا للأوضاع الفاسدة ، ومحطما لصروح البغي الشامخة .. جاء يحدد معالم الحياة وأوضاعها التي لا تسعد بغيرها ، فهدى للطريقة المثلى ودل على الطريق المستقيم الذي يسعد سالكوه ويخيب الشاردون عنه **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما)** الاسراء٩ ، ١٠ **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** الأنعام/ ١٥٣ . جاء مطاردا للجهل فأعلم الانسان بقدره . **(يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركّبك)** الانفطار/ ٦ ـ ٨ وأعلم الانسان بالعالم الذي يعيش فيه حيث ربط بينه وبين هذا العالم العجيب بأوثق رباط ، وجعل دوام النظر والدأب على التفكر طريق العلم والعرفان . **(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج.والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)** سورة ق/ ٦-٨ .

جاء الاسلام مطاردا للظلم بكل أنواعه . طارد ظلم الحاكم للمحكوم حين قضى على كل معاني التعسف والاستعباد ، والتحكم والاستبداد ، وحين قرر بينهما التكافل والمساواة ، والتعاون على الخير ، والتناصح في الحق ، وحين أعلم كلا منهما بحقوقه وواجباته ، وفرض عليه أن يكون لها راعيا ، وعليها محافظا . قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)** النساء/ ٥٩ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه وطارد الاسلام ظلم الغني للفقير حين جعل الغني مسؤولا عنه يؤدي له حقا معينا من ماله ، لا يستطيع أن يجحده أو يتخلف عن أدائه ، والدولة ترغم من جحد الحق أو تخلف عن أدائه . قال تعالى : **(والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم)** المعارج/ ٢٤ ، ٢٥ .. والخليفة الأول يقول في شأن مانعي الزكاة (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدي) .. وحارب الاسلام ظلم القوي للضعيف ، فلا قوة ولا ضعف في الاسلام الا بميزان الحق ، فأقوى الأقوياء صاحب الحق حتى ينتصف له ، وأضعف الضعفاء صاحب الباطل حتى ينتصف

منه ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل .

ولقد حارب الاسلام الضعف بكل مظاهره ونواحيه . ضعف النفوس بالشح حين جعل الفَلاحَ في الدنيا والآخرة نصيب الكرماء الذين يبتعدون عن الشح فقال الحق تبارك وتعالى : **(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر/ ٩ وحين جعل الشح بالانفاق في سبيل الله طريق الهلاك فقال تعالى : **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)** البقرة/ ١٩٥ .

وحارب الاسلام ضعف الرؤوس بالغباء والجهل حين جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وضعف الأبدان بالأمراض حين أوجب الوقاية والتداوي

وقد أعلن الاسلام الحرية والمساواة والاخاء ، وسبق في ذلك سبقا لن يلحق فيه ، حين جمّل ذلك وزينه بالصدق والعمل ، فلم يقف عند حدود النظريات الفلسفية ، وانما طرق هذه المبادىء في الحياة اليومية العملية ، وأضاف اليها السمو بالانسان ، واستكمال فضائله ، ونزعاته الروحية والنفسية لينعم في الحياتين ويظفر بالسعادتين ، وأقام على ذلك كله حرسا شدادا أقوياء ، من يقظة الضمير ، ومعرفة الله وصرامة الجزاء ، وعدالة القانون . وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد .

تلك قبسات من حقيقة الاسلام تشرق بكل معاني الخير ، وتضيء بكل أسباب النهوض والتقدم ويوم أن اعتمد المسلمون تلك الحقيقة ايمانا وسلوكا عزوا وسادوا ، وخافهم الكافرون والمنافقون واذا كان المنافقون اليوم ينبحون في كل واد كالكلاب المسعورة ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق ، ويهزءون من أحكام الله وآياته وسنة رسوله ، ويتشدقون بالأكاذيب والأباطيل ليضللوا الجماهير الاسلامية عن حقيقة دينها ، حتى يخلو الطريق لشهوات الآثمين ، وطغيان الظالمين .. فليعلموا أن عملهم الى ضياع ولن يصلوا الى شيء مما يقصدون ، وسوف تعود للمسلمين عزتهم بتطبيق شريعة الله في كل بلد اسلامي برغم أنف أعداء الاسلام .

وليعلم المنافقون أنهم ـ بعملهم هذا ـ لهم عند الله وعند المؤمنين أكبر المقت والغضب قال تعالى **(الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)** غافر/ ٣٥ .

وعلى المؤمنين بحقيقة الاسلام أن يكشفوا كل زيف يتفوه به المنافقون ، وألا تفزعهم حركات المنافقين في هذه الأيام فان العاقبة للحق وللمنادين به . قال تعالى **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)** الأنبياء/ ١٨ .

(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) غافر/ ٥١ .

الانسان في المنتصف الايجابي

للدكتور/محمد احمد العزب

اذا كانت الفضيلة وسطا بين طرفين .. احدهما الافراط والآخر التفريط .. فان الفاضل هو الذي يشكل المحور الثابت العنيد الذي لا يتلاشى على الإبعاد !!!

ولأن كل الدعوات صياح ضائع في القفر مالم تتخذ من الانسان محورا لها مستوعبا وناقلا .. فقد انحنت جميعها في تعاطف وثير على صياغة هذا الانسان المؤهل لِدَوْرَيْهِ : الاستيعاب .. والنقل .. وكانت للقرآن العظيم في هذا الصدد فلسفته الخاصة .. التي استطاع بها أن يصنع أنماطا من البشر تستعصي على الذوبان والتفتيت ، وتصمد في معارك التحدى الى نهاية الشوط .. غير عابئة كثيرا بما يتناثر على جبينها من جراح ..

ولقد كانت فلسفة القرآن في صياغة الانسان على هذا النحو قائمة على أساس وضعه في المنتصف الايجابي .. محورا لكل شيء .. ونقطة ارتكاز لكل شيء .. وقاعدة انطلاق لكل شيء ... فهو على المستويات الخَلْقية .. والخُلُقية .. والسلوكية .. وسط قاصد منضبط .. بين التدلي غير القادر على النهوض .. والتحليق غير القابل لمعايشة الواقع الحياتي ..

ومع وقوفنا العابر مع آيتين من آيات القرآن الكريم نتبين ملامح هذا المنهج القرآني في ائتلاق وروعة واقتدار :

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يَلْقَ أثاما) الفرقان / ٦٧ و ٦٨ .

فهنا حملة على الاسراف « وحملة مقابلة على التقتير » حتى اذا امكن وضع الانسان في المنتصف العادل والعاقل . انطلق القرآن لتعزيز هذه الوضعية الرائعة ، بتخليص انسانها من العبودية لما سوى الله .. وحياطة وجوده الذاتي ضد كل ما هو مدمر وقاتل .. كل ما هو متدل وجانح للهبوط ...

(والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) .

إن الاسراف المبدد لا يمكن أن يسفر عن شيء غير انهيار الخلفية الاقتصادية للفرد والمجموع .. مما يهدد المجتمع الاسلامي بالافلاس والجدب .. والإحباط العاجز عن كل محاولة للتصدي في مجالات الصراع .. ومن هنا كانت رعاية الاسلام « للمال » رعاية حميمة .. وكانت حملته الضارية على كنزه وتأليهه اروع روعة وأهدى سبيلا ... إن المال عصب هذه الارض .. ولكنه ليس غايتها أبدا .. إنه وقود القاطرة التي تشق طريقها في الزحام .. لكي تصل بالملايين الى محطة الوصول التي عندها تشرق الشمس ، ويقبّل الصديق صديقه في مودّة واعتناق ...

ولعل مقارنة سريعة بين الاسلام ـ كدعوة يجب أن تهيأ لها مجالات العمل ـ في بلد مهيض اقتصاديا .. وبلد ناهض من هذه الناحية . تؤكد لنا أن « المال » سلاح يجب أن يتوافر للدعوة ، حتى تتمكن معه من مزاولة دورها الحضاري ، واشعاعها الرسالي .. فالمسلم الذي لا يشغله البحث الكادح عن الرغيف يمكن أن يشغله البحث الكادح عن ارض جديدة يزرع في رحابها إسلامه .. وعن قلوب كافرة يطوعّها لإيمانه .. وعن قوافل فارغة من الداخل يضيء غسقها المر . ويثرى جدبها العقيم .. فاذا تخطينا إطار الفرد للدولة .. وإطار الانتشار الى إطار الدفع والذود .. عرفنا أن للمال دوره الخطير في تصفية كل الجيوب المغيرة .. والتصدي لسلاحها الفاتك بأسلحة أخرى أفتك .. : **(ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/ ٦٠ .

إن القرآن الكريم بعد أن يلقي الضوء على ما أبدع الله في الأرض من جنات معروشات وغير معروشات .. والنخل .. والزرع .. والزيتون .. والرمان .. متشابها وغير متشابه .. يهتف في أتباعه فاتحا أحداق عيونهم على هذه الحقيقة : **(كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الأنعام/ ١٤١ .

والقرآن لا يعطل فينا حاسة البهجة ، ولا يصادم فينا طبيعة الحب للحياة ، ولا يكره للانسان أن يفتح للوجود ذراعين أرحب من الوجود .. ولكنه فقط يدعونا الى لون من الوان التعقل والالتزام : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الأعراف / ٣١ .

والقرآن يحرض على البذل .. ويدفع الى امتلاك ناصية الخير .. ولكنه يحذر من الاسراف والخرق .. هادفا من وراء ذلك الى تربية الجماهير المسلمة على خلق القصد في كل شيء : **(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)** الاسراء / ٢٦ ٢٧ .

وعلى هذا المنهج القرآني الراشد في تربية الافراد والجماعات سلك النبي القائد صلى الله عليه وسلم طريقه الى صياغة الجموع من حوله .. فهو القائل في

تأكيد عميق : « إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » متفق عليه . هذا وهو القائل في اصرار : « اليد العليا خير من اليد السفلى » رواه احمد والطبراني.

هذا جانب من حملة القرآن على « السرف » المفضي الى الإجداب .. فاذا انتقلنا الى الجانب الآخر الذي اعلن فيه حملته القاسية على « التقتير » في اطار هذه الآية : (**والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) . راعنا هذا الدمج في موطن واحد بين النقيضين .. حتى لا يفزع الانسان من شيء قبل أن يهيأ للامتلاء بشيء آخر ... إن « **الإسراف** » جريمة ! نعم .. ولكن مقابله الذي هو « التقتير » جريمة اخرى .. وحتى لا ينزلق الفرد أو تنزلق الجموع من هاوية الإسراف الى حضيض التقتير .. قرن القرآن هذه بتلك .. ليقيم المسلم على صراط لا خرق فيها .. ولا شح .. وإنما قوام بين ذلك .. « وحملة القرآن على » « التقتير » لا تنحصر في دائرة الشح المادي وحده وانما تنساح لتشمل التقتير في البذل المادي والتقتير في العطاء الفكري ..والتقتير في الثراء النفسي .. لأن المقترّ في البذل المادي يصيب نفسه ، ويصيب المجموع من حوله بالضمور والانكماش .. وبديهي أن موارد الدولة الاسلامية وكفايتها قائمة أساسا على « التعاون » المفضى الى القوة .. وعلى بذل « مافرض » من الزكاة .. وغير الزكاة .. فاذا وجدت العناصر المقترّة التي منها يتكون الكل في إطار الدولة .. كانت نتيجة ذلك اهتزاز العلائق في المجتمع ، واضطراب الموازين في الدولة .. وغياب الأساس الصامد الذي ينهض عليه البناء .. مما يوحي بانهيار مرتقب لا تقف بوائقه عند حد .

(**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**) التوبة / ٣٤ و ٣٥ .

(**فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذّب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله إذا تردى**) الليل/ ٥ ـ ١١ .

ولأن المقتر في بذل « العطاء الفكري » يشكل قوة جذب شريرة الى الوراء .. وحاجزا على طريق التقدم يعيق عن المضى والانطلاق .. لقد نبه القرآن الى خطورته .. وضراوة مسلكه ، ولفت اليه في اعجاز معجز .. عاقدا بين تقتيره .. وتقتير الباخل بماله ما يشبه الصله الحميمة في قوله تعالى : (**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الانسان قتورا**) الاسراء / ١٠٠ . إن التعبير القرآني العظيم « بخزائن رحمة ربي » يغطي الجانب المادي والجانب الفكري على السواء .. لأن هذين الجانبين ينضويان بالضرورة تحت مفهوم « الرحمة » التي عناها القرآن الكريم ..

ولأن المقترّ في بذل « الثراء النفسي » هو الآخر يهدم ما بناه الله فيه من استعداد طبيعي لحب الأغيار .. والتلاحم المصيري بالآخرين ... فقد ألمح اليه

القرآن في أكثر من موضع : (**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) التغابن/ ١٦ .

(**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم**) آل عمران/ ١٨٠ . والرسول صلى الله عليه وسلم يعطي الموقف وضوحا رائعا في حديثه مع الاعرابي الذي وجده يدعو ربه قائلا : اللهم ارحمني .. وارحم محمدا .. ولا ترحم معنا أحدا .. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد حجّرت واسعا يا اعرابي» رواه البخاري .. إن هذا الإحياء لمناطق حب الآخرين داخل النفس كان منهج القرآن ورسوله العظيم .. مما يوحي بأن لُزُوجَةَ النفس المقتّرة في شتى مجالات هذا التقتير شيء يرفضه الاسلام وتأباه طبيعة المسلم !!! لأن المسلم كان كما أراده الله .. عاقلا لا يركب غوارب التبديد والسرف .. وسمحا لا يتردى في كهوف التبلد والإقتار .. وكان بين ذلك قواما !!!

ويبدو التلاحم العنصري بين الآيات القرآنية المعجزة في انتقالها الفوري الى الآية التالية : (**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما**) إن قضية « المال » التي أثارها القرآن الكريم في الآية السابقة توحي من حشد ما توحي .. بأن بعضا من الناس قد يؤلهون « المال » فهو يحرضهم على التحليق فوق غباء هذا المنطق وإلى تمحيص العبودية لله بدءاً .. وختاما .. فاذا فعلوا ذلك كانوا آحادا في قوافل أولئك الراشدين الذين يرتفعون بأنفسهم الى قمة الحق وهذا منضو تحت قوله تعالى : (**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**).

وفوق ما تسوقه الآية بصدد « **القصاص** » في النفس (**ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**) تشع كلماتها الإلهية معاني أخرى .. فليس القتل فقط أن يعتدي إنسان على آخر .. وإنما هو كذلك اعتداء الانسان على نفسه باليأس القانط المتشائم .. أو بالجريمة الخانقة المدمرة . أو بالجهل المغلق الهابط .. أو بالعزلة المريضة الصفراء .. أو بالكراهية للحياة وللأحياء على السواء ..

وجميل أن يجيء التعبير القرآني في قوله : « **ولا يزنون** » بعد « القتل » مباشرة أليس الزنا قتلا هو الآخر ؟.. أليس يقتل عفاف الحرّة المسلمة ؟ أليس يذبح شرف الزوج الغائب ربما في صراع مع الحياة من أجلها .. ومن أجل أطفاله الأبرياء ؟ أليس يخنق نبض الانسانية في علاقاتنا بالنوع ؟ أليس تمهيدا لخلق مجتمع لقيط تتفتح فيه أحداق الطفولة اللاشرعية على نوازع التدلى وهواتف الهبوط ؟ هذه محظورات ينبه اليها القرآن .. : (**ومن يفعل ذلك يلق أثاما**) !!

لا أريد بهذه الانطباعات السريعة الخاطفة مع آيتين من آيات القرآن الكريم . أن أزعم أني أفسر أو اشرح .. إنما استطيع فقط أن أزعم أنها انطباعات يعكسها النص القرآني على من يحاول أن يصيخ الى ايقاعه الإلهي بقدر وافر من التفتح لما يمكن أن يضيفه من ثراء .. وخصوبة .. وتعميق لحس التذوق الفني في اروع اتساق .. وقد حاولت أن أكون هذا المتلقي .. وأرجو أن أكون قد كنته حقا .

دَور الوحدة

بناء حضارتنا

في مرحلة الانبعاث ، وعلى امتداد حلقات تاريخنا الموصول ، كانت الوحدة الفكرية مع اختلاف الظلال هي الأساس المتين الذي تقوم عليه حضارتنا الاسلامية .

ففي اقل من ربع قرن بعد الهجرة النبوية المباركة كان المسلمون قد دكوا أعتى عروش القياصرة والأكاسرة ، وصاروا يواجهون عن كثب الميراث الثقافي والحضاري لدولتي الفرس والروم .

وبالارادة الايمانية الأصيلة ، والثقة الواعية في قدرة الاسلام على احتواء التحدي الحضاري وترشيده ـ انطلق المسلمون نحو تشكيل وحدات ثقافية متعاونة متكاملة تنتظم العالم الاسلامي كله ، وتفرض على كل اعضائه ـ مهما تباعدت الديار ـ موقفا ثقافيا ملائما للبيئة .. يعطي الواقع حقه ، ولا يند عن أصول الاسلام الثابتة .. ويجتهد فيما دون ذلك بعقله الاسلامي الملتزم والرشيد ، وفي اطار تناغم وانسجام مع بقية الايقاعات .

الفكرية في الاسلامية ..

للدكتور/ عبدالحليم عويس

وكان أول ما واجهه المسلمون من تحد خطير هو دستورهم نفسه ، انه كتاب دينهم الذي كان من الممكن ـ لولا ان تعهد الله بحفظه ـ ان يكون سبيل تفرق لاوحدة ، وعامل تيه لاهداية ، كما وقع في النصرانية واليهودية .. فقام المسلمون ـ بتوفيق من الله ـ على عهد الخليفة الراشدي الأول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ـ بجمع المصحف من الرقاع والعسب وصدور الرجال .. وقد حفظت هذه الصحف عند ابي بكر ، ثم عند عمر ، ثم عند ابنة عمر زوج رسول الله حفصة .. فلما جاء عهد عثمان بن عفان الخليفة الثالث رضي الله عنه ، ولاحظ قائد من قواده ، وهو حذيفة بن اليمان اختلاف المسلمين في قراءة القرآن ، فأشار على عثمان بن عفان بتدوين مصحف يقرؤه المسلمون دون اختلاف في القراءات .. فأرسل عثمان الى حفصة ان ترسل الصحف .. وامر بتدوينها واخراج مصحف واحد يقرؤه الناس جميعا ، وامر باحراق المصاحف الأخرى

وارسـل عثمان الى كـل مصر من الامصـــار المصحف الــذي دونـــه الصحابة ، فتوحدت افكار المسلمين وقلوبهم على كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهكـذا ثبت الأساس الفكـري الروحي للمسلمين ، وانطلقت منـه على ـ الأعم ـ التيارات الثقافية عبر التاريخ .

فلما « تفرد » **القرآن و** « **علا** » عن ان يلحق به غيره او يشتبه بغيره واستقر ذلك في الوعي الاسلامي قرنا كاملا ، وجاء القرن الثاني الهجري وظهـر الوضــع في الحديث ـ رأى المسلمون بقيادة الراشدي الخامس عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه (٩٩ ـ ١٠١هـ) ان يتجهوا الى حماية المصــدر الثاني التشـريعي (وهو السنة) من تلفيق الكذابين .. فأمر عمر بن عبدالعـزيز بتـدوين الحديث فتصدر لهذا التدوين افذاذ من علمـاء التمحيص والتـدقيق و« الجرح والتعديل » بدأوا بأبي بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٣هـ) والامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ) وتصدر منهم في هذا العلم العظيم ستة اجمعت الأمة على فضلهم ، حتى انها اصبحت تعرفهم بأصحاب « الكتب الستة » وتعرفهم بمصطلح « رواة السنة » وتصـدر الستة اثنان عرفا باسم « الشيخان » واطلق على ما يتفقان عليه مصطلح « **متفق عليه** » .

... وهؤلاء المحدثون الاعلام الستة الـذين حفظوا لـلأمـة مصـدرهـا التشريعي الثاني ووحدوا فكرها في هذا المضمار هم : المحدث الامام محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، ومسلـم بن الحجـاج القشيـري (٢٦١هـ) وابـو داود السجستـاني (ت ٢٧٥هـ) وأبو عيسى محمد الترمذي (ت ٢٧٨هـ) والنسائي (ت ٣٠٣هـ) وابن ماجة (ت ٢٧٥هـ) ..

وهكذا حفظ الأصلان الثـابتان للأمة الاسلامية ، واتحد فكر الأمة على منهج إلهي ـ هو وحده ـ كما اعترف الأعداء والأصدقاء ـ المنهج الوحيد الموثوق في صحته وفي نسبته الى الله سبحانه وتعالى .

وكما اتحدت الأمة في مجال حفظ اصولها الروحية والثقافية ، فـانها اتحدت كذلك في مواجهة القوانين والأفكار الوافدة ، وفي مواجهة وقائع الحيـاة المتطورة التي تحتـاج الى « فقه » بها ، يعتمد على « تشريع » اسلامي .. ومن هنا فانه على امتداد العالم الاسلامي كله ـ دون اقليمية ـ ظهرت المذاهب الفقهية التي بلغت خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ثلاثة عشر مذهبا ، منها مذهب ابي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) ومذهب مالك بن انس (ت ١٧٩هـ) ومذهب محمـد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ومذهب احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، والليث بن سعد (ت ١٥٧هـ) وسفيـان الثـوري (ت ٢٦١هـ) والأوزاعي (ت ١٨١هـ) واسحاق بن راهويه (ت ٢٤٠هـ) وابو سليمان داود الظـاهري (ت

٢٧٠هـ) وابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وغيرهم .

وكما اتجهت الأمة لحفظ قاعدتها الفكرية بعد توالي الفتوح واستشهاد القُرّاء ودخول غير العرب في الاسلام وتسرب افكار وثقافات دخيلة - اتجهت لحفظ القاعدة اللسانية لضمان سلامة العربية لغة القرآن ، وتضافرت على ذلك الجهود التي استهلها أبو الأسود الدؤلي باشارة من الإمام علي رضي الله عنه .

- وهكذا تتابعت جهود العلماء على امتداد العالم الاسلامي في بقية العلوم حتى أحدثوا حركة علمية سيطرت على الساحة الاسلامية كلها وجمعت أمشاجها على اهتمامات واحدة ووحدت أهدافها الثقافية لتحقيق غاية واحدة ، وربطت في الوقت نفسه بين أبناء الحضارة الاسلامية برباط واحد .

وإننا لنلمس آثار هذه الوحدة الثقافية المتعددة العطاء في عدد من الظواهر التي بدأت تنتظم حركة الحضارة الاسلامية ..

فقد أصبح للعلم والثقافة القدر الأكبر من الاهتمام بين شعوب الأمة الاسلامية وحكامها « حتى لقد بدا - كما يقول المستشرق نيكلسون إن الناس جميعا من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأنا غدوا طلابا للعلم » - وقد فتحت الحدود أمام العلم ، فلا سدود ولا قيود تعترض العلماء ، بل الحكمة ضالتهم ومن حقهم أن يلتقطوها من أي مكان .. وعلى امتداد الأرض الاسلامية كان الناس يجوبون ثلاث قارات (آسيا وافريقيا وأوروبا المسلمة) سعيا الى موارد المعرفة ليعودوا الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ والمتلهفين ، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه بدوائر المعارف ، والتي كان لها الفضل الأكبر في إيصال هذه العلوم الحديثة إلى الأوروبيين - كما يقول نيكلسون - بصورة لم تكن متوقعة من قبلُ » .

- وقد برزت ظاهرة التنافس العلمي بين العواصم الاسلامية في المشرق والمغرب ، ففي المشرق : المدينة وبغداد والقاهرة ودمشق ، وفي المغرب : قرطبة والقيروان وبجاية ..

- كما برزت ظاهرة التنافس على اجتذاب العلماء وتشجيعهم بين الحكام ، فحفلت دول السامانيين والغزنويين والحمدانيين والطولونيين والاخشيديين والفاطميين والأمويين في الأندلس - وحتى عصر ملوك الطوائف - بجمهرة من العلماء والأدباء ، وقد برزت بلاطات أصبهان والري وبني زيري وبني حماد وبخاري وقرطبة ، وغيرها ، في مجال التنافس العلمي ، وكانت تعتبر « عواصم علمية » يؤمها طالبو العلم على امتداد العالم الاسلامي كله ، وبصرف النظر عن أجناسهم وأوطانهم ، وكانوا يجدون فيها العيش الكريم ، والتشجيع المعنوي والمادي .

وبتأثير من هذه الظاهرة الحضارية التي تعاون على رقيها جميع عناصر الأمة - انتشرت حركات

الانتقال بين العواصم الاسلامية ، وغلب عليها طابع البعثات العلمية ، لأن حدود الأقاليم السياسية لم تكن ذات موضوع ـ كما يذكر المستشرق يوهان فك ـ ولم تمثل حاجزا بين العلماء والكتاب والأدباء والشعراء .. فقد كانت الأفكار في العالم الاسلامي متصلة تعكس تقاربا ثقافيا يعتبر خصيصة من الخصائص الكبرى في حضارتنا الاسلامية خلال عصور الازدهار .

ونحن نرى ابن بسام صاحب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » يفرد القسم الرابع من موسوعة الذخيرة « لمن رحل الى الجزيرة (الاندلس) من الآفاق ، وطرأ عليها من شعراء الشام والعراق » .. أما المقري صاحب « نفح الطيب » فيورد لنا نحوا من خمس وسبعين ترجمة لمن رحلوا من المشرق الى الأندلس ، وحين يورد لنا المقري حياة الأزدي الحميدي صاحب « جذوة المقتبس » يخيل إلينا أننا أمام مواطن عالمي (جنسيته الاسلام) فقد عاش وطلب العلم في كل من الأندلس ومصر ودمشق ومكة وواسط وبغداد وغيرها ، فقد قيل إن أبا القاسم سليمان بن احمد الطبراني الذي ولد بطبرية في سنة ٣٦٠هـ اختلف الى كثير من البلاد ثلاثا وثلاثين سنة سمع فيها من ألف شيخ ، كما أُثر عن القاضي عبدالله محمد بن أحمد مولى عبدالرحمن الناصر الأندلسي أنه رحل من قرطبة ، وتنقل ببلاد الحجاز واليمن ومصر والشام ، وأخذ العلم على مائتين وثلاثين شيخا ، ثم عاد الى الأندلس في ٣٤٥هـ ، ومن هؤلاء العلماء الذين جابوا البلاد الاسلامية أبو القاسم الدباغ الذي نشأ بقرطبة ثم رحل الى بلاد الشرق الاسلامي ٣٤٥هـ وتنقل بين مصر والشام زهاء خمسة عشر عاما وبلغ عدد شيوخه مائتين وستة وثلاثين شيخا ، ونتيجة لهذه الوحدة الثقافية ولهذا التضامن العلمي الذي سيطر على روح الحضارة الاسلامية في عصور الازدهار انتشرت أنوار الفكر الاسلامي بألوانها المتعددة في شتى بلاد المسلمين وكأنها بلد واحد .

وقد انتشرت المذاهب الفقهية المشهورة في سائر العالم الاسلامي دون نظر الى مواطن أصحابها ـ رضي الله عنهم ـ كما أن الشعراء اللامعين قد تصدروا العالم الاسلامي كله دون نظر الى مواطنهم ، ويضم الى هؤلاء النحاة والمفسرون والمحدثون الذين كانوا يتبؤون مركزهم ايضا على امتداد العالم الاسلامي كله . والمؤرخ ناصر خسرو يضرب لنا مثلا فيذكر ان أفاضل الشام والمغرب والعراق يقررون أن أبا العلاء المعري أديب عصرهم بلا منازع ..

وهكذا كان أعلام الفكر الاسلامي على اختلاف بلدانهم وأزمانهم مشاعل للأمة الاسلامية كلها ، وملكا للحضارة الاسلامية كلها ، وممثلين لجميع أبناء هذه الحضارة دون أدنى التفات الى الوطن الذي ولدوا فيه ، أو الأرض التي دفنوا في ترابها .

إنها حضارة واحدة في البداية والنهاية !!

علاج المشكلة الاقتصادية في الاسلام

للأستاذ/مجدي عبد الفتاح سليمان

تتميز طبيعة الانسان منذ بدء الخليقة بأن له رغبات متنوعة ، يتوق الى اشباعها ، ، ومن الملاحظ ان هذه الرغبات الانسانية متعددة وغير محدودة ، ويتحدد مدى إشباعها بما قد يوجد تحت تصرف الانسان من موارد اقتصادية ، والنظم الاقتصادية الوضعية تقرر ان المشكلة الاقتصادية تظهر حيثما تكون وسائل اشباع الحاجات نادرة نسبيا ، فالمشكلة الاقتصادية اذن تتمثل في قصور موارد الانسان عن قضاء جميع رغباته (انظر عبد العزيز قرني ، د . منيس أسعد . التوازن الاقتصادي ـ ص١١) ويرى بعض الكتاب ان المشكلة الاقتصادية هي في حقيقتها ندرة نسبية للسلع والخدمات . (انظر د . محمد مظلوم حمدي . مبادىء الاقتصاد التحليلي ص١٣) .

وللاسلام مفهوم وتصور خاص للمشكلة الاقتصادية ليس على أساس انها مشكلة ندرة الموارد وعجز الطبيعة عن تلبية حاجات الانسان ، بل ينظر اليها على أساس ان الموارد الاقتصادية التي أنعم الله بها على عباده كافية للاشباع ، وهذا ما نجده في الآيات القرآنية الآتية : (**الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل**

من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ابراهيم/ ٣٢ ـ ٣٤ .

فالمشكلة الاقتصادية لم تنشأ عن بخل الطبيعة أو عجزها عن تلبية حاجات الانسان ، وانما نشأت من الانسان نفسه ، فظلم الانسان في توزيع الثروة ، وكفرانه للنعمة بعدم استغلالها هما اساس المشكلة . انظر الامام محمد باقر الصدر اقتصادنا ص٦٠٩ .

○ ماهية المشكلة الاقتصادية .

اختلفت النظم الاقتصادية في تحديد تعريف للمشكلة الاقتصادية فبينما يذهب النظام الرأسمالي الى ان المشكلة الاقتصادية هي قلة الموارد الطبيعية نسبيا نظرا لأن الطبيعة محدودة فالأرض لا يمكن زيادة كمها ، ولا يمكن زيادة ثرواتها المتنوعة رغم ان احتياجات الانسان تنمو ، وفي ظل هذا النظام وبحسب نموه وتطوره في المجتمع الغربي ، فان هذه المشكلة يمكن حلها عن طريق تركها للأفراد أساسا ، وكان الاعتقاد السائد هو انه اذا اشبع كل فرد رغباته فان المجتمع ككل سوف ينعم في السعادة والرخاء وتلك هي أساس فلسفة آدم سميث .

● أما النظام الاشتراكي ـ فيذهب الى ان المشكلة الاقتصادية هي مشكلة التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع فاذا تم الوفاق بين الانتاج والتوزيع ساد الاستقرار في الحياة الاقتصادية . انظر د . محمد شوقي الفنجري . الاسلام والمشكلة الاقتصادية ص٥٤ .

● أما الاقتصاد الاسلامي . فلم يعتبر المشكلة كما تصورها الرأسماليون مشكلة قلة الموارد ، أي مردها الطبيعة ذاتها وعجزها عن تلبية الحاجات ، ولا هي كما تصورها الاشتراكيون بأنها مشكلة التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات التوزيع ، أي مردها اشكال الانتاج وعدم بلوغ التطور غايته بالتوفيق بين قوى الانتاج وعلاقات التوزيع وانما المشكلة الاقتصادية في الفكر الاسلامي هي مشكلة الفقر (انظر د . صلاح الدين نامق . علم الاقتصاد ومحاولات الاقتراب من الاقتصاد الاسلامي ص٨ . أيضا د . الفنجري . مرجع سابق ص٢٧) ، الذي لازم الانسان عبر التاريخ ، الا ان الانسان لا يشعر بوطأة الفقر الا تدريجيا بزيادة حاجاته تبعا لدرجة تطوره وتقدمه ، فالانسان الأول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته . انظر د . محمد عبد المنعم الجمال . موسوعة الاقتصاد الاسلامي ص٣٥٠ . وقد عرف بعض الكتاب المشكلة الاقتصادية في الاسلام فقال : « المشكلة الاقتصادية هي كيفية انتاج متطلبات المجتمع من السلع والخدمات وتوزيعها على افراده بحيث تعود عليه بأكبر المنافع ،

ولقد كفل الاسلام ذلك ، فالعمل لانتاج كل ما يلزم للمجتمع فرض كفاية في المجتمع المسلم (انظر طاهر عبد المحسن . علاج المشكلة الاقتصادية ص٤٧ . ومع تقديرنا لهذا التعريف الا اننا نفضل التعريف الأول الذي يقول بأن المشكلة الاقتصادية في الفكر الاسلامي هي مشكلة الفقر ، نظرا لأن هذا التعريف لاقى قبولا عند علماء الاقتصاد الاسلامي ، وقد بين احد الدارسين لهذه المشكلة انه يمكن التعرف على موقف الاسلام من المشكلة الاقتصادية التي نجد التجسيم لها في مشكلة الفقر . انظر شوقي أحمد . دنيا الاسلام والتنمية الاقتصادية ص٦٢ .

ومشكلة الفقر في حقيقتها مشكلة ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة الى جانب كفرانه بالنعمة واهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالا تاما ، وسوء استخدامه واستهلاكه لها ، فهي في المحصلة ترجع إلى سلوك الانسان نفسه وتقصيره إما تجاه الموارد الطبيعية أو تجاه أخيه الانسان .

○ اركان المشكلة الاقتصادية :

يرى علماء الاقتصاد الوضعي ان المشكلة الاقتصادية تدور حول حاجات الانسان ورغباته من جهة ووسائل قضائها من سلع وخدمات من جهة أخرى ، وهي مشكلة قائمة منذ خلق الانسان ، ويرجع استحكامها الى بعض الخصائص التي تتميز بها الحاجات ووسائل الاشباع :

● الحاجات كثيرة ومتعددة ، فكلما حقق الانسان مطلبا تجددت في نفسه مطالب أخرى يسعى لاشباعها ، وهيهات ان تستجيب له ظروف حياته وتوافيه بكل ما يريد ، وقد ساعدت الاكتشافات والاختراعات الحديثة ، فجعلت الانسان يطلب عددا لا يحصى من السلع الاستهلاكية والكمالية ، فاذا أرادت المجتمعات ان تحقق ما يسمى بمجتمع الرخاء وجب عليها العمل الدائب لزيادة الناتج القومي ومضاعفته مرة ومرات ، حتى يحصل كل فرد على هذه المتطلبات . انظر د . صلاح الدين نامق . مرجع سابق ص٤٥ .

● قلة وسائل الاشباع من السلع والخدمات بالنسبة لكثرة الحاجات ويرجع ذلك الى ان الطيبات التي تجود بها الطبيعة ليست متوافرة ، في جميع الجهات ، ثم هي لا تصلح لاشباع حاجات الانسان الا بعد جهود تبذل في استخراجها ونقلها ثم اعدادها على وضع يلائم ميوله ورغباته ، فكمية السلع التي يمكن الانتفاع بها تتقيد بعنصري الوقت والعمل فالزيادة منها تتطلب المزيد من الوقت ومن الجهود البشرية ، والواقع ان العنصر الأساسي في المشكلة الاقتصادية هو الندرة النسبية لوسائل الاشباع . انظر د . السيد عبد المولى . أصول الاقتصاد ص٢٨ . فهي المهيمن الرئيسي على جميع السلع والخدمات المنتجة . انظر د . صلاح الدين نامق مرجع سابق ص٤٥ . رغم ما أحرزه الانسان من تقدم في الطرق الفنية للانتاج وفي

نظامه الاجتماعي .

● صلاحية وسائل الانتاج لاستعمالات مختلفة ، فعنصر العمل مثلا يمكن توجيهه الى انتاج القمح والقطن ، وصناعة الأسلحة ، ولكن لا يمكن استخدامه لانتاج جميع هذه السلع بالمقادير اللازمة لاشباع كل الرغبات في وقت واحد ، بل ان استخدامه لبعضها سيكون على حساب البعض الآخر ، فاذا استعمل بتوسع في فرع من فروع الانتاج كان ذلك على حساب فرع آخر ، فالأرض تصلح في جملتها لأنواع مختلفة من الزراعة ولكن استغلالها في انتاج القمح ، كان ذلك على حساب ما تصلح له من المحصولات الأخرى كالأرز والقطن وما اليهما . فالمشكلة ليست ندرة الوسائل فحسب بل مشكلة حسن اختيار وحسن تدبير وتوجيه لعناصر الانتاج .

● اختلاف اهمية الحاجات باختلاف الأفراد ، فرغبات الانسان وحاجاته غير متساوية الأهمية فهناك حاجات لازمة وأخرى متممة ، وهناك حاجات ثانوية لا يتوق الانسان الى اشباعها الا قليلا ، ولو أمكن ترتيب الحاجات حسب أهميتها بحيث يرضى جميع الأفراد ، ما كانت هناك مشكلة ، ولكن هذه الحاجات لا يمكن ترتيبها حسب أهميتها عند الأفراد لأنها تختلف باختلاف مشاريعهم وأذواقهم ومستوى حياتهم ، ولهذا تزداد المشكلة تعقيدا ويصعب الوصول الى حل ملائم لها .

هذه باختصار **الأركان الأساسية للمشكلة الاقتصادية** كما تصورها علماء الاقتصاد الوضعي ، اما عن أركان المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الاسلامي فيرى بعض الكتاب ان الاسلام لم يحدد أركان المشكلة الاقتصادية وانما تمثلها في شكلها العام وهو الفقر ومكافحته لتحقيق التقدم والتنمية . انظر د . صلاح الدين نامق . مرجع سابق ص٣٨

فتصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية تصور واقعي للأمور من حيث ان المشكلة لم تنشأ من ندرة موارد الانتاج وبخل الطبيعة ، فالاسلام لا يقر ذلك كله وينظر الى المشكلة من ناحيتها الواقعية القابلة للحل ، فالمشكلة تتجسد في ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة الى جانب كفرانه بالنعمة واهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالا تاما .

○ أسباب المشكلة الاقتصادية :

تباينت وجهات نظر علماء الاقتصاد الوضعي في أسباب المشكلة الاقتصادية ،

● فالرأسماليون يعتبرون ان سبب المشكلة الاقتصادية هم الفقراء انفسهم سواء لكسلهم أم لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد ، فقضية الفقر في الاقتصاد الرأسمالي ، هي أساسا قضية قلة الانتاج ، وقد رتب الرأسماليون على ذلك ان على الدولة ان تبيح الحرية المطلقة للجميع لينتجوا ويكسبوا ويغتنموا دون قيد أو

شرط ، وان من خانه الحظ ان يرضى بواقعه فهو نصيبه وقسم الله له . انظر د . محمد شوقي الفنجري . مرجع سابق ص٥٧ .

● أما الاشتراكيون فيعتبرون ان السبب الحقيقي للمشكلة هم الأغنياء أنفسهم ، باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة لخيرات البلاد ، وهو ما يتمثل في نشوء التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات التوزيع ، فقضية الفقر في الاقتصاد الاشتراكي ، هي في الأساس قضية سوء توزيع وقد رتب الاشتراكيون على ذلك نظرياتهم في الصراع بين الطبقات ، والتركيز على تغيير اشكال الانتاج بالقضاء على الملكية الخاصة والقضاء على الطبقة البرجوازية «الأغنياء» .

● أما الاقتصاد الاسلامي فليس سبب المشكلة الفقراء وقلة الموارد كما في النظام الرأسمالي ، وليس سببها الأغنياء أو التناقض بين قوى الانتاج وعلاقات التوزيع كما في الاقتصاد الاشتراكي .

★ فسبب المشكلة في الاقتصاد الاسلامي هو ظلم الانسان من توزيع الثروة ، وكفرانه للنعمة بعدم استغلال جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالا تاما ذلك هما السببان المزدوجان للمشكلة التي يعيشها الانسان البائس منذ أبعد عصور التاريخ ـ الامام محمد باقر الصدر . مرجع سابق ص٦٠٩ ، وخلاصة القول ان مشكلة الفقر «أي المشكلة الاقتصادية » هي في محصلتها النهائية مشكلة الانسان نفسه وفساد نظمه الاقتصادية سواء من حيث ضعف الانتاج أو سوء التوزيع ـ محمد شوقي الفنجري . مرجع سابق ص٦٨ . وهو الأمر الذي تداركه الاسلام منذ فجره . محمد عبد المنعم الجمال . مرجع سابق ص٣٦ .

● وسائل الاقتصاد الاسلامي في علاج المشكلة الاقتصادية :

أوضحنا من قبل ان المشكلة الاقتصادية ، وهي مشكلة الفقر ، هي في محصلتها النهائية مشكلة الانسان نفسه ، وفساد نظامه الاقتصادي سواء من حيث قلة الانتاج أو سوء التوزيع وقد رتب الاقتصاد الاسلامي على ذلك أحكاما أساسية للانتاج من أجل زيادته ، وتنميته ، وقد سن تشريعات تحقق عدالة في التوزيع ، هذا من جانب ، وفي الجانب الآخر ، وضع لنا منهجا لترشيد وتنظيم الاستهلاك ، هذا المنهج الذي حرم حياة الترف ، ونهى عن الاسراف والتبذير والسفه ، وأمر بالتوسط والاعتدال في الانفاق على الاستهلاك ، ولم يترك الاسلام الجانب الاجتماعي ، كما فعل الاقتصاد الرأسمالي الذي كان موقفه من الفقراء الاثرة واللامبالاة ، ولا كما فعل النظام الاشتراكي الذي اعتمد على اشعال الصراع بين الطبقات ، بل عمل الاسلام على التقريب بين الطبقتين «الأغنياء والفقراء وبالتالي احلال التعاون والتكامل بينهما لا التناقض والصراع . وسوف نعرض أحكام الاسلام بالنسبة للانتاج ثم نتكلم عن أحكامه في التوزيع والاستهلاك .

○ أولا-أحكام الاسلام بالنسبة للانتاج :

لما كان الانتاج هو عملية تطوير الطبيعة الى شكل أفضل بالنسبة للحاجات الانسانية ، وتوفير المنافع الضرورية لاشباع هذه الحاجات ، فقد عنى الاقتصاد الاسلامي بايضاح الوسائل التي تؤدي الى تنمية الانتاج وزيادته ، وجعل الهدف من دفع عجلة الانتاج والاستثمار توفير الحياة الطيبة للجميع ، من أجل القضاء على مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية .

○ العمل والانتاج واجب وحق :

الاسلام يقدس العمل ويجعله حقا للفرد وواجبا عليه في الوقت نفسه ، ولذلك فهو يوجب توفير العمل لكل قادر عليه ، ويدعو الى تضافر القوى لتيسير ذلك العمل كما يوجب الاسلام تقديم المعونة الصادقة للقوى المتخلفة لتنهض عاملة ، أو لتصلح نفسها أو لتقيم أودها ، أو تحيا حياة انسانية كريمة تليق بالانسان الذي كرمه ربه في قوله تعالى : **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)** الاسراء/ ٧٠ .

وقد حث الاسلام على العمل المثمر والجهد النافع ، وجعل له قيمة كبرى ، واعطى مقاييس خلقية وتقديرات عن العمل والبطالة لم تكن معروفة من قبل ، اذ جعل العمل عبادة واعتبر العامل في سبيل قوته أفضل من المتعبد العاطل ، اذ يعتبر الاسلام العمل هو الوسيلة الأولى للحصول على الرزق والدعامة الأساسية للانتاج فقد رتب على قدر عمل المسلم نفعه وجزاءه . قال تعالى : **(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)** النحل/٩٧ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة الا كان له به صدقة » رواه البخاري .
ويقول صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري
وقوله عليه الصلاة والسلام : « من أمسى كالا من عمل يده امسى مغفورا له » رواه الطبراني في الأوسط .

ولقد رفع الاسلام العمل الى مرتبة العبادة عامة والجهاد في سبيل الله خاصة ، وفضله قد يفوق كثيرا من الطاعات ، فلو لم تكن للعمل الحلال قدسيته التي تقارب قدسية العبادة لما سمى سبحانه وتعالى الايمان تجارة اذ يقول : **(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله** (الصف ١٠و١١ ولما

قرن العمل بالصلاة اذ يقول : (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**) الجمعة/ ١٠ .

فالاسلام يحض على العمل والانتاج ويرفع من شأنه وشأن العاملين ، ففي آيات كثيرة نجد تمجيدا للعامل والعمل ، يقول تعالى : (**انا لا نضيع أجر من أحسن عملا**) الكهف/ ٣٠ . والاسلام يعتبر العمل والانتاج نعمة اذ يقول تعالى : (**ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون**) يس/ ٣٥ . ومن هذا يتضح لنا القيمة الكبرى التي قدرها الاسلام للعمل باعتباره أحد العناصر الهامة للعملية الانتاجية بل أساسها .

وفي الجانب الآخر ينفر الاسلام من البطالة ، لما لها من تأثير ضار بالانتاج ، ويحذر من سوء نتائجها ويسد على المتعطلين كل باب يظنون أنهم يحصلون منه على القوت ، واوسع هذه الأبواب هو التسول والاستجداء ، وطلب الاسلام من المعدم أن يتعفف عن السؤال والاستجداء ، وان يستخدم ساعده ويستثمر طاقاته في اكتساب عيشه ، وأن يتسلح بارادة العمل وأن يترك العجز والاستكانة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيكف وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه البخاري . وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » رواه البخاري ومسلم .

مما سبق يتضح لنا ، كيف أن الاسلام في حثه على العمل والانتاج من ناحية وبتحذيره من البطالة والكسل ! وتنفيره من القعود عن الاكتساب من ناحية أخرى انما يعمل على تهيئة الأرض البشرية الصالحة اللازمة لدفع عجلة الانتاج وتنمية الثروة ، وحرم الاسلام مزاولة بعض الأعمال العقيمة من الناحية الانتاجية ، كالمقامرة ، والسحر ، والشعوذة ، ولم يسمح بالاكتساب عن طريق اعمال من هذا القبيل ، لأن هذه الأعمال تبدد الطاقات الصالحة المنتجة في الانسان ، والاجور الباطلة التي تدفع لأصحابها هدر لتلك الأموال التي كان بالامكان تحويلها الى عامل تنمية وانتاج .

○ وجوب اتقان العمل والانتاج :

يعتبر الاقتصاد الاسلامي العمل وهو بمعنى الانتاج امانة ومسؤولية فالله سبحانه وتعالى يقول : (**ولتسئلن عما كنتم تعملون**) النحل/ ٩٣ . ويقول جل شأنه : (**كل نفس بما كسبت رهينة**) المدثر/ ٣٨ . ويقول تعالى : (**وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه**) الاسراء/ ١٣ . واتقان العمل والانتاج يستوجب اتباع أدق وأحدث الأساليب العلمية في الانتاج فاذا ظهرت اكتشافات جديدة من شأنها أن تؤدي الى زيادة اتقان المنتجات أو تحسينها فان من واجب المسلم أن يتزود بها ، وقد أمر الله تعالى بذلك وفضل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون ، فقال

تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ .

○ وجوب تنويع الانتاج :

اوجب الاسلام تنويع المنتجات بحيث تشمل كل الحاجات البشرية ، وذلك لقاعدة أن كل مالا يتم الواجب الا به يصير واجبا ، وترتب على ذلك ان كل ما لا يقوم به الافراد من النشاط الاقتصادي ، كالمشروعات الكبيرة يصبح شرعا « فرضا » على الدولة القيام بها وقد حث الاسلام على القيام بكافة مجالات النشاط الاقتصادي سواء أكان هذا النشاط في المجال الزراعي أم التجاري أم الصناعي ، ففي النشاط الزراعي نجد أن الايات القرانية حافلة بالحث على الزراعة فالله سبحانه وتعالى يقول :(**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**) الواقعة ٦٣ و٦٤ وقوله تعالى **أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**) السجدة /٢٧ وفي السنة النبوية احاديث تدعو صراحة الى الزراعة فقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا .. » الحديث السابق وايضا عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كانت له ارض فليزرعها او ليمنحها فان ابى فليمسك أرضه » البخاري « وقال صلى الله عليه وسلم : من احيا ارضا ميتة فهي له » انظر الخراج ، لابن يوسف ص ٦٤ وقد روى البخاري عن قيس بن مسلم عن ابي جعفر قال : « ما بالمدينة أهل بيت هجرة الا يزرعون على الثلث والربع » البخاري باب المزارعة .

اما عن النشاط التجاري فقد قال صلى الله عليه وسلم في الحث على التجارة « التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء »البخاري .

اما عن النشاط الصناعي فقد قال صلى الله عليه وسلم « إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده » انظر مسند الامام احمد .

وجوب مداومة الانتاج والاستثمار :

يوجب الاسلام مداومة الاستثمار لمالك المال لان تعطيل الاستثمار والانتاج يؤدي الى فقر صاحبه اولا ثم الى فقر المجتمع ثانيا ، وقد صار تطبيق هذا التكليف من الصدر الاول من الاسلام عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » والاحتجاز هو وضع اليد على الارض الموات لمحاولة إحيائها وتعميرها انظر د . محمد عبد الله العربي محاضرات في النظم الاسلامية (٤٥٠) .

وقد طبق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المبدأ عندما قال على المنبر « من أحيا ارضا ميتة فهي له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » انظر الخراج لأبي يوسف ٦٥ طبعة بيروت ، ولا شك ان حكمة هذا التطبيق ظاهرة وهي حرص الاسلام على مداومة استثمار المال ، لان المال اصلا مال الله ومداومة الاستثمار

تعود على صاحبه بالنفع وعلى المجتمع ، باعتبار هذه الثمار زيادة في الدخل القومي والثروة ، وقد بين المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربي ، اطار مداومة استثمار المال ، فبين انه يجب عند استثمار المال ، اتباع ارشد السبل في الاستثمار ، فاذا عمد المالك الى اسلوب في استثمار ماله يؤدي الى ضآلة الانتاج او يؤدي الى تلف رأس المال ، كان لولى الأمر ان يرده عن هذا الاسلوب العقيم ، فاذا عمد الناس الى تركيز اموالهم في تملك الارض الزراعية دون سواها من مصادر توظيف المال كالصناعة والتجارة كان لولي الامر ان يتدخل بالاجراءات التي تكفل توزيع الناس اموالهم بين مصادر الانتاج المختلفة واذا تضخمت الثروة في ايدي فئة قليلة من الرعية وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التي عليها قوام المجتمع ثم ثبت عجزهم عن استثمارها استثمارا رشيدا كان لولي الامر ان يتدخل .

ثانيا : احكام الاسلام بالنسبة للتوزيع :

وضع الاسلام اعدل واحكم سياسة لنظرية التوزيع واذا كنا هنا لا نتعرض الى دراسة تفصيلية لاحكام هذه السياسة ـ لان الامر يحتاج الى اكثر من كتاب ـ الا اننا سنعرض بايجاز غير مخل أهم التشريعات التي وصفها الاسلام لضمان عدالة التوزيع ، فانه على ضوء دراسة اقتصادية معقولة يمكن تقسيم هذه التشريعات الى مجموعات ثلاث :

○ **المجموعة الأولى** : تسمى «الخزانة العامة أو بيت المال » وهذه المجموعة تشمل فريضة الزكاة والغنائم والركاز ، والعشر ، والخراج ، والجزية ، والعشور ، والضوائع وتركة من لا وارث له .

○ **أما المجموعة الثانية** : فتسمى بالانفاق الأهلي وهي تشمل صدقة الفطر ، والأضاحي ، والكفارات ، والوصية والنذور ، والوقف ، ونفقات الأقارب .

أما المجموعة الثالثة : فتسمى ضرائب الكفاية والأمن وهي عبارة عن حق الدولة بالنسبة للتدخل في الملكية الفردية ونمائها واستثمارها ، اذا لم تف موارد المجموعتين السابقتين ، بحاجة الأمة في تحقيق «توازن سليم » بين أفرادها ، يكفل لها الكفاية والأمن داخليا وخارجيا مما يمكن أن نسميه ضرائب الكفاية والأمن .

○ ثالثا أحكام الاسلام في تنظيم وترشيد الاستهلاك :

جاء الاسلام بمنهج شامل لتنظيم الحياة الانسانية وجعل الاستفادة والانتفاع بما خلق الله تعالى أمرا طيبا في الاسلام طالما أنه لا يقوم على ادخال الضرر بالنفس أو الاضرار بالغير ، أما اذا تضخم هذا الانتفاع والتمتع والتنعم كما هي صفة المجتمع غير الرباني ، فأمر لا يقره الاسلام ولا يعترف به ويصفه بالاسراف والتبذير من هنا فقد حرم الاسلام حياة الترف ، ونهى عن الاسراف وأمر بالتوسط والاعتدال في الانفاق على الاستهلاك . انظر مقالنا في عدد شعبان ٢١٢ لسنة ١٤٠٢هـ ص ٦٧ .

الغذاء

وتحسين الذاكرة

للدكتور / عزت ابو الفتوح حمودة

من المعروف لدينا منذ زمن بعيد أن الأغذية تؤثر في الجسم كل حسب نوعيته . بيد أن الشيء الذي أثار دهشة العلماء هو ان هناك أطعمة معينة تؤثر على المخ . وقد يقوم غذاؤك في المستقبل بدور رئيسي في تحسين الطريقة التي يعمل بها مخك . وقد تتناول اغذية خاصة لتحسين الذاكرة أو تعزيز قوة التركيز والتعليم .

إن أحاسيس الجوع والظمأ تنسب عادة للمعدة . في حين انها في الواقع خاصية عصبية يسيطر عليها المخ . وقد عرف الدكتور ريتشارد فورتمان اخصائي الاعصاب والغدد بمعهد ماساتشوستش التكنولوجي ان بعض الأطعمة بالذات تؤثر على انتاج المخ من أجهزة الإرسال العصبية والمواد الكيمائية التي تنقل الرسائل الى الخلايا العصبية . فقد تبين على سبيل المثال ان مادة الكولين التي توجد بوفرة في صفار البيض ،وفول الصويا ، والكبد واطعمة اخرى غنية بمادة الليستين ـ التي استخدمت فعلا في علاج مرضى التخلف العضلي والرعشة غير الإرادية للوجه واللسان والاطراف وقد عرف ان هذا المرض سببه نقص في مادة استيلكولين في اجهزة الارسال العصبية وعالج

فورتمان بنجاح بعض هؤلاء المرضى بجرعات كبيرة من الكولين في صورة الليستين الذي يحوله الجسم الى كولين واستيلكولين .

ولكن اذا كنت تتمتع بصحة طيبة فماذا يستطيع الكولين أن يفعل لك ؟ إن علماء معهد الصحة العقلية القومي في امريكا يقولون إن جرعات كبيرة من الكولين يبدو أنها تحسن الذاكرة على المدى القصير . وعلى سبيل المثال فقد تبين ان الاشخاص يستطيعون تذكر قائمة من الكلمات بصورة أفضل بعد تناول الكولين ، واي نقص شديد في الكولين في غذائك يمكن ان يعرقل الذاكرةوالقدرة على التعلم ، ومع أن الأبحاث حول الطرق التي يؤثر بها الكولين على الذاكرة غير معروفة بوضوح حتى الآن الا أن العلماء لا يستطيعون القول بأن كبسولات الكولين او حبيبات الليستين سوف تزيد معدل ذكائك في الوقت الحاضر على الاقل .

ان فكرة أن الغذاء يستطيع التأثير في المخ تتناقض تماما مع كل النظريات السابقة . فقد كان المخ يعتبر عضوا مقدسا يحميه وحده حاجز الدم في المخ الذي يمنع اي شيء يشق طريقه الى مجرى الدم عند دخول المخ . وكان المعتقد ان بعض العقاقير والجلوكوز والماء والكافيتين هي وحدها التي تنفذ في هذا الحاجز . ولكن الدكتور فوريتمان يقول إنها كانت مفاجأة تامة عندما استطاع العلماء التأثير في شيء هام مثل جهاز الارسال الكيميائي بواسطة مادة غذائية وقد توصل الى ادلة اولية على ان نقص بعض الأغذية قد تكون له صلة ببعض الامراض مثل نوبات الجنون وفقد الذاكرة في الشيخوخة . إن الأبحاث الخاصة بأثر التغذية على المخ لا تزال في مهدها بيد أن قائمة الاطعمة القادرة على النفاذ من حاجز الدم في ازدياد .

ونقص المواد الغذائية قد تكون له أثار خطيرة على جسمك مثل الإصابة بمرض الاسقربوط « البري بري » تعب الاعصاب والعظام الهشة ، وفقر الدم« الانيميا » بل وعدد من الامراض العقلية والجسمانية ... ولكن هل هناك طعام او شراب يمكن ان يخفف الارق ؟

لقد اكتشف العلماء ان مادة ترايبتوفان المغذية تقتحم حاجز الدم في المخ . وهذه المادة عبارة عن حامض اميني شائع وجوده في اللبن والبيض واللحوم الطازجة . وكذلك في الأسماك الطازجة وبخاصة التونة ... ويقوم جسمك بتفتيت المادة وتغذية المخ في صورة سيروتونين جهاز الارسال العصبي وهو من المهدئات التي توجد في المخ ذاته ...

وفي عام ١٩٧٥م وصف الباحثون في مركز ماريلاند للامراض النفسية والعصبية مادة الترايبتوفان في صورة اقراص لسيدات مصابات بأرق كن يقضين أكثر من أربع ساعات عادة في محاولة للاستغراق في النوم ، وفي خلال ايام انخفض الوقت الذي يستغرق في محاولة النوم الى النصف ..

ومنذ قريب تبين للاطباء في معمل النوم بمستشفى بوسطن أن كمية تتراوح بين جرام وأربعة جرامات من مادة الترايبتوفان لا تخفض نصف الوقت الذي يقضيه الشخص في محاولة النوم فحسب ، بل ان هذه المادة على عكس اقراص النوم التقليدية لا تغير الدورات العادية للنوم والأحلام . وأخيرا أعلن الدكتور فورتمان عن وجود أحماض أمينية اخرى غير الترايبتوفان في الاطعمة الغنية بالبروتين يمكن لها التفوق على هذه المادة في دخول شعيرات الدم في المخ واقتحام حاجز الدم في المخ الذي يحول دون امتصاص الترايبتوفان ويحوله الى مادة سيروتونين المهدئة ...

فيتامين ج .. والسرطان :

قام الدكتور ابوان كاميرون باسكتلندا بعلاج ١٠٠ مريض في حالة متقدمة من مرض السرطان باعطاء كل منهم عشر جرعات من فيتامين « ج » يوميا وبمقارنة هؤلاء المرضى بألف مريض آخر يعالجون بالوسائل التقليدية تبين ان المرضى الذين يتناولون فيتامين « ج » عاشوا فترات يبلغ متوسطها اربع مرات أطول من الآخرين وضاعت كل آثار الأورام الخبيثة ويعتقد بعض الباحثين ان فيتامين ج يزيد انتاج الجسم من مادة الانترنيرون التي تكافح الفيروسات وتقضي عليها ـ كذلك فان هذه المادة لها اثرها الفعال ضد الخلايا السرطانية .

ويرى علماء طب جزيئات الأحماض أن الكثير من الامراض سببها يرجع الى اختلال التوازن الكيميائي بين المخ والجسم . ولما كانت الفيتامينات عناصر طبيعية وتعمل على تقوية وتدعيم جهاز المناعة بالجسم . ومن ثم فانه بقليل من المساعدة الطبيعية فان اجسامنا يمكنها في كثير من الحالات شفاء انفسها . ولقد أعلن الدكتور نايبل استاذ الكيمياء الحيوية بجامعة كاليفورنيا انه توصل الى ان فيتامين « هـ » يعمل على حماية الرئتين من تلوث البيئة .

غذاء يقلل خطر الإصابة بالسرطان :

قد يكون التوصل الى علاج ناجح للقضاء على السرطان لا يزال يتطلب فترة من الزمن . ولكن هناك بعض الاطعمة التي تقلل فرص إصابة الجسم بالسرطان ..

ولعل خير دليل على ذلك هو الاحصائية الأخيرة التي اعلنها معهد السرطان ان ٦٠٪ من حالات السرطان ترجع اساسا الى طريقة طهي الاطعمة المستخدمة في بلادنا . حيث ان الأغذية الغنية بالدهون وخاصة الدهون الحيوانية تعمل على اجبار الكبد لافراز أحماض الصفراء لهضم الدهون . ولكن زيادة نسبة هذه الأحماض في البراز قد تؤدي الى الاصابة بسرطان القولون والشرج في الرجال .

وقد يظهر سرطان الثدى في النساء مرتبطا ارتباطا قويا بنوعية الغذاء ،

حيث وجد ان البلاد التي تستهلك فيها النساء مستويات عالية من الدهن الحيواني تزيد من احتمال الإصابة بسرطان الثدي ؛ ويعلل العلماء ذلك بان زيادة الدهون تعمل على زيادة كمية هرمون البرولاكتين الانثوي في الدم مما يشجع على ظهور الاورام الثديية . واذا كان الدهن يسهم في الاصابة بسرطان القولون فان الغذاء الغني بالالياف قد يساعد على مقاومة الاثار المؤذية للدهون . حيث ان الالياف تجعل البراز متماسكا ، وهذا يعجل بخروجه من الاحشاء ، وبذلك يعمل على تقليل الوقت الذي تبقى فيه العوامل المسببة للسرطان في جدران الامعاء .

كذلك فقد وجد ان الاطعمة الغنية بعنصر السلينيوم تقلل خطر الاصابة بالسرطان ، ويقول العلماء إن الاطعمة الغنية بعنصر السلينيوم تقلل الإصابة بسرطان المعدة والقولون والرئتين والمثانة . والأطعمة الغنية بهذا العنصر هي : **الاسماك ـ الكبد ـ الكلى ـ البصل ـ الثوم ـ البيض ـ عش الغراب ـ القمح** .

عقاقير جديدة لمكافحة السرطان :

هناك العديد من الادوية والعقاقير المضادة للسرطان . بعضها يعمل على تخفيف الألم والبعض يعمل على وقف انتشار المرض . وبعضها توجه بواسطة عقول الكترونية لقتل الخلايا السرطانية وترك الخلايا السليمة دون أدنى ضرر .. وقد توصل علماء كلية طب جامعة كاليفورنيا الى انتاج عقار جديد يسمى « ازيتومايسين » وهو يعتبر من أقوى العقاقير المضادة للسرطان حتى الآن . لانه يعمل على تدمير التكوين الكميائي للخلايا السرطانية في خلال ٣٠ دقيقة وهو رقم قياسي بين العقاقير المضادة لهذا المرض .

ـ جسمك ينتج عقاقير مضادة للسرطان :

منذ عهد لويس باستير والأطباء يكافحون الأمراض بعقاقير مأخوذة من الميكروبات والنباتات وغيرها من المركبات التي تعد في المعامل . ولكن الطريق المتجه اليه الآن هو البحث عن وسيلة يتم عن طريقها تدعيم نظام الحماية الطبيعي بالجسم لكي يخوض معاركه الخاصة بترسانة من العقاقير القاتلة للجراثيم .

وقد توصل العلماء الى أن هناك مركبا كيميائيا بالدم يستطيع أن يوقظ أجهزة الدفاع الواقية بالجسم وأطلق على هذه المادة اسم «عامل النقل» لأنهم اكتشفوا أنه عندما يؤخذ دم من شخص كافح السرطان بنجاح ، ويحقن به مريض آخر مصاب بالسرطان ، فان الدم الجديد يساعده في مكافحة مرضه .

وان شاء الله بالبحث المتكرر وبعون الله سوف يتوصل العلماء في المستقبل القريب الى تحضير هذا المركب في المعمل وعندئذ يمكن للطبيب وصف عقاقير للقضاء على السرطان وأخطاره .

النصر في الدنيا والآخرة

قال تعالى : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »

الآيتان ٥١ و ٥٢ من سورة غافر

من الرسول الكريم إلى المؤمنين

يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » . أخرجه البخاري .

الدين

حذر الوالد ولده من الاسراف والاستدانة فكتب اليه : « انني لأعجب يا بني كيف تستمتع بالحياة وأنت مثقل بكل هذه الديون » .

فرد الابن قائلا : « ان ما هو أدعى للعجب حقا يا والدي هو كيف ينام الدائنون ، وكيف تغمض لهم جفون ، وهم يدينونني بهذه المبالغ الباهظة » .

عيوب .. فاحذرها

الأحنف بن قيس يقول لنا :

- **الكذوب لا حيله له ،**
- **والحسود لا راحة له ،**
- **والبخيل لا مروءة له ،**
- **والملول لا وفاء له ،**
- **ولا يسود سيىء الأخلاق ،**

ومن المروءة اذا كان الرجل بخيلا أن يكتم ذلك ويتجمل .

سداد ... وسداد

في مجلس الخليفة المأمون قال النضر بن شميل التميمي ، وهو لغوي أديب : فيما روى : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز » وكسر السين في «سداد » بدلا من فتحها .
فقال المأمون : وما الفرق بينهما ؟
قال النضر : السداد ـ بفتح السين : القصد في الدين ، والطريقة ، والأمر . والسداد ـ بكسر السين : البلغة ، وكل ما سددت به شيئا فهو سداد .
وقد قال العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

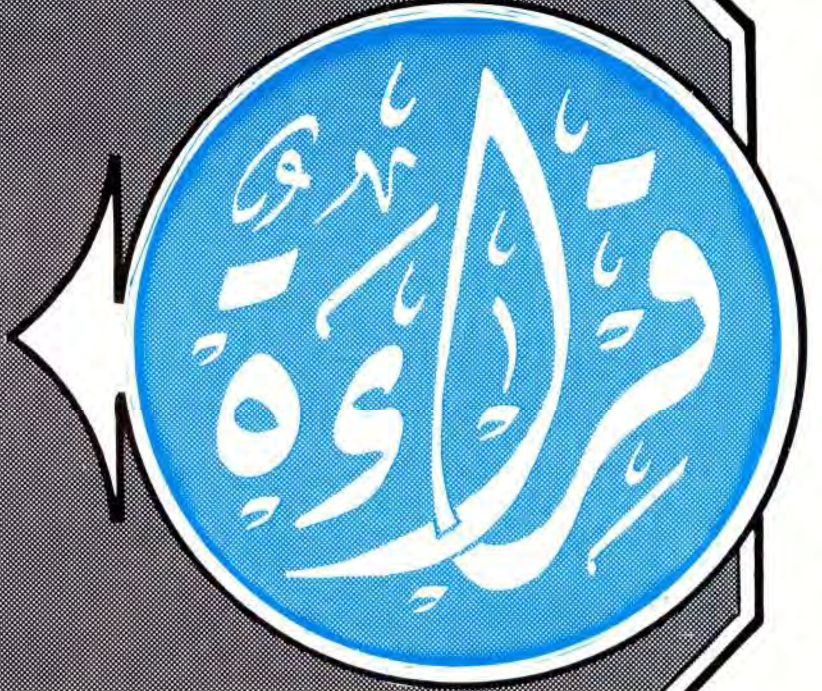
وهذا من أسرار لغتنا الجميلة .

إنهم رجال

سئل عبد الله بن عباس عن ابي بكر ـ رضي الله عنه .
فقال : كان والله خيرا كله مع الحدة التي كانت فيه .
قالوا : فاخبرنا عن عمر ـ رضوان الله عليه ـ فقال : كان والله كالطير الحذر الذي نصب له فخ ، فهو يخاف أن يقع فيه .
قالوا : فاخبرنا عن عثمان ـ رضوان الله عليه ـ فقال : كان والله صواما قواما .
قالوا : فاخبرنا عن علي بن ابي طالب ـ رضوان الله عليه ـ فقال : كان والله ممن حوى علما وحلما ، حسبك من رجل أعزته سابقته ، وقدمته قرابته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

صاحب العلماء

يطيب العيش أن تلقى لبيبا غذاه العلم والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العلم يعرفه الأريب
سقام الحرص ليس له دواء وداء الجهل ليس له طبيب



تثير مقدمات كتب أهل العلم في نفس قارئها أشياء أردت أن أشير إلى شيء منها .

وليس النظر في مقدمات الكتب واستخراج ما فيها شيئا جديدا ، وانما هو لون من الوان النظر قديم ، أكثر منه علماؤنا ، وأفردوا له كتبا ورسائل ، وقد كتبت كتب متعددة حول مقدمة واحدة ، كمقدمة القاموس التي أثار فيها الفيروز بادي مسائل حول نشأة اللغة ، وتاريخ العربية ، وإيغالها في القدم ، واستبحار مفرداتها وتراكيبها ، وعلومها ، وأنها لا يحيط بها إلا نبي ، إلى آخر ما قال ، وروى من كلام الكملة رضوان الله عليهم .

وإنما أردت أن أستخلص من بعض المقدمات بعض الحقائق المهمة ، والمتصلة بما يثقل حياتنا الفكرية من خلافات حول التعرف على الصراط المستقيم الواصل بها الى ما ينشده كل ذي عقل وقلب من أبناء هذه الأمة ، الذين يجدون أوجاعها وآلامها وخزا في قلوبهم وأهم هذه الحقائق أن هذه المقدمات كثيرا ما تجدها دعوة جهيرة الى الاجتهاد في الباب الذي كتبت فيه ، وأن مجال القول فيه متسع جدا ، وامكان الابداع ، والاضافة ، والتنوع ، فسيح فسيح .

وهذه حقيقة مهمة ، وقيمة رفيعة من قيم هذا التراث . أما موطن الدعوة الى الاجتهاد في هذه المقدمات نص في هذه الفجوة الواضحة بين ما طمحت إليه هممهم ، ونصبوه في هذه المقدمات هدفا وغاية ، وبين ما حققوه في بطون الكتب من دراسة وتحليل .

فالغاية غالبا ما تكون هدفا كبيرا يشبه الأمل والرغبة التي عظمت في تلك

كتب القدماء

للدكتور/ محمد محمد أبو موسى

النفوس ، ثم يأتي العمل والممارسة في داخل الكتاب ، ويرى قاصرا عن هذه الغاية قصورا لا يخفى .

وهذه الفجوة هي الصوت الجهير الذي يدعو الخلف إلى إتمام رسالة السلف .

والغايات التي يستشرفها العلماء ليست انطلاقات من فراغ ، وإنما هي احساس غامض بضروب من الميادين العامرة بحقائق المعرفة والتي لما تزل وراء الحجب ، وكلما طالت الممارسة لحقائق العلم ، وطال الالف وطالت الملازمة كان ذلك أحرى بايجاد هذا الاحساس الغامض بهذه الحقائق الغامضة ، والذي قد يعظم حتى يكون تطلعا وتلهفا وتحرقا نحوها ، حتى ليوشك الباحث في هذا اللون أن يلمح هوادى الحقائق وهي تومض من هذا الغيب ، وتوشك كلمات أهل هذه الطبقة أن تومىء الى هذا البعض المجهول ولكنها إيماءة ، « كالاشارة الى مكان الخبيء ليعرف » على حد عبارة عبد القاهر ، فعباراتهم لم تدل على هذه الحقائق دلالة قريبة ولا بعيدة وإنما أشارت الى مكانها المخبوءة هي فيه ، ليبحث عنها هناك وتستخرج ، وهذا هو وجه طموح المقدمات ، وهذا هو الذي يجب أن يكون بين أعيننا ونحن نقرأ تراث أهل العلم ، كما كان بين أعين سلفنا وهم يقرؤون تراث سلفهم . وليس بين أيدينا كتاب واحد من كتب البلاغة والاعجاز أصاب الهدف الذي

رمى اليه صاحبه ، وقدم فيه ما يقنع ويقطع بتحقيق الغاية التي توخاها ، ولهذا تواترت الكتب والجهود من هذين العلمين الشريفين ، وترك كل كتاب من ورائه الباب مفتوحا يدعو غيره .

وإليك برهان هذه الدعوة :

اما كتب البلاغة ، فسوف يكون شاهدها أجل كتابين كتبا فيها وهما أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز .

ذكر عبد القاهر في مقدمة أسرار البلاغة أنه يتوخى تحديد الأصول التي يؤسس عليها الحكم في بيان منازل الأدب والشعر ، حتى يتبين لدارسه « كيف ينبغي أن يحكم في تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان ، ويعدل القسمة بصائب القسطاس والميزان » أسرار البلاغة.

وهذه غاية ليس بعدها غاية من هذا الباب ، فأي شيء نستشرف إليه بعد العلم بكيفية الحكم في تفاضل الأقوال ؟ اسرار البلاغة ص ٢ .

والسؤال هو هل حقق كتاب اسرار البلاغة هذه الغاية ؟ مع أنه من أدق واحكم ما بين أيدينا من كتب ، بل هل حقق التراث البلاغي والنقدي كله هذه الغاية ؟ ووضع بين ايدينا الحقائق المستوعبة والتي يؤسس عليها فهم اسرار بلاغة الكلام وقياس منازله ؟ أم أن أهل العلم لا يزالون في كبد من هذا الشأن ؟

والأمر كذلك عند غيرنا ، وقد وصف رتشاردز كفاح عقل أمته في هذا الباب ابتداء من كهوفهم القديمة من أمثال افلاطون وارسطو وانتهاء بالأفذاذ من بني جلدته من أمثال كارليل ، وآرنولد ، وذكر أن حصيلة هذا الكفاح « حقيبة تكاد تكون فارغة » مقدمة مبادىء النقد الأدبي ترجمة د . مصطفى بدوى .

ولا يزال ميدان البلاغة والنقد يزخر بالآراء والمذاهب التي تتهالك ويبتلع بعضها بعضا ، ولا يزال العلم بكيفية الحكم في تفاضل الأقوال وتقسيم حظوظها بينها من الاستحسان غاية غائمة نستشرف إليها كما استشرف عبد القاهر اليها ، وإن كان هو كد وثابر واثرى .

اما ما قاله في مقدمة دلائل الاعجاز فالأمر فيه لا يختلف عما قاله في الأسرار ، وإن كان في الدلائل يوشك ان يخلص كلامه لبيان وجه الأعجاز ، الذي لا يكون إلا بمعرفة طبقات الكلام ، والأسس التي يقوم عليها الحكم في تفاضل الأقوال إلا انه هنا يتابع كيف يعلو بعض الكلام بعضا وتتوافر فيه العناصر التي بها يرقى في سلم الفضيلة درجا بعد درج حتى يتجاوز الحدود التي تطيقها طاقات البشر وتنقطع دونها أطماعهم ، وتستوى الأقدام في العجز .

ويذكر عبد القاهر أنه لا يكفي في هذا أن تنصب له قياسا وأن تصفه وصفا مجملا ، بل لا بد من التفصيل ، والمقصود في كتاب دلائل الاعجاز أن تعرف كيف تضع يدك على « الخصائص التي تعرض في نظر الكلام ، وتعدها واحدة واحدة ، وتسميها شيئا شيئا » دلائل الأعجاز ص ٣١ .

ارايت الذي طمحت إليه همة الشيخ الجليل رحمه الله ؟
والسؤال هل وضع اليد على أسرار نظم القرآن الذي به أعجز ؟ وهل عدها واحدة واحدة ؟
لا ريب في أن كتاب دلائل الأعجاز ليس له كتاب يزاحمه في تراث هذه الأمة ، ولكن الغاية اكبر ، ومهما جد عبد القاهر ، وأصاب في كشف أسرار الكلام وغوامضه .
فالشىء الذي في سورة قل هو الله أحد .. وتبت يدا ابي لهب .. وإنا أعطيناك الكوثر ... كالشيىء الذي في سريان النفس في النفس ، واختلاف الليل والنهار ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر ، لأن القرآن وهذه الأشياء من معدن واحد ، وأين هذا مما قاله الشيخ الجليل ؟

ولا يزال القرآن منطويا على أسرار إعجازه ، التي هي آية الله فيه ، كما لا يزال هذا الكون من السموات والأرض وما بينهما منطويا على آيات الله فيه . والذي أدركناه من أسرار بلاغة القرآن ، كالذي أدركناه من أسرار الكون والنفس ، والسماء والأرض وهو بالنسبة لما لم ندركه بعد كالسطور الأولى من فاتحة كتاب كبير وكل خطوة نخطوها في هذا السبيل تنكشف من ورائها آماد وآماد ، تجعل الاحساس بالعجز اقطع واقهر .
وليس هذا خدشا للصرح العظيم الذي بناه عبد القاهر والذي فتح به آفاقا سامية ووضع به أسسا دقيقة لفهم الكلام وتذوق اسراره ، وغوامض بنائه ، وانما هو حقيقة ادركها من هم أعرف بتراث عبد القاهر وأنفذ في فهم الباب كله .
فهذا أبو يعقوب السكاكي الذي كان أكبر همه أن يصب كل شىء في قاعدة ، ويجمع كل ما انتشر في أصل ، وكان له عقل مطيق لما يقصد إليه ، وقد نفض تراث عبد القاهر كلمة كلمة ، ووعاه بعقلية يسطو ذكاؤها ويسطع ضياؤها ، يقول بعدما مخض تراث الرجل (ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق) وهذا ليس إذعانا لقول عبد القاهر حتى تضع اليد على الخصائص وتعدها واحدة واحدة ، وإنما هو شىء غيره ، بل وإحالة إلى مبهم عانت منه قضية الأعجاز منذ الأجيال التي كان يخاطبها حمد بن ابراهيم الخطابي رحمه الله ، وعانى منه الشعر والأدب ولا يزال يعاني ، لأن الاحالة الى النفس واعتماد الذوق وحده ، هو في جوهره موقف حيرة ، يلوذ به الناظر حين لا يكون قادرا على ان يفصح عما يجد ، وأن يبين عن علله ، وبواعثه ، او حين يضيق به مجال الحجة ، ويصعب عليه وصول البرهان ، كما يقول القاضي أبو الحسن .
ثم إننا إذا عدنا الى عبد القاهر نفسه لنبين مدى المطابقة بين ما أودعه في كتابه ، وما طمح إليه في مقدمته وجدناه يدرك إدراكا ظاهرا قصور كثير من مباحثه عن الغايات التي يراها هو لهذه المباحث ، وانه كان كثيرا ما يطوى صفحة قبل تمام بحثه ويقول ذلك بلفظ مبين .

والأمر الغريب أنها لا تزال عند الحدود التي وقف بها عندها ، ولم يفتح العلماء بعده ذلك الباب الذي رأى هو منه أبعادها الرحبة .
ثم إن هذه المباحث لا تزال بيننا كذلك على هذا الحد الذي تركه عبد القاهر ، لم نعمل عقولنا في إكمالها ، هذا فضلا عن تقصيرنا في فهم ما استخرجه هو ، لأن دراساتنا البلاغية والنقدية لم تمتد على ذات الطريق الذي سلكه الأئمة ، وإنما تشتتت وتفرقت بها السبل .
وإليك بعض هذه المباحث .
قال بعد ما بسط صور الكناية ، وأقسامها ، وحلل شواهدها وأشار إلى ما بينها من علائق على الحد الذي ترى بعضه في كتب المتأخرين « وليس لشعب هذا الأصل وفروعه وأمثلته وصوره ، وطرقه ، ومسالكه ، حد أونهاية » دلائل الأعجاز ص ٢٤١ .
واضح أنه لا يقصد كثرة شواهد الكناية في الشعر والأدب لأن توفر صورها ليس في حاجة الى تنبيه ، وإنما يقصد ضروبا من الكناية هي بمثابة شعب وفروع ، وطرق ومسالك غير هذه الضروب والطرق والمسالك التي ذكرها ، وهذا قاطع .
والسؤال أين هي ؟ ولماذا سكت عنها خلفه ؟ كما سكتناواكتفينا بترديد الصور التي ذكرت ، ولم نجشم أنفسنا البحث عنها كأنه يضع في أعناقنا مسؤولية استخراجها من الكلام ، اقرأ عبارة عبد القاهر مرة ثانية ، تجد فيها أن الرجل رأى في هذا الباب آفاقا ممتدة ، التمعت بين عينيه واضحة خصبة ، ولكنه أكتفى بما قال وطوى صحفه .
ودع هذا ، واسمعه يقول في أسرار حذف المفعول بعدما أبان عنه إبانة لا نعلم فيه شيئا أكثر مما قال « وليس لنتائج هذا الحذف أعني حذف المفعول نهاية فانه طريق الى ضروب من الصنعة وإلى لطائف لا تحصى » دلائل الأعجاز ص ١٢٥ .
تامل قوله « فانه طريق إلى ضروب من الصنعة ، وإلى لطائف لا تحصى » تجده ليس إشارة الى كثرة شواهده في الشعر والكلام البليغ ، وإنما هو تنوع في الطرق ، والأساليب ، فيه من اللطائف ما لا يحصى ، يعني معرفة أخرى في أسرار هذا الضرب تضاف إلى ما بين أيدينا ... وأين هي ؟
واسمعه يقول بعدما درس مواقع « إن » من الكلام دراسة هي أوسع مما جرى في كتب المتأخرين « وليس لهذا الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والأمور الخفية ، بالشيء يدرك بالهوينا ، ونحن نقتصر الآن على ما ذكرنا » دلائل الأعجاز ص ٢٥٢ .
وهذا واضح من أن وراء الذي قاله في هذا الباب دقائق ، وأموراً خفية ، لا تدرك بالهوينا ، وهذا كلام نفيس يدركه من عانى تحليل بناء الكلام وواجهته هذه الأداة ، وأراد تخريجها على الوجوه المتعارفة فنبت ،

فضاق بها وسكت ، وهو لا يحسب أن وراء ما عرفناه من معانيها وأحوالها ، اشياء وأشياء .

ودع هذا .

وخذ قوله بعدما استخرج الذي استخرجه من كلمة (إنما) مما شاع بعده قال « واعلم أنه ليس يكاد ينتهي ما يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق » دلائل الأعجاز ص ٢٧١ .

ولم يذكر أحد بعده واحدة من هذه الدقائق ، التي قال فيها إنها لا تنتهي ولا تكاد .

وهذا كثير جدا في كتابي عبد القاهر ، وهو صريح رأى عبد القاهر نفسه من موقف مباحثه قبل أن تصل إلى غاياته ، وأنها لم تفض كل ما في أحوال الكلام ، وضروبه ، وطرقه ومسالكه .

ولو تجرد لهذا باحث ذو نفاذ ، وعزم ، واستقصاه وحقق القول فيه ، لكان ذلك عملا جليلا .

وقد قلت إن عبارة عبد القاهر التي أشار فيها إلى رحابة الأبواب التي أقصر فيها كلامه دالة على أنه كان يرى أبعادا رحبة ، وصورا وطرقا ، ومذاهب ، وأنها كانت تتكاثر بين يديه ، وتتزاحم .

ويمكن أن ينفتح لنا الباب الذي رأى منه هذه الرحابة وهذه الكثرة ، وذلك إذا مضينا على طريقه الذي أسس عليه علمه ، وهو استقصاء كلام العرب ، ودعك من هذه الهرطقة التي تعده تلميذا لأرسطو فليس لها دليل واحد مقنع ، اقول إن طريقه الذي أسس عليه علمه هو استقصاء كلام العرب ، واستخراج الطرق والأساليب ، والضروب ، وتأسيس الأقسام على هذا الواقع ، الذي جرت به ألسنة أهل الطبع ، وهذا هو الذي تكاثر بين يدي عبد القاهر ، واثرى به أبوابه ، وأشار إلى من بعده بمواصلة النظر فيه ، ثم هو يتكاثر ، ويتنوع ويتغير ، بتغير الاحوال والأزمان ، والثقافات وأطوار الحضارة ، وغير ذلك مما تتنوع به اهتمامات النفوس ، ومغازيها في مبانيها ، وبذلك يتواصل النظر ، ويتجدد على أساس من واقع اللسان ، وأدبه ، وليس غير .

ثم إن تصنيف ومدارسة هذه الطرق ، والضروب واللطائف ليست مما يؤخذ بالهوينا كما يقول ، وإنما يحتشد لها من يصبر ، ويثابر ، ويعرف كيف يعطي للحقيقة حقها من الصبر والصدق ، والتدبر ، والمعاودة ، لأن هذا تاسيس لمعارف وليس لغوا تجري به الألسنة الثرثارة ، الفارغة ، التي ضلت حقائق المعرفة ، وحبب إليها العبث واللغو والطعن في الكملة من علماء الأمة واستمرات ذلك وسمته علما ، أو تجديدا للعلم ، وراج ذلك ويروج ، واخذه ويأخذه الصغير عن الكبير ، كل ذلك في غيبة الوعي المستنير .

نجاوى

سكينة

للأستاذ

عمر بهاء الدين الأميري

توزَّع فكري ، فلا يستقرُّ
على أن أعماق رُوحي سكينةْ
جلست ، وهمِّي ينأى بنفسي
بعيداً ، وقلبي يوالي أنينهْ
وحوْلي مزيج صدى القارئينَ

تلاوةُ وَسْنانَ لا مستبينةْ
وقد رمق الصُّبح سِرْبَ الحمامِ
وألقى النِّقاب ، وأبدى جبينهْ
فغيَّب ظلَّ الرّواق السَّنيِّ
رويداً رويداً ، وجلَّى غُضُونَهْ
جلست ، وفي الرّأس من هِمَّةِ
النّفوس الكبار نجاوى سجينهْ
أفكّر في أمر ديني وَقوْمي
وأدمع عينيّ حرّى دَفينة
وطرفي يرْنو وراء المدى
وللحبِّ أنوارُ كشفٍ مُبينَةْ ..
وكنت ، من الهمِّ ، في شردةٍ
تُلِمُّ برأسي طيوفٌ حزينةْ
كأنّي ألمح في عاصفات

العُبابِ تعثّرُ جَرْيِ السّفينةْ

وألقي بِنفسي حَناناً عَليها

لأرْبطها بالحِبالِ المتينةْ

فيرتدُّ للصّحْوِ بي ، مُفْزَعاً

يطير بوجهي ، حَمَامُ « المدينةْ »

أيا ربُّ ، « أمّتُنا » قد رماها

بنوها بشدق الرَّزايا رَهينةْ

بِحُرْمَةِ عَهْدِكَ : « حقّاً علينا »*

وقد قلت : « كُنْتُم » فكانَتْ قمينةْ

أجِرْها وأنْجِدْ ، فإن لم تُجرْها

فَمَنذا يُجيرُ ... وَينْجِدُ دينَهُ ؟

وأَلِهمْ بنيها هُداهُم ، وثبّتْ

خطى سَيرِهِم في دُروبٍ رَصينهْ

وحقّق لَهمْ صِفَةَ « المؤْمنين »

وَضَعْ عَهْدَهُمْ في رقابٍ أمينهْ

وخُذ أخْذةَ القَصْمِ مَنْ رامَهُمُ

ودِينَكَ ، بالبَغْيِ ، واقطع وتينهْ



الوسنان : الذي أخذه النعاس .
عضونه : تجاعيده وأجزاء زخرفته الدقيقة .
العباب : البحر المتلاطم الموج .
الشدق : جانب الفم .
« **حقا علينا** » : إشـــارة الى قوله تعالى : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** »
« **كنتم** » : إشارة الى قوله تعالى : « **كنتم خير أمة اخرجت للناس** » .
الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم الى سائر العروق .

نظمت في المدينة المنورة

الطيور

للدكتور/ابراهيم سليمان عيسى

الطيـور حيوانـات فقاريـة متعددة الانواع والاجناس والبيئات والمواطن وفيهـا الجمال والألـوان البـديعـة المتعـددة . وتختلف في أشكـالهـا وأحجامها لتلائم البيئة التي تعيش فيها والناظر الى الطيور يجد أنها مخلوقات فيها العظة والعبرة وتتكاثر بوساطة البيض وتضم أكثر من ثلاثين الف نوع تختلف في كل شيء وتتفق في انها مخلوقة « لله الذي خلق فسوى ومعنى خلق، أوجد من العدم والله سبحانه وتعالى جلت قدرته خلق كل شيء فأحسن خلقه والتسوية تعني التصميم الداخلي والخارجي والتأهيل للمخلوقات فكلها ميسرة لما خلقت له . والمتأمل في الطيور يجد أن وسائل تأهيلها لحياتها متعددة وكثيرة .

فتعال معي أيها القارىء الكريم نتأمل قدرة الله في خلق الطيور فسوف نجد أن الطيور من حيث الوزن أخف من أي حيوان آخر في مثل أحجامها وقد اتضح بالتشريح أن عظامهـا رقيقة ومجوفة بالاضافة الى أن جسم الطائرزورقي الشكل وللأنثى مبيض واحد وقناة بيض واحدة وليس لها أسنان أو فكوك كل ذلك يؤهل الطائر لوظيفة الطيران ويزيد من مقدرته على أداء هذه الوظيفة وللطيور زوجان من الأطراف الزوج الأمامي محور الى الجنـاحين والـزوج الخلفي مهيـأ للوقوف على الأغصان أو المشي أو العوم والسباحة وهيكلها الـداخلي برغم قوته خفيف والريش مميز واضح هذه خاصية من خصائص الطيور وتركيب ريش الطيور وترتيبه يساعد على الطيران ويحفظ حرارة الجسم ورطوبته في أثناء الطيران بالاضافة الى حدة البصر والرؤية من مسافات بعيدة ويتصل بالرئتـين في الطيور أكياس هوائية تفوق الرئتين حجما وسعة وهذه الاكياس الهوائية لا تعمل على زيادة السعة التنفسية للطائر



انواع مختلفة من الطيور

فحسب بل انها تقلل من وزن الجسم النوعي وكثافته فتزيد تبعا لذلك القدرة على الطيران ثم نجد أن اتصال أجنحة الطائر تكون من أعلى عظام « القص » وهذا يمنع الطائر من الانقلاب في اثناء الطيران وصدق الله اذ يقول : « **ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله** »الآية ٧٩ من سورة النحل هذا قليل من كثير والخلاصة أن هذه المخلوقات عجيبة قوية وديعة جميلة متعددة الأشكال والألوان والأنواع والأجناس . والكلام في هذه النقاط متشعب ومتعدد الجوانب والزوايا التي تؤدي في النهاية الى بيان قدرة الله وبديع صنعه سبحانه وتعالى

● تعيش الطيور في مختلف البيئات والأوطان بعضها ينشط ليلا وبعضها ينشط نهارا من الفجر حتى الغسق وللطيور هجرة ما تزال مجهولة الأسباب والدوافع حتى الآن برغم تقدم العلم وانتشار معاهد التعليم ونشاط الطيور ينحصر في ترتيب الأعشاش والسعي وراء قوتها وبناء الأوكار ورعاية صغارها وإطعامها وليس للطيور بيات شتوي ويعيش بعضها منفردا في أزواج يتكون كل زوج من ذكر وانثى والبعض الاخر يكون اسرابا وجماعات لها قيادتها ولوائحها ونظمها وهي حيوانات واسعة الانتشار توجد حيث يوجد الانسان والحيوانات الأخرى وبعضها يعيش على سطح البحر أو فوق مرتفعات شاهقة لكن جميع انواعها لاتستطيع العيش تحت سطح

وتقل انواع الطيور في المناطق القطبية وتزداد في المناطق المعتدلة .

مهاد الطيور (أعشاشها واوكارها) .

١ ـ قليل من الطيور ينشط في أثناء الليل ومعظمها ينحصر نشاطه في ساعات النهار وحين تهدأ الطيور ويجن الليل تأوي الى أعشاشها ونادرا الى جحورها وهناك أنواع اخرى من الطيور لها أعشاش فعلا لكنها تتخذ من أغصان الأشجار مهدا ومستقرا لها طيلة الليل ولمثل هذه الأنواع القدرة على الوقوف بل النوم العميق على هذه الأغصان دون ان تتعرض للسقوط من فوق الغصن حتى ولو كانت هناك رياح تحرك الغصن يمينا ويسارا وفي كل الاتجاهات وهذا ما يعرف بالجثم وهذا يرجع الى ان العضلات (الأوتار) المحركة لأصابع القدم تؤهل الطائر للقيام بهذه العملية حيث ينثنى الأصبع الخلفي الى الأمام وتنثنى الاصابع الامامية الى الخلف ومن ثم تتقابل وتتعاون في الامساك بالغصن بحيث لا يفلت من القدم اذا غلب النعاس الطائر ومن الجدير بالذكر ان جسم الطائر نفسه يساعد ويعين في اداء هذه الحركة .

والطيور تبرح العش خماصا وتعود اليه بطانا فتجد فيه المكان الدافىء والمناسب لوضع البيض وحضانته وتربية صغارها بعد النقف، وبناء العش عادة يكون من اختصاص الأنثى بعد ان تأنس الى ذكرها على ان



تستطيع ان تستدل على نوع غذاء الطائر باختلاف شكل المنقار كما يظهر في هذا الشكل .

الذكر في بعض الأنواع قد يساعد في بناء العش وترتيبه . والأعشاش تكون آية في الروعة والجمال والهندسة والكثير من الطيور يتفنن في بناء العش وهندسته لدرجة تدهش إنسان العصر الحديث برغم الشوط الكبير الذي قطعه في مجال التكنولوجيا والهندسة والمعمار،والطائر بغريزته يبنى العش الجميل المدهش . سنة الله في خلقه ولن نجد لهذه السنة تبديلا .

على أن بعض الطيور لا تميل الى بناء أعشاش تتوافر فيها الراحة والسكون . وكل مخلوق يعمل بقدر ما يسر له فسبحان الذي خلق فسوى .

٢ ـ تتباين أعشاش الطيور بناء ووضعا وتركيبا وهندسة وتختلف باختلاف أنواع الطيور وطباعها وسلوكها ودورة الحياة فيها ومميزات الطائر الجسمية والشكلية واذا قمنا بجولة لمشاهدة الاعشاش فسوف نجد عظمة الخالق ممثلة في إلهامها للطيور بناء تلك الاعشاش .

وهذه بعض الملاحظات أذكرها فيما يلي :

● حين تبنى الأعشاش تكون في أماكن مختارة بعيدة عن أعين الرقباء والأعداء .

● أعشاش أفراد النوع الواحد تكون متشابهة من حيث مظهرها وشكلها وتركيبها وتختلف في هذا عن أعشاش الأنواع الاخرى من الطيور .

● بعض الطيور تبني أعشاشها على أغصان الأشجار ونحوها ومثل هذه الطيور تعنى جيدا ببناء هذه الأعشاش وهندستها وتثبيتها حتى لا تتأثر بالرياح والعواصف وحتى الامطار .

● مواد العش تؤخذ من قشور الأشجار وأعواد النباتات وسيقانها ومن الطين احيانا أخرى . ويقوم بعض الطيور بتبطين (من البطانة) العش بمواد ناعمة الملمس كالريش والشعر او القطن وغير ذلك من المواد الناعمة في ملمسها ومثل ذلك يكون واضحا في أعشاش الطيور الطنانة .

● بعض الطيور بعد أن يفرغ من بناء العش يشده بحبل متين الى فرع شجرة أو رأس صخرة مرتفعة وبعض الطيور يكون عشها في صورة كيس تبعث هندسته على الدهشة والاعجاب وتعلق هذا العش (الكيس) بطرف حبل طويل بحيث تتجه فوهته الى أسفل حتى لا تهاجمه الثعابين والحيات . ولطائر « الخياط » مهارة فائقة في بناء عش دقيق الهندسة معقد التركيب ويظهر كأنه قرطاس أحكمت حياكته وصناعته .

● هناك الطيور المائية التي تعيش قريبا من العيون والمستنقعات والمجاري المائية وشواطىء البحار وأعشاش هذه الأنواع من الطيور تبنى في مناطق المستنقعات أو منحنيات الماء الداخلية فوق النباتات المائية أو بين ثناياها فتخفيها بعيدا عن ملاحظة الانسان وبعيدا أيضا عن متناول يده .

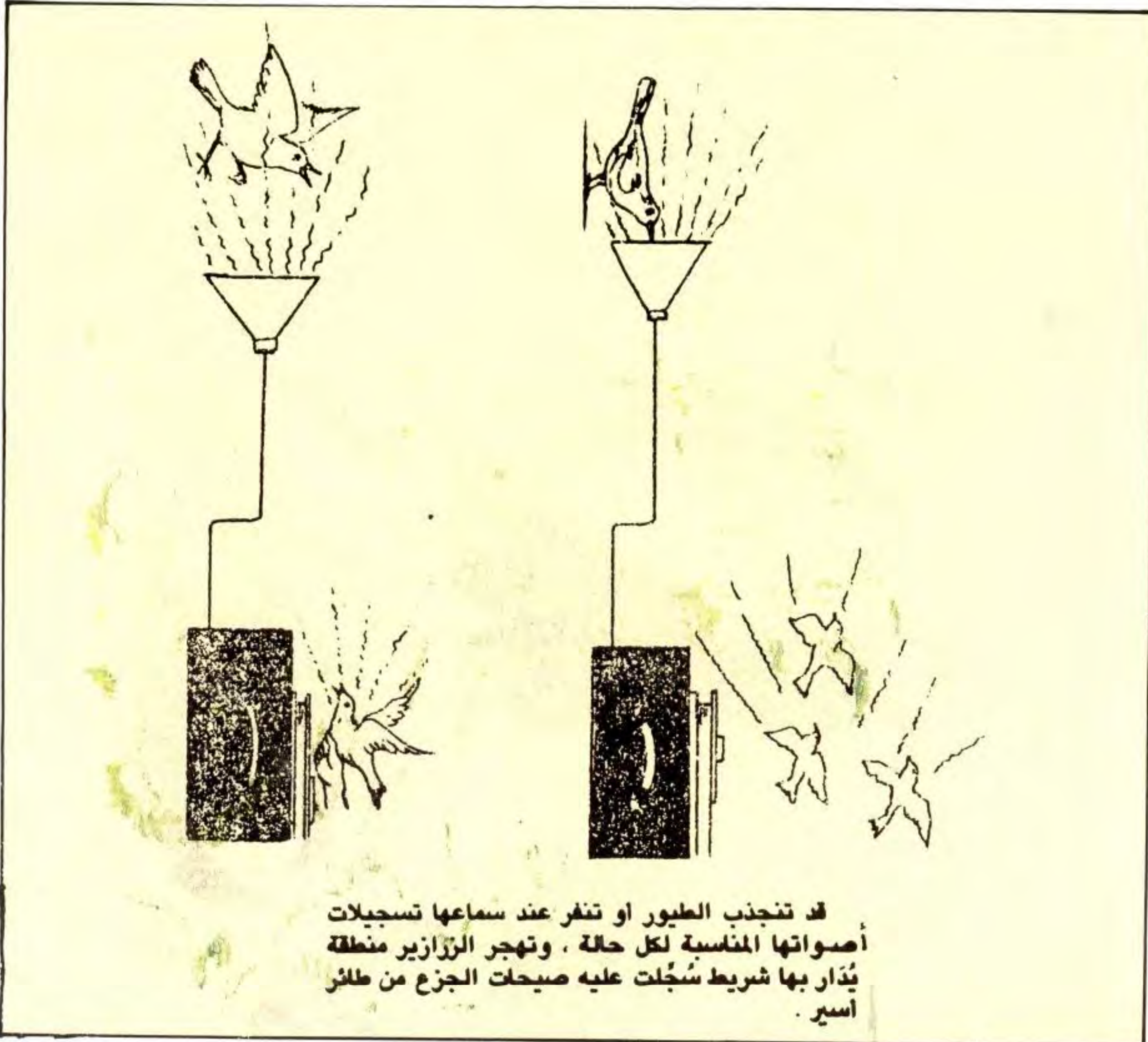
● تتعاون جماعات من الطيور في بناء الاعشاش مع ملاحظة استقلال كل ذكر وانثاه بعش ولا يبغى أحد على غيره .

● قد يكون العش مجرد حفرة على سطح الأرض آو جحر في وسط حقل أو قرب مورد ماء أو مجرد تجويف في جدار أو سقف ، ونادرا ما يوضع البيض على سطح الأرض نفسه .

● الطيور (ناقرات الأخشاب) قد تصنع في الأشجار أنفاقا فلا تبني أعشاشا وتضع بيضها في نهاية النفق على مواد من الخشب مقطعة تشبه النشارة المتعارف عليها .

○ طائر الكوكو يسلك سلوكا معينا بين الطيور :

الطيور شأنها شأن كل المخلوقات يوجد بين أفرادها من يسلك سلوكا شائنا فطائر الكوكو لا يسرق الطيور الأخرى فحسب بل يسخرها تسخيرا تاما ـ دون إدراك منها ـ لتربية صغاره ويتم ذلك بأن يقوم هذا الطائر بتوزيع بيضه خلسة في أعشاش طيور أصغر من هذا الطائر حجما بعد أن تسلب هذه الطيور المخدوعة بعض بيضها وأحيانا كله . وتقوم الأم المخدوعة بتربية صغار الطائر (الدخيل السارق) بعد حضانة البيض حتى الفقس بالطبع بل إن هذه الصغار الدخيلة تلقي بصغار الأم الحقيقية خارج العش لتحظى هي بعطف ورعاية وتغذية الأم الجاهلة



قد تنجذب الطيور او تنفر عند سماعها تسجيلات أصواتها المناسبة لكل حالة ، وتهجر الزرازير منطقة يُدار بها شريط سُجِّلت عليه صيحات الجزع من طائر أسير .

(المخدوعة).
ألا ترى معي عزيزي القارىء ان هذا ما فعلته اسرائيل بالشعب الفلسطيني تماما ،وما يفعله الاستعمار بالأمم والشعوب المغلوبة على أمرها . وربما كان هذا السلوك الذي يتم غريزيا قد وجد لنأخذ العظة والاعتبار والتنبه الى ما يفعله المستعمرون بكل الشعوب المغلوبة على أمرها وعندما نعرف حقيقة أنواع طيور الكوكو ومسلكها الشائن والمعيب بين هذه المخلوقات نأخذ منها العبرة والعظة لعلنا نتدبرها ونعمل على عدم تكرارها بين بني البشرية جمعاء ونواجه الخطر الصهيوني الذي يهدد المنطقة كلها .

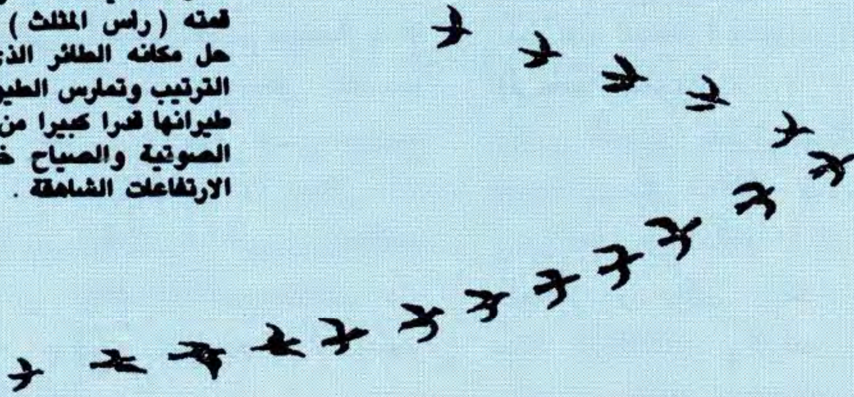
منافع الطيور وأضرارها :

الطيور أنواع كثيرة منها الطيور النافعة كالدجاج والطيور المستأنسة والطيور التي تتغذى على الحشرات الضارة وفي الطيور نوع من التسلية والرياضة وقد استخدمها البشر في كثير من الخدمات كساعي بريد ووسائل صيد وغير ذلك ومنها الطيور الضارة التي تهلك كل شيء وتتغذى على المزروعات والحبوب في المخازن خاصة المخازن المفتوحة وبعضها يأكل الفواكه والبعض الآخر طيور ماصة للعصارة في النبات ويؤدي إلى وقف نمو الأشجار إن لم يكن موتها وتوجد وسائل كثيرة لتقويم ضرر الطيور ونفعها كما توجد في كثير من البلاد قوانين تحرم صيد الطيور النافعة وتحميها من انقراض أنواعها .

طيور ماهرة في الصيد :

بعض الطيور له مهارة فائقة في الصيد . والعرب أكثر البشر استعمالا لها في ذلك ويعتبر صيد الطائر المعلم


أشكال مختلفة للمخالب الحادة التي تنتهي بها الاصابع في الطيور الجارحة



صورة لتبادل القيادة في الطيور اثناء الطيران ، التي يتخذ سربها شكل مثلث يتقدمه طائر واحد عند قمته (راس المثلث) فاذا تعب حل مكانه الطائر الذي يليه في الترتيب وتمارس الطيور في اثناء طيرانها قدرا كبيرا من الاشارات الصوتية والصياح خاصة عند الارتفاعات الشاهقة .

والمدرب على الصيد حلالا بنص الشريعة الاسلامية ـ ويستخدم العرب في شبه الجزيرة العربية الصقور المعلمة والمدربة في الصيد والقنص إذ يعصب الفارس عيني الطائر . ولا يعفيهما إلا حين يريد مطاردة فريسة رآها فيندفع اليها الصقر اندفاع السهم ولا يزال يطاردها حتى يلحق بها ثم يفقأ عينيها بمنقاره،ومن هنا تقع أسيرة،ويستخدم بعض الناس طائر غراب البحر في صيد السمك إذ يربطه الصياد بحبل طويل في عنقه يمنعه من ازدراد السمك مع الحرص على عدم خنق هذا الطائر ثم يطلقه ليصطاد سمكة وحين يعثر عليها يجذبه بالحبل ثم يخلص منه السمكة ويطلقه مرة اخرى وأخرى وهكذا ويقول الله تعالى في الآية (٤) من سورة المائدة **(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله)** الى آخر الاية والمعنى يسألونك ماذا أحل لهم من المأكل قل أحل لكم جميع ما تستطيبه الأذواق السليمة واحل لكم صيد السباع والطيور التي علمتموها الصيد لكم . فاذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب . والمراد بالجوارح كواسب الصيد من السباع وبعض الطيور والمكلب أي المعلم والمدرب فان لم يكن السبع او الطير معلما فصيده حرام .

وبعض الطيور حارس ليس من طبعه الشراسة :

من الناس من يربي بعض الطيور (الاوز) وهذه الطيور خاصة الذكور تصيح صيحات منكرة عند دخول أي قادم غريب للمنزل وفي ذلك تنبيه لصاحب البيت والطير الحارس هنا ليس بمثل شراسة الكلاب الحارسة التي قد تعض الغريب وقد يكون الزائر ضيفا كريما أحيانا فالطيور آلة تنبيه وناقوس حي يعمل من تلقاء نفسه وهي بذلك تسبق وسائل الانذار التي يضعها الغرب وبعض الناس في حملاتهم أضف إلى ذلك أن هذه الوسائل قد تتعطل بتعطل التيار

الكهربائي وقد يصيبها التلف والعطب أحيانا أخرى .
وانثى بعض الطيور تضع بيضة بدلا مما فقد من تحتها ليظل العدد مناسبا . قدرة عجيبة على وضع البيض عند الطلب . الا يمكن ان يكون ذلك وسيلة لادرار البيض لينتفع به الانسان . وهذا بالطبع متوقف على أهمية بيض هذه الطيور واقتصادياته .

في الطيور ذكاء وحنينها الى أوطانها مشهور ومضرب الأمثال :

ينكر بعض العلماء وجود ذكاء في غير الانسان من الحيوانات وتؤكد التجارب والمشاهدات وجودذكاءفي بعض الطيور وكثير من الحيوانات ويوجد تعاون بين الطيور ومجاملات ، ومن القرائن التي تدل على ذكاء الطيور :
أ ـ حكاية الغراب والجرة التي ملأها بالحصى ليرفع منسوب الماء فيها ليطفىء ظمأه .
ب ـ يقال ان جماعات الببغاء حين تخرج الى طلب الرزق تجعل منها حراسا تستمع الى كل إشارة منه ويذكر انه اذا ائتلف طائران ثم مات احدهما فان الآخر يموت حزنا عليه .
ج ـ يصطاد طائر البجع السمك بالوقوف بشكل نصف دائرة ويحصر السمك في منطقة ضيقة حتى تصبح مزدحمة بالأسماك فيسهل عليه اقتناصها .
وحكايات ذكاء الطيور كثيرة ومتعددة وبعض الطيور في طيرانها جماعة تأخذ صورة مثلث يتقدمها قائد ويسمى ذلك سلوك المحاكاة التبادلية بحيث لو تعب القائد تقدم الطائر الذي خلفه لاخذ القيادة ثم يذهب القائد إلى آخر الصف انتظارا لدوره القادم في اثناء الرحلة الطويلة .
وتطير الطيور بطرق مختلفة كالانزلاق وفيه يبسط الطائر جناحيه دون أن يحركهما ويشاهد ذلك حين يندفع الطائر من مكان مرتفع الى مكان أقل منه ارتفاعا ، وكذلك الدفيف وفيه يضرب الطائر بجناحيه سفليا وعلويا وبصفة متتالية ومستمرة كالحال في الحمام واليمام وكذلك الحومان وفيه يبسط الطائر جناحيه دون حركة ملحوظة كأنه يسبح في الهواء مثل جوارح الطير كالحدأة ، وكذلك التحليق وفيه يتوقف الطائر عن الطيران معلقا جسمه في الهواء في مكان لا يبرحه ولبرهة قصيرة يستأنف بعدها الطيران كالصقور .
وتحورات الأجنحة في الطيور كثيرة ومعظمها معدة للطيران وقد تستخدمها بعض الطيور في الدفاع عن النفس والهجوم أحيانا . كما أن أشكال المنقار متعددة في الطيور لتناسب أنواع الغذاء المختلفة وكذا الحال في الأقدام والأصابع فكلها مختلفة لتلائم الاختلاف في البيئة والمعيشة . وسبحان الله العظيم الذي خلق فسوى .

منطق الطير :

للطيور لغتها ومنطقها الذي تتفاهم به وإذا كانت حدة الصوت في البشر قد تدل على معنى زائد عن اللفظ فان العلماء قد سجلوا نبرات صوتية مختلفة للطيور بعضها للانذار



اختلاف واضح في شكل البيض وعدده ولونه وبناء العش وحجمه والمادة المصنع منها . ومع هذا الاختلاف نجد الوحدة بين الجميع حيث انها مظهر لقدرة واحدة يتجلى فيها الابداع والاتقان فسبحان الخالق المبدع .

والارهاب أو دعوة لتلاقي الجنسين أو للتبشير وتستخدم الآن أصوات الانذار في مكافحة الطيور الضارة بحيث تسجل هذه الاصوات وتوضع على « كومات الحبوب » وفي المخازن المفتوحة وتدار بحيث اذا سمع طائر صوت الجزع من بني جنسه لا يقترب من المخزن وبذلك نقي الحبوب شر هذه الطيور الضارة أي أن لغة الطيور أصبحت تستخدم الآن في خدمة البشرية ووقاية المحاصيل ولقد سجل القرآن جانبا من منطق الطيور في المحاورة التي تمت بين نبي الله سليمان عليه السلام والهدهد من قوله تعالى في سورة النمل « **وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين** » الآية ٢٠ / وما بعدها الى آخر الآيات وتكشف المحاورة عن أن الطائر وهو الهدهد يعرف الديانة الحق وأفزعه أن هناك من البشر من يجحد بنعمة الله ويكفربها بعد أن كرم الله الانسان باعتدال قامته وتركيب أطرافه وسعة إدراكه وميزه بالعقل وارسل اليه الرسل ثم بعد ذلك كله يوجد من يكفر بتلك النعم ويجحدها . كما تبين الآيات كيف تكون القيادة الحازمة من نبي الله سليمان والجندية المطيعة من الهدهد .

ولبعض الطيور حركات تتفاهم بها بل إن هناك طيورا تقلد اصوات غيرها كالببغاء ولقد اتخذها البشر رمزاً لقوتهم وبسط نفوذهم كما يتخذ بعضها شارة لخاتم الدولة في بعض الدول العربية وطائر العقاب خير مثال على ذلك . وأيضا تتخذ بعض الطيور رمزاً للسلام وتمتنع بعض الشعوب الأوروبية عن اكل الحمام لأنه رمز السلام وتبدو المفارقة عجيبة فهذه الدول تمارس أكل لحوم البشر في كثير من الاقطار المغلوبة على أمرها ثم تمتنع عن أكل الحمام من أجل هذه الرمزية يالها من مفارقة عجيبة .

وراء الكواكب

الساعة الآن الثانية والنصف بعد منتصف ليلة الثامن عشر من ربيع الأول من العام الثاني من المائة الخامسة عشرة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي ثاني ليلة من عام الف وتسعمائة واثنين وثمانين بعد مولد السيد المسيح عليه السلام ، ياالله ! قد مضى على مثل هذه الليلة - التي صحوت فيها مثل هذه الصحوة المبكرة لأعد محاضرة ألقيها بمدينة خليل الرحمن عليه السلام-أربعون سنة عددا ..

كانت المحاضرة بعنوان « أزمة الفكر المعاصر » وكانت خلاصة النتيجة التي توصلت لها أن حاجة المسلمين في نهضتهم المعاصرة للمعرفة يجب حصرها في أمرين :

اولا : -
تدارس القران الكريم وما يفضي إليه ذلك من دراسة حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وسنته الشريفة ، ووجهة نظر الاسلام في الحياة والممات والبعث ، وموقف المسلم من خالقه ، والكون والناس من حوله ، وطريقة الاسلام في السياسة والحكم ونظمه في الاقتصاد والاجتماع .

وثانيا : - وبالروح المستجدة من تفاعل العقل المسلم مع القرآن الكريم وبمنهجية العقل العلمي المنظم

الله فوق

للاستاذ / احمد العناني

الناشئة عن ذلك التفاعل ، وبالخلق المسلم الناتج عن ذلك يجب على المسلمين ان يتداركوا ما فاتهم من علوم الطب والصناعة والكيمياء والهندسة ، والا يطلبوا من التقائهم بالأجانب شيئا غير ذلك أبدا ، فان الله تعالى قد اكمل لنا ديننا وتممه واوصانا في هذا الأمر ألا نتبع سبلا غير صراطه المستقيم لئلا نضل ونشقى وبذلك فان موقفنا الأبدي من الناس هو أن نعطيهم في مجال العلوم الانسانية ولا نأخذ منهم شيئا في ذلك المجال أبدا .

رضي الناس عن تلك المحاضرة ذلك اليوم الا ثلاثة منهم فأما أولهم فوقف يزعم أن الشعوب المضطهدة والمهددة كشعبنا في فلسطين ، ليس لهم الا أن ينضموا الى معسكر الكادحين ، وأن كل فلسفة للحياة لا تنبع من الاشتراكية ستبقينا في جيوب المستعمرين .

قلت له : ان كنت تعني ماركس ولينين فان هذين ينكران الخالق ويحاربان الدين ؟

قال وما علاقة الاشتراكية بالدين وكل انسان يعبد كما يشاء ؟

قلت : ولكن صاحبك لينين يفتتح رسالته عن الدين بعبارة واضحة ، اذ يقول : « ان الالحاد هو ضرورة لازمة

لكل ناشط في مبادئنا الاشتراكية » فان تنكر ذلك فأنت بين جاهل أو كاذب ثم توجهت اليه بحرارة أقول له : أيها السيد ، هذا الكلام باعه لك الدكتور (فلان) من القدس وقد باعه له يهودي في تل أبيب باعتراف لسانه وأريد أن أقول لك ولهما إن الحق أقوى من كل باطل وإن المراد من نشر هذه الفكرة الخبيثة الخاطئة هو تفتيت المجتمعات الاسلامية ، وانهاك مقاومتنا للغزوة الصليبية اليهودية الجديدة .. إن الذي حصل في الحرب الصليبية هو أن دهاقنة المال اليهود في جنوة والبندقية لم يكفهم ما نالوه من الثروات بالتجارة العابرة فأرادوا توجيه مسيحي أوروبا لغزو الأراضي السورية لوضع أيديهم على تجارات البحر الاحمر عن طريق العقبة والسويس ، ودرب القوافل من البصرة الى ثغور الشام ومدينة حلب ..

والذي يحصل اليوم هو مجرد تغيير في الأدوار فيتقدم الصهاينة باسم الدين الى فلسطين وما حولها وتدعمهم الصليبية من وراء ظهورهم ..

ان صاحبك الذي أوحى لك بكلام الصهيوني المنقول عن اليهودي ماركس قد غرر بك من حيث لا تدري ايها المسكين ، وارجع لكتابات ماركس تجده يجعل اشتراكيته وراء النظام الرأسمالي الصناعي اذا ما وصل قمة إنجازه وبدأ يهترئ .. فاين هي هذه الراسمالية الصناعية في بلادنا ؟ وماذا يقصدون بالتبشير بالشيوعية هنا غير تفكيك وحدة هذا الشعب المعروض للذبح حتى تتلاشى مقاومته أمام المؤامرة الفاجرة ..

أما الرجل الثاني فوقف ليقول كلاما مرقعا أضحك الناس كثيرا : قال : دعونا نكون واقعيين : نحن نحترم الماضي ونجله ولكننا نعيش زمانا آخر . ينبغي ان نأخذ من كل شيء أحسنه ، فليكن الجانب الاقتصادي من الفكر الاشتراكي هدفنا في الاقتصاد ، ولنأخذ من الغرب تقاليده الديموقراطية ، ولا تنسوا ان لنا مصالح متشابكة مع اناس غير مسلمين من قومنا فيجب ان نحترم مشاعرهم ، ثم انطلق يمتدح العرب وهو يخبط على عمياء فيجيء بالمتناقضات من كل لون فالعرب أولا ، وقد كانوا قبل الاسلام ، فالاسلام جزء من تاريخهم والنبي أعظم أبطالهم ..

وقلت له يا هذا صاحبك كفر وأقر بالكفر ، وأنت تكفر ألف مرة وتزعم أنك مؤمن ..

وجاء دور الرجل الثالث فوقف يثني على شيء فهمه من المحاضرة وينكر مالم يفهم .. وهو يرى أن القرآن يتلى في الصلاة والمناسبات ، وأن كل ما نقوله عن الاقتصاد في الاسلام خارج نطاق الزكاة هو من باب البدع التي تفضي للضلالة والنار ..

***

يا لها من أربعين سنة عجاف من العذاب والهوان مضت منذ تلك الليلة حتى هذه الليلة !

نمَتْ خُضْرُ الدِمَنْ على منابت السوء من الافكار المنحرفة عن دين الله ، وهجم المغترون على ثمارها الفاسدة فأصابهم وأصابنا من جرائهم طاعون الهوان والهزيمة .

وجرى الناس وراء كواكب آفلة يعبدونها من دون الله ودون كتاب الله وسنة رسوله .. فغابت تلك الكواكب الآفلة وتركتنا معهم في ظلمات الحسرة ..

وتحكم المتشدقون بالعروبة العرقية فملأوا الجو مشاحنات مخجلة ، ولم يسفكوا غير دم العرب في بطولاتهم الدونكيشوتية المضحكة .

وتبرم المضيقون دين الله لتوسيع دنياهم ، وتسييج جناتهم المغصوبة ، فما زادوا الناس الا خبالا ، وما أوسعوهم الا كذابا ونفاقا ، وما دفعوا عن مسرى رسول الله ضيما ..

كواكب كلها كانت آفلة .. وحيلٌ ما أراد أحد من أصحابها الا نفسه ، وما انتصر بها الا لشهوات مال يجمع ، وهوى منصب مطمع فغابت عنا آفاق النصر ، وحبطت منا الأعمال ، وانفضح فينا ألف كاذب ودجال .. ومال الحال وما زال مائلا .. ومضى أربعون سنة من العذاب وتجارب المضللين في هذه الأمة ..

يا أيها الناس المسلمون المضطهدون تحت كل كوكب في الأرض كل هذه الاسماء التي سميتموها وما أنزل الله بها من سلطان كانت لكم أصناما عبدتموها من دون الله ، ولا رضي الله عن منافق في دينه ، ولا أعد للمنافقين الا الدرك الاسفل من النار ...

الاسلام أيها الاخوة برىء من عدوان الشيوعية على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، بريء من كفرها والحادها وجحودها ، بريء من قسمة عيال الله الى بورجوازية وبرولتارية بريء من تحكم الحزب في ضمير الفرد المسئول أمام ربه وحده ، بريء من تأله الدجالين بالناب والمخلب ومن إرهاب خلق الله بالسجون والكبت والقهر .

الاسلام برىء من كل ولاء يرفع له لواء من دون الولاء لله ، فلا تعصب لعرق ولا لتراب ولا للغة ولا لقبيلة ولا لمصلحة من دون الله ، لا فرق بين عربي واعجمي الا بالتقوى وانما المؤمنون إخوة ، وما محمد الا رسول ، ولا إله الا الله وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والاسلام بريء من النفاق آفة كل خير في الدنيا ، بريء من الحكم بغير ما أنزل الله ، بريء من عبادة احد غير الله ، بريء من تكفير أحد يشهد بان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، بريء من ترويع المسلمين والحجر على كلمة الحق ، برىء من الترف والسرف والسفه ، برىء من الظلم والتظالم ، برىء من العدوان على أبدان المسلمين وأموالهم وثروات أرضيهم .

ولقد أفلت كل الكواكب المعبودة .. ولم يبق الا عبادة الله لا نعبد معه احدا



قبل الدخول في بيان عمليات النقد الأدبي الذي تم في العصر الجاهلي ، يحسن أن نتحدث عن أمرين لهما اهميتهما بالنسبة للنقد ، هما :

فائدة النقد
موضوع النقد

○ موضوع النقد :

يبحث النقد في الحياة .. الحياة بخيرها وشرها .. بجمالها وقبحها بصفة عامة سواء ما يتصل منها بالسياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد ، أو الفن ، أو العمل .
يبحث في الحياة الخلقية ، والحياة الفكرية ، والحياة الثقافية .. هذه هي موضوعات النقد ، واذن فهو متسع للحياة كلها ، ولكن حديثنا هنا قاصر على الناحية الأدبية ، فهو ميدان النشاط الذي يعنينا في هذه الدراسة .

والأدب ، ملكه فطرية في الانسان البصير ، يغذيها ويصقلها بالقراءة والثقافة المكتسبة واذا كان هذا هو الأدب ، فإن التذوق الأدبي هو الذي يصل النقد بالأدب ، لأن التذوق أساس في كل من النقد والأدب .

○ فائدة النقد :

والنقد هو المرآة الصادقة التي نرى

النقد في العصر الجاهلي

للأستاذ / سعد صادق محمد

فيها أنفسنا ومجتمعنا ، خاليا من التزييف والخداع .
فهو يميز بين مظاهر القبح ومظاهر الجمال .. وهو يفتح الآفاق الرحبة أمام الاصلاح ليمضي المجتمع في حياته على هدى وبصيرة .. وهو يفتح الافاق الرحبة أمام الادب فيمضي الأدباء على هدى وبصيرة يبحثون عن أسباب الجودة ، ويلتمسون الحسن فيما يكتبون .

والنقاد يستطيعون ببصائرهم النفاذة ، ورياضتهم للأدب أن يوازنوا الاشباه والنظائر ، ويختاروا من النظائر الممتازة نماذج يدرسونها ، ويتفهمون خصائصها ، ويستخلصون منها قوانين عامة للحكم على الآداب ، ويقدمونها للأدباء ليتخذوا منها معالم يستنيرون بنورها ، ويهتدون بهديها في صناعتهم الفنية .

فالنقد إذن يعنى بدراسة مظاهر الحسن والجمال التي سمابها النص الأدبي ، كما يعنى بإظهار نواحي التخلف عن الادب الناهض .

على ان الناقد لا يستطيع القيام بدراسة النقد الا اذا استوعب الفنون الادبية التي يتعرض لها ، وكشف عن

خصائصها ومميزاتها ، ووقف على تاريخها وتطورها ، وعرف النابهين من أعلامها ، وحفظ آثارهم فيها .

○ بذور النقد في العصر الجاهلي :

لا يستطيع أحد أن يحدد على وجه الدقة الشكل الذي ظهرت عليه الصورة الاولى للنقد الادبي في الجاهلية ، إذ أن ما قيل من شعر ومن نقد في العهد الجاهلي ، لم يصل الينا منه الا القليل النادر ويؤيد هذا ما قاله عمرو بن ابي العلاء « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير ».

وقال ابن سلام « ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه ، قلة ما بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، فقد صح لهما قصائد بقدر عشر وان لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة ، وإن كان مما يروى من الغثاء لهما ، فلا يستحقان مكانهما على أفواه الرواة ، فلما قل كلامهما ، حمل عليهما حملا »

وإذا كان شعر طرفة وعبيد قد سقط معظمه ، وكذلك حدث بالنسبة لغيرهما من الشعراء ، فكذلك حدث بالنسبة للملحوظات النقدية التي قيلت في هذا الشعر الضائع .

○ الاولية الأولى للشعر الجاهلي :

قبل أن نتحدث عن نماذج من النقد في العصر الجاهلي ، يحسن أن نقف هنا وقفة نتناول فيها الأولية الأولى للشعر الجاهلي لنعرف هذه البداية ، لان عملية ممارسة الشعر سابقة على نقد الشعر وتذوقه الذي نخص به هذا المقال .

ليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي الأدبي بصورة يقينية ، وذلك لأن الحديث عن الاوليات في المجالات الادبية والفنية لا يمكن ان يصل الى درجة اليقين ، وانما كل ما نستطيع ان نطمئن اليه هو ذلك التحديد التقريبي الذي ذهب اليه الجاحظ حين قال : « اما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، اول من نهج سبيله ، وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ، والمهلهل بن ربيعة ، اذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام - خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ، اما ما قبل هذا التاريخ فليس بين ايدينا عنه وثائق يقينية تثبت شيئا عن الحياة الادبية في الجزيرة ، وانما هي مجموعة من الأخبار والنصوص التي يحيط بها الشك والاتهام ولا شيء اكثر من ذلك ، أما ما يحاوله بعض الباحثين من اثبات : ان ميلاد الشعر العربي سبق انفجار سيل العرم قبل الميلاد بنحو قرن ، وان هذا يرجع بميلاد الشعر الى اكثر من سبعة قرون قبل الاسلام ، فضرب من الوهم يعوزه الدليل الصحيح ، ولا تؤيده النصوص التي يعتمد عليها .

وحسبما قرره الجاحظ من أن العصر الجاهلي الادبي بدأ قبل الاسلام بقرن ونصف ، او على ابعد

تقدير بقرنين من الزمان ، فاننا نقول : ان هذا التاريخ يعود بنا الى حدث ضخم شهدته الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها ، وكان له اثر بعيد المدى في حياتها الاجتماعية وحياتها الادبية ، وهي حرب البسوس التي وقعت بين قبيلتي بكر وتغلب ، والتي استمرت ـ فيما يروى ـ اربعين سنة ، وفي اغلب الظن ان هذه الحرب هي التي شهدت الاولية للشعر الجاهلي ، اذ اظهرت هذه الحرب جماعة من الشعراء نهضوا بفن الشعر نهضة قوية اخرجته من الدوائر الشعبية التي كان يدور فيها الى الدائرة الرسمية حيث ظهرت القصيدة العربية في صورتها الناضجة التي تسيطر عليها مجموعة من التقاليد الفنية الثابتة التي حققها لها شعراء هذه المرحلة من تاريخ الجزيرة العربية ، والمعروف ان المهلهل بن ربيعة هو بطل هذه الحرب الذي شهدها من بدايتها حتى نهايتها ، وهو الرائد الاول الذي اعطى للقصيدة العربية صورتها المعروفة ، واخرجها من نطاق المقطوعة او الأبيات المحدودة العدد الى نطاق القصيدة الطويلة ، وهي زيادة اضفت عليه لقبه الذي عرف به .

واذا كانت هذه هي البداية الناضجة للقصيدة العربية في العصر الجاهلي ، فليست هي البداية الاولى للشعر الجاهلي ، وانما لا بد ان تكون قد سبقتها محاولات ، وتجارب متعددة قام بها الرواد الاوائل ، من الشعراء الجاهليين القدماء .

○ نظريتان حول البداية الاولى للشعر الجاهلي :

وحول البداية الاولى التي سبقت البداية الناضجة المكتملة للقصيدة العربية التي ولدت على يد المهلهل بن ربيعة وغيره من شعراء الطليعة المبكرة .. حول هذه البداية اختلف الباحثون ، وبين ايدينا نظريتان تتحدثان عن طبيعة هذه التجارب والمحاولات التي سبقت البداية الناضجة للقصيدة العربية ، احداهما عربية قديمة والثانية حديثة .

○ ١ ـ النظرية العربية :

يرى أصحاب هذه النظرية أن الشعر العربي بدأ مقطوعات قصيرة يقولها الشاعر في مناسبات طارئة ، ليعبر بها عن انطباعات سريعة ، ثم أخذ الشعراء يطيلون في مقطوعاتهم خاضعين في ذلك لسنة التطور حتى ظهرت القصيدة الطويلة في صورتها الناضجة على يد المهلهل في حرب البسوس . لكن هذه النظرية لا تقدم حلا لهذه المشكلة ، ولا تعتبر محاولة لحلها ، لان مجموعة النصوص التي يحاول القدماء أن يعتبروها صورة لأولية الشعر الجاهلي .. يحيط بها الشك والاتهام ، واكثر هذه النصوص منتحل ، أما القليل منها الذي يصمد امام الشكوك والاتهام فلا ينهض دليلا للأولية المبكرة للشعر الجاهلي ، ولكنه يصلح فقط لتصوير مرحلة من مراحل الشعر الجاهلي ، وهي المرحلة

التي لم يكن لأوائل الشعراء فيها إلا الأبيات القليلة « يقولها الرجل في حادثة أو عند حدوث الحاجة » وعند هذه النظرية تظل المشكلة قائمة دون حل .

○ ٢ ـ النظرية الحديثة :

وهذه النظرية تصلح لحل مشكلة أولية الشعر الجاهلي ويمكن أن تقترب بها من الحقيقة المجهولة ، فالشعر في اغلب الظن بدأ غناء ، وأن هذا الغناء بدأ رجزا .. مع سير الابل ، وهي تنتظم في القوافل الضاربة في شعاب الصحراء ، والمعروف أن الابل تطرب للغناء ، فهو يستحثها على السير وينسيها الجهد والتعب اللذين تلقاهما في الطريق ، وفي دواوين الشعر العربي أحاديث كثيرة عن الغناء الذي كان العربي يتغنى به لناقته ، ولهذا اطلقوا على هذا اللون من الغناء « **الحداء** » وهو مأخوذ من الأصل اللغوي لمادة « حدا » الذي يدل على الزجر والسوق .

فالشعر بدأ رجزا ، ثم تولدت عنه أوزان أخرى هي البحور ذوات التفعيلة الواحدة ، ثم تطورت الأوزان وظهرت ـ بعد تجارب ومحاولات ـ المقطوعة أو الأبيات قليلة العدد ، ثم ظهرت القصيدة الطويلة على يد المهلهل ومن عاصره من الشعراء في حرب البسوس ، ويمكن أن يقال إن شعر المقطوعة أو الأبيات القليلة يمثل مرحلة متوسطة بين الرجز ومرحلة القصيدة الطويلة التي ظهرت على يد المهلهل .

وبعد أن كان الرجز فن الحداء ، صار فنا شعبيا مرتبطا بالحياة اليومية التي يمارسها الشعب في شتى مجالات الحياة العملية ، ويمكن أن نسجل مجالات استخدام الرجز فيما يلي :ـ

* كان يقال في مجالات المفاخرة والتغني بالأمجاد .
* كان المحاربون يتغنون به في حروبهم مع العدو ، ويحمسون به أنفسهم .
* كان الشعب يتغنى به في حياته اليومية ... فالأم تغنى به لصغارها .. والسقاة يتغنون به وهم يسحبون الماء من الآبار ، وكذلك القائمون على حفر الآبار والخنادق وأعمال البناء .. كل هؤلاء اتخذوامن الرجز فنا حتى صار شعبيا تتغنى به طوائف الشعب ، وارتبط بحياتهم اليومية .

من أجل هذا يحتمل أن يكون الرجز هو الشكل الادبي الذي سبق ظهور القصيدة العربية والذي يمثل اولية الشعر العربي المبكرة .

ولعل هذه النظرية تكون هي الحقيقة التاريخية لأن الحقيقة التاريخية لا تثبت الا بالنصوص اليقينية .. اما الفروض فانها لا تصلح لاثبات الحقيقة .

أما الأبيات المحدودة العدد ، أو المقطوعات القصيرة ، فإن الصحيح منها الذي يثبت أمام اتهامات الشك والوضع والانتحال ، فلا صلة له بالأولوية المبكرة للشعر ، ولكنه يقع ـ كما قلنا ـ في مرحلة متوسطة بين الرجز والقصيدة الناضجة . .

○ نماذج من النقد في العصر الجاهلي

نقد امرىء القيس :

عاب النقاد على امرىء القيس قوله في ديوانه :ـ

أغرك مني أن حبك قاتلي
وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وقالوا : إن كان هذا الأمر لا يغري فما هو الذي يغري ؟.. انها كأسير قال لآسره :

أغرك مني أني في يديك وفي إسارك
وأنت ملكت سفك دمي ؟..

ولكن ابن قتيبة لم ينسب هذا النقد لاحد ، واغلب الظن أنه من نقد الجاهليين ففيه اللمحة السريعة ، والتعليق الموجز المركز البعيد عن التفصيل .

ومما يذكر أن ابن قتيبة دافع عن امرىء القيس ، فلم ير في هذا البيت عيبا لأنه لم يرد بقوله « حبك قاتلي » القتل الذي يقصد القضاء على الحياة ، ولكنه أراد به : أنه قد برح بي ، فكأنه قد قتلني .. وهذا كما يقول القائل « قتلتني المرأة بدلها وبعينها ، وقتلني بكلامه .. الخ .

ولكن على الرغم من دفاع ابن قتيبة عن امرىء القيس ، وتوضيحه لما يريد من معنى فإن النقد الذي وجه لامرىء القيس سيظل واردا .

من هنا تتضح نظرة العربي الى النقد، وأنه يتوخى الحرص على جودة الاسلوب ، والتوافق بين الالفاظ والمعاني ، وأنه في نقده يميل الى الايجاز والتركيز والبعد عن التفصيل .

نقد المتلمس :

وعابوا على المتلمس قوله :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره
بناج عليه الصيعرية مكدم

فقد مر المتلمس أو المسيب بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم قصيدة :ـ

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم
نحييك عن شحط وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله :

وقد اتناسى الهم عند ادكاره
بناج عليه الصيعرية مكدم
كميت كناز لحمها حميرية
مواشكة ترمى الحصى بمثلم
كأن على أنسائها عذق خصبة
تدلى من الكافور غير مكمم

فقال طرفة ـ وهو صبى ـ : استنوق الجمل .

فطرفة نقد مجيء كلمة (الصيعرية) في شعر المتلمس ، وفي هذا دلالة على حساسية العربي باستعمال الكلمة ، وانها متى خرجت عن أصل وضعها وابتعدت عن دلالتها اللائقة بها ، خدشت أذنه ، واصبحت كالنغمة الشاذة في اللحن الجميل ، فقد أدرك طرفة أن الشاعر الذي قال هذا القول قد أخطأ ، لأنه وصف الجمل بوصف اختص بالناقة ، فالصيعرية سمة في عنق الناقة خاصة .

وقال أبو علي في التذكرة : الصيعرية ، وسم لأهل اليمن لم يكن يوسم بها إلا النوق .
وقال ابو عبيد : الصيعرية : سمة في عنق البعير ، ومن هذا النص اللغوي نفهم أن أهل اليمن وحدهم يميزون النوق بهذه العلامة .
فحين عاب طرفة بن العبد هذه الكلمة « الصيعرية » في بيت المتلمس كان نقده على ما يجري به العرف في محيطه من وسم النوق خاصة ، والمراجع الأدبية تؤكد هذا النقد ولا تنفيه فقد اورده صاحب العقد الفريد كما أورده المرزباني في الموشح .

وهذا يؤكد لنا أن الاستعمال اللغوي كان في الجاهلية من الدقة والاصابة بحيث لا تبيح للأديب أن يجرى على غير طبعه ، وسليقته العربية السليمة ، لان للبيئة والنشأة أثرهما الذي لا ينازع في هذا الباب .

الإقواء :

هو اختلاف الإعراب في القوافي وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو هو اختلاف قافية أو أكثر عن غيرها في قوافي سائر الأبيات .

الإقواء عند امرىء القيس :

ظهر الاقواء في بعض أبيات من معلقة امرىء القيس ، فعابه النقاد وهو قوله :

كأن ثبيرا في عرانين وبله
كبير اناس في بجاد مزمل

فكلمة «مزمل» صفة لكلمة «كبير» ولكن الشاعر جاء بها مجرورة باعتبار انها صفة لكلمة « بجاد » فخالف حركة الروى .

الاقواء عند النابغة :

وعاب النقاد على النابغة الاقواء في قوله :

أمن آل مية رائح أو مغتدي
عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغداف لأسود

فهذان البيتان من القصيدة التي وصف فيها «المتجردة» امرأة النعمان ابن المنذر ملك الحيرة حيث دخل النابغة على النعمان ، ففاجأته المتجردة ، فسقط نصيفها منها ، فغطت وجهها بمعصمها تواري وجهها ، ويقال : إن النعمان هو الذي سأله أن يصفها في شعره فقال :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه
عنم يكاد من اللطافة يعقد

فالنقاد عابوا عليه إقواءه ، وأرشدوه اليه فلم يأبه بهم ، ولم يفطن لما قالوا .

قال أبو عمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كانا يقويان : النابغة وبشر بن أبي خازم فاما النابغة ، فدخل يثرب فغنى بشعره ، ففطن ، فلم يعد للاقواء .

وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة : إنك تقوى ، قال : وما

الاقواء ، قال قولك :

ألم تر أن طول الدهر يسلى
وينسى مثل ما نسيت خزام

ثم قولك :

وكانوا قومنا فبغوا علينا
فسقناهم الى البلد الشآم

فلم يعد للاقواء .

امتداح النقاد أشعارا للنابغة :

وكما عاب النقاد هذه الأبيات من شعر النابغة ، امتدحوا شعره في جانب آخر منه ... فامتدحوا قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فقالوا : لم يبتدىء أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب .. وعده أبومحمد بن قتيبة من الشعر الذي حسن لفظه وجاد معناه .

وهذا البيت مطلع قصيدة يمتدح بها عمرو بن الحارث الأصفر الأعرج في ديوانه ، وقد عد ابن سلام النابغة من الطبقة الأولى .

نقد الأعشى :

وعاب النقاد على الأعشى قوله :

ونبئت قيسا - ولم آته
وقد زعموا- ساد أهل اليمن

فعابوه بهذا الشك ، ويقال : إن قيسا أنكر ذلك عليه ، إذ جعل مكان « وقد زعموا » « على نأيه » .

واستضعفوا من معانيه قوله أيضا :

فرميت غفلة عينه عن شاته
فأصبت حبة قلبها وطحالها

عابه قوم على ذلك ، لأنهم رأوا أن ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردد كثيرا في الشعر عند ذكر الهوى والمحبة والشوق ، وما يجده المغرم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ، بينما لم يجدوا الطحال قد استعمل في هذه الحال ، اذ لا صنع له فيها ، وهو مما لا يكتسب حرارة وحركة في حزن ولا عشق ، ولا بردا وسكونا في فرح أو ظفر ، فاستهجنوا ذكره .

ومرجع هذا النقد الى أن الأعشى استعمل كلمة « وقد زعموا » في قوله الأول في غير موضعها ، وكذلك ذكر كلمة «طحالها » في قوله الثاني ، وهذا يعد من النقد اللغوي .. وفي هذا النقد دلالة على أن الناقد العربي كان شديد الحساسية في ادراك التوافق والتلاؤم بين الكلمة ووظيفتها ، فاذا انحرف بها الشاعر عن المعنى المقرر لها ، وابتعد عن وضعها الصحيح ، عد ذلك عيبا في الكلام ، كما يدل هذا على ادراك العربي واحساسه بالمعنى الجيد ، وقدرته على اصدار أحكام موجزة مركزة ، والاكتفاء فيها باللمح والاشارة عن التفصيل والاطالة .. وقد كانت هذه هي احدى سمات النقد في العصر الجاهلي .

عمرو بن الأهتم ، والزبرقان بن بدر التميميان :

روى أن الزبرقان بن بدر وعمرو بن

الأهتم ، وعبدة بن الطبيب ، والمخبل السعدي .. تحاكموا الى ربيعة بن حذار الأسدي في الشعر .. أيهم أشعر ؟

قال ربيعة للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن ، لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به .

وأما أنت يا عمرو : فإن شعرك كبرود حبر ، يتلألأ فيها البصر ، فكلما أعيد فيها النظر يغض البصر .

وأما أنت يا مخبل ، فإن شعرك قصر عن شعرهم ، وارتفع عن شعر غيرهم .

وأما أنت يا عبدة ، فان شعرك كمزادة أحكم خرزها ، فليس تقطر ولا تمطر .

هكذا نظر ربيعة بن حذار الأسدي الى أشعار هؤلاء الشعراء الفحول فوزنها بميزانه المناسب ، فشعر الزبرقان تنقصه الجودة ، لأنه لم يبلغ درجة الاكتمال والنضج ، فمثله كمثل اللحم الذي أسخن ، فلا هو ناضج فيؤكل ولا هو نيىء فينتفع به .

وأما شعر عمرو ، فإنه يبهر السامع لأول مرة وذلك ، إما لأن الفاظه خرجت منه منمقة ، وأساليبه خلابة ، وإما لأن ما يحويه من تشبيهات وصور أضفى عليه حسنا وجمالا ، فمثله كمثل البردة اليمانية الموشاة التي تخدع البصر ، ولكنه عندما يتأمل المرء في شعره هذا يجد فيه بعض نواحي القصور والضعف .

وشعر المخبل السعدي لم يبلغ مرتبة الشعراء الفحول ، ولم ينحط الى شعر المتشاعرين وإنما هو وسط في جودته وحسنه .

وأما عبدة بن الطبيب ، فشعره أجود من شعرهم ، فهو شعر محكم ، فالناظر فيه لا يرى مدخلا الى الضعف ، ذلك لأنه جمع بين الأساليب القوية ، والمعاني الملائمة ، ولذلك شبهه بالمزادة التي أحكم خرزها ، فهي تحمل الماء الذي يسقى منه فلا يقطر منه قليل ولا كثير .

ملاحظات عامة على هذا النقد :

بعد أن قدمنا نماذج من النقد في العصر الجاهلي عن الشعر الذي أنتج في هذا العصر ، نسجل هنا هذه الملاحظات وهي :

أولا : أن هذا النقد هو من النقد المتطور الذي يحكم على الشعر بنظرة عامة ، فيأتي حكمه باحاطة كاملة لكل ما قاله الشاعر ، فالرواية التي ذكرناها عن الشعراء الأربعة الذين تحاكموا الى ربيعة بن حذار تحمل لنا قصائد معينة قالها كل شاعر من هؤلاء ، ثم حكم ربيعة الذي جاء نتيجة لما سمع ، ولكنها تدل على معرفة ربيعة بشعر كل شاعر على حدة ، ثم حكمه على شعر كل منهم نتيجة لهذه المعرفة ، فكان أن وضع كل شاعر في موضعه الذي رآه مناسبا له . علما بأن الشعراء الأربعة من قبيلة واحدة هي قبيلة تميم .

ثانيا : أن الناقد العربي وازن بين الشعراء الأربعة ، ووضح لكل شاعر خصائص تميز شعره ، وتبين قدره ، فمنه من لم يرق الى مرتبة النضج كشعر الزبرقان ومنه ما ظهرت عيوبه

ونواحي النقص فيه بعد فحص وتأمل كشعر عمرو .. ومنه ما هو وسط بين الجيد والرديء ، فلم يرق الى مرتبة الكبار ، ولم يهبط الى درجة أدنى كشعر المخبل السعدي .. ومنه ما حسن لفظه وقوى معناه ، واستوى ونضج كشعر عبدة .

ثالثا : ان الناقد نظر الى اللفظ والمعنى والتناسب بينهما ، ثم بنى حكمه بناء على هذه النظرة،يدل على هذا حكم الناقد على شعر عمرو ، إذ أن شعره يروقه عندما يسمع ألفاظه ، ويدرك جرسها وأنغامها ، ثم هو عندما ينظر الى هذا الشعر ويتفحص ويتمعن في أداء هذه الألفاظ يكتشف ما فيه من عيوب ونقص ، كما يوضح ذلك حكم ربيعة أيضا على شعر عبدة .. فقد جمع بين رصانة الألفاظ ، وقوة المعاني ، بحيث لم يجد فيه السامع ثغرة لعيب أو نقص .

النابغة وسوق عكاظ :

إن من يقرأ تاريخ الأدب وأسواقه في العصر الجاهلي يجد أن هناك ثلاثة أسواق أدبية شهدتها منطقة الجزيرة العربية ، حيث كانت تتجمع عندها القوافل التجارية ، ويتجمع فيها تجار الجزيرة من شتى القبائل ، فهذه الأسواق ، هي الثالوث الذي يتألف من «عكاظ ومجنة وذي المجاز» ومن بين هذا الثالوث يلمع اسم عكاظ التي لم تكن سوقا تجارية فحسب ، وإنما كانت أيضا سوقا اجتماعية وأدبية حتى لتتراءى في تاريخ العصر الجاهلي كأنها مهرجان من مهرجانات الاغريق التي كانوا يحتفلون بها في أعياد آلهتهم ، وبحق كانت عكاظ مهرجانا أدبيا ضخما يقام كل عام في موسم الحج ، وتشهده وفود العرب القادمة الى مكة من مختلف أرجاء الجزيرة من أجل الحج والتجارة ، وليتبارى فيه شعراء القبائل وخطباؤها أمام الجماهير المحتشدة للاستماع اليهم ، وبين أيدي الحكام الذين كانت تضرب لهم قباب مميزة يقصد اليها المتبارون ليعرضوا إنتاجهم الأدبي عليهم . ومعروف أن قس بن ساعدة الأيادي ألقى بها خطبته المشهورة التي استمع اليها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وأن النابغة الذبياني كان حكما بين الشعراء فيها ، وكانت تضرب له فيها قبة من أدم ـ كما يقول القدماء ـ يفد عليه فيها الشعراء فيحكم بينهم وينقد،وخبر حكومته بين الأعشى وحسان والخنساء مشهور في تاريخ العصر الجاهلي .

والواقع أن هذه السوق كان لها أثر كبير في الحياة الأدبية في العصر الجاهلي .

فيروى أن الأعشى أنشد الذبياني في هذه السوق ، ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي منها : لنا الجفنات الغر .

وذكر البيتين وهما :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال النابغة :

أنت شاعر ، لكنك قللت جفناتك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن وَلَدَك .

وجاءت الخنساء السلمية ، وأنشدت النابغة في مجلسه قصيدتها في رثاء أخيها صخر :

قذى بعينك أم بالعين عوار
أم أقفرت مذ خلت من أهلها الدار

فقال النابغة :

والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس ، فقال حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك .

فقبض النابغة على يده ، ثم قال : يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتآى عنك واسع

ثم قال للخنساء : أنشديه ، فأنشدته ، فقال : والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك .

فقالت له الخنساء : والله ولا ذا خصيين .

ولقد علق الصولى على نقد النابغة لحسان فقال : فانظر الى هذا النقد الجليل الذي يدل على نقاء كلام النابغة وديباجة شعره ، قال له :

أقللت أسيافك ، لأنه قال : وأسيافنا ، وأسياف : جمع لأدنى العدد .

والكثير : سيوف ، والجفنات لأدنى العدد ، والكثير : جفان ، وقال : فخرت بمن ولدت ، لأنه قال · ولدنا بني العنقاء ، وابني محرق فترك آباءه ، وفخر بمن ولد نساؤه .

واذن فنقد النابغة لبيت حسان الأول يندرج تحت نقد المعنى ، اذ أن العرب كانت تكثر من المبالغة في مقام الفخر ، فكان عليه أن يستعمل «الجفان والسيوف» بدلا من «الجفنات والأسياف» التي تقلل من كرمهم ، وتغفل شجاعتهم .

ونقد النابغة لبيت حسان الثاني يدل على وعي بتقاليد العرب وعاداتهم التي تعتد بالآباء والأجداد ، وتقيم وزنا لحسب القبيلة ونسبها ، وان كان الاسلام قد استهجن ذلك وأنكره فيما بعد ، الا أن هذا هو ما كان سائدا في حياة الجاهلية ، وهو أن يفخر الشاعر بآبائه وأجداده ، لا بأبنائه وأحفاده .

وقد جاء مثل هذا الفخر في بيت للفرزدق وهو يتباهى على جرير :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ويروي أن النابغة عاب أيضا وصف حسان للجفنات بكلمة : الغر ، فقال : لو قال مكانها «البيض» لكان أنسب ، وذلك لأن الغر : بياض قليل يختلط بغيره من الألوان .

وعاب النابغة أيضا لفظ « الضحى» في قول حسان ، وقال : لو أنه قال «الدجى» لكان أنسب لأن الضيف أكثر ما يكون طروقا بالليل ، لا بالنهار ، ولو قال «يجرين» بدلا من «يقطرن » لكان أدعى للشجاعة ، لأن كلمة «يقطرن» تدل على أن نيلهم من أعدائهم ضعيف محدود .

من فضائل الاسلام

للاستاذة / فتحية محمد توفيق

ان الاسلام فيما أوصى من تعاليم ، وفيما جاء به من توجيهات استهدف انسانية الانسان ، ليصل بالانسان الى الحياة الانسانية ، ويرتفع بمستواها ، والاسلام منهج متكامل رفيع ، ورائد في قيادة البشر وهدايتهم ، منحهم غاية السعادة في النفس والمجتمع والدين والدنيا والآخرة ، وذلك بفضل ما جاء به الاسلام من جلال الوسيلة وكفاية الفطرة ، والوفاء بالغاية ، ومن خير صور العطاء التي أهداها الاسلام ومنحها للبشر ما جاءهم به من كريم الأخلاق وباهر السجايا ما يمكن أن يعتبر منهجا أصيلا من حيث الاستيعاب لمختلف أنماط السلوك البشري ، ومن حيث الاستغراق لكل أغوار النفس الانسانية وأعماقها ، وشتى الخواطر الواردة عليها ..

ولقد بلغ من خطورة الصدق وجلال شأنه أن أتصف به الحق تبارك وتعالى ، فليس في الوجود كله من هو أصدق من الله تعالى ، وعدا ، ولا حديثا ، ولا قولا ، ولا أدل على ذلك من القرآن الكريم الذي أوحى به الى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد «صلى **الله** عليه وسلم » اذ هو آية الآيات على صدق الله عز وجل في كل كلمة ، ولفظة ، ومعانيه وموضوعاته ، وأساليبه ، ووسائله ، وأهدافه ، وغاياته ، وسائر مجالاته وشتى شؤون الحياة التي جاء يعالجها . ولقد برهنت على صدق القرآن الكريم مجريات الأحداث ومسيرة التاريخ في الأفراد والأمم والشعوب والجماعات والمجتمعات ..

ولقد كانت فضيلة الصدق منذ القدم خلق الأنبياء والحكماء ، والعلماء وكان أول جهر النبي محمد «صلى الله عليه وسلم» بالدعوة معتمدا على الصدق الذي عرف به بين قومه . اذ قال لهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خلف هذا الوادي خيلا تريد أن تغير عليكم . أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا » وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يؤثرون الصدق مهما كان وراءه من الألم .

جاء في كتاب بصائر ذوي التمييز للفيروز ابادي أن الشيخ عبد الله الانصاري قال : الصدق اسم لحقيقة الشيء حصولا ووجودا والصدق هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه كما يقال عزيمة صادقة اذا كانت قوية تامة ، وكذلك محبة صادقة ، وارادة صادقة ، وكذلك حلاوة صادقة ، اذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء . ومن هذا أيضا صدق الخبر لأنه وجود المخبر به بتمام حقيقته في ذهن السامع ، واذا كان الصدق هو مطابقة الخبر للواقع والمظهر للمخبر ، والشكل للجوهر ، فانه لم يأت منهج يدعو الى الصدق بصدق كما جاء الاسلام يدعو اليه ، بحيث يأخذ به المؤمنون أنفسهم ، يتعايشون فيما بينهم على هداه بالكلمة السديدة ، والقولة الصادقة ، والفعل القويم . قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)** الاحزاب / ٧٠ و ٧١ .

وللصدق **أنواع ثلاثة** :

١ ـ **صدق المرء مع نفسه** : وذلك بأن يجنبها مزالق العيش في الأوهام والخيالات ، وأحلام اليقظة ، والأماني الكاذبة وأن يعيش في الواقع ويواجهه بشجاعة وثبات .

٢ ـ **صدق المرء مع ربه** : وذلك بأن يعرف لله حقه فيتقيه حق التقوى ، ويعبده حق العبادة ، وينضوي في سلك طاعته قدر الاستطاعة .

٣ ـ **صدق المرء مع الناس**: وذلك بأن يقرر ما يعتقد أنه الحق في قوله وفعله وصمته . والصدق أساس لفضائل كثيرة لأن الصادق لا بد أن يكون شجاعا وأمينا وحافظا للعهود وعادلا في أحكامه . الى غير ذلك من فضائل كثيرة تحتويها فضيلة الصدق وتشتمل عليها .

وهناك الصدق في الأقوال ، والصدق في الأفعال ، والصدق في النيات ، والمؤمن

الصادق هو المتصف بالصدق في هذه النواحي كلها .

فالدعوة الى الصدق والى التمسك به دعوة تجد بين يديها المثل الواقع للخير العظيم الذي يناله الصادقون بصدقهم ، وان احتمل الصادقون في سبيل كلمة الحق شيئا من الأذى والضر في أول الأمر فان العاقبة دائما لهم ، وهي عاقبة تهيىء لصاحبها الفوز والفلاح . والحق ان أي مجتمع من المجتمعات لا تصلح له حياة ولا يستقر له وضع الا اذا أقام حياته على الصدق ، والتزم به فغدا سديدا في عمله ، مصيبا في قوله ، سويا في تفكيره ، مستقيما في سلوكه ، صادقا مع ربه ، ومع نفسه ، ومع غيره من الأمم والمجتمعات .

وهذا من غير شك اذا انطبعت عليه أخلاق الأمة وحرصت عليه فانه يقودها الى مقام البر ، كلمة الحق الجامعة لاطراف الخير وفنونه في النفس والفرد والمجتمع في الدين والدنيا قال تعالى في سورة البقرة: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** البقرة / ١٧٧ ..

فأولئك هم الذين جعلوا بينهم وبين سخط الله وقاية بالبعد عن المعاصي التي توجب خذلان الله في الدنيا وعذابه في الآخرة . وأولئك هم الذين صدقوا في ايمانهم لأنهم حققوا الايمان القلبي بالأقوال والأفعال . فلم تغيرهم الأحوال ، ولم تزلزلهم الأهوال فالصدق دليل الخير والهادي اليه في كل آفاق البر ، ومجالات الحق وميادين الدعوة اليه ، والصديقون هم أبرز العلامات في كل أفق من آفاق الحياة ، الأمر الذي يبلغ بهم وبالحياة درجة الطمأنينة . وما أحوج المسلمين أن يأخذوا أنفسهم بفضائل الاسلام وأن يعيشوا بها واقعهم ، ليسعدوا بها في الحاضر والمستقبل وليس هناك ما هو أدخل في هذا المجال من الصدق ، وما يشيع في المسلمين من أنماطه وصوره ومظاهره وبقدر ما يكون المسلمون في ذلك قريبين من الحق مستقيمين على النهج يكونون جادين آمنين مطمئنين .

والصدق يعتبر من أهم المظاهر والأدلة على وجود الايمان وأصالته ومن ثم تلمس له في حياة المؤمنين ثقلا ووزنا ونتيجة وفاعلية تتوقف عليها حيـــــاة الناس ، وتتحدد على ضوئها أقدارهم من الايمان ، ومراكزهم في الأمة . قال تعالى في سورة الحجرات : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾** ... الحجرات / ١٥ فالمؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله فنزل هذا الايمان في قلوبهم منزلـة اليقـين لا يزحزحه أي عارض من عوارض الحياة ولا يغير وجهه في قلوبهم ما يلقاهم على طريق الحياة وأولئك هم المؤمنون حقا الذين صدق فعلهم قولهم .

والصدق فضلا عما يحتوي في رحابه كفضيلة كبرى من عوامل الالتزام وخلال الخير ، وخلائق البر ، وكلمة الحق ، يترك في وجدان الآخذين به انطباعات يستشعرون بها راحتهم ، ويضع على أخلاق الموالين له بصمات حيوية ، ويشع على سلوك العاكفين عليه انعكاسات مشرقة .

عن أنس «رضي الله عنه » قال : قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم » « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » ولقد كان من خير ما تعلمه الرسول الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه من ربه هتاف يدعو به الى الله تعالى أن يجعل باعثه ومقصده الصدق في كل شأن من شؤونه ! ويختم به كل عمل من أعماله وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق قال تعالى في سورة الاسراء : **﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾** الاسراء / ٨٠ .

وأخبر عن خليله ابراهيم عليه السلام انه سأله أن يجعل له لسان صدق في الآخرين ، وبشر عباده ان لهم قدم صدق ومقعد صدق فقال : **﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾** وقال : **﴿إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق﴾** فهذه خمسة أشياء مدخل الصدق ومخرج الصدق ولسان الصدق ، ومقعد الصدق ، وقدم الصدق ، وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل الى الله ، وهو ما كان به وله من الأعمال والأقوال فليس هناك كالصدق فضيلة جامعة يتألق في ظلالها البر المحيط بالعقيدة والعمل والدين والحياة والأخلاق والسلوك والمجتمع وكل ما يتصل بنهضة الأمة وتكوينها ومقوماتها واعدادها ، والصدق بهذه المثابة من النفس والايمان والأخلاق وبهذا التأثير الحيوي على المشاعر والسلوك ، يعتبر في طليعة الأمور التي تظل صاحبها بحسن نفعها يوم القيامة فضلا عما يعطاه الصادقون من رفيع المنازل والدرجات قال تعالى في سورة المائدة : **﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾** المائدة / ١١٩ .

وفي كتاب إحياء علوم الدين للغزالي : قال بعضهم : اجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض ـ الاسلام الخالص عن البدعة والهوى ، والصدق لله في الأعمال ، وطيب المطعم » .

واذا كان للصدق في الاسلام كل هذه الآثار والنتائج في الدنيا والآخرة فما أحوج الأمة الاسلامية أن تأخذ نفسها به في كل عمل وقول وخلق وسلوك لنتمكن من جمع الأمة الاسلامية على كلمة الحق ، ولنعيد في ثبات وقوة المجد الحضاري للمسلمين .

وأي أمة لا تصلح لها حياة ، ولا يستقر لها وضع الا اذا أخذت نفسها بالصدق والتزمت به ، فغدت سديدة في عملها ، مصيبة في قولها ، سوية في تفكيرها ، مستقيمة في سلوكها مع ربها ومع نفسها ، ومع غيرها .

في الغرب يسألون كيف نوقف الجريمة؟

والإسلام يجيب

للاستاذ علي القاضي

اصبحت الجريمة بأنواعها المختلفة ـ ظاهرة مفزعة في الولايات المتحدة وفي غيرها من الدول الغربية ـ خلال السنوات الاخيرة ـ وأصبحت تثير قلق الامريكيين على مختلف المستويات من المواطن العادي ـ الى الرئيس رونالد ريغان ـ وبعد ان زادت معدلات الجريمة بدرجة كبيرة خلال هذه السنوات لم يعد غريبا ما يقوله القضاة وغيرهم من أن المجرمين لم تعد تهمهم العقوبات التي تفرض عليهم او التي قد تفرض عليهم بعد ارتكاب جرائمهم .

وفي الآونة الأخيرة كانت الارقام ابلغ تعبير عن خطورة الجريمة من مختلف الانواع في المجتمع الامريكي المفتوح ـ وذلك على الرغم من ان الحكومة الامريكية تنفق سنويا ستة وعشرين الف مليون دولار لمكافحة القتلة واللصوص ومرتكبي جرائم الاغتصاب ـ ومع ذلك فالسلطات المختصة تخوض معركة خاسرة حتى الآن ضد هؤلاء المجرمين .

الارقام تتكلم : نشرت صحيفة اخبار اليوم القاهرية بعددها الصادر في ١٧/١١/١٩٨١ احصائية عن هذه الجرائم تحت عنوان الارقام تتكلم جاء فيها :

« تقول ارقام مكتب التحقيقات الفيدرالي إن جرائم العنف زادت في العام الماضي بنسبة ١١٪ بالقياس الى عام ١٩٧٩ ومنذ عام ١٩٦٩ حتى العام الماضي تضاعف هذا النوع من الجرائم اربع مرات ـ ولقى في العام الماضي ٢٣ / الف شخص مصرعهم على ايدي المجرمين بالقياس الى تسعة آلاف شخص فقط منذ عشرين عاما .

وفي عام ١٩٨٠ / ايضا تم

اغتصاب ٨٢ الف سيدة وفتاة بالقياس الى ١٧ الف سيدة عام ١٩٦٠ وتعرض اكثر من نصف مليون شخص لحوادث السطو بينما كان العدد ١٠٨ / الف عام ١٩٦٠ وتعرض في نفس العام ٦٥٠/الف شخص للهجوم بينما كان العدد ٥٤ / الف شخص عام ١٩٦٠ ، وخلال هذه الفترة أسفرت السرقات والجرائم المماثلة عن خسائر قدّرت بآلاف الملايين من الدولارات .

يقتلون ويهربون : ويرى معظم الخبراء ان هذا التزايد المستمر في الجرائم يعود الى وجود خطورة قليلة بالنسبة لمرتكبي الجرائم الذين يمكن ان يفلتوا من العقاب بكثير من السهولة ويقولون : إن رجال الشرطة يلقون القبض على عدد قليل من الجناة لا تزيد نسبتهم عن ١٩٪ في الجرائم التي يتم الإبلاغ عن وقوعها وإن المحققين لا يوجهون تهما للكثيرين ممن يتم إلقاء القبض عليهم لاسباب كثيرة أولا يطيلون فترة احتجازهم .

مليون جريمة في نيويورك : كما يوجه هؤلاء الخبراء اللوم الى فترات العقوبة القصيرة أو تخفيض هذه الفترات على الرغم من ان الاحصاءات تشير الى ان ٧٠٪ من المجرمين عادوا الى ارتكاب جرائمهم مرة أخرى - وذكر بعض الخبراء في دراسة قاموا بها : أن خمسة آلاف شخص فقط تصدر ضدهم عقوبات تزيد مدتها عن سنة في عدد الجرائم التي تقع سنويا في مدينة نيويورك وعددها مليون جريمة أي أن واحدا من كل مائتي مجرم تصدر ضده عقوبة بالسجن مدة تزيد عن سنة .

وقد اعترف الرئيس الامريكي ريغان ان نظام الشرطة والقضاء في الولايات المتحدة يعاني من الانهيار إزاء الجريمة - وطالب بوقف ذلك وأرسل مشروع قانون الى الكونغرس الامريكي به الكثير من الاجراءات الصارمة ضد المجرمين .

كيف نوقف الجريمة ؟: ونشرت صحيفة الراية القطرية بعددها الصادر في ١٩٨٢/٢/١٧ دراسة عن الجريمة في أمريكا تحت عنوان سؤال ملح في ولاية فلوريدا الامريكية كيف نوقف الجريمة ؟

جاء فيه : أشار تقرير صدر حديثا عن وكالة التحقيقات الفيدرالية بعنوان (الجريمة في الولايات المتحدة) الى ازدياد أعمال الإجرام .

وذكر التقرير : ان ست مدن في ولاية فلوريدا كانت بين اكثر من عشر مدن في امريكا ارتفعت فيها نسبة الجريمة - .

وسجل التقرير : ان بين كل مائة الف في ميامي وقعت ١١٥٨١ جريمة اي بنسبة ٣٢,٧٪ بين كل مائة الف نسمة وهي اعلى نسبة .

أسباب الجرائم : وذكر التقرير الاسباب التي أدت الى انتشار الجريمة مع ضرب الأمثلة لذلك ، ففي ميامي - الاشتباكات التي تحدث في شوارعها سببها إدمان المتشابكين على تناول الكوكائين ، وهذه الاشتباكات تشبه المطاردات التي كانت تقوم بين رجال المافيا في شوارع نيويورك

وشيكاغو في حين ان عدة اعمال اغتصاب يرتكبها اللاجئون الكوبيون .

- وفي غينيسفيل التي تعتبر رابع ولاية بالنسبة لعدد الجرائم التي ترتكب فيها ، لاحظ الرسميون أن أعمال الإجرام والسرقة تفشت كثيرا في هذه البلدة - والسلب يشمل كل شيء حتى الدراجات الهوائية - وقد تعرضت غرف الطلاب في جامعة المدينة الى عدة سرقات .

- وفي ويست بالم بيتش يقول الرسميون : ان السبب هو عدم الاستقرار الاجتماعي في المنطقة وقد اثبتت التقارير الأمنية : ان بين كل مائة الف نسمة من سكانها يتعرض ٩٨٢٣ شخصا لأعمال القتل والسلب والاغتصاب .

- وفي اورلاندو التي تعتبر سادس بلدة في الولاية بالنسبة للجرائم المختلفة التي ترتكب فيها يتعرض ٩٥١١ شخصا من السكان من بين كل مائة الف نسمة للجرائم السابقة .

- وفي غولد مدبيتش وهي بلدة صغيرة لا يتعدى سكانها ثمانمائة نسمة - اضطر سكانها الى اغلاق ستة شوارع ويتولى رجال الشرطة حراسة الشوارع خلال ٢٤ ساعة وبهذا لا يتمكن احد من مغادرة البلدة والدخول اليها الا من شارع واحد .

عقوبة الاعدام : يقول حاكم الولاية بوب غراهام : إن السلطات الامنية اتخذت عدة تدابير لقمع الجرائم - منها تشكيل فرق خاصة لهذا الغرض .

ومنذ ان تولى غراهام منصبه حاكما للولاية في كانون الثاني عام ١٩٧٨ وقّع على ٢٣ عقوبة اعدام بحق مجرمين .

- ويقول كون دوغرتي : احد المسؤولين في دائرة مكافحة المخدرات : إن رجال المكافحة بحاجة الى طائرات عمودية وزوارق سريعة لحراسة الشواطىء وتعقب المهربين .

ماذا يعني هذا : وهذا يعني الفشل الواضح في تحقيق الحاجة الضرورية لهذه المجتمعات وهي الحاجة الى الأمن .

والسبب في ذلك ان الذي يضع الاصول التربوية والقوانين التشريعية رجال - علماء تربية وفقهاء في القوانين وهم يعرفون عن الأفراد جوانب ويجهلون جوانب - ولذلك فانهم - حسب علمهم يضعون ويظنون ان هذا كاف وعند التطبيق تظهر ألوان من القصور فيغيرون ويغيرون وهكذا - ثم انهم حسب استعداداتهم الشخصية وحسب ثقافاتهم يتأثرون في بعض الجوانب فلا يرون إلا هذه الزوايا .... وأحيانا تتدخل المصالح الخاصة في وضع ذلك فتصبح القوانين او تطبيقاتها في مصلحة الحاكم او في مصلحة الحزب او غير ذلك .

لجنة باريس : وقد انشأت الحكومة الفرنسية لجنة في باريس لدراسة العنف برئاسة وزير العدل بيرينيت ، وقد اجرت دراسة واسعة عن العنف واسبابه ونتائجه وانواعه ودعمت هذه الدراسة بالاحصاءات

المختلفة ، ثم اصدرت هذه اللجنة توصياتها التي تقدمت بها للحكومة والتي تتلخص في العناية بالهوايات وفي تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدي الى امتصاص الفراغ وفي الاهتمام بتكوين المعلم وفي الحماية القضائية للشباب الذي ارتكب الجرائم وفي اقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التي تخدمهم وفي العناية برسالة التلفاز .

أو ليس من العجيب ان تكون هذه كل التوصيات التي توصف لوقف الجرائم المختلفة ؟ أين اسلوب التربية التكويني ! وأين الاسلوب العلاجي الذي يقف أمام هذه التيارات ! انه اسلوب قاصر لن ينجح في إصلاح ما فسد .

الاسلام يجيب

في الغرب يسألون كيف نوقف الجريمة ؟ ذلك لانهم اتخذوا كافة الوسائل التي يظنونها كافية ولكنهم فشلوا في إيقاف الجريمة فشلا ذريعا - والاسلام يجيب على هذا السؤال إجابة شافية ، ولأن اسلوب العلاج من الله سبحانه وتعالى فانه يتوخى في تشريعاته مواءمة الفطرة الانسانية ، وقد اتخذ لذلك اسلوبين يسيران جنبا الى جنب حتى يتحقق بذلك الأمن للفرد والمجتمع .

الاسلوب الاول تكويني : وهو مهمة التربية الاسلامية وذلك يكون عن طريق بناء الفرد المسلم من جميع نواحيه الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية وربطه بالله سبحانه وتعالى فيقوى بذلك ضميره على محاسبة نفسه ومراقبته لله تعالى - ثم في رسم الطريق الذي ينهجه وفي سلوكه الذي يسير عليه في هذه الحياة - وبذلك يستنفد طاقته في مسالك سليمة لا يضل من يلتزمها وتعود بذلك الفائدة على الفرد وعلى المجتمع . في وقت واحد .

ثم ان الاسلام يقوم على اساس متين من العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي الكامل بين افراد المجتمع الاسلامي على نحو يتيح لكل فرد ان ينال حقه كاملا في الحياة الانسانية التي تليق بالبشر سواء أكان ذلك من الناحية الاقتصادية أم من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

والتكافل - في الاسلام - يفرض منذ البداية ان يقوم كل انسان بواجبه أولاً فاذا ماتمت هذه الخطوة فليس هناك من يحتاج الى المطالبة بحق لأن في أداء الواجبات من الافراد ومن المجتمع إتيانا للحقوق - حقوق كل فرد - فلا يجد الانسان نفسه في حاجة الى ان يطلب شيئا - فإذا لم ينل حقوقه أمكنه ان يطالب بها وسيجد آذانا صاغية وأعذارا واضحة تبين له سبب عدم حصوله على حقوقه .

واذا ما غابت العدالة الاجتماعية او التكافل الاجتماعي لسبب أو لآخر - وانحرف بعض الافراد في هذه الظروف الطارئة استتبعها إعادة النظر الى المواقف في ضوء الوضع القائم .

والاسلوب الثاني : علاجي : ويظهر في مواجهة ما يبدو من شذوذ خارج عن الفطرة او انحراف طارىء على استقامتها ـ وذلك يظهر حين يكون هناك خلل في بناء الفرد او نتيجة لعوامل أتاح لها ضعف الانسان تأثيرا وقتيا لا يلبث ان ينتهي متى ووجه بما وضعه الله تعالى خالق الانسان من طرق العلاج التي تبدو قاسية وإن كانت في حقيقة الامر هي الرحمة بعينها .

والحدود في الاسلام لا بدّ وأن تدخل ميدان التربية الاسلامية حتى تصبح جزءاً أساسيا في تكوين أفكار الناشئة وفي ضمائرهم وتنفعل بها وجداناتهم ـ وهذا كله يحقق معنى التقوى التي يطلبها الاسلام من كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي ـ والتقوى معناها ان يفعل المسلم كل ما يأمره الله تعالى به وان يتجنب كل ما نهاه عنه ـ ومعنى هذا ان يستجيب ضمير المسلم للحق والخير والعدل ـ وهذا اعظم ركيزة في المجتمع الاسلامي ـ لأن المسلم يسير على النهج السليم الذي يقربه من معاني القوة والفضيلة ويبعده عن الانحراف واقتراف الآثام التي تحدث الخلل في المجتمع .

الحدود وحدها لا تكفي : والحدود وحدها لا تنشيء مجتمعا آمنا سليما ولا تبعث في النفس الهدوء والاطمئنان ، وانما دورها الاسهام في المحافظة على أمنه واستقراره اللذين قاما أصلا نتيجة لبنائه على اصول الاسلام ومبادئه .

وليس من المفيد ان يؤتي بالحدود لاقامتها في مجتمع لا يسير على نظام الاسلام ولا يعني فيه بالتربية الاسلامية ، ولا يحقق في النفوس التقوى ولا يقوي الضمير ولا يربطه بالله تعالى ، انه إذن الخلل بعينه الخلل الذي يظهر الحدود الاسلامية بمظهر القسوة على المنحرفين ـ لأن الانحراف بكل أنواعه منتشر في المجتمع ـ ومن هنا تزداد المخاوف وتظهر آثارها ولكن ، الحدود في الاسلام ـ في ظل المجتمع الذي يقوم على أسس التربية في الاسلام ـ مفيدة إفادة هائلة في إيقاف الانحراف وفي ضمان الأمن للفرد والمجتمع .

الحدود تقام لحماية المجتمع : الحد ـ في الاسلام ـ يقام مرة ليحمي المجتمع من فقدان الأمن من القسوة التي يلقاها افراد المجتمع من انتشار الفوضى على ما نرى في المجتمعات الغربية في العصر الحديث ـ ومن هنا فقد حرص الاسلام على تمكين الأثر المترتب عليه سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

وقانون العقوبات ـ حين يوضع ، انما يقصد به ان يكون جزاء على عمل الشر والإفساد ، فلا بدّ وان تكون العقوبة رادعة ، ولو قارن الغربيون بين هذه العقوبة وتأثيرها ، بالجريمة وآثارها ، ولو استحضروا فعل السارق وهو يسير ليلا يشهر السلاح ويروّع الآمنين في بيوتهم لو انهم نظروا الى الاشياء وقارنوها بقطع يد السارق الآثمة لغيروا ، رأيهم ،

ولعلموا ان هذا هو الجزاء العادل .

الأمن للفرد والمجتمع : تهتم كل دولة بأن يسود الأمن مجتمعها ـ وهذا يدل على نجاحها في ادارة الأمور وفي صلاحية القوانين السائدة فيها ولذلك فانها تعلن عادة في نهاية كل عام عن حالة الأمن فيها ، وحين ينخفض معدل الجريمة تهلل الحكومة ومعها كل وسائل الدعاية والإعلام لأن الدولة قد تمكنت من زيادة الأمن فيها للافراد وحماية حرمات الناس وضبط المجتمع ، ومعنى ذلك : أنها نجحت في عملها بمقدار ما حققت من الأمن ـ وإلا فإن النظام الموجود في الدولة قاصر عن تحقيق الأمن للافراد والمجتمع فتزيد في اجهزة الأمن وفي الوسائل التي تستخدمها لمراقبة المجرمين والتصدي لهم والأمر يقتصر على أجهزة الأمن ـ بل ان المجرمين بدورهم يقيمون اجهزة مضادة لأجهزة الأمن ترصد حركاتها وتقاومها وتصيب من أفرادها بمقدار تعرضها لهم ، بل انها قد تقف متحدية لكل أجهزة الأمن ، ولعل هذا هو الذي جعل عصابات النشل والسرقة بالإكراه والاختطاف والسطو الجماعي والاغتيالات ـ التي تعرف اسبابها او التي لا تعرف ـ موجودة في المجتمعات المعاصرة ولا توجد في المجتمعات التي تطبق الحدود في قديم الانسانية وحاضرها .

وقد أعدت هيئة الأمم المتحدة إحصائية عن معدل الجريمة في بلاد تطبق الشريعة الاسلامية بالمقارنة بمثله في البلاد الغربية ـ وهذه الاحصائية ترينا الفرق الهائل في نسبة الأمن في البلاد التي تطبق الحدود الاسلامية ـ مع ملاحظة :
أن هناك أشياء تعتبر جرائم في التشريع الاسلامي
ولا تعتبر جرائم في التشريعات الوضيعة
مثل : شرب الخمر والزنا .

وقد أذيعت هذه الاحصائية في مؤتمر وزراء العدل الذي عقد في القاهرة عام ١٩٧٩ تقول احصائية المنظمة الدولية :
إنه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصا .
وفي فرنسا ٣٢ / الف شخص
وفي كندا ٧٥ / الف شخص
وفي فنلندا ٦٣ / الف شخص
وفي المانيا الغربية ٤٢ / الف شخص
ولعل في هذه الاحصائية الاجابة على السؤال الحائر في حضارة الغرب كيف نوقف الجريمة ؟
فإلى هذا العالم الحائر الذي يريد ان يعيش في ظلال الأمن والاستقرار أهدي هذه الكلمات ـ علّه ينظر بعين العدل والإنصاف الى الاسلوب الاسلامي في علاج المشكلات علّه يستفيد منها .
والله سبحانه وتعالى الذي خلق البشر هو الذي يَعْلَمُ السر وأخفى
وهو أدرى بما يصلح لعباده الذين خلقهم وكرّمهم وفضّلهم على سائر مخلوقاته ليحققوا خلافته في عمارة الارض ونشر الأمن والسلام فيها .



ماذا عن الاستشراق

للشيخ / بدر الهلالي

بين الاسلام والكفر عداء متواصل . منذ أن وجد إسلام وكفر على ارض الله . وفي حمأة الصراع بين الاسلام ، المبدأ الحق . وبين الكفر ، الدعوة الضلال . تبرز في الساحة ألوان مختلفة . وصور متعددة من صور الصراع . تعبر كلها في مضمونها ومحتواها عن حقيقة واحدة . هي استحالة التقاء الاسلام والكفر على أرضية واحدة .

الامر الذي يورث العداء والصراع المبدئي . وقد اتخذ الصراع بين الاسلام والكفر أشكالا كثيرة . واساليب متنوعة . تختلف باختلاف

مراحل الصراع قوة وضعفا ، ضراوة وفتورا .

فتارة يكون صراعا دمويا . وآخر فكريا . ومرة صراعا في مظهر التوادد والائتلاف والتقارب مع المسلمين . فهو هجوم في صورة المودة . وطعن بصيغة المدح والتعظيم .

وهذا اللون الأخير من الوان الصراع قد غاب شبحه عن أبصار الكثير من المسلمين واختفت معالمه عن أذهانهم . حتى تداخل الأمر وتوارت الحقيقة في سحب الباطل ومن أمثلة هذه الصور من صور الصراع . بحوث المستشرقين التي تظهر من خلالها أن أصحابها يشيدون بالاسلام . ويؤكدون في أكثر من موضع في مؤلفاتهم وتقاريرهم . أن الاسلام حضارة فذة . ودين لا ترقي الى عظمته أديان الارض جميعا . فهم وإن نطقوا بالحقيقة . الا أنهم يرمون الى غاية في النفس خبيثة ماكرة .

لذلك كان من الواجب على المسلمين أن يدركوا إدراكا واضحا . أن البحوث الاسلامية التي يكتبها المستشرقون هي بحوث موجهة أحيانا لهذه الغاية .

فتمجيد الاسلام في كتب المستشرقين يقصد به خلق جو من الثقة والاطمئنان الى نزاهة الفكر الغربي من ناحية . ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين للقيم الاسلامية بمجاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية وصولا الى تحقيق التفاهم المنشود بين الحضارة الاسلا مية والحضارة الغربية .

ولعل ذلك واضح في الكتاب الذي ألفه (السير آربر) أثناء الحرب العالمية الثانية . وعرض فيه نواحي الامتياز في الآداب الشرقية . فهو يعتبر أن هذا العمل نوع من رد الاعتبار للشعوب الاسلامية وثقافتها التي كانت محلا للانتقاض وسوء الفهم في بلاد الغرب عند بدء اتصالهم بالمسلمين وعلى الرغم من أن مثل هذه الكتب في واقع الأمر نوع من الدعاية التي يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والاوربيين . فإنها لا شك تذكر معلومات صحيحة وعادلة كان ينبغي أن تُعرف عن المسلمين منذ عهد طويل . وان من يتتبع جوانب المؤتمر الذي عقد في جامعة (برستون) بامريكا سنة ١٩٤٧ . الذي أعد لدراسة الشؤون الثقافية والاجتماعية للشرق الاسلامي . يدرك بوضوح عمق هذا المخطط الموجه ويلمس بجلاء هذه الدسيسة للتقارب الغربي مع المسلمين . وتدعيما لتخطيطهم السياسي لهذه المنطقة .

فلقد أكدت البحوث التي ألقيت في هذا المؤتمر عن الشؤون الثقافية والاجتماعية للشرق الاسلامي .

فالدين كما يقول (كويلرتيك)

مرآة تنطبع عليها القيم الروحية والثقافية للشعوب باجلى صورها . ولن يجد الغربي ذو العين الباحثة الفاحصة طريقا لفهم الظروف الاجتماعية في بلاد الشرق الاسلامي . وتذوق ثقافتها خيرا من المعرفة الشاملة العميقة للاسلام).

ويضيف قائلا بالحرف الواحد :

(وسيفيدنا فهم هذه العوامل وتقديرها في الوصول الى أعماق الحقائق المتصلة بالشؤون القومية والشؤون الدولية للبلاد الاسلامية).

وكانت خطة هذا المؤتمر الاستشراقي وما تلاه من مؤتمرات تقوم على أساس إشراك باحثين من المسلمين والمستشرقين في توجيه الدراسات الاسلامية والاستعانة بهذا الأسلوب على تطوير الفكر الاسلامي والاقتراب به من القيم الغربية . تدعيما لما يراد انشاؤه من صداقات تربط دول هذه المنطقة بالغرب من ناحية . وتفتت وحدتهم الحضارية من ناحية أخرى .

وقد أكد هذه الحقيقة (السير هملتون جب) في خاتمة الأعمال التي كتبها للمؤتمر حيث يقول ويتساءل : (أين وعلى أي أسس يمكن للشرق المسلم والغرب الحديث أن يلتقيا في جو من التفاهم المتبادل) ويبدو واضحا أن القيم المطلوب تطويرها وتغييرها هي القيم الاسلامية ودعوة الباحثين من المسلمين للمشاركة في مثل هذه المؤتمرات وغيرها من الكتب والبحوث الاسلامية ، لا يقصد منها المعاونة في تحقيق التقارب بين الثقافتين الاسلامية والغربية ومزج إحداهما بالاخرى .

فالمقصود إذن من هذه الأبحاث التي تضمنها الكتاب الذي صدر عن المؤتمر بعنوان (**الشرق الادنى مجتمعه وثقافته**) والهدف هو كما ذكرنا أن تتفاعل الحضارة الغربية مع الحضارة الاسلامية بحيث تمتزج الواحدة بالأخرى امتزاجا كاملا تتطور معه الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ليصبحا شيئا جديدا في ثوب الحداثة والتطورية .

وذلك لأن الاستعمار الغربي يحرص على أن يكون بينه وبين مناطق نفوذه واستغلاله تقارب حضاري وثقافي . يضمن لعلاقاته ومصالحه الدوام والبقاء .

وقد لفتت هذه المسألة ايضا نظر المستشرق (كرومر) حيث يقول : (ومن المتصور بمضي الوقت ان المسلمين سيطورون ديانة من المحتمل أن تستند الى التوحيد المجرد . ثم تكون وسطا بين العقيدة الاسلامية كما كانت في الماضي وبينها حسبما هي في الحاضر . عقيدة تلغي جانبا بالكثير من تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم . لكنها تقيم بناء اخلاقيا يحوي من المبادىء ما يكفي لربط المجتمع بروابط تختلف عن تلك الروابط التي تستند الى المصالح الشخصية) هذا بالاضافة الى ما ينشأ من التقارب بين الحضارتين من أثر جانبي آخر على المدى الطويل . ومن تفتيت الوحدة الحضارية والثقافية للشعوب الاسلامية .

فالتفاعل المنشود اذا تم سوف لا يجري على نحو واحد . لان كل بلد من بلاد المسلمين سيختلف عن البلد الآخر في تفاعله مع ذلك الطارىء الدخيل حضاريا وفكريا .

وما وحدة الأنماط الحضارية والثقافية في البلاد الاسلامية إلا لأنها كانت تخضع لمنطق واحد . والضوابط

مستمدة من الأصول التي أجمع عليها علماء المسلمين وفقهاؤهم الأولون . وهي مأخوذة من القرآن والسنة . . قال تعالى (**إن الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين اوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**) آل عمران/ ١٩

إن انفتاح باب التفاعل مع الحضارة الغربية بدعوى العصرية . لم يجر ذلك التفاعل على المنطق القديم . لأنه في زعم الداعين الى ذلك التفاعل . جزء من الفكر الاسلامي القديم . الذي لم يعد يلائم ظروف العصرية الحديثة . ولذلك فالغالب على هذا التفاعل ان يجري على منطق الحضارة الغربية . بما يشتمل عليه من أصول أخطرها القومية بمفهومها المجافي للدين . ومع توالي السنين والأجيال يزداد هذا الدين في تلك البلاد تباينا وبعدا .

وهذا هو (**جيب كوراني**) الاستاذ في الجامعة الاميركية ببيروت يصرح بوضوح بأن الفلسفة اليونانية القديمة . والفلسفة المسيحية والفلسفة الاسلامية المتأخرة التي تأثرت بهما عناصر أصيلة في ذلك التفاعل المنشود والذي يسميه هو **بالاصلاح الاسلامي الديني** حيث يقول : (لابد لاي إصلاح اسلامي يهدف الى تقريب المسلمين من الحضارة الحديثة من أن يأخذ في الاعتبار الفلسفة الكلاسيكية والفلسفة المسيحية والفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى)

وهذا متفق تماما مع كلام (**هملتون جب**) في كتابه (**الى اين يتجه الاسلام**) حيث يتساءل بقوله : (هل روابط الوحدة من القوة بحيث تستطيع ان تحتفظ بتضامن العالم الاسلامي . وتسيطر على مظهر شعوبه وتطورهم وتمييزهم بطابع خاص . أم أن الآراء الغربية وحاجات الحياة الحديثة ستنتجح آخر الامر في تشتيت المجتمع الاسلامي وتحطيم وحدته) .

والشيء الذي أريد أن أؤكد عليه وأزيل عنه اللثام . ولكي أضع الحقيقة ماثلة أمام أنظار المسلمين . هو موضوع الأبحاث التي كتبها المستشرقون . والتي يتضح منها للقارىء المسلم أن بعض المستشرقين أثنوا على الاسلام . واشادوا بتعاليمه . وأثاروا حوله هالات المديح والاطراء وأن مديحهم هذا ما هو إلا جزء من هذا المخطط الذي يدعو للتقارب والتفاعل بين حضارتنا وحضارة الغرب . وما هذا الاسلوب الا دسيسة ومكر ومخادعة .

فبعد ان فشل اسلوب الهجوم المباشر على الأفكار الاسلامية النيرة وبان عواره . وانكشف أمره للمسلمين . كان يقابل هذا الاسلوب الهجومي من جانب المسلمين بهجوم مضاد كاسح وتزييف للقيم الغربية وسخرية بانظمتها الفاشلة الخاطئة الباطلة .

أقول : بعد أن فشل اسلوب الهجوم المباشر على حضارتنا . ابتكر

المستشرقون وأتباع الحضارة الغربية لونا جديدا من الوان الصراع . وهو محاولة التوادد والاشادة بالاسلام وأحكامه التماسا لكسب ثقة المسلمين في بحوثهم ووصولا لامتصاص مشاعرهم وعواطفهم وكسبها لصالحهم .

فالمسلم حينما يرى الكاتب الغربي يشيد بإسلامه وحضارته الراقية تثور في نفسه أحاسيس المودة والائتلاف تجاهه . وتنشط فيه عوامل الإقبال على قراءة كل ما يكتبه المستشرقون . فتكون بحوثهم متقبلة لدى المسلمين ومحببة لنفوسهم .

فيأخذونها على أنها حق واعتراف بالواقع . وهم لا يدرون أن المستشرق اذا أورد في بحثه سطرا أو عبارة تمجيد بالاسلام . فإنه قد دس في ثنايا هذا البحث أوراقا وصفحات واكداسا من الطعن والهجوم المباشر وغير المباشر .

وما هذا الاعتراف بعظمة الاسلام من جانب المستشرقين ألا تغيير في الاسلوب والطريقة . وانتقال من الهجوم الى التصافح لتحقيق غاية واحدة . فشل في تحقيقها الأسلوب القديم تماما كما تغير اسلوب الاستعمار من سياسة الوجود العسكري في البلاد المحتلة . الى سياسة القروض المالية والمساعدات الاقتصادية . بدعوى سياسة التنمية الاقتصادية وإنهاض الدول النامية .

فالحقيقة إذن أن هذه الأبحاث ما هي الا تكتيك ودسيسة ومناورة وإقناع مزيف . اذ لو كان هؤلاء المجدون للاسلام من المستشرقين صادقين في أبحاثهم وجادين في ادعائهم . لآمنوا بالاسلام العظيم باعتباره المبدأ الحق والنظام الأمثل لسعادة الانسان . ولحققوا حجة اعترافاتهم بالدخول في ظل هذا المبدأ . وهذه العقيدة ـ لان الاقتضاء الواقعي يستتبع بالضرورة ان من يعترف بصحة المبدأ او يشيد بعظمته يلزم عليه أولا وقبل كل شيء أن يؤمن بهذا المبدأ . وإلا لم يكن لاعترافه أي قيمة أو جدوى . ولكان كاذبا في ادعائه . مبطلا في اعترافه . ولكان أسلوبه هذا يعبر عن غاية في نفسه ماكرة خبيثة . وحاجة في صدره يريد قضاءها .

وما هذه الأساليب وأمثالها إلا إيهام للمسلمين وضحك على الذقون واجتذاب لعواطف المسلمين . واستمالة لقلوبهم . لكي تتحقق المقاربة والمرونة بين الفكر الاسلامي والفكر الغربي .

لذلك يجب على المسلمين أن ينتزعوا الثقة من هذه الأبحاث وأمثالها وأن يدركوا أبعاد هذه المناورة ومداها وعمقها . وما ستتركه من أثر سلبي على الحضارة والأفكار الاسلامية التي تحمل درجة تميز واستقلال عن غيرها ولن تكون في يوم من الايام مندمجة بغيرها أو متأثرة بنقيضها .

ولن تقبل مطلقا كل أشكال الترضيات والاقناعات المزيفة والحلول النصفية (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) آل عمران / ٨٥

أيهما أفضل الرجل أم المرأة ؟

حوار بين ثلاث نساء

للاستاذ / عبد الرحمن قره حمود

راضية وعزيزة وأميرة زميلات ثلاث ضمتهن جلسة من جلسات الضحى رحن فيها يتجاذبن اطراف حديث نم عن اختلاف في شخصياتهن يدل على ان كل واحدة منهن من طينة غير طينة زميلتيها ولولا الزمالة ما اجتمعن . فراضية مؤمنة راضية بكل ما في كلمة الرضى من معنى،وعزيزة بلغ فيها فهمها الخاطىء لمعنى العزة الغرور ، بينما كانت اميرة من الضعف بحيث لا تنفك تشكو من وضعها وتحلم في المستحيل .

وتشعب الحديث بينهن منتهيا بالحوار التالي :

أميرة :آه لو كنت رجلا .

عزيزة :مسكينة اذ تتمنين ذلك .

اميرة :ولم ؟
عزيزة :لأنك تريدين استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير .
اميرة :خير ؟ واي خير في كوني انثى ؟
عزيزة :قبل ان اجيبك اريد سؤالك عما تجدينه من خير في الرجل ؟
اميرة :أجادة أنت يا عزيزة ؟
عزيزة :بل ومستغربة اعتقادك ومستنكرة تمنيك ان تكوني رجلا .
اميرة :بل انا التي استغرب واستنكر عدم تمييزك بين الثريا والثرى .
عزيزة :ومن ذا الذي قال بانني لا اميز بينهما ؟ انني احرص منك على هذا التمييز ولكن الفرق بيني وبينك هو في كوني أعرف قيمة نفسي فأرى الصورة كما هي ولا تعرفين قيمة نفسك فترين الصورة مقلوبة
اميرة :لم افهم قصدك .
عزيزة :هذا يجعلك منسجمة مع نفسك ويفسر خطأك الاول
اميرة :هلا صححت لي هذا الخطأ ؟
عزيزة :ألم يبد لك جليا واضحا حتى الآن ؟ ألم تعلمي ان المرأة هي الثريا ؟
اميرة : والرجل هو الثرى ؟
عزيزة :نعم .
اميرة : لولا ما يبدو عليك من انفعال وتحمس لخلتك تمزحين . اذ مهما حاول الانسان فلا يمكنه ان يتصور المبالغة في قلب الحقائق الى هذا الحد .
عزيزة :(متوجهة الى رفيقتها الثالثة) أرأيت هذه اللهجة يا راضية ؟ لم يبق الا ان تشتمني .
اميرة :لا تنسى انك بدأت اذ جعلتني منسجمة حين لم افهم قصدك والبادىء أظلم .
عزيزة :تكلمي يا راضية لم لا تشاركيننا فيما نحن فيه ؟
اميرة :من يراك بهذا الصمت يحسب أن الأمر لا يعنيك .
راضية : سامحكما الله ، وهل تريانني منهمكة في امر آخر ؟ أم ان الكلام شرط في المشاركة ؟
كل ما في الأمر أنني افضل الاستماع فهو احب إلي ولو كنت مفوّتة امرا ما فوّت هذا الحوار الممتع .

عزيزة : ما كنت احسبك أنانية الى هذا الحد .
راضية :وأية أنانية في السكوت وحب الاستماع ؟
عزيزة :ليست الأنانية في السكوت وحب الاستماع ولكنها في تمتعك بحوارنا وعدم تمكينك لنا من التمتع بمحاورتك .
راضية :سامحك الله يا عزيزة ، انا اعتقد ان كل واحدة منا تستمتع على طريقتها فمنا من تجد متعتها في الكلام فتتكلم ، ومنا من تجد متعتها في الاصغاء فتصغى .
اميرة :لله درك يا راضية ، فمن يراك صامتة يحسبك جاهلة .
عزيزة :فاذا تكلمت لم تترك لغيرها مقالا .
راضية :سامحكما الله كيف تختلفان ثم تتفقان ضدي ، لأن يخطىء من يراني صامتة فيحسبني جاهلة ، خير من أن يخطىء فيحسبني متعلمة
عزيزة :أتغمزين ،أم تتفلسفين ؟
راضية :إنما تكلمت عن نفسي .
اميرة :بالله عليكما عودا بنا الى الموضوع .
ما رأيك يا راضية ، فيما نحن فيه ؟
راضية :ليس رأيي كرأيك .
عزيزة :(مخاطبة اميرة)أرأيت ؟ انها معي .
راضية :ولست معك ايضا ، فانا اخالفكما معا .
اميرة: ولكن لا بد ان لك رأيا
راضية.نعم فانا لا ارى ثمة داعيا للمفاضلة بين الرجل والمرأة ، ولم يخطر لي ابدا ان افاضل بينهما ، لان المفاضلة انما تكون بين افراد الجنس الواحد فمثلا يمكن ان افكر بالمفاضلة بينكما او بين أي رجلين ، أما ان انظر في أي الجنسين افضل فلا ، لأن هذا النظر في اعتقادي خطأ .
والله سبحانه وتعالى يقول :
« **يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم**»..الحجرات / ١٣ ؛ فهو جل شأنه لم يقل ان اكرمكم عند الله ذكركم ، ولا هو قال انثاكم وإنما قال إن اكرمكم عند الله اتقاكم وهذه تشمل الذكر والأنثى ، فكلاهما من الناس ، والناس جميعا منهما ، واذا كان ثمة وجه للمفاضلة بين الرجل والمرأة فهي في كون كل منهما انسانا والأكرم منهما هو الاتقى .
وأما عن تشبيهكما لهما بالثريا والثرى ، فأنا لا اجد فرقا بين

هذين ايضا ، وهما عندي بمنزلة واحدة ، اذ لو كنت في الثريا لكانت كالثرى ، ولكان الثرى كالثريا .

اميرة : لكن الآية نفسها فضلت الذكر على الانثى وقدمته عليها في اللفظ .

عزيزة : وقد قدمتنا آية : « ... **والطيبات للطيبين**» النور / ٢٦ ...» وأما القول الفصل ففي قوله تعالى .. «**يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما** » . الشورى / ٤٩ و ٥٠ ذلك لأن الآية المذكورة تتدرج في الأفضلية فتبدأ بالاناث ثم بالذكور حتى تنتهي بالحرمان منهم لمن جعله الله عقيما .

راضية : لو امعنا النظر في الآية الكريمة لوجدنا فيها الرد عليك ، وذلك في قوله تعالى : (أويزوجهم ذكرانا وإناثا .. .. » وهنا ذكر الذكور قبل الاناث توازن ما بعده توازن ، كما انني لست معك في ان الحرمان منهم هو أدنى الدرجات ، بدليل ان الاولاد فتنة وذلك في قوله تعالى «واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم» الانفال / ٢٨، وأظن والله اعلم ان الأجر العظيم الوارد في الآية هو لمن لم يهبهم الله اولادا ، فتقبلوا ذلك برضاء وصبر ، وقد يؤيد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على الجنة فاذا اكثر اهلها الفقراء » رواه أحمد وما دامت الآية قد قرنت بين الاموال والاولاد فجعلتهم فتنة ، فقد يجمع الحديث بين الفقراء منهم فيجعلهم في الجنة .

اميرة : يكفي الرجل فضلا انه يعمل خارج البيت بينما تبقى المرأة محبوسة فيه .

عزيزة : بل يكفينا فضلا ، أن يعمل في الحر والقر بينما نحن في ظل ظليل ، ودفء وفير، ولا تنسى انه لا يجد الراحة الا في البيت ولذلك فكر في يوم عطلة يقضيه فيه سماه الراحة الأسبوعية .

اميرة : ولولا أننا داخل البيت في شقاء ، لما حرصنا على قضاء هذا اليوم خارجه .

عزيزة : هذا هو الفضل بعينه ، انه يعمل خارجا طيلة ايام الاسبوع ، حتى اذا طلب الراحة في يوم واحد يقضيه في البيت ، اخرجناه منه ، فنلنا ما أردنا ولم ينل ما يريد .

اميرة : واذا رفض الانصياع لرغبتك ، محتجا بأن من حقه ان يرتاح يوما في الأسبوع .

عزيزة : احتج عليه بان من حقي ان اخرج يوما في الأسبوع .

أميرة : لكن الدرجة التي أعطاه الله إياها بقوله تعالى : « **وللرجال عليهن درجة** » البقرة / ٢٢٨ ... تجعل حقه في ذلك أرجح من حقك .
عزيزة : اذا استعمل هذا المرجح ، استعنت عليه بما هو أرجح .
اميرة : وأي شيء أرجح من درجة القوامة ؟
عزيزة : الاولاد يا عزيزتي . أسلط عليه الأولاد انهم لا يمكن الا ان يكونوا معي ، فهم يفضلون الخروج على كل حال .
راضية : حسبكما ، ما هذا الذي تقولان ؟ لقد جعلتما الأمر وكأنه معركة بين عدوين ، فاين المودة والرحمة بين الزوجين ؟

ان المودة والرحمة تقضيان بأن يحرص كل من الزوجين على راحة الآخر ، بل ان النظرة المادية للأمور بكل ما فيها من أنانية تقضي بذلك أيضا ، لأن ما يصيب أحد الزوجين من أذى لا بد أن ينعكس على الآخر . لذلك ان كان زوجي نشيطا خرجنا وان كان متعبا ، بقينا في البيت ، وأقنعت الاولاد بذلك ، فهو منا ونحن منه ولا سعادة لأحد منا بشقاء الآخر .
أميرة : لو لم يكن خيرا منى لما خلق قبلي .
عزيزة : لقد خلق الله كل شيء من اجل الانسان قبله واذا كان خلقه قبلى ، فذلك من أجلى .
أميرة : ولكنك لولاه ما كنت ، فهو الأصل وقد خلقت منه .
عزيزة : إن أعلى الشجرة خير من أسفلها .
راضية : الشجرة بغير فروع حطب ، وكذلك الفروع من غير أصل .
اميرة : لولا أن الرجل أفضل لما فضل الجميع إنجاب الذكور .
عزيزة : ولولا أهمية المرأة ، ما اشتقت الأمة من الأم .
اميرة : الأولاد يلحقون بآبائهم
عزيزة : لكن الأمهات وحدهن متأكدات من أولادهن .
راضية : (بعد صمتها الطويل) في هذه علينا من المعزة بقدر ما لنا من المفخرة .
عزيزة : إنه يخطبني ويدفع لي مهرا ويتحمل نفقتي
اميرة : بل قولى انه يشتريك .
راضية : لا هذا ولا ذاك ، أنت تريدينه وهو يريدك ، وكلاكما في عقد الزواج طرف أما البيع والشراء فعقد بين طرفين ليست السلعة أحدهما . وأما الخطبة والمهر ، والنفقة فهي من التكريم .
عزيزة : اذا انا خير منه اذ أستحق تكريمه .

راضية : لا تنسى ان التكريم لا يكون الا من كريم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ما أكرمهن الا كريم . ومع ذلك فليس أحد خيرا من أحد ، وإنما هي طبيعة كل جنس يتميز بها عن الآخر ، فالرجل طبيعته الاقدام والبذل والمرأة طبيعتها الحياء والأخذ ، والخير في كل منهما ما دام على طبيعته ، فاذا حاول التطبع بطبع الآخر فسد . ولذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

عزيزة : صنع في بطني . وكنت له أما ، ولم أصنع في بطنه وإن كان لي أبا .

أميرة : ما كان ذلك الا بسبب منه .

راضية : بل قولي بفعل منكما معا ، فانتما في الأمر سواء ، ولا يمكن أن يتم ذلك الا بكما معا .

عزيزة : كم انا اكبر منه اذ احتوته بطني .

أميرة : ماسة في صندوق .

راضية : بل قولي لؤلؤة في محارة ، وليس لأحداهما أن تتكبر على الاخرى ، اذ مهما كان شأن اللؤلؤة عظيما فهي كائنة في المحارة .

عزيزة : حملته ، وأرضعته ، وحضنته فكان فضلي عليه كبيرا .

أميرة : كل ذلك بفعله .

راضية : بل لولاه ما كنت ، ولولاك ما كان،ولو كنت مستعملة منطق أميرة لقلت لولا عظم شأنه ، لما سخرك الله لخدمته الخدمات المذكورة .

أميرة : يكفي انه الأقوى .

عزيزة : جسما نعم ، واما ما عدا ذلك فأنا أقوى منه ، ولولا ذلك ما سلحه الله بالطلاق ولما وصفني بالكيد العظيم من دونه ، بالاضافة الى قوة الاغراء التي أوقعته بها في حبائلي .

راضية : إن الله سبحانه لم يُحَابِ أحدا على حساب أحد ، ولذلك قال جل شأنه « **ولا تتمنوا ما فضّلَ اللهُ به بَعضكمْ على بعض للرِّجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنِّساء نصيبٌ مما اكتسبن**».. النساء /٣٢ .

أميرة : الآية نفسها تثبت التفضيل .

عزيزة : ولكن تفضيل من ؟

راضية : تفضيل الطرفين ، فهو تعالى لم يقل ما فضل به أحدكما على الآخر ، وانما قال : ما فضل به بعضكم على بعض فأنت بعض الرجل ، وهو بعضك ، وأنتما معا كل فضل الله بعضه على بعض وكما أنه فضل الرجل بالرجولة ، فقد فضل المرأة بالأنوثة ، وكما فضل الرجل بالقوة ، فضل المرأة بالرقة ، والمرأة بأمومتها مفضلة ، والرجل بأبوته مفضل ، ولكل منكما طبيعة هو بها مفضل ، ولكل منكما رسالة تتفق وطبيعته هو بها مفضل . **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** .

عزيزة : نظرا لأهميتي ، فقد أوصاه الله بي أُماً وزوجاً وأختاً وبنتاً .

أميرة : بل قولي نظرا لضعفي

راضية : لقد أوصاه بك ، وأوصاك به وكلاكما عند الله مكرّم . ألم يقل جل شأنه : **ولقد كرمنا بني آدم** ... بل وكلاكما عند الله من الاهمية بحيث يقول : « **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور** .. الاحزاب / ٤٣ » .

أميرة : لو لم يكن الرجل أكثر فضلا من المرأة لما كان أكثر ميراثا منها .

عزيزة : بل لولا أنه أكثر احتياجا .

راضية : **يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد** فاطر / ١٥ . فنحن جميعا ذكورا واناثا محتاجون وفقراء الى الله بدليل قولك يا عزيزة انه اكثر احتياجا . وهذا اعتراف منك بأنك محتاجة أيضا ولكن أقل منه ولا يمكن أن تكون قلة الحاجة أو كثرتها مناط التفضيل ، ذلك لأنه اذا كان الرجل أكثر احتياجا فذلك لأنه اكثر تكليفا ، وأكبر مسؤولية ، لذلك كان توزيع الميـراث مرتبطـا بالتكليف والمسؤوليـة . انه تنظيم اقتصادي ـ من حكيم خبير ـ له دواعيه ، ولن نخرج بها عن الموضوع ويكفي أن نتذكر بأنه لو كان الناس يتفاضلون عند ربهم بالمال ما أهلك الله قارون . ان الرجل والمرأة صنوان يكمل أحدهما الآخر ، ولا غني لاحدهما عن الآخر وأنا لا أقول بأن المرأة هي التي تكمل الرجل ، كما لا أقول بأن الرجل هو الذي يكمل المرأة ، وانما أتمثل قول الله تعالى : « ... **هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لِباسٌ لهُنّ** .. البقرة / ١٨٧ » .

وقوله جل شأنه : « **ومن آياته أن خَلَقَ لكم من أنفسكم أزواجاً**

لتسكنوا إليها وَجَعلَ بينكم مودّة ورحمة إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون الروم / ٢١ ».

فالرجل سكن للمرأة والمرأة سكن للرجل وقد ربط الله بينهما بالمودة والرحمة .

أميرة : ولكنك نسيت أن للرجل أن يختار شريكة حياته ، وليس للمرأة مثل ذلك .

عزيزة : أنت في كل ما تقولين انما تصدرين عن هذه العقدة (عقدة الرجل) ، أما أنا فلا أغبطه على أنه هو الذي يسعى اليّ ، لأنه ما من عزيز يسعى ، ولا من ذليل يسعى اليه . ومن عزتي أنني إن شئت قبلته ، وان شئت رفضته ، ومن ذلته أنه يقدم التماسا يتمنى قبوله ويخشى رفضه .

راضية : حسبكما يا أختيَّ ، انها والله لمتعة وأي متعة هذه التي اجدها وانا اصغى اليكما ، لقد جعلتماني أحلقّ في ملكوت الخالق العظيم الذي خلق العقل والفكر واللسان فأحسن صنعها ، ثم أحسن التفريق بينهـا ، ولله در القائل ..

« يا لساني لاعدمتك » فما من فكرة الا وقد اعطى صاحبها القدرة على الدفاع عنها،اما دفاعي ، فهو أنني لا أرى رأيك يا أميرة في أن الاختيار من حق الرجل وحده ، اذ ليس ما يمنع المرأة من ان تختار رجلها ، اللهم الا شعورها هي ان في ذلك ما يقلل من قيمتها كما أنها في اعتقادي أقل تحملا لصدمة النتيجة اذا جاءت رفضا من الرجل ..

ان حق الرجل في الاختيار يتجلى في تقدمه الى من شاء من النساء ، وحق المرأة في الاختيار يظهر في قبول الرجل أو رفضه ، وليس ثمة ما يمنع المرأة من ان تتقدم بالطلب اذا وجدت في نفسها القدرة على تحمل النتيجة . وفي اعتقادي أنه مهما عانت المرأة من سأم الانتظار فهو اهون عليها من أن تصدم بمرارة الرفض .

ولست معك يا عزيزة في أن الرجل هو المحتاج اليك ، لأنك لا يمكن أن تنكري حاجتك اليه . ان كلا منكما محتاج الى الآخر ، ولا أكون مغالية اذا قلت انه يستحق منك الشكر على مبادرته للخروج بكليكما من ازمة لا يعاني هو منها اكثر مما تعانين .

لا شك أنه كريم حين يبادر اليك معرضا نفسه للصدمة ، عالما باحتمال رفضك إياه .

عزيزة : على رسلك يا راضية ، أراك بدأت الدفاع عنه .

راضية : أولا ، لا مصلحة لي في ذلك ما دمت امرأة . ثانيا ، إنني

لا ادافع عنه ، وانما ادافع عنك وعن نفسي ، وعن كل بنات جنسي .

عزيزة : وبماذا تدافعين عنا ؟ أبقولك : إن الرجل كريم يستحق منا الشكر ؟

راضية : أجل ، فإن رفعي من شأنه هو رفع لشأننا أيضا ، وأظن أنه ليس ثمة واحدة منا ترضى أن يكون رجلها غير كريم أو من غير ذوي الشأن ، كما أنه ما من واحدة منا الا وتتباهى في كون رجلها عظيم القدر رفيع الشأن . ومن جهتي مهما بلغ إعجابي بنفسي ، فإني أفضل أن يكون زوجي أعظم شأنا مني . وهذا ما يجعلني أشعر بأنني ربحت الصفقة في مشاركته . واعتقد ان الامر كذلك بالنسبة لأي رجل عاقل . وكلنا نعلم قصة ذلك الرجل الذي كان دائم الذم لزوجته امام اولادهما ، مرددا كلما اختلف معها أمكم كذا ، أمكم كذا ... حتى بلغ الضيق بأحد الاولاد أن قال لأبيه انت المخطىء يا ابي فلا تلم الا نفسك فلقد احسنت هي اذ اختارتك ، ولقد أسأت أنت إذ اخترتها . وأظن أن كل امرأة حريصة على أن تحسن الاختيار وكذلك كل رجل .

اميرة : للرجل ان ينكح أربعا .

عزيزة : أنا لا أغبطه على أمر يزيده رهقا .

راضية : الموضوع اكبر من ان يرتبط بالمتعة والرهق إنه امر اجتماعي خطير يحقق للمرأة وظيفتها الاجتماعية ، وحياتها الطبيعية التي خلقت من أجلها ، إنه يؤمن زواجها فلا تصبح عانسا ، ولا تبقى أرملة أو مطلقة . إن زوجا مشتركا خير من لا زوج .

أميرة : إنه ليحزنني ان تكون لي ضرة .

عزيزة : اما أنا فلن تكون لي ، وسأشترط ذلك في العقد ، حتى اذا تزوج بأخرى تركته .

راضية : ان كان يحزنني ان تكون له زوج غيري فانه ليحزنني اكثر ان تكون واحدة من بنات جنسي بلا زوج . فانا احب لهن جميعا ما احب لنفسي . كما انني لا احس بالسعادة اذا لم تكن عامة ، ولا اجد لذة مع حرمان الآخرين .

الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» رواه البخاري ومسلم .

والشاعر المعري ابي ان يكون انانيا يتمتع بالخير وحده فقال :
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد
اميرة : يمكنها ان تجد زوجا آخر .
عزيزة : وجدت أم لم تجد ، فخير لها أ لا تضار واحدة بها .
راضية : لن اقول بأن النساء اكثر عددا من الرجال ولن اقول بأن بعض الرجال قد لا يرغبون بالزواج (وعدم الزواج لهم ليس كعدمه للمرأة) وانما يكفيني ان اقول بأن التعدد يُؤَمّن فرصا اكثر للمرأة حتى يكون لها زوج ، وبذلك تحيا ، اذ لا حياة للمرأة في نظري بلا زواج وبيت واولاد ، الا اذا آتاها الله صبرا عوضها به الجنة .
اميرة : أنسيت ان للرجل على المرأة حق الطاعة ؟
عزيزة : ولي عليه حق النفقة .
راضية : له الطاعة وعليه النفقة ، ولك النفقة وعليك الطاعة ، إنهما حقان متقابلان يجعلان الرجل والمرأة متكافئين ، وقد اكد الله سبحانه ذلك بقوله : « **ولهُنّ مثلُ الذي عليهِنّ بالمعروف**» البقرة /٢٢٨ .
اميرة : وللرجال عليهن درجة ، لماذا لا تكملينها ؟
عزيزة : انا لا احسده عليها ، فما هي الا مسؤولية وزيادة عبء .
راضية : إن لكل شيء ثمنا والذي يهمني هو ان احسن اختيار رجل يقوم بمسؤولياته حق القيام . واذا كان الله قد فضله عليّ بهذه الدرجة ، فانه جل شأنه سيكافئني بما هو افضل إن أنا رضيت بذلك ، كما سيساله عما يفعل إن هو اساء استعمالها .
عزيزة : هل تلاحظين يا أميرة ان راضية اسم على مسمى ؟
أميرة : تقصدين انها ترضى بأي شيء .
راضية : أبدا أنا لا أرضى بأي شيء ، وانما أُرضى بالذي ارتضاه الله لي ، وأحمده وأشكره على ان جعل لي من اسمي نصيبا . كما في قول القائل : لكل مسمى من اسمه نصيب . فاسمى - بحمد الله - راضية ، وانا بكل ما اراد الله لي راضية .
عزيزة واميرة معا : ونحن اليس لنا من اسمينا نصيب ؟
راضية : بل لكما ، فأنت يا عزيزة ، اعتزازك بأنوثتك جعلك تعدين نفسك افضل من الرجل .
واما انت يا اميرة فحبك الامارة جعلك تتمنين ان لو كنت رجلا .
أرأيتما كيف صدق من قال : لكل مسمى من اسمه نصيب .



حل مشكلة الفقر

تحت هذا العنوان كتب الأخ / لانغ صار ـ ـ الطالب بالأزهر الشريف ـ يقول : ـ

● اذا كانت خيرات الارض في متناول الناس جميعا وكان كل انسان قد قدر الله له من خيرات الكون رزقا ونصيبا « **وما من دابة في الارض الا على الله رزقها** » **هود** /٦ . وكان المال وسيلة الى الخير وتيسير المنافع للناس ، كان من واجب الانسان أن يسعى ليكتسب ويحصل على المال ، ولا عذر لأحد في ترك العمل بحجة أن الله قدر له رزقه أو أنه غير محظوظ أو أن ظروف الحياة القاسية تقف عقبة في وجهه دون السعي والعمل .

فالفقر في الأصل مرض اجتماعي ، وليس قدرا مقدورا لا حيلة للانسان في دفعه بسعي أو كسب ولقد أمر القرآن بالسعي من أجل الرزق « **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** » ... فلا يكون الفقر بعد ذلك إلا لأحد أمرين :

أ ـ إما كسل وخمول وهذا لا يقره الاسلام .

ب ـ وإما العجز عن العمل ومثل هذا الفقر قد وضع له الاسلام من قوانين التكافل الاجتماعي ما يدفع بؤسه ويحفظ للفقير كرامته .

ومما يدل على نفرة الشريعة من الفقر ، قوله صلى الله عليه وسلم (كاد الفقر أن يكون كفرا) رواه أبو نعيم في الحلية وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام (**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**) رواه مسلم وغيره وهذا انتقال من موقف السلبية تجاه الفقر الى الايجابية من عكسه وهو الغنى .

ولجلب المال واكتسابه وضع الاسلام امام كل فرد أهم وسائل التملك ويمكن حصرها في طريقين رئيسيين .

أ ـ عن طريق السعي والعمل

ب ـ عن طريق الهبة والوصية والارث الى غير ذلك مما لا سعي للانسان فيه .

● اما عن طريق السعي والعمل فقد سمح الاسلام بكل طريق يسلكه الانسان

للتملك الا ما كان عن طريق الظلم والغش والاضرار سواء كان إضرارا بالفرد أو إضرارا بالمجتمع ، ولذلك حرم الاسلام الاتجار بالخمر والاتجار مع العدو ، وهكذا ، وفي الحث على العمل جاء قوله تعالى : **(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور)** ١٥ / الملك .

وقال صلى الله عليه وسلم **(لأن يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه »** متفق عليه .

وأما الطريق الثاني وهو الذي يسمح الاسلام بالتملك عنه بلا سعي فمنها :

١) **نظام الزكاة** : وكانت من حكمة الاسلام تسمية الزكاة بهذا الاسم وهو اسم خير من كلمة الضريبة ونحوها من كلمات لأنها ترمز الى أن اخراج الزكاة تطهير للمال الباقي ، فكأن المال المكنوز لا تطهره إلا الزكاة « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » ١٠٣/ التوبة .

وهذا القدر من الزكاة (٢,٥٪) قد يكون قدرا ضئيلا ولكن بجانبه القدر الكبير الأخلاقي وهو الاحسان وهذا لا حد له ، وانما هو موكول الى ضمير الشخص وميوله الدينية .

٢) **ونظام الارث** : فكثير من النظم الأوروبية حصرت الارث في الابن الكبير أو نحو ذلك ، فكانت الثروة مجموعة تنتقل من شخص الى شخص بعينها لا ينقص منها شيء أما نظام الاسلام فوزعها وجعل لكل من الأولاد ذكورا وإناثا نصيبا منها ، وكذلك للأب والأم والزوج والزوجة الى غير ذلك وهذا مما يؤدي حتما الى تفتيت الثروات مهما كانت كبيرة وتقسيمها الى ملكيات صغيرة .

٣) **ومنها نظام النذور** : قال تعالى (وليوفوا نذورهم) ٢٩/الحج . فإذا نذر الانسان نذرا كأن يتبرع بمبلغ وجب عليه الوفاء بنذره ، وكان سبيله الفئات المحتاجة

٤) **ومن ذلك أيضا قانون الوصية** : فقد أجاز الاسلام أن يوصى الانسان بثلث ماله لجهات البر والخير ، ويجوز أن يوصي بأكثر من ذلك وينفذ اذا اجازه الورثة .

٥) **ومن ذلك قانون الغنائم** : قال تعالى : **(واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)** الانفال/٤١ وبذلك يكون الاسلام قد جعل من الغنائم الحربية التي يغتنمها الجيش في معاركه مع الاعداء نصيبا معينا لوصول الأموال الى الطبقة الفقيرة من أفراد المجتمع ، وهكذا في الركاز .

٦) **أضف الى ذلك نظام الوقف** : فمن المعلوم ان الوقف جائز في الاسلام بل هو مرغوب فيه وهو إخراج العين الموقوفة من ملك صاحبها الى ملك الله ، اي ان تكون

غير مملوكة لأحد بل تكون منفعتها مخصصة للموقوف عليهم ، وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم أرضا بالمدينة يقال لها (النقيع) لترعى فيها خيل المسلمين . وحمى عمر أرضا بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين .

● هذا ما جاء به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا حيث قرر لكل مواطن حقه في التملك ، وفتت الأموال بين أفراد المجتمع ، ونادى الى التفلت من حصن الفقر وويلاته .

● ثم قرر الاسلام أن المال ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع وقضاء الحوائج ، فمن استعمله في هذا السبيل كان المال في يده خيرا له وللمجتمع ، ومن استعمله على انه غاية ولذة انقلب الى شهوة تورد صاحبها المهالك ، وتفتح على الناس أبواب الفساد .

● وعبر القرآن الكريم عن المال بالخير في مثل قوله تعالى : **(كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف)** ١٨٠ / البقرة .

● قال المفسرون المراد بالخير هنا المال ، وهذا بلا شك تنبيه الى وجوب الحصول على المال عن طريق الخير ، واستعماله في طريق الخير ، وبوصفه خيرا رغب الاسلام في تملكه فترى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه البخارى والمال الصالح هو الذي لم يجمع عن طريق الظلم والخداع والرجل الصالح هو الذي ينفق ماله في سبيل الخير والصلاح .

وأخيرا فإن نظام المال والتملك في الاسلام يحقق السعادة والرفاهية والرخاء . والسؤال هل سيفلت المسلمون من حصن النظم الاقتصادية الاوروبية والغربية الطاغية الى نظام الاسلام المالي العادل ؟

خطر الصحافة المنحرفة

كتب الأخ / محمد المهدي محمود مبينا خطر الصحافة الفاسدة على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة . فقال قدم الطالب الفتى على أستاذه الشيخ فقال : ذهبت لأشتري صحيفة يومية من مكتب بيع الصحف والمجلات ، واذا بي أرى الكثير من المجلات الواردة من بعض الدول ، وقد رسمت على غلافها صوراً لنساء شبه عاريات . مستغلة إثارة الغرائز الجنسية للاغراء بشراء هاتيك المجلات المنحرفة !! فتنهد الشيخ حسرة والما !! ثم اجاب

الطالب النجيب الذي يأمل له أن يكون من رجال العلم والأدب والفضل أي بني - حفظك الله أنت وإخوانك في رياض العلم وبساتين المعرفة كانت الصحافة في عصورها الخوالي المشرقة بالنور المملوءة بالجهاد العظيم من أجل إسعاد العالم الاسلامي ترسم الطرق المثلى لمكارم الأخلاق، وتبين للناس معالم الحق والفضيلة، ترى في صفحاتها نور الايمان وتشم منها عطر المحبة والأخوة، يسكن اليها القلب، وتطمئن لها العاطفة إنها تستهدف الصالح العام، وجهتها الخير، ورفعة شأن الاسلام والمسلمين، وسبيلها الكفاح المتواصل لبعث النهضة الاسلامية والعمل على إعادة الوحدة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، تلك هي صحف الحق والفضيلة والخير العام... الصحف الاسلامية الطاهرة التي نمت وأزهرت وأتت ثمرا طيبا مباركا في بناء المجتمع الاسلامي

وبينما ننعم بهذه الصحف الطاهرة. اذ بنا نرى تلك الصحافة الصفراء تغزو الأسواق، وينخدع بها المرضى بحب التقاليد الأجنبية، ولو كانت على حساب الطهر والفضيلة والعفاف والحياء !! تنساب هذه الصحافة الفاجرة كما تنساب الأفاعي الرقطاء الناعمة الملمس الى الآمنين في أوطانهم فلا يخشون في أول الأمر خطرها ثم لا يلبث أن يسري سمها الى القلب، وهيهات بعد ذلك أي إصلاح !! إذ أن خطرها عام جامح عنيف عظيم الخطر على الشباب والأسرة والمجتمع والدولة. فهي تستهوي الأغرار من المراهقين، ويقع في حبائلها فتيان نعدهم لنهضة قوية في عصر لا حياة فيه الا للأقوياء

إن تلك الصحافة تلهي الشاب عن الجد والاجتهاد فبينما - يجاهد المدرس والمربي والوالد والواعظ الناصح في تثقيف الجيل، ونشر الفضيلة، وغرس العقائد الصحيحة، والأخلاق الكريمة، والصفات الحسنة، والمبادىء القويمة. اذ بهذا الجهاد العلمي والمجد الخلقي ينهار أمام حرب البيئة، وما يراه الشباب المراهق من صحافة تصور له ملكات الجمال في العالم، وتبرز مفاتن الجسد، وتغريه بالعرى الفاضح المكشوف، الى آخر ما في هذه الصحافة الصفراء من امتهان للكرامة الانسانية وتوغل في الفساد الخلقي، وجموح نحو البهيمية !! وجنوح نحو الحيوانية !! - هذه الصحافة هدفها أن ترى مذهب العراة يروج في الشرق فتنحل الأسرة ويفسد المجتمع - وتنهار الدولة - إن تلك الصحافة من بقايا آثار المدرسة الاستعمارية التي تهدف الى زلزلة العقائد، وهتك حجاب الفضيلة، ونشر الرذيلة، والفساد الخلقي، والانحلال العام لكي يستسلم الشعب لعوامل الضعف ولا يفكر في الذود عن حياض الوطن، والاستبسال في الدفاع عنه. بعد أن انهارت منه الأخلاق وهي عصب الحياة، ومركز القوة، وعنوان الشجاعة والبطولة، وهكذا تصل تلك الصحافة الآثمة الطاغية والفاجرة. تصل الى ما تريد من هدم صرح المجد والشرف، والعزة والكرامة - ثم ماذا يبقى للدولة بعد هذا الخسران المبين، وبعد نجاح المخطط الصهيوني في نشر الفساد العام بكل صوره وألوانه ؟!! إن الواجب المقدس يدعونا الى حماية المجتمعات الاسلامية من تيار الفساد العام. الذي تحمله في طياتها تلك الصحافة الآثمة. أنا شدكم الله يا أولي الأمر، ويا رجال الاسلام، ويا حماة الفضيلة، والآداب الاسلامية العمل الجاد على صد هذا الاعتداء الوحشي على الحرمات الاسلامية. صيانة لأعراض المسلمين، وحفظا لكرامة الأسرة الاسلامية وانقاذا للشباب عماد النهضة، وصيانة للشعوب الاسلامية عما يغضب الله !! وحرصا على ما ورثناه من الأمجاد الخلقية من الشرف، والفضيلة، والعفاف، والحياء، فلكل دين خلق، وخلق الاسلام الحياء.

كتب الله للمسلمين عودة كريمة الى مكارم الاخلاق في ظل كتاب الله وسنة الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين.

الفتاوى

ما حكم تشريح جثث الموتى شرعا وهل يكفي تشريح جثث الحيوانات بدلا من بني آدم ؟

● تشريح الجثث للتعليم لم يتعرض لها الفقهاء قديما ولكن المسألة تخضع للقاعدة العامة « الضرورات تبيح المحظورات » والتشريح أصبح الآن ضرورة لأن الطبيب لا يعالج الأمراض الا بمعرفة الأعضاء الداخلية وأجزاءها وتكوينها ومواضعها ليطبق العلم على العمل والأطباء عن طريق التشريح يمكنهم معرفة ما إذا كان هناك وباء ومعرفة نوع هذا الوباء وطريقة مقاومته وبذلك يمكن حماية الأحياء والحد من أسباب الأمراض التي تفتك بالأمة .

● في التشريح إعانة لرجال الأمن لمعرفة أسباب الوفاة هل هي جنائية فيبحثون عن القاتل أم هي وفاة عادية فيفرجون عن متهم بريء كذلك تعريف الطلاب بتركيب الجسم والأعضاء الباطنية وتدريبهم عليها عمليا وتعريفهم باصابتها وطرق علاجها وكيفية إسعاف من يصاب بمرض في أحد الأجهزة ، وفي ذلك مصلحة للأمة أولى من مصلحة حرمة الميت على أنه يمكن التشريح بعد استئذان أولياء الميت مراعاة لحقهم .

على أنه اذا أمكن الاقتصار على تشريح جثث المحاربين والمرتدين كان أولى ولا يكفي تشريح الحيوانات في تعلم الطب لأن تركيب جسم الانسان قد يخالف تركيب جسم الحيوان واذا كانت الحيوانات ذات الثدي قريبة الشبه بالانسان الا أن هذا لا يعطي فكرة صادقة عن تفاصيل جسم الانسان وإن كان تشريح الحيوانات يكفي فلا مانع . فالتشريح فيه مصلحة ومنفعة للأمة فوق مصلحة حرمة الميت لذلك يجوز التشريح ولكن في أضيق الحدود محافظة على حرمة الأموات أو الاقتصار على تشريح جثث المحاربين كما وضحنا .

يقول صديق المجلة . قرأت حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يفيد تحريم النعي ويحذر منه ولكن كثيرا من الناس يحرصون على النعي في الصحف والاذاعة والهاتف والتليفزيون ومنهم من هو على مستوى من الثقافة الاسلامية فكيف يجمع بين إباحته والنهي عنه ؟

● النعي عبارة عن إعلام الناس بموت واحد وإخبارهم لتشييع الجنازة وهذا أمر

جائز . لماذا ؟ ليكون ذلك سببا في ثواب من يشيع الجنازة ومن يصلي عليها لأن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان أصغرهما مثل جبل أحد » .
هذا الإعلام يمكن المسلمين من المشاركة والمواساة ويثبت أن المواساة فيها جبر لخاطر المصاب ومظهر من مظاهر التراحم والتواد والتعاطف التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى فالمواساة تستل من القلوب الأحقاد واذا تحمل شخص مشقة السعي اليك للمواساة والمشاركة وكنت لا تألفه من قبل تحس تلقائيا بالرضا عنه والحب له ، على أن اذاعة وقت تشييع الجنازة يكون سببا في رحمة الميت نفسه فان كثرة المصلين عليه تشفع له يوم القيامة لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه . واضح أنه أمر اجتماعي لا يستغني الناس عنه وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم حينما نعى النجاشي وصلى عليه وصلى الناس معه صلاة الغائب ونعى زيدا وجعفرا وابن رواحة قبل أن يعلم الناس بخبر قتلهم في المعركة في مؤتة .
أما الشبهة التي عند الأخ السائل فان الحديث الوارد في النهي عن النعي ، فانه في النعي الذي كان معروفا في الجاهلية كانوا اذا مات منهم شريف أرسلوا راكبا الى القبائل ينادي أن العرب هلكت لأن فلانا هلك وترتفع الأصوات بالصراخ والعويل ولطم الخدود وشق الجيوب وكلمات لا تتفق مع الايمان بقضاء الله وقدره وهذا طبعا لا يتفق مع تعاليم الاسلام ودعوته للصبر والرضا هذا هو النعي المنهى عنه .
● أما النعي المعروف حاليا فمطلوب ومشروع ما دام الهدف منه خيرا يعود على المعزي وعلى الميت وعلى أهله الا اذا كان النعي يكلف الورثة اموالا هم في حاجة اليها أو كان القصد منه التفاخر وحب الظهور فانه يكون منهيا عنه .

كتب الينا قارىء كريم يقول سمعت الآية الكريمة « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » فما هي الصلاة الوسطى ؟

في الآية الكريمة يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها ومراعاة كل ما يتصل بأدائها ، « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال الصلاة في وقتها قيل ثم أي ؟ قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم أي ؟ قال بر الوالدين » هذا بالنسبة للصلاة بصفة عامة وخص الله تعالى من بينها الصلاة الوسطى وقد اختلف السلف والخلف في تحديد الصلاة الوسطى .
● قال بعضهم هي صلاة الصبح ونص عليها الشافعي رحمة الله محتجا بقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) والقنوت عنده في صلاة الصبح ومنهم من قال انها الظهر لما سئل أسامة بن زيد عن الصلاة الوسطى قال هي الظهر والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي صلاة أشد على أصحابه من صلاة الظهر حيث كان يصليها بالهجير والناس في وقت القيلولة والتجارة .
وقيل انها صلاة العصر حكى ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم من كبار

الصحابة والفقهاء مستدلين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب في غزوة الخندق قال شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا ثم صلاها بعد المغرب .

على أي حال لم يحصل إجماع على تحديد وقتها ليحافظ الناس على كل وقت من أوقات الصلاة ليصادفوا الصلاة الوسطى واخفاؤها يدفع الناس الى التماسها في كل الأوقات كما أخفى مثلا ليلة القدر ليحث الناس في ليالي رمضان على أن يلتمسوها ويحصلوا على شرفها وأخفى ساعة الاجابة أيضا كذلك ليواصل المسلمون الدعاء عسى أن يصادفوا ساعة الاجابة لأن إخفاءها يجعل الناس يحرصون عليها ويزيدون من العبادة والدعاء وكل ذلك خير لهم وأبقى .

مدرس تربية فنية يقول اختلفنا في موضوع قيام النشاط المدرسي بعمل تمثال لشخصية تاريخية تخليدا لذكراه وليكون نوعا من وسائل الايضاح التعليمية فما الحكم ؟

● يا أخي الفاضل ينبغي ألا تضيق نفسك لو كان الحكم ليس معك ويجب أن تعلم أن التماثيل محرمة ونسوق اليك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل . يعني المكان الموجود فيه تمثال سواء كان بيتا أم مدرسة أو ناديا أم ملعبا مثلا تبتعد عنه الملائكة . بل حرم الاسلام على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل ولو كان يعملها لغير المسلمين . فتحريمها على من يعملها للمسلمين من باب أولى .

وسبب التحريم . البعد عن مشابهة الوثنيين في احترام الأوثان التي يصنعونها ثم يقدسونها ويقفون أمامها خاشعين .

رب قائل يقول . هذا المعنى بعيد عن عقيدة المسلمين . نعم هو بعيد الآن ولكن الاسلام لا يشرع لعصر أو عصرين انما يشرع للأجيال كلها وفي أرجاء الدنيا الى قيام الساعة فاحتاط بشدة حتى لا يتسرب الى العقول في عصر من العصور نوع من أنواع الشرك ولو بحسن نية . خاصة وأن ما يعتبر مستحيلا في عصر قد يصبح واقعا مألوفا في عصر آخر سواءكان قريبا أم بعيدا ـ الأصنام التي كان يعبدها المشركون أصلها صور للموتى والصالحين اتخذوها تخليدا لذكراهم وبعد زمن طويل عبدوها من دون الله ولهذا فالاسلام على حق حين يسد هذا الباب نهائيا .

أما تبرير هذا بأنه تخليد للعظماء والأبطال . فنحن لا ننكر خدماتهم للدولة والتاريخ ولكن التخليد لا يكون بأمر محرم وانما بالكتابة عنهم مثلا وتأليف كتب في سيرتهم بدراسة تاريخهم والرسول صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الخلق لم يخلد بصور مادية وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم ما نحت المسلمون لهم تماثيل ولكن سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه محفوظة في الصدور مسطورة في الكتب منذ خمسة عشر قرنا من الزمن . لا تتخذوا المحرم وسيلة ايضاح وربوا الشباب تربية اسلامية رشيدة ، ساعدوهم على سلامة العقيدة وحسن العبادة .

والله معكم في أداء هذه الرسالة .

من أخبار الوزارة

○ وفد إسلامي سوفيتي يزور الكويت

زار الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وفد إسلامي سوفييتي يرأسه السيد محمود هسكيف . وقد قام الوفد في ١٢ محرم ١٤٠٤ بزيارة لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حيث كان في استقباله وكيل الوزارة السيد محمد ناصر الحمضان ، ثم قام الوفد بزيارة لمجلة الوعي الاسلامي واطلع على سير العمل فيها ، كما زار ايضا مقر الموسوعة الفقهية وبعض ادارات الوزارة .

○ الحمضان يترأس اجتماع لجنة التخطيط بالوزارة

عقدت لجنة التخطيط بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في ١٢ محرم اجتماعها الثاني برئاسة وكيل الوزارة السيد محمد ناصر الحمضان وبحضور كافة الوكلاء المساعدين ومدراء الادارات حيث تم استكمال بحث الخطوات التي تم تنفيذها من قبل الادارات بالوزارة فيما يتعلق بميزانية الوزارة المقبلة لعام ٨٤ ـ ٨٥ .

هذا وكان من أبرز القرارات التي اتخذت في الاجتماع تشكيل لجنة فرعية برئاسة وكيل الوزارة المساعد للشؤون الادارية والمالية السيد محمد ماجد الصقر وذلك لمناقشة ميزانية كل ادارة بمفردها تمهيدا لعرضها على لجنة التخطيط خلال اجتماعها المقبل .

○ إقبال عظيم على تعلم القرآن الكريم

ذكرت مصادر إدارة الدراسات الاسلامية بالوزارة أن أعداداً وفيرة من جميع المستويات من الرجال والنساء تقبل على التسجيل في فروع دار القرآن الكريم ، ومراكز النساء رغبة في حفظ القرآن الكريم ، وحسن ترتيله ، وفقه معانيه ، وكذلك لتلقي الدراسات الاسلامية وعلوم العربية ... وقد بدأت الدراسة في ٧/محرم في دار القرآن الكريم الاسلامية وفروعها ومعهد الدراسات الاسلامية .

هذا وسوف يتم بالاتفاق مع وزارة الداخلية افتتاح فرع للدار في وقت قريب في السجن المركزي .

مع الصحافة

عادت حرب الخليج في الشهر الماضي إلى بؤرة الاهتمام في الصحف العربية والعالمية مع قدوم طائرات سوبر ايتندار الفرنسية إلى العراق ، حتى لقد حجب الاهتمام بهذه الحرب في بعض الأحيان جانبا مما يحدث في لبنان ، على خطورته وأهميته ، فهناك في طرابلس يتربص الفلسطينيون متوجسين من المصير الذي ينتظرهم ، بعد أن تم ترحيلهم من موقع إلى آخر حتى حصروا في الزاوية الشمالية من لبنان . وعلى صعيد الوفاق السياسي ، في لبنان ايضا ، تتعثر خطوات المفاوضة بين الاطراف المتنازعة حتى على مكان عقد الاجتماعات ، مما يدل على التعنت الذي ينطوي عليه موقف كل منهم منذ المراحل التمهيدية للتفاوض ، وهذا ما يجعل وقف إطلاق النار بينهم مسألة هشة سريعة السقوط .

○ عن حرب الخليج ○

يعتقد معظم المحللين بأن حرب الخليج تقف الآن أمام منعطف جديد ، فقد تتطور أوضاع الحرب ويتسع مدى الصراع ليشمل قوى أخرى إقليمية أو دولية ، وقد يحدث العكس فتهدأ ثائرة الحرب نظراً لما يتوقعه الطرفان المتنازعان من مخاطر جسيمة قد تنجم عن ازدياد حدة الصراع بينهما . والواقع أن الانعكاسات الدولية لأي تطور في حرب الخليج ترجع إلى ما للدول الغربية واليابان وأمريكا من مصالح اقتصادية وسياسية في هذه المنطقة . ففرنسا دائنة للعراق بمبالغ ضخمة قدرتها بعض التقارير بأربعين مليار فرنك فرنسي ، وبريطانيا وألمانيا الغربية وإيطاليا واليابان تبيع إيران سنويا بمعدل ستة مليارات دولار ، وتستورد منها نسبة من استهلاكها النفطي ، ولذلك فهي تحسب كل حساب خشية أن يحدث إغلاق مضيق هرمز ، هذا الشريان الحيوي للاقتصاد الغربي .

حول آخر تطورات حرب الخليج نشرت « لونوفيل اوبسرفاتور » الفرنسية مقالا في أواخر ذي الحجة جاء فيه :

طائرات سوبر ـ اتندار الخمس المجهزة بصواريخ اكزوسيت ١ ـ ام ـ ٣٩ ستصل للعراق

من فرنسا في صناديق تحمل قطع غيار واجزاء الطائرات،وهذا يعني أن شهراً سيمر على الأقل قبل أن تصبح الطائرات جاهزة للعمل . وبانتظار ذلك يلتقط العالم انفاسه لأنه إذا نفذ العراقيون والإيرانيون تهديداتهم فان العالم سيشهد أزمة نفطية أسوأ بكثير من ازمة ١٩٧٣ .

في ٢٠ تموز الماضي صرح طارق عزيز الشخصية الثانية في العراق بانه : ما ان تصل طائرات سوبر اتندار حتى تقصف المصبات النفطية . ورد الايرانيون : إذا حاولت الطائرات التابعة للسلطات الفرنسية ضرب اقتصادنا فسنرد بنفس الطريقة .. إننا نمسك بمفتاح الخليج وهو مفتاح قادر على اشعال اقتصاد العالم او إطفائه . وباختصار فإن طهران،لترد على هجمات محتملة من جانب هذه الطائرات الفرنسية للعراق،ستغلق مضيق هرمز الذي تمر منه معظم كميات النفط المصدر للعالم من الخليج،وفي حالة كهذه لن تلبث اوروبا أن تواجه ازمة اختناق نفطي،بينما تبدأ دول الخليج بمواجهة المشاكل،وعند ذلك قد تتدخل الولايات المتحدة . هل هذا سيناريو متشائم ؟ إن الاميركيين يخشونه،وقد ابلغوا ذلك لفرنسا،وكذلك فعلت بريطانيا والمانيا الغربية واليابان التي تخشى ازمات اقتصادية اكثر منها استراتيجية.وردت فرنسا آنذاك بان عليها ان تفي بتنفيذ عقودها وإلا فقدت كل مصداقية امام زبائنها في العالم،وقد قبلت فرنسا اتخاذ عدد من الاحتياطات أولها إرسال الطائرات اجزاء مفككة،لإعطاء الدبلوماسية مجالا للتحرك قرابة شهر بين العراق وايران . وثانيها ان فرنسا احتفظت لنفسها بحق تقديم قطع الغيار اللازمة للطائرات بكميات وتوقيت تحدده هي وحدها .

واخيرا طمانت فرنسا حلفاءها بانها اقنعت العراقيين باستخدام الثنائي سوبر اتندار ـ اكزوسيت بصورة ذكية؛اي كسلاح رادع اساسا لإفهام إيران بانها لن تربح الحرب في اية حالة من الاحوال دون أن تخسر مصباتها النفطية في جزيرة خرج حيث تتم تعبئة مليوني برميل من النفط في اليوم للتصدير . إذاً من مصلحة ايران ان تفاوض والحسابات الفرنسية هي كما يلي : لقد فقد العراق الذي بدأ الحرب قبل ثلاث سنوات الكثير من الضحايا وفقد منشاته النفطية بعد أن كان ثالث دولة مصدرة للنفط في العالم ،

وبعد أن قدمت السعودية له ٧٥ مليار دولار منذ ١٩٨٠ اصبح من الصعب عليها الاستمرار بعد أن خفضت انتاجها بمقدار الثلث،وهكذا فان العراق يريد إنهاء الحرب .

توجد اسباب تفسر الموقف الفرنسي : فالعراق ذو الموارد الاقتصادية الهائلة كان يتلقى عونا من فرنسا،وكان يدفع ثمن مشترياته نقدا،ولكن الدين العراقي صار ٣٥ مليار فرنك فرنسي ، تريد فرنسا استردادها .

كشفت تصريحات عدد من المسؤولين الفلسطينيين وغير الفلسطينيين صورة واضحة،الى حد كبير،لواقع ما آلت إليه أوضاع المقاومة الفلسطينية،مما يغنينا عن التفصيل في الحديث . وقد نشرت صحيفة الوطن الكويتية في الثالث من محرم مقالا حول أزمة الثورة الفلسطينية جاء فيه :

لم تعد ازمة فتح مجرد خلافات بين قيادات هذه الحركة سواء على استراتيجيتها او على اشخاص قياداتها .. وإنما بات واضحا انها ازمة المقاومة الفلسطينية .. وزعامة منظمة التحرير التي تتولى امرها .

ولو كان الخلاف بين اشخاص ياسر عرفات ، وابو موسى وابو صالح وابو .. وابو .. لانحلت الأزمة حتى لو كان حلها عن طريق ا نشطار الحركة إلى مجموعة حركات ، كما حدث في عام ١٩٦٨ وعام ١٩٦٩ عندما خرجت من رحم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش ـ الجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة والقيادة العامة بقيادة احمد جبريل ، ولم تطلب القيادتان الجديدتان يومذاك راس زعيم الجبهة وقائد حركة القوميين العرب التي انبثقت عنها الجبهة جورج حبش .

اما الآن فالخلاف الناشب بين صفوف فتح ، يستهدف كما هو واضح التصفية والحسم الدموي كما تزمزم الرعود في الافاق !

ولأن فتح كبرى حركات المقاومة الفلسطينية ولأن قيادتها تتولى في الوقت نفسه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية واجهزتها وقواتها المسلحة .. فقد كان من الأجدر ان يتسع مجالها الرحب لانشقاق جديد تبرز فيه شراذم قيادات صغيرة او كبيرة لتضيف إلى عدد المنظمات الفلسطينية الكبير مجموعة اخرى .

لكن الامر ليس كما يقال مجرد خلافات بين قيادات فتح .. إنما هو جزء من مخطط التصفية النهائية للثورة الفلسطينية .. وليعذرنا المتخاصمون في نطاق فتح ، عندما يذهب بنا الظن إلى تصور ان ما حدث ولا يزال يحدث على ساحة فتح إنما هو تامر على الثورة الفلسطينية ذاتها ، يلعب فيه بعض الاشخاص دور احجار الشطرنج سواء عرفوا ذلك ام لم يعرفوه ، وسواء كانوا يدركون خطورة ما يفعلون ام لم يدركوا ، وسواء قاموا بما قاموا به بحسن نية او وفق مخطط مبيت ..

ولا ندري إن كان سيتوقف ولو مؤقتا تنفيذ مخطط إبعاد الثورة الفلسطينية عن الساحة العربية .

وقد بدأ في العام التالي لمعركة الكرامة في عام ١٩٦٨ .. وطوردت الثورة في كل موقع عربي .. حتى حقق الغزو الاسرائيلي للبنان إخراجها من بيروت في عام ١٩٨٢ ، وحتى أزفت في عام ١٩٨٣ ساعة الحسم على ما يبدو للإجهاز على فتح تمهيدا للإجهاز على منظمة التحرير الفلسطينية .

○ عن الوفاق اللبناني

نشرت مجلة (الايكونومست) البريطانية في مطلع محرم مقالا عن آخر تطورات الوفاق اللبناني جاء فيه :

إذا ما أريد للبنان أن ينتقل من حالة وقف إطلاق النار المتوترة إلى سلام دائم ، فإن على الذين يتولون صنع السلام فيه أن يتذكروا أن « الازمة اللبنانية » تتالف من جزاين منفصلين ، أحدهما يحتاج إلى علاج متطرف ، أما الثاني فيحتاج إلى لمسة خفيفة . وإذا ما حصل تشابك بين الجزاين ، فان العملية كلها قد تفشل .

أما الجزء الذي يحتاج إلى علاج متطرف فهو المتعلق بعملية المصالحة الوطنية الداخلية . ذلك أن التميز الذي ظلت الطائفة المارونية تحتفظ به منذ أربعين عاما قد مات

بالتاكيد ، إذ قتلته فوارق معدلات الولادة بين طوائف لبنان المختلفة ، والاختلال الذي حصل في ميزان القوة نتيجة لذلك . وباستثناء الموارنة المتشددين فإن جميع اللبنانيين متفقون على ضرورة إعادة توزيع السلطة السياسية على ضوء التغير الذي حصل في حجم الطوائف اللبنانية المختلفة . وتحقيق التوزيع الجديد للسلطة يحتاج الى وقت ، وحذق ، والكثير من الانضباط الذاتي الذي اظهر اللبنانيون مؤخرا افتقارهم اليه .

وإذا زادت المطالبة بالتغيير عن الحد المعقول ، فإن الموارنة سينكفئون على أنفسهم ، ويستقلون بكيان خاص بهم ، يتالف من نصف بيروت وتلك القطعة من لبنان الواقعة إلى الشمال من العاصمة .

وإذا ما أخذت مقاومة التغيير طابع العناد الشديد ، فإن الدروز الذين انتهوا لتوهم من حرب ناجحة شنوها للاحتفاظ بموطنهم الشوف ، قد يستقلون هم كذلك بدويلتهم ، التي سيكون من متطلباتها منفذ الى البحر،ياخذونه من المنطقة التي يهيمن عليها الشيعة في جنوب بيروت . وعندها لن تكون المسالة إعادة توحيد لبنان ؛ وانما مع وجود الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان ، والجيش السوري في شماله وشرقه ، ستكون المسالة ما إذا كان لبنان سيتجزا إلى ثلاثة أجزاء او أربعة أو خمسة . وأية تعقيدات جديدة تضاف الى المفاوضات اللبنانية الداخلية متعددة الأطراف من شانها أن تجعل اضمحلال لبنان وتجزئته إلى كيانات متعددة أكثر احتمالا .

والتعقيدات التي تهدد مستقبل لبنان تاتي من الجزء الثاني ، وهو المتعلق بعلاقاته مع إسرائيل .

أما صحيفة (الأوبزرفر) فقد نشرت في أواخر ذي الحجة مقالاً عرضت فيه تغيّر السياسة الامريكية تجاه لبنان جاء فيه :

قبل أيام فقط كانت السياسة الاميركية في لبنان تقوم على أساس دعم حكومة الرئيس الجميل التي يهيمن عليها الموارنة،ومحاولة إقناع سورية بالقوة المسلحة الكفَّ عن مناصرتها لخصوم الرئيس اللبناني وعرقلة الاتفاق اللبناني مع اسرائيل .

إلا ان السياسة الاميركية تغيرت تماما الآن ، ففي الوقت الذي مازالت اميركا تقدم الحماية للرئيس اللبناني فإنهاتمارس عليه ضغطالتقديم تنازلات فيما يتعلق باقتسام السلطة مع المسلمين في لبنان،مع ما يعني ذلك من قبول تقليص الدور الماروني في البلاد .

والاكثر من هذا إثارة للدهشة أن الموقف الاميركي المتصلب تجاه سورية أصبح اكثر اعتدالا،وتحول إلى اعتراف من قبل الولايات المتحدة بالنفوذ السوري في لبنان كحقيقة واقعة يجب أخذها بالحسبان .

ومع أن الولايات المتحدة تقف رسميا مع الاتفاقية اللبنانية الاسرائيلية التي تم التوصل اليها بتاريخ ١٧/٥/١٩٨٣ ، إلا أن مسؤولين كباراً في كل من واشنطن وبيروت يعترفون سرا بان الاتفاقية أصبحت مجرد حبر على ورق وأن مجموعة الوقائع الجديدة قد ادت الى إلغائها فعلياً .

وقد جاء تصريح وزير الخارجية الاميركي جورج شولتز الأسبوع الماضي ليؤكد الموقف الأميركي الجديد عندما طالب بإعطاء مسلمي لبنان دورًا اكبر في إدارة شؤون البلاد ، وقد امتازت ردة فعل الموارنة بالغضب حيال ما يدعونه باتفاق اميركي سوري على تحجيم لبنان الى دويلة تسير في فلك سوريا ، كما تكلم والد الرئيس ومؤسس الكتائب بيير الجميل بمرارة عن خيانة الاميركيين له .

○ عن تشاد

نشرت صحيفة الديلي تلغراف في أوائل المحرم مقالاً عن التدخل الدولي في تشاد وبخاصة الموقف الفرنسي جاء فيه :

من الواضح أن الرئيس الفرنسي ميتران يامل أن يتمكن مؤتمر القمة الافريقي الفرنسي العاشر المعقود حاليا في مدينة فيتيل الفرنسية الشهيرة بمياهها المعدنية ، من تمهيد الطريق لانسحاب فرنسي مبكر من تشاد،حيث يرابط هناك الآن ثلاثة آلاف جندي فرنسي، يدعمون حكم الرئيس حسين حبري،الذي تقلصت سلطته لتقتصر على جنوب تشاد،بينما يسيطر خصمه الرئيس السابق جوكوني عويدي على الشطر الشمالي من البلاد،بدعم ليبي . ومن الناحية العسكرية،الوضع في تشاد هادىء الآن،حيث يرابط كل طرف على المواقع التي وصل اليها قبل شهور،في وقت ترفض القوات الفرنسية الاشتراك في عمليات هجومية،لطرد قوات المتمرد عويدي باتجاه الشمال،بالرغم من الضغوط التي تتعرض لها فرنسا من قبل واشنطن والرئيس التشادي حسين حبري بهذا الشان .

ما فعلته فرنسا حتى الآن هو إنقاذ حسين حبري وقواته من الانهيار في وجه الهجمات القوية التي شنها خصمه عويدي بدعم ليبي ، ولا يبدو أن القوات الليبية راغبة في التورط بقتال ضد الفرنسيين في تشاد،لأنها ستخسر بالتاكيد . فالتدخل الفرنسي جاء بعد تردد وبعد تعرض الرئيس الفرنسي لضغوط كبيرة من الادارة الاميركية،التي هددته بالتدخل المباشر بدلا عنه،اذا لم يرسل قواته هناك لحماية حليف الغرب حسين حبري . ولم يرضخ الرئيس ميتران إلا لإدراكه أن التدخل الاميركي في تشاد يعني تهديد مصالح فرنسا ودورها التقليدي في القارة الافريقية،وكذلك حفاظاً على مصداقيتها أمام الدول الافريقية الحليفة الأخرى .

من الناحية السياسية لم يتسبب التدخل الفرنسي باية نتائج سلبية على فرنسا ، وكذلك من الناحية العسكرية لم تخسر القوات الفرنسية جندياً واحداً هناك حتى الآن . والمطلوب الآن هو إجراء مصالحة سياسية في تلك البلاد التي مزقتها الحروب الداخلية منذ استقلالها عن فرنسا عام ١٩٦٠ . وتفيد الأنباء أن حسين حبري أبدى استعداداً طيباً لمحاورة خصومه بما فيهم عويدي،وحتى الزعيم الليبي نقل عنه ترحيب بإجراء تفاوض بين الجانبين المتحاربين .

ولكن المصالحة هذه ستاخذ وقتا طويلا مما يعني أن أي انسحاب مبكر للقوات الفرنسية من تشاد سيترك فراغا خطيرا،قد تستغله ليبيا وتدفع بقوات حليفها عويدي نحو الجنوب . وعليه فان هناك تفكيرا بانشاء قوة افريقية لحفظ السلام،تكون تابعة لمنظمة الوحدة الافريقية،وترسل الى تشاد .

ولكن التجربة أثبتت عدم جدوى مثل هذه الخطة ، وان التوصل لاتفاق سياسي في هذه البلاد لن يكون بهذه السهولة . فقوة حفظ السلام الافريقية السابقة التي تم تشكيلها من قوات نيجيرية وزائيرية لتحل وقتها محل القوات الليبية لم تنجح في مهمتها،واضطرت للانسحاب مبكرا بعد أن دبت الخلافات السياسية بين البلدين المشتركين فيها ، وانسحبت هذه القوات،بعد ان زرعت بذور الفرقة والصراع الحالي الذي تشهده البلاد . وعليه يخشى ان يعيد التاريخ نفسه من جديد .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	: القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	: الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	: الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	: الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	: الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	: بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	: عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	: جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧) الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠) الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢) المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	: مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	: دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	: دار الهلال
قطر	: دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	: المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	: دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد

مجلة الوعي الاسلامي ـ ص .ب (٢٣٦٦٧) دولة الكويت
KUWAIT

طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣١/ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ ديسمبر/يناير ١٩٨٤م .



منظر داخلي لمسجد الشيخ ناصر بالسالمية - الكويت

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا ترجعوا بعدي كفاراً

يضرب بعضكم رقاب بعض

أخرجه البخاري

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣١/ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ ديسمبر/يناير ١٩٨٤م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة الوعي

دروس في ذكرى المولد

كلما وافى المسلمين شهر ربيع الأول من كل عام أقاموا احتفالات تختلف صورها ويتفاوت مظهرها تبعا للعادات الموروثة ، والتقاليد المألوفة ، تعبيرا عن الفرحة بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكأنها امتداد لفرحة واكبت مولده صلى الله عليه وسلم اذ جاء معه الفرج بعد الكرب بعد أزمة اعتصرت قلوب قريش بالهم والأسى والألم لحدث مزعج لم يكن في الحسبان حين تأكدوا من زحف جيش لا قبل لهم به تحرك من اليمن تحت قيادة أبرهة الحبشي وراعهم أنه يملك آلة حرب

لا عهد للعرب بها،يملك فيلا ضخما لا تؤثر فيه السيوف ولا تناله الرماح يقود أفيالا أخرى لهدم الكعبة،محور حياة قريش ومناط عز العرب جميعا ، وهذا العدوان الآثم . كان لصرف الناس عن الكعبة المشرفة الى كنيسة مشيدة في اليمن ووصلت طلائع الجيش الزاحف الى مكة وقد استبد به الغرور لعلمه أن قريشا لن تدخل هذه الحرب غير المتكافئة ، وتعلق عبد المطلب وهو سيد قريش بحلقات بباب الكعبة مستغيثا برب البيت فشاءت إرادة الله أن ترد كيد المعتدين الطغاة فأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . وبقيت الكعبة رفيعة المكان عظيمة الشأن وبقيت مكة حرم الله الآمن . وبينما قريش تنحر الذبائح وتقيم الولائم أشرق من بيت آمنة نور موصول بالسماء وولد النبي الأكرم فامتزجت فرحة الميلاد بفرحة النصر وانطلق به عبد المطلب يحمله في لفائفه الى الكعبة شاكرا لله الذي عوضه خيرا وسماه محمدا رجاء ان يحمد في السماء وفي الأرض وهكذا كان لميلاده بهجة غامرة من قديم الزمن .

نعم في ظلمات من الجهل وفوضى لا مثيل لها في الحياة،أشرق النور المحمدي يبدد ظلام الشرك ويحرر العقول من الجمود والأغلال حيث قدمته العناية الالهية الى البشرية الضالة والانسانية المعذبة رسول خير ورحمة فهداها من ضلال وانقذها من حيرة بمنهج أخرج الناس من الظلمات الى النور .

ومما لاشك فيه أن هذه المناسبة الكريمة تهز المشاعر وتؤكد الشوق والوفاء وتجدد الحب والولاء لسيد الخلق وامام الأنبياء ولكن أمام جلال هذه الذكرى لا ينبغي أن تكون الحفاوة بها أمرا ألفه الناس بموائد تقام أو ابتهالات تذاع أو بمضاعفة أضواء ورفع أعلام كما لا ينبغي الاقتصار على اجتماعات وقتية تلقى فيها الكلمات دون أن تأخذ طريقها الى القلوب والعقول ومن غير أن يكون لها أثر يظهر في العقيدة والسلوك والأخلاق والمعاملة .

كم في السيرة المحمدية من دروس لو وعاها المسلمون لاستعادوا أمجادهم وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس . والأمة وهي تتلمس طريق الخلاص في وضعها الجديد مهما بحثت عن مثل أعلى يحقق لها الحياة الكريمة فلن تجد ذلك الا في الاقتداء بنبيها الكريم وصدق الله

العظيم . (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

وبقليل من التأمل في سيرته نجد فيها دعوة التعاطف والتراحم فقد ولد يتيما لاضنا من القدر بوالديه ولكن ليرى الناس في اليتيم عبقرية لم تكن معروفة في اليتامى من قبل ولتتحول قسوة القلوب على اليتيم الى رحمة تعوضه ما فقده من حب وحنان وتنسيه مرارة الذل والحرمان .

ولذا صرح القرآن الكريم بتعظيم شأن اليتامى وحمايتهم من الضياع وصيانتهم من الاطماع حين قال الله تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه باليتامى خيرا حتى أنقذ فئة عريضة في المجتمع من طمع الأوصياء واستبداد الأولياء ونبه الناس الى شرف اليتيم ودعاهم الى تكريمه وحبه واحترامه .

ثم عاش النبي الأكرم فقيرا وكان يستطيع أن يملك ذهب الأرض وكنوزها ولكن الله أراده قدوة للفقراء يربيهم على المنهج الذي يبرز شرف الفقير وكرامته .

كان في مسكنه المتواضع يأبى زينة الملوك وحياة القصور .

كان ينام على الحصير ويحتقر متاع الدنيا طمعا في نعيم متجدد لا يفنى ولا يزول .

مرت عليه أيام لا يملك فيها قوت يومه ولكنه كان يملك في بيته تسعة أنواع من الأسلحة يخوض بها المعارك وينازل بها الأعداء،وضع المشركون بين يديه الدنيا مالا وملكا ورئاسة فما التفت الى هذه العروض بما فيها من اغراء لأنه يحمل أمانة خيرا من الدنيا وما فيها وقد تأثر بهذا المنهج رجال ونساء شرفوا الحياة بهامات مرفوعة ونفوس أبية وعاش المؤمن مع قلة المال لا ينافق الاغنياء لأن رزقه في كفالة أغنى الأغنياء ولا يرهب الأقوياء لأنه مع أقوى الأقوياء التزم بذلك الرجال المؤمنون والنساء المؤمنات وسجل التاريخ كلمات خالدة عن امرأة اطمأنت الى رعاية الله يوم جاءها المعوقون يخوفونها من خروج زوجها للقتال مجاهدا ومن خلفه أطفال صغار لم يترك لهم متاعا ولا مالا قالت لهم: ان زوجي عرفته أكالا وما عرفته رزاقا وان ذهب الأكال فقد بقي

الرزاق سبحانه .

وكما رسم صاحب الذكرى للفقراء أسلوب العزة والكرامة نبه القلوب الغافلة الى الاكباد الجائعة ليربط الأغنياء مع الفقراء برباط التآلف والحب والتراحم في مجتمع نقي من المنة في العطاء والحقد على الأغنياء .

نعم خير الأمة ورشادها في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم : يقتدي به الشباب في الاستقامة وشرف السلوك فقد نشأ صلى الله عليه وسلم عفا نظيفا لم يتورط فيما تورط فيه شباب مكة من لهو أو سمر - يقتدي به المسلمون في صدقه وأمانته فقد كان من صغره يدعى بالصادق الأمين يتأسى به العمال والأجراء فقد عمل بالأجر ورعى الغنم وتاجر لغيره بكل أمانة وصدق،أكل من عمل يده وعرق جبينه وأقر الكسب الشريف .

يهتدي بهديه التجار فقد حذر من الغش والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل .

يسير على دربه الدعاة حيث دعا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى جمع القوى وألف القلوب .

يتعلم منه القضاة والحكام مناهج الانصاف والعدالة لا يرده عن ذلك قرابة أو صلة وهو القائل:لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

يتعلم منه الضباط وقادة الحروب نظام الدفاع وادارة المعارك،كان شجاعا يتفقد الجند ويتقدم الصفوف كما كان في مفاوضاته ومعاهداته مثالا للذمة والوفاء .

بانتصاره على مؤامرة الحصار والمقاطعة يعلمنا مواجهة الشدائد وقهر التحدي بالايمان وشرف الصمود .

كم في السيرة المحمدية من دروس وعبر تعتبر منارات تنير الطريق وتهدي الحيارى وتصحح مسيرة الأمة على بينة وبصيرة مادامت تنشد شرف الحياة ونعيم الآخرة .

أعاد الله هذه الذكرى على المسلمين وقد ردهم الى دينهم وأتاهم نصره المبين . وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

رئيس التحرير

حسن فناع

علم وبيان

الآيتان ٤٥ و٤٦ من

يقول قرآن ربنا العظيم .. بنصه الحكيم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها النبيُ إنّا أرسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً الى اللّهِ بإذْنِهِ وَسِراجاً منيراً »

صدق الله العظيم
٤٥ و٤٦ سورة الأحزاب

والشاهد ... هو من شاهد شيئا فشهد به .. وهو من يؤيد حقا ويؤكد صدقا فيشهد له .. ويستنكر باطلا .. ويرفض ضلالا .. فيشهد عليه .. وقد تكرر ذكر نبينا المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين عليه وعلى مَنْ سبقه مِنَ الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام من ربِّ العالمين .. بصفته شاهدا وبهذا اللفظ في آيات ثلاث شريفة كريمة هي :

« يا أيّها النّبيُّ إنّا أرَسَلْناكَ شاهداً وَمُبشّراً وَنَذيراً » ٤٥ سورة الأحزاب .

« إنّا أرسلناكَ شاهداً وَمُبَشّراً

من آيات القرآن

محمد مؤذن

سورة الأحزاب

للأستاذ / عبد الرزاق نوفل

وَنَذيرًا » ٨ سورة الفتح .
« إنّا ارسَلْنا إليْكُم رَسولاً شاهداً عَلَيْكُم » ١٥ سورة المزمل .

والمتدبر لهايجد أن بالآيتين الأوليين جاء اللفظ عاما ومطلقا ليشمل كل أنواع وأهداف الشهادة .. بينما في الآية الثالثة جاء على أنه شاهد على الكفار والعصاة .. اصرارهم على كفرهم واستمرارهم في عصيانهم ، رغم نزول القرآن لهم مع غيرهم ..كما أرسل الله لقوم فرعون وكانوا كفارا وعصاة رسولا لهم .. بنص الآية الشريفة الكاملة :

« إنا ارسَلْنا إليكُم رسولاً شاهداً عليكُم كما ارسَلْنا إلى فِرْعَونَ رسولاً » ١٥ سورة المزمل .

بل انه صلى الله عليه وسلم سيكون شاهدا على كل من كفروا وعصوا انبياء الله لهم،بعد أن يشهد على كل

قوم نبيهم ورسولهم، فهو صلى الله عليه وسلم الشهيد على كل هؤلاء وذلك بالنص الشريف :

« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ٤١ سورة النساء .

وتتكرر هذه الحقيقة بالنص الكريم :

« ويومَ نَبْعَثُ في كلّ أمةٍ شهيداً عَلَيْهِمْ مِنْ انْفُسِهِمْ وَجِئْنا بكَ شهيدا على هؤلاءِ» ٨٩ سورة النحل .

ولقد أثبت العلم أن الصوت .. كل صوت .. وأي صوت انما هو اهتزاز في الهواء أحدث ذبذبات يتكون منها ويسمع بها .. وأن هذه الذبذبات أي الأصوات .. لا تتبدد ولا تفنى .. وانها باقية في الكون ما بقي محفوظة فيه فلا تنمحي .. ولذلك فانه على أساس هذه الحقيقة العلمية نسمع من يتحدث من أي جهة في العالم مهما كان بعده عنا عن طريق الراديو اذ يلتقط عنا هذه الأصوات الموجودة دائما وأبدا في أي زمان .. ومن أي مكان .. اذ يكفي أن تدير الجهاز وقد يكون تحت غطائك وقد أحكمت إغلاق النوافذ والأبواب فتسمع من كل بلد قصي وبعيد أو بالجوار القريب .. صوت المتحدث الفوري كأنه أمامك أو بجوارك، ويبحث العلماء حاليا في كدّ وجدّ واجتهاد محاولات التقاط أصوات الأمس، واذا وفقهم الله .. فانهم يعودون الى بحث ما هو أبعد الى أيام الرسل والأنبياء .. وعن طريق كلمة من بين الأصوات نعرف أنها صوت النبي فيتجهون اليها بالقياس والرصد والتسجيل حتى يمكنهم التقاط كل ما قاله النبي في حياته .. وسيكون ذلك نصرا عظيما .. وفتحا مبينا .. اذ سيعرف الناس أن كل نبي أو رسول انما بشّر قومه بالنبي الخاتم والرسول الآخر .. وأنه صلى الله عليه وسلم قال حقا .. كل الحق — ونطق صدقا .. كل الصدق .. وهكذا فان كل قول ينطق به الانسان انما يسطر في الوجود كما هو .. بحرفه ونصه .. ودرجته ، صدق قرآن ربنا العظيم وهو يسبق العلم فيقول في نصه الحكيم :

« ما يلفظ من قولٍ إلا لَدَيْهِ رقيبٌ عتيدٌ » ١٨ سورة ق .

وأما الصورة فانها ومضات ضوئية تسجل الى الأبد وتبقى هي الأخرى في الكون لا تغيير فيها.. ولا ازالة لها .. ولقد تمكن العلماء أخيرا من تصوير أحداث وحوادث بعد وقوعها ببضع ساعات .. أما ما يبحثونه حاليا فهو امكانية توغلهم بأجهزتهم التصويرية التسجيلية في الزمان .. لتصوير ما كان من الأقوام وأنبيائهم ، والرسل وأتباعهم .

ولذلك فان كل قول من الانسان ، وكل عمل له ، انما سيراه ويسمعه بنفسه لانه محفوظ ولو أنه مستور .. الى يوم البعث والنشور صدق قرآن ربنا العظيم الذي يسبق العلم في ذلك بقوله الحكيم :

« وكل إنسان ألزمناهُ طائرَهُ في عُنقهِ ونُخرجُ لهُ يومَ القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً . اقرأ كتابكَ كفى بنفسكَ اليومَ عليكَ حسيباً » . ١٣ ـ ١٤ سورة الاسراء .

لقد أوضح العلم لنا بعض الجوانب المشرقة من قول قرآن ربنا الكريم بنصه العظيم :

« وَوُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مشفقين ممّا فيهِ ويقولونَ يا ويلتنا مالِ هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلمُ ربك أحداً » ٤٩ سورة الكهف .

اذ تقرر الآية الكريمة أن الفعل نفسه سيكون معروضا لا بصورته ولكن بحقيقته .. أي أن الانسان سيقوم بكل سابق عمله أمام الخلق أجمعين وأمام رب العالمين . والناس شهود عليه .. وان كان لكل انسان شأن يغنيه .. وأمر يلهيه .. فإن رسول الله .. الذي أرسله الله للناس جميعا .. لا بدّ سيكون الشاهد .. الذي يشهد لهم .. أو يشهد عليهم ، ويشهد ما كان عليه كل مسلم من قومه .. أمام الملائكة المختارين .. وفي حضرة الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين .. لذلك ما أعظم وأجمل ما يجب أن ندعو الله به .. مما علّمَنا الله وأنزله لنا في النص الكريم :

« رَبّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ وَلاتخْزِنا يَومَ القِيامَةِ إنّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ » ١٩٤ سورة آل عمران .

وما أكرم وأفضل ما وعد الله سبحانه وتعالى : نبيه صلى الله عليه وسلم ومن آمنوا معه . بما جاء في النص الشريف :

« يومَ لا يخزِي اللهُ النبيَّ والذين أمنوا معَه' » ٨ سورة التحريم .

وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست قاصرة على الآخرة .. بل انها في الدنيا قبل الآخرة ، فلقد أطلقت الآيات لفظ الشاهد ليكون عاما ، فيشمل الدنيا والآخرة كما أن النص قد أورد مع الشاهد لفظ البشير والنذير ، وهما يختصان بالحياة الدنيا حيث أن الفرصة متاحة للإنسان أن يستزيد من العمل الصالح ، وأن ينتهي عن عمل السوء والضلال .. ولقد بَشّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اذا التزموا بما يجعلهم من المؤمنين ، وأنذرهم اذا عصوا بما يجعلهم من الكافرين .. بشرهم وأنذرهم بما تلاه عليهم من آيات قرآن ربه العظيم بوحيه الكريم وبنصه الحكيم .. ولا زال وسيظل بين أيدي الناس في كل زمان .. وكل مكان .. وحتى قيام الساعة قرآن رَبّهم المجيد ... يستمعون منه ويعلمون عنه ما هو بشير .. وما هو نذير .. فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الشاهد والبشير والنذير .. في الدنيا ... علاوة على أنه الشاهد في الآخرة .

ولما كان الشاهد هو من يؤيد الحق ويؤكد الصدق .. وهو الآية والبيان والدليل والبرهان.. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هو الشاهد من الأنبياء والرسل . بل هو الشاهد الوحيد والثبت الأكيد .. وهذا حق واقع .. وصدق قاطع .. فإن الملاحدة والماديين وهم يرفضون الدين

أي دين وكل دين .. يشككون في وجود الأنبياء والمرسلين .. فيتساءلون ما الدليل على وجود سيدنا موسى .. أو وجود سيدنا عيسى في زمانه وبين قومه وفي مكانه وليس لأي منهما بل ولا ممن قبلهما .. قبر يمكن السير اليه .. ولا أثر معلوم يمكن الاعتماد عليه .. فلا حديث عن قبر يضم رفات سيدنا موسى على سبيل التأكيد وأما سيدنا عيسى فإن قبره وجد خاليا لا أثر له فيه وكل ما قيل عن ذلك أنكره حتى بعض اتباعه كما يقول المؤرخ العالمي .. هـ .ج . ويلز في موسوعته « معالم تاريخ الانسانية » تحت عنوان « صلب يسوع الناصري » ما نصه : « ولم يكن بُدٌّ من أن يحاول بسطاء المؤمنين أن يهولوا في عنف الذعر من هذه المأساة بأقاصيص سخيفة عن اضطرابات أَلَمَّتْ بالطبيعة تشابه تلك التي اختلقت لتوكيد اهتداء جوتاما الى الطريق السوي، فإنهم يخبروننا أن ظلمة عظيمة قد غشيت الأرض وأن ستار الهيكل قد انشق شطرين .. ومن العسير علينا في هذه الأيام أن نُصدّق أن نظم الطبيعة قد سمحت لنفسها بالانغماس في مثل هذه التعليقات الجوفاء ، وقد غمرت أرواح التلاميذ زمانا مع ظلمات دامسة .. ثم ما لبثوا أن دبَّ بينهم تهامس ثم اقاصيص متناقضة أو تكاد بأن جسم يسوع ليس في القبر الذي وضع فيه وأن واحدا منهم ثم آخر قد رآه حيا وسرعان ما أخذوا يعزّون أنفسهم بالاعتقاد في أنه قد بعث من بين أهل القبور » .

أما محمد صلى الله عليه وسلم .. فوجوده مؤكد .. وأمره مؤيد، فبيته حيث ولد معروف، وطريقه حيث سار مألوف .. وكل ما قاله مكتوب منشور .. وكل ما فعله مُدَوَّنٌ مسطور، وقبره حيث دُفِنَ تشد الرحال اليه، وما تركه من قرآن هو وحي الله له، انما يُعتمد عليه ويُرجع اليه، دائما وأبدا، فهو بكل المقاييس ومن كافة نواحي الابحاث معجزة بل معجزات تفوق العدَّ والحصر .. لكل جيل .. ولكل زمان .. ولكل انسان في أي مكان وعلى أي مستوى من الثقافة أو المعرفة أو السن أياً كان .. فهو معجزة دائمة دائبة لا نهاية لها ولا إحاطة بها .. لذلك فإن شهادته .. وشهادة ما جاء به هي الدليل الذي لا يبارى .. والبرهان الذي لا يجارى .. فما يقوله ويشهد به هو الحق الكامل .. والصدق الشامل .. فيقول عن سيدنا موسى عليه السلام :

« **وَاذكرْ في الكتابِ موسى إنَّهُ كانَ مُخلَصاً وكان رسولاً نبياً . وناديناهُ مِنْ جانبِ الطورِ الأيْمَنِ وقَرَّبناهُ نجيّاً . ووهبنا لَهُ مِن رحمتِنا أخاهُ هارونَ نبيّاً** » ٥١ ـ٥٣ سورة مريم .

ويذكر اسمه في القرآن الكريم ١٣٦ مرة .

ويقول عن سيدنا عيسى عليه السلام :

« **إنّما المسيحُ عيسى ابن مريم رسولُ اللّهِ وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَريَمَ وروحٌ منهُ** » ١٧١ سورة النساء .

ويذكر اسمه ٣٦ مرة منها المسيح ١١ مرة .

بل ان اليهود عندما حَرّفوا التوراة وهو الكتاب الذي أوحى الله به لسيدنا موسى عليه السلام أضافوا اليها .. وحذفوا منها .. وبدّلوا فيها .. فلقد هاجم الملاحدة الأنبياء بما تذكره عنهم النسخ المتداولة حاليا ومنها ما جاء في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ونصه :

« وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه لنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها » الى أن تقول « فحبلت ابنتا لوط من أبيهما » .

وفي الاصحاح التاسع من سفر التكوين نجد النص :

« وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه »

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين نجد النص :

« ونظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها . فمال اليها على الطريق وقال هاتي ادخل عليك لأنه لم يعلم انهاكنته » .

فهل يمكن ان يزني الأنبياء ويشربوا الخمر ويأتوا المنكر ثم يدعون أقوامهم الى اجتنابها؟وكيف يستقيم الأمر وهم يدعون الى الخير ويقترفون الشر؟؟ لقد شهد محمد صلى الله عليه وسلم بما قاله من قرآن رَبّهِ الذي أوحاه إليه لهؤلاء الأنبياء شهادة الحق والصدق والعدل في مثل القول العظيم من النص الكريم عن لوط عليه السلام :

« ولوطاً آتيناهُ حُكْماً وعلماً ونجّيناهُ منَ القريةِ التي كانتْ تعملُ الخبائثَ إنهم كانوا قومَ سَوْءٍ فاسقينَ . وأدخلناهُ في رحمتِنا إنهُ منَ الصالحين » . « ٧٤ و ٧٥ سورة الانبياء »

وعن نوح عليه السلام يقول قرآن رَبّنا الكريم :

« سلامٌ على نوحٍ في العالمينَ . إنّا كذلكَ نَجزي المحسنينَ . إنهُ مِنْ عِبادِنا المؤمنين » « ٧٩ ـ ٨١ سورة الصافات »

ومن المتناقضات الموجودة في النسخ المتداولة من التوراة ما جاء في الاصحاح الثالث و الثلاثين من سفر الخروج :

« ويكلم الربّ موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه »

وفي نفس السفر ونفس الإصحاح نجد النص :

« وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش »

ومما جاء فيها مما لا يجوز ونستغفر الله بعد قراءته أن يأمر الله جل شأنه سيدنا موسى أن يطلب من قومه أن يسلبوا المصريين بنص الإصحاح الثالث من سفر الخروج ونصه :

« فيكون حينما تمضون انكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين» .

وأن سيدنا موسى كان أكثر حلما من الله سبحانه وأن الله قد ندم على الشر الذي أراده لعباده وذلك بنص ما جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج وهو :

« وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب واذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم وافنيهم » .

الى أن تقول إن موسى قال :

« ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها الى الابد . فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه » .

أما الانجيل وهو الكتاب الذي أوحاه الله لسيدنا عيسى عليه السلام فَقَدْ فُقِد وذلك باعتراف المسيحيين أنفسهم وهذا حق .. وواقع، فأين انجيل عيسى ؟؟ إن ما هو متداول أناجيل كتبها من هو مسند الانجيل لاسمه، وقد كتب أولها وهو انجيل مرقس بعد ٧٠ سنة من ميلاد المسيح حتى انجيل يوحنا الذي أخرج سنة ١١٠ ويقول الفونس رينيه في كتابه «محمد رسول الله » .

« إنه لا شك في أن الله قد أوحى الانجيل الى عيسى بلغته ولغة قومه ولا شك أيضا ان هذا الانجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر، أو أنه باد أو أبيد فلهذا قد جعلوا مكانه توليفات اربعا مشكوكا في صحتها وفي نسبتها التاريخية كما انها مكتوبة باللغة اليونانية وهي لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التي هي لغة سامية، إن في الاناجيل ما يتنافى مع الصورة المثلى للانسان الكامل فضلا عن الصورة التي تريد المسيحية أن توحي بها .

ويقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » « إن المتناقضات الصارخة بين الاناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص كل هذا يجعل الاناجيل تحتوي على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الانساني وحده ، لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك وجود رسالة المسيح فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التي جرت بها » .

وجاء إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوحاه الله سبحانه وتعالى اليه..شاهدا للتوراة والانجيل مبينا فيه كل ما جاء فيهما من حق وعدل وصدق وذلك بمثل النص الشريف :

« **نَزَّلَ عَلَيْكَ الكتابَ بالحقِ مصدِّقاً لما بَيْنَ يدَيْهِ وأنزَلَ التوراةَ والإنجيلَ** » ٣ سورة آل عمران .

نزل القرآن الكريم بما نزلت به

الكتب السابقة عليه يبيّن ما فيها .. ويهيمن على ما بها .. وذلك بالنص الشريف :

« **وانـزلْنا إليـكَ الكتابَ بـالحقِ مصدّقاً لما بينَ يديهِ مِنَ الكتابِ ومهيمناً عليهِ** » ٤٨ سورة المائدة .

هكذا يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ليؤيد الحق ويؤكد الصدق .. فهو الشاهد والدليل على النبوات السابقـة .. وعلى الـرسل السابقين .

وهو البشير .. والمبشر .. فعلاوة على لفظ المبشر .. فقد جاء أنه البشير بمثل النص الكريم :

« **وما أرسلناكَ إلا كـافةً للنـاسِ بشيراً ونذيراً** » سورة سبأ .

أما ما يبشر به، فهو بمثل النص الحكيم :

« **وَبَشِّرِ المؤمنينَ بأنَّ لهُمْ مِنَ اللَّهِ فضلاً كبيراً** » ٤٧ سورة الأحزاب .

وهو النذير، بمثل النص الشريف :

« **قُلْ يا أيّها النّاسُ إنما أنا لَكُمْ نذيرٌ مبينٌ** » ٤٩ سورة الحج .

وهو المنذر، بمثل القول الكريم :

« **إنما انتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاها** » ٤٥ سورة النازعات .

وان ما ينذر به، يشير الى بعضه النص الشريف :

« **فانذرتُكُمْ ناراً تَلظَّى . لا يَصْلاها إلاَّ الأَشْقى** » ١٤ و١٥ سورة الليل .

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس الى عبادة الله وتوحيده وتسليم امرهم اليه .. والتوكل عليه .. الا بعد أن أمره الله بذلك فيما أنزله من وحي عظيم في قرآن كريم، وذلك بالنص الشريف :

« **ولا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللّهِ بَعْدَ إذْ أُنزِلَتْ إليكَ وادعُ الى رَبّكَ ولا تكوننَّ مِنَ المشركين** » ٨٧ سورة القصص .

فهو الداعي الى اللـه .. بأمـره .. وإذنه .. وبفضله وعونه .

وما يدعو اليه صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله وتوحيده وعبادته والتسليم له .. والاعتماد عليه هو ما يحقق للانسان في حيـاتيه الـدنيا والآخرة السلامة .. والوقاية والشفاء كما تفعل الشمس بالانسان في حياته الدنيا اذ لا حياة له بدونها .. وكذلك يحقق له الهداية والأمن والأمان في الدنيا والآخرة كما يحقق له نور القمر في ليالي حياته الدنيا الطمأنينة وكشف الطريق والراحة وهدوء البال .

وفي كل آيات قرآن ربنا العظيم التي أوردت السراج لم تطلقه إلا على الشمس، بمثل النص الكريم :

« **وَجَعَلَ فيها سِراجاً وقَمَراً مُنِيراً** » ٦١ سورة الفرقان .

وذلك النص الشريف :

« **وَجَعلَ القمرَ فِيهنَّ نُوراً وَجَعلَ الشمسَ سِراجاً** » ١٦ سورة نوح .

وتفصل بينها كما يتبين وبين نور القمر .

ولكن عندما ذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرته جامعا بين سراج الشمس ونور القمر .. صلى الله عليه وسلم .

« **إنَّ اللّهَ وملائِكَتَهُ يُصلُّونَ على النَبيِّ يا ايُها الذينَ آمنوا صَلّوا عَلَيْهِ وسَلِّموا تَسْلِيما** » ٥٦ سورة الأحزاب .

الاعجاز القرآني

(القرآن) : (آيات منزلة من حول العرش ، فالأرض بها سماء هي منها كواكب . بل الجند الالهي قد نشر له من الفضيلة علم وانضوت اليه من الأرواح مواكب أغلقت دونه القلوب فاقتحم اقفالها . وامتنعت عليه « أعراف » الضمائر فابتز « انفالها » . وكم صدوا عن سبيله صداً . ومن ذا يدافع السيل اذا هدر؟ واعترضوه بالألسنة ردّا . ولعمري من يردّ على الله القدر ؟) ...

(الفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة . وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها . وتصف الآخرة فمنها جنّتها وضرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب . وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب) ...

(ومعان بينات هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقّة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الايمان وجه الأمان) ...

(يقولون مجنون بعض الهتنا اعتراه ، وأساطير الأولين اكتتبها أم يقولون افتراه ، بل إن العقل الكبير في كماله ليتمثل في العقول الصغيرة كأنه جنون . وإن النجم المنير فوق هلاله ليظهر في العيون القصيرة كأنه نقطة فوق نون) ...

(لا جرم أن القرآن سرّ السماء فهو نور الله في افق الدنيا حتى تزول . ومعنى الخلود في دولة الأرض الى ان تدول ، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف

عند الرافعي

للدكتور / محمد أحمد العزب

ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) ... بهذه الكلمات - اللوحات ، قدّم الرافعي لكتابه الجليل (إعجاز القرآن) ومع كل ما في الكتاب من عطاء علمي موضوعيّ محيط ، فإن هذا الحسّ الشعري في تناول القضايا القرآنية لا يتخلف على الاطلاق ، وهذا بعينه هو ما يعطي هذا الكتاب مذاقه الخاص الذي ينفرد به بين كتب الاعجاز في القديم والحديث .

والمتأمل لكتاب الرافعي : (إعجاز القرآن) يلاحظ أنه يدير الحديث حول قضايا الاعجاز من وجهتين معا :

الاعجاز المجالي : الذي يتجسد في أثر القرآن الكريم في تهذيب الروح العربية ، وآداب القرآن الخاصة والعامة ، وأثره في صنع حضارة إنسانية من خلال العرب ، وتوجّهه وتوجيهه في مجالات الكون والانسان والعلم ...

والاعجاز الموضوعي : الذي يتجسد في أسلوبه ، وتأليفه ، وأوضاع التركيب فيه . وطرائق بلاغته ... وهذا هو المعنى البادة للاعجاز القرآني من حيث هو مواجهة إبداعية معجزة لكل ما عرف العرب من ألوان الابداع والبلاغات ... واذا شئنا أن نجمل خصائص الاعجاز المجالي - كما تحدث عنه الرافعي - لنفرغ لتأمل الاعجاز الموضوعي ، فربما لا نكون مجانبين للصواب إذا قلنا إن الرافعي تحدث عن هذا الاعجاز من حيث أثره في وحدة العرب السياسية ، وفي تهذيب الروح العربية ، وفي إقامة أمّة على أنقاض أمة ، وفي تأصيل لغة

واحدة جامعة ... وتحدث عنه كذلك من حيث آدابه الفاعلة في العادة والطبيعة . وفي الفرد والجماعة ، وفي الحرية والمسئولية ، وفي الشريعة والآداب ، وفي القوة الاجتماعية ، وفي وضع العرب في قلب تاريخ الحضارة ، وفي تربية العقل والخلق ، وفي وضع أصول الأخلاق الاجتماعية ، وترسيخ المساواة والارادة ... وتحدث عنه كذلك من حيث أثره في العلوم ، نعني في النهضة الاسلامية الشاملة ، وفي عموم الدعوة الى العلم ، وفي تشييد أساس التاريخ العلمي ، وفي نشأة عديد من العلوم من حوله : كالقراءات . والنحو ، والتفسير ، والتوحيد ، وأصول الفقه ، والفقه ، والتاريخ ، والقصص ، والوعظ ، والخطابة ، والفرائض ، والفلك ، والبلاغة ، الى غير أولئك من تحريض لا ينتهي على كشف سرائر الكون ، وتفجير طاقاته بلا حدود !!

وينتقل الرافعي من حديثه عن الاعجاز المجاليّ الى حديثه الأساسي عن الاعجاز الموضوعي ، أي عن الاعجاز الذي ينبعث من قيم ذاتية كامنة في القرآن الكريم ، كأسلوبه ، ونظمه ، وتأليفه ، وأوضاع تركيبه ، الى أخر ما هناك من قيم تعبيرية وتركيبية لا تعرف الا لهذا النسق القرآني الذي أخرس الألسنة المتطاولة ، وشل العقول المثرثرة ، وأجبل الطبائع التي كانت تزعم أن الكون مملكتها تجول في أنحائه باقتدارها الموهوب بلا حدود . وبدءاً يصنّف الرافعي الاعجاز ، فهو في رأيه شيئان : (**ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الانسان واتصال عنايته .. ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه**) .. أي إن الاعجاز القرآني في مواجهة العجز الانساني ليس أسير لحظة أو مرحلة أو تاريخ ، وإنما هو شيء محتوم دائماً . لأنه جزء من النظام الكوني الذي يندفع من خلاله الأزل في اتجاه الأبد على نسق متواتر لا يقبل الاهتزاز .

ثم يرسم الرافعي خطوط منهجه في هذه الدراسة الرائعة فيقول : (ونحن الآن قائلون فيما هو الاعجاز عند علمائنا رحمهم الله ، وما وضعوه فيه من الكتب ، ثم ما هي حقيقته عندنا ، ثم نبسط الكلام فضلاً من البسط في إعجاز القرآن بأسلوبه وبيانه مما يماس اللغة ويستطرق إليها ، نستتم بذلك القول فيما انتهى إليه جهدنا من قليل ما استطفّ لنا من أسراره العجيبة ، وإن قليلها لكثير على الانسان بالغة ما بلغت قوّته) ... وهو تخطيط منهجي ملتزم بأصولية التفكير العلمي ، لأنه يبدأ باضاءة المساحة التي تحرك فوقها السابقون ، ثم يتوفر بعد ذلك على بذل طاقاته الممكنة في هذا الاتجاه ، حاصراً نفسه في جانب من جوانب البحث وهو ما يتصل ببيان القرآن ولغته وأسلوبه ، مقرراً أنه لن يقول الكلمة الأخيرة ، ولا الكلمة الجامعة المانعة ، وإنما قصاراه أنه سيقول الكلمة الممكنة . وإنها ـ في هذا المجال ـ لكثيرة على الجهد الانساني مهما بلغ من تضاؤلها ... هنا يتحدد

مسار البحث والباحث . ويشرق الاحساس باستمرارية الجهود المبذولة على هذا الصعيد دون تنكر من الخالف للسالف ، وتتضح قيمة التواضع العلمي الذي يقف طاقاته أمام ما تستطيع من إمكان وليس أمام ما لا تستطيعه من غير الممكن .

وحين يتعرض الرافعي للأقوال في الاعجاز لا يهمل تصنيفها وإسقاط أبعاضها والابقاء على أبعاض منها كثيرة ، فهو يبدأ برفض أكثر آراء المتكلمين وأشباههم من المناطقة والفلاسفة ، لأن معظم هذه الآراء لا تتحدد قيمتها النهائية بقوتها هي وإنما بضعف الاراء النقيضة ، وإن كانت هي في ذاتها خطأ وفساداً وجهلاً ... وهو يرفض كذلك القول بخلق القرآن .

الذي يعزي الى لبيد بن الاعصم اليهودي . ثم الى ابن اخته طالوت ، ثم إلى البنانية التي ترى الهية عليّ . ثم إلى الجعد بن درهم الذي صرح بالانكار على القرآن والرد عليه وجحد أشياء مما فيه ، وأضاف الى القول لخلقه أن فصاحته غير معجزة ... ثم يرفض الرافعي اتجاه المعتزلة الذين حاولوا لونا من المزج بين الفلسفة كنظر صرف . وبين الدين كيقين محض ... وخاضوا الى غايتهم تلك بحارا من التهويمات والتأويلات والتخليطات غير المعقلة وهم الذين زعموا ان العقل رايتهم التي يقاتلون تحتها جيوش التخليط والتلفيق ... وكان اول طلائع المعتزلة النظام الذي قال بالصرفة من جهة ، وبأن الاعجاز انما كان من حيث الاخبار بالماضي والآتي من جهة اخرى ... ويسفه الرافعي الاتجاه الى القول بالصرفة لان من سلب القدرة على شيء بانصراف وهمه عنه ، وهو بعد قادر عليه ، يكون عجزه ليس عن عدم القدرة ولكن اعجزه القدر وهو لا يغالب .... ثم ينتقل الرافعي الى ايراد رأي الجاحظ في الاعجاز ، وهو رأي كرأي اهل العربية ، الا ما ند عنه تخليطا أو تأثرا غير مقصود بأستاذه النظام من كلام يوحى بالقول بالصرفة ... ويشير الرافعي الى رأي بعض الفرق التي ترى الاعجاز في النظم المتفرد مقاطع وفواصل ، اي فكأنه بدع من ترتيب الكلام لا اكثر ... والى رأي من يقول : ان الاعجاز في سلامة الالفاظ القرآنية مما يشين اللفظ كالتعقيد والاستكراه ونحوهما مما عرفه علماء البيان ... ثم يعقب قائلا : (وهو رأى سخيف يدل على ان القائلين به لم يلابسوا صناعة المعاني) ... ويقول : (وآخرون يقولون : بل ذلك في خلوه من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة) ...(وجماعة يذهبون الى ان الاعجاز مجتمع من بعض الوجوه التي ذكرناها قلة وكثرة) .... وأذا كانت هذه الآراء التي رصدها الرافعي على هذا النحو ضعيفة في الدلالة على صميم الاعجاز حتى من بعض وجوهها

على الاقل ، فان هناك آراء بقيت على جلالها واستطراد بعضها من بعض.... يقول الرافعي : (أما الرأي المشهور في الاعجاز البياني الذي ذهب اليه عبد القاهر الجرجاني صاحب (دلائل الاعجاز المتوفى سنة ٤٧١ (وقيل ٤٧٤) فكثير من المتوسمين بالأدب يظنون أنه أول من صنف فيه ، ووضع من اجله كتابه المعروف وذلك وهم ، فان اول من جود الكلام في هذا المذهب ، وصنف فيه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة ٣٠٦ ، ثم ابو عيسى الرماني المتوفي سنة ٣٨٢ ، ثم عبد القاهر ، وهذا الرأي كان هو السبب في وضع علم البيان) ... (ومذهب اخر لطائفة من المتأخرين : وهو ان وجه الاعجاز ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادىء الآيات وفواصلها قالوا : والمعول على ثلاث خواص : ١ ـ الفصاحة في الفاظه كأنها السلسال ,

٢ ـ البلاغة في المعاني بالاضافة الى مضرب كل مثل . ومساق كل قصة وخبر ، في الأوامر والنواهي ، وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ والأمثال ، وغيرها مما اشتمل عليه . فإنها مسوقة على ابلغ سياق .

٣ ـ صورة النظم ، فإن كل ما ذكره من هذه العلوم مسوق على آتم نظام وأحسنه وأكمله) ... ومحصل هذا المذهب ـ يقول الرافعي ان الاعجاز في القرآن كله ، لأن القرآن كله معجز ... وهو معجز لأنه معجز .... وواضح ان الرافعي هنا ينزع في تقريره للقضية المرادة منزعا عاطفيا ربماكان يحتاج الى كثير من التأمل الفكري النابع من نظر موضوعي إلى شتى المقولات والآراء ... . ثم يتصدى الرافعي لمقولات جماعة من المتكلمين وأهل التقسيمات المنطقية على اختلاف بينهم في مجمل شبههم ومطاعنهم التي يوردونها على القرآن الكريم ، وهي نحو عشرين وجها ـ يقول الرافعي ـ كلها سخيف ركيك ، وكلها واه مضطرب .... وكلها غث بارد ... هل جنح الرافعي عن العقل الى العاطفة ... لانه كان يرفض مقولات عقلية فاحشة ربما كان يكون أروع لو انه التزم موضوعية الحوار العلمي الهادىء الرصين مهما كانت فحاشة ما يتصدى له من مقولات !!

اما عن التأليف في الاعجاز فيسلسله الرافعي هكذا : الجاحظ ت ٢٥٥ ـ والواسطي ٣٠٦ ـ والرماني ٣٨٢ ـ والباقلاني ٤٠٣ ـ والخطابي ٣٨٨ ـ والرازي ٦٠٦ ـ وابن ابي الاصبع ٦٥٤ ـ والزملكاني ٧٢٧ . وتحت عنوان (حقيقة الاعجاز) ينتقل الرافعي الى تحديد وجه الاعجاز في القرآن الكريم كما يراه

فيقول : (القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على إطلاقه ، حين ينفي الامكان بالعجز عن غير الممكن فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا . وليس الى ذلك مأتى ولا جهة ، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الالهية يشاركها في اعجاز الصنعة وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الالفاظ كأنها مفرغة افراغا من ذوب تلك المواد كلها ، وما نظنه الا الصورة الروحية للانسان ، اذا كان الانسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله) ... هنا يستحيل القرآن الى ظاهرة كونية وليس مجرد كتاب . ويحدد اتجاهه في بيان الاعجاز القرآني في نفسه من حيث هو كلام عربي فيقول : (وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي لاننا انما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب ، دون جهة التأويل والتفسير) ... أي أن الرافعي يحصر نفسه في مجال تأمل النص القرآني ... من حيث هو إبداع معجز من الوجهة الجمالية ، تاركا جوانب الظاهرة الأخرى لمن يريد أن يتوفر عليها ، ويحدد قيمها المضمونية الهائلة ... ويسترسل الرافعي في شرح الحالة اللغوية التي كان عليها العرب عندما نزل القرآن الكريم ، وهي حالة يصفها بأنها كانت ذروة الفصاحة العربية التي لم تعرف في تاريخهم من قبل حيث بلغ الشعر أوج اكتماله الفني واللغة غاية تنقيحها وتهذيبها وتحددها في نمط من القرشية يرونه مثالا لكمال الفطرة الممكن ان يكون .

وجاء القرآن الكريم . فكان من الاحكام والسمو بحيث تتعرف منه روح كل أمة فرعت الامم واستولت على الأمد التاريخي .... وجبه العرب في معتقداتهم الاجتماعية والدينية والسلوكية ... حتى أخرجهم منها إليه ، وهذا وجه إعجاز قرآني جديد كما يرى الرافعي ... أي أن الاعجاز هنا يتجسد في اخراج القرآن للعرب من تاريخية أرضية الى تاريخية قرآنية .

وحين ينتقل الى قضية (التحدي والمعارضة) يرى أن الطريقة التي سلكها القرآن الى ذلك هي : « ان التحدي كان مقصورا على طلب المعارضة بمثل القرآن ، ثم بعشر سور مثله مفتريات لا يلتزمون فيها الحكمة ولا الحقيقة ، وليس الا النظم والاسلوب ... ثم قرن التحدي بالتأنيب والتقريع ، ثم استفزهم بعد ذلك جملة واحدة ، فقال : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين)** البقرة ٢٣و٢٤ فقطع لهم انهم لن يفعلوا وهي كلمة يستحيل ان تكون الا من الله ولا

يقولها عربي في العرب ابدا » .. ويستعرض الرافعي كل من قيل انهم حاولوا معارضة القرآن الكريم وينقض مزاعمهم الواحدة تلو الاخرى ويثبت للقرآن قداسته وتفرده واعجازه الخارق ... ولهذه التخليطات - فوق ركاكتها المضمونية الهازلة - حرفية تقليدها الهازل ايضا للنمط القرآني العظيم .. وينتقل الرافعي إلى الحديث عن ، (أسلوب القرآن) .. ويمهد لذلك بالحديث عن المستوى البياني المذهل الذي وصل اليه العرب قبل نزول القرآن ... ثم يخوض في جدل رائع حول فرضيات عديدة ، تنتج في النهاية يقينا جازما بأن القرآن معجز بكل المقاييس : (فلما ورد عليهم اسلوب القرآن رأوا الفاظهم بأعيانها متساوقة فيما الفوه من طرق الخطاب والوان المنطق ليس في ذلك اعنات ولا معاياة غير انهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه ، ونسق حروفه في كلماتها ، وكلماته في جملها . ونسق هذه الجمل في جملته ، ما اذهلهم عن انفسهم ، من هيبة رائعة ، وروعة مخوفة ، وخوف تقشعر منه الجلود ، حتى احسوا بضعف الفطرة القوية ، وتخلف الملكة المستحكمة ، ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه ، وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم ، وأنه لا سبيل الى صرفه عن نفس أحد العرب . أو اعتراض مساغه الى هذه النفس ، إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم ، واطلع على قلوبهم) ... ومن هنا انقطع العرب عن معارضة القرآن الكريم مع تحديهم الى هذه المعارضة ان استطاعوا والاستطاعة هنا غير مشروطة بشروط خارقة . لان مفرداتها في أيديهم ، فالفاظ القرآن هي الفاظ حديثهم اليومي ، ولكن رصف هذه الألفاظ في هذا النسق التركيبي ، هو الذي اعجزهم بلا حدود ، لأنه جسد لهم من المفردات العادية كمالا لغويا اعجز العادة والاجتهاد جميعا .

ثم يتطرق الرافعي الى بعض ظواهر الاعجاز المتحدي في القرآن الكريم ، كظاهرة (التكرار) الذي يجيء في بعض آيات القرآن فتختلف طرق الأداء وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة ، وهذا اروع في الأداء وأسرى في التوصيل ، وأبلغ في العبارة ... وظاهرة (القصد) في خطابه للعرب ، (والبسط) في خطابه لبنى اسرائيل لأن من سنن كلام العرب الاكتفاء باللمحة الدالة اما بنو اسرائيل فلم تكن لهم سليقة العرب ، ولهذا كان لا بد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح .... على ان الكلام في عجز العرب عن معارضة السور القصيرة من القرآن - يقول الرافعي - لا يؤخذ من أن غير العرب المحدثين والمولدين وسائر من يكونون عربا في

اللسان دون الفطرة يستطيعون ما لم يأت لأولئك لأنهم أبعد من العرب في أسباب العجز وأدنى الى التقصير ، وأقرب إلى الهجنة اذا هم تعاطوه .... أما سبيل نظم القرآن في إعجازه فهو أنه معجز للأبد . بوجوه تركيبه ، وخصائص اساليبه ، ومباينته في كل أولئك لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم ، وتنزيل كلامهم ، فكله معجز خارق ... ليس ككلام البشر الذي يتردد بين الصعود والهبوط ويتبع تركيب المزاج الآدمي تهللا وانقباضا .

(من ذلك يخلص لنا أن القرآن الكريم انما ينفرد بأسلوبه لانه ليس وضعا انسانيا البتة ، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه اسلوبا من أساليب العرب ، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد) ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقته ونسقه ومعانيه : (**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء/٨٢ أما أن يكون وضعا الهيا ... فهو اذن

شامل لكل تطورالعصور ، مع استوائه على وجه واحد يستجمع درجات الفهم ، كأن فيه غاية لكل عقل صحيح ، ولكنه في نفسه وأسرار تركيبه آخر ما يسمو إليه فهم الطبيعة نفسها .

وحين يتحدث الرافعي عن (نظم القرآن) واعجاز تأليفه ... يرد ذلك الى ثلاث جهات : الحروف وأصواتها .. والكلمات وحروفها .. والجمل وكلماتها ..

١ ـ فاما الحروف واصواتها :

فيتجسد اعجازها في الموسيقى اللغوية التي تحملها انسجاما ـ.. واطراد نسق .. واتزانا على أجزاء النفس مقطعًا مقطعًا ، ونبرة نبرة .. كأنها توقعه توقيعا ، ولا تتلوه تلاوة حتى ان من عارضه (كمسيلمة) حاول أن يوجد لمعارضاته نوعا من هذا الايقاع في تلفيقات زعم بها أنها قرآن كالقرآن .. (وحسبك بهذا اعتبارا في اعجاز النظم الموسيقي في القرآن ، وأنه مما لا يتعلق به أحد ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه الا فيه ، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها ، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية في الهمس والجهر ، والشدة والرخاوة ، والتفخيم والترقيق ، والتفشي والتكرير) ...

ولا يغيب (أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأن هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مدا أو غنة أولينا أوشدة ، وبما يهيىء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها) ...

(وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن الا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه

الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب) ...

وهذه طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة ،؛ وأثرها طبيعي في كل نفس ، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت اعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ...

على ان في القرآن سرا آخر يجعله لا يمل على كثرة الرد وطول التكرار ، وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تخل بأدائه رأيته غضا طريا وجديدا مونقا - كما يقول الرافعي : (هذا على أنه ترسيل واتساق وتطويل ، لا يضبط بحركات وسكنات كأوزان الشعر فتجعل له بطبيعتها صفة من النظم الموسيقى ، ولا يخرج على مقاطع الكلمات التي تجري فيها الألحان وضروب النغم ، مما يسهل تأليفه ، ويكون أمره الى الصوت ... وطريقة تصريفه وتوقيعه ..) ...

٢ - واما الكلمات وحروفها :

فيرى الرافعي ان الكلمة في الحقيقة الوضعية انما هي صوت النفس .. (وصوت النفس أول الأصوات الثلاثة التي لا بد منها في تركيب النسق البليغ ، حتى يستجمع الكلام بها أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها ، وبين هذه المعاني وصورها النفسية) ...

والأصوات الثلاثة هي :

١ - صوت النفس ، وهو الصوت الموسيقى الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة ، وعلى نضد متساو ، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله الى النفس ، ان وقف عندها هذا المعنى قطع به .

٢ - صوت العقل ، وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ، ومن الوجوه البيانية التي يداور بها المعنى لا يخطىء طريق النفس من أي الجهات انتحى اليها .

٣ - صوت الحس ، وهو أبلغهن شأنا ، لا يكون الا من دقة التصور المعنوي والابداع في تلوين الخطاب ، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة ، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان ، أو يسوق اليها من طرائف المعاني يدعها من موافقته والايثار له كأنما هي التي تريده ، وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام ، اذ يكون قد استحوذ عليها وانفرد منها بالهوى والاستجابة .

ولو تأملت هذا المعنى فضلا من التأمل وأحسنت في اعتباره على ذلك الوجه لرأيته روح الاعجاز في هذا القرآن الكريم .

ذلك بأن صوت النفس طبيعي في تركيب لغتهم ، وان كان فيها الى التفاوت كمالا ونقصا ، وصوت الفكر لا يعجزهم أن يستبينوه في كثر من كلام بلغائهم أما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحه ، وانفرد به القرآن ، وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ افتتنوا في اللغة وأساليبها ولكنهم لا يجدون البيان به في ألسنتهم لأنه من الكمال اللغوي الذي تعاطوه ولم

يعطوه .... الى هنا يكون الرافعي قد بلغ بالقضية أوجها تماما .

واذا كان كل تعبير بشري يتطرق اليه النقص والاضطراب من بعض جوانبه على الأقل ، فان هذا مثال يطرد في كل ما أنت واجده من البلاغة العربية : (فلا ترى شيئا منها يروعك ويملك عليك المذاهب من نفسك بالتئام أجزائه ورشاقة معرضه وحسن تصويره ، الا وقعت منه على ضرب من الاستعانة بالخيال الشعري أو العادة الثابتة أو العاطفة المطمئنة أو نحوها والقرآن لا يستعين بشيء من ذلك في إحكام عبارته والتأتي بها الى النفس وانتظام أسباب التأثير فيها وليس الا أن تقرأه حتى تحس من حروفه وأصواتها وحركاتها ومواقع كلماته وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى بأنه كلام يخرج من نفسك وبأن هذه النفس قد ذهبت مع التلاوة أصواتا ، واستحال كل ما فيك من قوة الفكر والحس اليها ، وجرى فيها مجرى البيان فصرت كأنك على الحقيقة مطوي في لسانك) .

ويسترسل الرافعي ليؤكد عديدا من الأساسيات الصميمة في نظم القرآن الكريم واعجاز تأليفه : فليس في كلمات القرآن اسراف على النفس ولا حشو من زيادة وفضول واعتراض ولا نبو بين اللفظ والمعنى حتى صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة .. ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة ، فيهيىء بعضها لبعض ويساند بعضا ولن تجدها الا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي .. وقد وردت في القرآن الكريم كلمات طويلة : **(ليستخلفنهم في الأرض)** النور/ ٥٥ فهي كلمة من عشرة أحرف ، ولكن عذوبتها تأتي من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها فانها صارت بذلك في النطق كأنها أربع كلمات اذ تنطق على أربعة مقاطع .. وقوله تعالى كذلك : **(فسيكفيكهم الله)** البقرة/١٣٧ فانها من تسعة أحرف ، وهي ثلاثة مقاطع ، وقد تكررت فيها الياء والكاف ، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها .. ان الرافعي هنا يبدو ذا حساسية لغوية مرهفة ، كما يبدو على صلة حميمة بخصائص النص القرآني .

وكذلك في الكلمات الأسماء المعربة كابراهيم واسماعيل وطالوت وجالوت ونحوها ، فانها لا تجيء الا أن يتخللها المد فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان - وهذا سداد لغوي .

وقد تجيء الكلمة غريبة لغرابة الفعل الذي تجسده : **(تلك اذن قسمة ضيزي)** فقد وردت في سياق قوله تعالى : **(الكم الذكر وله الأنثى . تلك اذا قسمة ضيزي)** النجم/ ٢١و٢٢ فغرابة التقسيم جاءت بغرابة اللفظ على أنها توائم فواصل سورة النجم التي جاءت في سياقها . لأن الفاصلة في السورة يائية

تقتضي هذا الايقاع ...

كما أن هناك ظاهرة تستلفت الرافعي ، وهي مجيء كلمات قرآنية معينة على صيغة الجمع دائما : كالأرجاء والأكواب والألباب ... وكلمات أخرى تجيء على صيغة المفرد دائما : كالأرض .. وكلها تجيء هكذا لقصد تركيبي معجز تفجر من خلاله عديدا من مواطن الروعة والجمال .

٣ ـ وأما الجمل وكلماتها :

فيقول الرافعي : (الجملة هي مظهر الكلام ، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي) ويترقى تركيب الكلام مستوى بعد مستوى ـ كما يرى ـ حتى يصل الى المستوى المعجز الذي كانه القرآن : (وانما اطرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الاعجاز من الصوت في الحرف ، الى الحرف في الكلمة ، الى الكلمة في الجملة حتى يكون الأمر مقدرا على تركيب الحواس النفسية في الانسان تقديرا يطابق وضعها وقواها وتصرفها ، وذلك ايجاد خلقي لا قبل للناس به ، ولم يتهيأ الا في هذه العربية عن طريق المعجزة التي لا تكون معجزة حتى تخرق العادة ، وتفوت المألوف وتعجز الطوق) .. وهذا تدرج في الاستدلال من الجزئي الخاص الى الكلي الشمولي .

ومن البين ـ كما يقول الرافعي ـ أن أهم أسباب الارتقاء كائن في الغلبة والتميز والانفراد حيث وجبت ، وهذا هو المستوى الذي أحرزه القرآن الكريم وحده ، فأحدث به هذا الانقلاب التاريخي الفريد ، حضارة تاريخية وحضارة روحية معا .

كذلك يتميز النظم القرآني ـ كما يرى الرافعي ـ بما يمكن تسميته (روح التركيب) لأن اللغة التي نجدها في القرآن ليست لغة مغايرة للغة العادية ـ اذا نظرنا الى مفرداتها ـ ولكنها تصير شيئا معجزا في القرآن من الوجهة التركيبية ويبقى غيره من التركيب ركاكة بلا اعجاز .. ان البناء هنا هو جوهر التشكيل الجمالي في القرآن .

ويلاحظ الرافعي أن أية بلاغة تتعاطى الكلام في باب الشرع ، وتقرير النظر وتبيين الأحكام ونصب الأدلة ، واقامة الأصول ، والاحتجاج لها ، والرد على خلافها .. تجيء لامحالة بكلام نازل عن طبقة كلامها في غير هذه الأبواب .. أما في القرآن الكريم فالأمر غير ذلك على الاطلاق فهو يردد الكلام بين كل هذه الأغراض والمعاني ولا ينزل عن طبقة الاعجاز في كل أولئك .. وهذا سر آخر من أسرار اعجازه واكتنازه .. والحق أن الرافعي هنا قبض على قضية فنية صميمة وهي الاقتدار على تذويب الفكر في وهج الابداع دون تقريرية مباشرة وأيضا دون تخييل بلا مضمون .

وعن (غرابة أوضاعه التركيبية) يتحدث الرافعي حديثا حديا اذا شئنا أن نقول فهو يضع حدا فاصلا بين الابداع البشري والابداع القرآني من خلال وعيه العميق بآدمية ابداع والهية ابداع آخر ، وكل ما في القرآن الكريم من قيم تركيبية تؤكد هذا

الفارق الحدي وتجعله مستوى من الابداع لا يقارن بغيره من مستويات الابداع في كل الأجناس وكل العصور .. انه هنا يمتلك فرادة معجزة .

وتبدو غرابة أوضاعه التركيبية في ائتلاف الألفاظ والنظام والسرد وأن التراكيب فيه مباينة للتراكيب المألوفة لدى بلغاء العرب وأننا في القرآن وحده نستطيع العثور على (معجم تركيبي) يشكل أصل فنون البلاغة : (من ههنا كانت دهشتهم له ، وكان عجبهم منه ، اذ رأوه يجري مجرى الفن مما لا يعرفون له فنا ، ووجدوه في ذلك ببلاغة البلغاء جميعا ، واستيقنوه فوق ما تسع الفطرة ، ثم صار من بعدهم يأخذ منه أصول هذا العلم عصرا بعد عصر ، وقبيلا بعد قبيل ، حتى استقرت البلاغة على قواعدها وهو مع ذلك بحيث كان ، لا الفطرة استوفت ما فيه ، ولا الصناعة .. ولا يزال بعد كأنه في نمط بلاغته سر محجب)

هذه أبرز ملامح الدراسة الرائدة في فكرنا العربي المعاصر التي حدد بها الرافعي رؤيته المسلمة لقضية الاعجاز القرآني بدأها بدراسة الاشعاع الحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في المحيط العربي والانساني وقد سمينا هذا الفعل التاريخي (بالاعجاز المجالي) أي بما أحدثه القرآن في المجال الحضاري والانساني من تحول شامل .. ثم عطف بالدراسة صوب تأمل الخصائص الذاتية في النص القرآني فدرس تاريخية القول بالاعجاز أولا ، ثم توفر على دراسة ما في القرآن من خصائص أسلوبية في نظمه ، وتأليفه ، وأوضاعه التركيبية وطرائقه البلاغية .. مترقيا في ذلك من الحديث عن المفردات الصغيرة للقضية الكلية ، ومنتهيا الى شمول الحديث عن القضية الكلية ذاتها ، بلا مفارقة فاقعة بين حديثه هنا وحديثه هناك .. فهو حين يتحدث - مثلا - عن نظم القرآن واعجاز تأليفه ، يتحدث عن ذلك من خلال تأمل المفردات المكونة لهذا الاطار الكلي فيتوقف عند خصائص (الحروف وأصواتها) و(الكلمات وحروفها) و(الجمل وكلماتها) .. وهذه بدورها هي جوهر (النظم والتأليف) ..

على أن الرافعي في دراسته يلون المضوعية بالذاتية كثيرا ،ربما لأن طبيعة القضية ذاتها تحتشد بعناصر الحس العقيدي،الذي يجعل الدارس يتعامل مع الأشياء بغير الحيادية المنشودة في الدراسة العلمية،وهذه وضعية لا حيلة للرافعي ولا لغير الرافعي فيها .

ومع ذلك فقد لا نغامر اذا قلنا ان المنهجية الصارمة كانت سمة من سمات هذه الدراسة العميقة.بدءا من التدرج الطبيعي في تناول الظاهرة، وانتهاء الى تجسيد اطار عام يقف الاعجاز القرآني فيه كائنا متجاوب الانحاء والملامح .. مع بعض التجوز في الأسلوب الرافعي وأيضا في الحركة الفكرية ، فكل ريادة محكومة في النهاية بمثل هذه التجوزات !!!

حاجتنا

معنى الدعوة :

(الدعوة : من الدعاء الى الشيء . بمعنى الحث على قصده . ومنه قوله تعالى :

(قال رب السجن أحب الى مما يدعونني إليه) يوسف / ٣٣

وقوله عز وجل :

(والله يدعو الى دار السلام) يونس / ٢٥

ومثلها الدعاية . وفي كتاب هرقل : أدعوك بدعاية الاسلام . اي : بدعوته .

وهي في العرف :

حث الناس على الخير والهدى . والأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل .

المراد بالدعوة :

ومن هذا التعريف يتضح المقصود بكلمة الدعوة عند اطلاقها .. وهو : الدعوة الى الله . قال صاحب القاموس :

(الرغبة الى الله)

إلى الدعوة

محمد فوزي

للدكتور / محمود محمد عمارة

والرغبة الى الله تعالى . او الدعوة اليه تعني : الدعوة الى دينه وهو الاسلام :
(إن الدين عند الله الاسلام)

معنى الوعظ :

واذا كانت الدعوة في جوهرها : اقامة نظام الحياة ليتسق مع اصول الاسلام .. فان الوعظ هو :

استثارة المشاعر .. وترقيقها .. وحفز الهمم من مراقدها لتنشط .. وتنبعث عاملة بهذا الدين المدعو اليه .

انه عملية قلبية عاطفية .. تقوم بدورها الفعال .. حتى اذا عرضت حقائق الاسلام على العقل .. كانت اشواق القلب دافعا الى قبولها .. بل والدعوة اليها .

هل نحن في حاجة الى الدعوة ؟

وبصورة اوضح :

١ ـ فينا كتاب الله تعالى

٢ ـ وسنة نبيه المطهرة
٣ ـ وحوادث التاريخ بين ايدينا ومن خلفنا ..
٤ ـ وفينا ايضا واعظ الضمير في كياننا ..

فهل نحن مع هذا في حاجة الى دعوة ودعاة ؟ يقول أناس لا فائدة ! وربما وصل التشاؤم ببعض الناس حدا انكروا فيه ان يكون للوعظ قيمة .. لا من حيث توفر العوامل السابقة فقط .. بل لأن طبيعة الانسان لا امل معها في العودة الى الطريق المستقيم اذا هي حادت عنه .. يعني : لا أمل في الاصلاح .. وقد يأخذ الأمر شكل مؤامرة يراد بها وقف المد الاسلامي الزاحف .. وبث اليأس في قلوب تندفع على طريق الاصلاح .. راغبة الى ربها بمثل هذا المنطق :
« لا داعي للتهور دفاعا عن الاسلام .. لماذا ؟ لأن للدين ربا يحميه !! »

اراء المتشائمين .. والمغرضين !

راي البراهمة :

قالوا : لا جدوى من الاصلاح .. ولا علاج الا بواحد من سبيلين :
اما بالزهد .. فرارا من الحياة .
واما بتقديم النفس قربانا للنار . يصير بها الانسان رمادا .

وفي امكاننا ان نقول ردا عليهم :
ان اللجوء الى اي من وسيلتين احلاهما مر .. انما يكون لو لم نجد هناك طريقا آخر للخلاص ..
أما وقد فتح الحق سبحانه وتعالى طريق العودة اليه أمام المسرفين على انفسهم .. مهما كانت ألذنوب أحجاما وأعدادا .. فان فرصة الاصلاح اذن متاحة .. والأمل في العلاج قوي ..
ونحن في حاجة الى حداة مخلصين على طريق العودة .. يمهدونها تمهيدا أمام السالكين .. ليستأنفوا السير من جديد على سواء الصراط .

راي ابي العلاء :

واذا كان البراهمة منطقيين مع انفسهم وزمانهم وبيئاتهم .. فما لرجل كأبي العلاء المعري يرفض النصيحة ويشكك في جدوى الموعظة الحسنة في مثل قوله :
وما قبلت نفس من الخير لفظة
وإن طال ما فاهت به الخطباء ؟!
كيف يقول بهذا مع انه وقف واعظا آمرا ناهيا بما روى من شعره الزاهد في الدنيا .. والذي يستحث الخطى الى الدار الآخرة ؟

وكيف يحرم على غيره ما اباح لنفسه ؟!

ثم انه رجل مسلم .. وتاريخ الاسلام حافل بما صنعته الكلمة الطيبة في عصور الظلام وكيف خرج بها الناس من الظلمات الى النور ؟! واذا لم يقبل هو من الخير لفظة .. فقد قبل غيره .. واحس في كيانه بالتغير الى الأفضل .. فهو اذن استثناء من القاعدة .. ويأسه من الحياة لا يصح ان يكون هو القاعدة لحياة حافلة بنماذج تتناول أمور عيشها عاملة آملة .. صالحة مصلحة .

واذا لم تؤثر كلمة الخير اليوم .. فسوف تؤثر غدا أو بعد غد ..

بل ان حق المسرفين في الموعظة لا يسقط بالتقادم ، وواجب الدعاة تخولهم بالموعظة بلا يأس وإن طال بهم المدى ..

على ان تعريف الدعوة مأخوذ فيه معنى : الحث .. والالحاح .. والحض .. باستمرار .. كما يفهم ذلك من نص التعريف الآنف الذكر ..

وذلك يعني بالضرورة دوام التذكير .. والأصل في ذلك قوله تعالى

(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) !

ولمن وصل الله تعالى القول ؟

لهؤلاء المذكورين في الآية السابقة مباشرة :

(فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) . القصص / ٥٠

فاذا لم يستجب القوم للموعظة .. فان الأمل في الهداية باق .. ولعلهم يتذكرون .. فيؤمنون .

ان الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يجعل من الاستجابة امرا بعيدا بعدما تبين من الهدى :

(فان لم يستجيبوا لك)

لكنه مع هذا لا يطلب منه صلى الله عليه وسلم ان يعرض عنهم وينفض يده من تذكيرهم .. انه سبحانه يلفت نظره الى علة الإعراض هنا وهو : الهوى المتبع .. وتلك صورة من الانحراف تضع صاحبها في مقدمة الضالين .. وعلى رأس قائمة المنحرفين عن جادة الصواب ..

واذن .. فيمكن للقوم .. اذا رأوا يوما أنوار الحقيقة ـ أن يعدلوا موقفهم ويستديروا ليستقبلوا النور الوافد ..

وتلك نتيجة متوقعة .. لو تخلصوا من تحكم الهوى .. ولهم على نفس الطريق اخوة سبقوهم بالايمان ..

ولا تواجههم الآية بالظلم .. لكنها تقرر حقيقة عامة .. لا تشتبك اشتباكا مباشرا مع القوم : فلعل وعسى أن تتغير القلوب ..

(إن الله لا يهدي القوم الظالمين)

ومعنى ذلك ان الظلم منشأ الضلال .. فاذا تحرر الانسان من ربقته .. تحرر في

نفس الوقت من الضلال .. واسلم زمامه لهداية السماء ..
ولو تأملنا الآيات الكريمة التالية لوجدناها تعرض نماذج لأناس تلي عليهم الذكر فآمنوا بعد ما كفروا .. وانها لتتحدث عن سماحة انفسهم .. وبشاشة قلوبهم .. ثم عن ما ادخر لهم من الثواب المضاعف .. مما نعتبره تشجيعا للمعاندين .. لينقلوا خطاهم على نفس الدرب .. ليصلوا الى نفس المصير .. ولن يتم ذلك الا بالدعوة .. والدعوة المستمرة .. بلا يأس ولا ضجر .
وذلك قوله عز وجل :
(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون .
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين .
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) . القصص / ٥٢ ـ ٥٤

شواهد من السنة :

لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي .. اعاده الرسول صلى الله عليه وسلم الى قومه . ليدعوهم الى الاسلام .
ولما دعاهم الى مثل ما آمن به . وطالت دعوته .. وكان قبل هذا مسموع الكلمة فيهم .. أحس بشيء من الحرج .. الذي حمله على العودة اليه صلى الله عليه وسلم فقال :
إنه قد غلبني على « دوس » الزنا .. فادع الله عليهم فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد دوسا ..
ثم قال له :
ارجع الى قومك : فادعهم .. وارفق بهم ..

ونلاحظ هنا ان اليأس قد استبد بالطفيل فطلب اهلاكهم ولكن الرسول الكريم امره ان يستمر في دعوته .. شريطة ان يغير خطته .. بمعنى ان يمارس جولته الجديدة بلا احساس بمركزه وسابق عهده فيهم فان من شأن ذلك ان يفسد خططه .. كلما تذكر كلمته التي لم تعد مسموعة .
وعليه ان يترفق بهم .. فانهم بهذا الرفق واصلون معه الى حيث أمر الله تعالى وامر رسوله صلى الله عليه وسلم ..

ان الموعظة الصادرة من قلبك قد لا تصادف قلبا خاليا لتتمكن منه .. لكن ذلك القلب الجامد قد يحملها الى من هو أدعى منه واقرب الى التقبل والالتزام ..
« وليبلغ الشاهد منكم الغائب »
وربما بقيت الكلمة الطيبة بذرة في النفس .. لا تورق ولا تثمر .. الا ان يتهيأ

المناخ .. وتستعد التربة .. ويسمح الجو .. فتنبت من كل زوج بهيج ..
ولن يتم ذلك كله الا بدوام الموعظة .. ونبذ اليأس .. الذي هو اساسا غاية الشيطان .. لتصبح الظروف انسب لعمله هو .

وعلى فرض ان الطفيل لم يحقق نجاحا .. فلا عليه .. والأمر كما يقول الشاعر :
« ومبلغ نفس عذرها مثل منجح »
اي اذا كنت تأخذ سبيلك لتحقيق هدف معين .. فان وصلت اليه .. فبها .. والا فأنت كالذي نجح في تحقيق مثله تماما مادمت قد بذلت أقصى جهدك ولم تدخر وسعا .

وعلى فرط عداوة ابي جهل للرسول صلى الله عليه وسلم .. وضياع الأمل كلية في هدايته .. الا ان ذلك لم يمنع الرسول الكريم من ان يكرر دعوته .. ودعوته بالكنية ـ ياأبا الحكم ـ توددا اليه . وتلطفا به .

وأكثر من ذلك كله .. فاننا نطالع قوله صلى الله عليه وسلم :
(كنت بين شر جارين : أبي لهب . وعتبة بن أبي معيط . ان كانا ليأتيان بالروث فيطرحانه على بابي) كما روى صاحب السيرة الحلبية .
لكنه يروى الى جانب ذلك موقفه عليه الصلاة والسلام .. البالغ بالأمل منتهاه .. حين قال :
(ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من مجالسة عتبة بن أبي معيط ليدعوه الى الاسلام) .

وليس بيننا اليوم من هو أفدح جرما من عتبة .. ولا من هو شر من أبي جهل وابي لهب ..
ويحملنا ذلك على الاحتفاظ بقدر من الأمل في قلوبنا .. يحملنا على التذكير على رجاء أن تنفع الذكرى .. ايمانا منا بطبيعة الانسان .. وتطلعنا الى صحوة او انتفاضة واحدة من تحت رماد الغفلة يصير بها المعاند خلقا آخر .. وتاريخ الاسلام شاهد على ذلك ..

يقول المرحوم الشيخ علي محفوظ في كتابه : هداية المرشدين
(إن الأمراض والعلل تعرض للاجسام فتذهب بجمالها . وكثيرا ما تودي بحياتها . اذا لم تسعف بالعلاج الناجع . قبل استفحالها واشتداد خطرها .
والقلوب كالاجسام :
يعرض لها من العلل والأمراض ما يطفىء نورها . وقد يفقدها حياتها . وذلك يوردها مورد الضلال والغي . وانهماكا في اللذات والشهوات .. وعدم المبالاة بأنواع الفسق والفجور .. وسيئات البدع .. ونبذ الآداب الدينية والاخلاق

المحمدية .. فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها قال تعالى :
(بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). المطففين / ١٤

كل ذلك يحملنا على الاعتقاد بأهمية الدعوة وحاجة المجتمع اليها .. لا سيما وطبيعة الانسان معدة لتقبل دواعي الخير مهما ارتكبت من المعاصي .. انها صالحة للاعتبار دائما .. ومن واجب الدعاة ألا ييأسوا من ملاحقتها بالعلاج كلما كان الوقت مناسبا .. والظروف مواتية ..

والا .. فان الاستسلام للعلة مجافاة لروح الاسلام الذي يؤكد دائما على قبول التوبة مهما كان حجم الذنوب .. ومهما كان عددها ايضا ..

وذلك يعني بالدرجة الأولى الثقة بلا حدود في صحوة الضمير وتقبل العلاج من قبل عصاة بلغوا في الانحراف حد التشبع .. فلنقل كلمتنا .. فقد تصادف نفسا ارهقتها الخطيئة .. وتبحث عن الخلاص . قال بعض الحكماء .

(الموعظة موقظة للقلوب من سنة الغفلة . ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة . ومحيية لها من موت الجهالة . ومستخرجة لها من ضيق الضلالة) .

يقول الدكتور عبدالكريم زيدان معبرا عن وجهة نظر القائلين بالتذكير على أي حال ؟

القول الثاني :

يجب الاحتساب سواء نفع أو لم ينفع . لأن احتسابه قيام منه بواجب شرعي . فلا يتوقف على انتفاع الغير به .

ولأن على المسلم أن يؤدي ما عليه . وليس عليه أن يقوم الغير بما عليه .. مثل ترك صاحب المنكر منكره . وأجابوا على احتجاج أصحاب القول الأول ـ المانعين للتذكير اذا لم ينفع ـ بأن الآية الكريمة :

(**فذكر ان نفعت الذكرى**) لا تعلق الوجوب على حصول الانتفاع للأدلة الآتية :

١ ـ ان المعلق « بإن » على الشيء .. لا يلزم أن يكون عدما عند عدم ذلك الشيء . يدل على ذلك آيات منها :

(**فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم**) .. **النساء** / ١٠١ فان القصر جائز وان لم يوجد الخوف .

وقوله تعالى : (**ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة**) .. **البقرة** / ٢٨٣ والرهن جائز مع وجود الكاتب .

٢ ـ ان ذكر الشرط في الآية الكريمة « **فذكر إن نفعت الذكرى** » لفوائد منها :

انه سبحانه وتعالى ذكر اشرف الحالتين عند التذكير وهي حالة الانتفاع .. كما قال تعالى : (**سرابيل تقيكم الحر**) وتقدير الآية : وتقيكم البرد .. وعلى هذا

فقوله تعالى :
(**فذكر ان نفعت الذكرى**) فذكر ان نفعت الذكرى أو لم تنفع .
ومن الفوائد ايضا :
ان المراد الحث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الشخص لغيره اذا بين له الحق : قد اوضحت لك الأمر ان كنت تعقل . فيكون مراده الحث على القبول ،

وقفة
مع المفكرين الغربيين

ذكر الدكتور المرحوم محمد عبدالله دراز رأي بعض الفلاسفة الغربيين في مفهوم الأخلاق عندهم .. وفي امكان تغييرها من حال الى حال ..
ه « شوبنهور » الفيلسوف الألماني قال :
يولد الناس أخيارا أو أشرارا كما يولد الحمل وديعا .. والنمر مفترسا .. وليس لعلم الأخلاق الا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم .. كما يصف التاريخ الطبيعي « حياة الحيوان » (مبادىء علم الاخلاق للمرحوم د/دراز ص٦)

ه ... الألماني « كانت » :
ان الذي يشاهد موقف الانسان في ظرف معين ويعرف سوابق تصرفاته في مثل هذا الموقف .. يستطيع أن يتنبأ صادقا بما سيفعله في مثل هذا الظرف المعين .. كما يتنبأ العالم الفلكي بكسوف الشمس . وخسوف القمر في ساعة محدودة « المرجع السابق » .

ه... سبينوزا الهولندي :
(إن افعال الناس كغيرها من سائر الظواهر الطبيعية تحدث . ويمكن استنتاجها بالضرورة المنطقية الهندسية كما يستنتج من طبيعة المثلث ان زواياه الثلاث تساوي زاويتين قائمتين) المرجع السابق .

.... « ليفي برول .. الفرنسي » :
ان ميولنا الحسنة او القبيحة التي نجيء بها الى هذا العالم عند ولادتنا هي طبيعتنا . فكيف نكون مسؤولين عن طبيعة هي ليست من عملنا . أو على الأقل ليست من عملنا الشعوري الاختياري » المرجع نفسه .

ه ... هيوم الانجليزي :
(ان شعورنا بالمسؤولية ليس الا وهما خداعا)

مناقشة هذا الاتجاه

حين عزل الغرب الدين عن منصة الحكم .. ومضى وحده في التيه .. ارتكب خطأين :

الأول : تحكيم العقل فيما وراء الطبيعة .. فتاه دليله .. ومضى بين ركام من الظنون شقى بها طويلا ..

الثاني : الاعتماد على الضمير في مجال الأخلاق .. فضلوا وأضلوا .. لأن الضمير الذي لا يستمد نوره من الوحي السماوي .. ومن الايمان بالآخرة يتخبط في الحكم .. وتصبح الأخلاق في تقديره امرا اعتباريا .. يتلون حسب الأمزجة .. والأمكنة .

هذا الضمير الذي اباح للبرازيل ان تلقي بفائض البن لديها .. في البحر .. وسول لامريكا ان تلقي بفائض القمح عندها .. الى نفس المصير !

في الوقت الذي تتواطأ فيه القوى المعادية لارخاص المواد الخام لدى الشعوب المحتاجة فعلا الى هذا القمح .. وذلك البن !!

فلا هي بالتي اطعمت الشعوب المتخلفة من جوع .. وفضلت عليها اسماك البحر .. ولا هي بالتي انصفت ثلثي سكان الكرة الأرضية فأعطتهم ثمنا يناسب ما لديهم من امكانات وخامات .. انها تسلب .. ثم ترد الى هذه الشعوب بأغلى الأثمان !

هذا هو الضمير الغربي .. وتلك هي الأخلاق في نظره !

والقوم هناك منطقيون مع انفسهم :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه
وتنبت إلا في منابتها النخل ؟!

والشيء من معدنه لا يستغرب كما يقولون :

ولكن الاسلام شيء غير هذا ..

ولدينا نحن المسلمين ما نرد به هذا التصور .. وما يترتب عليه من أحكام جائرة ..

واذا قرر « كانت » إمكان التنبؤ بموقف الانسان بناء على مواقف سابقة مشابهة .. فنحن نتساءل :

هل كان من الممكن ـ بهذا المقياس ـ التنبؤ بموقف عمر رضي الله عنه .. عندما دخل على اخته .. ونزع ما في يدها من آيات قرآنية .. مست شغاف قلبه فحدث التغير الكبير ؟!

كان المتوقع حينئذ .. ان يثور .. وتسيل الدماء هنا وهناك . ولكن شيئا من ذلك لم يكن .. واعلن الفاروق اسلامه في ظروف ما كانت تخطر على بال احد .. وقل مثل

ذلك في : عكرمة .. وخالد بن الوليد .. وغيرهم من الرعيل الأول .

وإذ يقرر « شوبنهور » ان دور علم الأخلاق لا يتعدى وصف واقع الانسان الذي لا يمكن تغييره .. كما لا يمكن تحويل النمر الى حمل .. والعكس .. اذا كان يقرر ذلك .. فانما يتحدث عن علم الأخلاق في منطق الغرب .. ان للنظرية الاخلاقية الاسلامية فاعلية وايجابية .. تمتلك بهما زمام الانسان لتنقله من محيط الى محيط كما يقولون ..

وهي ضد السلبية الواقفة عند حد التسجيل ووصف الواقع كما هو الشأن هناك .. ان الحياة هناك أرقام وأحجام .. ومقدمات تسلم الى نتائج .. هكذا في نظام آلي رتيب .. بينما الاسلام ـ كما قلنا ـ قوة فاعلة مؤثرة .. لا ترضى بالواقع .. ولا تستسلم له .. لكنها تروضه على فعل الخير استعلاء به على نوازع الشر العارضة على طبيعته ..

يقول المرحوم الدكتور دراز :

(ان القرآن حين يعرض نظريته عن الحق وعن الفضيلة .. لا يكتفي دائما بأن يذكر بها العقل . ويثير أمرها باستمرار أمام التفكير والتأمل .. وانما يتولى هو بنفسه التدليل على ما يقدم .. ويتولى تسويغه ..

وفضلا عن ذلك . فان طبيعة استدلالاته . والطريقة التي يسوق بها الدليل .. قد اختيرت كلتاهما على وجه يفحم أعظم الفلاسفة دقة . واشد المناطقة صرامة . في الوقت الذي تلبي فيه اكثر المطالب واقعية . كما تروق أرقى الأذواق الشعرية وأرقها . وابسط المدارك وأقلها) .

ان العقل يعرف الفضيلة بآثارها في واقع النفس وواقع الحياة .. ومن ورائه الوجدان يحرك الانسان للتنفيذ .. بل والاقتناع بأهمية الفضيلة .. ولو لم يكن من ورائها نفع مادي ..

فما هو الأمر هناك ؟

قلب مغلق على عقيدة دينية متحجرة .. لا تناقش .. بل تستسلم لما لا تعلم .. ثم .. في نفس الوقت عقل مبهور بالعلم الحديث .. ولا يعترف بهذه العقيدة .. ولا بالدين الا طقوسا ومراسم .. أي أن الكيان الانساني مضموم على اشد انواع التناقض .. ومع هذا يتغنى بالبحث العلمي النزيه ؟!

اي معنى للبحث وللنزاهة يبقى مع هذا التمزق .. والصراع داخل الكيان البشري ؟ بل أية حضارة يمكن ان تؤسس على هذه الكيانات الهشة ؟

وجاءت مقرراتهم في مجال الاخلاق على نفس المستوى .. مادية هابطة تقول احيانا كاشفة عن اساس الأخلاق :

(مثلا .. اذا ضعف هذا العصب .. انتهى بالمريض الى عادة الكذب . واذا مرض غيره .. انتهى به الى عادة السرقة .

وهكذا .. فتسمى شرورا ورذائل .. وان هي الا أسماء سمتها الأوهام . وثبتها طول الزمن . فنزلت منزلة القداسة .

بيد أن عملية التغيير تحدث اساسا في باطن الانسان .. الذي يغالبه فيغلبه .. ويقاومه فينتصر عليه .. ليخرج الانسان من التجربة انصع جوهرا .. وأخلد اثرا ..

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى) . النازعات / ٤٠ ، ٤١

(اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه)

وتجلية الاحساس بهذا الواعظ الذاتي .. ليقوى ويصبح قادرا على مباشرة سلطاته في التوجيه والارشاد .. هو ثمرة مباركة لمنهج القرآن في تربية النفوس واخذها بالفضيلة :

ونحن نرى العناية الفائقة التي التزمها هذا الكتاب ـ القرآن ـ في غالب الأحيان :

حين قرن كل حكم في الشريعة بما يسوغه . وحين ربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمة الاخلاقية التي تعد اساسه :

ومن ذلك : انه عندما يدعونا ان نتقبل من اهلينا كل تسوية للصلح . حتى لو كانت في غير صالحنا يؤيد دعوته بتلك الحكمة :

(والصلح خير)

وعندما يأمرنا ان نوفي الكيل . ونزن بالقسطاس المستقيم .. يعقب على هذا الأمر بقوله :

(ذلك خير)

ولكي يسوغ قاعدة الحياء . التي تطلب من الرجال ان يغضوا أبصارهم . ويحفظوا فروجهم ـ نجده يسوق هذا التفسير :

(ذلك أزكى لهم)

وبعد ان يأمرنا بتبين السبب قبل ان نصدر حكما يقول :

(أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات / ٦

وننقل هنا بتصرف وجهة نظر المرحوم الاستاذ ابو بكر ذكرى في الرد على هذه النظرة المتشائمة المغرضة :

ـ الحكم على خلق انسان عادي لا يثبت على حال واحدة :

فبينما نراه على صلاح وتقوى حينا .. اذا بنا نراه وقد انقلب فجأة الى عكس ما كان عليه .

أكان يستطيع ان يغير اخلاقه حسب مشيئته لو كانت الطباع لا تتغير ؟ حسبما يدعي أولئك الفلاسفة ؟

على أنه من مقررات علم النفس : أن الاخلاق تتغير بتغير العالم .

ـ يستمر بعض الناس على خلق زمنا طويلا .. حتى يظن أنه لن يتغير . فاذا به ينقلب الى ضده بسبب عظة سمعها او حادثة وقعت له .. واذا جاز لانسان ان يرتد عن دينه كما تقول اخبار الغرب .. فان عودة الشرير الى طريق الخير أيسر وأولى .

ويحكي ابو العلاء في ذلك :

آبدى العتاهي نسكا وتاب عن ذكر عتبة
والخوف ألزم سفيا ن .. أن يغرق كتبه

وقد وزع الفيلسوف الروسي « تولستوي » اقطاعياته على الفقراء فما سر هذا التغيير ؟

ـ بالتربية والتهذيب تتحول طباع البهائم بل والسباع من الشره والعصيان الى الاعتدال والطاعة .. فكيف لا يتغير طبع الانسان ايضا ؟

ـ زعم الفلاسفة بأن الطباع لا تتغير انكاراً لحقيقة تاريخية شرعية وهي ارسال الرسل الذين بعثوا لهداية الناس .. ثم هو انكار لجهود المصلحين عبر القرون .

واذا كان هناك اليوم باحثون منصفون .. يلتقون مع وجهة النظر الاسلامية القاضية بامكان الاصلاح وضرورته ايضا ..

فقد بقيت للماكرين رغبة ملحة في وقف المد الاسلامي الزاحف .. عن طريق هذه الظنون المستترة وراء ما يسمى بالبحث العلمي ..

ثم بمثل هذه التساؤلات التي يطرحونها في طريق البعث الاسلامي الجديد .. كقولهم :

لا أمل في الاصلاح .. فارضوا بالأمر الواقع .. أو : ان الاصلاح ممكن .. ولكن لا تراعوا .. فللدين رب يحميه !

وإنها لمحاولات مكرورة يبتغي بها كسر حدة الحماس المشتعل في صدور ترى في الاسلام أملها وملاذها .. فلو تحقق املهم .. ورضينا بالواقع ..

ولو قعدنا مع الكسالى .. تاركين حماية الدين لرب الدين ..

ـ أي اذا اهملنا الحقل الاسلامي بلا حراسة ولا ديدبان يقظ تولى أعداؤنا حراسته !! وكنا كما يقول الشاعر ..

ومن رعى غنما في ارض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

ونحن ـ باسم الاسلام ـ مطالبون باليقظة .. والدقة في تناول معارف القوم هناك .

واذا كانت الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها .. فان عين الحكمة ان نأخذ ما نأخذ .. وندع ما ندع بمقياس الاسلام العادل ..

وقد تكلفنا المعركة جهدا .. ومالا .. ولا بأس اذا بقيت لنا شخصيتنا الوفية لدينها ..

تهون علينا ان تصاب جسومنا
وتسلم اعراض لنا وجسوم

من الجهاد باللسان في عصر النبوة

للواء / محمد جمال الدين محفوظ

انواع الجهاد في سبيل الله :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (رواه أحمد وغيره)

يدل هذا الحديث الشريف على « وجوب » الجهاد باللسان بالاضافة إلى الجهاد بالأموال والأنفس ، والجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة على الأعداء ، ودعوتهم إلى الله تعالى ، ورفع الأصوات عند اللقاء ، وبزجرهم ترويعا لهم ، ونحو ذلك من كل ما فيه نكاية للعدو ، قال تعالى : « **ولا ينالونَ مِنْ عَدُوٍّ نيلاً إلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالحٌ** » (التوبة ١٢٠)

ثم يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجهاد باللسان لا يقل أهمية وأثرا عن الجهاد بالأموال والأنفس ، بل قد يكون أشد أثرا على الأعداء من القتال بالسلاح ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اهجوا قريشا فإنه (أي الهجاء) أشد عليها من رشق النبل » (رواه مسلم - والنبل أي السهام)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن رواحة وقد رآه يلقى الشعر في المسجد : « بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر ، فلهي - يعني القصيدة - أسرع فيهم من نضح النبل » .

وسوف نتناول بعض صور الجهاد باللسان بقدر ما يتسع المقام .

أولا - الشعر :

كان يقف إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه،هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة،وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واستشفى »

وكانت مهمة أولئك الشعراء لا تقتصر على هجاء الأعداء أو دعوتهم إلى الله ، بل كانت تشمل أيضا الرد على ما يقوله شعراء المشركين من أمثال أبي سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن الزبعري وضرار بن الخطاب وغيرهم ..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينصب لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ، يقوم عليه قائما ، يفاخر عنه صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يقول : « إن الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك » (رواه الشيخان) وعن عروة قال : ذهبت أسب حسانا عند عائشة ، فقالت : « لا تسبه ، فانه كان ينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم » (رواه الشيخان) .. وقد استخدم الشعر في عدة مهام نذكر منها ما يلي :-

○ الرد على شعراء المشركين :

ومن أمثلة استخدام الشعر في الرد على شعراء المشركين نذكر بعض شعر حسان ردا على هجاء أبي سفيان بن الحارث للرسول الكريم يوم أحد :

هجوت محمدا فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء
فمن يهجو رسول الله منكم   ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا   وروح القدس ليس له كفاء

وقال شاعر المشركين عبد الله بن الزبعرى يوم أحد :

ابلغنْ حسان عني آية   فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم قتلنا من كريم سيد   ما جد الجدين مقدام بطل

فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم علا تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت قائلا :

ذهبت يا بن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الأسياف في أكتافكم حيث نهوى علا بعد نهل
وعلونا يوم بدر بالتقي طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث المثل

الجحجاح : السيد .. والرفل بكسر الراء وفتح الفاء : الذي يجر ثوبه خيلاء)

○ الشعر في تعيير المشركين بالجبن :

وفي غزوة الخندق عبرت مفرزة من فرسان قريش الخندق في منطقة ضيقة فيه ، وفيهم عمرو بن عبد ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، لكن المسلمين تصدوا لهم فنازل عليٌّ عمرو بن عبد ودفقتله ، كما قتل المسلمون رجلين من المشركين ، وعادت بقية الفرسان هاربة إلى قواعدها .. قال ابن إسحق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فر وألقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم ما ان تجور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستأنسا كأن قفاك قفا فرعل

(الظليم : ذكر النعام ـ والفرعل بضم الفاء والعين : صغير الضباع)

○ شعر حسان يقنع بني تميم بالاسلام

وبعد فتح مكة ، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب : فلما قدم وفد بني تميم دخلوا المسجد ونادوا الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته ، أن اخرج الينا يا محمد ، فآذى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لخطيبهم عطارد بن حاجب ، فلما

فرغ من خطبته ندب عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن الشماس فأجاب الرجل في خطبته ..
ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا احتفلوا عند احتضار المواسم
بأنا فروع الناس في كل موطن وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وأن لنا المرباع في كل غارة نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

(★) دارم من بني تميم
(★) (المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم في الحرب بعلامة يعرفون بها - وانتخوا : من النخوة وهو التكبر والاعجاب - والأصيد المتفاقم : أي المتكبر المتعاظم - والمرباع : أخذ الربع من الغنيمة)
فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت أن يرد عليه فقال :

هل المجد إلا السؤدد العود والندى وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبي محمدا على أنف راض من معد وراغم
نصرناه لما حل وسط ديارنا بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا وطبنا له نفسا بفيء المغانم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ولدنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول ما بين ظئر وخادم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

(هبلتم : فقدتم وثكلتم - والظئر : التي ترضع ولد غيرها)
قال ابن اسحق :
فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس (من أشراف بني تميم) : وأبى ، إن هذا الرجل مؤتى له (أي لموفق له) ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى (أو أعلى) من أصواتنا .. فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوّزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

ثانيا - الشعارات والهتافات (صيحات القتال)

وهي من صور الجهاد باللسان التي اتخذها المسلمون لتحقيق عدة أهداف

كالتعارف فيما بينهم في أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام ، ومنها إثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه ، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة « أحد أحد » في غزوة بدر ، و « أمت أمت » في غزوة أحد ، و « يا خيل الله اركبي » في غزوة ذى قرد ، و« حم ، لا ينصرون » في غزوتي الخندق وبني قريظة ؛ هذا الى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم « الله أكبر » .. أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : صبح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وقد خرجوا بالمساحى على أعناقهم فلما رأوه قالوا : هذا محمد والخميس ، فلجئوا إلى الحصن ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم.فساء صباح المنذرين ..

(والمساحى جمع مسحاة وهي المجرفة التي يسحى بها الطين أي يجرف).

ثالثا ـ التفريق بين العدو وحلفائه :

في غزوة الخندق تجمعت قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين ، وحدث أن جاء نعيم بن مسعود الغطفاني (وكانت غطفان من القبائل التي انضمت إلى قريش في التجمع المذكور) إلى رسول الله صلى الله وسلم وأخبره أنه أسلم ولا يعلم قومه ، وطلب منه أن يأمره بما يشاء ، فقال الرسول : « إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فان الحرب خدعة »

فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق حيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين وفي ازالة الثقة فيما بينهم ، فقد ذهب نعيم إلى يهود بني قريظة ـ وكان لهم نديما في الجاهلية ـ فقال لهم : « قد عرفتم ودّي إياكم ، وقد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وإن قريشا وغطفان إن رأوا نهزة (أي فرصة) وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا (رهائن) من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا » .

قالت بنو قريظة : أشرت بالنصح ، ولست عندنا بمتهم ..

ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم : « بلغني أن قريظة ندموا (أي ندموا على نقضهم العهد مع النبي) ، وقد أرسلوا الى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهمفنعطيكهمفتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم ، فأجابهم أن نعم .. فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا .. »

وجاء نعيم غطفان فقال لهم : أنتم أهلي وعشيرتي .. وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

أرسل أبو سفيان وسادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت ، ولكن قريظة اعتذرت بأنها لا تقاتل يوم السبت ، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تسرع بأي هجوم .

قالت قريش وغطفان : « لقد صدق نعيم » .. ورفضوا طلب قريظة باعطائها رهائن ، فقالت قريظة : لقد صدق نعيم ..!

وهكذا كانت دعوة نعيم البارعة سببا في تفرق جمع الأعداء .

رابعا ـ الرد على الأعداء :

ومن صور الجهاد باللسان الرد على الأعداء وعلى دعاواهم وحربهم النفسية التي يستهدفون بها الضغط على المسلمين نفسيا وتدمير معنوياتهم وارادتهم القتالية .

فبعد غزوة بدر شعر اليهود بالخطر الداهم عليهم من قوة المسلمين وازدياد هيبتهم ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ويشككون في مبادىء دينهم وفي قيمة انتصارهم ، وجعلوا يتغامزون عليهم ويأتمرون بهم حتى فكروا أكثر من مرة في اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولقد جعلت هذه المواقف الخبيثة من جانب اليهود وتصرفاتهم الملتوية الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر جانبهم ويتخذ المواقف الحاسمة معهم ، فأرسل إليهم في أسلوب حازم تحذيرا قويا حتى يعودوا إلى رشدهم يقول فيه : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » .. في هذه الرسالة الدعوة إلى الايمان والصدق في القول وفيها التحذير الشديد لليهود لمخالفة عهدهم معه ، والجزاء المنتظر لكل مخالف للدين الحق ، وهي تنطوي على التأثير النفسي الذي يلقى في قلوبهم الرعب .

● وبعد انتهاء المعركة في أحد ، أشرف أبو سفيان على الجبل ، فنادى : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه . فقال : أفيكم ابن أبي قحافة ؟ .. فلم يجيبوه .. فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجيبوه .. فقال : أما هؤلاء فقد كفيتموهم .. وهنا أجاب عمر : ياعدو الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء وقد أبقى الله لك ما يسوءك . وان محمدا يسمع كلامك الآن .. فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، ثم جعل يرتجز ويقول : أعل هبل .. أعل هبل .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله بماذا نجيبه ؟ .. قال : قولوا : الله أعلى وأجل .. قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟.. فقالوا : وبماذا نجيبه ؟.. فقال : قولوا الله مولانا ، ولا مولى لكم ..

« في ذكرى مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم »

الله أعلم حيث

م مؤذن

أشارت الكتب السماوية السابقة الى ظهور خاتم النبيين في أرض العرب ، تحقيقا لارادة الله تعالى في أن يطلع نور الاسلام من جزيرة العرب . جاء في « تثنية الاشتراع » من الكتاب المقدس : « جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » والعبارة هذه تبشر بانتشار رسالات الله وظهور أوامره على لسان رسله الثلاثة : موسى الذي جاوز البحر الى سيناء بأمر الله ، وعيسى الذي بعث في فلسطين المسماة قديما بساعير ، ومحمد الذي بعث في فاران وهو الاسم القديم لمكة حيث الجبال المحيطة بها من كل جانب .

وفي مكة المكرمة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين من الاسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل . وفي مكة بالذات نشأ رسول الله محفوفا برعاية الله تعالى ، ليقوم بتبليغ الاسلام ، وتفهيم الناس معاني الحياة السعيدة .

وقد يتساءل بعض الناس : ما الحكمة وراء اختيار ارض العرب مهدا للاسلام ؟ ولماذا خص الله تعالى مكة المكرمة بخاتمة الرسالات السماوية ؟

ان الذي يتفحص أحوال العرب السابقين ، ويتفكر في صفاتهم وأحوال بلادهم ، لا بد ان يصل الى الجواب .

يجعل رسالة

للاستاذ / حسن عبد الغني ابو غدة

فامتداد أرض العرب واتساع آفاقها أمام الأبصار، من عوامل الصفاء الذهني، الذي يربط الانسان بفطرته، فيجعله بسيطا في معيشته. بينما كانت الأمم الاخرى تعيش في اضطراب نفسي، وتضارب في العلاقات الاجتماعية، وتكلف في المعيشة، فضلا عن استعلائها بقواها وقدرتها على الاهلاك والتدمير.

بل لعل العرب كانوا في حالة نفسية يصح أن تسمى حالة الوقوع في الجهل البسيط - كما يقول الأستاذ الندوي - بينما غيرهم يعيش في جهل مركب، وشتان بين معالجة المرضين.

والعرب السابقون أصحاب همة عالية، وتصميم صادق، وعزم جيد، وتلك صفات لا تستغني عنها أمة حملت مبادىء دعوة عالمية. لأنه لا ينبغي للرائد أن يكون عاجزا مترددا يعيش على الغدر والالتواء.

أما بلاد العرب فقد كانت في مأمن من الضغوط الخارجية، لانعدام الأطماع التوسعية من جيرانها الفرس والروم. فلماذا يطمعون بها ومواردها لا تكفي مواطنيها؟ وماذا يفعلون في آلاف الأميال من الرمال الحارة التي لا يصبر على شدتها أبناء الفرس والروم الذين ألفوا حياة النعومة وعاشوا في طراوة التحضر.

واضافة الى ذلك توسطت جزيرة العرب قارات العالم القديم ، فاكتسبت مركزا حيويا في توصيل الدعوة الاسلامية الى الأمم والشعوب مصداقا لقوله تعالى : (**وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها**) الشورى /٧ .

ففي ولادة وبعثة خاتم النبيين في مكة استجابة من الله تعالى لدعوة أبي الانبياء ابراهيم خليل الرحمن : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم**) البقرة/ ١٢٩ ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه في الحديث الذي أخرجه احمد في مسنده : « انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى » .

لقد اختار الله تعالى جزيرة العرب مهدا لرسول الله ولدعوته ، لأنه لا طمع فيها لحاكم ظلوم ، أما مكة بالذات فلأن لأهلها الرئاسة الدينية والمكانة الاجتماعية عند جميع العرب ، ففيها البيت العتيق محج القبائل ، ومنطلق القوافل الى الشمال والجنوب ، اضافة الى تفوق لسان قريش في الفصاحة والاسلوب واللفظ .

وهكذا يتبين لنا أن الموقع الجغرافي والمكانة الاجتماعية والملكات النفسية كانت من المرشحات لأن تكون جزيرة العرب ومكة المكرمة بالذات مكانا لمولد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم في القرن السادس للميلاد .

أما الحكمة من وراء اختيار شخص محمد بن عبد الله لخاتمة الرسالات فتظهر مما يلي : أخرج مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد اسماعيل عليه السلام ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » فأكرم بهذا النسب الكريم الذي يتصل باسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام .

لقد كان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محميا من المفاسد ، مأمونا من السفاح وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذي تقلب في أصلاب طاهرة وأرحام كريمة حملت معاني السمو والشرف والعزة والنبل . أخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا ، لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما » .

وحينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ـ قبل اسلامه ـ عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابه أبو سفيان : إنه فينا ذو نسب شريف . وهنا قال هرقل : وهكذا تبعث الرسل .

ان شرف النسب صفة لازمة في النبيين الكرام . وليس شرف النسب كثرة المال والمتاع ، وانما هو مكارم الاخلاق التي تلزم صاحبها بالتعالي عن النقائص ، وبذل النجدة والوفاء

والمحبة للناس .

وشرف النسب يكسب صاحبه المنعة في قومه اقرأ قوله تعالى عن قوم شعيب عليه السلام : (**قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطكَ لرجمناك وما أنت علينا بعزيز**) هود / ٩١ .

لقد أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا مباركا ، فجده عبد المطلب سيد مكة على الاطلاق ، أعطته رئاستها لقوة نفسه وقوة خلقه ، فكان أبا لشبابها ، وأخا لكهولها فاتصف بالسماحة والعزيمة والبركة .

أما عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد اقتبس صفات الفضيلة من أبيه عبد المطلب ، فاشتهر بعفة النفس ، وحسن المروءة ، وطهارة العرض ، صان شبابه عن الرذائل في وقت انتشرت فيه الفواحش بين أقرانه ، فعاش بعيدا عنها في طهارة وعفة مع زوجه آمنة لينقلا وديعة الله إلى الوجود البشري .

وآمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتسمت بحسن الخلق ، ورجحان العقل ، وحسن الصبر ، فمنحت زوجاً محبوباً تتمناه فتيات مكة ، عاشت معه أيام زواجها ثم غادرها بعد ذلك في تجارة لأهله ، جاءه الأجل خلالها عند أخواله بني النجار في يثرب ، ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وترك وراءه زوجته الصابرة المجاهدة وهي حامل بما أودعها من نسمة مباركة كانت رحمة للعالمين .

وهكذا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيماً فنشأ في رعاية جده وحضانة أمه ، لكنه لم يهنأ بوجودها ، اذ ماتت وهو في السادسة من عمره ، فحرم عطفها وحنانها ، غير أنه لم يحرم رعاية الله تعالى ، وهو اذ ولد كما يولد الناس ، غير أنه لم يتلق من الحياة إرثا من الملك أو الغنى ، وانما الذي استقبله من يوم مولده اليتم مع الفقر ، وهما أعدى أعداء الانسان ، خاصة تلك النبتة الضعيفة التي لم تقو جذورها في الأرض .

إنه لو جرت به الحياة على مألوفها ، لكان مصيره الى الضياع والتشرد كما ضاع كثير من الايتام والفقراء الذين لم يجدوا المعين والنصير والمرشد . خاصة في تلك البيئة القاسية الغليظة . ولكن ذلك لم يكن ، لأنه كان محفوظا بالعناية الالهية في جميع مراحل حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممدودا بألطافها فهو المعد للنبوة ، وهو خاتم النبيين وصدق الله القائل : (**ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى**) الضحى / ٥ ـ ٧ .

لقد انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين جيله ، بل الأجيال كلها ، بميزات جسمية وخلقية ، ليست في سائر الناس وان كان هو من الناس ، ولهذا لم يكن بدعا من الأمر ان يكون تكوين محمد صلى الله عليه وسلم ملفتا للأنظار ، فهو جميل في جسمه ، كما هو حسن في خلقه ، ولا

شك أن ذلك التناسق له أثر في الاستجابة لدعوته . روي أن أعرابيا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراعه منظره وحسن هيئته ، فسأله : من أنت ؟ فقال : محمد بن عبد الله . قال : أنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب ؟ فقال رسول الله : نعم . قال الاعرابي : والله ليس هذا بوجه كذاب . فما الذي تدعو اليه ؟ فعرفه رسول الله حقيقة الاسلام فأسلم .

كان منظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يشد الانظار اليه ، لأنه الجمال والكمال . جمال الرجولة ، وكمال الانسان ، ومن أجل ذلك أحبه كل من رآه ، اذ كل شيء في رسول الله يعلن قوته وجماله وكماله : فها هو قد بلغ الستين من عمره وشكله شاب تجتمع فيه وفرة العافية ، فشعره اسود ، بل ان الذين عدوا شعرات شيبه لم يرقوا بها الى العشرين . أخرج البيهقي عن أنس بن مالك خادم رسول الله أنه عد شعرات شيب رسول الله ثم قال : ما كان في رأسه ولا لحيته الا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شبابه طاهرا عفيفا ، حفظه الله من الانغماس في اللهو والرذيلة ، وهما أشد ما يخشى على الشباب . روى البخاري عن رسول الله أنه قال : « ما هممت بشيء من أمر الجاهلية الا مرتين : كنت في غنم ارعاها ، فقلت لغلام معي من قريش : اكفني غنمي حتى آتي مكة ، وكان بها عرس فيه لهو ومزمار ، فلما دنوت من الدار لأحضر ذلك ، ألقي علي النوم ، فما أيقظني الا حر الشمس ، وفي المرة الأخرى قال لصاحبه مثل ذلك ، فألقي النوم عليه كما القي في المرة الاولى .

ولا شك في أن الله تعالى أراد له الحماية من الاسترسال في الهوى ، لأن المرة الاولى تجر الى أختها ، وحينذاك تسيطر الشهوات على النفس ويصعب أمرها ولئلا يكون ذلك ، كانت العصمة المانعة في أول الخطوة لا بمجاهدة نفسية منه ، وانما بنعاس القاه الله عليه .

وفي مكة كان كبار القوم وصغارهم يقصدون الأصنام لتقربهم الى الله زلفى ، فينحرون لها القرابين ، ويسجدون لها غدوا وعشيا . وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتخلف عن ذلك لأن فطرته السليمة هدته الى غيره . أخرج أبو النعيم وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : « هل عبدت وثنا قط ؟ قال : لا . قالوا : فهل شربت خمرا قط ؟ قال : لا . ومازلت أعرف ان الذي هم عليه كفر ، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان » .

وبعد هذا : لا يستطيع أحد ان يقول : لم اختيرت الجزيرة العربية ومكة المكرمة من دون الأماكن الاخرى لولادة النبي وبعثته ؟ لا يستطيع أحد أن يقول : لم اختير محمد دون غيره من الرجال ؟ وفيهم الأبرار الشجعان ؟ لا يستطيع احد أن يسأل ذلك ، لأن حكمة الاختيار لم تكن الا هنا . وصدق الله القائل : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الانعام / ١٢٤ .

النظرية الخلقية عند الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / راتب السعود

تمهيد :

إذا كان القرآن الكريم هو الأصل الوحيد للتربية الاسلامية التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى للانسان ليخرجه سويا متكامل الشخصية ، فان الأخلاق النبوية ممثلة بالسلوك العملي لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم تعتبر الأفرع لهذه التربية .

والتربية النبوية ، لم تكن مجرد نظريات أو أقوال نسمعها ويكاد يكون تطبيقها

ضربا من المستحيل أو نوعا من الخيال ، كما هو الحال مع كثير من النظريات والأفكار التربوية القديمة والمعاصرة ، إنما كانت تربية واقعية ، طبقت في سلوك الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتصرفاته العملية ولم تقتصر على أقوال صدرت عنه فقط ، أو مجموعة آراء احتوتها كتب أو حفظت في رفوف المكتبات .

لهذا وغيره ، كان لزاما علينا معشر المسلمين ، أن تكون لنا بين الفينة والأخرى وقفة تأمل في تلك التربية النبوية والنظريات الخلقية ، ننهل منها الزاد الخلقي والسلوك القويم ، الذي نحن بأمس الحاجة اليه في عالم اليوم المضطرب ، وليكون دعامتنا الوطيدة ضد الهجمات الشرسة من جانب الاستعمار الثقافي الذي تشهده أكثر البلدان المسلمه ، والصهيونية العالمية .. التي وضعت من أول اهدافها هدم الأخلاق الاسلامية المبنية على العقيدة الربانية فيسهل عليها وضع يدها الملوثة على العالم بأكمله كما هو واضح في بروتوكولات حكماء صهيون .

الخلق في اللغة والاصطلاح :

الخلق بضم اللام وسكونها : لغة : الطبع والسجية ، وفي الاصطلاح يطلق في مجالين :

الأول : يطلق على الصفة التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم ، ومنه « قوله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة ، قال يارسول الله : أخلقين تخلقت بهما أم جبلت عليهما ، قال : بل جبلت عليهما ، قال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله » (رواه مسلم).

والثاني : فهو يطلق على التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلا « وتركا » . ومنه « قوله صلى الله عليه وسلم : البر حسن الخلق ...» (رواه الترمذي) وقول عائشة رضى الله عنها في تفسير قوله تعالى « **وإنك لعلى خلق عظيم** » كان خلقه القرآن ـ رواه احمد وابو داود .

أخلاقه صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم :

كان صلى الله عليه وسلم فاضل الأخلاق ، حميد السجايا في جميع مراحل حياته ، فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا »، حيث اجتمع فيه من أوصاف المدح والثناء ما تفرق في غيره ، وكيف لا و قد اختاره الله من بين البشر كافة ليشرفه لحمل لواء هذه الرسالة الخاتمة . وينيط به هذه المسؤولية الصعبة والمهمة التي تحتاج لمثل هذه الاخلاق والصفات .

ولعل هذا الشرف الذي حازه صلى الله عليه وسلم ، شرف الاختيار لحمل الرسالة وتبليغها للناس كافة ، فضل من الله ، وهذا الفضل يؤتيه الله من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم .

وقد أثنى سبحانه وتعالى على رسوله الكريم ، ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات في آيات كثيرة ، من كتاب الله العزيز ، منها :

(١) قوله تعالى : « **ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم** » القلم ـ ١ ـ ٤ .

فقد أخبر سبحانه وتعالى في هذه الاية الكريمة عما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من أخلاق فاضلة ووصف خلقه بأنه عظيم وأكد ذلك بثلاثة أشياء : بالاقسام عليه بالقلم وما يسطرون ، وتصديره بان ، وإدخال اللام على الخبر ، وكلها من أدوات تأكيد الكلام .

(٢) قوله تعالى : « **والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى** » النجم ١ ـ ٤ .

وتدلك هذه الآيات الكريمة على ما اتصف به صلى الله عليه وسلم من النصح والأمانة والقيام بأداء الرسالة على الوجه الذي أراده الله ، فالرسول الكريم بعيد كل البعد عن الغي والضلال ، ويقول الحق ، ويبلغ رسالة ربه التي يتلقاها بوساطة جبريل عليه السلام للأمة كافة .

(٣) قوله تعالى : « **وما هو على الغيب بضنين** » التكوير ـ ٢٤ .

وهذه الآية الكريمة فيها قراءتان : بالظاء والمراد به المتهم ، وبالضاد والمراد به البخيل . وكلا هذين المعنيين منفي عنه صلى الله عليه وسلم ، فليس هو بالمتهم بكتمان ما أرسله الله به ، وليس هو بالبخيل لما انزله الله عليه ، بل يبذله لكل أحد .

(٤) قوله تعالى : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** »التوبة ـ ١٢٨ .

وقوله تعالى : « **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم** »الأعراف ـ ١٥٧ .

وقوله تعالى : « **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** » الحجرات ـ ٧

وقوله تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » ال عمران ـ ١٥٩ .

كل هذه الايات ، وغيرها توضح ما جبل عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، والتألم من كل ما يشق عليهم .

من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :

ليس بالامر السهل تفصيل القول في أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فذلك يحتاج

لمؤلفات طويلة ، ولا تستطيع مقالة مختصرة ـ كهذه ـ الايفاء بذلك ، إنما سنتناول الأمر بشيء من الاقتضاب فما لا يدرك كله لا يترك كله ، ومن هذه الاخلاق :

١) الجود والكرم :

لم يرق أحد من البشر إلى مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم في خلق الجود والكرم . الجود في الدعوة الى الله ، والجود في النفس ، والجود في الجاه ، والجود في المال ، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة ».

والجود في الدعوة الى الله أقصى صنوف الجود ، حيث أن حبه لأمته وللناس كافة كان يفرض عليه أن يبلغ هذه الدعوة الى كل البشر ليسعدهم في الدارين وليبعدهم عن عذاب جهنم ، وقد تمثل جوده صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة بالغزوات التي حارب فيها أعداء الدعوة الاسلامية وجرح في أكثرها وشج في وجهه وسال الدم منه وقد جاد عليه الصلاة والسلام بجاهه ، حيث صح عنه أنه قال : « لكل نبي دعوة مستجابة قد دعا بها فاستجيب له فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » (رواه مسلم).

وجاد صلى الله عليه وسلم بما أعطاه الله من المال ، فقد جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة ببردة منسوجة فقالت نسجتها بيدي لأكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا » اليها ولبسها ، فقال له رجل من الصحابة اكسنيها يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم نعم ، فدخل منزله فطواها وبعث بها اليه فقال له بعض الصحابة ما أحسنت .. لبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلا »، فقال اني والله ما سألته لألبسها انما سألته لتكون كفني ، قال سهل بن سعد رضى الله عنه فكانت كفنه » (رواه الترمذي).

٢) العفو والحلم :

وكما كان صلى الله عليه وسلم غاية في الجود والكرم والايثار فهو غاية في العفو والحلم والصفح والصبر والتحمل . ولعل سيرته العطرة حافلة بالوقائع الدالة على ذلك .

ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما فإن كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها . وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم قالت عائشة ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة . قالت : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يارسول الله ألم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت : وعليكم ».

وفي الصحيحين ايضا ، عن جابر رضى الله عنه ، قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، قال وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر الا والسيف صلتا في يده فقال لي : من يمنعك مني ، قال : قلت الله . ثم قال في الثانية : من يمنعك مني ، قال : قلت الله . قال : فشام السيف فها هو ذا جالس لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

٣) الرحمة والشفقة والرفق :

لم يحصل لأحد من البشر ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاتصاف بالرحمة لأمته والشفقة عليها والرفق بها ! حتى إن الله جلت قدرته نوه برحمته صلى الله عليه وسلم حيث قال في محكم التنزيل مخاطبا « اياه » : **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » ال عمران ـ ١٥٩ .

ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم ، ولما واصل صلى الله عليه وسلم في صيامه وعلم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك واصلوا معه فنهاهم عن الوصال اشفاقا عليهم قالوا فانك تواصل . قال اني لست كهيئتكم ».

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن اعرابيا بال في طائفة المسجد فثار اليه الناس ليقعوا فيه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه واهريقوا على بوله ذنوبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ». وعن أنس رضى الله عنه قال : ما صليت وراء امام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان منهم الضعيف والسقيم والكبير ، واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء . رواه البخاري ومسلم .

وفي الصحيحين ايضا : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ».

هذه الاحاديث الشريفة وغيرها تدلك على الرحمة التي كان يمارسها صلى الله عليه وسلم بأمته وشفقته عليها . وحرصه على ان يبعد امته عن كل مكروه او ضيق أو حرج .

٤) الشجاعة والجرأة :

وكما كان صلى الله عليه وسلم غاية في العفو والحلم والرحمة والشفقة فانه كان غاية في القوة والشجاعة والجرأة والاقدام . وقد جمع الله فيه عليه السلام قوة البدن وقوة الايمان ، فاستعمل هذه القوة في عبادة الله وطاعته والدعوة لنشر رسالته الى الناس كافة .

أخرج مسلم في صحيحه أنه قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . » فقد كان صلى الله عليه وسلم يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله وقد شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد . وفي غزوة حنين ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انهزم الكثير ممن معه ، ففي الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رجلا قال له : يا أبا عمار أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، إن هوازن كانوا قوما رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا سفيان بن الحارث آخذا في لجام بغلته البيضاء وهو يقول : أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

ولعل هذا الحديث الشريف يبين لنا جليا ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الشجاعة التامة ، حيث انه حين انكشف عنه جيشه مع أنه كان يمتطي بغلة لا تصلح لكر أو فر ، ولم يقف عند هذا الحد بل كان ينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه .

٥) التواضع :

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا وأقربهم الى الضعيف والمسكين وأبعدهم عن الكبر والترفع ، علما بأنه بلغ الحد الأعلى في الكمال الانساني ، فقد خصه الله بخصائص وميزه بميزات امتاز بها عن البشر في الدنيا وفي الآخرة ، حيث جعله الله أفضل المرسلين وخاتمهم وسيدهم وإمامهم وأولهم خروجا من القبر وتقدما للشفاعة .

كان صلى الله عليه وسلم يرشد أمته الى التحلي بصفة التواضع ويرغبهم في التخلق بها ، ومما قاله صلى الله عليه وسلم في ذلك »: ... وما تواضع أحد لله الا رفعه الله » (رواه مسلم).

وفي الصحيحين عن أنس رضى اللهُ عنه قال : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي : أف ولا لم صنعت ؟ ولا أصنعت ؟». وكان صلى الله عليه وسلم يخالط أصحابه ويداعب الصبي الصغير ، واذا مرَّ بالصبيان سلم عليهم .

وأخرج الامام أحمد في المسند أنه لما خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا « رسولا » أو نبيا ملكا اختار مقام العبودية والرسالة على مقام النبوة والملك . وروى البيهقي عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا ». وفي صحيح البخاري عن الأسود قال : سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ قال : كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة . وروى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو دعيت الى ذراع او كراع لأجبت ولو أهدي الى ذراع أو كراع لقبلت .

فلعمري ما بعد هذا التواضع من تواضع ، وخصوصا إذا علمنا أن صاحب هذا الخلق هو سيد البشر وأكرمهم ، الذي جعل فيه الله من الخصائص والميزات حتى سما بها إلى منزلة لا يساويه فيها غيره .

٦) النصح في الدعوة إلى دين الله :

تخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاخلاق الفاضلة من جود وكرم وتواضع وشجاعة ورحمة وشفقة وعفو ، وغيرها من السجايا الطيبة ابان قيامه بتبليغ رسالته ونشر دعوته ، فقد قام عليه الصلاة والسلام بأعباء هذه المهمة على الوجه الاكمل وصبر على ما اعترضه في هذا السبيل من أذى وآلام .

وقد ترك صلى الله عليه وسلم الناس على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، كفيلة لمن سلكها بعز الدنيا وسعادة الآخرة ، جاء ذلك نتيجة لاتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بكمال النصح وقوة البيان ونهاية الأمانة ، فما من شيء يقرب إلى الله الا دل عليه امته ورغبها فيه ، كما حذرها مما يخالف ذلك ، ولم يقصر صلى الله عليه وسلم في ابلاغ شرع الله مستخدما شتى الوسائل . حيث لم يدع وسيلة فيها إيضاح وإفهام للناس وحفز للهمم إلى القيام بطاعة الله والبعد عن معصيته إلا سلكها في سبيل دعوته الى الله .

خاتمة :

لعل في هذا غيضا من فيض مما كان عليه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام فمن الصعب علينا ان نحصر في أوراق قليلة كل ما يرتبط بالرسول المربي .

لقد كان محمد عليه الصلاة والسلام منذ أول لحظة في حياته الى آخر خفقة من خفقات قلبه ، متحليا بكل خلق كريم ، مبتعدا عن كل وصف ذميم ، اجتمعت فيه كل الآداب الاجتماعية في التعامل مع الناس ، تلك الأخلاق والآداب التي ستبقى مصدرا للتعلم والتأسي والاقتداء لكل الأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وبعد فاني أسأل الله الكريم ، أن يلهمنا جميعا الصواب والرشاد وأن يوفقنا للتأدب بآداب نبينا والتحلي بأخلاقه والسير على منهاجه لنكون من الفائزين بشفاعته صلى الله عليه وسلم ، إنه سميع مجيب .





للأستاذ / عبد الله كنور

أي قلب لا يعتريه وجيب   عندما يذكر اسمه المحبوب
جمع الله للقلوب جميعا   فيك من كل ما تحب القلوب
السنا والسناء والحسن والاحـ   ـسان فيك انتهى بها المنسوب
ومجالي الجمال في الكون طرا   هالة انت بدرها المرقوب
فالرياحين من شمائلك الغـ   ـر شذاها وروضها المهضوب
والدراري من نور هديك اقبا   س على ضوئها تجاب الدروب

xxxxxxxxxx

رحمة انت للعوالم مهدا ... ة بأندى من الغمام تصوب
وأمان لها وفك عقال ... وغد أفضل وعيش رغيب
أنت جليت اعينا كن منها ... في غشاء به الظلام يلوب
وقرعت الاسماع بالحق والامـ ... ـر الالهي فاستطير المريب

xxxxxxxxxx

عرف الناس منذ جئت اليهم ... كيف تصفو نفوسهم وتطيب
وتآخوا على التعاون والبـ ... ـر فمنهم قبائل وشعوب
اهدر واكل فارق كان من جنـ ... ـس ولون فليس فيهم غريب
واقاموا للعدل ميزان قسط ... وكفوا ذا نوائب ما ينوب
اصبحت دارهم مثابة أمن ... يعتفيها المحروم والمحروب
ويسود التعايش السمح فيها ... ويزاح الخصام والتثريب

xxxxxxxxxx

عظمت دعوة اتيت بها حيـ ... ـن توالت على الأنام الخطوب
دعوة الله لم تزل تتحدى ... كل دعوى بها الظلام مشوب
هي نور وشرعة ونظام ... ويقين تحنو عليه الجنوب
كم قبسنا منها علوما واسرا ... را بها جاءت الغيوب الطيوب
ووصلنا باللانهاية حبلا ... وتسنى للطالب المطلوب
إن من يبتغي الهدي من سواها ... لمريض قد غاب عنه الطبيب

xxxxxxxxxx

ايها الحائر الذي ليس يدري ... في ظلام الهوى الى ما ينيب
ضل قصد السبيل بين « يمين » ... « ويسار » كما تضل النيب
وتجافت به عن الدرب (علما ... نية) ما للعلم فيها نصيب
ها هنا الطهر والرضي والطمانـ ... ـينة فانضح بمائها ما يريب
والتزمها عقيدة تملأ الصد ... ر سرورا فهي الملاذ الرحيب
حيهل حيهل فهذا سبيل ... واضح النهج قاصد ملحوب
قد كفاك (الأمي) صلى عليه اللـ ... ـه ما لا يكفي حكيم اريب
وشفى الوحي منك غلة نفس ... فاستقامت قناتها والكعوب

xxxxxxxxxx

وهناك الاسلام والفوز بالحـ ... ـسنى فقد حط عنك إثم وحوب



مظهر لثورية الاسلام

للدكتور/محمد سعيد رمضان البوطي

اشتدت الصلة في السنوات الأخيرة بين كلمتي « الثورة » و « الاسلام » وظهر - لأول مرة ربما - شعار الثورة الاسلامية ، تعبيرا عن آمال إسلامية يتم السير نحوها بطريقة معينة ، او تعريفا بواقع فرض نفسه بشكل ما .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : ما مدى اتفاق مفهوم كلمة « الثورة » مع جوهر الاسلام المتمثل في نظامه وشريعته ؟

ومعلوم ان « الثورة » في عرف السياسة الحديثة ، تعني اي تغيير جذري شامل ، يحدث في الأنظمة السياسية او الاجتماعية ، قفزا فوق سنة التطور والتدرج ، سواء تم ذلك بطريقة سلمية هادئة ، أو بعامل عنف وسفك دماء .

غير ان الواقع الذي رصده التاريخ ، بدءا من الثورة الانجليزية التي ظهرت عام ١٢١٥ الى الثورة الفرنسية عام ١٨٧٩ الى الثورات الأخرى التي ظهرت هنا وهناك ، الى يومنا هذا ، حصر معنى الثورة في السعي الى التغيير الجذري بعامل العنف واراقة الدماء .. ولا شك ان هذه الأداة تفاوتت شدة واتساعا ما بين ثورة واخرى . غير انها ظلت سبيلا اساسيا وقاسما مشتركا بينها جميعا .

وهكذا ، فان التصور النظري ، وان كان لا يمنع من ان تقوم ثورة يسلك بها اصحابها طريق السلم ، الا ان الواقع لم يساعد هذا التصور ، يوما ما ، على فرض نفسه في مجال التطبيق .

ولا ريب ان لهذا الواقع اسبابه التي لا يصعب التنبه اليها ، غير ان هذا الحديث خارج عما نحن هنا بصدده .

إذن ، فلابد أن نتساءل : هل تتفق طبيعة الاسلام ، بحد ذاته ، مع اي منهج ثوري : « يقوم على الشدة والعنف » لاقامة المجتمع الاسلامي وتشييده ؟

بوسعي أن أبادر فأقول : ان حقيقة المجتمع الاسلامي الذي يقره الاسلام فعلا ، لا يمكن ان يشيّد ، اعتمادا على سبيل الشدة والعنف ، كما هو منهج الثوريين في الواقع والتاريخ . وما سبق ان قام مجتمع اسلامي صحيح ، على مثل هذا الأساس .

ذلك لأن إشاعة أحكام الاسلام ونظامه في المجتمع ، ما ينبغي ان تأتي إلا ثمرة لرسوخ جذوره الاعتقادية في الأفئدة والعقول . وذلك هو مجمل الفارق الكبير بين النظام الاسلامي وسائر الأنظمة الاجتماعية أو السياسية الأخرى .

الأنظمة الوضعية الثورية ، تفرضها اقلية مقتنعة بها او مستفيدة منها ، على اكثرية لا مصلحة لها فيها . ومن ثم فلا مفر من تثبيتها بطريقة واحدة لا ثانية لها ، وهي ان تلصق بالأمة إلصاقا ، وتحمل عليها حملا . وإنما اداة ذلك ـ على الأغلب ـ سلوك طريق الشدة والعنف .

اما عندما تكون هذه الأنظمة متساوقة مع رغبات المجتمع متآلفة مع فطرة الأفراد ، ومع مصالحهم اجمالا ، فلا داعي عندئذ للالتجاء الى سبيل الثورة والعنف ، كما هو واقع كثير من الدول القائمة .

اما نظام الاسلام ، فلا يصلح ، بل لا يقبل ، ان ينهض الا على دعامة خفية تكمن في اغوار النفس الانسانية ، ألا وهي استشعار معنى العبودية لله تعالى والخضوع لواقعها ، مع ما يستلزم ذلك من اليقين بوحدانيته ، ومراقبته للانسان ، وبأن مردّه اليه ، وبأنه سيجزيه الجزاء الأوفى على كل ما صدر منه من

خير او شر .. ولذلك كانت سائر الأعمال السلوكية التي تصدر من الانسان مهدرة لا قيمة لها في ميزان المثوبة الالهية يوم القيامة ، ان لم تنهض على هذه الدعامة الايمانية ولم تصطبغ بها . ونصوص القرآن صريحة وقاطعة في الدلالة على ذلك : **(وَقَدِمْنا الى ما عملوا من عمل فجعلناهُ هباءً منثورا)** ٢٣/ الفرقان **(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء)** ٣٩/ النور .

وبمقتضى هذه الحقيقة التي تبرز الفارق الجوهري الكبير بين طبيعة النظام الاسلامي وسائر الأنظمة الأخرى ، كان واجب المسلمين في السعي الى اقامة هذا المجتمع متمثلا باديء ذي بدء في العمل بالسبل الممكنة كلها على تنبيه العقول الى حقائق العقيدة الاسلامية ودلائلها العلمية الثابتة وعلى إزالة الشبهات التي قد تعوق دون الجزم بها ، ثم بالعمل بالسبل الممكنة ايضا على اخضاع هوى الأفئدة والنفوس لما استيقنته العقول وصدقت به . وهذا هو أعم معاني الجهاد واشملها واهمها في الشريعة الاسلامية .

وما من ريب في ان طريقا يتجه به سالكه الى العقول والأفئدة ، لا يصلح الا ان يكون طريق مرحمة وسلم وحكمة وأناة . وما من شك في ان أخطر العقبات التي قد تبرز على متنه إنما يتمثل في الضغينة والعنف .

وخير ما يمثل هذه الحقيقة ويبرزها صافية عن الشوائب ، قول الله عز وجل :

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل/ ١٢٥ .

فان أعوزك مظهر تطبيقي تتجسد فيه هذه الحقيقة ، فدونك فتأمل في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واستعرض مراحل دعوته كلها ، فلن تجد من خلالها الا ممارسة مستمرة لهذه الحقيقة ، وسعيا دائبا على هذا الدرب .

لقد أمضى عليه الصلاة والسلام ثلاثة عشر عاما من عمر دعوته الى الله والجهاد في سبيله وهو يخاطب العقول بالارشاد والتذكير ، ويتجه الى القلوب يستثير فيها العواطف الانسانية والفطرة الاسلامية ، دون ان يحرفه عن ذلك الطريق ما امعنت فيه قريش من العناد والبغضاء ومقابلته بشتى مظاهر الكيد والعدوان .

وربما توهم بعض الناس ، أنه الضعف الذي كان يعانيه النبي واصحابه آنذاك ، فهو الذي منعه من ان يقابل الشر بمثله ، وحمله على الصبر الى حين ..

غير ان هذا وهم وباطل من القول .. فلو كان الذي يمسكه على تلك الحال من التجمل والرحمة وسعة الصدر ، عجزه عن المقاومة ورد الكيد بمثله ، إذن لفرضت

طبيعة الثورة نفسها على حاله ومظهره ، ولتجلى ذلك ، على أقل تقدير ، في حقد ينفثه او توعد يشفى غليله به ، ولدعا عليهم ذات مرة بالسحق والمحق ، لا سيما وان دعاء الرسل والأنبياء أمضى من اسلحة الثائرين .. ولكنا قد علمنا انه صلى الله عليه وسلم ما كان يستقبل عدوانهم الا بمزيد من الشفقة والرحمة ، ولقد أبى ان يحرك لسانه بالدعاء عليهم حتى في أحلك الساعات واقسى الظروف التي مرت به .

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستقر به المقام فيها ، نظر المشركون فرأوا انه قد وجدت للنبي ارض يركن اليها ، واحاطت به جماعة تستن بسنته وتدعو بدعوته ، وانها بسبيل ان تنتشر في الناس وتستقر في افئدتهم وعقولهم ، فهاج بهم عندئذ هائج الضغينة والحقد ، وهبّت من ذلك ثورة لاهبة في صفوف المشركين ، تسعى لحماية الباطل الذي توارثه الأباء والأجداد ، وتلح على خنق حقائق الدين الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام .

وهكذا فان الأمر سار على عكس ما يتوهمه المتوهمون .. فالدعوة الاسلامية ، التي اختط رسول الله سبيلها الآمن الحكيم ، هي التي واجهت من المشركين ثورة البطش والعنف والعدوان ، وليس المشركون هم الذين فوجئوا من النبي واتباعه بتلك الثورة التي تنسب على ألسنة بعض الناس الى الاسلام .

وما واجه المسلمون اعداءهم يوما ما « وهم بقيادة المصطفى عليه الصلاة والسلام » على طول تلك المواجهة وعرضها ، بشيء من تشنجات الثائرين واحقادهم الهائجة . وانما كانوا يتصدون لثورتهم بالاخماد ، ويواجهون قوتهم بالتوهين ، ويلاحقون جموعهم بالتفريق ، وقاية لحقائق الدين الاسلامي ان تغتال في اشخاصهم ، فينكفيء الناس مرة اخرى الى ظلام الجاهلية ، ويعودون الى ماضيهم التائه المشؤوم .

لقد قيل للنبي عليه الصلاة والسلام ، إن أهل نجد بحاجة الى من يدعوهم الى الاسلام ويعرفهم به . فأرسل اليهم سبعة من عيون أصحابه ، يخوضون اليهم غمار أحقاد ضارية ، دون ان يجهزهم عليه الصلاة والسلام الا بمنطق الحق مضمخا بلوعة الشفقة والحب ، فتخطفتهم جميعا يد الغدر ودارت عليهم رحى القتل ولم يعد منهم أحد !.. ثم قيل مرة اخرى له عليه الصلاة والسلام عن شدة احتياج اهل نجد الى من يعرفهم بالاسلام ، فأرسل اليهم بدلا من اولئك السبعة سبعين من خلص أصحابه ، ولم يجهزهم الا بمثل ما جهز به إخوانهم من قبل ، فما كادوا يبعدون في ارض نجد حتى أحيط بهم ، وقتلوا عن آخرهم ، الا واحدا فقط ، وهو عمرو بن أمية الضمري ، وكأن الأقدار استبقته ليعود بالنبأ الأليم الى رسول الله .

فأي الفريقين ثائر هائج مغتاظ ، وأيهما يسعى الى إنفاذ دعوة الحق مضمخة بضياء المنطق ، نابضة بروح المحبة والاخلاص ؟!

ولما صد المشركون رسول الله عن البيت ، وقد اتجه اليه مع اصحابه معتمرين مسالمين آثر السلامة ، وعاد الى المدينة أدراجه ، ووقع مع المشركين على كتاب

صلح بين الفريقين كانت بنوده كلها خدشا لكرامة المسلمين واجحافا بحقهم ، لو انهم كانوا يسيرون في معاملة المشركين سيرة الثائرين .

ولما امكنه الله من العودة ظافراً الى مكة ، واظفره الله بأهلها ، وسار اليها ممتطيا أعلى ذرى القوة والنصر ، كان يراقب قلبه ألا يتسلل اليه شيء من روح السخيمة وهوى الانتقام ، وكان يحاذر الا يتسلل الى رأسه شيء من نشوة الظفر والانتصار ، وكان يراقب اصحابه ايضا ويحذرهم من ان يفتحوا افئدتهم لشيء من تلك المشاعر .. ولما بلغه ان سعد بن عبادة قال ، وهو على مشارف مكة ، كلمة اجرتها نشوة النصر على لسانه ، « اليوم يوم الملحمة ، اليوم نستحل الكعبة » رد عليه رسول الله قائلا : « بل اليوم يوم المرحمة .. اليوم تكسى الكعبة » .

وأبى رسول الله ، وهو يدخل مكة من اعلى قمم النصر ، الا ان يكون خاشع القلب مطأطىء الرأس ، يرتدي كسوة الذل والعبودية لمولاه !.. وقدم على المشركين قدوم الغائب على أهله .. وبدّد مخاوفهم من البطش والانتقام بقوله : اذهبوا فأنتم الطلقاء !..

فتلك هي صورة مراحل الدعوة الاسلامية في حياته صلى الله عليه وسلم كلها ، هل تجدها مسوقة الا برحمة القلب وشفقة النفس ، وهل تجدها متجهة الا الى العقول بالاقناع والى الأفئدة بايقاظ معاني الانسانية والحب ؟!..

غير ان المشكلة التي قد ترد على كلامنا هذا ـ في تصور بعض الناس ـ هي مسألة الجهاد .. أليس الجهاد أقدس شرائع الإسلام ؟ وهل يكون لمعنى « الثورة » مظهر أجل من هذا وأبرز ؟

والجواب أن الجهاد الذي شرعه الله قتالا للكافرين ، واستقر بابا من اخطر ابواب الفقه الاسلامي ، ليس في حقيقته اكثر مما تشرعه أي دولة ديمقراطية مسالمة اليوم ، بصدد حماية سلمها ورعاية أمنها .. وهو شيء ضروري لابد منه باجماع سائر فلاسفة القانون وعلم الاجتماع ، مادام ان البغي على وجه الأرض لم ينقطع بعد ، وأن مطامع الظلم والعدوان لا تزال بارزة المخالب والأنياب .

هل تجد دولة على وجه الأرض لا تهتم بانشاء جيش لها ، ولا تنصرف الى حماية ثغورها وتحصين حدودها ؟.. ان الجهاد الذي شرعه الله وألزم به عباده المسلمين ليس اكثر من ذلك ، مهما رأيت له من مظاهر وأشكال .

يقول ابن رشد في مقدماته على مدونة الامام مالك : « فاذا هوجر العدو ، وحميت أطراف المسلمين وسدت ثغورهم ، سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين » مقدمات ابن رشد ص٢٦٣ .

ويقول الشربيني في مغني المحتاج / ج ٤ ص٢١٠ : « ويحصل فرض الكفاية بأن يشحن الامام الثغور بمكافئين للكفار ، مع إحكام الحصون والخنادق وتقليد الامراء » .

وحسبك ان تعلم أن مشروعية الجهاد ليست من قبيل شرعة المقاصد والغايات ، وانما هي وسيلة لابد منها في ظروف معينة تفرض نفسها ، لتحقيق

غايات انسانية لا غنى عنها .

يقول العز بن عبدالسلام « ان الجهاد لا يتقرب به الى الله من جهة كونه افسادا ، وانما يتقرب به من جهة كونه وسيلة الى درء المفاسد وجلب المصالح » قواعد الأحكام ١/ ١١٢ ومعنى هذا ، كما قال جمهور الفقهاء ، ان الأصل هو السلم وحقن الدماء ، ولا تشرع الحرب إلا عندما تكون هي الوسيلة الوحيدة الى حماية السلم ودرء الفتن وحماية الأرواح . وعندئذ لا مناص من تطبيق القاعدة القائلة : يتحمل الضرر الأخف درءا للضرر الأعظم .

وبمقتضى ذلك يقرر معظم الفقهاء ان الباعث على القتال الذي يدخل في تعريف الجهاد ، انما هو درء الحرابة ، وحماية واجب الدعوة الاسلامية أن يمكن المسلمون من النهوض به على أتم وجه ، وليس صفة الكفر التي يتلبس بها غير المسلمين .

ومن أبرز الأدلة على ذلك ان رسول الله مازال ينهي في غزواته عن قتل الأجراء والعبيد والنساء والشيوخ ، والرهبان الذين انقطعوا في كهوفهم أو معابدهم . وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا النهج . فلو كان الباعث على القتال كفرا ، لاستوى في موجب القتل هؤلاء وغيرهم، بداية المجتهد ١/ ص ٣٧٢ .

غير ان هذا لايعني أن الجهاد في الشريعة يدخل تحت ما يسمى بالحرب الدفاعية .. فهذا العنوان ، لا يعبر عن حقيقة معنى الجهاد ولا عن طبيعته .

ان الجهاد (اذا ميزنا عنه قتال الصائلين والبغاة) انما يبتغي منه درء أسباب الحرابة والظلم من جانب ، وحماية واجب الدعوة الاسلامية التي كلف الله بها جميع عباده المسلمين من جانب آخر .. اذ الاسلام بمعناه الاعتقادي والسلوكي ، هو المنهج الذي فطر الله عليه عباده واختاره لهم والزمهم به في هذه الدنيا ، ولاراد لما ألزم الله عباده به ، لذا فقد كان عليهم جميعا ان يتقيدوا به في حق أنفسهم ، ثم ان ينشروا دعوته والتعريف به في اهل الأرض جميعا على اتم وجه وبأقوم سبيل . وما ينبغي ان تلقى هذه الدعوة أي صدّ أو عدوان ، مادامت مقيدة بحدود التعريف العلمي وازالة ما قد يكتنف الاسلام من شبه ومشكلات . فان لقيت هذه الدعوة صدا وعدوانا ، فهو ظلم صريح يملك المسلمون حق مجابهته والوقوف في وجهه ، ولا فرق بين ان تأخذ هذه المجابهة شكل الهجوم او الدفاع .

إذن فالجهاد ليس مظهرا لثورية الاسلام كما قد يتوهم بعض الناس . وانما هو الحزام الذي تتخذه اي أمة من الأمم ، في اي زمان ومكان ، لحماية سلمها ، والتمكن من اداء دورها الإنساني البناء على صعيد الأسرة الانسانية جمعاء .

★★★

وبعد ، فانما اردت ان أخلص من هذا كله الى تأكيد النقاط التالية ، واني لعلى يقين بأنها تهم كل متحرق على عودة راشدة الى الاسلام ، مهتم بأمر الدعوة الاسلامية والعمل لمصلحته ، بشكل ما :

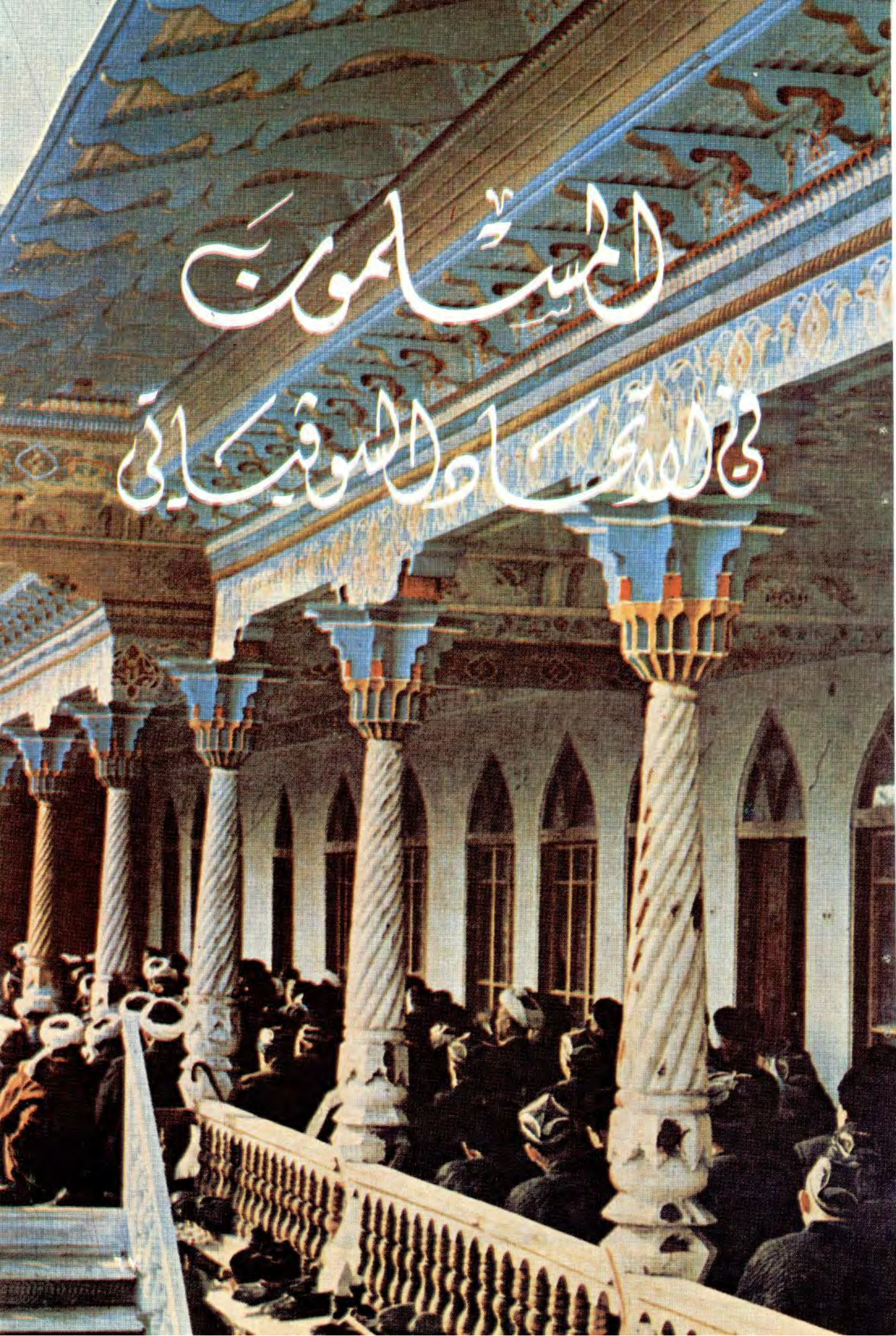
اولا : يتميز هذا العصر بكثرة الحركات الثورية التي تظهر في كثير من اطراف العالم الثالث ، مدفوعة بعوامل واسباب شتى ، ولكنها جميعا تتلاقى على صعيد مشترك يمثل الهياج النفسي والأحقاد المستعرة والسعي الى التشفي والانتقام .. وقد تجد بين اصحاب هذه الحركات من يكون معذورا في وقوعه تحت سلطان هذه العوامل . ولكن فليحاذر أولئك الذين لا غرض لهم الا العمل من أجل الاسلام والدعوة اليه ، من أن يصابوا بعدوى هذه الحركاتووبائها . فمحال ان ينهض وجود حقيقي للاسلام على دعامة من هذا القبيل !.. ان كل نظام من النظم الوضعية قد يفرض لصقا ، بواسطة الضغط الثوري ، الا الاسلام ، فانه لا يستقر وجوده إلا بغرس أصوله في تربة الأفئدة والعقول ، ثم استنباته بالرعاية والتوجيه ولا يتم هذا الا بمعاناة فردية صابرة .

ثانيا ـ انما يتكون المجتمع الاسلامي من أفراده الصالحين أولا . ولا تتمثل مهمة المسلمين في اكثر من النهوض الحقيقي بهذا الواجب . فإن هم انجزوا ذلك في صبر وإخلاص ، تكفل الله لهم ببقية الأمر ، وتوج جهودهم هذه بنظام إسلامي متماسك وسلطة اسلامية راشدة .. لذا ، فليحذر المسلمون من آفة هي اخطر آفات الحركات الاسلامية التي قد تظهر هنا وهناك ، اذ ما يكاد اصحابها يرون ان الاقبال على الاسلام يتزايد ، وان يقظة اسلامية واعية بدأت تظهر في صفوف الأجيال الناشئة ، وان الانظار أخذت تحسب للقوة الاسلامية حسابا ـ حتى تعاجلهم النشوة ويستبد بهم الزهو !.. فيتركون القاعدة التوجيهية التي ما كلفهم الله بغيرها ، ويطمحون الى حيث القمة ليبدلوا النظم والمظاهر والأشكال !!.. ولابد أن ينكفىء هؤلاء الطامحون على أعقابهم ، وقد خسروا قواعدهم الأولى ولم يفوزوا بأحلامهم الأخرى !.. وتلك هي مصيبة كثير من أصحاب الحركات الاسلامية في اكثر بقاع الأرض .

ثالثا ـ على المسلم الذي ينهض بأعباء الدعوة الاسلامية ، ان يكون شديد الرقابة على نفسه ، فلا ينتصر لها من حيث يتوهم أنه ينتصر لدين الله .. فإن بين هذين الطرفين حاجزا دقيقا جدا لا يكاد يبين ، ولكنه مع ذلك حاجز ذو أهمية بالغة ، ان ضاعت معالمه على السالك وقع من جرّاء ذلك في مغبة ضياع خطير ، وذهبت جهوده كلها أدراج الرياح .



لست أدري ، وانا اقرر هذه الحقيقة ، هل كنت رقيبا على نفسي الى الدرجة القصوى ، متيقظا للحاجز الدقيق الذي يمنعني من الانجراف نحو الانتصار للذات ؟.. أرجو ان اكون قد وفقت لذلك . وإني لأعوذ بالله من فتنة النفس والهوى .



المسلمون في الاتحاد السوفياتي

لقاء مع الوفد الاسلامي السوفياتي ضيف وزارة الأوقاف

الوفد الاسلامي السوفيتي
○ ضيف وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
○ زار الكويت منذ ايام قليلة ماضية وفد اسلامي من الاتحاد السوفيتي. والوفد يمثل المسلمين هناك، والبالغ عددهم « ٧٠ » مليون مسلم،
○ وقد اعدت الوزارة للوفد الاسلامي السوفيتي برنامجا حافلا اطلع خلاله على المعالم الاسلامية في الكويت، ومقابلة كبار المسئولين هنا.
○ والوفد يتكون من :-
○ سماحة المفتي : الحاج محمود بن كيكي رئيس الادارة الدينية لمسلمي شمال القفقاس.
○ وعضوية كل من :
○ زاهد عبدالقادر - المدرس بالمعهد العالي الاسلامي في طشقند، باسم الامام البخاري.
○ والشيخ محمد صادق كما - امام وخطيب المسجد المركزي في جمهورية قرقيزيا.
○ وهذه الزيارة تمت بناء على دعوة رسمية تلقاها الوفد من وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية - وتعتبر اول زيارة يقوم بها وفد اسلامي سوفياتي لدولة الكويت.

وقد كان لمجلة الوعي الاسلامي شرف مقابلة الاخوة الزوار واجراء هذا الحوار معهم وذلك حول مختلف القضايا التي تهم المسلمين ...

○ سماحة المفتي ما هي أهداف زيارتكم للكويت وهل حققتم تلك الأهداف ؟

● لعل اهم سبب لزيارتنا هذه هو التعرف على اخوان لنا في الله هنا في الكويت ... وذلك تحقيقاً لقوله تعالى : **« وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »** ولقد حثنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على تبادل الزيارات ويسرنا جداً مقابلتكم انتم في مجلة الوعي الاسلامي لأنقل لكم تحياتنا الشخصية وتحيات ٧٠ مليون مسلم يعيشون في الاتحاد السوفيتي ...

ان تبادل الزيارات بين المسلمين لهو امر مهم جداً ... ورؤية أخوة اعزاء لنا تربطنا بهم رابطة العقيدة الواحدة ... عقيدة التوحيد ورسول واحد صلى الله عليه وسلم وكتاب واحد هو القرآن الكريم .. امر ضروري بالنسبة لنا ...

○ من قابلتم في الكويت ؟

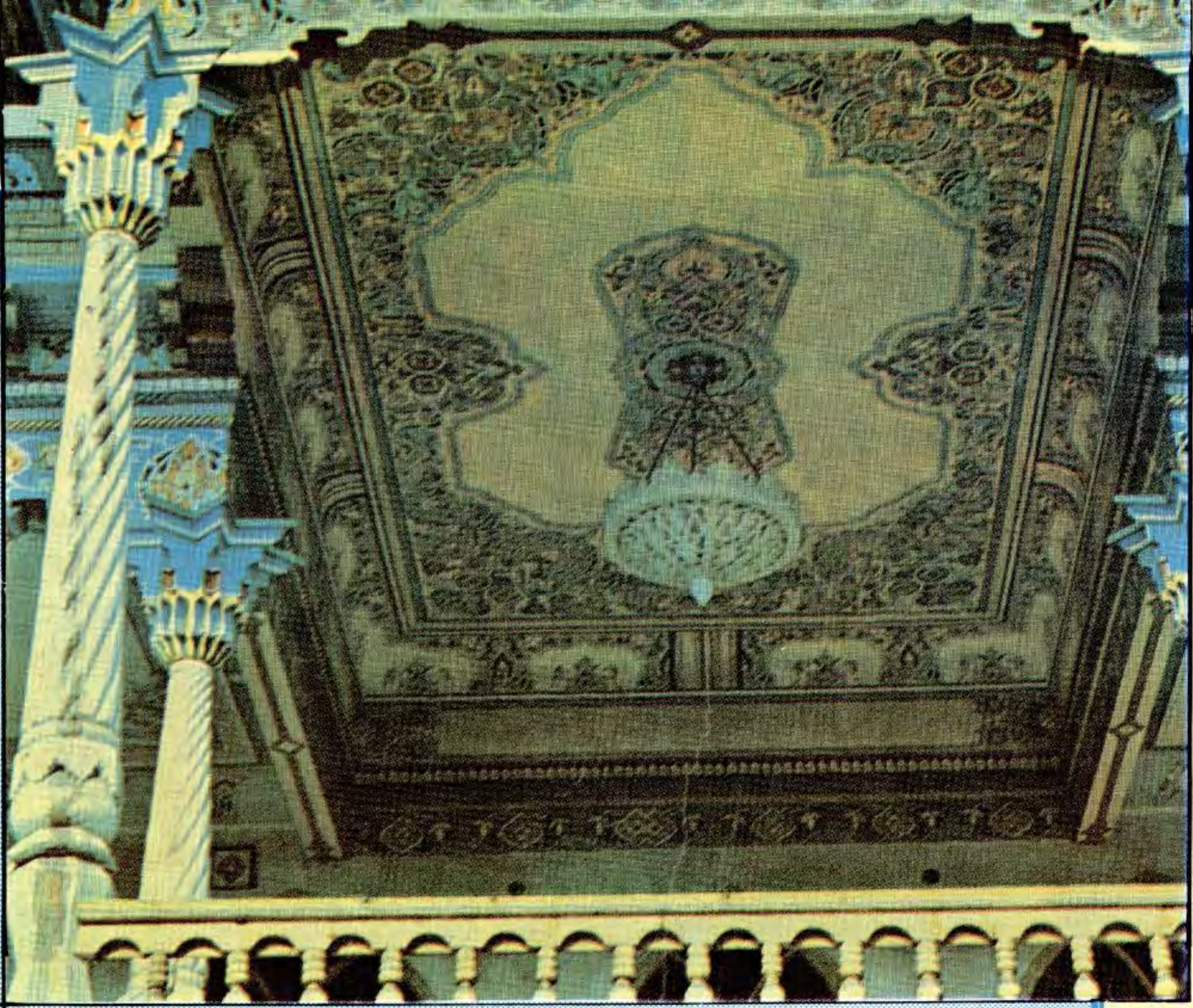
ـ لقد كان لنا الشرف الكبير بمقابلة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله الصباح كذلك التقينا بمعالي وزير الأوقاف السيد أحمد الجاسر ووكلاء الوزارة وموظفيها كما زرنا قسم الموسوعة الفقهية وزرنا اقسام المجلة واطلعنا على سير العمل بها لقد سعدنا جدا بهذه اللقاءات ونحمد الله كثيراً على توفيقه لنا بمقابلة هؤلاء الاخوة .



* رئيس الوفد الحاج محمود بن كيكي .

○ هل زار سماحة المفتي دولا اسلامية اخرى غير الكويت ؟

● نعم .. لقد زرت موريتانيا وغانا وفولتا العليا واليمن الشمالية ، وقد سررت كثيرا عندما علمت ان كثيراً من النصارى في هذه الدول قد من الله عليهم وهداهم الى الاسلام .. ولدي النية ان شاء الله لزيارة دول اسلامية أخرى في المستقبل .



○ سماحة المفتي .. هل لك ان تقول لنا شيئاً عن الحرية الدينية في الاتحاد السوفيتي ؟

● ـ بكل سرور ... يضمن دستور الاتحاد السوفيتي للمواطنين السوفييت حرية الاعتقاد لكل مواطن وذلك دون تدخل الحكومة .. نحن في الادارات الدينية نقوم بمهمة الاهتمام بالشئون الاسلامية كما نرعى اقامة الشعائر الدينية الاسلامية واصدار الفتاوي وتعيين الائمة وخطباء المساجد كما يدخل في اختصاصنا طبع الكتب الاسلامية والمصاحف واقامة المؤتمرات الاسلامية ..

والحكومة السوفيتية لا تتدخل في شئون المسلمين ونحن كذلك لا نتدخل في شئون الحكومة ...

○ سماحة المفتي هل لكم أن تعطونا فكرة عن المراكز الاسلامية في الاتحاد السوفيتي ؟

○ توجد في الاتحاد السوفيتي أربع ادارات دينية مستقلة تنظم الشئون الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي :

الأولى : تقع في طشقند واسمها الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازقستان ويرأس هذه الادارة الدينية سماحة المفتي شمس الدين خان ابن المفتي الراحل ضياء الدين خان .

الثانية : الادارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز وهي الادارة الدينية التي أراسها ..

الثالثة : الادارة الدينية لقسم سيبيريا وأوروبا من الاتحاد

السوفييتي ويرأسها سماحة المفتي طلعت تاج الدين وهو خريج من جامعة الأزهر الشريف ..

الرابعة : الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز .

○ **سماحة المفتي .. بودنا لو نعرف عدد الحجاج السوفييت الذين يحجون إلى بيت الله الحرام سنويا ؟**

○ يزور بيت الله حجاج سوفييت كل سنة وبعدد قليل وقدحججت انا شخصيا أربع مرات وأنوي زيارة بيت الله الحرام في السنوات المقبلة إن شاء الله ..

○ **هل لنا ان نعرف العدد السنوي لحجاج بيت الله الخارجين من الاتحاد السوفيتي ؟**

○ بحدود ٢٠ ـ ٢٥ حاجا سنويا

○ **سماحة المفتي .. كما تفضلت وبينت أن عدد مسلمي الاتحاد السوفييتي يبلغ ٧٠ مليون مسلم فهل تعتقد أن ٢٠ أو ٢٥ حاجا يمثلون شيئا لهذا العدد الضخم ؟**

○ لعل السبب الرئيسي في عدم زيادة هذا العدد هو المصاعب الناتجة عن عدم امكانية الحصول على إذن لزيارة المملكة العربية السعودية وذلك بسبب عدم وجود علاقة بين بلدنا والسعودية .. ويضطر حجاجنا للذهاب إلى بلد ثالث مثل مصر أو



* السيد/زاهد عبد القادر ـ عضو الوفد

الاردن أو سوريا ثم الحصول على إذن الزيارة من السفارة السعودية هناك ..

نأمل أن يزداد عدد الحجاج السوفييت في المستقبل إن شاء الله ..

○ **هل تصدرون نشرات أو مجلات إسلامية في الاتحاد السوفيتي ؟..**

○ نعم لقد طبعنا المصحف حوالي ٧ مرات وفي كل مرة نطبع ما يقارب من ٥٠ ـ ٧٠ الف نسخة كما نطبع ونصدر مجلة إسلامية بعنوان « المسلمون في الشرق السوفييتي » وهي تصدر باللغات : العربية ، التركية ، الفرنسية ، الانجليزية والفارسية . جميع المطبوعات تتم على نفقة تبرعات المسلمين .



* الشيخ محمد صادق عضو الوفد مع مندوب المجلة نجيب الرفاعي .

○ هل لكم علاقات مع جهات خارجية إسلامية ؟

نعم .. لدينا علاقات مع حوالي ٧٠ دولة إسلامية وغير إسلامية حيث نتبادل المنشورات والزيارات ..

○ هل لديكم ما يكفيكم من كتب إسلامية ؟

○ لدينا كتب إسلامية كثيرة . نحصل على الكتب الاسلامية من رابطة العالم الاسلامي في مكة .. كما تصلنا الكتب الاسلامية وكتب التدريس باللغة العربية من جمعية الدعوة الليبية ..

○ سماحة المفتي .. ماذا عن افغانستان ؟

○ نحن لم نأت لأغراض سياسية بل هدفنا هو الامور الدينية فقط

○ هل أعجبتكم الكويت وهل من كلمة أخيرة ؟

○ نحن مسرورون جدا باللقاءات التي حصلت بيننا وإخواننا المسلمين في الكويت وسنحكي لأخوانكم المسلمين في الاتحاد السوفيتي عن هذه اللقاءات كما سنكتب عنها في مجلاتنا ونشراتنا ..

ندعو لكم بالتوفيق في مجلة الوعي حيث أن عملكم هذا يعتبر جهادا في سبيل الله ..

من أعلام
القرن الثالث عشر الهجري

الشيخ رحمة الله الهندي والمبشرون

للاستاذ / محمد عزت الطهطاوي

من العلماء المسلمين الأفذاذ ، ولد ونشأ في بلاد الهند ـ وكان له شرف الدفاع عن الاسلام والتصدي لاعدائه هناك ـ حيث أرادوا القضاء عليه ـ فرد كيدهم في نحورهم فباءوا بالخيبة والخسران المبين .

يصفه الدكتور بركات عبدالفتاح دويدار عميد كلية الدعوة الاسلامية بجامعة الازهر بقوله : « **لقد كنا في مصر ولا يسمع بالشيخ رحمة الله الا بعض الخواص ، ولكن بمرور الزمن وجدناه يتصدر الاستاذية حيث اتجه الكثيرون للتلمذة عليه بعد وفاته ليعوضوا مافاتهم في حياته ، فصار كالمعدن النفيس الذي لا تفقد نفاسته مهما طال الزمن . وينقب عنه الباحثون علهم يظفرون منه بشيء** . كتاب المدرسة الصولتية د . أحمد حجازي السقا

ويقول عنه الدكتور / أحمد حجازي السقا المحقق لكتاب إظهار الحق ، للشيخ رحمة الله في طبعته الأخيرة « لقد رد الشيخ رحمة الله ومساعدوه على الحركة التبشيرية بمثل ما يفعل المبشرون ، ردوا على الكتب بالكتب ـ وأسسوا جماعة التبليغ للدين الاسلامي ـ وبمناظرته للقسيس « بفندر » رئيس البعثة التبشيرية ببلاد الهند وغلبته له ، رفع المسلمون رؤوسهم الى السماء

بانتصار الاسلام على النصرانية ولما خزى النصارى فكروا في الاعداد العسكري المسلح للاستيلاء على الهند استيلاء كليا وتم لهم ذلك سنة ١٨٥٧ ميلادية » . كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله الهندي طبعة ١٩٧٨ نشر دار التراث العربي بالقاهرة .

ذلك هو الشيخ رحمة الله بن خليل الله المعروف بخليل الرحمن ولد بحى (درباركلان) في قرية (كيرانه) التابعة لمحافظة (مظفرجار) في بلاد الهند في غرة جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ هـ الموافق ٩ من مارس ١٨١٨م - أما نسبه فينتهي الى عبدالله الكبير بن عمر بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وما يزال نسب هذه الذرية المباركة لعثمان بن عفان الذين استوطنوا بلاد الهند محفوظا في (الطوبار) أي السجل التاريخي القديم جيلا بعد جيل حتى اليوم في مبنى جلال الدين في مدينة (باني بت) .

وكانت عائلته واسعة الثراء عظيمة الجاه كبيرة النفوذ حتى ليقال إن الشيخ ولد في قصر من قصورها المشيدة - وفي صغره قرأ القرآن الكريم - ودرس كتب الشريعة الاسلامية واللغة العربية واللغة الفارسية على يد آبائه - ولا ستكمال تعليمه العالي ارتحل الى مدينة (دلهي) حيث التحق بمدرسة الاستاذ / محمد حيات ثم اتجه الى (لكنوك) مدينة العلم والادب والحضارة ، وتتلمذ هناك على المفتي سعدالله كما تتلمذ على آخرين من علماء الاسلام .

ثم عاد الشيخ رحمة الله الى وطنه في قرية كيرانه حيث اشتغل هناك بالتدريس . المرجع السابق

هجمة النصرانية على بلاد الهند وموقف الشيخ رحمة الله منها :

وفي ذاك الزمان من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كان المبشرون (النصارى) من طائفة البروتستانت جادين في نشر دينهم في بلاد الهند ويستهدفون الاسلام بكل طاقاتهم ، فأخذوا في الانتشار في جميع البلاد يبشرون بصليبيتهم في مجامع الناس وينشرون رسائلهم وكتبهم بين مختلف الطبقات - وكان منهم القسيس (بفندر) رئيس البعثة التبشيرية في عموم الهند ، وقد ألّف كتابا سماه (ميزان الحق) يدعو فيه السكان علنا الى النصرانية ، فدبّ الملل في نفوس الناس - وكادوا أن يخرجوا من ملتهم - وفجأة تنبه علماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ رحمة الله بن خليل الله للخطر الداهم على الاسلام والمسلمين هناك ، فوضعوا خطتهم التي ترتكز على محورين :

المحور الاول .

مطالعة كتب الدين النصراني وما شرحه علماؤهم في عقيدتهم كي يعرفوها حق المعرفة عند مناظرتهم لخصومهم أو عند الكتابة عنها .

المحور الثاني :

مقاومة الغزو التبشيري النصراني بأسلوب الفكر المستنير وإظهار الحجة القوية دفاعا عن الاسلام ودحضا للنصرانية وذلك على رؤوس الاشهاد .

وفي هذا يقول الشيخ رحمة الله « دعوت العالم النصراني « بفندر » أكبر القسيسين ورئيس البعثة التبشيرية في الهند للمباحثة والمناظرة علنا وعلى مرأى ومسمع من الناس لنحق الحق ونزهق الباطل ـ وقد انعقدت الجلسة الأولى للمناظرة في التاريخ المحدد لها بحي (أكبر أباد) في مدينة (أجرا) وكان مرافقا للشيخ رحمة الله الدكتور محمد وزير خان كما كان مرافقا للقسيس بفندر القسيس (فرينتش) أما شهود تلك المناظرة فكانوا كثيرين منهم رئيس الديوان ومستشار النظارة المالية والمفتي الحافظ ـ وباشكاتب النظارة المالية ـ ونائب أمير مدينة بنارس ـ وإمام الجامع الكبير في أجرا الشيخ قمر الاسلام كما حضرها رئيس تحرير جريدة مطلع الاخبار خادم علي خان وبعض أمراء الانكليز ومستر وليم حاكم المعسكر ومستر ليدلي المترجم الاول للدولة . **كتاب مجاهد في التاريخ ترجمة الدكتور احمد حجازي السقا .**

موضوعات المناظرة التاريخية :

كانت موضوعات المناظرة التي اتفق عليها خمسة هي

١) النسخ .
٢) التحريف .
٣) التثليث .
٤) حقية القرآن .
٥) رسالة محمد « صلى الله عليه وسلم » .

ماذا دار في جلسة المناظرة الاولى بتاريخ ١٠ من ابريل سنة ١٨٥٤ ؟

في بداية هذه الجلسة قام الشيخ رحمة الله وعرض وجهة نظره في النسخ وتحريف الانجيل وأثبت بأدلة استخرجها من كتب أهل الكتاب أنفسهم أن النسخ ممكن عقلا وواقع فعلا وأن الانجيل المتداول ليس هو الذي نزل من السماء على المسيح عليه السلام وخلال المناقشة اعترف القسيس بفندر بقوله (لا يوجد التحريف إلا في سبعة مواضع أو ثمانية في الانجيل) فعندئذ وقف الشيخ قمر الاسلام إمام المسجد الجامع وقال للمحرر الصحفي خادم علي خان اكتب في صحيفة مطلع الأخبار أن القسيس بفندر اعترف بالتحريف في الانجيل في سبعة مواضع أو ثمانية .

فصاح القسيس بفندر « نعم أنا اعترف الى هذا الحد ـ ولكن مثل هذا القدر القليل لا يضر الكتب السماوية » الا أن الشيخ رحمة الله ردّ عليه بقوله اذا ثبت

التحريف في وثيقة من الوثائق فانه لا يعمل بها وتكون لاغية - وحيث قد أقررتم بثبوت التحريف في سبعة أو ثمانية مواضع فكيف يكون الانجيل (الذي أصيب بالتحريف) صحيحا وتؤمنون به وتدعون اليه .

والى هنا انتهت الجلسة الاولى من المناظرة واتفق الطرفان على الحضور في جلسة أخرى تعقد في اليوم التالي . المرجع السابق

جلسة المناظرة الثانية بتاريخ ١١ من ابريل سنة ١٨٥٤ :

ولقد حضر في جلسة هذه المناظرة كثير من رجال الدين والسلك السياسي وكبار الناس كما حضرها القسيس وليم كلين - والقسيس هارلي وآخرون كثيرون غيرهم من رؤساء البلاد وكبار رجال الحكومة وعلماء الدين وعامة الشعب ذلك لأن الناس سمعوا بما دار في الجلسة السابقة وأن المسلمين قد غلبوا القساوسة النصارى .

وعندما انعقدت هذه الجلسة جرت المناظرة حول تحريف الانجيل - لكن لوحظ أن القسيسين كانوا يتحدثون بمنطق ملتو - ويحتدون في المناقشة بغضب شديد ، وينطقون بكلمات تستفز الشيخ رحمة الله وتغضبه ، لشعورهم بانعدام حجتهم وضعف موقفهم ، وعلى العموم فقد انتهت تلك الجلسة بهزيمة القسيس بفندر والذين معه - وعندئذ امتنع ذلك القسيس عن الحضور في باقي الجلسات واكتفى بمراسلة الشيخ رحمة الله في أول مايو سنة ١٨٥٤م وحتى ١٦ أغسطس من تلك السنة وما ردّ بجواب مقنع مما دعا الدكتور وزير خان الى توجيه رسالة اليه يقول فيها (كان يجب عليكم) :

أولا : الاجابة عن أسئلة الشيخ رحمة الله ثم بعد ذلك .
ثانيا : تلقون الانجيل وراء ظهوركم لاقراركم بتحريفه ، ولا تمتنعون عن حضور جلسات المناظرة حتى يتم بحث الموضوعات المتفق عليها . المرجع السابق

أسباب امتناع القسيس عن حضور المناظرة بعد انصرام جلستيها الاولى والثانية :

حدث في بداية انعقاد المناظرة الاولى أن أخذ الشيخ رحمة الله على نفسه عهدا أمام الحاضرين أنه اذا لم يستطع الاجابة على أسئلة القسيس بفندر فسيلزم نفسه بقبول عقيدة النصرانية ، كما التزم بهذا الشرط وأخذه على عاتقه القسيس المذكور إذ أعلن بأنه اذا غلب في المناظرة فسيعتنق دين الاسلام .

فلما أثبت الشيخ رحمة الله في مدة يومين فقط أن الانجيل شابه التحريف ، وانتزع الاعتراف الصريح بهذا من القسيس المذكور أمام الحاضرين امتنع القسيس عن

الحضور حتى لا تتكرر هزائمه في باقي مواضيع المناظرة فيضطر الى ترك دينه تنفيذا للشرط السابق الالماع اليه ـ لذلك فانه اكتفى من الغنيمة بالفرار من الميدان ليلعق جروح ذلته وجهله وحتى يسدل الستار على فشله الذريع .

ولما سمعت رئاسة الكنيسة البروتستانتية في أوروبا بما حدث لقسيسها بفندر من هزيمة ، سحبته من بلاد الهند وأوفدته ـ الى المانيا وسويسرا وبريطانيا ثم الى القسطنطينية عاصمة الخلافة الاسلامية وقتئذ ـ عضواً في بعثة تبشيرية أخرى لنشر النصرانية هناك .

وفي القسطنطينية أشاع ذلك القسيس كذبا أن علماء المسلمين في بلاد الهند فشلوا في مناظرته لهم ، مما أدى الى انتصار النصرانية على دين الاسلام ، فانزعج السلطان العثماني من تلك الاشاعة الكاذبة وحزن حزنا شديدا ، وأرسل سريعا في طلب الحقيقة من واليه بمكة المكرمة ، حيث كان يقيم الشيخ رحمة الله بعد فراره من بلاد الهند ولجوئه الى الاراضي الحجازية إثر احتلال القوات الانجليزية للهند ومحاولتهم القبض عليه عند مقاومته لهم . المرجع السابق

كيف احتفى السلطان العثماني بالشيخ رحمة الله ؟

ولما عرف السلطان العثماني بحقيقة مادار في المناظرة بين الشيخ رحمة الله والقسيسين في بلاد الهند وتغلبه عليهم ، أرسل في طلبه ، وبمجرد وصوله الى مدينة القسطنطينية ترك القسيس بفندر بعثته التبشيرية وفرّ هاربا من هناك ـ أما السلطان العثماني فقد خرج لاستقبال الشيخ رحمة الله في موكب رسمي واحتفى به حفاوة بالغة ، فقد دعا في حفل استقباله جميع علماء الدين في قاعدة الخلافة وكبار رجال الدولة واستمع الجميع من فم الشيخ لتفاصيل مادار في مناظرته مع القسيس بفندر وكيف قاوم جيوش الغزو الانجليزي في بلاد الهند . ولما انتهى الحفل الرسمي أنعم عليه السلطان بالخلعة السلطانية ، وأكرمه بالوسام المجيدي ، وجعل له راتبا شهريا من قبل دولة الخلافة . وكان يسمح له بحضور المجلس الاعلى لشئون الدولة مع شيخ الاسلام ورئيس الوزراء .

وسدا لباب الفتنة أمر السلطان العثماني بالقبض على القسيسين الأجانب ومصادرة كتبهم وطردهم من البلاد . المرجع السابق

حالة الهند السياسية في ذلك الوقت :

كانت الهند في ذلك الزمان تحت سلطان المغول المسلمين لكن في وقت بدأ فيه سلطانهم يلفظ أنفاسه الأخيرة من الضعف ـ وكانت شركة الهند الشرقية « الانجليزية » تعمل على

بسط نفوذها على عموم الهند ـ ولما قام الهنود بثورتهم الكبرى ضد تلك الشركة سنة ١٨٥٧ انتهت الثورة باستئصال الحكم المغولي والقضاء على الحكومة الاسلامية واستيلاء الانجليز على جميع البلاد ـ وكان من أول أعمالهم مجابهة الاسلام والمسلمين فقتلوا الآلاف المؤلفة من خيرة علماء المسلمين المجاهدين هناك فثار الشيخ رحمةالله على الانجليز وقاومهم أشد المقاومة مع من كان معه إلا أن الانجليز استعملوا الخديعة واشتروا بعض المواطنين الخونة فانهزم المجاهدون المسلمون ، وفرّ الشيخ رحمةالله الى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٤ هـ التي توافق سنة ١٨٥٨ م كما قدمنا آنفا .

ولما لم يعثر له الانجليز على أثر في بلاد الهند ، أحصوا أملاكه وكانت كثيرة وصادروها جميعا وباعوها في مزاد علني بثمن بخس روبيات معدودة بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٨٦٤ م انتقاما منه . المرجع السابق

قيام الشيخ رحمةالله بالتدريس في المسجد الحرام :

ولما استقر به المقام في مكة المكرمة علم بمقدمه كبير علمائها الشيخ أحمد ابن زينى دحلان ، الذي كان يقوم بالتدريس في المسجد الحرام فقابله ودعاه الى ضيافته وأكرمه غاية الاكرام خصوصا لما سمع بما جرى في المناظرة التي كانت بينه وبين القسيس بفندر أمام رؤساء الهند وسفراء الدول الاجنبية وغلبة الشيخ رحمةالله على القسيس المذكور ، ثم طلب كبير علماء المسجد الحرام من الشيخ القيام بالتدريس في المسجد الحرام حتى ينتفع الناس به وبعلمه فقام به خير قيام .

مؤلفاته في نقد دين النصرانية وغيرها :

ألّف الشيخ رحمةالله كتبا كثيرة في نقد دين النصرانية والرد عليها وياحبذا لو اهتم المسلمون وولاة أمورهم في زماننا المعاصر لا بطبعها ونشرها فحسب ، بل وتدريسها في مختلف المعاهد الدينية والعلمية ليتسلح المسلمون بها أمام الحملات التبشيرية الضارية التي يوجهها الغرب الصليبي حاليا الى بلاد الاسلام ونذكر من هذه الكتب :

أولا ـ كتاب اظهار الحق :

ويتضمن هذا الكتاب تفاصيل المناظرة التي سبقت الاشارة اليها بين الشيخ رحمةالله والقسيس بفندر ويقع في ٤٢٠ صفحة ـ وقد ترجم الى اللغات الاوربية المختلفة بأمر من الحكومة التركية في ذلك الوقت .

ثانيا ـ كتاب إزالة الشكوك :

وهو يجيب على ٣٩ سؤالا سألها رجال النصارى علماء الاسلام ـ ويقع في جزءين ويحتوي على ١١١٦ صفحة ويتناول بالأدلة القاطعة إثبات نبوة

محمد خاتم النبيين « صلى الله عليه وسلم » كما أثبت تعمد أهل الكتاب تحريف التوراة والانجيل .

ثالثا ـ كتاب إزالة الأوهام :

وقد ألّفه الشيخ رحمة الله باللغة الفارسية للرد على كتاب (ميزان الحق) الذي ألّفه القسيس بفندر باللغة الفارسية ـ وقد فند فيه حجج النصارى التي أوردها القسيس بفندر في مؤلفه المذكور .

رابعا ـ كتاب أحسن الأحاديث في إبطال التثليث :

تكلم فيه الشيخ رحمة الله عن التثليث في النصرانية وأبطله بالدلائل العقلية والنقلية .

خامسا ـ كتاب البروق اللامعة :

أثبت الشيخ رحمة الله في هذا الكتاب أن محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوب عنه في التوراة والانجيل ولانبي بعده بأدلة استخرجها من الكتب المقدسة عند أهل الكتاب .

سادسا ـ كتاب التنبيهات في إثبات الاحتياج الى البعث والحشر :

وفيه يؤكد الشيخ رحمة الله حقيقة البعث بعد الموت وأن الحياة الآخرة هي غير الحياة الدنيا ـ وذلك ردا على منكري البعث وحشر الخلائق يوم القيامة . كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله الهندي

مكانة الشيخ رحمة الله العلمية :

كان رضوان الله عليه عالما جليلا وباحثا عظيما ، جمع الى علمه الديني بعقيدة الاسلام وشريعته ، إلمامه الكبير بما تنطوي عليه عقائد وكتب أهل الكتاب من تحريف وتغيير وتبديل ، فجادلهم وأفحمهم وانتصر عليهم ، كما ألّف الكتب القيمة في مجابهتهم والرد عليهم وقد بلغ من قوة حجته وسطوة براهينه وأدلته أن جريدة لندن تايمس علقت على واحد من مؤلفاته عندما وصلت الى مدينة لندن الترجمة الانجليزية لكتابه (اظهار الحق) بقولها (لو اطلع الناس على هذا الكتاب فانهم لن يقبلوا الدين النصراني وبذلك يتوقف نشر الديانة النصرانية) المرجع السابق

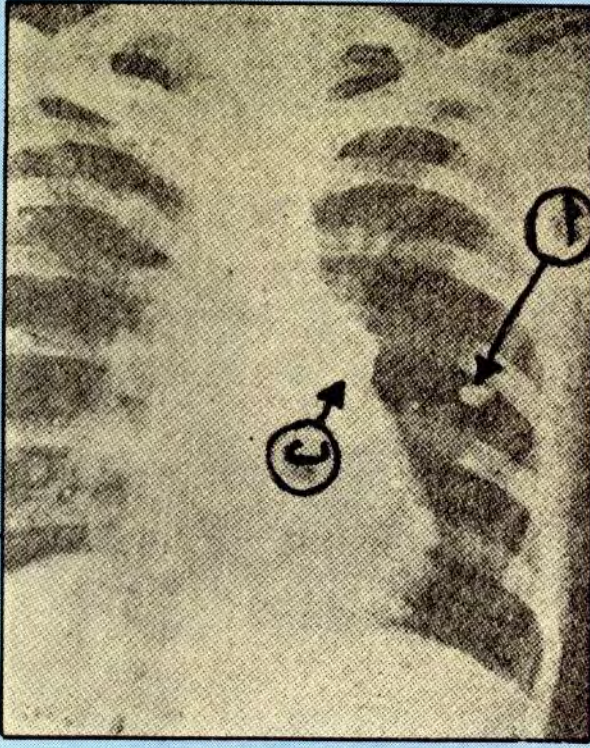
رحم الله الامام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي لقاء ماجاهد وجادل ودافع عن الاسلام بنفسه وبلسانه وقلمه وكتبه وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فهو لم يتوان قط طيلة حياته عن إعلاء كلمة الله ورفع راية الاسلام في عصر كانت الفتن فيه تحدق بالمسلمين وتحيط بهم ظالمة ومظلمة ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

من أمراض

مؤذنة

خرج صاحبنا من بيته متوكلا على الله مستعينا به متوجها إلى عمله واستقل إحدى وسائل المواصلات العامة وشاء حظه العاثر أن يجلس قبالة أحد الثرثارين الذين ينسون أنهم في مكان عام . وفجأة توقف ذلك الثرثار عن الكلام وتشنج قفاه العريض وأصداغه الضخمة واقترب من نافذة العربة وأطلق بصقه من بين شفتيه الغليظتين كأنها قذيفة موجهة تناثرت شظاياها فأصابت الجالسين حوله الذين تعددت ردود الفعل عندهم ، فمنهم من نهره ومنهم من نظر إليه في صمت نظرة أبلغ من الكلمات ولكنه لم يعبأ بذلك كله ، وحينما جاءت محطة نزوله غادر العربة بكل برود وكأنه ما فعل شيئا !! وقال قائل : لو كنا في أوربا ما رأينا مثل هذا المنظر الذي تتقزز منه النفوس ورد صاحبنا قائلا :
بل لو فهمنا اسلامنا والتزمنا بآدابه ما رأينا مثل هذا المنظر ولا غيره ، ومتى نتخلص من عقدة الخواجة ؟ وتساءل القائل في دهشة : وهل تناول الاسلام مثل هذه الأمور ؟ وأجاب صاحبنا : نعم - ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود .. فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء (القاذورات) في دورهم » (رواه البزار في مسنده) وقوله : عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« البصاق على ارض في المسجد خطيئة وكفارتهاردمها » (رواه مسلم)

وهكذا ترى في هذين الحديثين من التوجيهات النبوية ما يقي الفرد شر الإصابة بالمرض بمحافظته على النظافة دائما في ملبسه ومسكنه ومأكله ومشربه والأماكن العامة والخاصة التي يغشاها



○ صورة اشعة للصدر تبين إصابتين بالتدرن بالرئة اليسرى .

الجهاز التنفسي

للدكتور/ غريب جمعة

أو ما يقي المجتمع أيضا شر انتقال العدوى بين أفراده بمنع البصاق على الأرض وهو ما يسميه الأطباء في العصر الحديث : بصحة البيئة . وما كان الاسلام ليمنع البصاق في المسجد ويعتبره خطيئة تستوجب كفارة ثم يسمح به في أماكن العمل والطرقات ووسائل المواصلات .

وقد سبق - أخي القارىء - تناول مرضين من أمراض الجهاز التنفسي في عدد ذي القعدة ١٤٠٣ من هذه المجلة الغراء وبينا كيف تنتقل العدوى بهما وطرق الوقاية منهما وفي هذه المرة نتناول مرضا ثالثا شائعا ألا وهو :

التدرن الرئوي = الدرن الرئوي =
السل الرئوي = T.B = tuberculosis

كلمة عامة :

هو واحد من الأمراض المُعْدِيَةِ وقد تمكن العلماء من اكتشاف ميكروبه منذ زمن بعيد ويطلق على ذلك الميكروب اسم :

عصية التدرن أو بآسيل التدرن وهو يصيب الرئتين بصفة خاصة لكنه قد يصيب أعضاء أخرى مثل :

الكليتين ، العقد اللمفاوية ، الجلد ، الحنجرة ، العظام ، المفاصل ، الامعاء وأجزاء معينة من أعضاء التناسل . وسوف يقتصر الحديث هنا على إصابة الرئتين فقط ، وهي تحدث في أي سن وأي جنس لذلك يجب التنبه لها خصوصا بالنسبة للأفراد الذين يخالطون مرضى السل والعاملين في المستشفيات والمصحات وبعض المصابين بالأمراض المزمنة مثل البول السكري . ويتميز ميكروب هذا المرض بأنه يغزو الجسم في هدوء وبطء لذلك يحتاج المرض الى وقت طويل في العلاج . وقد أصبح العلاج

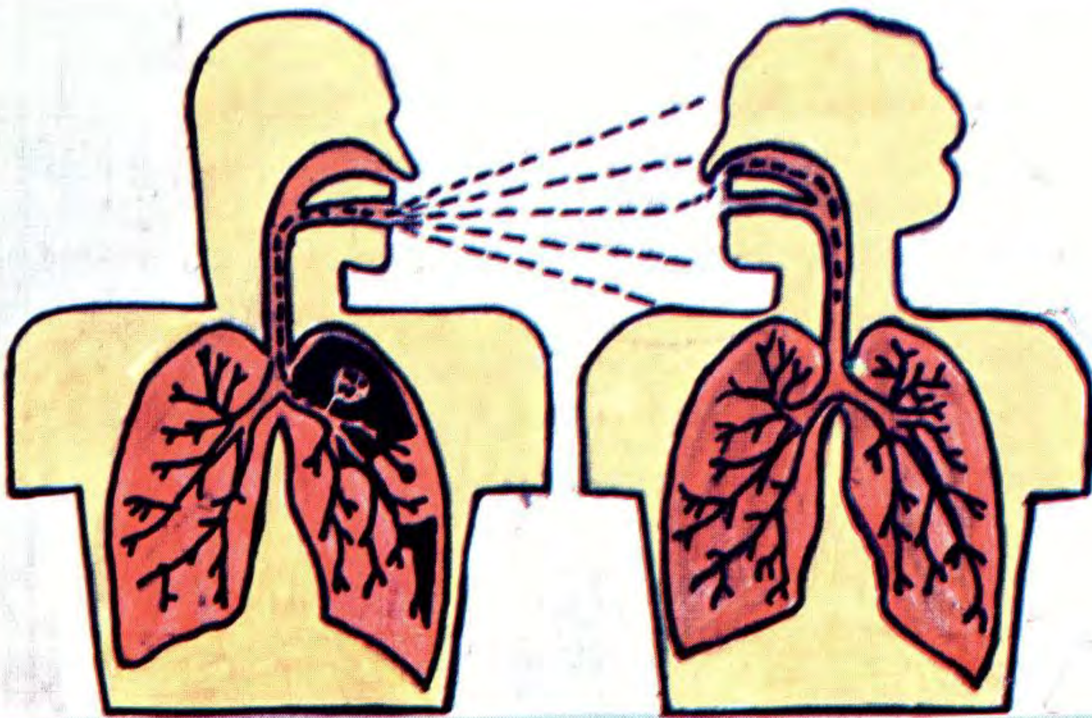
بفضل الله ميسورا والشفاء يكـاد يكون كاملا إذا تم اكتشاف المرض مبكرا ولم تعد الاصابة بالسل الرئوي شبحاً يثير الذعر عند المريض وعند من حوله من المخالطين .

كيف تتم الإصابة بالمرض ؟

تصل الميكروبات إلى الجسم بطرق شتى ولكن مصدرها واحد وهو بلغم المريض المصاب بهذا الداء ومن هذه الطرق :

أولا : **الاستنشاق** : ويتم ذلك بطريق مباشر بواسطة الرذاذ الذي يخرج مع السعال والبصاق مُحَمَّلاً بالميكروبات من الشخص المريض كما في حالة التقبيل مثلا وهذا هو السبب غالبا في انتقال العدوى من الآباء إلى أولادهم ، وقد يكون بطريق غير مباشر وذلك باستنشاق الذرات التي تخرج مع السعال والبصاق والتي يحملها الهواء أو الغبار الجاف نتيجة البصق على الأرض وحتى إذا جف البصاق فإن ميكروبات الدرن تعيش شهورا طويلة في البلغم الجاف دون أن تفقد قدرتها على غزو الجسم وإصابته بالمرض .

ثانيا : **عن طريق الفم** : في هذه الحالة يدخل الميكروب عن طريق الفم ليصل إلى الأمعاء ويؤدي إلى إصابتها بدرن الأمعاء ويكون ذلك نتيجة شرب اللبن القادم من حيوان مصاب بالدرن أو تناول لحومها أيضا .



○ المريض بالدرن الرئوي يخرج عند السعال رذاذا من فمه يحمل آلاف الميكروبات والعطس كذلك ، وهذا الرذاذ يسبح في الهواء ويلوثه بحيث اذا استنشقه شخص آخر دخل الهواء رئتيه حاملا الميكروبات والخطر الاكبر هو من تكرار حصول ذلك ، إذ يصعب على الجسم مكافحة غزو الميكروبات المتكرر .

ماذا يحدث داخل الجسم ؟

١) عند دخول الميكروبات إلى الجسم السليم لأول مرة تسمى هذه الحالة :

بمرحلة الاصابة الابتدائية وفيها تتكاثر الميكروبات ولكن الجسم يقوم بتجميع وسائل الدفاع التي حباه الله إياها في مكان الإصابة وتدور معركة شرسة ويكتب النصر للجسم في المعركة الأولى ويكون ذلك بقتل بعض الميكروبات ومحاصرة نشاط المتبقى منها بتغليفه بنسيج ندبى غليظ وتظهر تلك الندب في رئات كثير من الأشخاص الأصحاء الذين لا يشكون من أعراض المرض عند الكشف بالأشعة على الصدر . وتظل الميكروبات المحاصرة على قيد الحياة ولكن دون خطر يذكر ، والإصابة الابتدائية لا تسبب أعراضا ملحوظة في العادة ولكن من الضروري اكتشافها لتظل الميكروبات المحاصرة دون انطلاق . ويتم اكتشاف الإصابة الابتدائية باختبار بسيط يسمى اختبار « مانتوه » حيث يقوم الطبيب بحقن مادة تحت الجلد تسمى مادة «التيوبركيولين» وهي عبارة عن سائل معقم به عناصر باسيل الدرن . فإذا كان الاختبار ايجابيا دَلَّ ذلك على وجود ميكروبات سبق لها غزو الجسم وفي هذه الحالة يستطيع الطبيب أن يعرف ما إذا كانت تلك الميكروبات لا تزال سجينة أم أنها انطلقت لتمارس نشاطها الإجرامي داخل الجسم وذلك بتصوير الصدر بالأشعة وباكتشاف علامات الدرن النشيط في مراحله الأولى .

مقاومة الجسم : تتوقف مقاومة الجسم لميكروبات الدرن على عنصرين أساسيين :

أولهما : حالة الجسم الصحية . فسوء الصحة وطول السهر والعمل المضني في الأماكن الرطبة والإقامة في الأماكن المزدحمة سيئة التهوية وسوء التغذية والأمراض المزمنة كل ذلك يضعف قدرة وسائل الدفاع الموجودة بالجسم .

وثانيهما : كثرة التعرض لميكروبات الدرن ولأعداد كبيرة منها كما في حالة معاشرة شخص مصدور (مريض بالدرن) دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة للوقاية كما يحدث بين زوجين لا يعلم أحدهما بإصابة الآخر وكما يحدث لطفل يعيش مع والد مصدور أو مدرسة أو مُرَبِّيَةٍ تعاني من هذا المرض .

٢) مرحلة ما بعد الاصابة الابتدائية (الدرن النشط) :

وتحدث هذه المرحلة حينما تسقط وسائل الدفاع صرعى أمام الميكروبات الغازية وتنهار مقاومة الجسم وتعيث الميكروبات فسادا في الجسم بحريتها إما بواسطة الدم حيث يحملها إلى أعضاء الجسم المختلفة مثل العظام والمفاصل والجهاز البولي .. الخ أو بواسطة الشعب الهوائية بالرئتين وهنا تكون تكون الإصابة مركزة بالرئتين وهي تحدث عادة عند الشباب ومتوسطى الأعمار وهي أكثر مراحل المرض شيوعا وتمثل غالبية الحالات من مرض الدرن الرئوي .

الأعراض :

حينما نذكر الأعراض هنا فإننا

نذكرها ببساطة والتشخيص النهائي متروك للطبيب المختص والغرض من ذكرها هو مجرد التنبيه لمن يشعر بها أو ببعضها أن يقوم بعرض نفسه على الطبيب حتى يمكن اكتشاف الحالة مبكرا أما أن يجزم شخص عادي لآخر بأنه مريض بالدرن دون أثارة من علم فهذا تدخل فيما لا يعنيه ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . ومن هذه الأعراض :

١) قد يشكو المريض سواء كان طفلا أو شابا من ضعف قدرته وفقدان شهيته للطعام ونقص في الوزن وارتفاع في درجة الحرارة ولما كانت هذه أعراض أمراض أخرى فأننا ننبه مرة أخرى إلى عدم الاندفاع في التشخيص وترك الأمر لأهله

« **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » (النحل/ ٤٣) ومن العجيب أننا نحترم التخصص في المجالات المختلفة أما في مجال الدين أو مجال الطب فما أكثر من يتطوع بالفتوى متجاوزا حدوده . بل إن بعض السيدات يعالجن بعضهن أو أولاد بعضهن من النوافذ أو من شرفات المنازل !!

٢) بالنسبة للبالغين قد يلاحظ المصاب إحساسا بالفتور أو الضعف أو غير ذلك من الأعراض إلا أنها تكون محتملة فلا تسترعي الانتباه ولكن تظهر أعراض أخرى مثل السعال والبلغم وارتفاع درجة الحرارة والعرق الليلي الغزير ونزيف الرئتين ويكون ذلك بعد حوالي ستة أشهر أو أكثر من بداية فتك المكيروبات بالرئتين .

٣) عادة يصاحب الدرن الرئوي المزمن التهاب الغشاء البلوري (الجنبة) المحيط بالرئة ويكون على هيئة ما يعرف بالانسكاب البلوري أي تكوّن سائل بتجويف البلورا بين الرئة والقفص الصدري وتكثر المضاعفات في الإصابة الرئوية ولكل أعراضه المميزة .

٤) من مضاعفات الدرن الرئوي انفشاش الرئة المفاجىء بعد إنثقاب تجويف تدرني (درني) عميق واتصاله بتجويف البلورا حيث يسمح بدخول الهواء والمادة المعدية إلى داخل التجويف .

٥) إذا ما أفرغت إصابة رئوية مزمنة محتوياتها فجأة في الشعَبْ الهوائية الرئوية انتشرت الإصابة في جزء كبير من الرئة وأدت إلى ما يسمى بالالتهاب الرئوي الدرني .

وأحب أن لا ينزعج القارىء الكريم حينما يقرأ مثل هذه الأعراض أو المضاعفات التي يمكن أن تحدث نتيجة الدرن الرئوي لأن نسبتها انخفضت انخفاضا كبيرا بفضل الله الذي وفق العلماء إلى H كتشاف المضادات الحيوية . ولكنها حقائق نذكرها حتى لا يهمل المريض علاجه خصوصا وأنه يستغرق وقتا طويلا ربما يسبب له الملل من الاستمرار في العلاج .

العلاج :

لا يمكن هنا أن نكتب تذكرة طبية

(روشتة) نمطية ولكن الأمر متروك للطبيب المعالج حيث يستطيع أن يحدد نوع العلاج والجرعة الكافية والمدة اللازمة لهذا العلاج والأبحاث التي يجب عملها قبل وبعد العلاج وكل ما يمكن أن نقوله هنا هو كلام عام للاستنارة فقط .

في الحالات البسيطة يمكن أن يعالج المريض في المنزل أما الحالات الشديدة وكذلك في بدء علاج الدرن النشط فيجب على المريض أن يدخل إحدى المصحات القريبة منه حيث يجد كل أسباب الراحة البدنية والذهنية ويتعرف على نظام التغذية اللازم ووسائل العناية الطبية التي تنتهي به الى الشفاء بإذن الله .

وهناك نوع آخر من العلاج هو العلاج الجراحي حيث يستأصل الجَرَّاحُ جزءاً من الرئة أو يستأصل الرئة بأكملها وذلك في حالة فشل العلاج الدوائي ومثل هذه الجراحات لها تفاصيلها وضروراتها وليس هنا مجال تفصيلها .

الوقاية :

تنحصر الوقاية من هذا المرض في ثلاثة أمور :

١ ـ المحافظة على الصحة
٢ ـ منع التعرض لميكروبات الدرن
٣ ـ كشف المرض في أطواره الأولى .

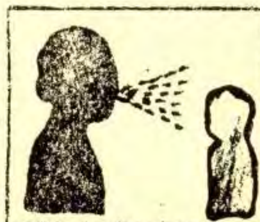
والوصول إلى هذه الأمور الثلاثة يكون



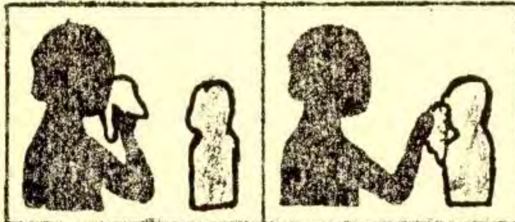
○ يمكن لـلام المريضـة ان تعدي صغيرها عندما تقبله في فمه .



○ البصق على الارض قد يتسبب في نقل الميكروبات إلى طفل برىء أثناء لعبه فتنتقل العدوى من أصابعه إلى فمه .



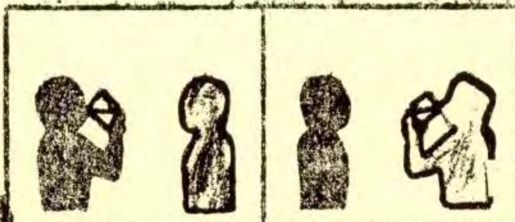
○ السعال والعطس والكلام تسبب خروج رذاذ من الفم والأنف يحمل ميكروبات المرض فتنتقل الى غير المريض .



○ منديل المريض ينقل الميكروبات فاذا استعمله غيره انتقلت الميكروبات المعدية إليه .



○ النوم في سرير ومع مريض بالدرن هو الآخر طريقة من طرق انتقال العدوى



○ ما يستعمله المريض من ادوات قد تتلوث من شفاه المريض فاذا استعملها شخص آخر انتقلت اليه الميكروبات .

باتباع التعليمات الآتية :

أولا : بالنسبة للمريض :
١) يجب أن تكون للمريض أدواته المنزلية الخاصة به مثل : كوب ـ ملعقة ـ سكين ـ طبق . الخ كذلك يجب أن يكون له فراشه الخاص وملابسه التي يجب أن لا يشاركه فيها أحد .

٢) إجتهد أن لا يصل اليك شيء من رذاذ الشخص المصاب خصوصا إذا كان لا يضع منديلا على فمه عند العطس أو السعال ولا داعي لتقبيل المرضى عند الزيارة أو السماح لهم بتقبيل الأطفال ويكون ذلك بطريقة مهذبة لا تؤذي مشاعرهم .

٣) عند إصابة أحد الزوجين بالدرن النشط يجب أن لا يصر أحدهما على النوم بجوار الآخر بدافع التضحية والوفاء والمشاركة في الآلام كما يجب أن تتوقف المعاشرة الجنسية بينهما حتى التماثل للشفاء .

ثانيا : تعليمات عامة :
١) رفع مستوى المعيشة وتوفير الغذاء الصحي حتى يمكن المحافظة على مقاومة الجسم كما يجب تجنب الإفراط في الإجهاد البدني والعيش في الأماكن الرطبة سيئة التهوية .

٢) الامتناع عن تناول اللحوم إلا إذا كانت مذبوحة في سلخانات حكومية وتحت اشراف طبي دقيق حيث تعدم اللحوم المصابة بالدرن وبمعنى آخر يجب الاطمئنان الى مصادر اللحوم مهما تعددت مصادرها كذلك يجب الامتناع عن شرب اللبن إلا إذا

كان معلوم المصدر أو تمت عملية البسترة بالنسبة له وإذا تعذرت هذه العملية فإن غلي اللبن قبل شربه يساعد على الوقاية من ميكروبات الدرن .

٣) توفير البيئة الصحية من حيث المسكن ويجب أن يلاحظ ذلك عند بناء المساكن وعند تخطيط المدن الجديدة فكلما كان المسكن صحيا تضاءلت فرصة العدوى بالدرن كما يجب تجنب الازدحام في أماكن النوم سواء كانت حجرات خاصة أو أماكن عامة مثل العنابر والمسعكرات والفنادق .

٤) يجب المحافظة على نظافة البيئة المحيطة بالانسان من التلوث بالغبار والأدخنة وذلك له أهمية قصوى في حماية الصدر ولكن مع الأسف هناك من يُلَوِّثُونَ بيئتهم الخاصة بانتشار عادة التدخين بينهم سواء كانوا فرادى أو جماعات يتبادلون وسيلة التدخين على أفواههم واحدا تلو الآخر وقد يكون أحدهم مصابا بهذا الداء ويتطوع (غير مشكور) بعدوى الجميع وهم يحسبون أنهم في

ساعة من ساعات الحظ التي لا تعوض !! ويزداد الطين بلة حينما يتعاطون المخدرات في مثل هذه المجالس الشيطانية أو المجالس المرضية (بفتح الميم والراء) وقد ثبت علميا ارتفاع نسبة الإصابة بالدرن في هؤلاء المدخنين عن غيرهم ممن

عافاهم الله من هذا البلاء .

٥) يجب اجراء فحص طبي شامل كل عام يتضمن الكشف بالأشعة على الصدر وفحص البصاق فحصا جيدا خصوصا بالنسبة للعاملين في المطاعم والفنادق ووحدات التغذية وليتقوا الله في صحة عباده من يتساهلون في إعطاء شهادات صحية تثبت سلامة هؤلاء الأفراد من غير كشف أو تحليل مقابل مبلغ مادي زهيد هو في الحقيقة سحت النار أولى به .

٦) عند الاصابة بنزلة شعبية يمتد علاجها أكثر من ثلاثة أسابيع وعند الشعور بعرق ليلي غزير وارتفاع في درجة الحرارة أو بلغم دموي مع السعال يجب الذهاب إلى الطبيب فورا .

٧) غسل الأيدي جيدا قبل وبعد الطعام وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « بورك في طعام غسل قبله وغسل بعده »

٨) يُبلغ الطبيب إذا كان أحد أفراد العائلة قد أصيب بالدرن من قبل . فعلى الرغم من أن الدرن ليس مرضا وراثيا إلا أن هناك بعض العائلات لديها استعداد للإصابة به .

٩) إجراء فحص طبي قبل الزواج إذا شك أحد العروسين في إصابة الآخر ولا حرج في ذلك .

١٠) التربية الصحية والتثقيف الصحي وزيادة الوعي عند الأفراد من خلال وسائل الإعلام المختلفة حتى تربى عند الناس العادات الصحية السليمة أو السلوك الصحي السليم مثل عدم البصق على الأرض أو العطس أو السعال في وجوه الآخرين دون وضع اليد على الفم أو إستعمال منديل كما يجب أن تُغْلي المناديل جيدا وحبذا لو كانت من ورق ثم تحرق بعد إستعمالها بواسطة الشخص المصاب وذلك لما قلناه سابقا من أن الميكروب يقاوم الجفاف لمدة طويلة .

١١) التطعيم بواسطة طعم الـ : ب . س . ج وهو يعطي مناعة جزئية عند البعض بعد شهرين من التطعيم .

وبعد ..

فهذه كلمة عن هذا المرض لعلها تلقي ضوءا كاشفا يستنير به من يقرؤها في وقاية نفسه وأسرته ومجتمعه بإذن الله من هذا الداء اللعين .

ويقف الانسان خاشعا في إجلال وإكبار لمن يُعلّمُنا السلوك الصحي السليم في الحديثين الشريفين السابقين في أول المقال وهو الذي لم يدخل مدرسة ولا جامعة ولكن **حسبه أنه نبي يتكلم** ، ويأتي بعض الأغرار والصعاليك ليشككوا في سنته على غير علم وربما لا يعرف أحدهم آداب قضاء الحاجة أو كيف يتوضأ !! ألا سحقاً للجهل والجاهلين . ألا تباً للضلال والمضلين . ولن يكون حظهم من النيل من السُّنَّةِ النبوية الصحيحة بأحسن من حظ من سبقوهم في موكب الضلال والإضلال وما أصدق قول القائل :

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقفة تأمل

ما أشدَّ حاجتنا إليك

● نحن في الوعي الاسلامي لا نستطيع أن نغفل حَدَثاً مُهمّاً ، بل أعظم حدث في تاريخ الانسانية ، وهو مولد خاتم الأنبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه ، ومهما قيل عن أمر الاحتفال بالمولد النبوي ، فإننا نجدها مناسبة لنتدارس واقع المسلمين اليوم ، وما ينبغي أن يكون عليه .

● وليس بدعا من القول أن نقول : ما أشد حاجتنا إليك يا رسول الله .. فهاهي أمة الاسلام اليوم ، وقد ضاع منها الطريق ، وانمحت معالمه أو كادت ، وفقدت عقلها ، ونزفت دماؤها بأياد إسلامية ، وتحول الأحياء الى جثث منتنة ، وفي هول الفجيعة .. سقط الأطفال والشيوخ ، والنساء ، والرجال ، حتى أن اليد اليمنى قطعت اليد اليسرى ، واعتدت أعضاء الجسم الواحد على بعضها ، وأكلت المعدة نفسها ، وأصبح حالنا كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، والعدو يعيش أفراحه بما يرى ما نحن فيه ، وأصحاب المأساة وجهوا بنادقهم الى صدورهم بدلا من أن يوجهوها الى عدوهم ، فما أحوجنا إليك لتقول لهم : **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** . ولتذَكِّرَهم بقوله تعالى : « **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** » .

● لقد جئت يا أشرف خلق الله ، رحمة للعالمين ، ومرشدا للحائرين ، ومنيرا درب السالكين ، ومنقذا للضالين ، فاهتدى بك المؤمنون ، وعاداك الكافرون ، رغم حرصك على إيمانهم ، وعلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة .. فقد قال الله تعالى عنك : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** » . ولكن القوم ساءت حالهم ، فالقوي يأكل الضعيف ، والغني يبخل بماله ، وذو السلطان يبطش بسلطانه ، فما أشد حاجتنا إليك لتقول لهم : لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وما كنت تخشاه على

أمتك قد وقع .. فالشح مطاع ، والهوى متبع .

● ما أشد حاجتنا إليك لتقول لأصحاب السلطان والجاه .. « لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فكم من بريء سُفِكَ دمه ، وكم من الفتن والمصائب نزلت بعباد الله ، ولا ذنب لهم .

● ما أشد حاجتنا إليك لتقول للمتعاملين بالربا .. إن كل ربا موضوع ، ولتردد على مسامعهم : « **لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » ولتردعهم بقوله تعالى : « **فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » .

● ما أشدَّ حاجتنا إليك ، لتقول للغشاشين المخادعين : « **من غشنا فليس منا** » . **وللذين يسرقون في المكيال والميزان** « **أوفوا الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم** » . وإلا فالويل لهم .. « **ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** » .

● أمراض وأمراض قد تفشَّت في أمتك يا رسول الله ، وَبُحَّ صوت الدعاة ، ولا فائدة ، عيوب وعيوب هنا وهناك ، ثقوب وثقوب تعددت في ثوبنا الاسلامي ، حتى اتسع الخرق على الراقع .

● يا رسول الله .. في ذكرى مولدك .. يخطر في بالنا هذا السؤال : ماذا لو عدت إلينا من جديد ؟ هل ستفتح الدول الاسلامية حدودها أمام دعوتك ؟ هل سيستجيب الحكام للخير الذي ترغِّبهم فيه ؟ هل سيطبقون شرع الله على أنفسهم وعلى شعوبهم ؟ هل سيرضخ الأغنياء فيبذلون من أموالهم ما فيها من حقوق أوجبها الله عليهم ؟ هل سيقلع أكلة الربا ، وأموال اليتامى ، وحقوق الناس بالباطل .. هل سيقلعون عن عاداتهم ؟ هل سينال المسلم ـ أيا كان موقعه ـ حقه في الحرية .. حرية القول ، والعمل في ظل الشريعة الاسلامية ؟ وهل سينال كل إنسان حقه في العيش الكريم ؟

وألف هل ، وهل .. وإذا أجاب المعنيون بهذا بأنهم سيستجيبون .. فإنا نقول لهم .. كما قال الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

ونقول : إن كتاب الله بيننا ، حفظه الله وصانه ، وان سنة الرسول قد توافر عليها العلماء فأخرجوا لنا الحديث الصحيح ، وان السيرة العطرة لأصحاب رسول الله مدوّنة ، وهم كالنجوم ، بأيهم نقتدي نفلح ، وما دام وحي الله قائما ، وسنة الرسول موجودة ، وسيرة الصحابة بين أيدينا ، فلا عذر لنا ، ولا نجاة لنا إلا باتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وخير منهج منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفضل الناس أصحابه ، فهل سنسلك طريقهم .. نرجو ، ونرجو الفلاح لأمتنا ، وأن ينقذها الله من الضلالة والتيه .

فهمي عبد العليم الإمام

قصَّة قصيرة



فجأة اختفى الشيخ أمين ، ظن أهل المدينة في أول الأمر أنه في سفرة من سفراته التي يجمع فيها أموالا لتعمير المساجد القديمة أو بناء الجديد منها كما هي عادته ، ومع ذلك فقد أخذوا يتساءلون حينما طال مغيبه .

ـ أين ذهب الشيخ ؟

ـ الى أين سافر هذه المرة ؟

ـ متى يعود يا ترى ؟

لقد شعروا بفراغ موحش وجدب حقيقي بعد غيابه .... انهم أحوج ما يكونون اليه الآن .

ـ هل جبن الرجل عن ملاقاتهم ؟

هكذا قال قائل منهم: (**بمبوطي أعرج يعمل في البحر**)

ـ لقد أغروه بالمال فاحتجب

ورد رجل من أهل المدينة .

ـ كيف تسول لكم انفسكم هذا الظن ؟

إنكم تطعنون أنفسكم بما تتقولون ،



للأستاذ / محمد جاد البنا

أنتم لا تعرفون حقيقة الشيخ أمين .

....

لم يكن الشيخ أمين على درجة من العلم تؤهله لأن يتولى أمر الإفتاء في المدينة الساحلية التي كانت قبل الاحتلال الأخير تعج بكل لون وجنس من طلاب التجارة والسياحة والمتعة

ولكن كان الشيخ أمين بالقطع على درجة من التقوى تؤهله لأن يحتل مكانا طيبا من قلوب أهل المدينة البسطاء الذين لم يعجبهم ورعه وتقواه فحسب وإنما أعجبهم صدقه وإخلاصه أيضا فهو يصلح بين المتخاصمين وهو يعين المحتاجين من ماله القليل ثم هو يشارك الجميع مسراتهم وأحزانهم .

ما هذا ؟ ..... المحتل يدوس أرض المدينة الساحلية بأقدام عسكرية غليظة ودبابات ضخمة لم تشهد مثلها المدينة من قبل ... صحيح انهم لا يعتدون اعتداء بدنيا على أحد فأوامر سادة العسكر ألا ينفّروا القلوب لأول وهلة، وإنما عليهم استئناس اهل المدينة ... ولكن الاحتلال يترك بصماته الدنسة في كل مكان ... الأوامر العسكرية تحدد بداية السير في الطرقات ونهايته ... أهل الضيعة المجاورة للمدينة مازالوا يتحدثون عن مريضهم الذي مات بين أيديهم فقد ردّهم الجنود الغلاظ عن دخول المدينة بعد الساعة العاشرة ليلا ، وكانوا في طريقهم الى الطبيب فالضيعة تخلو من الأطباء ومن المشعوذين أيضا .

صاحب مصنع « الحلويات الشامية » قدم بلاغا للشرطة يطلب إحالة شكواه الى المحكمة المدنية كي يطلب تعويضا عما لحقه من أضرار بسبب منع عمال مصنعه عن وردية الليل .

أهل المدينة لم يحزنوا من أجل مصنع الحلوى فليس هناك من يتعامل معها الآن ... وإنما حزنوا من أجل مريض الضيعة الذي فارق الحياة بسبب تسلط هؤلاء الأوغاد .

همس يدور هنا وهناك .... الشيخ أمين في مخبأ سري ومعه بعض الشباب ... ترى ماذا يفعلون ؟

قال الراوي معلقا : الناس عادة لا يصبرون حتى يعقلوا الأمور .

قال بمبوطي البحر الأعرج .

ـ قلت لكم منذ البداية هرب الرجل بتقواه وورعه عن ملاقاة أعداء الله .

« وتطوع ، دون فائدة تعود عليه ببث إشاعة تمس كرامة الشيخ أمين » .

ـ لم أقل لكم إن اللحية مصنوعة وأن العمامة تخفي تحتها مصنع رياء ودهاء !

وقال حمادة أبو شنب .

ـ وماذا يفيدنا الشيخ أمين أو غير الشيخ أمين ، البركة في الحكومة ، الحكومة لازم تكون من فوق .

قال الراوي معلقا : واحتدم النقاش وتعمق دون فائدة فالكلمات عمياء ، والعقول في الآذان .

ومع هذا فحينما قيل في المدينة إن القوات تتجه مدججة الى المخيم المجاور فزع أهل المدينة ... أخذتهم الشفقة والرحمة بجموع النساء والأطفال والشيوخ العزل فقد أجبر المحتل الرجال والشباب على ترك المخيم ... فماذا يريد العسكر من المخيم اذاً ـ ماداموا قد أخلوه من المقاتلين ومن السلاح !! ..

تسللت إشاعة تقول:(يبدو أن مصدرها **بمبوطي البحر الأعرج**) : إن بعض الرجال والشباب تسللوا الى هناك ومعهم بعض السلاح ... قال الراوي : الأقرب الى الصواب أنها فرية افتعلها العدو ليفتك بالأطفال والشيوخ، ويقيم لهم مذبحة جماعية يقضي بها على مستقبل المقاومة. على أيّةِ حال قد أشاعوا في المدينة أنها مجرد عملية تمشيط وتأديب لا أكثر .

عادت فلول القوات التي كانت تدق الأرض بالأمس وكأنها ستخرقها أو ستبلغ الجبال .... الأخبار تقول .... لقد وقعت في كمين أفنى معظمها في ساعات ... نجا البعض منها بأعجوبة .... أهل المدينة في دهشة .... كيف استطاع النساء والعذارى والأطفال والشيوخ التصدي لهذه القوات والفتك بها ؟ يبدو أنهم لم يكونوا وحدهم ...

جاءت الأنباء مرة أخرى تؤكد ان الشيخ أمين استشهد في الدفاع عن المخيم ومعه أربعون من شباب المدينة ... كان هناك ينتظر قدوم عسكر الأعداء .... أعد لهم كمينا محكما بعد أن درّب الشباب الأربعين في جزيرة مهجورة قريبة من المخيم .... لقد كبّدوا العدو خسائر فادحة قبل أن يستشهدوا .... كانت خطة الشيخ أمين التي نفذها معه الشباب،أن تجردوا من ملابسهم ودنياهم ... ارتدوا أكفانهم البيضاء بدوا كالملائكة .... حملوا أسلحتهم ، قاتلوا بضراوة .... في شوق كانوا الى لقاء الله من هنا كان صبرهم على القتال .... قنابلهم الحجرية جعلت العدو كعصف مأكول .. بنادقهم اليدوية البسيطة عطلت تقدّم الدبابات ... بطولات نادرة كتبوها بدمائهم هناك على أرض المخيم .... قال الراوي : يقولون: إنها مازالت مكتوبة حتى اليوم وستظل الى أمد بعيد .... هرّبوا الأطفال والنساء قبل المعركة إلى مخيم آخر ... المخيم الآن لا شيء فيه سوى جثث القتلى والشهداء .... العدو سارع الى هناك بسيارات مصفحة ليجمع أشلاء قتلاه ... إنه حريص على جثث القتلى حرصه على أرواح الأحياء .

لم يبق غير جثث الشهداء يفوح عطر الشهادة من أكفانها الجميلة المطرزة بخيوط الدماء قال قائل منهم : من منكم يا شباب يتسلل الى المخيم فيعود بها الى المدينة ؟

في هدوء الليل تسلل الى المخيم بعض الشباب ليعودوا بجثث الشهداء في موكب فرح وبهجة ... كانت أناشيدهم تتصاعد الى السماء مرتّلة في نغم حزين ولكنه رائع آسر ـ لا إله إلا الله ، وما النصر إلا من عند الله .

أما البعض الآخر من الرجال فقد انشغلوا بإشعال الثورة في المدينة المسالمة ..... الشرر يتطاير .... مواقع الأعداء تدك بقنابل من سجيل .... فجأة ولد ألف أمين آخر ، الشهداء يتساقطون وعلى وجوههم ابتسامة الراحة .... المدينة تدك أيضا بمدافع الاعداء ...

قال الراوي : إن الحامية الصغيرة قد لا تصبر على المقاومة .

في غفلة تسلل البمبوطي الأعرج وحده الى البحر ليغتسل من أرتال الظن السيىء وليتطهر من حوبة الندم .... بعضهم قال : .... بل لينقل الى حامية العسكر المرابطة في عرض البحر ، موجز الأنباء الجديدة كي يعززوا قواتهم داخل المدينة .

قال الراوي معلقا على ما حدث : مسكين صاحبنا البمبوطي .



في الأدب العربي والتراث الإسلامي

للأستاذ / الغزالي حرب

من معاني الأمومة في معجمات اللغة العربية :

●) معنى الجامعية .

●) ومعنى الكثرة .

●) ومعنى الأصالة ، وذلك ما تنطق به الكنايات العربية أو الاسلامية الآتية :

أم رحم ، وأم القرى : كناية عن مكة المكرمة ، مشرق العروبة ، ومهبط الاسلام ، وأم النجوم : كناية عن المجرَّة ، التي عرفت بكثرة نجومها في السماء ، وأم الكتاب : إما كناية عن اللوح المحفوظ ، الذي اجتمعت فيه خطوط القضاء

والقدر من الأزل الى الأبد وإما كناية عن سورة الفاتحة ، التي جمعت وجازتها ، مقاصد القرآن الكريم ، الذي نزل تفصيلا لما أجملته هذه السورة ، التي عرفت بفاتحة الكتاب وأم القرآن ، وقد رجعنا إلى ما تيسر من أمهات الأدب العربي القديم ، والتراث الاسلامي ، متسائلين عن مدى أهمية الأمومة وأفضالها ، فراقتنا الوان من أدب النفس ، وروائع من أدب الدرس ، استروحناها في ظلال الأمومة الوارفة الحنون ، وهأنذا أعرض على قراء الوعي الاسلامي ماتيسر من هذه الروائع ، وتلك الألوان ، ـ والله المستعان : من ألوان ادب النفس والدرس في ظلال الأمومة،الألوان الأربعة الآتية :

●) لون البر المثالي بالأمومة .
●) ولون الشكوى الصارخة من العقوق للأمومة .
●) ولون الاستاذية التربوية العملية للأمومة .
●) ولون الاشادة بالأبناء النجباء ، والأمهات النجيبات .

أ) أما لون البر المثالي بالأمومة :

فمن أروع نماذجه أن علي بن الحسين بن علي سأله أحدهم : لماذا تتحاشى أن تأكل مع أمك ، في صحفة واحدة ؟ فقال : أخاف ان تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه ، فأكون قد عققتها .

ب) وأما الشكوى الصارخة من العقوق للأمهات :

فقد جأرت بها أم ثواب الهزّانية شاكية عقوق ابنها في أبيات :

ربيتـه وهو مثـل الفـرخ أعظمـه ... أم الطعـام ترى في ريشـه رغبـا
حتى إذا آض كـالفحّـال شـذبـه ... أبّـارهُ ونفى عن متنـه الكُـرُبـا
أنشـأ يحـرق أثـوابي ويشـربني ... أبعد ستين عندي يبتغى الأدبا ؟ !!

جـ) وأما الأستاذية التربوية العملية للأمومة :

فحسبنا من نماذجها وأساليبها ما يأتي :

●) أستاذية الأم العربية الكريمة ، غنية بنت عفيف لولدها حاتم الطائي في السخاء والاريحية في الكرم ، كما تنطق بذلك أخبارها .

●) وأستاذية فاطمة بنت الخرشب الأنمارية لأولادها الأربعة في السيادة والطموح وبفضلها صاروا « كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها ؟ » ـ على حد تعبيرها المشهور .

● ـ وأستاذية ريحانة بنت معد يكرب لأولادها الخمسة ، في الفروسية والبطولة ومهابة الحماية .

●) وأستاذية صفية بنت عبد المطلب لولدها الزبير بن العوام الذي قال حسان بن ثابت في الاشادة بأستاذية أمه له :

وإن امـرأ كـانـت صفيـة أمـه ... ومـن أسـد في بيتـه لمـرفّـل

●) وأستاذية أم الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، الذي وعى عن أمه قولها له : أنفق أنفق يا عبد الرحمن ... « فكان لقولها هذا أبلغ الآثر ، فيما عرف عنه من الكرم الفياض ابتغاء وجه الله » .

●) وأستاذية أم الامام مالك بن انس ، الذي أقر لأمه ، بفضل صرفه عن الغناء والطرب ، إلى التفقه في الدين ، حتى صار من أعظم أئمة الاسلام المشهورين .

●) وأستاذية الأمهات العربيات صاحبات الوصايا البليغة لأولادهن ذكورا أو إناثا ، وحسبنا من هذه الوصايا وصية الأم التي قالت لولدها ـ فيما قالت من وصيتها « **إياك والنميمة فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضا للرماة** » ووصية الأم الأخرى التي قالت لولدها من وصيتها : « **يابني إن سؤالك الناس ما في أيديهم ، أشد من الافتقار إليهم** » ووصية الأم الفزارية أسماء بنت خارجة لابنتها قبيل زفافها إلى زوجها : « **يا بنيتي إنك خرجت من العش الذي فيه درجت ، فصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضا يكن لك سماء** .... » إلى آخر هذه الوصية المشهورة التي رويت بأساليب مختلفة ، ولكنها متقاربة في المعنى ...

د) وأما الاشادة بالأبناء النجباء ، والأمهات النجيبات :

فكانت تارة بالنثر ، وتارة بالشعر ، من طراز ما قاله الشاعر العربي القديم في نجابة الأولاد الثمانية ، وللأم النجيبة ربطة بنت سعيد بن سهم التي كنى عنها في شعره هذا « بأخت بني سهم » ودعونا هنا من الأبناء السفهاء ، الذين لم يتورعوا عن هجاء امهاتهم ، كما صنع ضابىء بن الحارث والحطيئة وأمثالهما ، ممن حرموا الاهتداء بالتراث الاسلامي الرفيع ، في إشادته بالأم وأفضالها فقد حرص القرآن الكريم على ان يقرن طاعتها وشكرها بطاعة الله وشكره إجمالا شفعه بتفاصيل الحمل والوضع والرضاعة ، في آيتين من سورة « الاحقاف » وسورة « لقمان » كما شفعه بتفاصيل ودقائق حسن المعاملة للوالدين في سورة « الاسراء » وحرصت السنة المطهرة على إبراز فضل الأم ومكانتها ، وواجب البر بها ، فقد روى البخاري **أن رجلا استأذن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجهاد ، فسأله الرسول الانسان** : « **أحيٌّ والداك** ؟ **قال** : **نعم** : « **ففيهما فجاهد** » ..

وأخرج النسائي وغيره ، أن رجلا يسمى « **جاهمة** » **قال** : « **يا رسول الله ، إني أريد الغزو وقد جئت إليك استشيرك ، فسأله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ** : **هل لك من أم** ؟ **قال** : **نعم ، فقال له** : **الزمها فإن الجنة عند رجليها** » .

وأخرج البيهقي عن أنس بن مالك ، أن رجلا قال : **يا رسول الله .... إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه ، فسأله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ** : **هل أحد من والديك** ؟ **قال** : **أمي ... قال** : **فاتق الله فيها ، فإنك اذا فعلت**

ذلك ، فأنت حاج ومعتمر ومجاهد ...

فالأم هي المدرسة التي يتربى فيها الانسان منذ نعومة أظفاره ، وتعطيه من رعايتها وحنانها ما لا يمكن أن يمنحه غيرها ، ولذا فإن لها المكانة السامية ، فما أروع المثل العربي الذي أورده الزمخشري في كتابه « اساس البلاغة » ، ونصه : « مالك إلا أمك ـ وإن كانت أمة (أي جارية) وما أروع ما قاله الفزولي ـ وهو غير الغزالي ـ رواية عن الأصمعي : كانت إحدى النساء العربيات ، تأتي بولدها الصغير ، قبل زحف الصباح على الدنيا بالحركة والنور ، ثم تقف به فوق تل عال ، لتناجيه في حنان دافق ، وحنين فياض : أي بنى وريحانة فؤداى ، خذ صفو هذا النسيم قبل أن تكدره الخلائق بأنفاسها ... !!!! تلك هي الأم الحنون ، في قمة أمومتها ، التي لا ترتفع إلى مستواها أية قمة أخرى ولو كانت قمة الزوجية التي دلت التجارب قديما وحديثا ، على أنها دون قمة الأمومة بكثير ، وأين الزوجية من الأمومة في المثال الحي الآتي :

حدثتنا امهات الأدب العربي القديم ، أن صخر بن عمرو بن الشريد ، أخا الخنساء الشاعرة المعروفة ، طعنه ربيعة بن ثور الأسدي ، طعنة ألزمته الفراش ، حيث قامت على تمريضه والعناية به اثنتان هما أقرب الناس إليه ، وأعزهم عليه : أمه الكريمة ، وزوجه سلمى التي هي ابنة عمه في الوقت نفسه :

أما أمه ، فظلت على وفائها له ، وعنايتها به ، حتى اللحظة الأخيرة من حياته ، وأما زوجه وابنة عمه سلمى « فسرعان ما ضاقت به ذرعا » فقالت لأمه ـ وقد سألتها عنه ذات يوم : لا هو حي فيرجى ، ولا هو ميت فينسى ..... وقد سمعها زوجها صخر ، فكانت كلمتها هذه أشد وقعا عليه من مرضه ، وجاشت نفسه بمشاعره الملتاعه ، في هذه الأبيات المؤثرة الدامية ، التي جاءت في « الشعر والشعراء » لابن قتيبة وغيره :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ، ومن يغتر بالحدثان ؟!!
لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأي امرىء ساوى بأمٍّ حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان

ذلك غيض من فيض الأمومة الحنون الفذة ، في أدبنا العربي القديم ، وتراثنا الاسلامي العظيم ، الذي يعتز ـ أول ما يعتز ـ في ظلال الأمومة الوارفة ـ بعد كتاب الله ، وقرآنه الكريم ـ بنفحات الأمومة التي تعبق بها ، وتتوهج بأريجها ، عشرات المؤلفات الاسلامية ، التي نذكر منها هنا ـ على سبيل المثال لا الحصر : « الاصابة » لابن حجر العسقلاني ، و« أسد الغابة » لمجد الدين بن الأثير « الطبقات » لابن سعد ، و« الاستيعاب » لابن عبد البر ، وأخبار النساء لابن قيم الجوزية ، وطوق الحمامة « لابن حزم ، و« بلاغات النساء ، « لابن طيغور ، ومحاسن النساء لأحمد بن هشام .



مِن ذكريات النبوَّة

م. مؤذن

للاستاذ أبو المعاطي سليمان عطا الله

أشْرِقْ بِطَلْعَتِكَ البهيـةِ عَاطِـراً وانثرْ على رَأسِ الحَياةِ أزَاهِرَا
واصْعَدْ الى مَسْرى النجومِ مُفاخِراً بِمُحَمَّدٍ خَيْرِ الخَليقَةِ .. جَوْهَـرَا
حَدِّثْ ولا تَخْشَ الحديثَ فأينمَا أشْرقتَ فاتْرُكْ في المَحَافِلِ عَنْبَرَا
يا يومَ مَوْلِدِ أحمدٍ تِهْ(١) بَيْنَنَا بِكَ أكرمَ اللّـهُ الوجُـودَ وَنَوَّرَا

* * *

والناسُ ضلّوا عن سبيلِ رَشادِهِمْ　وَغَدَوْا وُحُوشاً ضَارياتٍ في الشّرَى[٢]
مَلأُوا الحياةَ بِجَوْرِهِمْ .. وَتَوهّمُوا　أنّ الشّرِيفَ يَصِيرُ فِيهِم جَائِرا
عبدُوا الحِجَارةَ بئسَ صُنْعاً رَبُّهم　أيْمَاثِلُ الصّنَمُ الإلــهَ القَادِرا
وَتَخَــالُ مَنْ تَلْقَاهُ منهم كَـافِراً　حَيْرانَ قَلّدَ في العَقِيْدةِ كَافِـرا

* * *

وَأدُ البَنَـاتِ رَذيْلَةٌ فِيهِمْ فَشَتْ　كالسّيلِ يَسْقُطُ مِنْ عَلٍ مُتَحدّرَا
واذا الــوصِيْفَةُ بَشّرَتْهُ بِغَـادَةٍ　حَلّ الوجُومُ بِهِ وَبَاتَ مُزَمْجِـرا
وامْتَدَتِ الأيْدِي الأثيمةُ نَحْوَهَا　بالوأْدِ خَشْيَةَ أنْ تَجَوعَ وَتُكْتَرَى[٣]

* * *

أمّا الخُمُورُ وما جَرَى في وكرِهَا　يُعْيِي الأَدِيْبَ بَيَـانُهُ والشَّـاعِرَا
عَبّوا الكُؤوسَ وأُتْرِعُوا مِنْ دَنّها　وقَضَـوا نَهَاراً بـالمَلَـذّةِ زَاخِـرا
حتى أطاحَتْ بالعُقُولِ فإنْ تَجِدْ　مِنْهُم لبيبـاً قَدْ تَـراهُ تَحَجّـرَا
أما البغاءُ فَقَدْ فَشَا .. وَلَـرُبّما　تَجِدُ البَغِيّ بِعِرْضِهِ قَدْ تَـاجَرَا
وَتَرَى النِّساءَ لَدَيْهُم .. وَكَأنّهَـا　سِلَعٌ تُباعُ لِمَنْ يُريدُ وَتُشْتَـرَى

* * *

والمالَ قَدْ كَنَـزُوا وَصَارَ غَنيُّهُمْ　بـالمال فَظّـاً طاغِيـاً .. مُتَجَبّـرَا
مَنَـعَ الفقـيرَ نَـوَالـهُ وإذا بِـهِ　عِنْـدَ الـرّذيْلَـةِ مُنْفِقـاً وَمُبَـذّرَا
لا حَـقّ للفُقَـرَاءِ في أمْـوَالِهِـمْ　إلاّ إذا أرْبَـى الفَقِـيْرُ وَقَـدّرَا
شَاعَ الرِّبَـا وإذا الرِّبَـا في أمةٍ　قَدْ شَاعَ حَلّ بِهَا الزّوَال مُبَكّرًا
مَا ضَرّ لَوْ وَاسَوْا حَزِيْنـاً هَدّهُ　كَيْدُ الزّمَانِ لَهُ وَفَكّـوا المُعْسِرا

* * *

صورٌ مِنَ الخُلُقِ الوَضيعِ رَخِيصَةٌ　بِشَرِيْعَةِ الغَابَاتِ كَانَتْ أجْدَرَا[٤]
أيَسُودُ مُجتَمَعٌ يَفِيضُ .. نَقَائِصاً　جَعَلَتْ حَيَـاةَ العَالَمِـيْنَ دَيَاجِـرَا
لا بُدّ مِنْ مَحْوِ الظّـلامِ فَطَالَمَـا　كَانَ الظّلامُ على الحَقِيقَةِ سَاتِرَا
لا بُدّ مِنْ فَجْرٍ يُضِـيءُ لنا الدُّنَى　وَيَعُمُّهَـا نُـورُ النُّبُـوّةِ بَـاهِـرَا

* * *

وَلِدَ الهُدى فَانشَقَّ فَجرٌ سَاطِعٌ   يَهْدِي إلى اللَّهِ الشَّقيَّ الحَائِرَا

فأتى إلى الدُّنيا يَتيماً لم يُصِبْ   مِنْها ثَراءً .. بَلْ أقَامَ على الثَرَى (٥)

رَفضَتْهُ كُلُّ المُرْضِعَاتِ لِفقْرِهِ   إلاَّ حَلِيمَةَ أمَّلَتْ أنْ تُؤْجَرَا

فَمَشَى إليْها السَعْدُ يَطْرُقُ بَابَهَا   حتى رَأتْهُ بِكُلِّ خَيْرٍ عَامِرَا

* * *

شَبَّ الوَلِيدُ بدونِ أمٍّ أوْ أَبٍ   يَحْيَا بِظِلِّهِمَا عَزِيزًا ظَافِرَا

فَتَعَهَّدتْهُ يَدُ الجَلالَةِ بِالهُدَى   وَكَسَتْهُ ثَوْباً بالمَكَارِمِ مُزْهِرَا

عَافَ الدَّنَايَا (٦) في الوُجودِ وَمَلَّهَا   واخْتَارَ مِنْ طُرُقِ الحَيَاةِ النَّيِّرَا

لمْ يَهْوَ لَهْواً مِثْلَ أتْرابٍ (٧) غَوَوْا   أنْعِمْ بِمَنْ عَاشَ الحَيَاةَ مُطَهَّرَا

ما خَانَ عَهداً ما تَنَاوَلَ فِرْيَةً (٨)   ما رَامَ غَدْراً ما تَعَاطَى مُسْكِرا

خُلُقٌ كَزَهْرِ الرَّوْضِ فَاحَ عَبِيْرُهُ   قد كَانَ مِنْهُ الرَّوضُ دَهْراً مُقْفِرَا

أكْرِمْ بِمَنْ رَبَّاهُ خَالِقُهُ .. على   حُسْنِ الفِعالِ فَلَمْ يُمَارِسْ مُنْكَرَا

* * *

عَلِمَتْ خَديْجَةُ نُبْلَ أحمدَ مُشرِقاً   فَهَفَتْ الى هَذَا الشَّذَى مُتَقَاطِرَا

وَدَعَتْهُ أنْ يَلِيَ التِّجَارَةَ سَيِّداً   وَيكونَ عَقْلَ المُخْلِصِيْنَ السَّاهِرَا

رَامَتْ خَدِيجَةُ أنْ يَكونَ قِرَانُها   بِمُحَمَّدٍ رَوْضاً نَضِيْراً مُثْمِرَا

فَمَضَى إليْهَا عَمُّهُ في بَيْتِها   لِيَبُثَّها شَوْقَ الرَّسُولِ الغَامِرَا

فَعَلا جَبِيْنُ خَديْجَةَ البِشْرُ الذي   يَجْلو النُفُوسَ فَحَدَّثَتْهُ بِمَا تَرَى

حَققْتَ لي أمَلاً وَجِئْتَ بِمَطْلَبٍ   قدْ عَاشَ حِيْناً في الطَّوِيَّةِ (٩) غَائِرَا

وَهَبَتْهُ ما مَلَكَتْ فَقَرَّتْ عَيْنُهَا   وَحَبَتْهُ خَيْرًا قَدْ تَدَفَّقَ أنْهُرَا

* * *

هَجَرَ الحَيَاةَ بِشِرْكِها وَضَلالِهَا   وَثَوَى بِغَارٍ عَابِداً مُتَدَبِّرَا

فَأتى إليْهِ الوَحْيُ يُخْبِرُهُ بِمَا   شَاءَ الرَحِيْمُ مِنَ الهِدَايَةِ لِلوَرَى

اقرأ بِرَبِّكَ خَالِقاً .. وَمُعَلِماً   لِلنَاسِ فَارْتَاعَ النبيُّ وَمَا دَرَى

وَعلى جَنَاحِ الشَّوْقِ طَارَ لِزَوْجِهِ   يَحْكِي لَها وَحْيَ السَّمَاءِ البَاهِرا

وَدَعَا بِدِيثَارٍ فَزَلْزَلَ سَمْعَهُ   صَوتٌ مِنَ العَلْيَاءِ قَالَ مُبَادِرَا

قُمْ أنْذِرْ البَشَرَ الذينَ تَوَغَّلُوا   في الشِّرْكِ وَاللَّهَ القَوِيَّ فَكَبِّرَا

* * *

قصَّتْ خَديْجَةُ لابْنِ نَوْفَلَ أَمرَهُ وَرَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ العجابِ مَآثِرَا
فَأجَابَهَا هَذَا الذي يَأتِي إلى مُوسَى وَعِيسَى بالنُبوةِ مُخْبِرَا
ولِئنْ وُهِبْتُ مِنَ الحَيَاةِ بَقِيةً حتى أرَاهُ يَكنْ عَلَيْهِم ظَاهِرَا (١٠)

* * *

بَدأ الرسولُ بَدَعْوةٍ .. في قَوْمِهِ سِرّاً وَثنى بالحوار مُجَاهِرَا
فدعاهُمُ فوقَ الصَّفا كي يَسمعُوا هَذا البَيَانَ العَبْقَريَ الصَّادِرَا
لو قُلْتُ خيلاً خَلْفَ وَاديكمْ أَتَتْ لِتُدَمّرَ الحَيَّ الجَميلَ المُزْهِرَا
أيَشُكُّ إنسانٌ بما أخْبرتُكُمْ وَتَرونَ قَوْلي بالوشايةِ قدْ جَرى
هَتَفُوا جَميعاً ما نَطَقْتَ بفِرْيَةٍ مَا كُنْتَ إلا قَادِراً ومُقَدَّرَا
كَمْ بَثَّ قَوْلُكَ في العَشَائِرِ هِمَةً فالآن (١١) إحْسَاساً وَهَزَّ مَشَاعِرا
فَعَلَتْ عَقِيْرتُهُ (١٢) بأمر صَادقٍ إنِّي بُعِثْتُ إلى الخَلائِقِ مُنْذِرَا
برِسَالَةِ التوْحِيدِ كُونُوا دُونَهَا خَيْرَ الدُّعَاةِ هِدَايَةً وَتَحَضُرَا
وَتَعَلَّمُوا حُسْنَ المكارمِ تَرْتَقُوا وَدعُوا الخَنَا والشِّرْكَ ثُمَ المَيْسِرَا
مَنْ لَمْ يُطِعْ أَمْرَ الحَكيمِ فَإنَّهُ يَحْيَا شَقياً أو يَمُوتُ مُحَسَّرَا

* * *

قَالوا لهُ تَبّاً أتَدْعُو جَمْعَنَا لتكُونَ مِنْ وُجَهاءِ (١٣) قَوْمِكَ سَاحِرَا
وَتعيبُنَا وَتَنَالُ مِنْ أشْرَافِنَا وَتَوَدُّ للعَبْدِ الذَلِيْلِ .. تَحَرُّرَا
مَا أنْتَ إلا مَارِقٌ عَنْ دِينِنَا تَبْغِي لنا كَيْداً وَحَظاً عَاثِرَا
دَعْ ما تَقولُ وَكُفَّ عَنْهُ فإنَّنَا واللات لَنْ نَرضَى لدِيْنِكَ نَاشِرَا
إنْ لمْ تَذرْ ما تَدّعِيْهِ فَقَدَ تَرَى فَاهَ المنِيَةِ لالتهامِكَ فَاغِرَا
إنْ كُنْتَ تَبْغى المُلْكَ والمالَ الذي تَحْيا بهِ بَيْنَ القبائلِ كابِرا
خُذْ ما تَشَاءُ وَكُنْ عَلَيْنا سيّداً واتْرُكْ حَديثاً في الجزيرةِ قدْ سَرَى

* * *

قالَ اتّقُوا غضبَ الحليْمِ فَإنَهُ أوْدى (١٤) بأقْوام عصوْهُ وَدمّرَا
مَنْ بَاعَ دينَ اللهِ يَأمَلُ رِفعَةً أضحى ذليلاً في الحياةِ وخاسرا
مَا جِئْتُكُمْ أبْغى جِبَايَةَ مالِكُمْ والمُلكَ فِيكُمْ بَلْ أتيتُ مُحَذِّرَا
أنَا مَنْ أرَادَ لقَوْمِهِ سُبُلَ الهُدَى بِشَرِيعَةٍ تَسْمُو بِكُمْ فَوْقَ الذُرَا (٢)
فأتَيْتُ أحْمِلُ خَيْرَ دستورٍ لَكُمْ فاصْغُوْا لِقَوْلٍ يُرشِدُ المُتَحَيّرا

سَمِعُوا كتابَ اللّهِ تُتْلى آيُهُ   فتحرّكَ العَقْلَ الشَرُودَ النَّافِرَا
وَقَفُوا أمامَ بَيانِهِ في حَيْرةٍ   وَتَضاءَلُوا عَجْزاً وَماجُوا أَبْحُرَا
قالوُا عَلَيْه الشِّعرُ لَيْسَ كَنَظْمِهِمْ   قالُوا عَلَيْهِ السِّحْرُ لمْ يَكُ سَاحِرَا
قَالوُا الكهانَةُ لم يَرَوْهُ مُتَمْتِماً   قَالُوا حَديثٌ بالجُنونِ تَأَثّرَا
رامُوا مُعارَضَةَ الكِتَابِ فَواجَهُوا   بَحْراً يَفِيضُ مِنَ البَلاغَةِ زَاخِرَا
جَفّتْ قَرِيحَتُهُمْ وَغاضَ بَيَانُهُمْ   وَلَقَدْ عَرَاهُم(١٦) بالجَهَالَةِ ما عَرَى
عَجزُوا وَلو قَالوا لَجَاءَ كَلامُهُم   خَزَفاً رَدِيئاً لم يُضَاهِ جَوَاهِرَا

* * *

فَرَضُوا الحِصَارَ على الرَّسُولِ وَطالَمَا   لَقِيَ الرَّدَى مِنْهُم وَكَانَ الصَّابِرَا
وَتَرَبَّصُوا لِلنَّيْلِ مِنْهُ وَمَا دَرَوا   أَنَّ الرِّسَالَةَ يَنْبَغِي أَنْ تُنْشَرَا
وَحَمَى الإلهُ نَبيَّهُ مِنْ غَدْرِهِمْ   وَأَتَى الوُجُودُ الى الرسُولِ مُسَخَّرَا
وَأَتَاهُ أَمْرُ اللّهِ دَعْهُمْ في عَمَى   واذْهَبْ الِى خَيْرِ البِلادِ مُهَاجِرَا
وَلَقَدْ رَوَى التَنْزِيلُ في آيَاتِهِ   أَنَّ المُعِزَّ لِدِيْنِهِ لنْ يُقْهَرَا

* * *

مَوْلايَ يا رُوحَ الوُجُودِ وَسِرَّهُ   النَّاسُ قَدْ ضَلُّوا وَعَادُوا القَهْقَرِي
تَرَكُوا الشَّرِيْعَةَ وَاقتَدَوْا بِهَوَائِهِمْ   غَدَرُوا وَخَانُوا وَاسْتَبَاحُوا المُنْكَرَا
صَرَعَتْهُم الدُّنْيا بِزَيْفِ بَرِيْقِهَا   يا لَلهَوَانِ فَعُدْ إِلَيْهِم مُنْذِرَا

---

(١) يه : الاختيال والعجب .
(٢) السشرى .
(٣) تكترى : تستأجر
(٤) أجدر : أحق
(٥) الثرى : التراب .
(٦) الدنايا : الأمور الخسيسة .
(٧) أتراب : أقران .
(٨) فرية : كذب .
(٩) الطوية : أعمق النفس .
(١٠) ظاهرا : منتصرا .
(١١) الآن : رقق .
(١٢) عقيرته : صوته .
(١٣) وجهاء : أشراف .
(١٤) أودى : أهلك .
(١٥) الذرا : القمم العالية .
(١٦) عراهم : أصابهم .

الدَّاعِيَةُ

بين الفكرة والتأثّر بها..

للدكتور / عزالدين علي السيد

كثير من نقاد عصرنا يلقون بالنقد جزافا على الدعاة ، يريدون من الداعية ان يكون كمعلم الحساب او الجبر ، يلقي حقائقه الدينية في جفاف كأنها معادلات او خطوات جمع وطرح ، يظنون أمور الدين التي يتناولها الدعاة بينة الذات ، بحسبها التذكير بها ، تذكيرا سافرا مجردا دون وشاح من حماس الداعي ، او تطرية بوسيلة تشويق ، او الانقياد لخيال بلاغي ، له أثره البالغ في تقريب البعيد النافر ، وتسكين الخاطر القلق ، وإدخال الفكرة في لطف وطلاوة على قلب يترقب .

وآخرون يتهكمون به متكلما وكاتبا ، اذا ظهر أثر وجدانه او انفعاله بفكرته ، فيسمون هذا العمل الواجب (أسلوب الزعيق أو التشنج) ويقيسون فن الدعوة على ما يسمي في الأدب الحديث أسلوب الهمس ، وهو قياس يجهل أو يتجاهل الفرق الواسع بين جمهور يتلقى حقائق الدين ومهامه ، وآخر يتلقي ترف الثقافة في شعر الهمس !

ليست هذه الأقيسة صحيحة ولا تلك الظنون ، وليس الأسلوب العلمي البحت صالحا ـ في كل حال ـ ليكون طريق الخطاب في المسائل الدينية ، واذا صح في تدريس الفقه والأصول للخاصة في المعاهد ـ مثلا ـ فلن يصح على قدم المساواة في غيرهما ، ولا في مسألة من مسائلهما يجعلها الداعية او الخطيب موضوع حديثه ، أو يجعلها كاتب مقال في صحيفة اسلامية مناط اهتمامه ، أما الذي يصح ويصلح في هذين المقامين ، فهو ما يصطبغ بوجدان الواعظ وتأثره ، لأن ذلك عنوان ايمانه بما يدعو إليه ، وكلما صدق إيمان الداعي بما يدعو اليه قابله التصديق بالدعوة من المتلقي ، والكلام الحي يخرج من القلب الحي ، وعلامة الحياة هي توقد اللفظ بانفعال اللافظ .

كم من حدث جديد نتلقاه خبرا هامدا راكد الدلالة ، وكم من حدث قديم نتلقاه خبرا حيا متحركا في الضمير ، وما الفرق بين الخبرين الا الصياغة الخطابية ، التي منحت القديم ما لم يمنح الجديد فاكسبته الحياة والحركة .
لو قيل لنا اليوم : هبت العواصف الشديدة في .. فهدت الدور واغرقت السفن واقتلعت الأشجار ..!

أتراه كقوله تعالى : « **وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم** » (٤١ ـ ٤٢ الذاريات) .
إن التصوير القرآني لرائع يملأ القلب بالرعب ، لتشخيصه الريح هذا التشخيص المؤذن بعدم إنتاجها ما تنتج الولود من إزجاء سحاب أو إنزال غيث ، ثم بتأكيد معنى الشر المنوّه به بتلك الجملة المستأنفة التي قصرت كل شيء في ديار عاد على أشد الهلاك فلا نجاة ولا مهرب !

إنها تصور تلك الحال كأنها تقع أمامنا بتلك الجملة المضارعية ، كما تصور وقوع الدمار على عموم الأشياء ، بايقاع (**شيء**) النكرة في سياق النفي ، ثم تأكيد هذا العموم بزيادة (**من**) الداخلة عليه ، وقد تأكدت الكارثة بالجملة الوصفية (**أتت عليه**) فهي تومىء بالمضي إلى تحقق الوقوع ، وبالتعدية بـ (**على**) دون (**إلى**) يخرج فعل الاتيان عن معنى المجيء المطلق إلى معنى الابادة ، الذي صار إنذارا وارصادا لجعله كالرميم ، والرميم على ما فسره السدى وابو العالية هو التراب المدقوق ، وبهذا المعنى يتجلى لنا مغزى التشبيه ، اذ ان هذه الاشياء من

حي وجامد ، تبددت هياكلها ذرات كأنما دقتها الكارثة دقا !

هذه لمحة مما تضمنت الصورة على وجازة ألفاظها ، تعطي المتذوق برهان الصدق على ما قدمنا ، ونحن اذا ما احتكمنا الى القرآن بكل ما جاء فيه من عقيدة وتشريع وقصٍّ ومثل ، واجدون هذا الهزّ النافض لوجداننا والمثير لعواطفنا يشدنا اليه ، وكلما اعطيناه من تأملنا لدقائق روائعه قسطا أعطانا من عجائب خصائصه أقساطا ، ويحيرنا الاختيار اذا اردنا ان نختار المثال ، فالقرآن كله أينما يممت آية منه مثال !

الآن كنت أسمع من ترتيل الشيخ الحصري ـ رحمه الله ـ سورة (**النبأ**) ولم يكن قبل الآن يدور بخلدي أن أختصها دون غيرها بحديث ولكنه قد لفتني إليها هذا العجب العاجب الذي بدأت به ثم سارت عليه ، من التحرك الأسلوبي السريع الذي لا يترك للرتابة أن تمس الفكر أو الخاطر ، فليس ما يأخذ عين المراهق من نبضات الحروف المتألقة في لافتة كهربائية بآخذ للعقل الكبير من هذه الوثبات في السورة ! إنها إحدى السور القلائل التي بدئت بالاستفهام ، ولكن الاستفهام هنا لحقه الجواب بلا مهلة ، فلم يدع للناظر أن يتلفت ، لان الجواب هو مناط الحديث الرادع بالحجة !

(**عم يتساءلون**) : تصوير عجيب ! فهم لا يسألون من ينبئهم سؤال المستفيد ، فقد سمعوا منه فكذبوا ، ولكنهم يسأل بعضهم بعضا سؤال المكذب المتعجب المحتار ، « **عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون** » .

انتقال « سريع » الى الجواب ولكن التظليل الحادث بالكناية عن المستفهم عنه والمجاب به يظل غلالة لطيفة تخايل لنا الحقيقة من ورائها ، إلا أنها بالنسبة إليهم أمر معهود معين ولذلك جاء معرفا بلام العهد ، أما نعته بالعظيم ثم بالموصول وصلته الأسمية التي تؤكد اختلاف القوم فيه لحيرتهم ، فانه يزيدنا تشوفا الى هذه الحقيقة المظللة بالكناية !

إنها أمر البعث ، الذي ترشد الى حيرتهم به وانكارهم اياه وتعجيب بعضهم بعضا من الانباء به آيات « **كثيرة مكية** » منها ما هو آت قريب في السياق نفسه .

وتطفر عبارة الردع والزجر والتهديد مذكورة مرتين ، ثانيتهما معطوفة بأداة التراخي (**ثم**) على الأولى ، لافادة علو هول الثانية مدلولا ، كي يعلم بطريق اللزوم من ذلك الردع والتهديد جسيم جرمهم ، بالأزورار عن التصديق والاستمرار في هذا التساؤل ! ولكن حذف مفعول (**يعلمون**) يوقع القلب في دوامة التوجس للمهدد به ! أي امر يكون ؟ غير أنه لن يطول أمد الحدس فان حرف التنفيس هو السين القصيرة المدى .

ويعود الاستفهام مرة اخرى لا عن النبأ العظيم في ذاته ، فانه نبأ بغيب كذبوه

لضيق قلوبهم عن تصديقه ، ولكن عن أمور مقررة جوابها الحتمي منهم (**بلى** !) ولازم هذا الجواب عن السؤال التقريري بالواقع الملموس ، هو التهكم بهم والتجهيل لهم ، لعماهم البين عن قياس النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، على هذه الأمور المشاهدة الملموسة ، التي هم لابد مجيبون عنها بالايجاب ، لان الموجد لما أقروا به موجود وهو أمر جلل ، ليس غير الموجد لهم بعد الموت ، « **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس** » (٥٧ غافر) . ولايجاد الجبال الشامخة وتوظيفها لارساء الأرض أن تميد ، ولجعل الأرض مهادا لتيسير سعيهم واقامتهم ، وكل ما ولى هذين من كبار الأحداث ، التي يرونها اينما كانوا وأي وقت يكونون ـ لكل ذلك او بعض ذلك برهان لذي عقل كي يؤمن بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون !

● « **ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهّاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا** » سورة / النبأ .

لقد اجتذبهم من الأرض وما عليها ، وارتفع بهم الى السماء وما فيها ، وعاد بهم بعد الرحلة الى الأرض مستقرهم : حبها ونباتها وجناتها الألفاف ، في سياق سريع متعاطف وجمل فعلية تبتديء جميعا بمعنى الخلق والإيجاد ، أسندت أفعالها الى القادر الجليل سبحانه ، وقد استوعبت اشاراتها ، ورموزها مشارات إليها واسعة الشرح . فانظر الى جعل الأرض مهادا والجبال اوتادا ، وما ينطوي تحته من اعدادها مستقرا صالحا لحياة تنمو وازدهار يزداد !

ثم انظر الى الخلق ازواجا وما يرمز اليه من حكمة هذا التنويع الهادف الى بقاء الجنس ليوم المعاد !

ثم الى النوم السبات وفي الليل اللباس وما يتضمن من نعمة بناء الخلايا الهالكة واعادة العزم الغارب للجسم المكروب والعقل المكدود !

ثم الى النهار المعاش وما يعني من الانبعاث بالطاقات العائدة او المتجددة في سبيل التحضير والتعمير !

ثم اطرد الأمر على هذا النسق ، وإن كنا قد فسرنا الرموز برموز والاشارات باشارات .

واذ يقف المسؤول المقرر بهذا الجعل والايجاد خاضعا يقول : (**بلى** !) لا يستطيع أن يفضح نفسه بالانكار ، يجيئه ما يجذب ناصيته جذبا من جمل تقريرية اخبارية ، تؤكد بصراحتها وقوع النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، والذي عنه يتساءلون ، وقد تهيأت الأذهان لجذب ناصيتها بما سبق من جمل شديدة الأسر ملزمة بالايجاب !

● « **إن يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا** »

لقد سمي هنا يوم الفصل ، لأن الفصل اخص من البعث وأوفى دلالة ، وزيد

فأبدل منه مطابق في الظرف مفارق في الوصف (**يوم ينفخ في الصور**) لتصوير الرهبة البالغة والجلال المهيب تصويرا يسبح فيه الخيال اي مسبح فيتصور النفخ والصور والنافخ ، كم يبلغ من الأعماق والأبعاد حتى يحشرهم جميعا للفصل ، ولا يحشرهم افرادا بل يحشرهم افواجا !

هذه خطرات لمحتها لمحا سريعا في هذا الجزء من السورة ، فهل هناك من يرى اذا قرأ القرآن بقلبه غير هذا التحريك المستمر لقلبه بتلوين الخطاب وسرعة التنقل من اسلوب الى آخر منذ البدء بالاستعاذة الى الختم بالتصديق ؟

هذا هو الكتاب المبين الأعلى ، والمعجز للخلق والرائد للدعاة !

ترى هل تختلف السنة المطهرة في هذا النمط من الأداء عن القرآن المجيد ؟

★ ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأسمى وجدانا وأرق وأدق حسا من ان يكون جاسي الطبع جافي اللفظ جامد التعبير ، وهذا هو القرآن المنزل على قلبه يناديه : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (١٥٩ آل عمران) .

ولقد كانت حياته الوجدانية سراجا وهاجا مشكاته الألفاظ في كل معنى فاه به ، وقد وصفه الله بنعوت تؤكد هذا التألق الشعوري المستفيض في أنحاء حياته النبوية : تلك الحياة التي أرهصت بها أنماط سلوكه من مولده الى يوم مبعثه ، من ذلك قوله تعالى : « **لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** » ولهذا نعت نفسه بما نعته به ربه فقال : « **إنما أنا رحمة مهداة** » (عن أبي صالح لابن سعد والحكيم ـ الفتح الكبيرا/ ٤٣٦)

الى كم يتسع المدى النفسي تحت (**عزيز عليه ما عنتم**) : انه يشق على نفسه .. يرهقه .. يسهده .. يؤلمه .. يحثه على الاستغفار لكم والدعاء بالعفو عنكم .

ثم الى كم يتسع مدى الدلالة النفسية لقوله : (**حريص عليكم**) : لنفاستكمُ لديه .. لأنكم أمته .. لأنه مباه بكم الخلق يوم القيامة .. لأن الرأفة والرحمة غريزةُ قلبِهِ ورمزُ رسالتِهِ !

لذلك كما اسلفنا كانت أحاديثه وكانت خطابته ودعوته فيضا غامرا من دفقات وجدانه ، وما يزال ولن يزال الى يوم الدين ثاني القرآن ترتيبا في امتلاك القلوب بذلك المعنى ، واذا سمي شيء في أدب الناس بالصدق الفني فان أروع المثل لذلك الصدق هو قوله الشريف صلوات الله وسلامه عليه !

واذ لا يستطاع الاكثار من الشواهد في مقال كهذا لامتزاج قوله بالآسر للقلب من صور وجدانه ، فاني مورد بعض نماذج دعوته التي على نمطها يجب ان يسير الدعاة ، غير مكترثين بمن يريدهم على غير منهجهم ، وان هذا النمط الآسر ليتجلى في اوجز العبارات من قوله الشريف صلوات الله وسلامه عليه !

انظر الى هذه الومضات السريعة الموحية ، التي تترك وراءها خطا طويلا من نور تظل المشاعر به عالقة : قال صلى الله عليه وسلم

« ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (عن كعب بن مالك ـ تيسير الوصول ٢٢٩٢) .

جملة خبرية قصيرة ، مغزاها القريب الذي يؤدي بالكلام الجاف العاري عن بلاغة النبوة ، والذي يذهب عن القلب مع ذهاب اللفظ عن السمع هو : حرص المرء على المال والشرف شديد الفساد لدينه .

غير أنه صلى الله عليه وسلم أعظم علما بما يؤثر في النفوس أثره البالغ اذا اكتسي به المعنى ، فأخرجه على تلك الصورة اللافتة .

صورة ذئبين : مثال للشراهة والشر والافساد ، يبدأ بها الحديث إنذارا أو إرهاصا بشيء خطير يجب الحذر منه !

واذا كان الذئب بلا نعت ، تلك منزلته من الحذر ، فما بالك به وقد نعت بالجوع ؟ ثم ما بالك بالذئبين المنعوتين بالجوع اذا ارسلا ارسالا في الغنم بلا قيد ولا حرز ولا زاجر ؟ انها صورة في القمة من الشر !

اذا تمكنت تلك الصورة من خاطرك فلا تظنن انفرادها بتلك القمة ، فقد دخلت اداة النفي عليها لتنقض زيادة شرها عن صورة ذئبين معنويين جائعين يرسلان في دين المرء فلا يتركان له صلاحا ! انهما الحرص الطائش على المال والحرص الطائش على الشرف ، ومعنى طيشهما ألا يكونا خاضعين لأمر الشريعة فيهما .

أتساوى شاة تهلك او قطيع من الشياه أو ملء الأرض ذهبا فساد دين المرء وهلاكه ؟

أي رصيد نفسي وراء هذا المثل الصغير الحجم ؟ والى اي مدى بتلك الجملة القصيرة الآتية تنفعل كما انفعل اصحابه حين قال : صلى الله عليه وسلم

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ! ان الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » (عن ابي هريرة ـ لمسلم والترمذي ـ الفتح الكبير ٣ / ٣١٥) .

أرأيت ما تثير جملة النهي في نفسك ؟ أرأيت البيت القبر كم يكون ظلامه ووحشته والمنافرة بينه وبين الحياة ؟ اذا انقدح ذلك في نفسك بكل ما توحى به الصورة من المعاني فاعلم انه البيت الخالي من قراءة القرآن ! الذي أنزله الله نورا مبينا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام !

كان صلى الله عليه وسلم يقتاد الناس بأعنة غرائزهم وميولهم فيأتيهم من جهة ما يبغضون تبغيضا للشر ومن جهة ما يحبون تحبيبا في الخير ، وذلك ما نراه في المصدر الأعلى للدين وهو القرآن .

انظر مصداق الأمرين معا في هذين النصين :

« إن من اكبر الكبائر ان يشتم الرجل والديه ! قالوا : وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم .

يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » (تيسير الوصول ٤ / ١٣٥) .

لقد استثارهم من مكمن الكراهية لأكبر الكبائر ، ليمكن في قلوبهم المستثارة ما شاء من تبغيض أذى الوالدين ولو من طريق غير قاصد !

« أيحب احدكم اذا رجع الى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان ؟ قلنا : نعم ! قال : فثلاث آيات يقرأ بها احدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان » (تيسير الوصول ١ / ٨٤ .

ألا تراه صلى الله عليه وسلم هنا قد استثارهم من مكان ما يحبون ؟ أن يفاجأ الرجل لدى أهله بهذا الخير العظيم ما أوجف عليه من خيل ولا ركاب : ثلاث خلفات عظام سمان لا ثلاث دجاجات ولا ثلاث شياه ولا خلفة واحدة !

اذا كان هذا من متاع الحياة الدنيا حبيبا الى النفس فان احب منه لدى المؤمن الحق متاع لا يبور !

الآن أصلك بنص أطول اختم به الجولة ليتأكد لك ان الدعوة الكريمة قامت على هذا النسق العالي الذي يلزم الدعاة ان يأتسوا به ، وهو التملؤ الوجداني بما يدعون اليه أولا ، ثم حمل ما يدعون اليه من مسائل الدين لسواهم على أجنحة الترغيب والترهيب ، المحلقة بالقلوب المتلقية في رحاب حياة روحية أطهر وأنقى ، وأهنأ وأشهى ، مما لا يتأتي لهم الوصول اليه بالقول الجاف والعبارة البليدة ، وليس معنى ذلك ان ينفعلوا انفعال الجاهل بالسب والتيئيس ، والاعتماد على جهارة الصوت بلا رصيد من علم نفس الجماهير ، الذي يستمد القاعدة والتطبيق من المصدرين الأعليين : القرآن والسنة .

« عن ابي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض : السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان .

أي شهر هذا ؟ قلنا : الله أعلم ورسوله ! فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه ! فقال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى ! قال : أي بلد هذا ؟ قلنا ؟ الله ورسوله اعلم ! فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه ! فقال : أليس البلد الحرام ؟ قلنا : بلى ! قال : فأي يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله اعلم ! فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ! فقال : أليس يوم النحر ؟ قلنا ؟ بلى ! قال : فان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ! وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ، فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ! ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون أوعى له من بعض من سمعه ! ثم قال : ألا هل بلغت ؟ ثلاثا ـ قلنا : نعم ! قال : اللهم فاشهد ! (تيسير الوصول : ١/٢٢) .

هكذا هز قلوبهم هزا عنيفا بالاستفهام المحير والسكتات المخيفة وتراكب الحرمات بعضها فوق بعض لأن خطر الدماء والأموال والأعراض من أشرى الخطر الذي كان يخافه من بعده ويالله للمسلمين فقد كان !

مائدة القارئ

دعاء

« فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين » .
الأعراف / ١٥٠

أخبرنا عن نفسك ؟

روى أن نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قالوا له : يارسول الله : اخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، انا دعوة ابي ابراهيم ، وبشري اخي عيسى ، ورات أمي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء لها قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر .



كفالة اليتيم

عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال : خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه .

رواه ابن ماجه

العتاب

قال أحدهم : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربة الناصح خير من محبة الشاني .



المسجد

يقول الرافعي : المسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع ، هو فكر واحد لكل الرءوس ، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل ، وكما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم ، يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله .

شاهد

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل آخر ، فأراد هذا أن يجرح شهادته ،
فقال للقاضي : اتقبل وهو رجل يملك عشرين الف دينار ، ولم يحج الى بيت الله ؟
فقال الشاهد : بلى ، قد حججت . قال الخصم : فاسأله أيها القاضي عن زمزم كيف هي ؟
قال الشاهد : لقد حججت قبل ان تحفر زمزم فلم أرها .

القريب

قال الشاعر :

وجدت قريب الود خيرا وان نأى
من الأبعد الود القريب المناسب

ورب اخ لم يدنه منك والد ابر من ابن الأم عند النوائب
ورب بعيد حاضر لك نفعه ورب قريب شاهد مثل غائب

العلماء

العلم بين التخصص والتوسع

يكاد لا يعترف العصر الحديث بالعالم الموسوعة ، لأن نظام التخصص طغى على كل شيء وأصبح ظاهرة من ظواهر الحياة .

وبتقدم العلم تفرعت أصوله الى فروع كثيرة وأصبح لكل فرع علماؤه الذين يتعمقون في أبعاده وأغواره وينبئوننا كل يوم عن جديد .
واعتنت الجامعات التي أنشئت لهذا الغرض نفسه - غرض التخصص - بأقسامها المختلفة العليا التي تشجع على الدراسة والبحث والتخصص ، وأخذت تحث النابهين من طلابها على مزيد من التعمق والتخصص ، حتى انقسم العلم الواحد الى علوم والفرع الواحد منه الى فروع .

وأصبح من المسلمات لدى الناس أن يدركوا أن المتخصص في فن من الفنون أو علم من العلوم أقوى وأدق إدراكا من ذلك الذي يحيط بالعديد منها ، وفي مجال الطب مثلا لا يقبل المريض عادة الا على الطبيب المتخصص في علاج المرض الذي يشكو منه ، ولا يعترف بالممارس العام الذي اخذ من كل فن بطرف .

وهذه قضية لا يشك أحد في جدواها وفائدتها وعظم الآثار المترتبة عليها ، فلولا التخصص ما وصل العلماء الى ما وصلوا اليه من تقدم ، وما شهد العصر الحديث ذلك الانقلاب

الموسوعات

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

الهائل في شتى مجالات المعرفة .

وكان علماؤنا القدماء - رحمهم الله - يعترفون بنظام التخصص ، فكان منهم علماء في النحو وعلماء في الطب وعلماء في الفلسفة وعلماء في الفلك وعلماء في التاريخ وعلماء في الرياضيات وعلماء في غير ذلك من الوان المعرفة .

ولكن بعض العلماء خرجوا على نظام التخصص واطلقوا العنان لعقولهم تجول في مناحي المعرفة حتى برز عدد من هؤلاء في مجالات مختلفة تبريزا واضحا دون ان يقصر واحد منهم في اي فرع تناوله .

ولم تكن المعارف محدودة يسهل الاحاطة بها بأدنى جهد ، ولكنها كانت واسعة متعددة المنابع والموارد ومع ذلك كان الاقبال على تلك المنابع والموارد منقطع النظير .

سلاح العلم :

كانت همة العلماء لا تعرف الكلل وكان الطموح العظيم رائدهم لا تقصر همة الواحد منهم على هدف قريب او تقف عند حد معين ، وكانت التقوى تغذيهم وتمدهم بقوة خارقة تعينهم على الطلب وتحثهم على نشدان الكمال ، ولا يجهلن احد قيمة التقوى في الاعانة على طلب العلم والنبوغ فيه ، فالله جل وعلا يقول : (**واتقوا**

الله ويعلمكم الله) البقرة/٢٨٢

وفي بعض الآثار : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . ولعله مما يستشهد به في هذا المجال قول الامام الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فأرشدني الى ترك المعاصي
واعلمني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي

وفي وصية الامام مالك للشافعي حين قصده بالمدينة ما يؤكد اهمية التقوى في طلب العلم ، قال له : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن .

وهذه وصية جامعة على قصرها ، ومن حقها ان تهدى الى كل طالب علم في عصرنا الحديث ، لعل الله يبارك له في علمه الذي يكتسبه فينفع به وينتفع ، ويصبح وسيلة من وسائل الهداية الى الله واداة من ادوات تحقيق السعادة والأمن في المجتمع .

امثلة من المبرزين في مختلف العلوم :

برز كثير من العلماء الاجلاء القدماء في علوم كثيرة ، وأمامنا نماذج من هؤلاء تشهد بأن الله قد وهب لهؤلاء العلماء بصيرة نفاذة وقريحة وقادة ذللت لهم الصعاب وهونت أمامهم المشاق .

فمن هؤلاء « الفاكهى » وهو عبد الله بن احمد المتوفي سنة ١٩٧٢ هـ ، فعلى الرغم من انه كان فقيها شافعيا نبغ في الفقه وفروعه إلا أن همته انصرفت ايضا الى علوم اللغة فأتقنها وألّف فيها ومن مؤلفاته في ذلك : حدود النحو ، والفواكه الجنية على متن الاجرومية، وكشف النقاب عن ملحة الاعراب .

ومنهم الامام الغزالي حجة الاسلام رضي الله عنه وقد اتقن علوما كثيرة وهو اشهر من ان يعرف به ، « والدميري » صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى ، وهو كمال الدين ابو البقاء بن محمد المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، وقد جمع في كتابه بين الفقه والحديث واللغة والتاريخ والتفسير والمعرفة بالأمثال والطب والحكمة هذا الى جانب موضوع الكتاب نفسه وهو علم الحيوان .

ومنهم « القفطى » وهو على بن يوسف وكنيته أبو الحسن ولقبه جمال الدين المتوفي سنة ٦٤٦ هـ ، وقد نبغ في علوم عدة منها العربية والرياضيات والنجوم والهندسة ، وأهّله نبوغه الى ان يتولى الوزارة ، ومن مؤلفاته الدالة على توسعه في العلوم : الاصلاح لما وضح من الخلل في كتاب الصحاح في اللغة ، الكلام على الجامع الصحيح في الحديث ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء في التاريخ ، الدر الثمين .

ومنهم إمام الحرمين « الجويني » الملقب بضياء الدين وكنيته ابو المعالي واسمه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، يقول عنه ابن خلكان : انه اعلم المتأخرين المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الاصول والفروع والادب

وغير ذلك ، صنف في كل فن ومن مصنفاته : كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب ، وكتاب الشامل في اصول الدين ، والبرهان في اصول الفقه ، وغير ذلك من الكتب ، وقد توفى « الجويني » سنة ٤٧٨ هـ وقيل في رثائه يوم مات .

أيثمر غصن اهل العلم يوما
وقد مات الإمام ابو المعالي ؟

ومنهم المقرى اسماعيل بن الشاودي المتوفي سنة ٨٣١ هـ ، ذكره صاحب المنجد وقال : إنه كان فقيها شافعيا تولى القضاء ، ويطلق عليه عالم اليمن ، نبغ في علوم كثيرة منها الفقه والنحو والتاريخ والعَروض ، وغيرها وهو غير المقرى احمد بن محمد التلمساني صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وقد توفى سنة ١٠٤١ هـ ، وكان ايضا موسوعة علمية رائعة يشهد بها كتابه المذكور .

ومنهم أبو الريحان البيروني الذي شهد الجميع بفضله وتقدمه ، قال عنه الدكتور عبد الحليم منتصر : وقد تميز في فنون كثيرة متباينة غاية التباين ، مما يدل على انه عبقرية نادرة المثال ، فهو في التاريخ محقق مدقق واسع الاطلاع وفي « الجيولجيا » جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين وفي الفلك والرياضيات فلكي ورياضي ممتاز بشهادة اساتذة الفلك والرياضيات المعاصرين ، ولقد حصرت مؤلفات البيروني ما بين مطبوع ومخطوط وموجود ومفقود فإذا بها تبلغ مائة وثمانين كتابا ورسالة وكان بارعا في الكتابة باللغتين العربية والفارسية ، وفي دور الكتب الاوروبية جملة طيبة من مؤلفاته القيمة التي يرجع اليها المستشرقون وقد ولد البيروني سنة ٣٦٢ هـ وتوفى سنة ٤٤٠ هـ بعد حياة حافلة قضاها في البحث والدراسة والتأليف .

ومن الشواهد الواضحة للعالم الموسوعة الامام السيوطي رضى الله عنه . وهو جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر المتوفي سنة ٩١١ هـ قال عنه المؤرخون : انه عالم مشارك في انواع العلوم ، قرأ على واحد وخمسين عالما ، ورحل يطلب العلم في جميع البلاد العربية وغيرها وله مؤلفات في مختلف العلوم ، ونظرة الى مؤلفاته تشهدك على مدى ما وصل اليه ذلك العالم الجليل من نبوغ في شتى الفنون والمعرفة .

السيوطي يحدث عن نفسه :

ولندع السيوطي رحمه الله يحدثنا بلسانه عن طلبه للعلم وتبحره فيه وصبره عليه ، فمما اورده محقق كتاب درة الحجال في اسماء الرجال قول السيوطي عن نفسه في كتابه « حسن المحاضرة » : « نشأت يتيما ، فحفظت القرآن الكريم ولي دون ثماني سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة اربع وستين وثمانمائة ، واخذت في الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، واخذت الفرائض عن

العلامة شهاب الدين الشارماحي فرضي زمانه ، واجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين ، وقد ألفت في هذه السنة فكان اول شيء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة ، واوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظا ولازمته في الفقه الى أن مات ، فلازمت ولده .

ثم لزمت في الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقى الدين الشبلي الحنفي وكتب لي تقريظا على شرح الفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع في العربية تأليفي ، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه .

ولزمت شيخنا العلامة استاذ الوجود محيى الدين الكافيجي أربع عشرة سنة فأخذت عنه الفنون والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك ، وكتب لي اجازة عظيمة .

وشرعت احضر عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروسا كثيرة في الكشاف والتوضيح وحاشية عليه ، وتلخيص المفتاح والعضد .

واخذت في التصنيف في سنة ست وستين وبلغت مؤلفاتي الى الآن ثلاثمائة كتاب سوى مارجعت عنه . وسافرت بحمد الله الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها ان اصل في الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني وفي الحديث الى رتبة الشيخ الحافظ ابن حجر .

وافتيت في مستهل سنة احدى وسبعين ، وعقدت إملاء الحديث في مستهل سنة اثنتين وسبعين ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة والذي اعتقده ان الذي وصلت اليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها لم يصل اليه ولا وقف عليه احد من اشياخي فضلا عمن هو دونهم ، واما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيخي فيه أوسع نظرا وأطول باعا ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الانشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ولم اخذها عن شيخ ودونها الطب ، وأما علم الحساب فهو أعسر شيء علي وأبعده عن ذهني واذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما احاول جبلا أحمله وقد كملت عندي الآن آلة الجهاد بحمد الله تعالى .

أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا ، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ؟ وقد أزف الرحيل وبدأ الشيب وذهب اطيب العمر ، ولو شئت الآن أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحول مني ولا قوة فلا حول ولا قوة الا بالله » .

وقد ذكر السيوطي رحمه الله أن

مؤلفاته في وقت تأليفه حسن المحاضرة بلغت ثلاثمائة كتاب ، ولكن صاحب درة الحجال ذكر أنها لا تحصى كثرة وأنها تناهز الألف .

وحسبك هذا العدد الذي ينبىء عن معرفة واسعة وعلم غزير لا يقف عند حد قريب ، ولكنه يتناول شتى المعارف بأدق التفصيلات وقد اعترف بنفسه انه قصر في بعض الفنون كالحساب ولكن ذلك لا يطعن في مقدرته بل الذي يطعن في الشخص الادعاء ، كما اعترف بأنه عزف عن بعض العلوم كالمنطق لا عجزا عنه ولكن زهدا فيه ، فهو يقول وقد كنت في مبادىء الطلب قرأت شيئا في علم المنطق ثم القى الله كراهته في قلبي وسمعت ان ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك ، فعوضني الله عنه علم الحديث الذي هو من أشرف العلوم .

وهمة السيوطي رحمه الله عالية اتاحت له الوصول الى هذه القمة الشامخة يزينها تواضعه الجم واجلاله لشيوخه وتقديره لهم وحرصه على ملازمتهم والاستفادة منهم ، كما يزينها ايضا صبره على الطلب والمعاناة هذا الى جانب تقواه وورعه ، حتى انه ليحكي عنه انه في اثناء تأليفه التفسير مع الجلال المحلي كانا يصعدان الجبل ولما سئل في ذلك قال : اخشى ان اخطىء فاعاقب ، فيصاب الابرياء بسببي .

وقد اسهبت في الاستشهاد بالسيوطي لكثرة مؤلفاته وتداول الكثير منها ولان حديثه الذي ذكره دليل صدق على أن من جد وجد ومعلم مشرق لمن يريد من طلاب العلم أن يقتفي الآثار الشامخة ويهتدي بضوئها .

عصر الموسوعات :

وربما كان العصر الذي نشأ فيه السيوطي يتميز بظاهرة التوسع التي كانت رد فعل لحركة الدمار التي قام بها التتار ضد الحضارة الاسلامية وعلومها ، فقد تضافرت جهود العلماء الذين طاردتهم سطوة الطغاة وغيرهم على انقاذ العلوم والمعرفة . يحدثنا عن ذلك الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه عن القلقشندي فيقول : « سقطت بغداد عام ٦٥٦ هـ في ايدي التتار ، ودفع هؤلاء الطغاة بتلك المدينة الاسلامية الزاهرة الى الدمار الحقيقي ، عاثوا فيها فسادا وإتلافا ، وانهالوا على علمائها تشريدا وازهاقا ، ثم لم يكفهم أن يفعلوا ذلك بالارواح حتى راحوا يفعلونه بالكتب والمؤلفات . والكتب يومئذ تراث أجيال مضت وأزمنة قضت ، فألقوا بهذه الكتب في نهر دجلة ، ثم أتى تيمورلنك في أواخر هذا القرن ، فذهب بالبقية الباقية من هذه المدينة وتركها تحتضر .

وطار العلماء والادباء والفضلاء ففروا الى مصر ، وهناك أمن هؤلاء العلماء على أنفسهم وأحدثوا حركة علمية كبيرة أثرت في العلماء ، المصريين تأثيرا كبيرا فدعتهم الى إنقاذ الثقافة الاسلامية التي جنى عليها الجهل والظلم والتوحش ، ورأى العلماء يومئذ أن خير طريقة ينقذون بها الثقافة الاسلامية الضائعة هي

جمع المواد التي تتألف منها هذه الثقافة في كتب كبيرة على شكل موسوعات أو دوائر معارف عظيمة لاتدع صغيرة ولا كبيرة من تلك المواد إلا أحصتها ... يضاف الى ذلك باعث آخر هو ديوان الانشاء » .

ومن هذه الموسوعات التي ظهرت في تلك الفترة : نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، ولسان العرب لابن منظور ، وصبح الأعشى للقلقشندي .

وكاتب الموسوعة لا بد ان يكون موسوعة في حد ذاته فالكتاب صورة من مؤلفه وقطعة من عقله . واذا تتبعنا سير هؤلاء الفضلاء أدركنا مدى ما وصلوا اليه من معرفة واسعة وعلم غزير .

فالنويري هو احمد بن عبد الوهاب المعروف بشهاب الدين النويري ، ولد بقرية نويرة من اعمال بني سويف احدى محافظات مصر سنة ٦٧٧ هـ وتوفى سنة ٧٢٣ هـ .

تحدث عنه وعن فضله وعلمه كثير من المؤرخين والمعنيين بتراجم الاعلام ، ولكن كتابه القيم « نهاية الأرب أعظم مترجم لحياته ، فقد ألفه في ثلاثين جزءا وقسمه على خمسة أقسام وفنون هي : السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به ، والحيوان الصامت ، والنبات ، والتاريخ .

وقد عرض هذه الموضوعات عرضا شائقا مزج فيه بين الحقائق العلمية والذوق الادبي وأبان فيه عن علم واسع ومعرفة شاملة .

وابن فضل الله العمري هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله الملقب بالعمري ، وترجع هذه النسبة الى أنه ألف كتابا بعنوان : فواصل السحر في فضائل آل عمر في أربعة مجلدات ، فنسب الى عمر رضى الله عنه . وقد ولد عام ٧٠٠ هـ وتوفى عام ٧٤٩ هـ .

وكان ابن فضل الله بارعا في العربية والفقه والتاريخ والجغرافيا والادب وغيرها ، وكتابه : مسالك الابصار خير دليل على ذلك . وله مؤلفات أخرى غيره ولكن هذا الكتاب هو الذي شهر به وهو الذي ينبىء عن فضله وعلمه ، وقد قسمه الى قسمين رئيسيين هما الارض ، وسكانها .

وتناول في القسم الاول المسالك والممالك وتناول في القسم الثاني مقارنات بين الشرق والغرب والديانات والتاريخ وغير ذلك من المعلومات التي تثير العجب وتدل دلالة واضحة على سعة علم المؤلف واحاطته بالكثير من المعارف .

أما ابن منظور فهو أبو الفضل محمد بن على الافريقي المصري المتوفي سنة ٧١١ هـ ، وكتابه لسان العرب ـ وان كان كتابا في اللغة ـ الا انه يدل دلالة واضحة على مدى سعة علمه ومعرفته وعلو ثقافته كما يدل على ذلك كثرة ما كتب عنه ، ومن ذلك ما جاء في مقدمة محقق كتابه المشهور : كانت حياته حياة جد وعمل موصول يدل على هذا انه ترك كتبا من تأليفه او اختصاره بلغت خمسمائة مجلد عدا ما نسخه بخطه الجميل من كتب

الأقدمين فقد كان مشاركا في علوم كثيرة ، وكان في الفقه في المكانة التي أهلته لولاية القضاء ، وكان في اللغة وعلومها بما يشهد له هذا الكتاب الفرد وكان في المعارف الكونية في افضل ما كان عليه علماء عصره .

والقلقشندي هو أحمد بن علي بن أحمد ، ولد سنة ٧٥٦ هـ وتلقى كثيرا من العلوم ونبغ فيها وتوفي سنة ٨٢١ هـ . وترك ثروة علمية تدل على سعة علمه وغزارة معرفته ، منها نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، وهما كتابان في الانساب ولكنهما لا يقتصران على ذلك بل تناول فيهما كثيرا من ألوان المعرفة والعلم وطرائف الأدب .

« ولكن كتاب الاعشي في صناعة الانشاء هو أخطر كتبه وهو الذي يعرف به الرجل عبر العصور ويذكر به دائما بين المؤلفين في سائر الدهور ، فلا يمر اسم القلقشندي في مجال من مجالات العلم والادب الا على أنه مؤلف صبح الاعشى وكفى ، وقل من المثقفين بالثقافة العربية من يعرف أنه مؤلف نهاية الأرب أو قلائد الجمان أو شارح كذا وكذا من كتب الفقه ونحو ذلك » قال هذه العبارة الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه عنه المذكور آنفاً .

شهداء العصر :

هؤلاء العلماء الأجلاء شهداء على عصرهم الذي عرف بأنه عصر الموسوعات العلمية والادبية وقد أشرت الى سبب هذه الظاهرة التي جاء السيوطي في أعقابها وقد تأثر بها كما تأثر بها غيره من العلماء كالشعراني عبد الوهاب الذي يطلقون عليه مجدد القرن العاشر الهجري .

وقد برع الشعراني رحمه الله في كثير من العلوم براعة فائقة من بينها الطب والفقه والنحو والفلك والتصوف والفلسفة واللغة والتاريخ وغيرها ، وله من المؤلفات ما يربو على ثلاثمائة مؤلف منها ما لم يسبق اليه .

العقلية الاسلامية :

إلا أن الذي لا شك فيه ان عقلية العلماء المسلمين متسمة بالسعة منذ القدم ، فقد تأثرت بالقرآن الكريم الذي صقلها ووسعها ودعاها الى الانطلاق في آفاق السموات والارض باحثة ودارسة ومقارنة ، فكان لذلك اثره الواضح في ان العالم المسلم قديما لم يقف عند حد معين من المعرفة ، بل كان يهمه ان يستقصي كل شيء ويبرز فيه ، حتى اذا ما أنس الى شيء من المعرفة ومال اليه طبعه أقبل عليه وجدد فيه وابتكر ، ومن هنا كان السباقون الذين تتلمذت عليهم الدنيا من امثال ابن الهيثم وابن خلدون وابن سينا ومئات غيرهم صنعوا الحضارة الاسلامية التي بنت اوروبا الحديثة حضارتها على هديها واستنارت بضوئها ... فهل لنا ان نذكر جهاد هؤلاء العلماء الأجلاء وجهودهم وما قدموه لأمتهم من أمجاد ، حتى نسبق كما سبقوا ونفعل مثلما فعلوا ؟

الفتاوى

الحجاب الشرعي

اخت مؤمنة اشارت الى اسمها بحروف رمزية تقول . تزوجت من موظف هنا في الكويت وتحجبت قبل الزواج ، ولكن الحجاب كان غير كامل ، ثم ـ الآن ـ أصبح الحجاب شرعيا ، ولكني فوجئت بزوجي يطلب مني ترك الحجاب ، ويلح في ذلك ، وبدأ الخلاف يشتد بيننا فماذا أصنع ؟
ارجو أن تنصحوه لعله يعدل عن رأيه .

ـ في الواقع وصلت أكثر من شكوى عن طريق الهاتف في هذا الموضوع ، وهذا تصرف عجيب وغريب ، المفروض أن الزوج يغار على زوجته ، ويحاول أن يسترها ويصون عرضها ـ السفور الذي يطلبه وكونها تخرج عارية الشعر والصدر والعنق والساق أمر يعرضها للنظرات الجائعة وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه النظرات صورة من صور الزنا حيث قال . « العينان تزنيان وزناهما النظر » كما ورد في البخاري . وسماه صلى الله عليه وسلم زنا لأنه نوع من التلذذ واشباع الغريزة الجنسية بطريق غير مشروع ، فكيف يسمح بتعريض الزوجة لهذا الزنا ؟

● يا أخي اسلامك يفرض عليك أن تلتزم بما جاء في الكتاب والسنة ، فاحمد الله أن زوجتك وفرت عليك أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، والتزمت بآداب الاسلام واهتدت الى طريق الكرامة والفضيلة ، لا تنس أنك باصرارك على نزع الحجاب تخالف أمر الله حيث قال : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** »وقال . « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » وقال . « **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك**

ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

لمادخلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على النبي عليه الصلاة والسلام في ثوب رقيق شفاف أعرض بوجهه وقال يا أسماء . إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه .

يا أخي هداك الله لنداء الاسلام : من الخير لك في دينك ودنياك أن تصون عرضك وتعين زوجتك على طاعة الله ورسوله ، فبعض الأزواج يلح على الزوجة أن تتحجب وأنت تعكس القضية وتطالبها بالسفور ، وهذا أمر مؤسف حقا ، فالسفور يا أخي لا يمكنها من الصلاة لأن صلاة السافرة لا تجوز ويجعل أصحاب القلوب المريضة يطمعون فيها ، ويجرح كبرياءها أمام الساخرين منها ، ولقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب أنهم يصدون من آمن ، فكيف بك وأنت المدرك للحلال والحرام ؟! قال تعالى : **« يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعلمون »** . اتق الله ولا تتحمل أوزارا فوق أوزارك ، ولعلها نزعة شيطان تنتصر عليها بارادتك وايمانك .

وصاحبة الرسالة ننصحها بألا تطيعه في ذلك ان أصر ، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وعليها أن تعالج الموقف بالحكمة وبالاقناع وبالمنطق وبالتفاهم وفي داخل البيت ، هي مأمورة بابداء الزينة له ، هذا حقه فقط ، وليس من حق غيره من الأجانب . ولعله يستجيب ليسير في طريق النور . والله ولي التوفيق .

الزوجة .. ومال زوجها

من الكويت . تقول . أنا ربة بيت ، وغير موظفة ، ولا أملك مالا يخصني ، وأحب أن أتصدق من مال زوجي ، فهل يجوز لي ذلك ؟ ثم تقول : هل لي الحق في الأخذ من مال زوجي بغير علمه ؟

بـالنسبة للسؤال الأول :
للمرأة أن تتصدق من مـال زوجها اذا أذن لها ، لأن المال حقه ، ولا تتصرف فيـه الا برضاه . وإذنه ، وإن كان لا يرضى بذلك فلا حق لها في أن تتصدق ، وإذا علمت انه يرضى بهذا التصرف ولا يمانع فلها أن تتصدق ولو لم يصرح بالاذن لها .

ثبت أن النبي صلى الله عليه عليه وسلم قال . اذا انفقت المراة من طعام بيتهـا غير مفسدة كان لها اجرهـا بما انفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم اجـر بعض شيئا » .

وأيضا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه في حجة الوداع إلى أن المرأة لا تنفق شيئا من بيت زوجها إلا باذنه .

أما إذا كانت الصدقة ليست لها قيمة مالية فلا يشترط إذن الزوج ، مثل التصدق برغيف ، أو بفلوس ، أو بثوب قديم مثلا ، فهذه أشياء يمكن التسامح فيها ولا تحتاج إلى إذن منه .

وبالنسبة للسؤال الثاني :
فليس للمراة ان تاخذ من مال زوجها لنفسها من غير علمه ما دام قائما بالنفقة ، ويوفر لها ولاولادها الغذاء ، والكساء والـدواء ، وكل ضـروريات الحياة .

أما ان كان الزوج بخيلا بمعنى انه يحرمها من الاشياء الضرورية فلها ان تاخذ من ماله في حدود القدر الـذي يكفيها بدون علمه .

فامرأة أبي سفيان قالت يا رسول الله إن ابا سفيان رجل شحيـح ، وليس يـعطيني وولدى إلا ما اخذت منه . وهو لا يعلم ، قال (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) .

لها أن تأخذ بقدر الضرورة ، ولا تـأخذ بقصـد الاسراف وشراء الكماليات ، لأنها ليست ضرورية .

هدية أم رشوة

قـارىء كـريـم كتب يقـول : عـزمت عـلى تقديم هدية إلى رئيس المصلحة في مناسبة

فقـال لي أخي :

إنهـا تعتبـر رشوة ، وأنا أقـول : إنها هدية ، فلو قدمتها أهي حلال أم حرام ؟

يـا أخي إنمـا الأعمـال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما

نوى ، إن كنت تقدمها لأنه رئيسك وتطمع من وراء تقديمها أن يفضلك على غيرك ، يرقيك مثلا بالاختيار من غير وجه حق ، أويوليك عملا فيه رئاسة أو ينقلك الى مكان أفضل ، فانها تكون رشوة في صورة هدية ، وتسميتها هدية لا يجعلها حلالا .

ورئيسك هذا هل يبادلك الهدية ؟ وهل لو كان في عمل لا يرأسك كنت تقدم له هدية ؟ ان كان الأمر كذلك فانها تعتبر هدية لا رشوة ، ولكن اذا كنت تنتظر من ورائها كسبا ماديا أو أدبيا ، أو يعطيك حقا ليس لك ، فهذا حرام : حرام على الراشي وهو من يقدمها ، حرام على المرتشي الذي يقبلها ، حرام على الوسيط بينهما ، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش . والرائش هو الوسيط بينهما . فقد روى أن عبيد الله بن رواحة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من الخراج ، فعرضوا عليه أن يعطوه مالا لنفسه ليقدر لهم تقديرا بسيطا ، فقال لهم ما عرضتموه من الرشوة سحت ، وإنا لا نأكلها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر الموظف الذي يستغل وظيفته ويأخذ من الناس الرشوة فيقول : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا ـ يعني أعطيناه معاشا ـ فما اخذه بعد ذلك فهو غلول » .

وسيدنا عمر بن عبد العزيز أهدى له رجل هدية فردها ، فقال الرجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . قال : كان ذلك له هدية ، وهو لنا رشوة . والوالي الذي جمع صدقات قبيلة من القبائل وجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الصدقة وحجز بعضا منها وقال : هذا هدية لي ، فغضب النبي وقال : الا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ؟! ياأخي من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، اذا استعنت فاستعن بالله ربما يكون أولادك في حاجة الى هذا المال ، وقد يكون رئيسك من الأثرياء . فتعاونوا على البر والتقوى .

المسح على الجوربين

ورد سؤال من الأخ / موسى محمد من طرابلس . لبنان . يقول ـ

المسح على الخفين نعرف أنه من التيسير على الناس خاصة في

زمن البرد ، ولكني في بيتي ألبس جوارب ليلا ونهارا ، فهل أمسح عليها أم لا يجوز المسح عليها ؟

هذا المسح من التيسير على الناس ، وفي المسح عدم المعاناة من البرد للأطراف ، ولذلك أفرد الفقهاء في أبحاثهم بابا خاصا لبيان أحكام المسح على الخفين ، يلبسهما الانسان على طهارة يعني بعد أن يتم الوضوء ، وكلما انتقض الوضوء يتوضأ اذا أراد الصلاة ، ما عدا غسل الرجلين فانه لا ينزع الخف ويغسل الرجلين ، ولكن يمسح على الخفين بدل غسل الرجلين ، ومدة هذا المسح للمقيم يوم وليلة ، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها . والجوارب التي يسأل عنها الأخ القارىء مثلها في المسح عليها كالخفين تماما ، واشترط كثير من الفقهاء أن تكون الجوارب ثخينة بمعنى أنها لا تسمح بوصول الماء الى الرجلين ، وأن تكون غير شفافة ، واللفائف التي تستعمل للحاجة مثل الحماية من البرد أو المحافظة على جرح في الرجلين حكمها حكم المسح على الجوربين والخف ، ويبطل المسح على كل هؤلاء بانقضاء مدة يوم وليلة للمقيم ، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها ، من باب التيسير على المسافر ، ويبطل المسح بنزع الخفين والجوربين أو اللفافة ويبطل المسح كذلك بالجنابة .

هذه الرخصة لاشك من محاسن الشريعة الاسلامية ، وصدق الله العظيم « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » .

تماثيل للزينة

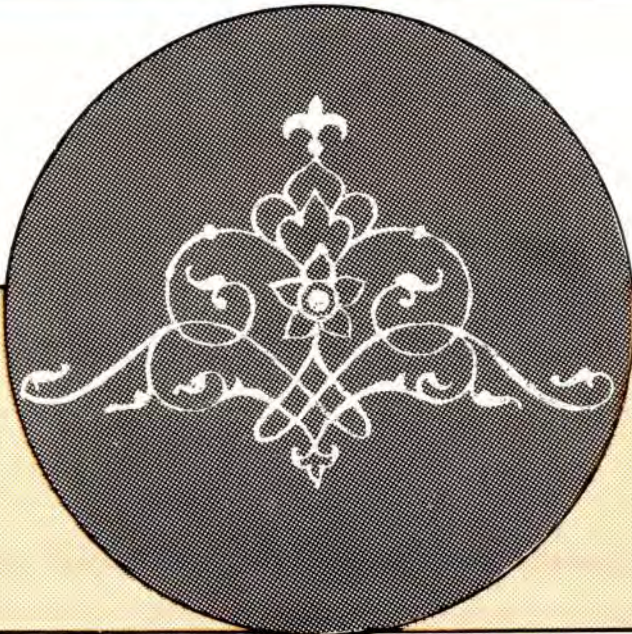
سؤال من القارىء الفاضل مطهر مولاي مصطفى - باب دكاله درب الدقاق . مراكش . المغرب . يقول : ما حكم الاسلام في التماثيل المصنوعة من الجبس على هيئة حيوانات ، هل هي حرام مع أنها توضع للزينة لا اقل ولا أكثر ؟

نقول : من المقرر شرعا تحريم التماثيل وهي الصورة المجسمة غير الممتهنة لأن وجود هذه التماثيل في البيت المسلم سبب في أن الملائكة لا تدخله قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل (أو تصاوير) متفق عليه .

وبين العلماء أن سبب هجر الملائكة لبيت فيه تماثيل يرجع الى تشبه من يتخذ ذلك بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها ، يستوي في التحريم التماثيل المصنوعة من الجبس أو من النحاس أو الحديد أو المعادن . واتخاذها للزينة لون من ألوان احترامها وتكريمها وإذا كانت عقيدة المسلمين الآن نقية من شبهة الوثنية ولكن الاسلام يسد بالتحريم باب الفتنة لا سيما وأنه يشرع للبشرية كلها الى أن تقوم الساعة وما يستبعد الآن قد يكون مقبولا في عصر آخر . ومن جهة أخرى اتخاذ التماثيل مظهر من مظاهر الترف والاسلام يحارب الترف والاسراف وخاصة فيما لا فائدة تعود من ورائه للفرد او المجتمع ولذلك حرم على الرجال الذهب والحرير وحرم على النساء والرجال استعمال آنية الذهب والفضة فمن باب أولى تحريم التماثيل ، وكما حرم الاسلام اقتناء التماثيل حرم على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل وان كان يعملها لغير المسلمين قال عليه الصلاة والسلام : (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) . وفي رواية - الذين يضاهون بخلق الله . متفق عليه .

انظر الفتوى المنشورة في عدد صفر من المجلة ١٤٠٤هـ ص ١٢٤ .



مع الصحافة

من المرجح أن يصدر هذا العدد من « الوعي الاسلامي » دون أن تهدأ حدة المعارك الدائرة في شمالي لبنان ، كما أن من الأمور المحتملة ـ نظرا إلى سياق الأحداث المتتابعة ـ أن تتحمل مدينة طرابلس وطأة حرب ضروس شبيهة بما حدث في بيروت . وهذا ما ندعو الله تعالى ألا يكون . وليس سهلا في الحقيقة أن يخوض الكاتب في وصف هذه الأحداث المؤلمة ، لا لأنها عصية على الفهم والتفسير ـ فلعل الحقائق في جملتها باتت واضحة وضوحا جارحا ـ ولكن لأن العبارات أصبحت تغص من الألم ، وتستحيي من الواقع المخزي . ولقد عبرت معظم الصحف العربية ، بل بعض الصحف الأجنبية أيضا ! عن الاستياء والدهشة والأسف لما يحدث .

ولقد قيل إن الصحافة مهنة القلق ، بيد أنها توشك الآن في خضم هذه الأحداث أن تكون مهنة الموت قلقا ! فبينما تدور رحى المعارك في شمالي لبنان قامت إسرائيل بعزل الجنوب اللبناني ، وإغلاق بوابات العبور إليه تمهيدا لضمه ضما نهائيا ، كما أصدرت حكومة **العدو** الصهيوني أيضا قرارا بانشاء خمس مستوطنات جديدة في الضفة الغربية ، وقامت بغاراتها العدوانية على البقاع لتقصف اللبنانيين والفلسطينيين . ومن صميم الشعب المقهور في لبنان بالحديد والنار يبرز « مجهولون » ليدكوا معاقل المارينز في بيروت ومعاقل اليهود في **صور** .

وعلى التخم الشرقي للعالم الاسلامي .. هناك في أفغانستان ما يزال المجاهدون يخوضون حربا طويلة ضد الغزو السوفياتي ..

وعلى الصعيد الدولي تتصاعد حدة الحرب الباردة بين الدولتين العظميين ، وتشغل العالم وصحف العالم المحادثات والاتهامات المتبادلة حول الحد من الأسلحة النووية ، بينما تصل طلائع صواريخ كروز الأمريكية إلى بريطانيا .

○ عن الحرب في شمالي لبنان

كثيرون جدا الذين تناولوا الأحداث في شمالي لبنان بالتحليل والتعليق ، ومما

يلفت النظر أن هؤلاء الكثيرين جميعا يكتبون بأسلوب مشوب بضروب من الدهشة والاستياء .. وربما بشيء من السخرية المبطنة بالألم . حتى الصحفيون الأجانب - بعضهم - لم يكن له مناص من أن ينفعل الانفعالات نفسها وهو يكتب عن أحداث شمالي لبنان .

وقد عبرت عن بعض هذه الانفعالات صحيفة الانباء الكويتية في مقال نشرته في ١٢ صفر جاء فيه :

يوم امس تزامن الحادثان : اقتحام مخيم البداوي للاجئين الفلسطينيين بدبابات وبنادق وقيادة وقنابل فلسطينية عربية ، مع اجتياح قواعد لبنانية وفلسطينية في البقاع من الجو بقنابل اسرائيلية ، قامت بقصف هذه القواعد بمن فيها من البشر ، تحت حراسة الطائرات الاميركية . وقع حادث اقتحام المخيم بعد سلسلة من الحوادث التي مهدت له : من الانشقاق إلى الرحيل عن قواعد البقاع ، ثم لحقت قوات المنشقين بقوات الشرعية الفتحاوية إلى شمال لبنان ، فتم إخلاء البقاع عمليا من قوات الثورة الفلسطينية ، فيما يبدو انه تحقيق لمطلب اسرائيل في خروج هذه القوات من البقاع مقابل انسحابها إلى نهر الاولي . ولا شيء في العالم قادر أن يقنعنا بأن ما يجري على الساحة الفلسطينية ليس جزءا من التسوية اللبنانية ، وبعدها تسوية الصراع مع اسرائيل سلميا . وأول شروط اسرائيل للقبول بالانسحاب الجزئي كان ابعاد مقاتلي الثورة عن البقاع ، بعدما تم لها اخراجهم من الجنوب وبيروت . ولكن لا يهم أن نقتنع أو لا نقتنع بمنطق الانشقاق وفوائده وحسناته ، فها هي « حسناته » على الارض : مخيمان فلسطينيان آخران يدمران ، وعشرات الالوف من النساء والاطفال والرجال يبحثون عن ملاجيء جديدة يسندون إليها رؤوسهم التائهة ومئات القتلى والجرحى من شباب فلسطين يهدر دمهم دفاعا عن المخيمات لا عن أرض فلسطين ولا على الطريق إليها .

وها هي « حسناته » : تمزق في نفس كل فلسطيني وعربي واذا كان من يحسب أنها نهاية الصراع فقد أخطأ خطأ عظيما ، فالذي جرى هو البداية فقط ، وسوف تشهد الارض العربية المزيد من هدر الدم ومئات الضحايا سوف تجد طريقها إلى المقابر ، وكل ذلك تحت شعار العمل من أجل فلسطين والكفاح على طريق التحرير ! ولكن أي فلسطين هي هذه التي عنها يتحدثون ، وأي تحرير ، إن خداع النفس ممكن وبسيط ولكن خداع الأمة صار من المحال ، والذين أثاروا الفتنة وأشعلوا نارها سوف يؤخذون بالنار ويحصدون عذاب النار التي حسبوها تدفء الأيدي فاذا بها تحرق الوجوه والاعين والاسماء والتاريخ .

وإذا كان هناك من يحسب نفسه منتصرا على إسرائيل حين يقتحم المخيمات ويقتل الرجال والنساء والاطفال من أبناء شعبه وبناته ، أو يتوهم أنه المغوار لو فاز برأس ياسر عرفات أو سواه من قادة المقاومة ، فانه الخاسر الضائع في سراب الظن وشرور النفس الامارة بالسوء والجرم .

○ عن الفدائيين « المجهولين »

في الحياة حقائق بسيطة ، لكنها قوية ، ولذلك لا بد من أن تجد سبيلا إلى التعبير والتحقق . ودفع الظلم والبغي عن النفس واحدة من هذه الحقائق ، وكلما كان الظلم والبغي أقسى كان الدفع أعنف . هذا هو التفسير البسيط لتلك العمليات التي توصف بأنها انتحارية . إنها تعبير عنيف عن بغي وقهر أعنف . إن عمليات العدوان الدموية التي قامت بها إسرائيل في لبنان ، وبخاصة في بيروت ، بالتنسيق مع أمريكا ، هي التي أنتجت هذه الضربات الموجعة التي سددها إلى معاقل المارينز واليهود .. فدائيون « مجهولون » .

عن هذا الموضوع نشرت صحيفة القبس الكويتية مقالا جاء فيه :

العمليات الانتحارية الكبيرة الاخيرة التي خططت لها ونفذتها « مجموعات الظل » العربية المناضلة هي ، في آن معا ، نتاج لواقع مرير أولا ، ومدرسة ذات تربة خصبة سينمو في احشائها جيل قديم ـ جديد من المناضلين ثانيا ـ انها مدرسة تقول بان الفعل الثوري هو الذي يملك افعل اعلام . مدرسة تقول بأن النضال الصامت أبلغ من كل الثرثرات اللفظية الثورية . مدرسة تقول بأن الدولة هي نهاية طبيعية للثورة وليست بداية لها . مدرسة تقول بأن العودة إلى النضال السري تحت الارض . دون تضييع الانجازات المكتسبة في العلن ـ هو وحده الذي يهز الارض من تحت أقدام المستعمرين الصهيونيين وغيرهم .

وهي ، أخيرا ، مدرسة تقول بان العقيدة أو الاعداد الايديولوجي الصحيح هو الذي يجعل المقاتل شهيدا يدخل الجنة بعد أن تجعله في حالة ذهنية ونفسية يستعجل معها الدخول إلى تلك الجنة .

ونحن لا نذيع سرا أن قلنا بأن تيارات جماهيرية واسعة وعريضة ، فلسطينية وعربية اخرى ، باتت تتحدث بصوت مسموع عن ضرورة العودة الى اعتماد تعاليم هذه المدرسة التي تجلت في معارك حصار بيروت وبعد أن طال الحديث عن تلك التعاليم بصوت خافت منذئذ . أنها تيارات واسعة نامية وموجودة إلى اعتماد تعاليم هذه المدرسة التي تجلت في معارك حصار بيروت وبعد أن طال الحديث عن تلك التعاليم بصوت خافت منذئذ . إنها تيارات واسعة نامية وموجودة فعلا تحت سطح العمل السياسي والعسكري العربي القائم . إنها تيارات سرعان ما ستطفو على السطح كنتاج مضاد لما هو سائد ، وكرد ناجع على الهجمة الامبريالية/ الصهيونية المستشرسة . والايام بيننا .. وان غدا لناظره لقريب .

كما وصفت صحيفة (فرانكفورتر الجماينة) الالمانية طرفا من العمليتين ، وجانبا من رد الفعل الأمريكي المتوقع في مقال نشرته في الأسبوع الثاني من صفر جاء فيه :

العمليات الانتحارية بدأت تشق طريقها في لبنان ضد القوات الاجنبية المتواجدة على الاراضي اللبنانية المدمرة ، « سائقو الجحيم » يخترقون بسياراتهم الملغومة المواقع الدفاعية لمقري قيادتي القوات الاميركية والفرنسية في لبنان ويفجرون سياراتهم في هذه المواقع ، في الوقت الذي كان فيه الجنود نياما او على مائدة الافطار ليصبحوا بين لحظة واخرى اشلاء متناثرة . وبعدها بحوالي اسبوع تتم عملية مماثلة ضد مقري القائد العسكري الاسرائيلي وجهاز الاستخبارات الاسرائيلية في مدينة صور بجنوب لبنان . في العمليتين يسقط مئات الضحايا بين قتيل وجريح لتلتهب ساحة الشرق الاوسط مرة اخرى بعد فترة هدوء مشوبة بالتوتر سكتت فيها المدافع وراجمات الصواريخ بانتظار ما قد تسفر عنه محادثات جنيف بشأن تقرير مستقبل لبنان .

الولايات المتحدة هددت على لسان أكثر من مسؤول فيها بما في ذلك الرئيس رونالد ريغن ، ووزير دفاعه كاسبار واينبرغر ووزير خارجيته جورج شولتز ، بالانتقام لمقتل جنودها ، بعد ان يتم تحديد الجهة المسؤولة عن تنفيذ عملية التفجير ، أما إسرائيل فقد كان ردها فوريا حيث انطلقت الطائرات الحربية بعد عدة ساعات فقط لتضرب وتدك مواقع القوات الفلسطينية في وسط لبنان .

الكاتب والصحافي الاميركي جون غوشكو قال في تحليل له ان بعض المسؤولين الاميركيين قلقون من العواقب الدبلوماسية لاي عمل عسكري اميركي في الشرق الاوسط بالنسبة لمجمل الاهداف الاميركية بعيدة المدى في المنطقة ، كما أن رئيسة الحكومة البريطانية المحافظة مارغريت تاتشر حذرت الادارة الاميركية من مغبة المغامرة بالقيام برد انتقامي في لبنان ، وذلك خلال اجتماع عقدته مع نائب وزير الخارجية الاميركي كنيث دام في لندن اخيرا .
تاتشر التي كشفت النقاب عن غزو جزيرة غرينادا قبل وقوعه وحذرت ادارة الرئيس ريغن من العواقب المترتبة على أي غزو محتمل للبنان شبيه بغزو غرينادا وهذا يعني ان الولايات المتحدة تخطط بالفعل للقيام بمغامرة عسكرية في لبنان والا لما اطلقت تاتشر هذا التحذير .

○ عن افغانستان وغرينادا

تقارن صحيفة (غلوب آندميل) الكندية بين دعاوى أمريكا ودعاوى السوفيات في غزويهما لغرينادا وأفغانستان ، وتكشف طبيعة العدوان الذي تحاول كل من الدولتين العظميين أن تستره بنوع من الدعاوى او الذرائع الضالة . جاء في المقال الذي نشر في اوائل صفر :

خلال السنوات الاربع التي خضعت فيها افغانستان للاحتلال السوفياتي ، ظلت محنتها ذريعة تستخدمها وسائل الدعاية الاميركية المعادية للشيوعية لدحر معارضيها . لكن غزو الولايات المتحدة لغرينادا نقل هذه الذريعة فجأة الى حوزة الطرف الاخر .

ومنتقدو السياسة الاميركية يستطيعون الآن أن يقدموا الدليل على أن الاميركيين لا يملكون من القيم الدولية والاخلاقية اكثر مما يملكه القادة الروس الذين يهاجمهم البيت الابيض بشكل دائم . وان مجرد القدرة على اطلاق الاتهام هو لغير صالح العملية الاميركية في غرينادا ، ولكن أين يكمن مفهوم النسبة والتناسب لدى النقاد الذين يتفوهون بهذا التشبيه المضخم .

والاتحاد السوفياتي الذي قال عن غزو الولايات المتحدة لغرينادا بانه « جريمة ضد الانسانية » قام بقصف السكان المدنيين ودمر قرى بأكملها . واستخدم ا لغازات السامة وخلق اسوأ مشكلة للاجئين في العالم ، بعد أن أجبر أكثر من ٣,٥ مليون افغاني على الهجرة .

وفي أحد التقارير وصف دبلوماسي أفغاني سابق ويعيش الآن في الباكستان الاساليب السوفياتية ، وصفا مثيرا للذعر . فقد تحدث التقرير عن قيام الجيش الاحمر بغارات ضد القرى بالقرب من كاندهار ، انتقاما لهجمات الفدائيين .

لقد انتقلت القوات السوفياتية من منزل لاخر فألقت القنابل اليدوية واطلقت النيران على من بداخلهاكان معظم الضحايا تقريبا من كبار السن ومن النساء والاطفال ، لأن الفدائيين درجوا على عدم العودة إلى منازلهم عقب قيامهم بأعمال هجومية ففي قرية كلوشاباد قتل ٥١ قرويا ، بينما قتل في ماشخيزي المجاورة ٣٥ آخرون . وفي قرية ثالثة هي قرية تيمور كلاشا ، قام السوفيات بقتل ٤٠ امرأة وطفلا بالحراب .



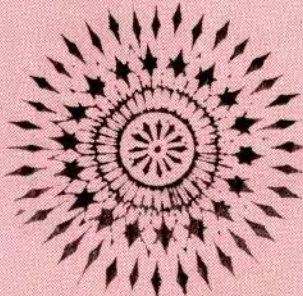
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٢/ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ يناير/فبراير ١٩٨٤م



هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قال الله تعالى في كتابه الكريم

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

١٣٧٩

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٢/ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ يناير/فبراير ١٩٨٤م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

ألا له الخلق والأمر

ابتدأ مع القرن الرابع عشر الهجري التقدم العلمي والنشاط الحضاري في كثير من مجالات الحياة واستطاع العلماء ان يكتشفوا من أسرار الطبيعة ما وفر على الناس الكثير من الجهد والمعاناة غاصوا بعلمهم في أعماق البحار واستغلوا الأرض وقربوا المسافات وزاحموا الكواكب في فضائها ووصلوا بالانسان إلى سطح القمر ..

هذا التقدم العلمي الهائل يطلع على الناس كل يوم بجديد وأصبح التنافس الدولي على أشده للسبق في هذا الميدان وأمام هذا الانطلاق الذهني والكشف العلمي نود أن نبرز في ايجاز جانبا من موقف الاسلام ثم موقف البشر .

أما موقف الاسلام فانه خير دين انفرد بالدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض حيث جاء القرآن بمنهج يحرض الفكر على تدبر ما في ا لكون من مظاهر وآيات وصولا إلى معرفة يد القدرة فيها وإيمانا بخالق الكون ومدبر أمره ، وبالتأمل في صفحات الوجود عن طريق البحث المستنير تدخل عقيدة التوحيد قلوب العباد من غير استئذان أو تردد وصدق الله العظيم : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيهامنكل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة/ ١٦٤ .

مما لا شك فيه أن العقول قبل الاسلام كانت مقيدة بأغلال الجهل والأوهام والخرافات وكانت لا تستطيع التحرر من التقاليد الضالة والعقائد الفاسدة ولكن الحق سبحانه من رحمته بهذا العالم أرسل النبي الخاتم بقرآن يهدي للتي هي أقوم فأطلق هذه العقول من إسارها وطاف بها على بدائع صنع الله ونزلت الآيات الكريمة تصرح بأمر الله إلى رسوله أن يدعو الناس إلى التفكر والنظر وصولا إلى الحق والهدى والايمان وخروجا من الظلمات إلى النور قال تعالى : (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يديْ عذاب شديد**) سبأ/ ٤٦ .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يبيت ليله باكيا وهو يتفكر في آيات الله التى لا تحصى في هذا الكون الرحيب .

قال عبد الله بن عمر لعائشة رضي الله عنهم . أخبرينا بأعجب ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت :"كل أمره كان عجبا أتاني في ليلةٍ حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقلت والله إني لأُحب قربك وأُحب هواك فقام وتوضأ ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى ثم اضطجع فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح

قال يا رسول الله ما يبكيك ؟ فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله على هذه الليلة: (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**) آل عمران/ ١٩٠ . ثم قال :"يا بلال ويل لمن قرأها ولم يتفكر" .

هذه صورة من صور اهتمام الاسلام بقضية التفكير والنظر ليوقظ العقل وينبه الحس في اطار منهج واقعي يرتبط بواقع الحياة وينير للناس طريق الايمان .

ومما لا شك فيه أن العلم الحديث بما وصل إليه من معرفة وكشوف مدين للاسلام الذي أثار الفكر الانساني لينطلق إلى آفاق التدبر والنظر بمثل قوله تعالى:(**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) ٥٣/ فصلت.وبمثل قوله سبحانه:(**قل انظروا ماذا في السموات والأرض**) ١٠١/ يونس .

أما موقف البشر من هذا المد العلمي المتلاحق فانه يختلف باختلاف إدراكهم للغاية منه ومدى تأثرهم به وهم تبعا لذلك ثلاث فئات : فئة هامت غراما بالجانب المادي فلا تعترف بما وراء هذا العالم المحسوس ولا تؤمن بوجود قوة عليا على الرغم مما يوحي به العلم وما تنطق به الآيات الكونية بوجوب الايمان بخالق الحياة والأحياء ومبدع الكون وصانع الوجود . هؤلاء وقد انقطعت صلتهم بالله أدى إفلاسهم الروحي إلى الاسراف في عبادة الذات وإرضاء الشهوات ومحاربة الدين والمثل والأخلاق وصاروا يهددون البشرية بأسلحة الدمار والفناء في غير رحمة ولا حياء .

هؤلاء الحمقى عطلوا نوافذ المعرفة،لهم أعين لا تبصر طريق النور، ولهم آذان لا تسمع براهين الحق،ولهم قلوب لا تفقه منطق الايمان .
هؤلاء الملاحدة صور القرآن مستواهم في الضلال بما هو أدنى من

مستوى الأنعام حيث قال الله تعالى:(**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**) سورة الأعراف/ ١٧٩ .

هؤلاء مهما بلغوا من علم ومهما أوتوا من مناصب أو ملكوا من بحوث لا وزن لهم مع عربي أمي اهتدي بفطرته إلى الايمان بالله إذ كان يسير في الصحراء فوجد بعرات في الطريق فنظر إليها مليا ثم قال إذا كانت البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فان سماء ذات أبراج وأرضا ذات فجاج كل ذلك يدل على ا للطيف الخبير .

هؤلاء الذين اتخذوا العلم الههم ولم تنفع معهم المواعظ عليهم أن يقرأوا وأن يتأملوا ما قاله (ا . كريس موريسون) رئيس اكاديمية العلوم في نيويورك قال (إن الانسان ليكسب مزيدا لاحد له من التقدم في كل وحدة من وحدات العلم غير أن تحطيم ذرة (دالتون) إلى مجموعة نجوم مكونة من جرم مذنب والكترونات طائرة قد فتح مجالاالتبديل فكرتنا عن الكون والحقيقة تبديلا جوهريا .. ثم يستطرد قائلا . وإن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتفتح مجالا للايمان بوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة) .

ومن قبل هذا ضرب القرآن الكريم مثلا لعالم انسلخ من آيات الله فصوره في صورة انسان ممسوخ في صورة حيوان لاهث اذ يقول الحق سبحانه **(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**) صدق الله العظيم . الآيتان ١٧٥ و ١٧٦ سورة الأعراف .
وللحديث بقية إن شاء الله .

رئيس التحرير
حسن فتاع



ربما كان هذا العنوان غريبا على كثير من الناس ، وبخاصة من أخذ منهم بنصيب وافر من العلم والفقه ، والذوق والرأي ، والفكر والأدب ، والإحاطة والاطلاع ، وربما قال قائل من هؤلاء : وهل هو إلا كتاب ككل الكتب تتألف سطوره

من حروف وكلمات عربية ، وهو كما يقول الله عنه (**بلسان عربي مبين)** الشعراء/ ١٩٥ او كما يقول : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)** القمر ، لا يحتاج من القارىء إلا أن يساعده لسانه على النطق الذي منحه الله إياه ، وعوده عليه ، وقاوم به محنة البكم او الخرس الذي ابتلى به غيره والعياذ بالله ؟ ونحن نبادر بالإعلان عن الغرض الذي نقصد اليه من هذه القراءة ، وهي من غير شك قراءة خاصة ، لها مواصفات وآداب ، وسمات وكفاية ، ودربة واستعداد ، ودراية وعلم ، قد لا تتأتى لاصحاب هذه الصناعة ، وأهل ذلك الفن ، ومما لا يماري فيه أحد ان النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو أفصح العرب بيانا ـ وأقومهم لسانا ـ تلقى قراءته عن جبريل الذي كان ينقطع له في رمضان ـ من السنة الى السنة ـ ليسمع له ، أو ليتلو عليه ، وكان هذا درسا له ..

ومن ثقافتنا التي حصلنا عليها من الكتب التي بين أيدينا يصادفنا في التوصية بهذه القراءة ، والحث عليها ، والترغيب فيها ، أكثر من آية في كتاب الله الكريم ، وأكثر من حديث نبوي من كلام سيد المرسلين ، وهي ترينا ان هذه القراءة المطلوبة ، لم يكن المقصود منها مجرد المرور العابر على الآيات والسور ، ولكنها القراءة المصحوبة بالتأمل ، المقرونة بالفهم ، المليئة بتعلق القلب ، وارتباط الفكر ، وهيام النفس ، وثورة العاطفة ، وميل الطبع ، وشغف الفؤاد ، وكأنما هي تلك التي يتحدث عنها ، ابو حمزة الخارجي في وصفه لأصحابه إذ يقول : « منحنية أصلابهم على اجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه » .

ومن قوله جل جلاله : « **الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به)** البقرة/ ١٢١ ، وقوله : (**إن الذين يتلون كتاب الله)** فاطر/ ٢٩ ، وقوله : (**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث)** الإسراء/ ١٠٦ يمكن ان ندرك الملامح البارزة ، والخطوط العريضة ، والصفات الواضحة ، التي يجب ان تتوفر للقارىء الجاد في قراءته ، او المخلص في صلته بربه ، وهو لا يداجي في مناجاته له ، وحديثه إليه ، واقباله عليه ، واشتغال قلبه به .. وهذه الملاح ، وتلك الخطوط ، او تلك المعاني ، يعلنها قوله : (**حق تلاوته**) وقوله : (**يؤمنون به**) وقوله : (**على مكث) فاننا ننتهي منها ـ في هذه الآيات ـ الى أن القارىء يجب ان تكتمل له هذه الصفات الثلاث** ..

الأولى : ان تكون هذه القراءة تلاوة ، والتلاوة مأخوذة من قولهم تلا فلان فلانا اذا جاء بعده بوقت ، ولا يتأتى ذلك في النطق إلا اذا كان على مهل ، ليأخذ كل حرف من الحروف خظة من الصوت الذي يليق به من الاظهار او الاخفاء او الجهر او الهمس ، ومد الحرف او قصره ، وهكذا وهو ما يسمى عند علماء النغم بتجويد

الحروف .

والوصاة التي يوصى بها او يؤكدها ، ليست تلاوة وكفى ، وانما هي : (**حق تلاوته**) ، والتأكيد بالمصدر هنا ، يعطي معنى يجب ان نلتفت اليه ، وهو أن المطلوب التلاوة الرتيبة ، والقراءة الهادئة ، ليتسنى لمن يقرأ تأمل الأهداف ، وفهم المقاصد ، وتدبر المعنى .

الثانية : أن يكون القارىء ممن تمتلىء نفوسهم بالإيمان به ، والإكبار له ، والرغبة فيه ، والاقبال عليه ، وهذا الذي تهدف اليه كلمة (**يؤمنون به**) لأن الذي يساق الى ما يقرأ سوقا من غير رغبة صادقة ، ولا استجابة خالصة ، ولا ميل صحيح ، لا تكون قراءته بفهم ، ولا تأمله بوعي ، ولا إصغاؤه بفائدة ، ويكون ضياعة للوقت من العبث الذي لا يستجيب له إلا صغار الأحلام ، ولهذا الغرض يوصى أهل الفقه والعلم ألا يكون المستمع لكتاب الله على صورة المستمع وكفى ، بل لابد ان يكون مع الأصغاء تأمل ، ومع السمع تدبر ، ومع توجيه النفس سياحة : (**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**) الأعراف/ ٢٠٤ ، فلا يكتفي الانسان بامتلاء الأذن بالصوت ، او منع اللسان من اللغو ، والجوارح من الحركة ، ما لم يكن مع هذا وهذا الامعان في الإصغاء ، والإغراق في التأمل ، والمبالغة في التفرغ ، ونراه سبحانه وتعالى ينعي على هؤلاء المنصرفين عنه أشد النعي ، ويوبخهم أقسى التوبيخ ، وهو يقول : (**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**) محمد/ ٢٤ ، ويؤدبنا صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب ، ويرشدنا الى هذا المعنى حين يقول : « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فيه فقوموا » متفق عليه ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن أولئك الذين يقرؤون تلك القراءة التي لا تتجاوز حناجرهم . ولا تلامس ضمائرهم ، ولا تصادف منهم هوى صادقا ، ولا قلبا خافقا ، ملعونون من القرآن الكريم ، وما أظن ان تكون هذه اللعنة إلا لرجل بلغ به هذا الاستهتار حد العبث بكتاب الله ، فهو لا يتأدب له بأدبه ، ولا يستحضر له مهابته ، ولا يوفر له احترامه ، ولا يوفيه حقه من النطق اللائق به ، ولا يعطيه من الإقبال عليه ، والتفرغ له ، والتفرغ له ، ما ينبىء عن كونه موصولا به ..

الثالثة : أن يكون ذلك على مكث : (**لتقرأه على الناس على مكث**) والمكث في اللغة أكثر من التمهل ؛ وأعمق من التؤدة ، وأبلغ من التريث .. ومنه يتبين أن التواني الذي تتطلبه قراءة القرآن ، والأناة الواجب ملاحظتها ، ليست ليأخذ النطق حقه ، ولا لاخراج الحروف من مخارجها الصحيحة فحسب . فان هذه أمور من البداهة أن يحسب حسابها ، ويراعى توفرها . وهذا المكث الذي ترمي إليه الآية لا يكون باستيفاء الحروف حقها من «التجويد» ولا تلوين الصوت لها باللون المناسب فقط ،

بل باستحضار روعة المعنى وقدسيته وربطه بما يؤازره من سابق أو لاحق ، يؤلف معه أسرة متينة البنيان ، قوية الأركان تعطي في إطارها المتناسق ، وتعانقها المتلاصق ، ما لهذا الكلام من إعجاز أبدعت فيه قدرة اللطيف الخبير ..

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلا يبالغ في نسكه ويتجاوز الطاقة في عبادته ، ويمعن الامعان كله فيما يصله بربه ، ومما عرف به أنه كان يقرأ القرآن كله في ليلة واحدة ، وانتهى علم ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقره عليه ، وأمره أن يتم قراءته كل عشر ليال ، ولما راجعه عبد الله وقال له ولكنني أطيق أفضل من ذلك . قال له الرسول صلى الله عليه وسلم اقرأه كل سبع ليال مرة . ففعل ذلك عبد الله إلا أنه بعد أن تقدمت به السن ولم تسعفه القوة ولم يساعده النشاط ، ندم على أنه لم يقبل تلك الرخصة التي أجازها له رسول الله ولم يمت حتى كان يعلن هذا الحديث الذي رواه عنه أبوداود والترمذي وابن ماجه : « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .. وقد يكون من المستحسن وقد تناثر بنا حديث القراءة الى هذا المدى ، أن نعرض لتلك القراءة التي يملؤها أصحابها بالنغم ، ويشحنها ذووها بالتلحين ، ويثقلها أهلها بما يكون فيها من الموسيقى . وأن نذكر نصيبها من الحل والحرمة . وحظها من اللياقة والأدب ، وأكبر الظن ان القارىء الذي يلتزم بحقوق الحروف من النطق المنصوص عليه عند علماء التجويد لا يلومه أحد ، ولا يمكن أن يكون الجمال للصوت ، إنما هو لسحر القرآن . ولذلك الجلال الذي يضفيه على نفسه . ولا يتصور إنسان أن يكون هذا الحسن لصوت المغني او المرجع وانما هو في الواقع يرجع الى أمرين اثنين .. النطق الصحيح ، وسلطان المعنى على القارىء ، وكثيرا ما نسمع قارئا لم يتوفر له جمال الصوت ، ولاحسن النغم . في حين أنه يتوفر له الى جانب نور القلب ، وإخلاص النفس ، وفرة الايمان ، وقوة اليقين وسلامة النطق ، وصحة التجويد وروعة الأداء ، فإذا هو يملك منا القلب ، ويأسر منا النفس ، ويسبح بنا في ملكوت السموات والأرض ..

وعلى هذا فإن القراءة الممقوتة التي يلعن الله صاحبها ، هي تلك التي لا تسوفي حقها من الأداء ، ولا يتوفر لها نصيبها من الأدب ، أو يتجاوز بها القارىء ما يجب أن يكون في النطق ، وحين يمضغ القارىء الكلام ، أو يخطف الحروف ، أو يتناسى للأداء حقه ، أو يخلط بين المخارج ، أو يتخنث كما يتخنث المغني ، فانه يتعرض لسخط الله وغضبه ، وعليه الوزر من غير شك ، والصوت الجميل ، والإيقاع الحلو ، والتطريب الحسن ، في قراءة القرآن لا تمتاز شيئا عما يكون في الآذان الذي يرى الشارع أن يكون من إنسان مديد الصوت ، عذب اللحن ، حلو النغم ؛ جهير النطق ، رطب الحلق ، سليم المخارج ، كما كان بلال بن رباح الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستريح له ، ولقد كان رسول الله داود عليه السلام صاحب صوت حسن ، ونغم حلو ، وكان حظه كله ، ومتعته كلها ، وسعادته التي

أنعم الله بها عليه ، لا يراها في شيء وراء تلاوته لذلك الكتاب الذي أنزله الله عليه . وكان لصوته الحلو ، وتلاوته الرتيبة الفضل كل الفضل في نجاح دعوته ، وقبول رسالته ، وامتثال ما كان يأمر به قومه من هدي ونصح .. والفطرة السليمة من شأنها أن تستجيب للصوت ، وتهتز للنغم ، وتميل إلى حلو اللحن ، وعذب الإيقاع . والدين لا يحارب الطباع ، ولا يجافي الغرائز ، وهذا هو أبو هريرة رضي الله عنه يقول : « ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ويجهر به » رواه البخاري ومسلم واللفظ له .. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه أبوداود والنسائي وابن ماجه ولعل المعنى على القلب ـ كما يقولون ـ فإن القرآن كامل الزينة ، تام الروعة ، موفور الحسن ، جميل النغم ، حلو اللفظ ، عذب الحروف ، والفضل إنما يعود على الصوت من القرآن الذي يخلع عليه من فيضه ؛ ويسكب عليه من مائه ، ويجود عليه بما أودع الله فيه من بهجة وجلال ، وليس ذلك غريبا اذا علمنا أن علماء الأصوات الذين عنوا بدراسته من الناحية الصوتية أدهشهم ذلك التنسيق في الحروف الذي جعل النغم فيها غير ناب ولا قلق ، ولكنه يجعل درجات اللحن متشابكة على شكل يبعث على الدهشة التي لا تنتهي إلا بقوله سبحانه : (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) المؤمنون/ ١٤ .

ولابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار » كلام ينال به ممن يقرءون القرآن للدنيا ، أو لطلب ما عند الناس ، والذين لم يكفهم من ابتذاله والارتزاق به هذا الحد المزري الذي وصلوا اليه ، حتى راحوا يجيئون في القراءة بوجوه غير مألوفة إظهارا للمعرفة ، أو إعلانا عن المقدرة ، والعلماء يقولون بكراهية ذلك .. وقد رأيت ابن قتيبة ـ أيضا ـ يقول في كتابه «مشكل القرآن» فان قال قائل فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع الوجوه ؟ ، قيل له كل ما كان منها موافقا لمصحفنا ، غير خارج عن رسم كتابته ، جاز لنا أن نقرأ به وليس لنا ذلك فيما خالفه ، لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرءوا بلغاتهم ، وجروا على عاداتهم ، وخلوا أنفسهم وسوم طباعهم ، فكان ذلك جائزا لهم ، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل ، عارفين بالتأويل ، فأما نحن معشر المتكلفين ، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض ، وليس لنا أن نعدوه ، ولو جاز لنا أن نقرأ بخلاف ما ثبت في مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف ، والزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير ، وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموفقون رحمة الله عليهم .. وقد تعمدت هذا النقل عن ابن قتيبة لأنه أشبه بالتعليل للكراهة التي يرتكبها هؤلاء القراء من جهة ، وتأييد للحكم من جهة أخرى .. ولأدل القارىء من جهة ثالثة على كتاب عظيم من الكتب التي تصدت لدراسة في كتاب الله نحن في حاجة الى الوقوف عليها والعلم بها ، وبخاصة من رجل كهذا الرجل الذي اشتهر بسعة الأفق ، والقرآن لا يفهمه ، ويدافع عنه ، الا أمثاله الذين أحاطوا بمثل ما وعاه وعرفه .

القيم الإسلامية واتباع الهوى

للدكتور / وهبة الزحيلي

إن المتأمل في واقع المسلم المعاصر في سلوكه الاجتماعي ، يرى مع الاسف تناقضا واضحا ، او انفصاما مثيرا للتساؤل بين ما يعتقد ويتدين به ، وتصرفاته ومعاملاته وسلوكه العام ، فليس واقعه معبرا عن التزام صحيح لقيم دينه وشرع ربه ، تراه يصوم ويصلي ، ويحج ويزكي ، او يتحمس لاسلامه ويدافع عنه عاطفيا ، دون تقدير او احترام لبعض ما حظره الدين ، ففي مجال التجارة قد لا يتورع عن أكل الربا او الفائدة ، وفي اثناء السفر لخارج البلاد قد يتناول الحرام من لحم خنزير او شرب مسكر ، او اقتراف معصية ، او غشيان فاحشة ، في بلد مسلم او غير مسلم .

وربما يتأول لفعله ، فيزعم الحل او الاباحة ، او يتذرع بالحاجة والضرورة ، او بمخالفة الجانب الآخر في الدين والاعتقاد ، او بتقييد الأحكام الشرعية في بلاد الاسلام دون ما عداها من بلاد غير المسلمين ، اوقد لا يتجاوز الأمر مجرد مجاملة او استحياء من الآخرين .

وهذا كله من وساوس الشيطان ، وتذرع بأوهى الاسباب ، واتباع محض للأهواء والشهوات ، إذ إن شرع الله واحد لا يتبدل ولا يتغير بسبب الزمان والمكان والأشخاص ، والحلال في دار الاسلام حلال في دار الحرب ، والحرام في دار الاسلام حرام في دار الحرب ، ولا تحل دار الحرب ما كان اصله محرما في دار الاسلام ـ على حد تعبير الامام الشافعي رحمه الله تعالى .

وقيم القرآن الكريم دستور المسلمين ، سواء اكانت قيما شخصية بحتة ، ام اجتماعية ، ام انسانية عالمية ، لا تتبدل ولا تتلون ، ولا تتأثر بالظروف الشخصية او المعايير

المصلحية ، الا في الحدود المقررة المرسومة لها في نطاق العبادات او المعاملات ، كالمرض او السفر ، او العجز الدائم ونحوها من الأسباب المخففة ، التي لا تلغي اصل الحكم الشرعي ، وانما تجيز الانتقال الى بدائل واحكام اخرى تنوب عن الاحكام الاصلية .

وبه يتبين ان الانتقال الى البديل مقصور على تقدير الشرع ، لا بحسب الشهوة والهوى ، ومحاولة اخضاع الأحكام او القيم لمزاعم الانسان ورغائبه الخاصة ، فلقد أوصد الدين الحنيف كل منافذ الأهواء ، ليضمن سلامة المبادىء وهيمنتها على السلوك الانساني في كل الأحوال العادية التي لا تلجأ إلى الأحوال الاضطرارية المعروفة الا اذا توافرت معايير الضرورة وضوابطها الشرعية ، وما اكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تندد باتباع الهوى واتباع خطوات الشيطان والاصغاء لوساوسه ، قال الله تعالى : « **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون** » (المؤمنون : ٧١) ويؤيد ذلك قوله سبحانه : « **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم** » (محمد : ١٤) . « **يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** » (البقرة : ١٦٨) .

ويحذرنا النبي صلوات الله وسلامه عليه من المظاهر المرضية المدمرة لبنيان الجماعة ومصلحة الأمة ، ومن أخطرها اتباع الهوى الذي يمكن ان يكون في هذا العصر هو الظاهرة البارزة في سلوك الناس ، فيقول : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياما ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا ، يعملون مثل عملكم » رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن ، وابو داود في الملاحم ، وابن ماجة في الفتن .

إن في اتباع الأهواء مفاسد ومضار واضحة ، من أهمها اشاعة الفوضى ، وفقدان الأنظمة ، واضطراب الأحوال ، وتسلط القوي ، وظلم الضعيف ، وإثارة القلاقل ، وعدم الطمأنينة ، وانعدام الأمن .

وأما حب القيم واحترامها والتزامها ، فدليل على التحضر والتمدن ، وسبب لتوفير السعادة والراحة ، إذ هو صمام أمان ضد المخاطر التي تهدد في النهاية مصالح الأفراد أنفسهم ، وإن بدا في أول الأمر عدم التأثر المباشر بسبب التهاون بها ، لذا وجب على الانسان ان يكون احترامه للقيم نابعا من قناعته الخاصة بجدواها وأهميتها ، وبانعكاس آثارها عليه إن عاجلا أو آجلا .

ولن ارغب في جعل نفسي هنا

واعظا ، او مصدرا للنظريات ، أو راعيا للفضيلة ، أو حارسا للقيم ، وإنما أريد أن أقارن بين مجتمعنا الاسلامي والمجتمعات الأخرى ، في مجال التعامل القائم على الثقة ، والنابع من ضرورة حماية المصلحة الحقيقية للانسان نفسه .

وأذكر هنا أمثلة ثلاثة فقط من قيم الاسلام الخالدة التي التزمها غيرنا ، وغابت عن ذاكرة بعض الشبان أو الكهول المسلمين في ثنايا تحركاتهم الاجتماعية ، وتلك القيم هي **الصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد** ، وهي التي يمكن رد مختلف القيم الاسلامية لها ، وصدورها في الواقع عنها ، وتأثرها بها .

انطلقت النهضة الصناعية الجبارة في الغرب معتمدة على قيم كثيرة ، وانتعشت حركة الصادرات والواردات الضخمة عبر البر والبحر والجو بالاعتماد على اصول وقوانين نابعة في الأصل من قيم اخلاقية ، ترجمت الى أنظمة او اعراف تجارية ، وعادات التزمها الصانع والمستصنع والمصدر والمستورد ، وازدهرت حركة السياحة بأعراف مردها الى الأخلاق ، وقامت الخدمات الفندقية على اساس خلقي ، وكل هذه الأوضاع الجديدة حريصة على كسب الثقة ، وتوفير السمعة الحسنة والشهرة ، واكتساب الزبائن والعملاء عن طريق المعاملة الطيبة ، بعد توفير عنصر الجودة والاتقان ، وذلك يحقق أرباحا ذات مردود افضل في وسط المنافسة الحرة ، والتزاحم على فتح الأسواق العديدة امام المنتجات والصنايع المتنوعة ، واساس كل هاتيك القيم هو الصدق والأمانة والوفاء بالوعد او العهد . ويخطىء كل من يظن ان مظاهر التقدم الحديثة لم ترتكز على قيم خلقية ، وان كانت متأثرة بالحفاظ على المصلحة ، فهي مع ذلك تظل قيما .

ان فضيلة الصدق مع الله تعالى ومع النفس ومع الآخرين عنوان الرجولة والشجاعة والقوة والجرأة ، لذا أمر الله تعالى بالصدق كل مؤمن ، فقال سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » (التوبة : ١١٩) بل إن الحق سبحانه لم يدع الأمر مجرد اختيار ، وانما كان محل سؤال ونقاش ، فقال تعالى : « **ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما** » (الأحزاب : ٨) « **فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ، والذي جاء بالصدق ، وصدق به أولئك هم المتقون** » (الزمر : ٣٢ ـ ٣٣) .

والأمانة سواء بأداء الحقوق والتكاليف الالهية ، أو بأداء حقوق الناس الأدبية والمادية قاعدة كل بناء وتقدم ورفعة ، وأساس النجاة من المسؤولية والحساب وما يتبعه من لوم وعتاب وعقاب ، إذ أن الخيانة سبيل تردي المجتمعات ، وانحلال الشخصيات ، وتدمير الكرامة ، وهز الثقة ، والانذار بالفشل والخسارة المحققة ، لذا اشاد القرآن بالأمانة ،

فقال تعالى : « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** » (الأحزاب : ٧٢) .

والأمانة في كل شيء : الأمانة في الصلاة ، والأمانة في الصوم ، والأمانة في الوضوء ، والأمانة في الحديث ، وأشد ذلك الأمانة في الودائع ، وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمانة اول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم ، وروى الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع اذا كن فيك ، فلا عليك ما فاتك من الدنيا : « حفظ امانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة » .

والوفاء بالعهد أو الوعد او العقد والالتزام اساس مكين في العلاقات والمعاملات الداخلية والخارجية الدولية ، إذ لولاه لافتقدت الثقة والاطمئنان بين الناس ، وعامل الثقة لابد منه في كل تعامل ، ومن محور الثقة يطمئن الانسان لما يعطي او يأخذ ، لذا اعتبر الاسلام الوفاء بالعهد من اصول الايمان ومقتضياته ، وكرر القرآن الأمر به ، وحذر من الغدر والخيانة ، ونقض العهد والميثاق ، فقال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** » (المائدة :١) « **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا** » (الاسراء : ٣٤) وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين : « **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** .. » (البقرة : ١٧٧) واما جزاء نقض العهد فهو السقوط من هيبة الله والناس ، والعذاب في نار جهنم ، قال عز وجل : « **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** » (آل عمران : ٧٧) .

وما أقبح ما صور به جزاء الغدر في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل غادر لواء يوم القيامة ، يرفع له بقدر غدرته ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة » رواه احمد ومسلم عن ابي سعيد الخدري .

إن قيم الاسلام الخالدة ، سواء أكانت شخصيه كالصدق والصبر وحب الخير ، وجهاد النفس والهوى والشهوة ، ام اجتماعية كالأمانة والاحسان الى الآخرين ، والكلم الطيب ، والتعاون على البر والتقوى ، ام انسانية عالمية كالوفاء بالعهد والميثاق ، والحفاظ على الكرامة الانسانية ، والدفاع عن حرمات الدين والأهل والديار والبلاد ، والجهاد في سبيل الله ، وإيثار الحرية والسلام ، إن هذه القيم تستهدف إسعاد الفرد والجماعة ، وحماية مصلحة الانسان نفسه ، وتمتاز بمنطقيتها السديدة ، وبواقعيتها الأكيدة ، وتتصف بصفة الديمومة والخلود ، وبالتجرد الذي لا يتأثر بالظروف الشخصية ، ويتجاوز حدود البلد والاقليم الى ان يصبح قيمة كبرى واجبة الاحترام في كل

زمان ومكان .

أما غايتها في اسعاد الفرد والجماعة ، فلأنها تقوم على مبدأ الوسطية والاعتدال دون افراط ولا تفريط ، فليست هي فقط من اجل الفرد ومصالحه الذاتية ، وليست ايضا من اجل الجماعة وحدها ، وانما تعتمد على تحقيق مبدأ التوازن والانسجام بين المصلحتين الخاصة والعامة . واذا تحقق الخير العام استفاد المجتمع والأمة ، كما استفاد الفرد ايضا لتأثر مصالحه بتأثرات البيئة والوسط الذي يعيش فيه ، بل إن المردود النهائي بالنفع يعود للانسان ذاته .

وأما المنطقية والعقلانية في هذه القيم ، فهي واضحة إذ لا يستطيع اي انسان عاقل المكابرة في جدواها واهميتها وسلامة بنيتها ، وليس أدل على ذلك من ان قيم القرآن الكريم تتردد قديما وحديثا على ألسنة الحكماء والفلاسفة والمفكرين ، وتتعالى الأصوات بها في المحافل الحديثة والمؤسسات الدولية ، سواء اكان هناك صدق في اعلانها ، واستعداد للعمل بها ام لا ، وهذا ترجمان آخر لمصداق كلام الله تعالى : « **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » (فصلت : ٤١ ، ٤٢) « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** » (فصلت : ٥٣) .

واما واقعيتها ، فتوجبها الضرورات الحياتية وتقلبات الأحوال ، فلولاها لجأر الناس بالشكوى والتبرم من سوء الاخلاق ، وهي منسجمة مع الفطرة النقية واصالة الانسان السوي ، وواقع الحياة ، فهي ليست مجرد نظريات مثالية بحتة ، ولا مجردات خيالية انعزالية ، ولا غريبة عن تصورات الانسان وتطلعاته في حياة فضلى ومعيشة هانئة .

وأما ديمومتها وخلودها ، فلأنها لم تكن مغلقة على مجتمع أو عنصر أو فئة أو جنس معين ، وإنما هي عامة لكل الناس ، ثم إنها مستمدة من خلود شريعة الله الدائمة الى يوم القيامة ، ذلك الخلود القائم على المبادىء الكلية ، والقواعد الشاملة ، والضوابط المرنة .

وهي ايضا متفتحة لا تقتصر على بلد أو إقليم ، وهي بالمعنى الشامل انسانية عالمية ليست ـ كما قد يتصور بعض الكاتبين ـ لمعالجة امراض وعصبيات وقبليات العرب في ربوعهم ، فان مثل هذا التصور يعصف بالاسلام من جذوره ، لأنه خاتمة الشرائع ، وعام النزعة يشمل كل العوالم والأجناس ، بصريح النص القرآني : « **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » (الفرقان : ١) والخلاصة ان تجاوز قيم الاسلام في عالمنا يسهم بقسط كبير في إبقاء التخلف ، ويعوق كل نهضة وتقدم ، فلم تقم نهضات العالم إلا بالتزام دقيق وتطبيق صارم شديد لمثل هذه القيم الخالدة .

تطوّر السُّنَّة

للدكتور / عجيل النشمي

مفهوم تطور السنة عند أولئك المستشرقين يعني مواكبة وملاحقة السنة للأحداث المستجدة والقدرة على اعطاء الأحكام الشرعية المناسبة لها .

يقول جولد تسيهر : « من ناحية التطور الديني الذي نعني به هنا لا يهمنا الحديث من ناحية شكله النقدي ، وانما يهمنا من ناحية التطور ، كما ان مسألة صحته وقدمه تجيء متأخرة عن معرفة ان الحديث تتجلى فيه جهود الأمة الاسلامية في عملها الشخصي الخالص ، ونرى ذلك كله في الأمثلة الكثيرة للأغراض التي لم تكن موجودة في القرآن».

ـ ان الخطأ الرئيسي الذي وقع فيه جولد تسيهر وأمثاله هو في تطبيق مفهوم التطور على السنة النبوية فقد أرادوا من السنة أن ترتسم الواقع وتمشي على خطاه ، مهما كان هذا الواقع خاطئا أو موغلا في الخطأ .

ـ ان السنة انما جاءت لتحكم هذا الواقع بكل ما فيه من قوانين وأعراف وتقاليد وغيرها لا لتكون محكومة بها ، فالسنة هي التي تحدد ما هو تطور أم

السنة كمصدر تشريعي في نظرية المستشرقين

خلافه .

ـ والسنة قد تقرر قواعد ومبادىء غير قابلة للتطور والتغير ، شأن المبادىء والقواعد الثابتة الأصيلة ، والذي يقبل التطور كل ما يندرج في تلك القواعد اذا انطبقت عليه ملامحها وشروطها وهي بهذا التطور لم تخرج عن حدود مبادىء السنة وقواعدها ، ولم تخضع لواقع أو عرف أو عادة أو ما شابه ذلك .

ـ بل ان هذا المستشرق يعتبر السنة وليدة التطور فيزعم ان القسم الأكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الـديني والسيـاسي والاجتمـاعي للاسلام في القرنين الأول والثاني ، يقول الدكتور السباعي : ولا ندري كيف يجرؤ على مثل هذه الدعوى ، مع أن النقول الثابتة تكذبه ، ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتقل الى الرفيق الأعلى الا وقد وضع الأسس الكـاملة لبنيـان الاسـلام الشامخ ، بما أنزل الله عليه في كتابه ، وبما سنه عليه الصلاة والسلام من سنن وشرائع وقوانين شاملة وافية ، حتى قال صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » وقال : لقد تـركتكم على الحنيفيـة السمحة ليلها كنهارها » .

ومن المعلوم ان من أواخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب الله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكـم وأتممت عليكـم نعمتـي ورضيـت لكـم الاسـلام دينـا** » المائدة/ ٣ . وذلك يعني كمال الاسلام وتمامه .

ـ فما توفى رسول الله الا وقد كان الاسلام ناضجا تاما لا طفلا يافعا كما يدعي هذا المستشرق ، نعم لقد كان من آثار الفتوحات الاسلامية أن واجه المسلمين جزئيات وحوادث لم ينص على بعضها في القرآن والسنة ؛ فأعملوا آراءهم فيها قياسا واستنباطا حتى وضعوا لها الأحكام ، وهم في ذلك لم يخرجوا عن دائرة الاسلام وتعاليمه ، وحسبك أن تعلم مدى نضوج الاسلام في عصره الأول ، أن عمر سيطر على مملكتي كسرى وقيصر وهما ما هما في الحضارة والمدنية ، فاستطاع أن يسوس أمورهما ، ويحكم شعوبهما ، بأكمل وأعدل مما كان كسرى وقيصر يسوسان بها مملكتيهما ، أترى لو كان الاسلام طفلا ، كيف كان يستطيع عمر أن ينهض بهذا العبء ويسوس ذلك الملك الواسع ، ويجعل له من النظم ما جعله ينعم بالأمن والسعادة ،بما لم ينعم بهما في عهد ملكيهما السابقين ؟

ـ على أن الباحث المنصف يجد ان المسلمين في مختلف بقاع الأرض التي وصلوا اليها كانوا يتعبدون عبادة واحدة ، ويتعاملون بأحكام واحدة ، ويقيمون أسس أسرهم وبيوتهم على أساس واحد . وهكذا كانوا متحدين في العبادات والمعاملات والعقيدة والعادات غالبا ، ولا يمكن أن يكون ذلك لو لم يكن لهم قبل مغادرتهم جزيرة العرب نظام تام وناضج ، وضع لهم أسس حياتهم في مختلف نواحيها ، ولو كان الحديث أو القسم الأكبر منه نتيجة للتطور الديني في القرنين الأولين للزم حتما ألا تتحد عبادة المسلم في شمال إفريقيا مع عبادة المسلم في جنوب الصين ، اذ ان البيئة في كل منهما مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف ، فكيف اتحدا في العبادة والتشريع والآداب ، وبينهما من البعد ما بينهما ؟

ـ أما قيام المذاهب بعد القرن الأول وتعددها ، فذلك بلا شك أثر للكتاب والسنة ، ولمدارس الصحابة في فهم كتاب الله والسنة ، أما الكتاب فقد كان محفوظا متواترا بينهم ، وأما السنة فلا ترى قولا لامام من أئمة المذاهب في القرنين الثاني والثالث ، الا وقد سبقه اليه صحابي أو تابعي ، وذلك قبل أن يتطور الدين ـ كما زعم هذا المستشرق ـ تطورا بالغ الأثر ، وفي هذا ما يقضي على الشبهة من أساسها .

ـ ان التطور لا يمكن أن يكون في تغيير نصوص الأحاديث أو تأويلها تأويلا يلوي عنقها قسرا كي توافق الأهواء والواقع .. ولا يمكن أن نسلم اطلاقا بمقولة ان الحديث تتجلى فيه جهود الأمة الاسلامية في عملها الشخصي .. أو أنها نتيجة للتطور » ان هناك حدودا للاجتهاد في النص متفقا عليها بين علماء الأصول ، يأمن فيها حديث النبي صلى الله عليه وسلم من أن يمسه جهد شخصي خالص أو يحيد به عن وجهته فهم خاطىء أو هوى جامح .

ـ فالسنة الى جانب القرآن يقرران الأحكام الحاكمة على الأوضاع والتقاليد والأعراف وما سمعنا ، بل

وما ثبت تاريخيا ما سبق زعمه من أن المسلمين سمحوا للعرف والتقاليد ان تحل محل الأحاديث ، وحكموا البلاد المفتوحة بأعرافها وتقاليدها ونحّوْا سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي أصبح من المعلوم الثابت بالضرورة ، ان المسلمين حكموا البلاد المفتوحة بنظم وشرائع الاسلام سواء في العلاقات الداخلية أم في العلاقات الدولية ، ولم يبق من الأعراف والتقاليد سائدا معمولا به ، الا ما هو عرف سليم لا يعارض النصوص أو القواعد والمبادىء العامة الاسلامية .

ـ ولم تكن السنة في حاجة الى التلفيق أو السرقة أو الاستمداد من مصادر أجنبية كالتوراة والانجيل والفلسفات اليونانية وأقوال حكماء الفرس والهند وغير ذلك ، كي تواجه حاجات المجتمع الاسلامي المتطورة ، وواقع المجتمعات المفتوحة المتطور . فهذا زعم يكشف القصور والجهل بالسنة الشريفة وبالقرآن الكريم من قبلها ، ويجهل الرابطة بينهما ، لقد جاء الاسلام بنظام متكامل مستقل ليواجه به غيره من النظم الاجتماعية ، لا ليقتات على جاهلية نظمها وأوضاعها وأعرافها .

ـ يقول الشيخ محمد الغزالي رادا على زعم جولد تسيهر وأمثاله : ان البون بعيد جدا بين الاسلام والديانات التي سبقته ، وبعيد جدا بين الأمة الاسلامية التي قامت به والأمم الأخرى التي عاصرتها أو تقدمت عنها . وإن هذا المستشرق يريد أن يوهم بأن الدين الجديد ، اقتبس أو نقل من النحل والفلسفات الأخرى وبخاصة اليهودية والنصرانية ، وأن أمته لم تزد عن أن تكون جسرا للمعارف والآداب الأولي ، وان ادعت لنفسها الجدة والابتكار . ونقول : ان العقل كان يمكن أن يجيز هذا التوهم لو كان السابق أغنى من اللاحق وأقدر . لكن اذا كان الدين الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم أوسع أقطارا وأرحب آفاقا مما سبقه ، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير ، وأن يستعين القادر بالعاجز ؟

ـ ان التوراة لم تتحدث عن الدار الآخرة ـ أعني الصحف التي بين يدي اليهود الآن ـ فهل ما حفل به الاسلام من حديث عن الدار الآخرة ، وعن الجنان وما فيها من مثوبة ، والنيران وما فيها من عقوبة مأخوذ من التوراة ؟

ـ والنصرانية ـ كما يعلم الجميع ـ عقيدة لا شريعة ، فهل ألوف الأحاديث التي نظم بها الاسلام الحياة العامة ، وخاض بها في أدق التفاصيل ، وصاغ منها شريعة جامعة رائعة ، هل هذه مأخوذة عن النصرانية .

ـ ان الملامح العلمية التي تفرد بها الاسلام ، والتي تميز شخصيته تمييزا حاسما ، لا حصر لها في أصليه العظيمين الكتاب والسنة ، وانه لمن السخف بمكان أن يقال : نقلت السنة النبوية عن الأمم السابقة الواهنة التي عاصرت النبوة . إن صاحب القصر الشاهق لا ينبغي اتهامه بأنه عمر داره السامقة من لبنات الأكواخ

المتداعية حوله .

- فالسنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع تأخذ صفة التشريع الاسلامي عامة تجاه قضية الثبات والتطور ، الثبات في الأصول والغايات والأهداف والتطور أو المرونة في الجزئيات والفرعيات والوسائل . فبالأصول والقواعد الثابتة تقوي الشريعة بأحكامها على التغير أو الذوبان وبالمرونة في الفروع تتطور بتغير الاجتهاد وفق الزمان والمكان ، وفي الاطار الشرعي الثابت في نفس الوقت .

- وتمثل دائرة الأصول الثابتة ، كل الأمور القطعية والنصوص المحكمة والمجمع عليها كفرضية الصلاة واعداد ركعاتها والزكاة والصوم والحج ، وحرمة الزنا وشرب الخمر والسرقة والقتل وفضيلة الصدق والأمانة والعدل ، فهذه وأمثالها لا يتصور أن يقبل الاسلام فيها تغيرا أو تطورا في الزيادة أو النقص ، فيحل ما كان حراما أو يحرم ما كان حلالا . وتمثل دائرة المرونة الأمور الظنية والاجتهادية ، فمجال المجتهدين فيها واسع جدا ، بل ان الظنيات بنيت عليها أكثر الأحكام الشرعية ، وللمجتهدين حق فهم النصوص ظنية الدلالة ، والاستنباط منها وفق ما يوصلهم اليه الدليل عن طريق القياس الصحيح أو إلحاق الحكم بأحد أبواب الأدلة كالمصلحة المرسلة أو الاستحسان أو قول الصحابي أو سد الذرائع أو شرع من قبلنا أو غير ذلك من أبواب الأدلة الأصولية ، سواء المتفق عليها أم المختلف فيها . وللمجتهدين أيضا باب واسع مبني على أصول الكتاب والسنة والقواعد العامة لهما وهو باب القواعد الفقهية والأصولية ، مثل الضرر يزال ، والضرر لا يزال بالضرر ، الضرورة تقدر بقدرها ، الضرورات تبيح المحظورات ، المشقة تجلب التيسير ، الخراج بالضمان ، الأصل في الأشياء الاباحة ، العادة محكمة ، الى غير هذه من قواعد تفتح أبواب التطور والمرونة على مصراعيه الشرعيين . يقول ابن قيم الجوزية مبينا مبدأ الثبات والتطور في الأحكام : الأحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا يحسب الأزمنة ولا الأمكنة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود ونحو ذلك ، والنوع الثاني : ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا .

واذا كان هذا هو حقيقة التطور في ميزان السنة والشرع عامة . فهل يتمالك كلام المستشرقين على الوقوف أمام هذا البيان والميزان الواضح الثابت الناشيء عن دليل . واذا كان المستشرقون يقيسون أحكام الشريعة الاسلامية على فترات الجمود الفقهي في التاريخ الاسلامي ، فهو قياس خاطيء ، فان الذي جمد على النصوص هم الفقهاء وهذا لا يعني أن باب الاجتهاد قد أغلق - كما يريد المستشرقون أن يشيعوه ويعمموه على كل الأزمنة - بل هو باب مفتوح في مجاله المشروع المحدد في اطار الثبات والتطور الشرعيين .

سريان الحكم الشرعي من أصله إلى فرعه

للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

الحكم الشرعي التكليفي المتمثل في الوجوب والحرمة ، والندب والكراهة والاباحة .. له اساس ينبني عليه غيره

من فروع الاعمال التي تعرض للمكلفين .. وليس لها حكم خاص في كتاب او سنة .. ويسمى هذا

الاساس : الاصل ، ويسمى ما ينبني عليه الفرع .. ويسمى مجموع بناء الفرع على الاصل بسبب علة او وصف جامع بينهما ، مشترك فيهما ليشملهما حكم واحد .. القياس ..

وهو دليل شرعي من الاصول التشريعية المتفق عليها بين الأئمة الاربعة من اصحاب المذاهب الفقهية المشهورة ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل .. ومن سلك سبيلهم ، ونهج على نهجهم من فقهاء الامة ، وعلماء الشريعة .. والقياس في اللغة معناه التسوية .. يقال : قاس الشيء بالشيء .. **اذا ما ساواه به** ، وفي الشريعة : مساواة الفرع للاصل في ذلك الحكم لاستوائهما في علة واحدة .. فهو من باب تخصيص اللفظ ببعض مسمياته ، كتخصيص الدابة ببعض مسمياتها .. وهو الفرس عند العراقيين ، والحمار عند المصريين فالقياس عند علماء اصول الفقه ، والفقهاء .. حقيقة عرفية .. مجاز راجح لغوي .. ولم يخالف في الاحتجاج به الا اهل الظاهر .. محتجين بقوله تعالى : (**ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الفاسقون**) المائدة/٤٧ والجواب : ان القياس مما انزله الله تعالى في عمومات القرآن الكريم مثل قوله تعالى : (**فاعتبروا يا اولي الابصار**) الحشر/٢ .. اذ الاعتبار هو مجاوزة الشيء الى غيره .. وسمى المكثرون استعمال القياس : اصحاب الرأي وهم الحنفية .. فهم يقولون : الشريعة كلها ترجع الى تحقيق مصالح العباد ودرء مفاسدهم .. وعلى ذلك دلت ادلتها عموما وخصوصا .. وهذا معناه الاستقراء التام المفيد للقطع واصحاب الرأي .. او القياس

جردوا المعاني من الفاظها الدالة عليها ، واعتبروا هذه المعاني قواعد كلية .. يندرج تحتها ما لا يحصى من الحوادث المستحدثة ، والنوازل الجديدة .. فنظروا في الشريعة من خلالها ، وطرحوا خصوصيات الالفاظ (الموافقات للشاطبي جـ ٤ : ٢٣٠)

وقد دعاهم الى ذلك ضرورة الزحف الاسلامي المقدس على ما وراء حدوده الاصلية .. ودخول الناس في دين الله افواجا ، على اختلاف لغاتهم والوانهم وعاداتهم وتقاليدهم .. ومعهم قضاياهم ومشكلاتهم المتجددة .. فاتخذوا مما انزل الله تعالى قوانين عامة شاملة ، وقواعد جامعة مانعة .. تحقق للشريعة كمالها ، وللملة تمامها حسب ما اشار القرآن الكريم في قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) ،المائدة/٣ وذلك عن طريق استنباط الوصف الذي من اجله جاء النص بالامر او النهي او بالاباحة .. مستعملين للوصول الى ذلك براعتهم الاجتهادية وحيويتهم الفكرية لمعرفة العلة من اصلها .. ثم سريانها الى فروع تشارك هذه الاصول في وصفها المعلل .. وكانت الشريعة قد تمت اصولا .. تارة بالقرآن وتارة بالسنة ، وتفصلت

مجمـلاتها ، وتبينت محتمـلاتهـا ، وقيـدت مطلقـاتـهـا ، وخصصت عمـوماتهـا تارة بـالنسخ ، وتـارة بالاستثناء ، وتارة ثالثة بالتخصيص او غيره ـ ثم بقيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قانونا مطردا ، واصلا مستتنا .. الى ان يرث الله الارض ومن عليها .. وعلى المستنبطين من الراسخين في العلم ان يفرعوا على هذه الاصول المحكمة ، ويرتبوا على تلك الكليات المقننة .. فالاصول باقية على عمومها وشمولها .. لا يلحقها تبديل ولا نسخ .. وكل ما وقع من خلاف بين الفقهاء انما هو في الامور الجزئية المتنـازع عليها من حيث دخـولها تحت هـذه الكليـات ، او خروجها عن تلك القواعد .. والحاكم بالقياس حاكم بما انزل الله تعالى في عمومات القرآن الكريم .. وقد قال تعـالى : (**ومـا آتـاكم الـرسـول فخذوه**)الحشر/٧ وقد جاء الرسول بالقياس فيما جاء به .. وان كان اسم القياس لم يعرف كاصطلاح شرعي الا فيما بعد ، والعبرة للمعاني لا للالفاظ في الادلة .. ومن ذلك : (ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم .. فقال لـه عليه الصـلاة والسلام : أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته .. أكنت شاربه ؟) وهذا في مضمونه قياس حيث شبه ما بين المضمضة اذا لم يعقبها شرب وما بين القبلة اذا لم يعقبها إنزال (شرح تنقيح الفصول للقرافي/٣٨٦) ومن ذلك قولـه عليه الصـلاة والسلام للخثعمية حين سألته عن جواز قضاء الحج عن ابيها المتوفى : (ارأيت لو كان على ابيك دين .. اكنت قاضيته ؟ قالت : نعم .. قال : فدين الله أحق أن يقضى).. وقد استعمل الصحـابة رضـوان اللـه عليهم القيـاس في اقضيتهم ، وحوادثهم .. وقد كتب عمـر بن الخطاب الى ابي مـوسى الاشعري رضي الله عنهما : (اعرف الأشباه والنظائر ، وما اختلـج في صدرك .. فألحقـه بما هـو اشبه بالحق).. ولابد لمن يتصدى لعملية القياس بين الاصل المنصوص عليه ، وبين الفرع الذي يراد الحاقه بالاصل لعدم ورود نص خاص به .. ان ينظر في الاصل نظرة من ثماني نظرات حتى يستدل بفكره الثاقب على مكمن العلة او مصدر الوصف .. الذي من اجله جاء النص محققا لمصالح العباد .. او دارئا عنهم مفاسدهم .. فان الاصل في النصـوص الشرعيـة ان تكون مفهـومة المعني ، مـدركة القصـد والمغزي .. لان الله لا يتعبدنا الا بما في طوقنا .. ولا يلجأ الى التعبد وتعطيل التعقل والفهم الا في الامور القليلة التي تستعصي على العقول والالباب وهذه الامور الثمانية هي :

١ ـ النص على العلة .. فان ذلك يغني المجتهد عن البحث عن غيرها مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان ذلك يحزنه) رواه الشيخان عن ابن مسعود واللفظ لمسلم .. فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم علة

الحكم وهي الحزن .. فليست هناك علة سواها لهذا الحكم

٢ ـ الايماء الى العلة بطريق الاشارة لا العبارة ، والتلميح دون التصريح مثل العطف بالفاء في قوله تعالى : **(الـزانية والـزاني فاجلـدوا ..)** النور/٢ الآية .. او ترتيب الحكم على وصف من الاوصاف مثل تـرتيب الكفارة في الفطر في نهار رمضان على قول من قال للرسول صلى الله عليه وسلـم : واقعـت اهـلي في شهـر رمضان .. او السؤال من الرسول صلى الله عليـه وسلم عن وصف المحكوم عليه : لقـوله : (**أينقص الرطب اذا جف**)؟ ففي ذلك تنبيه على علة المنع عن بيـع الرطب بـالتمر متساويين .. ليستحضر السامع علة الحكم بدلا من البحث عنها ، او التفريق بين المتماثلين في حكم واحد كقـوله عليـه الصـلاة والسـلام : (**القاتل لا يرث**) في حديث (لا يرث القاتل شيئا) رواه أبو داود واحمد اي ولو كان ابنا للمورث مع تساويه مع ابنه غير القاتل في البنوة .. او النهي عن فعل يعوق واجبا كقوله تعالى : **(وذروا البيـع)** بـعـد قـولـه تعالى :(**يايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعةفاسعوا الى ذكر الله**) الجمعة/٩ فعلة التحريم هنا هو التشاغل بالبيع عن الجمعة الواجبة

٣ ـ المناسبة وذلك بالبحث بطريق العقل والفهم عن مكمن المصلحة .. لتقريرهـا .. او المفسدة لـدرئها .. كتحريم الخمر .. لعلة الاسكار التي فيها مفسدة للعقول فتحرم من اجلها سائر المسكرات .

٤ ـ الشبه .. وفيه خلاف بين الفقهاء ومثاله تشبيه القعود للتشهد الاول بالقعود للتشهد الثاني في الصلاة الرباعية .. عند من يقول : بوجوبهما

٥ ـ الدوران .. ومثاله في الخمر ان نقول : العنب وهو عصير غير مسكر فليس بحرام .. فاذا صار مسكرا حرم .. فاذا تخللت الخمر المتخذة من عصير العنب المسكر حلت فدار الحكم مع الوصف وجودا وعدما فتكون العلة المحرمة هي الاسكار

٦ ـ السبر والتقسيم .. ومثاله في الخمر ايضا ان نقول : اما ان تحرم لسيلانها او للونها او لإسكارها .. لا جائز ان تحرم لمجرد السيلان فالماء سائل وهو حلال ولا جـائز أن تحـرم للونها .. فالالوان في المباحات كثيرة مثلها .. فلم يبق الا الإسكار فيكون هو العلة المحرمة

٧ ـ الطرد .. وهو ملغي عند الجمهور من الفقهاء ومعناه : اقتران التحريم بجميع صور الاصل في صفته بدون نظر الى تحصيله لمصلحة او درئه لمفسدة .. وهذا غير معتبر لان الاصل في الشرائع اعتبار المصالح أو درء المفاسد

٨ ـ تنقيح المناط وهو الغاء الفارق بين الاصل وفرعه فيشتركـان في حكم واحد .. فاذا استوت صورتان ولم يوجد بينهما فارق .. فالظن القوي قريب من القطع باستوائهما في حكم واحد ..

العبث الصهيوني في سيرة موسى

للأستاذ : محمد فوزي حمزة

مقدمة :

كان في تخطيطنا أن يكون عنوان هذا المقال كالآتي .."موسى .. في السيرة الصهيونية » ، ولكن عدلنا عنه لاقتناعنا التام بأن موسى عليه السلام لا يمكن أن يكون الا كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وأن سيرته الحقة لا يمكن أن تكون الا كما قصها علينا القرآن الكريم ، ثم زادنا عزوفا عن هذا العنوان ما غلب على قناعتنا من أن الأخبار التي ذكرها عن موسى مؤلفو العهد القديم لا يمكن أن تكون أطرافا من سيرة نبي مرسل الا أن يكون موسى - وهذا محال - قد أرسل على هوى اسرائيل لا ليدعو الى دين سماوي أو الى رسالة اصلاحية ، ولكن ليضع أساسا دينيا للدعوة الصهيونية ، يرتب أهدافها ويؤسس منهاجها ويجمع أنصارها ويأمرهم « باسم الرب » أن يكونوا طغاة بغاة مفسدين في الأرض ، ولأجل هذا عدلنا عن خطتنا في عنوان هذا المقال ، وأستقر عندنا أن هذه الأخبار التي أمدنا بها « مؤلف العهد القديم » لا تصلح لأن تكون سيرة ، ولا تصلح لأن تسمى سيرة ، ولا تصلح الا لأن تكون أطرافا من شواهد العبث الصهيوني في سير الأنبياء .

وقد سبق أن قلنا في مقالات سابقة ان من يطلع على الهوة السحيقة بين حقيقة موسى وحقيقة الدين اليهودي من جهة ، وحقيقة هذا الشعب المشاكس من جهة أخرى يجد شهادة قاطعة على أن هؤلاء القوم لم يعرفوا من موسى شيئا عن الرب أو شيئا عن الدين ، كما سبق أن قلنا إن « كاتب العهد القديم » أدار سيرة موسى من خلال فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين فأضاف الى سيرته من الاضافات الصهيونية ما أعطاه صورة ممقوتة على قدر مقاييسهم ، محدودة على قدر ضيق أفقهم ، وحوله من نبى يدعو الى الله الى زعيم للصهيونية يشبه الكثيرين من زعمائها الحاضرين ،

وهذا ما سنرى تفصيله في هذا المقال ، حيث سنستعرض أطرافا من هذا « العبث الصهيوني في سيرة موسى » .

سيرة موسى والشعب المختار :

لم يستطع أحد أن يهتدى الى وجه يجيز لبني اسرائيل أن يدعوا لأنفسهم قدسية فوق الشعوب ، ولكن هكذا كانت دعواتهم دائما .. أقصد قولهم بأفواههم أنهم « شعب الله المختار » ، تلك الدعوى الكاذبة التي حفلت بها الصهيونية وعمدت الى اذاعتها في كل حفل مسموع واثباتها في كل متن مكتوب ، حتى في أسفار « الكتاب المقدس » وكان متوقعا من أخبار صهيون ألا يغفلوها وهم بصدد تحرير سيرة موسى في العهد القديم ، وملخصها أنهم كما وصفوا أنفسهم في هذه السيرة « خواص أنتم لله ... اذ شعب مقدس لله إلهك واياك تختار الهك لتكون له شعبا خاصا من كل الشعوب التي على وجه الأرض - تثنية ١٤ : ١ ، ٢ »[1] ، ووفق السيرة الصهيونية يقول لهم موسى : إن الله أقسم ليثبتنهم شعبا مقدسا وينعت اسمه عليهم ويجعلهم رأسا لا طرفا - تثنية ٢٨ : ٩ ، ١٠ ، ١٣ - وأن الله ما أخرجهم من مصر الا ليكونوا له شعبا - تثنية ٤ : ٢٠ - وهو اذ أخرجهم منها فهم مملكته وقد أتى بهم على أجنحة النسور - خروج ١٩ : ٥ ، ٦ ، وفي هذه السيرة يبالغ موسى فيقول إن الله احتمل بني اسرائيل كما يحتمل الرجل أبناءه - تثنية ١ : ٣١ - ليس فحسب ولكن الله أيضا ينزل بينهم ليسكن فيهم - ٣٥ : ٣٤ - فيكونوا جميعا مقدسين بما فيهم الرب - عدد ١٦ : ٣ .

وفي «السيرة الصهيونية » لا يمل الرب أن يقول « قومي بني اسرائيل - خروج ٧ : ٥ ، ٦ » ، أو يقول « شعبي » - خروج ٨ : ١، ٤ ، ٢٠ » ، أو « خاصتي » - خروج ٤ : ٢٢ » ، ولهذا حرصت هذه السيرة على أن يخاطب موسى فرعون لا باسم الله رب العالمين ، ولكن باسم « الرب اله العبرانيين » ، وعلى لسان موسى خلعت « السيرة الصهيونية » على الرب هذه التسمية ست مرات في سفر واحد هو سفر الخروج - ٧ : ١٦ ، ٩ : ١ ، ٥ ، ١٣ ، ١٩ ، ١٠ : ٣ - وربما لهذا أيضا تجد موسى يخاطب الرب بقوله « قومك » - خروج ٥ : ٢٣ - أو « قومك الشعب هذا - ٣٣ : ١٢ .

الا أن كاتب « السيرة الصهيونية » لم يستطع أن يحاصر روايته تماما فيخرجها كما يريد ، وانما افلتت منه بعض الشواهد الدالة على أن موسى عليه السلام لم يزعم لهم اختيارا من قبل الله أو يزعم لهم قداسة دونها كل الشعوب ، وأنه أوضح لهم أنهم - فقط - عباد الله لا شعبه المتميز ولا خاصته المختارة ، كان يقول لهم على لسان الرب : « فان لي بني اسرائيل عبيدا ، عبيدي هم الذين أخرجتهم من مصر - لاويين ٢٥ : ٢٤ - وهذا هو المعنى الوحيد

الذي نقبل نسبته الى موسى اذ يقابلنا مثله من القرآن الكريم قوله تعالى « **فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون** » ـ الشعراء ٥٣ .

الشعوب الأخرى :

ووفقا لدعوى « الشعب المتميز » يبدو الاستهتار بالشعوب الأخرى جليا في غير موضع من سيرة موسى بالكتاب المقدس ، ففي موضع يحرم على الاسرائيليين أن يمدوا الأجانب بشيء من تبرعاتهم أو يطعموهم من صدقاتهم ـ لاويين ٢٢ : ١٠ ـ وفي موضع أخر يحرم على الاسرائيلي أن يقرض بالربا اسرائيليا مثله ويصمت عن ذلك بالنسبة لإقراض الأجنبي ـ لاويين ٢٥ : ٣٦ ـ وفي ثالث يحذر الاسرائيلي من الزنا في نساء قومه ـ لاويين ٢٠ : ١٠ ، ويؤكد على ذلك مرة أخرى ـ لاويين ٢١ : ١ ـ ويصمت عنه بالنسبة للنساء من الشعوب الأخرى ، وقد فسر هذا الصمت في التلمود وفي غيره من شروح التوراة على أنه رخصة للاسرائيلي يأتيها إن شاء أن يزني بأمرأة الأجنبي أو يقرضه بالربا ، كما يؤمر الاسرائيليون بألا يستخدم بعضهم بعضا ولكن أبيح لهم أن يستعبدوا أبناء الشعوب الأخرى حتى المستجيرين بهم ـ لاويين ٢٥ : ٣٩ ـ ٤٦ .

ولا ترعوى « السيرة الصهيونية » أن تجعل موسى ينحاز دائما لبني اسرائيل حتى في مواقف بغيهم وعدوانهم وأن تجعله ناصرا لهم على الشعوب الأخرى مهما كانت ،لا تبالي بأن يكون موسى منصفا ، ومن ذلك في هذه السيرة أن رجلا اسرائيلي الأم اختلف مع رجل اسرائيلي خالص فكان جزاؤه أن رمى بالكفر وكيلت له التهم جزافا وأمر موسى بقتله رجما ، ولم تعلن السيرة الصهيونية عن تحقيق أدين فيه الرجل وانما كان كل سندها في قتله انه لم يكن اسرائيلي الأب وأن خصمه كان اسرائيليا خالصا ، ويجوز بهذه المناسبة أن نورد قصة المصري الذي قتله موسى قبل أن يهرب من مصر الى أرض مدين ، اذ تدخل موسى في مشاجرة نشبت بين قريب له و هذا المصري فكانت النتيجة أن قتل المصري بضربة من موسى ، والمعروف يقينا أن موسى ما كان يريد أن يقتل المصري ولكن ظروف المشاجرة أدت الى قتله ، والقرآن الكريم يحكي هذه القصة في أطراف من سيرة موسى : **ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ...** ،،
قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين القصص ١٥
، وأنه طفق يستغفر الله ويقرر أنه لم يكن ليريد أن يكون منحازا للمجرمين (**قال رب انى ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ، قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين)** القصص ١٦ ، ١٧ . واضح اذن أن موسى قتل المصري خطأ من غير قصد

ولكن « السيرة الصهيونية » استغلت هذه الواقعة لتضيف من عبثها ما شاءت فأظهرت موسى مجرما يتضامن مع الاسرائيلي ويترقب الفرصة لقتل المصري ، وصورته ـ كالقتلة المحترفين ـ يتلفت يمنة ويسرة فلما لم يجد أحدا يشهد عليه تقدم وقتل المصري ودفنه في الرمال ـ خروج ٢ : ١١ ، ١٢ .

سيرة موسى والوعد المزعوم :

قلنا أن أسفار العهد القديم حرصت على أن تدير سيرة موسى من خلال فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين ، وفي هذا المقام تقول السيرة المحرفة ان الرب عندما اطلع على سخرة بني اسرائيل في مصر « تذكر » وعده الذي سبق أن قطعه لأجدادهم .. وقد بينا في مقالات سابقة مآخذنا على هذا الوعد وشرحنا حجتنا في بطلانه وبطلان كافة الدعاوي القائمة عليه ، ونبين هنا اعوجاجا آخر في قولهم : « فسمع الله شهقتهم وراعى الله - أي تذكر - عهده مع ابراهيم ومع اسحاق ومع يعقوب - خروج ٢ : ٢٤ » ، فكأن الله - سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا - كان ناسيا وعده ، وطبعا يستحيل أن يقطع الله وعدا ثم ينساه ولكن السيرة الصهيونية تعيد التأكيد على هذا النسيان المستحيل فتقول على لسان الرب في موضع آخر : « وأيضا أنا سمعت شهقة بني اسرائيل لما المصريون مستعبدوهم وراعيت عهدي - خروج ٦ : ٤ » أي تذكرته ، وقد قر في قناعتنا ان الله تعالى لم يقطع لهم مثل هذا العهد وقد شرحنا ذلك في مقالات سابقة وليس هو همنا الآن ولكن همنا أن ما أثبته مؤلفو العهد القديم عن هذا الوعد في سيرة موسى ، فأنظر الى الترتيب السابق في تحول الوعد من ابراهيم الى اسحق ثم الى يعقوب ، ثم انظر عندما تحول مدار السيرة الى موسى تحول الوعد اليه اذ يقول الرب لموسى إنها الأرض التي « أقسم لأبائك بالاعطاء لك - خروج ١٣ : ٥ ، ١١ » ، ويكرر هذا المعنى في سفر آخر ـ عدد ١٠ : ١٠ ـ وقد كذّب « الرب » في هذه المرة كل وعوده السابقة فهو لم يعد ابراهيم واسحق ويعقوب بأن يعطى هذه الأرض لذرياتهم ، ولكن وعدهم أن يعطيها لموسى ، وسنرى فيما بعد كيف أن الرب لم يعط الأرض لموسى بل إنه لم يلبث بعد موت موسى أن حول الوعد الى غيره ، والمهم أن الرب في هذه السيرة وعد موسى بالأرض على الرغم من علمه بأنها ليست أرضا مشاعا لمن يمتلكها وانما لها أصحاب يمتلكونها ويعيشون فيها فهى بنفس كلام الرب « أرض الكنعاني والحثى والأمورى والفرزى والجرشي والحيى واليبوسى - خروج ١٣: ٥، ١١، ٣ : ٨ ، ١٧ » ولكن رب اسرائيل تعهد لموسى - في سيرته الصهيونية - بأن يطرد من هذه الأرض أصحابها ويملكها لاسرائيل - خروج ٣٣ : ١ ـ ٤ ، ٣٤ : ١١ - ليؤكد على طبيعة اغتصاب الأرض في الأساس الديني للعقيدة الصهيونية ،

وليتعهد بأنه سيعطيها لبني اسرائيل ويورثها لهم وراثة ـ خروج ٢٠ : ١٧ ، ٢١ .

من النيل الى الفرات :

وتصمم السيرة الصهيونية على أن الرب ما أخرج شعب اسرائيل على يد موسى من مصر الا ليغزو بهم فلسطين ويغتصبها لهم من أهلها ـ لاويين ٢٥ : ٣٨ ، وهذا **ماحدا** ببعض المؤرخين المستشرقين ألا يظن موسى نبيا وانما يظنه قائدا مصريا انشق بجماعة من أهلها وخرج يغزو بهم فلسطين ليؤسس هناك جيشا قويا ثم يعود ليفتح مصر ، وقد شجع على هذا التفكير أن موسى في هذه السيرة ذهب يستثير شره بني اسرائيل وتطلعهم الكاسح الى جني المصالح .. ! « اذ تدخلون الأرض التي أنا معطيكم وتحصدون حصيدها ـ لاويين ـ ٢٣ : ١٠ » ، وأنه ذهب ينظم عملية الغزو ويأمر باستطلاع الأرض ويرسل الجواسيس ليعرفوا طرقها ومدى قوتها وتحصينها وكيفية دخولها ، أما عودة « البطل الصهيوني » لغزو مصر فقد شجع عليه إشارة هامة الى مصر تضمنها في هذه المرة الوعد الذي اتسع نطاقه ليشمل « من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات والى البحر الأخير ـ تثنية ٣٤ : ١ ـ ٤ » .

ولكن ، وعلى الرغم من كل هذا المسخ الصهيوني لشخصية موسى ، فان الرواية المقدسة ذاتها لم تستطع ـ كما قلنا في مقالات سابقة ـ الا أن تثبت وأن تؤكد على أن موسى أتم مهمته وأدى رسالته وقضى نحبه ولقى ربه دون أن يدخل بشعبه الى فلسطين ، هذا ما أثبتته الرواية في السفر الأخير من توراة موسى ـ تثنية ٣٢ : ٥٢ ـ وهذا ما عادت لتؤكد عليه في موطن آخر من ذات السفر اذ قال له الرب بالحرف الواحد :

« هذه الأرض التي أقسمت لآبائك لابراهيم واسحق ويعقوب قولا لنسلك أعطيها ، قد أريتك بعينيك وهناك لا تعبر ـ تثنية ٣٤ : ٤ » ، وهذه هي الحقيقة التي أرهق عقول الصهاينة تفسيرها على نحو لا يضر بالدعاوة الصهيونية التي تجعل من أغتصاب فلسطين احدى أساسيات الدين اليهودي .

رب الجنود ... في سيرة موسى :

ولم يأل مؤلف السيرة الصهيونية جهدا في اشباع سيرة موسى بأسطورتي « العهد الالهى » والشعب الممتاز » ، حتى أن هذا المؤلف جعل موسى ينادي بهاتين الخرافتين ويوليهما اهتماما اكثر من تعاليم الدين اليهودي نفسه ، ويتشبع بهما حتى أنه جعلهما جزءا هاما من تسبيحته التي يقول فيها « حتى يعبر شعبك يا ألله .. حتى يعبر الشعب هذا الذي ملكت تدخلهم وتغرسهم في جبل نحلتك المعد لسكينتك يا ألله ـ خروج ١٥ : ١٦ ، ١٧ ، أما أسطورة « رب الجنود » ، فهى خرافة أخرى من أساطير بني اسرائيل تتخذها

الصهيونية الحاضرة والغابرة سواء وتجعلها في أساسها الديني وتؤكد عليها في أكثر من موضع في أساطير العهد القديم ، وملخص هذه الأسطورة أن لاسرائيل ربا عجيبا عقد معها حلفا سياسيا ينزل بمقتضاه ليقيم بين ظهراني اسرائيل ويسير مع شعبها ويتقدم جيشها ويضرب الجيوش بسيفه من أمامها ويجلب لها النصر في كل مرة ، وفي المقابل « تساعده » اسرائيل فينتصر بها على « آلهة الشعوب الأخرى » !! .

ولما كانت سيرة موسى هى همنا في هذا المقال فقد ذهبنا نرى كيف عمل مؤلفو السيرة الصهيونية على دس هذه الأسطورة والتذكير بها في اخبارهم عن موسى . فرأينا موسى يحدث شعبه عن رب الجنود « الذي يحارب عنكم وأنتم تصمتون ـ خروج ١٤ : ١٤ » ، ويصفه بأنه إله « جبار في الحروب ـ خروج ١٥ : ٣ » ، ويطمئن شعب اسرائيل فيقول له إن « الهك سائر في جملة عسكرك لانقاذك ولجعل أعدائك بين يديك ـ تثنية ٢٣ : ١٤ » ، « السائر بينكم هو يحارب عنكم ـ تثنية ١ : ٣٠ » ، « ويقرض شعوبا كثيرة بين ايديكم ـ خروج ٣٤ : ٢٤ » ، ولما كان هذا الرب حليفا لاسرائيل فان حلفه يقتضيه أحيانا أن يشترك مع قادة جيشها في مجلس الحرب وقد اشترك فيه غير مرة وأشار بتجسس الأرض المزمع غزوها والتعرف على عوراتها ومداخلها ـ عدد ٣ : ١ ـ ٢٧ » ، بل انه احيانا يعمل قواه ليفسد التحالف الذي قد تفكر فيه البلاد المرشحه للغزو الاسرائيلي ـ عدد ٢٢ ، ٢٣ كلها ـ الى غير ذلك .. عجبا .. انه « ليس كاله اسرائيل .. يطرد من بين يديك العدو ... من مثلك يا شعبا مقدسا مغاثا من الله ترس عيونك وسيف اقتدارك فينحسر أعداؤك لك وأنت على جماجمهم تطأ ـ تثنية ٣٣ : ٢٦ ـ ٢٩ » .

ابتزاز التأييد :

ولما لم يكن مؤلفو العهد القديم يريدون أن يكون للرب دور غير دور القوة الكبرى التي تساند اسرائيل في مطامعها الصهيونية ، فإنهم ذهبوا يستغلون« تصريحات الرب » بأختيارهم وتوريثهم فلسطين واعلائهم على شعوب الأرض ليحاوطوا الرب بهذه الوعود ويستعملوها ورقة رابحة يلوحون له بها فيضطر الى النزول على رغباتهم ويبذل تأييده لهم ، حتى أنهم صوروا موسى في سيرته زعيما لعصابة اسرائيل وسفيرا لها عند الرب يبذل مساعيه « لابتزاز تأييده » كلما أرادت اسرائيل ، ويناسب هنا أن نطلع على العبث الصهيوني في خبر موسى اذ طلب من الرب ان يعاونه بها روناخيهاذ المعروف أن موسى توجه الى ربه بمنتهى الأدب وخاطبه بأدب النبوة داعيا اياه قائلا (**رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي. واجعل لي وزيرا من أهلي. هارون أخي. اشدد به أزري. وأشركه في**

أمري) طه : ٢٥ ـ ٣٢ » ، ولكن القصة في « السيرة الصهيونية» توحي بأن موسى كلم ربه في هذا الشأن « بلهجة حادة » مما تسبب في أن « يشتد وجد الله ـ أي غضبه ـ على موسى » ويقول له « بلهجة حادة » أيضا : « أليس هارون أخوك اللاوى ـ خروج ٤ : ٣ ـ ١٧ » ، ويبدو من السياق في بقية القصة أن الرب أمد موسى بهارون وهو متذمر منه ولكنه رغم تذمره « لم يقو » على الامتناع عن طلبات موسى طبقا لوعوده الى بني اسرائيل .

وفي موضع آخر ترى موسى يخاطب الرب محتدا ومحتجا معا أن يرسله الرب الى فرعون وهو يعلم أنه قصير اللسان ضعيف البيان : « فقال موسى في حضرة الله قولا ان بني اسرائيل لم يسمعوا منى فكيف يسمع فرعون مني وأنا قصير اللسان ـ خروج ٦ : ١٢ » ، وتراه في موطن ثالث يخاطب الرب بضجر شديد « فقال موسى في حضرة الله انني منعجم اللغة فكيف يسمع مني فرعون ـ خروج ٦ : ٣ » ، وشتان بين هذا الضجر الشديد وهذا الاحتجاج الحاد والأدب الجم الذي نرى عليه موسى في السيرة القرآنية اذ يتوجه الى ربه ويقول له بأدب شديد (**قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هارون)** الشعراء ١٢ ، ١٣ » أو قال له (**وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون)** القصص ٣٤ » ، وازاء هذا الأدب الجم فان الله تعالى وجه الخطاب الى موسى و(**قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ـ القصص ٣٥ » .

وفي مواطن أخرى من هذه السيرة ترى موسى وهارون يتوجهان الى الرب ويبلغانه استنكارهما الشديد عندما هم بأن يأخذ الجماعة كلها بذنب واحد منها ـ عدد ١٦ : ٢١ ـ ، وأحيانا أخرى تجد موسى « يحذر » الرب من الاضرار ببني اسرائيل وقد بدت بوادر غضبه عليهم ـ عدد ١٤ : ١٣ ـ ١٩ ـ وفي سفر الخروج يغضب الرب على اسرائيل فيخاطبه موسى مستعطفا ولكنه يلوح بتحذير الرب من شماتة المصريين ، وجدير بالذكر أن المصريين عند شعب اسرائيل هم أعداؤهم وأعداء الرب ، ولكن موسى في النهاية لم يجد بدا من التلويح في وجه الرب بالورقة الرابحة فذكره « بتصريحه الرسمي » باختيار اسرائيل وهنا ضعف الرب أمام معاهدته مع اسرائيل ولم يجد مندوحة من العدول عن غضبه ـ خروج ٣٢ : ٧ ـ ١٤ .

وأكثر من ذلك ـ وأغرب ـ عندما يغضب الرب على شعب اسرائيل ويقدر لهم بعض المتاعب عقابا على ما صنعوا فيتذمر عليه موسى ويوجه اليه « خطابا شديدا » حول المهام التي كلفه بها حتى أن موسى ـ في السيرة الصهيونية ـ ليكاد يلعن اليوم الذي قابل فيه الرب وقبل تكليفه بهذه

المهام ، أنظر الى هذا الغضب الشديد وهذا الاستجواب : « لماذا أضررت بالشعب هذا ؟؟ ولماذا أرسلتني ؟؟ » وانظر الى هذا اللوم العنيف : « ومنذ دخلت الى فرعون للمخاطبة باسمك أسيء الى الشعب هذا وخلاصا لم تخلص ـ خروج ٥ : ٢٢ ، ٢٣ » ، أما بعد غضبة الرب بعد اتخاذهم العجل فان موسى قد شعر بأنها خطيئة كبيرة قل أن يغفرها الرب لو أنه لم يتصلب أمامه ويوجه اليه « تهديدا قويا » اذا لزم الأمر ، وبالفعل لم يتورع مؤلف هذه السيرة أن يجري قلمه على لسان موسى ليهدد الرب بالتنحي عن الرسالة ويبلغه أنه سينسحب ـ هو وشعبه ـ من المعاهدة أو يلغيها « من جانب واحد » ، يقول هذا المؤلف على لسان موسى : « والآن إن تغفر خطيئتهم فاغفره والا فامحاني من كتابك الذي كتبت ـ خروج ٣٢ : ٣١ » ، ولكن يبدو أن الرب كان صارما هذه المرة اذ أنه عاقب اسرائيل ولم يعبأ بالتهديد .

سيرة موسى .. تهمل موسى وتعنى بالسفاح :

قلنا إن موسى ـ حتى في الرواية اليهودية للتاريخ ـ أدى رسالته ولقى ربه دون أن يدخل بشعب اسرائيل الى فلسطين ، وأن هذه حقيقة حيرت العقول الصهيونية في تفسيرها على نحو لا يضر بالدعاوة الصهيونية التي تجعل من اغتصاب فلسطين احدى أوليات الدين اليهودي ، ولكن مؤلف « السيرة الصهيونية » لم تطل حيرته ولم يعدم الوسيلة ليدس في سيرة موسى أنه إذ أحس بدنو أجله جعل يعظ شعبه ويوصيهم بغزو فلسطين ـ تثنية ٤ : ٢٢ ، ويضع الترتيبات الأولى لعملية الغزو ويعقد مجلس الحرب ويأخذ القرار باستطلاع الأرض وجمع المعلومات عن سكانها وقوتها وكيفية اختراق حصونها ، ولكن ـ ومع كل ذلك ـ لم يزل موسى نبيا يدعو الى الله ويأمر بالاصلاح ، ولم يستطع مؤلفو سيرته برغم كل ما أضافوا اليها وحوروا فيها

من أعمال المسخ والتشويه أن يثبتوا أهدافا صهيونية يزعمون أنها تحققت على يديه ، ولهذا فانهم يئسوا منه وفقدوا الأمل في الاحتفاظ به زعيما لعصابتهم وقائدا لها الى تطلعاتها الصهيونية ، وازاء ذلك شهدت السيرة أنهم بدأوا يستهترون به وبوجوده بينهم فيعصونه ويبينون له ضجرهم منه وضيقهم به وبشريعته ، وقد بلغ الاستهتار بموسى درجة قصوى عندما بدأ فساق بني اسرائيل يجلبون النساء الزانيات الى خيمة موسى ويفسقون بهن حتى في مجلس موسى ، في حضرته وبمشاهدته ودون حساب لوجوده ولا حتى حياء منه ـ عدد ٢٥ : ١ ـ ٧ .

وبينما موسى مايزال حيا يقيم بين ظهراني اسرائيل ، وبينما مؤلف التوراة مايزال مشغولا في سيرته ، تجد شعب اسرائيل مشغولا في البحث عن زعيم يجعلونه عليهم بعد موسى

تتوفر فيه المقومات الصهيونية التي يصبو اليها شعب اسرائيل ولا يجدها في موسى ، وقد وجدوا ضالتهم في جندي منهم هو « يشوع بن نون » توسموا فيه الجدارة لأن يتزعم عصابتهم الى تطلعاتهم الصهيونية ، فقدموه عليهم وقال مؤلف السيرة أن موسى جعله نائبا له وقائدا لجنوده وسماه « معانا » ، وقد كان يشوع بن نون يحتوي على نفسية صهيونية خالصة وتحققت على يديه بعد أن خلف موسى أهداف صهيونية كبرى ، وقد أغرى ذلك مؤلف السفر ودفعه الى العناية بشخصية يشوع حتى من خلال سيرة موسى والى العمل على « تلميع » اسمه كلما حانت الفرصة لذلك ، وقد بدأ المؤلف عملية التلميع هذه مبكرا في سفر الخروج ، أي قبل الانتهاء من سيرة موسى بثلاثة أسفار كاملة ، وأستغرقت منه هذه الأسفار الثلاثة من أربعة أسفار هي كل سيرة موسى الذي لم تكن توراته بما فيها سيرته سوى خمسة أسفار ، وقد ذكر هذا المؤلف أطرافا من سيرة يشوع مرتين في سفر الخروج ـ ١٧ : ٩ وما بعدها و ٣٢ : ١٧ وما بعدها ـ وثلاث مرات في سفر العدد ـ ٢٧ : ٢٢ ـ ٣٢ ، ٣٤ : ١٦ ، ٣٦ : ٣٧ ـ وسبع مرات في سفر التثنية ١ : ٣٨ ،، ٣١ : ٢ ، ٣ ،، ٣١ : ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ٢٣ ،، ٣٤ : ٥ ، ٧ ، ٩ ـ كل ذلك على سبيل التلميع ، الا أنه في سفر التثنية ـ وهو الذي بانتهائه تنتهي سيرة موسى ـ جعل يهيء يشوع للحلول محل موسى في الاختصاص « بالعهد الالهي » لبني اسرائيل .

نهاية غامضة :

ولم يكد يموت موسى حتى بدا من مؤلف العهد القديم أنه استراح من سيرته ومن الجهود الجبارة التي كان يبذلها في تخريبها وتحويرها من سيرة نبي الى سيرة زعيم صهيوني في الزمن القديم ، وقد ودع العهد القديم سيرة موسى وداعا فاترا حتى أنه لم يحقق كيف مات ولا في أي موضع كان قبره ولا كيف تم تجهيزه أو دفنه ، ولم يذكر له كلاما عند موته الا زعمه أن موسى أوصى بغزو فلسطين ، واكتفى بتسجيل موتته الغامضة في أرض مؤاب . وقد قلنا في مقالات سابقة إن مؤلفي العهد القديم أضاعوا موسى بعد ذلك وأضاعوا التوراة ، وهنا نضيف أنهم أهملوه حتى قبل موته وهو مايزال في أيامه الأخيرة لأنهم كانوا يتعجلون تشطيب سيرته ويستعجلون استقبال سيرة يشوع التي هرولت اليها أقلامهم بشهية مفتوحة ونشاط كبير ، ولا غرو فقد كان يشوع ـ كما أكدت سيرته فيما بعد ـ زعيما صهيونيا خالصا وجده المؤلف الصهيوني فرصة ذهبية ليحول اليه وعد صهيون ويحقق من خلاله أهداف الصهيونية في فلسطين .

(١) في اعداد هذا المقال كان اعتمادنا الأساسي على الرواية اليهودية للتاريخ ، وقد أثبتنا هذه الاشارات للدلالة على موضع النص المقصود من هذه الرواية ، وتتضمن هذه الاشارات اسم السفر ثم رقم الاصحاح داخل السفر ثم رقم النص داخل الاصحاح ، ومعناه أن هذا النص من سفر التثنية اصحاح ١٤ نص رقم ١ ، ٢ وهكذا بالنسبة لغيرها من الاشارات .

مآثر العلماء الجزائريين

«إنّ احتلال الجزائر قرن من الصّليبية

للدكتور / حسن فتح الباب

من الأقوال المأثورة عن الشيخ بشير الابراهيمي أحد رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قوله : « ان احتلال الجزائر انما هو قرن من الصليبية نجم ، لاجيش من الفرنسيين هجم » . بل ان الفرنسيين انفسهم لا يكتمون هذه الحقيقة ، فقد ناشد الكاتب الفرنسي « شاتوبريان » الملك لويس الثامن عشر المبادرة الى غزو الجزائر ، في خطاب اليه بتاريخ ٩ ابريل ١٨١٦ قائلا : « إن فرنسا كانت هي الدولة التي خرجت منها اولى الحملات الصليبية . فلتكن كذلك هي آخر من يرسل آخرها » . وشهد شاهد آخر من رجال دولتهم بل رأسها بذلك ، اذ أعلن الملك شارل العاشر في ٢ مارس ١٨٣٠ أي قبل الغزو بأربعة أشهر الهدف الصليبي للحملة بقوله : « إن التعويض الذي أريد الحصول

في مكافحة التبشير

نجمٌ لا جيشٌ من الفرنسيين هجم »

الشيخ بشير الإبراهيمي

عليه وأنا أثأر لشرف فرنسا سيتحول بمعونة الرب القدير لصالح المسيحية » .

كما قدم وزير الحربية الفرنسي لهذا الملك تقريرا في ١٤ اكتوبر ١٨٢٧ جاء فيه : « لعلنا ـ مع الزمن ـ سيكون من حظنا أن نمدنهم ـ أي الجزائريين ـ وذلك بجعلهم مسيحيين » .

وأسبغ « الفاتيكان » الصبغة الشرعية على هذا العدوان البربري بمباركته له وتحريضه عليه ، (اذ أمر « البابا » في ٢٣ مارس ١٨٣٠ ممثله في فرنسا) بابلاغ الحكومة الفرنسية تأييده وتعهده بتكوين جيش من المتطوعين المسيحيين على نفقته . وما ان نفذت الجريمة التاريخية الشنعاء حتى استقبل البابا قائد الحملة بعد عودته من الجزائر « ليهنئه على دوره في الاحتلال » . فما أشبه الليلة بالبارحة ، اذ يتحد أصحاب العروش الأوربيون وسدنتهم تحت مظلة الدين مع ممثله الرسمي في الاعتداء على شعب آمن وتجريده من مقوماته وطمس شخصيته العربية الاسلامية حتى يجردوه من أمضى أسلحته في مقاومتهم ، فيسهل عليهم بذلك

احتــواؤه واستغلالــه ، اذ شــرع الاسلام الجهاد في سبيــل النفس والعرض والأرض ، وكل من مات دفاعا عن هذه الحرمات فهو شهيد بالامس ، في عصر الحروب الصليبية ، ركب ملوك أوروبا وأمراؤها موجة الــدين المسيحي ، فرفعــوا شعــار الصليب ، والمسيح عليه السلام منهم براء ، وعزفوا على وتر انقاذ بيت المقدس من المسلمين ، وهم الذين حمــوه وصانــوه ، وجعلوا الحــرم الشــريف مصــلى لأهــل الأديــان السماوية الثــلاثة وموطنــا للحقوق الانسانية وملتقى للحضارات . لقد استغلت الطبقــة الملكية الحــاكمــة وأعوانها من الأشراف الاقطاعيين ورجال الكنيسة العاطفة الدينية لدى الشعوب المسيحية لتحقق هذه الفئات الباغية أهــدافها الاستعمــاريــة ، واستطــاعت ان تحتــل في القــرن الخــامس الهجري ســاحل الشــام وفلسطــين ، مستغلة الخــلاف بين الأنظمة العربية الحاكمة وتوزعها الى دويــلات متنــازعــة . ولم يستطــع المسلمون اجلاءهم الا بعد تضامنهم وتحرير ارادتهم وعملهم المشترك في التخطيط والتنظيم والتعبئــة لقهــر أعدائهم واسترداد ما اغتصب من أوطانهم .

ولكن المطامع الاستعمارية والرغبة في اعادة السيطرة على العالم العربي الاســلامــي ظلت الــهــدف الأول للأوربيين ، فأعادوا الكرة مستخدمين سلاح التغريــر والتخديــر بالــدين المسيحي الذي حرفوه . فكان غزو الجزائر في عام ١٨٣٠ لنهب ثرواتها واستنــزاف خيراتهــا تحت غطــاء المسيحية ، وكانت محاربة الاسلام والقضاء على القيم العربية الاسلامية لتمهيد السبيل الى هذا الاستغلال ، ادراكا منهم لما يفجره الاسلام من الطاقات الكامنة في نفوس معتنقيه ، وما يأمرهم به من دفاع حتى الموت عن حرية العقيدة وسائر حقوق الانسان .

وهكذا وضع الاستعمار الفرنسي الاستيطــاني في الجزائــر مخططــا شيطانيا متكاملا من شقــين ينفذ أحدهما بالقوة والآخر بالخــديعة ، لاقتلاع الجذور الاسلامية المتغلغلة في هذه الأرض العربية ذات التاريخ العريق في معارك الجهاد بدءا من الفتح الاسلامي على يد الفــرسان القادمين من أرض الرسالة في المشرق بقيادة موسى بن نصير وأهل البلاد من البربر الذين دخلوا في دين الله أفواجا ، ونبــغ منهم العباقــرة في الحروب مثل طارق بن زياد فاتح الأندلس ، فحرروا الأنفس من ترهات الباطل وأوهام الافك ، وطهروا الأرض من أغلال العبودية ، وانتهاء بثورة التحرير الكبرى في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ م عــلى يــد المجــاهــدين الجزائريين ، وما بين هذا المبتدأ وذلك المنتهى من ملاحم القتال البطولية التي قــادهــا الأمــير عبــدالقــادر الجزائري ، ثم المقراني وأبو عمامة وغيرهم من رواد حركات المقاومــة الشعبية التي كان الدين الاسلامي أكبر حوافزها في مجالدة العدو وخوض المنــايــا رافعــين شعــار النصر أو

الاستشهاد .

المذابح الصليبية :

وقد استخدم الغزاة في سبيل تحقيق الشق الأول من مخططهم الجهنمي الخاص باستئصال الروح والقيم الاسلامية أعتى أساليب القمع والارهاب وأكثرها وحشية ، مما يعتبر عودا على بدء ومثالا مجسدا لمقولة التاريخ يكرر نفسه وان اختلفت الظروف ، اذ تذكر من الأساليب بمذابح الصليبيين الأوائل بالقدس ومذابحهم بعد ذلك بالأندلس ، وتجعل حملاتهم في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد في المشرق العربي ، وحملاتهم في القرن التاسع عشر في المغرب العربي ، حلقتين في سلسلة واحدة رغم الفترة الزمنية الطويلة التي فرقت بينهما ، والتي تخللتها في آخر القرن الثامن عشر حملة بونابرت على مصر واقتحام جنوده الجامع الأزهر ، ثم دخول الفرنسيين دمشق في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، ووقفة القائد الفرنسي السفاح « جورو » على قبر صلاح الدين الأيوبي ، مطلقا كلمته الحاقدة المشهورة : « هاقد عدنا يا صلاح الدين » ، مشيرا الى أخذه بالثأر من سقوط الصليبيين تحت سنابك البطل المسلم واستعادته بيت المقدس في ليلة الاسراء ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هجرية بعد استيلائهم على مدن الساحل ، وتحريرها من طغيانهم واستغلالهم .

وتبين لنا طبيعة الحكم في الدولة الفرنسية التي غزت الجزائر وفي الدول الأوربية الأخرى ، ما اصطبغت به من نزعة عدوانية رهيبة كان لها أثرها المدمر لافي البلاد العربية الاسلامية التي استولت عليها فقط بل في البلاد الأوربية أيضا . فعلى أثر التحالف الأوروبي ضد نابليون سنة ١٨١٤

فرضت فرنسا معاهدة صلح «باريس» التي عادت بمقتضاها الملكية التي أسقطتها الثورة الفرنسية الى الحكم بدعوى اعادة الحقوق الشرعية ، ومثلما نصب لويس الثامن عشر على عرش فرنسا ؛ أعيد غيره من أمراء البيوت المالكة البائدة في أوروبا ، دون اقامة أي اعتبار لقومية السكان وحقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم واختيار حكامهم . فكانت السياسة الرجعية التي استنتها الدول العظمى في ذلك الحين ترتكز على القوة العسكرية ، وتقوم على التصفية الجسدية للمناضلين دفاعا عن حقوق الشعوب ، وقمع الحركات المطالبة بالحياة الدستورية ، واهدار المبادىء القانونية والأخلاقية ، ومجافاة الخلق السياسي القويم ، وذلك في سبيل تحقيق السيطرة وفرض النفوذ والاثراء على حساب المستضعفين .

تهديم المساجد او تحويلها الى كنائس ومعسكرات

بمثل هذه الأساليب القمعية وأشد منها بطشا وتنكيلا ، عاث جنرالات الملك شارل العاشر وجنوده فسادا في

أرض الجزائر منذ دخلوا مدنها وغزوا قراها . وكانت العروبة والاسلام أشد عقبتين في طريق تثبيت احتلالهم وتوطيد سلطانهم ، فعمدوا الى تهديم بيوت الله أو إغلاقها وتحويلها الى كنائس أو معسكرات ، أو بيعها بالمزاد العلني . ويقول الباحث الجزائري الأستاذ محمد الهادي الحسيني في هذا الشأن نقلا عن مصادر موثوقة ، ان مدينة الجزائر العاصمة كانت قبل الاحتلال الفرنسي مكتظة بالمساجد ، إذ كان يوجد بها ثلاثة عشر جامعا كبيرا وتسعة ومائة مسجد صغير ، وثلاثون من مساجد الأحياء ، واثنتا عشرة زاوية ، فأصبح معظمها أثرا بعد عين ، إذ لم يبق منها بعد ثلاث سنوات من الاحتلال الا ربعها . فقد أعمل فيها الفرنسيون معاول التهديم والتحطيم ، وحولوا الباقي الى كنائس أو مبان تخدم أغراضهم دون أن يرعوا حرمتها التي تنص عليها الشرائع والدساتير . وهكذا أصبح جامع كتشاوة الكبير الذي بني في عصر الولاة الأتراك كاتدرائية باسم القديس فيليب ، وسارع البابا فزود تلك الكنائس من مقره بالفاتيكان بالأيقونات والتماثيل والصلبان . كما حول مسجد علي بتشيني الى كنيسة باسم «نوتردام دو فكتوار» ومسجد القصبة إلى كنيسة باسم الصليب المقدس .

وهدم الصليبيون الجدد مساجد وزوايا ومدارس ملحقة بها في مدن الجزائر وقسنطينة ووهران والمدية لتقام على أنقاضها مساكن ، أو لتحول الى حمامات أو مدارس فرنسية أو مستشفيات أو ثكنات عسكرية أو مراكز للذخيرة ، دون أدنى وازع من ضمير أو نازع حضاري انساني لدى برابرة العصر الحديث المتشدقين بالحرية والعدل والمساواة شعار الثورة الفرنسية الذي زيفوه . فلم ينج من هذا التدمير أو التخريب في جميع أرجاء الجزائر إلا ستة وستون ومائة مسجد ، على حين أقيمت في ذلك البلد الاسلامي ٣٢٧ كنيسة للمسيحيين وخمس وأربعون بيعة لليهود الذين استظلوا بظل الغزاة ، ومارسوا احتكاراتهم الربوية في حماية الرماح الفرنسية ، ليزيدوا أصحاب البلاد الشرعيين فقرا على فقرهم . وبلغ العسف والغطرسة بالمستعمرين المتعصبين وسعيهم الدائب للقضاء على المقومات الاسلامية بالجزائر إلى حد إجبار أئمة المساجد القليلة التي أبقوا عليها ـ ذرا للرماد في العيون واتقاء لثورة الجماهير ـ على أن يدعوا في المساجد لملك فرنسا ، وإكراه القضاة المسلمين الذين أصبح تعيينهم من اختصاص هذا الملك على أن ينطقوا بالأحكام باسمه ـ.

إن الهدف الأساسي الذي يكمن خلف العمل على تجريد الشخصية الجزائرية من عقيدتها الدينية كان إدماج الجزائر بفرنسا في إطار الادعاء بأنها جزء لا يتجزأ من الوطن الأم القابع على الساحل الآخر للبحر الأبيض المتوسط . ومن ثم اختطوا سياسة الاحتواء عن طريق تغيير الطابع الجزائري أرضا وانسانا ،

دينا ولغة وثقافة ، حتى ينسى أهلها أصولهم ويذوب كيانهم في بنية الغاصب الدخيل رويدا رويدا ، مثلما يصنع الصهاينة اليوم في مدينة القدس . وكان في مقدمة الوسائل التي اتخذتها السلطات الفرنسية لتحقيق هذا الغرض الاستعماري الصليبي القائم على تغيير التركيب الديمغرافي والسكاني واستبدال الكنائس بالمساجد ، والاكثار من بناء الكنائس في الساحات العامة للمدن والقرى وعلى سفوحها ورباها ، لتكون أول ما يلقاه الداخلون إلى تلك الربوع ، وإطلاق أسماء قوادهم ومشاهيرهم على الميادين والشوارع ، وفي ذلك ما فيه من تأثير نفسي يومىء بسيادة الجو المسيحي ، ويجعل الحاضر المصطنع أمرا واقعا ، على حين يتراجع المناخ الاسلامي الأصيل الى أعماق التاريخ فينسى ـ كما ظن المستعمرون ـ بعد حين . ومما يدل على هذه السياسة الخادعة الجائرة قول سكرتير الجلاد الطاغية الجنرال بيجو عند تدشين احدى الكنائس : « إن آخر أيام الاسلام قد دنت . وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح . ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أية حال أنها قد ضاعت من الاسلام إلى الأبد » .

سياسة التنصير :

إذا كان الجمر أو العصا أسلوب العسكريين في التعامل مع أهل البلاد ، فقد كان التمر أو الجزرة هو أسلوب المبشرين . وقد استغل الفرنسيون ما آلت إليه أحوال الجماهير في عهدهم من فقر وجهل ومرض ليلوحوا لهم بكسرة الخبز التي تشبع من جوع أو جرعة الدواء التي ترد غائلة الهلاك أو المأوى الذي يقيهم التشرد نظير تخليهم عن عقيدتهم والدخول في دين من اغتصبوا ديارهم ، وخيروهم بين الافناء أو الاحياء على طريقتهم بسوقهم كالأنعام في دربهم ، حتى لا يفكروا في وطن ولا عقيدة ولا قومية . فالسلطة العسكرية تجتاح البلاد غزوا ، وتصادر الأراضي وتضع السيف على رقبة من يرفض أو يتمرد على القيد ، و« المعمر » الأجنبي الذي تسلمه تلك السلطة الأرض الخصبة ، ينفرد بها ويسخر من عليها حتى لا يجد أبناء الشعب في الصحاري القاحلة غير الجراد يتصارعون عليه ليقتاتوا به هم وأطفالهم ، ثم يأتي المبشر في رداء الملاك الرحيم أو الفارس المنقذ للابتزاز والتضليل ، فلا يجد البائس سبيلا الى الاختيار بعد أن تسد أمامه الأبواب جميعا .

مساومات وضغوط وحصار طالما أجاد أعداء الشعوب استعمالها عبر كل مراحل التاريخ في الشمال والجنوب وفي المشرق والمغرب . وحملات من التمويه والتشويه تجرد الأسماء من مسمياتها ، وتلبس الباطل ثوب الحق . ولا تختلف الدولة الفرنسية في اعتمادها على التبشير في الجزائر لتحقيق أهدافها عن غيرها

من الدول الأوروبية الاستعمارية . فهي تنظر إلى الشعوب التي تقطن خارج أوروبا على أنها شعوب أقل منها مرتبة ، يمكن استباحة أراضيها والاستيلاء عليها غصبا . وما زالت البواعث الحقيقية للاستعمار القديم القائم على العدوان العسكري والاستعمار الاقتصادي والثقافي الجديد ، هي استغلال ثروات الشعوب ونهبها والسيطرة على موارد المواد الأولية ، والحصول على الأيدي العاملة الرخيصة . وما زالت الدول الاستعمارية تحاول أن تخفي مصالحها الاستغلالية بدعوى المبادىء والأهداف الانسانية . وقد زعمت ـ بعد اكتشاف أمريكا ـ مسؤوليتها عن نشر المسيحية بين سكان العالم الحديث ، وادعت ـ عندما غزت أراضي إفريقيا وآسيا ـ مسؤوليتها عن نشر المدنية وحكم العدل والقانون لدى الشعوب المتخلفة .

وقام الكتاب الاستعماريون بمحاولة دعم إجراءات احتلال الأراضي والسيطرة على شعوبها ، بنشر فلسفات لا أساس لها من الواقع ولا ظل لها من الحقيقة . ولعل من أخطر هذه الفلسفات ـ كما يقول الدكتور مفيد محمود شهاب ـ ما أسماه البعض «رسالة الرجل الأبيض » ، ومقتضاها أن الانسان الأبيض مسؤول ـ بتكليف سماوي وبحكم ما يتمتع به من حضارة وذكاء ـ عن نقل المدنية الى الانسان الأسود والنهوض به ، بالقضاء على أسباب تخلفه . فهو يذهب الى افريقيا وآسيا من أجل استصلاحها وتعميرها ، لخير سكانها . وهو بذلك يقوم بواجب إنساني يتحمل أعباءه في سبيل الرقي بالجنس الأسود الأدنى حضارة وذكاء !! ولم تكن تلك الفلسفة أو غيرها في واقع الأمر ، إلا قناعا يحاول الاستعمار أن يستر وراءه مصالحه الذاتية السياسية والاقتصادية والتجارية ، وتاريخ الاستعمار في كل زمان ومكان محاولات مستمرة لاستغلال ثروات الشعوب والابقاء على تخلفها في مختلف نواحي الحياة . ولم تكن بعض مظاهر المدنية الحديثة إلا من أجل مصلحة رعايا الدول الاستعمارية وبقدر حاجتهم وحدهم إليها . وقد صنع هؤلاء الأوروبيون القانون الدولي ضمن إنتاجهم الحضاري ، ومن ثم كان يعتبر الاستعمار عملا مشروعا ، ولم يتدخل بأدنى حماية لسكان المستعمرات أو يسمح لهم بتقرير مصيرهم وممارسة سائر حقوقهم وحرياتهم .

نظرة المستعمرين العنصريين إلى الشعوب المستضعفة :

في ضوء ما تقدم من سمات الاستعمار فكرا ومنهجا نظر الفرنسيون إلى الشعب الجزائري كغيره من شعوب العالم الثالث بمنظار الاستعلاء والاستغلال والعنصرية ، واعتبروا دورهم في العالم كمنافس في مباراة عنيفة ضد « قوى الشر » التي

لا بد أن ينتصر عليها مهما كانت الوسيلة !! فلم يترددوا في أن يفنوا الجزائريين معنويا بمسخ دينهم وثقافتهم من أجل أن ينقذوهم ـ فيما زعموا ـ من أنفسهم ، طالما هم عاجزين عن إفنائهم جسديا ، من أجل أن تنتصر أوروبا المسيحية في النهاية . فالمستعمر هو «مكيافيلي» العصر الحديث ، الذي تبرر له الغاية استخدام كل وسائل التآمر والتجويع والفتك والدمار ، ويبرر له ضميره إعدام شعب مقهور من عالم المستضعفين ، جريمته أنه يطالب بحقه في الحرية والعيش الكريم ، على حين يحرم قانون هذا المستعمر قتل شخص واحد من أبناء بلده :

قتل امرىء في غابة
جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل
مسألة فيها نظر !!

ومن أخطر السياسات التي عمد إليها المستعمر الأجنبي في الجزائر للقضاء على روح شعبها وحوافزه إلى النضال ، سياسة التنصير أو التمسيح تحت ستار التحضير والتمدين . وقد ابتدعوا لها أخبث الحيل ، فكان ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب كما يقول الباحث الحسني ، إذ كانوا يذيعون أنهم يهدفون إلى غرض إنساني وهو إنقاذ الأطفال المساكين من المجاعات والتشرد بايوائهم في ملاجىء أعدوها لذلك ، وتعليمهم فيها على أيدي رهبان مأجورين مدربين لتنفيذ سياسة سادتهم المستعمرين في إفريقيا . ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون قطع الأواصر الوثيقة بسلخ الجيل الوليد عن جذوره وفصله عن محيطه الطبيعي ، وتغريبه في بيئة أجنبية وبين قوم لا يضمرون له ولأهله ووطنه الا العداء ، حتى ينشأ على أيديهم مقطوع الصلة بشعبه وتراثه ، منبتا عن تاريخه ودينه ولغته ، فيضمنوا بعد ذلك ولاءه لهم وتسبيحه بحمدهم وتنكره لأهله بل خيانته لهم أحيانا .

ويستطرد الباحث قائلا : إن الفرنسيين شرعوا في إنشاء هذه الملاجيء منذ وطئت أقدامهم أرض الجزائر . وكثيرا ما كانت القيادة العسكرية تعهد الى قواتها ـ بالاضافة الى مهامها القمعية ـ جمع الأطفال الجزائريين وإيداعهم تلك الملاجىء . وقد سلم الجنرال بيجو نفسه مجموعة منهم إلى الراهب «بريمو» وهو يقول له : « حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين . فاذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار » . وفي هذه المقولة دلالة على وعي العدو بحقيقة الجهاد في الاسلام ، وسعيه لذلك إلى القضاء على العلة ليبطل المعلول . كما فتح الرهبان مراقد في المدن الهامة بأسعار رمزية لاغراء التلاميذ الفقراء القادمين للدراسة من القرى والمدن الصغرى بالالتجاء إليها . وكان أولئك الرهبان : « يشترطون على من يسكن فيها الذهاب معهم صباح كل أحد إلى الكنيسة للعبادة وقراءة الأناجيل ، وإلا رفعوا الكراء أو اخرجوا التلاميذ

من المحل » .

ولا يجهل أحد من الجزائريين اليوم اسم ذلك الكاهن الذي كثر نشاطه وتعددت أساليبه في هذا الميدان ، وكان رائدا لحركة التبشير في الجزائر ، حتى أطلق الفرنسيون اسمه على حي كبير بالعاصمة اعترافا بدوره المخرب هذا ، ألا وهو «الكاردينال لافيجيري » . ولقد عهدت إليه سلطات الاحتلال القيام بهذه المهمة ، ودعمته بالأموال وغيرها من الوسائل ، لرد أكبر عدد من الجزائريين ولا سيما الصغار عن دينهم كي يتبعوا ملة الغازي المستعمر وهكذا عمت الجزائر ملاجىء الأطفال المعدة للتبشير بعد تعيينه أسقفا سنة ١٨٦٧ . وقد رافق قدومه مجاعة كبيرة فاستغلها أبشع استغلال لجلب أكبر عدد من الأطفال الجزائريين إلى هذه الملاجىء . «فكان يطوف في الأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض ، والصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله » . « وكأن من وصايا المسيح عنده أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب ، وأن لا يكسو الظهر إلا بالتجريد من الدين ، ولا ينشر تعاليم المسيح إلا باستغلال أزمات الضعفاء والبائسين » .

قرى فلاحية ومستشفيات للتبشير :

ومن الوسائل التي اتبعها المستعمرون الحاقدون المضللون انشاء قرى زراعية ذات طابع نصراني ، يستخدمون فيها الجزائريين لفلاحة الأرض ، ويسكنونهم بهذه المزارع الكبيرة ليكونوا تحت تأثير الرهبان المشرفين عليها ، والذين يعملون على تنصيرهم بعد أن يسقط هؤلاء الضعفاء في شراكهم ، ويصبحوا طوع أمرهم ، ليكسبوا عيشهم ولا يموتوا جوعا . وكانت كل مزرعة تضم كنيسة ومدرسة ومستوصفا . « فتنفتح بذلك أرواح المسلمين ، ويخضعون لامبراطورية الصليب القوي » !! وقد قال قائل منهم : إن القوة العسكرية لن تخضع الجزائريين ، وان تنصيرهم هو الحل الأمثل .

ومن العجب العجاب ما كشف عنه المؤرخون من وضع السلطات الاستعمارية مشروعا سنة ١٨٤٥ لتهجير المسيحيين الموارنة من لبنان إلى الجزائر ليستوطنوها ، كأنما لم يكفهم المعمرون المغامرون الذين استوفدتهم من فرنسا . وكان الباعث على هذا المشروع أن هؤلاء المارونيين سوف يؤثرون على سكان الجزائر المسلمين حينما يسكنون وسطهم ، أو كما قال رئيس السلطة الفرنسية في الجزائر حينئذ « إنهم سيكونون مدافعين أقوياء عن عملنا وقت الحرب ، ومبشرين بالمبادىء المسيحية وقت السلم » . بيد أن هذا المشروع الخطير قد باء بالفشل ، وكان من بين أسباب ذلك معارضة الدولة العثمانية التي كانت تحكم بلاد الشام .

وإلى جانب الكنائس والملاجىء

والقرى الفلاحية التي أنشئت بهدف التنصير ، أقيمت المستشفيات والمستوصفات لهذا الغرض أيضا ، ووضعت تحت إدارة الرهبان المبشرين . وكانوا يقيمون صلواتهم في هذه المراكز أمام المرضى المسلمين ويرغمونهم على المشاركة فيها ، ويوزعون عليهم قسرا أو خداعا الرموز والصور المسيحية . كما كانت معظم المستشفيات الكبرى في الجزائر تحتوي على كنائس .

وهكذا استغل الطب للتنصير ، كما استغل غيره من الوسائل التي شرعت للتخفيف من آلام الانسان أو لاشباع حاجاته الروحية والمادية .

ومن ذلك استغلال حق الفرد في التعلم الذي نص عليه الميثاق العالمي لحقوق الانسان ، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على منع انشاء المدارس العربية وإغلاق ما كان موجودا منها أو فرض شتى القيود عليه ، وعلى تأسيس مدارس فرنسية تحت إشراف الادارة الاستعمارية أو رهبانها المبشرين ، كي ينشأ ناشيء الفتيان الجزائريين فيها متشبعين بمبادىء الحركة التنصيرية وتعاليمها . كما أقام المستعمرون جمعيات دينية اشتهرت منها جمعية الآباء البيض وقد تفرعت منها جمعية الاخوة البيض التي زودت بالأسلحة على غرار الصليبيين القدامى . وكانت كلتاهما مكمنا للتآمر على الدين الاسلامي والتخطيط للتبشير . وصدر قانون سنة ١٨٤٩ يحث الرهبان على : « عدم تناسي أداء رسالتهم الأصلية لدى الأهالي ، أي تنصيرهم ، عندما تحين الفرصة . ولذا يجب عليهم تعلم اللغة العربية والقرآن ، ودراسة عادات الأهالي وتقاليدهم حتى يتمكنوا من إطلاعهم على الجانب الخاطىء وغير الأخلاقي في عقيدتهم » !!

تزييف تاريخ المغرب الاسلامي :

وإلى جانب المراكز التبشيرية ومدارسها ومؤسساتها الأخرى ، استغل المستعمرون وسائل الاعلام والثقافة في التنصير . فنشروا وأذاعوا مفترياتهم وأباطيلهم ، وتخصص منهم كثيرون في تأليف الكتب التي تشوه العقيدة الاسلامية ، لكي يصلوا الى أهدافهم واختلقوا تاريخا محرفا زائفا لايهام الشعب ان الاسلام طارىء على هذه الأرض ، وأن أصلها لاتيني نصراني ، وأن الجزائر مسيحية رومانية فرنسية ، فالجزائريون هم أحفاد الرومان لا العرب ، ودخول الاسلام هذه المنطقة وتعريبها لا يعدو أن يكون طفرة شاذة في مجرى التاريخ ، مثلما يعتبر البحر الأبيض الفاصل بين الجزائر وفرنسا طفرة جيولوجية فصلت الجزء عن الكل حتى جاءت ضربة الداي « حاكم الجزائر من قبل العثمانيين في أوائل القرن الماضي » للقنصل الفرنسي بالمروحة ، إيذانا بعودة فرنسا إلى الجزائر (عن طريق الغزو) والتئام الشمل الذي كان ممزقا !! لقد أطلق الأوروبيون الغزاة تلك الكذبة التاريخية ثم صدقوها ـ وها هو ذا

أحدهم وهو الفرنسي «لوي برتراند » يقـول : « فنحن عندمـا دخلنا إلى أفريقيا لم نعمل شيئا سوى استعادة ولاية فقدناها منذ عصور الرومان . ونحن كورثة لروما نطالب بحقوقنا التي وجدت حتى قبل دخول الاسلام هذه البلاد والأثر الرمزي للشمال الافريقي ليس الجامع وانما قوس النصر » . ثم يتساءل – ويا للافك – « أيحط من قدر الجزائري أو التونسي المسلم أن نذكره بأصله الروماني ؟!! إن كل ما يهمنا في الجزائر هو اعادة خلق شعب الجزائر الروماني وأن نعيد مسيرة الزمن من جديد » !!

لقد كانت الأجهـزة التبشيريـة تحـارب الـدين الاسـلامي بشتى الوسائل ، وتصفه بالهمجية ، وتنعت أهله بالمتوحشين . ولما كان إبطاله بقرار من وزير الداخلية متعذرا ، فان سلطات الغزو وجدت الطريقة لمحاربته عن طريق إظهاره في هيئة كاريكاتورية عبر ما كانت تشجع على احداثه من بدع وفرق وطرق مختلفة متنافرة . ويؤكد الدكتور عمار حاتم أن التفتيت للدين الواحد الى طوائف متشاحنة متضاربة من البدعية والطرقية وما شابهها يؤدي للاستعمار الدور نفسه الذي تؤديه التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة على أساس مذهبي ، بل ان تلك الطرق كانت تقدم للاستعمار من الخدمات ما يتجاوز بكثير ما يمكن أن تقدمه جيوش بكاملها ، ولا سيما أن أصحاب هذه الطرق كانوا يؤدون بالنسبة للبسطاء من الناس أدوار المحامين والأطبـاء والقضاة ، فهم يفصلون في النزاعات ، ويعالجـون الأمراض بالتعاويذ وما شاكلهـا ، ويحـولون دون الاحتكـاك بمثقفي المدينة ، فيضربون سورا إضافيا دون التفاهم القوي ، كما أنهم ينزلون عند اللزوم لعنة الهرطقة والخروج عن الدين بمن يجيء بالآراء الاصلاحية والثورية الداعية الى التغيير ، وكان ذلك من أهم ما يرمي اليه الاستعمار ، ويمكنه بواسطة أولئك المشعوذين من امتصاص النقمة الشعبية عليه أو تسريبها في مسارب الفتن الطرقية والقبلية والمشاحنات الداخلية ، وهو ما يؤدي في مجمله الى وقف تطور الروح القومي الجماعي الموحد الذي يؤدي تصـاعـده الى الثـورة عـلى الأعداء .

كمـا أنشأ الفـرنسيون مـراكز للـدراسات العـربيـة والآسيـويـة والافـريقيـة لتعـزيـز المؤسسـات التبشيرية . وكانت مهمتها . وما زالت الى الآن – توجيه هذه الدراسات وفقا لأهواء المستعمر وخططه ومصالحه ، ومنها يتم تسريب مختلف النظريات الثقافية التي تفسر كل شيء بالفوقية الاستعمارية والتركيب الأيديولوجي الخاص لدى رجال الاستعمار ، في حين يفسر التخلف الثقافي لأهل البلاد بالتخلف البيولوجي الذي لا سبيل إلى الخلاص منه . وبهذا يتم التمهيد لايصـال هؤلاء الى مركب النقص والشعور بالدونية والقبول بالوضع القائم بل وبمنة الاستعمار . ولكن هيهـات أن يفلـح العنصـريـون المضللون !!

المرأة بين مدنية الإسلام و مدنية الإظلام

للاستاذ/ سعيد كامل معوض

« **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** ». الأحزاب/ ٣٥

وبعد ... فقد انتقل الاسلام بالمرأة انتقالة كبيرة وارتقى بها ارتقاء عظيما ، فرفعها من الحضيض الى القمة ووضع كل ما كانت تتمناه - ولا تدركه - في اطار شريعة كاملة وحدود ثابتة واضحة في دستوره العظيم - القرآن الكريم - فساوى بين كرامتها وكرامة الرجل ، وحدد لها طريقها القويم - . وعنى بها طفلة فحفظ لها حق الحياة وندد بكل ما كانت تلقاه من ذل ومهانة قبل أن يبعث الله رسوله الأمين بالاسلام الحنيف .. « **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** » التكوير/ ٨ ، ٩ .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ثلاث بنات او ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن ،

واتقى الله فيهن فله الجنة » رواه الترمذي وأبو داود .
وعنى بها فتاة فجعل لها كلمتها المسموعة ورأيها الذي لا بد أن يحترم .. وكفل لها الحرية في اختيار شريك حياتها ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها » رواه الستة إلا البخاري .
وعنى بها زوجة وأما .. « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** » النساء/ ٤ .. وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » رواه البخاري ومسلم .
وقال تعالى : « **ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها** » الأحقاف/ ١٥ .
- وكان من أخر كلام الرسول قبل انتقاله الى الرفيق الاعلى : « الله .. الله في النساء » رواه مسلم .
- وكان الاسلام كريما - غاية الكرم - مع المرأة .. فوضع مجموعة من القوانين والتشريعات التي حققت للمرأة المساواة الفعلية والمتكاملة بينها وبين الرجل وبلغت بها مرتبة سامية ، لم تبلغها عن طريق أية ديانة أو حضارة وضعية سابقة أو لاحقة للاسلام .
- وسوف نعرض - في شيء من الايجاز - لهذه القوانين والتشريعات .. بعد الاستعانة بحول الله وقوته .

اولا : الحقوق الانسانية

ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في الحقوق الانسانية الأساسية ، وهي حق الحياة المبني على المشاركة المتساوية والفعلية بينهما في الوجود مما يترتب على ذلك تمتع المرأة بكافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل ، مثل حق العمل والتعليم ، وحق التعبير وحرية الرأي ، وحق الثواب والعقاب ، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى : « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** » النساء/ ١ .
من الآية الكريمة يتبين لنا ان الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ..هذه النفس الواحدة كانت أصلا لكل البشر ، ومعنى هذا الأصل الواحد أي النفس الواحدة أن قدر الانسانية واحد في كل من المرأة والرجل ، وبذلك تحققت المساواة الانسانية بينهما في الحقوق والواجبات في حدود ما يسمح به تكوين كل منهما .

ثانيا : الحقوق الاجتماعية

وكما ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في الحقوق الانسانية ، ساوى بينهما

كذلك في الحقوق الاجتماعية فقد سمح الاسلام للمرأة أن تختار الدين الذي تفضله « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » الكهف/ ٢٩ .
ففي الآية لم يخص الله الرجل بالاختيار والمشيئة في الايمان او الكفر ، بل ترك للمرأة أيضا حرية الاختيار وخولها نفس الحق الذي خوله الرجل . ومنحها الله أيضا حق مبايعة الرسول وبذلك ساواها مع الرجل في الالتزام بما تقول وحملها المسئولية كاملة امام الرسول ، وبذلك أيضا منحها حق الاعلان عن شخصيتها المستقلة وعن إرادتها الحرة في كل ما تقول أو تفعل : « **يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم** » الممتحنة/ ١٢ .
كذلك منحها الله حق الهجرة ومفارقة الزوج الكافر إذا أصر على كفره : « **يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن** » الممتحنة/ ١٠

كذلك ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في حق الدعوة الى الله بما يندرج تحت هذا الحق من بنود « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** » التوبة/ ٧١
فهنا تدلنا الآية الكريمة على ان المؤمنين والمؤمنات أولياء متساوون وإخوة متناصرون متقاربون في حق عبادة الله وفي الأهلية للدعوة اليه وردع الخارجين عليه بكل ما يتسع له مجال الدعوة من حض وزجر ، وترغيب وترهيب مادامت شروط الدعوة الى الله متوفرة في الداعية سواء أكان ذكرا أم أنثى .

ثالثا : حق المفاضلة

لا فرق بين المرأة والرجل .. ولا فضل لذكر على أنثى أو لأنثى على ذكر إلا بالتقوى هكذا قضى الله .
فالجنة يدخلها الرجل بعمله الصالح وكذلك تدخلها المرأة بعملها الصالح .. والنار سيحشر فيها الرجل بعمله الطالح .. وكذلك تحشر فيها المرأة للسبب نفسه ، فالجنة أو النار ليست حكرا على أحد النوعين دون الآخر .. وهذا المعيار الدقيق الثابت .. معيار التقوى .. الذي يجمع بين المقدرة على تجنب الخطايا واجتناب الأخطاء والقدرة على العمل الصالح المثمر .. هذا المعيار هو السبيل الوحيد الى صلاح المجتمع وأمنه وازدهاره .
« **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » الحجرات/ ١٣

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل/ ٩٧ .
« **أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** » آل عمران/ ١٩٥ .
وعندما خلق الله آدم وزوجه وأسكنهما الجنة قال : « **ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » الأعراف/ ١٩ . .فآدم وحواء (أي الرجل والمرأة) يثاب أحدهما أو كلاهما إذا أحسن ويعاقب احدهما أو كلاهما إذا أساء .. لا فرق بينهما ولا مفاضلة الا بنوعية العمل الذي يأتيه كل منهما ..
وتبين السيدة عائشة رضى الله عنها منزلة المرأة فتقول « جاء تني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت الى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله قد أوجب لها بهما الجنة أو أعتقها بهما من النار » رواه مسلم .

رابعا : حق الأسرة

منح الاسلام المرأة حق المشاركة في بناء الأسرة تماما كالرجل .. فالمرأة لها الحرية المطلقة في الزواج من الزوج المناسب لها بكرا كانت أم ثيبا على أساس حقها في التكافؤ مع الرجل فلا تتزوج إلا بمن يكون أهلا لها في حدود الشرع ، ويتكافأ معها في الأخلاق والدين والطباع والمزايا النفسية وبذلك تتجنب المرأة الزواج من رجل تنقصه حسن المعاشرة ومزايا النجابة في الذرية .. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن .. قالوا يا رسول الله وكيف اذنها ؟ قال أن تسكت » رواه البخاري .

ويروى عن خنساء بنت خذام الانصارية :
« ان اباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها » رواه البخاري .

والمرأة المؤمنة بهذه الحقوق التي كفلها لها الاسلام بالمساواة مع الرجل في اختيار الزوج ، إنما يتاح لها أن تربط الزواج الشرعي بالغاية السليمة التي من أجلها شرع الزواج .. وهو مالم يتح للمرأة في غير الاسلام ـ يقول تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة**

ورحمة » الروم / ٢١ .
يحدد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الغايات التي من أجلها شرع الزواج : فالزواج سكن بمعنى انه سلام نفسى وبدني ، وذلك بما يسبغه الزوج على زوجته من سعادة ، فالمرأة ترى في سكينة الرجل اليها دليل قوتها المكنونة .. والرجل يرى في هذه السكينة دليل قوته الظاهرة .
والزواج مودة وهي الأواصر التي تربط الأفراد بعضهم ببعض من قربى المصاهرة والنسب بين جميع الأسر والأصدقاء الذين تجمعهم صلة بعيدة او قريبة بهذين الزوجين ، والزواج رحمة وهي النسل وقد اشتق القرآن معنى الرحمة والتراحم من مصدر التكوين وهو الرحم .. فمن الرحم تأتي الذرية التي هي لبنات تكوين المجتمعات .
والاسلام بهذه المساواة بين المرأة والرجل في حق الأسرة انما يقوى نسيج المجتمع ويدعم بناءه .

خامسا : الحدود

ساوى الاسلام بين المرأة والرجل في العقاب واقامة الحدود عليهما تبعا للجرائم والذنوب التي يرتكبها كل منهما من زنا .. وسرقة .. وقتل ... وشرب للخمر الى غير ذلك من الجرائم والذنوب ..
ففي جريمة الزنا يقول تعالى : « **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » النور/ ٢ .وفي هذه الآية نلاحظ أن المرأة (الزانية) مقدمة على الرجل (الزاني) لأن جريمة الزنا لا تقع الا بموافقة المرأة اولا - (اللهم الا اذا كانت قاصرا أو مغتصبة) وبذلك تكون هي الطرف الاول في هذه الجريمة النكراء .. والجلد هو العقاب الجسدي الذي يقمع الحواس ويردعها .. وقد امر الاسلام أن يكون العقاب امام المؤمنين وعلى مشهد منهم .. بما يصيب رغبة العودة الى الزنا بالعجز التام والشلل .. وهناك نوع آخر من العقاب هو العقاب النفسي الذي يحول دون تسرب هذا المرض الخطير الى الأصحاء وهذا العقاب النفسي هو ان الزاني لا يستطيع الزواج من الحرة الشريفة ـ وكذلك الزانية لا تستطيع الزواج من الحر الشريف ... الا إذا تابا .
« **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين** » النور/ ٣
وهنا اقترن الزنا بالكفر .. مما يوضح شناعة هذه الجريمة التي تقترب شناعتها من الكفر .. وتقرر تحصين الأصحاء المؤمنين ضد التزاوج من المصابين بهذا الوباء الخبيث حتى لا تنتج ذرية تكون فيها خصائص هؤلاء المرضى الذين تردى بهم العيب الخلقي والنفسي الى إيذاء المجتمع بهذه الوصمة التي تأباها الحرة ويتنزه عنها الحر .

وفي السرقة يقول تعالى : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » المائدة/ ٣٨ .. مساواة مطلقة وجزاء واحد .. مادامت الجريمة واحدة .. كل يجازى على ما يقترف لا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين غني وفقير .. ليس هناك امتياز لأحد ولا استثناءات في حق من حقوق الله .. وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري ومسلم .

فهذا محمد النبي يعلنها في صدق ووضوح أن ابنته إذا أخطأت فلا بد أن تعاقب مثل غيرها

أهناك بعد ذلك مساواة ؟!

سادسا : حق الجهاد

ومن اعظم الحقوق التي منحها الاسلام للمرأة .. حق الجهاد في سبيل الله ونيل الشهادة .. عن الربيع بنت معوذ قالت : « كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة » رواه البخاري .

وعن أم عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع الرسول سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى واقوم على المرضى » رواه مسلم .

وعن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه اذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى » رواه مسلم .

وقد حدث في غزوة أحد أن امرأة تدعى نسيبة بنت كعب المازنية كانت تمر بين صفوف المسلمين تحمل اليهم الماء . فلما اشتد وطيس المعركة حملت السيف وحاربت حتى أصيبت .

وفي غزوة الخندق حدث ان كانت صفية بنت عبد المطلب في حصن حسان بن ثابت .. وكان فيه حسان .. ولمحت يهوديا يحوم حول الحصن فقالت لحسان إن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى .. وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا مَن وراءنا من اليهود ، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا ، وغادرت صفية الحصن وأخذت عمودا فضربت به اليهودي حتى قتلته .

هذه هي المرأة المسلمة وهكذا نظر اليها الاسلام !

سابعا : حق الميراث

قد يعن للبعض خاطر خبيث يقول إن الاسلام - ربما - ساوى بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات الا هذا الحق ! وذلك لأن الاسلام قد حدد للمرأة - في الغالب - نصف ما للرجل من ميراث أو بمعني آخر ان للذكر مثل حظ الأنثيين -

قال تعالى : « **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا** » النساء/ ٧ .

وقال : « **للذكر مثل حظ الأنثيين** » النساء / ١١ .
ذلك شرع الله الذي اعتبره البعض إجحافا بالمرأة وسلبا لحق من حقوقها واتخذوا من ذلك في وقاحة ـ سبيلا الى التعريض بالاسلام ، ونسوا أو تناسوا في زحمة انشغالهم بالطعن في الاسلام .. الحكمة التي من أجلها لم يسوِّ الاسلام بين الرجل والمرأة في حق الميراث .. فقد اعفى الاسلام المرأة من جميع الأعباء الاقتصادية ووضعها على عاتق الرجل وحده ، فسواء أكانت المرأة متزوجة أم غير متزوجة لا تكلف بأي عبء ، اقتصادي فقبل الزواج يتكلف ولي الأمر او الأقارب بالانفاق عليها،وعليهم ان يكفلوا لها من أسباب الرزق ما يحميها من إراقة ماء وجهها ويعفيها من مشقة الكدح من اجل لقمة العيش ، أما بعد الزواج فنفقتها على زوجها ففي مرحلة الاعداد للزواج يكلف الرجل بدفع مقدم الصداق وهو حق خالص للزوجة .. لها حرية التصرف فيه كيفما تشاء .. كما يقوم الزوج باعداد منزل الزوجية دون ان تتكلف الزوجة أي جهد في ذلك وفي مرحلة قيام الحياة الزوجية يقوم الرجل بالانفاق على زوجته وتعفى المرأة من جميع الأعباء المعيشية وبرغم ذلك فقد احتفظ الاسلام للمراة بكافة الحقوق المالية والمدنية كاملة .. فللمرأة المتزوجة ثروتها كاملة وشخصيتها المستقلة ، ففي هذه الناحية تنعم المرأة بجميع حقوقها بينما يتحمل الرجل العبء كله .

وإذا لم تستمر الحياة الزوجية وانفصل الزوجان بالطلاق .. كان العبء أيضا على عاتق الرجل وحده فعليه أن يدفع مؤخر الصداق : « **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين** » البقرة/ ٢٤١ .. وعليه أيضا نفقة زوجته في أثناء العدة ، ونفقة الأولاد وأجور حضانتهم ورضاعتهم : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » البقرة/ ٢٣٣ .

هكذا ارتقى الاسلام بالمرأة ورفع شأنها وصان كرامتها .. ومنحها كل الحقوق التي منحها الرجل .

وإذا كانت هذه هي نظرة الاسلام للمرأة .. فما هي ياترى نظرة الحضارات غير الاسلامية لها ؟ لكي نجيب على سؤالنا هذا سنرجع الى الوراء وننظر حال المرأة قبل الاسلام .. ثم حالها في المجتمعات المعاصرة :

● فالمجتمع العربي قبل ظهور الاسلام كان يذيق المرأة ألوانا من الهوان وصنوفا من الذل .. كان الرجل يعتبر إنجابه للأنثى عارا .. فتضيق به الدنيا ويداري نفسه من قومه خجلا .. « **وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون** » النحل/ ٥٨ ، ٥٩ .

كانت المرأة في نظر الرجل عارا يجب دفنه ومن هنا نشأت قضية الوأد في العصر الجاهلي وكان الرجل يمنع زوج أبيه من الزواج حتى تترك له كل ما تملك ، وكان المطلق يمنع مطلقته من الزواج بغيره كي يسلبها ما معها من مال ومتاع ، وكان

المبغض لزوجته يذرها كالمعلقة فلا هي متزوجة ولا هي مطلقة ..

كانت المرأة ضائعة .. تائهة لا قيمة لها ولا كيانا !

● وفي المجتمع الهندي القديم لاقت المرأة من الهوان الاجتماعي والانساني صنوفا لا تعد ولا تحصى ووصفت بأنها دنس وشر وفي هذا يقول مانو واضع القانون الالهي والخالق الخرافي إنه : « عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد والزينة والشهوات الدنسة والغضب والتجرد من الشرف وسوء السلوك فالنساء دنسات كالباطل نفسه وهذه قاعدة ثابتة ».

ويقول كذلك : « ان الزوجة الوفية ينبغي لها ان تخدم زوجها الذي هو في الوقت ذاته سيدها كما لو كان إلها .. وألا تأتي أي قول او عمل يؤلمه ».

وكان يحرم على المرأة أن تعيش بعد موت زوجها بل يجب ان تموت يوم موته وتحرق معه .

● وفي المجتمع الاغريقي (اليوناني القديم) كانت المرأة في الدرك الأسفل من الابتذال والخسة وقلة الشأن والهوان ــ وفي هذا يقول : ول ديورانت في كتابه « حياة اليونان » إن الكثيرين من مفكري اليونان في عصرهم الذهبي كانوا ينادون بأن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها .

ويقول ديموستين خطيب الاغريق العظيم محددا وظائف المرأة في مجتمعه « إننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين » ويقول سقراط فيلسوفهم الأول : « إن وجود المرأة هو أكبر مصدر للتأزم والانهيار في العالم ، وإن المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل ، ولكن عندما تأكل منها الطيور تموت في الحال ».

● وفي مجتمعات اليهود ظلمت المرأة ظلما بائنا بحرمانها من الميراث ، وببيع البنات في أسواق الرقيق وبمعاملتها معاملة أقل من معاملة الحيوان ووصفها بأحط الأوصاف وأحقرها ، وتسخيرها في الأعمال الدنيئة .. وفي هذا يقول .. الحكيم اليهودي في « سفر الجامعة » الاصحاح السابع : « درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون ، فوجدت أمر من الموت : المرأة .. التي هي شباك وقلبها شراك ، ويداها قيود .. الصالح امام الله ينجو منها ، أما الخاطىء فيؤخذ بها ».

● وفي مسيحية اوروبا لم تكن المرأة أحسن حظا من مثيلاتها في سائر المجتمعات .. فقد ظلت المرأة اما حبيسة الدير هروبا من الدعارة والمهانة والابتذال ، واما طليقة في الشوارع يلهو بها من يشاء .. وفي هذا يقول : مارتن لوثر « لقد خلق الله النساء إما زوجات وإما خليلات »!

ويصور بعضهم المرأة على أنها شيطان فيقول : « إن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى »!! ويستنكر أكثرهم دخولها الجنة فيقول في استفهام إنكاري : « هل يحق للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟! وهل تدخل المرأة الجنة وملكوت الآخرة ؟!! »

● وفي المجتمعات المعاصرة لا زالت المرأة تتقلب في مراحل الاهدار لكرامتها الانسانية ومكانتها الاجتماعية ففي أرجاء شاسعة من الهند الحديثة. لا زالت المرأة تحمل اطفالها على ظهرها وتتمرغ في المهانة والوحل بحثا عن لقمة العيش .. وفي الشعوب المتقدمة صناعيا والحاملة لواء الحضارة الحديثة لا تزال المرأة لعبة مبتذلة في أيدي الرجال .. لقد هجرت المرأة البيت الذي هو مكانها الطبيعي المقدس ، هجرت تربية الاولاد ورعاية الأجيال الى المواخير وعلب الليل .. لتمارس الحرية المزعومة التي ينادي بها الرجال !

وفي فيينا تقول الأنباء : « ان المرأة سائرة نحو حالة تصبح فيها جنسا ثالثا ، فلا هي بالذكر ولا هي بالأنثى ومظاهر هذه الحالة .. ظهور حالات عدم الحمل على كثير من النسوة دون سبب من أسباب العقم نتيجة لفقدان خصائص أنوثتها بسبب مشاركتها المطلقة للرجل في أعماله ».

وعار على البنت في المانيا أن تصبح بكرا ووسائل منع الحمل متوفرة في كل طريق

وفي أمريكا يسقط مليون حمل على الأقل كل عام ويقتل الآلاف من الأطفال فور ولادتهم . ويقول الفيلسوف الأمريكي ول ديورانت في كتابه « مناهج الفلسفة » عن حال المرأة في المجتمعات المعاصرة « لقد كان القانون الأخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج لأن النكاح كان يؤدي الى الابوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد مسئولا عن ولده الا بطريق الزواج .. أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية والتناسل ، وخلقت موقفا لم يكن آباؤنا يتوقعونه لأن جميع العلاقات بين الرجال والنساء آخذة في التغير نتيجة هذا العامل ، ويجب على القانون الأخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه هذه التسهيلات الجديدة التي جاءت بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة ، فحياة المدنية تفضي الى كل مثبط عن الزواج في الوقت الذي تقدم فيه الى الناس كل باعث على الصلة الجنسية وكل سبيل يسهل أداءها ..

والنمو الجنسي يتم مبكرا عما كان من قبل ، ويتأخر النمو الاقتصادي ، وتضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم ، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعا للسخرية ، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالا ، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم وتطالب النساء بحق في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمرا مألوفا ، وتختفي البغايا من الشوارع بمنافسة الهاويات .. لا برقابة البوليس !!! » هكذا أصبحت المرأة في مدنية الاظلام تتبعثر يمنة ويسرة ، وتتمرغ في الأوحال .. وتأكل بثديها وتتاجر بعرضها .. بينما المرأة المسلمة تلقى من التشريف والتكريم .. ما تحسد عليه في سائر المدنيات ..

هذا « **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور** .» لقمان/ ٢٢ .

وقفة تأمل

الخلاف السياسي

فهمي عبد العليم الإمام

● تكلمنا في زاويتنا تلك عن الخلاف المذهبي .. وقلنا إننا معه ما دام في دائرة الإثراء الفكري ومعالجة القضايا المعاصرة بأسلوب يتفق وروح الاسلام ، وما دام الخلاف في الفروع،والهدف هو صالح المسلمين بما لا يخرج عن حظيرة الدين فلا ضير في ذلك ، بل نأمل الخير كل الخير من ورائه . أما إذا امتد الخلاف المذهبي الى ما يفرق صفوف المسلمين ، ويوقع الفتنة والشر بينهم ، فذاك ما نرفضه .

● وفي عددنا هذا - نقول : إذا جاز الخلاف المذهبي في الحدود التي أشرنا إليها ، فلا يجوز الخلاف السياسي بين المسلمين بأي حال من الأحوال .. فالخلاف المذهبي - في معظم حالاته- مثمر .. والخلاف السياسي دائما مدمر .. الخلاف المذهبي إثراء للفكر .. والخلاف السياسي ضياع للحكمة ..الخلاف المذهبي دليل فكر مستنير ، وعقلية راجحة ، والخلاف السياسي دليل نزاع مهلك ، وعقلية خاسرة .

● هذا وإن ديننا الاسلامي .. وهو دين الانسانية الخالد - حث على الاتحاد وحذر من الفرقة قال تعالى :« **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ». وقال سبحانه : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ».

● والحاكم في نظر الاسلام مأمور باتباع شرع الله ، وتنفيذ حكمه ، فليس له أن يشرِّع ، وليس له أن يستغل منصبه في التسلط على رقاب عباد الله ، وإلحاق الأذى بهم .. وإن ساس المسلمين بغير شرع الله ، ولم يقم بواجباته كحاكم مسلم كان للأمة ممثلة في أهل الحل والعقد أن تعزله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحذره بقوله : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة ».

● وإن أطاع الله ، وعمل على تحقيق ما ينفع المسلمين في دنياهم وآخرتهم .. كان له السمع والطاعة ، وحسن المثوبة عند الله والناس .. قال تعالى : « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » .وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « السمع والطاعة على المرء المسلم ، فيما أحب وكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ».

● ويقول لنا عبادة بن الصامت - رضى الله عنه : لقد دعانا النبي - صلى

الله عليه وسلم ـ فبايعناه .... بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ـ يعنى إيثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم ـ وألا ننازع الأمر أهله « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ».

● وإذا ما تحققت العدالة بين الناس ، وقام المجتمع الاسلامي بواجباته .. كان الخروج عليه إفسادا في الأرض يقابل بالحزم والشدة والضرب على أيدي العابثين الخارجين على حكم الله المفارقين لجماعة المسلمين : قال تعالى : « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**».

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمارق من الدين التارك الجماعة ».

● وإن نشأ خلاف بين طائفتين مسلمتين فالحل كما رسمه القرآن الكريم :« **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ».

● إن ما نعانيه اليوم من الفرقة ، والتباعد ، بله العداوة والتناحر والتقاتل ، إنما يرجع الى اتباعنا لمذاهب أرضية ، واختلافنا حول مفاهيم كلها باطلة ، وتركنا لدين الله .. ولن يخرجنا مما نحن فيه إلا أن نلجأ الى الله سبحانه فننصر دينه ، فيحقق لنا وعده .. « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ».

● إننا نقول للذين وضع الله في أعناقهم أمانة قيادة هذه الأمة .. حذار .. حذار من الخلاف السياسي ـ فإنه والله ـ ليس له من نتاج إلا فناء المسلمين ، وذهاب شوكتهم ، وضياع هيبتهم ، وهوانهم على الناس ، واستئصالهم من تاريخ الوجود .. ومعاذ الله أن يحدث هذا ..

فان فالق الحب والنوى ، مخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى ، وفالق الإصباح ، وجاعل الليل سكنا ، والشمس والقمر حسبانا ، والذي أنشأ الجميع من نفس واحدة ، قادر على أن يستبدل بنا قوما آخرين ، يحبهم ويحبونه ، ينصرونه وينصرهم ، يكونون جنوده ، ويكون هو سبحانه معهم ... وساعتها لن ينقذنا من المصير المحتوم منقذ ... **فهل نفيق** . قبل فوات الأوان فنجعل العزائم عزما واحدا والقلوب المتباعدة المتنافرة قلبا واحدا ، والرايات كلها راية واحدة .. **هي راية التوحيد** ، والاسلام ؟ هذا ما نقف عنده متأملين ... وراجين أن ينقذنا الله مما نحن فيه .

قصة في آية

وكونوا مع

علم المسلمون أن الروم جمعت جموعها . وانضمت اليهم لخم وجذام من نصارى العرب . الذين كانوا تحت إمرة الروم . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج لمواجهة هذه الجموع المحتشدة لحرب المسلمين . كانت الحرارة شديدة ، إذ كان الصيف قد حل وكان الناس في عسر من العيش شديد . ولذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلن عن الوجهة التي سيتوجهون اليها . وكان من عادته إذا أراد غزوة ورى بغيرها . ولكنه في هذه الغزوة رأى ببصيرته الثاقبة أن الأمر مختلف عما كان قبل . والحاجة ماسية للتأهب على درجة كافية فلا بد من معرفة جيش المسلمين الأرض التي سيطأونها ليعدوا لكل أمر عدته . ويعملوا لكل شيء بعد الشقة وشدة الحر والعسرة ـ ألف حساب لأن الرحلة ثقيلة على النفس وفيها أقصى مظاهر الابتلاء للمؤمنين . ليمحص الله القوم . وليظهر كل واحد على حقيقته .. المنافق والمخلّف والمعذر والمؤمن الصادق .

صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وحثّ الناس على الإنفاق لتجهيز جيش العسرة كما حث على الاستعداد للخروج جهادا في سبيل رد عدوان متوقع على المسلمين . سمع المسلمون ذلك ومنهم عثمان بن عفان رضي الله

الصديقين

محمد مؤذن

للأستاذ / عاطف شحاته زهران

عنه فإذا به يقول « عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها » فلما حثّ النبي ثانية . قال مثل ذلك . فلما نزل مرقاة المنبر ثم حثّ قال عثمان : « عليَّ مائة ثالثة بأحلاسها وأقتابها » . فأثنى عليه النبي ثم قال « ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا » وبعد حين جاء عثمان بألف دينار في ثوبه وألقاها في حجر النبي حتى جهز بها الجيش . ثم أخذ المسلمون يتبارون في ذلك . فمنهم من جاء بنصف ماله . ومنهم من جاء بكل ماله وترك لعياله الله ورسوله . لأنهم يعلمون أن الجهاد بالمال والأنفس . وعلى قدر المشقة في هذه الغزوة تزيد الحاجة الى المال . وهنا ظهر السابقون الى الايمان . فالوقت وقت برهان . ولكل مؤمن أن يعمل حسب قدرته . فمن ملك المال جاد به . ومن بخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني ونحن الفقراء . ومن ليس لديه مال جاد بنفسه . والجود بالنفس أعلى غاية الجود . إنهم يرجون رحمة ربهم ويجاهدون لنصرة دينهم . ويعلمون أن الله ينصر من ينصره ويصدق من يصدقه .

وَلِمَ لا يضحون بكل ما يملكون والله عز وجل أنبأهم في قرآن مجيد . وأعطاهم عهدا بأنه قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . ومن أوفى بعهده من الله . لقد كان الله ورسوله أحب اليهم مما

سواهما وكانوا يحرصون على الموت في سبيل الله حرص أعدائهم على الحياة . ولذا نصرهم الله وأعزهم لما عَلِمَ من صدقهم ومن إخلاص نياتهم في كل أعمالهم .

لم يكن كل الناس في الأمر على ما قلنا . والشدائد دائما وسيلة لإظهار المخلص وغير المخلص فانقسم الناس عدة أقسام حسب تجاوبهم للسفر مع النبي دفاعا عن دين الله . وقصّت آيات الذكر الحكيم قصّة كل فريق . وكشفت عن دخائل المنافقين والقاعدين غير أولي الضرر .

● .. المنافقون فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله .. وتواصوا فيما بينهم : لا تنفروا في الحر . ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف . وأولئك قال الله فيهم : (**فرح المخلَّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قل نار جهنم أشد حرّا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يَكْسِبُون**) . ٨١ ـ ٨٢ التوبة .

إنهم خافوا شدة الحرِّ . فَخُوِفُوا بنار جهنم . وإنها أشد حرّا . ولكنهم لا يفقهون لأن عقولهم قاصرة وبصائرهم كليلة . ونسوا أو تناسوا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لنار الدنيا بأنها غير نار الآخرة فقال : (**ناركم** جزء من سبعين جزءا من نار جهنم . قيل : يا رسول الله ان كانت لكافية . قال : فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) . رواه الشيخان .

● وغير المنافقين كانت هناك طائفة أصحاب أعذار . وهم صادقون حين اعتذروا للنبي عن حضور تبوك معه . لهم أعذار مالية أو مرضية أو لم يجدوا ما يحملهم للذهاب مع جيش العسرة ، ومنهم من جاء يطلب من النبي أن ييسر له ما يركب . فلم يجد النبي لهم ما يحملهم . ولما انصرفوا بكوا حزنا على فوات هذا الخير الجزيل . وفيهم قال الله تعالى : (**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم . ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزَناً ألا يجدوا ما ينفقون**) ٩١ و٩٢ التوبة .

ولقد برأهم الله سبحانه وعفا عنهم وهو أعلم بهم ورفع عنهم الحرج . وأكثر من ذلك انهم نالوا أجر المجاهدين لصدق نواياهم . وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتم سيرا إلا وهم معكم . قالوا وهم بالمدينة ؟ قال : نعم ، حسبهم العذر) رواه الشيخان .

لقد تأثروا شديد التأثر لقعودهم . وكانوا يودون ـ صادقين ـ لو تمكنوا

وشاركوا النبي في هذه الغزوة .
وغير هذين الصنفين كان هناك الصنف المؤمن المجاهد في سبيل الله . الذي سا/. في تجهيز الجيش بماله ـ كل على قدر سعته ـ أو بنفسه كل على قدر طاقته . وهم الذين صدقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الله فيهم : (**لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعَدَّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم**) ٨٨ و ٨٩ . التوبة .
وهم الذين كابدوا وتحملوا الشدائد . وضحوا بأموالهم وأنفسهم . ولم ترهبهم شدة الحر . ولا وعورة السفر . ولا البعد عن الوطن والأهل . وآثروا الجهاد على القعود مع الخوالف مؤثرين حياة عند ربهم في جنة عرضها السموات والأرض . وكان عددهم يناهز ثلاثين ألفا هم قوام جيش العسرة الذي خرج من المدينة في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة . ومكثوا قرابة الشهرين حتى عادوا للمدينة المنورة في رمضان بغير حرب فلما وصل النبي الى تبوك أتاه يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله وأعطاه الجزية . وأتاه أهل حرباء وأذرح فأعطوه الجزية . فكتب النبي لهم كتابا فهو عندهم فيه أمان لهم .

ـ ٣ ـ

وغير هذه الطوائف كانت هناك جماعة المخلّفين الثلاثة . هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك رضي الله عنهم . تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك . إلا أن شأنهم كان غير شأن سائر المخلّفين . ثم إن قصتهم لقيت عناية من القرآن الكريم ومن المسلمين السابقين واللاحقين لما فيها من العظات البالغات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .
أول الأمر كان قد تخلف معهم أبو خيثمة مالك بن قيس . أغرته المدينة وهواؤها . وعز عليه أن يترك أهله وثمره الذي أينع والعيش المرفّه ويستبدل ذلك كله بالقيظ الشديد ، والمعاناة في السفر ، ومكابدة الحرب ، إلا أن ضميره قد استيقظ مسرعا . فبعد أيام من خروج النبي رجع أبو خيثمة الى أهله في يوم حار . فوجد امرأتين له في خيمتين لهما في حائطه قد رشت كل منهما عريشها وبردت له ماء وهيأت له فيه طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له . وخطر بباله ما يعاني منه جيش العسرة في الطريق الى لقاء جيش الروم في تبوك . وضاقه أن ينعم هو بين النساء والماء البارد . والجيش يتنقل من وادٍ الى وادٍ تحت وهج شمس الصحراء القاسية . ولم يرض لنفسه أن يبقى مع المخلّفين فقال : (رسول الله في الضح ـ بالكسر الشمس ـ والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد

وطعام مهيأ . وامرأة حسناء في ماله مقيم . ما هذا بالنصف !) ثم قال : (والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله) ثم لحق بالرسول لما نزل في تبوك فأنشد يقول :

تركت خصيبا في العريش وصرمة
صفايا كراما بسرها قد تحمما

وكنت اذا شك المنافق أسمحت
الى الدين نفسي شطره حيث يمما

ثم أخبر رسول الله الخبر . فقال له خيرا ودعا له بخير .

ولقد عانى المسلمون في غزوة العسرة كثيرا وقد أصاب الناس فيها مجاعة فطلبوا من النبي أن يأذن لهم في نحر نواضحهم ليأكلوا ويدهنوا فأذن لهم فقال عمر : ((ان فعلوا ذلك قلَّ الظَهر . ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم بالبركة لعل الله يجعل فيه ذلك) فدعا عليه الصلاة والسلام بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيىء بكفّ الذرة . والآخر يجيء بالكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير . ثم دعا الله بالبركة ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في المعسكر وعاء الا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا . وفضلت منه فضلة فقال رسول الله : « أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله . لا يلقى بها الله عبد غير شاك . فتحجب عنه الجنة ». رواه احمد .

وبقى المخلّفون الثلاثة وادعين هانئين في الظل والنعيم في المدينة حتى قفل الجيش من تبوك .

انهم تخلفوا من غير شك ولا نفاق . وقد كشف الله أمر المنافقين والبكائين والمجاهدين الصادقين . وأرجأ أمر الثلاثة الى حين . فقد جاء المنافقون الى النبي بعد عودته فجعلوا يحلفون له ويعتذرون . فصفح عنهم ولم يعذرهم الله ولا رسوله ولكن كعبا وصاحبيه تخلفوا عن هؤلاء فأرجأ الله أمرهم حتى يقضي فيهم أمره .

– ٤ –

بعد أن خرج النبي بالجيش حدثت كعبا نفسه بسرعة اللحوق به . ولكنه ظل يماطل ويسوف . الى أن استجاب لداعى الدعة والراحة .

كان يسير في المدينة فلا يلقى بها إلا منافقا معروفا . او معذرا من البكائين الذين لم يجدوا ما يحملهم الى تبوك . فكان ذلك يحزنه . وغير أولئك لبوا نداء ربهم . (انفروا خفافا وثقالا) .

ومكانة كعب بين المسلمين ليست من الهوان بحيث يؤثر البقاء مع هذين

الصنفين .فلما وصل الجيش الى تبوك وأخذ النبي يتفقد المجاهدين لم يجد كعبا فلما لم يجده سأل عنه فمن المسلمين من قال : حبسه برداه والنظر في عطفيه . ولكن معاذ بن جبل اعتذر عنه وقال : « يا رسول الله والله ما علمنا منه إلا خيرا » يريد أن يلتمس له عذرا سببا لتخلفه .

ومما كان يؤرق كعبا وصاحبيه تفكيرهم الدائم في كيفية مواجهة النبي ثانية . ولا يعرف أحدهم كيف يعتذر وبأي وجه يلقاه صلى الله عليه وسلم . انه لا يرضى لنفسه أن يلتمس عذرا وهو يعلم أن لا عذر له . ولا يليق به أن يكذب فيتعلل بعلة واهية قد تنطلي على النبي فالله سبحانه يعلم السرّ وأخفى . وكلما فكر أحدهم في أن يكذب لينجو من غضب النبي . لم يطاوعه ضميره الحي ونفسه الطيبة . بل كان يجد وازعا من نفسه يدفعه الى الصدق دفعا . وليكن ما يكون ولم يهدأ له بال طوال زمن سفر الجيش . وأخيرا اختار الصدق على الكذب . راجيا مغفرة الله لذنبه والكذب ليس من شيم المسلمين . واستقر رأيه على ذلك . وبعد عودة الجيش جلس النبي في المسجد وأخذ الناس يقدّمون له أعذارا واهية وهو يقبل أعذارهم ويكل سرائرهم الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ورأى المخلّفون الثلاثة الناس يقفون بين يدى النبي ويحلفون له أنهم ما تركوه الا لأعذار . فيعفو عنهم فدفعهم ذلك على ان يصدقوا وسأل النبي كعبا « ما خلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ » قال : والله ما كان لي عذر . فقال له النبي : « أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضي الله في أمرك ».

وبعد حين تناهى الى سمع كعب أن هلال بن أمية ومرارة بن الربيع شاركاه ما فعل وصدقا كما صدق . فعلم أنهم ثلاثة مرجئون لأمر الله عز وجل .. إما قرآنا ينزل في شأنهم أو توبة من الله عليهم . ولكن توجيها صدر من النبي بمقاطعة الثلاثة نهائيا . وفي الحال رأى واحد منهم أن حصارا قاسيا قد ضرب حوله . إنه حصار اجتماعي رهيب .. يكلم الناس فلا يكلمونه .. ويلقي على أحد المسلمين السلام فلا يجيبه . فالكل قد استمع لتوجيه النبي واستجاب له . فتنكّر الناس لهم وتغيروا . حتى تنكّرت لهم الأرض . ولبثوا على ذلك خمسين ليلة .

ـ ٥ ـ

خمسون ليلة مرت على مقاطعة الثلاثة . بسبب صدقهم . لم يندم أحدهم على صدقه هذا . فلم يكن يرضى واحد منهم أن يحشر في زمرة المنافقين . وكل ما يكون في الدنيا فأمره هين ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . فإيمانهم قوى وأعمالهم شاهدة على ذلك وما حدث إنما هو

مأتم الإنسانية

للاستاذ/ محمد أمين الجندي

إنا لفي زمن غاضت بشاشته
ساد القوي به ، والظالم العاتي
وعمت الأرضَ فوضى ، لا مثيل لها
وقُدست كل أنواع الضلالات
والناس أضحوا شياطينا معربدة
ضلوا السبيل ، وهاموا باللذاذات

الماجد الحر ، منبوذ ومضطهد
والساقط الفسل ، مرموق المكانات
والعدل عندهمُ اسطورة بليت
والدين في زعمهم ، محض الخرافات

لا يرعوون اذا ساروا لمعصية
يندى لها خجلا ، وجه المروءات
وشوهوا الحق بالبهتان ،وانقلبوا
لا يحسنون سوى فن الدعايات
عباد مال أثاروا كل مشكلة
من أجله ، فاصطلوا نار العداوات

برئتُ من عالم ، لا دين يعصمه
ولا ضمير له ، أعمى البصيرات
مــزعــزّع السلــم ، مجنــون الــهــوى ، نزق

يعيش عيش ضلول ، في متاهات
ســاد الفســاد ،وشــاع الشر ، واستعرت

لظى المطامع ، في صدر الحماقات
وأصبح الناس من رعب ومن قلق
كطـائـر يتلـوى في الحُبـالات
أهكذا يا أولى الألباب ، يفتنكم
عن منهج الحق ، حب النفس والذات ؟

لا كـان علم لكم ، ألقى أزمته
راع الوجود بأشقى الاختراعات
يا رب مخترع ، سالت قريحته
سمـا يُقطّر من نـاب المنيـات
وما الصواريخ تنزو في قماقمها
إلا نذيرا ، بأحداث جسيمـات
كم في سبيل الردى ، أنفقتم عبثا
- والنــاس جـوعى - مـلايـين الجنيهات

والعلم ما لم يكن نعمى ومرحمة
على الأنام ، فأنعم بالجهـالات
لولا أنانية الطاغين ؛ ما اشتعلت
نار الحروب ، وعشنا في سعادات
متــى أرى الأرض ، قــد عــاد الســلام لها
والحــقّ أنصَفــه ، رب السموات ؟

مائدة القارئ

حتى لانضل

قال تعالى : « ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .
الآية ٢٦ من سورة ص .

سجدة التلاوة

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « جاء رجل الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، إني رأيت في هذه الليلة ، فيما يرى النائم ، كأني اصلي خلف شجرة ، فرأيت كأني قرأت سجدة ، فرأيت الشجرة كأنها تسجد لسجودي ، فسمعتها وهي ساجدة ، وهي تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وضع عني بها وزرا ، واقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود ؟
قال ابن عباس : فرأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ السجدة ، فسمعته وهو ساجد يقول مثل ماقال الرجل عن كلام الشجرة »

مكانة العلم

عن عون بن عبدالله قال : قلت لعمر بن عبدالعزيز : يقال : ان استطعت أن تكون عالما فكن ، فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تكن متعلما فأحبهم ، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم .
فقال عمر : سبحان الله ! لقد جعل الله له مخرجا .



نصيحة

خطب عثمان بن عتبة الى عمه عتبة ابنته ، فأجلسه بجانبه ، ثم قال :
أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لا أستطيع له ردا ، ولا أجد من إسعافه بدأ ، قد زوجتكما وأنت أعز علي منها ، وهي ألصق بقلبي منك .
فأكرمها يعذب على لساني ذكرك ، ولاتهنها فيصغر عندي قدرك .
وقد قربتك مع قربك ، فلا تبعد قلبي من قلبك .

العدوّ

العدوّ نوعان : إنسي .. وشيطاني .

فأما العدو الانسي : فالله يدعونا الى مصانعته والاحسان اليه ، عسى يرده المعروف عن عداوته ويدفعه الى الموالاة والنصرة .

وأما العدو الشيطاني : فالله يأمرنا بالاستعاذة منه ، اذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ، ولا يبتغي غير هلاك الانسان ، قال تعالى : « **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** »

طرفة

حل رجل ثقيل الظل ضيفا على آخر ، وأطال المكث عنده .

فقال له : ياصاح أطلت المقام ، ولاشك أنك اشتقت الى زوجتك وأولادك .

فقال الضيف : نعم ، ولذلك سأحضرهم الى هنا .

السكينة

يقول ابن القيم : ان السكينة تورث الانسان خشوعا في الطاعة ، ويقظة في العبادة ، وتعظيما للمعبود جل جلاله ، كما تورثه محاسبة النفس ، ومراقبة الخالق ، وحسن معاملة الخلق ، والرضا بالقضاء . وتورثه ان يجعل عقله امام لسانه ، فلا ينطق الا بميزان ، وتورثه الا يكون عبدا لشهوته ، او انفعاله ، أو عاطفته ، بل هو يتلبث ، ويتريث ، ولا يتصرف الا بحكمة ، ولا يتحرك الا على نور » .

بذاك ينصرنا الله

من قصيدة لكعب بن مالك .. قالها يوم الخندق :

ويعيننا الله العزيز بقوة ... منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نبينا ونجيبه ... واذا دعا لكريهة لم نسبق
ومتى يناد للشدائد نأتها ... ومتى نر الحومات فيها نُعنق
من يتبع قول النبي فانه ... فينا مطاع الامر حق مصدق
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ... ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
ان الذين يكذبون محمدا ... كفروا وضلوا عن سبيل المتقى

(الحومات : مواطن القتال . نعنق : نسرع)

السلوك الإسلامي وصحة الإنسان

الدكتور/ احمد شوقي ابراهيم

مقدمة :

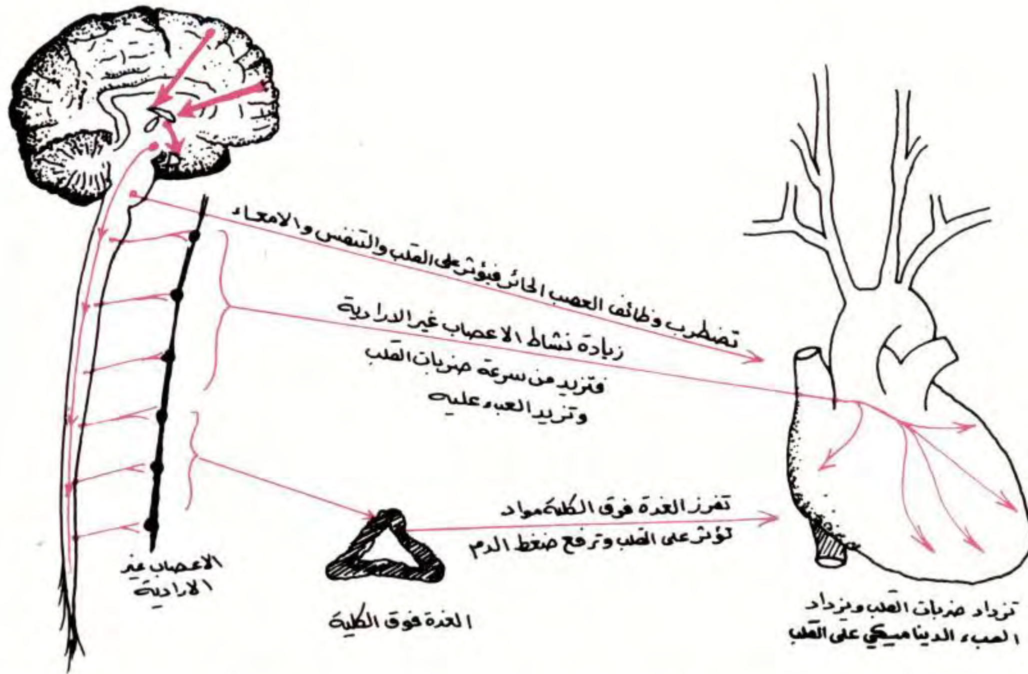
الإسلام هو دين الفطرة السليمة . بل هو الفطرة السليمة نفسها تلك الفطرة التي فطر الله تعالى خلقه عليها .

إن التربية الاسلامية الصحيحة .. وتوجيه الإسلام للسلوك الإنساني ، يهدف الى صحة الانسان وسلامته جسما ونفسا وروحا .. ويهدف أيضا إلى أن يكون الفرد المسلم مثالا حسنا في مجتمعه الذي يعيش فيه ..

إن الفرد المسلم يترجم العقيدة الى تطبيق وعمل صالح .. ويجسد كل المثل الإنسانية العليا التي أمر بها الاسلام في سلوك ينتهجه في كل تصرفاته .

والسلوك الإسلامي ينتظم كل جوانب الحياة الإنسانية سواء أكان سلوكا عاطفيا أم اجتماعيا أم صحيا .. وبذلك يكون الإنسان المسلم والمجتمع المسلم مؤهلا لبناء الحضارة الإنسانية في مختلف العصور ولحمل مشعل التقدم العلمي في مساره الصحيح الذي يحقق الأمن والطمأنينة للبشر جميعا . والحق والخير والصحة للناس قاطبة في كل عصر وزمان ومكان .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه



بعض تأثيرات الغضب على الجهاز العصبي والقلب

وسلم مثالا كاملا للسلوك الإنساني القويم كما قال الله تعالى:(**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**) الأحزاب/ ٢١ .

وقد يظن البعض أن العبادات في الإسلام تعزل الفرد المسلم عن مجتمعه ولكن الحقيقة أن العبادات إنما تجعل الفرد المسلم في قلب مجتمعه ، ليعطي للجميع خير العطاء في شتى المجالات .. والسلوك الإنساني هو روح العبادات ، فكل أعمال الانسان المسلم وسلوكه إنما تنبثق من العبادات .. وكلها صور يكمل بعضها بعضا .. ويشد بعضها بعضا .. والهدف واحد هو سعادة الإنسان وصحته وسلامته جسما ، ونفسا ، وروحا في الدنيا والآخرة .

إن العبادات والأوامر والنواهي في الاسلام ، ليست هدفا في حد ذاتها فحسب ، لكنها أيضا وسيلة لتهذيب النفس البشرية وتصحيح سلوكها الإنساني على المنهج الاسلامي الصحيح .

إن مثل الإسلام كمثل شجرة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء ومثل السلوك الاسلامي كمثل ثمار هذه الشجرة وأكلها .

ونحن إذا تحدثنا عن السلوك الإسلامي وصحة الفرد والمجتمع فإننا نجد أنفسنا أمام سلوك إنساني متكامل يهدف الى صحة الإنسان جسما ، ونفسا في العمل والراحة ، في الطعام والشراب ، في السرور والغضب في السراء والضراء ، في الصحة والمرض ، في نشاطات الحياة اليومية كلها .

الصلاة كسلوك يومي للفرد المسلم :

إذا غضب الانسان وانفعل ازداد إفراز الكورينزون والأدرينالين من غدده الصماء وازداد توتر العصب السمبثاوي ويؤدي ذلك إلى تسارع ضربات القلب وخفقانه وارتفاع ضغط الدم .. ولو كان الإنسان مريضا بارتفاع ضغط الدم أو مريضا بتصلب شرايين القلب أو المخ .. لتعرضت نفسه لكارثة صحية إذا ثار أو غضب ، والإنسان الذي يغضب كثيرا ويثور لأتفه الأسباب يكون عرضة لسلسلة من الأمراض مثل مرض ارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية ومرض السكر ومرض قرحة المعدة والاثنى عشر .. وتحدث له فوق ذلك اضطرابات نفسية وعصبية لاحد لها .

ولم تكن مضار الغضب للإنسان معروفة من قبل .. ولقد عرفناها نحن من خلال علمنا حديثا جدا .. وفي أمريكا يولعون بالاحصاءات ... فقد نشر أحدهم بحثا يقول فيه إن الانسان إذا ضحك من كل قلبه دقيقة واحدة فان ذلك يكون سببا لأن يطول عمره خمس دقائق .. ولا ندري مقدار ذلك من الصحة .. ولكن من المؤكد أن نوبات الغضب في الإنسان تقلل من عمره الافتراضي حتما . فلو أراد أي إنسان أخذ مشورتي كطبيب لقلت له على الفور : لا تغضب ... لا تغضب ..

هذه نصيحة ينطق بها الطب الحديث .. ولكن مهلا .. إن من يطالع السنة النبوية الشريفة يجد أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قد علمنا كل ذلك فقد روى البخاري والترمذي ومالك وأحمد : عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه « أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر عليّ فأنسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغضب ».

وروى الترمذي ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه« أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ».

وروى أحمد في مسنده أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصني قال صلى الله عليه وسلم : لا تغضب » قال الرجل : فتفكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله .

ما علاج التوتر العصبي .. والثورة النفسية التي يتعرض لها الانسان في حياته اليومية ؟ .. في الطب يكون العلاج بالمهدئات .. وهي أدوية لها مفعول مؤقت .. ولكن آثارها الجانبية تدخل الإنسان في حلقة مفرغة من المتاعب ، لا يستطيع أن يتخلص منها بسهولة .. وهكذا يصبح العلاج الذي يتناوله ليريحه ، مشكلة أخرى تضاف الى مشكلاته الكثيرة ، فاذا اتجهنا إلى المهدئات كعلاج لحالات التوتر العصبي والاضطراب النفسي فاننا لا نجد فيها حلا مناسبا ، بل نجد فيها مشكلات جديدة أيضا ..

إن الاضطرابات النفسية ، تغير من شخصية الإنسان ، وتغير من سلوكه .. وما دام الأمر كذلك ، فالعلاج الصحيح لا يكون بالمهدئات ، وانما يكون بتغيير سلوك الإنسان نفسه . فتغيير السلوك ، يغير الشخصية .. إذن فالشفاء من الاضطرابات النفسية والتوترات العصبية في حياة الانسان يرتكز على ممارسته سلوكا جديدا وبصورة مستمرة .. وماذا تكون نتيجة ذلك ؟

النتيجة أن شخصية الإنسان تتغير من الشخصية الغضوبة المتوترة الى الشخصية الهادئة الوديعة . وحتى تصل إلى ذلك ، هناك طرق كثيرة للعلاج منها :

١ ـ الاسترخاء العضلي والنفسي .

٢ ـ العلاج بتقليل الحساسية الانفعالية .

وهذا أحدث ما توصل إليه العلم في عصرنا الحاضر .

إن الاسترخاء العضلي من ضمن وسائل العلاج النفسي الحديث ويتحقق ذلك بعمل جلسات يتدرب فيها المريض تحت إشراف طبيب نفسي ، على الاسترخاء النفسي والعضلي . وهذه الجلسات تريح الإنسان أكثر بكثير من المهدئات من العقاقير .

أما العلاج بتقليل الحساسية الانفعالية فهو يكون بتدريب الانسان على ممارسة الاسترخاء النفسي في مواجهة التحديات والمواقف التي تثير غضبه وقلقه وضيقه النفسي وتوتره العصبي ، وذلك بدون حساسية وبدون انفعال .

ويحدث ذلك تدريجيا وتحت إشراف طبيب نفسي أيضا .. وبذلك يتحول رد الفعل لدى الإنسان لصعوبات الحياة وتحدياتها من القلق والتوتر الى الهدوء والطمأنينة والاسترخاء العضلي والنفسي معا .. وقد تنجح هذه الطرق العلمية في العلاج وقد لا تنجح .. شأنها في ذلك شأن أي علاج آخر ..

لكن العبادات في الإسلام أكثر فائدة وأعم نفعا .

ففي الصلاة : شفاء من كل ذلك .. نبتدىء بالوضوء ثم بالتوجه إلى الله تعالى صفا واحدا ، ثم الركوع والسجود في خشوع واطمئنان كاملين .

أولا : الوضوء يهدىء النفس ويزيل عن الانسان التوتر لأن الاغتسال بالماء من الناحية النفسية يحدث حالة من الاسترخاء النفسي ويزيل ما بالانسان من توتر وغضب وهذه

حقيقة علمية توصل العلم إلى معرفتها في عصرنا الحاضر .

ونقرأ في السنة في ذلك علما فقد روى أحمد في مسنده أن رجلا دخل على عروة بن محمد فكلمه بكلام أغضبه .. فلما غضب قام ثم عاد إلينا وقد توضأ وقال : حدثني أبي عن جدي قال لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) واما التصرفات السلوكية العلاجية في حالات التوتر والغضب والضيق النفسي فهي أن يجلس الإنسان وهو في هذه الحالات إذا كان واقفا او يضطجع إن كان جالسا .

هذه التصرفات وهذا السلوك يزيل الاتجاه النفسي اللاإرادي الغاضب ويجعله تصرفا نفسيا إراديا خاضعا لارادة الانسان ويعطيه الفرصة الكاملة للنظر والتروى ومراجعة النفس .. في طمأنينة واسترخاء .. فيزول عنه التوتر .. ويذهب عنه الغضب .. فجلوس الإنسان الغاضب إذا كان واقفا أو اضطجاعه إذا كان جالسا يمنحه الفرصة للاسترخاء النفسي ويتعارض تماما مع كل انفعال نفسي فيشفى منه .. وهذا العلاج السلوكي هو من تعاليم الإسلام فقد جاء في مسند أحمد أن أبا ذر كان يسقي على حوض له فجاء رجل فأورد على الحوض فدقه .. وكان أبو ذر قائما فجلس .. ثم اضطجع .. فقيل له يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت ؟.

فقال لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب أو فليضطجع) .. وذهاب الانسان إلى المسجد ووقوفه صفا واحدا مع الناس جميعا علاج نفسي عظيم للمصلي .. وسلوك إسلامي صحي يؤدي الى الآتي :

١ ـ حب الناس في مجتمعه الذي يعيش فيه ويتعامل معه .

٢ ـ تنمية عاطفة حب الغير والمساواة بهم .. وتجنب الاستعلاء عليهم .

٣ ـ يزيل من النفس الكراهية والبغضاء لأي واحد من الناس .

٤ ـ يربي في النفس الاندماج في المجتمع بروح المحبة والخير . روح الانتماء للمجتمع الذي يعيش فيه فيزيل بذلك شعور الوحدة والعزلة التي يشكو منها الكثير من المرضى النفسيين .

إن التوجه الى المسجد للصلاة كسلوك اسلامي يومي ووقوف الناس جميعا صفا واحدا يحقق الشفاء للنفس البشرية .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« أقيموا صفوفكم » فكان أحدنا يلزم منكبه بمنكب صاحبه وقَدَمَهُ بقدمه .

وهكذا فان الصلاة كعبادة وكسلوك إسلامي تحقق الصحة النفسية للفرد وللمجتمع على حد سواء .

الحُرُّ والمُرُّ.. وَالذكريَات الغُرّ

للأستاذ / عمر بهاء الدين الأميري

ياصباح الذِّكريات الغُرِّ
يا أسنى صَبَاحْ
ذكرياتِ المولدِ المعطاءِ
والخَيْرِ القَرَاحْ★
ذكرياتِ السَّعدِ والمَجْدِ
وإرساءِ الفَلاَحْ
بِرسولِ الله ، بالقرآنِ
بالدِّين الصُّرَاح★
يا صَبَاحَ الذكرياتِ الغُرِّ
في قلبي جِرَاح
أتمنَّى بَسمةً ... ياليتَها
كانت تُتَاحْ !

●●

يارسولَ اللهِ عُذراً ،
فالأبيُّ الحُرُّ طَاحْ★
ولقد أغناك مَدْحُ الله
عن أيِّ امتِداح

حق ذكراك انتهاجٌ
وابتهاجٌ وانشراحْ
بيد أنّي ، هاجتِ الذِّكرى
أسى قلبي فبَاح
وشكا لله مر البَثِّ★
واستعدى★وَصَاح

●●

أمَّةُ الإسلام في وَيْلاتِ
غَيٍّ ... وسِفَاحْ★
تتلقىٰ طعَنَات الضُّر
مِنْ كلِّ النَّواح
نفرٌ قد أورَدُوها حَتْفَهَا
باسْمِ الكِفَاحْ
وشعوبٌ في إسارٍ ، قد
أجرَّتها★ الرِّمَاح
وعدوٌ غاشِمُ الفَتْكِ
يهوديٌ وَقَاح
وجنودُ اللّهِ في بعثرةٍ
غَرقىٰ تَلاَحْ★
مابأيديهم سِوى الموتِ
ـ ولو هدراً ـ سلاح
شهداءٌ ... ـ كَتَبَ اللّه ـ
ولكنَّ النَّجَاحْ ...

النجّاحَ الحقَّ ، أن يستأصِلَ
البَغيَ امْتِتَاحْ★
لا بأنْ نُطوى ، ويَبْقى البغيُ
والكُفْرُ البوَاح



يا دُنىَ الإسلام ، ماعَادَ
مُبَاح بِمُباحْ !
أتنامينَ ؟! وفي أوْطانِكِ
العُدْوانُ صَاح !
ماخِصَامٌ بين أبنائِكِ ؟!
ياهَوْلَ الجُنَاح★
مااحتِفاءاتُكِ بالسِّلم
وما هذا المِراح★
ما احتِفَالاتك بالذّكرى ، وهَلْ
هَلْ مِنْ طِماحْ ؟!
وعُرامُ الظُّلْمِ أخْنى★
في وِهَادِ وبطَاحْ
وحِمى المِعْراجِ والأقْصى
مكادٌ ... مُستَبَاح
جَدَّ جِدُّ الموتِ يالاهينَ
في أخَزى مِزَاح !

واهِ للأوّاهِ ، والهَمُّ جُذى
والرَّكبُ جَاحْ★
لم يَكُنْ ـ مُذْ كانَ حُرًّا ـ
بالّذي استَخْذَى وَناحْ
وهو اليوم رَهينُ القهرِ
تذروهُ رِياحْ
كاهلُ كَلَّ ، وأمرٌ جَلَّ
والسّاحُ★ فِسَاحْ



ما الذي أمَلِكُ ياربّي
ولو كُنتُ « صَلاحْ »
إنها الجُلّى★ ، ومَنْ حَوْلي
عَنِ الجُلّى طِلاحْ★
وأنا في عُزلَةِ المُضطرِّ
مغلولُ السّراح
وأصابتْ قَلبيَ الذّبحةُ
وارتجَّ الجَناح



يا رسولَ اللّهِ في هَدْيِكَ
لي رَوْحٌ ورَاح

إنهُ يَصرخُ بي ، في حِكَمٍ
غُرٍّ ... صِحَاحْ
لا يُنيلَ النَّصْرَ مِثلُ الصبر
في السَّعي المُتَاح
وبتفويض جِماعِ الأمْر
لله ، رَبَاح
فاسْعَ ياحُرُّ وثابِرْ
في مَساءٍ وصَباحْ
لا تَقُلْ أزْلاً★ وَعَذْلاً :
عُمُري وَلّى وَرَاحْ
قَدِّرِ الحِكْمَةَ ، وارضَ الحُكْمَ
مَنْ يَرْضَ اسْتراحَ
وتَجمَّلْ ... وتَحمَّلْ ، ثِقَلَ
العِبْءِ الرَّزَاحْ★

القراح : الخالص الصافي
الصراح : النقي البين
طاح : تاه وأشرف على الهلاك
البث : أشد الحزن
استعدى : استغاث واستنصر
غي : الغي : الضلال والتمادي في الجهل
سفاح : السفاح : سفك الدماء
اجرتها : أجره : طعنه وترك الرمح فيه يجره
تلاح : التلاحي : التلاعن والتلاوم
امتتاح : الامتتاح : الانتزاع
الجناح : الذنب
المراح : الفرح والنشاط
اخنى : أهلك وجار وغدر
جذى : جمع جذوة
جاح : حاد عن الطريق
الساح : جمع ساحة
الجلى : الأمر العظيم
طلاح : جمع طلح : وهو الهزيل المعيي
ازلا : الأزل : الوقوع في الضيق والشدة
الرزاح : الثقيل الذي لايكاد يتحمله الكاهل

كلية الطب الكويتية

الاحتفال بتخريج الدفعة الأولى من طلبتها

كتب نجيب الرفاعي :

برعاية صاحب السمو الأمير احتفل يوم ١٩٨٣/١٢/٥ بتخريج أول دفعة من طلبة كلية الطب بجامعة الكويت وقد حضر الحفل سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم ورئيس مجلس الأمة الكويتي السيد محمد يوسف العدساني والوزراء وأعضاء مجلس الأمة وسفراء الدول العربية والاجنبية في الكويت وعدد من أولياء أمور الطلبة الخريجين والخريجات .. هذا وقد كان للخريجين الجدد شرف كونهم أول أطباء يقسمون باللغة العربية ، القسم الاسلامي الذي أوصى به المؤتمر العالمي الأول للطب الاسلامي .

استهل الحفل الكبير بتلاوة مباركة لبعض من آيات الذكر الحكيم ثم ألقى الدكتور/ يعقوب الغنيم وزير التربية الرئيس الاعلى للجامعة بهذه المناسبة كلمة أعرب فيها عن سعادته بتخرج الدفعة الأولى من كلية الطب وأشار إلى أن إنشاء كلية الطب كان ضمن خطة الجامعة لتوفير مختلف التخصصات التي تحتاج إليها خطط التنمية وقال .. إن هذه الخطة لم تقتصر على إنشاء كلية الطب فقط بل امتدت أيضا إلى العلوم الطبية المساعدة حيث أنشئت كلية العلوم الطبية المساعدة والتمريض وهناك دراسة لإنشاء كلية لطب الأسنان وذلك في إطار مركز العلوم الطبية .. وقد تمنى الوزير في ختام كلمته التوفيق والسداد للخريجين والخريجات ..

ثم ألقى بعد ذلك الدكتور/عبد الرحمن العوضي وزير الصحة ووزير التخطيط كلمة جاء فيها ..

في هذا اليوم الذي انتظرناه طويلا ، يؤتي الروض ثماره ، وينعم الزارع بحصاده ، وتهدى كلية الطب الكويتية باكورة خريجيها إلى الوطن العزيز ليندرجوا في صفوف مزاولي المهنة الطبية ، جنوداً مكافحين ، وبررة مخلصين ، ورسلا للانسانية ، وأعوانا للإنسان في مدافعة المرض بالوقاية والعلاج ، ولينضموا إلى تلك المهنة النبيلة ، التي نذرت نفسها وجهدها ووقتها في أشرف جهاد ، في أشرف ميدان .. وأضاف الدكتور العوضي .. وليعلم ابنائي الخريجون أنهم وهم يمارسون مهنتهم فإنه لا رقيب عليهم إلا الله سبحانه وتعالى وضمائرهم فليخشوا الله فيما ائتمنوا عليه ، وليتفانوا في أداء واجبهم نحو مرضاهم ، فيسخروا كل معلوماتهم وإمكاناتهم ووقتهم ، من أجل شفاء المريض وتخفيف آلامه والمحافظة على حياته .

وقد شكر الوزير العوضي في ختام كلمته صاحب السمو لتشريفه حفل التخرج ورعايته له .

ثم ألقى بعد ذلك مدير جامعة الكويت الدكتور/عبد الرزاق العدواني كلمة رحب فيها بصاحب السمو الامير ثم قال :

« .. رأى بعض المخلصين من أبناء هذا الوطن أنه قد يكون من الاسلم والايسر أن نرسل طلبتنا لدراسة الطب في الخارج دون أن نتكبد مصاعب إنشاء كلية طب كويتية : قد لا تكون على المستوى الذي نرغب فيه وكانت حجتنا نحن الذين كنا مقتنعين بضرورة إنشاء كلية طب وطنية هي أولا: أنه لا يمكن أن نستمر في استيراد الأطباء من الخارج خصوصا وأن جميع الدول تسعى لتطوير خدماتها الصحية والتوسع فيها ثم إن هذا التوسع قد يستدعي قصر قبول الطلبة لدراسة الطب على مواطني الدولة فقط .. وأصبح ماكنا قد توقعناه حقيقة واقعة فإنه من الصعب في هذه الأيام قبول الطلبة في كليات الطب في العالم لغير المواطنين وخاصة في كليات الطب ذات المستوى الجيد التي كنا نطمح في إرسال طلبتنا إليها .. ثانياً:إن وجود كلية طب وطنية في الكويت ستساهم في رفع مستوى الخدمات الصحية وتقدم البحث الطبي . كما ستقوم بدراسة المشاكل الصحية الاقليمية والتي قد لا تكون مركز



اهتمام في كليات طب أخرى في حين أنها مهمة بالنسبة لنا .. هذا وقد أثنى الدكتور مدير الجامعة على جهود العميد المؤسس الدكتور/عبد المحسن العبد الرزاق ومن اختار معه من مساعدين أكفاء . كان له ولهم الفضل فيما وصلت إليه كلية الطب .

كما ألقى الدكتور الخريج/موسى خداده كلمة الخريجين .. والتي أعرب فيها عن سعادته واعتزازه بتمثيل إخوانه وأخواته الخريجين والخريجات وقال .. « إن يومنا هذا ليعتبر انطلاقة جديدة لنا في مجال التحصيل العلمي الذي بدأناه بعد جهد سبع سنوات من التأهيل والتنوير في طريق أشرف المهن وأكثرها عطاء .. نشكر جميع من قاموا على غرس بذور هذه الكلية التي بدأت جني ثمارها اليوم ، وخاصة أساتذتنا الكرام وعلى رأسهم المربي الفاضل الدكتور عبد المحسن العبد الرزاق الذين بغيرهم ما كان لهذا الصرح أن يعلو .. »

وبعد الانتهاء من إلقاء كلمته قام الأطباء الخريجون وبرفقتهم عريف الحفل مساعد عميد كلية الطب للشؤون الاكاديمية الدكتور عبد اللطيف البدر بتأدية القسم الاسلامي للطبيب ثم تفضل سمو الأمير ووزير التربية الرئيس الأعلى للجامعة بتوزيع شهادات التخرج على الدكاترة الجدد .



قَسَمُ الطبيب

بسم الله الرحمن الرحيم :

ـ اقسم بالله العظيم أن اراقب الله في مهنتي ، وان اصون حياة الانسان في كافة ادوارها في كل الظروف والأحوال باذلا وُسعي في استنقاذها من الهلاك والمرض والالم والقلق،وان احفظ للناس كرامتهم . واستر عورتهم واكتم سرهم ، وان اكون على الدوام من وسائل رحمة الله ، باذلا رعايتي الطبية للقريب والبعيد والصالح والخاطىء والصديق والعدو ، وان اثابر على طلب العلم ، اسخره لنفع الانسان لا لأذاه ، وان أوقر من علمني ، وأعلم من يصغرني واكون اخا لكل زميل في المهنة الطبية متعاونين على البر والتقوى ، وان تكون حياتي مصداق إيماني في سري وعلانيتي ، نقية مما يشينها تجاه الله ورسوله والمؤمنين .. والله على ما اقول شهيد .

القتال في الاسلام

شرع القتال تأمينا الأنفس والأموال

في أقل من ثلاثين سنة جمع الاسلام الأمة العربية ، ثم تناول من بقية الأمم مابين المحيط الأطلسي وتخوم الصين في أقل من قرن واحد .. وهو أمر لم يعهد في تاريخ الأديان ، ولذلك ضل الكثير في بيان السبب ، واهتدى اليه المنصفون .

أما الذين ضلوا في بيان السبب فقد كان ضلالهم بسبب الجهل بتعاليم الاسلام ، أو بسبب التطاول على الاسلام والكيد له .. ولذلك زعموا ـ بضلالهم ـ أن الاسلام لم ينتشر بهذه السرعة في تلك المدة الوجيزة الا بواسطة السيف واكراه الناس على الدخول فيه . جاهلين أو متجاهلين قول الله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) البقرة / ٢٥٦ .. وقوله جل شأنه :

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين

بعيداً عن جهل الجاهلين وإفك الأفاكين

للدعوة ودفاعاً عن الأعراض والديار

للشيخ محمد الأباصيري خليفه

نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)
الكهف / ٢٩

أما المنصفون فيعزون سرعة انتشار الاسلام الى سببها الحقيقي وهو ان الاسلام دعوة الى الحق ، ومساعدة المغلوبين . والى العدالة الاجتماعية ، والى الحرية في القول الطيب والعمل الصالح .. ودين يطارد رذائل الأخلاق وقبائح الأعمال ، ويتسامى بالنفوس البشرية ، ويحدد الحقوق ، ويساوى بين الناس في الحفاظ على النفس والدين والعرض والمال .. أحكامه ميسرة ، سهلة التعقل والادراك .

والمتأمل للآيات القرآنية التي وردت في القتال لايسعه ـ ان كان منصفا ـ الا الجزم بأن القتال في الاسلام إنما شرع تأمينا للدعوة ، ودفاعا عن الأنفس والأموال والأعراض والديار .

وهذه معاني الآيات التي وردت في القرآن الكريم خاصة بالقتال ومنها يتبين صحة ماذكرناه :ـ

أولا ـ جاء في سورة الحج آية هي أول ماأنزل في القتال ، وهي قوله تعالى : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**) الحج / ٣٩ و ٤٠ .. وهي تبين أن القتال أذن فيه للمسلمين بسبب ظلم الكفار لهم واخراجهم من ديارهم بغير حق ولاذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهذا الإذن قائم كلما وجد سببه .

ثانيا ـ جاء في سورة البقرة قول الله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**) . البقرة ١٩٠ ـ ١٩٤ .

هذه الآيات تبين أن الله أمر المسلمين بقتال طائفة مخصوصة من الكفار وهي التي تقاتل المسلمين وتخرجهم من ديارهم ، وتفتنهم في دينهم بإلحاق الأذى بمن آمن .. وجعلت لهذا القتال غاية ، وهي ألا تكون فتنة ويكون الدين لله بأن يكون الانسان حرا في دينه يدين به الله لا خوفا من عقاب يلحقه ، ولا طمعا في متاع يناله .. كذلك تثبت الآيات أن الفتنة « وهي الحاق الأذى بالمؤمن ومحاربته من أجل عقيدته » أشد من القتل لأن الاعتداء على العقيدة شر ما يكون من بني الانسان .. كذلك نهت الآيات عن الاعتداء وبينت أن الجزاء عند الاعتداء لاينبغي أن يتجاوز ما فعله البادي بالعدوان .

ثالثا ـ جاء في سورة النساء قول الله تعالى : (**ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) النساء / ٧٥ .

وهذه الآية تفيد أن للقتال سببين **أحدهما** : سبيل الله وهو ألا تكون فتنة ، فلا يحصل اعتداء على العقيدة التي هي حق الله ، وسبب للسعادة الدنيوية والأخروية .

وثانيهما : سبيل المستضعفين الذين كانوا مسلمين بمكة وحيل بينهم وبين الهجرة ، فقد عذبهم كفار مكة وفتنوهم عن دينهم حتى تضرعوا الى الله طالبين الخلاص . فهؤلاء لابد لهم من حماية

تـدفع عنهم أذى الظـالمين ، وتنيلهم الحرية فيما يعتقدون .

رابعا ـ جاء في سورة النساء قول الله تعالى : (**فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**) النساء / ٩٠ .

وهذه الآية نزلت في شأن قوم من المشركين لم يحبوا أن يقاتلوا المسلمين فاعتزلوا الفتنة جانبا ، وهي تفيد نهي المسلمين عن مقاتلة هذا الفريق بشرط أن يكون ميلهم الى المسالمة حقيقيا لا ذبذبة ولا خداع فيه . فان لم يكونوا كذلك فقد جعل الله للمسلمين عليهم سلطانا وأذن لهم بمقاتلتهم حتى يأمنوا شرهم وذلك معنى قول الله تعالى عقب الآية السابقة : (**ستجـدون آخـرين يـريـدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا**) النساء / ٩١ .

خامسا ـ جاء في سورة التوبة قول الله تعالى : (**وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفـر إنهم لا أيمـان لهم لعلهـم ينتهون . ألا تقاتلـون قومـا نكثوا ايمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشـوه إن كنتـم مؤمنـين**) التوبة / ١٢ و ١٣ فقد بينت هاتـان الآيتان أن من أسباب مقاتلة المسلمين للكفار نكثهم للعهود المعقودة بينهم وبين المسلمـين ، وعـودهم الى الطعن في الإسلام .

سادسا ـ كان بين اليهود بالمدينة الرسول صلى الله عليـه وسلم عهود مكتوبة نقضوها بالاتفاق مـع قريش والمنافقين على محاربة المسلمين في غزوة الأحزاب . فأمر الله المسلمين بقتالهم ، وهذا ما يستفاد من قول الله تعالى في سـورة التـوبـة : (**قـاتلـوا الـذين لا يؤمنون بالله ولا باليـوم الآخر ولا يحرّمون ماحرّم اللـه ورسولـه ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**) التوبة / ٢٩

ومعنى الآية : قاتلوا أهل الكتاب الموصوفين بهذه الأوصاف عندما يوجد موجب القتال كالاعتداء عليكم ، أو على بلادكم ، أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم حتى تأمنوا عداوتهم باعطائكم الجزية عن قدرة وسعة فلا يظلمون ولايـرهقون . وبـذلك تكسر شـوكتهم ويكفون عن الاعتداء عليكم .

والجزية قدر من المال يؤخذ منهم جزاء على ما التزمه المسلمون من الدفاع عنهم ، ويشهد بذلك أن الصحابة لما فتحوا الشام وضعوا الجزية على أهل حمص وأخذوها منهم ، ولكنهم لما وصل اليهم أمر أبي عبيدة بحضور موقعة اليرموك وترك حمص ، ردوا الى أهل حمص ما أخذوه من الجزية ، وقالوا إنا أخذناها جزاء المنعة ، وحيث اننا خرجنا

فقد أصبحنا عاجزين عما التزمنا به فوجب ردها ، فعجب أهل حمص من ذلك ودعوا لهم بالنصر .

هذا وقد كان أمر القتال أولا قاصرا على قريش ومن يمالئوهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب مع قريش على حرب المسلمين ، والوقوف في وجه الدعوة الاسلامية ، أذن الله بقتال المشركين كافة فقال تعالى :

في سورة التوبة : (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) الآية ٣٦ .

هذه هي آيات القتال في القرآن الكريم ناطقة وشاهدة على أن القتال لم يشرع في الإسلام لإكراه الناس على اعتناقه ، وإنما كانت مشروعيته لتأمين الدعوة ، والدفاع عن الأنفس والأوطان ، وحماية المستضعفين ومعاقبة الغادرين .

وقد أمر الاسلام المسلمين بالجنوح الى السلم متى جنح الأعداء اليه . قال تعالى : (**وان جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيَّدك بنصره وبالمؤمنين . وألَّفَ بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ماألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم**) الانفال / ٦١ ـ ٦٣ .

إننا نقدم هذا البيان ليتأمل المسلمون في كل مكان مشروعية القتال في الاسلام ، وليدركوا أن وضعهم الحالي من اغتصاب بلادهم ، وغزو ديارهم ، يفرض عليهم أن يعدّوا للأعداء ـ فورا وبلا إبطاء ـ كل مايستطيعون من قوة : « مادية ومعنوية » ليرهبوا عدو الله وعدوهم ، وأن يقاتلوهم حتى يخرجوا من الارض الاسلامية التي اغتصبوها واستولوا عليها ، فهذا هو الطريق الوحيد ، ولا شيء سواه يمكن أن يمنع الأعداء ..

وأمر عديم الجدوى أن تطلب الحقوق (بالمفاوضات والمحادثات) من أعداء غايتهم من العدو ان أن يردوا المسلمين عن دينهم ، كما قال الحق تبارك وتعالى : (**ولايزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا**) البقرة / ٢١٧

أيها المسلون إن الأعداء يمدون لكم حبل المحادثات والمفاوضات حول قضاياكم ليبعدوكم عن العمل الذي يجب عليكم اتخاذه : « وهو طرد المغتصبين والمحتلين والغزاة من بلادكم بالقوة مهما تكن التضحيات » وليستفيدوا من مضي الوقت التمكين والثبات في بلادكم ، وليصلوا بكم الى حالة من اليأس القاتل تمكنهم من زيادة الطغيان والإجرام .. فعليكم أن تستمعوا الى نداء الله ووعده لكم قبل أن يتمكن الداء ، ويصعب العلاج : (**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.**) محمد / ٧ . (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**) .. (**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**) محمد / ١١ .. (**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فَيَقتُلونَ ويُقْتَلُونَ وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) التوبة / ١١١ .

الملِك العالم

أبو الفِداء

للأستاذ : منذر شعار

في ملوك المسلمين ثلاثة عرفوا بحب العلماء وجمعهم وإفشاء آرائهم وكتبهم ورعايتهم ، وهم :
المأمون ، الخليفة العباسي ، ابن هرون الرشيد ، المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، بطوس .
وسيف الدولة الحمداني ، وكان أكثر من المأمون جمعاً للعلماء وترحيباً بهم ، وكان أمير دولة الحمدانيين في شمالي الشام ، وعاصمته حلب ، وهو ممدوح المتنبي الأكبر ، توفي سنة ٣٥٦ بحلب .

ثم أبو الفداء الأيوبي ، ملك حماة ، وهو أكثر الثلاثة إفشاء لعلم العلماء . إذ كان هو نفسه عالماً ضخماً ، ومصنفاً كبيرا ، ومؤرخاً وجغرافياً ملأ ذكره آفاق الأرض .وإنَّ اسم أبي الفداء اليوم مكتوب ـ بالخط العريض ـ على جدار قاعة الجمعية الجغرافية في باريس والى جانب كبار الجغرافيين العالميين ، بعد صدور عشرات الطبعات والترجمات لآثاره في الجغرافية والتاريخ على ما يليق بعالم كبير مثله لم يشغله الملك عن العلم ولا العلم عن قيادة الجيوش وحفظ الديار والقيام بحق الرعية . وهذه الكنية (أبو الفداء) هي عَلَمٌ على أبي الفداء ، ملك حماة في القرن الثامن الهجري ، ولم تعرف لمشهور معروف قبله ، لكن كثيراً من العلماء والأدباء في زمنه ، وبعده تكنَّوْا بهذه الكنية اقتداء به وتقرباً من منزلته، أشهرهم :

١ ـ الشيخ رشيد ، أبو الفداء ، اسماعيل المعروف بأبي المعلم ، وهو فقيه حنفي من أعلام الفقهاء والمفتين توفي سنة ٧٢٤ هـ ، بمصر ودفن ، بمقبرة القرافة ، وكان مولده بدمشق .

٢ ـ الحافظ ابن كثير ، المحدِّث والمفسرِّ والمؤرخ المعروف ، واسمه اسماعيل بن

شهاب الدين بن عمر بن كثير ، ألّف التفسير المعروف باسمه ، والبداية والنهاية في التاريخ ، وقد توفي سنة ٧٧٤ هـ . وكانت كنيته أبا الفداء .
٣ ـ أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن يونس البعلبكي عماد الدين من علماء الحديث الشريف ولد سنة ٧٢٠ هـ وتوفي سنة ٧٨٦ هـ .
٤ ـ سامي السراج . الكاتب المناضل القلمي ، في بكور هذا القرن ، وهو سوري الأصل ومن مدينة أبي الفداء الأيوبي حماة ، رحل الى مصر ، بعد خطوب سياسية ، واستقر فيها عُمْرَه ، يكتب في كبريات صحفها وصحف الشام والعراق ، فكتب في السياســة وكوكب الشرق ومصر الحديثة والجهاد ، وكان أديباً في اسلوبه سياسياً عربياً في مطروحاته ، وكان يوقع أكثر مقالاته بكنيته(أبي الفداء) وبها عرف عمره حتى وفاته في مدينة حماة عام ١٩٦٠ م .
ويلاحظ ان كل من تكنى بأبي الفداء كان اسمه اسماعيل ، كأبي الفداء ، ماعدا سامي السراج فانه تكنى بالكنية للحموية التي فيه ، ولمنزع فيه علمي مع منزعه الأدبي والسياسي .
واليوم ، تسمى حماة في سورية مدينة أبي الفداء ، وأول من سماها كذلك النادي الأدبي الحموي عام ١٩٢٥ م في مهرجان أدبي عربي دعي اليه الأقطاب من مصر والشام ، وجاء من مصر يومئذ شيخ العروبة أحمد زكي باشا ـ المحقق العالم ـ والدكتور محجوب ثابت ، وجدد يومئذ مرقد أبي الفداء في جامعه ، وشق طريق ، لاحب من قلب المدينة اليه ، يسمى حتى اليوم شارع أبي الفداء . وأصبح يقال لحماة من يومئذ مدينة أبي الفداء ، أما جِلَّةُ علماء المسلمين قبل ستمائة سنة فقد جرت اقلامهم بهذه العبارة : (قال صاحَب حماة) ، يعنون أبا الفداء ، كما يقول الأسنوي في طبقاته وابن كثير في البداية والنهاية والقلقشندي في صبح الأعشى .
وأبو الفداء هو اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي بن مروان . وشاهنشاه هو أخو صلاح الدين الأيوبي فيكون أبو الفداء من نسل أخيه ، وهؤلاء الآباء في نسبه كلهم ملوك في حماة ، اذ كانت حماة لهم من عهد عم ابن شاهنشاه وكان اسمه الديني تقي الدين ، وهو الملك المظفر الأول ، وكان محمود جد أبي الفداء هو الملك المظفر الثاني . وكان آباء أبي الفداء أمراء حماة وملوكها في عهد عاهل العائلة والاسلام السلطان صلاح الدين رحمه الله ، وخلفائه من بعده ، حتى خرج الملك من الايوبيين الى مماليكهم في مصر والشام فخرجت حماة فترة وجيزة من ملك آل أبي الفداء ، ثم أرجعها الى أبي الفداء نفسه سلطان المماليك بمصر : الناصر محمد بن قلاوون الذي كان شديد المحبة والاكبار لأبي الفداء .
وقد ولد أبو الفداء في دمشق بدار الزنجيلي وكان أهله قد جفلوا اليها من حماة أيام الغزو المغولي ، ثم عاد أبو الفداء مع اسرته الى حماة حتى تولاها واستوى على عرشها وانغمر وهو فيها بالحكم والعلم جميعاً .
وحماة مدينة تقع في وسط سورية الآن ، وهي المشهورة بالنواعير على نهرها

المشهور (العاصي) ، وقد ذكر حماة من الجغرافيين الرحالة المسلمين ابن بطوطة وابن‌جبير وابن سعيد الاندلسي وياقوت الحموي ، وابو الفداء نفسه ، اذ يقول : حماة من الشام مدينة أزلية ، ولها ذكر في كتب الاسرائيليين (يريد انها قديمة) وهي من أنزه البلاد الشامية ، والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها ، ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة ، وفي داخلها الأرحية على الماء . وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها ، ويدخل منها الماء الى كثير من دورها .

ويقول فيها أيضاً :

حماة على ضفة العاصي وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة ، وفيها نواعير مركبة على العاصي تدور بجريان الماء ويرتفع الماء الى الدور السلطانية ودور الأمراء والأكابر والبساتين ، وفي بساتينها الغراس الفائقة ، والثمار الغريبة ، وهي في غاية رفاهية العيش ، وحولها مروج فسيحة ممتدة يكثر فيها صيد الطير والوحش وليس في الماليك الشامية ـ بعد دمشق ـ لها نظير .

وقد نشأ أبو الفداء في هذه المدينة النَّزِهَة الجميلة . فشارك مع أهله في الحروب لصد الغزاة من صليبيين وتتار ، وأكب على طلب العلم ، فذكر ابن الشحنة استاذاً واحداً للملك أبي الفداء هو أثير الدين الأبهري ، أخذ عنه أبو الفداء الرياضيات والهندسة والهيأة (الفلك) وغيرها .

وذكر أبو الفداء لنفسه استاذاً آخر هو القاضي جمال الدين محمد بن واصل الحموي ، في معرض ذكره وفاته (سنة ٦٩٦ هـ) وابن واصل هو مؤلف تاريخ : « مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب » الذي حققه الدكتور جمال الدين الشيال بمصر . وذكر أبو الفداء أنه كان يأخذ عن ابن واصل حلا واضحاً لاشكالات كتاب اقليدس ، ويستفيد منه ، ويعرض عليه ما يحل بنفسه .

وقد مهر أبو الفداء في علوم شتى كالفقه والتفسير والأصلين والنحو وعلم الميقات والفلسفة والمنطق والطب (مع الاعتقاد الصحيح) والعروض والأدب والتاريخ والنظم والنثر وغير ذلك ، وكان شاعراً مرموقاً .

أما تصانيفه الجليلة فهذه هي :

١ ـ المختصر في أخبار البشر
٢ ـ تقويم البلدان
٣ ـ الكناش
٤ ـ العروض والأطوال
٥ ـ نظم الحاوي الصغير
٦ ـ الموازين
٧ ـ التبر المسبوك في تواريخ الملوك
٨ ـ مختصر اللطائف السنية في التواريخ الاسلامية
٩ ـ شرح نظم الكافية
١٠ ـ نوادر العلوم

١١ ـ مجموع في الأخلاق والآداب والزهد والوعظ

وان أشهر هذه المؤلفات لأبي الفداء كتاباه في التاريخ والجغرافية ، أي كتاب المختصر في أخبار البشر ، وكتاب تقويم البلدان .

أما كتاب المختصر فهو كتاب في التاريخ العام في أربعة أجزاء ، أرَّخ فيه للبشرية منذ الخليقة حتى سنة ٧٢٩ هـ ، وهي توافق ١٣٢٩ م ، أي الى ما قبل وفاة أبي الفداء بقليل . يقول حاجي خليفة في (كشف الظنون) :

« ان المختصر في اخبار البشر في مجلدين للملك المؤيد صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، أورد فيه التواريخ القديمة والاسلامية ليكون تذكرة » مغنية عن مراجعة الكتب المطولة ، واختصرهمن الكامل (يعني من ابن الأثير) وغيره ، ورتبه على السنين .... »

ولما فشا الكتاب احتفل العلماء به ، فاختصره ابن الوردي بعد ما رآه « ندرة من الكتب » وزاده حسناً فألحق به أعياناً وسماه (تتمة المختصر) وذيله من حيث وقف أبو الفداء الى آخر سنة ٧٤٥ للهجرة .

كما اختصره أيضاً ابن الشخنة المتوفى سنة ٨١٥ للهجرة ، وذيله الى زمانه وسماه : روضة المناظر في علم الأوائل والآواخر . وهذان الكتابان مطبوعان سنة ٧١٠ هوقد فشا الكتاب الفدائي (المختصر) في أوروبا مترجماً الى اللاتينية في القرن الثامن عشرة فأصدره ريسكا وإدلر في فيينا مترجماً مع الأصل العربي في خمسة مجلدات كبيرة سنة ١٧٩٤ للميلاد . ومن قبل ذلك ، بسنين ، وفي غوتنجن .. نشرت قطعة منه مع ترجمتها وشروحها عام ١٧٧٦ م ، كما نقلت قطعة أخرى منه الى الفرنسية ونشر في باريس باشراف « دوفرجيه » . كما ترجم موراي Mourrayجزءاً منه الى الانكليزية . ثم طبعه في الآستانة نقلاً عن طبعة أوروبة عام ١٨٦٩ م ، كما طبع، العلامة فلا يشر قسماً منه تحت عنوان :

Abulfedaa Historia — H . o . Fleisher

وذلك في ليبزيغ عام ١٨٣١ وجعل فيه النص العربي مع الترجمة اللاتينية .

وأما كتابه (تقويم البلدان) فهو الأكثر شهرة عند الغربيين ، وكانوا به أشد احتفالاً وله أكثر تلقفا ، فطبعه في لندن بالعربية واللاتينية ، وطبع منه في ليبزيغ ما يتعلق منه بخوارزم وبلاد ماوراء النهر والشام ، وطبع في غوتنفن عن افريقية ، وترجمه (رينو وجوبار) الى الفرنسية ، وطبعاه في ثلاثة مجلدات سنة ١٨٨٣ ، والفرنسيون يسمون هذا الكتاب (جغرافية أبي الفداء) ، وان نسخا مع ترجمتها من هذا الكتاب موجودة في فيينا وباريس ، ويوجد في مكتبة ليدن تحت رقم ٧٢٧ النسخة المخطوطة التي صححها أبو الفداء نفسه من هذا الكتاب حسب ما نقل الدكتور عبد الرحمن حميدة في كتابه أعلام الجغرافيين عند العرب .

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة من (تقويم البلدان) مخطوطة على الصحيفة الأولى منها أبيات من نظم شرف الدين الحسين بن ريان يثني فيها على المؤلِّف والمؤلَّف ، وهي :

كتـاب بـديـع نظمـه واختـراعـه ... وابـداعه قـد فـاق تـأليفـه الكتبـا
تضمن من وصف البـلاد غـرائبـا ... محـاسنها كـل العقـول بهـا تسبى
وتـرتيبه في غـايـة الحسن واضـح ... وقد راق حتى خلت ألفاظه الصهبا
فـأكرم بمن أبـدى وأبـدع وضعـه ... وفـاق به الآفـاق والسبعة الشهبـا
هو الملك الضرغام ذو الهمـة التي ... تعالت على الأفلاك واستعلت القطبا
تـراه مجـدا في العلـوم محصـلا ... حريصا عليها مستهامـا بها صبـا
أقـام منار الفضـل بعد انهـدامـه ... وقد كان قبـل اليوم إيجـابه سلبـا
لـه راحة للنـاس والجـود تـرتجى ... فيوم العطا بحرا ويوم السطا حربا
اذا استلت البيض الصوارم في الوغى ... علمنا بأن البرق يستوطن السحبـا
وان سار في جيش سرى النصر فوقه ... وأحلـل اذ ذاك الجناحـين والقلبـا
فـلا زال منصـورا بجـد مظفـرا ... « يؤيده » ما استوجب المصدر النصبا

عجز البيت السادس للمتنبي في مديحة له في سيف الدولة والبيت بتمامه :
أرى كلنـا يبـغى الحيـاة لنفسـه ... حريصا عليها مستهامـا بها صبـا

فجعله ابن ريان في هذا السياق موفقا ، وقوله في آخر بيت ، في العجز (يؤيده) تورية بلقب أبي الفداء السياسي وهو « الملك المؤيد وقد بدأ ابو الفداء كتابه هذا بمدخل كوزموغرافي بعد أن مهد له بمقدمة بين فيها الدافع الى تأليفه ، وهو أنه لم يجد كتابا جغرافيا قبله موفيا بغرضه ، وكان يود لو أن المؤلفين الجغرافيين قبله ذكروا الإحداثيات الجغرافية للمناطق التي يدرسونها ، من طول وعرض ، ولم يهملوا ضبط الأسماء .

ثم يدرس أبو الفداء ، بعد المدخل ، الكرة الأرضية كلها ، على هذا الترتيب .

جزيرة العرب ، مصر ، المغرب ، افريقية الاستوائية ، أسبانيا والجـزر الشمالية ، بلاد الشام ، بلاد ما بين النهرين ، خوزستان ، فارس ، سجستان ، البنجاب ، الهند والصين ، الجزر الأندونيسية وبحـر الصين ، أرمينيـة ، القفقاس ، ايران الشمالية ، أقاليم الخزر ، خراسان ، طخارستان (وهو اقليم يقع اليوم في كل من ايران الشمالية الشرقية وجمهورية تركمانستان السوفييتية) . خوارزم وبلاد ما وراء النهر (أي شرقي آموداريا) .

وخطة أبي الفداء في ذكر هذه الفصول تشمل جزأين :

فالأول : نظرة اجمالية للمنطقة ، وصف حدودها وتضاريسها وأقسامها السياسية وعناصرها العرقية وعاداتها الطريفة ، ويذكر أيضا أبنيتها الأثرية ذات القيمة ، والمسالك المعروفة .

والثاني : جداول تشتمل على هذه الحقول .

١ ـ المصادر التي منها استقى أبوالفداء المعلومات .
٢ ـ درجة طول المدن الرئيسة وعرضها .
٣ ـ الاشارة الى المناخ والاقليم .

٤ ـ ضبط كتابة الأسماء .
٥ ـ وصف موجز خاطف لكل مدينة .
ويرى الدكتور عبد الرحمن حميدة (وهو رئيس قسم الجغرافية في جامعة دمشق) أن هذه الجداول هي أعظم شيء في كتاب أبي الفداء ، وهي التي أحلته المقام السامي عند علماء الغرب ، ويقول : إن أبا الفداء استقى هذا التنظيم الجدولي من طبيب عربي ظهر في القرن العاشر الميلادي وهو (ابن جزلة) وطبقه أبوالفداء على الجغرافيا « فكان مبدعا حقا ورائدا ذا أصالة » .
وكان « حاجي خليفة » قد ميّز (تقويم البلدان) هذا عن أمثاله من الكتب الجغرافية ، ككتاب ابن حوقل والشريف الإدريسي وابن خرداذبة ، وغيرهم ، وميزه أيضا عن الكتب المؤلفة في تصحيح الأسماء ككتاب الأنساب للسمعاني والمشترك لياقوت ومزيل الارتياب ، والفيصل ، وجميعها لم يشتمل إلا على القليل بينما كان كتاب أبي الفداء محيطا بما سبقه من كتب في هذا الفن .
وأما كتاب أبي الفداء (الكُنّاش) فهو مجلدات كثيرة ذكره الخفاجي ، ولم يطبع بعد ، والمجلد . الأول موجود في دار الكتب المصرية وقد كتب على أغلب كراساته :
« بلغ مقابلة بين يدي مؤلفه أدام الله أيامه » ، وبظهر الورقة الأولى منه خط صاحب (كشف الظنون) حاجي خليفة المتوفى بالقسطينطينية سنة ١٠٦٧هـ .
وأول الكتاب « الحمد لله الذي ليس لعلمه غاية ، ولا لجوده نهاية ... » ثم ... «قال مؤلفه : هذا كتاب كناش مشتمل على عدة كتب : الكتاب الأول في النحو .. » وقال في آخره :
« وكان الفراغ من جمعه وتأليفه في العشر الأول من شعبان سنة ٧٢٧هـ .
ومعنى (كُنَّاش) الأصل الجامع لعدة فروع » .
وأما كتاب أبي الفداء « العروض والأطوال » فيبحث في بعد البلدان الأقصى عن خط الاستواء . وأما « نظم الحاوي » ؛ فالحاوي كتاب فروع معتبر عند السادة الشافعية ، وأبو الفداء شافعي ، والحاوي كتاب وجيز اللفظ ، بسيط المعاني ، مهذب المباني ، حسن التأليف والترتيب ، كما هو جيد التفصيل والتبويب ، وقد نظمه غير رجل في الملّة ، منهم أبو الفداء ، وقد شرح منظومته الحاويَّة القاضي البارزي الحموي المتوفي سنة ٧٣٨هـ .
وباقي كتب أبي الفداء مخطوط حتى اليوم ، وبعضها لم يجمع على ذكره أصحاب التراجم ولكن ذكره علماء أفراد كابن الشحنة الذي ذكر له « نوادر العلوم » .
وكتابه « التبر المسبوك في تواريخ الملوك » فيه تاريخ المماليك الترك والجراكسة سلاطين مصر والشام ، وقالت فهرسة دار الكتب المصرية انه يبتدىء بسلطنة شمس الملوك دقماق السلجوقي المتوفي سنة ٤٩٩هـ .
هذا ولأبي الفداء بلاء في الحرب وجهاد الصليبيين ، فقد حضر حصار حصن

المرقب سنة ٦٨٤هـ وسنه لا تتجاوز الثانية عشرة وكان مع والده في جيش سيف الدين قلاوون ، وقد انتصر المسلمون يومئذ وكان يوما مشهودا ، كما اشترك أبو الفداء ، في السنة نفسها ، في حصار طرابلس الشام مع السلطان قلاوون وكان أبوالفداء بصحبة والده وابن عمه الملك المظفر ملك حماة وقد انتصر المسلمون أيضا يومئذ وطردوا الافرنج عن طرابلس .

وتوالت حروب أبي الفداء مع العساكر المصرية القلاوونية في الشام وتركية ، كما تصدى للتتار سنة ٧٠٢هـ في الشام وهزمهم ومن معه من القواد هزيمة منكرة .

وقد كان عهد أبي الفداء ـ ملكا ـ في حماة عهد ازدهار علمي وأدبي . فاستحضر العلماء من شتى البلاد ، فجاءه منهم كثيرون منهم ابن مالك الذي ألف في حماة ألفيته المشهورة في النحو ، المعروفة اليوم بألفية ابن مالك وأولها .

كـلامنـا لفظ مفيـد كـاستقـم   واسم وفعـل ثـم حـرف الكلم

قال ابن الوردي : « أخبرني شيخنا قاضي القضاة شرف الدين هبة الله البارزى المتوفى بحماة سنة ٧٣٨ قال : نظم الشيخ جمال الدين الخلاصة (الألفية) بحماة برسم اشتغالي فيها وكنت شابا وخدمته ، ولقد رأيت بركة خدمتي له .»

وقال المقري صاحب نفح الطيب : « تصدر ابن مالك في حماة مدة » .

وقال العجيبي التلمساني المغربي سنة احدى وثمانين وسبعمائة : « ذكر لي من أثق بقوله انه صنفها برسم القاضي شرف الدين بن هبة الله البارزي » . وقال شمس الدين أبوالخير محمد الجزري في طبقات القراء : « نظم ابن مالك الخلاصة (الألفية) بحماة للشيخ شرف الدين البارزي ، ولابن الوردي إجازة بقراءة الألفية عليه الى القاضي شهاب الدين أحمد بن الريَّان ، وان هبة الله البارزي أجاز ابن الوردي بالخلاصة (الألفية)عن ناظمها . »

ويذكر الأستاذ حسان العظم رحمه الله في بحث له عن حماة في عصر أبي الفداء أن ابن مالك نظم الألفية في جامع (القاق) بحماة ، ويطلق عليه الحمويون جامع (القان) ، ويظن الأستاذ إحسان العظم انه كان موجودا بالقرب من دار البارزي (أي أسفل الباشورة قرب متحف حماة حيث دور أبي الفداء) .

وممن وفد على أبي الفداء بحماة فعاش في رحابه وجرى في ركابه جمال الدين ابن نباتة المصري الأديب العلامة المشهور ، وألف في حماة لأبي الفداء عظام كتبه المعروفة المشهورة الآن ؛ وهي : « مطلع الفوائد ومجمع الفرائد » ، وكتاب « سجع المطوّق » وكتاب « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » وكتاب «الفاضل في انشاء القاضي الفاضل » وكتاب «زهر المنثور » وكتاب «شعائر البيت التقوي » (وهو بيت ملك أبي الفداء) ورسالة السيف والقلم ، وجمع مدائحه في أبي الفداء في ديوان سماه (المؤيدات) ، ومن قوله له فيه :

لا غـرو أن سليـت عـن   بلـوى حشـاي الـذاكـرة
فلقـد وجـدت ديـار ملـ   ـكـك بـالسـعـادة عـامـرة
قـهـرت « حمـاة » لي العـدا   « فحمـاة » عنـدي « القـاهـرة »

ويالها من تورية هنا بديعة .

وقال أيضا في حاله بحماة :

كلما كنت في حماة على خير موطن
أجد الخير والندى « فحماتي تحبني »

وجاء من مصر أيضا الى ديار أبي الفداء الشاعر المشهور يومئذ محمد بن علي ابن محمد ، شمس الدين ، أبوعبد الله المعروف بابن طرطير ، وكان يتردد بين دمشق وحماة ثم مات بحماة سنة ٧٦٢هـ .

ووفد خلق كثير من العلماء والأدباء الى حماة يفسح لهم ملكها العلامة كل مكان ويستقبلهم بكل سرور ورعاية ، من هؤلاء الأبهري وابن خطيب الدهشة الفيومي صاحب معجم (المصباح المنير) ، وصفي الدين الحلي الذي رثى أبا الفداء لما مات بتخميس نونية ابن زيدون المشهورة ، وهذا مقطع منها فيه ذكر العاصي والقصر والمرقب اللذين بناهما أبو الفداء قرب جامعه الموجود حتى الآن .

اذا ذكرت حمى العاصي وملعبه والقصر والقبة العليا بمرقبه
اقول والقلب سار في تلهبه يا ساري البرق غاد القصر واسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

ونود أن نشير الى أن شهرة ابن تيمية رحمه الله يعود أكثرها الى مدينة حماة ، لأنه منها وجه اليه سؤال خطير يومئذ في عام ٦٩٨هـ (في زمن أبي الفداء) وهو :

ـ ما قول السادة الفقهاء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى في سورة طه : « **الرحمن على العرش استوى** » وقوله في سورة يونس والرعد والفرقان والسجدة والحديد « **ثم استوى على العرش** » وقوله في سورة فصلت : « **ثم استوى الى السماء وهي دخان** » الى غير ذلك من الآيات ، وأحاديث الصفات كقوله صلى الله عليه وسلم : « قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن » وقوله : « يضع الجبار قدمه في النار » الى غير ذلك وما قالت العلماء فيه ، وابسطوا القول في ذلك مأجورين .

فأجاب الشيخ ابن تيمية على ذلك ، وأصدر « الفتوى الحموية الصغرى » ثم « الفتوى الحموية الكبرى » وجرى له ما جرى من المحنة بسبب آرائه وتطبيق شهرته الآفاق وموته أخيرا في قلعة دمشق ، رحمه الله .

وقد توفي الملك العالم أبو الفداء في الثالث والعشرين من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وقبره في جامعه الموجود حتى الآن واسمه جامع أبي الفداء ، والعامة تسميه (جامع الحيايا) للنقوش الحجرية البارزة التي فيه وتشبه الحيَّات . وللأستاذ كامل شحادة الملحق الفني في مديرية الآثار بمدينة حماة بحث ضاف أثري في هذا الجامع وفي المقابر الأيوبية التقوية خارجه ، وفي ضريح أبي الفداء ، وفي سائر آثار ملك حماة العمرانية .

المؤمن بين خمس شدائد

للأستاذ / عمر حافظ سليم عاصي

إن طريق الايمان بالله سبحانه طريق طويل ، وهو مع طوله هذا ليس مفروشا بالورود والرياحين وانما هو محفوف بالشدائد مملوء بالمتاعب .

وهذا هو قدر المؤمنين الذين رضوا بالله ربّا وبالاسلام دينا وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا .

وصدق الله العظيم إذ يقول : **(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ○ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)** ١ـ٣ / العنكبوت .

والناس تجاه هذه الشدائد التي يمتحنهم الله بها ينقسمون الى فريقين : فريق يرضى ويتحمل ويصبر وفريق يسخط ويضعف وييأس ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط .

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذ يقول : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » رواه الترمذي وقال : حديث حسن وفي حديث من احاديثه التى لا ينطق فيها عن الهوى بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشدائد والفتن

والأهوال والمكاره التي تحيط بكل مؤمن مخلص لله في إيمانه .

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يقاتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » أخرجه ابو بكر بن لال من حديث أنس . وأود في هذا المقام أن أتعرض لكل واحدة من هذه الشدائد بشيء من الوضوح والتفصيل حتى نقف جميعا على خطرها ونحاول اتقاء شرها .

● ـ مؤمن يحسده :

فالحسد آفة من آفات القلب اذا لم يتخلص المؤمن منها فقد تذهب بايمانه ، مثل ما يحدث في عالم النبات اذا لم يتطهر من الآفات والحشرات فانها تجعله يذبل شيئا فشيئا حتى تقضي عليه .

ولقد بيّن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك حين قال في حديثه الشريف :

« دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد ، والبغضاء هي الحالقة ، أما اني لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » رواه البيهقي .

ويقول ايضا : « ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » رواه الترمذي واحمد

ذلك فضلا عن ان الحسد يتعب صاحبه في دنياه فيجعله في تفكير دائم وهم لا ينقطع حيث ينظر الى غيره من الذين أعطاهم الله من متع الحياة فيقول في نفسه : لماذا أعطى الله هؤلاء ولم يعطني ؟ لماذا أنعم الله على هؤلاء ولم ينعم عليّ ؟ وبذلك يعيش قلقا حزينا . بل يصل الأمر بالحاسد أحيانا الى أن يكفر بالله « نعوذ بالله من ذلك ».

وهكذا نجد أن الحسد مرض فاتك له عواقبه الوخيمة واضراره الجسيمة التي قد تذهب بايمان المؤمن ، بل انه يهبط بصاحبه ويقوده الى ارتكاب الجريمة في بعض الأحيان .

واصدق دليل على ذلك أن أول جريمة قتل ارتكبت على وجه الارض كان سببها الحسد ، وقد وقعت تلك الجريمة بين ولدي آدم (**قابيل وهابيل**) حيث طوعت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه (هابيل) فقتله حقدا وحسدا عليه ، وقد قص القرآن الكريم تلك القصة حيث قال تعالى : **(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ○ لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديّ اليك لاقتلك إني اخاف الله رب العالمين ○ إني اريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ○ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين)** المائدة/٢٧ـ٣٠

ويرى الإمام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » أن اسباب الحسد تتمثل فيما يأتي :

١ ـ **العداوة والبغضاء** : وهذا اشد اسباب الحسد ، فإن من آذاه شخص بسبب من الاسباب أو خالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد . والحقد يقتضي التشفي والانتقام ، وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما .

٢ ـ **التعزز** : وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره ، فاذا اصاب بعض امثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبّر عليه ، وهو لا يطيق تكبّره ، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه .

٣ ـ **الكبر** : وهو ان يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له ، فاذا نال نعمة خاف أن لا يتحمل تكبره ويترفع عن متابعته أو ربما يتشوف الى مساواته .

٤ ـ **التعجب** : كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة اذ قالوا : (**ما أنتم إلا بشر مثلنا**) يس/ ١٥ . (**فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا**) المؤمنون/٤٧ . فتعجبوا أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم .

٥ ـ **الخوف من فوت المقصد** : وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد ، فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له من الانفراد بمقصوده .

٦ ـ **حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه** : وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون ـ اذا غلب عليه حب الثناء من أنه وحيد الدهر وفريد العصر وأنه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال نعمته .

٧ ـ **خبث النفس** : وشحها بالخير لعباد الله تعالى ، فإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى ، أنعم الله عليه . يشق ذلك عليه ، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوت مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به . ا.هـ

إلا أن من الحسد نوعا محمودا يكون في موضعين ذكرهما الرسول في حديثه حين قال : لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » رواه ابن عبد البر النمري في كتابه بهجة المجالس .

● ـ ومنافق يبغضه ●

اهل النفاق موجودون في كل زمان ومكان ، ولقد ابتلي بهم المؤمنون في كل عصر من عصور الدعوة الاسلامية بل إن الرسول نفسه عانى منهم كثيرا فقد دبّروا له الفتن والمكائد ونكثوا معه العهود . بل تفاقم خطرهم وامتد كيدهم الى طعن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عرضه وشرفه حيث

رموا زوجه أمّ المؤمنين عائشة بالزنا فيما يعرف بحادث الإفك ، وقد نزل الوحي من فوق سبع سموات ببراءتها مما رُميت به .

قال تعالى :(**ان الـذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ○ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هـذا إفك مبين**) الآيات من ١١ـ١٢/النور .

وكان الذي تولى كبر هذا الحادث وقيادة المنافقين في إذاعة أنبائه الكاذبة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وذلك نتيجة الحقد والحسد والكيد للدعوة ولصاحب الدعوة .

لذلك فان خطر المنافقين هو اشد واعظم من خطر أعداء الاسلام من الكفار والمشركين من جهة أن الكفار أمرهم ظاهر وكفرهم بَيّن أما هؤلاء المنافقون فانهم يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإيمان .

ومن رحمة الله سبحانه بعباده المؤمنين أنه لم يتركهم فريسة لنفاق المنافقين ، وانما حسم الامر فبيّن صفاتهم وسماتهم حتى يكون المؤمنون على علم بهم فيتقوا شرهم ويأمنوا بوائقهم .

قال تعالى في سورة البقرة : (**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ○ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ○ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ○ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون ○ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ○ واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ○ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ○ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**) ٨ـ١٥/البقرة .

ومن شدة خطرهم اختصهم الله سبحانه بسورة كاملة في القرآن الكريم هي « سورة المنافقون ».

ثم بعد ذلك نجد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بيّن صفاتهم بعض أحاديثه الشريفة . يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ثلاث من كُنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم : من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ». رواه ابو يعلي .

ويقول الرسول ايضا : « اربع من من كُنّ فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ». رواه احمد

كما يقول عليه الصلاة والسلام : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر »

رواه البخاري ومسلم .

○ ـ وكافر يقاتله ○

وهذا هو شأن الكفار منذ أن خلق الله البشرية والى يومنا هذا ، وهذه هي طبيعتهم ، يكيدون للمؤمنين برسالات الله حسدا من عند أنفسهم ويقاتلونهم حقدا عليهم .
لقد وقفوا من كل الأنبياء موقف المعاندين المستهزئين ، قال تعالى : **(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا)** ٣١/الفرقان .
كما أنهم تعرضوا بالايذاء والتعذيب لكل أتباع الأنبياء عندما كانوا قلة مستضعفين وحسبنا أن نستدل على صدق ذلك بموقف الكفار من محمد ودعوته ، وموقفهم من الذين اتبعوا محمدا ، وآمنوا بدعوته .

○ موقف الكفار من محمد ودعوته ○

لقد وقف هؤلاء الكفار من دعوة «محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ موقف المعاندين المكذبين ، ولم يكتفوا بالعناد والتكذيب فحسب ، وإنما دبّروا العديد من المحاولات لقتل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أنهم كانوا يتعرضون له كثيرا بالسب واللعن والإيذاء . ونستشهد على ذلك بما حدث منهم في الطائف يوم ذهب اليها الرسول كي يدعو أهلها الى عبادة الله الواحد ونبذ عبادة الأصنام والأوثان .

لقد أغروا به سفهاءهم وصبيانهم فخرجوا يرمونه بالحجارة ويتابعونه بالسب والشتم ، فاذا به يأوي الى بستان هناك يستظل به ثم يدعو الله قائلا :
« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربي . الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٢ ص ٦١ طبعة بيروت لبنان
كما نستشهد على كيد الكفار للرسول بما حدث منهم يوم أن علموا أنه مهاجر من مكة الى المدينة فقد اجتمعوا في دار الندوة كي يضعوا خطة لقتله والقضاء عليه ، وأخذوا يتشاورون فيما يصنعون بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاجتمع رأيهم أخيرا على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، كي لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعا ، وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمره بالهجرة وينهاه أن ينام في مضجعه تلك الليلة » سيرة ابن هشام

١/٣٠٤ .

وقد أعلم الله رسوله بما حدث في ذلك الاجتماع حيث قال : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**) ٣٠/الأنفال . وغير ذلك كثير مما لا قاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أذى الكفار . ولكن الله نجاه بفضله من كيدهم وشرهم وكتب لدعوته البقاء ولكيدهم الفشل والفناء .

○ موقف الكفار من أصحاب محمد

كما تعرض أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - للإيذاء والتعذيب من جانب هؤلاء الكفار : (**فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين**) آل عمران/١٤٦ .

- فهذا بلال بن رباح - العبد الحبشي الذي أصبح مؤذن الرسول - عندما آمن برسالة محمد استعمل معه الكفار العذاب ألوانا فكانوا يأتون به في حر الظهيرة فيطرحونه على ظهره ويضعون الأحجار على صدره في سبيل أن يكفر بدعوة محمد ولكنه يأبى ويظل يردد : أحد ، أحد .

★ وهذا سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - يسمع عن دعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيؤمن بها ، فتعلم أمه نبأ اسلامه ، فتستعمل معه العديد من المحاولات كي يرجع الى دين آبائه وأجداده ، حتى أنها خيرته بين أن يكفر بمحمد أو أن تمتنع عن الطعام والشراب فأبى أن يكفر فامتنعت عن تناول الطعام والشراب أكثر من يوم ، ولما رأى سعد أن أمه قد أجهدها التعب ، وأصابها الهزال قال لها : يا أمي والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا على أن أرجع عن دين محمد ما فعلت فكلي واشربي » .

★ وهذا عمار بن ياسر وأسرته - رضي الله عنهم - يعذبون لأنهم آمنوا بدعوة محمد ، ويمر بهم الرسول ذات يوم فيجدهم يعذبون فيقول لهم : «صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة » سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٢ طبعة بيروت . لبنان .

★ وهذه سمية أم عمار بن ياسر كانت تعمل خادمة عند أُبَيْ بن خلف رأس الكفر ، وما أن علمت بدعوة محمد حتى آمنت به ، فاستعمل معها كافة أنواع التعذيب حتى يرجعها عن ذلك الدين الجديد لدرجة أنه - كما يروى - كان يكويها بالحديد المحمي بالنار على جسمها ، وهي المرأة الضعيفة ، ويعلم الرسول بذلك فيبعث اليها من يقول لها : «يا سمية محمد يقرئك السلام ويقول لك : انطقي بلسانك بكلمة الكفر ما دام قلبك مطمئنا بالايمان » ولكن سمية تأبى ذلك وترد على الرسول قائلة : «والله لن أنجس لساني بكلمة الكفر بعد أن طهره الله منها » .

○ - وشيطان يضله ○

فلقد أخذ الشيطان عهدا على نفسه

باغواء بني آدم واضلالهم وذلك منذ أن طرده الله من الجنة : (**قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين)** ٨٢ و ٨٣/ص . (**قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)** ١٦ و١٧/الأعراف .

وهو لا ينام عن ذلك ، فلقد سئل الحسن فقيل له : يا أبا سعيد : أينام الشيطان فتبسم وقال : لو نام لاسترحنا ، بل انه يسلك طرقا مختلفة ويدخل من مداخل متعددة إن أغلق مدخل منها دخل من غيره ، يؤكد لنا ذلك ويوضحه ما رواه أحمد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «ان الشيطان قعد لابن آدم بطرقه ، فقعد له بطريق الاسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال : فعصاه وأسلم ، قال : وقعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماءك ، وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال : تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه وجاهد .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » .

ومداخل ابليس أكثر من أن تحصى ومنها كما جاء في كتاب «احياء علوم الدين » للإمام الغزالي :

الغضب - الشهوة - العجلة - الحسد - البخل - الكبر - سوء الظن بالمسلمين ... الخ .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد » متفق عليه .

وهكذا نجد أن هذه الشدة تفوق كل الشدائد ، وأن الشيطان هو العدو الأكبر للمؤمنين . ولذلك فقد أمر الله بالحذر منه فقال : (**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم**) ٢١/النور . كما أمر الله عباده المؤمنين أن يتخذوا هذا الشيطان عدوا وأن يحترسوا منه أشد الاحتراس فقال (**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**) ٦/فاطر . وفي استطاعة كل مؤمن مخلص أن يسد تلك المداخل التي يدخل منها الشيطان ، وأن يقي نفسه من شروره ، وذلك عن طريق تقوى الله تعالى ، والاستعاذة به ، ودوام ذكره ، ومراقبته وحسن عبادته قال تعالى : (**وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم . إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من**

الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ٢٠٠و٢٠١/الأعراف .

○ ونفس تنازعه ○

وهذه الشدة من أخطر الشدائد التي تحيط بالمؤمن ، وذلك لأن نفس الانسان كثيرا ما تقوده الى مواطن الشر والرذيلة وتورده موارد الهلاك وتنأى به عن مواطن الفضيلة ، ولا يسلم من شر النفس إلا من عصمه الله تعالى كما ورد ذلك على لسان يوسف في القرآن الكريم : **(وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)** ٥٣/سورة يوسف .

كما أن نفس الانسان التي تشتهي وتطوع وتسول له فعل الفاحشة ، ونستطيع أن نجد البرهان على ذلك فيما قصه القرآن الكريم عن السابقين ، فقد جاء فيه أن النفس هي التي طوعت لقابيل قتل أخيه هابيل ، قال تعالى : **(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)** ٣٠/المائدة .

كما أنها أيضا هي التي سولت لاخوة يوسف أن يفعلوا ما فعلوا به من أخذه والقائه في غيابة الجب ، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : **(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)** ١٨/يوسف .

○ رضا الله في مخالفة النفس ○

والناس تجاه نزعات النفس ينقسمون الى فريقين : فريق يعرف لنفسه حقها فهو يترفع بها عن الفاحشة وينأى بها عن الرذيلة ، وفريق يهمل في حق نفسه فهو لا يستطيع مقاومة نزعاتها ووساوسها وهذا هو الظلم بعينه .

وقد وصف الله تعالى الفريق الأول بالفلاح كما وصف الفريق الآخر بالخيبة .

قال تعالى : **(قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها)** ٩و١٠/الشمس .

والمؤمن الذي رضى بالله ربّا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا يؤدب نفسه أولا بأول ولا يهمل تأديبها فهو يخالفها عندما تأمره بما نهى الله عنه تنفيذا لقول الشاعر :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما ... فأنت تعلم كيد الخصم والحكم
والنفس كالطفل ان تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وبعد :

فان الشدائد تحيط بالمؤمن المخلص لله في إيمانه من كل جانب ، وهي في عصرنا هذا أشد مما سبقه من عصور ، وذلك نظرا لكثرة المغريات والمفاتن ونظرا لحقد الأعداء على الاسلام وكيدهم للمؤمنين .

فعليك أيها المؤمن أن تواجه المصاعب بثبات ويقين وأن تستعين عليها بالله وعليك ألا تلين أو تضعف في مواجهة الحاقدين والحاسدين والكفار والمنافقين وعليك ألا تستسلم لوساوس الشيطان والنفس .

لماذا أسلم؟

للأستاذ / محمد عبد العزيز البتشتي

يزداد نشاط المبشرين المسيحيين في بلاد العالم الثالث متخذين من تخلف شعوبها ، وجهلها بحضارة الاسلام وسيلة ينفذون منها إلى تسميم عقول الشباب والضعفاء ..

في أندونيسيا طرقوا كل باب ، وسلكوا كل الوسائل ليحولوا ضعفاء المسلمين عن الاسلام .. أفلحوا في أقل من القليل ، تحت وطأة الفقر والمرض .. وكان في المقابل أن كثيرا من البوذيين الذين اعتنقوا المسيحية ، بعد قليل تحولوا عنها إلى الاسلام .. كانت دراستهم للاسلام دراسة دقيقة عميقة ، فاعتنقوه ، وأصبحوا دعاة له ..

باباسيون رئيس المسلمين الصينيين !!!

دعاني طلبتي في كلية « التربية » بقاروت (إحدى مدن محافظة باندونج بأندونيسيا) لأصاحبهم في الاستماع إلى محاضرة يلقيها « باباسيون رئيس المسلمين الصينيين » في مدينة (تشك ملايا) ويقومون بترجمة محاضرته ..

تحدث باباسيون ـ وهو شخصية مهيبة قوية ـ وكان بوذيا واعتنق المسيحية ، ثم تحول عنها إلى الاسلام ـ حديثا طويلا قال فيه :

الألوهية ؟!

أولا : بحثت في الديانات ـ كل الديانات ـ فوجدت آلهة مختلفة : إلها للخير ، وآخر للشر ، إلها للجمال ، وآخر للرياح ، إلها للنور وآخر للظلام ، آلهة تحل في الحيوان والانسان ، وآلهة تهيم في الأدغال والأحراش ، وآلهة تولد فتدل عليها النجوم والكواكب ، تدخل الآلهة الهياكل فتقوم الأصنام لتسجد تحت قدميها !!!

ولكن الاسلام حين يتحدث عن الألوهية ، يخاطب العقل والقلب معا : فالله رب كل شيء (**رب العالمين**) (**الذي خلق السموات والأرض وما بينهما**) أحاط علمه بكل شيء (**إن الله بكل شيء عليم**) . إله واحد لا يشاركه أحد في ألوهيته (**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**) .. قريب إلى عبده ، بلا وساطة ولا معين (**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**) .. عقيدة كاملة صححت عقيدة الهند بما كانت تطويه معابدها من أرباب يلحق بها الحيوان والأوثان ، وطمست كل عقائد اليونان في صور الاله المتعددة،عقيدة أزالت الشك من قلوب العاقلين ، وأقامت الصدق في عقول المترددين ، فانشرح لها صدري ، وانفتح لها قلبي ، وصدق بها عقلي ، واندفع فؤادي يعلن في فم الدنيا ويشهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا نبيه الصادق ورسوله الأمين .

أسلوب الحياة عند المسلمين !!

ثانيا : رأيت أسلوب الحياة الذي اختطه الاسلام لم يسلكه أي دين قبله ، أو أية حركة إصلاحية بعده ، مما تدعي أنها حركات الاصلاح والتقدم الفكري ، والرقي الاجتماعي .. وإنما يرتكزهذا الأسلوب على دعامتين .

الدعامة الأولى في الاسلام : توحيد الإله في عبادة الواحد الأحد ليجمع الخلق كلهم على أمر واحد (**لا إله إلا الله**) سلطة عليا تتعلق بها كل النفوس ، وتهفو إليها كل الخواطر ..

الدعامة الثانية : تغرس الطهارة في نفوس المؤمنين بلا إله إلا الله فتربط المسلم بربه رباطا يرى (الله) في كل شيء فلا يخشى أحدا غير الله ، ولا يتعلق بأحد غير الله ، ولا ينشد أحدا غير الله .. الخير كله من الله لا شريك له ، والشر كله في البعد عن الطريق التي رسمتها تعاليم الاسلام ..

العبد الذي ارتبط بربه هذا الرباط وآمن بربه هذا الايمان ، واعتمد عليه هذا الاعتماد ، وتصرف في حياته بهذا القانون الشامل لكل نظم الحياة يصبح فردا

سليما نقيا مخلصا ، لا يعتريه شك ، ولا تخالطه ظنون ، يضحي بنفسه في سبيل إعلاء دينه ، ويرتبط بغيره من المسلمين رباط أخوة صادقة ، يمثلها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) .. أخرجه البخاري .

كيف يربي الشباب ؟!!

الاسلام تعهد الانسان من المهد إلى اللحد .. بل تعهده قبل أن يولد حين حث الشاب على اختيار الزوجة الصالحة ليربيه تربية سليمة .. يغرس فيه الأخلاق الكريمة . فيعلمه كيف يأكل ، وكيف ينام ، وكيف يعامل غيره .. ويُعوِّده الصلاة من نعومة أظفاره ، والصدق منذ أن يعرف نفسه ، وحسن المعاملة في ظعنه وإقامته .. بل لا يتركه حتى عند قضاء حاجته .. ولا ينطق إلا حقا . وإذا حاد الشاب عن الطريق أرجعه إلى الصواب بلطف ودعة ..

فقد ورد عن أبي أمامة قال : « إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا مه،مه،فقال: أدنه فدنا منه قريبا ، قال:فجلس،قال:أتحبه لأمك ؟ قال لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال:أفتحبه لابنتك ؟ قال:لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال:أفتحبه لأختك ؟ قال:لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال:أفتحبه لعمتك ؟ قال:لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال:أفتحبه لخالتك؟قال:لا والله جعلني الله فداءك ، قال:ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال: فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه .
فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » رواه أحمد في مسنده .

قوة المسلمين !!!

ثالثا : يقول باباسيون : قرأت تاريخ الحروب قديمها وحديثها : معارك إسبرطة وأثينا ، واسكندر وقيصر ، والفرس والروم ، والحروب الصليبية والحرب العالمية الأولى والثانية .. المنتصر دائما صاحب الجيش الجرار ، والسلاح الفتاك ، من تمخر أساطيله البحار ، وتجوب ألْويته السهول والجبال ... من كثر عدده وقويت عدته .. لكن معارك المسلمين تقلب موازين الحروب رأسا على عقب .. في أول معركة يخوضها نبي الاسلام ينتصر فيها على عدوه انتصارا لم يسجل التاريخ منذ خط قلمه في صفحات الدنيا أروع منه !!!

يخرج محمد وأصحابه ليعترض قافلة لقريش تحوى ألف بعير مثقلة بالعروض والأموال .. يقودها أبو سفيان ومعه أربعون رجلا ، وتسمع مكة بتعرض المسلمين لقافلتهم ، فيخرج أشرافها وشبابها يغلون حماسا . ويمتطون الصعب ليدافعوا

عن أموالهم ، وينتقموا لكرامتهم .. وتهرب القافلة من المسلمين .. ويعلن أبو جهل في كبرياء المغرور : (إننا لن نرجع حتى نرد بدرا فنقيم ثلاثا ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع العرب بنا وبسيرنا وجمعنا فلا يزالون يها بوننا أبدا !!)
وعند بدر يتقابل الفريقان : المسلمون في ثلاثمائة وفارسين خرجوا لاعتراض قافلة تحمل عروضا وتجارة ، لم يستعدوا لحرب وقتال .. المشركون في نحو ألف ومائة فارس خرجوا متأهبين لحرب أعدوا لها عدتها من خيل ورماح ، وقيان تغني ، وطبول تدق .. تبدأ المعركة بين فريقين غير متكافئين عددا وعدة .. وفي ساعات من عمر الزمن يلتقي المؤمنون في قلتهم ، مع المشركين بكثرتهم في معركة طاحنة .. تنتهي بقتل سبعين صنديدا من رؤوس الكفر بمكة ، يشربون كؤوس الردى صاغرين ، ويسقط سبعون آخرون في ذل الأسر وعار المهانة !! وتفر البقية من قريش تبعثرهم رياح الهزيمة في وديان الجبال ، وفجاج الصحراء ، تروى لمن خلفهم كيف تهاوت هيبتهم ، وتحطم كبرياؤهم !!! هذا لا شك نصر نبي مؤيد من ربه ، لا قائد متمرن بحربه !!!

الحياة الاقتصادية عند المسلمين !!!

رابعا : يقول باباسيون : « إن آية من كلام الله تعالى لو طبقها المسلمون تطبيقا عادلا لأصبح المجتمع الاسلامي أعظم وأكمل وأنقى وأطهر مجتمع .. بل لساد الاسلام الدنيا كلها !!
يقول الله تعالى في محكم آياته (**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**) البقرة/٢١٩
والعفو ما زاد عن حاجة أهلك .. فهو يتصور لو أن كل مسلم أمد غيره بما زاد عن حاجته وحاجة أهله لشبع الجائع ، واكتسى العريان ، وسكن من لا مأوى له ، وأمن الناس على أرواحهم وأولادهم ، ولم يختلس أحد من مال ، ولم يسرق لص في ظلام الليل أو وضح النهار ، واختفى الحقد من الصدور ، وأحب الناس بعضهم بعضا ، ورفرفت على الشعوب المتناحرة راية الحب والسلام .
لقد طبق المسلمون هذه الآية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وفد المهاجرون إلى المدينة .. تقاسم الأنصار أموالهم مع المهاجرين ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين إخاء محبة وإخلاص ، حدا بالمسلمين إلى أن يؤثر أحدهم أخاه بالطعام وهو جائع ، أو بالماء وهو مشرف على الهلاك .. ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه ضيف فأرسل إلى نسائه يطلب منهن طعاما ، فردت كل واحدة منهن تقول : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال صلى الله عليه وسلم لصحابته : من يضيف هذا الليلة ؟ فانطلق به أحد الصحابة إلى بيته ، يقول لزوجته : هل عندك طعام لضيف رسول الله ؟ فأجابته امرأته المؤمنة الصادقة : ليس عندنا إلا قوت الصبيان .. فيرد عليها زوجها المؤمن : علي الأولاد بشيء حتى

يناموا بدون عشاء .. وأكل الضيف حتى شبع ، وناما وأولادهما على الطوى بلا طعام !! فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقابله النبي مبتسما يقول : لقد عجب الله من صنيعكما الليلة !!!
إيثار يعز أن نجده في غير مجتمع المسلمين !!!

عدالة الحكام تسعد الرعية !!

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سعدت البلاد بحكم الاسلام وعدْلِه ، عم الغنى الناس جميعا .. ولم يجد معاذ بن جبل مبعوث الاسلام في اليمن واحدا يعطيه الزكاة ، مما حدا به أن يبعث بثلث الصدقة إلى عمر في مدينة رسول الله . فأنكر ذلك عمر وقال له : بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس ، وتردها إلى فقرائهم : فقال معاذ : ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه مني .. فلما كان العام التالي . بعث معاذ بنصف الصدقة ، فتراجعا بمثل ذلك . فلما كان العام الثالث ، بعث إليه بها كلها ، فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك . فقال معاذ : ما وجدت أحدا يأخذ مني شيئا .. وكلما أظل عدل الاسلام الناس زاد الرخاء وتدفقت الخيرات على الفقراء .. يروي التاريخ : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه بالعراق : « أن أخرج للناس رواتبهم ، ومخصصاتهم . فرد عليه : إني قد أخرجت للناس أعطياتهم ، وقد بقي في بيت المال مال » فكتب إليه عمر : (أن انظر إلى كل من أدان في غير سفه وسرف « أي عليه دين » فاقض عنه) فرد عليه : (إني قد قضيت عنهم ، وبقي في بيت المال مال) .. فكتب عمر يقول له : (أن انظر إلى كل بكر « أي شاب لم يتزوج » ليس له مال فمن شاء أن تزوجه فزوجه ، وأصدق عنه « أي ادفع عنه المهر ») فرد عليه الوالي يقول : (إني قد زوجت كل من وجدت ، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال) ..

هذا هو الاسلام !!!

هذا هو الاسلام كما فهمته ، وكما يجب أن يفهمه الناس جميعا : دين ودنيا ، عقيدة ونظام ، قرآن وسلطان ، رسالة شاملة هادية تحرر الفرد وتكرمه ، وترفه عن المجتمع وتسعده ، يقود البشرية كلها إلى الخير والحق والكمال ..

لهذا حين أدعو إلى الاسلام لا أدعو من فراغ ، وإنما إيمان يشع في النفس قوة التمسك بدين الله .. آليت على نفسي أن أدعو لدين الله .. بدأت بولدي وأهلي فآمنوا والحمد لله .. وهم الآن يشع في قلوبهم نور الايمان ..

اختتم « بابا سيون » محاضرته بعبارات تعتصر ألما وحزنا على حاضر المسلمين ، ضيعوا تعاليم الاسلام فتفرقت بهم السبل .. وسأل الله الهداية والتوفيق .. لعلك عرفت أيها القارىء الكريم لماذا أسلم ؟!..

النّظام الاقتصادي

للاستاذ/ محمد عميش

ان السمة البالغة على حضارة هذا العصر وايديولوجياته هي الفكر الاقتصادي وتطوره ، ولقد أدى اختلاف وتناقض النظم الاقتصادية الوضعية الى الحروب الطاحنة والصراعات الدامية ، ومن العجب ان هذه النظم الوضعية تدعي كل منها اهتمامها بسعادة الفرد وصلاح المجتمع في الوقت الذي تتفنن فيه في اختراع اجهزة الدمار وتنفق عليها ما هو كفيل بتغيير شكل الحياة تماما في هذا العصر .

ومن الأسف وكما هي سنة الحياة في انبهار الضعفاء بالأقوياء في كل ما يصدر عنهم خيرا أو شرا فقد ساد الفكر الثقافي في عالمنا العربي والاسلامي ايمان بهذه النظم الوضعية مع اهمال لما بين أيدينا من تراث عقائدي وحضاري وتعصب كامل لما هو سائد في الغرب او الشرق مما اثار مزيدا من الفرقة والبلبلة شرقنا العربي وقد كان المفروض ونحن في دولة دينها الرسمي الاسلام ان نعرف احكام الشريعة السمحة وأن نكون على بينة باعجازها الرائع في تناولها لجميع مشاكل الحياة الا أن هذا الجيل مع الأسف قد ورث الاسلام باعتباره طقوسا وشعائر للتدين .

وقد بدأ الكاتب بعد عرض المقدمة بتمهيد بين فيه معنى كلمة اقتصاد وما هية علم الاقتصاد ، والنظام الاقتصادي ومدى تقدم الدراسات الاقتصادية ثم بين أن

في الإسلام

عرض وتحليل : عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

القرآن الكريم والذي يرجع الى اربعة عشر قرنا من الزمن قد جاء بجملة القواعد التي تؤلف فيما بينها جميعا نظرية اقتصادية واضحة في أرفع مستويات الحضارة الفكرية والمادية .

ثم قدم الكاتب بعد ذلك الموضوعات الاتية

١ ـ **المشكلة الاقتصادية** : إن هذه حاجات اساسية للانسان والتي تعتبر مصدرا لوجود حافز أو دافع له على القيام بالنشاط الاقتصادي ، وهناك عدد من التقسيمات لحاجات الانسان جاء بها العلماء والمحدثون بعد أن عرضها الكاتب بين الحاجات الأساسية للانسان في القرآن الكريم ففي سورة طه آية ١١٧ ـ ١١٩ : (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك الا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظما فيها ولا تضحى**).

٢ ـ **الانتاج** : والانتاج في الاقتصاد عبارة عن خلق المنفعة من حيث انها لم يكن لها وجود من قبل أو إضافة المنفعة الى السلعة التي تحتوى على قدر معين فيها ، ولقد كان القرآن معجزا وسيظل معجزا حيث لفت النظر الى جميع منابع الثروات في الأرض مثل الأنعام والماء الذي يستخدم في الزراعة والبحر الذي نأكل منه لحما

طريا ونستخرج منه الحلى وتبحر فيه الفلك ، والشمس المسخرة والتي تستخدم كمصدر للطاقة والرياح .

وعناصر الانتاج كما يقسمها الاقتصاديون هي الأرض والعمل البشري والمال ، تناول الكاتب كل واحدة منها بالدراسة في ضوء الشريعة الاسلامية .

(أ) الأرض : والمقصود بها كل ما وهبه الله للانسان على وجه البسيطة من تربة صالحة للزراعة وأنهار عذبة وثروات معدنية ومساقط مياه ...الخ .

ولقد وردت فيها آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى :

- في سورة الأعراف آية ١٠ : (**ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش**)
- في سورة غافر آية ٦٤ : (**الله الذي جعل لكم الأرض قرارا**).
- في سورة الجاثية آية ١٣ : (**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا**).
- وفي سورة النمل آية ٦١ : (**أمَّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون**).

ويبين لنا الله سبحانه وتعالى أهمية وقدر الزراعة ونعمتها على الناس فيقول :

- في سورة عبس : (**فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم**).
- وفي سورة ق آية ٩ ـ ١١ : (**ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج**).
- وفي سورة الشعراء آية ٧ : (**أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**).
- ثم بين أهمية الصناعة وقدرها في النشاط الاقتصادي وذلك من خلال قوله تعالى :
- في سورة الرعد آية ١٧ : (**ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله**).
- وفي سورة هود آية ٣٧ : (**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**).
- وفي سورة الحديد آية ٢٥ : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**).
- في سورة الأعراف آية ٧٤ : (**تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا**)
- وفي سورة الزخرف آية ١٠ : (**الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون**)
- وفي سورة البقرة آية ١٦٤ : (**والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس**).

وتشير الآيات الكريمة وغيرها من الآيات الى صناعات التعدين والحديد والصيد والسفن والمساكن والمواصلات وغيرها من سبل الحياة ومنافعها ، بحيث نجد الآيات قد شملت جميع ما يتصل بكافة النعم والمنافع التي وهبنا الله سبحانه إياها ووجهها .

(ب) السكان : تؤثر القوى البشرية بصورة كبيرة على الانتاج وذلك لانها تحدد حجم القوى العاملة في المجتمع وعدد ساعات العمل الكائنة ، لهذا تمثل قضية السكان أهمية خاصة في الفكر الاقتصادي .

وعرض الكاتب من خلال حديثه عن السكان لنظرية بالتس التي تصور زيادة السكان في صورة متوالية هندسية ، وتصور تزايد موارد الطعام على شكل متوالية حسابية ثم نقدها كما نقدها الكثير من علماء الاقتصاد ، ثم تكلم عن العلاقة بين حجم القوى العاملة في المجتمع وفرص العمل المتاحة .

وطرق الحديث عن مشكلة الحجم الأمثل للسكان بلانقص أو زيادة قد يضر بعملية الانتاج ، وبين أن الاقتصاد الاسلامي يقوم على وفرة الموارد بحيث نجد أن الله قدر نعما لا تحصى ولا تعد ولا تنتهى ، ولذلك فهو يرفض تحديد النسل ويدعو الى محاربته حيث يقول سبحانه وتعالى :

(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام ـ ١٥١

ويقول نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم :

ـ « تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم » رواه ابو داود والنسائي والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد .

ونادى الكاتب الى التوجه نحو الاهتمام بالمشاريع الضخمة التي تكفل تغيير شكل الحياة لا الى الحديث عن تحديد النسل ومحاربته . فان نعم الله كثيرة وهباته متعددة ومن الأمثلة ما يكفي .

(ج) العمل : فالاسلام دين العمل المتواصل والكد والجهد المنتج ونبي الاسلام أشرف الخلق أجمعين ، قد عمل بيده ورعى الغنم وجمع الحطب وتاجر وسافر وذهب وعاد سواء قبل البعثة أو بعدها .

وذلك لان العمل أحد دعامات الانتاج في المجتمع لأنه كما يعنى بذلك في سبيل انتاج سلع أو خدمات مقابل أجر سواء كان هذا الجهد ذهنيا أو عضليا ، وقد وردت في القرآن الآيات الكثيرة وعلى لسان النبي الأحاديث المتعددة بحيث تضمنت أحكاما شاملة للعمل وتقدير أهميته في المجتمع ومسئوليات العمال وأصحاب الأعمال والدولة .

وعرض الكاتب لدوافع العمل أولا ثم للمبادىء العامة لنظرية العمل في الأمم ، وذلك على الوجه التالي :

أولا :دوافع العمل : وان اجتمعت في التشبث بالبقاء الا أنها تتفرع الى الأسباب التي لا يكون البقاء بغيرها وأسباب البقاء هي أن يجد الانسان طعامه وكساءه

ومأواه حيث تعتبر هذه السلع الاستهلاكية الرئيسية التي لابقاء للانسان بغيرها .
ثانيا : المبادىء العامة لنظرية العمل في الاسلام :
١) **العمل شرف** : فهو يضفى على الانسان ثوب الشرف والكرامة فيقول تعالى في سورة فصلت آية ٣٣ : (**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**).
ويشمل العمل هنا عموما وفي مقدمته العمل الديني ، أي تنفيذ أحكام الشريعة .
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » رواه احمد والبخاري .
٢) **العمل واجب وعبادة** : كل قادر مطالب في شريعة الاسلام بالسعى والعمل واتقانه وكفى اعطاء الله لنا الدرس الخالد من الصلاة والتي أظهر ما فيها العمل الحركي من وضوء الى قيام ثم ركوع وسجود .
ولنا في مقالة عمر بن الخطاب نمط فلقد قال رضى الله عنه إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة-أى عمل-فان قالوا لا،سقط من عيني
٣) **حرية العمل** : الانطلاق في السعي المشروع للعمل ، سواء كان يدويا أم ذهنيا يقتضي المهارة أم لايقتضيها في مجالاته المختلفة المحددة في شريعة الاسلام ، فكل عمل يبلغ بالانسان غاية فيها نفع وليس منها إضرار بغيره هو حل مباح .
٤) **بذل الجهد في العمل** : وذلك بقوله سبحانه وتعالى (**ولتسئلن عما كنتم تعملون**) النحل - ٩٣
وقوله أيضا (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) البقرة - ٢٨٦ وقوله (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله**) التوبة - ١٠٥
٥) **وقت العمل** : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا (متفق عليه)
وهكذا بين الحديث ان للعامل حقه في الراحة وأداء العبادات والقيام بواجباته تجاه كل ناحية .
٦) **حق المرأة في العمل** : لا تعمل المرأة في الاسلام الا للضرورة وذلك واضح من تكليف آدم وحده بالعمل بعد خروجه وحواء من الجنة وفي سورة طه حيث يقول رب العزة (**فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**).

(د) رأس المال :

يعتبر رأس المال المورد الرابع في موارد الانتاج ويعبر عن الثروة التي تستخدم في انتاج ثروة اخرى ويقاس رقى الأمم بما تملكه من مال وتكوينها له وعملها على تنميته .
وقد ذكر المال في القرآن ستا وسبعين مرة مما يدل على نظرة الاسلام له بالأهمية والتقدير لآثاره في الحياة .

وفي هذا المجال تكلم الكاتب عن نقاط هامة وذلك على النحو التالي :
١) **المال مال الله** : حيث أن الكون كله لله (**قل لمن ما في السموات والأرض قل لله**) الأنعام - ١٢ ويقول تعالى : (**وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**) النور - ٣٣ ويقول أيضا : (**لله ما في السموات والأرض**) لقمان - ٢٦ وهكذا تتوارد الآيات كثيرة مبينة أن الكون كله لله من أموال ومنافع وغيرها .
٢) **المال وسيلة لا غاية** : فالمال وسيلة ووسيلة للخير وتبادل المنافع وإشباع الحاجات وقد عبر القرآن عن المال بالخير في قوله تعالى : (**كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف**) البقرة - ١٨٠ ويقول عليه الصلاة والسلام : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه احمد .
٣) الملكية الفردية مصونة : وذلك بتسهيل سبل التملك والحصول على المال وبين ذلك قوله تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم**) النساء - ٢٩ .
ويقول الرسول الكريم : « من اقتطع أرضا ظالما - وفي رواية لمسلم من اقتطع حق امرىء ظالما لقي الله وهو عليه غضبان » رواه احمد ومسلم . وقد وضع الاسلام قواعد وأصولا وأحكاما للملكية الفردية وتناولتها أجيال من فقهاء المسلمين بالتفصيل والشرح .

٤) **وظيفة والتزامات الملكية** : ولهذا ما ينظمه ويوضح القواعد والالتزامات بحيث يوجه الى خير المجتمع وصلاحه ومن القواعد المنظمة لحق الملكية ,
١ - الملكية وظيفة اجتماعية تهدف أساسا لتحقيق النفع والأغراض المشروعة .
٢ - يشجع الاسلام على العمل والكسب والاستثمار ويحارب الفقر والعجز والكسل .
٣ - يفرض الاسلام على المالك تأدية الزكاة المفروضة عليه .
٤ - الانفاق في سبيل الله للخير العام .
٥ - تحريم بقاء المال مكتنزا بدون استثمار
٦ - تحريم استخدام المال فيما يلحق الضرر والأذى بالمصلحة العامة .
٧ - يمنع صاحب المال من استخدام مكانه في حيازة نفوذ سياسي في تصريف شئون الدولة لمصلحته أو لمصلحة فئة معينة .
٥) طرق كسب المال : وللمال طرق معينة لكسبه تتلخص في :
١ - العمل
٢ - الميراث
٣ - الوصية .
٤ - القرض .
٥ - الهبة .
٦ - العارية .

٧ ـ الصيد .
٨ ـ احياء الموات .
٩ ـ اعطاء الدولة أموالها للرعية .
٦) **أشكال المشروعات** : بين الكاتب الأشكال المختلفة للشركات التي يمكن أن تمارس نشاطها ومنها شركة العنان وشركة الابدان والمضاربة وشركة الوجوه وشركة المعارضة
٧) كراهية تكدس الثروات : لا يحبذ الاسلام على تواجد الثروات في أيدي عدد قليل من الناس لما يؤدي اليه ذلك من افساد وزيادة الفوارق بين الناس .
٨) **ملكية وسائل الانتاج** : التأميم وتوزيع الملكيات وهنا يقرر الاسلام الملكية الجماعية لبعض الموارد الطبيعية الضرورية ويجيز التأميم في بعض الأحيان كما يمكن تحديد الملكية الزراعية .

(٣) القيمة : تعبر القيمة في الاقتصاد الاسلامي عن مقدار ما في السلعة من منفعة مع ملاحظة عامل الندرة وقانون العرض والطلب .
ولالقاء الضوء على ما تثيره نظرية القيمة تناول الكاتب بعض الجوانب الهامة والمرتبطة بموضوع القيمة ولذا فقد تعرض للنقاط التالية :
أ ـ التداول الاستهلاكي : فالتداول يشير الى انتقال السلع بين الناس بعد انتاجها حتى الى مستهلكها الأخير ، وجاء ذلك في القرآن في مواطن كثيرة عند الحديث عن التجارة ، ولقد ورد من الآيات الكثير أيضا التي يوجه فيها سبحانه عباده الى الانفاق والاستهلاك حيث أنه الغاية النهائية للانتاج ووسيلة لتحقيق الرواج الاقتصادي المنشود .

ب ـ المنافسة : يقرر الاسلام المنافسة المشروعة ويحيطها بسياج قوي من دعوته الأخلاقية وذلك لاجادة العمل وتحقيق التعاون المثمر والوصول الى العمل الصالح ويكفي ذكر هنا ، الدين المعاملة ، الدين النصيحة .
ولقد نهى الاسلام وزجر على الخيانة والاثم والغش والكذب والخداع .
ج ـ التسعير :من الأمور التي نظر فيها فقهاء المسلمين واختلفوا عليها هل يجوز أو لا يجوز فذهب أقلية منهم الى منعه أخذا بظاهر الحديث ، وقال معظمهم بجوازه وأخرجوا الحديث على أنه لم يكن لحالة عامة وانما هو لحالة خاصة لم ير النبي علاجها إلا بالتسعير .
د ـ الاحتكار : الاحتكار حجز سلعة من السلع او جمعها من الأسواق وبيعها بسعر أعلى على المسلمين وفرض السعر المرتفع ولقد نهى عن ذلك رسول الله وجاءت الأحاديث كثيرة منها : « الجالب الى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله » رواه الحاكم . ومنها « لا يحتكر إلا خاطىء » رواه احمد ومسلم وأبو داود والنسائي .

(٤) ـ التوزيع :تعتبر مشكلة توزيع الثروة والدخل بين أفراد المجتمع من

أخطر المشاكل في هذا العصر وفي كل عصر ، لذلك اهتم بها الاسلام وأولاها العناية الكافية وفيما يلي بعضا مما جاء من المبادىء الأساسية لنظرية التوزيع الاسلامية .

أ ـ **الأجور** : يقر الاسلام الأجر كوسيلة من وسائل توزيع الثروة ويجب أن يحصل عليه العامل كاملا فور انجاز عمله ، ويمكن في هذا الصدد بيان القواعد التالية :

١ ـ الأجر مكفول لكل عمل : المعروف أنه لا عمل بدون أجر مهما كان صغيرا أو كبيرا والأجر حق للعامل ويقول رب العزة : (**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون**) التين ـ ٦ .

٢ ـ **الحد الأدني للأجور** : يجب أن يحصل العامل على حد معين من الأجر يكفل له تأمين معاشه واشباع حاجاته الأساسية المنصوص عليها في القرآن وكان رسول الله يعطي الآهل حظين والعزب حظا واحدا وفي هذا بيان لحق الانسان في تأمين احتياجاته وكفاية معيشته .

٣ ـ **عدالة الأجور** : بحيث يكون الأجر مساوياللجهدالمبذول في العمل المفروض على العامل فيقول تعالى في سورة الأحقاف آية ١٩ : (**ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون**) ويقول أيضا في سورة الاعراف آية ـ ٨٥ : « **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ». ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه » رواه ابن ماجة .

٤ ـ **مسئولية الدولة** : الدولة في الشريعة الاسلامية مسئولة عن :

أ ـ ضمان حد أدنى للأجور يكفل تحقيق الحاجات الأساسية الضرورية للانسان كما جاء واشتمل عليها القرآن وجاءت في أحاديث الرسول .

ب ـ ضمان عدالة الأجور وذلك بحماية العامل من استغلال رب العمل .

ج ـ ضمان استيفاء الأجر : بحيث يحصل العامل عليه كاملا ومناسبا .

وتعتبر القواعد السابقة من المبادىء التي حاربها الاسلام في نظرية الأجور ، والتي تعيب على توفير الجو المناسب للعامل لكي ينطلق وينتج وتزداد رفاهيته بما ينعكس على المجتمع كله بعد ذلك .

ب ـ **الربا** : من أخطر الموضوعات التي تناقش في الاقتصاد الاسلامي بصفة عامة وفي نظر البنوك الاسلامية بصفة خاصة ، حيث انتشر التعامل بالفائدة في الاقتصاد الوضعي بدرجة كبيرة كان من جرائها بعد ذلك الأزمات الاقتصادية المتكررة التي دعت مفكري الغرب وعلماء الاقتصاد الى سد الفكرة .

وفي سبيل ذلك عرض الكاتب لما كتبه كل من أرسطو وآدم سميث واللورد كينز وهنري سيموز وكارل ماركس وغيرهم من الآثار الضارة للفائدة وانها أحد مظاهر الاستغلال العام .

ثم عرج الكاتب للحديث عن الربا في الاسلام وأوضح ما هيته ثم بين أنواعه مقسما

اياها الى ربا النسيئة وربا الفضل وتطرق في حديثه الى نظرية تحريمه والآيات الدالة على ذلك وأسباب التحريم وعلته وقدم على لسان بعض علماء المسلمين بعض الحلول والمقترحات الاجتهادية للوقوف تجاه هذا التيار الرهيب .

ج ـ الزكاة : بين الكاتب ما هي الزكاة ثم فريضتها وذكر ورودها في القرآن وتعرض لحكمة فرضها .

وأوضح بعد ذلك شروط وجوب الزكاة ملخصا اياها في :

١ ـ الاسلام : فهي تفرض على المسلمين دون غيرهم .

٢ ـ الحرية : فلا يؤديها إلا كل مسلم حر .

٣ ـ الملك التام : أن تكون العين المفروض عليها الزكاة مملوكة ملكية تامة لصاحبها .

٤ ـ النصاب : تحديد قدر معين تجب الزكاة فيه ولا زكاة فيما هو أقل منه .

٥ ـ الحول : أي سنة كاملة ولا تجب الزكاة قبل تمام السنة .

وعرض الكاتب انواع الزكاة مقسما إياها الى زكاة الفطر وزكاة المال مقسما الأخيرة ايضا الى ستة أنواع .

١ ـ زكاة النقود .

٢ ـ زكاة الدين .

٣ ـ زكاة الزروع والثمار .

٤ زكاة النعم وتعرف بزكاة الحيوان .

٥ ـ زكاة عروض التجارة .

٦ ـ زكاة الركاز والمعدن .

وبين الكاتب بعد ذلك أوجه إنفاق الزكاة وقد جاءت صريحة في قول الحق تبارك وتعالى : (**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**) التوبة ـ ٦٠ .

واختتم الحديث عن منافع الزكاة وجزء من القرآن والسنة والحكم الشرعي فيه .

د ـ **الصدقات** : تلعب الصدقات دورا هاما في تنفيذ نظام الضمان الاجتماعي وإنشاء مؤسسات العجزة والمحتاجين بما يحقق قيام مجتمع التكافل الاجتماعي بدرجة كبيرة .

لذا فقد ورد ذكر الصدقات والانفاق في سبيل الله والبر والاحسان ولمساعدة الانسان القادر لأخيه في مواطن كثيرة في القرآن الكريم منها :

ـ (**يمحق الله الربا ويربى الصدقات**) **البقرة ـ ٢٧٦** .

ـ (**إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم**) **الحديد ـ ١٨** .

ـ (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة ـ ١٠٣ .

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : ـ

ـ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » رواه البخاري وأبو داود والنسائي .
ـ « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار » متفق عليه .
د ـ **الربح** : الربح أمر مشروع وهو نتاج للتجارة تعبيرا عن نجاح عملياتها واسترداد رأس المال وزيادة .
وقد أقر الله الربح حيث يقول سبحانه : (**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم**) البقرة ـ ١٦
وفي قيام الشركات والمضاربات تكون النتيجة غنما أو غرما . وقد أقر الاسلام وبين لها القواعد وأرسى لها الأسس .
ولكن الاسلام يحرم الربح غير المشروع والناتج عن عمليات الغش والتغرير والتلاعب بالمكاييل وغيرها

وفي كلمة ختامية عن التوزيع قال المؤلف :

ـ الأفراد مستخلفون في الأرض لحفظ وإدارة وتوزيع الثروة فهي وديعة وأمانة الله عندهم .
ـ إحاطة الشريعة الأجر بسياج قوي من التعاليم والقواعد التي تكفل للعامل حياة كريمة .
ـ تحريم الربا تحريما قاطعا والعمل على حماية المجتمع من الاستغلال والكسب الحرام .
ـ فرض الزكاة وتجميعها وصرفها في مصارفها الرسمية .
ـ تقرير الاسلام للربح المشروع وحماية المجتمع من الاستغلال والاحتكار .

(٥) دراسة مقارنة :

وفي نهاية المطاف يعرض لنا الكاتب سمات كل من النظام الاقتصادي الوضعي بما يتسم به ، والنظام الاقتصادي الاسلامي ودوره في المجتمع ، فمن سمات الأنظمة الوضعية :

ـ دوران النظريات في هذه الاقتصاديات حول فكرة الندرة النسبية .
ـ هذه النظم محلية ولا يمكن تطبيق أحد هذه النظم في مكان آخر .
ـ تقوم هذه النظم على الصراع والحرب والدمار والمنافسة .

ومن أهم سمات النظام الاقتصادي الاسلامي :

ـ قيام هذا النظام على الوفرة النسبية .
ـ نظام وضع للعالم أجمع من أجل إسعاد البشر كافة في شتى بقاع الأرض .
ـ اقتصاد يقوم على السلام والتعاون والتضامن والاخوة بين الناس .
ـ الاتفاق مع الفطرة وعدم تجاهلها أو إهمالها .
ـ دعم العمل الاجتماعي والاقتصادي والحث على مكارم الأخلاق وإصلاح الأفكار وتطهير النفوس . .

استبدال جزء من المعاش

عرض على لجنة الأمور العامة في الهيئة العامة للفتوى في وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية في جلستها المنعقدة يوم السبت ٢٩ محرم ١٤٠٤ هـ الموافق ٥/ ١١/ ١٩٨٣ م الاستفتاء المقدّم من بعض المواطنين عن الفتوى الصادرة بشأن الحكم الشرعي في استبدال جزء من المعاش التقاعدي (والذي درجت تسميته بين الناس ببيع المعاش) وقد سبق للجنة بيان جوازه شرعا إذا ما تم بين صاحب المعاش والجهة العامة المنوط بها ذلك النظام .

وقد اجتمعت اللجنة في جلسة طارئة يوم الأربعاء ٢٦ محرم ١٤٠٤ هـ الموافق ٢/ ١١/ ١٩٨٣ م .

واطلعت على بيانات طلبتها من المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية ، واستمعت الى ايضاحات قدّمها مندوب عنها وقد جاء في تلك البيانات :

« ان الحقوق التي يقررها نظام التأمينات الاجتماعية عند انتهاء خدمة المؤمن عليه تتمثل إما في مكافأة تقاعد او في معاش تقاعدي وذلك تبعا لمدة الخدمة وسبب انتهائها . والمكافأة هي مبلغ محدد يصرف دفعة واحدة أو على دفعات وفقا للشروط والقواعد المحددة لذلك قانونا . أما المعاش التقاعدي فهو مبلغ دوري يصرف كل شهر ويكون لصاحب المعاش الحق في أن يصرف معاشه بالكامل دوريا أو أن يطلب صرف جزء منه في صورة مبلغ من دفعة واحدة وهذا هو ما يسمى بنظام الاستبدال ، وفي هذه الحالة يصرف له باقي المعاش دوريا بعد خصم الجزء الذي قام باستبداله .

وينظم قانون التأمينات الاجتماعية في المواد (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) منه وكذا القرار الوزاري رقم (٤) لسنة ١٩٧٨ م والقرارات المعدلة له موضوع الاستبدال فيحدد القدر الذي يجوز لصاحب المعاش استبداله من معاشه التقاعدي بمبلغ من دفعة واحدة ويحدد القيمة التي يستحقها مقابل كل دينار من هذا القدر وذلك طبقا للأسس الفنية والاكتوارية التي بني عليها النظام ـ

وطبقا لهذا النظام فانه إذا توفى صاحب المعاش التقاعدي يقف خصم الجزء المستبدل من معاشه ويوزع المعاش على المستحقين عنه كما لو أنه لم

يستبدل منه شيئا ولو لم يكن قد تم الوفاء بكامل القيمة الاستبدالية التي صرفت له ، كما انه يحق لصاحب المعاش أن يطلب في أي وقت إيقاف العمل بالاستبدال مقابل قيامه برد مبلغ يحسب وفقا للجداول الخاصة بذلك فيعود له معاشه بالكامل كما كان قبل الاستبدال .

وبطبيعة الحال فإن بعض أصحاب المعاشات المستبدلين يوافيهم الأجل قبل اكتمال وفائهم بالقيمة الاستبدالية التي صرفت لهم والبعض الآخر يمتد بهم الأجل فيسددون ما يزيد على القيمة التي صرفت لهم ، حيث يقوم هذا النظام على أساس من التكافل بينهم فيغطي بعضهم البعض في الوفاء بالمبالغ التي صرفت لهم ».

وقد رأت اللجنة (بالإجماع) تأكيد ما جاء في فتاواها السابقة بهذا الشأن من جواز هذا الاستبدال شرعا اذا ما تم بين صاحب المعاش والجهة القائمة على نظام التأمينات (المعاشات) ولو روعي في الاستبدال سن المستبدل وسنوات خدمته وظروفه الاخرى .

ذلك ان استبدال جزء من المعاش التقاعدي ما هو الا واحد من التصرفات التي يشتمل عليها نظام التأمينات (المعاشات التقاعدية) وهو نظام قائم أصلا على التكافل والتعاون وليس على المعارضة (المبادلة المالية البحتة) لكي يشترط فيه ما يشترط في تلك المبادلات من تقايض وتماثل في المقدار اذا جرت بين عوضين من جنس واحد (الصرف).

ولا يخفى ان نظام التأمينات من أساسه قائم على تسلم النقد (عند تجميع الموارد) ثم اعطائه لصاحب المعاش بعد أمد طويل (عند الاستحقاق) او لذويه بعد وفاته بلا مراعاة للفورية في التقابض ولا للتماثل بين البدلين : ولم يقل احد بعدم جواز هذا النظام ، بل اتفقت كلمة العلماء المعاصرين على اجازته . ولو كان من قبيل المعاوضات البحتة لما جاز هذا النظام من أساسه .

وان التعاون والتكافل تدعو اليه كثير من النصوص الشرعية ، كقوله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » وحديث الاشعريين الذي اخرجه البخاري ومسلم عن ابي موسى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الاشعريين اذا أرملوا في الغزو ، او قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني ، وأنا منهم » . ولا يخفى ان الحديث يفهم منه تسويغ اخذ أحد الاشعريين

اكثر مما أعطى أو أقل . وقد أجاز الشارع ذلك ، وأثنى على فاعليه ، لما فيه من معنى التعاون والصلة .

وان الاطراف التي تسهم في تجميع موارد هذا النظام (وهي صاحب المعاش ، والدولة ، ومؤسسات العمل أحيانا) لا تقدم تلك الاموال على سبيل المعاوضة ، ولا على انها جزء من الأجور المستحقة للموظف وانما هي فرض رعاية المواطن عند شيخوخته وعجزه ورعاية أسرته بعده .

هذا بشأن الموارد . أما المستحقات فهي في حال الاستبدال وعدمه صلة ومعونة تصرف لصاحب المعاش أو لذويه من بعده واقتضت المصلحة وضع شروط وإجراءات ومراعاة ظروف يتأثر بها أصل الاستحقاق ومقداره .

وكيفية الصرف تكون على طريقتين : اما بمرتبات شهرية فقط واما بمبلغ الاستبدال معجلا مضافا الى مرتبات شهرية منقوصة لاستقطاع مبالغ معينة خلال مدة تزيد او تنقص ، مقدرة تبعا لبقاء صاحب المعاش على قيد الحياة ، أو انتقال الاستحقاق في تلك الصلة الى ذويه . ومن هذا يتبين ان الزيادة أو النقص بين المبلغ المعجل وبين الجزء المستقطع لا تدخل في باب المعاوضات المالية وانما هي من باب التبرعات والصلات الملتزم بها بالنظام الصادر عن ولي الامر . ومما يؤكد ذلك انها لا تجرى عليها أحكام التركات .

هذا عن الاستبدال الحاصل بين صاحب المعاش وبين الجهة القائمة على نظام التأمينات (المعاشات) أما اذا كانت المبادلة قد تمت بين صاحب المعاش وبين جهة أخرى غير الجهة القائمة على نظام تأمينه سواء كان تاجرا أم شركةام بنكا أم غيرها ، بحيث يقبض صاحب المعاش مبلغا يتفق عليه ، كألف دينار مثلا ، ويتنازل للمشترى عن عشرة دنانير من راتبه التقاعدي الشهري تخصم منه مدى الحياة لصالح المشتري . فإن اللجنة رأت أن هذه المبادلة بيع حقيقي الا انه بيع باطل ، لأن البائع سيدفع نقودا مؤجلة ثمنا لنقود حالة ، فهي عملية صرف ، والصرف يشترط لصحته الحلول والتقابض في العوضين ، وهو باطل أيضا لأن الصرف يشترط فيه التساوي اذا كان العوضان من جنس واحد ، وهذا البيع المذكور لم يتساو فيه العوضان بل قد يأخذ المشتري أقل مما دفع أو أكثر ، وهو باطل ايضا لأنه بيع فيه غرر كثير ، إذ لا يدري كم المبلغ الذي سيقتطع من راتبه تبعا لطول حياته بعد هذا العقد أو قصرها . والأعمار بيد الله تعالى .

وحاصل الجواب :

ان استبدال جزء من المعاش التقاعدي الشهري بمبلغ معجل اذا تم بين صاحب المعاش وبين الجهة العامة القائمة على نظام التأمينات الاجتماعية (المعاشات التقاعدية) جائز شرعا ولا غبار عليه ، لأنه نظام قائم على التعاون والتبرع والصلة .

أما الاستبدال المذكور اذا تم بين صاحب المعاش وبين جهة أخرى خاصة ـ كالبنوك أو الشركات التجارية او الافراد ـ فإنه لا يجوز لأنه معاوضة يقصد بها الاسترباح وقد تضمنت التأجيل ، والتفاوت بين عوضين من جنس واحد ، فضلا عن الغرر والجهالة . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ردود قصيرة :

الى القارىء جعفار بو شعيب ـ المغرب ـ نود افادتكم بأن الفتاة التي ترغب في الزواج منها والتي رضعت مع أخيك الأصغر ان كان الرضاع من أمك فهي اختك من الرضاع ولا تحل لك وان كان الرضاع من أمها وليس بينك وبينها رضاع لا من أمها ولا من امرأة أجنبية فانها تحل لك شرعا .

● الى القارىء باتشيسن يوسف ـ المغرب .

نفيدكم بأن الأصل الذي ذهب اليه العلماء ان كان من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته لغيره ولكنهم مع ذلك كرهوا الصلاة خلف الفاسق والمبتدع . أما صلاة الجنازة فمن المتفق عليه بين العلماء أنها فرض كفاية لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ولمحافظة المسلمين عليها والغاية منها الدعاء والاستغفار للميت والعظة والاعتبار للأحياء .

● الأخ جعفر عبد القادر ـ الناظور ـ المغرب ـ اقرأ الفتوى المنشورة في المجلة في شهر صفر ١٤٠٤ هـ العدد رقم ٢٣٠ .



لماذا يتهمون الاسلام ..!؟!

الأمر في غاية البساطة ولا يحتاج الى تحليل او بحث . هو أن معظم علماء المسلمين اقصد علماء الدين لم يجهدوا أنفسهم عناء البحث لبعض القضايا التي تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والعمليات التي تنجم عنها مكتفين بالنقل ، اما العقل فهو في المقام الثاني ولا يولونه اي اهتمام الا في حدود ضيقة جدا . وتناسوا ان القرآن الكريم ذكر في اماكن كثيرة منه .. « يا أولى الالباب » مخاطبا العقل مباشرة . كذلك لا نريد ان نذهب بعيدا . فأول آية نزلت من القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » صدق الله العظيم .

إذاً فالعلم والتعلم بصفة عامة سمة من سمات الاسلام،لا بل جوهره ودعامته . كذلك قوله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقوله « وقل رب زدني علما » .

هذا و ان القرآن قد ذكر في آيات كثيرة ما يفيد التطور . ومادام القرآن اقر التطور يكون الاسلام دائما متطورا ويصلح لاي زمان .

والتلميح في قوله تعالى « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاثٍ». إقرار بذلك التطور الظاهر الذي يمكن للعقل البشري ان يستوعبه ولقد فسرت هذه الآية في هذا العصر بعد ان اكتشف العلم الحديث تطورات الجنين داخل الرحم ، بخلاف تفسيرها في الماضي . يعني ذلك ان التطور طبيعة خلقها الله سبحانه وتعالى في الكون . ومن ثم ينطبق على كل شيء في الحياة .

وقوله تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » حث على العلم والبحث

والاسلام دين ودنيا وصالح لكل زمان وليس فيه تعقيد ، وهو صريح ليس فيه غموض ولا ايهام . فالتجمد العقلي الذي اصاب العقول كان سببه الرئيسي بعض رجال الدين ولم يكن الخطأ ابدا في الاسلام .

ارادت الحكومة المصرية ان تدخل علوم الرياضيات والطبيعة في مدارسها ولكنها لم تستطع ان تقدم على ذلك دون ان تستفتي شيخ الأزهر خوفا من ثورة العلماء . فكتبت له : هل يجوز تعليم المسلمين العلوم والرياضة والهندسة والحساب والهيئة وعلوم الطبيعة ؟

ويجيب شيخ الأزهر « ان ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها

واذا كان الاسلام يدعو الى العلم والى التفكير واستخدام العقل فلماذا يجد ما لا يجده اي دين غيره من هجوم ؟

لأن اعداء الاسلام يعلمون تمام العلم انه لو طبق شرع الله كما جاء في الاسلام وكما اراد الله له أن يكون . فسوف يكون ذلك وبالاً عليهم . وعلى ارادتهم وحياتهم المملوءة بالمادية والتي يكسوها الفجور . ويشهد على هذا العديد منهم . واحدهم يقول ويعترف انه مادام القرآن في يد المسلمين فلن نتمكن من هذا الاسلام ابدا . ولكن عقم التطبيق هو ما يمكننا منهم .

هذا اعتراف صريح منه ان هذا الذكر المنزل الجامع الشامل هو الدعامه الاساسية في بقاء هذا الدين القيم ولهذا يحاولون اضعافه بشتى الطرق .

فهل آن الأوان ان نفهم ابسط اسباب التخلف . وهل آن الأوان ان نعرف ماذا يقصد القرآن ، يقول الله تعالى « .. لهمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللهإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » صدق الله العظيم .

علي محمد عبدالباقي

اتحدوا

تحت هذا العنوان كتب الأخ/ جابر محمد حسن خليل يقول :حينما يقرأ المسلم قول الحق سبحانه وتعالى « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » آل عمران ١٠٣ يعتصر الألم قلبه ـ إذا كان قلبه حيا ينبض بالايمان ـ كلما ألقى بصره على الساحة الاسلامية لقد مَنَّ الله على المسلمين إذ جعلهم أمة واحدة « **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » الأنبياء ٩٢ تتحدث بلسان واحد ، وتتجه قلوبها صوب قبلة واحدة ، ويعبدون ربا واحدا ، ويتلون كتابا واحدا هو القرآن ، ويتخذون من محمد بن عبد الله الأسوة والقدوة (صلى الله عليه وسلم) وتتحد غاياتهم وآمالهم .

إلى جانب ذلك كله فالرقعة الاسلامية شبه متكاملة ، تتجاور أراضيها ، وتتدفق خيرات الله فوقها أكثر من غيرها من البقاع ويغمرها الخير في ظاهرها وفي باطن أرضها .

ومع هذا كله لا نجد اتحادا قويا يربط بين الشعوب الاسلامية .

ألا يعلم المسلمون أن سر قوتهم في وحدتهم ؟
إذا كانوا لا يعلمون ذلك فها هو رسولهم الكريم (صلى الله عليه وسلم) يبين لهم بالمثل الحي :
« إن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية » رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم .
وها هي الأيام تثبت ما قاله المصطفى « صلى الله عليه وسلم » منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حيث أعلن أعداء الاسلام سياستهم في تمزيق الأمة الاسلامية تحت شعار « فرق تسد » فوجدنا

التقسيمات التي مزقت الشمل بحجة الحدود السياسية .
إن روح الفرقة والانقسام تسود بين أفراد الأمة الواحدة فكل دولة بأحوالها مشغولة تاركة غيرها تئن وتشتكي وتصيح ولا مغيث .

إن حال أمتنا الآن لا يسر فالمال في أيدينا ، والبترول عصب الحياة في أراضينا ، والقوة البشرية الضاربة من سمات الأمة المسلمة التي لا تعرف شيئا يسمى تحديد النسل ، والعقول المسلمة الفذة يضرب بها المثل في كل زمان ومكان في الذكاء وسرعة البديهة والتكيف مع أحدث وسائل التقدم العلمي . ومع هذا تركنا زمام الأمور لغيرنا يقودنا ونحن حملة مصابيح الهدى ولا نهتدي بها لقد صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول :
« توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قال قائل : من قلة نحن يومئذ ؟
قال : بل أنتم يومئذ كثيرون ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ،وليقذفن في قلوبكم الوهن . قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟
قال : حب الدنيا وكراهية الموت . » رواه أبو داود .
نعم يا رسول الله ها هي الذئاب تنهش في جسم أفغانستان المسلمة ، والعدو يعمل في أرتيريا لسلخها عن إسلامها ، وفلسطين ما زالت ترزح تحت نير العدو الصهيوني القذر والصليبية العالمية قائمة على قدم وساق لتنصير شعب أندونسيا المسلم .
وهل تملك القصعة أن تمنع عنها الأيادي ؟!
إن أعداء الاسلام يتحدون فيما بينهم على اختلاف لغاتهم وعقائدهم وجنسياتهم ومشاربهم فهل تدبرنا في أحوالنا معشر المسلمين ؟
إن أوربا تجمع بين شعوبها اقتصاديا السوق الأوربية المشتركة ، فأين السوق الاسلامية المشتركة ؟

إن أوربا يربط بين دولها خط حديدي يسير عليه القطار من أقصاها إلى أقصاها فأين ما يربط بين الشعوب الاسلامية ؟
إذا تدبرنا وقائعنا مع أعدائنا ألفينا النصر وليد الوحدة ولم الشمل ، واسألوا صلاح الدين واسألوا سيف الدين قطز ، بل اسألوا التاريخ الاسلامي المجيد يجبكم :
إن الاتحاد أمضى سلاح وأقوى عدة للانتصار .
أيها المسلمون : اتحدوا ، ودوسوا على الصغائر وكونوا كبارا كبارا كما أراد الله لكم حتى تطمسوا من صفحات التاريخ الأقزام الذين أصبحوا في بعدكم عن اتحادكم وترابطكم عمالقة

يا خير أمة أخرجت للناس تصفحوا تاريخكم العظيم وشمروا عن ساعد الجد لكي تعيدوا تلك الصفحات المشرقات التي كتبت على جبين التاريخ بأحرف من نور .
واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنكم أمام امتحان عسير تتكالب ضدكم فيه كل قوى البغي والظلم والعدوان ، والهدف هو عقيدتكم . فاعتمدوا على الله ، ودافعوا عن الحرمات ، والله ناصركم .

مع الصحافة

سوف نركز الاهتمام في هذه الصفحات على أوضاع المسلمين في الشرق الأقصى في الهند وأفغانستان والفلبين ، وغايتنا في ذلك واضحة فمعظم الصحف العالمية والعربية ، قليلة الاحتفال بما يجري في تلك البلدان ، على عظم ما يجري واهميته ، وتشغلها بصورة أساسية تطورات الأحداث السريعة في الشرق الأوسط ، وبخاصة ما يظهر في الأفق من تصاعد التوتر بين القوتين العظميين ، الذي تثيره عمليات عسكرية أمريكية محدودة في لبنان ، من المرجح أنها ذات أهداف سياسية بالدرجة الأولى ، بيد أن أخطر ما أثار التوتر هو الاعلان عن اتفاق التعاون الاستراتيجي بين أمريكا والعدو الصهيوني . وأما على الصعيد الفلسطيني فلعل أبرز التطورات تلك العملية التي قام بها الفدائيون الفلسطينيون في قلب القدس ، وقد حاول العدو الصهيوني منع رئيس منظمة التحرير من مغادرة طرابلس بهدف القضاء على الدور السياسي للمنظمة بعد أن تم إضعاف قواها العسكرية منذ غزو لبنان وحصار بيروت حتى أحداث طرابلس الأخيرة .

○ التعاون الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل

عن موضوع التعاون الاستراتيجي بين أمريكا وإسرائيل نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٥٧ للسنة السابعة مقالا بعنوان الموقف الجديد في الشرق الأوسط ، وقد عرضت فيه تطور هذا التعاون الاستراتيجي منذ تشرين الثاني ١٩٨١ وحتى تشرين الثاني ١٩٨٣ . جاء في المقال :

عاد الوزير الاسرائيلي الأول اسحق شامير من واشنطن في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي باعلان عن تمتين العلاقات السياسية والعسكرية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، مما يعني زخما جديدا لاتفاق « التعاون الاستراتيجي الاميركي - الاسرائيلي » القائم فعلا قبل ذلك التاريخ .

في أيلول (سبتمبر) ١٩٨١ زار الوزير الاسرائيلي الأول مناحيم بيغن واشنطن لأول مرة والتقى الرئيس ريغان ويومذاك كانت الولايات المتحدة تحاول أن تبني « إجماعا إستراتيجيا » في الشرق الأدنى والخليج في اتفاق مع بعض الدول العربية ، لكنها واجهت في ذلك معاكسة إسرائيلية خلال شهور كاملة تمثلت بمبادرات اتخذها الوزير الاسرائيلي الأول ، ومنها بنوع خاص قصف المفاعل النووي العراقي وبيروت . وحين وصل بيغن في

زيارته تلك إلى الولايات المتحدة كان القادة الاميركيون على وشك تسليم العربية السعودية اسلحة مهمة ، وكان الكونغرس يشهد حملة ضد بيع طائرات « اواكس » للرياض . ولا شك في ان مناحيم بيغن حاول ثني رونالد ريغان عن تنفيذ الشق الأخير من الاتفاقية المبرمة مع السعودية . والمعلوم ان قضية « الأواكس » لم تحسم إلا بعد عدة شهور .

وقد عمد الكسندر هيغ وزير الخارجية الاميركية في ذلك الحين إلى نوع من تطمين إسرائيل باعلان اتفاق تعاون عسكري جديد بين واشنطن وتل ابيب التي خشيت من كون « الأواكس » مزودة باجهزة لتعطيل الرادارات العدوة . وفي كلام هيغ لم يكن المقصود معاهدة او اتفاقا بل « تعاون عملي » يساهم في الحفاظ على « أمن المنطقة » .

الواقع أن تعاونا إستراتيجيا حقيقيا هو المقصود بعبارة « التعاون العملي » تلك واليوم توافرت معلومات واضحة عن الموضوع . فالتعاون ذاك يشتمل على ما يلي :

أولا ـ تدريبات مشتركة ومنتظمة وإمكانية استخدام الأراضي الاسرائيلية لمناورات عسكرية اميركية .

ثانيا ـ تعاون لوجيستي يتيح إستخداما متطورا للتجهيزات الاسرائيلية من اجل اعمال الصيانة للقوى البحرية الاميركية العاملة في المتوسط الشرقي .

ثالثا ـ امكانية استخدام الأراضي الاسرائيلية بمثابة « قاعدة متقدمة » للقوات الأميركية إذا ما تعين على قوة الانتشار السريع الاميركي التحرك والعمل ، وخصوصا في منطقة الخليج .

رابعا ـ أن تتمكن هذه القوة من تخزين عتاد عسكري وذخائر في إسرائيل .

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣ توجه الوزير الأول الاسرائيلي إسحق شامير في زيارة رسمية إلى واشنطن بعد فترة سنتين تبدلت فيها اشياء عديدة في الشرق الأدنى والخليج . صار « الخطر السوري ـ السوفياتي » محور اهتمامات ريغان واكتشفت واشنطن مجددا ما اعتبره قادة تل ابيب دوما حقيقة بدهية واسفوا دوما لعدم أخذه بعين الاعتبار . وما يمكن تلخيصه بأن إسرائيل تبقى حليف الولايات المتحدة الموثوق به في الشرق الأدنى والمحاور المتميز الذي يمكن للغرب أن يعتمد عليه !

اشكال هذا التعاون الاستراتيجي لم تتحدد بعد بوضوح طالما أن لجنة عسكرية مشتركة سوف تصوغها وتحدد ترجمتها العملية . ولا يبدو أنها ستكتفي باستعادة ما اتفق عليه في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١ وتطبقها فالمتوقع رسميا حتى الآن هو الآتي :

أولا ـ التهيئة لمناورات مشتركة جوية وبحرية للعام ١٩٨٤ .

ثانيا ـ تنظيم امور تخزين العتاد (ربما الطبي فقط) العائد لقوة الانتشار السريع .

ثالثا ـ رفع الحظر الاميركي عن تسليم إسرائيل قنابل انشطارية (تستعمل مبدئيا لغايات دفاعية) .

رابعا ـ تحويل « الهبات » إلى قروض اميركية ممنوحة من ضمن المساعدات الاميركية لاسرائيل . والمنتظر أن تتلقى إسرائيل للعام ١٩٨٤ مليارا و ٧٠٠ مليون دولار .

بالنسبة إلى الولايات المتحدة الغاية من هذا الاتفاق إذا مزدوجة . فالمقصود هو تمتين التحالف الأميركي ـ الاسرائيلي من الناحية السياسية والعسكرية في وجه التحالف السوفياتي ـ السوري ودفع إسرائيل التي تعاني من وضع اقتصادي ومالي حرج مزيدا من المرونة في ما يتعلق بلبنان . وترغب واشنطن في ان يبقى هذا « التعاون الاستراتيجي » في اقصى سرية ممكنة حتى لا تتسبب باحراج حلفائها ومن تبقى من اصدقائها العرب . ولا يشكل الأمر عقبة في إحياء « مشروع ريغان » . ولكن تل أبيب تحرص في المقابل على إعلان الحدث باقصى ما يمكن من الضجة الاعلامية .

○ محنة المسلمين في الهند

قدمت « لجنة إغاثة مسلمي الهند » ، ومقرها في لندن ، مذكرة عن محنة المسلمين في الهند إلى المؤتمر الرابع عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذي انعقد في (دكا) ببنغلادش من ٦ إلى ١٠ ديسمبر ١٩٨٣ . وقد جاء في المذكرة :

لا زال المسلمون ، منذ استقلال الهند ، يعاملون بالتمييز في مجال الاقتصاد والشئون الاجتماعية ويحرمون من حقوق الانسان الأساسية واكبر من ذلك لا زالوا هدفا لسلسلة غير منتهية من المجازر القمعية . فقد حدث اكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف حادثة عنف ضد المسلمين منذ سنة ١٩٤٧ م راح ضحيتها قريب من نصف مليون مسلم ونهبت ممتلكات تقدر ببلايين الروبيات . ولم ينس العالم حتى الآن مجزرة المسلمين الكبرى في ولاية آسام بالهند .

وقد غصبت المساجد وممتلكات الأوقاف والمقابر من قبل الحكومة والأفراد بحيل مختلفة وحاليا منع مسلمو العاصمة ، دلهي ، من أداء الصلوات في حوالي ٦٠٠ ستمائة مسجد قديم بحجة حمايتها كابنية اثرية .

إن سياسة التمييز تنفذ في حق المسلمين في كافة مجالات الحياة القومية ، فنسبة المسلمين في الوظائف الرسمية وشبه الرسمية تقل عن ٢٪ بينما لا تقل نسبتهم في المواطنين عن ١١٪ استنادا إلى المصادر الرسمية . ويبذل قصارى الجهد لتنفيذ القوانين العائلية الانجليزية ـ السكسونية ـ الهندوكية باسم الاتحاد الوطني وتوحيد القوانين المدنية . ومعاهد المسلمين التعليمية تحت ضغط مستمر من قبل الجهات المسؤولة ، ويتهم المسلمون ، بحقد ، باستلام بترودولار من البلاد العربية لنشر الاسلام في الهند .

ولكن الأجهزة القومية تقوم بدعاية في العالم بأن الهند دولة علمانية يتمتع كل من فيها بحقوق مساوية ، والأقليات في امن ورفاه . إن جو الخوف المستمر الذي تعيش فيه جالية ١٠٠ ـ ١٥٠ مليون مسلم قد أوجد نتائج وخيمة من وهن العزيمة والركود ، شبابهم لا يرون إلا مستقبلا قفرا ونسائهم يخفن الاهانة ، ويتربى الناشئة على نظام تعليمي متحيز ضد الاسلام والثقافة الاسلامية بينما يعيش تاجرهم ومزارعهم وعمالهم في أجواء من التمييز والحرمان .

لذا فان لجنة إغاثة المسلمين في الهند ، بلندن ، تنادي القادة الاسلاميين للأمة ان يبدوا اهتمامهم بثاني اكبر تجمع للمسلمين في العالم ، مسلمي الهند لكي يتمتعوا بحقوقهم الدستورية والانسانية .

○ محنة المسلمين في الفيلبين .

ربما يظفر القارىء المسلم في بعض الأحيان بخبر صغير ، ينشر في صفحة داخلية من إحدى الصحف ، عن مذبحة يذهب ضحيتها بضع عشرات من المسلمين في الفلبين ، وإذا كانت صحف الغرب والشرق غير عابئة بمصير المسلمين ، فإن من المستغرب ألا تحظى مثل هذه الأخبار الخطيرة باهتمام مكافىء لها من الصحف العربية .

ففي ٢١ صفر نشرت جبهة تحرير مورو الاسلامية تقريرا عن مذبحة « جديدة » قتل فيها ٣٤ مسلما من المدنيين منهم ١٣ طفلا ، على أيدي قوات

حكومة ماركوس . ويبدو أن هذه المذبحة جزء من خطة لابادة المسلمين في الفيلبين فقد جاء في بيان صدر عن الجبهة المذكورة بتاريخ ٤ صفر تلخيص لخسائر المسلمين في الفلبين منذ عام ١٣٨٨ هـ حتى الآن ، وفيه ما يلي :

ا) إحراق/ تدمير اكثر من مائتي الف منزل ، و ٦٠٠ مسجد و ٣٠٠ مدرسة عربية إسلامية .
ب) اكثر من ١٣٠ الف شهيد من العزل معظمهم من النساء والأطفال والعجائز .
ج) تشريد اكثر من مليون مسلم حتى الآن ، ولجوء اكثر من مائة الف منهم إلى بلاد اجنبية .
د) اغتصاب اكثر من مليون هكتار من اراضي المسلمين الزراعية .
هـ) استرقاق حوالي ٦ آلاف من النساء المسلمات على ايدي الوحوش من قوات ماركوس .

وعن أساليب حكومة ماركوس تجاه المسلمين ذكر التقرير ما يلي :

بعض اساليب حكومة ماركوس العدوانية ضد المسلمين :
ا) تخصيص مكافاة لكل من يقتل مجاهدا أو مسلما متعطفا مع المجاهدين بعد فشل العدو في ملاحقة المجاهدين والاستيلاء على قواعدهم .
ب) تدريب عشرات الألوف من النصارى عسكريا لتعزيز قوات العدو لمواجهة المجاهدين الذين تزداد قوتهم يوما بعد يوم بعون من الله وتوفيقه .
ج) إلهاء الشعب المسلم بالحفلات الساقطة لينسى قضيته وحقوقه المغتصبة .
د) تعذيب الركاب المسلمين اثناء مرورهم على مخافر الشرطة العسكرية بتهم مختلفة .
هـ) جريمة اغتصاب النساء المسلمات وتحويلهن إلى جواري تحت الوعيد والتهديد ، وكنتيجة انتحر عدد كبير من هؤلاء النسوة . ولذلك فإن بعض العمليات للمجاهدين تنفذ في غير موعدها المحدد لها لانقاذ هؤلاء المسلمات والانتقام لهن .
و) إغلاق عشرات من المدارس الاسلامية والعربية والمساجد المتبقية نتيجة مضايقات قوات العدو .
ز) تعلن الحكومة مرارا عن استسلام قواد المجاهدين ، والحقيقة ليسوا بمجاهدين بل مجرمين .
ح) الحكم العرفي ما زال قائما في بلاد المسلمين لمواصلة العدوان بجحافله ضد المسلمين وليكون مبررا لابقاء حكمه غير الشرعي الذي سينتهي قريبا باذن الله تعالى .

○ عن أفغانستان

تحظى أخبار الجهاد الاسلامي في أفغانستان ضد الغزو الروسي ببعض الاهتمام في الصحافة الغربية بين حين وآخر نظرا لموقفها المعادي لتوسع النفوذ السوفياتي ، مما يتيح لنا الاطلاع على جوانب من القضية الأفغانية . من ذلك ما نشرته في الأسبوع الأول من ربيع الأول مجلة (يو . إس . نيوز) عن عمليات التهجير الجماعي للمسلمين التي ينفذها السوفيات في أفغانستان . جاء في المقال :

مع دخول الحرب بين الثوار وبين القوات السوفياتية عامها الخامس في افغانستان ، بدات موسكو في التاكيد مجددا على استراتيجية طويلة المدى هي استراتيجية التهجير الجماعي ، اي بمعنى آخر السيطرة على البلاد عن طريق دفع اعداد كبيرة من السكان

للخروج من ديارهم .
ويحاول السوفيات الآن قصف الافغان وإجبار حركة المقاومة الصلبة إما على الخضوع والاستسلام أو الفرار من البلاد . ويعتقد ان حوالي خمسة ملايين افغاني فروا إلى الخارج حتى الآن من وجه الارهاب السوفياتي .
إن كل يوم جديد يمر على مخيمات اللاجئين في الباكستان يجلب معه قادمين جددا من داخل الأراضي الأفغانية . ويتحدث الجميع عن نفس القصة ، وهي قصة القصف السوفياتي العشوائي للقرى والمزارع ومعاقل الثوار . وفي عملية واحدة جرت خلال العام الحالي ، قتل أو جرح اكثر من ٣٠٠٠ مدني في حيرات وهي المنطقة التي شهدت نشاطا ملحوظا للفدائيين المسلمين .
وهدف موسكو على المدى القصير من التهجير الجماعي هو تجريد الثوار من الدعم المحلي الذي يتمتعون به ومن مصادر المعلومات التي يملكونها من تحرك القوات السوفياتية . وفي الوقت نفسه ، فان الخطة السوفياتية الأخيرة اجبرت المقاتلين على تحويل اهتمامهم عن المعركة نحو رعاية المدنيين الذين تعرضوا للتشرد والجوع بسبب الحرب .
أما الاستراتيجية السوفياتية الطويلة المدى من تحجيم عدد السكان فتكمن في إقامة دولة جديدة ، قابلة للادارة ، وكدليل على ان ذلك هو هدف موسكو فعلا ، في كابول ، فإنه حتى لو بقي مليون شخص في البلاد فقط ، فان ذلك سيكون كافيا لبدء حياة جديدة .
إن ما يحدث في افغانستان يتجاوز باشواط بعيدة ، مشاكل اللاجئين العادية التي تخلقها الحروب في كل مكان . فقد وصل عدد المهاجرين إلى حوالي ثلث عدد السكان الكلي وهو ١٥,٤ مليون نسمة ، حيث فر من ٢,٥ ـ ٣ مليون شخص إلى حدود الباكستان الشمالية الغربية الوعرة وبلوشستان ، وحوالي مليونين إلى إيران . اما الذين تخلفوا عن الهجرة ، فقد اجبر معظمهم بفعل اساليب الارهاب السوفياتية على الالتجاء إلى كابول طلبا للأمن وبحثا عن اماكن للعمل .
إن موسكو بقصفها الجوي وباعمالها الانتقامية وحصارها الاقتصادي للسكان الأفغان ، جعلت الأوضاع السائدة قاسية بشكل لا يمكن تحمله ، بحيث بدت الهجرة البديل الوحيد المتوفر لكثير من افراد الشعب . ومعظم اللاجئين هم من النساء والأطفال وكبار السن . فقد تخلف معظم الشبان إما لدعم المقاومة او لتسيير الأمور في مزارع العائلة ، وهذه المهمة باتت من الامور الصعبة في افغانستان . فالقصف يجعل العمل الزراعي محفوفا بالمخاطر ، ويدمر اقنية الري بشكل مستمر . اما الحصاد فغالبا ما يتم إحراقه .
وفي محاولة للحيلولة دون فرار السكان من اراضيهم ، وجد الثوار ان الواجب يدعوهم إلى القيام بمهمة اخرى تختلف عن مهمة إطلاق النار على الروس . لقد وجد هؤلاء انهم سيواجهون مشكلة فقدان القاعدة السكانية إذا لم تجر معالجة الأوضاع الاجتماعية السائدة ، لذلك بداوا في توفير الدعم للمدارس والمؤسسات الصحية وللمواد الغذائية لكن الثوار يعتمدون على الدعم الانساني الخارجي الذي لا يمكن ان يشمل كافة المناطق وخاصة المناطق المعرضة لأعمال الانتقام السوفياتي .
فهؤلاء المحاصرون في المناطق المنكوبة ، يواجهون خيارين فقط : الالتجاء إلى العاصمة كابول حيث لا يجدون امامهم من وسيلة للعمل سوى خدمة النظام المدعوم من قبل موسكو ، او الهجرة إلى الباكستان او إيران . قال الحاج حسين رئيس لجنة تقديم المساعدة للافغان وهي مجموعة متطوعة للعمل في منطقة هازراجات الفقيرة « اننا نواجه خطر خسارة جيل كامل بسبب الحرب » .

المفسدون في الأرض

● شهدت الكويت مؤخرا أحداثا مجنونة .. زرع أصحابها الرعب في نفوس الآمنين ، وروعوا الناس ، وأصابوا بحماقاتهم الأبرياء من الشباب والنساء والشيوخ ، أرادوا الشر ، واعتدوا على الحرمات ، فخلفوا الخراب ، وجرح من جرح ، ومات من مات .

● فبأي ذنب يقتل البريء ؟ .. وبأي حق يقتل المسلم ؟ والله يقول : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** » .

● وإذا كانت المتفجرات قد أصابت السفارة الامريكية ، والسفارة الفرنسية ، فقد أصابت أماكن أخرى .. وذهب ضحيتها أبرياء من المسلمين ، والعرب ، وغير العرب .

● وأيا كان الهدف من وراء هذا الفعل الاجرامي .. ومهما كان من أمر ، فإن الذين أقدموا على هذا الفعل الجبان من المفسدين في الأرض ، وجزاء هؤلاء كما نص القرآن الكريم « **أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** » .

● إن الوعي الاسلامي التي تشجب هذا العمل الآثم .. لا تتعاطف مع المصالح الامريكية ، أو غيرها ، وإنما ننظر إلى الأمر على أنه اعتداء على أمن البلاد ، وغدر وخيانة ، وقتل للأنفس بغير حق ، والله يقول : « **من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا** » .

● ونحمد الله إذ وفق المسؤولين عن الحفاظ على الأمن في الكويت إلى إلقاء القبض على الجناة ، لينالوا جزاء ما اقترفوا .. وما ظلمناهم ولكن أنفسهم يظلمون .

● والاسلام بريء من فعل هؤلاء .. بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل سبعة رجال بسبب تآمرهم على رجل واحد ، وقتلهم إياه غدرا ، وقال لو أن أهل الحي جميعا اجتمعوا عليه لقتلتهم به .

● هذا .. وإننا لنرجو للأخ الاستاذ الزميل/نجيب الرفاعي الذي صادف تواجده في السفارة الامريكية لانجاز التأشيرات المطلوبة لسفره لأمريكا حيث كان يعد رسالته لنيل شهادة الدكتوراه . صادف وجوده هناك وقت الانفجار المجنون ، فأصيب صديقنا ، ومازال تحت العلاج ، وأسرة التحرير تتمنى للأخ/نجيب الرفاعي أن يمن الله عليه بالشفاء . فهو سبحانه على كل شيء قدير .

فهمي الامام

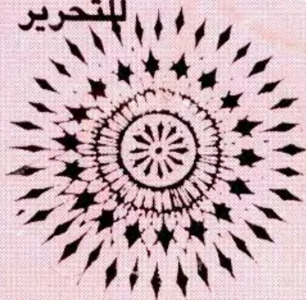
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٣ جمادي الاولى ١٤٠٤ هـ فبراير ١٩٨٤م

ورقة من مصحف كريم مخطوط كتبت بالحبر على ورق ، مزينة بالالوان والذهب ، تونس ، القرن الرابع الهجري من سورة المؤمنون : قسم من الآية ٤٩ حتى جزء من الآية ٥١

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ

حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ

أخرجه البخاري

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٣ ـ جمادي الأولى ١٤٠٤ هـ . (فبراير ـ مارس) ١٩٨٤ م .

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

ألا له الخلق والأمر

٢

● الفئة الأولى: وقد سبق الحديث عنها حسبها وصف القرآن الكريم بأنها أضل من الأنعام سبيلا .

● أما الفئة الثانية: فإنها تؤمن بالله وهم يرون قدرته ماثلة في أنفسهم وفي الكون من حولهم يتأملون الجنين معزولا بلا راع ولا مرعى فيؤمنون بأن من خلقه وصوره يرعاه . ينظرون إلى اللبن المصفى أخرجه الله من بين الفرث والدم خالصا نقيا سائغا للشاربين ، وإلى قدرة الله في الثعبان يتمتع بالحياة والسم القاتل يملأ فاه . وإلى النخل مشقوق النوى من غير أن يشقه انسان .

وإلى نوع من النبات يجف مع التعهد والرعاية ومثله في الصحراء يعيش بدون سقاية أو ماء .

وإلى صحيح يموت من غير علة وإلى مريض يعيش العمر الطويل ، ينظرون إلى البحر المسخر بإذن الله وإلى الليل منتظما مع النهار وإلى البدر ينشر النور من الأفق البعيد . وإلى الشمس تبعث الدفء والضياء من آلاف الأميال . يطالعون ذلك وغيره فيرون الكون مشحونا بأسرار قدرة الله وذلك انسجاما مع دعوة القرآن الكريم إلى التدبر والنظر فيما يحيط بالانسان :﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ سورة الغاشية ١٧ ـ ٢٠ .

● **هذه الفئة من الناس لم تعمل بمقتضى الايمان القائم على النظر والتأمل .**

بهرتهم الحضارة المادية . استولت على فكرهم وصرفهم ذلك عن الدين . وكلما انطلقت سفينة في الفضاء فتنوا بها . وصفقوا لكل كشف جديد ، وغاب عنهم أن الحضارة المعاصرة أساسها الاسلام،هو الذي وضع بذرتها ، وقد سقاها ونماها الأوائل من علماء الاسلام ثم تركها المسلمون لغيرهم يجني جناها ويحوز فخر نسبها ـ غاب عنهم أن الاسلام من أول يوم دعا الى العلم ، بل جعله فريضة على كل مسلم وأشاد بالعلماء ورفع درجاتهم ليعيش المجتمع المسلم في جو علمي تزدهر فيه الحضارة في مجالات الحياة ، وتزداد به الأمة وعيا بعظمة الله في خلقه وتمسكا بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

غاب عنهم ان الحضارة المادية الحالية تغاير حضارة الاسلام . وفرق بين حضارة تقوم على العدل والتراحم والخير ، وبين وحضارة تتسابق في انتاج اسلحة الدمار وابادة البشر كما حدث في هيروشيما وكما رأينا الدفن الجماعي في صبرا وشاتيلا وافغانستان ..

هذه الصور نقلت في برامج حية عن طريق الأقمار الصناعية في لحظات ، ومما يعصر القلوب بالأسى والألم أن هذا النقل لم يكن للتحذير أو الاستنكار أو الدعوة . إلى مقاومة المعتدين ، واسعاف المنكوبين ، ولكنه كان للتسلية والترفيه والدعاية للتقدم المادي دون النظر الى ما وراء ذلك من خراب وتدمير كما كان الروم والفرس في التاريخ القديم ، يشعلون النار في ثياب العبيد والأسرى للتسلية في

محافلهم كما كانوا يقيمون حلقات المصارعة بين الانسان والوحوش ، ويجدون لذة متجددة في مشاهدة الانسان الجريح وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة .

ومما لا شك فيه أن التقدم العلمي المعاصر مع ما فيه من مساوئ ، فيه جانب للخير يعود على البشرية بالنفع في مجالات كثيرة ، وفرت هذه الحضارة العديد من المتاعب والمعاناة ويسرت للناس أمور الحياة ولكن لا ينبغي أن يأخذ بريقها الألباب أو أن يصرف الأنظار عن المنهج الالهي الذي يتحقق به التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي فالمزاوجة بين الروح والمادة لها فاعلية إيجابية في سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، أما المادية المحضة فانها لا تنشيء قيما ولا تحقق فضائل والروحية المحضة فيها تعطيل للقوى المسخرة لبني البشر :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ . ٧٧ / القصص .

● اما الفئة الثالثة:فهم المؤمنون حقا ، لا تزيدهم الكشوف العلمية إلا إيمانا بالله واستقامة . يظهر أثرها في الاخلاق والمعاملة ، وكلما ظهر كشف مادي جديد قالوا لولا قدرة الله ما توصل الفكر الانساني إلى الذرة وما انطلق صاروخ أو تحركت سفينة في الفضاء غير أنهم ينزعجون من انغماس الناس في متع الحياة ، ومن ابتعادهم إلى حد ما عن دين الله،يخافون من أن يتأثر ضعاف النفوس من المسلمين بالدعاوي الضالة التي يرددها أعداء الاسلام اتهاما له بالتخلف والسلبية .

والحق أنه لا خوف على الاسلام لأنه الدين الذي ارتضاه الله لهذه الأمة ، وضمن له الخلود ببقاء القرآن ، وحفظه إلى يوم الدين .

قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لـه لحافظـون ﴾ الحجر / ٩ .

إن انتصار هذا الدين مع ضعف أهله وعجزهم عن حماية أنفسهم وحمايته دليل على قوته الذاتية ، فمبادئه غزت مجاهل افريقيا مجردة من المال والسلاح ومظاهر المغريات ، وانتصرت على أعداء الاسلام هناك بما معهم من ذهب ومدارس وامكانات فوقفوا مبهورين أمام هذا الدين ، وهو يجتذب الملايين وينتشلهم من بؤرة الكفر والالحاد إلى قمة الهداية والايمان .

الحضارة التي لمعت بوارقها في القرن المعاصر والعلم المادي الذي اتسعت

ميادينه لم تتحقق بهما سعادة الانسان ولا طمأنينة البشرية بل إن البلاد التي ارتفع فيها مستوى المعيشة وتيسرت فيها مطالب الحياة تشكو من التعاسة ، وتحس بالضيق والمعاناة .

والناس فيها يحيون حياة قلقة مضطربة ويلجأ كثير منهم الى الانتحار تخلصا من العذاب النفسي الأليم .

لأن العلم المادي أغفل الجانب الروحي فعجز كل العجز عن توفير السكينة للنفوس ، أو إشاعة الرحمة والتعاطف في المجتمع ، وبالتالي أصبحت الحياة شهوة عارمة لا ترتوي وصراعا مسعورا وجوعا في الأرواح لا يعرف أمانا ولا قرارا ، أما الاسلام فقد سما بالانسان ولبى حاجاته المادية والروحية من غير افراط ولا تفريط وراعى فطرة الله التي فطر الناس عليها . ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليس هناك شك في أن القرن القادم هو عصر سيادة الاسلام وانتصار منهجه وأكد ذلك الكاتب الفيلسوف الانجليزي المشهور (برناردشو) بقوله « وادركت أن محمدا جاء برسالة لا مثيل لها ولا يريد منصبا ولا جاها وهذه الحروب ضده غير منصفة لأن الاسلام دين الحقيقة .

واعتقد أنه الدين الذي سوف يسود العالم في وقت مقبل إذا تعرف عليه العالم بلا تعصب ـ فالتعصب يعمي القلوب عن الحقيقة . والاسلام هو الحقيقة التي جاء بها محمد ليجمع العالم على الحب والسلام والحق والعدل » .

فالغيورون على هذا الدين لهم أن يتفاءلوا بالتقدم العلمي لأنه يأتي بأدلة جديدة تخدم قضايا الاسلام وتبرز فضله على الناس .

لهم ان يستبشروا وهم يرون الأعداد الهائلة من ملحدين ومن مفكرين وعلماء غير مسلمين يعتنقون الاسلام عن يقين ومن غير أن يدعوهم إلى ذلك أحد وصدق الله العظيم:﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ الرعد/١٧ .

أعزنا الله بالاسلام ووفقنا لطاعته والاعتصام به ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

رئيس التحرير

حسن فتاع

بين النقش على الحجر

أصول الدين

حقيقة التدين :

هناك فرق بين الدين والتدين ، فالدين قائم ولكن الأخذ به والتدين بمقتضاه قد يكون او لايكون ، وعدم التدين هو طمس لحقيقة كامنة في أعماق الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ومن علامات ذلك وبيناته ان المرء يزداد اطمئنانا كلما ازداد تدينا ، ذلك لأنه عندئذ يتلاءم مع حقيقته الكامنة ، أي حدث اتزان وتناسق مع طبيعته ، او كما قال شاهد ليس من أهل الاسلام والفضل ماشهد به الغير . وهو **الفيلسوف اليوناني القديم بيكتيت حيث قال : الاتجاه الى الله يجب أن يكون مستمرا كما يكون التنفس** ، ولذلك يضل الانسان طريقه عندما تفقد نفسه هذا الاتزان مالم يسارع بالعمل على اعادتها الى فطرتها ، وقد يحاول البعض تخدير الفطرة او تنويمها ، او ايجاد بديل غير سليم للاتزان ، بالمخدرات وماشابهها مما يعتبر هروبا من الواقع الذي لا تتم سلامته بغير التدين الصادق ، وماهذا التخدير للنفس او الهروب بها الا محاولة لاعطائها جرعات من السعادة الوهمية الى لحظات لاتدوم ، ومن أجل هذا قد

والكتابة على الماء

ومذاهب التدين

محمد مؤذن

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

نلحظ كثرة مايصيب الذين يلتمسون هذا الطريق غير الطبيعي من الاضطراب او القلق النفسي فيعودون الى جرعات تخدير أكبر كالشاعر الذي قال :

فداوني بالتي كانت هي الداء .

ولكن لن يكون هناك دواء على الاطلاق ، فالفاقد للاتزان بسبب الانحراف عن طريق الفطرة لن يصل أبدا الى الاطمئنان النفسي وهذا هو السر في عدم قدرته في اكثر الأحيان على الخروج مما اوقع نفسه فيه من البدائل الحسية .

حقيقة عالم الحس ..

وعالم الحس ليس هو العالم الطبيعي الذي خلق له الانسان تماما بل هو وسيلة الى الغاية الطبيعية التي من أجلها خلق الانسان ، ولها أعدت فطرته ، فليس عالم الحس هو حقيقة الحياة الانسانية السليمة فالانسان هو روح أودعها الله في الجسم البشري لتحقيق ذاتها وتقدير المكانة التي تستحقها عند الرجوع الى عالمها ، وأعد عالم الحس لها ليكون مواد اختبار او امتحان تؤدي من خلاله رسالتها ويكون الفرق بين نفس وأخرى

بقدر ما تحققه كل منها على انفراد في هذا الامتحان الأرضي ، مثلها في ذلك مثل تلاميذ المدارس والمعاهد منهم من لايستطيع التحصيل أكثر من مرحلة أولية ، ومنهم من يفوز أكثر من ذلك بدرجات علمية ومنهم من يفشل .. وكل من هؤلاء يتحدد مصيره ومستقبله في حياته بقدر ما وصل اليه من تحصيل خلال دراساته في الكتب والأوراق .

الانسان ضيف في الأرض الى حين :

هذا المثل يعطينا فهما عن حقيقة استخلاف الانسان في عالم التراب الذي هو انتداب لفترة مؤقتة ، نعود بعدها ومعنا ماقمنا بتحصيله ليوضع في موازين التقدير .. أو بمعنى آخر فإن الانسان هو ضيف في هذه الأرض ، والضيف دائما حين ينزل بدار الضيافة يهيأ له سكن الى حين ، وليس له أن يدعي ملكية هذا السكن عند مضيفه كما يهيأ له ثوب لفترة الاستضافة ، وهذا الثوب هو الجسد الذي أعطى للروح لتلبسه في فترة ضيافتها الأرضية وشأنها شأن الضيف تماما حين يترك كل ما يخص دار الضيافة عند عودته ، فالمسكن هو عالم الأرض والثوب هو جسده وقد استعاره من تراب الأرض ... فاذا اتجهت كل العناية الى عالم الحس فحسب ، فذلك تكريس الجهد كله للعناية بالمسكن دون شخصية ساكنه .

***

ومخالفة ماتقدم هو أمر مخالف للفطرة وعندئذ يحدث الاضطراب وفقدان الاتزان ، ومن أجل ذلك نجد الذين يكرسون كل حياتهم للمتاع الحسي في حرمان من صفاء النفس واطمئنان القلب ، كلما زاد اقبالهم على عالمهم كلما زادت متاعبهم الروحية التي صارت خواء ، ولذلك فإنه قد أصبح معلوما أن أكثر أفراد الشعوب انتحارا ورغبة في مفارقة الحياة هم أكثر أهل الأرض ثراء من الذين تهيأت وتوفرت لهم كل أسباب المتع الحسية فلا يرون سبيلا لالتماس الراحة الا بالخروج من هذا الذي استهلكوا فيه حياتهم .

المدد الدائم من نهر الإيمان ..

والقلب البشري مثله كمثل عين ماء عذب ، يأتيها المدد دائما من نهر جار فاذا لم يأتها المدد فسد الماء وتعفن ، والمدد لايأتي الى هذه العين الا من نهر الإيمان الذي يجدد حياتها فتزكو وتتغذى الروح وتسطع فيها أنوار الفطرة ومن هذا المدد الذي يجب ان يكون مستمرا ذكر الله والصلاة وغير ذلك من العبادات . وكما يمرض البدن ويزداد ضعفا وهزالا اذا منع عنه الغذاء حينا فإن الأمر كذلك بالنسبة الى الروح اذا حرمت غذاءها .

ولنعد الى عين الماء التي انقطع عنها مدد النهر فاخذت الرمال والأحجار تتساقط فيها فتسد منافذها وقنواتها التي يأتيها منها المدد ، وهذا مايحدث للقلب الذي نجد أن الشهوات والنزوات بالنسبة اليه مثلها كمثل الأحجار التي اغلقت منافذ المدد لعين الماء ومتى فسد القلب فسد كل شيء ، فيحرم النور ، ويتخبط صاحبه في مسارب ظلمات الحياة .

والسبب في عدم قدرة الكثيرين على

علاج هذا الوضع والتماس الطريق السليم هو ان النفس لبست ثوبها الترابي تماما واستمر في هذا العالم ولم تلتمس الحصانة وتركت نور الفطرة تتراكم عليه الحجب حجابا بعد حجاب حتى توارى النور تماما .

الحصانة لصيانة الفطرة ..

والحصانة النفسية لاتكون الا بأن يصبح التدين عادة ملازمة لها فالعبادة دائما تتأكد بالعادة والمداومة حتى لاتجد النفس لذتها الا فيها فالانسان لايستطيع أن يحيا بغير متعة والعبادات تحقق للروح هذه المتعة فاذا تركها المرء اندفع الجسد الى متعه الحسية التي لاتدوم ، والتي تنتهي به ان آجلا أو عاجلا الى أهوال المتاعب ... ومن هذا ندرك حكمة تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الأبناء الصلاة من السابعة وهي سن لا يستطيع الصغير في اغلب الأحيان ان يدرك او يتقن اصولها ولكنها ضرورة حتمية لتكوين العادة التي سوف تلازمه ، وكلما تقدمت به السن تكشفت له حكمة هذه العبادات التي تعودها .

ولو رجع كل منا الى نفسه لوجد انه حفظ كلمات او أشياء او آيات او أحاديث في سن الصغر ، وانها ظلت كامنة في أعماق النفس دون ان يدرك لها او لأكثرها المعنى الحقيقي ، فلما تقدمت به السن كانت قد ظلت معه كما يبقى النقش على الحجر الذي استمر آلاف السنين منذ عصور الفراعنة ، على حين أن أكثر مايكون من التوجيه او الوعظ او الارشاد في سن الكبر هو كالكتابة على سطح الرمال المتحركة سرعان ماتأتي عليها الرياح ، او كالكتابة على الماء التي لن تتم ابدا ..

تجربة شخصية ..

وقد لحظت في نفسي انني على حين أصبحت كثير النسيان لما أقرأ أو أحاول حفظه أو حتى مايكون من العمل من أيام قليلة مضت وان ذلك ينطوي سريعا في ظلمات النسيان ، بينما مازلت أذكر كلمات او ابياتاً من الشعر او أحاديث او حتى منادمات مع بعض الإخوان مما يكون قد مضت عليه الأعوام الطوال فانني استطيع ان استعيدها كأنما هي حدثت لفورها وماكان غامضا من المعاني وقتها أصبح الآن واضحا يؤتي ثماره في التوجيه اوالعمل فكثيرا ما أنتفع بما حفظت منذ عشرات الأعوام من عهد الطفولة ولم تأت عليها الأيام التي أتت على اكثر ما هو قريب .. ان التعلم والتعليم في الصغر مدخرات في مصارف النفس تحفظها له وتعيدها اليه مضاعفة فيسحب من مصارف المعاني والذكريات والتوجيهات مما كان قد ادخر .

فروع شجرة المعرفة ..

مما سبق يتبين ان المعارف الانسانية هي بذور لأشجار المعرفة تنمو بها المواهب وتتكشف عن فوائد جليلة لم تكن عند وقتها القديم في عالم الحسبان ، ومن هنا نجد أنه لو أمكن الاحتكام الى الفطرة السليمة لما اختلف الناس في أديانهم ، ولا وجدوا شكا أو اختلافا كثيرا في مدركاتهم لأن طبيعة الفطرة لدى الجميع واحدة على حد سواء ، ولو حدث شيء من

هذا لما اتخذوا الأديان والمذاهب المختلفة سبيلا للتنازع والصراع ، فالفطرة هي مرآة صافية يعود لها صفاؤها الطبيعي متى ازيح عن سطحها غبار الأحداث .. وهذه الفطرة هي لدى المؤمن والملحد والشيخ والصبي والمرأة والرجل بدرجة لاخلاف فيها .. إنما الخلاف يأتي بعد ذلك من صنع الانسان بنفسه وبما يراكم على سطح هذه المرآة مما يطمس معالمها .. فالحقيقة الأولى التي لاجدال فيها والتي هي البذرة الأولى في شجرة المعرفة ان الطفل لايحتاج الى ارشاد أو توجيه حين ينظر الى مقعد أمامه فهو يدرك تلقائيا وعلى الفور انه لابدلهذا المقعد من صانع وأن المقعد لايستطيع أن يصنع نفسه .

ومن هذه البديهية الأولى يبدأ اول شعاع من نور الفطرة التي لم يطمسها شيء بعد ، وليس على المرء كما تقدم الا ان يظلل هذا الشعاع حتى يسطع وينمو ويزداد ولا ينطفيء بل تفتح له الأبواب والنوافذ ليضيء لصاحبه طرق الحياة الأولى والآخرة .

من أين يأتي الخلاف ؟ ..

ان فطرة التدين إذن كافية في النفس ، والإجماع قائم عند الناس اجمعين على وجود خالق للكون ولو وقفوا عند هذا الحد واطاعوا الخالق لما اختلفوا ولطابت لهم وبهم الحياة ، ولكن الخلاف كان نتيجة رغبتهم في معرفة ذات ذلك الخالق العظيم ، وازداد الخلاف بسبب أنه لكل طائفة رأي ولكل عقل رأي ونظر وطريق استدلال يناهض الآخرين ، فرأي قوم أنه روح عظمى لا يستطاع الوصول اليها ، ولكن مانستطيعه هو ان نتمثلها قائمة بينهم ويتخذون لها صورة تذكرهم بها فكانت بداية عبادة الأصنام والأوثان .. وقال قوم آخرون بل نتمثل الخالق قائما في الشمس والكواكب واختلف عن هؤلاء وهؤلاء من قالوا بل نتمثل ذلك الخالق في مظاهر قوى الطبيعة وقال غيرهم بل نتصوره الها واحدا ولكنه جالس في السماء ، ولم يوافق على ذلك آخرون فقالوا بل انه حلَّ في أجساد بعض أهل الأرض وغير ذلك مما جعل العقول تذهب مذاهب شتى وتبدد طاقاتها ، وتفرقت السبل بسبب تخطي هؤلاء لحدود الفطرة ومحاولة ارتياد متاهات لم يخلقوا لها .

الطريق الوحيد للحق المبين ..

وعندما نزل القرآن العظيم كان الناس يتيهون في هذه المتاهات وهم في حرب وصراع ، فجاء القرآن ليأخذ بيدهم الى الطريق الواحد القويم الذي لا طريق سواه ، فخاطب الانسانية في كل زمان ومكان بقول الله تعالى : (**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون**) . ٣٠ / الروم .

وقال القرآن للانسان حيث كان،ناهيا إياه عن هذا التيه والضلال العقلي الذي جعل الناس شيعا بلا مبرر انه على ضوء الفطرة لايكون مع هؤلاء : (**الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا**) . ١٥٩ / الأنعام .

ولمنع اللجاج وتحميل العقل مالا يحتمل ومادام الإجماع على وجود خالق

للكون قانونا فيجب تنحية الظنون والخرافات والأوهام التي تقيم الضباب أمام أشعة الضياء فقال : (**اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم**) . ١٣٩ / البقرة .

فما دام الجميع على يقين بوجود خالق، فلماذا الضرب في المتاهات .. ؟

ولكن الخلاف أخذ يشتد ووجد اقوام في هذا الخلاف غذاء للنفوس المريضة بل لقد استعذب البعض هذا الخلاف كما يجد الأجرب لذة في حك جلده .. فنشأت مذاهب عجيبة وفلسفات لاحصر لها لم تصل بأحد الى نتيجة ثابتة ومن الغريب ان البعض قد بدأ في محاولة لمعرفة حقيقة وجود الله فاذا به ينتهي الى إنكار وجوده سبحانه . واسترسل أقوام في الزعم بأن الكون قديم وانه ليس فيه غير مادته وحول هذه المادة تدور النواميس الأبدية التي تنبع من ذاتها تلقائيا .

الضلال الفلسفي :

والغريب كذلك أن الفلاسفة وهم دائما مغرمون بالحوار والجدل قد يأخذ الشيء الواحد منهم مجلدات في الدوران حوله حتى تتبدد طاقات الفكر في متاهات الحوار وبحار الجدل ، وتظل الفلسفات عبر القرون والأجيال تدور حول نفسها بدليل أنه رغم مرور آلاف السنين لم يقترب أكثرهم في قليل أو كثير مما جاءت به الكتب السماوية ، إنهم لن يطمئنوا إلا أن يجلس الله معهم كما يريدون حول مائدة مستديرة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وفات الفلاسفة أن الكتب السماوية لم توجد لتكون مادة جدل وحوار كما يبغون ، وإنما هي تنير السبيل للعقل ليتخذ طريقه على هدى الفطرة التي خلق الله الناس عليها ولا سبيل إطلاقا لسكينة النفس وراحة البال واطمئنان القلب إلا على هذا الهدى الذي يأخذ بيد الانسانية نحو رشدها وسعادة وجودها فمتى تيقن العقل على ضوء فطرته من وجود الخالق فلا معنى إذن للشك أو الجدل العقيم ، فما دام هناك إقرار جماعي بوجود الصانع فهذا يكفي : (**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون**) ٣٥/ الطور .

ولا يمكن في هذا المجال أن نتغاضى عن محاولات بعض الفلاسفة في الاقتراب من هذه الغاية .. مجرد الاقتراب ، ثم لا شيء بعد ذلك ، وإليك نبذة في هذا السبيل من حديث الفيلسوف سقراط مع تلميذه أرستوديم وأسلوبه الطريف في هذا الحوار الميسر الممتع :

سقراط : قل لي يا أرستوديم أتعرف رجالا تعجبك منهم مهارتهم وجمال صنائعهم ..؟

أرستوديم : نعم إني أعرف بعض الذين أبدعوا في صناعاتهم ..

سقراط : أخبرني عن بعض هؤلاء يا أرستوديم ..

أرستوديم : يعجبني ما أبدع الشاعر هومير ، والمصور بزوكيس ، وصانع التماثيل بيولكتيف ، وغيرهم .

سقراط : أي الصناع أولى في نظرك بالاعجاب ؟ الذي يخلق صورا بلا عقل ولا حراك أم الذي قد يستطيع أن يبدع كائنات ذات عقل وحركة وحياة ..؟

أرستوديم : يقينا يعجبني أعظم العجب إذا استطاع أن يجعل فيما يصنع عقلا

وحركة وحياة .

سقراط : ألا ترى يا أرستوديم أن الذي فطر الناس قد أعطاهم ما لديهم من الأعضاء وجعل لهذه الأعضاء غايات خاصة ؟ فأعطاهم العين للنظر ، والأذن للسمع . وهل كنا ندرك الروائح إذا لم تكن لنا أنوف ؟ وهل كنا نعرف حلاوة الحلو ، ومرارة المر لو لم يجعل ذلك الصانع لنا اللسان مهيئا لهذه الطعوم ؟

أرستوديم : إنني أوافق على هذا يقينا ..

سقراط : ثم ألا ترى يا أرستوديم من دلائل تبصر هذا الصانع أن تكون الأعين لرقتها وسهولة تأثرها قد جعلت لها الأجفان تقفل وتفتح بالإرادة وتنسدل على العينين عند النعاس ، وقد غطيت أطرافها بالرموش التي هي أشبه بالغربال لتحميها شر الرياح ، وأن الحواجب قد صنعت لتمنع تساقط العرق عليها .

وهكذا استمر الحوار مما لا يتسع له المجال إلى أن قال سقراط : كل هذه الأشياء التي صنعت بحكمة وتبصر أتعزوها يا أرستوديم إلى المصادفة ؟ هل تستطيع هذه الأعضاء تحديد وظائفها ؟

أرستوديم : لا وحق الإله « جوبيتر » إن الانسان إذا نظر إلى ذلك لا يستطيع أن ينكر أن صانعها يعرف ما يصنع ويحكمه بإرادة وقدرة .

ولا يفوتنا أن ندرك أنه بالرغم من هذا الإقرار لا ينسى أرستوديم أن يقسم بالإله الذي يعتقد أنه صانع هذا فيقول لسقراط : لا أنكر ذلك بحق « جوبيتر » فالمسألة ليست إلا مجرد إقرار بوجود صانع يراه كل فريق على زعمه ، وما يتوهم ، فوجود الإله لا يحتاج إلى براهين ، لأن ذلك مركوز في الفطرة دون حاجة إلى جدل ، كل ما هو مطلوب هو أن ندع الفطرة تنمو وتتفتح بالرعاية على طريق قويم .

إن العقيدة بوجود خالق واحد أحد له كل صفات الكمال والجلال والجمال تولد مع الانسان ثم تنمو ، وتتفتح بالرعاية ، وتزداد بهذه الرعاية إشراقا ووضوحا ، وتتحول إلى نور يهدي صاحبه

وقد تفضل الخالق فضلا منه ورحمة بأن يهدي الراغبين من عباده في التماس سبل الرشاد إلى ينابيع هذه السبل : (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) ٦٩/ العنكبوت

فلم يقف الأمر عند حد الفطرة الكامنة بل بعث الله الكريم الودود فوق هذا بالرسل وبالكتب المقدسة لتهيئة المناخ الصالح لنمو بذرة النور التي استودعها في أعماق النفس ، ولتطهيرها من الشوائب التي تعلق بها في الحياة الأرضية .. ويظل الانسان بعيدا عنها بنور الفطرة **مهتديا بها إلى سواء الصراط مسلما** وجهه لله وهو محسن ، حتى يصبح الإحسان في الأقوال والأعمال والأحوال ، موقنا بنصر الله في الدنيا والآخرة ـ ما دام لم يشرك بربه أحدا ولا شيئا .

ولنقف عند قوله تعالى :

(**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض**) ١٠/ ابراهيم

وهذه الآية وحدها كافية كي تدحض الاتجاهات المذهبية الضالة والفلسفات التي تجهد نفسها لتأخذ بأيدي أهلها إلى جدل عقيم ..

عشرة مبادئ لمنهج جديد في التفسير

للدكتور : محمد الدسوقي

للعلماء والباحثين في الماضي والحاضر آراء كثيرة في المنهج الأمثل لتفسير كتاب الله ، وهذه الآراء على كثرتها وصعوبة استقرائها تكاد تلتقي عند مبادىء أساسية أو قواعد عامة ينبغي على كل من يقدم على شرح الكتاب العزيز أن يأخذ بها ، وقد حاولت حصرها فيما يلي :

أولا : إن التجرد من الأهواء الفكرية والشخصية عماد كل بحث علمي سليم ، فالمفسر للقرآن عليه أن يكون موضوعيا لا يخضع لتصورات ومفاهيم خاصة ؛ لأنه إن

لم يفعل ذلك فلن يقرأ بين دفتي القرآن المجيد إلا ما يشغل فكره ، ويستحوذ على عقله ومشاعره ، ولن يجد من ثم شيئا من رائحة القرآن .

إن تاريخ التفسير يشهد بأن طائفة من الآراء التي اشتملت عليها مؤلفاته مردها إلى البعد عن الموضوعية ، وذلك عن طريق استخدام الآيات القرآنية لتأييد الفرق والخلافات المذهبية ، وقد شغل هذا الأمر الأمة بما لا يجديها في دينها ودنياها ، فعلينا إذن أن ننزه تفسير القرآن عن الأهواء والأغراض الذاتية والاتجاهات الاقليمية ؛ لكي ننتفع بهديه ، ونستقيم على سبيله ونعتصم بحبله ، وإلا ابتعدنا عنه شيئا فشيئا ، حتى نصبح غرباء عنه ، ولا يبقى بأيدينا غير حصاد الصراع والنزاع الذي يذهب الريح ويبيد الأمم .

ثانيا : إن القرآن الكريم كتاب هداية ، ومنهاج حياة للناس كافة ، وهو من ثم صالح لكل عصر وبيئة ، وكان واجبا على المسلمين في كل زمان ومكان أن يرددوا فيه النظر ، وأن يعولوا عليه في التماس الحل لما يواجههم من مشكلات ، ويجد في حياتهم من أقضية وأحداث ، وهم لن يبلغوا ما يريدون من الانتفاع بهدي القرآن كما ينبغي أن يكون إلا إذا ألموا بمنهجه في معالجة أمراض المجتمع الانساني إبّانَ نزوله ، وكانوا إلى هذا على صلة وثيقة بواقعهم ، وما يضطرب فيه من أفكار وأحداث ، وذلك لكي يكونوا على معرفة بسنن الله في خلقه ، ولكيلا يبعدوا بتفسيرهم عن الغاية الأولى من إنزال القرآن ، وهي هداية الناس إلى صراط الله المستقيم .

وعلى قدر ما يتاح للمفسر من خبرة بالنفس الانسانية يكون تفسيره للنص القرآني أدق وأعمق ، وهو من هذه الناحية يكشف عن أسمى ما جاء به هذا النص من معان تسمو بها تلك النفس ، وتنأى عن الدنايا وسفساف الأمور .

ثالثا : وما دام القرآن دستور حياة يهدى للتي هي أقوم فإن على كل من يتصدى لشرحه أن يحرص أبلغ الحرص على تجلية اصول هذا الدستور ووسائل تطبيقها في دنيا الناس ، ووجب على المسلمين وعلماء الدين والمفكرين منهم بوجه خاص أن يحذروا الزج بالقرآن في استنباط العلوم الكونية ، أو إقرار النظريات المتجددة ، فذلك خروج به عن غايته ورسالته ، ولهذا قال بعض العلماء عن التفاسير التي أسرفت في الاهتمام بالقضايا العلمية ونحوها :

إن فيها كل شيء إلا التفسير ، فكأنها بهذا ليست تفسيرا لكتاب الله .

على أن العلاقة بين القرآن والعلم ليست علاقة تضاد وخصام ، وإنما هي علاقة وئام وسلام ، فحديث القرآن عن العقل والتفكير ومكانة العلماء يؤكد بلا مراء أن العلم بمعناه الشامل دعوة القرآن ، وفريضة من فرائض الإسلام ، ومن هنا لا تتعارض حقيقة علمية مع آية قرآنية ، وما قد يقال من وجود تعارض بين النص القرآني والحقائق العلمية مرجعه إما إلى عدم فهم النص المقدس فهما صحيحا ، وإما إلى أن ما يقال عنه حقيقة علمية ليس كذلك .

إن الخطأ الفادح يكمن في الادعاء بأن لكل ظاهرة علمية آية تتحدث عنها أو تومىء إليها ، فهذا لون من الاعتساف في التفسير ، وهو ما يجب أن ننأى بكتاب الله عنه ، وألا نخلط بين الحرص على التفكير العصري في

فهم القرآن ، والحرص على الربط بين الأفكار والنظريات العلمية والآيات القرآنية ، فهذا شيء وذاك شيء آخر .

رابعا : لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، ولا سبيل إلى فهمه بغير التمكن من اللغة العربية متنا وقاعدة وأسلوبا وبيانا ، على أن يكون تفسير القرآن مع هذا ملتزما بالتوافق مع دلالة المفردات والتركيب اللغوي ، وفقا للمعجم والقواعد السائدة في المرحلة التاريخية التي نزل فيها مع ملاحظة الدلالة القرآنية للمادة اللغوية عن طريق استقراء ورودها في القرآن كله ، وتدبر سياقها في السورة والآية .

وتأسيسا على هذا يكون التأويل الذي لا يتوافق مع قانون العربية كالتفسير المذهبي والإشاري ، والزعم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا-تحريفا له عن مواضعه ، ولا يمكن أن يسمى تفسيرا .

خامسا :إن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وهو من ثم لا يعرف تناقضا أو اختلافا بين آياته ، بل إن هذه الآيات يأخذ بعضها بحجز بعض ويفسر بعضها بعضا ، وما نزل منها متأخرا مبني في المعنى على ما نزل متقدما كما يرى الإمام الشاطبي (انظر الموافقات حـ ٣ ص ٢٤٤) .

وكان هذا الرأي للشاطبي هو منطلق الدعوة إلى تفسير القرآن موضوعا موضوعا ، والذهاب إلى أن العمل التفسيري لا يكون كامل الدقة إلا إذا جمعت الآيات المتعلقة بموضوع واحد وفق ترتيبها في النزول ، وإلى جانبها السنن والآثار التي تعرضت لهذا الموضوع .

وتحمس لهذا اللون من التفسير الموضوعي بعض المعاصرين ، وظهرت فيه مؤلفات لا بأس بها ، ولا شك في أنه منهج سديد في فهم القرآن ، وتيسير الإلمام بموضوعاته وأحكامه ، بيد أن هذا لا يعني أن منهج القدماء وبعض المحدثين في تفسير القرآن ؛ طوعا للترتيب المعهود منهج عقيم ، اولا يكشف عن القضايا والأحكام القرآنية التي توزعتها الآيات والسور في ترابط وتناسق وشمول . فما غفل أصحاب هذا المنهج وهم يفسرون القرآن عن الترابط بين الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد ، ثم إن ترتيب الآيات - وهو توقيفي - يعني أن بين موضوعات القرآن تناسبا وتماسكا . وأن ذكر آية تتحدث عن الجهاد مثلا بعد آية تأمر بالركوع والسجود وفعل الخير ليس من باب ذكر موضوع عقب غيره لا يلتقي معه في أصل من الأصول ، أو وجه من الوجوه ، فكل آيات القرآن تمثل وحدة يشد بعضها بعضا أو أصولا يجمعها أصل واحد ، ولهذا سيبقى لمنهج الأقدمين من حيث جانبه الشكلي رسالته في خدمة النص القرآني ، كما أن لمنهج المعاصرين رسالته كذلك في خدمة هذا النص المقدس .

سادسا : وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا فإن هذا التفسير ليس مقصورا على موضوع واحد تكرر ذكره في كتاب الله في أكثر من آية ، ولكنه ينسحب على كل ما اشتمل عليه القرآن من أحكام ؛ بمعنى أن المفسر لا يشرح آية شرحا يتعارض مع آية أخرى ، وإن اختلف موضوع كل منهما ، فليس في هذا الكتاب المحكم اختلاف أو تعارض بين آياته وأحكامه ، ومن ثم كان الترابط بين تعاليم القرآن أمرا لا مناص

منه ؛ درءاً للتناقض أو الاضطراب في تفسير الكتاب العزيز .

إن من يحاول مثلا تفسير قوله تعالى: (**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) البقرة/ ٦٢ دون أن يربط هذه الآية بغيرها من الآيات التي تحدثت عن عالمية القرآن ، وأنه دعوة للناس كافة ، وأنه هيمن على كل الكتب التي خلت قبله ، وأنها أصبحت بعد نزوله منسوخة ، وأيضا دون أن يربطها بهذه الآية :(**إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد**) الحج/ ١٧ - إن من يحاول أن يفسر تلك الآية دون أن يصل بينها وبين ما أومأت إليه هذه الآيات فإنه يخطىء في التفسير حين يرى أن هؤلاء من الذين هادوا والنصارى والصابئين أصحاب عقيدة صحيحة وإن لم يرتضوا الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم دينا ؛ لأن في ذلك تناقضا بين آيات القرآن وأحكامه ، وينتهي بنا إلى أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعضه الآخر ، ولا علاقة لهذا الموقف الذي لا يجامل في الحق بمبدأ التسامح والحرية الدينية في الاسلام ، فهذا المبدأ شيء ، والتناقض في درس تعاليم هذا الدين شيء آخر .

وهكذا في كل آيات القرآن لا ننظر في بعضها دون أن نصل بينها وبين سواها من الآيات ، فهي كلها متعاونة متكاملة في تقرير الأحكام التي ينهض عليها منهج القرآن في بناء الشخصية الإنسانية بما يؤهلها لعمارة الأرض بالحق والعدل والإخاء والفضيلة .

سابعا : وكما أطبقت كلمة العلماء على أن القرآن يفسر بعضه بعضا أجمعت على أن السنة النبوية بمفهومها الشامل بالنسبة للقرآن أشبه ما تكون بالمذكرة التفسيرية بالنسبة للقانون .

إن من المجمع عليه أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن مقصورة على التبليغ ، وإنما كانت إلى هذا بيان ما يحتاج من آيات القرآن إلى توضيح ، ومن ثم كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المفسر الأول للقرآن ، فسره بسنته قولا وعملا ، فلا بد لمن يرغب في تفسير القرآن من أن يلم أولا بتفسير الرسول ؛ لأنه يبين عن ربه ، وليس بعد بيانه بيان ، ومن أعرض عن هذا التفسير ، فلا يحق له أن يقول في كتاب الله كلمة واحدة ، وكان من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

إن دراسة السنّة النبوية والإلمام بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك حياة صحابته الذين عاينوا التنزيل ، وعرفوا مناسبات النزول لكثير من الآيات ، فضلا عن دراسة البيئة المادية والمعنوية التي نزل فيها القرآن - ضرورة لا غنى عنها لمن يفسر كتاب الله ، على أن يكون حذرا في قبول بعض المرويات ، ولا يأخذ منها إلا ما كان صحيحا لا شبهة فيه من وضع ونحوه .

ثامنا : إن الدعوة إلى التجديد لا تقتضي نبذ القديم كله ؛ لأن أولى مراحل التجديد هي قتل القديم بحثا وفهما ، فما كان منه ملائما لعصرنا ولا يعكس ثقافة خاصة ، أو هوى مذهبيا فهو زاد علمي نعض عليه بالنواجذ ، وما لم يكن كذلك عذرنا أصحابه ، واعترفنا لهم بفضل السبق على ما كان منهم من

عثرات وهنات ، وليس من المنهجية العلمية أن نحكم على تراث الأجيال الماضية بمفاهيم وموازين عصرنا ، فلكل عصر قيمته الفكرية وموازينه العلمية . وقد لاحظت أن بعض الذين يدعون إلى التجديد في التفسير وغيره من العلوم الاسلامية يتهمون القدامى بما لا يليق أن ينسب إليهم ، فهم على كل حال خلفوا لنا تراثا علميا - وإن شابته بعض الشوائب - ما زال شامخا لم يستطع جهد المعاصرين أن يحجب قوته وتأثيره ، بل إنه في الحقيقة ما زال عالة عليه .

إن القدماء أدوا واجبهم نحو كتاب الله على ما لهم من ميول مذهبية أو اتجاهات فكرية ، وعلينا أن نحاول أداء الواجب كما فعل السلف دون الوقوع فيما وقعوا فيه ، ولا يدفعنا الحرص على التجديد إلى تشويه عطاء هؤلاء العلماء الذين لم يدخروا وسعا في خدمة كتاب الله ؛ وفقا لثقافتهم وأوضاع عصرهم .

تاسعا : إن العمل التفسيري يحتاج إلى دراسات متنوعة ، يتعلق بعضها باللغة العربية وعلومها ، ويتعلق بعضها الآخر بالعلوم التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية والطبيعية .. الخ حتى يتوافر لهذا العمل كل أسباب الدقة والصحة ، ولما كان التبحر في هذه العلوم جميعها لا يبلغ إليه إنسان في عمره المحدود كان التعاون بين العلماء ضرورة مفروضة ، وكان العمل الجماعي في التفسير أهدى سبيلا من العمل الفردي .

عاشرا : والعمل التفسيري بعد هذا ينبغي أن يكون قوة محركة للعمل ، ودعوة صادقة للتطبيق ، وليس مجرد معلومات جافة باردة لا تعرف طريقها إلى الحياة الواقعية .

والمفسر الذي يعيش القرآن سلوكا عمليا ، وشعورا جياشا بالعاطفة الاسلامية ، شعورا ينبثق عنه العمل الذي لا يعرف الكلل من أجل أن تعلو كلمة الله في الأرض - هذا المفسر هو الذي يقدر على أن يكون تفسير القرآن على يديه روحا تبعث في الانسان الحركة الدافعة لطاعة الله والاستمساك بدينه والدعوة إليه وليس ترفا عقليا أو متعة ذهنية ، فالعلم في الاسلام ليس غاية في ذاته ، إنه وسيلة لخشية الله ، وسيلة للعمل الذي يقرب من الخالق ، ويعمر الأرض ، ويحمي رسالة الخير فيها ، ولا يفهمن أحد أنه يصبح من أجل ذلك لونا من المواعظ أو الدردشة التي تسبح في عالم من الشطحات والتهويمات ، وإنما هي الدراسة التي تجمع بين الفكر والفؤاد ، وتربط بين العقل والضمير ، وتثير الذهن كما تثير الشعور ، إنها تلك الدراسة التي تربي الانسان تربية خاصة فلا تكون حقائق العلم أمامه مجرد نظريات وقوانين جافة لا تشدها إلى فاطر الأرض والسماء مشاعر اليقين وروح الإيمان ، ومن هنا تكون الحقيقة العلمية - أيا كان لونها - في خدمة العقيدة ، تشد أزرها ، وتدفع عنها رياح الشك ، أو نزغات المروق والعصيان .

وبعد فتلك هي المبادىء العامة التي دلت عليها آراء العلماء على تباينها حول منهج جديد للتفسير ، منهج يستجيب لتطورات الفكر ، ويواكب أحداث الحياة وظروف العصر ، وفي الوقت نفسه لايجافي التراث ، أو يشيح بوجهه عنه ، إنه المنهج الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة على هدى وبصيرة .

عالم لا يخاف



مرت على العالم الاسلامي في القرن الخامس والسادس والسابع الهجري فترات محزنة اشتدت فيها الفتن والمحن من الداخل والخارج ، ولكن لم يخل هذا الجو الحالك من شموع تضيء الطريق وتبدد الظلام ، ونجوم زاهرة يهتدى بها التائهون في الليل الدامس وقمم شامخة يلجأ اليها الخائفون الهاربون من سيول الظلم والفساد ان تجرفهم ، ومن قوافل الشر والفتنة ان تهلكهم فيعتصمون بها ، وقد تصدت هذه القمم لكل انواع الظلم والاستبداد ، وسلطت أنوارها الكاشفة على دياجير الظلام فتبين للناس طريقهم الصحيح فيتجنبون الوقوع في الحفر والمستنقعات .

من هذه القمم الامام ابو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الملقب بسلطان العلماء والمشهور بالعز بن عبدالسلام ، فقد كان رضوان الله عليه إماما في الدين والفقه ، قويا في الحق زاهدا في الدنيا مخلصا لأمته ودينه ، وتشهد فتاويه واجتهاداته الفقهية على الفهم العميق للدين والبعد عن التعصب المذهبي ، والإحاطة التامة بمرامى الشريعة وأهدافها ، فعلى الرغم انه شافعي المذهب فإنه تحرر من ربقة التقليد الأعمى ، واتجه نحو الاجتهاد في كثير من المسائل الفقهية معتمدا على قوة الدليل ورجحان الحجة في القول الآخر ، وأرجع الفقه كله الى اعتبار المصالح ودرء المفاسد ، وندد بأولئك الذين يتعصبون لمذاهبهم من الفقهاء على الرغم من ضعف الدليل في مذهبهم وقوته في المذهب الآخر ، فقال في كتابه قواعد الأحكام : (ان من العجب العجيب ان الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ أمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا ، ومع هذا يقلده فيه ويترك من

للأستاذ / عبد القادر بن محمد العماري

الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه ، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده) . وهو يدعو الى ترك هؤلاء المقلدين وعدم إضاعة الوقت في مناقشتهم فيقول : (فالبحث مع هؤلاء ضائع مفض الى التقاطع والتدابر من غير فائدة تجديها ، وما رأيت أحدا يرجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره ، بل يسير عليه بضعفه وبعده فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين اذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه . قال : لعل إمامي وقف على دليل لم اقف عليه ولم اهتد اليه ، ولم يعلم المسكين ان هذا مقابل بمثله ، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح ، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره ، حتى حمله على مثل ما ذكر ، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر) .

وعندما تولى الخطابة في الجامع الأموي بدمشق من قبل الملك الصالح اسماعيل في ربيع الآخر سنة ٦٣٧هـ . وكان منصب الخطابة في الجوامع الكبيرة في العالم الاسلامي ومنها الجامع الأموي بدمشق منصبا خطيرا مرموقا ، فلا يتولاه الا كبار علماء العصر ، فأول ما قام به الامام العز بن عبدالسلام ان ابطل صلاتي الرغائب والنصف من شعبان ، اللتين اعتاد الناس إقامتهما في الجامع ، لأنه لم ترد بهما سنة صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يلبس الجبة السوداء ولم يدق على السيف اثناء الخطابة ولم يلتزم السجع في الخطابة ، وألغى

الثناء على الملوك والسلاطين فيها ، وبعد سنة واحدة من تولي الامام العز بن عبدالسلام الخطابة ، اي في سنة ٦٣٨هـ . قام الملك الصالح اسماعيل الذي ولاه الخطابة بخطوة خيانية في حق الاسلام والوطن ، وهي تحالفه مع الصليبيين ، وتسليمه لهم بعض المواقع الاستراتيجية في بلاد الشام ، وهي قلعة صفد وبلادها ، وقلعة شقيف وبلادها ، ونصف صيدا وطبرية وجبل عامل وسائر بلاد الساحل ، وذلك لانه يريد مساعدتهم في خلافه مع ابن أخيه نجم الدين حاكم مصر ، لأن اسماعيل حارب والد نجم الدين ووثب على حكم دمشق بعد موته ، وأمام هذه الخيانة النكراء ، هل في وسع الامام العز بن عبدالسلام ان يقف صامتا ، وهو سلطان العلماء الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يسكت في قول كلمة الحق في أقل الأمور شأنا ، هل يبيح لنفسه أن يسكت على خيانة حاكم يفرط في بلاد المسلمين ، ويسلم ثغورها للأعداء من أجل أن يبقى متربعا على الحكم وقد تمادى هذا الحاكم في خيانته ، فسمح للصليبيين بدخول دمشق لشراء السلاح وآلات الحرب ..؟؟ لا والله لن يسكت ابن عبدالسلام وهو الذي قد فهم دين الاسلام على وجهه الصحيح ، وقد اصبح مشعلا ينير الطريق ، وقد اختلط حبه للاسلام والمسلمين بلحمه ودمه .

فعندما ازداد غضب المسلمين مما فعله الملك ، وتوجهوا الى العلماء كما هي عادتهم عند كل مصيبة تصيبهم ويطلبون منهم الحل ، لأنهم هم القادة الحقيقيون للجماهير ، كانت أول خطوة خطاها ابن عبدالسلام أن أصدر فتواه أولا : **بتحريم التعاون مع الصليبيين ، وتحريم بيع السلاح لهم** ، وقاد المعارضة القوية ضد السلطان ، وأرسل الى نجم الدين حاكم مصر رسالة يحثه فيها على الجهاد ، ويدعوه الى أن يتحرك بجيوشه الى الشام ، وحذره عن التخاذل والقعود عن الجهاد في سبيل الله وأخذ يجتمع بأنصاره ويحثهم على مواصلة المقاومة ، حتى اذا كان يوم الجمعة وأمتلأ الجامع الأموي الكبير على سعته بالناس ، وقد أنتظروا ماذا سيقول الامام في خطبته عن هذا الحدث الجلل والخطب الفادح الذي يهدد بلاد المسلمين ، وعندما دخل الامام ورقي المنبر ، تطلعت اليه الانظار وأشرأبت اليه الأعناق ، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، ذَكَّرَ الناس بالجهاد وفضله ، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جاهدوا المشركين حتى علت كلمة الله ، وبلغت دعوة الاسلام الى المشرق والمغرب ، وأورث الله المسلمين البلاد وجعلهم خلفاء الأرض ما أقاموا الدين واستقاموا على طريقته ، فلما غيروا ما بأنفسهم غير الله عليهم فسلط الأعداء على بلادهم ينقضون أطرافها ويستأثرون خيراتها ، ويسومون أهلها الخسف والهوان ، ويذيقونهم ألوان العذاب ابتلاء من الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ، وأن آخر هذه الأمة لا يصلح الا بما صلح به أولها ولم يصلح أولها الا بالجهاد في سبيل الله ، ثم ذكر ما أوجب الله على المسلمين من طاعة أولى الأمر منهم ، ليستقيم به معاشهم ومعادهم ، وما أوجب على أولى الأمر من النصح

للاسلام وأهله والقيام بحماية بلادهم وسد ثغورهم حتى يأمنوا على دينهم ، فأيما سلطان أو أمير أو ملك فرط في حفظ بلاد المسلمين وعرضها للوقوع في أيدي الكافرين ، فقد أبرأ ذمة الله والمسلمين ، وخلع بيده طاعتهم له وظلم نفسه ، وعلى المسلمين أن ينصروه ظالما كما ينصرونه مظلوما ، ونصر الظالم دفعه عن ظلمه ، والحيلولة بينه وبين ما أراد من أن تضيع بلادهم وكسر شوكتهم ، وتحكيم الأعداء في رقابهم ، وتمكين هؤلاء من القضاء على ما في قلوبهم من عزة الدين ونخوة الاسلام ، ثم تلا قوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وانتم لا تظلمون**) . الأنفال ٦٠ .

وبين ما فرض الله على المسلمين من أعداد الأسلحة وآلات القتال ورباط الخيل . واتخاذ الأساطيل في البحر وسائر وسائل القوة ، وتحققوا مصداق قول الله تعالى : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون : ٨ ، ثم خلص من هذا فذكر تحريم بيع السلاح للعدو تحريما باتا لا رخصة فيها ولا استثناء ، وندد بعلماء السوء الذين يفتون الناس بالباطل ويحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، ويجبنون عن الجهر بكلمة الحق ويخافون الملوك ولا يخافون ملك الملوك وقال : « أيما مسلم باع لعدو سلاحا أو أعان على بيعه لهم ، فقد خان الله ورسوله وخان المسلمين » وتلا قوله تعالى : (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) . المائدة : ٥١ ، مردِدها ثلاثا .

وفي الخطبة الثانية : جعل يدعو أن يعز الاسلام وأهله ومن دعائه : اللهم أبرم لهذه الأمة ابرام رشد يعز فيه أولياؤك ويذل فيه أعداؤك ، ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك ، والناس يضجون بالتأمين والدعاء ، وخرج الناس من المسجد ولا حديث لهم الا خطبة العز بن عبدالسلام وأشفقوا على مصيره ، وقد كان الملك غائبا عن البلاد ، فكتبوا اليه بما قاله ابن عبدالسلام في خطبته ، فكتب الى نائبه بعزله عن الخَطابة ، وألقاء القبض عليه وسجنه ، حتى يرجع الى دمشق ويرى فيه رأيه ، وكان أنصار الإمام قد نصحوه بأن يغادر البلاد وأبدوا استعدادهم لمساعدته على الهرب ، فامتنع وقال : والله لا أهرب ولا أختبىء وانما نحن في بداية الجهاد ، وقد وَطّنتُ نفسي على احتمال ما ألقى في هذا السبيل ، والله لا يضيع أجر الصابرين ، فقبض على الشيخ وسجن ، فثار الناس ، وكان قد أوصاهم قائلا : غيروا بأيديكم ما لم أقدر على تغييره بلساني ، وادفعوا هذا المنكر من بيع السلاح الى الأعداء الكافرين وابطشوا بمن يغشى منهم سوقكم للابتياع واحتسبوا عند الله أجركم ، فانتشرت الاضطرابات في البلاد وحوادث الاغتيال لأعداء الاسلام من الصليبيين الذين يدخلون في حماية الملك لشراء السلاح ، حتى تطور الأمر الى أن يقتلوهم جهرة في الأسواق ، وألزم الأفرنج الملك بدفع دية كل من يقتل من رجالهم ، فزادت ـ التكاليف على الملك ، وخشي من حلفائه أن ينقضوا

العهد معه فاضطر لاطلاق سراح الشيخ ابن عبد السلام وأمره بالإقامة في بيته لا يتصل بأحد ، ولم تتوقف الاغتيالات ضد الافرنج ولا هدأت النفوس فنفاه الملك الى خارج البلاد ، فخرج قاصدا مصر ، وعرج على الكرك ، قد أرسل الملك بعض خواصه ليلحق بالشيخ ويلاطفه ويحاول الاتفاق معه على العودة واصلاح الأمور ، وأن يعود الى مناصبه ، وكان مما قال له الرسول ، فما عليك الا أن تعتذر للسلطان وتقبّل يده لا غير ، فقال له الشيخ : والله يامسكين ما أرضاه أن يقبّل يدي فضلا عن أن أُقبّل يده ، ياقوم : أنتم في واد وأنا في واد ، الحمدلله الذي عافاني مما ابتلاكم به ، وفي أثناء إقامته في الكرك اتصل بصاحبها الملك الناصر داود ، فطلب منه التعاون مع ملك مصر نجم الدين لإزاحة الملك اسماعيل من الشام وطرد الصليبيين حتى أقنعه بذلك ، ولما وصل الى مصر عمل كل ما وسعه من حث الملك نجم الدين على تخليص الشام من الأعداء وإزاحة الملك اسماعيل عن دمشق فوجد قبولا لدى نجم الدين ونجحت مساعيه ، فما طفق نجم الدين الذي عرف بالنشاط والإخلاص للاسلام أن يجرد الحملة تلو الحملة الى الشام ، ويبعث القواد من مماليكه ، فاستولى على غزة والسواحل والقدس ثم سلمت له دمشق وهرب الملك الصالح اسماعيل من دمشق ، ومما يجدر ذكره انه بعد ذلك وقع اسماعيل في الأسر عندما اشترك في غزو مصر ، عندما اصبح الحكم فيها للملك عز الدين أيبك ، أعدم الملك الصالح بموجب فتوى من الشيخ ابن عبد السلام جزاء خيانته لله ولرسوله ، وبيعه بلاد المسلمين للصليبيين .

وفي مصر قام الشيخ على عادته في الجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ ما كان يأتي من الشام ليسكت في مصر ، فعندما رأى استبداد بعض المماليك وسطوتهم نظر فوجد أن هؤلاء المستبدين انما هم لازالوا أرقاء ولم يعتقوا بعد ، وقد نُصّب هو قاضيا للقضاء من قبل السلطان نجم الدين أيوب فبدأ يبطل العقود التي يعقدونها من بيع وشراء وزواج وطلاق ، فتعطلت مصالحهم وضاقت بهم الحياة ، وكان من جملة هؤلاء المماليك الذين لم يثبت عتقهم نائب السلطنة فاستشاط غضبا وثار واجتمع المماليك وارسلوا الى الشيخ يستفسرونه ماذا ينوي بهم ، فرد عليهم بأنه قد حكم برقهم لأنه لم يثبت عتقهم ، وانهم يعتبرون ملكا لبيت مال المسلمين ، وان الطريق الصحيح للحل هو ان يعقد مجلسا وينادي عليهم لبيت مال المسلمين ، ويحصل عتقهم بطريق شرعي ، ولما رأوا إصرار الشيخ على ذلك رفعوا الأمر الى السلطان ، فطلب السلطان منه أن يتركهم وشأنهم فلم يرجع الشيخ عن رأيه ، فغضب السلطان وقال : « لا يجوز لابن عبد السلام أن يحكم هذا الحكم القاسي على امراء الدولة ونائب السلطنة ، وليس ذلك من اختصاصه » . ولما رأى الشيخ أن السلطان قد اعترض على حكمه ، أقال نفسه من القضاء وخرج هو وعائلته من البلاد قاصدا الشام ، وانتشر الخبر في البلاد فجاء الناس ومشوا خلف الشيخ في مظاهرة كبيرة يودّعونه وهو يغادر القاهرة ، ويشدون من أزره ، وعلى رأس هذه المظاهرة.العلماء والتجار ولم يتخلف صبي ولا امرأة ولا صغير ولا كبير

دعوه فاني الى دعائه القصير لأحوج مني الى الثناء الطويل من غيره وما عزلته عن القضاء وانما عزل نفسه ، ولو قبل أن يعود لأعدته ، وما يملأ عيني من العلماء غيره ، فإياكم أن تعودوا بالسعاية عندي بابن عبد السلام ، وقد اشتد المرض بالملك الصالح نجم الدين ، فقرر الانتقال الى دمشق بناء على نصيحة الأطباء للاستشفاء بهوائها ، وكانت حملاته وانتصاراته قد أقلقت الصليبيين وأشعرتهم بالخطر على اماراتهم بالشام ، فأرادوا أن ينتهزوا فرصة بعده عن عاصمة ملكه ليغيروا على مصر بسفنهم من البحر ، وكاتبوا لويس التاسع ملك فرنسا في ذلك ، وأتفقوا معه على أن يبحر الى الشرق ويقود بنفسه حملة صليبية كبيرة بأساطيل عظيمة وجيوش عديدة ، يهجم بها على مصر ، ولما سمع المسلمون بذلك انتابهم الجزع والفزع ، وهنا خرج الشيخ ابن عبد السلام من عزلته ، فتزعم حركة الدعوة الى الجهاد ، وحض الأمراء على الاستعداد للقتال ونسى ما بينه وبين السلطان من الخصومة فكتب إليه أن يسرع بالرجوع الى مصر ، وكان مما قاله في كتابه (إن الاسلام في خطر وصحة السلطان في خطر ، والاسلام باق والسلطان فانٍ في الفانين ، فلينظر السلطان أيهما يؤثر) . فلما قرأ السلطان كتابه بكى ، وعجَّل بالرحيل الى مصر محمولا على محفة من شدة المرض .

وعندما أقبلت الجيوش الصليبية الأوروبية والافرنج من أهل الشام واحتلوا دمياط ، وأشتدت المعارك بينهم وبين المسلمين كان الإمام ابن عبدالسلام يثير الحماس في الجماهير المسلمة حتى تمكن المسلمون من دحر الأعداء وردهم على أعقابهم واسروا ملك فرنسا لويس التاسع مع أخويه شارلس والفونس كما قتل أخوه الثالث الكند اردتو ، وكان بطلا مغامرا ، وقد توفي الملك الصالح الذي كان مريضا أثناء هذه المعارك .

وفي سنة ٦٥٨هـ . زحف التتار على بغداد بقيادة طاغيتهم هولاكو وقتلوا الخليفة أشنع قتلة وانتهكوا الأعراض ونهبوا الأموال ولم يتركوا شيئا إلا دمروه ، واخذوا يتقدمون نحو دمشق ، وتدفق اللاجئون حتى أن كثيرا منهم وصل الى مصر ، وتأكد أهل مصر أن التتار آتين اليهم لا محالة ، وشاع الاعتقاد أن التتار قوم لا يغلبون ولا يقف أمامهم جيش ، وكان الملك على مصر هو المنصور بن عز الدين ، وهو صغير السن مشغول عن شؤون الملك باللهو واللعب وحوله بطانة فاسدة ، ولذلك فقد رأى الإمام ابن عبدالسلام أن أول خطوة لمواجهة هذا الخطر هو ازاحة هذا الملك الغر عن الحكم وتوليه الأمير قطز الذي عرف بالشجاعة والبطولة أثناء المعارك مع الصليبيين ليحل محل الملك فعقد ابن عبدالسلام اجتماعا مع قطز للتشاور في الأمر وتدارس الظروف التي تحيط بالموقف ، فقد فوجيء العالم الاسلامي بما حدث في بغداد عاصمة المسلمين ، سفكت فيها الدماء وخربت المساجد والمدارس ويقول المؤرخون ان التتار عمدوا الى خزائن الكتب العظيمة وألقوها في نهر دجلة حتى جعلوا منها جسرا مرت عليه خيولهم ، وتلون ماء دجلة بلون الحبر ومكثوا أربعين يوما يعيثون في الأرض فسادا ، حتى أحصى

الا لحق بالمظاهرة ، وقد سبب ذلك انزعاجا للسلطان ، إذ وقف جميع الناس مع الشيخ ، حتى قيل للسلطان متى راح ابن عبد السلام ذهب ملكك ، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه ، وطيّب خاطره ، فرجع واتفق معه على ان ينادي على الأمراء في المزاد ، وحاول نائب السلطنة ان يبعد عن نفسه وجماعته مهانة العرض أمام الجمهور والمناداة عليهم بالبيع ، فأرسل اليه يلاطفه فلم يرجع عن حكمه ، فاشتد غضب هذا النائب ، وصاح كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ والله لأضربنه بسيفي هذا فركب بنفسه على فرسه وأخذ معه جماعته ، وجاء الى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده ، وطرق الباب فخرج ولد الشيخ ، ورأى من الوزير ما رأى ، فعاد الى أبيه يخبره وهو خائف على والده ، فما انزعج الشيخ ولا اكترث بالأمر وقال : « ياولدي ابوك أقل من أن يقتل في سبيل الله » . ثم خرج الى خارج بيته بقامته السامقة وشخصيته المهابة التي فرضت نفسها على الآخرين ، فما أن صادف وجهه وجه نائب السلطنة حتى ذعر النائب وارتعد وسقط السيف من يده وبدلا من ان ينفذ نائب السلطنة وعيده على الشيخ بكى أمامه واستعطفه وجرت بينهما هذه المحاورة :

- قال نائب السلطنة : ياسيدي خبر أي شيء تعلمه ؟
- قال الشيخ : أنادي عليكم فأبيعكم
- قال النائب : فيم تصرف ثمننا ؟
- قال : في مصالح المسلمين
- قال النائب : من يقبضه ؟
- قال : أنا

فتم له ما أراد ، ونادى على الأمراء واحدا واحدا وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير ودفعوا الثمن عن بعضهم بعضا وأعتقوا .

وهناك قضية أخرى كانت سببا في توتر العلاقة بين السلطان والشيخ ابن عبدالسلام وهي قضية تتعلق بوزير السلطان معين الدين ابن شيخ الشيوخ ، ويعد من اكبر الوزراء المقربين عند السلطان وهو الذي فتح له دمشق وكان نائبا له عليها ، أقدم هذا الوزير على بناء غرفة له على سطح المسجد المجاور لبيته ليتخذها مجلسا له ، يقابل فيه اصدقاءه ، فأنكر عليه ذلك الشيخ ، وأمره بهدم ما بناه فلم يفعل فشكى أمره الى السلطان ، فتغاضى عنه ، فغضب الشيخ على السلطان وقال فيه كلاما شديدا ، ومضى بنفسه وأولاده يحملون المساحي والفؤوس وهدم البناء ونقل ما على السطح ، ثم أعلن انه قد أسقط شهادة الوزير ، فلا تقبل له شهادة ، لأنه اتخذ من هذا المجلس الذي انشأه على سطح المسجد محلا للطرب (نادي للموسيقى) وعزل نفسه عن القضاء وقال قولته المشهورة : « إنه لن يتولى القضاء لسلطان لا يعدل في القضية ولا يحكم بالسوية » . وقد حاول الوشاة والحساد أن يوغروا صدر السلطان عليه فقالوا : إنه لا يثنى عليه في الخطبة كما يفعل غيره من خطباء الجوامع ، وانما يدعو له دعاء قصيرا فردهم السلطان بغيظهم وقال لهم :

الطاغية هولاكو جثث القتلى فبلغوا مليوني قتيل ، وتردد الأمير قطز في قبول فكرة خلع الملك المنصور ليحل محله ، لأن والد الملك عز الدين أيبك هو استاذه وولي نعمته ، ولكنه وازن بين الوفاء لأستاذه والوفاء لأمته ، ورأى استحالة العمل مع بقاء الملك المنصور في الحكم في مثل هذا الموقف العصيب الذي يقتضي سرعة البت في الأمور ، فعقد مجلسا في القلعة عند الملك المنصور ضم الوزراء والأمراء والعلماء والقضاة وأهل الحل والعقد ، وحضره سفير الناصر صاحب دمشق وتليت في المجلس رسالة من الناصر الى الملك المظفر يستنجد فيها بعسكر مصر لصد التتار عن بلاده بعد ان يئس من اجابة هولاكو الى طلبه الصلح ، وقد عقد المجلس بسبب هذه الرسالة ، وفي أثناء الاجتماع شعر الحاضرون بضعف الملك وعدم صلاحيته للحكم في هذه الظروف ، وكان الشيخ ابن عبد السلام حاضرا باعتباره من العلماء فاقترح بصراحة واضحة لا لَفَّ فيها ولا دوران ان يتنحى الملك المنصور عن الحكم ويتولى مكانه الأمير سيف الدين قطز ، فاندهش الحاضرون من شجاعة الشيخ وصراحته فأشفق عليه أصحابه ومحبوه وخافوا أن يصيبه سوءا من السلطان والأمراء الذين لا يؤيدون قطز وحصل الاضطراب في المجلس وعارض الاقتراح اكثر الأمراء ، فاضطر الأمير قطز الى فض الاجتماع ، وخشي الأمير على حياة الشيخ فرتب له حراسة حتى أوصلوه الى بيته ، وظلوا يحرسونه أينما ذهب ، وتمكن بعد ذلك الامير قطز من القبض على الملك وأخيه قاقان واعتقلهما في برج القلعة ، واستولى على الحكم وجمع الأمراء وقال لهم : ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتار ولا يتأتى ذلك بغير ملك قادر واذا خرجنا وكسرنا العدو فالأمر اليكم أقيموا في السلطنة من شئتم ، وإذا كان منكم من يرى نفسه أقوى مني في الاطلاع بهذا الأمر فليتقدم إليَّ لأحله محلي ويعفيني من هذه التبعة العظيمة ويتحمل مسؤولية حفظ بلاد الاسلام أمام الله ، فسكتوا ولم يجب أحد منهم بل نظر بعضهم الى بعض فخرجوا وتم الأمر له ولقب بالملك المظفر .

اتجه بعد ذلك الملك المظفر للاستعداد للقتال ، وأخذ يفكر في تدبير الأموال اللازمة لتقوية الجيش اذ ليس في خزينة الدولة ما يكفي للقيام بكل ما تتطلبه حاجة الجيش فاراد أن يفرض ضريبة على الأملاك والأفراد من العامة لجمع المال اللازم فعقد لذلك مجلسا حضره العلماء والقضاة والأفراد من العامة والوزراء والأعيان وفي مقدمة هؤلاء الشيخ ابن عبد السلام ، فاستفتى الملك العلماء في جواز أخذ هذه الضريبة ، فسكت العلماء الحاضرون جميعهم ، لأنهم خافوا إن أفتوا بها أن تغضب العامة ، وإن امتنعوا أن يغضب الملك فتدافعوا الفتيا ولم يقل أحد منهم رأيه ما عدا ابن عبد السلام فقد صدع برأيه وفتواه الحاسمة وهي أنه يجب أولا أخذ الأموال من الأمراء وكبار رجال الدولة وعليهم أن يحضروا ما لديهم من ذهب وفضة وما عند نسائهم من حُلي ومجوهرات ، فاذا تساووا مع العامة واحتاج الأمر بعد ذلك إلى زيادة فلا بأس أن تفرض الضريبة على العامة ، فحار الملك في الأمر لأن ذلك سيصدمه مع الأمراء ، فأرسل الى الشيخ ابن عبد السلام وشرح له صعوبة

الأخذ من الأمراء ، وطلب منه أن يغير رأيه ، فلم يرجع ابن عبد السلام عن فتواه ، ولم يقبل أن يغير رأيه ، وقال : لا أرجع في فتواي لرأي ملك أو سلطان وذكّره بالعهد الذي قطعه على نفسه أن يقوم بالعدل وينظر لمصلحة المسلمين وأغلظ عليه حتى ظن الحاضرون أن السلطان سيقبض عليه ولكن السلطان بكى من شدة ما تأثر من كلام ابن عبد السلام ، فقام اليه وقبله على رأسه وقال : بارك الله لنا ولمصر فيك ان الاسلام ليفخر بعالم مثلك ، لا يخاف في الحق لومة لائم ، وعندما سمع الأمراء بذلك وتأكدوا أن السلطان سيلزمهم بفتوى ابن عبد السلام وسيأخذ عليهم أموالهم ، اجتمعوا واتفقوا على مقاومة السلطان اذا هو أقدم على تنفيذ هذه الفتوى ، ولو أدى الأمر الى قتله ، ولما بلغ ذلك السلطان جمعهم وذكّرهم بنعمة الله عليهم ، فقد كانوا فقراء لا يملكون شيئا ، بل جيء بهم من أسواق الرقيق فغنوا من أموال الأمة وامتلأت خزائنهم بالذهب والفضة ، ومنهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ ، واتخذوا الأواني من الفضة كل ذلك والأمة صابرة عليهم لأنهم يقومون بمهمة الدفاع عن بلادهم ، وقال لهم : أن العدو على الأبواب قد أقبل يريد القضاء عليهم وعلى ما يملكون وعلى شرف الأمة ودينها ، وليس في بيت المال ما يكفي لتجهيز الجيش وقال : إننا كنا نريد أن نأخذ من أموال الأمة لبيت المال ، ولكن الشرع الشريف أفتانا أنه لا يجوز لنا ذلك حتى ننزل نحن معشر الأمراء عما كنزناه ، فإذا أحصينا ذلك ولم يَكْفِ كان لنا حينئذ أن نأخذ من أموال الأمة وقد طلب منهم المساعدة على تنفيذ فتوى الشرع الشريف لأن امتثال أمر الشرع هو سبيل الانتصار على العدو فرد الأمراء بأنك تريد أن نموت جوعا ، فقال : إنكم لن تموتوا جوعا وأنتم جنود الأمة فعليها إعاشتكم من صلب مالها وتعهد لهم بإعاشتهم وإعاشة أبنائهم وأهلهم بما يصون حرماتهم ، يقتطع ذلك بالمعروف من بيت مال المسلمين ، وقال لهم : إني سأكون أول من ينزل عما يملكه من ذهب وفضة ، وأحضر حَلي زوجته وسلّمه لبيت مال المسلمين وأقسم لهم أنه لن يأخذ من بيت المال إلا ما يكفيه ولن يزيد نصيبه على نصيب أي فرد منهم ، وبعد أن أنهى السلطان حديثه معهم طلبوا أن يمهلهم ليفكروا في الأمر ولما لاحظ عليهم التعنت والامتناع ، قال لهم : لن أمهلكم إلا ساعات تتشاورون هنا في هذا المجلس بينما أوعز لعسكره مسبقا بأن يذهبوا الى بيوتهم ويكسروا خزائنهم ويحضروا ما لديهم من ذهب وفضة ومجوهرات ، والقى القبض على رؤسائهم ، ولما أحضرت أموال الرؤساء وجدت غير كافية ، فأمر الملك بإحصاء أموال الناس وأخذ زكاتها ، وأخذ كراء شهرين من الأملاك والأموال المؤجرة ، وفرض دينارا على رأس كل فرد قادر من أهل مصر ، فاجتمع من المال حوالي ستمائة ألف دينار ، فصرفت على الجيش فكثر عددا وازداد قوة بما وُفِّرَ له من السلاح والجياد ، وأنشأ الشيخ ابن عبد السلام بالاتفاق مع الملك ديوانا للدعوة للجهاد في سبيل الله ، وخصص له الدعاة الأكفاء من الخطباء ليشرحووا لجماهير المسلمة ما حل بإخوانهم في بغداد ويحثوهم على الجهاد والبذل والعطاء في سبيل دفع هذا ا لخطر العظيم ، وكان

الشيخ ابن عبد السلام لا يجيز أحدا من الخطباء إلا إذا حفظ سورة التوبة والأنفال عن ظهر قلب ، وأخذ الناس يرددون آيات القتال في المساجد والمنتديات وَعَمَّ الحماس للجهاد جميع الناس حتى الفسقة كفوا عن ارتكاب المعاصي ، ولم يبق للناس حديث الا حديث الجهاد وتحرك الجيش الاسلامي من مصر للقاء العدو ، وكانت موقعة عين جالوت العظيمة يوم الجمعة في خمس من شهر رمضان المعظم ، كان النصر فيها حليف المسلمين وحلت الهزيمة بالتتار وشتت جيشهم ومزق شر ممزق ، وقد أصيب الجواد الذي يركبه قطز أثناء المعركة فخرج مترجلا والسيف بيده ، فقيل له ارجع حتى تركب جوادا آخر ولا تعرض نفسك للقتل اذ ليس من مصلحة الاسلام أن يقتل سلطان المسلمين فقال : إني أجد ريح الجنة وأن للاسلام رَبّاً لن يضيعه ، وعندما تولى بيبرس الحكم في مصر سار في الملك سيرة حسنة ، ووطد علاقته بالإمام ابن عبد السلام فلا يرد له رأي وجعل اليه الأشراف على المدرسة الصالحية بجانب القضاء ، وعندما مرض طلب منه السلطان أن يعين من يريد من أولاده في مناصبه فامتنع أن يعين أحدا من أولاده في اي منصب كان فيه ، وقال الملك : لا أجد منهم من يصلح لذلك مع أن ابنه عبد اللطيف كان عالما فقيها ، ولكن كان ذلك تورعا وتنزّها من الإمام إذ رفض أن يرشح ابنه .

وبعد ذلك فهل لنا أن نتساءل بعد أن رأينا هذه المواقف الشجاعة للإمام العزبن عبد السلام لماذا لا تكون مواقف علماء الاسلام على هذا المنوال ، اذا كانت هذه المواقف يفرضها الإسلام ويأمر بها القرآن ويدعو اليها الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونقول إن الاسلام هو الذي فرض على الإمام أن يقف هذه المواقف ، وأن شخصيته هي التي ارتفعت الى مستوى الاسلام ، وما يدعو اليه ولذلك نرى تفسيره للآية « **ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة** » البقرة/ ١٩٥ ـ يختلف عما يفهمه بعض الناس ، فهو يقول في رسالته « ملحة الاعتقاد » : (والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين ولذلك يجوز للبطل أن ينغمر في صفوف المشركين ، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة قواعد الدين بالحجج والبراهين مشروعه ، فمن خشي على نفسه سقط عنه الوجوب وبقى الاستحباب ، ومن قال : أن التغرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق ، ونأى عن الصواب وعلى الجملة فمن آثر الله على نفسه آثره الله ، ومن طلب رضاء الله بما يسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن طلب رضاء الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، وفي رضاء الله كفاية عن رضاء الناس) .

وقد توفي رحمه الله عن عمر يقارب ثلاثة وثمانين عاما ، في اليوم التاسع من شهر جمادي الآخر سنة ٦٦٠ هـ . وقال الملك بيبرس حينما شيعت جنازته وخلفها الجماهير الغفيرة : (اليوم استقر أمرى في الملك لأن هذا الشيخ لوكان يقول للناس اخرجوا عليه لا نتزعوا مني الملك) . رحم الله الإمام العز بن عبد السلام وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

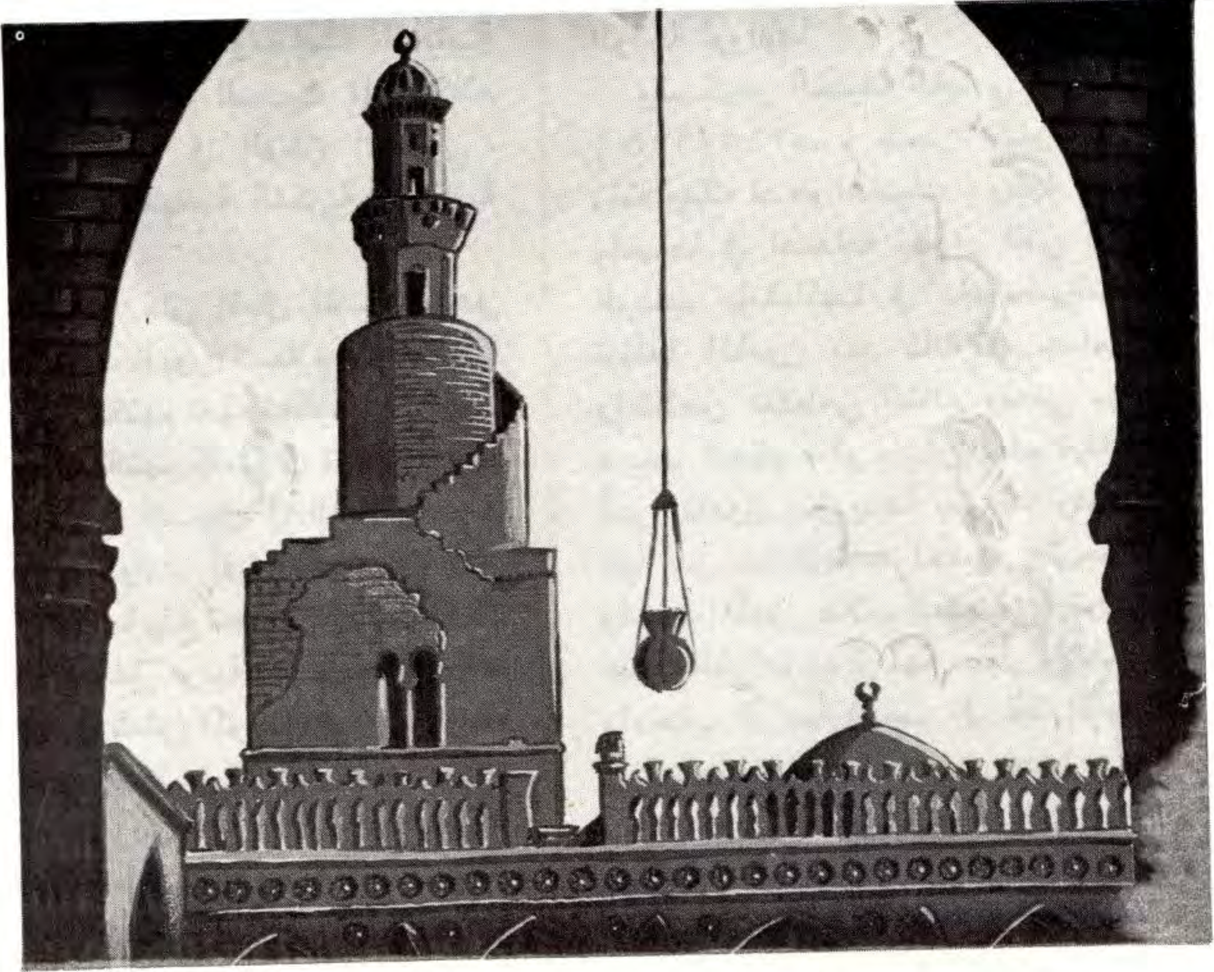
المساجد والمكتبات

كمراكز إشعاع في العالم الإسلامي

حينما بنى محمد صلوات الله وسلامه عليه مسجده في المدينة ، لم يتخذه دارا للعبادة فحسب تؤدي فيه الفروض الخمسة بل جعله خلية ناشطة تحقق أكثر من هدف ديني واجتماعي وثقافي ، وكان في مقدمة هذه الأهداف اتخاذ المسجد مركزا لتعليم أبناء المسلمين أمور دينهم وتثقيفهم .

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « من جاء مسجدي هذا لم يأته الا لخير يتعلمه او يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله » رواه ابن ماجة والبيهقي ، واصبح مسجد النبي مكانا يتلقى فيه الطلاب أحكام الشرع ، يتعلمون فيه أمور الدين في حلقات تعقد لهذا الغرض كانت تتسع أحيانا حتى تضم المئات .

ولما جاء عمر بن الخطاب ورأى كثرة الصحابة الذين استشهدوا في معارك الفتوح خشى أن يجهل المسلمون تعاليم دينهم فأمر بعض ذوى العلم من المسلمين أن يلقوا على الناس في المساجد أيام الجمع دروسا في أمور الدين ، وما تزال حلقات المستمعين منذ صدر الاسلام حتى



للأستاذ / محمد ابراهيم الصيحي

الآن قائمة في معظم المساجد يتلقون فيها كل ما يتصل بأمور دينهم، وأصبح المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة ومساجد البصرة وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة بمثابة مراكز إشعاع ديني وثقافي قوي.

وَيُعدُ الجامع الأزهر في القاهرة مثلا ناطقا في هذا المضمار فقد كان انشاء هذا المسجد يهدف الى نشر الاسلام، وغرس مبادئه في نفوس المصريين وانفق الخلفاء عليه ببذخ لتشجيع الطلاب على الانتظام في الدراسة ولم يترددوا في تقديم المأوى والطعام والشراب لهم دون مقابل، وبطبيعة الحال لم يضنوا على الاساتذة فأجزلوا لهم العطاء والمنح والخلع فأصبح المسجد مقصداً لأبناء العالم الاسلامي كله.

ولم يكتف الخلفاء بذلك إذ انشأ أحدهم مكتبة قيّمة ألحقها بالجامع الأزهر ضمت اكثر من ٤٠ غرفة خاصة بالكتب، واحتوت على اكثر من ١٨,٠٠٠ مجلد، كما أُنشئت مكتبة أطلق عليها اسم « دار العلم » وفي المساجد الاسلامية المختلفة تخرَّج

مئات الآلاف من الطلاب ، حملوا مشاعل العلوم - وبخاصة الدينية منها - ويسوقنا الحديث الى الكلام عن المكتبات في الوطن العربي ، ودورها في النهضة الفكرية والثقافية في الاسلام .

فنقول : كان إقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام امرا طبيعيا فبالعلم يمكنهم تفهّم تعاليم هذا الدين واداء رسالتهم كاملة في ترغيب الأمم الأخرى في الدخول في الدين الجديد وبمرور الوقت أقبل المسلمون على قراءة كل ما يقع تحت أيديهم من كتب عربية او غير عربية فقد ترجموا مئات الكتب في شتى الموضوعات والعلوم ، ونشطت مع حركة الترجمة هذه ، حركة أخرى قوية بنّاءة هي حركة التأليف ، وظهرت نهضة علمية قوية حمل العلماء المسلمون لواءها في حماس وثقة وساعدت صناعة الورق على إذكاء حماس العرب حين تضخم انتاجهم العلمي ، بل لقد ساعدت هذه الصناعة على حدوث انقلاب فكري هائل إذ سهل تداول الكتب العديدة المترجمة او المؤلفة على السواء .

وكان من الطبيعي ان تظهر نواة مكتبات عربية .. ما لبثت أن نمت لتصبح بمرور الوقت مكتبات كبيرة ثم بدأت تتعدد وتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي ، إما في قصور الخلفاء والأمراء وإما في المكتبات العامة التي تفتح ابوابها لكل راغب في القراءة والاطلاع .. ولم يضن الخلفاء عليها بمال او جهد بل زودوها بمختلف المؤلفات الثمينة ويسّروا أسباب الراحة لروادها .

وقد كرس الخليفة العباسي المأمون (١٩٨/٢١٨هـ) شطرا كبيرا من وقته وماله لدعم المكتبات ، وظهر ذلك واضحا في اهتمامه بالدار التي بدأ الرشيد بإنشائها في بغداد والتي تبناها المأمون بعد ذلك في حماس وإخلاص منقطعي النظير ونعني بها « بيت الحكم » او « دار العلم » فقد أمر المأمون بتزويدها بكل ما وصل اليه من مخطوطات اجنبية مترجمة وشجع المأمون طلاب العلم على التردد عليها للقراءة ودبّر لهم سبل الإقامة واسباب الراحة فذهب الى حد إقامة جناح ملحق بالدار يضم عددا من رواد الدار ينالون فيه قسطا من الراحة ، كما كان يقدّم لهم الطعام والشراب ولم يقتصر انشاء المكتبات العامة على بغداد بل تعداها الى مختلف العواصم العربية الهامة ففي القاهرة أنشأ الفاطميون مكتبة القصر الشرقي بعاصمتهم حوت آلاف الكتب في الفقه واللغة والدين والحديث والتاريخ والفلك والكيمياء ، وألحقت بالمكتبة قاعات للمناظرة وأخرى للكتابة كما أنشأ الخليفة العزيز الفاطمي مكتبة كبيرة ألحقها بالجامع الأزهر . اما الحاكم بأمر الله فقد أقام مكتبة ضخمة أسماها « دار العلم » زودت بما يحتاج اليه المترددون عليها من ادوات الكتابة كالأوراق والأقلام وقد قُدّر عدد الكتب في هذه المكتبة بأكثر من ٥٠٠,٠٠٠ مجلد كان من بينها نحو ستة آلاف كتاب في الفلك

والهندسة وحدهما . وقد أسدت هذه المكتبة خدمات جليلة للنهضة العلمية في مصر والعالم الاسلامي كله إذ كان يقصدها من يشاء من طلاب العلم والمعرفة للتزود بما فيها من علم وفن .

وقد أدت مكتبة قرطبة في الأندلس دورا كبيرا في خدمة العلم والثقافة وهي المكتبة التي كانت تضم نحو ٤٠٠,٠٠٠ كتاب في شتى العلوم والفنون ولم يأل الخلفاء وبخاصة المنتصر جهدا في تزويدها بكل طريف وجديد من الكتب مهما كلفهم الأمر . رُوى أنه لما تقرر نقلها من مبناها القديم الى مبنى آخر اكثر اتساعا وفخامة شُيِّدَ خصيصا لها استغرقت عملية النقل هذه ستة شهور كما ذُكِرَ للدلالة على ضخامتها وأن فهارس دواوين الشعر وحدها في المكتبة استغرقت ٤٤ كراسة .

وانشئت مكتبات أخرى في مختلف عواصم العالم العربي والاسلامي كما عُرف نظام المكتبات الملحقة بالجامعات او المدارس على غرار ما هو حادث اليوم .

وقد تبارى الأثرياء في إقامة المكتبات في قصورهم وكانوا يرون ذلك مدعاة للفخر ودليلا على اعتزازهم بالعلم والثقافة وكانوا يفتحون أبوابها للعلماء والدارسين وقد قُدِّر عدد المكتبات العامة في اسبانيا بنحو سبعين مكتبة عامة أدت واجبها على الوجه الأكمل بفضل النظام الدقيق الذي وضع لها .

إن المتتبع للوائح هذه المكتبات ونظام الاستعارة الداخلي والخارجي الذي عرفه وطبّقه العرب في مكتباتهم ليدهش حقا من مدى الدقة التي اتسمت بها أعمالهم . فكانت الاستعارة الداخلية سهلة ميسورة إذ وضعت الكتب في متناول القارىء على الأرفف دون أن يحجزها عن القراء حاجز كما هو متبع الآن في أحدث المكتبات العامة . أما نظام الاستعارة الخارجية فقد عرفه العرب ايضا ولكنه كان قاصرا على طلاب العلم الموثوق بهم وكان يطلب عادة من بضعهم تقديم ضمان مالي كاف ، كما كان نظام الاستعارة الخارجي يقضي بتحديد فترة لا تتجاوز شهرين يرد المستعير الكتاب خلالها . ومن الطريف أنه وجد في مكتبة قرطبة نسخة خطيّة من كتاب « العبر ، والمبتدأ والخبر » وقد كتب مؤلفه ابن خلدون على غلافه بخط يده هذه العبارة » لا يجوز إعارة هذا الكتاب إعارة خارجية إلا اذا كان المستعير شخصا موثوقا به وأميناً . على أن يدفع ضمانا ماليا » .

وكان يشرف على المكتبة ويقوم على إدارتها وخدمة الرواد والقراء فيها جهاز فني واداري مهمته تقديم كل عون ممكن للقارئ ، ويقوم على رأس هذا الجهاز أمين المكتبة وسمي « الخازن » يعاونه عدد من النساخ وبعض المناولين ، وكان أمين المكتبة يقوم بعمل فني خاص بسبب إلمامه بما في المكتبة من كتب وأسماء مؤلفيها ومحتويات كل منها ، أما مهمة المناولين فهي إرشاد القارىء الى موضع الكتاب الذى يريده ، او

إحضاره اليه حيث جلس لهذا الغرض .
وقد عرف العرب نظام تصنيف الكتب ، فقسّموها الى أقسام حسب العلوم والفنون ، وسجلوا على غلاف كل كتاب اسمه واسم مؤلفه ليسهل على القارىء التقاط الكتاب الذي يريده دون عناء وهو نفس المتّبع في أرقى مكتباتنا الآن .

ولم تأل الدولة جهدا في تزويد قاعات المكتبات بالخزائن والمناضد والمقاعد ، كما وفرت للقراء المحابر ، والأقلام والأوراق .

ولا شك في أن انتشار المكتبات العامة في أرجاء العالم الاسلامي في ذلك الوقت واتباعها هذه الأنظمة ، وفتح ابوابها لكل قارىء وتسخير كل هذه الامكانات لخدمته ، دليل ناطق على تقدم العرب الفكري والعلمي ، ومدعاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور .

بقي ان نتساءل : « وماذا كان مصير هذه المكتبات الضخمة ؟ ونجيب في مرارة عميقة وأسى بالغ ، أن مصير أغلب مكتباتنا العربية كان قاتما وكئيبا ، فقد ذهبت مكتبات الفاطميين في القاهرة ضحية أعمال الفتن عندما عَمَّتْ المجاعة في أواخر دولتهم ، وكانت النتيجة أن نهبها الثوار من الجنود المرتزقة الأجانب ، والقوا بعدد كبير من الكتب الثمينة في النيل وأحرقوا عددا آخرا منها أما ما تبقى بعد ذلك فقد اندثر معظمه نتيجة الإهمال أو عدم الصيانة .

وفي الأندلس وبعد خروج العرب منها ، قامت حركة انتقامية مجنونة ضد كل ما هو عربي تزعمها غلاة المتعصبين من رجال الدين المسيحي وكانت وجهة نظرهم تتلخص في ان هذه الكتب تحوي في جملتها الكفر .

وأن هذه الكتب مجتمعة ليست خيرا من الانجيل الذي يغني عنها فلا داعي إذن لها . وكانت النتيجة تدمير المكتبات وحرق كل محتوياتها .

وفي بغداد نُكِبَ العالم الاسلامي بهولاكو الذي اجتاح عاصمة العباسيين « ٦٥٦ » هـ ـ ودمر رجاله مع ما دمروا مكتبات بغداد ومصنفاتها النادرة ، بكل ما فيها من علم وفن - والقوا ببعضها في نهر دجلة حتى لوِّنَ ماء النهر بالسواد نظراً لاختلاط المداد به

ولم يكن ذلك نهاية المطاف بل كان مرحلة قاتمة من مراحل الثقافة العربية والنهضة العلمية التي تعثرت بعض الوقت ، ثم لم تلبث ان تبعتها مرحلة البعث التي ازدهرت ونعيش عصرها الذهبي الآن في مختلف الدول العربية فقد تطورت الحياة الثقافية والنهضة التعليمية مع انتشار آلاف المدارس التي تضم الملايين من راغبي العلم الى جانب عشرات الجامعات العربية في كل مكان تحمل مشعل النور والحضارة في جميع الأقطار العربية ، لتواكب الركب العلمي الزاحف وتلاحقه ولم تبخل هذه الدول على جامعاتها ومعاهدها المتخصصة بمال او جهد من أجل تحقيق هذا الهدف ومن أجل بناء الانسان العربي الجديد الذي أثبت بحق جدارةً في جميع ميادين العلم والمعرفة .

من تاريخ القضاء في الإسلام

محمد موزن

للأستاذ محمود الشرقاوي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى أمور القضاء في الأمة الاسلامية وكانت الطريقة التي يعتمدها في القضاء تنحصر في تنفيذ قول الله تعالى : « **فاحكم بينهم بما أنزل الله**) المائدة/٤٨ .

(**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) النساء/٦٥ .

وكان الرسول الكريم يحكم بين الناس بما ينزله الله عليه من الوحي ، ويحضر المتخاصمان اليه مختارين ، فيسمع كلام كل منهما ، وكانت طريقته هي الإثبات بالبينة وباليمين وبشهادة الشهود وبالكتابة وغيرها ، وكان يقول :

« البينة على المدعي و اليمين على المدعى عليه » رواه الترمذي ، والبينة في الشرع ، اسم لما يبين الحق ويظهره ، بمعنى أن المدعي ملزم بإظهار ما يبين صحة دعواه ، فإذا ظهر صدقه بإحدى الطرق حكم له ، وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » وكان عليه الصلاة والسلام لا يحابى أحداً من المتخاصمين ، فقد ورد في

الأثر : « فاذا جلس بين يديك الخصمان ، فلا تقض حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك وجه القضاء » .

وسنورد واقعة واحدة ـ على سبيل المثال ـ تدلنا على الكيفية التي كان يقضي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو في الواقع النموذج الذي يجب أن يحتذى : ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم : جاء رجلان من الأنصار يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم -في مواريث بينهما قد درست ليس بينهما بينة ، فقال رسول الله : « إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم ألحن بحجته-أو قد قال : لحجته-من بعض ، فإني أقضي بينكم على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطاما في عنقه يوم القيامة » : فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما : حقي لأخي.فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أما إذ قلتما فاذهبا فاقتسما ، ثم توخيا الحق ، ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه » .

ولما انتشرت الدعوة الاسلامية ، أذن الرسول الكريم لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ، طبقا للكتاب والسنة والقياس والاجتهاد . أخرج البغوي عن ميمون ابن مهران قال : كان أبوبكر اذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعَلِمَ من رسول الله في ذلك الأمر سنة ، قضى بها ، فإن أعياه ، خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله فيه قضاء فيقول أبوبكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على أمر قضى به . وكان عمر بن الخطاب يفعل ذلك فإن أعياه في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ـ وإلاّ دعا رؤوس المسلمين فاذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وفي عهد عمر بن الخطاب كثر فتح الأمصار واتسع نطاق العمران فأصبح من العسير على الخليفة أو نائبه أن يجمع مع النظر في الأمور العامة الفصل في الخصومات ففصل عمر القضاء من الولاية وعهـد به الى شخص آخر غير الوالي .

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه : أول من دفعه الى غيره وفوض به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى أبا الدرداء قضاء المدينة ، وولى شريح بن الحارث الكندي قضاء الكوفة وولى أبا موسى الأشعري قضاء البصرة ـ لقد أنشأ عمر وظائف القضاء وتخير لها العدول الأكفاء ، وعلّمهم كيف يتصرفون حين يلتبس عليهم الأمر فأحسن التعليم .

كان يكتب لأحدهم : « اذا جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ، ولا يلفتنك عنه الرجال ، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها ، فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله

فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة من رسول الله ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمر شئت : إن شئت أن تجتهد رأيك وتقدم فتقدم ، وان شئت أن تؤخر فتأخر ، ولا أرى التأخير الا خيرا لك » . يقول المبرد في « الكامل » : ورسالة عمر بن الخطاب في القضاء الى أبي موسى الأشعري جمع فيها « جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ، ولا يجد محق عنها معدلا ، ولا ظالم عن حدودها محيصا ، وهي :

« **إن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أُدلي اليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلاّ صلحا أحلّ حراما أو حَرَّم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك ، وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا في حدٍ ، و مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب . فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان ، وإياك والغلق ، والضجر ، والتأذي بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله . فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته** » .

القضاء فريضة : فرض بمعنى أوجب وجوبا لازما كما في اللسان ، والاسم فريضة فكان القضاء واجبا وجوبا لازما وهذا الوجوب مستفاد من قوله تعالى : (**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق**) سورة ص/ ٢٦ وفي قوله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : (**فاحكم بينهم بما أنزل الله**) والقضاء هو الحكم بين الناس بالحق فهو ضروري لمساس الحاجة اليه لإنصاف المظلوم من الظالم وقطع المنازعات التي هي سبب الفساد .

وقوله سنة متبعة : أي طريقة مسلوكة في الدين يجب اتباعها على كل حال . والسنة في اللغة الطريقة .

الإدلاء : رفع الخصومة الى القاضي .

والفهم : إصابة الحق فمعناه عليك بذل الجهود في اصابة الحق اذا أُدلي اليك . وقيل اسمع كلام كل واحد من الخصمين وافهم مراده وهكذا تطلب الرسالة من

القاضي أن يستوعب ما يلقى عليه في الدعوى وأن يصغى الى ما يقال من الحجج مخافة ركوب متن الشطط والانحراف عن طريق العدالة .

آس : أي سَوِّ بين الخصوم أي أن القاضي يسوي بينهم اذا تقدموا اليه على اختلاف مللهم . والتسوية تكون في النظر الى الخصمين والإقبال عليهما في جلوسهما بين يديه حتى لا يقدم أحدهما على الآخر .

ادعى رجل على علي بن أبي طالب عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وعلي جالس فالتفت اليه عمر وقال له : يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك . فقام فجلس مع خصمه متناظرا . وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال : يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهْتَ ما كان ، قال : نعم : قال : وماذاك ؟ قال : كنيتني بحضرة خصمي «أي قلت لي يا أبا الحسن فأخذ عمر رأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه.

والحيف : هو الظلم . فاذا قدم الشريف طمع في ظلمه أي في أن تكون الحكومة له ، ولانكسر بهذا التقديم قلب خصمه الضعيف فيخاف الجور وييأس من عدله ، وربما يتمكن الشريف عند التقديم من التلبيس على القاضي ، ويعجز الضعيف عن إثبات حقه بالحجة والقاضي هو المتسبب لذلك باقباله على أحدهما وتركه التسوية بينهما في المجلس .

كان بين أبي بن كعب وعمر بن الخطاب منازعة وخصومة في حائط . فقال : بيني وبينك زيد بن ثابت فأتياه ، فطرقا عليه الباب ، فخرج وقال : يا أمير المؤمنين ألا أرسلت الى حتى آتيك ؟

فقال عمر : في بيته يؤتى الحَكَمُ . فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال : هذا أول جورك ، وأبى أن يجلس عليها .

وهكذا أبى عمر بن الخطاب أن يجلس على وسادة ، وزيد بن ثابت يحكم بينه وبين خصمه حتى لا تكون هناك مفاضلة بين أحد الخصمين والآخر . وطالبت الرسالة المدعي باحضار البينة وعندما تحضر البينة يستطيع القاضي أن يحكم بمقتضاها على حسب قواعد الشريعة الاسلامية الغراء . واذا طلب امتداد الأجل حتى يستحضر البيّنة فلا مانع من منح هذا الأجل بحسب ما تقضيه الحال ، وهذا الأمر موكول لاجتهاد القاضي .

فاذا انقضت المدة وانقضى الأجل وأتى بحجة ناقصة غير معتمد عليها شرعا فالحكم عليه بأن لا حق له .

وأشارت الرسالة الى الشهود حين ذكرت : « المسلمون عدول في الشهادة الا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة الزور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب»فمن كانت صفته من هذا اللون فإن شهادته غير مقبولة ، ولا يمكن للقاضي أن يحكم بمقتضاها .

وطالبت الرسالة بضرورة كظم المشاعر والعواطف ، وعدم الضيق والضجر .

كما دعت الرسالة الى الصلح ، اذا التبس على القاضي الأمر وتطرق اليه الشك وتسرب اليه الغموض والإشكال وخاف تنفيذ الأحكام أو تقطيع الوشائج والأرحام .

وفي ذلك يقول عمر في موضع آخر

« رددوا الحكم بين ذوي الأرحام حتى يصطلحوا ، فإن فصل القضاء يورث الضغائن » .

لقد أرست هذه الرسالة العمرية قواعد القضاء في الاسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة تهديهم سواء السبيل ، وتحول بينهم وبين اقتراف المنكر أو الجنوح نحو الباطل ، والانحراف عن العدالة .

وقد اختار الخلفاء المسلمون القضاة أحسن اختيار ، ولم يعيّنوا في منصب القاضي إلاّ كل من وقفوا على أخلاقه وسيرته ، بل انهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا اليهم هذا المنصب الرفيع .

كتب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى عامله في مصر ، ينير له الطريق الى السياسة العليا في اختيار القضاة وصفاتهم :

« .. ثم اختر ليحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ، ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأجبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له في البذل مما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك » .

وقال عمر بن عبد العزيز اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ومشاركة أهل العلم والرأي .

على هذه القاعدة كان اختيار القضاة . وكان قاضي قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لا يعين في منصب القاضي إلا من أثبتت التجارب ، وأثبت ماضيه أنه جدير به .

جاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة : « أن يحيى بن أكثم كان يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمه . فولد لكل واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين فلم يعرفها . فقال يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

وليس هذا الامتحان شططا من العمل أو بدعة جديدة أتى بها المسلمون المتأخرون ، فقد روى أبوداود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث

معاذا الى اليمن قال له : بم تقضي . قال بكتاب الله . قال : فإن لم تجد . قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد . قال : فبرأيي .

وليس الرأي هنا إلاّ الاجتهاد وقياس الأمور بأشباهها أو العمل بقواعد الشريعة العامة ، وهو ما يسمى الآن بقواعد العدل الطبيعي . ولا يقدر على مثل هذا إلا العلماء الحذاق الذي عندهم بصر بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله ولما أراد ابن هبيرة تولية اياس أرسل اليه للامتحان فسأله بقوله : أتقرأ القرآن . قال نعم . قال : أتفرض الفرائض . قال : نعم . قال : أتعرف من أيام العرب شيئا قال : نعم . قال : أتعرف من أيام العجم شيئا قال : أنا بها أعرف . فولاه القضاء .

وجاء في كتاب « نفح الطيب » لأبي العباس المقرى : كانوا في عاصمة الخلافة في الأندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره ، وتعد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال » .

وهكذا كان الامتحان عنصرا من عناصر التعيين في مناصب القضاء كما كان التعيين بالمعرفة السابقة ، أي بطول الخبرة ، دون تحيز أو محاباة او بشهادة الثقة ، أي أن تشهد له جماعة من الثقات بطول اتباع في فهم كتاب الله والسنة ، وغير ذلك من أمور الشرع الشريف .

وقد كان القضاة المسلمون يحكمون بالعدل والقسطاس المستقيم دون خوف من لومة لائم ، بل إنهم كانوا لا يترددون في الحكم على الخليفة نفسه ، إن لم يستطع إحضار البينة .

يساوم عمر بن الخطاب خليفة المسلمين رجلا على فرس ، ثم يركبه ليختبره ، فيصاب الفرس بعطب أثناء جريانه ، فيرده عمر الى صاحبه فيأبى الرجل ، فيتحاكمان الى شريح القاضي ، ويستمع شريح الى حجة كل منهما ثم يقول : يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت ،أو ردّ ما أخذت .

فيقول عمر : نعم القضاء قضيت .

ويرى علي بن أبي طالب درعا له على يهودي . فيقول : درعي . وينكر اليهودي أن الدرع لعلي ، فيتحاكمان الى قاضي الكوفة . فيقول القاضي يا أمير المؤمنين لا أكذبك ولكن ليس لك بينة ، فالدرع لليهودي ، فيولـي عليٌّ ضاحكا ، وهو يقول : أضاع قاضي المسلمين درع أمير المؤمنين . ويعجب اليهودي لهذه المثالية . فيسرع وراء عليّ قائلا : يا أمير المؤمنين والله انها لدرعك وجدتها يوم خيبر فأخذتها ، فهي لك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فيقول علي : إذن فالدرع لك هدية. وتتوغل جيوش المسلمين في فارس وما وراء النهر . حتى تدخل مدينة سمرقند فيرسل أهلها الى عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين أن القائد الاسلامي قتيبة الباهلي قد دخل مدينتهم عنوة ، فيرسل عمر الى والي خراسان يأمره بعرض هذه القضية على القاضي « جميع بن حاضر البلخي» فقضى القاضي بأعجب حكم في التاريخ . قضى بإخراج الجيش الاسلامي من «سمرقند» لأنه دخل المدينة عنوة .

وهو حكم لم تعرفه الدنيا إلا للقضاء الاسلامي ، عدالة شامخة لا تعرفها عدالة الأرض ، عدالة حتى في ميادين الحروب وساحات النضال . وتتسع رقعة الدولة الاسلامية ، وتمتد امتدادها التاريخى العظيم ، فيتخذ العباسيون نظما جديدة للقضاء تلائم الحياة المتطورة.

وفي طليعة ما ابتكروا وظيفة قاضي القضاة ، وهي أشبه بوظيفة وزير العدل ، وأول من لقب بهذا اللقب أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم في عهدالخليفة هارون الرشيد .

يقول المقريزي :

« فلما قام هارون الرشيد بالخلافة ، ولي القضاء أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة بعد سنة سبع ومائة ، فلم يقلد في بلاد العراق وخراسان ومصر إلا من أشار به القاضي أبو يوسف ، وأصبح لقاضي القضاة من بعده الحق في تعيين قضاة بغداد ، ثم امتد ذلك إلى تعيين قضاة الأقاليم . »

وامتد القضاء ، واتسع اختصاص القضاة ، فضم إليهم الشرطة والقصاص والحسبة ودار الضرب والمال فتركزت في أيديهم كل القوى التي تهيمن على مصائر الدولة ، وتتصل بشؤون الناس . وكان القضاة يُمنَحُون رواتب سخية ، حتى يتفرغوا للأحكام بعد أن يطمئنوا على معاشهم ورزقهم .

وقد اتسعت أرزاق القضاة لما وليّ عمر بن الخطاب يقول محمد بن سعد في الطبقات الكبرى : إن عمر رزق عياض بن غنم حين ولاه حمص كل يوم دينارا وشاة واحدة .

وكان راتب القاضي في مصر ألف دينار يقول « السيوطي » في كتابه حسن المحاضرة » ثمولى عبد الرحمن الخولانى ، وجمع له القضاء ، وبيت المال ، فكان يأخذ رزقه في السنة ألف دينار .

وفي الدولة العباسية كان راتب القاضي في المدينة المنورة : أربعة آلاف دينار . ثم عرف النظام الاسلامي ديوان المظالم وهو هيئة قضائية عليا ، يقول عنها ابن خلدون ما نصه : « وهي ولاية ممتزجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء ، وتحتاج إلى عُلُوِّيدٍ ، وعظيم رهبة ، تقمع الظالم من الخصمين ، وتزجر المعتدين ، وإليها النظر في البينات والتقرير ، واعتماد الامارات ـ والقرائن ، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق ، وحمل الخصم على الصلح واستحلاف الشهود ، وذلك أوسع من سلطة القاضي . »

وقد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله عنه ورجل من الأنصار ، فقد روى أصحاب السنن : « أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شِرَاج (الشرْج مسيل الماء) الحَرَّة (أرض ذات حجارة نخرة سود) التي يسقون بها النخل . فقال الأنصاري : سَرِّح الماء يمر،فأبىعليه ، فاختصما عند النبي صلى الله وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للزبير : « اسْقِ يا زبير ! ثم أرسل الماء إلى جارك » فغضب الأنصاري فقال : أن كان ابن عمتك ! فتلون وجه النبي

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : اسْقِ يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر » أخرجه البخاري في الشرب .

ويقول الماوردي في الأحكام السلطانية : ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الراشدين إلا في القليل النادر ، لأنهم في الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم ، بين من يقوده التناصف إلى الحق ، أو يزجره الوعظ عن الظلم ، وإنما كانت المنازعات تجري بينهم في أمور مشتبهة ، يوضحها حكم القضاء ، فإن تجور من جفاة أعرابهم متجور ثناه الوعظ أن يدبر ، وقاده العنف أن يحسن ، فاقتصر خلفاء السلف على فصل التشاجر بينهم بالحكم والقضاء تعيينا للحق في جهته لانقيادهم إلى إلزامه ، واحتاج عليٌّ رضى الله عنه حين تأخرت إمامته ، واختلط الناس فيها ، وتجوروا إلى فضل صرامة في السياسة ، وزيادة تيقظ في الوصول إلى غوامض الأحكام ، فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ، ولم يخرج فيها إلى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه ، ثم انتشر الأمر بعده حتى تجاهر الناس بالظلم ، ولم تكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب ، فاحتاجوا في ردع المتغلبين وإنصاف المغلوبين الى نظر المظالم الذي يمتزج به قوة السلطة بنصفة القضاء ، فكان أول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين ، من غير مباشرة للنظر ، عبد الملك بن مروان الذي كان يستعين بقاضيه ابن إدريس الأزدي فيما أشكل عليه ، فكان ابن إدريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر .

وكان عمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة وأعادها .

وكانت المحكمة العليا تعقد في المساجد ، ويحاط صاحبها بخمس جماعات ولا ينتظم عقد جلساتها إلا بحضورهم وهم :

أولا : الحماة والأعوان : وكانوا من القوة بحيث يستطيعون التغلب على من يلجأ إلى العنف أو يحاول الفرار من وجه القضاء .

ثانيا : الحكام : ومهمتهم الإحاطة بما يصدر من الأحكام لرد الحقوق إلى أصحابها ، والعلم بما يجري بين الخصوم ، فيلمون بشتات الأمور الخاصة بالمتقاضين . وكان القضاة يستفيدون من وراء حضورهم هذه الجلسات ، إذ كانوا يستطيعون تطبيق الأحكام على ما يعرض أمامهم من القضايا في جلساتهم .

ثالثا : الفقهاء : وكان يرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية .

رابعا : الكتَّاب : ويقومون بتدوين أقوال الخصوم وإثبات مالهم وما عليهم من الحقوق .

خامسا : الشهود : ومهمتهم إثبات ما يعرفونه عن الخصوم ، والشهادة على أن ما أصدره القاضي من الأحكام لا ينافي الحق والعدل ، وبذلك أصبح القضاء قوة عليا واسعة النفوذ ، واسعة الاختصاص تمد يدها وعدالتها إلى كل متمرد عليها ، أياً كان بأسه وسلطانه .



في الإسلام

للاستاذ / سليمان احمد التهامي

ان الاسلام شرع نظاما للحكم ، وجعل دعامته الرئيسية الفرد المسلم لأنه أساس المجتمع المتحضر ، ولبنة من لبناته فلا يصح قيام مجتمع متحضر بدون الفرد الصالح ، ولو أن كل مجتمع راعي في نظامه الأخذ بما شرع الاسلام لَعَمَّ الخير ، وساد الاصلاح .

والنظام الذي أقره الاسلام وراعى فيه المصلحة العامة أخذ به الفكر الحديث ، ففي مجال الاختيار والتعيين كان الاسلام قائما على مبدأ تكافؤ الفرص والمقدرة الفنية والسمات الشخصية للعامل .

وقد أخذ الموظفون في الاسلام قسطا وافرا من العناية بنظامهم ، ومن العدل أن نذكر بعض ما أخذ به النظام الاسلامي فيما يخص ادارة شئون افراده وموظفيه .
وقد أخذ النظام الاسلامي بقسط كبير فيما يتعلق بالفحص الطبي للأفراد عند الحاقهم بوظائفهم ، من ذلك أن الشبان الذين يراد الحاقهم بالوظائف العسكرية يجردون من ثيابهم للاطلاع على عيوبهم من الوجهة الطبية حتى اذا كان هناك بالجسم عيب يحول دون احسان العمل ، نحوا صاحبه عن الخدمة العسكرية .

وقد كان للسن اعتبار خاص في هذا الموضوع ، وهذا حرص من أولي الأمر على أن من يتولى وظائف الدولة يجب ان يكون مسئولا مسئولية كاملة ، والحكومات في العصور الحديثة تشترط سنا معينة لا يقبل طالب الوظيفة قبلها ، لأن أي تقصير أو عبث بالمصالح العامة منهم ينصب ضرره عليها ويكون التقصير صادرا منهما ، وليس في الدنيا حكومة رشيدة تقبل أن ينسب اليها لوم او تقصير .

ومن أعجب ماتحويه المكتبة الاسلامية ماجاء في تاريخ الطبري من أن « عمر بن الخطاب » كان يتعقب الموظفين في سيرتهم الخاصة وفي تصرفاتهم كذلك ، وينصدهم الى مافيه المصلحة ولو كان على حساب مصلحتهم الخاصة ، ومن ذلك أن « حذيفة بن اليمان » تزوج أجنبية فطلب اليه عمر أن يطلقها مع أنه تزوجها على شريعة الله ، لكن عمر يرى أن زواجهما اضرار ببنات العرب وتضييق عليهن حيث قال عمر : « ان في نساء الأعاجم خلابة ، فان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم وهذا شعور الحاكم الذي يعتبر نفسه مسئولا عن رعيته ، فالذكور لهم حظهم ، والإناث لهن نصيبهن وهذا هو ما يسمى بالشعور الوطني في هذه الايام .

واذا أمعنت النظر فيما يفعله عمر وفيما يفعله ولاة الحكومات العصرية ، فانك واجد تشابها في منع الموظفين السياسيين من الزواج بالاجانب .
وقد عزل عمر عامله على ميسان (النعمان بن عدي) لأنه سمع أنه قال أبياتا جاء فيها :ـ

لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال عمر :ـ انه ليسوءني ، وعزله مع انه يعلم عن يقين أن ذلك لم يكن ، وانما هو قول شاعر ، وهذا احتياط وبعد نظر فيما يتعلق بوظائف الحكم ، اذ هي بعيدة كل البعد عن الهفوات التي تلفظ بها عامله .

وقد كانت سياسة عمر هذه لها عظيم الأثر فيمن خلفه من ولاة المسلمين حيث أنهم كانوا يحملون الموظفين اثم تقصيرهم وإخلالهم بواجبهم ومسئوليتهم فيما يتولون من أعمال العامة .

فالموظف الذي يعفي نفسه من المسئولية عليه مسئولية ذلك ، قال ابو يوسف للرشيد: واذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك ، واحتجاز شيء من الفيء ، أو سوء سيرته ، فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك ، أو تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من غير أن يتعرض لمثل ما تعرض له ، وإياك ودعوة المظلوم فان دعوته مجابة ..

والمسلمون كانوا ينتقون الموظفين الأكفاء لتولي الوظائف ففي طبقات ابن سعد ، أنه كان من عمال عمر (عمير بن سعد) ، وفيه يقول عمر : وددت لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين . (ولاه عمر على حمص وتوفى سنة ٤٥ هـ .) .

ومن أقواله على منبر حمص :ـ « لايزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، وأخذا بالعدل .

ومن اهم مايلزم لأداء العمل هو الحيطة في اختيار الموظف وانتقاء الصالح منهم الذي يتمتع بكفاءة وأمانة في أداء العمل ، بحيث يكون هذا العمل موافقا لما أحله الله ومطابقا لشريعته .

كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :ـ
« المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » . رواه ابو داود

ومن اداب الموظف لزوم العفاف والصيانة فيما يتولاه من أعمال ، والتعفف عن المطامع الذميمة ، والمطاعن الوخيمة ، والترفع عن المكاسب اللئيمة ، فان ذلك يحقق القرب من الله سبحانه وتعالى ، والحظوة عند السلطان يقرب من كان بعيدا على من كان قريبا ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على من كان له مكانة وحرمة لديه مادام كفئًا وبذلك يتمتع الموظف بحسن السيرة لدى الرعية ،

والاسلام قد وضع نظاما خاصا لرواتب الموظفين لها قواعد منسقة تنسيقا عادلا ، فلا يُعطى عامل الا على قدر عمله ، ولا يمنح أقل من كفايته ، ومن دواعي زيادتها أن يبدي الموظف في عمله كفاية وحكمة قال الله سبحانه وتعالى : **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة / ٧ و ٨

وقد روي ابن سعد في طبقاته ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى أئمة المسلمين بعده بموظف أحسن صنعا في بعض الأمور ، فكتب له بهذا كتابا وختمه ، فظل الموظف يأخذ من خلفاء المسلمين حتى عهد عمر بن عبد العزيز .

وراتب الموظف كان يتناسب مع مركز الموظف ، وما يتخذه لنفسه منهيبة في

نفوس الناس . ولعل من أصدق الشواهد على ذلك ما يروي أن المعتضد بلغه أن عامله على فارس أظهر أبهة في ولايته وأنفق مالا طائلا ، فوقعت له بذلك هيبة في نفوس الرعية . فزاد المعتضد رزق عامله ليستعين به على مروءته ؟

وقد روي أبو داود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه في يومه ، فأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا ، فهو يراعي الحالة الاجتماعية ، ومن يعولهم الموظف من افراد اسرته ، وهذا هو ماتوصلت اليه نظم الموظفين الحديثة بعد كثير من العناء والمشقة والجدل والمراء على الرغم من أن الاسلام كان سابقا لها ومتقدما عليها .

والنظام الضريبي له أصل في الاسلام وبخاصة « ضريبة الدخل » فقد كانت الزكاة المستحقة على أصحاب الأعطيات تخصم من أعطياتهم قبل ان يستولوا عليها ولا يسلم إليهم إلا مابقي بعد خصم الزكاة ، هداهم الى هذا فطرتهم واستقامة فكرهم ، حيث أن مؤلفي علوم المالية الحديثة لم يتوصلوا الى ما انتهوا اليه الا بعد ان اجتازوا مافيها من التعقيد وصولا الى ماوصل اليه الفكر الاسلامي العريق . وقد رأى خلفاء المسلمين إنصاف الموظفين بوضع نظام عادل لرواتبهم ، فأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يوصي أحد عماله أن يسبغ الأرزاق على الموظفين ، فإن ذلك قوة لهم على إصلاح انفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا الأمر او ثلموا الأمانة .

ولعمر بن عبد العزيز محاورة في ذلك تدل على مبلغ حرصه على إنصاف الموظفين قيل له : ترزق الرجل من عمالك مائة دينار ومائتي دينار في الشهر واكثر من ذلك ؟ فيقول : أراه لهم يسيرا ان عملوا بكتاب الله وسنة نبيه وأحب ان افرغ قلوبهم من الهم بمعايشهم » .

وكان أهم ماجرت عليه الإدارة في عهد المأمون التوسعة على العمال يراد بهذا حفظ حقوق الرعية والسلطان .

ولعمري ان ذلك حزم وبعد نظر ، وحسن بصر وبصيرة بالأمور ، فان من تولى أمور الناس وأعطى الفصل فيها وتصريفها يجب أن يكون مرزوقا موسعا عليه ، ولا يشعر بضيق ولا تلذعه حاجة ، لأن الشعور بالضيق فتنة ولذع الحاجة مدرجة للخيانة ، فتمتد يد الموظف الى ما في أيدي الناس ، وتتطلع عينه الى المعونة بما يملكون .

ومن أحق بهذا الحزم من المأمون ، وهو من هو علما وحكمة ؟ وهو الذي رفع منزلة (الفضل بن سهل) وعقد له على الشرق طولا وعرضا ، وجعل عمالته ثلاثة آلاف درهم !

ورواتب الموظفين تجري عليهم من بيت المال لأنهم في عمل المسلمين ، أرشد بهذا أبو يوسف الرشيد ففي كتاب الخراج أن الرشيد قال : يجري على القاضي اذا صار إليه ميراث من المواريث . فأجاب قاضيه ابو يوسف : لا إنما يعطي للقاضي رزق من بيت المال ، ليكون قيما على الفقير والغني ، والصغير والكبير ، ولا

يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع اذا صارت اليه مواريثه رزقا .

ونظام المعاشات والمكافآت في الاسلام معروف : فقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قيس بن مالك الأرحبي من همزان لما استعمله على عربهم وعجمهم ومواليهم ، فأقطعه من ذرة(نسار) مائتي صاع وس زبيب (خيوان) مائتي صاع ، جارٍ له ذلك ولعقبة من بعده ابدا ، أبدا أبدا .

وعمر بن عبد العزيز أمر أن يرفعوا اليه كل يتيم ومن لا أحد له ممن قد جرى على والده الديوان ، فأمر لكل خمسة بخادم يتوزعونه بالسوية ، وفرض للعوانس الفقيرات

وكان لا يُفرض للمولود حتى يفطم ، فنادى معاوية لا تعجلوا أولادكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وراعى الاسلام العجزة من موظفي الدولة ومنحهم رعاية اجتماعية ، فقد كتب عمر بن عبد العزيز الى أمصار الشام ان يرفعوا اليه كل أعمى في الديوان ، أو مقعد أو من به فالج او من به زمانة تحول بينه وبين القيام الى الصلاة ، فأمر لكل أعمى بقائد ، ولكل اثنين من الزمنى بخادم ، وعلى هذا النحو كانت رعاية الولاة العادلين لمصالح الموظفين بل للمسلمين أجمعين .

وليس بعزيز على من يشعر بأنه مسئول أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة من أمور رعيته أن يسد حاجتهم بل ليس بعزيز عليه أن يغنيهم ، وأن يلبث ساهرا لا تغمض له عين وفي رعيته جوعان حتى يشبع ، أو ظمآن حتى يروي ، لا يقصد بذلك الا وجه الله وطاعته فيما ولاه .

عن ابي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتي بالرجل المتوفى،عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه فضلا ؟ فان حدث أنه ترك لدينه وفاء صلى،والا قال للمسلمين : صلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتوح قال :ـ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعليَّ قضاؤه ، ومن ترك مالا **فلورثته** » رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

جاءت أمرأة من العراق الى عمر بن عبد العزيز وشكت عيلتها وفقرها ، وقالت ان زوجها لحق بربه وترك بنات خمسا وطلبت ان يفرض لهن : فقال ما أسم الأولى ؟ فقالت : فلانة . قال فرضت لها كذا . فقالت الحمد لله يا أمير المؤمنين ثم قال والثانية ؟ قالت : فلانة . قال :ـ فرضت لها . كذا قالت : الحمدلله يا أمير المؤمنين . ثم سألها عن الثالثة . ففرض لها . فحمدت الله ثم الرابعة ففرض لها . فحمدت الله : ثم قالت : والشكر لأمير المؤمنين ، بقيت الخامسة واسمها فلانة : فقال لها عمر : لا اننا لا نفرض لها ، فقد فرضنا لاخواتها حين أوليت الحمد أهله أما الآن فقد أوليت الحمد غير أهله ، فمرى الأربع أن يفضلن على الخامسة !!! ولم يفرض لها لأن المرأة اتجهت لغير الله .

هذه مقتطفات من النظام الاسلامي في ادارة دفة حكمه ، والذي طبقت شهرته الآفاق وصار مضرب الأمثال للنظم الحديثة .

وقفة تأمل

إلى من يهمهم الأمر

● يعيش عالمنا الاسلامي اوضاعا غريبة .. لا تتفق مع منطق ولا عقل .. بل هي على النقيض مما يدعو اليه ديننا الاسلامي الحنيف ..

● وحديثنا هنا سوف يقتصر على بعض الظواهر الاجتماعية التي تمس شباب الأمة الاسلامية .. وتكاد تعصف بهم فيعانون من التيه في دروب الحياة المظلمة .. ويقعون فريسة للصراع النفسي داخل مجتمعات غير متوازنة .. فالبون شاسع بين النظرية والتطبيق .. بين المبادىء والقيم العليا التي يحرص عليها الاسلام والواقع الذي يعيشه المسلمون .

● فالاذاعات .. وان كانت ترسل بعض البرامج الاسلامية الهادفة ـ الا ان معظم ماتبثه ضار وغير مفيد .. مما يصرف الشباب عن حياة الجد والعمل .. الى حياة اللهو والفساد فكم نشاهد من شباب يركب سيارته ويفتح المذياع على أعلى صوته ليستمع الى أغنية خليعة تشغله عن الانتباه الى مخاطر الطريق .. فيحدث مالا تحمد عقباه .

● والتلفازات .. تعرض على المشاهدين .. مايضر بالصغار والكبار .. ومايصرف عن الاستفادة بالوقت في عمل مفيد او قراءة نافعة او اكتساب علم

رت اليه مواريثه رزقا .
ب : فقد أجرى رسول الله صلى الله

يأخذ من مال الشريف ولا الوضيع اذا صا
ونظام المعاشات والمكافآت في الاسلام معرو

وربطه من أعلى .. ثم تدلى في ساحة البيت .. فكان ان فارق الحياة ..
● والأفلام الخليعة كم دمرت من شباب .. وأضاعت مستقبلهم .. فحاولوا الارتواء من الحرام .. وتعرضوا لحرمات الناس .. وبعضهم حاول تقليد الأبطال .. فأقدم على السرقة بطرق حديثة من غير عوز ولاضرورة ولاحاجة .. الا مجرد اللهو .. والتقليد .. والاحساس بالضياع .

● عجيب حال مجتمعنا المسلم : ندعوا الشباب الى العفة والنزاهة ، والبعد عن مزالق الشيطان ، ودروب الأشقياء .. والتمسك بالشرف والفضيلة ..
ثم نيسّر أمامه سبل الحرام . ونوفر له الشياطين يدعونه الى الهدى ائتنا .. حتى ينسى الشاب ان هدى الله هو الهدى .

● الشارع غير مسلم .. فالمرأة شبه عارية .. والأفلام في دور السينما تدعوه الى الانحراف . وافلام الفيديو داخل البيوت حتى الصباح وأكثرها من الممنوع .. فكيف يمكن الاصلاح ؟!

● والعقبات الكأداء قائمة في طريق الشباب الراغب في الوصول الى تحقيق أمانيه بالحلال فكم من عقود زواج فسخت أمام أزمة الاسكان .. وكم من خطبة لم تصل الى صورة عقد الزواج بسبب غلاء المهور .. وكم من أسر تفككت بسبب ارتفاع تكاليف الحياة ..
ضيق وعسر وشدة وألف عائق وعائق في طريق المباح .. ويسر وسهولة وورود خبيثة وألف شيطان يدفع الى المسلك الحرام ..
فكيف يمكن ان تتحول دعوات المصلحين الى واقع محسوس والانفصام النكد قائم بين الدين ومثله .. والحياة ومافيها ؟ ..
● ان في الأمة قادرين على تذليل الصعاب .. ان في الأمة مسئولين عن اوضاعنا المتردية .. وان في الأمة من وضع الله في أيديهم اتخاذ القرار .. فإلى من يهمهم الأمر من المصلحين والموسرين والقادة نوجه هذا الكلام . داعين إياهم ان يقفوا وقفة تأمل فيما نحن فيه .. وأن يعملوا بما وهبهم الله على اصلاح الواقع ، والأخذ بيد الشباب الى بر الأمان .. فهم مستقبل الأمة .. وعدتها .. ورجال الغد .. وعلى سواعدهم تبنى الأمجاد ..
والله الموفق

فهمي عبدالعليم الامام

روح القدس في عقيدة

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

يؤمن النصارى في زماننا المعاصر بألوهية روح القدس لأنه في نظرهم حل على السيدة مريم بنت عمران والدة المسيح عليه السلام عندما جاء اليها في مكان عبادتها وبشرها بحمله ثم ولادته بعد ذلك دون اتصال منها بأي واحد من البشر .

كما يعتقدون ثانيا أنه هو الذي حل على المسيح عليه السلام عند تعميده في نهر الاردن .

وأنه هو الذي حل على الحواريين تلامذة المسيح وأصحابه بعد ان ذهب عنهم وتركهم في هذا العالم .

ويستدلون على ذلك بالنصوص الآتية من كتابهم المقدس .

النص الاول : ورد في إنجيل لوقا بالاصحاح الأول عدد ٢٦ ـ ٣٥ وهو :ـ

« وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ـ الرب معك مباركة انت في النساء ... وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ... فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست اعرف رجلا فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك » . وكلمة يسوع تعني المسيح .

النص الثاني : ورد في انجيل مرقس في الاصحاح الأول عدد ٩ ، ١٠ وهو :

« وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل ، واعتمد من يوحنا في الاردن

النصرانية

وللوقت وهو صاعد من الماء رأي السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه » .

النص الثالث : وقد رود في سفر أعمال الرسل في الاصحاح الأول عدد ٨ وهو القول المنسوب للمسيح إلى تلاميذه : « كلكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » . وكلمة أورشليم تعني مدينة القدس .

مجمع نيقية يضفي القداسة على روح القدس في القرن الرابع الميلادي :

تكشفت قداسة روح القدس فجأة لدى النصارى عند انعقاد مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ ميلادية فقد ألغى عقيدة التوحيد التي كانت سائدة لدى طوائف النصرانية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد ، وبدلا منها فرض ذلك المؤتمر عليهم عقيدة الثالوث المكون من الأقانيم الثلاثة وهي :ـ

١) الآب ويعنون به الله

٢) الابن ويعنون به المسيح

٣) والروح ويعنون به الروح القدس

ولما كان أعضاء ذلك المؤتمر يهمهم في البداية استقرار مبدأ ألوهية المسيح ضمن عقيدة الثالوث لذلك فقد تركوا موضوع ألوهية روح القدس دون مناقشة فلم يثبتوها أو ينفوها بل أجلوا القطع في أمرها لفرصة أخرى .

تقرير ألوهية روح القدس بعد ذلك :

بعد فرض عقيدة الثالوث أو التثليث انقسمت طوائف النصارى حول طبيعة الأقنوم الثالث ـ وهو روح القدس الى طائفتين :ـ

الطائفة الأولى :

ويتزعمها بطريرك الاسكندرية المبتدع والمدافع عن عقيدة الثالوث ويفسرها بمفهومه الكنسي فيقول : إن المسيطر على العالم قوي ثلاث هي كما قدمنا آنفا

١) المكون الاول : وهو الله ويسمونه الآب

٢) العقل : ويقصدون به المسيح ويسمونه الإبن

٣) النفس العامة : ويقصدون به الروح القدس

الطائفة الثانية :

ويتزعمها مقدونيوس أسقف القسطنطينية وكان يعلن أن الروح القدس ليس إلها ولكنه مخلوق مصنوع ، وكان يشايعه في ذلك أسقف آخر كبير ، هو الأسقف أوسابيوس .

انعقاد مجمع القسطنطينية الاول :

وحسما لهذا الخلاف بين الطائفتين عقد الامبراطور الروماني تاوديوس الكبير مجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره من جميع أنحاء الامبراطورية إلا ١٥٠ أسقفا فقط ، والعجيب في الأمر أن هذا المؤتمر لم يجتمع ليناقش بل ليتخذ قرارا مبيتا قبل اجتماعه سرعان ماوافقوا عليه وهو :-

أولا : تقرير ألوهية روح القدس ، وبذلك اكتمل في نظرهم بنيان الثالوث المقدس .

ثانيا : لعن من يقول بغير ذلك .

وبناء على قرار المؤتمر المذكور أعلن حرمان الأسقفين مقدونيوس وأوسابيوس وأسقط من كل منهما رتبته .

ابن البطريق المؤرخ النصراني يشرح قرار ذلك المؤتمر بتأليه روح القدس :

يقول ابن البطريق « زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا الذين اجتمعوا في نيقية - الايمان بروح القدس - الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص » .

انتهى كلام ابن البطريق .

كيف تقرر ألوهية روح القدس في مؤتمر القسطنطينية المذكور :

قدم بطريرك الاسكندرية تفسيرا عجيبا الى المجتمعين في ذلك المؤتمر سرعان ما وافقوا عليه عقيدة لهم ولطوائف النصرانية وهذا التفسير هو بنصه الآتي : « ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئا غير حياته فاذا

قلنا ان روح ـ القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله مخلوق ، واذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا إن حياته مخلوقة ، واذا قلنا إن حياته مخلوقة فقدزعمنا أنه غير حي ، واذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه اللعن » .

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية في تقريره ألوهية روح القدس :

من النظر إلى السلسلة السابقة التي قدمها بطريرك الاسكندرية يتضح لنا بأن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله التي تقوم بها حياته مقدمة خاطئة لا تسندها نصوص الكتاب المقدس عندهم ولا يوافقه عليها أهل العلم بذلك الكتاب وما دامت المقدمة خاطئة فلا بد وأن تكون النتيجة التي انبثقت عنها خاطئة وهي تلك التي وافق عليها مؤتمر القسطنطينية الأول عن روح القدس .

التفسير الواضح لروح القدس أو روح الله من واقع الكتاب المقدس لليهود والنصارى :

الرأي الواضح الذي لا غموض فيه ، هو أن روح القدس أو روح الله ملك من الملائكة خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيا من خلقه كالأنبياء والمرسلين .

وقد يكون بمعنى الوحي نفسه أو بمعنى التأييد والثبات من الله ولندلل على ذلك بنصوص الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد طبقا للآتي :

أولا : في كتاب العهد القديم والذي يضم أسفار موسى الخمسة وأسفار أنبياء بني اسرائيل

١ ـ ورد في سفر العدد في الإصحاح ١١ عدد ٢٥ قوله حكاية عن موسى عليه السلام : « وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلا فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا » أي فلما نزل عليهم الملك بالوحي تنبأوا .

٢ ـ تضمن السفر السابق الاشارة إليه في الإصحاح ١١ عدد ٢٩ قوله أيضا : « يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذا جعل الرب روحه عليهم » أي تأييده وثباته لهم .

٣ ـ ورد في الزبور ٥١ عدد ١١ قوله عن داود عليه السلام : « وروحك القدوس لا تنزعه مني » بمعنى الوحي أو التأييد والثبات من الله .

٤ ـ وشبيه بذلك ما ورد بسفر أشعيا في الاصحاح ٦١ عدد ١ قوله : « روح السيد الرب علي » .

٥ ـ وما ورد في سفر الأيام الثاني في الإصحاح ٢٤ عدد ٢٠ قوله : « وليس روح الله زكريا » .

٦ ـ وما ورد في سفر نحميا في الإصحاح التاسع عدد ٢٠ قوله : « وأعطيتهم روحك الصالح لتعلمهم » .

ثانيا : في كتاب العهد الجديد والذي يضم الاناجيل الأربعة المنسوبة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا والرسائل الملحقة بها نذكر الآتي :

(١) ورد في انجيل لوقا في الاصحاح الأول عدد ١٥ قوله عن النبي يوحنا : « لأنه يكون عظيما أمام الرب ... ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » النبي يوحنا يعني النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام .

(٢) جاء في الانجيل السابق الاشارة اليه في الاصحاح الثاني عدد ٢٥ قوله عن سمعان التقى وكان من أهالي مدينة القدس : « وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان ... والروح القدس كان عليه » .

(٣) ورد في سفر رؤيا يوحنا في الإصحاح الثامن عدد ٩ قوله عن المؤمنين بالمسيح عليه السلام : « إن كان روح الله ساكنا فيكم » .

هل اكتفى رجال الكنيسة بذلك القرار الثالوثي على هذا الوضع ؟ :

لم يكتف بعض رجال الكنيسة بذلك الثالوث على هذا الوضع السابق شرحه فهم لم يقتنعوا بألوهية روح القدس وأنه منبثق من الآب « أي الله » بل تراهم كأنهم تصوروا منافسة على زعمهم بين الله جل جلاله وبين المسيح عليه السلام لذلك عقدوا مجمعا آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ ميلادية انتهوا فيه إلى أن روح القدس منبثق من الإبن ايضا : « بمعنى/ انه منبثق ايضا من المسيح » مع أن هذا مناقض لما قالوه سابقا وللنصوص الأولى المشار إليها في صدرالمقال من أنه هو الذي حل على العذراء مريم لدى البشارة لها ، وعلى المسيح عند العماد فمتى يفيق هؤلاء الغافلون ؟

ولم تقبل ا لكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر لم تقبلها ولا تزال عبارة : « ومنبثق من الابن أيضا » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية من جهة وبين الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى وسببا لعدم الالتقاء بينهما .

الدكتور أحمد شلبي أستاذ علم مقارنة الأديان بجامعة القاهرة يعلق على قرارات المجامع الكنسية :

ويقول الدكتور أحمد شلبي عن تلك المجامع الكنسية وعما تصدره من قرارات عجيبة في تقرير الألوهية : « وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة » فيا للعجب العجاب .

ما يقوله الفيلسوف والمفكر اللاهوتي الهولندي سبينوزا عن الروح القدس أو روح الله :

يقول ذلك الفيلسوف إن كلمة روح في اللغة العبرانية تعني الذهن أو حكم

الذهن ، ولهذا استحقت الشريعة نفسها بمقدار تعبيرها عن الفكر الالهي أن تسمي روح الله وفكره .

فاذا قلنا روح الله في النبي ، أنزل الله روحه في البشر ، والبشر ملىء بروح الله أو بالروح القدس ، فهذه عبارات لا تعني سوى أنه كانت للأنبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد ، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دواما ، وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه بمعنى أن روح القدس يعني الفكر الصائب المستقيم المستوحى من الله .

النبي الإسرائيلي أشعيا يؤيد في سفره ما ذهب إليه الفيلسوف والمفكر سبينوزا من تفسير :

وذلك في قوله : « ويخرج قضيب من جذع يبس ويحل على روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ويخافه الرب ، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين » أنظر سفر أشعيا في الإصحاح ١١ عدد ١.

الروح القدس في عقيدة الاسلام :

هو الملك « جبريل عليه السلام » اصطفاه الله لينزل بالوحي على رسله وأنبيائه ، وإطلاق روح القدس عليه لأنه ينزل بالقدس أي الطهر من الله والمراد به الوحي ـ الذي يطهر نفوس البشر من الجهل والإثم ، أو لطهره من الأدناس البشرية فهو من إضافة الموصوف إلى صفته .

وهو الذي نزل بالقرآن الكريم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى يصف نزوله بالقرآن عليه صلى الله عليه وسلم : (**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**) النحل/ ١٠٢

ومن أوصافه أيضا أنه الروح الأمين فهو أمين على وحي الله المنزل من السماء قال تعالى في وصفه : (**نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين**) الشعراء/ ١٩٣ و ١٩٤

ولهذا الملك من القوة العظيمة ما لا يعلمه إلا الله فلقد قام بتعليم القرآن الكريم وتلقينه للنبي صلى الله عليه وسلم بماله من قوة وبأس وشدة قال تعالى : (**إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى**) النجم/ ٤ ـ ٦ وكثيرا ما كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة في التلقي من ملك الوحي جبريل عليه السلام .

حدثت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة

رضي الله عنها وقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا

ماذا يعني إضافة لفظ الروح إلى الله بوجه عام :

إن إضافة لفظ الروح إلى الله هي إضافة تشريف أو تعظيم ، وليس هذا من مبتكرات اللغة العربيةوحدها بل هو قديم جدا ومتعارف عليه عند العبرانيين ويدلل على ذلك الاستاذ / ابراهيم الحوراني وهو من علماء أهل الكتاب ومفسريهم فيقول في أبحاثه التي ضمنها كتابه السنن القويم في تفسير أسفار الكليم : اعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه طبقا لما يلي :ـ

١) ورد بسفر التكوين في إصحاح ١ عدد ٢ قوله عن الريح العظيمة : « روح الله يرف على وجه الماء »

٢) ورد بالسفر السابق الإشارة اليه في اصحاح ٢٣ عدد ٦ عن بني حث وقولهم لابراهيم عليه السلام لما نزل عليهم بفلسطين : « أنت رئيس من الله » أي رئيس عظيم .

٣) ذكر مزمور ٣٦ عدد ٦ قوله : « عدْلُك مثل جبال الله » أي مثل جبال عظيمة .

٤) ورد في سفر صموئيل الأول إصحاح ٢٦ عدد ١٢ قوله : « لأن سبات الرب وقع عليهم » أي وقع عليهم نوم ثقيل عميق .

انتهى كلام الاستاذ ابراهيم الحوراني

ماذا تعني اضافة الروح الى الله في القرآن الكريم :

هي اضافة تشريف وتفضيل وتعظيم ومثاله :

١) قال تعالى عن خلق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له بعد أن نفخ فيه من روحه : **(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)** الحجر/ ٢٩ .

٢) قال تعالى عن الناقة التي طلبها قوم صالح عليه السلام آية لهم : **(فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)** الشمس/ ١٣ .

٣) وقال سبحانه عن البيت الحرام في مكة المكرمة : **(وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)** البقرة/ ١٢٥ .

ولما كان من معاني الروح الرحمة والنعمة من الله على عباده لذلك كان المسيح عليه السلام رحمة من الله لقومه ونعمة عظيمة منه عليهم اذ كان يرشدهم الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة سمى روحا من الله قال تعالى : **(إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)** النساء/ ١٧١ .

وقد تكون الروح بمعنى الوحي الذي يجيء به ملك الوحي لأنه يحيي القلوب

الميتة من جهالاتها قال تعالى : **(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا)** الشورى/ ٥٢ .

فالقرآن الكريم وهو الوحي المنزل من الله بإحيائه تلك القلوب كان سببا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى : **(وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)** العنكبوت/ ٦٤ .

وقد تكون بمعنى جبريل عليه السلام قال تعالى : **(فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)** مريم/ ١٧ روي أنه كان موضعها في بيت العبادة لبني إسرائيل ، فبينما هي في خلوتها أتاها جبريل عليه السلام في صورة إنسان كامل لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلمات ربها .

فالاضافة الى الله كلها إضافة تشريف وتفضيل وتعظيم .

الإسلام يشهد ببراءة المسيح عليه السلام من زعم النصارى

فما صح وما استقام أن المسيح وهو بشر اصطفاه الله لتبليغ الرسالة الى قومه الاسرائيليين وأعطاه الكتاب الذي يرشدهم إلى عبادة ربهم وأعطاه الحكمة وحسن التصرف في الأمور ، وأعطاه النبوة العاصمة من الخطأ ثم يتنكر لربه الذي اختاره لهداية خلقه فيقول للناس كونوا عبادا لي إشراكا مع الله أو إفرادا ، ولكن يقول لهم كونوا علماء عاملين كاملين في العلم والعمل لانكم تعلّمون الناس الكتاب وتدرسونه فأولى بكم أن تتبعوه ولا تحيدوا عنه .

كما أنه ما صح وما استقام أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة : « ومنها روح القدس » ، والنبيين أربابا فلا يليق به وهو رسول من عند الله أن يأمرهم بالكفر بعد إذ هم مسلمون ، أي مخلصون ومنقادون لربهم ، ولكن نتج كل ذلك بخلطهم الحق بالباطل وتحريفهم آيات التوراة والإنجيل وسوء تأويلها قال تعالى مؤنبا لهم :ـ

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) آل عمران/ ٧٩ و ٨٠ .

مراجع أخرى

١) كتاب المسيحية ـ مقارنة الأديان ـ للدكتور احمد شلبي .
٢ ـ المرجع السابق .
٣) كتاب محاضرات في النصرانية للمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .
٤) المرجع السابق .
٥) كتاب النصرانية والاسلام ـ عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب هذا المقال .
٦) كتاب المسيحية ـ مقارنة الأديان ـ للدكتور احمد شلبي .
٧) المرجع السابق .
٨) كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة تأليف سبينوزا ترجمة الدكتور سعد حنفي .
٩) صحيح البخاري .
١٠) كتاب السنن القويم في تفسير اسفار الكليم نقلا عن كتاب سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية للاستاذ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي أستاذ دروس تفسير القرآن في الجامع الأموي بدمشق سابقا .
١١) كتاب المفردات في غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ـ الاصفهاني .

أهمية التخطيط في ظلال التربية الاسلامية

للأستاذ : علي القاضي

ما المقصود بالتخطيط :

يقصد بالتخطيط العملية المنظمة التي يتم بها اختيار احسن الحلول للوصول الى اهداف معينة - وقد يكون التخطيط طويل المدى او متوسط المدى - او قصير المدى - وقد يكون في الشؤون الاقتصادية او العسكرية او الثقافية او غير ذلك مما يهم الأمة في مستقبل حياتها .

والتخطيط - في جوهره - موازنة بين القدرات والامكانات المتاحة على اختلاف أنواعها وما يراد ان يحقق من أهداف وتطلعات وآمال .

خصائص التخطيط :

للتخطيط خصائص كثيرة اهمها ثلاث :

اولا : انه يتضمن النظر الى المستقبل وآماله بالنسبة لفرد او مجموعة من الناس أو للدولة او لمجموعة من الدول التي تسير على منهج واحد في نوع من

أنواع التخطيط في ضوء الامكانات المتاحة سواء أكانت هذه الامكانات اقتصادية أم بشرية أم غيرها .

ثانيا : انه يعني العمل الايجابي الهادف الذي يقوم على اساس متين من الفهم والجدية الكاملة في العمل .

ثالثا : انه يعني التنظيم في علاقات الافراد بعضهم ببعض ، وبالأنظمة الاجتماعية المختلفة ، في ضوء ادراكه للعلاقة بين الأسباب والنتائج .

من هنا كان لابد ـ عند التخطيط لعمل ما ـ ان تتوفر له البيانات الكافية للموضوع الذي يخطط له والاحصاءات التي تلزم ـ مع العناية الكاملة بأن يكون كل ذلك على درجة كبيرة من الصحة والدقة حتى يكون التخطيط قائما على اساس سليم .

انواع التخطيط :

والتخطيط له انواع كثيرة ـ وقد تبنت كل دولة ما يناسبها من انواعه على حسب تقدير المسؤولين في كل دولة .

فهناك التخطيط الالزامي : الذي يشمل كل قطاع من قطاعات الدولة فيفرض عليه الالتزام بما تحدده الخطة من الأهداف .

وهناك التخطيط الحر ـ وهو الذي تقوم فيه الدولة بدراسات تنبؤية في الاقتصاد والتكنولوجيا ، ثم تترك المؤسسات ورجال الاعمال يتصرفون بحرية حسب ظروفهم .

وهناك التخطيط الباني : وهو الذي تحدد الدولة بموجبه الأهداف ثم تضع المؤشرات الى ما ينبغي اتخاذه لتخطيطها تاركة للمؤسسات حرية التصرف والمبادرة التلقائية .

وهناك التخطيط التشجيعي : وهو الذي تكتفي فيه الدولة بالالتجاء الى بعض الاساليب في الثواب والعقاب ـ عن طريق الضرائب وغيرها ـ من اجل تحقيق اهداف الخطة بدلا من ان تقوم بالتنفيذ .

أهمية التخطيط :

ويأتي سؤال لماذا تهتم الدولة في كل قطاعاتها بالتخطيط ؟

والجواب : ان التخطيط يساعد مساعدة فعالة على تحقيق الاهداف ـ مع الاقتصاد في الوقت والجهد والمال .

ولكي يكون التخطيط سليما فلابد وان يحقق الاهداف التي تنسجم مع المجتمع وقيمه واخلاقه ومعتقداته ـ والا فان المجتمع سيكون في حرب داخلية وبذلك يخسر المجتمع من هذا التخطيط .

ومن ذلك ما نلاحظه في نظمنا التعليمية في جامعاتنا اذ ان الخطة والمحتوى واردتان من الخارج ولا تتفقان مع قيم الشعب ومعتقداته ـ ومن هنا ينشأ الصراع بين خريجي الجامعات وبقية طوائف الشعب للاختلاف على القيم والمعتقدات احيانا ـ وهذا ما يحدث في معظم دول العالم الاسلامي .

العوامل التي تؤثر في التخطيط :

واهم العوامل التي تؤثر في

التخطيط ما يأتي :

اولا : **العوامل الاقتصادية** : ويقصد بها الامكانات المادية المتاحة لانفاقها على الخطة التي يراد تنفيذها ـ وقد تكون هذه الامكانات من ميزانية الدولة او من تبرعات الافراد او من الاقتراض الداخلي او الخارجي او غير ذلك ـ وقد تكون مزيجا من هذا كله .

ثانيا : **العوامل الاجتماعية** : ويقصد بها السكان ومدى استعداد المجموعة التي ستقوم بتنفيذ ما خطط لها سواء أكان ذلك من الناحية الجسمية أم العقلية أم التعليمية أم الثقافية أم النفسية ـ ثم معدل النمو السكاني الآن بالنسبة الى مستقبل الايام .

ثالثا : **العوامل السياسية** : ويقصد بها الاسلوب الذي تسير عليه الدولة وهل هو اسلوب شيوعي او اسلوب رأسمالي او اسلوب اسلامي ؟ لان هذا يؤثر على التخطيط كما يؤثر على التنفيذ .

والتخطيط يستلزم وصف الموقف الحالي وتقويمه في الناحية التي يراد عمل التخطيط لها ثم دراسة الواقعية والفاعلية .

التخطيط في الاسلام :

التخطيط في الاسلام ينبع اولا من عقيدة المسلم التي ينبغي ان تكون المخطط لتحقق رسالته في هذه الحياة ـ فالمسلم لا يبدأ من فراغ ولا يسير الى هدف مجهول او هدف مقتصر على الناحية المادية وحدها ـ فالمسلم خليفة الله في الأرض امر بعمارتها ونشر العدالة والأمن فيها ـ ولذلك فلابد وان يلتزم المخطط بمنهج الله تعالى (**وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**) الأنعام/١٥٣ .

فاذا ما سار في هذا الطريق واعتصم بالله فهذا اول خطوات النجاح (**ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم**) آل عمران/١٠١

والاقتصاد في الاسلام جانب مهم في التخطيط الاسلامي ولكنه ليس الجانب الأهم ـ لأن النظر الى هذا الجانب وحده سيأتي بمشكلات جديدة تحتاج الى حلول تأخذ الوقت والجهد وهذا ما يحدث في الغرب .

والتجربة من اسس التخطيط السليم ـ والاسلام يدعو اليها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في مسألة تأبير النخل (انتم اعلم بشؤون دنياكم) كما روى مسلم ـ وانطلق ، المسلمون يجربون ويكتشفون الى الحد الذي جعلهم قادة في هذا الميدان يقول رينيه ميليه « **لقد جاء المسلمون بميدان في البحث جديد ـ بدأ يتفرع من الدين نفسه هو مبدأ التأمل والبحث ـ وقد مالوا الى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا اساس علم**

أنواع التخطيط في ضوء الامكانات ... اتخطيطها تاركة ... للمؤسسات حرية

كما ان الدكتور فرنتور ونتال يقول **(إن اعظم نشاط فكري قام به المسلمون يدلنا جليا في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختياراتهم - فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة)** .

وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للتخطيط السليم الذي قام على اسس منطقية فامكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعا بالهلاك - لولا التخطيط السليم الذي قام به يوسف عليه السلام وهو امين على الخزائن - وذلك حين فسر الرؤيا التي جاءت على لسان ملك مصر في قوله تعالى **(وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر)** سورة يوسف/٤٣ . وتولى يوسف عليه السلام تفسير الرؤيا فقال **(تزرعون سبع سنين دأبا)** يوسف/٤٧ . متتابعة مجدين بلا انقطاع في عمل مستمر وهي السنوات السبع المرموز اليها بالبقرات السمان - فما حصدتم فاتركوه في سنبله لان هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية واحتفظوا به للسنوات العجاف التي رمز اليها بالبقرات العجاف - وهذه طريقة سليمة لحفظ المحصول سليما طوال هذه المدة - الا قليلا مما تأكلون فجردوه من سنابله ويكون الحب لكم والتبن لدوابكم - ثم تأتي من بعد ذلك سبع شداد لا زرع فيهن يأكلن ما قدمتم لهن - وكأن هذه السنوات هي التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها لشدة نهمها وجوعها الا قليلا مما تحفظونه وتصونونه من التهامها - ثم تنقضي هذه السنوات العجاف المجدبة التي تأتي على ما خزنتم وادخرتم من سنوات الخصب تنقضي ويعقبها عام رخاء فيه يغاث الناس بالزرع والماء وتنمو كرومهم يعتصرونها خمرا - كما ينمو السمسم والخس فيعتصرونها زيتا .

وقد عم القحط كل مصر ووصل الى بلاد كنعان التي يسكن فيها يعقوب واولاده - وقد تولى يوسف عليه السلام التخطيط لهذه الفترة التي تبلغ خمس عشرة سنة وتولى التنفيذ الدقيق طوال هذه الفترة - وقد كان يوسف عليه السلام لا يعطي للرجل اكثر من حمل بعير - حتى يستطيع ان يجتاز هذه السنوات العجاف بسلام .

وكان عليه السلام القدوة المثلى في التنفيذ - فكان لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك والجنود الا اكلة واحدة في وسط النهار - وهذه ميزة في التخطيط الاسلامي فالمسؤول عن التخطيط او التنفيذ لابد وان يكون اول الملتزمين بالتنفيذ - بل وان يكون قدوة في ذلك فلا يأخذ اكثر من غيره - بل يأخذ اقل من غيره حتى يكون الرضا بما يعمله كاملا - ولعل هذا الالتزام هو الذي جعلهم يجتازون هذه المحنة القاسية بنجاح كامل .

والهجرة مثال للتخطيط الكامل

المتكامل - تولاه النبي صلوات الله وسلامه عليه في مرحلة من أهم مراحل الدعوة الاسلامية وأخطرها .

فقد بدأ النبي صلوات الله وسلامه عليه يخطط للهجرة إلى المدينة التخطيط الدقيق الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة في طوق البشر أن يعملها إلا عملها - فقد استبقى النبي عليه الصلاة والسلام معه أبا بكر وعليا كجزء من الخطة فلكل منهما دوره الهام .

وبدأ أبو بكر يقوم بدوره المرسوم له فابتاع راحلتين حبسهما في داره يعلفهما استعدادا لهذه الرحلة واستأجر دليلا خبيرا بالصحراء ليستعين به في هذه الرحلة الشاقة وهو عبد الله بن أريقط - وكان مشركا - ولكنه كان أمينا على الأسرار - ودفع إليه الراحلتين - فكانتا عنده لميعادهما .

وقد حدد النبي عليه الصلاة والسلام دور كل من الأشخاص الذين وضعت الخطة على أساس اشتراكه في التنفيذ .

فمهمة عبد الله بن أبي بكر - وهو غلام حاذق سريع الفهم - أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما - ثم يأتيهما إذا أمسى في الغار ليبلغهما بأخبار ذلك اليوم وبهذا يكونون على علم بكل تحركات قريش - فهو بذلك كان يقوم بدور رجل المخابرات .

ومهمة عامر بن فهيرة مولي ابي بكر - ان يرعى غنمه نهاره - ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار - فيقوم بمهمة مزدوجة الأولى : أن يتتبع أثر عبد الله بالغنم فيعفى عليه والثانية ان يحتلب الرسول عليه الصلاة والسلام وأبو بكر من الغنم وأن يذبحا .

ومهمة علي بن ابي طالب مزدوجة أيضا : الأولى ، أن ينام مكان النبي عليه الصلاة والسلام ليعمى الأمر على قريش والثانية أن يؤدي الودائع التي كانت عند النبي صلوات الله وسلامه عليه لأهل قريش .

وكانت مهمة عبد الله بن أريقط ان يكون دليلهما في هذه الخطة ذلك لانه كان خبيرا بالصحراء وموطن ثقة .

ومن التخطيط الذي اتبعه النبي عليه الصلاة والسلام في الهجرة سرية الخطة كلها - السرية التامة - فلم يكن يعرف بالخطة الا النبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه والدليل - حتى ان أبناء أبي بكر كانوا لا يعرفون شيئا عن وجهتهما - ولم يعلموا الا بعد الوصول الى المدينة تقول أسماء : مكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن استمعنا الى صوت يتردد في مكة منشدا :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت اسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهته الى المدينة .

ومع أن المدينة تقع شمال مكة الا أن التخطيط الدقيق جعلهم يتجهون

إلى الجنوب لتضليل المطاردين .

وهكذا نجحت هذه الخطة النجاح الكامل فوصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بسلام حيث أدى رسالته كاملة ـ بل ان الهجرة اصبحت مبدأ للتاريخ الإسلامي ـ لما لذلك من أهمية كبرى في حياة المسلمين .

الاحصاء والتخطيط :

والاحصاء عامل هام في التخطيط ـ لأنه يبين الامكانات المتاحة لتنفيذ ما يراد تنفيذه ـ وقد استخدم النبي عليه الصلاة والسلام الاحصاء في المدينة لمعرفة الامكانات الموجودة حتى يرسم الخطة على أساس سليم ـ وقد روى البخاري أنه صلوات الله وسلامه عليه أمر بعض أصحابه ـ بعد الهجرة إلى المدينة ـ أن يحصر عدد الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفا ـ وقد كان يعرف عدد المهاجرين منهم وعدد الأنصار ـ وعلى هذا الأساس بدأ يخطط للغزوات والسرايا حتى أتم رسالته .

خاتمــة :

والآن ـ ونحن في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ـ ونحن نريد أن نبدأ صفحة جديدة في التخطيط وفي التنفيذ تعيد للمسلمين مجدهم وللإسلام عزته ـ فإن علينا أن نفكر في تخطيط جديد كامل متكامل يجعلنا نسير في طريق تحقيق الهدف الذي نريد ان نصل اليه .

لا بد وأن نخطط لتربية المجتمع الإسلامي تربية تقوم على أساس فهم المسلم لرسالته التي تجعله يحطم الصهيونية والا ستعمار في كل صوره وأشكاله ـ ثم تجعله يحمل رسالته الى الدنيا كلها ليخرج من فيها من عبادة العباد الى عبادة الله ـ كما قال ربعي ـ لرستم قائد الروم ـ ثم يحقق رسالته باعتباره خليفة لله في الأرض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل ويعمر الأرض .

ولذلك فلا بد من وضع خطة ليتوافق المجتمع الإسلامي مع الاختراعات التكنولوجية المختلفة المتنوعة والمتطورة ـ على ان يستوعبها ويستخدمها في حدود قيمه الاسلامية والاسار في طريق يتحول به عن هدفه الأسمى ويصبح المجتمع الاسلامي حائرا كالمجتمعات الغربية منصرفا عن القيم والأخلاق وفاقدا لأهم عناصر السعادة .

وإعادة تربية المجتمع الإسلامي تكون في جميع المجالات ـ المجال التربوي والمجال السياسي والمجال العسكري والمجال الاقتصادي والمجال الثقافي وما الى ذلك ـ حتى يكون كاملا متكاملا .

بهذا يمكن للمجتمع الإسلامي ان يستعيد مكانته وأن يؤدي رسالته الإسلامية وأن ينقذ نفسه من موجات التحلل والضياع التي تسير إليها المجتمعات الغربية ـ ثم ينقذ منه هذه المجتمعات أيضا .

وبهذا يرضى المجتمع الإسلامي عن نفسه ويرضى عنه كل مجتمع في هذه الحياة ويرضى الله تعالى عنه .

ذلك عيسى

قال تعالى : ﴿قال إني عبدُ الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلامُ عليّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيا . ذلك عيسى بنُ مريمَ قولَ الحق الذي فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذَ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ من سورة مريم .

أجود الناس .. واحلم الناس

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه : « إني لأعلم أجود الناس ، واحلم الناس .
اجود الناس : من أعطى من حرمه .
وأحلم الناس : من عفا عمن ظلمه »

ضروريات في نظر الاسلام

كتب عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ إلى عماله : أن اقضوا عن الغارمين .
فكُتبَ إليه : إنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، وله الفرس ، وله الأثاث في بيته .
فكتب عمر : لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه رأسه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرسٍ يجاهد عليه عدوه ، وأثاثٍ في بيته ، ومع ذلك فهو غارمٌ فاقضوا عنه ما عليه من الدين .
هكذا الحال في عهد عمر بن عبد العزيز .. يعتبر المسكن ، والخادم ، والفرس ، والأثاث من الضروريات التي لا غنى للانسان عنها ، ولا يُلزم ببيعها وفاءً لدينه ، مادام بيت مال المسلمين يستطيع القضاء عنه . مجتمعٌ إسلاميٌ فاضلٌ !!

أدب الضيافة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة ايام ، فما كان بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحل له أن يثـوي عنده حتى يحرجه » .

هكذا الحياة

قال الشاعر :

حكم المنية في البرية جاري — ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الانسان فيها مخبرا — حتى يُرى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وانت تريدها — صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلّف الأيام ضد طباعها — متطلب في الماء جذوة نار
والعيش نوم والمنية يقظة — والمرء بينهما خيالٌ سار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت — منقادة بأزمّة الأقدار

المصالحة مع الله

قيل لراعٍ عابدٍ وُجِدَتْ الذئابُ بين غنمه ، وهي لا تؤذيها : متى اصطلحتْ الذئابُ مع غنمك ؟
قال : منذ أن اصطلح الراعي مع الله .

عز الطاعة

قال علي ـ كرّم الله وجهه ـ : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة من غير عشيرة ، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة .

يا أمة العرب

للأستاذ/ محمد السيد الداودي

نسجته من غشاء القلب أوزانا ... وضعته في مجال الفخر ألحانا
ورحت أشدو به في كل آونة ... فقد بنى لي في دنياه إيوانا
قام الهزار يحاكيه وينشده ... فارتد من فوره بالغيظ ملآنا
وعاد يلهث لا جوعا ولا عطشا ... لكنها محنة ردته حيرانا
ماذا أصابك ؟ قال الصوت مختنق ... فلست أحسن إفصاحا وتبيانا
من بعد شدو وتطريب وتسرية ... أرى على منبري سجنا وسجانا



ما بال حبات عقد اللؤلؤ انفرطت ... وبعثرتها رياح الحقد نيرانا
ومزقت شرعة الأهواء وحدتها ... فأذعنت لمصير السوء إذعانا



يـأيـهـا المـلأ الأعلـون إن لكم ... مجدا يسير بـه التاريـخ نشوانا
فما لكم في إنتكاسات مروعة ... أكان مجدكمو زورا وبهتانا ؟
ألم تروا « يعربا » أرسى قواعده ... ألم تروا في بناء العز « قحطانا » ؟
ألم تـروا سيد الأكوان يبهره ... نـورا ويملؤه هـديا وإيمانا ؟



عودوا إلى مجدكم وابنـوا معالمه ... حبا وودا وإخلاصا وعرفانا
وطهروا من ظلام الحقد أنفسكم ... ترقوا على هامة الجوزاء عقبانا
وفي حمى الدين والأخلاق متسع ... لكم إذا تبتغون المجد عنوانا
ما للخطوب أطاحت عزم وحدتكم ... وصيرتكم أحاديثا وسلوانا
وأشمتت بكم الأعداء فاستبقوا ... إلى المكايد آسادا وذؤبانا
هـلا اجتمعتم فوحدتم مشاربكم ... فالخصم يرقبكم سرا وإعلانا
وأنتم الصيد أمسى في حبائله ... فكيف تمسون أسماكا وحيتانا
بعتم كرامتكم والسوق كاسدة ... يا ليتها صادفت في السوق أثمانا
ألم تفيقوا وجل القوم في سنة ... لما أصاب « فلسطينا » و « لبنانا »
سطا العدو عليهم سطو مقتدر ... وبات للقتل والتدمير يقظانا
أهكذا وكتاب الله في يدنا ... تفوح آياته روحا وريحانا ؟
يهدي إلى الحق في أضواء منطقه ... فيستحيل خراب النفس عمرانا
يا قاتل الله صهيونا وشيعه ... كم عاث في الأرض إفسادا وعدوانا
إن يشك أحياؤنا يوما نذالته ... فقد شكا غدره من قبل موتانا
فلا رعى الله « شاميرا » وسالفه ... ولا رعى الله قبرا ضم « ديانا »

الفن الإسلامي

في

متحف الكويت الوطني

محمد مؤذن

استطلاع : نبيل الخانجي

اسباب كثيرة تحفزك الى التأمل الهادىء ، حين تقف - بعيدا عن تيار الحياة الصاخب - امام الآثار العريقة للفن الاسلامي في متحف الآثار الاسلامية بالكويت ، الذي لا يبعد سوى بضع عشرات من الامتار عن شاطىء الخليج وأمواجه اللازوردية .

أمجرد تأمل ؟.. إنه في الحقيقة أبعد من حد التأمل . إنه قراءة عميقة ومعاناة حية للخطوط والألوان والزخارف والأشكال .. أو - بصورة عامة - للابداع الدؤوب الذي عالج التراب والمعدن والخشب وسائر أنماط المادة ، وطوعها للتصور الشامل الذي جاء به الاسلام عن الكون والحياة والانسان ، وعبر بها عن مغامرة الخيال المتأنق النازع إلى الجمال في النفس البشرية ، وتفجر بها عن دوافع الابداع التي نفختها في روح الانسان إرادة الخالق العظيم .. سبحانه !



صفحتان من مصحف كريم مخطوط وهما من اقدم قطع المجموعة . كتبتا بالحبر على رق .
مكة أو المدينة القرن الثاني الهجري . يبدأ النص من أواخر سورة المائدة الى الآية ١٢ من الأنعام

الخطوط التي تتدفق في لين ، وتنساب متداخلة في حركة لا نهائية .
والزخارف التي تستشعر فيها نبض الطبيعة ، وسوانح الفطرة ، وعنفوان الخيال ، كلها معا .
والنمنمات والنقوش التي تحكي لك عناد الصبر ورهافة الحس يتجليان في يد صناع
والألوان التي تشع بالحياة في آثار آتية من زمن الموت !
وفوق ذلك كله .. هذا العبق التاريخي الذي يحيط بالفن امامك ، ثم يستحوذ عليك أنت ، ثم يغمرك .. ويغمرك .. فتحس بأنك تنضو عنك ملاءة الحاضر ، وتجتاز حجب الزمن ، وتنصت في ذهول ونشوة وأسر الى هينمات الماضي الموغل في القدم والتراب والعدم ..!

بين الولوع والهمة :

أكثر من عشرين ألف قطعة من آثار الفن الاسلامي تم جمعها في تسع سنوات فقط .. إنه لزمن قصير نسبيا ، وبخاصة إذا كان الجهد المبذول في ذلك جهد رجل واحد ، بيد أن الولوع جمر الهمة ، ولنستمع الى ما يرويه لنا صاحب هذا الجهد الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح في مجموعته عن الفن الاسلامي

في متحف الكويت الوطني :

« بدأ اهتمامي بالتراث الاسلامي عندما أرسلني والدي لتلقي العلم في القدس الشريف ، حيث أتيح لي أن أزور الأماكن المقدسة ، وأن أتذوق عظمة تصميماتها المعمارية ، وجمال زخارفها ، كما اغتنمت الفرصة أثناء إقامتي هناك لملاحظة جدران المدينة وبواباتها وشبكة المياه فيها ، مما يشهد على توفر المعارف الفنية والمهارات التقنية لدى الحرفيين



اسطرلاب من البرونز . العراق . عليه تاريخ ٣١٥ - هـ



وجهان لدينار من الذهب . سورية . دمشق . ٧٨هـ من اقدم قطع المجموعة

المسلمين .

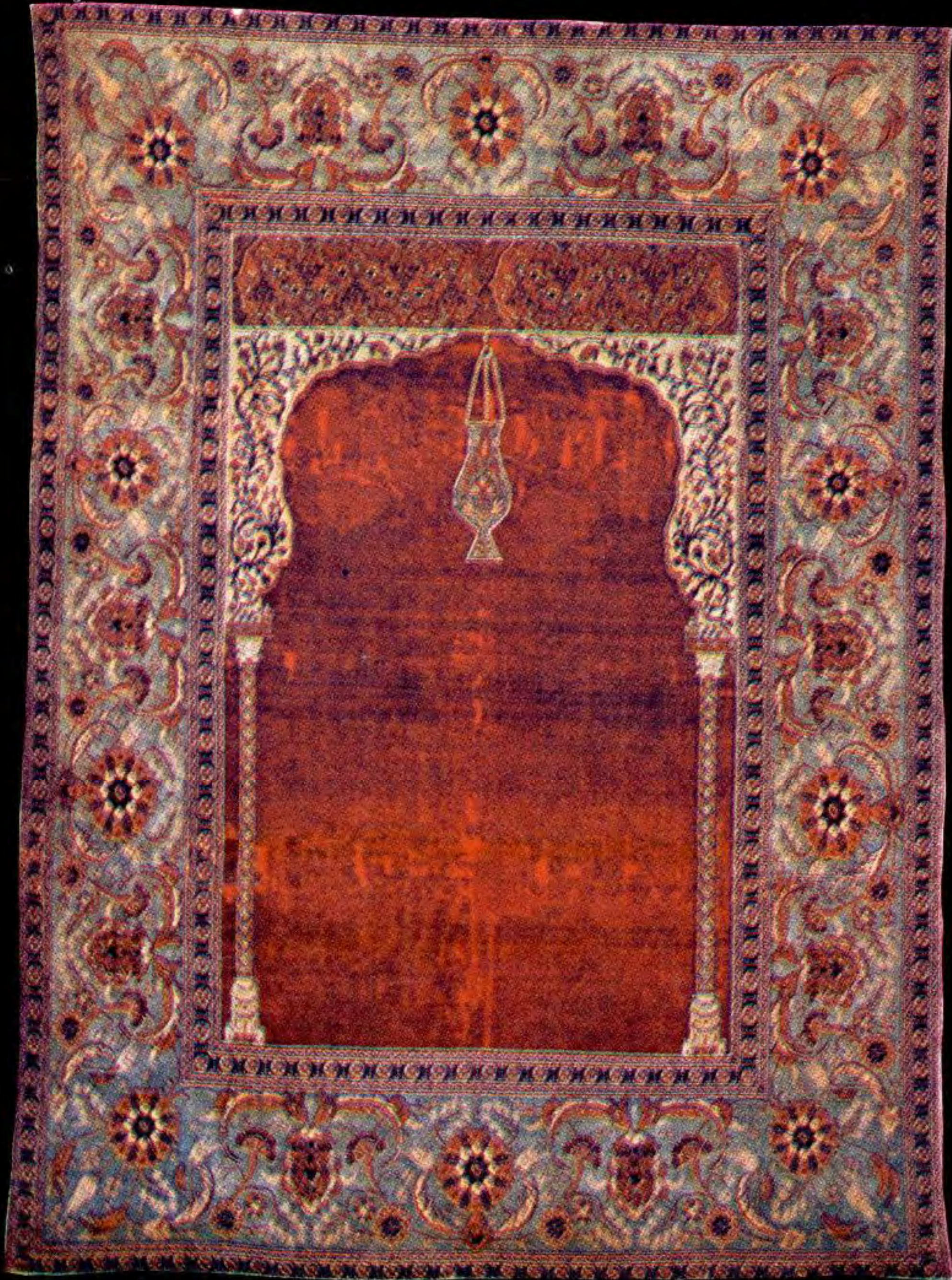
وقد ظلت رؤياي عن الماضي الاسلامي مجرد رؤيا . عززتها زياراتي الكثيرة لعدد من المدن التاريخية الأخرى في دنيا الاسلام ، ومنها دمشق الأمويين وبغداد العباسيين وقاهرة الفاطميين وقونية السلاجقة ، علاوة على فاس وغرناطة والقيروان وصنعاء ودلهي وبخارى ، وهي قليل من كثير . غير ان زوجتي حصة بما تتميز به من حماسة وتصميم شجعتني على تحويل هذه الرؤيا الى واقع ، والبدء في اقتناء روائع الفن الاسلامي ، واعتبارا من عام ١٩٧٥ حين اقتنيت أولى القطع في مجموعتي ظلت أبواب حبي للفن الاسلامي مفتوحة ، إلى أن تمكنت من جمع اكثر من ٢٠,٠٠٠ قطعة من مختلف الأنواع .

أما قراري وقرار زوجتي حصة بوضع مجموعتنا الفنية تحت رعاية متحف الكويت الوطني فقد اتخذ إثر مشاورات ومناقشات مع كثير من الزملاء والأصدقاء .. » .

المتحف ودار الآثار : بواكير النشأة

ويرجع إنشاء أول متحف في الكويت الى عام ١٩٥٧ ، وقد بدأ بمجموعة من التراث الشعبي أضيفت اليها مجموعة أثرية بعد ان جرت عمليات التنقيب في جزيرة فيلكا عام ١٩٥٨ ، وقبل أن تستقر هذه المجموعات الأثرية في المبنى الجديد تنقلت بين قصر الشيخ عبدالله الجابر الصباح وبين بيت البدر . وفي عام ١٩٧٧ بدأ إنشاء المتحف الجديد الذي صممه المهندس الفرنسي ميشيل إيكوشار . والمتحف يتكون من أربعة مبان وقبة فضائية ، وتشغل دار الآثار الاسلامية واحدا من المباني الأربعة ، وقد تم افتتاح الدار في ٢٥ شباط فبراير ١٩٨٣ .

وهي تتألف من أربعة طوابق صممت على طراز المتاحف الحديثة ، مما يوحي إلى الزائر بمفارقة واضحة بين طراز الفن الاسلامي وبين الطراز الغربي الحديث ، وفي الدار مكتبة تحوي كتبا في التاريخ والرحلات والفن .. وفيها قاعة للمطالعة .



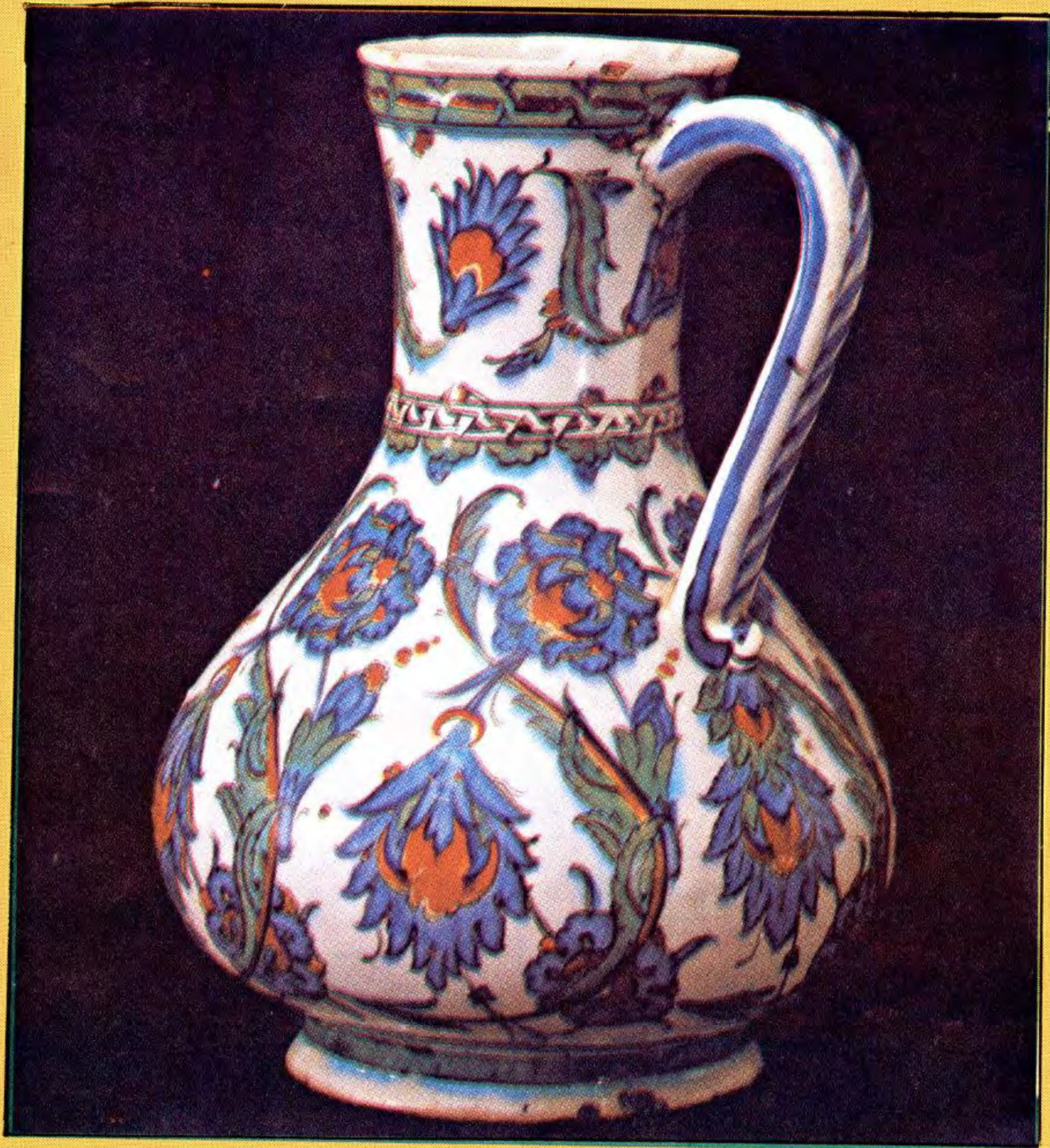
سجادة صلاة نسجت من الصوف والقطن والحرير . تركيا . القرن العاشر الهجري ..



رأس عمود من الرخام المنقوش . الأندلس . عليه تاريخ ٣٦٢هـ

التصنيف التاريخي الجغرافي :

وقد صنفت المجموعة في دار الآثار بحسب التسلسل التاريخي ، بدءاً من العصرين الأموي والعباسي في الطابق الأول . واذا كان التصنيف تاريخيا في أساسه فان العامل الجغرافي يتدخل فيه احيانا ، كما نلاحظ في قسم شمال افريقيا والأندلس ، وفي قسم الهند المغولية . وهكذا تنتظم مجموعة الفن الاسلامي في إطارها التاريخي والجغرافي حاملة في ثناياها ملامح العصور الاسلامية : الأموي والعباسي والأندلسي والفاطمي ، والاخشيدي ، والطولوني ، والساماني ، والغزنوي ، والسلجوقي ، والخاني ، والأيوبي ، والمملوكي ، والتيموري ، والصفوي ، والعثماني ، وترسم لنا الخط البياني للفن الاسلامي ممتدا بين الهند المغولية شرقا والأندلس غربا .



ابريق . بدن مركب . تركيا . القرن العاشر الهجري

الدور الثقافي

لما كانت دار الآثار الاسلامية حديثة النشأة لم يأخذ دورها الثقافي مداه الواسع بعد ، ومع ذلك ، فزيارات الطلبة والطالبات الدائمة ذات دلالة واضحة على الاسهام الثقافي . وربما كانت البرامج والمشروعات التي انعقدت النية على إقامتها حافلة بالكثير على الصعيد الثقافي الاسلامي . فهناك برامج محاضرات عن التاريخ الاسلامي والفن الاسلامي ، وبرامج خاصة بالأطفال ، تعدها الشيخة حصة التي تدير دار الآثار الاسلامية ، بغية اطلاع الاطفال على تراث الفن الاسلامي وتذوقه . وهناك عدد من المشروعات الأخرى ، ومنها اصدار مجلة سنوية تعرض أبحاثا في الفن الاسلامي ، واصدار كتاب عن الخزف الاسلامي وآخر عن المجوهرات في دار الآثار الاسلامية .

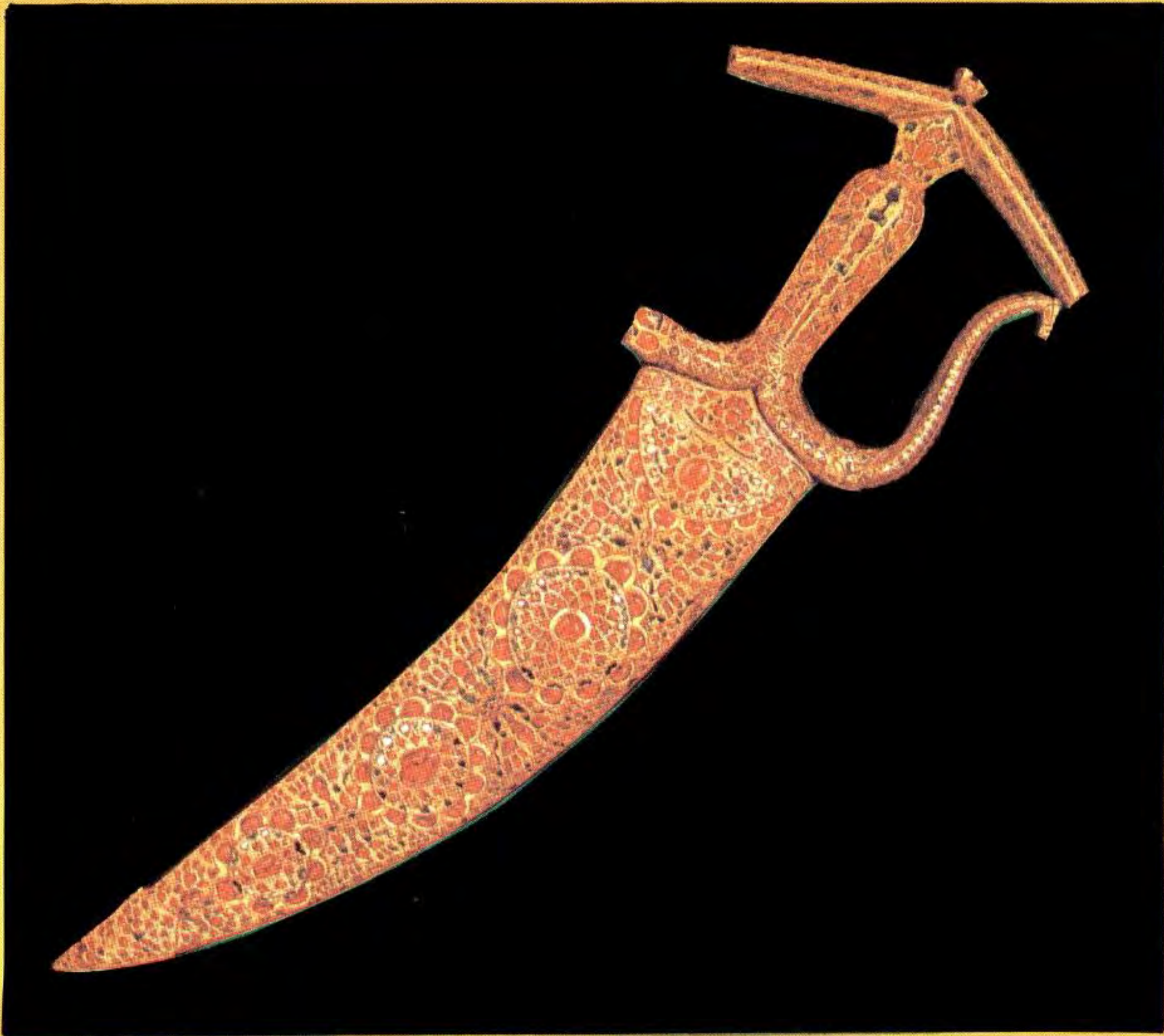
الفن الاسلامي : الشمولية ، والوحدة والتنوع :

« إن شخصية الفن الاسلامي ومميزاته تتجلى في كل قطعة من هذه الآثار ، على



بلاط مستديرة . بدن مركب . مصر . القرن التاسع الهجري

اتساع المدى الجغرافي ، وتعاقب العصور التاريخية ، وكذلك مهما اختلفت المادة الأولية التي تعالجها يد الفنان المسلم » بهذه العبارات تستهل السيدة غادة الحجاوي القدومي باحثة الآثار ومساعدة أمين دار الآثار الاسلامية حديثها عن الشمولية في الفن الاسلامي ، وتضيف كذلك : « إن هذه الشمولية في الابداع الفني تبدو واضحة في الانطباعات الجمالية والتأملية التي تنتجها هذه القطع الاثرية في مختلف الأذواق ، مهما تباينت . ان ملامح الفن ههنا تلبي رغبات جمالية كثيرة شديدة التنوع . وترجع هذه الشخصية الشمولية في الحقيقة الى الاسلام نفسه ، انه دين شامل يسع الحياة والكون والانسان ، وهكذا تنعكس شمولية الاسلام في شمولية الفن المنبثق عنه . وأريد أن اضيف ايضا ـ والحديث مايزال للباحثة ـ ان دار الآثار هذه تحتوي على مجموعة من القطع تصور بشكل جلي الشخصية الشمولية هذه . ومن الجدير بالملاحظة ان الشمولية قد فرضت نفسها على مصممي العرض ، فحركة الانتقال بين اقسام الدار تنساب في اطراد دون ان تشعر بالانفصال بينها ، بل توحي بوحدة متجانسة ، ان الاقسام برغم التصنيف منفتح بعضها على بعض ، تماما كما تنسكب روح الفن



خنجر وغمد : نصل فولاذي مكسو بالذهب . مقبض من الذهب الخالص . غمد من الخشب المكسو بالذهب . الهند المغولية القرن الحادي عشر الهجري .

الاسلامي في سائر القطع بين مختلف العصور والأمكنة .. » .

اما الدكتورة مارلين جنكينز التي أشرفت على العمل في إعداد مجموعة الفن الاسلامي لدار الآثار فقد عرضت في مقدمة الكتاب الخاص بالمجموعة نقدا فنيا وتاريخيا لها ، وترى جنكينز أن « لتاريخ الفن الاسلامي وحدة متميزة رغم تنوعها الكامن فيها ، مع وضع الاعتبار الواجب لتطور هذا الفن على امتداد ١٣٠٠ سنة ولانتشاره من أراضي الأندلس إلى حدود الصين . وهناك أربع خصال لهذا الفن تعد من اسباب تجانسه : فهناك الاستخدام الزخرفي للأنماط الهندسية ، والأشكال النباتية المحورة ، واتقان رسم الأشخاص والتصاوير ، وفن كتابة الخط العربي » .

أما عن المنهج الذي اتبعه الفن الاسلامي فتقول جنيكينز : « في السنوات الباكرة من ظهور الاسلام تم تبني معظم اساليب البناء والزخارف المعمارية والفنون الزخرفية وأنواع القطع الفنية وأشكالها ، فضلا عن رسوم الأشخاص والتصاوير ، من حضارات البلدان التي فتحها المسلمون . وبدأت عملية التبني هذه تتحول بالتدريج الى عملية تكييفية أولا ثم إبداعية في النهاية .. »

وهكذا كانت رحلة الفن الاسلامي بين التبني والتكييف والابداع ، حافظ فيها هذا الفن على روحه الأصيلة ، التي برزت في شموليته ، وفي وحدته المتجانسة .

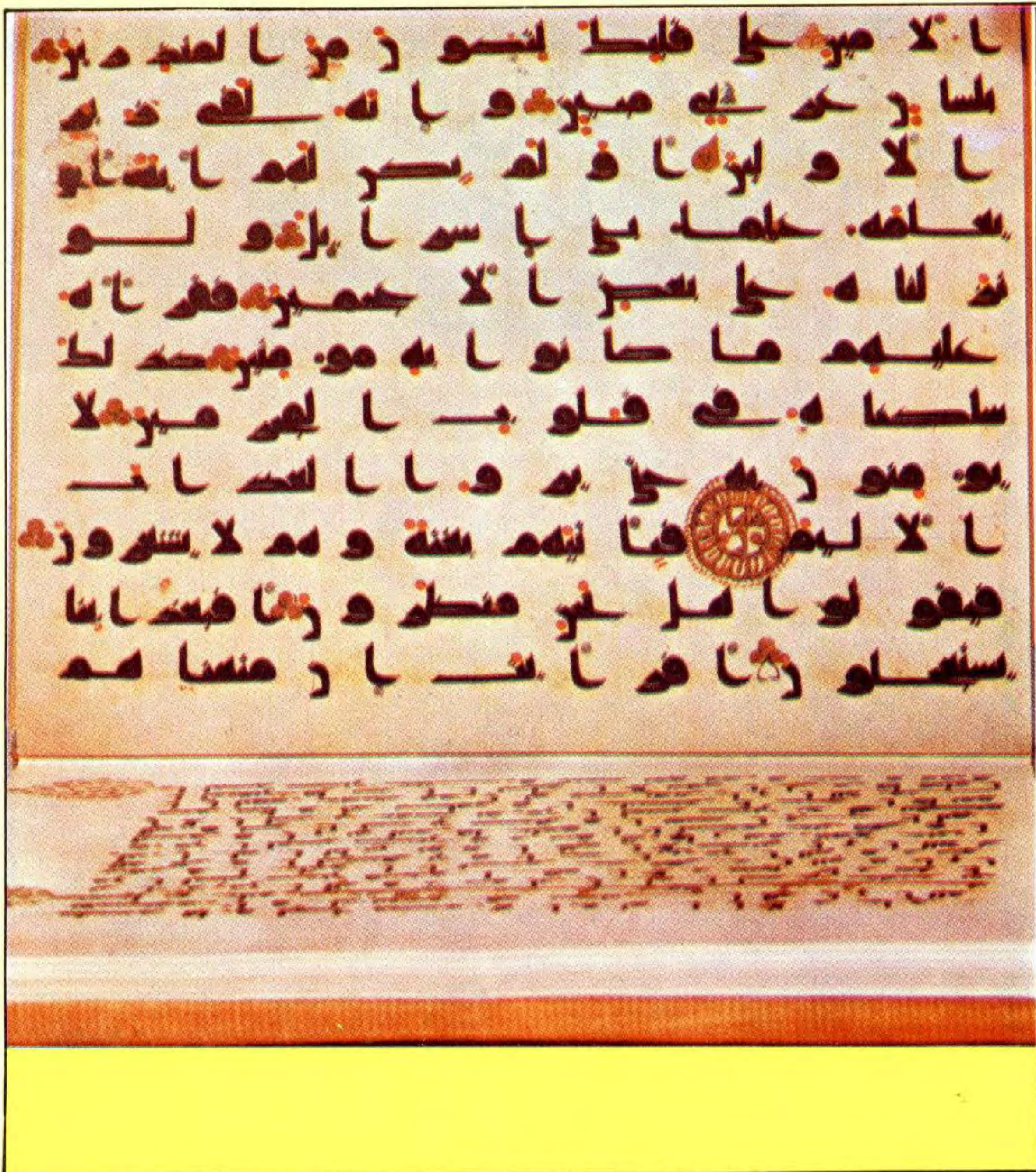
في إطار الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري

معرض المصاحف المخطوطة

أقيم في مكتبة دار الآثار الاسلامية بالكويت معرض للمصاحف المخطوطة من المقتنيات الخاصة بالدكتور عبدالقادر قاسم استيتيه في الفترة من ١٤ ـ ٢٠ ربيع الأول ١٤٠٤ ، وذلك في نطاق احتفالات الكويت المحلية بالقرن الخامس عشر الهجري .

○ أثر القرآن في الارتقاء بالخط العربي

ولعل أبرز ماتظهره المخطوطات المعروضة أثر القرآن الكريم في تطور الخط العربي والفن الاسلامي بعامة . وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الله



● الآيـات ١٩٤ ـ ٢٠٥ من سورة الشعراء بالخط الكوفي ، مشكلة بنظام ابي الاسود الدؤلي .

تعـالى ، فقد حـرص الخطـاطـون المسلمون لدى كتابته ان يكون في أجمل صورة ، فبذلوا في ذلك غاية جهـدهم ، وتباروا فيـه ، فتنـوعت أشكال الخطوط وأفانينها ، وتبلورت لكل نوع قواعد وقوانين ، حتى غدا الخط العربي فنا متميزا أصيلا وحاز مكانة عالية في الفنـون التشكيلية العالمية .

○ تطور الخط في كتابة المصاحف .

وقـد ذكر الـدكتور استيتـه في الكراس الذي أصدره عن المعرض « ان المصاحف الأئمة كتبت بالخط المكي

● صفحتان من سورة النور بخط المحقق .

لكن حين اتخذ علي بن ابي طالب الكوفة مقرا لخلافته ، كتبت فيها المصاحف بالخط الكوفي ، واستمر هذا الخط خطا للمصاحف حتى نهاية القرن الرابع الهجري تقريبا ، عندما تغلبت عليه خطوط اخرى جديدة هي النسخ ، والريحـاني ، ثم الثلث ، والمحقق ، وفي أحيان خط التعليق ، والقيراموز ، وفي وقت متـأخر خط النسخ مرة أخرى ، والذي يكاد يكون خط جميـع المصـاحف المطبـوعـة والمنتشرة في هذه الأيام .. » .

● سورة الفاتحة وأول سورة البقرة من مصحف ابن البواب الشهير .

○ أثر القرآن في الارتقاء بالفن الاسلامي .

ويظهر اثر القرآن الكريم كذلك في تطوير الفن الاسلامي الزخرفي ، فلقد ارتقت بهذا الفن البواعث التي حملت الكتاب على زخرفة المصاحف ، وتزيينها . فقد استعمل الفنانون المسلمون آيات القرآن ، والرقوش العربية (الارابسك) في البناء والمعمار وعلى الخشب والخزف والنسيج والمعادن وغيرها من أصناف المادة . كما قام هؤلاء الفنانون بزخرفة صفحات المصاحف ، وابتكروا شرائط زخرفية لعناوين السور ، وأطروا زخرفية أخرى تحيط بآيات القرآن الكريم .

○ جلود المصاحف لوحات فنية .

ولابد من الاشارة الى ماتنطوي عليه عملية تجليد المصاحف الكريمة من فن عال وذوق رفيع ، وتعتبر بعض تلك الجلود لوحات فنية قائمة بذاتها .



● جلدة مصحف

وقد احتوى المعرض كما جاء في مقدمة الكراس على الآتي :
- سبعة وعشرين مصحفا مخطوطا مختلفة الأحجام .
- الجزء الخامس عشر من (ربعة) شريفة .
- سورة الانعام مكتوبة بخطي الثلث والنسخ .
- أربع صفحات مخطوطة تحوي نصوصا قرآنية .
- سور من القرآن الكريم من مخطوطات تحتوي ايضا على أدعية ودلائل خيرات .
- نسخة طبق الأصل عن مصحف ابن البواب الموجودة نسخته الأصلية في مكتبة شستر بيتي بدبلن .
- أربع عشرة صورة لصفحات مختارة من بعض المصاحف المعروضة .
- أربعة ملصقات عن صفحات خاصة ومصورة من النسخ المعروضة .
- عدة جلود لمخطوطات تحتوي على أدعية ودلائل خيرات .



منها الغريب والعجيب

للدكتور/ ابـراهيم سليمان عيسى

حظيت الزهور في مختلف الأزمان والعصور باهتمام الانسان ودراسته لها ومحاولة استجلاء اسرار جمالها والوانها المتعددة ، فالزهور خلق لله سبحانه وتعالى وفي مطالعتها والنظر اليها نجد الأمل والبسمة والدهشة ، وفي تذكرها نعيش في دنيا الأحلام والأماني الطيبة . كانت في مختلف الأقطـار مثـارا لخيـال الشعـراء والأدباء ، كلها فوائد فهي المصدر الرئيسي للروائح العطرية والزيـوت الطيارة ومن بعض الأزهار نحصل على

رسم تخطيطي لقطاع طولي في زهرة نموذجية يوضح مختلف أجزائها .

أقوى المبيدات الحشرية . تتجلى فيها قدرة الله وتبدو آثارها واضحة ممثلة في جمال المنظر وتعدد الألوان وتناسقها ، واختلاف تلك الزهور في كل شيء ، واتفاقها في كثير من الخواص والمميزات . منها الرائحة العطرية والشكل والتركيب واللون الجميل .

والزهور أو الأزهار جمع مفردها « زهرة » . وكما هو معروف فان الزهرة وسيلة للتكاثر في بعض النباتات وبها كان تأهيل الخالق لهذه النباتات لكي تحافظ على بقاء نوعها ومع أن جميع الأزهار قد خلقت من أجل هذه الوظيفة إلا أنها مختلفة ولا تتشابه كلها . وتعتبر الزهرة من الوجهة العلمية فرعا قصيرا متحورا يحمل أوراقا تحورت لغرض التكاثر .

متزاحمة لا تفصلها سلاميات واضحة . وتنشأ الزهرة عادة في إبط ورقة تسمي قنابة وتتباين وتختلف تلك القنابات فأحيانا تشبه الأوراق العادية ، وغالبا ما تكون حرشفية وفي بعض النباتات قد تكون القنابة ملونة جميلة . والزهرة قد تكون محمولة على عنق بعض النباتات ، وقد تكون جالسة واحيانا توجد على عنق الزهرة أوراقا جانبية عددها اثنتان تعرف بالقنيبات (Bracleoles) وتتخذ الزهرة اشكالا متعددة وأحيانا يكون السبب في اتخاذ شكل معين هو الحاجة الى التلقيح Pollination او الحماية . وقد لا يكون هناك سبب ظاهري لاتخاذ الزهرة شكلا معينا . وقد تكون الزهرة مذكرة وقد تكون مؤنثة . ومن هذه الناحية فالنباتات قد تكون أحادية المسكن اذا



زهرة الجيفة زهرة غريبة ليست جذابة ، لا فى شكلها ، ولا فى رائحتها

حمل النبات كلا من الأزهار المذكرة والمؤنثة معا . وقد تكون ثنائية اذا حملت نوعا واحدا من الأزهار المذكرة او المؤنثة فقط .

اجزاء الزهرة :

تتركب لزهرة عادة من جزء متضخم يعرف بالتخت (Thalamus or receptacle) يقع عند نهاية العنق اذا كان موجودا وتكون الأوراق الزهرية منتظمة في محيطات متتابعة وهذه المحيطات هي الكأس والتويج والطلع والمتاع .

الكأس : يمثل المحيط الخارجي للزهرة . ويتركب من اوراق صغيرة خضراء تعرف « بالسبلات » (Sepals) قد تكون منفصلة او ملتحمة وقد لا تستمر بل تسقط عند بدء تفتح الزهرة . وقد تستمر كما يحدث في الفصيلة الباذنجانية والكأس قد تكون انبوبية او تأخذ شكل المهماز وقد تكون واضحة او منعدمة كما في أزهار نباتات الفصيلة الخيمية ويوجد نباتات بها محيط آخر خارج الكأس يتركب من أوراق تشبه السبلات ويطلق عليه اسم « فوق الكأس » Epicalyx .

التويج : يتركب من اوراق ملونة تعرف « بالبتلات » (Petals) منفصلة هي الأخرى او ملتحمة عدة أشكال : كالأنبوبي ، والشعاعي ، والقمعي ، والمستدير المفلطح ، وتتخذ البتلات شكل « الصليب » في أزهار نباتات الفصيلة الصليبية (Cruciferae) .

الطلع : يشتمل الطلع على اعضاء التذكير إذ يتم فيه تكوين حبوب اللقاح التي تحتوي على الأنوية الذكرية ، ويتكون الطلع من عدد من الأسدية وكل سداة عبارة عن خيط رفيع يحمل عند قمته جزءا منتفخا يسمى « المتك » (Anther) وقد تكون الأسدية



منفصلة أو ملتحمة بخيوطها ومتوكها سائبة أو العكس ، واذا اتحدت الخيوط فقد يكون اتحادها في حزمة واحدة أو في حزمتين أو اكثر وقد تتحد الأسدية بالبتلات او تكون منفصلة عنها .

المتاع : يمثل في الزهرة عضو التأنيث إذ تتكون بداخله الأنوية الانثوية ويتكون من عدد من الأوراق المتحورة تعرف الواحدة منها باسم « الكربلة » التفت حافتاها والتحمتا لتكوين تجويف في جزئها السفلي يحتوي على البويضات ويعرف باسم المبيض (Ovaty) اما الجزء العلوي فيكون مصمتا ومستطيلا ويسمى « القلم » (Style) ينتهي بجزء منتفخ ذي أشكال متعددة منها المفلطح والكروي والريشي ويطلق على ذلك الجزء اسم « الميسم » (Stigma) وهو الجزء المعد لاستقبال حبوب اللقاح ، والمعروف في بعض الأزهار انه لا يوجد ما يسمى بالقلم ويكون الميسم متصلا بالمبيض اتصالا مباشرا ، ويختلف تركيب المتاع من حيث عدد الكرابل وانفصالها واتحادها ودرجة هذا الاتحاد .

تأملات في اجزاء الزهرة :

إن المتأمل في أجزاء الزهرة من كأس وتويج وطلع ومتاع يجد اختلافا في التركيب والشكل واللون واتحادا في أن كل جزء قد أهل لأداء وظيفة معينة منوطة به . فالسبلات وهي المكونة للكأس وظيفتها حماية الأجزاء الزهرية الأخرى في البرعم الزهري كما أن البتلات وظيفتها العمل غالبا على اجتذاب الحشرات التي تقوم بعملية التلقيح ومن هنا نجد انها تأخذ أشكالا وألوانا جميلة ولها روائح عطرية جاذبة للحشرات وتوصف السبلات والبتلات بأنها أعضاء غير أساسية للزهرة ولهما من الخواص والمميزات ما يجعلهما مؤهلان لأداء تلك الوظيفة التي تتلخص في حماية الزهرة والعمل على تلقيحها اما ألطلع والمتاع فهما أعضاء الزهرة الأساسية فالطلع عضو التذكير في الأزهار المذكرة والمتاع عضو التأنيث في الأزهار المؤنثة . والخلاصة أن الزهرة جزء من أجزاء النبات بالاضافة الى الأجزاء الأخرى كالجذر والساق والأوراق . وكلها ذات وظائف ومميزات وخواص محددة .

النورة :

الزهرة قد تكون وحيدة في نهاية الساق وبذلك نجدها تحد من نمو الساق وقد تكون في مجموعة تعرف « بالنورة » وجزء الساق الذي يحمل الأزهار يطلق عليه اسم « المحور أو الشمراخ » (Peduncle)وتختلف وتتباين النورات باختلاف نوع التفرع وتوزيع الأزهار وطبقة المحور ، وتنقسم الى نورات غير محدودة وفيها يستمر المحور في النمو وتظهر عند قمته براعم زهرية حديثة ، تكشف عن ازهار فيما بعد ، وباستمرار النمو تتكون براعم زهرية أخرى ، وهكذا نجد على طول المحور تدرجا في عمر الأزهار ودرجة تفتحها فالازهار الحديثة التي لم تتفتح بعد تكون عند

القمة والازهار المتفتحة والمتقدمة في السن عند القاعدة ، وتتنوع هذه النورة غير المحدودة الى انواع عديدة . منها النورة الخيبية والمشطية والعنقودية البسيطة والسنبلة وغيرها ، والنورات المحدودة والتي تنشأ فيها الأزهار من البراعم الطرفية وبذلك يقف نمو الساق الأصلية ويخرج منها فرع واحد او عدة فروع تأخذ في النمو ثم تنتهي بأزهار فيقف نموه وبتكرار هذه الظاهرة عدة مرات تعرف بالنورة المركبة ولها أنواع أخرى ثلاثة . كالنورة وحيدة الشعبة وثنائية وعديدة الشعب .

ومن ناحية أخرى يمكن تقسيم الأزهار حسب المواسم والأماكن التي تنتشر فيها ، إلى أزهار الجبل والغابات والصخور والمراعي ، ومن أشهر الفصائل التي تتميز بزهورها الجميلة لبعض أنواع النباتات المنتمية إليها الفصيلة النجيلية والزنبقية والمركبة والوردية والبقولية « أو البقلية » وعموما تزرع النباتات ويكون الهدف الحصول على ثمارها وقد يكون الهدف الحصول على أزهارها فقط . وقد تكون هناك أهداف أخرى ، تتعدد بتعدد أنواع النباتات وأنواع الثمار وفوائدها وتركيبها ومدى استعمالها في الغذاء .

الورود :

تشمل الفصيلة الوردية حوالي ١١٥ جنسا ، ٣٢٠٠ نوع من النباتات المنتشرة في جميع بقاع العالم ، وهي أشجار أو شجيرات أو أعشاب ومن النباتات التابعة لها نبات الورد ويستعمل للزينة كما يستخرج من بعض أنواعه زيت طيار يعرف بزيت الورد ويستخدم في صنع الروائح العطرية ، وهناك أشجار ورد تزهر مرة واحدة فقط في بداية الصيف وأنواع ورود متعددة الانتاج تزهر مرتين أو أكثر أثناء الصيف والخريف ، ونبات الورد ذو أشكال متعددة . وقد جرت العادة على تقسيم الورود إلى ثلاث مجموعات تبعا لحجم الزهور ، وهي الورود ذات الزهور الكبيرة والورد المفرد والورود ذات الزهور الصغيرة . ولقد توصل العلماء باستمرار عمليات التهجين بين الأصناف المختلفة إلى ورود ذات ألوان جميلة متعددة . والورد معروف منذ قديم الزمان ومرجع هذه المعرفة ليس لجمال الورد وعبيره ، بل لأن الورد يعتبر ذا قيمة دوائية ، وقد عزا أحد العلماء للوردة مالا يقل عن ٣٢ فائدة طبية وعلاجية ، وأنواع الورود كثيرة وتعمل أشواكها على حماية النباتات من حيوانات الرعي وتمكين الورود من التسلق والصعود إلى أعلى بين الأشجار والشجيرات الأخرى .

ازهار الزنابق :

مجموعة من الأزهار تنتمي إلى الفصيلة الزنبقية ، وأكثر نباتات تلك الفصيلة تزرع من أجل جمالها ، والقليل منها يزرع كخضروات ، ومنها زنابق تشبه الأشجار وزنابق للزينة ، وتزرع نباتات هذه الفصيلة لأهداف متعددة وأغراض شتى . ويبلغ عدد



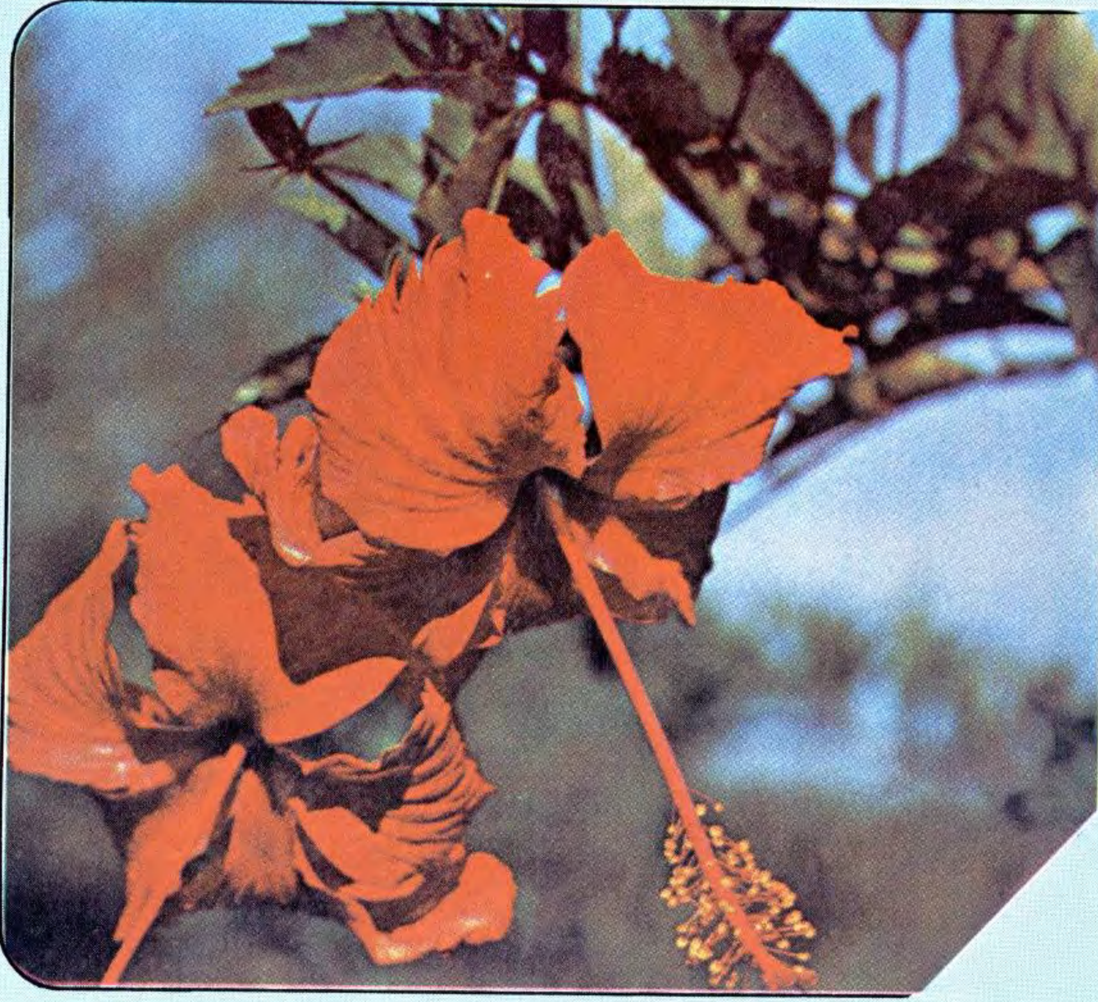
هذه النباتات أربعة آلاف نوع أغلبها عشبية معمرة . منتشرة في أنحاء العالم كله ، ولها فوائد متعددة .

فوائد الأزهار :

* كما سبق القول فإن الزهرة تعتبر وسيلة التكاثر في النباتات الراقية ، وهي جزء النبات المخصص لأداء هذه الوظيفة .

* رغم الاختلافات المتعددة ـ والمشار إليها ـ فإن الزهرة تعتبر أجمل جزء في النبات كله ، وتزرع كثير من النباتات للزينة ، ومن أجل الحصول على أزهارها لجمال المنظر ، والحصول على فوائد أخرى .

* والأزهار تعتبر مصدرا رئيسيا للحصول على الزيوت الطيارة والروائح العطرية والذي لا شك فيه أن عطرية الزهرة وجمالها وألوانها الزاهية المتناسقة وما تختزنه من رحيق كل ذلك يعمل على انجذاب الحشرات إليها وانتقال حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى مما يؤمن لها الاخصاب ونمو البذرة . ثم استطاع الانسان أن يحصل على هذه الروائح والزيوت من الأزهار ، وهناك عطور مميزة برائحتها وتختلف باختلاف الزهرة التي أخذت منها .

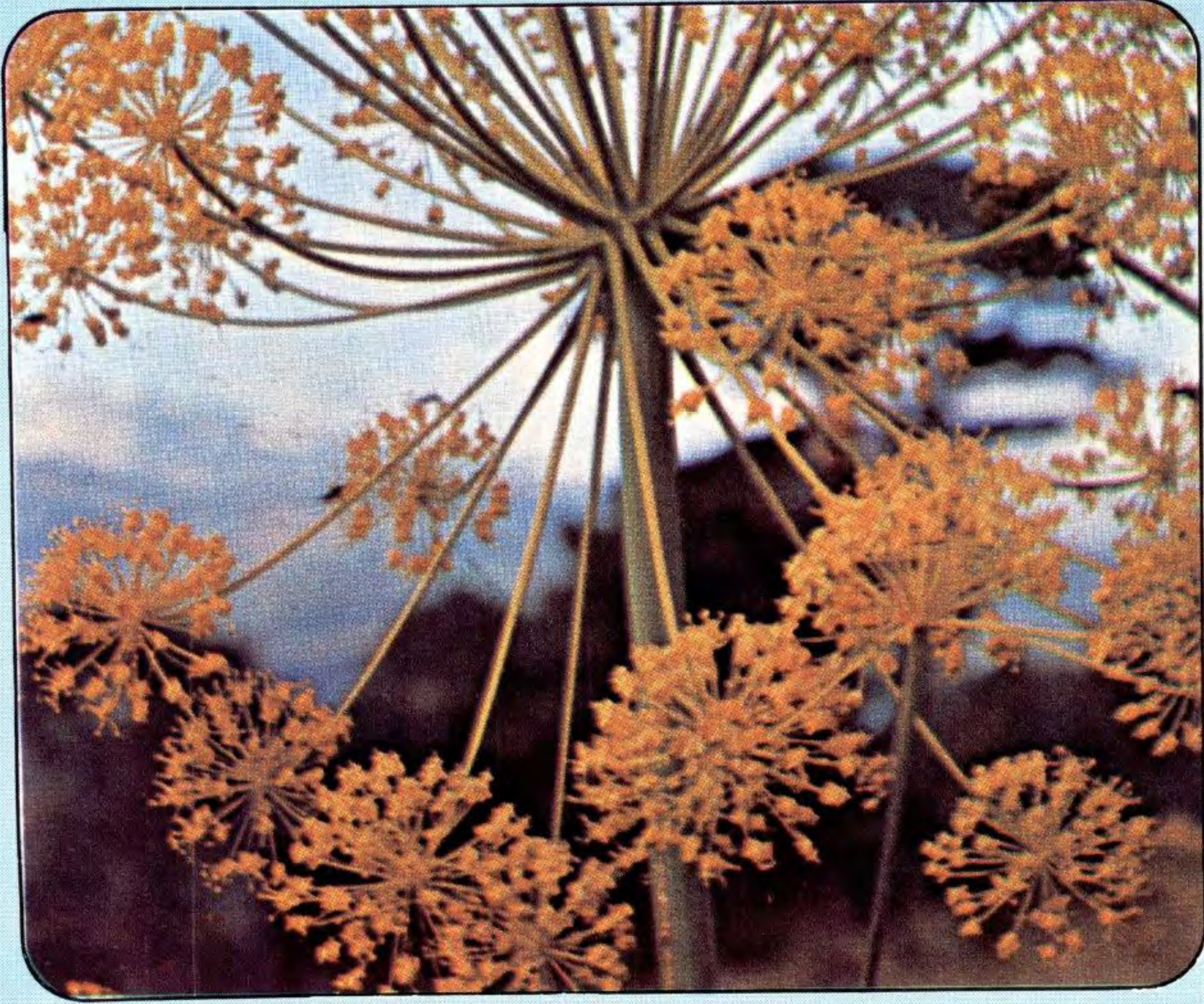


* نحصل من الأزهار على بعض المواد ذات الأثر الطبي والعلاجي لكثير من أمراض البشرية ويصنع من بعض أزهارها مشروبا يهدىء ويقوي الأعصاب ، كما تفيد بعض مواد اخرى في علاج آلام الصدر وخاصة أزمات التنفس .

* من أزهار بعض نباتات الفصيلة المركبة وهو جنس البيرثرم نحصل على مبيد حشري قوى ، ذلك المبيد ا لمعروف باسم (البيريثرينز) وتستخلص هذه المادة من الأزهار المجففة ، بعد طحنها وتدخل في صناعة المبيدات التي تستعمل ضد حشرات كثيرة وخاصة الذباب فتسبب له شللا وصعقا فوريا وسريعا .

أزهار غريبة وعجيبة :

هناك القليل من الأزهار الغريبة في شكلها ، ومصدر الغرابة أن تلك الأزهار قد تأخذ أشكالا بعيدة عن شكل الزهرة المعروف ، فبعضها يشبه القنينة وتكاد لا تبدو كالزهرة إطلاقا ،



وقد تشبه الزهرة شكل نجمة البحر، وقد لا تكون جذابة لا في شكلها ولا في رائحتها، لذلك يطلق عليها زهرة الجيفة وبعضها يشبه عصفور الجنة المعروف، وهناك زهرة تسمى بزهرة الآلام وقد أخذت هذا الاسم للشبه الوهمي بينها وبين تاج المسيح ذي الأشواك. وزهرة أخرى تشبه رقعة الشطرنج في ألوانها، وأخرى تشبه كيس النقود أو لهب شمعة مضاءة، وبعض الزهرات تشبه منقار طائر الببغاء، وغير ذلك من الأشكال الغريبة وغير المألوفة. وقد ترجع غرابة هذه الأزهار إلى صغرها والذي يبلغ طولها حوالي ملليمتر واحد، وهي أصغر زهرة في العالم بالاضافة إلى أن بعض الأزهار: «أكبر زهرة في العالم» توجد في بعض الغابات، ويصل قطرها إلى أكثر من متر ويطلق عليها زهرة «رافليزيا آرنولداي» والجدير بالذكر أن هناك نورة: «تحمل عددا من الأزهار» تنمو هذه النورة إلى إرتفاع أكثر من ثلاثة أمتار ويطلق عليها إسم: «امورفوفالس تيتانم». وكل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على حكمة الخالق وعظمته وإبداعه. جل علاه.

القيمة الغذائية

لقد أبرز القرآن الكريم مكانة اللحم وأهميته في بناء جسم الانسان ، بالاضافة الى المذاق الطيب في أكثر من موضع ، نذكر منها :

قال تعالى : « **وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون** » الطور/٢٢ .

وقال تعالى : « **ولحم طير مما يشتهون** » الواقعة/٢١ .

وقال تعالى : « **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون** » النحل/٥ .

وأكد الرسول أيضاعلى أهمية اللحم للجسم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخرجه البخاري .

((الثريد)): الخبز واللحم .

تركيب اللحم :

اللحم غني بالمواد البروتينية وفقير جدا من المواد السكرية

اللحوم

للدكتور/هشام ابراهيم الخطيب

(الكربوهيدراتية) ، أما المواد الدهنية فمقدارها يختلف بحسب ضعف الحيوان وسمنه ونوع غذائه . وأيضا يختلف تركيب اللحم بحسب نوع الحيوان ولا سيما في نسبة المواد البروتينية ، ويختلف بحسب طراز معيشته ، وعمره ونوع غذائه فالحيوان الذي يعيش في الحظائر أكثر دهنا من الحيوان الذي يعيش في المراعي .

ويتركب اللحم من المواد التالية :

(١) الماء ويعادل مقداره ٧٥٪ من وزنه تقريبا .
(٢) الأملاح المعدنية ، ومنها الحديد ، والفوسفور وأملاح الصوديوم والكالسيوم .
(٣) مواد دهنية ، ونسبتها قليلة .
(٤) مواد بروتينية ، وتبلغ نسبتها حوالي ١٨٪ تقريبا ، وهذه المواد البروتينية تتألف من أعداد مختلفة من الأحماض الأمينية ، ومن فوائد هذه الأحماض الأمينية أو البروتينات للجسم أنها مهمة في بناء خلايا وأنسجة

الجسم الجديدة ، لتعويض التالف منها ، وامداد الجسم بالطاقة والحرارة خاصة في حالة عدم توافر الأطعمة الدهنية والكربوهيدراتية ، ثم وقاية الجسم من الأمراض .
(٥) الفيتامينات ، يعتبر اللحم من المصادر الغنية بفيتامين B المركب وخاصة بالنسبة للنياسين B12, Niacin ، وكذلك يوجد فيه فيتامين «أ» .
(٦) يعتبر اللحم مصدرا للطاقة وخاصة عندما يحتوي على كميات كبيرة من الدهن ، ويقدر في كل ١٠٠غم من اللحم الأحمر حوالي ٢٥٠ كيلو سعراً .
واليك جدولا يبين تركيب اللحم في ١٠٠غم منه :

نوع اللحم	البروتين	كربوهيدرات	دهن	أملاح معدنية	ماء
١ ـ لحم البقر	٪٢٠,٩٦	-	٪٥,٤١	٪١,١٤	٪٧٢,٥٣
٢ ـ لحم الضأن	٪١٧,١١	-	٪٥,٧٧	٪١,٣٣	٪٧٥,٩٩
٣ ـ الطيور	٪١٩,٧٢	-	٪١,٤٢	٪١,٣٧	٪٧٦,٢٢
٤ ـ السمك	٪١٦,٠٠	-	٪٥,٠٠	٪١,٠٠	٪٧٨

الفحص الطبي على الحيوانات المعدة للغذاء

يجب أن توضع الحيوانات المعدة للذبح قيد المراقبة مدة ٢٤ ساعة ويستحسن ألا تكون الحيوانات كبيرة أو صغيرة ، بل بين الصغيرة والكبيرة وألا يكون جلدها رخوا وعضلاتها مرنة ، وألا يكون الحيوان مرتعشا ولا تظهر عليه أمارات الألم .
هذا ويكون الحيوان مريضا اذا كان شعره منتصبا ، وخشنا ، واذا كان أنفه جافا يظهر رغوة واذا كانت العينان ثقيلتين واللسان متدليا وله فروة بيضاء واذا كانت الأذنان والأقدام حارة في حالة الحمى .

اللحم الجيد واللحم الرديء :

اللحم الجيد يكون لونه أحمر براقا وملمسه متماسكا ورائحته جيدة وتفاعله حامضيا ، أما اللحم الرديء فيكون لونه أحمر قاتما ، وملمسه رخوا ، بحيث تغوص الأصابع فيه ، وتكون رائحته كريهة ، وتفاعله قاعديا أو قلويا .
ويمكن التأكد من الرائحة بعمل حز في اللحم وشم داخله وخصوصا من ناحية العظم ، أو وضع قطع لحم صغيرة منه في ماء مغلي وشم رائحة البخار المتصاعد منه أو غرس سكين ساخنة ثم شمها .

طبخ اللحوم :

تطبخ اللحوم لتسهيل هضمها وتحسين طعمها وقتل الجراثيم المرضية فيها كالسل ، وبيض وأجنة الديدان المختلفة التي تستوطن الجسم وتؤذيه ، وتطبخ اللحوم بطرق عدة منها :

(١) **الشيّ** : وضع اللحم فوق نار حامية في بادىء الأمر على شرط ألا يصيبه اللهب ثم تخفف تدريجيا ويقلب اللحم من جهة الى أخرى ، ان الشيّ يقضي على المواد البروتينية ويبقي على عصارات اللحم فيه وتتولد خلاصات عطرية تكسب اللحم نكهة وطعما خاصين ، ومن النادر أن تتجاوز حرارة الشي ٦٠° مئوية ، وهي كافية في قتل بيض وأجنة الطفيليات ويدفع الشي الخلاصات التي في اللحم الى سطحه ، ويجعل حزم العضلات تنتفخ وتتفكك ويحول الألياف الى جيلاتين ويذيب الشحم في النسيج الضام فيخرج الى سطح اللحم ويمنع جفافه .

(٢) **الطهي بالماء (السلق)** : يقطع اللحم ويوضع في الماء ثم يغلى مدة كافية حتى ينضج ويتخثر البروتين ، ويفقد اللحم بعضا من مواده حيث تبقى في السائل الذي يُقَدَّمُ عادة مع اللحم .

(٣) **القلي** : يقلى اللحم بالسمن أو الزبد أو الزيت بحرارة عالية ويصبح عسير الهضم بسبب تزايد نسبة المواد الدهنية فيه خصوصا بعد أن يبرد .

هضم اللحوم :

تهضم اللحوم ميكانيكيا وكيميائيا في المعدة ، وتصير قابلة للإمتصاص ، ويتوقف ذلك على نوع اللحم وكيفية طبخه ، ان اللحوم ذات الألياف الطرية ، أسرع هضما من ذات الألياف الصلبة ، واللحم الضعيف أسرع هضما من السمين ، كما أن اللحم الأبيض كلحم الدجاج وغيره من الطيور أسرع هضما من اللحوم الأخرى .

انواع اللحوم :

١ ـ **لحم البقر** : يعطي طاقة أكثر من غيره من اللحوم ! ولكنه يحتاج الى قوة هضمية كبيرة ، ولحم العجول أقل تغذية وهضما من لحم البقر البالغ بسبب كثرة الألياف التي فيه .

٢ ـ **لحم الضأن** : سهل الهضم واستعماله أكثر شيوعا في الشرق منه في الغرب ، وألياف لحمه أطرى من ألياف لحم البقر ، والشحم الذي فيه أكثر

من شحم البقر .

(٣) لحم الماعز : ألياف عضلاته أكثر طراوة ، وشحمه أقل ، فهو أسهل هضما من اللحوم الأخرى ، يضاف الى ذلك أنه ينقل مرض السل كالبقر .

(٤) لحم الطيور : سهل الهضم بسبب طراوته وقلة دهنه ويعتبر لحم الدجاج من ألذ اللحوم

(٥) الكبد : من المواد الغذائية وفيها فيتامين A,B,C,D ، وهي غنية بصورة خاصة بالفيتامين «أ» ، والبروتين الذي فيها سهل الهضم وفيها مواد معدنية مهمة ولا سيما الحديد والمنغنيز وهي مفيدة جدا لفقر الدم ، فالمنغنيز يزيد النماء والحديد يكوّن الهيموغلوبين ، وفي الكبد كمية غير قليلة من السكر والشحم ، أما السكر فهو من نوع Glycogen وتعطي كل ١٠٠غم من الكبد حوالي ٢٨٠ كيلوسعرا حراريا ، ولذلك فهو مصدر هام للطاقة .

(٦) السمك : يشكل السمك غذاء رئيسا لجميع المناطق الساحلية في العالم ويلعب بذلك دور المصدر البروتيني الحيوي الجيد . يحتوي السمك على كمية ملائمة من البروتين وان كانت كميته أقل من اللحم ، أما قدرته على تمويل الطاقة فتختلف وفقا لنسبة الدهن فيه . تتميز دهون السمك باحتوائها على كميات كبيرة من الفيتامينات التي تذوب في الدهن والسمك لا يشكل مصدرا هاما لبقية الفيتامينات والمعادن . فاذا أُكل بعظمه اعتبر مصدرا جيدا للكالسيوم .

تحتوي حيوانات البحر الأخرى مثل المحار وعائلته على كميات من البروتين ومن السكر ، ويمكن أن تلعب دورا في دعم الأغذية الشعبية .

٧ ـ لحم الخنزير : أكله شائع عند الشعوب الأوروبية ، وهو مُحَرَّم في الشريعة الاسلامية فقد قال تعالى :

« **حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير** » المائدة/٣ .

« **إنما حرَّمَ عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير وما أُهِلَّ به لغيرِ الله فمنْ اضطرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه إنَّ اللّهَ غفورٌ رحيم** » البقرة/١٧٣ .

الخنزير حيوان قذر ، تستخبثه الطباع السليمة ، وأشهى غذائه القاذورات والنجاسات ، وقد أثبت الطب الحديث أن أكله ضار ومن أضراره نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

* الزحار الزقي : تسببه طفيلية تدعى Balantidium Coli ، تعيش في أمعاء الخنزير ، ويعتبر الخنزير أهم مصادر العدوى ،وينتشر المرض عالميا ويكثر في الأماكن التي تنتشر فيها تربية الخنازير وتناولها .
* داء ويل النزفي : ومن أعراضه أنزفة في أعضاء مختلفة من الجسم ، مما يؤدي الى هبوط الكلية والكبد ، والقلب ، وممكن أن يصاحبه الاصفرار .
* الأميبا أو الزحار الأميبي .
* حصبة الخنزير : وهو مرض يصاب به الخنزير وغيره من الحيوانات ،

وينتقل الى اللحامين والدباغين ، وأعراض المرض هناك لوحة محمرة ومؤلمة جدا يصاحبها تضخم في العقد اللمفاوية (البلغمية) .

* الشعرية الحلزونية Trichnella Spiralis ، وهي دودة شعرية صغيرة طولها ٣ ـ ٥ملم ، ، تصيب الانسان نتيجة تناوله لحم الخنزير النيىء أو غير المطهي جيدا . ومن أعراضها تخريش والتهاب جدار الأمعاء ،وطفح جلدي ، وإستقرار اليرقات في العضلات يسبب آلاما شديدة وصعوبة التنفس والمضغ والكلام وأحيانا تؤدي الى الموت بالاختناق .

* الدودة الشريطية : تصيب الانسان لتناوله لحم الخنزير غير المطهي جيدا ، والمحتوي على الطور المعدي ، تسبب هذه الدودة آلاما في البطن واسهالا وامساكا ، وأخطر ما فيها أن تتشكل الحويصلات الخنزيرية في أنسجة الانسان كالقلب والعين والدماغ وعلاجها بالجراحة .

* أمراض أخرى مثل تصلب الشرايين ، ارتفاع حمض البول Uric Acid وغيرها .

لحم الميتة :

الميتة هي ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير ، أي ما مات بغير تذكيته أو صيده ، وحرم الله أكل لحم الميتة بقوله تعالى :

« **حُرِّمَتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير وما أُهِلَّ لغير اللّه به والمنخنقةُ والموقوذةُ والمترديةُ والنطيحةُ وما أَكلَ السبعُ إلا ماذكَّيْتُم وما ذُبِحَ على النُّصُبِ** » المائدة/٣ .

وذكرت الآية الكريمة السابقة أنواع الميتة :

● المنخنقة : وهي التي تموت اختناقا ، بأن يلف حول عنقها حبل فتموت .
● الموقوذة : وهي التي تضرب حتى تموت ، كضربها بالعصا .
● المتردية : وهي التي تتردى من مكان عال مثل الجبل فتموت .
● النطيحة : وهي التي تنطحها حيوانات أخرى فتموت .
● وما أكل السبع : والتي أكل منها السبع (حيوان مفترس) جزءا منها فماتت .

حكمة تحريم لحم الميتة ومضار تناولها :

هناك العديد من الأسباب لتحريم لحم الميتة نذكر منها :

ـ أن الطبع السليم يعافها ويستقذرها .
ـ أن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات لعلة مزمنة أو طارئة أو أكل نباتا ساما أو نحو ذلك ، وكل ذلك لا يؤمن ضرره .

ـ ان الله تعالى بتحريم الميتة علينا ، قد أتاح بذلك فرصة للحيوانات والطيور لتتغذى منها رحمة منه تعالى بها .
ـ أن يحرص الانسان على ما يملكه من الحيوان فلا يدعه فريسة للمرض والضعف حتى يموت فيتلف ، بل يسارع الى علاجه أو يعمل على اراحته .
ـ تنقل كثيرا من الأمراض الى جسم الانسان ومن هذه الأمراض :
● السل : Tuberculosis ، وهو غالبا ما يحدث مصادفة في البقر ، وينقل الى الانسان اذا أكل لبن حيوان مصاب أو لحم ميتة مصابة غير مطبوخة جيدا .
● الجمرة الخبيثة : Anthrax ، وهي أنواع عديدة ومنها ما يحدث تقرحات على اليدين ، أو التهابا رئويا ، أو ما يظهر في شكل تسمم غذائي وتسببها جراثيم تدعى B cilhes Anthracis .
● التسممات الغذائية : سواء أكانت من جراثيم السالمونيلا Salmonella أم من الجراثيم العنقودية أو العقدية ، أم المواد الكيميائية التي تنتج بعد موت الحيوان .
● الإصابة بالديدان المعوية .
● التهاب الكبد الوبائي : وهو مرض خطير من أعراضه اصفرار العينين وتغير لون البول والبراز ، وألم في البطن وضعف في الشهية ، وأحيانا ضعف عام ، ومن مضاعفاته أنه يؤدي الى هبوط الكبد بعد أن تتكرر الإصابة به أكثر من مرة .

حفظ اللحم :

يحفظ اللحم منعا لفساده ومن الطرق التي يحفظ فيها اللحم :
(١) **حفظ اللحم بالقلي** : وهو أن تقطع شرائح اللحم ، وتقلى بدهنها أو بالسمن ، ويصب ساخنا عليها ، فيجمد الدهن حولها ويحجبها عن الهواء وهي طريقة كثيرة الاستعمال .
(٢) **التمليح (البصطرمة)** : وهي كلمة أرمنية تطلق على اللحم المجفف وتحضر غالبا من اللحم البقري .
(٣) **التدخين** : يعلق اللحم في مكان محصور ، ويسلط عليه دخان بعض الأخشاب القطرانية ، فينفذ في اللحم بعض العطور القطرانية الطيارة ويجف اللحم على هذه الطريقة ,ويحفظ مدة طويلة دون أن يطرأ عليه تبدل .
(٤) حفظ اللحوم بحجبها عن الهواء بعد تعقيمها بالحرارة جيدا « المعلبات » وهذه الطريقة أفضل الطرق المستعملة في المحافظة على الأغذية ، وأكثرها انتشارا ويراعى عند اعداد لحم الماشية تجزئتها الى قطع صغيرة وإزالة العظام منها ، وتخزن قبل التعبئة في محاليل ملحية كثيفة ويختلف تركيب هذه المحاليل الملحية باختلاف صنف اللحم وطريقة تعبئته .

(٥) تبريد اللحوم : تحتل صناعة تبريد اللحوم في وقتنا هذا المكان الأول في مجال هذه الصناعة .

الاسراف في أكل اللحوم

الاعتدال في أي أمر هو أسمى درجاته ، والاعتدال في أمر الطعام والشراب هو المقصد الذي ذهبت اليه الآية الكريمة « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » الأعراف/ ٣١ .

لقد كان الاعتدال واقعا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياة الصحابة ، ولم تقتصر توجيهاته على عدم الافراط في الطعام بل حذّر أيضا من التقتير فيه ، ومنع أقواما من الصوم أياما متتاليات دون إفطار .

وقد اتفق على مبدأ الاعتدال كل من في الأرض من أنبياء وحكماء وأطباء ، لهذا كان على الانسان أن يتناول الكمية المحددة له من الأكل فمثلا احتياجات الشخص البالغ من البروتين غرام واحد لكل كيلوغرام من وزنه ، واحتياج الطفل من البروتين ٣ ـ ٥ غرام لكل كيلو . أما اذا زاد أو نقص عن ذلك فإنه يسبب الأمراض .

ان عدم تناول اللحوم بالكميات المناسبة لجسم الانسان ينتج عنه أمراض منها :

- حالات الإسهال ، لأنه يؤدي الى فشل في عملية الهضم والامتصاص .
- نقص معدل النمو ، وخاصة عند الأطفال .
- القصور الكبدي : حيث يضعف الكبد ولا يحافظ على تركيبه ووظائفه .
- ضمور العضلات .
- فقر الدم .

قد يكون نقص اللحم ناجما عن قلة تمويل الجسم من الغذاء أو يكون ناتجا عن أمراض في الجسم كأمراض الكلية ، أمراض النزف ، العمليات ، الكسور ، الحروق وغيرها .

أما الزيادة والشره في أكل اللحوم فيؤدي الى العديد من الأمراض ومنها :

(١) الحصيات الكلوية : وهي أكثر حدوثا في الأشخاص الذين يعتمدون بشكل رئيسي على تناول اللحوم والحليب والجبن .

(٢) النقرس أو داء الملوك Gout ، وهو ألم مفصلي يأتي بهجمات عنيفة وخاصة في مفاصل القدم والإبهام ، وسبب المرض هو ارتفاع حامض اليوريا Uric Acid .

(٣) ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين .

(٤) بعض حالات السمنة .

برئاسة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية

وفد الكويت في زيارة

قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ احمد سعد الجاسر في اعقاب ترؤسه لوفد دولة الكويت الى اجتماعات الدورة الرابعة عشرة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية التي عقدت في دكا مؤخرا بزيارة لكل من باكستان والصين للتعرف عن كثب على احوال المسلمين في هذه البلدان وقد تحدث السيد الوزير لمجلة الوعي الاسلامي بعد عودته فقال :

غادرت الكويت يوم الاثنين ٥/١٢/١٩٨٣ الى بنغلاديش لحضور مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في دكا والوفد المرافق وقد قمت خلال فترة المؤتمر بزيارة رسمية الى بنغلاديش بناء على دعوة رسمية من وزير التربية والشئون الدينية وقد أجريت عدة لقاءات ومباحثات رسمية مع عدد من المسئولين في بنغلاديش وعلى رأسهم السيد رئيس الجمهورية تتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين وبمختلف القضايا التي تهم العالم الاسلامي واثناء هذه الزيارة تفقدت مخيمات اللاجئين البهاريين في دكا واطلعت على احوالهم المعيشية .

جمهورية باكستان الاسلامية

وبعد انتهاء مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية توجهت والوفد المرافق لي الى باكستان تلبية لدعوة رسمية من الأخ محمد عباس خان عباس وزير الشئون الدينية الاتحادي وقد كانت فرصة طيبة ان التقينا بالاخوة في باكستان وعقدنا عدة لقاءات مع المسئولين الباكستانيين وعلى رأسهم السيد رئيس الجمهورية الذي أشاد بعلاقات الكويت وباكستان الاخوية . وبوحدة الهدف والمصير لجميع الأمة الاسلامية . وقد



بنغلادش وباكستان والصين الشعبية

حملنا تحياته لحضرة صاحب السمو الأمير ولسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، وشكره لمواقف الكويت على الصعيدين الاسلامي والدولي .
هذا وقد اجتمعنا أيضا بالأخ وزير الشئون الدينية وبرئيس مجلس الفكر الاسلامي الدكتور تنزيل الرحمن وبرئيس قضاة المحكمة الاتحادية الشرعية السيد اقتاب حسين وقضاة المحكمة وحضرنا الجلسة الافتتاحية لمؤتمر العلوم والتكنولوجيا لمنظمة المؤتمر الاسلامي في قاعة مجلس الشورى ، وكذلك المؤتمر الاسلامي الذي دعت اليه كل من جامعة إسلام أباد الاسلامية والمجلس الا سلامي والذي عقد تحت عنوان « الاسلام اليوم » .
وقد زرنا مخيمات المهاجرين الافغان في بيشاور ومكتب الهلال الأحمر الكويتي والمشاريع الخيرية التي تقيمها الكويت هناك .
ويسرني بعد انتهاء الزيارة ان اتقدم بالشكر الجزيل للسيد رئيس الجمهورية على الحفاوة البالغة التي استقبلنا بها والتكريم الذي احاطنا به وجميع المسئولين الباكستانيين .

جمهورية الصين الشعبية

بناء على دعوة رسمية من السيد رئيس مصلحة الشؤون الدينية التابع لمجلس الدولة ـ شوو لانغ شنغ ـ قمت في الفترة ما بين ١٥ ـ ٢٢ ديسمبر ١٩٨٣ بزيارة رسمية لجمهورية الصين الشعبية وقد زرت عددا من المدن الصينية بكين ، شيئان ، وشنغهاي ، وقُوبلت والوفد المرافق لي بترحاب كبير من قبل المسؤولين الصينيين ومن زعماء المسلمين في هذه المدن ، وقد عقدت عدة لقاءات في هذه الزيارة مع عدد من المسئولين كان على رأسهم في بكين السيد«وان لي»النائب الاول لرئيس مجلس الدولة والسيد يانغ جنغ رن» نائب رئيس المؤتمر الاستشاري ورئيس اللجنة الوطنية الصينية للقوميات والسيد«وان يوابيغ» نائب رئيس مصلحة الشئون الدينية الذي رافقنا في كل زيارتنا لمختلف



المدن الصينية .
وقد القى السيد«وان لي»النائب الأول لرئيس مجلس الدولة كلمة في أحد اللقاءات رحب بنا نيابة عن الحكومة الصينية والشعب الصيني ودعانا لزيارة مختلف المقاطعات الصينية ، وأكد على أن دستور الصين قد ضمن الحريات الدينية واعرب عن اهتمام الحكومة الصينية بجهود الكويت لتوحيد الصف العربي وإزالة الخلافات بين الأشقاء وأبدى استعداد الحكومة الصينية لدعم هذه الجهود والتعاون الى ابعد الحدود لتعزيز الصداقة بين الكويت والصين ولوحدة الصف العربي كقوة لها وزنها وثقلها على المستوى الدولي وقد حمّلنا بالنيابة عن رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الدولة تحياتهم الى حضرة صاحب السمو الأمير والى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء.كما أكد السيد «يانغ جنغ رن» نائب رئيس المؤتمر الاستشاري ورئيس اللجنة الوطنية الصينية للقوميات في لقائنا به اهتمام الحكومة الصينية بصيانة الحياد واتحاد البلدان ومعارضة التدخلات والنفوذ وتأييد الحكومة لنضال الشعب الفلسطيني تأييدا مطلقا ، وان الكويت والصين تتفقان في مختلف القضايا والمحافظة على السلام وأشاد بالعلاقات الوثيقة بين البلدين وتقدمها وبزيارتنا التي تمنى ان يكون من اولى نتائجها توطيد العلاقات بين الشعب الكويتي المسلم والمسلمين الصينيين واكد على ان المسلمين الصينيين لهم مطلق الحرية الدينية وهم يشاركون الشعب

الصيني في بناء الصين ، وطلب منا تبادل النصيحة وإبداء الرأي في محاولاتهم لبناء بلدهم واعمالهم بلا تكليف ولا حرج اذا كانت هناك نواقص في هذه الاعمال لتحقيق الأفضل والأحسن .

ولقد اكدت ان دور الكويت غير المنحاز والذي تلعبه في علاقاتها الخارجية يدعمه جدا تعاونها مع الصين الصديقة ، وان الكويت تحرص على ان تتخذ قراراتها السياسية بحرية تامة وبعيدا عن مؤثرات القوى الكبرى في العالم وان مما لا شك فيه ان وقوف الصين الى جانبنا سوف يساعدنا على اتخاذ مثل هذه القرارات بدون انحياز وان المعاني الجميلة التي يتعلمها المسلمون من دينهم تدعوهم دائما الى ان يكونوا مواطنين مسالمين مع جميع ابناء وطنهم على اختلاف قومياتهم وأديانهم ، وأن [التاريخ الطويل للمسلمين يشهد بقدرتهم على التعايش مع الجميع بسلم وأمان].

واذا كنا نتبادل الزيارة ونطلع على أحوال المسلمين في الصين فاننا بذلك نرمز الى العلاقات الوطيدة بين كل الشعب العربي وكل شعب الصين .

وشكرتهم على ثقتهم الكبيرة فينا وأكدت أننا لن نتردد في تبادل النصيحة مع هذه الدولة الصديقة لما فيه دعم لتعديل الأوضاع غير المتزنة في العالم .

وخلال زيارتي لبكين اجتمعت مع قادة المسلمين فيها وعلى رأسهم رئيس الجمعية الاسلامية الصينية ـ محمد علي تشانج لي ـ وذلك بمقر الجمعية واطلعت على نشاط الجمعية الدؤوب لخدمة الاسلام والمسلمين في الصين خاصة بعد أن نال المسلمون في الصين قدرا كبيرا من الحريات وقد قامت الجمعية بطباعة بعض المصاحف والكتب الدينية اكثر من مائتي الف نسخة من المصحف وتفسير الجلالين وكتب الحديث والفقه وبعض العلوم الدينية عن الفرائض الخمسة ، هذا بالاضافة الى ان الجمعية تصدر مجلة ـ المسلم الصيني ـ باللغة الصينية ولغة اهل الشمال والجمعية الاسلامية الصينية في بكين جمعية مركزية تتبعها اكثر من ثلاثين جمعية في المقاطعات الصينية . ويتبعها في بكين معهد لتعليم القرآن والتفسير والحديث والفقه وتاريخ الاسلام مدة خمس سنوات وتعادل شهادته الشهادة الجامعية كما زرت بعض المساجد في بكين وبها شعب لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، وفي مسجد بكين ١٧ طالبا وقامت الجمعية بتكليف بعض الأئمة تربية الاطفال وتعليمهم الحديث والفقه وهؤلاء الاولاد يعيشون في المسجد بصفة دائمة كما تقوم الجمعية بطباعة الكتب باللغة العربية والصينية ، وقد أعربت لرئيس الجمعية عن استعدادنا لطباعة الكتب التي يحتاجونها عندهم وان نشترك نحن وهم في طباعة كتاب يوزع عندنا وعندهم لتوثيق العلاقة بين المسلمين ، ودعوتهم لإرسال طلبة للدراسة في المعهد الديني في الكويت وبكلية الشريعة كما اعربت له عن استعدادنا لارسال بعض الطلبة من الكويت

لدراسة اللغة الصينية لأن هذا خير وسيلة لتوثيق العلاقات ، ودعوتهم أيضا لإرسال عدد من الحجاج ليشاركوا بعثة الحج الكويتية لأداء فريضة الحج وذلك على نفقتنا بالاضافة الى تذاكر السفر وتركت لهم تحديد العدد المناسب من هؤلاء الحجاج .

وقمت بالتجول في الفصول الدراسية التابعة للجمعية «المعهد الديني» ووعدتهم بإرسال مكتبة كاملة للجمعية الاسلامية الصينية ، كما زرت والوفد المرافق مسجد بكين في حي البقر وأدينا صلاة الجمعة بهذا المسجد مع عدد كبير من المسلمين الصينيين .

هذا وبعد انتهاء زيارتي لبكين توجهنا الى مدينة «شيئان» وهي مدينة تقع في غرب الصين الشمالي في مقاطعة شانشي وعدد سكان هذه المقاطعة ٢٩ مليون نسمة اما عدد سكان المدينة فيبلغ خمسة ملايين وهي مدينة حضارية واقتصادية منذ التاريخ وهي التي كانت تشكل بداية ونهاية طريق تجارة الحرير ومحطة اتصال قديمة بين العرب والصين . ويعتبر مسجد المدينة أثرا مهما من آثار حضارتها العريقة حيث تبلغ مساحته ثلاثة عشر الف متر مربع . وقد وجهت دعوة لإمام المسجد لزيارة الكويت وبصحبته الفائز في مسابقة حفظ القرآن الكريم التي يقيمها المسجد للمشاركة في مسابقة حفظ القرآن في الكويت .

وزرت الجمعية الاسلامية في المدينة





حيث اسست ١٩٨٣/١٢/٧ ومن اولى مهامها التي ستقوم بها تدريس تلاوة القرآن الكريم والعلوم القرآنية وطلبوا مساعدة الكويت لبناء الفصول الدراسية .

ودعوتهم لارسال عدد من الطلبة للدراسة في المعهد الديني وكلية الشريعة ووعدتهم بارسال مجموعة من الكتب ومدرس متخصص لتحفيظ القرآن الكريم .

كما اجتمعت بنائب رئيس المقاطعة الذي رحب بنا ترحيبا حارا واشاد بالعلاقات الطيبة بين الصين والكويت .

وبعد انتهاء الزيارة لهذه المدينة العريقة توجهنا الى مدينة شنغهاي حيث التقيت بالسيد (نيتان جن) نائب مدير بلدية شنغهاي ونائب رئيس مصلحة الشئون الدينية ومساعد السكرتير العام للجمعية الاسلامية ورئيس الجمعية .

هذا وتوجهنا بعد انتهاء زيارتنا للصين الى هونج كونج- في طريق عودتنا الى الكويت حيث زرت بعض المساجد المقامة في المدينة وبعض الجمعيات الاسلامية والمركز الاسلامي ومسجد عمار هناك،ويبنى حاليا في قلب المدينة مسجد ومركز اسلامي كبير ولكن لم يتم بناؤه بعد حيث يحتاج الى بعض المال لإكمال البناء .

والوعي الاسلامي حرصا منها على تعريف قرائها على واقع الشعوب الاسلامية في كل مكان قامت بتغطية هذه الزيارة التي قام بها السيد الوزير للاقطار الثلاثة داعية الله عز وجل ان يغير هذا الواقع لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

الفقه الإسلامي بين ماضيه وحاضره

للاستاذ/ توفيق محمد سبع

الفقه اليوم :

ننظر في هذا العصر فنرى ما يملأ القلب أسى والنفس لوعة ، فقد تكاثرت مسائل الفقه الاسلامي وقضاياه دون أن تجد الحل الملائم - أو الجواب الشافي .. وهي مسائل متنوعة طرحتها الحياة الجديدة بكل ما فيها من حركة وفرضتها على المجامع الفقهية ليفتوا فيها ويصدروا رأيهم واضحا في أمرها ، ولكن هذه المجامع لم تقل شيئا ذا بال حتى الآن ..

ومعظم هذه القضايا يدور حول مسائل فرعية من الربا .. تختلف فيها الآراء .. منها ما يرى التحريم ، ومنها

ما يرى التحليل لأن شرط التحريم لا ينطبق عليه .

وعندي أن الفقه الاسلامي الآن تحكمه عوامل تؤثر علي سيره .. وتعوق اتجاهه : منها تخوف العلماء من المجاهرة برأيهم ، فإن الدول تتعامل بالربا .. بل ويتفنن الكثير من الأفراد للاحتيال على تحليله على مرأى ومسمع من أولى الأمر .

وقد يكون **الجمود العقلي** سببا آخر في توقف حركة الفقه .. فإن الساحة الاسلامية الآن في أزمة خانقة من العلماء الفاقهين !!

ومن بين العوامل **التي تبلبل الفكر** ، وتحير العقل تقادم الفتوى في المسألة الواحدة .. هذا يحل وهذا يحرم !! لأن مثل هذه الفتوى تخضع لرأي الفرد وليس لرأي الجماعة ويجب العمل فورا على تهيئة الأجواء لايجاد **نوع من الاجتهاد** ينظر في المسائل التي جدت في هذا العصر .. بشرط أن يصدر ذلك عن مجامع موثوق بها لا عن أفراد لا يؤمن خطؤهم .. أو لا يبعد حيفهم ..

خذ مثلا مسائل **التأمين بأنواعه** - **وشهادات** الاستثمار بكافة صورها - **وأكل اللحوم** المستوردة **وفوائد البنوك - والفائدة على القروض** ..

وكل ما نشأ عن التقدم الاقتصادي من مشكلات كل هذه مسائل نسمع فيها آراء متعارضة وتنشر فيها وجهات نظر مختلفة فماذا يصنع الرجل المسلم الحريص على دينه ؟

أليس من حقه على العلماء أن يفتوه بصراحة ويوجهوه بصدق ؟

وإذ قارنا جمود الحركة بما كانت عليه في الماضي - وجدنا ما يؤلم حقا - فشتان بين ماضي هذا الفقه وحاضره ؟

الفقه قديما :

تحرك الفقه الاسلامي قديما في مد متتابع لينهض بواجبه ويؤدي رسالته في مجتمع المسلمين على يد أعلام الصحابة والتابعين وتابعيهم - ثم ازدهر باجتهاد الأئمة الأربعة - الذين أخذوا يرصدون الأحداث ، ويسجلون الوقائع ، ويزنون القضايا .. ثم يجتهدون فيها ، وكانوا في عملهم هذا **متجاوبين مع مجتمعاتهم** ..ومع ما يجد من أحداث الحياة .

وكانت آراؤهم فقها دقيق الصياغة .. لأنهم كانوا يملكون وسائل الاجتهاد من علم بكتاب الله وسنة رسوله .. وتبصر بأوضاع المجتمعات ، ومعرفة باستنباط الأحكام ..

وقد وجدت **مدارس فقهية** لكل واحدة صبغتها واتجاهها .. وعلى رأس هذه المدارس - **مدرسة المدينة المنورة** وعلى رأس فقهائها عمر - وعلي رضي الله عنهما وعدد من التابعين بعدهم - وفي مكة وجدت مدرسة فقهية نبغ فيها مثلا عبد الله بن عباس وعدد من التابعين .. وكان أثر مدرسة المدينة في الفقه أجل وأعظم !!

فقد أنجبت الامام مالكا رضي الله عنه الذي صاغ الفقه **صياغة قانونية** تميز بها الفقه المالكي .. وعليه تتلمذ الامام الشافعي رضي الله عنه وهو من

هو في الفهم والذكاء وقوة الحجة ؟! .. ونجد مدرسة الكوفة في العراق التي تضارع مدرسة المدينة ، فقد أنجبت من الأعـلام أمثـال أبي حنيفـة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد .
ونجد مدرستي البصرة ومصر وهما أقل شأنا من سابقتيهما ، ومن فقهاء مصر **الليث بن سعد** رضي الله عنه وهو أستاذ الامام الشافعي ويقال : إنه أغزر فقها لولا أن أصحابه ضيعوه فلم يجمعوا فقهه !!
هذه المدارس كانت تستنبط الأحكام من الأصول ، وتمد الحياة بزاد طيب من الأحكام الملائمة ، وقد اجتهد أئمتها في قضايا عصرهم ، وحركوا عقولهم ، وتزودوا لهذا العمل الجليل بالعلم الواسع ، والاخلاص الدائب ، والمثابرة المحتسبة ، ورويت عنهم في ذلك الأعاجيب !! ، وقد وجدوا من **المصادر الأصيلة** في الشريعة معينا لا ينضـب ، وبخـاصـة القـرآن الكريم .. فكان عملهم فقها ، وآراؤهم قوانين ولم يدر بخلد واحد من هؤلاء الأعلام أن يجمد على مسائل عصر النبوة ، أو أن العصور لن تـأتي بمسائل جديدة ، أو ان الفقه الموروث يغني عن اجتهادهم، أو أن مذاهبهم تسد الطريق على من بعدهم !! وإنما كانوا يفهمـون أن الفقه يجب أن يتفاعل مع الحياة ، لتنمو في ظله وتزدهر ، وتصبح قضاياه متجددة تجـدد البيئـة ، متطـورة تطـور الأحداث ، لا أن تقف مكانها والحياة تسـير ، أو تتجمـد في مـوقعهـا والمجتمعات تتحرك ..

وكم من مسائل جدت لم تكن تخطر للأوائل على بال وبخاصة مسائل المال التي اتسعت وتكاثرت بتقدم الآلة وتحول المجتمعات .. ونشأت عن ذلك مسـائل معقـدة .. كحق العمـل ، وقضايا العمال ، ومسائل الربا وهي مسائل كانت محدودة يسيرة في العهد الأول ، ولكنهـا تشـابكت في هـذه العصور .. ومن يدري ماذا يمكن أن تطرح الحياة من قضـايا جـديدة أخرى ؟!
نعم : لقد جدت مسائل خطيرة يجب أن يستفتى فيها أهل العلم،على رأسها كما أسلفنا أكل اللحوم المستوردة ، وفوائد الادخار ، والتزوج من الفتيات الأجنبيات في ذلك العصر ، وقضايا الأسرة المسلمة في ظل الحياة الحديثة وعمل المرأة وما إلى ذلك من مسائل لم تصدر بشأنها فتوى دقيقة تريـح القلب وتطمئن الخـاطـر وتهـدي الحيارى ..
وتجيء مسـألـة أخـرى أخطـر وأعظم .. هي تلك الفتاوي الفردية التي يصدرها أفراد على ساحة العالم الاسـلامي وهي فتـاوى تتنـاقض وتتباعد فتؤدي باختلافها إلى خلخلة الثقة في نفوس الجمـاهير ، حـين يقـرؤون رأيا يحـل ورأيـا يحـرم ويحاولون استيعاب الأدلة فإذا هم بين فيض دافق وطوفان غامر لا يصل بهم إلى شيء لأن عقولهم أضيق من أن تستوعب ذلك كله ..
ثم إذا صدرت فتوى قديمة في مسألة ما ، وأصبحت تلك الفتوى لا تتفق مع روح العصر .. فهل نتعبد بها ونبقي



عليها ؟ علما بأنها لا تعدو أن تكون **وجهة نظر فقهية** لا أكثر ولا أقل .. هل نسبغ عليها القداسة فلا نتحول عنها ؟ وكأنها نص تشريعي ؟!!

لماذا لا نجتهد فيها اجتهادا جديدا يقربها من روح العصر حتى لا ييأس الناس من الدين ؟!

ابن القيم ومطابقة الفتوى لروح العصر

لنستمع بهذه المناسبة إلى ما يقوله الامام الجليل ابن قيم الجوزية في كتابه الرائع (إعلام الموقعين) وهو كلام يعتبر من الوجهة **الموضوعية ثورة على الجمود** والتزمت في مسائل الرأي . **يقول تحت عنوان** : « فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب الأزمنة والأمكنة والأحوال والفوائد » (ولعل اجتهاد عمر في قطع العطاء الذي جعله القرآن للمؤلفة قلوبهم كان في مقدمة الأحكام التي قال بها لتغير الزمن ، إذ توطد سلطان الاسلام برغم أن النص القرآني لا يزال ثابتا غير منسوخ ، **و من هذا** اجتهاده في عام المجاعة في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين وهو قطع اليد واكتفاؤه بتعزير السارق عملا لتغير الظروف التي أحاطت بالسرقة .

ومنها اجتهاده في منع تقسيم أراضي السواد في العراق ، وأراضي مصر والشام على المجاهدين الفاتحين الذين طالبوا بتقسيمها بينهم في إلحاح وإصرار كما تقسم الغنائم الحربية بعد إخراج خمسها لبيت المال ، محتجين في ذلك بظواهر نصوص القرآن والسنة **لكن عمر رضي الله عنه** خالفهم في ذلك **بحجة أقوى** فأمر حبس الأرض عن قسمتها بين الفاتحين وتركها في يد أهلها العاملين عليها يؤدون الخراج عنها لينفق منها على مصالح المسلمين ـ وأجمع معه المسلمون على ذلك .

وإنما كان ذلك منه رضى الله عنه تمسكا بدلائل النصوص الأخرى متبعا للمصلحة العامة وكذلك أخذ بهذا الرأي كبار الأئمة والمجتهدين بعد الصحابة) .أ.هـ

المواجهة الحاسمة

لقد قال عمر في مواجهة المجاهدين الذين يرون تقسيم الأرض عليهم : « قد أشرك الذين يأتون بعدكم في هذا الفيء فلو قسمته عليكم لم يبق لمن بعدكم شيء ، ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه »

ثم يستطرد : في حجته الدامغة فيقول : فما يسد به الثغور ؟ وما يكون للذرية والأرامل ؟ ثم ينتهي إلى قوله المضيء : « لقد رأيت أن أحبس الأرض بعلوجها وأضع عليهم بها



الخراج وفي رقابهم الجزية »
هنا يبرز عمر رضي الله عنه رجل دولة ممتازا، وفقيها جريئا ، ومجتهدا دقيق النظرة يناقش أدلة القوم ويرعى مصالح المسلمين ويحسم في الأمور بقوة المنطق والحجة والارادة جميعا !
فقد فهم الآية الكريمة من سورة الحشر(**ما أفاء الله على رسوله**)
فهما محكما وناقش كبار الصحابة ومنح الدولة حلا واقعيا لمشكلة ناجمة أراد الجند أن يتجهوا بها نحو أنفسهم ولكن أنى لهم بعمر القوى المتين ؟!

الفقه ومواجهة الحياة

هكذا استطاع الفقه مواجهة الحياة فما بخل بعطاء ، وما ضن بفتوى ، لكن المشكلة ، لا تكمن في مرونة هذا الفقه ومقدرته على العطاء .. واستيعاب مشكلات الحياة ـ وإنما تكمن المشكلة في ضيق العقول ، وجهالة التطبيق ، وتنزي الأطماع !!
ومحال أن تزدهر شريعة إلا إذا ازدهر الفقه .. تمحيصا ودراسة وتطبيقا واستنباطا من الأدلة ، وكم نحن في حاجة إلى فقهاء مخلصين صادقين ـ قد تزودوا للفقه بالعلم الواسع والتجربة الرائدة ، والاخلاص لله ـ

إن الحكمة الالهية قد اقتضت منفعة البشر ، **فحيثما توجد مصالح الناس فثم شرع الله** وهذه المصلحة لا تتحقق على وجهها السليم إلا إذا راعينا أن المصلحة والمضرة تختلفان من حال إلى حال ، ومن شخص إلى شخص ، ومن عصر إلى عصر ولهذا كان الاجتهاد التطبيقي أمرا واجبا على مر الزمن واختلاف العصور لا يعفى منه جيل من الأجيال ..

تقدير المصالح :

يقول الشاطبي في الموافقات : « إن الشأن في معظم المنافع والمضار أن تكون إضافية لا حقيقية فهي منافع أو مضار في حال دون حال وبالنسبة لشخص دون شخص وفي وقت دون وقت » ومن هنا كان تقدير المصالح ورعاية الظروف من أهم الأسس في فقه الأحكام ـ وانظر إلى المرونة الفقهية لترى أئمتنا العظام ومدى مطابقة الفقه الاسلامي على أيديهم لظروف المجتمعات .
يقول العز بن عبد السلام « لو عم الحرام في بلدة بحيث لا يوجد فيها حلال ، جاز أن نستعمل من ذلك ما تدعو إليه الحاجة ولا يتوقف تحليل ذلك على الضرورة لأنه لوتوقف عليها لأدى إلى ضعف المسلمين ، واستيلاء الكفار وأهل الفساد على بلاد الاسلام ، ولا نقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التي تقوم بمصالح الأنام » .
ومغزى هذا الكلام : أن شريعة الله

ثابتة ترقب ما يستجد من أحداث الحياة وقضاياها من مرقاها العالي مرسلة ضوءها في كل اتجاه ، لتغمر الحياة كلها بالنور ، ولا تدع قضية من القضايا الجديدة إلا فصلت فيها وقالت قولا سديدا **يقول الأستاذ** العقاد في كتابه حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : (إن التشريع الاسلامي لا يقف في طريق رأي صالح - وإن تلك الزعازع التي تمخضت عن حوادث القرن العشرين ينظر إليها التشريع الاسلامي وهو ثابت على قراره المكين فلا يمنع صالحا منها أن يثبت صلاحه ، ولا يدع فاسدا أن يطغي بفساده **طغيانا لا رجعة فيه** ، وقوام الأمر فيما يبيح ويمنع مرجع **واحد ثابت** على الزمن ثبوت الجماعة البشرية - وهو المصلحة العليا التي يتقدم فيها الكثير على القليل ويتقدم حساب الزمن الطويل على القصير »

وهذا كلام في غاية الجودة - لأنه يجعل الأساس الذي يصدر الحكم على القضايا والحوادث تشريعا ثابتا لا يتبدل ولا يتغير وهو النصوص المقدسة من كتاب الله وسنة رسوله . ويجعل للعلماء دورهم في تطبيق الأحكام وفي استنباطها من تلك



النصوص وكل ما جدّ من قضايا وحوادث في القرن العشرين يمكن الفصل فيها على هذا الأساس .. وذلك بأن يجتهد فيها العلماء ويوجدوا لها وجهة في النصوص الشرعية مراعين مصلحة الجماعة بوصفها جماعة لا مصلحة الفرد وهنا يبرز التشريع الاسلامي مصدرا من مصادر الفتوى لا يعتريه تغيير ولا تبديل لأنه كالمصباح يوزع الضوء وهو ثابت .. أو قل كالشمس ترسل ضوءها هنا وهناك وهي ثابتة ..

والعلماء المجتهدون عليهم أن يستمدوا من هذا الأصل الثابت ما يغطي قضايا الحياة الجديدة - فيستنبطوا لها الأحكام من هذا الأصل الثابت وهذه الأحكام المستمدة هي الفقه - وهذا الفقه متجدد لا محالة أو ينبغي أن يكون متجددا متطورا .. وهكذا ; الشريعة ثابتة - والفقه متجدد وبذلك يكون الاسلام جامعا بين عنصري **الأصالة والتجدد** الأول يتمثل في الشريعة ، والثاني يتمثل في الفقه المتجدد مع الزمن .

يقول الدكتور فرج السنهوري في بحث نشرته له الجامعة العربية متحدثا عن هذا المعنى « الفقه الاسلامي فقه محصن ، لا تقل عراقته في ذلك عن عراقة القانون الروماني ولا تقل عنه في دقة المنطق ومتانة الصياغة وقابلية التطور - وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا بل كان بالفعل يوم امتدت دولة الاسلام من أقاصي البلاد الآسيوية إلى ضفاف

وجوب الاهتمام بالفقه والاجتهاد في الأحكام

كما بدأت مقالي بضرورة يقظة فقهاء المسلمين ليعيدوا إلى الفقه الاسلامي مجده ، يوم كان نبعا فوارا يسقي شجرة الحياة .. ويضفي عليها الخير والبركة ، ويغمر أحداثها بفيض من الفتوى والتوجيه فإني هنا أؤكد على هذا الأمر .. كي يتصل حاضر هذه الأمة بماضيها فلا تنقطع السلسلة .. وهذا يدعونا إلى التفكير في برامج الجامعات التي تخرج الفقهاء .. وذلك بجعلها متضمنة للدراسات المنهجية والمقارنة التي تكون رأي الفقيه ، وتنشيء عنده ملكة الاجتهاد والاستنباط .. وإذا : فلا بد لهذه الجامعات المتخصصة أن تعنى بالدراسات التطبيقية العملية .. بل الميدانية وأقول **الميدانية** وأصر عليها لتبرز ناحية هامة في تكوين **الفقيه** .. الا وهي الروح العملية .. التي تجد في مسائل الحياة الجديدة **برنامج عمل موصول** ـ لا أن تظل حبيسة الحواشي والموسوعات .. فلا تخرج في منهجها عن الطابع « الأكاديمي » .. فهذا الجانب مع أهميته لا بد أن يقترن بالتطبيق !!

وبذلك يرتبط الفقه بالحياة أكثر فأكثر .. فيكون في مصلحة البشر .. وفي صالح الحياة .. من ثم **تزدهر** الحياة بالفقه .. وتستمد منه الحيوية والمرونة .. كما أن **الفقه يزدهر بالحياة** لما تمده به من أحداث وقضايا تطرحها كل يوم في رحلتها الدائمة والمستمرة .. فلا يحس الفقهاء بضيق الحيز ولا بكزازة المجال .. لأنهم واجدون كل يوم جديدا بما تطرحه الحياة من مسائل جديدة .. وما دامت للفقه هذه الحيوية فسيظل مهيمنا على الحياة يضبط مسيرتها ، ويصحح أخطاءها ، ويقوم عوجها .. ويمنع عنها تلك الفتاوى الفردية المرتجلة الصادرة من غير ذوي التخصص وتلك إحدى الكوارث التي مني بها الفقه في هذا الزمان **ومن عجائب الأمر أن** الناس متفقون على توقير التخصص في كل المجالات إلا مجال الفقه الاسلامي فترى الطب تخصصا ، والهندسة تخصصا ، وكذلك سائر الفنون .

وأنت تحترم هذا التخصص فلا تذهب بمريضك إلى مهندس ، ولا تطلب من الطبيب أن يخطط لك بناء عمارة مثلا ..

وننظر إلى الفقه فنرى مائدته رحبة تتسع لكل متطفل فيقول فيه من لم يتهيأ له .. ومن لم يعرف من الكتاب والسنة إلا أقل القليل .. تراه يفتي وترى الجماهير **الغافلة** تسمع له وتنقل عنه .. ويأبى الفقه إلا أن يكون تخصصا .

من حقك أن تتعلم الفقه ـ ولكن ليس من حقك أن تفتى في دين الله إلا إذا كنت متخصصا والله عز وجل يقول : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم

لا تعلمون » النحل/ ٤٣
وهنا أمر آخر لا بد من الاشارة أليه آخر هذا المقال .

وهو أنه مما يؤلم النفس ويؤرق الضمير أن نرى مجامع الفقه لا تتعاون فيما بينها لوجود خلافات بين بلد وبلد .. وقطر وقطر .. أقول مما يؤلم النفس .. لأن دين الله ينبغي أن يضمد الجراحات ويزيل الخلافات ويجمع الشمل الشتيت .. لا أن يقر هذا الانفصام النكد بين البلاد الاسلامية والعربية !!

يجب أن تزول العوائق بين مجامع الفقه في شتى أقطار العالم الاسلامي الكبير .. لتتصل هذه المجامع وتتدارس المسائل .. وتهذب الوسائل بعيدا عن الخلافات المفرقة وعن النفوس وأهوائها .. يجب أن يكون شعارنا :

تعالوا نجدد دارس العهد بيننا
كلانا على هذا الجفاء ملوم !!

وما أروع أن تنشأ مجامع على مستوى كل بلد إسلامي .. ثم يكون هناك تنسيق بين هذه المجامع . ثم لقاءات محددة تتيح إصدار الأحكام الفقهية مدروسة .. قد تجمعت لها عوامل القوة .. وإجماع الأمة وهذا أروع كسب لدين الله
ولنسم هذا المجمع الموسع « مجمع المجامع الفقهية »
يقول الدكتور فرج السنهوري في المقال الذي سبقت الاشارة إليه آنفا :
« يجب الاهتمام بإحياء الفقه الاسلامي وفتح باب الاجتهاد فيه ، لأن ذلك جدير أن يثبت قانونا حديثا **لا يقل في الجدة** ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية ويكون هذا القانون مشتقا من الفقه الاسلامي الصرف ، لقد أتاح لي اطلاعي على نصوص هذا الفقه سواء أكانت مقننة كما في المجلة ومرشد الحيران ، أو كانت معروضة عرضا فقهيا كما في أمهات الكتب ومختلف المذاهب ـ أتيح لي أن ألحظ **مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابداع** وما يكمن فيه من قابلية التطور » إن هذا المفكر الاسلامي لا يدعو فقط إلى تكوين المجتهد المسلم ـ وإنما يتجاوز ذلك إلى مهمته فهي مهمة مزدوجة : **أولاها** إصدار الأحكام الفقهية على القضايا الجديدة التي أشرنا إليها أو إلى بعضها فيما مر ـ **وثانيها** : تقنين هذه الأحكام وإبرازها على شكل قانون يحكم العالم الاسلامي في اتجاهاته الفقهية .. وهذا الهدف هو المعروف **بتقنين الشريعة** لتكون وجهتها عالمية كما أراد لها رب العباد الذي جعل من الاسلام دينا عالميا ينتظم الجماعة الانسانية على اختلاف أقطارها وديارها **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** .



العلماء

للاستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

قال تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زُخْرُفَ القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** » الأنعام ١١٢ ، ١١٣ .

هذا بيان معجز يلقى الينا في تقرير دامغ أن الافتراء على النابهين والشرفاء من ظواهر هذه الحياة ، هو محنة يتعرض لها كل من وضعه الله جل وعلا في مكان القمة والقيادة وكأنه بذلك يؤدي ضريبة النجاح والنبوغ والتفوق .

ولأن الأنبياء قدوة عليا لأممهم كان ابتلاؤهم في ذلك ضاريا ، وكان أشدهم ابتلاء هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد تعرض لألسنة الحاقدين وافتراء المفترين فقالوا عنه ساحر . وقالوا عنه مجنون وقالوا عنه شاعر وقالوا عنه كاهن ، وقالوا عنه مغامر يطلب ملكا ومتطلع يريد شهرة ، وقد ألقى القرآن الكريم الضوء على كل ذلك فقال : « **فَذَكِّرْ فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإني معكم من المتربصين . ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون . أم يقولون تَقَوَّلَهُ بل لا يؤمنون . فلياتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** » الطور ٢٩ : ٣٤ .

المفترى عليهم

وعلى قدم الانبياء سار العلماء ، فالعلماء ورثة الانبياء كما جاء في الاثر الكريم وكلما ارتفع سهم العالم واتسعت شهرته وعظمت منزلته كثرت سهام المعارضين له الناقمين عليه الحاطين من شأنه وتلك حكمة عالية فطن لها الشاعر العباسي المشهور ابو تمام حيث قال :

وإذا اراد الله نشر فضيلة   طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

والحسد داء قديم في النفوس ، والحقد كذلك مرض من الأمراض الخبيثة التي تعاني منها المجتمعات قديمها وحديثها ، وربما حقد المبتلى به على اقرب الناس له وأحبهم اليه وأكثرهم احسانا له وعطفا عليه حتى قال المجرب الحكيم : جبلت النفس الخبيثة على الاساءة الى من أحسن اليها ، وفي قول آخر : اقسمت النفس الخبيثة الا تموت قبل ان تسيء الى من أحسن اليها ، وكم أحسن الصديق رضي الله عنه إلى مسطح فكان مسطح من الضالعين في الإفك فأقسم أبو بكر - وهو بشر من حقه ان يغضب ويثور لعرضه وكرامته - ألا يساعد مسطحا بعد الآن ، ولكن القرآن الكريم نزل موجها أبا بكر الى ما هو أفضل وأكمل فقال « **ولا يأتل أولو**

الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » النور ٢٢ .

والحسد والحقد كلاهما يزينان لصاحبهما السوء ويحملانه على أن يرتكب في حق المحسود الكثير من الافتراءات حتى يغض من شأنه ويحط من قدره اما طمعا في أن ينال من منزلته او إرضاء لشهوة الحقد التي تستعر في فؤاده .

أمثلة من الافتراءات

ولنضرب لذلك مثلا ، تعرض القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة والمتوفى سنة ٥١٦ هـ لحملة من الافتراء ، وذلك حين استطارت شهرته وارتفعت منزلته ، عظم على منافسيه والحاقدين عليه ميل أولى الأمر اليه ، فافتروا عليه انه لا شأن له بالأدب وأن محصله منه انما هو من صنع غيره وقد وقع في يده فنسبه لنفسه . قال ياقوت في معجم الأدباء : حين أنشأ الحريري المقامة الحريرية عرضها في بغداد على أبي شروان بن خالد الوزير فاستحسنها وقربه ، ولكن اتهمه من يحسده بقوله : ليست هذه من عمله لأنها لا تناسب فضائله ولا تشاكل الفاظه ، وقالوا هذا صاغه رجل كان قد استضافه ومات عنده فادعاها لنفسه ، وقال آخرون : بل العرب اخذت بعض القوافل وكان مما أخذ جراب بعض المغاربة وباعه العرب بالبصرة فاشتراه الحريري وادعاه لنفسه ، فإن كان صادقا في أنها من عمله فليصنع مقامة أخرى ، فقال : نعم ساصنع ، ويبدو أنه وقع تحت تأثير نفسي وحرج شديد ترك أثرا سيئا حال بينه وبين ما يريد فقد عكف على الإنشاء فترة مستطيلة فلم يتهيأ له تركيب جملتين والجمع بين لفظتين وسود كثيرا من - الاوراق - فلم يصنع شيئا ، فعاد الى البصرة كاسف البال والناس يقعون فيه ، فما غاب الا مدة حتى عمل عشر مقامات وأضافها إلى تلك وأصعد إلى بغداد ، فحينئذ بان فضله وعلموا أنها من عمله .

وافحام الحريري ليس غريبا فكثيرا ما يفحم العلماء وكثيرا ما يرتج على الخطباء ، وقد أفحم أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي حين وفد على بلاط عبد الرحمن الناصر ، وطلب أن يلقى القالي خطابا في حفل الاستقبال الذي يقام لملك الروم بقصر قرطبة جريا على عادة الدولة وإظهارا لعظمتها ، وقد اختير القالي لهذه المهمة بناء على منزلته الأدبية والعلمية التي وصل اليها بجدارة فائقة فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع وبهت فما وصل إلا قطع ووقف ساكتا متفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة قام قائما بدرجة من مرقاة أبي عليّ ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة .

قال محقق كتاب الأمالي في مقدمته : ولم يكن إرتاج أبي على في هذا الموقف العظيم

الأول من نوعه فقد أرتج على كثير من خلفاء الاسلام وملوك البيان فأول خطبة خطبها سيدنا عثمان بن عفان الراشد أرتج عليه فقال : أيها الناس إن أول كل مركب صعب وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها وسيجعل الله بعد عسر يسرا إن شاء الله .

ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام واليا عليها خطب الناس فأرتج عليه ، فقال : يأيها الناس عسى الله أن يجعل بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وانكم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل ثم نزل ، فليس غريبا أن الحريري حين يرى التحدي من حوله ويرى الأعين تتطلع اليه ، والأدب لا يأتي تكلفا مثلما يأتي بالطبع وانسياب الخاطر حتى قال القائلون : إن للشاعر وحيا وللأديب الهاما ، وفي الجاهلية كانوا يسمون هذا الوحي والإلهام بالشيطان الذي ينفث على لسان الشاعر بما يريد .

مثل آخر : وافترى المفترون على المتنبي الشاعر بادعاء النبوة أولا ، فلما لم يجدوا لهذه الدعوى بينة تقيمها وحجة تثبتها اكثر من قوله :

أنا من أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

عادوا يقولون : قولا آخر ، فاتهموه بالتلفيق والسرقة من الشعراء والإبهام والغلو وغير ذلك مما حدا بالغيورين على الادب ان يدافعوا عنه ، ومن هؤلاء القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ الذي ألّفَ كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه قال في مقدمته كلمة انصاف للعلماء جميعا منها : « التفاضل داعية والتنافس سبب التحاسد ، واهل النقص رجلان رجل أتاه التقصير من قبله وقعد به عن الكمال اختياره فهو يساهم الفضلاء بطبعه ويحنو على الفضل بقدر سهمه ، وآخر رأي النقص ممتزجا بخلقته ومؤثلا في تركيب فطرته فاستشعر اليأس من زواله وقصرت به الهمة عن انتقاله فلجأ الى حسد الأفاضل واستغاث بانتقاص الأماثل .... الى ان قال : وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة ، فمتى وجدت تلك الآثار وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم فان عثر له من بعد على زلة ووجدت له عقب الاحسان هفوة انتحل له عذر صادق او رخصة سائغة ، فإن أعوز قيل : زلة عالم ، وأي الرجال المهذب ؟

● **من أسباب الافتراء** : وربما كان الدافع الى الافتراء طلب الشهرة ، فكثيرا ما يلجأ المغمورون الى المشهورين فيرمونهم بقوارص الكلم وفظائع التهم كما يلجأ القمىء الى القمة فيرجمها بحجر حتى يلفت الناس اليه ، وكثيرا ما يثوب بعض هؤلاء الى رشدهم فيرجعون عما قالوا ويستغفرون مما اساءوا .

وكم ظلم النقد في مطلع هذا القرن امير الشعراء احمد شوقي وشاعر الشعب حافظ ابراهيم ، ورماهما بقوارص الافتراء واتهمهما بالرجعية والتقليد ثم عاد بعد ذلك تائبا نائبا يعرف لهما حقهما ويحفظ لهما فضلهما .

● **في مجال العقيدة** ؟ فاذا ما تطرقنا الى مجال العقيدة وجدنا الافتراء ينسج خيوطه القاسية البغيضة حول بعض الذين اشتهروا بالصلاح والتقوى فيبدىء

ويعيد ، فقال ما قال حول محيى الدين بن العربي والحلاج والشاذلي والشعراني وغيرهم ممن عرف الناس فضلهم وعلو منزلتهم .

في العصر الحديث :

هذه مقدمة لا بد منها لنصل الى ما يريده البعض الآن من هدم القمم الشوامخ ، وإثارة الشبهات حول مواقف سلفنا الصالح عن طريق التشكيك في مواقف جمال الدين الافغاني الذي شهد له العصر بالنزاهة والصدق والاخلاص وحسن الجهاد في سبيل الانسانية والمثل العليا .

من هو جمال الدين ؟

هو كما يقول المرحوم أحمد أمين في كتابه زعماء الاصلاح في العصر الحديث : افغاني الأصل شريف النسب ينتمي إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، جمع الى شرف النسب عزة السيادة فقد كان اهل بيته سادة على عمل من اعمال افغان ، تعلم كما يتعلم شباب زمانه في بلاده«الفارسية والعربية على طريقة تشبه الطريقة الازهرية ولا تمتاز عنها الا بدراسته الواسعة في الفلسفة الاسلامية والتصوف كما هي عادة الفرس الى اليوم ، ودرس في الهند الرياضة على الطريقة العصرية ، وساح سياحة طويلة في الأقطار الاسلامية الى مكة فأكسبه ذلك تجارب عملية واسعة وخبرة بحياة الشرق ، وتعلم الفرنسية وهو كبير ولكنه اتقنها الى حد ما ، ووهبه الله ذكاء حادا وبصيرة نافذة وقدرة على استقصاء الأفكار ودقائق المعاني وحسن التعبير عنها ، مع لسن في الجدل وحذق في الحجة اما اخلاقه فسلامة القلب والحلم الواسع الذي ينقلب الى غضب شديد اذا مس شرفه او دينه ، كريم يبذل ما في يده ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالي ما تأتي به صروف الليالي .

هذه إلمامة يسيرة مستخلصة مما دونه العلامة احمد امين عن (**الافغاني**) .

أما رسالته التي وهب نفسه لها فيلخصها لنا المؤرخ الثبت المرحوم عبد الرحمن الرافعي في كتابه عنه الذي صدر في سلسلة اعلام العرب رقم٦١ ، اذ قال في المقدمة : اذا ذكر الزعماء والمصلحون في الشرق كان هو رائدهم وكان في طليعتهم نهض والناس نيام فكانت دعوته اول نداء دوى في الآفاق أهاب بالأمم الشرقية ان تتحد وتتعاون وتحارب الاستعمار وتقاومه وتحذر اساليبه ومكايده وان تتخلص من النظم الاستبدادية الداخلية التي درج عليها الملوك والرؤساء وتحرر العقول والعقائد من نزعات الجمود والركود وتنطلق الى آفاق الحرية والعلم واليقظة والرقي ، فكانت دعوته التي عاش عليها ومات وغرس فيها افكاره ومبادئه مبعث الحركات القومية التي ظهرت في ارجاء الشرق حينا بعد حين خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

ظل الشرق قرونا وأجيالا رازحا تحت نير الاستعمار والجمود الفكري والتأخر العلمي والسياسي الى ان قيض الله له الحكيم الافغاني فنفخ فيه روح اليقظة والحياة وأهاب بالنفوس ان تنهض وتتحرك وتستيقظ وبالأمم والجماعات ان تتطلع الى الحرية فكانت رسالته الى الشرق مبعث نهضته الحديثة .

كان الأفغاني مصلحا دينيا وفيلسوفا حكيما وزعيما سياسياً جمع بين الزعامات الروحية والفكرية والسياسية واضطلع بكل ذلك معا ، وكان له اثر واضح في كل منها .

الأفغاني في مصر : -

طوف الأفغاني في البلاد الاسلامية مصلحا ومنبها ولكنه حين هبط مصر وجد التربة الصالحة الخصبة ولذلك جاء نزوله فيها - كما يقول الدكتور ابراهيم العدوي في كتابه عن رشيد رضا - : فاتحة عهد عظيم في يقظة الشرق وبناء معهد الدراسات العليا لتخريج القادة وزعماء الاصلاح في شتى ميادينه ، اذ سبق لهذا الاستاذ الكبير أن حاول بذر بذور الاصلاح في البلاد التي طاف بها ولكن دون ان يرى لها نبتا ، ولكن ما أن حل مصر حتى وجد تربتها مهيأة للإصلاح مثل تهيئتها للزراعة ، ولذلك امتدت إقامته في مصر حتى بلغت ثماني سنوات كانت من خير السنين بركة على مصر والعالم العربي .

ولقد ظن الحكام ان إبعاد الافغاني عن مصر سوف يضمن لهم الهدوء والاستقرار ولكن خاب ظنهم فقد استمرت شعلة الاصلاح بعده على يد تلاميذه مشتعلة وهاجة وكان تلميذه الاول وصديقه الحميم الشيخ محمد عبده مثلا اعلى في الكفاح والجهاد ، حافظ على المبادىء التي رسمها مع استاذه الافغاني وسار على دربها ، حتى آتت أكلها على مرور الأيام ناضجة شهية ، ولقد صرح الأفغاني بذلك في أثناء مغادرته مصر فقد قال : مصر أحب بلاد الله إليّ ، وقد تركت لها الشيخ محمد عبده طودا في العلم والحكمة وعلو الهمة .

وإليكم طائفة من أقوال هذا الرجل الحكيم التي تشف عن نفسه وخلقه وفكره وعقيدته :

● في مجال الدفاع عن اللغة والتاريخ يقول : لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ولا عز لقوم لا تاريخ لهم .

● في التحذير من الفرقة يقول : شر أدواء الشرق داء انقسام أهله وتشتت آرائهم .

● في الدعوة إلى الحرية يقول : اذا صح أن من الاشياء ما ليس يوهب فأهم هذه الأشياء الحرية والاستقلال ، لأن الحرية الحقيقية لا يهبها الملك أو المسيطر عن طيب خاطر وكذلك الاستقلال بل هاتان النعمتان إنما حصلت وتحصل عليهما الامم بالقوة والاقتدار .

● في الدعوة إلى القوة يقول : لا خير في حق لا تدعمه قوة . أضعف ما في هذا العصر حق لضعيف لا قوة له . وأقوى شيء باطل لقوى يجعل باطله حقا .

● في مجال العقيدة يقول : من اعتقد الا حياة الا هذه الفانية فقد خسر الأولى والثانية .

من عجز عن إصلاح نفسه كيف يكون مصلحا لغيره ؟

الاستعمار يخشى جمال الدين :

لقد كان الاستعمار يرهب جمال الدين الافغاني ويرقب تحركاته ، وكان هو لا يهادن الاستعمار كان إلبا عليه في كل مكان ولذلك لم يستقر به المقام في قطر من الأقطار .

كان ينظر الى المستبدين من الحكام نظرته ، الى المستعمر ، ولم يخش بأس واحد منهم وهو يعلم ما يكنونه له من حقد ويجمعون له من كيد .

تحاور مع السلطان عبد الحميد ذات يوم وكان الأفغاني يأمل ان يرشد السلطان في اصلاح الدولة ، فكلمه بصراحة وشدة وهو يحرك حبات سبحته فقال له رئيس الامناء بعد انتهاء المحاورة : إن اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل واليوم رأيتك تخاطبه وأنت تلعب بالسبحة في حضرته . فقال الافغاني : سبحان الله ، إن السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الأمة وليس من يعترض منهم ، أفلا يكون لجمال الدين حق في أن يلعب بسبحته كيف يشاء ؟

وكان من الطبيعي أن تتكاتف المؤامرات على حياة الأفغاني للتخلص منه ، انه مات عقب إجراء عملية جراحية ولم تبتعد الشبهات عن هذه العملية الجراحية التي انتهت بوفاته في تركيا في ٩ مارس سنة ١٨٩٧م ودفن بغير اكتراث فيها .

وترك جمال الدين الافغاني افكاره ومبادئه في نفوس تلاميذه ومريديه وعارفي فضله من أمثال الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا وعبد الله النديم وأحمد لطفي السيد ومئات غيرهم ممن تولوا رسالة الاصلاح بعده .

ماذا يريد المفترون ؟

والآن بعد مضى ما يقرب من قرن على وفاة الأفغاني تطالعنا احدى المجلات بسلسلة مقالات عن الأفغاني يحاول كاتبها أن يشكك في هذه الشخصية الاسلامية الكبيرة ،وينسج حولها الافتراءات فيصف الافغاني بأنه غير متدين حقيقة وبأنه كان ينظر الى الدين على أنه مجرد دافع للجماهير لتحصل على الاستقلال وبأنه كان يخرج على الدين جهارا .

وكم بين هذه الافتراءات من تناقض .

ان هذه الاوصاف التي افتريت على الرجل تناقض حقيقته التي عرف بها فقد عرف بالنزاهة والاخلاص وعمق العقيدة والتفاني في سبيل الخير والنفع العام .

الأفغاني ورينان :

وأي دلالة على عمق عقيدته من تصديه للرد على المستشرقين الذين حاولوا النيل من الاسلام ومن تعرضه للرد على الدهريين ؟

فقد جرت في باريس أبحاث بينه وبين الفيلسوف الفرنسي رينان في العلم والاسلام ، حين زعم رينان في محاضرة القاها ان الاسلام لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر ، وقد نشرت جريدة فرنسية هذه المحاضرة ورد عليها الأفغاني ردا مفحما يدل على عمق في العقيدة وقوة في الايمان وتفهم كامل لحقائق الدين ، وقد أكبر رينان - كما يقول الرافعي - هذا الرد ، فالتقى بالأفغاني وتباحث معه وقال : كنت أتمثل أمامي عندما كنت أخاطبه أنه ابن سينا أو ابن رشد أو واحد من أساطين الحكمة الشرقية .

كما رد على ما كتبه الدهريون والطبيعيون ونشر في ذلك رسالة بالغة الحجة قوية الدلالة .

لقد عاش جمال الدين الأفغاني - كما قال الدكتور جابر قمحية في مقال له بصحيفة الأهرام القاهرية - لفكره وعقيدته ولم يتعيش بفكره وعقيدته عاش عمره يضرب في أنحاء الأرض ينثر بذور الاصلاح ويلهب المشاعر وينتصر للعقل في وضوح ، ولو تنازل عن قطعة من كرامته ولو باع ضميره ولو للحظة واحدة لوجد آلافا يغلونه الثمن ، بل كم من أمراء وحكام كانوا على استعداد أن يشتروا سكوته بثروات طائلة ، ولكنه آثر عذاب الجهاد وجوع الليالي ومفارقة الاوطان على استكانة الدعة وسلام الاذلاء فعاش فقيرا ومات فقيرا فهل هذه حياة رجل يعيش على حساب التدين ؟ وهل هذا أسلوب رجل مزعزع العقيدة ؟

ان التدين الحقيقي يعلم صاحبه كيف يكون الثبات على الحق والاستبسال والشرف والشجاعة والتضحية من أجل الدين انهم يريدون التشكيك في تراثنا وعقيدتنا عن طريق التشكيك في أبطالنا وعلمائنا وسلفنا الصالح فإن الشك اذا تطرق لواحد تعداه الى غيره ثم الى غيره وهكذا حتى ينفرط عقد احترام القمم ، ويضعف الايمان بالقيم ، ويتبدد الايمان من النفوس وتهتز الثقة في القلوب ونصبح أمة بدون تاريخ ، امة تائهة القصد ضائعة الهدف .

انه الحقد الذي تتنزى به قلوب بعض الناس فيحاولون كذبا باسم الحقيقة ان يلفقوا التهم للأبرياء وان يفتروا على الأتقياء الشرفاء ولكن هيهات فإن مثلهم كمثل الذي يعنيه الشاعر :

كناطحٍ صخرةً يوما ليوهنها   فلم يضرْها وأوهى قرنه الوعل

الفتاوى

احد الفدائيين كتب رسالة يقول : سقط بعض الزملاء شهيدا في معركة مع العدو وقمنا بدفنه من غير تغسيل . وكان واحد من الزملاء قد جرح ودخل المستشفى وبعد أسبوع توفي ولكنهم غسلوه فلماذا ؟ مع أنه شهيد كإخوانه السابقين الذين ماتوا اثناء المعركة ؟

● اعلم يا أخي أن الشهيد الذي قتل في المعركة لا يغسل باتفاق وفي ذلك نص مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لا تغسلوهم فان كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة وقد أمر صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أُحد في دمائهم ولم يغسلوهم

اما من جرح وعاش مدة تعتبر حياته بها مستقرة فإنه شهيد ولكن يغسل لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل سيدنا سعد بن معاذ وقد أصيب بسهم قطع عرق يده فحمل إلى المسجد فلبث فيه أياما ولما إنتفخ الجرح مات شهيدا ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم غسله وصلى عليه . إذا فقتيل المعركة أو من مات بعد لحظات من المعركة لا يغسل وغيره يغسل أما الصلاة على هؤلاء فيرى البعض عدم الصلاة لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ويرى البعض أنهم يصلى عليهم لأن الصلاة رحمة وزيادة في الأجر فلا يحرمون منها .

هناك نوع آخر من الشهداء مثل من يموت بطعنة خيانة ومن يموت بسبب الحريق أوالغرق أو حادث سيارة أو طائرة والمرأة التي تموت وقت الولادة فهؤلاء يغسلون ويصلى عليهم وقد غسل المسلمون سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا عليا رضي الله عنهم أجمعين وأقيمت عليهم الصلاة وهم من غير شك شهداء .

كذلك يصلى على من مات في حرب على العصاة وسئل أحد الصحابة هل يصلى على شارب الخمر قال نعم لعله إضطجع مرة على فراش فقال لا إله إلا الله فغفر له .

يقول نعرف ان لبس الحرير حلال للنساء حرام على الرجال لكن لو إستعملناه للجلوس يكون جائزا ام لا ؟

كما ورد نص في تحريم لبس الحرير ورد ايضا في تحريم الجلوس عليه ففي البخارى أن حذيفة رضي الله عنه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن ناكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه .

فالحديث صريح في تحريم أواني الذهب والفضة والأكل أو الشرب فيها وتحريم ذلك يستوي فيه الرجال والنساء وتحريم اتخاذ الحرير مظهراً من مظاهر الترف فالجلوس عليه واتخاذه مفارش وعمل الستائر غير جائز والحكمة من ذلك تطهير البيت المسلم من الاسراف ومظاهر الترف وفي ذلك كسر لقلوب الفقراء .

وليس في هذا تضييق على المسلم في استعمال الزينة ،فالزينة مطلوبة قال تعالى:قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ،ولكن الزينة ليست قاصرة على الذهب والفضة والحرير فهناك معادن اجمل من الذهب والفضة ويمكن استعمال مفارش وستائر وكسوة المخدات والكنفات من القطن والكتان واحيانا تكون اجمل من الحرير بكثير وبهذه المناسبة تحريم الحرير لا يشمل ما يتخذه الناس من تطريز على الثوب المعمول بالإبرة والمركب على العباءات مسموح بكل ذلك بحيث لا يزيد عن مقدار أربعة أصابع لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير إلا موضع اصبعين أو ثلاثة أو اربعة .

إحدى القارئات في الكويت تقول أنوي على العمرة في الأيام القادمة ان شاء الله فاذا جاء العذر وأنا في الطريق ماذا افعل ؟

● يشترط لصحة الطواف الطهارة من الحدث الأصغر والحدث الأكبر لأنه مثل الصلاة فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطواف صلاة الا أن الله تعالى أحَلّ فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم الا بخير ..

كما تلبث ان الرسول صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة رضي الله عنها فوجدها تبكي فقال انفست ؟ يعني جاءك الحيض قالت نعم قال ان هذا شيء كتبه الله على بنات آدم فاقضي ما يقضي الحاج غير الا تطوفي بالبيت حتى تغتسلي فالعذر الشهري وكذلك النفاس يمنع من الطواف، العمرة جائزة طول السنة الا انها مكروهة في يوم عرفة وعيد الأضحى وأيام التشريق ولكنها في غير هذه الأيام جائزة طول العام ومن الممكن أن تقدمي السفر أو تتأخري حتى تأتي الدورة وتطهري منها تفاديا من الحرج كما انه يجوز تعاطي الحبوب لتأخير الدورة فأنت بالخيار

في هذه الأمور .

وبالمناسبة من به عذر دائم مثل سلس البول ومثل المستحاضة يعني التي يستمر نزول الدم عندها هما من أصحاب الأعذار بمعنى ان صاحب العذر يطوف مع وجود العذر ولا شيء عليه غير أنه يحتاط من أن يصيب المسجد نجاسة وعمرة صاحبة العذر صحيحة **وما جعل عليكم في الدين من حرج** .

فهد أحمد سالم من أبوظبي يقول :

في أيام المطر نجد بعض المساجد تجمع بين صلاتين وبعضها لا يجمع فلماذا لا تقوم المساجد كلها بالجمع أو تترك الجمع واحب أن أعرف الحالات التي يجب فيها الجمع ؟

● الجمع من أجل المطر ليس واجبا وانما هو رخصة يجوز العمل بها ويجوز عدم العمل بها وثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين المغرب والعشاء في ليلة مطيرة تخفيفا وتيسيرا على الناس ، بعض الفقهاء يبيح للمقيم أن يجمع جمع تقديم بين الظهر والعصر يعني يصلي العصر بعد صلاة الظهر في وقت الظهر وكذلك يقدم صلاة العشاء ويصليها عقب صلاة المغرب ويشترط لذلك نزول المطر وقت الصلاة .

وبعضهم يقتصر في الجمع على المغرب والعشاء فقط تقديما وتأخيرا لو كان فيه وحل أو برد شديد أو مطر يبلل الثياب أو مطر متوقع نزوله .

وهذه الرخصة :

لمن يصلي جماعة في مسجد يسعى الناس اليه من بعيد

اما من يصلي في مسجد امام بيته أو يصلي جماعة في بيته أو يصل بسيارته الى المسجد ولا يؤذيه البرد أو المطر فإنه لا يجوز له الجمع .

وأجاز الفقهاء الجمع بسبب المرض وهو الذي يسبب لصاحبه مشقة وضررا لو لم يجمع لأن المشقة في المرض أشد من المطر فإذا أبيح في المطر يكون مباحا في المرض من باب أولى والحنابلة توسعوا في ذلك أكثر من المذاهب الأخرى فأباحوا الجمع للمرضع التي يشق عليها غسل الثياب في كل صلاة ولأصحاب الأعذار مثل المستحاضة ومن عنده سلس بول ولمن خاف على نفسه أو ماله أو عرضه عملا بقوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» .

احمد الحاج علي من مسراطة ليبيا يسال عن الحَمَام الغريب الذي دخل برج السائل هل هو حلال أم حرام ثم يسال عن كيس وجد بداخله سلسلة ذهبية وعشرين دينارا وعرف عنه ولم يجد صاحبه ومازال محتفظا به ماذا يعمل ؟

● بالنسبة للحمام اما انه يكون بريا لا صاحب له فهو حلال لصاحب البرج لان البرج كشبكة الصياد وما يقع فيه من صيد حلال .

اما الحمام الأهلي الذي يأتي من منازل أو أبراج مملوكة لآخرين لا ينبغي حبسه ليرجع الى صاحبه وان تعرف عليه صاحبه سلمه اليه وان بقى الحمام في البرج ولم يعرف له صاحب يكون حكمه حكم اللقطة يعرف عنه مدة ثم يأكله ان كان فقيرا ويتصدق به ان كان غنيا مادام قد يئس من معرفة صاحبه .

وبالنسبة للكيس فانه يجب عليك ان تعرف عنه وتذكر علامات الكيس وان بداخله قطعة ذهبية وبعض النقود في المكان الذي وجدته فيه وفيما جاوره والتعريف الآن ميسور في الصحف والاذاعة والتليفزيون فإن جاء صاحب الكيس وذكر بالتفصيل ما في داخله فادفعه اليه واذ لم يظهر له صاحب واصل التعريف لمدة سنة فإن لم يظهر بعد سنة حل لك أن تتصدق بما فيه او تنتفع به وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللقطة توجد في سبيل العابرة يعنى ليس في الخراب قال عرفها حولا فإن وجدت باغيها فأدها اليه والا فهي لك .

والى لقاء آخر إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله ..

ردود قصيرة

الأخ عتيق الرحمن محمد عزيز المباركفوي من الهندي

ننشر الاجابة كما طلبت في المجلة وهي كالآتي :

أ - حكم العقيقة انها سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلها اصحابه روى اصحاب السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا .

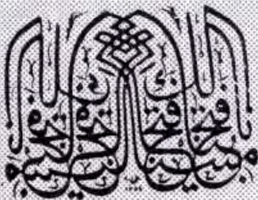
ب - اذا مات المولود قبل اليوم السابع فالعقيقة غير مطلوبة فهي تذبح عنه ابتداء من اليوم السابع لو كان المولود حيا .

جـ - الأحكام التي تجرى في الأضحية هي نفس الأحكام في العقيقة غير ان العقيقة لا تجوز المشاركة فيها بخلاف الأضحية فالمشاركة فيها جائزة ومن الأفضل في العقيقة ان يذبح عن الغلام شاتان متقاربتان في السن وعن البنت شاة .

ويجوز ذبح شاة واحدة عن الغلام كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

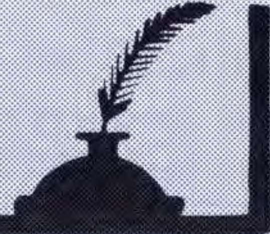
الأخ لعنيبر عبداللطيف المملكة المغربية

● تارك الصلاة كفرا وجحودا بها كافر لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فما يؤديه من أعمال أخرى مفروضة أو نوافل فهي غير مقبولة وتارك الصلاة كسلا مع إيمانه بفرضيتها يعاقب على تركها ويثاب على الطاعات الأخرى اذا أداها مستوفاة .





بأقلام القراء



التربية الاسلامية للمرأة

كتبت الأخت / سامية عبد اللطيف تحت هذا العنوان تقول :

مما لا شك انه كلما اتجهت المرأة العربية نحو الأخذ بأسباب المدنية الحديثة زادت الحاجة إلى إعادتها إلى مظلة الدين الاسلامي الحنيف ، والتمسك بمبادئه الانسانية والتربوية . ذلك لأنه من المؤسف أن كثيرات ، ولا أقول كل النساء ، قد أغراهن تيار المدنية الحديثة فسرن في هذا التيار مسارا خاطئا ، ذلك لأن هؤلاء النساء قد أخذن الجوانب السلبية من هذه المدنية الغربية وتركن جوانبها الايجابية . وأصبحت الفتاة أو المرأة العاملة وغير العاملة تباهي بارتداء الملابس التي تكشف عن مفاتن جسدها وتغالي في وضع المساحيق والألوان باسم المدنية . فالملابس تارة قصيرة وأخرى شفافة ، وثالثة ضيقة ، والوجوه سافرة والسيقان عارية تقريبا . وفي البلدان العربية التي تعمل فيها المرأة تنال الكثير من جراء الاختلاط سواء في أماكن العمل نفسها أم في وسائل المواصلات العامة مما يبعد بها كثيرا عن الاحتشام وآداب الدين ، وذلك بحجة العمل وضروراته أو المدنية وبريقها . وإذا كانت المرأة حقيقة نصف المجتمع ، فإن هذا أدعى إلى أن توجه الدول العربية والاسلامية جل اهتمامها إليها . وأن تلزمها وتلزم أصحاب الأعمال الذين تعمل عندهم المرأة بالتحشم في ملبسها وفي سلوكها وفي مظهرها وان تفرض عليها العقوبات في حالة خروجها على السلوك القويم وأن تأمرها بالاحتشام والتحلي بآداب الدين الاسلامي الحنيف ـ ليست هذه مجرد دعوة لارتداء الحجاب ، وإنما هي صيحة لكي تعود المرأة العربية والاسلامية إلى ظلال الدين وإلى التمسك به قولا وفعلا وإلى أن تغذي فكرها وعقلها ووجدانها بالثقافة الاسلامية ، وأن تنهل ـ بكل شغف ـ من مناهل الدين العذبة ، وأن تستمتع بحياة التقوى والورع والصلاح والعفة والحياء ، وأن تنبذ التبرج والسفور والتفرنج والتزين القبيح ، وأن تبتعد عن الاسترجال والجرأة الزائدة في الاختلاط بالجنس الآخر .

ولها في القرآن الكريم والسنة

المحمدية والشريعة الاسلامية أسوة حسنة ودستور قيم للتمتع بالحياة الراقية والسامية والرفيعة في هذه الرحاب الطاهرة. وليس للنظريات المادية الغريبة عن المناخ الاسلامي من فائدة سوى أنها تحيل جسد المرأة إلى متاع رخيص. أما القيمة الحقيقية فهي في كل ما هو عفيف وسام ورفيع وأخلاقي وروحاني، تلك هي السمات الباقية والدرر الغالية في المرأة. فالقرآن يدعوك، أيتها الأخت المسلمة، إلى التحلي بجمال الحياء والبعد عن كل ما هو قبيح، والتحلي بطهارة النفس ويقظة الضمير.

فالحياء يزيد صاحبته جمالا ووقارا ويدفع الناس إلى احترامها وتقديرها.

والحياء يختلف عن الجبن والضعف.

وهي وإن كانت مطالبة بالاتصاف بالحياء إلا أنه لا ينبغي أن تستحي من قول الحق أو فعله. والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يؤكد أهمية الحياء ويجعله جزءا أساسيا من الايمان كما في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم والترمذي «الحياء من الايمان» والمفروض أن يستحي الانسان أولا من ربه سبحانه وتعالى، ثم يستحي من الناس، ثم عليه أن يستحي من نفسه، وأن يكون له ضمير حي قادر على دفعه لعمل كل ما هو خير وكل ما هو جميل نافع والبعد عن كل ما هو قبيح أو مذموم. وليس هناك أبلغ من قول الرسول الكريم في الحياء «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». رواه البخاري والانسان العاقل يستحي من العار ومن العيب ومن القبيح ومن كشف العورة ومن الجرائم والآثام ومن الضلال ومن الزنا ومن الربا. وقد تدعي المرأة أنها لا تستحي من أحد وأنه لا يهمها حكم الآخرين عليها، طالما كانت هي في نظر نفسها، سليمة النية.

ولكن الحقيقة أن لحياة المرأة جانبين كليهما هام وضروري: وهما: مظهرها الخارجي، وحكم الناس عليها، وسلوكها الظاهري ثم نيتها الداخلية أو داخليتها. ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول «من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله تعالى» رواه الطبراني ولذلك توصف المرأة عندما تحيد عن جادة الصواب بأنها خلعت برقع الحياء. ولا بد إذن من الاهتمام بالمظهر نفس الاهتمام بالمخبر.. وإذا تمسكت المرأة بالحياء فإنها سوف تتحلى بالطاعة والطهارة والعفة والبعد عن المعاصي.

وعلى ذلك تشعر المرأة دائما بأن الله تعالى ينظر إليها في رواحها وغدوها في سرها وعلانيتها، وعلى ذلك تكون حيية حتى في غيبة الناس عنها ولعلك تؤمنين معي، أختي المسلمة، بأن «قلة الحياء» من أمراض هذا العصر وآفاته.

ولذلك فأنت مدعوة لا للتحلي به فحسب، وإنما لغرسه في أبنائك وبناتك وفي أخواتك وإخوتك، في الدين وفي العروبة.

انقذوا لغة القرآن الكريم

تحت هذا العنوان كتب الصديق الأخ/لؤى احمد مصطفى - بالجامعة الأردنية - الأردن - يقول :-

إن معجزة الاسلام الكبرى وهي القرآن الكريم الذي أنزله رب العزة جل وعلا على نبي الإسلام الأعظم محمد بن عبدالله كان بلغة أهل الحجاز وهي اللغة العربية .

ويدلنا ذلك على أن اللغة العربية قد كُرِّمَتْ من قِبَلِ الله عز وجل بأن جعلها لغة قرآنه الكريم الكتاب الخالد ولا يقرأالقرآن الا بها ولا تجوز صلاة بغير العربية إذن هذه اللغة اختصت من السماء بعناية وتكريم .

فلغة القرآن الكريم (اي العربية) تمر هذه الأيام بمحنة ما بعدها محنة وهي إهمالها وجعلها شيئًا من التقليد فدعوتنا الى الاهتمام باللغة العربية نابع من حِسّ إسلامي صادق لأنها الوسيلة الى فهم كتاب الله وتدبر آياته فكلما زاد فهمنا للغة العربية زاد فهمنا لكتاب الله جلّ وعلا .

فهناك ضعف عام لدى الناس في الوطن العربي في اللغة العربية وا لذي بالتالي ينعكس على ثقافتهم الإسلامية وهذا ما نخشاه ونخافه .

فنسألك ربي أن تعيد لهذه اللغة المقدسة مكانها اللائق والاساسي لأنها وسيلة لفهم كتابك العزيز فكل علم من علوم هذه اللغة مهم لفهم الأعجاز القرآني فمثلا التذوق الجمالي والبياني لمعاني هذا الكتاب العظيم يزيدنا إيماناً .

كذلك دراسة النحو العربي تفيد إفادة كبرى في قراءة القرآن قراءة صحيحة وان القراءة الخاطئة قد تنتج فهما خاطئا وبالتالي التطبيق الخاطىء .

وكذلك فضل الصرف وغيره من أمور اللغة وفقه اللغة للتميز بين معاني الكلمات مثال العبودية وكيف تتنوع معانيها ففي واقع الناس هي الذل والمهانة ولكنها في القرآن الكريم بمعنى التقرب الى الله وشرف الإنتساب إليه كذلك اللغة العربية هي جزء من هوية الأمة الإسلامية إن ما يميز الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم لغتها إضافة لدينها الحنيف ورسالتها السامية .

فعندما يفقد الإنسان هويته يقبع في غياهب التيارات والأفكار المطروحة على الساحة وبالتالي تكون شخصية مستقلة للأمة الاسلامية هي بداية الطريق في بناء مجتمع إسلامي متكامل قادر على الوقوف في وجه التحديات والأفكار المطروحة .

وبالتالي فهم اللغة يؤدي الى فهم القرآن الذي يحوي أسرار الكون وتوجيه الإنسان لاستغلال هذا الكون لخدمته وخدمة دينه .

واللغة وسيلة للدفاع عن الإسلام وأعداء الإسلام فهي وسيلة إعلام يجب الاهتمام بها

إذن اللغة أمانة والحفاظ عليها واجب مقدس فحافظوا على لغة الإسلام لغة كتاب الله العظيم من الضياع والهلاك والله على كل شيء قدير .

مع الصحافة

يميل عدد من المراقبين السياسيين الى الاعتقاد بأن عام ٨٤ سوف يكون عام الحلول : حلول المشاكل المستعصية . وربما يكون لهذا الاعتقاد دوافع نفسية أكثر من المسوغات الموضوعية ، فلعلهم ينزعون الى التفاؤل في مطلع العام ، او لعلهم لايتصورون أن يحدث ماهو أسوأ مما حدث في عام ٨٣ من الأزمات والقلاقل والاضطرابات .

على كل حال هناك محاولات سياسية قد تعزز هذا التفاؤل كالمساعي التي تبذل للوصول الى « حل سياسي » للمشكلة الفلسطينية مثلا ، بيد أن هناك ايضا مجموعة من الأحداث نجمت مع مطلع السنة الميلادية ، وهي تضيف سلسلة جديدة من القضايا الى جدول المشكلات المستعصية ، وتزيد من صعوبة الوصول الى مايشبه الحلول التي يتفاءل بها المتفائلون . ففي الشهر الماضي عادت الاشتباكات المسلحة على أشدها الى الساحة اللبنانية ، في الوقت الذي يخوض فيه اهل الجنوب اللبناني حربا متواصلة ضد قوات الغزو الصهيوني ، ويحققون فيها انتصارات يومية تكبد العدو خسائر مستمرة ، وتضطره الى الانسحاب . وقامت طائرات العدو الصهيوني بغارة وحشية على بعلبك وضواحيها ، وصفت بانها أخطر غارة وأبشعها خرابا وقتلا وأكثرها ضحايا منذ غزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ . وفي فلسطين المحتلة يمعن العدو الصهيوني في الحرب ضد فلسطينيي عام ٤٨ ، ويعد قائمة تضم ٩١٨ منزلا فلسطينيا في الضفة الغربية سيتم هدمها ، في نطاق اجراءات تتعاون عليها حكومة العدو والحركات اليهودية المتعصبة كحركة « غوش ايمونيم » بغية الضغط على الفلسطينيين وطردهم .

وفي لبنان يدور الحديث عن مشروع اوروبي لانشاء دولة فيدرالية في لبنان تتكون من خمس وحدات اقليمية ، كما ذكرت مجلة النهار العربي والدولي اللبنانية . وفي تونس قتل ـ كما ذكرت مصادر الحكومة التونسية ـ ثمانون شخصا في اضطرابات شعبية اطلق عليها بعض الصحفيين ثورة الخبز . وفي نيجيريا سيطر العسكر على السلطة في انقلاب ساهمت فيه عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية .

هذه لمحات موجزة لأبرز الاحداث التي عنيت بها الصحافة العربية والعالمية ، فاذا اضفنا اليها مالم يحظ بمثل هذا الاهتمام من مشكلات اخرى وجدنا ان الميل الى التفاؤل بحلول للمشاكل المستعصية ليس سوى رغبة نفسية او قد يكون مجرد خيال .

○ المقاومة الشعبية ضد العدو الصهيوني

نشرت صحيفة الوطن الكويتية في ٦ ربيع الآخر تعليقا على العمليات التي يقوم بها الشعب اللبناني في الجنوب ضد العدو الصهيوني بعنوان « نعم هذا هو الحل » جاء فيه :

في اربع وعشرين ساعة شهد الجنوب اللبناني اربعة احداث من التصدي للاحتلال الصهيوني ، باطلاق القنابل والمتفجرات ، او اقامة الكمائن وتفجير السيارات ، تذكيرا لجيش العدو الاسرائيلي بوجوب الرحيل فورا عن تراب لبنان .

ومثل هذا التحرك الوطني ، بالرغم من فداحة الثمن الذي تدفعه جماهير الجنوب اللبناني لادامته ولتلقي نتائج ردود الفعل الصهيونية الحاقدة عليه ، هو وحده السبيل لتحرير لبنان من احتلال يبدو انه يريد لنفسه الاستمرار الى مالا نهاية ، وبخاصة بعدما وضح لكل ذي عينين ان عملية ما سمي بسلامة الجليل ، وقد بدأت في ٦ يونيو ١٩٨٢ ليس هدفها ـ كما زعم العدو في بدايتها ـ ابعاد الثوار الفلسطينيين عن حدود بلادهم مسافة اربعين كيلو مترا ، انما هدفها ان يقتطع الاسرائيليون « نصيبهم » من لبنان وفقا لمشروع التقسيم الاميركي الذي افتضح مؤخرا والداعي الى تمزيق القطر اللبناني الى ثلاثة اقسام يكون احدها لاسرائيل والثالث للموارنة بقيادة الكتائب وآل الجميل ! .

واذا كانت جماهير الجنوب اللبناني قد تأخرت في مباشرة دورها في المقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلي .. فيكفي انها وضعت في الاسابيع الاخيرة حدا لصبرها النافذ ، وبدأت ماكان ينبغي عليها ان تبدأه منذ اندفعت قوات اسرائيل الى اجتياح لبنان .

○ منظمة التحرير بعد طرابلس

عنيت الصحافة العربية والعالمية بالمساعي التي تبذل على صعيد القضية الفلسطينية بعد خروج رئيس منظمة التحرير ياسر عرفات من طرابلس ، وزيارته مصر . حول هذا الموضوع نشرت صحيفة الغارديان البريطانية مقالا في اوائل ربيع الآخر جاء فيه :

حتى الآن نجح الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات في احكام قبضته الشخصية على مؤسسات فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية ، أو ما تبقى منهما ، بعد ابعاده عن طرابلس وبعد زيارته المثيرة للجدل للرئيس المصري حسني مبارك .

لقد امتنعت اللجنة المركزية في بيان لها من تونس ليلة الاربعاء الماضي عن توجيه نقد جاد للاجتماع مع مبارك وقالت ان ماوصفه عرفات بأنه كان « اجتهادا شخصيا » كان « مفاجأة » لكنها في الوقت نفسه اكدت على « الدور القيادي » لمصر في العام العربي وعلى الحاجة لاسترداد هذا الدور .

وقررت اللجنة المركزية تكوين لجنة فرعية خاصة لدراسة العلاقات مع مصر . كما دعت لتطوير العلاقات بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية للعمل من أجل مشروع السلام العربي الذي اقرته قمة فاس في سبتمبر ١٩٨٢ .

وفي تطور رئيسي آخر طرد المجلس العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية من بين صفوفه المعارض الرئيسي لعرفات العقيد ابو موسى زعيم المعارضة في فتح واربعة آخرين

من قادة الفدائيين ومن ضمنهم احمد جبريل زعيم الجبهة الشعبية ـ القيادية العامة ـ المؤيدة لسوريا .
وقالت مصادر دبلوماسية ان عملية الطرد هذه كانت محاولة لتحطيم الفئات المنشقة داخل المنظمة .

وجاءت نجاحات عرفات في الوقت الذي دعا فيه الملك حسين ملك الاردن لعقد دورة طارئة للبرلمان فيما اعتبر محاولة لاحياء محادثات السلام في الشرق الاوسط ليكون هو نفسه في قلبها بقوة . وفي الوقت نفسه يحاول الملك مرة اخرى ـ لكن من موقف اقوى كثيرا الان من قبل ـ اشراك عرفات في خططه . هذا ولم تجر انتخابات عامة في الاردن منذ ماقبل احتلال اسرائيل للضفة الغربية من الاردن عام ١٩٦٧ . وتم حل البرلمان مباشرة بعد القمة العربية في الرباط في نوفمبر ١٩٧٤ التي اعترف الملك حسين فيها بمنظمة التحرير الفلسطينية « ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني » ، متنازلا من الناحية النظرية لعرفات عما فقده ماديا للاسرائيليين .

○ الغارة الوحشية الصهيونية على بعلبك

تعتبر بعض الصحف الغارة التي شنتها طائرات العدو الصهيوني على بعلبك دليلا على موقف الضعف أمام المقاومة الشعبية في الجنوب ، ولاشك في ان ذلك صحيح كل الصحة ، فلم يكن العدو الصهيوني ليذعن منذ غزوه للبنان عام ٨٢ الا للضربات الموجعة التي تعرضت لها قواته في الجنوب ، تلك الضربات التي تدفعه دفعا حثيثا الى الانسحاب السريع .

حول هذا الموضوع نشرت صحيفة الموند الفرنسية في أوائل ربيع الآخر مقالا جاء فيه :

الغارة الاسرائيلية الجوية على بعلبك وضواحيها ، هي الاشد خطرا والابشع خرابا وقتلا والاوفر ضحايا منذ غزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ .
فلقد اثبتت التجارب من قبل ، كما اكدت نفسها في ٤ يناير الجاري عدم قدرة اسرائيل للدفاع عن قواتها البرية ازاء العمليات المتصاعدة التي تشنها القوى الوطنية اللبنانية ، في الجنوب .
وهذا هو السبب نفسه الذي دفع بالقيادة العسكرية الاسرائيلية لاتخاذ قرارها الاخير بسحب قواتها من مدينتي صيدا وصور . ويجب أن نعرف انه ، منذ بداية الحرب الحقيقية في اعقاب غزوها لبنان ، سقط من الاسرائيليين مئتان وثمانية قتلى بالاضافة الى ثمانمائة جريح في جنوب لبنان وحده .

والاعتداءات الاسرائيلية هذه من شأنها أن تزيد من كثافة وقوة المقاومة اللبنانية في الجنوب وأن تزيد من مناعتها وحركتها وتنشط معها العمليات الفدائية التي تقوم بها ضد الجيش الاسرائيلي المحتل ، والذي يعزز مواقعه الى الجنوب من نهر الأولي ولكن البعض يتساءل بصدد هذه الغارة الاسرائيلية الواسعة : بمثل هذه الضربة المتوحشة ، الا تريد اسرائيل التدليل ، مرة اخرى بعد مرات سابقة بانها ، في مثل هذه اللحظة حيث يمتد خيط امل رفيع لامكانية قيام مصالحة وطنية شاملة في بيروت ان لا مصالحة ولا تسوية ممكنة في لبنان بدون موافقتها هي ؟

○ انقلاب نيجيريا

تحظى نيجيريا بأهمية خاصة لأسباب عدة : فهي ـ كما توصف ـ « عملاق افريقيا » مساحتها ٩٢٣ ألف كم٢ وفيها من السكان مئة مليون نسمة أكثرهم من المسلمين ، وهي سابع البلدان المنتجة للنفط في العالم ، ومن المعتقد أن مايطرأ على أوضاع نيجيريا يؤثر على نحو أو آخر في البلدان المجاورة لها .
حول الانقلاب العسكري في نيجيريا وأوضاعها العامة نشرت مجلة المستقبل في عددها ٣٥٩ للسنة السابقة مقالا جاء فيه :

تكاد نيجيريا تشبه العديد من البلدان التي غرقت في نعيم النفط . فهي الدولة السابعة في انتاج النفط في العالم . ولذلك كان طبيعيا ، مع ارتفاع اسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣ ، ان تشهد « سبع سنوات سمان » فالنفط يشكل ٩٠ بالمئة من صادرات نيجيريا و ٨٠ بالمئة من الدخل القومي النيجري . ففي عام ١٩٧٩ كانت نيجيريا تصدر ٣ر٢ مليون برميل يوميا . ونتيجة لهذا الدخل الكبير وغير المتوقع ، دخلت نيجيريا في دائرة « البذخ » على جميع الاصعدة . وقامت الحكومات المتعاقبة بتحضير مشاريع ضخمة استهلكت انتاج النفط لسنوات . وما ان جاءت مرحلة انخفاض الاسعار والطلب على النفط ، حتى سقطت نيجيريا في دائرة العجز المالي ، وتحولت بين ليلة وضحاها من دولة تقرض جاراتها ، الى دولة تستقرض الأموال ، حتى من البنك الدولي بكل شروطه القاسية . وبهذا تحول « العملاق » الى « عملاق مريض » ، يتخبط في سعيه للخروج من أزماته المتلاحقة .

وكانت التجربة النيجيرية الأولى مع النظام الديمقراطي ، فسلم العسكر ، قبل اربع سنوات ، البلاد للمدنيين وتم انتخاب الرئيس شاغاري رئيسا للدولة الاتحادية . وقام في آب (اغسطس) من العام الماضي بتجديد رئاسته فترة ثانية بواسطة الانتخاب بأغلبية كبيرة . لكن الذي حصل ان شاغاري تسلم البلاد ، وهي في بداية مرضها النفطي ، فبعد ان كانت نيجيريا تنتج وتصدر ٣ر٢ مليون برميل يوميا ، أصبحت تصدر في عام ١٩٨٢ ، حوالي ٣ر١ مليون برميل يوميا ، اي انخفض انتاجها حوالي ٤٥ بالمئة . كذلك فان سعر البرميل انخفض الى ٢٩ دولارا لا بل اكثر من هذا فان نيجيريا باعت نفطها في السوق السوداء ، بسعر لا يتجاوز ٢٢ دولارا للبرميل الواحد .

ولم تقف حدود كارثة النفط هنا على اقتصاد البلاد . فقد غرقت نيجيريا ، خلال موجة المد النفطي ، في فساد مالي مريع ، نتيجة لأعمال السمسرة والرشوة . واذا كانت أموال النفط المتوقعة قد حجبت انعكاسات هذا الفساد في السنوات الاولى الا انه مع بداية الأزمة ، خرجت امراض الفساد الى السطح ، خاصة في السنوات الأخيرة . وقد بلغ الأمر حدا جعل احد الموظفين الكبار في قطاع النفط يستولي على ٢٢ مليار فرنك فرنسي ببساطة ، والأسوأ من هذا انه عندما اكتشف امره ، لم يلق القبض عليه ، ولا حتى اعلن عن اسمه ، وانما فقط تم التفاهم معه على اساس ان يعيد المال الذي استولى عليه للخزنة . ثم استشرى الأمر اكثر ، فاصبحت شوارع واوتوسترادات نيجيريا ، خاصة العاصمة لاغوس ، خالية من السيارات بعد التاسعة ليلا ، نتيجة للحوادث العديدة التي وقعت والتي طالت بعض المسؤولين انفسهم . وقد وصل الأمر الى درجة ان قائد شرطة لاغوس قال في تصريح له « لقد اصبحت السرقة جزءاً من النظام . لقد أصبحت جزءاً من القطاع الخاص الناشط في البلاد » .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	:	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
		الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
		الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	:	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	:	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .



طباعة موسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٤ جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ - مارس ١٩٨٤م



هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما
في الأرض من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه
إلا بما شاء وسع كرسيه السموات
والأرض ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم

كتبه الحاج أحمد الكامل ١٣٤١ رئيس الخطاطين غفر ذنوبه

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٤ / جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ . (مارس -ابريل) ١٩٨٤ م .

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنـان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونـس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

«فأصبحتم بنعمته إخوانا»

جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية وجورها إلى نور الاسلام وعدله ، وكانت بعثته نهاية لعهد الظلم والقسوة والتمزق والضياع وبداية لمنهج التراحم والتعاطف والتآخي والارتباط بهدي الله ، واستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه من ربه أن يكوّن من عرب الجزيرة في فترة وجيزة أمة تحمل رسالة وتنشىء حضارة ، وتصنع تاريخا حافلا بالأمجاد

وفي البداية كانت دار الأرقم عند الصفا في مكة مركز التجمع وملتقى القلة المستضعفة من المؤمنين ، وحدت العقيدة بينهم ، وملأت قلوبهم صلة بالله في ظلال الحب والترابط والاعتصام بحبل الله ، واستمرت هذه التربية الايمانية بعد الهجرة على نطاق واسع في المدينة ، وفي المسجد ، تعهد النبي أصحابه بأدب الاسلام ، رباهم على منهج الله من طلوع الفجر إلى غسق الليل ، وبالمؤاخاة وضع أساس التضامن الاسلامي ، وبالاخاء ذابت عصبيات الجاهلية ، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن ، وكان الاخاء مصدر قوة تحمي الدعوة وتحرس الاسلام ، وكان المسلمون الأولون بهذا الترابط عباد الله إخوانا ، ولو كانوا عبيد أنفسهم لتنازعوا وذهب ريحهم وانتكست رايتهم . وقد ظهر أثر هذا الترابط على درب الصراع الطويل بين الحق والباطل ، ففي بدر على سبيل المثال انتصرت الفئة المؤمنة على قلتها ، واندحرت الفئة الباغية على كثرتها ، لأن المؤمنين دخلوا المعركة على قلب رجل واحد ، بعد أن أعلن المقداد بن عمرو كلمة المهاجرين ، وقال يا رسول الله : والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكنا نقول لك : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

ثم قام سيد الأنصار سعد بن معاذ يعلن تضامن الأنصار بكلمة جاء فيها : فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ..

وسجل التاريخ كثيرا من مواقف بطوليةقامت على التضامن والاخاء بعد أن أصبحوا بنعمة الله إخوانا .

وباستعراض سريع للأحداث التي اعترضت طريق الدعوة من بدايتها إلى وقتنا المعاصر ، نرى التيارات المعادية للاسلام والمسلمين تتعاون جبهاتها في تخطيط منظم حاقد للنيل من هذا الدين والقضاء على أمته بغزو فكري يواكب أو يعقب الغزو العسكري ، كما أن التيارات التي يواجهها المسلمون اليوم هي نفسها التي واجهها أسلافنا وصارعها آباؤنا وأجدادنا على امتداد خمسة عشر قرنا من الزمن .

في مكة واجه النبي صلى الله عليه وسلم التيار الجاهلي فما نال منه الوعيد ولا التهديد وأمام إغرائهم له بالملك والسيادة وبريق الذهب والمال قال كلمته الخالدة : (**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**) .

وفي المدينة واجه ومن معه من المؤمنين تآمر اليهود ومكر المنافقين ومهاجمة المشركين ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما

استكانوا حتى أيدهم الله بالنصر المبين ، وما انتقل النبي إلى ربه حتى ارتفعت أعلام الاسلام في كل مكان وازدحمت المدينة بالوفود التي تعلن إسلامها وسلامها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم انتقلت المعركة إلى جبهة اخرى خارج الجزيرة ، وتصدى المسلمون للتيار الإلحادي والقوى المعادية من الفرس والروم ، وتمت تصفية الحساب معهم في عهد الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه ، وكرد فعل لهزيمة المجتمع المجوسي أخذت فلول الوثنية تكيد للاسلام من وراء اقنعة تختلف صورها وأسماؤها ، وتلتقي كلها في مستنقع الالحاد والحقد الدفين ، ثم اتصلت حلقات هذا العداء حتى ظهر سافرا في الزحف التتري المخرب الذي اتى على كل مقومات الحضارة والرقي في كثير من الدول الاسلامية ، حتى انهم اقاموا الجسور على دجلة من الكتب الاسلامية التي وجدوها في مكتبات بغداد ، حتى أوقف هذا الاعصار المدمر القائد المسلم المظفر قطز في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، كذلك منى المسلمون بتسع حملات صليبية وتمت تصفية هذا الغزو الصليبي في موقعة حطين على يد صلاح الدين الأيوبي ، وتم طردهم نهائيا على يد القائد المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ ، وعاد الغزو الصليبي كالذئب الجريح يجر أذيال الخيبة ، ولكنه دعم الاستعمار والحركات الصهيونية وحركات التبشير وغير ذلك من الحركات الهدامة التي اصطدم بها الاسلام في الماضي ، ويلقى منها المسلمون القلق والمعاناة في الوقت الحاضر .

ولكن لماذا انتصر المسلمون الأولون على كل القوى المعادية ، وهم لم يبلغوا ما بلغناه من أعداد بشرية وطاقات مادية ؟ ذلك لأنهم استجابوا لله وللرسول وواجهوا الأعداء بسلاح الايمان صفا واحدا ، وقلبا واحدا ، تحت لواء لاإله الا الله محمد رسول الله ، كانوا أمة واحدة كما أرادها الله تعالى بقوله :

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) . الأنبياء/ ٩٢

سدوا منافذ الفتنة وما سمحوا بثغرة في كيان الأمة تطل منها نار الفرقة ، بل استجابوا لقول الله تعالى : **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)** الأنفال/ ٤٦

وأبناء هذه الأمة وهم من سلالة هؤلاء الأبطال،أعدادهم البشرية بلغت الآن ألف مليون مسلم ، وامكاناتهم المادية يحسب لها الغرب والشرق ألف حساب ، ومع كل هذا أصبحوا موضع الأطماع والمساومات ، تتداعى عليهم أمم الكفر والالحاد كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، واستطاعوا أن يفرقوا

بين شعوب هذه الأمة وحكامها ، ووضعوا لهم حدودا مصطنعة وقسموها إلى مناطق نفوذ بينهم ، وبالغزو الفكري شغلوا الناس عن دينهم وتراثهم وأشعلوا حرب الشعارات الزائفة بين أبناء البلد الواحد ، وأصبحت الجماعة الواحدة طبقات متناحرة ، وكثير ممن كان يعتز بإسلامه أصبح يعلن في غير خجل أو حياء أنه يميني أو يساري أو تقدمي أو رجعي ، وارتدت الأسلحة الموجهة للأعداء إلى صدور الأشقاء ، وأخذ بعضهم برقاب بعض ، وباسم الجهاد الاسلامي المزيف غرر الأعداء ببعض الخونة ، فقاموا بتفجيرات مروعة راح ضحيتها كثير من الأبرياء ، وقد آن للأمة أن تتخذ من قرآنها منهجا يهديها السبيل ، ومنارات تضيء لها الطريق ، وأن تأخذ من تاريخ السلف دروس التضحية والبذل والعطاء في اطار التضامن الاسلامي والترابط الاخوي بحيث تنسى الأمة خلافاتها وتدفن خصوماتها لتسترد الكرامة السليبة ، وتحرر الأرض والمقدسات يوم تستجيب لقول الحق سبحانه : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النّار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**) آل عمران/ ١٠٣ .

وإذا اقتصر التضامن الاسلامي على صب اللعنات ، فاللعنات لا تضر المعتدين أو على كلمات الأسى والحسرة ، فهذه الكلمات لا تفيد المنكوبين ، وليس التضامن بمظاهرات صاخبة أو مؤتمرات يقتصر دورها على توصيات وقرارات ثم لا تأخذ طريقها إلى التنفيذ .

وإنما التضامن بالبذل والعطاء ، بالتحرك والعمل وترك الكلام والجدل ، ما دام الكلام لا يفيد مع عدو لا يعرف إلا منطق الحديد والنار ، وإن ظل المسلمون في معاناة الفرقة والتمزق والضياع فيوم الخلاص بعيد .

أما الاسلام فلا خوف عليه لأنه الدين المتين بفضل ما وهبه الله من قوة ذاتية أصيلة ، تكفّل الله بحفظه حتى تقوم الساعة :

(**يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**) التوبة/ ٣٢ .

رئيس التحرير

حسن فتاع



مغازيها التربوية

للاستاذ / زهير كحالة

العمل هو المحور الاعظم الذي تدور حوله حياة الانسان . وبتعبير المربين الحياة كلها ميدان للنشاط الانساني . ولكي يتمكن الانسان من العمل ، لا بد له من قوة يستشعرها في جسمه وروحه ، في صغره وكبره . يقول الشيخ محمود شلتوت ان الانسان في هذه الحياة ، وفي كل مايزاوله من اعمال ، لفي حاجة الى قوتين ، يباشر باحداهما عمله ، ويقوي بالأخرى روحه المعنوية . وبغير القوة في جميع ميادينها ـ نفسية كانت أم حسية ـ لايتسنى عمل ، ولايتحقق إنجاز . لهذا نجد الانسان العامل محتاجا دائما الى قوة ينجز بها عمله ، ويعزز بها وجوده . من هنا جاءت رسالات السماء تدعو الى عمل العاملين « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » التوبة / ١٠٥ ومن هنا جاءت « بسم الله الرحمن الرحيم » تتصدر المصحف الشريف ، لتقرر الدور الوظيفي للكائن البشري على هذه الأرض . فهو انسان عامل لا خامل ، وهو انسان منجز لا عاجز . فليبدأ كل عمل له اذن باسم الله ، وليستمد كل قوة له من عند الله ، ولسوف تتغمده دوما رحمة الله ، وتغمره السعادة في دنياه وفي أخراه .

ان البسملة هنا تضعنا في اطار العقيدة الدينية منذ اللحظة الأولى ، لندرك أن الانسان المبتوت عن أسباب السماء ضعيف مهما طغى وتجبر ، والانسان المعتصم بحبل السماء قوى مهما جارت عليه صروف الدهر . ومن هنا تتجلى أهمية العقيدة الاسلامية التي تلتحم بها وتنبثق منها كل أنظمة الحياة ، كما تلتحم بالعمود الفقري وتنبثق منه سائر أجزاء الهيكل العظمي في الجسم البشري . وقد سارع القرآن - بالبسملة - الى تأكيد حقيقة العقيدة السماوية ، ومادام الأمر كذلك ، فلا بد إذن للمؤمن وهو يستمد قوته من عند الله أن يبدأ عمله بقوة ، كي يأتي الانجاز قويا . نرى مصداق ذلك في قول الله تبارك وتعالى مخاطبا موسى عليه السلام « **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة** » الاعراف / ١٤٥ وقوله تبارك وتعالى مخاطبا يحيى عليه السلام « **يايحيى خذ الكتاب بقوة** » مريم / ١٢ وقوله تبارك وتعالى مخاطبا بني اسرائيل عندما رفع فوقهم الطور « **خذوا ما آتيناكم بقوة** » الاعراف / ١٧١ وقوله تبارك وتعالى على لسان ذي القرنين عندما أمر ببيناء السد الشهير « **فأعينوني بقوة** » الكهف / ٩٥ لكن العمل القوي لابد له - كما يقول العلماء - من قوة نزوعية تحركه ، او مايعبر عنه بالارادة ، وان اختلف العلماء في منبع الارادة وباعثها الأساسي . وقد بين حجة الاسلام ، الامام الغزالي ، ان الارادة القوية عند المؤمن السالك تستمد قوتها قبل كل شيء من قوة الايمان بالله . فبقدر ما يكون الايمان قويا تكون الارادة قوية .. فاذا ضعف الايمان ضعفت الارادة . واذا انعدم الايمان بالمرة انعدمت الارادة بالكلية . لهذا يقول رحمه الله « والمانع من السلوك عدم الارادة . والمانع من الارادة عدم الايمان » وهذا يعيدنا من جديد الى اطار العقيدة الدينية الذي وضعتنا فيه البسملة الشريفة منذ البداية . والى هذه النتيجة العامة ينتهي المربون اليوم ، حيث يؤكدون ان الارادة تستمد قوتها المحركة من طاقات العناصر الثلاثة التالية - **الاعتقادية** ، **والعاطفية** ، **والتبصيرية** ... » فالاعتقاد يدفع الانسان الى السلوك بموجبه . والعاطفة الأخلاقية تدفع الى الالتزام بالفضائل الأخلاقية . وكذلك البصيرة بقيمة الأخلاق وغايتها السامية تجذب الانسان الى ممارسة تلك القيم ... وكلما كانت تلك الطاقات المحركة قوية كان اندفاع الانسان الارادي الى تنفيذ الأعمال قويا أيضا .. » مما سبق نستطيع استجلاء المغازي التربوية ل « **بسم الله الرحمن الرحيم** » -

أولا - ان العملية التربوية - وهي عملية صياغة الانسان - ينبغي ان تبدأ باسم الله ، اول ماتبدأ - حتى تكون ربانية التصور ، ربانية الغاية ، ربانية الوسيلة ، ربانية الأداء ، لتحقق هدفها ، وتفرز الجيل الرباني الجدير - وحده - بخلافة الله في الأرض . وهذا بالتالي يؤكد الأهمية القصوى لكون المعلم ربانيا ، يستمد أصل منهجه التربوي من كتاب الله الكريم ، كيما يؤثر في طلابه ويجعلهم مثله ربانيين ، عملا بقول الله تبارك وتعالى « **كونوا ربانيين بما كنتم تُعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرُسون** » آل عمران / ٧٩ .

ثانيا - على المربي أن يجعل البسملة شعاره الدائم ، يتوج بها أقواله وأفعاله ، ويحلي بها أوراقه ودفاتره ، ويرصّع بها ألواحه ووسائله ، ليتأسى به المتربون في كل المواقف . ولا يكتفي المربي من البسملة بالمظهر دون الجوهر ، ويقنع بالشكل دون المحتوى ، بل يضرب بنفسه المثل على ارتباط المسلم بخالقه في كل مجال من مجالات النمو ، وفي كل ممارسة من ممارسات الحياة ، بل وفي كل هاجسة في مجال الفكر ، وفي كل نشاط في مجال العمل .

ويثابر على تذكير المتربين بمضمون البسملة ، مااستطاع الى ذلك سبيلا ، ليجعل الأرضية الايمانية لاتصالهم بالله عريضة واسعة بحيث تغطي كل مساحات النشاط الانساني . وينتج عن ذلك أن يأتي سلوك المتربين في جميع الميادين سلوكا مستقيما ، بعيداً عن القبلية والتعصب ، خالصا من الحمية والتحزب ، متوجها دائما نحو الخير ، متجانفا دائما عن الشر . قال صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه مسلم وهذا الناتج السلوكي هو الهدف الذي عملت لأجله كل رسالات السماء ، واستطاعت تحقيقه تربية الاسلام على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي شهد القرآن بتربيته لأصحابه ، ومنحهم عليها وسام الخيرية من دون الأمم . قال تعالى « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » آل عمران / ١١٠ وبهذا تتجلى فائدة البسملة في الناحيتين - **في تقوية الروح على عمل الخير ، وفي صرف النفس عن عمل الشر** . وهذاأسمى مايتصور من شعار يتخذ عنوانا لأمة من الأمم » .

ثالثا - ينبغي للمربين ان يكسبوا المتربين ارادة قوية كي يضمنوا لهم قوة نزوعية محركة مشحونة بطاقات العناصر الثلاثة الاعتقادية والعاطفية والتبصيرية . ومن الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك مايسميه علماء النفس بالوسائل النفسية الشعورية الايحائية ... كقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما » واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » رواه أحمد وبهذا يشعر المتربي ، بالايحاء ان قوة ارادته من قوة الله ، وفلاح عمله من معونة الله ، كما تتولد في نفسه أحاسيس العزة المستمدة من عزة الله ، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » المنافقون / ٨ وقد رغب الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، المؤمنين في أن يكونوا اقوياء بقوله « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم كما استعاذ من العجز والكسل فقال « اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل » . وهكذا تتولد في نفس المتربين قوة طبيعية نابعة من قوة روحية هي قوة الايمان بالله ، اي بتعبير آخر تتضاعف قوة الانسان، باللجوء الى الله وحده دون سواه مصداقا لقول الله تبارك وتعالى « **ويزدكم قوة الى قوتكم** » هود / ٥٢ .

رابعا - ينبغي للمربين أن يعودوا المتربين على ان يبدأوا أعمالهم بقوة ، في كل موقف تعليمي تعلمي ، خلال تربيتهم النظامية ، ليعتادوا ذلك في كل موقف حياتي ، خلال تربيتهم الذاتية المستمرة . فالطالب الذي يعد واجباته اعدادا جيدا لينال محبة الله ، عملا بقول الله تعالى « **إن الذين آمنوا وعملوا**

الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا » الكهف / ٣٠ لايقف خافض الرأس وآنِيَ النفس عند تسميع درسه بل يتدفق بقوة ويتحدر كالشلال مادام شاعرا بمحبة الله ، واثقا من رضوان الله . والوالد الذي يؤمن بربه ويصلي طاعة لأمره . لايتلجلج او ينكسر ، وهو ينصح والده الذي لا يصلي بل ينطلق بثقة وقوة في نصحه ودعوته الى القيام بواجباته الدينية . والإمام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، من منطلق الايمان ، لا يتخاذل ولا يتقزّم ، خوفا على رزق او دفعا لأجل بل يَهْدِ بالحق مستمدا قوته من الله . والمجاهد الذي يقاتل لاعلاء كلمة الله لايتهرب ولايتطامن ، بل ينقض كالصاعقة مشحونا بقوة الله . من هنا جاءت مواقف الرسول كلها مواقف قوة وعزة . وجاءت مواقف خلفائه الراشدين كلها مواقف قوة وعزة . وانكسرت بحمد الله شوكة القياصرة ، وتهاوى بعون الله عرش الأكاسرة ، وانداح التيار الاسلامي في الشرق والغرب بالقوة المستمدة من قوة الله .

خامسا ـ ينبغي للمتربين ان يعتادوا البدء في كل أمر بالبسملة ، بالاضافة الى ما اكتسبوه منها من المعارف والاتجاهات والقيم . فاذا أكل أحدهم سمى الله ، واذا توضأ سمى الله ، واذا دخل بيته سمى الله ، واذا ذبح سمى الله ، واذا عاهد سمى الله ، واذا رقد سمى الله ، واذا دعا سمى الله ، واذا رتل سمى الله يقول الإمام القرطبي رحمه الله « معنى قوله بسم الله يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته .... وهذا تعليم من الله تبارك وتعالى عباده ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها ، حتى يكون الافتتاح ببركة الله عز وجل » . ويقول الامام ابن كثير . فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله ، تبركا وتيمنا ، واستعانة على الإتمام والتقبل » وهذا من شأنه أن يرسخ ويوسع القاعدة الإيمانية في نفس المسلم ، فتبقى على صلتها الدائمة بالرحمن ، وتنجو النفس من كيد الشيطان . قال صلى الله عليه وسلم « اذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله ، فليقل بسم الله على أوله وآخره » رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل الرجل بيته فذكر تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لأصحابه لامبيت لكم ولا عشاء » رواه مسلم .

سادسا ـ ان العملية التربوية ـ كما يوحي ذكر الرحمة المؤكدة في البسملة الشريفة ـ ينبغي ان تنطلق ، بعد العقيدة والايمان ، من منطلق الرحمة والاحسان . فالمربي لايفلح أبدا إن لجأ الى العنف والضرب والظلم والعدوان .

سابعا ـ مادامت تربية الاسلام تتخذ شعارا لها « **بسم الله الرحمن الرحيم** » فالمنفعلون بالعمليةالتربوية متعرضون حتما لنفحات هذه البسملة الشريفة ، لما تحويه من الأسرار الجلية والخفية فالبسملة تحوي اسم الذات ، واسم الصفات .. فهي إذن تتضمن كل ماجاء من عند الله تبارك وتعالى وهذا يحدونا ان نعتز بانتمائنا الى هذا الدين ، ونقبل على تحمل مسؤولياتنا بثقة ويقين وبذلك نتخلص من (عقدة الأجنبي) التي غرسها فيناالإبعادنا عن منبع الخير فيحضارتنا

السنة في نظر المستشرقين

حاول بعض المستشرقين تجريد السنة من تأثيرها وفعاليتها ، والتقليل من أهميتهاكمصدر تشريعي ثان بعد القرآن الكريم .

وقد أخذت هذه المحاولة جوانب ابراز تأثر السنة بمصادر أجنبية من جانب وعدم كفايتها وقدرتها على اجابة التساؤلات والتحديات التي استجدت على مسيرة المسلمين من جانب آخر ، الأمر الذي اضطرها الى مسايرة الأحداث والتطور وفق ماتريده من مجريات تلك الأحداث والوقائع . فيرى أولئك المستشرقون ان السنة قد تطورت عما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وهذا التطور وليد احتكاكها بمصادر اجنبية من ناحية وقصورها عن استيعاب الاحداث المعاصرة والمستجدة من ناحية أخرى .

يقول جولد تسيهر « انه لم يندمج في الحديث أمور القانون والعادات . والعقائد والأفكار السياسية فحسب ، بل قد لف فيه كل ما يملكه الاسلام من محصوله الشخصي ، وكذلك الأمور الغريبة عنه ، وقد غير هذا الغريب المستعار تغييرا أبعده عن أصله المأخوذ منه ، وضم ذلك كله الى الاسلام » .

ولقد استهوى أولئك المستشرقين العرف والتقاليد وخلطوا بينها وبين السنة وراحوا يلبسون هذا بذاك حتى اصبح من الصعب التفرقة بينهما . فيزعم جولد تسيهر ان المسلمين استعملوا الأحاديث واولوها في ضوء العرف والتقاليد القائمة ، وسمح للعرف والتقاليد ان تحل محل الأحاديث . ويقول جولد تسيهر ايضا « ان المسلمين لما فتحوا هذه البلاد ، حكموها بما فيها من تقاليد وقوانين ، بعد ان حوروا هذه التقاليد

وتأثرها بالمصادر الأجنبية

والقوانين ، وأضافوا اليها من عندهم صبغة دينية ، ثم جعلوها أحاديث شريفة ونسبوها الى نبيهم » .

بل انه يذهب الى أبعد من هذا مبينا الى اي حد تأثرت السنة وتطورت تطورا أضاع معالمها فيقول : « هناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد ، وأقوال الربانيين أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة ، وتعاليم الفلسفة اليونانية ، وأقوال من حكم الفرس والهنود ، وكل ذلك أخذ مكانه في الاسلام عن طريق الحديث ، حتى لفظ (أبونا) لم يعدم مكانه في الحديث المعترف به ، وبهذا أصبحت ملكا خالصا للاسلام بطريق مباشر او غير مباشر ، تلك الأشياء البعيدة عنه » .

وأضافوا الى هذه الأسباب التي ادت الى تطور السنة ، الأوضاع السياسية التي واكبت الفتوحات

للدكتور/عجيل النشمي

الاسلامية والتي تمخضت عن سنة متطورة لاتمثل حصيلتها مايمكن نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وامام هذا الوضع الضعيف والمهلهل للسنة ـ في تصورهم ـ كان لابد لعلماء المسلمين ان يتخذوا موقفا جريئا ليجعلوا من السنة مصدرا قادرا على تلافي السلبيات وتخطي الصعاب وذلك انما يكون عن طريق الاستمداد من مصادر أجنبية وتطوير السنة باجتهاد أحكام تنسب الى السنة وهي ليست منها .

ولقد افتعل المستشرقون من أجل ذلك خصومة وهمية بين الفقهاء والسنة النبوية ، باعتبار ان السنة تمثل مرحلة تاريخية بسيطة ومطلوب

من الفقهاء أن يستنبطوا منها أحكاما لواقعهم المعقد .

فيقول : جولد تسيهر « وقد بذلت جهود كبيرة خلال المرحلة الأولى من مراحل نمو الشريعة الاسلامية ، لكي يتهيأ للفقهاء أن يحتفظوا بحرية النظر والاستعانة بالعقل والبصيرة النافذة في استنباط الأحكام الشرعية ، وذلك في الحالات التي تفتقر الى احاديث صحيحة يوثق بها ويمكن تطبيقها على هذه الحالات للفصل فيها ، أو اذا كان المتواتر منها ضعيفا مشتبها في صحته » ثم يضيف قائلا « وهكذا أصبحت الحاجة الى السنة في الاسلام عاطفة تقوم مقام غيرها ولم يكن للمؤمنين الأتقياء من هم سوى ان ينسجوا على منوالها ، وأن يسيروا على منهجها ، والا يعملوا الا ما أمرت به ، وأن يجتنبوا كل ما يناقضها ، بل كل ما لايصادف تأييدا منها . وقد اعتبر المسلمون ان كل ما خالف السنة او كل ما لا يتماثل معها تماما ، كما يذهب المتطرفون ، انما هو بدعة ، سواء أكانت المخالفة في المسائل الاعتقادية أم في أهون تفصيلات السلوك في الحياة العلمية . وبذا أنكر المتشددون كل فعل او قول مقطوع الصلة بسنن السلف الصالح ، أي انهم أنكروا كل بدعة في اية صورة كانت . ثم يبين أنه حتى الصحيح من السنة اصبح عقبة امام تطور الفقه فيقول : وقد سهل كثيرا من الوجهة النظرية أن يفرض المتشددون مثل هذه القيود التي لم يتشكك المسلمون في صحتها ووجاهتها ، ولكنها مع ذلك اصطدمت في كل ناحية من نواحي الحياة العملية بمقتضيات الواقع ، لأن تطور ظروف الحياة والتجارب التي اكتسبتها الأمم الاسلامية بفعل العوامل الجغرافية والتاريخية ، قد فرضت عليها أحوالا مغايرة لمقتضيات السنة وجرتها الى ملابسات تخالف تمام المخالفة أساليب الحياة والفكر في عهد الصحابة .

ثم يشير الى انتصار العوامل الداخلية من الاعراف والتقاليد والعوامل الخارجية على مقتضيات السنة الصحيحة فيقول : كما أن السوابق العديدة ، والمؤثرات الأجنبية التي أحاطت بالمسلمين ، حملتهم على ان يقوموا بهضمها وتمثيلها وصهرها ، هذه العوامل مجتمعة حتمت على المسلمين ان يبادروا بفتح ثغرة في حصن السنة المنيع ، حين تعذر عليهم أن يتقيدوا بالفكرة السنية المتشددة التي يعدونها المعيار الأوحد للحق والقانون ، وهكذا سلم المسلمون وعقدوا الصلح ، وهكذا انتهوا الى مفارقات دقيقة سهلت عليهم اقرار كثير من البدع التي فتحوا لها أبواب السنة على مصاريعها ، وقد وضع الفقهاء طائفة من النظريات بينوا فيها الحالات والظروف التي يستطيع المسلمون فيها ان يوافقوا على بدعة من البدع ، بل يعتبرونها بدعة حسنة ومحمودة ، وقد

وجد الفقهاء والمتكلمون في العصور الاسلامية المختلفة المجال واسعا للعمل في هذا المضمار بفضل ما امكنهم أن يظهروه من حذق بارع وبصيرة نافذة ، وظلت الأمور تجري على هذا المنوال الى وقتنا الحاضر .

ومن جانب آخر يحاول « شاخت » الطعن في حجية السنة وقدرتها على الوقوف كدليل لاستقاء المسلمين الأحكام الشرعية منه خصوصا في الاحكام التي لم ترد في القرآن الكريم أو التي هي من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم .

فيقول : « على أن جوانب هامة من التشريع الخاص بالعبادات كشعائر الصلاة مثلا ، لم ينظمها القرآن ، وانما احتذى فيها حذو النبي (صلى الله عليه وسلم) واهتدى فيها بهداه ، كما أن بعض الاحكام التي وضعها محمد (صلى الله عليه وسلم) لم ترد في القرآن ، وهي عادة قليلة الأهمية ، ولم تطبق تطبيقا عاما بالرغم من صدورها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) . ثم يضيف قائلا : ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي (صلى الله عليه وسلم) موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكتاب ، ولكن في الوقت نفسه كانت أفعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ما مس منها أمور الدين ، فكانت بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ . وقد نقدت هذه الأفعال أكثر من مرة ، وكان الكتاب نفسه يلومه أحيانا على بعض أفعاله ، والنتيجة التي نستخلصها من هذا كله ، والتي يريد المستشرقون الوصول اليها ترتيبا على ماذكروه عدة أمور .

أولا ـ تطور السنة : ان السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تستطع أن تجيب على متطلبات العصور اللاحقة لها ، فهي قاصرة من الناحية التشريعية ، ولذا كان تأثرها بالمصادر الأجنبية طبيعيا وسهلا ، وكان ـ بالتالي ـ تطورها في هذا الاطار ضروريا .

ثانيا ـ شمولية الاسلام : أن الاسلام ـ وهذه حال السنة ـ لا يمكنه تحقيق الشمولية في احكامه وتشريعاته الخاصة ، لأن القرآن وحده لايمثل الشمولية الا باقتران السنة معه .

ثالثا ـ استقلال السنة بالحكم : وحجيتها فان السنة لا تستطيع ـ وتلك حالها ـ الاستقلال بالحكم الشرعي ، وان استقلت به فهو لا يمثل حكم الاسلام على سبيل الحتم . وكونها حجة أمر مشكوك فيه خصوصا أفعاله صلى الله عليه وسلم .

هذه القضايا الثلاث تحتاج منا الى توضيح وبيان مصحوبا برد موزون يأتي على تعديل ارائهم ومزاعمهم وتوجيهها بميزان علمي لا يبخسهم صواب ماعندهم ، كما انه يعطي للسنة المطهرة حقها ومكانتها كمصدر تشريعي ثان بعد القرآن الكريم ـ ولعلنا نتمكن من ذلك في مقال مستقل ان شاءالله تعالى .

الإسلام

محمد مؤذن

للـدكتور / فؤاد محمـد محمود العارضة

ازدهار الاسلام الحنيف بجهاد المسلمين المؤمنين :

تكون الأمة قوية متقدمة سعيدة بقدر مايخدمها ابناؤها ويعملون في سبيل رفعتها وعزتها وتقدمها . وتكون ضعيفة متخلفة شقية بقدر ما يتقاعس أبناؤها عن خدمتها وبنائها .

والمبـادىء والأديـان والمـذاهب والقوانين تبقى حبرا على ورق مطوي في بطون الكتب والصحف حتى تجد أناسا صادقين مخلصين يحملونها في عقـولهم وقلوبهم ويعملـون بها في سلوكهم وحياتهم .

والاسلام الحنيف نزل من السماء نقيا طاهرا كما ينزل ماء المطر المقطر فتلقته عقول واعية وقلوب نقية وأياد بيضاء قوية فازدهر في أنحاء العالم وانتشر في أرجاء الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وعز وساد وقامت له دولة عظمى وحضارة انسانية روحية مادية مباركة عـلى أيدي مسلمـين مؤمنين صادقـين أخذوا بتعـاليمه السمحة ومبادئه السامية من توحيد وصلاة وصوم وزكاة وحج وتحلوا بمكارم أخلاقـه وآدابه العالية من صدق وأمانة وتواضع وتضحية وايثار وجهاد بالمال والنفس واعتصام بحبل

بين خطرين

الله وتعاون واتحاد على غرس الخير واجتثاث الشر وما الى ذلك من جميل الخصال وكريم الفعال . فقد كانوا مثالا يحتذى وقدوة صالحة وصورة مشرقة مشرفة للاسلام الصحيح والايمان الصادق . وبذلك رغبوا الناس في الاسلام وجذبوهم الى الدخول فيه زرافات ووحدانا كما ان اعداءه الأجانب هابوا الاسلام والمسلمين ورغبوا عن غزو ديارهم وبقيت ديار الاسلام هكذا مشرقة الشمس ساطعة البدر ومخصبة مثمرة ومنيعة الحمى مابقي المسلمون ولاسيما العرب منهم معتصمين بحبل الله جميعا ومستضيئين ليل نهار بنور كتاب الله وسنة رسوله كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما** : **كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض** » رواه الحاكم .

كسوف شمس الاسلام في عهود المسلمين الفاسدين ماضيا وحاضرا :

ولما آل أمر الاسلام والمسلمين الى مسلمين تحللوا من مبادىء الاسلام السامية وأخلاقه العظيمة وانحرفوا عن صراطه المستقيم ولم يبق لهم من الاسلام الصحيح الا مجرد الاسم واللفظ والشكل ضعفت الدولة العربية الاسلامية وانحلت وانقسمت الى دويلات وشعوب وأوطان عديدة ضعيفة وبذلك صار المسلمون مستضعفين وفقراء وعاجزين عن

حماية انفسهم فطمع فيهم الاعداء الطامعون وغـزوهم في عقر دارهم واستعمروهم واستعبدوهم ولم يألوا جهدا في هدم منار الحضارة العربية الاسلامية واطفـاء انوار الاسـلام الحنيف .

وهكـذا لـولا اولئـك المسلمـون الادعياء لما تمكن اعداء العروبـة والاسـلام من غزو ديـار الاسلام واستعمارها واقتطاع اجزاء عزيزة غالية منها .

وذلك يعني ان المسلمين البعيدين عن الاسـلام الصحيح بفـروضـه ومبادئه وأخلاقه هم الخطر الحقيقي على الاسلام وهم عدوه الاول الداخلي والف عدو خارج البيت اقل خطرا من عدو واحد داخله فعن طريقهم ومن خلالهم دخل اعداء الاسلام الأجانب من مغول وصليبيين قدامى ومحدثين وصهاينة ديـار الاسلام وانتهكـوا حرماته واعتدوا على مقدساته .

تشخيص داء الـعـالـم الاسلامي :

وما أشبه اليوم بالأمس نرى العالم العربي وهو قلب العالم الاسلامي وصورة مصغرة صادقة لـه يغص بعرب مسلمين لا يدل على انتماء معظمهم الى الاسلام الصحيح الا شهادات الميلاد .

وكيف يعتبرون مسلمين مؤمنين وهم قلمـا يصلون ويصـومون ويـزكون ويحجون وان صلوا وصاموا وحجوا لم تثمـر عبـادتهم ولم تنههم عن الفحشاء والمنكر ، ولا جـدوى من صلاة لاتنهي صاحبها عن المعصية والرذيلة . وهم لا يتورعون عن اتباع اهـوائهم وشهـواتهـم واقتـراف المحظورات والمحرمات ونبذ أخلاق الاسلام وآدابه والتحلل من مبادئه السامية ومثله العليا ولايستحيون من ذبح مصلحة العروبة والاسلام على مذابح مطامعهم وشهواتهم وأنانيتهم ومصالحهم الذاتية . ويتعاون بعضهم مع اعداء العـروبة والاسـلام من صهاينة ومستعمرين في أكثر من مجال مفرطين في دياره واراضيه في سبيل الوصول الى مآربهم الذاتية وغاياتهم الشخصية مع العلم بأن الاسلام الصحيح ينهاهم عن موالاة الأجنبي الذي يعادي الاسلام ويغتصب أرضاً اسلامية اخرج اهلها منها مكرهين مرغمين وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى **(لا ينهاكم الله عن الـذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان اللـه يحب المقسطين . انمـا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الـذين وأخـرجـوكم من ديـاركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)** . الممتحنة / ٨ ـ ٩ . ويدل ذلك على ان أهل الاسلام وجنده المخلصين وحمـاته الصـادقين هم المؤمنـون الصادقون الـذين حملوا الاسـلام بقيمه ومثله وأخـلاقه في عقـولهم وقلوبهم وتجلى في حياتهم وسلوكهم

قولا وعملاً وظاهرا وباطنا ونشروا اضـواءه في شتى انحـاء العـالم وجاهدوا في سبيله بأموالهم وانفسهم وأقاموا له اعظم دولة وأرقى حضارة فيمـا مضى من الـزمـان . وأهلـه المخلصون اليوم هم الذين يؤدون فرائضه وشعائره كما ينبغي ويتحلون بفضائله وآدابه لسانا ويدا ومسلكا . ويجاهدون بكل طاقاتهم وامكاناتهم المـادية والمعنـوية في سبيـل عـزه وازدهـاره والحفـاظ عـلى آثـاره ومقدساته . وأهله وحمـاته الـذين يبددون ما غشيه في عصور الجهل والظلام من بدع وخرافات وضلالات ويجلون حقائقه النقية الناصعة .

والذي أثر على ازدهار الاسلام الحنيف الخالد وألقى ضبابا وغيوما على شمسه الساطعة وبدره المنير هو اختلاف المسلمين وانقسامهم الى شيع ومذاهب شتى في فهمه وتطبيقه . وعامل آخر كان له أثر كبير في موقف بعض المسلمين اليوم موقفا سلبيا واتهامه بالجمود ومجافاة روح العصر الحاضر والعلم الحديث هو جمود الكثير من علماء الـدين الاسلامي وقصورهم عن تفسيره تفسيرا يساير روح العصر ، ويعمل على توجيهها الوجهة الصحيحة ، فالعلم النـافع لايتناقض مع الدين بل يسعيان الى صنع الحياة الانسانية الطيبة الكريمة التي يسـودهـا التفـاهم والتـآخي والتعايش السلمي . فالدين يحث على العلم والعلم يدل على الدين كما يقول رسول الله محمد صلى اللـه عليه وسلم : « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة** » رواه ابو داود والترمذي .

لذلك كان العالم المستنير يعرف الله ويتقيه في حين ان الجاهل بعيد عن الله بجهله وعماه وفي ذلك يقول الله تعالى : **(انمـا يخشى اللـه من عبـاده العلماء)** فاطر ٢٨ . فالعلم جسم الحياة البشرية ومادتها والدين روحها وضميـرهـا وخلقـهـا . وواضـح ان الانسان بلا ضمير ولا خلق يصير وحشا ضاريا وحيوانا سافلا . وتسود المجتمـع البشري شـريعة الغـاب والعدوان والتسلط .

وأهـل الاسـلام المخلصـون الصادقون أولئك المسلمون الـذين تراهم اسوة حسنة لغيرهم في التمسك بالاسلام الحنيف والعمل بسنة الله وشريعتـه ويكونـون صـورة اسلامية مشرقة جذابة . والنـاس يتأثرون بالقدوة الطيبة أكثر ممـا يتأثرون بالمواعظ والنصائح وينظرون الى الاديان والمذاهب من خلال اهلها وأصحـابهـا بـأخـلاقهم وأفعـالهم وأحوالهم . أما أولئك المسلمون اسما ولفظا فقط ولا يدل على انتسابهم الى الاسلام الا البطاقـات الشخصية ويهدرون مبادىء الاسلام السامية وأخـلاقـه العظيمـة في أفعـالهم وتصرفاتهم ويهملون فروضه وأركانه وواجباته فهم الخطر الحقيقي على الاسلام الصحيح وعدوه الداخـلي الفعلي .

ومن اعـدائه الخطـرين أولئـك المسلمـون الـذين يسيئـون فهمـه وتفسيره وتطبيقه ويشوهون صورته الحقيقية ويتفرقون شيعا واحـزابا

ومذاهب بعيدة عن نقائه وحقيقته الناصعة فهؤلاء الناس ليسوا من الاسلام في شيء كما يقول الله تبارك وتعالى : (**ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**) . الانعام ١٥٩ .

وأخطر على العروبة والاسلام من الاستعمار نفسه اولئك المسلمون الذين يتبنون افكار الاستعمار السامة ومخططاته الخبيثة ويروجون سياسته الاستعمارية اللئيمة قولا وعملا في ديار العروبة والاسلام مع العلم بأن الاستعمار يعتمد في نجاح سياسته الاستعمارية الماكرة في أي مكان على وجود اعوان وعملاء له فيه كما يعتمد التاجر - في ترويج بضاعته على توفر زبائن وعملاء له في السوق .

وأخطر على العروبة والاسلام من العدو الأجنبي الخارجي أولئك الجواسيس والعملاء الذين ينقلون للعدو الصهيوني وحليفه الاستعمار الغربي اخبار بلادهم العربية الاسلامية . والخيانة والعمالة داء وبيل في جسم الامة والوطن وثغرات وفتحات في الجدار ينفذ منها العدو الى قلب الدار وداخل البيت .

وكذلك المسلمون الذين لايهتمون بأمر بلادهم ولايشاركون في خدمة الامة وبناء الوطن واعلاء كلمة الله يعتبرون سلبيين ومتخاذلين والسلبي رديف الهدام والمتخاذل اخو الخائن . ولم لا نقول ان المواطن السلبي المتخاذل نقطة ضعف وثغرة في الجبهة والصف . وذلك يغري العدو الخارجي بالتسلل الى القلب والداخل . وذلك يدعو الى القول بأنه ماقصم ظهر الامة مثل ابنائها المتخلفين عن رعايتها وخدمتها . والمسلم الذي لايبالي بأمر امته ودينه يبرأ الاسلام منه كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(من اصبح وهمه غير الله فليس من الله ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم** » رواه الحاكم عن ابن مسعود .

والخطر الحقيقي على العروبة والاسلام يأتي من الذين يشقون بنيان الاسلام المرصوص ويخرجون على وحدة الامة ويعيثون في أرض المسلمين فسادا وفوضى ويشعلون نار الفتنة والشر . فهذا المفسد الناشز والعضو الفاسد تقتضي المصلحة العامة بتره عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « **انه ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان** » . رواه مسلم والنسائي . وفي الاخرة يصلي نار جهنم كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ان الله لايجمع امتي على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ الى النار** » . رواه الترمذي عن ابن عمر .

وكذلك الذين يروجون الرذيلة والفاحشة والذين يرون المنكر ولا يحاولون تغييره بأيديهم او السنتهم او قلوبهم مع العلم بأن استئصال الداء وهو في المهد وقتل الثعبان وهو فرخ وإطفاء النار وهي شرارة من الايمان بالله وفرض اسلامي كما يقول خاتم الانبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام : « **من رأي منكم منكرا**

فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » . رواه احمد .

ولاريب في ان اتخاذ مواقف اللامبالاة والسلبية والتعامي ازاء اعراض الفساد والمنكر والمرض في المجتمع يجعله مريضا عليلا ضعيفا متخلفا فيقع فريسة سهلة في يد العدو الطامع . وببتر العضو الفاسد وقطع الفرع المسوس المصاب وتقليم الشجرة تظل الشجرة مورقة مزهرة وارفة الظلال طيبة الثمار وسليمة الجذع والساق اصلها ثابت وفرعها في السماء . والمنافقون المتملقون الذين في قلوبهم مرض ويتسترون بالاسلام ويقولون مايفعلون ويظهرون خلاف مايبطنون اشد خطرا على الاسلام من اعدائه المعروفين المكشوفين .

ويضر الاسلام والمسلمين اكثر مما يضرهم العدو الاجنبي اولئك المسلمون الذين نراهم اسودا كاسرة على بعضهم وعلى بني قومهم ودينهم ، وأرانب مذعورة امام عدوهم وعدو امتهم ودينهم متنكرين بذلك لقوله تعالى : (**محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم**) الفتح ٢٩ فهم كما قال شاعرنا العربي معروف الرصافي :

كلاب للأجانب هم ولكن
على أبناء جلدتهم أسود

والقادة المسئولون الذين يبتعدون عن طريق الشورى والحرية ويسلكون طريق الاستبداد والحكم الفردي والارهاب اعداء حقيقيون للاسلام الصحيح الذي يقوم على اساس الشورى والحرية المهذبة المنظمة كما يقول الله عز وجل : (**وأمرهم شورى بينهم**) الشورى ٣٨ فالحكم الشورى الديمقراطي خير وأقوى وأبقى وأهدى سبيلا من الحكم الفردي وفي ظل الحكم الشوري الصحيح يتجلى مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص وينعم المواطن بحقه في الحياة الحرة الكريمة وتبرز الكفاءات ويوضع الرجل المناسب في المكان المناسب وتسند الأمور الى أهلها ويقود السفينة ربانها ، ومن سمات الحكم الشورى حرية الكلمة والحركة في نطاق المصلحة العامة ـ هذا والعمالقة الكبار الطاهرون يفتحون عقولهم وقلوبهم وأسماعهم لكلمة الحق وصوت النقد الايجابي البناء ويشكرون من يبين لهم أخطاءهم وعيوبهم .

وفي طليعة هؤلاء الكبار العظام الانقياء خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال في هذا الصدد : « رحم الله انسانا اهدى الينا عيوبنا » وقال لمن قال كلمة حق : لاخير فيكم ان لم تقولوها ، ولاخير فينا ان لم نسمعها » .

أما الاقزام الصغار الادعياء فيصمون اسماعهم وعقولهم عن كلمة الحق ويغلقون ابصارهم وعيونهم دون اهل الحق والصدق ويخشون النور والضياء وحرية الكلمة والحركة كما تخشى الوطاويط نور النهار وضوء الشمس ويفضى بهم هذا الطريق الى صحاري التيه والضلال والضياع ومهاوي الردى والهلاك .

ولقد علمتنا الحياة ان حكم الفرد المستبد قصير العمر كعمر الفرد وان حكم الجماعة القائم على الشورى كعمر الشعب ، كما علمتنا الحياة ايضا ان نظام الحكم مرآة للشعب وافراز له . فالشعب الحر الصالح يكون نظام حكمه حرا صالحا مثله . والشعب المريض الفاسد يكون نظام حكمه مريضا فاسدا مثله . كما جاء في الاثر « كما تكونون كذلك يؤمر عليكم » . والشعب هو الذي يرفع منار الحرية والشورى والحياة الحرة الكريمة بعلمه ووعيه وايمانه وعزته وشجاعته وهو الذي يصنع القيود والاغلال في يديه ورجليه وعنقه ويربط لسانه ويكم فمه ويطفىء النور في بيته بجهله ونفاقه وتخاذله . والطغاة المستبدون لا يتفرعنون الا في البيئات الموبوءة بداء الجبن والتملق والتخاذل . والمظلمة بظلمات الجهل والضلال والعمى . وفي ذلك قال احد الشعراء الحكماء :

من يلم نيرون اني لائم
أمة لو كهرته ارتد كهرا
كل قوم خالفوا نيرونهم
قيصر قيل له او قيل كسرى

وهكذا تثمر شجرة العلم والايمان ومكارم الاخلاق العزة والسيادة وحياة الحرية والشورى وتثمر شجرة الجهل والنفاق والتخاذل والفساد الذل والعبودية والاستبداد .

ومنبت الحرية والعزة النفوس والعقول والقلوب ولاجدوى من تحطيم قيود الاعناق والايدي والارجل وسجون الاجسام مادامت العقول والنفوس مقيدة مستعبدة والارواح سجينة والمكان الضيق يراه الحر الكريم رحبا واسعا في رحاب الحرية والاستقلال والعدل والكرامة والمكان الواسع يراه ضيقا في ظل العبودية والاستبداد والظلم والحياة في ذاتها جميلة حلوة وواسعة رحبة ولكنها تصير قبيحة مرة وضيقة بأهل السوء والشر والباطل كما يقول احمد شوقي :

ولم تضق الحياة بهم ولكن
زحام السوء ضيقها مجالا

والخطر الحقيقي على العروبة والاسلام يأتي من المسلمين الكسالى الخاملين الذين لايعملون ولا يتحركون ولايسهمون في اصلاح المجتمع وبناء الوطن . ومثلهم المتخاذلون الجبناء الذين يرون العدو الاجنبي ينتهك حرمات الاسلام ويعتدي على مقدساته ولاينهضون لحمايتها وتخليصها منه .

ويضعف المجتمع الاسلامي ويعود القهقري بالمسلمين الذين تراهم امعات يقلدون غيرهم وبخاصة الغربيون تقليدا اعمى في الصواب والخطأ وفي الصالح والفاسد فلا ترى لهم زيا خاصا بهم ولا ترى اتجاها ثابتا معينا لهم تتقاذفهم تيارات الصرعات والتقليعات كما تتقاذف الرياح الورق والريش . أما المسلمون الذين يتمتعون بشخصيات حرة مستقلة قوية ويثقون بأنفسهم فهم القادرون على النهوض بالاسلام واعزازه واعلاء شأنه ونشر أنواره في

أرجاء العالم وآفاق الدنيا . ولاريب في ان التقليد الاعمى من سمات الشخصية الضعيفة في حين ان التقليد الواعي المبصر والاعتداد بالنفس والابتكار والابداع من علائم الشخصية القوية القادرة . والقوي القادر خير واحب الى الله والناس من الضعيف العاجز كما يقول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » رواه مسلم .

وكم يسيء الى الاسلام الحنيف ذلك المسلم الذي يكون صورة مشوهة سيئة للاسلام الصحيح سواء كان عالما متهتكا او جاهلا متنسكا او رجعيا جامدا او منحرفا منحلا . فهذا المسلم الزائف ينفر باخلاقه وافعاله وتصرفاته السيئة غير المسلمين من الاسلام ويجعلهم يشيرون اليه بأصبع الشك والاتهام . ولا غرو فعامة الناس ينظرون الى الاسلام من خلال اهله بأقوالهم وأفعالهم وبأوضاعهم وأحوالهم . وفي هذا الصدد قال الامام على بن ابي طالب كرم الله وجهه : « قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك » .

وهكذا تبين لنا ان اشد خطر واجه الاسلام ومازال يواجهه اولئك المسلمون المنصرفون عن كتاب الله وسنة رسوله ويهملون فرائضه وأركانه وأحكامه من صلاة وزكاة وحج ويتحللون من مثله العليا وقواعد سلوكه ومكارم اخلاقه من صدق وأمانة ورحمة ومحبة وعدالة وشجاعة وتعاون واتحاد وتضحية وايثار وجهاد بالمال والنفس وما الى ذلك من فضائل واخلاق .

الاسلام بين نارين

وتبين لنا ايضا ان الاسلام الحنيف واقع بين خطرين اولهما داخلي يتمثل في المسلمين الذين يهملون فرائضه وواجباته ومبادئه ومكارم اخلاقه ، وثانيهما خارجي يتمثل في غير المسلمين الذين يحاولون تشويه وجه الاسلام الحقيقي السمح المشرق وطمس معالمه وهدم مناره . ولاشك في ان نجاح العدو الخارجي يتوقف اولا وأخيرا على وجود العدو الداخلي . ونعرف ان ضعف المسلمين وانحلالهم بسبب تفرقهم وانقسامهم على انفسهم لابتعادهم عن الاسلام الصحيح هو الذي اطمع الاستعمار الغربي الحديث في غزو العالم الاسلامي واستعماره ومكن الاستيطان الصهيوني من اقتطاع فلسطين وأراض عربية اخرى من جسم العالم الاسلامي واقامة اسرائيل على انقاض عرب فلسطين ، وما كان للاستعمار الغربي السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والعسكري ان ينجح في ديار العروبة والاسلام لولا وجود مسلمين يتبنون نظرياته وأفكاره واتجاهاته ويتعهدون مناهجه ومخططاته ومشروعاته الخبيثة بالنشر والتنفيذ

الضمير

تتردد كثيرا كلمة الضمير على ألسنة الناس على مختلف طبقاتهم ، ومع اختلاف مستوياتهم ، ويعطون « الضمير » مكانا مرموقا ، وكثيرا ما يحتكمون الى « الضمير » ويجعلونه ميزانا للاعمال ، ومهيمنا على التصرفات ، وباعثا على السلوك ، ومراقبا للامور والتحركات ، ومقررا للخير والشر ، والحلال والحرام ، وكثيرا ما يستعمل الناس سلاح الضمير لوصم الاخرين بفقدانه ، أو انحرافه ، أو موته وحياته ، أو قوته وضعفه ، ويلصقونه بهم : مدحا أو ذما ، ثناء أو قدحا ، اعجابا وتقديرا أو استهزاء وسخرية ، ويقولون فلان ذو ضمير ، وفلان فاقد الضمير ، وكأن الضمير له سلطان على البشرية جمعاء .

ولا يقتصر الامر على المستوى الفردي او الاجتماعي بل يتعداه الى المستوى العالمي ويشمل التاريخ القديم والحديث ، ويعم الحاضر والمستقبل ، وتعلو الاصوات الى مناشدة الآخرين بالضمير ،

وأثر التربية الدينية فيه

للدكتور / محمد الزحيلي

ويطالبونهم بمقتضى ضمائرهم القيام بعمل او الامتناع عن غيره ، وتتردد على الأسماع الضمير العالمي ، وتأنيب الضمير ، ومناشدة الضمير ، والاحتكام الى الضمير ، وغير ذلك من الشعارات التي تصدر عن جميع الناس مع اختلاف مشاربهم ومللهم ، وتعدد ديانهم ومذاهبهم ، وتفاوت لغاتهم وأجناسهم .

فما هو معنى الضمير ؟ وما هو أساسه ؟ وما هي الدعائم والركائز التي يعتمد عليها ؟ وهل هو وهم وخيال ، أو حقيقة وواقع ؟ وهل يشترك الناس فعلا بالضمير ؟ وهل يتأثر بغيره ؟ ويتعرض للوهن والضعف والمرض والموت ؟ وما هو أثر الدين في تربية الضمير الحي ، أو الضمير السليم ، او الضمير الصحيح ؟

فالضمير حال للنفس تحكم بوساطتها على الخير والشر من الاعمال والنيات ، أي أن الضمير جزء من النفس الانسانية او الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها ، وقد اختلفت آراء العلماء قديما وحديثا حول الفطرة التي جبل الانسان عليها ، فذهب أكثر علماء الشرق والغرب الى ان الفطرة مستعدة للخير والشر ، وأن الله تعالى لم يسو بين الناس في ذلك ، فتميل بعض الطبائع الى الشر بسهولة ، ويميل بعضها الآخر الى الخير من تلقاء نفسها ويؤيد هذا الرأي بعض المفسرين وعلماء المسلمين ، ويرون ان الانسان خلق قابلا للخير وقابلا للشر ، ويستدلون بقوله تعالى : « **ونفس وما سواها . فالهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها** » الشمس / ٧ ـ ١٠ فالآية تنبه الى فطرة النفس وتكوينها ، وان الله سبحانه وتعالى خلقها وسواها واوجدها منطلقا للخير والشر ، وركب معها العقل الذي حمله المسؤولية ، وجعله مناط التكليف ليقود هذه النفس الى التقوى والفلاح ، ويجنبها الشر والفجور والفساد ، لأن القرآن الكريم نسب الفعلين « زكى ، دس » الى الانسان ، واستدلوا ايضا بقوله تعالى : « **وهديناه النجدين** » البلد / ١٠ ، وقوله تعالى : « **إنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ۔ انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** » الانسان / ٢ و ٣ ، ويؤكدون ذلك بنص صريح في قوله تعالى : « **إن الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا** » المعارج / ١٩ ـ ٢١ ، وأن القرآن الكريم يصف النفس بالسوء ، فيقول تعالى : « **إن النفس لأمارة بالسوء** » يوسف / ٥٣ ، ويقول تعالى : « **ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون** » الحشر / ٩ ، فالنفس ذات طبيعة مزدوجة ، طبيعة الخير الذي تقدر على الارتفاع فيه الى اقصى مداه ، وطبيعة الشر الذي تهبط به الى الحضيض ، ويكون الضمير على هذا الرأي مقصودا به الجانب الاول ، والنفس الخيرة ، والفطرة السليمة . وذهب كثير من العلماء الى ان الفطرة خير كلها ، وان النفس الانسانية وعاء لكل خير وكمال ، وانها مفطورة في اصلها على الخير ، ومطبوعة على الايمان والفضيلة وان الشر يأتيها من الخارج ، وهذا رأي كثير من المفسرين المسلمين ، ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » رواه البخاري . كما استدلوا بالحديث القدسي : « واني خلقت عبادي حنفاء كلهم .. وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا » رواه مسلم من حديث طويل ج ع ص٢١٩٧ فالله خلق الناس على الفطرة والخلقة السليمة ، وفيها الاستعداد للتوحيد وقبول الدين ، والتحلي بالحق ، والبعد عن الباطل ، والتمييز بين الخير

والشر ، والخطأ والصواب ، وقال اصحاب هذا الرأي عن القول الاول ان الله غرس في كل نفس منذ تكوينها في عالم الاجنة غرائز ونزعات وميولا ضرورية للانسان ، ليصدر عنها كل خير ، فاذا صدر عنها شر او باطل ، فليس ذلك في طبيعة خلقتها ، ولم تودع الغريزة في النفس لذلك ، فالرذيلة لا تصدر عن النفس لذاتها ، وانما تصدر نتيجة عوامل اخرى خارجة عن الفطرة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « فاجتالتهم الشياطين » اي زحزحتهم وابعدتهم عن مقتضى الفطرة وبذلك يكون الضمير من الفطرة السليمة التي يعتمد عليها ، ويكون الضمير في هذا المعنى قدرا مشتركا بين الشعوب والامم في القديم والحديث ، وهو الصعيد المشترك بين الناس .

وقد جعلت الشريعة الغراء مكانا مرموقا للنفس ، وانها المنطلق في الايمان والاخلاق والعبادة ، وان النفس الباطنة هي المعيار في معرفة الخير والشر ، والتمييز بينهما ، وانها المراقب لاعمال الانسان ، والباعث له على الخير ، والوازع عن الشر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البر ما سكنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ، ولم يطمئن اليه القلب ، وان افتاك المفتون » رواه احمد ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه مسلم والترمذي والبخاري ، فهذه الاحاديث تحيل الانسان الى نفسه وقلبه وضميره ليحتكم اليه لتمييز الطيب من الخبيث ، والمباح من الحرام ، والجائز من الممنوع ، والفضيلة من الرذيلة ، وقد جمع فضائل الاخلاق والمكرمات بلفظ « البر » وجمع رذائل الاخلاق والمفاسد تحت عنوان « الاثم » ولذلك حرص الاسلام على تطهير النفس من امراضها ، لازالة الادران عنها ، لتبقى صافية نقية ، تسعى نحو الهدف الرفيع النبيل ، وحذرها من الغل والحقد والحسد وسوء الظن واليأس والخوف والسير وراء الشهوات ، والانغماس في حومة الشيطان وشركه ، ودعاها باستمرار الى التسامي بالقيم والتعالي عن صغائر الامور ، وسوء الاخلاق لترشد صاحبها الى كل فضيلة ، وتهديه الصراط السوي ، وتزيل عنه غشاوات الزيغ والباطل والانحراف ، وتنقذه من المهالك ، وتلبيه عند الشدائد وتعينه في جلاء الأمور .

انشطة الضمير :

ويؤدي الضمير عدة انشطة في مضمار السلوك والتوجيه والقيادة ، تبدأ من كشف الطريق امام صاحبه ، فيميزله بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحسن والقبيح والنافع والضار ، والصحيح والخطأ ، والمستقيم والمعوج ، والصالح والطالح ، ويضع العلامات امامه ، ويرفع عنه التردد ، ويزيل له الغشاوة ، ثم ينتقل الضمير الى المرحلة الثانية وهي وظيفة الناصح

الامين ، والموجه القويم ، والباعث المحرك ، ليدفع صاحبه الى اتباع النهج السليم ، والسبيل المستقيم الذي كشفه له في المرحلة الاولى ويرغبه بذلك ويحذره من عكسه او التنكب عن جادة الصواب ، ولكن ليس للضمير سلطة القسر والقهر والاجبار ، وانما تبقى القيادة للارادة فان تصرف الانسان واتجه بارادته الى التنفيذ والتطبيق انتقل الضمير الى المرحلة الثالثة ، وهي ذات شقين ، فان اختار الفاعل البر والخير والنافع المفيد ابدى الضمير راحة قلبية وغبطة وسعادة ، وينعم على صاحبه طمأنينة كاملة ، وجعل الدنيا في عينيه جنة وارفة ، وثمارا يانعة ، ونورا وجمالا ، ويملأ القلب بالأمل والتفاؤل فان تكرر العمل مرات ومرات شحن صفحة المرء بالفضائل والمكرمات ، وكان في عداد الابراروالاخيار ، والمصلحين المتقين ، وان اختار الانسان الشر والاذى والضرر والفساد والرذيلة والفحشاء تحرك الضمير ضد صاحبه ، واعلن في وجهه الامتعاض والغضب ، ورفع امامه السوط والعقاب ، وبدأ بالتأنيب والتوبيخ ، وكأن النار تلتهب الفؤاد ، والرياح العاتية تعصف بالقلب ، وتحيط به من كل جانب ، ولا يستطيع الشخص الهرب والاختفاء ، ولا يمكنه الاستعانة او الاستغاثة ومهما حاول التخفيف عن نفسه ، بتسويغ الفعل او تعليله ، فان نار القلب تزداد اشتعالا ، وحريق الذات يزداد اضراما ، ولا يزال الضمير وراء صاحبه يضيق عليه الخناق فلا يجد مفرا الا باعلان الندم والتوبة ثم يدفعه الى الاعتراف الكامل بطريق ذاتي ، سواء توجهت اليه اصابع الاتهام ، ام ابتعدت عنه الشكوك ، وخفي عن الانظار وفي هذه المرحلة الثالثة يتبوأ الضمير مكانة القاضي العادل الذي يصدر الاحكام ثم ينفذها بنفسه ، فيقوم بتوزيع درجات الثواب او العقاب ، واوسمة الفخار اوقرارات التأديب والانذار ، وكلمات الثناء والتشجيع او عبارات التوبيخ والتأنيب ، والرضى والمحبة لفعل الخير او للوم والتقريع والسخط على فعل الاثم والذنب .

سلطة الضمير :

وهكذا تظهر سلطة الضمير عند الناس ، لتتبوأ المكانة الاولى بين اجهزة التوجيه والمراقبة والبواعث والمحرمات والتشجيع والردع ، والتهذيب والتربية ، وتمتاز هذه السلطة بانها عامة مفروضة على بني الانسان ، بل مفطورة عندهم منذ التكوين الخلقي بدون تمييز بين شعب وشعب ، وامة واخرى ، وزمن دون آخر ومكان دون غيره ، ويتمتع به الاشخاص على جميع مستوياتهم ، لا فرق في ذلك بين سيد ومسود وغني وفقير ، وشاب وهرم ، وعالم وجاهل ، ويخترق جدران البيوت ، وينفذ الى سريرة الانسان ليفوق كل سلطان ، وينفع الفرد والمجتمع اضعافا مضاعفة عن سلطة الرهبة في القانون والشرطة والقضاء ، لان الشرور الباطنية والرذائل الخفية اضعاف مضاعفة عن الشرور الظاهرة ، وان

الهرب والانفلات من سلطة القانون والقضاء تنوف مئات المرات عن الهرب من رقابة الضمير ومحاسبة النفس التي يستحيل الاختفاء منها ، او طلب البراءة منها او انعدام الاثبات امامها . كما تمثل محكمة الضمير ومراقبته صورة سامية للانسانية الكاملة التي تدعو الى الفضيلة وتحث على تجنب الرذيلة بشعور ذاتي ، وباعث داخلي ، حبا في الاولى وبغضا في الثانية ، بينما تحط رقابة القانون والقضاء من قيمة الانسان لتجعله بالحيوان او العبد اشبه ، فلا يخاف الا من السوط ، ولا يتحرك الا بالعصا .

وان سلطة الضمير لا ينكر فوائدها انسان في القديم والحديث ، وفي كل آونة ، وهي الملاذ للبشرية من تخفيف الويلات ، وتقليل الشرور ، والحد من الجموح والشهوات لان تأنيب الضمير يلاحق المذنب والمسيء في الليل والنهار ، وخاصة في فترات الهدوء والراحة ، والعجز والشيخوخة كما يقول احد علماء الاخلاق : « انها تجلس في الليل الى جانب وسادته ، لتجعل نعاسه سلسلة اضطرابات ومفزعات ، فاذا استيقظ تولت تعذيبه بقسوة وبلا انقطاع ، وتتبعت خطواته حتى في ساعات العمل الشاغل ، وفي لحظات التسلية والسرور ، وان مثلها كمثل العثة تمزق اجزاء الفؤاد بلا شفقة ولا رحمة » .

آفات الضمير وامراضه :

وهكذا يلازم الضمير صاحبه في رحلة الحياة ولا يموت الا بموته وفقد روحه ، وانتهاء اجله ، ويرافق الضمير الانسان ما دامت نبضاته تخفق ، ودمه يتدفق في عروقه ، ولكن عمل الضمير قد يخفت احيانا ويقل نشاطه وقد ينعدم بشكل مؤقت وقد يصمت الضمير احيانا اخرى ولكنه لا يسكت ويتحين الفرصة ليقوم بوظيفته ويؤدي واجبه ، وقد يوجه الضمير توجيها معينا فيتغير اتجاهه ، وينعكس عمله فيفقد اعتباره وهيبته ، ويخسر سلطته وسلطانه الى غير ذلك من الآفات والامراض التي تعرض له مع اختلاف الظروف والاحوال .

ويعود الامر في ذلك الى ان المبدع الخالق لم يخلق الانسان كالملائكة المفطورين على الخير والفضيلة ، وانما منحه الفطرة السليمة ثم تفضل عليه بنعمة الارادة التي يختار بسببها ما يشاء ، كما خلق فيه الشهوات والغرائز والميول والعواطف ، وكثيرا ما تتحرك هذه الشهوات والغرائز ، والميول والعواطف ، وتطالب صاحبها بتحقيق الرغبات المادية وتثور في وجه الضمير ، وقد تثير امامه الغشاوة والضجيج لتحول بينه وبين اداء وظيفته وتشل سلطته وسلطانه ، وتدفع صاحبها الى تنازع داخلي ، وحرب باطنية تؤدي به الى التردد والشك ثم الضلال والضياع ، ثم الوقوع في حومة الرذيلة ، وفساد الاخلاق ، وسوء السلوك ، والايذاء للاخرين والالتصاق بالمستوى المادي والنزعة الحيوانية وفي ذات الوقت تحاول الشهوات ان تحجب الضمير عن الرؤية والمشاهد وتسكت صوته

الداخلي ، وتصم الاذنين عن التنبيه والتحذير .
وقد يفسد الضمير عن طريق التوبة الفاسدة فيصبح في الصف المقابل ، وينضم الى جنود الفساد والافساد ، وقد يخصص مجاله في اطار محدود ويحصر الخير والبر في اتجاه معين ليمقت ما وراءه ويستبيح كل شيء بعده ، ومثاله الجندي المستعمر الذي يحمل في جبينه المدنية والحضارة والرقي والتقدم ، والفضيلة وسائر الاخلاق ولكنه يقصر ذلك على وطنه وبني جنسه ، وفي حدود دولته فان توجه الى الاستعمار قام باعمال وحشية ، وتصرفات همجية فيقتل الابرياء ويعتدي على النساء ويبقر بطون الحبالى ويزهق ارواح الاطفال ويهلك الحرث والنسل ، ويفتخر بالغصب والنهب والسرقة والاحتيال والاجرام ، وهو مرتاح الضمير مرتفع الرأس يشمخ بانفه ويتباهى باعماله امام رؤسائه وقادته لتمطر عليه اوسمة الشجاعة والبطولة والاخلاص والتضحية ويرتقي في سلم الدرجات والوظائف والرتب .
ومثل ذلك الجلاد الذي يحمل السياط ، وقد لقبه بالمبادىء الباطلة والاخلاق الفاسدة والقيم المبتورة ثم يوجهه نحو الفريسة بهمة ونشاط ، وقوة وعزيمة ، وقد تخلى عن الانسانية وصار بالحيوان اشبه ، بل اصبح اشد من الحيوان واكثر بطشا وقسوة وقد يكون التوجيه والتربية نحو عواطف معينة لتسمو عاطفة على غيرها ، وتسيطر على صاحبها فيتصرف مع الاخرين بما يتفق مع غرائزه وعواطفه ولو ادى ذلك الى إتلاف املاكهم وسلب اعراضهم وغصب اموالهم ، والاعتداء على جميع القيم الفردية والاجتماعية والاخلاقية .
وهكذا يمرض الضمير ، وتعتريه الاوجاع والاسقام ، وقد تصل به الى الحضيض والموت وهذه نماذج من ذلك وهي ليست بالنادرة بل تتوفر في المجتمعات داخليا وخارجيا محليا ودوليا مما يؤكد حاجة الضمير للتربية والتوجيه ، ويدفع على البحث عن القيم والمبادىء التي تصلح الفاسد وتؤمن للضمير الوقاية الكافية لمنعه من الانحراف ، وحمايته من الامراض ، وتوجه سيره نحو الخير ، وتضمن فيه الجانب الايجابي ليبقى حيا على الدوام مهما اعتراه في الحياة وليقوم بوظيفته مهما علته الغشاوات ، ويفعل فعله في كل الحالات .
ولا نريد الخوض في تأثير المبادىء المتنوعة ومناقشة جدواها في تربية الضمير لنقرر ان خير علاج وخير دواء وخير تطعيم للوقاية هو الدين عامة ، والعقيدة والايمان الصحيح بالله خاصة ، والصلة مع الله والارتباط بالله ، ومراقبة الله تعالى بشكل اخص ، وهذا ما تمتاز به الشرائع السماوية والتربية الدينية على القوانين الوضعية والنظريات الفلسفية ، فالانسان المتدين يصدر في جميع اعماله عن طاعة الله ومرضاته ، ويسعى لتحقيق العبودية له ويقصد الاجر والثواب الالهي . ويخاف من غضب الله تعالى ويخشى

من انتقامه ويحذر بطشه ، ويحسب ان تدور عليه الدوائر فيراقب الله في اعماله وتصرفاته ويوقن ان الله معه ولو غفل الرقيب ، وان الله يسمعه ولو غاب الحارس ، او نام الشرطي قال تعالى : « **وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون** «» الانفطار / ١٠ - ١٢ ويقول سبحانه وتعالى : « **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . إذْ يتلقى المتلقيان ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** » ق / ١٦ - ١٨ ، فالملائكة تسجل على الانسان نتاج اعماله ، وتدونها في صحيفته التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة الا احصتها ، للسؤال عنها يوم القيامة ، والحساب بموجبها في المحكمة الربانية ، كما جاء في قوله تعالى « **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا** » الكهف / ٤٩ ، ولن يعدم هذا الانسان جزاء عمله مهما قل اوعظم وسواء كان

خيرا ام شرا ، تطبيقا للمبدأ الالهي المعلن الصريح : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره.ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » الزلزلة / ٧و٨ وهذه التربية الدينية التي تقوم على الايمان بالله تعالى واستمرار مراقبته ، هي التي تسمو بالانسان الى اعلى درجات الرقي

والكمال ، وهي التي دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم وحدد معيارها في الحديث الصحيح وسماها الاحسان فقال الاحسان « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه مسلم والبخاري وغيرهما عن ابي هريرة وقد اراد الاسلام تربية الضمير ، وتنمية نشاطه ، وحثه على توجيه صاحبه ، ومحاسبة نفسه لان الانسان ادرى الناس باعماله واعرفهم بتصرفاته واقربهم الى سلوكه وبواطنه : « **بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو القى معاذيره** » القيامة / ١٤ و ١٥ ودعا القران الكريم المؤمن الى مراجعة اعماله ثم يتجه الى الخير

والبر والفضيلة ، وسمى القرآن هذه الحالة : « **بالنفس اللوامة** » فمدحها

واثنى عليها واقسم بها فقال تعالى : « **ولا اقسم بالنفس اللوامة** » القيامة ٢ وان اعتراه تردد في أمر

فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاحتكام لضميره ، وان يعامل الآخرين بما يحب ان يعاملوه ، وان

يحب لهم ما يحب لنفسه ، وان يكره لهم ما يكره لنفسه فقال عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن احدكم حتى يحب

لاخيه ما يحب لنفسه) رواه البخاري ومسلم وقال ايضا « فمن احب ان يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة ،

فلتأته منيته ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذي يحب ان يأتوا اليه » رواه مسلم .

أنا راضٍ!

للاستاذ محمود محمد بكر هلال

حطمت قلبي الهموم الثقال ... وتهاوت علي تلك الجبال !!
أيهذا الذي أراه رمادا ... كدر الماء وهو عذب زلال ؟؟
كنت أشقى ولا أحس شقاء ... في حياتي وليس يبدو كلال!!
أسهر الليل باحثا والليالي ... عند من يسهر الليالي طوال !!
والنهار الذي يضيق بسعي ... فيه للجهد والكفاح مجال
فحياتي جميعها للمعالي ... ولنيل العلا يطيب النضال !!
لم اذق راحة طوال حياتي ... وشكاتي من طول سيري محال !!
كل ما في الوجود عندي جميل ... والدميم القبيح فيه جمال !!
صنعة الله ذي الجلال تعالى ... إنه الخالق البديع الجلال !!
والرضا يملأ الفؤاد ونفسي ... كل آمالها الطريق الحلال !!
ما هفت للحرام أو قارفته ... إنه سبة وفيه الضلال !!
واستمرت حياتنا نصف قرن ... وهي للطهر والعفاف مثال
تقنع النفس بالقليل وترضى ... لم يصب وزنها الدقيق اختلال
أو تعق سيرنا شراك الأعادي ... لا . ولم يدن منا الخبال !!
راحة الناس دأبنا في صباح ... ومساء والمرء منا فعال !!
لكن الدهر قُلَّبٌ وعجيب ... ودوامَ الصفاء شيء محال
بينما كنت راضيا في أمان ... وحياتي يضيء فيها الجمال
لست أبكي ولست أحكي وبيتي ... ليس فيه تذمر أو جدال !!
ساءني ما سمعته من حديث ... لو عرفنا أبعاده لا يقال !!
يزعمون الحياة فيما رأوه ... كلها متعة وجاه ومال !!!
أه من هذي المآسي وآه ... إنها اليأس والضنى والضلال
إنما جوهر الحياة ارتقاء ... واتقاء لربنا وابتهال
وامتناع عن الخنا وارتداع ... واقتناع برزقنا واحتمال
وارتفاع عن الدنايا وحب ... للبرايا له عليهم ظلال !!
فدعوني وما رسمت لسيري ... كل شيء سواه عندي خبال ؟
أنا راض بحكمه فهو ربي ... جل ربي له العلا والكمال
قدر الرزق وهو أدرى بحالي ... ليس في الرزق خدعة واحتيال !!!

الصحوة و التهويم

للاستاذ/ عبد الله كنون

بدأت الصحوة الاسلامية والتخطيط لها منذ أوائل القرن المنصرم، حين قام السيد جمال الدين الافغاني بدعوته الصارخة إلى إنقاذ الوضع المتردي وحفظ الكيان من الانهيار، وكان الافغاني رحمه الله ذا

شخصية قوية أثرت في كبار القوم من الخليفة العثماني إلى الشيخ محمد عبده ، الذي أصبح من أتباعه إلى حد أنه توطن معه في باريس لما ضاقت به السبل في الشرق ، وأصدرا فيها معا جريدة العروة الوثقى لإيقاظ المسلمين من نومهم الطويل .

وكانت دعوة الافغاني تهدف إلى جمع الشمل ، ولم الأطراف ، واستصلاح الادارة ، وتقوية الجيش لمواجهة الاطماع الغربية والتوسع الذي كانت تحلم به القيصرية الروسية والامبراطورية البريطانية على حساب دولة الخلافة وأرض الاسلام، وهي خطة كان من الممكن أن تعطي نتيجتها الفورية في حماية الثغور وايقاف العدوان الخارجي على الوجود الإسلامي عند حده في شرق أوروبا ، وبقاء الهيبة التي كانت ما تزال قائمة لدولة الخلافة في نفوس القوات المناوئة لها . وعندئذ تتوجه العناية إلى الاصلاح الشامل والتطور الذي كانت البلاد الإسلامية بحاجة إليه ولا سيما في الميدان الصناعي والتجهيز التقني .

ولكن المسلمين كانوا ما يزالون في نوم عميق ، ومن صحا منهم فإنه كان يهوم ويغفل عما تدبره قوى الشر للايقاع بهم ، فلم ينشب جمال الدين أن توفى ، وخبت تلك الشعلة وجرت حوادث جعلت الشيخ محمد عبده يتوجه إلى الاصلاح الديني ، وقامت الحرب العالمية الاولى وانكسرت دولة الخلافة وضحك الحلفاء على العرب الذين ثاروا على إخوانهم الاتراك ووقفوا في صف العدو ، فما أن وضعت الحرب أوزارها حتى قسمت البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا باسم الوصاية والانتداب ، وابتدأ الصراع من جديد ، ولكنه في هذه المرة كان على الصعيد الوطني بمعناه الضيق ، إذ استقر في الأذهان ، ما خططه الاستعمار الاجنبي من تقسيم البلاد إلى أجزاء وقوميات لم تكن قط مما يدخل في حساب الدعاة الاسلاميين ، ولا مما يخطر ببال عموم المواطنين .

وكان الصراع بين الزعماء الوطنيين والمستعمرين الأجانب في مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين ، صراعا مريرا ، والجهود والتضحيات التي بذلت في سبيل إزاحة النير الاستعماري عن الرقاب تدعو حقا إلى الإكبار والإعجاب ، فإن بريطانيا في هذه الفترة الزمنية كانت تمثل أعظم قوة دولية في العالم ، وانتشارها في أقطار المعمورة لم يكن لدولة أخرى معاصرة ، فأمريكا اليوم بالنسبة إليها حينذاك دولة في المرتبة الثانية أو الثالثة . وكذلك فرنسا كانت في أوج عظمتها ، وزادها الانتصار على ألمانيا قوة وغطرسة وإعتدادا بالنفس ، فوطدت أقدامها في المغرب العربي ، وبسطت سلطانها في الشرق على سوريا ولبنان ، هذا إضافة إلى تمكن روسيا الحمراء من تعزيز سيطرتها على الاقطار الاسلامية الاسيوية التي

كانت تناضل من أجل حريتها وتجد في الخلافة العثمانية عونا ونصيرا لها ومناوئا شديدا للقيصرية الروسية ، وإلى ظهور ايطاليا بصفة مستعمر جديد وتثبيت أقدامها في ليبيا .

فالواقع أن المعركة الوطنية بل المعارك التي تأججت نارها بين المناضلين في هذه البلاد والمستعمرين الغربيين كانت تنبعث من غيرة صادقة وجهاد مخلص وتحد للقوات الجهنمية التي تتوفر عليها الدول المستعمرة ، واستهانة بقدراتها ، على البطش والتدمير ، الأمر الذي ينبىء عن إيمان عميق وثقة بالنصر لاحد لها ، فالكفاح الوطني في هذه المدة يذكر ببطولات الاسلام في الصدر الأول والمجاهدين السابقين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

ومع أن الروح الدينية كانت تتجسد في هذه الحركة ، والزعماء الوطنيين كثيرا ما نادوا قومهم باسم الاسلام ، لا يستثنى من ذلك حتى مصطفى كمال الذي كثيرا ما كان يتزلف بالسيد أحمد السنوسي الزعيم الليبي المشهور ، فإن فكرة الوحدة الاسلامية أو الجامعة العربية أو إحياء الخلافة أو إنشاء اتحاد فيدرالي بين هذه البلاد التي كانت عند استعمارها دولة اسلامية واحدة لا تتجزأ ، لم تطرح على الصعيد الاسلامي ولا العربي بجد واهتمام من القادة والزعماء الوطنيين ، ولم يشتغل بها من الكتاب والمفكرين إلا قلة لم يكن لها تأثير يذكر في الرأي العام بالبلاد . بل على العكس أعجب الجميع بهذه القوميات الضيقة ، وصاروا يلتمسون لها الخصائص والمميزات ، وكانت النتيجة أن ذاق العرب أول هزيمة لهم في ميدان القتال ، وكانت على يد إسرائيل ، وكانوا هم سبع دول .

أجهضت الصحوة الثانية بهذه التهويمة الجديدة ، التي كانت نتيجة طبيعية لسيادة الخلاف وعدم توحيد الكلمة ، وتوهم أن تقوم للعرب أو للمسلمين دولة بغير الوحدة ورص الصف وإجتماع الرأي والوقوف في وجه التحديات موقفا لا يتزعزع ، بخطة محكمة وقيادة موحدة ، لا زعامات فيها ولا آراء متضاربة ، ولا غاية إلا إحراز الكيان وإثبات الحضور الإسلامي والعربي في الساحة الدولية ، الذي تتجاهله الدول الكبرى وتعمل على محوه من صحيفة الوجود .

نعم لقد اشترك الزعماء وقادة الفكر في العمل على قيام هذا الوضع وبقائه ، ثم لما اخفقت التجربة وفشلت المحاولات لفرض هذه الديموقراطية المزيفة ، بدأت الثورة عليها من الطرفين ونودي بالصحوة من جديد ، فأما الثائرون الجدد من الزعماء فادعوا أنهم إنما قاموا لتصحيح الأوضاع فكان أن تم على عهدهم ما نعاني منه الآن ،بدل أن يحرروا ما أعطته الامبريالية الغربية لاسرائيل

من أرض فلسطين العربية . وأما المفكرون فقلبوا ظهر المجن للحريات العامة والديمقراطية التي كانوا يتغنون بها ، وأصبحوا يتغزلون بالاشتراكية والشيوعية مولين الأدبار للإسلام والوحدة العربية ، وأوجدوا في المجتمع هُوى سحيقة من الشقاق والخلاف غبرت في وجه الخلافات السابقة وأدت إلى الاقتتال والتبعية المخزية لهذا المعسكر أو ذاك من كتلتي الشرق والغرب .

ولا ننسى أنه في هذه الأثناء أنشئت الجامعة العربية ، وهي مؤسسة للدول العربية لا وحدة عربية ولا اتحاد عربي ، وكأنها أقيمت على غرار منظمة الأمم للنظر في علاقات بعضها ببعض ، فالأساس وهو استقلال كل دولة محفوظ ، وإن قيل تعمل على تحقيق الوحدة العربية .

وأنشئت الأمانة العامة لمؤتمر القمة الإسلامية الذي انعقد على إثر إحراق اليهود للمسجد الأقصى ، وهي نسخة طبق الأصل من الجامعة العربية ، إلا أنها بطبيعة الحال أوسع دائرة وأكثر جمعا ، وكان المفروض أن يكون على رأسها أحد ملوك المسلمين أو رؤسائهم ، يتداولونها بالانتخاب لمدة معينة ، ليعطوها قوة ولتكون تمهيدا لقيام الولايات المتحدة الإسلامية ، أو دولة الخلافة الراشدة - ولكنها أسندت لموظف لتبقى الأمور على ما هي عليه أو لتسوء أكثر ، والله أعلم .

ولا ننكر أن تحركات هامة للمؤسستين كان لها تأثير محسوس على مجريات الأحداث في الأمم المتحدة وفي الرأي العام الدولي ، مثل الاعتراف بمنظمة التحرير بقيادة الأخ ياسر عرفات ممثلا وحيدا لفلسطين الذي ترتب عليه استقبال عرفات في المنتظم الدولي بحفاوة بالغة كرئيس دولة حيث ألقى خطابه التاريخي الذي استاء منه ممثل الولايات المتحدة وقال : إن حادثا مثل هذا يقع في مجتمع دولي لمما يؤسف له . وصدر بعد ذلك تصريح البندقية الذي ظهر فيه تغيير كبير في موقف الدول الأوروبية ازاء قضية فلسطين والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، التي كانت أكثرية هذه الدول تستنكرها . وجاءت قمة الطائف فيما بعد ، وكان يقدر لها أن تهز الكيان الصهيوني هزا عنيفا وتجعل المتآمرين معه يراجعون بصيرتهم، ولا سيما وقد جرت جلسة الافتتاح في حرم الله وبجانب الكعبة المشرّفة ، مما جعل لها وقعا مؤثرا في نفوس جميع مسلمي العالم .

ولكن البداية كانت على غير ما يرام ، فقد أعلن من أول وهلة أن القمة ليست ضد أحد ، وأنها لا تهدد مصلحة أي كان ، فتبين للصديق والعدو معا أن طبيعتها لا تختلف عما تقدمها من القمم ، وكذلك كان ، فلم يصدر عنها ما يعتبر جديدا في المواقف التي اتخذت من قبل ، وإن كان الوضع قد بلغ من التدهور ما لم يسبق له مثيل .

إننا لا نتجاوز الواقع إذا قلنا أن التهويم يلازم صحوتنا في الماضي

والحاضر ، ولا أدل على ذلك مما نتتايع (التتأيع بالياء المثناة . التمادي في الشر) فيه يوما بعد يوم من ظروف سيئة وأوضاع خطيرة ، حتى وصلنا إلى حالة من الذل والهوان تتمثل في :

١) تحكم اليهود في المسلمين بالقتل والتشريد ونهب أموالهم ومصادرة أراضيهم وانتهاك حرماتهم ومقدساتهم والتشهير بهم في العالم حتى أصبحوا مضغة في الأفواه . فقد قرأت في صحف الهند أكثر من مرة أن الهندوس يعيرون مواطنيهم المسلمين بغلبة اليهود ، وإذا كان هذا ما يقال في الشرق ففي الغرب إعجاب بشجاعة اليهود وعبقريتهم واحتقار للعرب والمسلمين وهزء بهم . إن هذا شيء لم يقع في التاريخ قط ولم يكن في الحسبان أن يقع أبدا .

٢) عودة الدول الاستعمارية إلى احتلال أراضي العرب والمسلمين فالامريكان والانجليز والفرنسيس والطليان الآن في لبنان ، والروس في الافغان ، ومن المحتمل جدا أن يسيحوا في طول البلاد وعرضها .(لا قدر الله) .

٣) اقتتال المسلمين ومناجزة بعضهم لبعض في إيران والعراق ، وفي لبنان يقتتل العرب مسلمين ومسيحيين ، ويتعاون بعضهم مع العدو الإسرائيلي ، ويعمل البعض على تصفية المقاومة الفلسطينية ، بتقسيمها وتسليط بعضها على بعض،

ليت شعري أي عصر هذا الذي نعيشه ؟ وماذا يكون حكم التاريخ علينا ؟ وهل يدري حكام المسلمين أنهم يكتبون تاريخا لا أظن أن ثمة تاريخا أسود منه ؟

مع هذا هل يقال إن عندنا صحوة ؟ نعم ، ولا .

بالنظر إلى هذا المد الإسلامي الصاعد من طنجة إلى جاكرطا فالصحوة حقيقة ما فيها شك . وبالنظر إلى التصدي لهذا الاتجاه الإسلامي ومحاولة تشويهه من الداخل والخارج فلا صحوة ، إلا أن تعد الصلاة بلا وضوء صلاة ، أو الأعمال التنموية بلا عقيدة نهضة ، ذلك أن الصحوة إنما تكون بالتخطيط لها ، والتخطيط إنما يكون بالتعاون ، وأن توجد بين الحاكم والمحكوم هوة فلا تعاون ولا تخطيط ولا صحوة .

وبالنظر إلى هذه المؤتمرات العديدة التي تعقد على مدار السنة في مختلف البلاد الإسلامية بصدد النهوض والتضامن ورد الفعل على التحديات التي تواجهها أمتنا من الشرق والغرب على حد السواء ، هناك صحوة لا تعدو هذه المؤتمرات أن تكون مظهرا لها ، وبالنظر إلى الولاء الذي يكنه كثير من القادة إلى هذا المعسكر أو ذاك عن حسن نية وسوء تقدير . لأننا لانتهم أحدا في إخلاصه لبلده فلا نقول غير ذلك،لا صحوة ولا ما ينسجم معها ، وبيانات هذه المؤتمرات تؤكد ذلك .

والخلاصة أن التهويم الذي يلازم الصحوة يجعلها صحوة الثمل ، وماذا يؤمل من مهوم لا انتباه له ولا تركيز ؟

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين .

الزواج

الحمدلله ولا معبود بحق سواه .

وبعد : فيقول الله تعالى « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » سورة الروم آية ٢١ .

وقد شرع الله الزواج لان فيه المحبة والشفقة والاستقرار وهدوء البال كما أنه الوسيلة الطبيعية السليمة الحكيمة لبقاء النوع واستمرار الحياة وبناء الأسرة في ظل الأبوين اللذين يقومان برعايتها والحدب عليها حتى تصير دعامة صالحة لبناء المجتمع المتماسك الصالح وجاءت الآية السابقة في معرض الدلالة على كمال قدرة الله تعالى وكمال رحمته بعباده ومن علامات ربوبيته ووحدانيته ورحمته ان خلق النساء ليسكن اليهن الرجال ، جعل بينهما الميل الطبيعي وهيأ لكل منهما ما يمكنه من أداء وظيفته تحقيقا للحكمة ، وسبحان الخالق المنعم الوهاب عظيم الرحمة بالعباد . ولهذا كان الإعراض عن الزواج مخالفا لطبيعة الأشياء وليس له من سبب الا العجز أو الانحراف عن الصراط السوى ، أما ما يتعلل به بعض القادرين من فساد الزمان وعدم وجود الفتاة التي تصلح للوفاء بمسؤوليات الأسرة والحياة الزوجية فإنه من الاسراف في تصور الأمور ومن المبالغة التي يمليها الهوى أحيانا ، إذ مازال المسلمون بخير - والحمدلله - ولم تخل الحياة من المعادن الطيبة والتربية الصالحة ، وهذا الأمر أيضا يدعو إلى ضرورة النصح بالعناية بتربية البنات وتنشئتهن على الصلاح والتقوى ، وتبصيرهن بالحقوق والواجبات وأخذهن بالحزم في أمر الدين ،

وبناء الأسرة الصالحة

للاستاذ/حامد عبدالمقصود بيومي السمادوني

وتعليمهن ما يقوم سلوكهن ويحثهن على التمسك بالفضيلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جعل الاسلام رابطة الزواج الشرعي القائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة المسلمة ، ولقد بلغ من تعظيم الاسلام لهذه الرابطة أن اعتبرها معادلة في الأهمية لشطر الدين أو نصف الايمان فقال صلى الله عليه وسلم « من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه الله على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني . ولعل من اسباب التأخر في الزواج ما تفرضه بعض العادات التي درج عليها بعض الناس إما بفرض مهور ليست في مقدور الشاب مع المغالاة في الشروط وإما بالنظر الى موضوع الكفاءة بما لا يتفق مع روح الشريعة ومراميها وينبغي لنا نحن المسلمين أن نعي جيداً قول الحق تبارك وتعالى « **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** » سورة النور آية ٣٢ . ففي الآية توجيه للأولياء بالسعي لتزويج من لا زوج لها تحقيقا للحكمة من الزواج بإعفاف النفس وتكثير النسل وبناء الأمة الصالحة ، وفي الآية إشارة إلى المبادرة بتزويج أهل الصلاح مع التوجيه إلى أن الفقر لا ينبغي أن يكون سببا يحول دون تحقيق الزواج فالغنى والفقر بيد الله

وإذا صدقت النية وتم الزواج فإن الله عز وجل يفتح للزوجين أبواب رحمته وفضله وييسر لهم السبل ويرزقهم العفاف وغنى النفس ، ولذا كان ابن عمر يقول : عجبت لمن لا يرغب في الباءة « يقصد الزواج » فعن أنس بن مالك قال « جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا .. وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .. وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » متفق عليه .

ولنعلم جيدا أن التشديد على طالب الزواج ليس من مصلحة الفتيات وليس من أسباب سعادتهن في الحياة الزوجية ذلك أن الشاب إما أن ينصرف ويرجع عن عزمه وإما أن يضطرب حاله بتكليفه نفسه ما لا يطيق وما لا تحتمله قدرته المالية ، فلا تستقر حياة البنت بعد الزواج إلا بعد معاناة وصبر وزمن مع ما قد يكون عليه الزوج فترة من حياته من ضيق النفس وانقباض الصدر ، مما قد ينعكس آثاره على زوجته . فالزواج ارتباط روحي وقرب قلبي ودعم للحياة الاجتماعية ، ليس المال فيه الا وسيلة لتنظيم الأسرة وسببا من أسباب استقرارها ، فلا ينبغي للمسلم أن يجعله الغاية التي إليها يقصد ، ولها يبتغي ، وليذكر الأولياء جيدا أن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم زوج ابنة عمته القرشية لزيد بن حارثة خادمه وكان من أسباب ذلك كسر الأنفة والشموخ في بني البشر مع ما في ذلك من تطبيق عملي للمؤاخاة بين المسلمين .

وإذا كان النصح يتوجه إلى الفتاة وإلى وليها بتحري صلاح الخاطب واستقامته ودينه بالدرجة الأولى فان النصح أيضا يتوجه إلى الشاب بألا ينساق وراء الهوى العارض فيبهره الجمال بلا دين فيندفع مثلا إلى الزواج بغير مسلمة مع ما قد يترتب على مثل هذا الزواج في غالب الأحوال من المتاعب والمفاسد ، والتجارب التي نراها في مجتمعاتنا خير دليل وبرهان على ذلك . ورسولنا صلى الله عليه وسلم يرشد المسلم الراغب في الزواج الى ما تتم به سعادته ، فيوضح له الأمور التي جرت عادة الناس عليها عندما يرغبون في اختيار الزوجة التي يتوافر فيها المال والحسب والجمال ويقدمون هذه الأمور على أهم المطالب كلها وهو الدين فيجعلونه آخر المطالب فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تنكح المرأة : لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه البخاري ومسلم . فالدين

هو اهم المطالب التي ينبغي على راغب الزواج ان يجعله نصب عينيه والزوجة الصالحة هي التي تعينه على دينه ودنياه وآخرته وتصون شرفها وعفافها وتحفظ على زوجها كرامته فيأمن معها ويسكن اليها وتشرق بينهما المودة والرحمة ، لهذا نهى الاسلام عن ان تكون مطالب الحسن او المال مقصودة لذاتها فان الزوج لا يأمن معها غائلة الفتنة عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي » رواه الطبراني والحاكم . وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم .

استوصوا بالنساء خيرا :-

يقول الحق تبارك وتعالى (**وعاشروهن بالمعروف**) سورة النساء آية ١٩ .

والخطاب للأزواج وقد جعلهم الله عز وجل قوامين على النساء وجعل الزوجات عونا في ايديهم ، يأمرهم الله عز وجل بحسن معاشرتهن وتطييب القول لهن وبالكسوة والرزق بالمعروف ، وبأن يحسن الرجل فعله وهيئته لزوجته بحسب قدرته كما يحب أن تكون زوجته له حسنة الفعل طيبة القول جميلة الهيئة على حد قول الله تعالى (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**) البقرة آية ٢٢٨ .

والاسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع ، وبصلاحها يتحقق الخير وقد عنى الاسلام بشأن الأسرة كل العناية لبناء المجتمع الصالح وبناء الأمة القوية القادرة على النهوض برسالتها وأداء وظائفها ، وإنما تنهض الأسرة وتحقق غايتها في بناء المجتمع وسلامته إذا ترابط الزوجان وتفاهما واحترم كل واحد منهما حقوق صاحبه وتعاونا على دعم حياتهما ليسودها الأمن والاستقرار ، وهذا يتم بإيمان كل واحد منهما وبره وإخلاصه في قيامه بواجبه نحو صاحبه وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال بالنساء فقال (استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء) متفق عليه . وفي رواية في الصحيحين (المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج) وفي رواية لمسلم (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) والرجل مسؤول عن صيانة المرأة ورعايتها وحفظ كرامتها وكفاية حاجتها على حسب الاستطاعة إلى جانب حسن خلقه معها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ،

وألطفهم بأهله) رواه الترمذي .
فالخلق الحسن في معاملة الناس عامة علامة الايمان الكامل ، وإذا كان هذا هو شأن الخلق الكريم في الصلات العامة بين الناس وبعضهم وبعض فالأولى أن تقوم الصلة بين الرجل وأهله على لين الجانب وصدق المودة والرحمة ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله (خيركم خيركم للنساء) رواه الحاكم ، وقد أوجب الاسلام على الرجل أن يحسن معاملته للمرأة واعتبر إكرامه لها مقياسا لكرم أصله وشرف منبته ، كما اعتبر إهانته لها دليلا على لؤمه وخسته فقال صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم) رواه ابن عساكر عن علي . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله طيب العشرة حسن المعاملة دائم البشر يضاحك نساءه ويتطلف معهن ويدخل السرور على قلوبهن بالكلمة الطيبة والمداعبة والعدل في المعاملة والرفق عند الجفوة ، ولكي تعيش الأسرة في مأمن من عواصف الشر نبه الاسلام الى ان الحياة الزوجية السليمة إنما تبنى على الرعاية التي بها يتكافل أهل البيت في معرفة ما لهم وما عليهم وفي القيام بالتبعات والمسؤوليات والوفاء بالحقوق والواجبات كما يوجه الاسلام النصح للرجل حتى لا يصبح مصدرا لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقوة الأولاد ، ولهذا أمر الله عز وجل بمعاشرة النساء بالمعروف وحذرهم من العواطف المتقلبة .. ولنتدبر قول الله تبارك وتعالى بعد الأمر بالمعاشرة بالمعروف (**فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء آية ١٩ .
أي إن شعرت أيها الرجل بالكراهية نحو الزوجة فأمعن النظر واصبر ولا تتعجل بالمفارقة بمجرد هذا الشعور بالنفرة فعسى أن يؤول الأمر بك الى ما تحبه من ذهاب الكراهية وتبد لها بالمحبة والتقدير فيكون في ذلك خير كثير منه استدامة الصحبة وتثبيت أركان الأسرة والنعمة بالأولاد وتأمل هدى نبينا صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر) رواه مسلم . ومعنى يفرك أي يبغض وعن عبدالله بن زمعة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة وذكر النساء فقال يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه (ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال لم يضحك احدكم مما يفعل ؟ رواه البخاري . وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال (ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن

شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) رواه الترمذي . وقوله صلى الله عليه وسلم عوان أي أسيرات ، والضرب المبرح هو الشاق الشديد ، وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي لا تطلبوا طريقا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به ، وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قلت يارسول اله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال (أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت) رواه أبو داوود . والرسول صلى الله عليه وسلم بهذا يدلنا على سبيل الحياة الزوجية المستقرة ويعلم الأزواج أنه لا توجد امرأة إلا ولها بعض المزايا ، وقد يكون فيها بعض ما لا يرضى ، ومن أراد أن يلتمس امرأة كاملة من جميع النواحي فإنما يلتمس المحال ، والعاقل لا يلتفت الى ما لا يعجبه وينظر إلى ما في زوجته من مزايا ومحاسن أخرى إن التفت إليها رضيت نفسه وسعدت حياته ، وقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشيره في طلاق امرأته فقال له عمر : لا تفعل فقال : ولكني لا أحبها فقال له عمر : ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب ؟ وإنما هي خليقة أن تبني على ركنين آخرين أحدهما الرعاية التي تبث التعاطف والتراحم في جوانبها ، وبالرعاية يتحقق بين افراد الأسرة ، والأمر الثاني التذمم أي وفاء كل من الطرفين للآخر بحفظ حقوقه وصيانة حرماته ، والاستحياء من إغضابه أو التسبب في شقائه ، وتتأكد هذه الخصال باستمرار العشرة وتبادل الرعاية والوفاء ومعرفة الحقوق والواجبات . وتأمل قول الله تعالى **(واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا)** النساء آية ٣٤ والمراد بالنشوز أن تستعصى المرأة على زوجها وتنفر منه فإذا بدرت بادرة بذلك يبدأ الرجل بالعظة والتبصير لترقيق القلب والتعريف بالحقوق والواجبات فاذا لم ينجح في العظة فالانصراف عنها في المضجع في صمت حتى تثوب وإلا فالتأديب بالضرب غير المبرح حين تتأتى أسبابه وحين يكون هو العلاج إذا لم تنفع العظة والهجر .. ويتم ذلك كله مع الحرص على كرامة البيت وفي حدود الاعتدال والوقار وعلى الرجل مع حسن خلقه مع زوجته أن يحتمل الأذى منها فيقابل غضبها وطيشها بالحلم وسعة الصدر رحمة بها ورقة لضعفها ، وقد كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه الكلام ويصبر عليهن . قال انس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم

الناس بالنساء والصبيان وكان صلى الله عليه وسلم يطيب قلوبهن ويمزح معهن كما أكد الوصية بهن في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي منها ما تقدم .

لكي تدوم العشرة بين الزوجين - واجبات كل منهما :

قال الله تعالى (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**) البقرة آية ٢٢٨ . فالحياة الزوجية حقوق وواجبات وتعاون ومودة ورحمة ، وقد جعل الله عز وجل للنساء من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن ، فعلى الرجل أن يحسن عشرتها بما هو معروف من عادة الناس أنهم يفعلونه لنسائهم ، والمرأة كذلك تحسن عشرة زوجها بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من طاعة وتزين وتحبب وغير ذلك ، وتكوين الرجل يؤهله لأن يكون جنديا قوي المراس ، ينهض بمسؤولية الحماية والصيانة والجهاد والضرب في الأرض والقيام بأعمال فوق طاقة التكوين العام للمرأة ، فأساس طبيعة الرجل الخشونة وقوة الجسم والنفس والغالب على تكوين المرأة النعومة والرقة والضعف الذي يجعلها محببة إلى نفس الرجل . وتكوين الرجل يؤهله لأن يكون المسؤول الأول في الأسرة يتحمل تبعات النفقة من طعام وكساء ومسكن وغير ذلك من المطالب الأساسية للأسرة والتي لا غنى عنها كالدواء ونحوه ، ومن هنا كانت للرجل منزلة ليست للمرأة فهو القائم عليها بالانفاق والحماية والصيانة وهو الأكثر جلدا وهو الأقوى على مغالبة الحوادث ومواجهة الحياة . يقول الحق تبارك وتعالى (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**) النساء آية ٣٤ . فالرجال هم الذين يقومون بصيانة النساء والدفاع عنهن وتقديم الصداق لهن والانفاق عليهن وتدبير المسكن الملائم للمرأة ، فكان من حق الزوج على زوجته ان تطيعه فيما لا يغضب الله عز وجل ، وقد أثنى الله على المؤمنات الصالحات المطيعات لأزواجهن الحافظات للشرف في غياب الزوج فقال تعالى : (**فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**) النساء آية ٣٤ . والقانتات هن الطائعات إذا أمرن بما ليس فيه معصية لله ، والحافظات للغيب هن اللاتي يحفظن ازواجهن حال غيابهم ، فلا تصدر عنهن خيانة في النفس أو المال . فأحسن ثمرة يجنيها المرء في حياته ان تكون له زوجة صالحة ذات خلق ودين تطيع زوجها وتسره بما يرى عليها من نظافة وحسن هندام وجمال الهيئة وإن أقسم عليها في أمر مشروع أبرته ونفذت ما حلف عليه لا تعاند ، ولا تكابر ، وتخلص له في حضوره وغيبته ولا تؤذيه في شرفه او ماله عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من

الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا) رواه ابن ماجة . وإن الزوجة التي تكون على نحو من الأدب والتربية ومعرفة الحقوق والواجبات لتعد كنزا عظيما ، وبمثل هذه الأخلاق تدوم الحياة الزوجية وتضع السعادة أجنحتها على الأسرة ، وقد أكد الهادي الحبيب عليه الصلاة والسلام حق الرجل في أن تكون زوجته مطيعة له تحقيقا للتعاون والتآلف ودعما للحياة الزوجية ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة (لو كنت آمرا احدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) رواه الترمذي . وعن طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور) رواه الترمذي والنسائي وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا دعا الرجل زوجته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح) متفق عليه . وليست للمرأة أن تأذن لأحد منَ الأقارب والأجانب بدخول البيت ما دام الزوج يكره ذلك لما روى عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون) رواه الترمذي . وكما يقوم الرجل بأعباء السعي والعمل والنفقة ينبغي للزوجة أن ترعى البيت وتقوم بخدمته وتدبير شؤونه ، ولقد كانت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنته فاطمة وأزواج أصحابه يقمن بخدمة البيوت والقيام على تهيئة الطعام وتقديمه وكل ما يساعد على إيجاد جو من الراحة والاستقرار في الأسرة . ولقد شكت بنت سيد الخلق ما تلقى في يديها من الرحى ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تقوم بالعجين وتعلف فرس زوجها وتحش له وتسقيه وتنقل له النوى على رأسها .. وتلك نماذج عالية لنساء امتزن بمكارم الأخلاق ، وصدق المودة للزوج والقيام بكل ما يدخل السرور على نفسه .

فمن واجب المرأة المؤمنة أن تسعى دوما لإرضاء زوجها ، وإدخال المسرة على قلبه بالطاعة ، وبالهيئة الحسنة ، فلا تستقبله عند عودته إلى داره بثياب المهنة والخدمة في البيت وإنما تعد لذلك أجمل ثيابها وتحاول أن يشم منها زوجها طيبا ، وأن يسمع حسنا ، وان لا يرى ما لا يسره ولا يرضيه ، وألا تكون سببا في اغضابه وإيذائه ، وما أعظم ثواب المرأة التي تموت وزوجها عنها راض فعن ام سلمة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) رواه الترمذي . فليتق الله كل منا وليصن الحياة الزوجية عن العبث وأسباب النزاع حتى تظل الأسرة المسلمة والمجتمع الاسلامي بخير في ظل دين الله وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكانت هذه آراؤهم

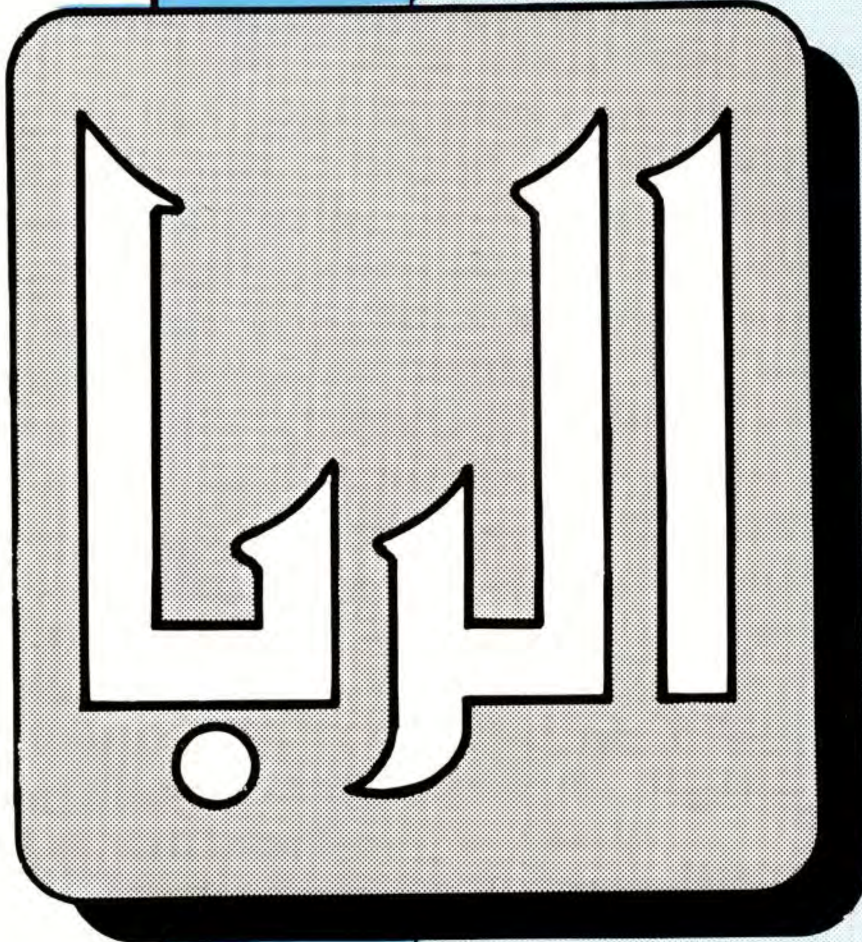
م مؤذن

اخي القارىء ..

هذه ندوة ليست بحقيقية وليست أيضا وهمية ، فهي لم تنعقد بهذا الشكل فعلا ولم تكن لها هذه الصورة ، وما هي ايضا بطيف خيال أو وهم من الكلام ، وإنما هي مزيج من الحقيقة والايضاح وإعادة الصياغة والترتيب بقصد الوقوف على آراء نخبة جليلة من علماء المسلمين في موضوع هام من الموضوعات التي تشغل أذهاننا في الوقت الحالي ، فتعال أخي القارىء نتجول معا في رياض أحاديثهم وآرائهم ، ولنعش نحن وهم ولو لفترة وجيزة نستطيع من خلالها أن نقف على خلاصة آرائهم حول موضوع الربا .

وقبل أن نعيش معهم ـ رحمهم الله ـ في حوارهم ومناقشاتهم حول موضوع من أعضل الموضوعات التي تجابه مفكري الاقتصاد الاسلامي في الفترة الحالية نبين أولا ما جاء بالقرآن الكريم بشأن هذا الموضوع ، ثم نستعرض ما حدّث به المصطفى صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة حوله أيضا ، ولا ننسى تبيان ما





للاستاذ/ عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

انتهى إليه مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ثم نترك لحضراتهم استعراض الآراء ووجهات النظر .

رحمة الله لهم جميعا :

- استاذنا الشيخ/ سيد قطب
- استاذنا الدكتور/ محمد عبد الله العربي
- استاذنا الدكتور/ عيسى عبده

فالأول عالِمٌ متبحر في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، وله من الكتابات الاسلامية ما يشهد له به ، وما يمكن الأخذ به والاعتماد عليه ، والثاني رجل تناول النظم الاسلامية بالدراسة والتحليل ، والثالث عالم اقتصادي جليل له من الكتابات

الاقتصادية الكثير بما يمكن الاعتماد على دراسته وآرائه .

أولا : ما جاء بالقرآن الكريم حول موضوع الربا :

لقد حارب الاسلام الربا ووقف حياله موقفا شديدا واضحا ، ويتجلى ذلك من خلال آيات القرآن الكريم التي تناولت موضوع الربا :

* ففي سورة البقرة : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون * وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**) ٢٧٥ ـ ٢٨١ .

* وفي سورة آل عمران : (**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** * .١٣٠ـ١٣٢

وفي سورة النساء : (**فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا وقد نُهُوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما**) ١٦٠ ـ ١٦١ .

وفي سورة الروم : (**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون * وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضْعِفُون**) ٣٨ ـ ٣٩

ويمكن القول إن الأوامر القرآنية قد نزلت ذات صبغة عامة أول الأمر ، ولكنها نزلت كاملة التفصيل فيما بعد ، تتضح هذه الحقيقة إلى أبعد مستوى عند مقارنتنا وتدبرنا للآيات المكية بتلك الآيات التي أوحى بها في المدينة فيما بعد ، على أن نحتفظ في أذهاننا بمبدأ التدرج أو الوحي المتدرج ومن ثم فقد ذكر في القرآن الكريم بوضوح فيما يتعلق بتحريم الربا :

(١) أن أخذ الربا (الفائدة) من شيم اليهود الذين يأكلون أموال الناس بغير حق : (**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نُهُوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما**)

(٢) ومن ثم فقد نُهى المسلمون عن أخذ الفوائد المركبة والمتتالية : **(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)**
(٣) وبعد أن تم هذا ، وجد المشرع أن الأولى تحريم كل أنواع الربا .. **(وأحل الله البيع وحرّم الربا)**

ثانيا : **بعض الأحاديث النبوية المتعلقة والخاصة بموضوع الربا** :
(١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » رواه مسلم وأحمد .
(٢) وعن علي أمير المؤمنين رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، ومانع الصدقة » رواه أحمد والنسائي
(٣) حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على خيبر رجلا ، فجاءه بتمر جنيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل تمر خيبر هكذا »
قال : لا ، والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفعل ، بِعِ الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . رواه البخاري ـ كتاب البيوع
(٤) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء بلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر برني ـ أصفر ـ فسأله الرسول الكريم من أين هذا ؟
قال بلال : كان عندنا تمر رديء فبعت منه صاعين بصاع لنطعم النبي صلى الله عليه وسلم .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك « أوه ، أوه ، عين الربا ، عين الربا !! لاتفعل . ولكن إذا أردت أن تشتري ، فبع التمر ببيع آخر ثم اشتره » رواه البخاري ـ كتاب البيوع
(٥) وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : « كنا نرزق تمر الجمع ، وهو الخلط من التمر ، وكنا نبيع صاعين بصاع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا صاعين بصاع ، ولا درهم بدرهمين » . رواه البخاري ـ كتاب البيوع
وتوضح الأحاديث السابقة أن هناك حالتين « نظريتين » للمبادلة بالكيل لا بالذهب والفضة فحسب وإنما بأشياء أخرى :
الحالة الأولى : الأشياء موضوع المبادلة التي تنتمي إلى النوع ذاته مثل : الذهب بالذهب والفضة بالفضة والشعير بالشعير ولكي تصبح هذه الصفقات نافذة شرعا لا بد من أن تكون السلع المتبادلة من الصنف عينه وأن يتم التسليم فورا . وفي

حالات الائتمان أو حين تختلف كميات الأشياء المتبادلة أو حين تنقص سلعة من سلعتي المبادلة أو كلاهما ففي كل من مثل هذه الحالات يكون التعامل محرّما وغير شرعي .

الحالة الثانية : اختلاف كل من سلعتي المبادلة عن الأخرى : فمثلا الذهب بالفضة أو الحنطة بالشعير ، فإن مثل هذه الصفقات حلال بشرط أن يتم التسليم فورا ، وأن تسلم الحنطة اليوم مقايضة بشعير يسلم غدا - أي وإذا لم يتم التسليم فورا - فهذه الصفقات الأخيرة تتعادل بالتعامل بالفائدة . حتى لو كانت المقايضة بقشرة جوز فإن الفائدة توجد في مقايضة نفس النوع (الجنس) إذا كان الكم متفاوتا . فإذا كان مطلوبا الحصول على سلعة أجود بدلا من سلعة أردأ من نفس الجنس ، فمن الضروري أولا أن تباع السلعة الأدنى بمقايضتها بسلعة أخرى من نوع مختلف ، ويمكننا بالسلعة التي تم الحصول عليها بهذه الطريقة أن نحصل على السلعة الأجود المطلوبة . إن هذا لا يتساوى مع الفائدة ما دام التبادل الأخير قد تم بين سلعتين مختلفتين تماما ، فحين تختلف سلع المبادلة في النوع لا يهم أن تتفاوت الكميات المتبادلة .

ثالثا : **قرارات وتوصيات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة** :

لقد انتهى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة في دورته الثالثة في المدة من ٢٥ محرم ١٣٨٥ إلى ١٦ صفر ١٣٨٥ هجرية الموافق (٢٦ مايو ١٩٦٥ إلى ١٦ يونيو ١٩٦٥م) ، بشأن المعاملات المصرفية إلى القرارات والتوصيات التالية :

(١) الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرّم ، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الانتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين .

(٢) كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)** .

(٣) الاقراض بالربا محرّم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرّم كذلك ، ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة ، وكل امرىء متروك لدينه في تقرير ضرورته .

(٤) أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ عليها في نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

(٥) الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتمادات بفائدة وسائر أنواع القروض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهي محرمة .

(٦) أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أُجِّلَ النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

(٧) ولما كان للنظام المصرفي أثر واضح في النشاط الاقتصادي المعاصر ، ولما كان

الاسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع اتقاء أوزاره وآثامه ، فإن مجمع البحوث الاسلامية بصدد درس بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي ، يدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد أن يتقدموا بمقترحاتهم في هذا الصدد .

رابعا : حوار الندوة :

ونستهل الندوة بعد أن رأينا ما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما قرره مجمع البحوث الاسلامية بقولنا :

- إن الربا في اللغة يعني الزيادة مطلقا ، فيقال ربا الشيء ، ويربو إذا زاد ، ويطلق الربا على الكسب الحرام ، كما قال تعالى في اليهود :(**وأخذهم الربا وقد نُهُوا عنه**) ويومىء الجميع علامة الرضا .

ويضيف الدكتور عيسى عبده :

الربا هو :

- فائض القيمة الذي يأكله القوي دون مبرر .
- الاحتكار وانتهاز الفرص واستغلالها .
- تجارة الموت كما يسميه الكتّاب الغربيون الآن ، ومن شأنه أن يشعل الرأسماليون الحرب وإن أكلت أكبادهم في سبيل مضاعفة رأس المال ببيع السلاح .
- الكسب الفاحش الذي يؤدي ولو في عقد يتشابه مع عقد البيع .
- الامتياز الذي يؤدي إلى استئثار شعب غني مقتدر بخيرات شعب فقير متخلف ، تقضي الانسانية بترشيده والتعاون معه .
- أكل مال يكسبه صاحبه بغير جهد أو بذل وإنما بمجرد الانتظار واستغلال حاجة المحتاج أو باستغلال فرص القحط والجوع إذا انتشرت الفاقة .

وبذا فالمعاملات الربوية هي عقد يكون من شأنه استغلال حاجة الضعيف وزيادة الفقير حرمانا وزيادة الغنى ثراء حتى يطغى ، وتتفق كل المعاملات الربوية في أمر واحد هو الاتجاه الى معاكسة التيار الخير في المعاملات ، ومن ثم يكون كل من الربا الجلي والربا الخفي وربا الفضل وربا النسيئة مفسدا لسير المجتمع .

* ونتساءل ترى ما هي العلة في تحريم الربا ؟ فيزيدنا الدكتور محمد عبد الله العربي ايضاحا فيقول :

أما التحريم في حد ذاته فهو قائم لأنه أمر الله ، الله الذي لا يريد لعباده إلا الخير وقد تقصر عقولنا البشرية عن إدراك مدى حكمته .

وبالنسبة للقرض الاستهلاكي فحكمة تحريمه ظاهرة لا تحتاج إلى بيان فهو يتنافى مع الأخلاق الاسلامية وهو يهدم جميع الخصائص التي جعلها الله من مقومات المجتمع الاسلامي .

أما الربا على القرض الانتاجي فلعل حكمة تحريمه لم تظهر على أوضح وجه

مثلما ظهرت منذ أجازت التشريعات الأوروبية فرض الفائدة على القروض . ونكتفي هنا بما أثبتته المشاهدات لآثار هذا الربا في عصرنا :

فمن جهة المرابي : تركز الجانب الأكبر من المال بين أيدي أصحاب البنوك الحديثة حتى صار لهم السيطرة الكبرى على اقتصاديات المجتمع ثم امتدت هذه السيطرة الى سياسة المجتمع الداخلية والخارجية والى التشريعات بالمجتمع بل والى أخلاقيات المجتمع وأسلوب تفكيره بما أحرزه من سيطرة على وسائل الاعلام ، ودأبوا على توجيه كل هذه القوى في الاتجاه الذي يكفل لهم المزيد من القوة المالية ويدعم المكانة الرفيعة التي اغتصبوها .

أما من ناحية المنتج : الذي يقترض بالربا فهذه بعض النتائج التي تترتب على رباه :

- غلاء الأسعار للمنتجات التي ينتجها المقترض .
- اذا أراد المنتج تخفيض التكاليف الخاصة بالانتاج التي ارتفعت بسبب اضافة الفائدة اليها لا يجد أمامه الا أجور العمال فيسعى الى تخفيضها أو الاستغناء عن بعضهم .
- المجتمع هو الذي يدفع الفائدة الربوية .
- السعي الى تصريف فائض الانتاج بالخارج ، ويكون ذلك في البلاد المتخلفة صناعيا ولن يقوم لهذا الوضع قائمة إلا اذا بسطت الدول الصناعية نفوذها على هذه الدول .
- قد يلجأ المنتجون الى تخفيض أثمان المواد الأولية التي تعتمد عليها صناعاتهم والتي يستوردون أكثرها من البلاد المتخلفة غير الصناعية وهنا تتآمر الدول الصناعية بتكتلاتها الاحتكارية على تخفيض أثمان المواد الأولية .

ويعود الدكتور عيسى عبده الى الحديث بتؤدة وأناة موضحا لنا الآثار المترتبة على قيام نظام ربوي في المجتمع وإن كان مخففا فيما يسمى بالفائدة فيقول :

- ان الربا وإن كان مخففا فيما يسمى بالفائدة يعتصر الفقير فيزيده فقرا ، ويركم على مال الغني أوزارا فوق أوزاره .

ويمتص دماء الكادحين باحتكار السلع ورفع الأثمان مما يترتب عليه ضعف الجماهير ، وهم قاعدة التنظيم الاجتماعي ، ومن ثم يهتز البناء الاقتصادي بكافة أركانه لضعف الكافة من الأفراد ، وهذه الكافة هي جمهور المشترين والمستهلكين والعاملين في مجالات الانتاج ، وهم أيضا الذائدون عن الحياض والساهرون على أمن الدولة . ويطغى الغني لأنه يزيده قوة ليكون من الفرد أو من الجماعة الرأسمالية الربوية دولة أو دويلات تناهض سلطان ولي الأمر وتهدد الأمن والاستقرار بما تملكه من مال فائض تسخره في الطغيان كما نصت الآية الكريمة صراحة حين قررت : (**إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى**) العلق/٦و٧ .

ويشيع الخوف في جميع الطبقات ، فالضعيف المحروم غير آمن على رزقه ، لأنه من شأن التنظيم الربوي ألا يكون فضل في المعاملة ولا عفو ولا صدقة ، ويعيش

الغني الغاصب في خوف على ماله الذي جمعه باستغلال التفاوت الذي اقتضته الحكمة الإلهية ، وقد ظنه تكريما لذاته الفانية سفاهة منه وجهلا ، وحين يشيع الخوف فإن الثقة تنعدم ويحل محلها سوء الظن والتربص .

وتنبت الجريمة فالمحروم يحقد والمبطون يبطش قبل أن تدور عليه الدوائر ، ولهذا تشيع الجريمة في جميع الأوساط الرأسمالية والربوية على صور لا نظير لها في ظل المدنية الريفيةالتي كان فيها بلاء المعاملات الربوية محصورا .

ويزعزع العقيدة ، فالغني يطغيه سلطان المال ، وقد ينجح في فرض مشيئته على السلطات العامة بالاسترهاب أو بشراء الذمم وبتكرار فرض المشيئة ينسى انه بشر تافه زائل فيقول بمقالة فرعون : (**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**) الزخرف/ ٥١ .

والفقير يطول انتظاره للانصاف وتتزايد عليه البلوى فيضل وقد يلجأ بالشكوى ولو فيما بينه وبين نفسه المكلومة ويتساءل .. أين عدل الله ؟

وعندئذٍ ينسى انه لا مهان ولا ذليل ، وانه مبتلى من الله لا أكثر ولا أقل .. ويفسد المجتمع بما يضفيه عليه من مادية مسرفة خالصة ، فالفقير يفرط تحت ضغط الحاجة ، والغني يستثري من فيض ماله الذي يتزايد فتهوي الأعراض وتنحل الأسر .

ونتساءل عما قاله بعض المعاصرين ـ هنا وفي بلاد اسلامية أخرى ـ إن الربا الذي حرمه الاسلام هو ما اتصل بقروض استهلاكية يقترضها ذوو الحاجة الملحة ويؤدون عنها « رأسمالها » ثم الربا المضاف اليها ، أما القروض الانتاجية التي يفرضها الموسرون ويوظفونها في مشروعات انتاجية تدر عليهم ربحا وفيرا فإن الفائدة التي يؤدونها على رأس المال الذي اقترضوه ليست بالربا المحرم .

* ويرد الدكتور محمد عبد الله العربي على ذلك بقوله :

إن تسمية الربا بالفائدة لا يعتبر جديداً ولا يغير من طبيعته ، فالفائدة ليست إلا زيادة في رأس المال المقترض ، وكل زيادة هي ربا لغة وشرعا .

وأكبر حجة ساقوها على هذا الرأي هو أن الربا الذي حرمه القرآن هو ما كان سائدا في الجاهلية قبل البعثة المحمدية وأن العصر الجاهلي لم يكن أهله على علم بالقروض الانتاجية وأثرها على النشاط الاقتصادي الحديث . ونسوا ان القرآن خاتم الهدايات الإلهية لم يكن ليشرع لعصر معين ، بل تشريعه يمتد الى أبد الدهر ، ولم يكن ليغيب عن علم الله سبحانه وتعالى ما سوف يتمخض عنه اقتصاد هذا العصر ـ أو أي عصر ـ من اعتماد على القروض الانتاجية والزعم بضرورة ترتيب فائدة عليها حتى لا تنقطع ، ونسوا قوله تعالى : (**وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**) **بغير تمييز بين ما إذا كانت رؤوس أموالكم هذه التي استخدمها مقترضوها قد استخدموها في أغراض انتاجية أو استهلاكية ونسوا كذلك الحديث الذي يقرر أن كل قرض جرّ نفعا فهو ربا ، فلم يميز الرسول بينما إذا كان القرض الذي عاد بزيادة على المقرض قد فرج**

كربة المقترض أو قد وظفه في مشروع انتاجي .
ولو شاء سبحانه هذا التمييز أو علم أن فيه خيرا للناس لما ترك النص عليه ..
وبعد أن أوضح لنا ما يتعلق بالقروض الانتاجية والاستهلاكية ، هل لنا أن نعرف رأي سيادتكم بشأن التعامل الخارجي ؟
* ويرد الدكتور محمد عبد الله العربي قائلا :
إنه كما نستطيع أن نمتنع داخليا عن التعامل الربوي وان نطهّر معاملاتنا عن الفائدة الربوية لتحل محلها شركة المضاربة ، فاننا لا نملك فرض هذا الحكم على البلاد غير الاسلامية التي نتعامل معها ، وما دمنا مضطرين الى التعامل معها في عقد قروض لتمويل بعض نشاطنا الانتاجي وفي استيراد سلع لم نصل الى انتاجها بعد ، فلا مناص من التغاضي عن وزر الربا الذي قد يشوب معاملاتنا معهم وذلك تطبيقا للقاعدة الشرعية :

« الضرورات تبيح المحظورات »

ومن هذه المعاملات «الكمبيالة» التي أصبحت أداة تمويل دولية ولها سوقها العالمية ، ويشتري فيها المستوردون الكمبيالات المدون فيها عملة بلاد المصدرين للوفاء بديونهم الى هؤلاء المصدرين وأصبحت البنوك والبورصات تتعامل في هذه الكمبيالات .
وقد يقال إن الاضطرار هنا غير حاسم فلا ضرورة حيوية لاستيراد سلع من الخارج وهذا صحيح بالنسبة لسلع الكماليات أو الترفيه ، ولكن هناك سلع ضرورية لم نتوصل إلى إنتاجها بعد ، وهناك ما هو أهم من ذلك بكثير وهو أجهزة الانتاج الآلية الضرورية لنا في مرحلة التصنيع الشامل التي اقتحمتها الآن كثير من البلاد الاسلامية .
لذلك لا أرى بدا من أن أقرر هنا ـ**٢مكرها لا مختارا** ـ جواز استمرار معاملاتنا المصرفية الخارجية على الوضع الربوي القائم ، وفي الكمبيالات بالذات لا مناص من التغاضي عن وصمة الربا في تداولنا السوقي للكمبيالات سواء كانت مسحوبة منا لصالح مصدرين أجانب أم لصالح موردين أجانب .
وبعد : هل لنا أن نعرف الحقائق الأساسية لكراهية الاسلام للنظام الربوي المقيت من وجهة نظر الأستاذ سيد قطب .
* يقول الأستاذ سيد قطب :
ومع أننا لا نستقصي كل عيوب النظام الربوي ـ فهذا مجاله بحث مستقل نكتفي هنا بالقدر الذي ينبه المسلمين الى جملة حقائق بصدد كراهية الاسلام للنظام الربوي المقيت :
* **الحقيقة الأولى** : لا إسلام مع قيام نظام ربوي في مكان ، وكل ما يمكن أن يقوله

بعض اصحاب الفتاوى من علماء الدين أو غيرهم سوى هذا دجل وخداع ، فأساس التصور الاسلامي يصطدم اصطداما مباشرا بالنظام الربوي ونتيجة الربا العملية في حياة الناس وتصوراتهم وأخلاقهم .

الحقيقة الثانية : * أن النظام الربوي بلاء على الانسانية ـ لا في ايمانها وأخلاقها وتصوراتها للحياة فحسب ـ بل كذلك في صميم حياتها الاقتصادية والعملية وأنه أبشع نظام يمحق سعادة البشرية محقا ويعطل نموها الانساني المتوازن .

* **الحقيقة الثالثة** : أن النظام الأخلاقي والنظام العملي في الاسلام مترابطان تماما وان الانسان في كل تصرفاته مرتبط بعهد الاستخلاف وشرطه وأنه مختبر ومبتلى وممتحن في كل نشاط يقوم به ومحاسب عليه في آخرته ، فليس هناك نظام أخلاقي وحده ، ونظام عملي وحده ، وإنما هما معا يؤلفان نشاط الانسان ، وكلاهما عبادة يؤجر عليها إن أحسن ، ويؤاخذ عليها إن أساء ، والاقتصاد الاسلامي الناجح لا يقوم بغير أخلاق .

* **الحقيقة الرابعة** : أن التعامل الربوي يفسد ضمير الفرد وخلقه وشعوره تجاه أخيه في الجماعة ، ويفسد حياة الجماعة البشرية وتضامنها بما ينبته من روح الشر والطمع والأثرة والمخاتلة والمقامرة بصفة عامة .

* **الحقيقة الخامسة** : أن الاسلام نظام متكامل فهو يقوم بتحريم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة اليه ، وينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفي منها الحاجة الى هذا النوع من التعامل بدون مساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والانساني المطرد .

* **الحقيقة السادسة** : أن الاسلام لن يحتاج عند إلغاء التعامل الربوي إلى إلغاء المؤسسات والأجهزة اللازمة لنمو الحياة الاقتصادية العصرية نموها الطبيعي السليم ، ولكنه فقط سيطهرها من لوثة الربا ودنسه ، ثم يتركها وفق قواعد أخرى سليمة ، وفي أول هذه المؤسسات والشركات وما الى ذلك ، المصارف وما شابهها من مؤسسات الاقتصاد الحديث .

* **الحقيقة السابعة** : أن هناك استحالة اعتقادية في أن يحرم الله أمرا لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه كما أن هناك استحالة اعتقادية كذلك في أن يكون هناك أمرا خبيثا ويكون في الوقت نفسه حتميا لقيام الحياة وتقدمها .

* **الحقيقة الثامنة** : أن استحالة قيام الاقتصاد العالمي اليوم وغدا على أساس غير الأساس الربوي ليست سوى خرافة أو هي أكذوبة ضخمة تعيش ، لأن الأجهزة التي يستخدمها أصحاب المصلحة في بقائها أجهزة ضخمة فعلا ، وعندما تصح النية للخلاص من المعاملات الربوية فالمجال مفتوح لاقامة النظام الرشيد الذي أراده الله للبشرية .

ونتقدم بالشكر والتقدير للسادة ضيوف الندوة شاكرين لهم حسن تقبلهم الدعوة وندعو الله لهم جميعا بالرحمة على ما قدموه من علم نافع للمسلمين .

مائدة القارىء

قال تعالى : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولاتطغوا انه بما تعملون بصير.ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون . وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين » .
الآيات من سورة هود

*ورع الحاكم *

روى أن رجلا أتى عمر ابن عبدالعزيز بتفاحات فأبى أن يقبل ، فقيل له : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقبل الهدية ، فقال عمر : هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، وهو لنا رشوة ، ولا حاجة لي به .

*حتى لايحتاج *

سُئل أحد الحكماء : أتدخر المال وأنت ابن سبعين سنة ؟
فقال : يموت الرجل فيخلف مالا لعدوّه خير من أن يحتاج لصديقه .

*الأمل في رحمة الله *

قال أحد الأعراب لابن عباس - رضي الله عنهما -
من يحاسب الناس يوم القيامة ؟ فقال : يحاسبهم الله تعالى .
فقال الأعرابي : نجونا اذا ورب الكعبة . فقيل له : وكيف ؟ فقال : ان الكريم لايدقق في الحساب .
« وأنت ياإلهي أكرم من كل كريم ، فاعف عنا ، واغفر لنا ، وتجاوز عن سيئاتنا » .
اللهم آمين .

*فضيلة التعاون *

قال حكيم : فضيلة الفلاحين التعاون بالاعمال ، وفضيلة التجار التعاون بالاموال ، وفضيلة الحكام التعاون بالاراء والسياسة ، وفضيلة العلماء التعاون بالحكم الالهية ، والفضيلة المشتركة بين الاصناف الأربعة هي التعاون على مايصلح به المعاش والمعاد .

*من أدب النبوة *

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا استقبله الرجل فصافحه ، لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع . ولايصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه ، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له .

رواه الترمذي

*عيال الله *

قال رجل ناصحا هارون الرشيد : أيما رجل آتاه الله مالا ، وجمالا ، وسلطانا ، فأنفق ماله ، وعف جماله ، وعدل في سلطانه ، كتب في ديوان الله من الأبرار ، فقال له الرشيد : أحسنت وأمر له بجائزة ، فرفضها .

وقال : ياأمير المؤمنين : أنا وأنت عيال الله ، فمحال ان يذكرك وينساني .

*العقل والأدب *

الفضل بالعقل والأدب ، لا بالأصل والنسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه .

*المحبة *

هي التي لاتزيد بالبر ، ولاتنقص بالجفاء .



شر الناس

يقول الشاعر أحمد شوقي :

وما الدنيا بمثوى للعباد — فكن ضيف الرعاية والوداد
ولا تستكثرن من الأعادي — فشر الناس أكثرهم خصوما

مكافحة التبشير في الجزائر

أطل القرن العشرون والمد التبشيري يكتسح كافة الميادين ، مدعما بالقوى الاستعمارية التي جثمت على صدر الجزائر تستنزف ثرواتها بأيدي المستعمرين وتحولها الى فرنسا ، وتتسلل بسمومها الى وجدان ناشئتها من الفقراء الضعفاء الابرياء لتخرب نفوسهم وتغريهم في وطنهم كي تصطنع منهم حين يشبون اعوانا لها معادين لدينهم وقوميتهم وآمال شعبهم في التحرر من ربقة الاستعباد والاستغلال . بيد انه لم يكن بد من انجلاء هذا الليل الطويل . فلم يكد ينتهي العقدان الاول والثاني من القرن الا بزغ ـ كالميلاد الذي يعقب المخاض العسير ـ فجر جديد كانت تسبقه ـ مثل كل فجر ـ احلك الظلمات ، مجسدة في كثافة النشاط الذي يمارسه « الآباء البيض » القائمون على حركة التبشير .

وهكذا بدأت بوادر بعث لحياة جديدة في ارض الجزائر العربية الاسلامية ، ودقت ساعة اليقظة والعمل عبر اصوات مستنيرة تدعو الى رفض القيد والتمرد على التزييف والعودة للينابيع الصافية ، فكأنها استمدت قوتها الباعثة من رواد النهضة في المشرق بل كأنها كانت صدى لصوت جمال الدين الافغاني البعيد . وقاد المسيرة المؤمنة الشيخ عبدالحميد ابن باديس منطلقا من مدينة قسنطينة مع زمرة من رفاقه . وبلغت الناس جميعا دعوته الاسلامية من خلال خطبه ومحادثاته ، وأحسوا باليقين في كلماته التي تتدفق ، واذا بالوعي المخدر يصحو ، والجزائر تتهيأ لمرحلة تحول في تاريخها عبر الصراع المنتظر مع المستعمرين المتعصبين .

ادرك الشيخ ابن باديس ان الطريق المثلى

الطريق المثلى لاسترداد الجزائر شخصيتها هي إحياء مبادئ الإسلام الصحيحة ومناهضة الاستعمار وأساليبه

الشيخ عبد الحميد بن باديس

للدكتور / حسن فتح الباب

لاسترداد الجزائر شخصيتها هي احياء مبادىء الاسلام الصحيحة ، ومناهضة سياسة الاستعمار واساليبه في التبشير وفي العدوان على اللغة العربية والثقافة القومية ، وماخلفته من ظواهر ضارة في المجتمع توشك ان تعود به القهقري الى ظلمات الجهالة والافك ، وتقطع مابينه وبين العالم العربي الاسلامي من روابط تاريخية وروحية ، بما ضربه العدو على الجزائر من حصار مطبق حتى لاينفذ اليها شعاع من نور الحقيقة ، ويبدد تلك السحب الداكنة التي تخلفت عن الغزو الديني واللغوي والثقافي .

وقد كانت هذه الحركة الاسلامية الاصلاحية التي رادها الشيخ ابن باديس امتدادا لتلك التي سبقتها بعقدين في البلاد العربية . ففي الوقت الذي سيطرت اوروبا المنتصرة على تونس سنة ١٨٨١ وعلى مصر سنة ١٨٨٢ ، كانت النهضة الادبية واللغوية بالمشرق في أوج نشاطها ، كما كانت حركة الاصلاح المنبثقة عن جمال الدين الافغاني (١٨٣٨ ـ ١٨٩٦ م) ومحمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) في عنفوانها ، بحيث لم يأت الاستعمار العدواني الغربي ليفاجأ عالما اسلاميا وكأنه كان منغمسا في غفلة طويلة .

بل على العكس جاء ليعرقل حركة هذا العالم في اتجاه السيطرة على مصيره وتدبير اموره بنفسه . وقد كانت انطلاقة العالم الاسلامي على اثر شعوره بتأخره عن اوروبا التي نهضت بفضل الكشوف العلمية والثورة الصناعية ، وبوجوب استدراك هذا التأخر دون ان يفقد نفسه ، بل في نطاق قيمه ومبادئه .

تخلف التعليم بعد ازدهار :

لم يختلف المغرب العربي عن المشرق

كثيرا في حركته قبل الغزو الفرنسي في القرن التاسع عشر ، فقد كانت له دوله وتنظيماته الذاتية ، فجاء الاستعمار ليدمره تدميرا ، ويسحق اية بادرة منه لتحسين احواله والمشاركة في ركب الحضارة الانسانية . يدل على ذلك ان الجزائر قبل الاحتلال كانت تحفل بالمدارس سواء في المدن ام في القرى . وقد قدر أوجين كومب » رئيس مجلس الشيوخ الفرنسي عددها « بأكثر من ألفي مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية » . فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعني بتلقين اللغة العربية . وقد شهد بهذه الحقيقة « جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ، وانبهروا من كثرة المدارس بها وندرة الامية بين سكانها » ، وكاد هذا البناء الحضاري ان ينقلب رأسا على عقب تحت سنابك المستعمر الذي أطفأ هذه المنارات العلمية ليجعل اعزة اهل البلاد اذلة تحت وطأة الامية والجهل ، فيسهل له قيادهم .

لقد استولت السلطات الفرنسية على الاوقاف ، وكانت من ضمنها المدارس ، فانقطع المصدر المالي الذي كان يمول التعليم ، فتفرق العلماء وتشتت المدرسون والطلاب . وكان في قسنطينة ـ مدينة الشيخ ابن باديس سنة ١٨٣٧ حين غزاها الفرنسيون ست وثمانون مدرسة ، فلم يبق منها بعد تسع سنوات من الاحتلال الا ثلاثون مدرسة . واتخذ الفرنسيون من المدارس مخازن وثكنات وحظائر لخيولهم كما فعلوا بالمساجد وكذلك الشأن في مدينة عنابة ، اذ كان بها قبل الاحتلال تسع وثلاثون مدرسة فلم يبق منها بعده سوى ثلاث مدارس . وقد حرم المستعمرون استعمال اللغة العربية في المكاتبات الرسمية ، وأوجبوا اصدار الاحكام باللغة الفرنسية . وظل هذا التضييق متواصلا طوال سنوات الاستعمار حتى اصدر « شوتان » وزير الداخلية الفرنسي بعد نيف ومائة عام من الاحتلال قرارا باعتبار اللغة العربية لغة اجنبية في الجزائر يحظر تعليمها او التعلم بها !! وكانت حربهم عليها واضطهادهم اهلها بسجنهم ونفيهم بل اعدامهم احيانا ، انطلاقا من حربهم على الاسلام ، باعتبار العربية لغة القرآن الكريم ولسان الاسلام دينا وحضارة ، والوعاء الذي يحتوي اهم العناصر المكونة للروح والشخصية القومية والثقافية للامة ، فلايتم فصل الجزائريين عن دينهم الا بفصلهم عن اللغة العربية . وكان فتح مدرسة او فتح مؤسسة دينية تجمع أكثر من عشرين شخصا ولو لغرض ثقافي يستوجب العقاب بمقتضى القانون . ثم تراجعت السلطة الفرنسية خشية الانفجار الشعبي ، فأجازت فتح المدارس بعد الحصول على ترخيص منها ، وكان ذلك من اشق الامور لكثرة الشروط المفروضة . ومن عجائب مايروي في ذلك ان احد اعوان السلطة الفرنسية بوهران منح رخصة لاحد المعلمين ، ولكنه اشترط عليه الا يعلم فيها أكثر من تلميذين !!

وقد كان التبشير والقضاء على اللغة العربية صنوين متلازمين ، يصدران عن فكر استعماري عنصري واحد . ويكفي للدلالة على ذلك ان نستشهد بقول لافير دي كاردينال الجزائر في المؤتمر النصراني الذي عقد سنة ١٩٣٦ في

الجزائر : « اذا اردتم ان تدمجوا افريقيا الشمالية في العائلة الفرنسية ، فما عليكم الا ان تضربوا على ايدي اللغة العربية . فاذا توصلتم الى قتلها توصلتم الى الادماج . وليس هذا فحسب ، وانما ايضا الى التمسيح ، لان اللغة العربية هي ضمان الاسلام ، وهي لغة القرآن ، فمن حاربها حارب الاسلام وكان مبشرا » ومن قبل هذا الكاهن ، قال الكاردينال « لافيجيري » عبارة مماثلة : « لقد وجب اعادة بناء الشعب وفصم وقف حياته على القرآن الذي ارتبط به منذ زمن بعيد ، باستعمال كل الوسائل الممكنة . ومن جهة أخرى يجب تلقين ابنائه ـ على الاقل ـ مشاعر ومبادىء جديدة . كما يجب على فرنسا ان تقدم ـ اذا لم أخطىء ـ او بالاحرى تسمح بتقديم الانجيل ، او تعمل على طرد هذا الشعب الى الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر . وبغير هذا يصبح كل شيء وسيلة لاتفي بالغرض ولاقدرة لها » ولاعجب في هذا التصريح اذا علمنا ان الصليب الاستعماري كان يسير دائما في ركاب السيف ، وكان كلاهما يشكلان معا سياسة واحدة .

والى جانب هذا الطمس للشخصية الجزائرية ذات الانتماء العربي الاسلامي العريق ، شجع الفرنسيون بعض المنحرفين في فكرهم وممارساتهم عن جوهر الاسلام الغارقين في التهاويم والشعوذة والخرافات ، المعادين للعلماء الجزائريين ذوي الفهم الصحيح والايمان الواعي الصادق . فكان معظم هؤلاء المنحرفين يتلقون العون المادي والمعنوي من السلطات الفرنسية ليحاربوا اولئك العلماء الصالحين ويصرفوا الناس عنهم . وقد انتشروا في الاماكن النائية المعزولة عن المدن ، واتخذوا منها مرتعا خصبا لبث دعاواهم وأباطيلهم ، مستغلين الامية المتفشية وسوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية .

ابن باديس ومنهجه في الفكر الاصلاحي :

في هذه الظروف المأساوية التي نجمت عن الاستعمار والتي اتسمت بالاضمحلال والجمود والتعلق بالاوهام ، والانصراف عن الاسلام الحق في ايجابيته وسمو مبادىء ونظمه وقيامه على العلم والعمل والتقوى ، نشأ عبدالحميد بن باديس ، فوعى علة هذا الواقع السقيم ، واعمل فكره في التماس العلاج فوجد ضالته في النهج الاصلاحي الاسلامي الذي استنه من قبله الافغاني ومحمد عبده ، والذي كانت الصحف التي تصدر باسمه في المشرق ، وعلى رأسها العروة الوثقى ، تخترق أشعتها المغرب رغم الحصار المضروب . كما كانت هنالك بعض الكتب التي ترد من مصر وبعض الاقطار العربية الاخرى ، فضلا عن المؤلفات والمراجع التي تضمها المكتبات الخاصة في الجزائر .

وقد حذا ابن باديس حذو الحركة الاسلامية الاصلاحية من حيث نظرتها المتفتحة ، واعتمادها الاسلام عقيدة وسبيلا الى التحرر والتحضر والتقدم . فكان يتطلع الى بناء مجتمع جديد على قاعدة متينة من الاسلام بمفهومه

العقلاني دون بدع ولاتزمت . وبذلك تنهض الجزائر من كبوتها وتسترد اصولها التي كادت تقطع ، ثم تتقدم حثيثا الى الامام . فالاسلام في ينابيعه الصافية سبيل الى النهضة ، والنهضة هي طريق التحرر من الاستعمار . ومن ثم كانت رسالته ذات بعد ديني حضاري تحرري .

وفي ضوء هذا الفكر اعلن ابن باديس دعوته تحت شعار : « الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا » ، وسعى الى جعله واقعا معيشيا ، فانضمت اليه الصفوة من رجال الدين والتعليم ومختلف الفئات المثقفة ، وكان في طليعتهم : البشير الابراهيمي والطيبي العقبى والعربي التبسى ومبارك الميلي والعامودي ، والشعراء محمد العيد آل خليفة واحمد سحنون ومفدي زكريا . وقد ضموا صفوفهم حول ابن باديس تؤلف بين عقولهم وقلوبهم قوة الايمان ووحدة الهدف ، وتزيدهم قربا من الشيخ شخصيته الفذة الفتية ، تلك الشخصية التي وصفها المفكر الاسلامي الجزائري مالك بن نبي بقوله : « انها تجمع في طياتها جوانب بلغت من التنوع والغنى مبلغا يجعل في قدرة الباحث دوما ان يتطرق الى دراستها من زاوية تحرر الفكر من الظروف العريضة النسبية .

لقد كان مناظرا مفحما ، ومربيا بناء ، ومؤمنا متحمسا ، ومجتهدا يرجع الى اصول الايمان المذهبية ، ويفكر في التوفيق بين هذه الاصول توفيقا عزب عن الانظار ابان العصور الاخيرة للتفكير الاسلامي . وهو كذلك وطني مؤمن . والشعور الوطني المتقد يغدو لديه فيضا شعريا عندما ينظم قصائده التي قدر لها ان تعيد الى الشعب الجزائري ابعاده الحقيقية في التاريخ الاسلامي ، وفوق ذلك فقد كان ابن باديس مصلحا اقترن اسمه واثره بتاريخ هذا البلد (الجزائر) في مرحلة سياسية كانت تعده للثورة ، وفي هذه الكلمة من المعاني اكثر مما تعودنا ان نفهم » .

ويستطرد العلامة مالك بن نبي في تحليله للفكر الاصلاحي لابن باديس قائلا : « انه المصلح الذي استعاد موهبة العالم المسلم ، كما كانت في عصر ابن تومرت بافريقيا الشمالية . ولم يستطيع ان يطمح الى تأسيس امبراطورية تحرر الضمير ، لقد تغير الزمان ، فالاستعمار والقابلية للاستعمار غيرا كل المعطيات في الجزائر ، كما فعلا ذلك في سائر العالم الاسلامي . كانت الظروف تقتضي الرجوع الى السلف ادراجا ، اذ لم يكن القيام بأي عمل في النظام السياسي او الاجتماعي وغيره ممكنا قبل تحرير الضمائر . وكل مذهب الاصلاح الجزائري الذي تجده في ابن باديس كان لابد ان يصدر عن هذه الضرورة او عن هذه المقتضيات الخاصة . والمبدأ الاساسي القائل : **(ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد / ١١ الذي كان اول خطوة في الاصلاح يمكن ان يعتبر ـ من زاوية ما ـ ترجمة لهذه الضرورة في صيغة مذهبية . وقد كان للشيخ دوره في توجيه الرأي العام الجزائري ، وكان كذلك المعلم الذي يدرس في معهد تكون فيه كل قادة تعليمنا الحر وحتى شعراؤنا . لقد كان المدافع عن الدين ، والناقد الاجتماعي ، والعالم

المحقق ، والمصلح ، كل بدوره ، وهو مثقف يعيش مأساة مجتمع وحضارة على طريقته الخاصة » .

مكافحة اعداء الدين والعروبة :

أدرك الشيخ ابن باديس ان العمل الفردي لايجدي في مواجهة المستعمر الغاشم وأساليبه ، وانه لابد من انشاء تنظيم محكم قادر على هذه المواجهة .

فأنشأ جمعية العلماء الجزائريين المسلمين سنة ١٩٣١ . ولكي تحبط الجمعية اعمال الحركة التبشيرية والمنحرفين التابعين للاستعمار وما افرزته من فساد اجتماعي ، ركزت نشاطها على انشاء المدارس الحرة الشعبية لاحياء الدين واللغة العربية ، ومن ثم بدأ الصراع بينهما وبين الجهاز الاساسي للاستعمار المتمثل في رجال التنصير الاباء والاخوة البيض الذين كانوا يغرسون في النشء تلك الفرية الصارخة القائلة بان الجزائر فرنسية !! ولم يعمد الفرنسيون الى استخدام العنف لتصفية حركة ابن باديس في السنوات الاولى لنشأتها ، اذ عدوها حركة دينية فقط فلا خطر منها ، ولان استخدام القوة لقمعها من شأنه ان يفضح ادعاءهم الحرص على اقرار حقوق الانسان وتشدقهم بالديمقراطية . وقد افاد رجال الجمعية من هذا الهامش الضئيل الذي اتاحته لهم السلطات المحتلة في بث دعوتهم الاصلاحية وانشاء مؤسساتهم في ظل رقابة صارمة منها . وظل الصراع خفيا حتى اسفر عن وجهه ، مسدلا الستار على الهدنة المؤقته ، ومفجرا الصدام الذي أرجئ طويلا ، وذلك بعد ان شعر الفرنسيون بالخطر الذي تشكله الجمعية بمبادئها واهدافها القريبة والبعيدة ، فكان القمع والتنكيل ، ثم كان الاعدام الجماعي حين اشتد ساعد الكفاح ، وانتشرت المقاومة في الاربعينات والخمسينات ، واصبحت القضية لدى المعسكرين « نكون اولا نكون » .

ولم تكن المدارس التي اسستها جمعية العلماء الجزائريين مجرد كتاتيب لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن على النمط التقليدي ، بل كانت الى جانب ذلك مراكز لتنوير وبث الوعي ومنارات للمعرفة العصرية . ومن ثم دعا ابن باديس الى دراسة علم الاخلاق وعلم النفس ، واعتبر هذه الدراسة مبدأ اساسيا في مناهج التربية والتعليم ، وانتقد طرق التعليم في عصره قائلا : « ان التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه ، اذ ان تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الاقطار لايفيد المتعلم ..... فلا بدمن معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا . اما اذا اقتصرنا على احد العلمين ضاع مايفتقر لذلك العلم المجهول . ولكن اهل زماننا تركوا العلمين معا ولاحول ولا قوة الا بالله . نعم انه يوجد بعض العلماء ولكن صاروا لقلتهم كالعدم » ولم يغفل المصلح الجزائري عن جانب مهم من الحياة الاجتماعية الاسلامية ، وهو خطبة الجمعة فدعا الى اصلاحها ، وأشار الى الحضارة الاسلامية وتاريخها ، واستشهد بأقوال الاجانب مما يدل على سعة اطلاعه .

صحف جمعية العلماء الجزائريين :

إلى جانب النهضة التعليمية الاسلامية التي حملت لواءها جمعية العلماء الجزائرين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، أصدرت الجمعية عدة صحف تنطق بلسانها وتبث دعوتها ، إدراكا منها لما تلعبه الصحافة من دور كبير في تشكيل اتجاهات الرأي العام ، وأن كل الحركات التاريخية بدأت بإصدار الصحف والمجلات ، ودحضا للدعاوي الباطلة التي تنشرها الصحف الاستعمارية في الجزائر . وأول صحيفة صدرت هي « المنتقد » التي أسسها ابن باديس سنة ١٩٢٥ وتوقفت بعد صدور ثمانية عشر عددا منها ، وخلفتها صحيفة « الشهاب » في نفس السنة ، وكانت اسبوعية ، ثم تحولت إلى شهرية في سنة ١٩٢٩ واستمرت في أداء رسالتها حتى الحرب العالمية الثانية إذ توقفت في سبتمبر ١٩٣٩ . ثم أصدر الشيخ ابن باديس جريدة « البصائر » وأصدر الشيخ محمد السعيد الزاهري جريدة « الجزائر » وقد عطلتها الحكومة الفرنسية ، وأصدر الشيخ العقبى والشيخ أحمد العابد جريدة « صدى الصحراء » ثم صدرت جريدة « البرق » سنة ١٩٣٧ . وأصدر الشيخ العقبى كذلك جريدة « الاصلاح » .

وقد كانت هذه الصحف التي أصدرها الشيخ ابن باديس وأصحابه امتدادا للصحف الجزائرية العربية التي أصدرها المثقفون الجزائريون في مطالع هذا القرن ، والتي وضعت البذور الأولى للنهضة ، وكان الدافع إلى إصدارها الرد على الجريدة الحكومية التي كانت تحاول أن تبث الدعاية ضد الوطنيين الذين هم في نظرها شياطين مشوشون . وأول هذه الصحف جريدة « الجزائر » التي أصدرها بالعاصمة عمر راسم سنة ١٩٠٨ ، ثم جريدة « الحق » سنة ١٩١١ في وهران ، وهي أول جريدة فتحت الاكتتاب للهلال الأحمر العثماني أيام حرب طرابلس ، وأول من نبه إلى الخطر الصهيوني ، وفي عام ١٩١٣ أسس الشيخ عمر بن قدور صحيفة « الفاروق » ثم صحيفة « الاقدام » التي أصدرها الأمير خالد حفيد البطل الجزائري الأمير عبد القادر وذلك سنة ١٩١٩ . وفي السنة نفسها أصدر الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي بالاشتراك مع ابن باديس جريدة « النجاح » .

وقد كانت هذه الصحف وسيلة للاتصال بين المشرق والمغرب ، وينتمي بعض مؤسسيها إلى المدرسة الاصلاحية المتأثرة بالامام محمد عبده الذي زار الجزائر ، والتقى بعلمائها في مطلع هذا القرن (١٩٠٥) ، وكانت تستعين بمجلة « المنار » لرشيد رضا ، فتنقل بعض مقالاتها ، وتهتم بأخبار العالم الاسلامي . وقد سارت على نفس النهج صحف جمعية العلماء المسلمين ومجلاتها ، فكانت تؤدي رسالة اليقظة والتوعية ، وتمثل لسان الشباب الناهض بالوطن الجزائري . وقد حملت الصحيفة الأولى التي أسسها ابن باديس اسم « المنتقد » للدلالة على معنى النقد ،

وكان شعار « المنتقد » « الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شيء » . ومن الاتفاقات الغريبة كما يقول الأستاذ عمار الطالبي أن جريدة « المنتقد » قد صودرت بعد ثمانية عشر عددا منها كما وقع ذلك للعروة الوثقى إذ صودرت بعد صدور هذا العدد أيضا .

والواقع أن الجريدتين متشابهتان في اللهجة الثورية وتوجيه النقد للأوضاع الاجتماعية والسياسية ، وتصدران عن روح واحدة وإرادة قوية وحماسة يقظة .

وأخذ الامام ابن باديس يوقع مقالاته في صحف الجمعية بأسماء تعيد إلى الأذهان أمجاد الماضي الذي حاول الاستعمار دفنه . فترددت أمام الأنظار أسماء « الكيتامي » و « الصنهاجي » و « الزواوي » و « العبسي » وصارت هذه الصحف تنشر الأنباء عن الثورة السورية ، وثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب ، وعن البطولات الليبية ضد الطليان ، وعن قضية فلسطين ، لكي يشعر القارىء بأنه جزء من أمة عريقة كبيرة تنتفض لنيل حريتها . ومن طيات التراث بدأت تتردد قصص عن البطولة العربية . كما بدأت اتجاهات ابن باديس نحو تربية الشبيبة وإعدادها للمعركة الحاسمة . فباسمه يرتبط إنشاء الفرق الرياضية والكشفية ، التي كانت تعبيرا واضحا عن يقظة الوعي القومي والاستعداد للجهاد في سبيل التحرر واسترداد الشخصية العربية الاسلامية .

لقد كانت حركة الوعي في المشرق في بعض جوانبها تصديا لغزوةخارجية عن طريق الصحافة ، وكانت حركة الوعي في الجزائر تصديا لمحاولات الوأد والافناء المتكررة ، إلا أنهما التقيا معا في المنطلق الاساسي وهو العودة إلى الجذور ، بإحياء اللغة والفهم الصحيح للدين بصورته الديمقراطية المتسامحة والداعية إلى مواجهة الظلم ، والشعور بالكيان القومي المشترك الموحد . وقد عبر ابن باديس عن هذا المنطلق في أبياته المشهورة التي كانت أشبه بالنشيد القومي ، يردده عشرات الآلاف من الشباب ويحفظه التلاميذ في المدارس بدلا من نشيد « المارسيليز » الفرنسي الذي كانوا يجبرون على ترديده كل يوم ويؤدون تحية العلم الفرنسي :

شعب الجزائر مسلم
وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات فقد كذب
من رام إدماجا له
رام المحال من الطلب

وبصدور صحف جمعية العلماء الجزائريين ومواصلتها أداء رسالتها إلى جانب المدارس التي أسستها الجمعية نشب صراع بين المخطط الاستعماري الذي يهدف إلى التنصير وتغليب ظاهرة الخمود بإغلاق أبواب الفكر ، وبين الجمعية التي تبذل جهدها للقضاء على تلك الظواهر الضارة بل المدمرة ، وبعث حركة اجتماعية تهدم الفاسد وتنمى

الصالح . ولم يكن ثمة مفر من وقوع الصدام بعد أن أدرك أرباب التبشير المستعمرون مدى خطورة ابن باديس وأصحابه على مصالحهم ، نظرا لأن المحاولات الاصلاحية التي سبقت جمعية العلماء الجزائرين كانت كلها جزئية فردية لا تشمل الوطن كله ، وذلك على عكس حركة ابن باديس ذات الصبغة العامة والاعتماد على تربية الشباب .

تدابير الاضطهاد والقمع :

وهكذا بدأت إجراءات القمع بشتى صنوفها بعد أن أثمرت جهود التعريب والتوعية الاسلامية التي قامت بها جمعية العلماء محطمة ما سعت حركة التبشير طويلا لانباته في الأرض الجزائرية . فأصدرت السلطات الفرنسية قرارا يمنع كل منتسب إلى الجمعية من إلقاء دروس أو خطب في المساجد ، إذ كانت المساجد تحت إشراف هذه السلطات . فأدى ذلك إلى قيام الشعب بإنشاء مساجد حرة بالاكتتاب المالي ، ووكل أمر أداء الشعائر بها إلى أعضاء الجمعية ، ويتبين من ذلك أن المستعمر الفرنسي الذي كان يهدم المساجد أو يحولها إلى أغراض أخرى في القرن التاسع عشر ، قد خفف من أسلوبه القائم على استخدام القوة منذ الثلث الأول للقرن العشرين تحت ضغط الظروف الجديدة التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى ، وقيام عصبة الأمم التي أقرت مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، والرعاية الانسانية لسكان المستعمرات .

غير أن السلطات الفرنسية في الجزائر لم تلبث أن ضربت عرض الحائط بالمبادىء التي نص عليها عهد العصبة والمعاهدات الدولية الأخرى الخاصة بحقوق الانسان ، وذلك بعد انتشار مبادىء جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، فعادت تلك السلطات إلى أساليب القوة التي استخدمتها قديما من اضطهاد لاعضاء الجمعية ومصادرة لصحفهم ومجلاتهم ، حتى أصدر مجلس الجمعية قرار بناء على اقتراح من الشيخ ابن باديس بالتوقف عن إصدار الجرائد سنة ١٩٣٣ بعد أن شددت عليه السلطة ضغطها لتأييد السياسة الاستعمارية .

ولقد دفع بعض أعضاء جمعية العلماء الجزائريين المسلمين حياتهم ثمنا لمواقفهم البطولية ، ومواجهتهم الغزو التبشيري والعدوان على وطنهم وأمتهم . فاستشهد الشيخ التبسي إذ لم يعثر له على أثر بعد أن اختطفه الجنود الفرنسيون ، والأديب رضا حومو الذي ألقوه من أعلى جسر في قسنطينة ، ليسقوا بدمائهم شجرة الحق والحرية ، ويمهدوا الطريق لثورة نوفمبر ١٩٥٤ التي رفعت راية الجزائر الشعبية العربية الاسلامية ، وليخلدوا في التاريخ مع أولئك الأدباء الجزائريين الذين حاربوا الاستعمار بأقلامهم الوطنية من خلال اللغة الفرنسية التي فرض عليهم تعلمها ، على حين حيل بينهم وبين تعلم اللغة العربية ، واستشهد منهم مولود فرعون الذي سقط قتيلا برصاص عصابة الأقدام السوداء الفرنسية في الجزائر .

فأما الزبد فيذهب جفاء :

ويكفي تخليدا للدور التاريخي الذي قامت به جمعية العلماء الجزائريين المسلمين ، أنها مهدت ـ جنبا إلى جنب مع الحركات الوطنية ـ لتفجير الثورة التحريرية الجزائرية التي جعلت المدرسة والجامعة والمركز الثقافي والقرية الزراعية الاشتراكية والمصنع والمعمل والمستشفى ومؤسسات الضمان الاجتماعي بديلا عن السجن ومركز الاعتقال والمنجم الذي تذوب فيه حياة العمال الجزائريين لتتزايد أرباح المستعمرين الغاصبين . بل يكفي تمجيدا لرجال هذه الجمعية أنهم أثبتوا أن العنصر الثقافي الأصيل لا يموت ، ولكنه يتخذ لنفسه مسارات خاصة أمام الغارات الأجنبية وفي ظل الضغط والقسر الثقافي .

لقد سقطت إلى الأبد بفضل جهود جمعية العلماء الجزائريين ورفقائهم من المناضلين الوطنيين أسطورة « الجزائر فرنسية » وفرية « فرنسا هي الوطن الأم » ، وسقطت محاولات التبشير والقضاء على اللغة والثقافة العربية ، وظهر الجوهر الجزائري الصافي من تحت الركام الذي استمر أكثر من قرن ، ومن خلال لهيب المقاومة الشعبية وإعادة المفاهيم الصحيحة للاسلام . فبعد تجربة المستعمرين الطويلة تأكدوا أن التبشير بين المسلمين هو كالحرث في البحر لا يؤدي إلى أية نتائج . ولما اتجهوا إلى التبشير الثقافي والسياسي أحبطت أعمالهم أيضا . وقد اعترف بهذه الحقيقة الراهب « كارون » في كتابه « رحلة في الجزائر » إذ قال : إن الأطفال الذين جمعتهم السلطات العسكرية والدينية الفرنسية في مراكز التنصير يلوذون بالفرار » .

وشهد الراهب « جيرارد » أيضا على هذا الفشل فقال : « عندما جئت إلى الجزائر كنت آمل في تنصير العرب . ولقد رأيت عددا منهم يصلون إلى مرحلة التعميد ، ولكنني لم أر أحدا يثبت أو يبقى على النصرانية » . وقد نقل الأمير شكيب أرسلان عن جوستاف لوبون قوله « إن الأربعة آلاف يتيم الذين رباهم الكاردينال لافيجيري في الديانة المسيحية ، منقطعين في علائقهم مع المسلمين ، وتلقوا التربية المسيحية بكل معناها ، ما إن بلغوا سن الرشد حتى عادوا إلى الاسلام دين آبائهم إلا النادر منهم .

وصدق الله العظيم : (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) الرعد/ ١٧





أسد الله حمزة بن

مقدمة :

لو استطاعت جبال مكة لأنتَّ جزعا مماكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه بعد أن أعلن دعوته إياهم الى الاسلام ، ولو أعطيت حجاراتها ألسنة لنادت بالويل والثبور لمن يصفون الصادق الأمين بالكذب على ربه والتزوير على مرسله .

التجار خائفون على تجارتهم أن تبور إذا بطل الغبن واستقامت الأمور ، والسادة يخشون أن يتساوى بهم عبيدهم فلا يبقى آمر ومأمور . وعامة القوم عاكفون على أصنام يعبدونها استمرارا للعادة ورضوخا لحكم التقاليد ، إذ يعز عليهم أن يستبدل بها وبعبادتها عبادة الخالق العظيم ، وقائد قريش في معارضتها للدين وفي إيذائها لرسول الله وأتباعه الضعاف أبو جهل الذي اضطرم فؤاده بالحقد ، وامتلأت نفسه بالبغضاء لبني هاشم أن يظهر من بينهم هذا الرجل الذي تكاد كلماتـه تحرك الجمـاد وتعطف الحيوان ، والتي جمعت حوله أناسا يفدونه بكل ما يملكون وبأعز مما يملكون ، بأرواحهم التي بها يحيون ، فلم يترك شيئا يستطيع ان يسيء به إلى رسول الله إلا فعله ، ولم يعرف لفظا بذيئا يشتم به الاسلام والمسلمين إلا فاه به .

وسيد الشهداء عبد المطلب

للأستاذ محمد علي العبد

إسلام حمزة رضي الله عنه :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجابه قريشا بكل بطونها يدعوهم الى الخير والاسلام ، ويدعونه الى الاستمرار على ما كان يعبد الآباء ، يتردد بين الصفا والمروة والبيت العتيق ، كان جالسا يوما عند الصفا فمر به أبو جهل (بهذا كناه المسلمون) فآذاه ونال منه ، وعاب دينه ، ولم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب أبو جهل إلى نادي قريش عند الكعبة ، وكان ذلك كله على مرأى ومسمع من جارية لعبدالله بن جدعان كانت بمسكنها عند الصفا ، فأهمها ما سمعت وثقل على نفسها مارأت ، فلما رأت حمزة بن عبدالمطلب ذلك اليوم راجعا من قنصه متوشحا قوسه ـ وكان إذا رجع لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة ، ويقف على أندية قريش ، ويسلم عليهم ، ويتحدث معهم ـ وكان أعز قريش وأشدهم شكيمة ـ فنادته قائلة له : ياأبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن اخيك محمد من أبي الحكم بن هشام ، فانه سبه وآذاه ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد ، فاستشاط غضبا وخرج مسرعا لا يقف على أحد كما كان يصنع ، فلما دخل المسجد رأى ابا جهل جالسا في القوم ، فأقبل نحوه ، وضرب رأسه بالقوس فشجه ، وقال : أتشتم محمدا وأنا على دينه ؛ أقول ما يقول ! فاردد علي إن استطعت ، وقام رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني سببت

ابن اخيه سبا قبيحا .

وتم حمزة على اسلامه ، فلما اسلم عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

وأنذر عشيرتك الأقربين :

ولما نزل قوله تعالى : (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) جلس رسول الله في بيته كالمريض ، فأتته عماته يعدنه ، فقال : ما اشتكيت شيئا ، ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فقلن له : فادعهم ، ولا تدع أبا لهب فيهم فإنه غير مجيبك .

كان أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو عبدالمطلب وهم عشرة ذكور وست نساء لم يكونوا جميعا أحياء عند بعثته ، ولكن الموجودين منهم يومئذ وهم أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب وقفوا إلى جانبه إلا أبا لهب فإن زوجته أم جميل استطاعت أن تذهب به بعيدا عن قومه ليدور في فلك أخيها ابي سفيان بن حرب وقومه بني أمية ، الذين عادوا الدعوة الاسلامية أشد العداء حسدا أن يكون نبي من أبناء عمومتهم ، كما فعل بنو مخزوم وبنو عدي وبنو سهم وغيرهم ، فقد كانت قريش صاحبة الحرم ومضيفة الحجيج ، تملك الأموال الكثيرة ، والتجارة العظيمة لها بين العرب الحب والأكرام ولدى الدول المجاورة الهيبة والاحترام لايسفك دم في بلدها ، ولا يعتدي على حرمة في ارضها ، أمن وحشها واطمأن طيرها ، بل وحفظ شجرها ، قال تعالى « **أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم** » فبطونها متنافسة في نيل المحامد يشق على كل واحد منها أن يقر بالسبق لغيره أو يرضى بالتقدم لسواه . بل إن انحياز أبي لهب لبني أمية حمله على تطليق ابنتي الرسول من ولديه لالحاق الأذى برسول الله ، وكان جارا لرسول الله فكان يضع القذر على باب رسول الله ، فكان الرسول يقول إذا شاهد ذلك : أي جوار هذا يابني عبدالمطلب ؟ فرآه حمزة يوما يفعل ذلك ، فأخذ القذر وطرحه على رأس أبي لهب ، فجعل ينفضه عن رأسه ويقول : صاحبي أحمق ، وأقصر عما كان يفعل ، ولكنه صار يضع من يفعل ذلك .

لم يطع الرسول الكريم عماته بل صدع بأمر ربه فدعا عشيرته الأقربين جميعا ومعهم نفر من بني عمومتهم ، فبادره ابو لهب الى الكلام وقال : هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك ، فتكلم ، واعلم انه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وان احق من اخذك فحبسك بنو أبيك ، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب ، فما رأينا أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به . لم يكتف أبو لهب بهذا بل جابه الرسول صلى الله عليه وسلم بالتكذيب في مواطن كثيرة ، ولذلك نزلت في حقه السورة المعروفة .

ومما يروى في هذا السياق ان معاوية بن أبي سفيان كان إذا رأى

عقيل بن أبي طالب قال : هذا عمه أبو لهب ، فيقول عقيل : وهذا عمته حمالة الحطب .

حب حمزة لرسول الله :

حمزة أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أما أمه فهي ابنة عم أم رسول الله فكلتاهما من زهرة ، ولد قبل الرسول بسنتين وقيل بأربع ، لم يمنعه كبر سنه هذا ولا كونه عم رسول الله من الاستجابة للدعوة الاسلامية كما فعل أبو طالب الذي ناصر الرسول وأحبه حبا عظيما كحمزة ، ولكنه خشى أن تعيره نساء قريش إن اسلم ، ولم يفعل كما فعل العباس الذي كان يكن في قلبه عطفا عظيما على رسول الله ، ولكن حرصه على صلاته بزعماء قريش جعله يؤخر اسلامه حتى قتل منهم من قتل ، وأسلم أخيرا منهم من أسلم ، لقد نسى حمزة أنه من سادات قريش وعظمائها فجعل هذه المعاني وراء ظهره ودبر أذنه إذ صهر الاسلام نفسه وقلبه وكل عواطفه .

لما تآخى المسلمون في المدينة بعد الهجرة كان أخاه زيد بن حارثة الذي كان عبدا أسود أعتقه رسول الله وسمته قريش زيد بن محمد ، قال عمر ابن الخطاب : ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت الآية (**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**) .

ولما خرج من خرج الى بدر ، حيث كانت المعركة الكبرى ، من المسلمين ، لم تكن لدى كل منهم ركوبة يمتطيها ، بل كان الاثنان والثلاثة يتعاقبون على الجمل الواحد ، فكان حمزة وزيد بن حارثة ومولیان آخران لرسول الله يتعاقبون على جمل واحد .

ولما كانت معركة أحد أوصى حمزة رضي الله عنه ، إن أصابه حادث الموت ، لزيد بن حارثة أن يقوم بعده على شؤون أهله .

إن هذا كله يدل على مقدار حب حمزة لابن أخيه إذ قرن حركاته وسكناته وأخوته في حياته ووصيته في مماته بمولى رسول الله . وقد كان شرفا كبيرا لكل كبير من الانصار والمهاجرين أن يكون أخا لحمزة في الحياة ووصيا في أهله بعد الممات .

إن حب حمزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من جانب واحد فقط بل إن رسول الله كان يحب عمه حمزة حبا لم يظهر منه مثله لأحد ، وقد ظهر ذلك الحب العظيم يوم أحد ، يوم استشهد حمزة ومثل به ، مما سيأتي ذكره في مكانه .

شجاعة حمزة رضي الله عنه :

لو لم يكن سيدنا حمزة من الشجاعة في الذروة العليا ومن الاقدام في المحل الأسمي لما أقدم على شج سيد بني مخزوم بقوسه على ملأ من قريش ، وفي وسط ناديها ، وفي قلب البيت الحرام ، وبنو مخزوم يومئذ رأس قريش مالا وعددا .

وحسبك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه (أسد الله) ومن أوسمة الشجاعة التي علقها التاريخ

على صدر سيرته ما حدث يوم اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلقد حمل عمر سيفه ، وذهب إلى دار الأرقم حيث يجتمع الرسول بأصحابه ، فلما طرق الباب نظر أحدهم من خلل الباب فرآه ، وكان شديدا على المسلمين يعذبهم ليفتنهم عن دينهم ، يعينه على ذلك أنه جلد منيع ، فلم يكن مجيئه شيئا سارا ، ولا منظره على هيئته تلك شيئا محبوبا ، ولكن حمزة قال للرسول : إئذن له ، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن أراد شرا قتلناه بسيفه .

أما شجاعته في ساحات القتال فينبئك عنها اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم إياه لقيادة أول جيش ارسله لاعتراض عير قريش مكون من ثلاثين مقاتلا ، فوجد تلك العير بحراسة ثلاثمائة مقاتل ، فلم ينكل عنهم ، بل واقفهم للقتال ولكن أحد أمراء العرب واسمه مجدي بن عمرو الجهني حجز بين الفريقين ، فقد كان حليفا لكلا الفئتين . وفي أول غزوة خرج فيها الرسول بنفسه بعد اثني عشر شهرا من هجرته الى المدينة ، وهي غزوة الأبواء ، كان حامل لواء رسول الله حمزة بن عبدالمطلب .

● ولو ادعى مدع ان انتصار المسلمين في غزوة بدر العظمى إنما كان بشجاعة حمزة لاستطاع أن يستدل على رأيه بأمرين :

● الأول قتله الأسود بن عبدالأسد المخزومي ، وكان مدلا بشجاعته تياها بنفسه ، قبيحا في أخلاقه ، فأقسم أن يشرب من حوض المسلمين وأن يهدمه أو يموت دونه ، لقد كان حين خرج من بين جيش قريش يحمل عزة مخزوم كلها وغطرستها ، فتصدى له سيدنا حمزة فأطار قدمه مع نصف ساقه ، فلم يرتدع ، ولم يتراجع ، بل أخذ يحبو ويزحف إلى الحوض حتى اقتحمه ليبر بيمينه ، فتبعه حمزة ، وقتله في الحوض .

أما الثاني فقتله سيدان من سادات قريش هما شيبة بن ربيعة الذي بارزه فقتله ، وعتبة بن ربيعة الذي اشترك مع علي رضي الله عنه في قتله ، وذلك بعد الحادث الأول ، حين برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة بن ربيعة وولده الوليد بن ربيعة وطلبوا مبارزة أبناء عمومتهم رافضين مبارزة ثلاثة من الأنصار خرجوا اليهم ، فدعا الرسول حمزة وعليا وعبيدة بن الحارث لمبارزتهم .

لقد كان هذان الأمران مما أذل شجعان قريش ، وشل حركتهم ، وطار بقلوبهم ، وحطم روحهم المعنوية فتمت الهزيمة عليهم بتوفيق الله . بل ان المرء ليتخيل ان غزوة احد انما اثارتها قريش لاغتيال سيد الشهداء حمزة الذي بهر قريشا بشجاعته في بدر ، فجاءوا بذلك الفتى الحبشي (وحشي) لاغتيال حمزة بتلك الطريقة التي لم يكن العرب يعرفونها في حروبهم لأنها تقوم على الغدر والخداع .

الابتلاء العظيم :

غزوة أحد كانت هجوما قرشيا على

المدينة المنورة للثأر لقتلى بدر وهزيمة بدر ، لقد كان جيشهم ثلاثة آلاف مقاتل يقوده ابو سفيان بن حرب الذي تركته غزوة بدر يسود قريشا ، غير منازع ، بمقتل ساداتها هناك .

لقد جمع أبو سفيان هذا الجيش الكبير من قريش ومن الأحابيش وغيرهم ، واستعد للثأر لهزيمة بدر أعظم الاستعداد ، فصحب زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة التي قادت فريقا من النساء القرشيات أتين لبث روح الاقدام في كفار قريش وحلفائهم ، وجيء بفتى حبشي يحسن رمي الحربة من بعيد لاغتيال حمزة رضي الله عنه .

لقد خرج الرسول إليهم في سبعمائة مقاتل ونظم جيشه تنظيما جيدا ، وكان النصر في بادىء الأمر للمسلمين ، لكن مخالفة بعض فرق الجيش لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم كانت سببا في ظهور قريش واستشهاد كثير من المسلمين .

ولكن أيعتبر تجاوزا للحقيقة اعتبار استشهاد حمزة رضى الله عنه سببا لما حل بالمسلمين ، وبما نال المشركون من نصر ؟

لقد جاءوا بهذا الفتى الحبشي لاغتيال حمزة ، ووعدوه بنيل حريته ان فعل ذلك ، فاستعد طويلا على استعمال الحربة التي يعرفها قومه الأحباش . لقد روى وحشي الحادثة ، فقال : والله اني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ، ما يليق به شيئا ، مثل الجمل الأورق ، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في أسفل بطنه حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، وأمهلته حتى اذا مات ، جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحيت ولم تكن لي بشيء حاجة غيره ، وإنما قتلته لاعتق ، فلما قدمت مكة اعتقت .

لقد خلعت هند حليها كله وألبسته لوحشي ، واستبدلت به قلائد من آذان وأنوف شهداء المسلمين ، ولم تقنع من حمزة بجدع الأنف والأذن بل بقرت بطنه ، وأخذت قطعة من كبده فلاكتها ، فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها وأنشدت :

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
شفيت نفسي وقضيت نذري
شفيت - وحشي - غليل صدري
فشكر وحشي على عمري
حتى ترم أعظمي في قبري

لقد انهزم كثيرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، واصيب بعدة جراح ، ولكن مصيبته في حمزة جعلته يخرج الى طور الانسان في أمرين :

* الأول أنه أقسم قائلا : لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم ، ولكن الله تعالى رده ردا جميلا الى ما يليق به فقال « **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم . ولا تك في**

ضيق مما يمكرون » ، فعفا رسول الله ، ونهى عن المثلة .

* اما الأمر الثاني فأنه لما سمع نساء الأنصار يبكين على قتلاهم قال « لكن حمزة لابواكي له » فسمع ذلك رجال من الأنصار ، فجاءوا بنساء يبكين على حمزة ، فلما سمع الرسول ذلك قال : ما هذا ؟ فأخبروه ، فقال اني لاحب البكاء ، ونهى عنه .

ولقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مصرع حمزة وناداه قائلا : أي عم ، رحمك الله ، لقد كنت وصولا للرحم ، فعولا للخيرات . وحاول أن يمنع صفية عمته من مشاهدة حمزة ممثلا به فلما علم بقوة صبرها سمح لها بذلك .

ولقد راح ابو سفيان صخر بن حرب يطعن حمزة برمحه ميتا ، فعابه سيد الأحابيش على فعلته ، قال له : لقد كانت غلطة فاكتمها . ولقد شوهد أبو سفيان يقف على قبر حمزة بعد أن آل الأمر الى بني أمية ، ويخاطبه ، قائلا : رحمك الله ياأبا عمارة ، لقد قاتلتنا على أمر صار إلينا .

هذه سيرة رجل كان له في نصر الاسلام واعلاء شأنه وخضد شوكة مناوئيه ما قصصت عليك ، وما لم أقصص ، من اقدام لا تردد فيه وبلاء منزه عن أي فخر يباريه ، وانكار للذات لم يشبهه أحد فيه ، عاش مجاهدا يعادي أعداء الاسلام ويؤاخي انصاره ومواليه ، فما أحسن أن ننشر اخباره ، وأن نكثر من الحديث عن صفاته ، ليكون نبراسا يهتدي به في ظلمات الفخر الأحمق والتباهي بالتوافه والكبرياء على خلق الله مما نرى ونشاهد هذه الأيام .

بل إن من حقه علينا أن نطلق اسمه على نوادينا وشوارعنا ومدارسنا ومساجدنا لا تخليدا لأعظم أبطال الاسلام فقد خلدته أعماله ، ولكن تخليدا للصفات السامية وابرازا للمعاني النبيلة التي يجب أن ترى في كل مكان لتكون ذكرى للذاكرين .



عودة البرداء

شبح العصر المخيف

للدكتور / نبيل سليم

«ان البرداء (الملاريـا) من أعظم المحن التي ابتليت بها البشرية .

الملاريا « ملك الامراض » اللعين الذي يعد اوسع الامراض انتشارا في العالم ، وأكثرها فتكا بالانسان .. لقد استعاد البعوض الناقل لهذا المرض نشاطه بعد ان اصبح يتمتع بمناعة ضد المبيدات الحشرية ، والأدوية التقليدية للملاريا ؟! وازداد انتشاره حتى في أكثر الدول المتقدمة علميا وتكنولوجيا مثل فرنسا والمانيا وبريطانيا وامريكا حيث ظهرت بعض حالات ادت الى الوفاة .. لذلك تتجه البحوث حاليا الى محاولة انتاج لقاح او اكثر ، وكذلك ادوية جديدة لمواجهة مرض الملاريا .. هذا الشبح المخيف . لقد حدثت ٥٠ حالة وفاة بسبب الملاريا فيما بين عامي ٧٣ و ١٩٨٣ في جمهورية المانيا الاتحادية وفي عام ١٩٨٠ حدثت في بريطانيا تسع وفيات وفي نفس السنة توفى خمسة سياح نمساويين لدى عودتهم من رحلة صيد في شرق افريقيا بعد معالجتهم باعتبارهم مصابين بالانفلونزا ، لان احتمال اصابتهم بالملاريا لم يخطر على بال احد .



عمليات الرش مستمرة من أجل القضاء على البعوض

كما أن الامثلة على ذلك كثيرة في أسيا وأفريقيا نذكر منها :

* في الهند بلغ عدد حالات الاصابة بالملاريا سبعة ملايين حالة في ١٩٨١ ، وهي أكثر مائة مرة مما كانت عليه في عام ١٩٦٢ ؟!

* وفي جهات أخرى من أسيا وأمريكا اللاتينية بلغت نسبة زيادة الاصابة بالملاريا الضعف وأحيانا اربعة أمثال ماكانت عليه منذ عامين فقط !!

* وفي أفريقيا ـ وخاصة في المناطق الريفية منها حيث تتوطن الملاريا ـ يتعرض جميع السكان للاصابة بها بين يوم وآخر .

* وفي تركيا ، حيث كان يعتقد ان الملاريا قد استؤصلت ، عادت الى الظهور بصورة مكثفة .

* كما أصبحت المناطق المحيطة بالبحر الابيض مهددة بانتشار الملاريا ، فقد ظهرت حالات الاصابة بها في اوروبا الغربية ، منتقلة اليها عن طريق العمال المهاجرين والسياح وسائقي اللوريات الذين يصلون من آسيا وقد أحصيت حالات الاصابة بالملاريا في فرنسا فبلغت ٢٠٠٠ اصابة .

وطبقا لاحصائية أجرتها منظمة الصحة العالمية .. W . H . O فان أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة يصابون بالملاريا .

ومما هو جدير بالذكر انه في عام ١٩٥٤ كانت منظمة الصحة العالمية

تساعد الدول على استئصال الملاريا ، ولكن هذه المساعدات لم تعد قائمة في الوقت الحاضر مع الاسف الشديد ، وغير مقطوع باستمرارها في المستقبل ، وقد صرح مدير المنظمة بقوله : « لكي اتحدث بصراحة يجب ان نعترف هذه المرة انه في افريقيا مثلا فان غاية ما نستطيع عمله هو التأكد من ان اي شخص يصاب بالملاريا يمكنه الحصول على بعض الاقراص لعلاجه » .

ومن الثابت علميا انه في المناطق التي تحدث فيها الملاريا الخبيثة بصورة طبيعية يكون هذا المرض من الاسباب الرئيسة لوفيات الرضع اذا لم يتوفر العلاج كما انه يصيب جميع السكان بالضعف في نفس الوقت !! اذ ان اثناء انتشار او بئة الملاريا الخبيثة قد تلقى اعداد كبيرة من السكان حتفها بسبب هذا المرض .

وعبر القرون كان للملاريا تأثير بالغ على المجتمعات البشرية في جميع انحاء العالم ، ففي الهند قبل عدة قرون من عصرنا الحالي سمى مرض الملاريا « ملك الامراض » وكذلك عرفه الصينيون القدماء ، ولا يمكن تحديد ما اذا كان للملاريا دور حاسم كما يؤكد بعض المؤرخين ، في سقوط اليونان وروما ، وفي نزوح السكان هذا الأمر الذي يكتنفه الغموض مما خلف خرابا هائلا في بعض البلدان .

ولقد سميت الملاريا بهذا الاسم منذ القرن الثامن عشر فقط ، فعندما كان الناس يموتون من الحمى المتقطعة في ايطاليا كان الاعتقاد انهم ضحايا « الهواء الفاسد » او « MAL,ARIA » بالايطالية .

وابتداء من عام ١٩٠٠ تقريبا اتخذت كلمة الملاريا الاستعمال الحالي لها في اللغة الانجليزية وعلى ممر العصور كان الدور الذي تلعبه الحشرات محل شك ، كما ان التراث الشعبي في افريقيا واوروبا وآسيا كان يشير باصابع الاتهام الى البعوض ، ولكن تعين ان تظل الحقيقة خافية حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عند ما اسهم العلماء من بلدان عديدة في معرفتنا بالدورة المعقدة لحياة مختلف طفيليات الملاريا في البعوض والانسان ، ويرجع الفضل الرئيسي في ذلك الى الفونس لافران ، وكاميلوجولجي ، وروناروس .

كيف تحدث الاصابة ؟

ولاشك ان اخطر انواع الملاريا هو « البلازموديوم فالسيبارم » -Plasmodium Falciprium هذا الطفيل الذي يصيب الانسان ينمو بالتناوب في جسم عائلين او ثوبين هما : أنثى البعوض « الانوفيل » والانسان ، فعندما تلدغ البعوضة مصابا بالملاريا فانها تمتص الدم الذي يحتوي على الطفيليات وتنمو هذه الطفيليات في جسم البعوضة ، وبعد فترة قصيرة تصيب غددها اللعابية بالعدوى وعندما تتغذى البعوضة بعد ذلك فانها تحقن هذه الطفيليات مع لعابها في جسم الانسان .

وبعد اصابة الانسان بالعدوى يمر مابين اسبوع واحد وأربعة اسابيع « وأحيانا أكثر من ذلك بكثير » قبل ان تظهر الطفيليات في دمه وتتضح أعراض المرض ، الذي تتميز نوباته الحادة بالقشعريرة وارتفاع درجة الحرارة ، وغزارة شديدة للعرق .

ولكن بعد ان اكتشف ان البعوضة هي ناقلة الملاريا تجدد الاهتمام باستعمال الناموسية (وهي اختراع قديم) في القضاء على أماكن توالد البعوض .

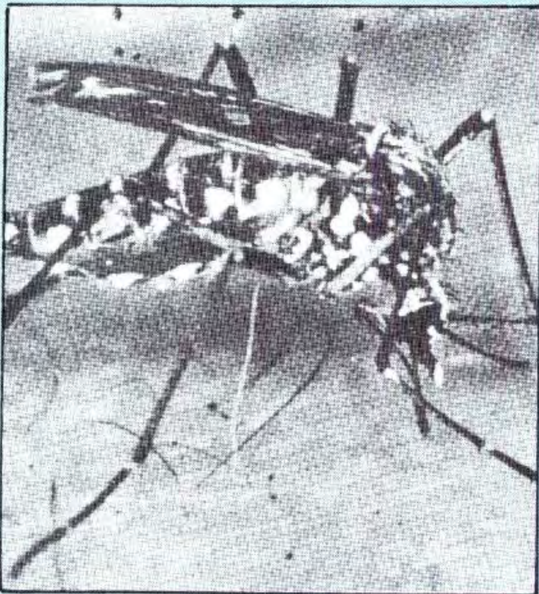
ومع بداية هذا القرن كانت هناك بالفعل دعوة جادة « للقضاء » على الملاريا فبالاضافة الى الطريقة التقليدية للصرف جرت معالجة اسطح المياة الراكدة بمنتجات البترول للقضاء على يرقات البعوض . وكانت هناك محاولات للمكافحة البيولوجية عن طريق تربية الاسماك التي تلتهم يرقات البعوض في البرك والمستنقعات ، واستحدثت طرق للقضاء على البعوض البالغ ، وهذه الطريقة هي الاكثر استخداما الان لمكافحة الملاريا .

* صراع مع الموت *

ومن المعلوم ان البعوضة ، وحليفها طفيل الملاريا الذي تحمله وتحقنه في جسم الانسان وهي تتغذى بدمائه ، قد حققا انتصارا ، وهناك عوامل كثيرة ساعدت على احداث ذلك التغير غير المرتقب ، فمثلا :

* توجد انواع عديدة من بعوض « أنوفيل » Anophelesناقل الملاريا اكتسبت مناعة ضد الـ « د . د . ت » اهم المبيدات الحشرية التي لا يقتصر استعمالها كمضاد للملاريا . ولكن يستعمل ايضا في الزراعة للقضاء على الحشرات الاخرى ، وضد أنواع اخرى من المبيدات كالديلورين Dieldrine واورجانوكلور Organochleresواورجانوفوسفات Organophosphates وكارباميت Carbamates

وفي حالات كثيرة اكتسبت نوعا من المناعة يسمى كروازى Croiseeأي ان البعوضة المعرضة لمبيد حشري معين قد تكتسب مناعة ضد مبيدات حشرية أخرى ، حتى وان كانت هذه الاخيرة من عائلة مختلفة عن الاولى .. كما ان البعوض قد يتعلم ايضا تجنب المبيدات . ففي امريكا الوسطى نجد ان بعوض انوفيليس البيمانوس Anophelis albmanus الناقل



البعوضة المصرية (ايدس ايجبت) التي تنقل الحمى الصفراء في المدن .

الـرئيسي للملاريـا أصبـح يتجنب الوقوف على الجدران المرشوشة بمادة الـ د . د . ت . D . D . T وبعد ان يمتص دم ضحاياه يستريح خارج المباني بعيدا عن المكان المرشوش بهذا المبيد .

* وتوجد في بعض المناطق طفيليات دموية اكتسبت مناعة ضد الادوية الاسـاسية لعـلاج المـلاريـا مثـل الكلووكين ومشتقاته التي تعد من أكثر الادوية فاعلية وانتشارا كما انها ارخص ثمنا ، ومنها الطفيل المسمى Plasmodium Falciparum المسئول عن اشد انواع الملاريا خطرا والتي تسبب الوفاة لانها سريعة الفتك بضحيتها ولانها اخذت تظهر بشكل متزايد مقاومتها للكلـووكين ، وهـو العقار المستعمل حاليا في الوقاية من الملاريا وعلاجها .

* كما ظهرت سلالات ذات مناعة في امريكا الوسطى وشمال شرق آسيا وخصوصا تايلاند وفيتنام ، وتجري مراقبة انتقال هذه السلالات ، تجاه الهنـد وباكستـان ، وبعض الدول العربية بقلق بالغ ، ويخشى تمكنها من عبور شبه الجزيرة العربية والوصول الى افريقيا .

وانتهى عصر الـ د . د . ت .

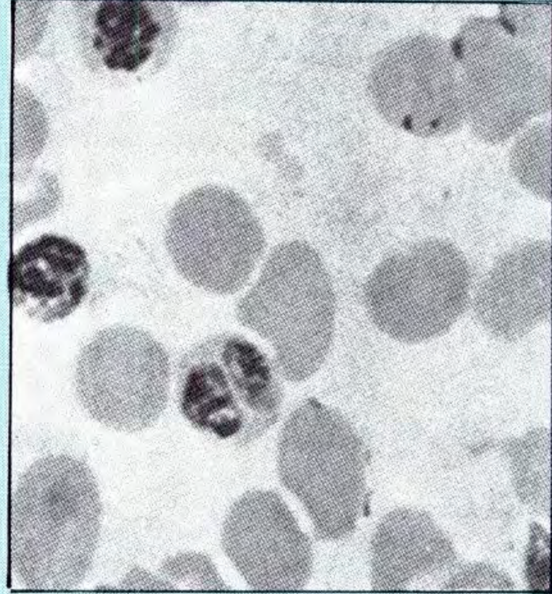
وفي معظم الاحيان تقف السلطات الصحية عاجزة أمام المناعة المزدوجة ضد المبيدات وضد الادوية كما ان



بيض البعوض ويرقاته في اشكال جميلة خادعة .

التـوسـع في استعمـال المبيـدات الحشرية في الزراعة ساعدت على ظهور سلالات ذات مناعة ضد هذه المبيدات وخاصة مبيد الـ د . د . ت الذي يعد أرخص الانواع ، هذا المبيد الـذي قـام العـالم النمسـاوي اوثمارزايدلر بتحضيره عام ١٨٧٤ ، ولكنه ظل غير معروف حتى عام ١٩٣٩ عندما اكتشف بول مولر السويسري الجنسية انه مبيـد حشري فعـال للغاية ، وقد منح جائزة نوبل نظير اكتشافه ، وترجع اهمية الد . د . ت بصفة خاصة الى ماله من أثر قاتل يدوم عدة اشهر اذا تم رشه على الاسطح التي تمشي او تستريح عليها الحشرات فيما بعد .

وكان الدكتور ارنولد وجبالدون ، وهو من فنزويلا ، من بين اوائل الذين ادركوا تماما امكانية استعمال الـ د . د . ت في مكافحة الملاريا في المناطق الريفية ، ففي عام ١٩٤٥ بدأ تنفيذ مشـروع قومي هنـاك لاستئصـال



طفيل الملاريا في الانسان الذي زرع لأول مرة في المعمل تحت المجهر

الملاريا من البلد بأكمله عن طريق رش الـ د . د . ت ذى الاثر المتبقي ، وفي الخمسينات نظم عدد من البلدان برامج للقضاء على الملاريا وبعض الامراض الاخرى التي تحملها الناقلات .

وفي عام ١٩٣٥ قدر عدد اصابات الملاريا في الهند بمائة مليون اصابة سنويا مع حدوث مليون وفاة ، وبعد استعمال الـ د . د . ت انخفض الابلاغ عن حدوث الملاريا بشكل حاد حتى بلغ عدد الحالات في عام ١٩٤٥ مائة الف حالة فقط ، كما لم يبلغ عن اية وفاة . وتحقق نجاح مماثل في « سري لانكا » وبعض دول العالم الثالث .

وقد ادت هذه النتائج في عام ١٩٥٥ الى تبني جمعية الصحة العالمية الثامنة التابعة لمنظمة الصحة العالمية فكرة برامج استئصال الملاريا المحددة زمنيا التي تنفذ على نطاق عالمي باستثناء جنوب الصحراء الكبرى بافريقية .

وفي الماضي كان هناك سبعة معرضون لخطر الاصابة بالملاريا من بين عشرة اشخاص في العالم واليوم اصبح ثلاثة اشخاص تقريبا من هؤلاء السبعة الذين كانوا معرضين اصلا لذلك الخطر في مأمن منه .

ومن الناحية الجغرافية تم القضاء على الملاريا الى حد ما في اوروبا كلها ، وفي كل انحاء الاتحاد السوفيتي تقريبا ، وفي العديد من بلدان الشرق الادنى ، وفي الولايات المتحدة الامريكية ومعظم بلدان البحر الكاريبي . وفي مناطق شاسعة من شمال وجنوب امريكا الجنوبية واستراليا واجزاء واسعة من الصين ورغم ذلك عاود البعوض انقضاضة مرة اخرى .

* السفر .. اخطر وسائل نقل المرض *

ولقرون من الزمان كانت اصابات الملاريا تفد الى المناطق الخالية من المرض ، ولكن حتى عصر الطيران فان معظم الحالات او على الاقل تلك التي كانت تفد من افريقيا الاستوائية او شرق اسيا ، كانت تظهر عليها الحمى وهي في عرض البحر ، وكان يقوم بعلاجها طبيب السفينة الذي كان على دراية كاملة بالامراض الشائعة التي تصيب المسافرين .

أما اليوم فان خطوط الطيران تمكن

الناس من ان يقطعوا مسافات طويلة في حدود فترة حضانة اي مرض ، مهما قصرت هذه الفترة ، ومن المفيد أن يعاد الى الاذهان ان عدد المسافرين بالطائرات بلغ ١٥٠٠ مليون مسافر عام ١٩٨٢ ، وفي امريكا ارتفع عدد حالات الملاريا الوافدة بين المدنيين من ١٤٣ حالة عام ١٩٦٧ الى ٨٩٢ حالة عام ١٩٨٢ ، وفي اوروبا كان هناك مايقرب من ٤٩٠٠ حالة ملاريا وافدة عام ١٩٨٢ ، مقابل ٨٤٠ حالة عام ١٩٦٧ .

* تشخيص الملاريا *

وتشخيص الملاريا سهل بشرط ان يضع الطبيب في اعتباره احتمال اصابة المريض بها . فالطبيب الذي يعالج عددا كبيرا من المرضى الذين يعانون فقط من امراض المناطق المعتدلة يجد من الصعوبة بمكان ان يظل منتبها لاحتمال اصابة مريضه بمرض غريب .

وفي كثير من الاحيان لاتكون العلامات السريرية « الاكلينيكية » لاول اصابة بالملاريا هي تلك التي توصف عادة كعلامات مميزة للمريض .

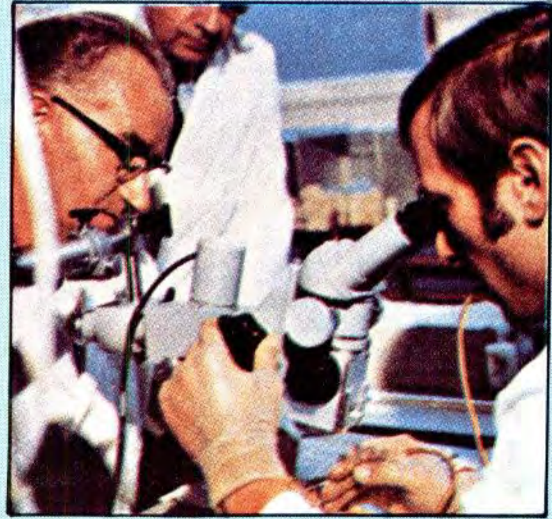
ففي البلاد الخالية من الملاريا يشخص كثير من الاطباء المرض على انه التهاب معدي معوي مصحوب بحمى ، أو انفلونزا ، او التهاب رئوي ، او التهاب الكبد ، او التهاب الكلى قبل ان تخطر الملاريا على بالهم .

ويمكن ان تتشابه الملاريا مع كل هذه الامراض وفي كثير من الاحيان يفوت على المريض - اذا كان لايزال في وعيه - ان يذكر انه اقام او حتى توقف في منطقة موبوءة بالملاريا (وهناك مطارات تعج بالبعوض اي الناموس) .

ولذلك فانه من الضروري عند اخذ تاريخ الحالة ان يستفسر الاطباء من مرضاهم عما اذا كانوا قد عادوا حديثا من الخارج . ووجه المأساة في الوفيات الناجمة عن الملاريا الخبيثة (ملاريا فالسيبارم) هو انه من السهل جدا علاج هذا المرض في مراحله الاولى .

* الأدوية .. والمحاولات العلمية *

بالنسبة لادوية الملاريا ، فانها مازالت محدودة لان البلاد الغربية اهملت التوسع في انتاجها لارتفاع ثمنها اذا قورنت بالقدرة الشرائية في المناطق الاستوائية . كما لايوجد حاليا الا مركز وحيد للابحاث ، وهو مركز ابحاث الجيش الامريكي الذي تمكن من تحضير سبعة مستحضرات لعلاج الملاريا ، احدها مستحضر المفلوكين Mafloquine الذي يعتبر السلاح ، الاشد فتكا بالسلالات الطفيلية المقاومة للكلوروكين Chloroquine ومع ذلك فهناك عقبتان في طريق هذا المستحضر ، الاولى هي ارتفاع ثمنه ، والثانية هى عدم التأكد من استمرار



ابحاث العلماء تجري على قدم وساق من اجل الوصول الى لقاح دائم ضد الملاريا .

فاعليته على البعوض

ومنذ فترة قصيرة بدأت محاولات لاستغلال الوسائل الفعالة في علم الاحياء والتي ظلت حتى الان تهمل الملاريا والامراض الاستوائية الاخرى لسبب بسيط هو ان البلاد الغربية لم تكن مهددة بهذه الامراض .

كما بدأ الاهتمام بالابحاث العلمية في مجالات الامراض الاستوائية عن طريق برنامج مختص للبحوث والتأليف في هذا المجال ، تحت رعاية منظمة الصحة العالمية ، وبمساهمة مادية من البنك الدولي وبرنامج الامم المتحدة للتنمية ومن بعض البلاد والهيئات المعنية .

وفي اطار هذا البرنامج ، تم اكتشاف هام على يد الاستاذ « وليم تريجر » من جامعة روكفر بنيويورك ، فقد نجح ، ولاول مرة ، في المحافظة على مستنبت طفيل بلازموديوم فالسيباروم واصبح بالامكان تحضير كميات الملاريا ، والامال معقودة على نجاح مصل للملاريا خلال عدة اعوام وان كان الدكتور تريجر ، وآخرون غيره ، يعترفون بصعوبة المسألة وعدم التأكد الذي مايزال يحيط بهذه الابحاث ، وعلى كل حال لابد من التطعيم عدة مرات لاكتساب المناعة ضد الملاريا .

والى الان لم يجر سوى نوع واحد من الامصال على الانسان يسمى سبورزويت Sporzoitw وهو مضاد للنوع المعدي بلازموديوم فالسيبارم الذي ينتقل للانسان عن طريق البعوض عندما يمتص دمه .

وهناك ايضا محاولات لايجاد امصال تحمي الانسان من انواع اخرى من الطفيليات ، ولكن الابحاث يجب ان تتم في مواقع انتشار الملاريا لان البعوض والطفيليات والظروف البيئية تختلف من موقع الى آخر . واتباع طريقة واحدة مهما كانت كفاءتها ودقتها قد تكون فعالة في مكان وغير فعالة في مكان آخر . وفي حالات كثيرة يكون الانسان نفسه ناقلا للعدوى دون ان يدري فيساعد على انتشار المرض .

ويوجد في شمال شرق آسيا بعوض يسمى Anopheles Balancensis وهو غير مؤذ عندما يعيش في بيئة وسط الغابات ، ولكن بمجرد استصلاح هذه الغابات فانه يعمل على نشر الملاريا ، وفي المناطق الخصبة الغنية بالزراعة كمنطقة الجزيرة الواقعة بين النيلين الابيض والازرق بالسودان يتواجد بعوض الجامبيا الذي يتكاثر

في مزارع الأرز .

*الوقاية الذاتية *

ان نوعية السكان في المناطق الموبوءة بالملاريا تعتبر من اهم وسائل الوقاية فقد نجح الصينيون في ذلك الى ابعد الحدود اذ سيطروا على الملاريا في مناطق كثيرة كانت متوطنة ويقولون في تواضع ان الوسيلة التي حققت لهم اكبر قدر من النجاح هي « التوعية » ويبدو ان الفيتناميين يتبعون هذا المنهج اذ يعتبرون استئصال الملاريا واجبا ثوريا بالنسبة لكل مواطن فيتنامي .

ولكن كيف يمكنك ان تحمي نفسك من الملاريا ؟

الى جانب الوقاية الكيمائية من الملاريا فان الاجراء الاحتياطي الرئيسي الذي يمكن ان يتخذه الانسان **هو ان يتحاشى التعرض للدغ الحشرات ، وخاصة اثناء الليل كذلك** يوصى بالتدابير الاتية :
اختيار الغرف التي تغطي نوافذها والفتحات الاخرى بها بستائر من السلك يمنع البعوض من دخولها . رش مبيد للحشرات يحتوي على مادة « البيريثروم » للقضاء على اي بعوض يكون قد تسلل الى الغرفة على الرغم من وجود الساتر السلكي . ولكن اثر هذا المبيد يبقى لفترة قصيرة ، ويجب تكرار الرش في حالة استمرار دخول البعوض الى الغرفة .

ان الحشرات تفضل بوجه عام اللدغ تحت مستوى الركبتين فمن المستصوب ارتداء احذية طويلة الرقبة لحماية الساقين من لدغ البعوض ، او على الاقل سراويل او اردية طويلة في المساء . وتتميز بعض انواع البعوض بأنها عموما لاتلدغ الانسان الا خارج المنازل ، ولذلك فان هذه الاحتياطيات ضرورية بوجه خاص في الهواء الطلق .

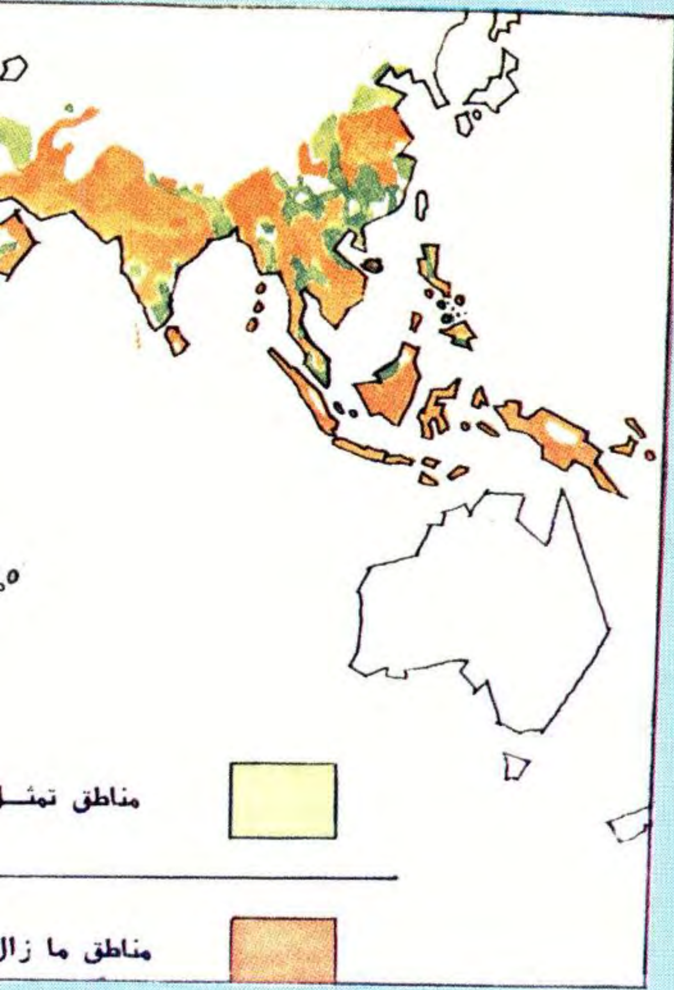
اذا كانت ابواب غرف النوم لايحميها ساتر سلكي فيستحسن ان تستعمل كلات البعوض (الناموسيات) ليلا حول السرير وخاصة للرضع وصغار الاطفال ومن الضروري ثني اطراف الناموسية تحت خشبة السرير والتأكد من عدم وجود اي ثقوب بها .

بعد غروب الشمس يجب ان يرتدي جميع من يبقون خارج المنزل ملابس

كافية لحماية اجسادهم من لدغ البعوض مثل الاكمام الطويلة والسراويل الطويلة .. الخ) وان يدهنوا الاجزاء العارية باي مادة طاردة للحشرات مثل مادة **الديت** Deet ، او مادة **الافثالات** ثنائية المثيل Dimethylphthalate ولكن اثر هذه المنتجات لا يستمر اكثر من ساعتين او ثلاث ساعات يجب بعدها اعادة الدهان ، كما يجب توخي الحذر عند استعمالها اثناء ارتداء ملابس مصنوعة من الالياف الصناعية نظرا لان المادة الطاردة يمكن ان تذيبها .

واذا كنت مسافرا خارج وطنك فيجب الاستعلام من الادارة الصحية في البلد الاصلي لك عما اذا كان هناك مجال للاصابة بالملاريا في مكان وزمان معينين وكذلك استشارتها بشأن التدابير الوقائية ، حيث يمكنها ان تستعين بالاطباء ووكالات السياحة وشركات الملاحة ، وشركات الطيران وغير ذلك من الهيئات لتقديم المعلومات المطلوبة للوقاية والاحتياطيات .

● ويجب الا يغيب عن البال انه في كثير من البلدان المبتلاة بالملاريا غالبا ماتكون المدن الرئيسة خالية من المرض وان كان هذا لاينطبق



بالضرورة على الضواحي ، وعلى الاماكن التي ترتفع اكثر من ١٥٠٠ فوق سطح البحر ، فقد تحدث الاصابة بالمرض في ظروف مناخية على ارتفاعات أعلى من ذلك بكثير ويختلف خطر الاصابة بالملاريا حسب فصول السنة .

واذا ساورك اي شك بخصوص خطر الاصابة بالملاريا فمن الحكمة ان تتخذ التدابير الوقائية على اي حال ، وان تأخذ العقاقير الموصى بها ، واذا مرضت فيجب ان تخبر طبيبك عن اي



رحلات تكون قد قمت بها مؤخرا في الخارج .

فالحقيقة التي لاشك فيها هي ان الملاريا عائق كبير في طريق التنمية ، وفي استطاعتها القضاء على برامج التنمية الزراعية ، وهذا هو ماحدث في منطقة الجزيرة ، كما انها تعوق برامج تنظيم الاسرة وتجعل الدعوة اليها غير مقبولة ، وهل من الممكن تحديد عدد اطفال الاسرة مع تواجد مرض الملاريا ، هذا المرض المسئول عن ١٠٪ من وفيات الاطفال كما هو الحال في افريقيا ؟

وأخيرا فان انقضاض الملاريا في الوقت الحاضر يتيح لها فرصة العودة الى بلاد كانت خالية منها عن طريق الهجرة والسياحة والرحلات . حيث يتعرض الانسان للعدوى او نقل المرض فقد كانت الملاريا سببا في وفاة خمسة من السياح النمساويين اثر عودتهم من منطقة موبوءة بها .

الشريد

« على شاطىء الليل حط الرحال » وخيم .. بين الرؤى .. والخيال
وامسى .. كسير الفؤاد .. يقلب كفيه .. يسقي .. ظماء الرمال
والقى الضياع به .. بين فكيه لما تمطى .. وراء .. المحال
الى اين يمضي الضياع به !! الى اين يمتد هذا المآل !!
وحتام يقتات .. عذب الأماني والدهر .. ينذره بالزوال !
وحتام يطويه .. درب النضال المرير .. ويسخر منه الكلال !
يفتش عن لقمة العيش .. بين غبار الطريق .. وذل السؤال
الى اين يمشي .. بطيئا ! الى اين يمضي ! سؤال .. وأي سؤال !
الى الموت ! هذا مصير الرجال لعمري .. وأيام .. عهد النضال
الى الحرب ! والحرب جرت عليه وجرت على العالمين .. الوبال
هزائم لم تمحها .. عنه هذي السنون .. وهذي الليالي الطوال

xxxx

هو الدهر .. يومان : يوم اليك ويوم يميل .. الى حيث مال
فلا تبتئس من ظلام .. أطاح بعرش .. الضياء .. البديع الجمال
فليس باقوى من النور .. ليل طويل .. غدا بؤرة .. للضلال

xxxx



للاستاذ : جميل عياد الوحيدي

وتبدو السنون ثقالا .. تمر   ويارزء هذي السنون الثقال !
يصارع فيها الحياة .. يصارع   بالجوع والعرى .. في شر حال
يكافح .. من أجل ارجاع حق ..   مضاع .. ويبدو .. عزيز المنال

××××

وتمضي به الذكريات .. الى   جنة الخلد .. والمجد قبل الزوال
وعمرو .. مع الفجر - يزحف   والجيش - يطرح بالروم تحت النعال
ويزحف سعد .. الى مطلع الشمس   يسحق .. جحفل أهل الضلال
وخالد في الشام .. يلقى هرقل ..   ويوثق اجناده .. بالحبال
وفي القدس .. أصحاب خير الانام ..   يدقون ابوابها .. بالنبال
وتخفق فوق .. الروابي .. البنود   ويرتاح للعرب .. في الكون .. بال
الى ان يعود .. الظلام الكرية ..   رويدا .. يخيم .. فوق الجبال
وتعول ريح السموم .. وينعب   بوم الخراب .. يهدد بالانحلال
وينخر جسم العروبة .. سوس   هزيل .. فلا كان هذا الهزال
وتفقد حتى الطريق .. وتخلط   بين الجنوب .. وبين الشمال
وتنتهب الارض .. ذات المعادن   والخير .. تسلب حتى الغلال

وتجدب أرض .. الشريد .. بتلك العهود .. على كثرة .. في الرجال
الى ان تطل .. عهود « صلاح » يعيد بـهـا المجـد .. مـن حيـث زال
وتغرق .. بالنصر .. ارض البطولات لكـن : هـل النصر ذيـاك طـال !
وكيف يطول مع الانحراف .. انتصار ! محـال .. وألـف .. محـال
ومـذهب قـومي .. أصيـل .. نقي البـذور .. قـويم .. لحـد الكمـال

××××

أرى الـدهـر ... لايستقـر .. يـدور فيضحى بحـال .. ويمسي .. بحـال
أرى الارض .. تبدو : تموت سريعا ولاغرو .. فالعهـد .. عهد احتـلال
ويصبـح اهـل البـلاد : فلـولا ممـزقـة .. مثـل فضـل .. النصـال
وتختـم اغـرب اسطـورة .. في الـورى .. مالهـا في بـلاد .. مثـال

××××

وتمضي به الذكريات .. الى القمح في الحقـل .. والكرم .. والبـرتقـال
الى الطـير .. تسبـح في الأفـق .. تنشد للنجم تاريخ فخر الـرجـال
الى نسمـات .. عـذاب .. تـراقص فـوق مياه .. الشطـوط .. الطـوال
الى الشاة .. بين مروج السهول .. الى الزهر .. فوق الذرى .. والتـلال
الى اخوة .. يسمرون .. مع الليل .. بـين الكـروم .. وتحـت الظـلال
يصعـد .. في الـذكـريـات .. يجيـل بها الطرف .. يرجو : كريم الوصـال
وقد لاح .. فجر الهداية .. يهـدي الى الدرب .. اهل العمى .. والخبـال
أرى المجد .. اقبل .. يمشي سريعـا .. وعمـا قـريـب .. بلـوغ النـوال
أرى النقب .. تنتظـر العـائـدين .. روابيـه .. في فـرحـة واختيـال
أرى شـامة البحـر .. يافـا .. أرى عسقلان .. ارى القدس ذات الجلال
ودنيا الجليل .. وحيفـا .. وعكـا .. أرى طـبريـا .. معـا في احتفـال
للقيا الأحبة .. بعد الكفاح العنيد .. تـعـانقـهـم .. في .. دلال

××××

فـلا بـد .. للعـرب .. من صحـوة تصحـح وضعـا .. وتمحـو نكـال
ولابـد للـعـرب .. مـن عـودة لـديـن الالـه .. فنعـم .. المـآل !



السوق الاسلامية المشتركة والترتيبات النقدية اللازمة لها

للاستاذ / جابر السيد جابر

أصبحت السوق الاسلامية المشتركة أمل كل مسلم واداة وعلامة على طريق التكامل الاقتصادي الاسلامي وسلاحا قويا في مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية الاخرى والتي أصبحت طابعا مميزا لهذا العصر.

وفكرة السوق الاسلامية المشتركة تستحوذ على اهتمام الاقتصاديين المسلمين، خاصة وان البلاد الاسلامية تملك من مقومات التكامل في كافة المجالات مالم يتوافر لأي مجموعة أخرى من بلدان العالم.

ولما كانت التكتلات الاقتصادية

الدولية هي منهج البلاد المتقدمة في الخروج من اطار المنافسة الحادة والحصول على التكنولوجيا لتحقيق نمو مطرد فاني أرى ان البلاد الاسلامية أحرى باتباع هذا الاسلوب .

ماهية السوق الاسلامية المشتركة :

هي درجة مرتفعة من درجات التنسيق والتكامل بين الامكانيات المادية والبشرية المتاحة للدول الاسلامية .

العوامل الاقتصادية لقيام السوق الاسلامية المشتركة :

بالاضافة الى وحدة الدين والهدف والمصير المشترك هناك عوامل اقتصادية نوجزها في الآتي :

١ ـ تباين امكانيات رأس المال البشري

٢ ـ تباين القدرات التمويلية

٣ ـ تباين الهياكل الانتاجية ، خاصة الانتاج الزراعي .

٤ ـ اتساع السوق على نطاق الامة الاسلامية .

اهداف السوق الاسلامية المشتركة :

تتلخص أهم اهداف السوق الاسلامية المشتركة في :

● تهيئة الظروف المناسبة للارتفاع بمعدل النمو الاقتصادي للبلاد الاسلامية ، وذلك عن طريق التخفيض من حدة المشكلات الاقتصادية التي تقف عقبة أمام مجهودات النمو الاقتصادي في كل منها على حدة وخاصة فيما يتعلق بضيق نطاق السوق أمام الصناعات الناشئة ومايتبعه من وجود عجز في موازين مدفوعاتها لانخفاض حجم صادراتها بالنسبة للواردات .

● تشغيل المدخرات الراكدة الناتجة من عائدات البترول المرتفعة ، وذلك باستثمارها في مشروعات انمائية مختلفة داخل نطاق البلاد الاسلامية .

● ايجاد مجمع صناعي زراعي متكامل يهدف الى تحقيق الاكتفاء الذاتي للبلاد الاسلامية بما ينأى بها عن التبعية والاحتكار ، وزيادة قوة المساومة لها في الامور الاقتصادية على النطاق العالمي .

السوق الاسلامية المشتركة والتعاون النقدي :

ان من أهم المعوقات أمام قيام التعاون الاسلامي في المجال الاقتصادي .

■ انخفاض حجم التجارة المتبادلة بين البلاد الاسلامية بعضها وبعض اذ انها تمثل نسبة متواضعة بالمقارنة بحجم تجارتها المتبادلة مع الغير .

■ اختلاف الانظمة النقدية المعمول بها في البلاد الاسلامية ، والذي ترجع جذوره الى الاستعمار وماترتب عنه من ربط الانظمة الاقتصادية والنقدية للبلد المستعمر بالبلد المستعمر .

ولما كانت السوق الاسلامية المشتركة هي مرحلة من مراحل التكامل الاقتصادي الاسلامي الشامل فان قيامها معناه القضاء على المعوق الاول « انخفاض حجم التجارة

المتبادلة » وذلك بما تؤدي اليه من رفع معدل هذا التبادل الى الحدود القصوى بين البلاد الاسلامية بعضها وبعض.

ولكي تكون السوق الاسلامية المشتركة ذات أثر فعال فلابد من تنسيق السياسات النقدية بين البلاد الاسلامية المشتركة فيها بصورة تؤدي الى :

● تسهيل التعامل فيما بينها.

● إبطال مفعول التأثيرات الضارة التي تعود على موازين مدفوعات هذه الدول نتيجة للسياسات النقدية العالمية او على الأقل إضعاف قوة هذه التأثيرات.

أهمية التعاون النقدي بين دول السوق الاسلامية المشتركة :

ان السبب الرئيسي للالتجاء الى السياسات التقييدية للمبادلات هو قصور وسائل الدفع الدولية، وهي المشكلة التي واجهت عددا كبيرا من الدول بعد الحرب العالمية الثانية، حتى اتضح ان تحرير المعاملات بين الدول المختلفة وتنميتها يعتمد اساسا على وجود نظام نقدي كفء تكون مهمته تنظيم التسويات الدولية المشتركة لهذه الدول على اساس متعدد الاطراف وان يزودها بوسائل الدفع الدولية.

من هنا تبرز اهمية تحرير التعامل داخل نطاق السوق الاسلامية المشتركة من القيود بل وتنمية التعاون النقدي بينها.

أهم صور التعاون النقدي على النطاق العالمي :

■ من أنجح صور التعاون النقدي على مستوى التكتلات الاقتصادية الدولية وتجربة **اتحاد المدفوعات الاوربي**. وهو ترتيب انتقالي بدونه لم يكن يتسنى لاوروبا انشاء السوق الاوروبية المشتركة. وقد أنشىء سنة ١٩٥٠ للقيام بعمليات المقاصة متعددة الاطراف بين مدفوعات الدول الاعضاء في المنظمة الاوروبية للتعاون الاقتصادي وكذلك منح التسهيلات الائتمانية اللازمة لمواجهة العجز في ميزان المدفوعات لاحدى الدول الاعضاء.

ولقد اقتضى نظام المقاصة وتسوية صافي الديون او المطلوبات بين الدول المشتركة استخدام وحدة نقدية معينة يمكن تقويم كل الحسابات على اساسها بطريقة موحدة ولذلك عمد الاتحاد الى ايجاد وحدة نقدية حسابية جديدة هي وحدة اتحاد المدفوعات الاوروبي.

ومن أهم اهدافه كما رتبها الاستاذ روبرت تدفن :

● الازالة التامة لجميع القيود على التجارة والطرق الثنائية.

● التوسع غير التمييزي على أوسع نطاق ممكن في التجارة.

● التخفيض التدريجي لبقية اشكال القيود وحماية التجارة المباشرة منها، أي المواجهة والرقابة على الصرف.

● تجنب التقلبات غير الضرورية في

أسعار الصرف .
وقد تمكن اتحاد المدفوعات الاوروبي من تحقيق اهدافه حيث :
● أوجد نظاما للتسويات المتعددة الاطراف بين الدول الاعضاء مما ساعدها في عدم الافراط في السحب على احتياطياتها من الذهب والعملات الاجنبية القابلة للتحويل .
● نجح في تحقيق اهم اهدافه اذ رفع نسبة التبادل التجاري بين دول اوروبا الغربية فبعد ان كانت سنة ١٩٤٧ لاتمثل سوى ثلثي ماكانت عليه قبل الحرب ، وصلت الى ١١٧٪ في الربع الاول من سنة ١٩٥٠ وسرعان ما ارتفعت في الربع الاخير من نفس العام الى ١٤٠٪ .
● يضاف الى ماتقدم ان الاتحاد اسهم في تحرير التجارة بين الدول الاعضاء بفضل حرية تحويل العملات ، وبفضل التسهيلات الممنوحة للدول المدينة .

□ **اتحاد المدفوعات العربي :**

برزت اهميته عندما أصدر مجلس الوحدة الاقتصادية قراره بانشاء السوق العربية المشتركة ، وكان الغرض منه تسهيل المدفوعات الجارية بين الدول الاعضاء ، وذلك بوضع نظام للمقاصة تسوى عن طريقه المدفوعات الجارية كل ثلاثة شهور ، وتلتزم كل دولة من الدول الاعضاء بسداد ثلث حصتها بعملة قابلة للتحويل والباقي بعملتها الوطنية .

ولعل الآمال التي تتوقف على قيام السوق الاسلامية المشتركة واتحاد المدفوعات الاسلامي انما ترجع الى ان كلاً منهما يعتبر خطوة هامة نحو التكامل الاقتصادي الاسلامي الشامل ، كذلك فان اتحاد المدفوعات الاسلامي لا يعتبر دعامة قوية لاستبقاء السوق الاسلامية فقط بل وسيلة هامة تمكنها من تحقيق اهدافها . كما أن قيام هذا الاتحاد المرتقب بدوره المنشود بنجاح ، سيدفع الدول الاسلامية الى مزيد من التعاون النقدي نحو الغاء العملات الوطنية وانشاء عملة اسلامية واحدة ، اذ ان العملة الواحدة تجسد غاية التوحيد الاقتصادي والنقدي بين مجموعة من البلاد مع مايعنيه ذلك من جمع لطاقات انتاجية عظيمة ومن خلق سوق داخلية واسعة تفتح آفاقا انمائية جديدة ومن ايجاد اقتصاد متين البنيان يقوم بدور فعال ومؤثر على المسرح الاقتصادي العالمي .

ان مواجهة قوى الكفر للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ومقاطعتهم وعدم البيع لهم او الابتياع منهم ، تعتبر أقدم صور التكتلات الاقتصادية التي استهدفت الاضرار بمصالح المسلمين ، فهل يفطن المسلمون اليوم الى ذلك وبعد ان أصبحت البلاد الاسلامية هي أكثر الدول تضررا من قيام التكتلات الاقتصادية الدولية في الوقت الحاضر .

حقائق غائبة

أ . د . محمد محمد ابو موسى

لا ريب أن ثمة منافذ طبيعية ، ومداخل صائبة لانماء العلوم العربية ، وتحريكها ، وإبداع المعرفة التي بها تتسع اتساعا ينداح من داخلها ، ويمتد فيه نسيجها امتدادا يتراحب . وبين أيدينا تجارب غنية في إبداع المعرفة ، وإنشاء العلوم ، ويمكننا أن نصطنع مسالكها . وهي باختصار شديد بعد استقصاء كلام أهل الطبع ، وطول النظر فيه . وطول المراجعة ، وإدمان النظر ، والتفتيش في كلام الأوائل ليس لحفظه واستيعابه ، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر ، فيما نحن فيه . وإنما لاستخراج خبيئة ، وبعث الفكرة من وراء الفكرة ، واستلال الخيوط المضمرة في غيبها ، ومَدِّها ، ونسج كلام آخر منها ، على حد ما فعل الكبار .

تأمل كلام عبد القاهر في أي باب تشاء لا لتحصِّل مادته ، فذلك شيء يجب أن نكون قد فرغنا منه ، وإنما لترقب حركة عقله ، وهو يكابد « عملية الابداع » وخلق الأفكار ، ويعتصر ما بين يديه من حقائق سلفه ،

ليستخرج منه رحيقا جديدا .

تأمل باب التقديم الذي ظل يلح فيه على استنطاق كلمة سيبويه : « إنما يقدمون الذي بيانه أهم وهم بشأنه أعنى » حتى غمغمت بكل ما في بحث التقديم مما يُرى في كتاب عبد القاهر متميزا ، وكأنه على غير مثال . وتأمل بحث « القصر » الذي أسسه على محاورة ذكية مع نص نقله من الشيرازيات ، وما زال يستل من هذا النص خيوطا ، ويستخرج من الخيوط خيوطا حتى قدم شيئا جديدا ليس هو كلام أبي علي ، وليس مقطوعا عنه ، وإنما هو متناسل منه كما يتناسل الحي من الحي .

ودع عبد القاهر وانظر إلى تجربة أبي الفتح عثمان بن جني في كتابه الخصائص ، وكيف استخرج من كلام سيبويه وأبي علي وغيرهما علما ليس هو علم سيبويه ولا علم الفارس ، وإنما هو علم أبي الفتح ، وكما استخرج عبد القاهر من مكنون النحو علما آخر هو علم المعاني ، استخرج أبو الفتح من هذه المضابىء نفسها علما آخر هو علم أصول النحو ، وقياس العربية ، وهو عند ابن جني : « أشرف ما صنف في علم العربية ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ، .. وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة » هكذا قال في مقدمة الخصائص .

وأُلْفِتُ هنا إلى شيء مهم وهو أن اجتهاد أهل الاجتهاد من علمائنا رضوان الله عليهم لم يكن اجتهادا في استخراج مسألة من مسألة فحسب ، وإن كان ذلك نفيسا وعز علينا ، وإنما كان اجتهادا من استخراج علم من علم ، وتلك هي الغايات التي لا يدركها إلا الأفراد .

ومن الغريب أننا سكتنا سكوت من لا يعلم عن مناهج هؤلاء من الاجتهاد والاستخراج ، وهي مناهج جديرة بأن تدرس ، وسيتخرج منها ، وتكون بدائل زاهية لما ندرسه من مناهج البحث في معاهدنا لأنها تجارب كل خطواتها بين أيدينا ، ومحيطها الذي تحركت فيه كذلك بين أيدينا ، ثم هي أقرب إلى عقولنا لأنها مستخلصة من علومنا ، وقبل ذلك وبعده هي جزء من تاريخ حضارتنا وعلومنا . ومناهج البحث الحديثة لم تخصب عقولنا بشيء ، ولم تحفز هممنا نحو الابداع والوصول إلى حقائق علمية جديدة ، والذي هو المقصود أساسا من احكامنا لمناهج البحث ، وليس هذا قدحا فيها لأنها أثمرت عند من استخرجوها ، والواقع الذي نلمسه بأيدينا أنها لم تثمر عندنا ولم أعرف عقلا ألف مضغها ثم انبثق عن حقيقة نافعة .

وأقول إن استخراج مناهج هؤلاء الأعلام ليس هو هذا التهاون الذي نجده في الكتب التي صنفت عنهم ، والذي نجد فيها بابا أو فصلا يسمى (منهجه) ثم نقرأ حقائق مثل: إن هذا العالم كان ينسب النص ، أو كان لا ينسبه ، أو أنه يكون بصريا في

مسألة وكوفيا في غيرها ، أو أنه من مدرسة المتأدبين ، أو من مدرسة المتكلمين ، وأنه كان يُخرِّج الشعر ، أو لا يُخرجه إلى آخر هذه المعلومات السطحية التي يقع عليها القارىء المبتديء .

ولا بد أن يكون دارس منهج الواحد من هؤلاء قد فطن لكل كلمة قالها ، ووعاها وعيا يستطيع به أن يَقْفُوَ أثرها ، حتى يصل بها إلى منابتها في كلام من سبقه ، أو يصل بها إلى انبثاقها في نفسه ، ثم يصف بدقة قصة الفكرة في عقل هذا العالم ، وكيف نَمَّاها ؟ ومن أي جهاتها جذبها حتى امتدت ؟ وكيف مَخَضَها حتى أخرجت مَخْضَها ؟ وغير ذلك مما تجده حيا واضحا بين عينيك حين تديم النظر إلى كلامهم ، وتعطيه ما هو أهله من العناية والصبر .

وهذا الباب الذي هو « علم مناهج البحث في علوم العربية » لا يجوز أن ينهض بـه المبتدىء ، مهمـا كـان إخلاصه ، وجده ، وإنما ينهض به الشيوخ من علمائنا ، الذين عكفوا الفكر على هذه العلوم ، وانجذبت رويتهم إليها ، لأنها ليست دراسة في كلام العلماء ، وإنما هي نظر في منابع علومهم ، وترقيق أفكارهم بحركـة عقـولهم ، وارتياض قلـوبهم للذي ارتاضته من عصيه ، ومعاناة أفئدتهم من اقتناص نافرة ، وتأليف شاردة ، وكيف كانوا يتدبرون ؟ ولا أقل من أن نحفظ لهؤلاء حقوقهم ، وحرماتهم ، ونبعد بهم عن اللغو الذي نحن فيه ، ولا ننتدب لدراسة هذا الجانب في تراثهم إلا من كان أشبه بهم هديا وسمتا ..

وتجلية روح الاجتهاد المنطوية في التراث أمر ضروري ، وإشاعة هذه الروح كأصل من أصول المعرفة أمر ضروري ، وليس بين المتخصصين في العلوم العربية والاسلامية فحسب ، وإنما بين المشتغلين بالعلم في كل فـروعه ، لأنهـا قيمـة ابـداعيـة ، وحضارية ، لا يجوز إغفالها ، وقد غابت عن الساحة منذ زمن ، وصارت حياتنا الفكرية في غيبة هذه القيمة تعاني عقما ظاهرا ، بل و « عنوسة » بغيضة شوهاء ، والغريب أن هذا التراث الذي ينطوي على هذه الودائع التي تستهدف إثارة أقدس ما في الانسان من طاقات خلاقة ومبدعة ، يوصف بالجمود ، ويوصف القائمون عليه بالجمود أيضا ، بل والتخلف ، وأنهم يريدون أن يرجعوا بنا إلى الوراء « تَخُبُّ بنا النجيبةُ والنجيبُ » وأنهم ختموا على عقولهم بأنه ليس في الامكان أبدع مما كان ، وأن عيونهم لا ترى أضواء العصر الباهرة ، إلى آخر ما تجده في كتابات قد تذيل أسماء كاتبيها بأنه رئيس قسم كذا في جامعة كذا وهذا دليل قاطع على ما قلناه من أن القيم الابداعية في تراث الأمة مطمورة مُغَيَّبَة عن عيون من يسميهم الناس « علماء » وليس هذا تقصيرا فحسب ، وإنما هو أمر منكر ، وكلنا يسمع من طلابه ، ومحدثيه ما يدل دلالة قاطعة على أنهم يفهمون أن

الحفاوة بالتراث والعكوف عليه تعني إحكام الرتاج في وجه كل جديد ؛ كما تعني إلغاء الطاقات الخلاقة ، والاكتفاء بالحفظ ، والاستيعاب ، إلى آخر ما لا تجد في نفسك أمامه إلا الحيرة ، والصمت لأنه جهل بألف باء حقائق التراث ، وجهل بتاريخ قصة العقل ، والعلوم من أمة نلبس جلودها ، ونمتلك ماضيها وحاضرها . وقد تسمع ذلك من رجال مذكورين بالعلم بين الناس فتزداد لأواؤك ، ويزداد تلددك .

ومن أهم ما غرس هذا الخطأ في النفوس ارتباط كلمات « التطور » و « التجديد » وهى أسبقها شيوعا قد ارتبطت أول وجودها بأمرين :

١ ـ الرمى في وجه القديم . بعد قتله بحثا !!

٢ ـ إغراء العقول بالفكر الغربي ، والترويج له ترويجا ظاهرا ، تجد كتب التجديد تقوم على أساس عرض شريحة من الفكر التراثي ، وقد يساء اختيارها ويهمل فهمها ، مع الزعم أنها قتلت بحثا ، ثم عرض شريحة من الفكر الغربي ، ثم التعليق على كلام القدماء بأن انظر لترى : « وجها معروقا ، بادي العظام ، شاحبا ، يسير الحظ من الحيوية ، والنضرة » .

ثم التعليق على كلام الغربيين بأن انظر لترى صورة : « أنضر وجها وأبهى قسمات من تلك الصورة التي عرضها حديث الأقدمين » وهكذا كأنك في معرض لوحات إعلامية للتشهير بالقديم « العربي الاسلامي » والتنويه بالحديث « الغربي المسيحي » .

ومع هزال هذا اللون من الاخراج ، وسذاجته ، وضعف مادته العلمية والخطأ البين في تفسير المعروض من الصور التراثية ، وركاكة المعروض من الصور الحديثة وسطحيته ، والانبهار الصارخ في التعليق عليه ، أقول مع ظهور ذلك كله فقد نفقت هذه الأفكار وغذت العقول والقلوب لأنها تلقتها وهي هواء ، وأخذتها أخذ المتعلم الصغير عن المعلم الكبير وصَحِبَتْها جلجلة جهيرة بأستاذية قائليها ، وريادتهم وعلمهم الواسع بالتراث ، وجهادهم في سبيل تجديده ، ومحاماتهم الشديدة عن القديم ، وغيرتهم عليه من عقلية الشيوخ ، وهذا الذي يرى كأنه هدم ، هو في الحقيقة تجديد لعقل الأمة ووجدان الأمة ، وتراث الأمة أيضا ، وأن هذه النار التي يشعلها هذا الكلام في عقل الأمة ، وتراثها ، هي النار العظيمة المقدسة التي تجلو الجوهر ، وتزيل الخبث إلى آخر ما أحاط بالنفوس وهيأها لهذا الفساد فَقَرَّ فيها وتأثَّل .

وبهذا ومثله وهو كثير ويتكاثر ارتبط التجديد في نفوسنا بالأخذ عن الغرب ، وارتبط التراث في نفوسنا بمجافاة التجديد ثم الاغراق في الجمود ، والدوران في الدائرة المغلقة « مَحلَّك سِرْ » .

وغابت عن الأذهان فكرة انبثاق الجديد من غيب القديم ، وإشاعة طرائق المفكرين المسلمين ، واجتهادهم ، وجهودهم في خلق

المعرفة وقدراتهم الفائقة على تطويرها ، وكيف كانوا يصبون عقولهم على القليل الخافت فيصبح كثيرا نافعا ، وكيف شقت عقولهم حجب الغيب عن خير كثير؟؟ إلى آخر ما يلفت إلى تلك الطاقة الهائلة من التراث ، والتي هي قادرة - لو أتقن اصطناعها - على إثارة ما أودع الله في فطرة الانسان من طاقات ، وابتعاث شُعَل القلوب والعقول تسطعُ وتُدْفِىء ، كل ذلك مسكوت عنه ، ومضت البحوث والكتب على النمط الذي لا يبعد عن صورة العرض التي ذكرناها ، والتي كانت بداية التجديد ، يساق كلام القدماء في المسألة ثم يعلق عليه بأنه صادر عن فقدان الوعي بكذا « جوهر الشعر ، .. حقيقة التجربة .. الصدق الفني .. التناسق النفسي .. وظيفة الخيال .. وظيفة اللغة .. طبيعة الادب .. استاطيقا اللغة ، وهذه الاخيرة اطرفها ، وخاصة عند من سبر علم من يقولونها ، ، » إلى آخر ما ترى ، والمهم أنه كلام صادر عن عدم وعي ، يعني غفلة ، أو بلادة ؛ او ما يمكن أن يقع في الذهن ، ثم يذكر في المسألة نفسها نص مقتبس ، ويعلق عليه بأنه صادر عن وعي عميق بالأدب ، أو طبيعة الخيال ، أو وظيفة كذا .

إلى آخر ما تقرأ .

وصار هذا القالب أو النمط أو المنوال هو ما ينسج عليه كل من أراد أن يكون ابن عصره !! مجددا !! مستنيرا غير جامد ولا متخلف ، !! يأخذ بطرفي الأصالة والمعاصرة معا ، وخطر هذه الطريقة انما يكون على الجيل الذي يتربى عليها ويعتقدها علما ، وأنها معرفة ، ولم يفطن إلى أنها أشبه بكلام الباعة في الأسواق منها بكلام أهل التحقيق ، وأنها أقرب إلى أن تكون لغة أصحاب « البوتيكات » منها بلغة العلماء .

وهذا الأسلوب في الكتابة سهل جدا - وذلك أيضا مما أغرى به - لأن التعليق على النص - سواء بالحق أو بالباطل - بأنه غير قائم على الوعي الاستاطيقي ، أو على الجهل بالنظرة الحديثة في بناء الصورة ، أو أن مصدره هو التذوق المادي أو الحسي للأدب إلى آخر ما تراه أيسر بكثير من الوقوف على النص لتفصيل مجمله ، وتوضيح مبهمه ، وتجلية جوهره ، إلى آخر ما يعانيه أهل العلم في كل أمة من عرب وعجم . وصدقني إن كتابة الكتاب من هذا الباب المتجدد المتطور الآخذ بذيل الحداثة ، وذيل المعاصرة معا ، لأيسر كثيرا من فهم باب من كلام أبي الفتح ، فضلا عن سيبويه ، الذي يكاد يتقول العقل تقولا ، وصدقني مرة ثانية إنك تستطيع أن تكتب من هذا اللون بحوثا ومقالات تشغل بها الناس ، دون أن تتوفر على طلب العلم لأنها ليست من بابه ، ودون أن تشعر بالرهق الذي يكاد يخلع نفسك وأنت تساور نصا من نصوص أهل الفقه . إنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد ومن تبعه .

وقفة تأمّل

اتَّقُوا الشُّبُهَات

فهمي عبد العليم الامام

● إن الحلال هو ما أحلّه الله سبحانه وتعالى .. ودائرته واسعة تشمل كل ما خلق الله في كونه الفسيح .. حتى أن العلماء قالوا : إن الأصل في الأشياء الحل .

● والحرام هو ما حرّمه الله سبحانه ... وتعالى : وكأنه استثناء من الأصل .. فما نص الشرع على تحريمه فهو الحرام .. وذاك إما لأن فيه ضررا ذاتيا أو مفسدة قبيحة تمس أصول الدين .. وتعرض للخطر والضياع الدين والجسم والعقل والنسل والمال .

وأما أن يعرض للأمر الحلال عارض يقتضي تحريمه .. كالبيع الذي فيه غش ، وصوم يوم العيد مثلا ..

● ومما هو معروف أن ما يؤدي إلى الحرام حرام .. فقد نهي الاسلام عن التباغض والتفرق ، ولذا نهي عن كل ما يؤدي إلى ذلك .. فلا يجوز مثلا أن يخطب الرجل امرأة هي مخطوبة لغيره .

● والحلال بين وواضح .. والحرام بيّنه الشرع فلا لبس فيه ولا غموض ، وفطرة الإنسان السليمة ، وقلبه المضيء بنور الإيمان يصلح مقياسا للحلال والحرام .. يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

● ولكن البعض ممن أزاغ الله بصيرته وطمس على قلبه ، يحلو له أن يسمي الأشياء بغير أسمائها ، فيحل ما حرّم الله ، ويحرّم ما أحل الله ، ويلتمس ألف سبب وسببا وصولا إلى تحقيق أهوائه ومآربه ، فيأكل أموال الناس بالباطل ، وقد يطلق على تصرفه أنه تجارة ، ويرتكب الإثم والفحشاء بحجة أن ظروف العصر وتطور الحياة إقتضت ذلك ، فتخالط المرأة الرجال الأجانب ، وينظر الرجل إلى ما حرّم الله النظر إليه .

ـ ويشرب الخمر لأنها مشروب شائع في الغرب ، وفي دول كثيرة ، ولا يعاقب على ذلك القانون .

● وهكذا تحت شعارات زائفة ، ومبادىء هابطة ، ومسميات ما أنزل الله بها من سلطان ، يرتكب البعض الموبقات ، ويظلم الغير ، بأفعال تكون صورها مشروعة ، وفي باطنها الإثم كل الإثم ، فكم من أجير لا يأخذ أجره المناسب ، وكم من عامل يبذل كل طاقته في عمله ولا يتقاضى ما يكفيه ، وكم من مستأجر يدفع ما يعجزه نظير ما يستأجره ، ويقال : مادام هناك إيجاب وقبول فلا حرج في كل هذا ..

ونسوا أن استغلال الحاجات منهي عنه ، وبخس الناس أشياءهم ظلم ، والإثم لا يخرجه من دائرة الإثم أن يغلف بغلاف الحلال أو المباح .

● لابدّ للانسان أن يتخذ من نفسه رقيبا على تصرفاته ، فالله أعلم بالسرائر ، فيجعل ضميره يقظا ينهاه عن الشرّ ، ويحثه على الخير ، يبعده عن المنكر ، ويأمره بالمعروف ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها .

● وإذا تربى ضمير المسلم التربية الاسلامية الصحيحة ، فإنه سوف يسلم من الأمراض التي تشيع في مجتمعنا الآن ، حيث يجعل الناس الحق تبعا لهواهم ، فيقولون عن الرّبا : إنه فائدة ، وعن المُجون في الفكر والتصرف والسلوك إنها حرية ، وعن التطاول على الغير إنها صراحة .

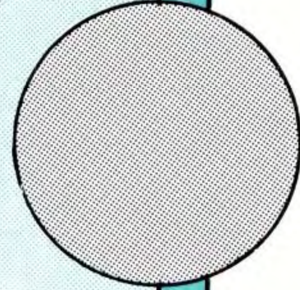
● أدعوك أخي القارىء أن تتأمل الواقع من حولك ، بعد أن تتأمل ذاتك .. وسوف ترى كم نحن في حاجة إلى الأخذ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » وإلى أن نحتاط في كثير من تصرفاتنا حتى لا نقع في الحرام .

يقول الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : « **إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه** » .

○ **وليس معنى ذلك أن نضيّق على أنفسنا ، أو نقع في الحرج ، بل المقصود أن نبتعد عن الحرام** وكل ما فيه شبهة الحرام ، وبعد ذلك فلا حرج علينا ، فإن **رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما** .

هكذا يربينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل نستجيب ؟

وإذا الموءودة



جرم أثيم وجناية ذميمة ضلعت فيها الجاهلية أزمانا حتي جاء الاسلام فحرمها واستأصل شأفتها وعلم أن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا .. لأن الحياة الانسانية قيمة ، وهي قيمة مطلقة لا ينقص منها أنها حياة أنثى ، وفاءت الأمة الى أمر ربها بعد أن أضلتها شياطين الانس والجن ، فكان المفتون منهم يظن أنه يبني الخلود في دار الفناء بإنجاب الذكور ، ويؤوب بالعار والشنار بإنجاب الاناث ،« **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** » النحل / ٥٨ ـ ٥٩ وما نعود الي الماضي الا بهذه المقدمة القصيرة ، فإنا لنبرم بالناس إن كان كل حديثهم أو جله عن الماضي ، وإنا لنهيب بالمسلمين أن يحاولوا التعرف على يومهم الحاضر وعالمهم المعاصر ماذا يدور فيه من علم وجهل وجد وهزل وصواب وخطأ ، وقديما قالوا لعمر « فلان لا يعرف الشر » فقال : « هذا أوقع له فيه » .

ونختار في هذا المقال أن نسلط الضوء لقارئنا على صفحتين معاصرتين على بعد ما بينهما من مسافة جغرافية أو

سُئِلْتُ

نبيل الحنجري

للدكتور/حسان حتحوت

فكرية . فإحداهما تصف واقعا يحدث في أمريكا زعيمة الغرب المسيحى ، أما الثانية فمن الصين تنين العالم الشيوعي الالحادي .

فأما التي من أمريكا فنموذج لبعض تطبيقات الكشوف الطبية الحديثة .. فمن المعلوم الآن أنه يمكن معرفة جنس شخص من فحص بعض خلاياه .. وأن الجنين في بطن أمه لا يشذ عن ذلك الا إذا تمكنا من الحصول على شيء من خلاياه وهو في مستقره ومستكنه .. وقد أمكن ذلك بغرس إبرة خلال البطن الى داخل الرحم وشفط بعض من السائل الذي يسبح فيه الجنين ، فإن هذا السائل يحتوي على خلايا نفضها الجنين عن سطح جلده ، وبزرع هذه الخلايا في وسط غذائي معين تنمو الخلايا ويصبح ميسورا عد ما تحتوي من أجسام صبغية والتعرف عليها وتحديد ما اذا كانت خلايا ذكر أم أنثى . هذا عن مجرد المعرفة وتكون عادة في أواخر الشهر الرابع من الحمل . وقد أمكن للأطباء بهذا

الفحص أن يتعرفوا على كثير من المعلومات عن الجنين وليس عن جنسه فقط ، فهناك عشرات من الأمراض أمكن تشخيصها بفحص هذا السائل الأمنيوسي المحيط بالجنين ، وإنما اللقطة التي نود التوقف لديها هي معرفة الجنس .

فالظاهر أن مسألة تفضيل جنس على جنس من المواليد مازالت تجد لها مجالا حتى في المجتمع الذي يصفه الكثيرون بأنه بلغ قمة الحضارة المعاصرة .. وما تكاد الأم تعرف جنس جنينها حتى تجد في إمكانها أن تحل مشكلتها فتعزم على أمر ثم تنفذه . فإن المجتمع الذي تهيأت فيه تلك المعرفة أيضا تهيأ فيه أيضا حق المرأة في أن تجهض جنينا لا ترغب في حمله .. وما نقول إن تلك شيمة الغالبية من النساء هناك ولكن دخل الحياة الأمريكية فعلا أن تحمل المرأة ثم تعلم أن الجنين ليس من الجنس الذي ترغبه (وتقول الاحصاءات إن الذكر دائما هو المفضل) فتذهب للطبيب ويتم إجهاض الجنين الأنثى .

نفس التصرف الذي عرفته جاهلية العرب وإن تدخل علم القرن العشرين فهيأ المعرفة الباكرة وهيأ الاجهاض الطبي .. وقد شفى الاسلام العرب في السابق ولا نعلم ما يشفي أمريكا في اللاحق .

وأما نبأ الصين فمختلف وإن لم يختلف . وما نحب أن نجحد على النظام الصيني أنه أيقظ الأمة بعد رقاد ، وقواها بعد ضعف ، واتجه بها بعد تشتت ، وجعلها في نظامها كخلية النمل طاقة ونظاما والتزاما وإن استغنت من أجل ذلك عن كثير من العواطف الانسانية الأساسية التي اعتبرت ترفا يعوق بناء الأمة ويعطل التنمية ، فإذا الصين الآن بين الدول مارد مرهوب بعد أن تداعت إليها الدول تداعى الأكلة الى قصعتها ..

وإذا بها تجد ما تلتهمه عصافير الفضاء من محصول الحبوب كبيرا فتسهر الصين كلها ليلة واحدة في المزارع تصفق وتصيح وتصفر وتضج ، عالمة أن العصافير إن حرمت نوم ليلة ماتت .. وقد كان وحلت المشكلة في ليلة .. وإن الصين ليزعجها الذباب بما يجلبه من أمراض فإذا كل من في الصين وزيرا وخفيرا ورئيسا ومرؤوسا وصغيرا وكبيرا يمسك في يده بمقرعة فإن رأى ذبابة فوراءها حتى يقتلها .. وحلت المشكلة .. لكن السلطة العليا في الصين قدرت كذلك أن معدل نمو السكان يفوق معدل التنمية فقررت أن تجتاز الصين فترة من تحديد النسل تمنع التعداد العام من الزيادة لفترة زمنية مقبلة .. وفي نظام محكم ذي قبضة قوية وضعت التفاصيل لممارسة الضغوط الفادحة على الاسرة التي تنجب أكثر من وليد ، مع تحتيم الاجهاض إن قصرت وسائل منع الحمل على شيوعها ، فمن لم ترض بالاجهاض فرضت عليها غرامةباهظة لا سبيل إلى الوفاء بها ..

ونجح برنامج منع الحمل . ولكن ظهرت في الصين جريمة جديدة لم تكن معروفة من قبل . تلك هي جريمة قتل البنات . فإن من جاءته بنت ويعلم أنه غير مسموح له بحمل آخر ، يختار أن يقتل البنت بطريقة ما ليأخذ فرصته من جديد دون تجاوز العدد المفروض ولعل الحمل المقبل ينتج ذكرا .. هذه جريمة لا يقرها القانون ولكنها تكشف أولا عن أن القانون إذا ضاق عن حد معين حفز الناس الى التمرد عليه ، وثانيا أنه حتى في الصين حيث الرجال والنساء سواء في العمل وفي الزي ، ما زالت كوامن النفوس تشتهي الولد وقد تقتل من أجل الحصول عليه فلذات أكبادها من البنات .

روايتان مضمونهما واحد وان نبتت كل منهما في حضن فلسفة مختلفة عن الأخرى كل الاختلاف .. ومع ذلك فكل من الفلسفتين تتهمنا نحن كمسلمين بأن مكان المرأة عندنا مكان خفيض !

سمعت من أصحابهما ـ أو أتباعهما ـ أن الاسلام لم ينصف المرأة وأنها فيه مواطن من الدرجة الثانية . ومن أسف أن بعض المنتسبين للاسلام يقوى لديهم هذا الزعم .

لم يعلموا أن الاسلام حين حرم الوأد حمى المرأة من هذا الذي نخر في حضارة القرن العشرين بجناحيها الرأسمالي والشيوعي .

لم يعلموا أن أول من دخل الاسلام امرأة هي خديجة .. وأن أول من استشهد في الاسلام امرأة هي سمية .. وان سر الهجرة أئتمن عليه خمسة أفراد من بينهم فتاة هي أسماء ..

ولم يعلموا أن دائرة نشاط المرأة في الاسلام مركزها البيت والأسرة وصناعة الأبطال وصياغة الاجيال ، ولكنها تتسع ليكون السلاح الطبي في جيش الرسول كله من النساء ، بل لأن تحمل السلاح مقاتلة كما فعلت نسيبة بنت كعب وامتدح النبي بلاءها عليه الصلاة والسلام .

لم يعلموا أن الأوامر والنواهي والتكاليف والعقوبات في الاسلام يستوي فيها الرجل والمرأة .. ويقولون فما بال نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب أخيها .. يدركون أن نصيبه له ولامرأة يتزوجها ، وأن نصيبها لها وحدها فإن تزوجت فنفقتها على زوجها هو مسئول عنها وليست مسئولة عنه ، وإلا فأخوها مسئول عنها إن احتاجت وليست مسئولة عنه وإن احتاج .

مكاء وتصدية في موكب ظالم صاخب يرقص على إيقاعه مع الأسف الشديد كثيرون ممن يحملون اسم الاسلام . وما نتهمهم بالجهل فمنهم من يحمل أرقى الشهادات ، ولكن زاغت أعينهم عن الحق فنسأل الله أن يهديهم إليه وأن يهدي بهم من وراءهم . والحمد لله رب العالمين .

بداية النصر

كان أبو خالد وزوجته وأولاده الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث على مقربة من المذياع بانتظار نشرة الأخبار وإذ بالمقدمة الموسيقية للنشرة تقطع حديثهم ، ويبدأ المذيع القراءة ليعلن نبأ كان له وقع الصاعقة في نفوسهم الا وهو حرق إسرائيل للمسجد الأقصى . فصاح أبو خالد : الله أكبر إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وراحت أم خالد تردد كلمة يا لطيف ، يا لطيف . أما خالد فقد راح يلعن اسرائيل ، ويصب عليها جام غضبه فيقاطعه أسامة قائلا : وما قيمة إسرائيل لولا أمريكا ، وأخذ يشتم هذه الأخيرة ، ويندد بها .

أما خولة فقد بقيت صامتة ، لكن شكلها كان يدل كل الدلالة على مشاركتها ، وتأثرها العميق . في حين أطرق الأبوان صامتين ، وكأنما هدتهما المصيبة هدأ .

وتابع أسامة حديثه ينحي باللائمة على أمريكا باعتبارها المسؤولة عن تمادي إسرائيل في غيها وطغيانها ، ويذهب به الحماس إلى امتداح روسيا واعتبارها الصديق المخلص للعرب . ويدور بينه وبين أخيه الحوار التالي :

خالد : أنسيت دور روسيا في إقامة دولة إسرائيل ، وسبقها للاعتراف بها وحرصها الدائم على بقائها ؟ إن روسيا إذا كانت تساعدنا الآن فذلك ليس من أجل سواد عيوننا ، وإنما تأمين لمصالحها .

أسامة : يكفي أنها تزودنا بالسلاح ، في حين تسلح أمريكا عدونا .

خالد : ليتها لم تفعل ، اذا لما بررت لأمريكا أن تقف منا هذا الموقف .

حِوارٌ أُسَرِيٌّ
عَشِيَّةَ حَرْقِ العَدُوِّ
لِلمَسْجِدِ الأَقْصَى
في جمادى الآخرة ١٣٨٩

للأستاذ / عبد الرحمن قره حمود

أسامة : لماذا لا تقول بأن امريكا هي التى ناصبتنا العداء فوقفت روسيا إلى جانبنا ؟
خالد : لأنه كان لأمريكا موقف آخر عام ١٩٥٦ ، وهي لم تنقلب علينا إلا حين تنكرنا لها ، وألقينا بأنفسنا في أحضان الروس .
أسامة : إذا أمريكا في نظرك كانت مخلصة لنا ، ونحن الذين بدأناها بالعداوة .
خالد : أنا لم أقل بأنها مخلصة ، فليس في السياسة إلا المصلحة ، وحيثما وجدت مصلحتنا علينا أن نتجه .
أسامة : تعني أنه لا بد لنا من الانحياز لجهة ، وهذه الجهة في نظرك هي أمريكا .
خالد : نعم يجب أن نكون واقعيين ، فليس ثمة حياد في العالم حتى الدول الكبرى قسمت بانحيازها إلى دول شرقية ، وأخرى غربية ، فاذا كان هذا حال الدول القوية ، فكيف بالدول الضعيفة ؟
أسامة : إذا كان الأمر كذلك فخير لنا أن ننحاز إلى الشرق أبى الاشتراكية وعدو الاستعمار .

خالد : بل قل : أبو الفقر وعدو الحرية .
ويكاد أبوهما يتميز من الغيظ ، ولكنه يكظم غيظه ولا ينبس ببنت شفة .
أسامة : فماذا ترى بالضبط ؟
خالد : طالما أننا في وضع من الضعف والتخلف لا بد معه من الانحياز لاحدى الجهتين ، فإن ما في الغرب من حرية ، وارتفاع مستوى معيشة يجعله خيرا من الشرق ، وليس ثمة عاقل يفضل المانيا الشرقية على المانيا الغربية .
أسامة (محتدا) : ما كنت لأتصور كيف تجيز لنفسك أن تعايش المستعمرين الأوغاد مصاصي دماء الشعوب ، الذين مصوا دماءنا ولا يزالون وقد رأيت وترى ما نلاقي منهم كل يوم .
خالد (أكثر احتدادا) : إذا كان هؤلاء يمصون دماء غيرهم ، فأولئك يمصون دماء شعوبهم ، ولا يتركون لأحد حرية معارضتهم وإذا كان هذا حالهم مع شعوبهم ، فلا تنتظر منهم أن يكونوا أرحم بغيرهم .
وهنا تحاول الأم أن تتدخل محاولة إسكات ولديها مخافة أن يتطور الخلاف بينهما . في حين يبقى الوالد صامتا يترقب فتتجه إليه منكرة عليه ذلك البرود الذي غاظها منه قائلة بانفعال : مالك يا أبا خالد ؟ لماذا لا تسكتهم ؟!
أبو خالد : دعيهم يا أم خالد ، لقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، انها صورة حقيقية لما هي عليه أمتنا . وصدق الله العظيم إذ يقول : « **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا** .. » طه/ ١٢٤ وقال أيضا : « **وأن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » الانعام/١٥٣ .
آه ، يا أم خالد ، كم يؤلمني أن لا يكون لهم من أسمائهم نصيب .
خولة : ماذا تقصد يا أبي ؟
أبو خالد : يا بنتي ، أنا لم أختر لكم هذه الأسماء التي سميتكم بها عبثا ، فالظروف التي كنا نعاني منها حين ولدتم هي التي أملت عليّ هذه الأسماء ، لقد جعلتني النكبة أقارن بين ماضي أمتنا المجيد ، وبين ما آل إليه حالنا . تذكرت خالد ابن الوليد وانتصاراته وخولة بنت الأزور وبسالتها وأسامة بن زيد القائد الذي لم يجاوز السابعة عشرة فسميتكم بأسمائهم ورجوت الله أن يجعلكم مثلهم ، فينصرنا بكم كما سبق أن نصر أمتنا بهم . ولكن ويا للأسف لم يكن لنا إلا أن حصدنا بعد عشرين سنة من النكبة نكسة وأي نكسة لقد وصل الأمر إلى إحراق المسجد الأقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين . ذلك المسجد المقدس الذي أسرى الله برسوله إليه ، فأم الأنبياء جميعا فيه ، ثم عرج منه إلى السماء .
واغرورقت عينا أبي خالد بالدموع وهو يقول : إيه أيها الأقصى يا أولى القبلتين ، ويا ثالث الحرمين . يا من أسرى الله برسوله إليك ومنك عرج به إلى سدرة المنتهى . وكانت الصلاة عماد الدين على المؤمنين كتابا موقوتا .
إيه أيها الأقصى ، يا ثالث ثلاثة تشد إليها الرحال ، ماذا حل بك اليوم ؟ كيف

أنت وأعداء الله والناس يجوسون خلالك ، والخاسئون يطوفون حولك ، ومن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله يتيهون في رحابك ، يأتمرون ويمكرون ويحسبون أنهم آمنوا مكر الله خير الماكرين .

لا شك أنك أظلمت عليهم إذ بهرهم نورك فخطف أبصارهم ثم اجتازهم إلى باقي الأرجاء ليوقظ القلوب المؤمنة فتصحو من غفلتها وتذكر عهد ربها ، فتعلن الجهاد على نفسها فتغير ما بها ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ليغير الله حالها ويمحق من سلطهم عليها بذنوبها ممن لا يخافه ولا يرحمها ، حتى إذا مشت إلى الله بذلك أتاها النصر من عنده ، وهو القوي العزيز الذي يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

إيه أيها المشرف ، يا مسجدا أسس على التقوى ، إن العيون لتدمع ، وإن القلوب لتخشع ، وإنا على فراقك ، وما صرت إليه لمحزونون .

ولكن ما نفع الدمع إن لم يغسل عيونا فيزيل عنها الغشاوة ؟ وما فائدة خشوع لا يكون للرحمن ؟ وما قيمة حزن لا يفجر طاقة تستخدم ما في الحديد من بأس شديد ؟

لا شيء . لا شيء سوى أن نضيف إلى المصيبة مصائب أخرى .

إيه أيها الأقصى ، ما أبعدك اليوم ؟ حتى لكأنه قد أصابك من اسمك نصيب يا مسجدا بارك الله حوله أيعبث فيك يهود ؟ أيرتع حولك القردة والخنازير ؟ لا والله لن تكون لهم سكنا ، ولا أمنا فيك يجدون . إنك محرم عليهم ، وأكرم على الله من أن يحكمهم فيك ، وإذا لم يكن في الناس من يذود عنك فان رب الناس يحميك كما حمى الكعبة من قبل « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول** » .

أسامة : وأية ذلة هذه التي جعلتهم ينتصرون علينا ؟

خالد : وأي غضب هذا الذي مكنهم منا ؟

خولة : صحيح يا أبي إذا كان الله قد أذلهم وغضب عليهم فكيف نصرهم علينا ؟

أبو خالد : تأكدي يا ابنتي أننا لو كنا مؤمنين حقا ، لنصرنا الله ولو اجتمع علينا أهل الأرض جميعا ، ولكننا كما ترين ويا للأسف تركنا الصراط المستقيم ، واتبعنا السبل التي نهانا الله عنها ، فتفرقت بنا عن سبيله . ولذلك خذلنا ونصرهم علينا رغم انهم اعداؤه . لا تستغربي ذلك يا ابنتي ، فالظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه . ولا تستغربي إذا قلت لك أن في ذلك خيرنا ومصلحتنا .

الأولاد جميعا : في انتصار اليهود علينا خير ومصلحة لنا ؟

الأب : نعم يا أولادي . لا تعجبوا من ذلك . إن الله سبحانه وتعالى يقول : .. « **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** » السجدة / ٢١ .

ولو نصرنا ونحن بعيدون عن الايمان لما رجعنا إليه أبدا . وما قيمة نصر يبعدنا عن

الجنة ويقحمنا في النار ؟ إن المحن والشدائد تجعل الناس يرجعون إلى الله يلوذون به ، ويدعونه مخلصين . فبها تصحو القلوب من غفلتها ، وتتذكر عهد ربها ، وأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فتعلن الجهاد على نفسها أولا ، حتى إذا تم لها النصر ، أعلنته على عدوها ، عند ذلك لا بد من أن يؤيدها الله بنصره تصديقا لقوله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » . وقوله جل شأنه :((**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** » .

« .. **ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون.يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** »

إن هذا اليوم قريب إن شاء الله ، وكم يؤلمني ويحز في نفسي أن لا يكون أولادي من أصحابه ، بسبب انحرافهم ذات اليمين وذات الشمال ، وإنجرافهم في تيارات عدوة كافرة ، يرجون عندها الخير ، من حيث تسعى دائبة لضياعنا جميعا .

لقد نسيتم الله ، فأنساكم أنفسكم ، وأنتم الفقراء إليه ، وهو الغني عنكم . أتحسبون من حمى الكعبة من الفيل لم يستطع حماية المسجد الأقصى من القردة والخنازير ؟ أبدا . إنه على كل شيء قدير . أما لماذا لم يفعل ؟ فذلك لأنه يوم حمى الكعبة لم يكن هناك مسلمون يبتليهم ويمتحنهم ، يومها لم يكن للكعبة سواه فتولاها بنفسه .

أما اليوم ففي العالم مئات الملايين من المسلمين ويريد الله أن يقيم الحجة لهم أو عليهم بابتلائهم ليعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين . إنه يريد أن يباهي ملائكته بأن له عبادا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهان في أعينهم ، ما كان يكبره غيرهم من المال ، والأهل ، والولد ، فاقبلوا على ربهم قائلين : وعجلنا إليك ربنا لترضى . فيتخذ منهم شهداء ويهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة .

كان الأولاد مشدودين إلى حديث أبيهم ، مأخوذين بما أفاض عليهم ، وأدركتهم رحمة الله ، فدمعت عيونهم ، وتملكهم الأسى . ولاحظ أبوهم ذلك فأخذ يستحثهم ويستنهض هممهم فقال : ما نفع الدموع إن لم تغسل العيون فتزيل عنها الغشاوة ، وما نفع حزن لا يفجر ما في الحديد من بأس شديد ؟

فقال خالد : أعاهدك يا أبي أن أحقق أملك باتخاذي خالدا أسوة .

وقال أسامة : وأنا أعاهدك أن يكون لي أسامة قدوة .

وقالت خولة : وأنا بفضلك إن شاء الله يا أبتاه خولة .

فقال أبوهم : (والدموع تترقرق في عينيه) : اللهم لك الحمد هذه بداية النصر ، وضم أولاده جميعا إليه وهو يقول :(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) آل عمران/٨ .

اللهم كما أنعمت فزد ، ثبتنا كما هديتنا ، وانصرنا كما وعدتنا إنك لا تخلف الميعاد .

غرباء في أوطانهم

للدكتور/ محمود محمد محمد عمارة

لو كانت السعادة في وفرة المال . وكثرة العيال .. إذن .. ما أكثر السعداء فينا لكن واقع الحياة لا يسلم إلى هذه النتيجة :
فقد يعطي الانسان مالا ممدودا .. وبنين شهودا .. ومع ذلك فهو يحس بالغربة في بيئة طافحة بالأنس والحركة ..
وكأنما هو شراع تتنازعه الأنواء .. أو كهف مظلم تأوى اليه أسباب الشقاء

وقد يكون هـذا الرجـل في موقـع المسؤوليـة .. وبدل أن يتخـذ من المنصب سبيلا إلى قلوب أناس يعملون معه .. بدل أن يجعله فرصة يحقق بها آمالا وينجز أعمـالا إذا بالمنصب يتحول بالغرور إلى نقمة .. حين يدور به كرسيه الدوار زهوا وخيلاء ..

وفي رأسه خواطر من جنس ما كان يدور في رأس فرعون مما حكاه الحق سبحانه (**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**) الزخرف / ٥١ فـإذا لـم تسعفـه الظـروف بمرؤوسين خائفين خاضعين صبها لعنة على رؤوسهم ..

ومع انه يملك القرار .. قرار الفصل أو العزل .. إلا أنه يحس بالغربة في موطنه ..
وبينما يعود مرءوسه قرير العين بما أحس من عمل أكسبه حب أناس يحتفظون بصورته في قلوبهم .. يعود رئيسه وحيدا وليس له من حصاد يومه إلا صورته على زجاج مكتبه !
الراكب ... الماشي :
ويصبح الغني أو القوي في موقع لايحسده عليه أحد .. بينما الفقير أو المرءوس . في وضع يحسده عليه كل إنسان .. حتى رئيسه . وذلك بعض ما يشير إليه موقف لابراهيم بن أدهم في رحلة . من رحلات حجه :
فقد ذهب ابن أدهم ليحج ما شيا .
فرآه رجل يركب بعيره فقال له :
إلى أين يا ابن أدهم .
قال : إلى الحج .
قال الرجل : وأين الراحلة .. فإن الطـريق طويـل .. قال إبـراهيم : المراكب كثيرة .. ولكنك لا تراها .
قال الرجل : وما هي ؟
قال ابن ادهم :
إذا نزلت بي مصيبة .. ركبت مركب الصبر .
وإذا نزلت بي نعمة .. ركبت مركب الشكر .
وإذا نزل القضاء .. ركبت مـركب الرضا .

وإذا دعتني نفسي إلى شيء .. علمت أن ما بقي من الأجل أقل مما مضى .
فقال الرجل : سر بإذن الله . فأنت الراكب وأنا الماشي ..
إن إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه .. يعيش في جنة من مشاعره الراضية . ويقف من إيمانه على قاعدة صلبة .. تتكيف مشاعره به مع تقلبات الأيام .

فإذا هو سعيد سعادة تنسيه صرامة الواقع وقسوته .. هذه السعادة التي اعترف بها رفيقه مع قوة الراحلة .

ووفرة الزاد مؤكدا أنه ـ مع رفاهيته غـريب .. إلى جانب هـذا الايمان العجيب الذي تحولت به الحياة إلى أعياد دائمة متجددة ، بمكابرة آلامها والاستعلاء فوق ضغوطها .

وقلب كقلب ابراهيم بن أدهم « رضي الله عنه » لا يجزع لحادثات الليالي . وتظل شخصيته ثـابتة في مـدلهم الخطوب فلا تطير شعاعا .. فهي من إيمانها ثابتة على مرفأ اليقين :

ركب مرة سفينة فهاجت الريح وثار الموج وبكي الناس من ركاب السفينة وأيقنوا الهلاك من هول ما نزل بهم . وكان إبراهيم بن أدهم نائما فاستوى جالسا وقال :
أريتنا قدرتك .. فأرنا عفوك . فذهبت الريح .. وسكن البحر . وهكذا يصنع القلب الموصول بالخالق سبحانه .. بقدر ما تتمزق قلوب واهية الصلة بربها ..
وكما كانت المراكب كثيرة .. وما رآها زميله في رحلة الحج فإن المراكب هنا كثيرة أيضا وما رآها الخائفون الوجلون .. إنها مراكب : الثقة بالله .. وبقدرته .. وعفوه .. والتهوين من شأن الأسباب المادية التي علق الراكبون آمالهم بها فلما لم يروها أيقنوا بالغرق .
أما هو .. فمن واقع إيمانه الوثيق .. أطلقها دعوة إلى الله فكانت النجاة .. ممن يملك النجاة والاغراق وحده سبحانه وتعالى .
وما زلت أذكر موقفا لي مع صديق : قد طوف في البلاد وجمع ثروة تفوق المليون .. ثم عاد إلى القرية منتفخ الأوداج بما حقق من مال وفير .. ولم يكن يتكلم إلا بحساب .. ولا يبتسم إلا بمقدار في محاولة لرسم صورة من العظمة الواقفة على كومة من المال .
ولم أكن أملك حينئذ إلا قوت يومي : فانظر ماذا ترى : قابلته بالأشواق .. ودرت حوله بالاستفسار عن قصة زواجه وأولاده .. وأنا سعيد أن تجدد الحياة ذكريات عزازا خلت من عمرنا . وانتهت المقابلة دون أن يكلف نفسه عناء السؤال عن واحد من أولادي .. بل عاد إلى غربته ولم يدر حتى موقعي الوظيفي : أنا إذن أسعد منه .. وإن لم أمتلك مليونا ، لأن القلب ـ قلبي ـ ما زال يحتفظ بوفاء قديم عصى على البلي . وسعادته الكبرى أن يمارس هذا الوفاء .. وهذا مذهبه .. بينما أماتت الثروة في قلب صديقي الاهتمام بالآخرين .. فعاش لنفسه فقط .. إنه الحي .. الميت .. فما عاش من عاش لنفسه فقط .
إن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه يمثل حزب الله القانع بما كسب من عرض الدنيا .. السعيد بجنة عريضة ظليلة في باطنه .. وهو الرد الالهي على المترفين العابثين .. الساعين وراء سعادة هي السراب . ولم يستطيعوا أن يحققوا بالمال شيئا إلا المرض والندم فوقعوا في براثن العبودية للترف .. فمضت أيامهم بلا أعياد .
وتلك عقبى الذين أداروا ظهورهم لمعاني الخير فلم يسعوا لها سعيا ، وفي حياة الحسن البصري « رضي الله عنه » وقفات مع هذا اللون من البشر . (أحيانا كان يتلو الآية ثم يعقب عليها بعظة مؤثرة جدا) . فقد تلا يوما قوله تعالى :

« **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا** » الأحزاب / ٧٢ .

« ثم عقب عليها بقوله :
إن قوما غدوا في المطارف العتاق (المطارف : أثواب من خز) والعمائم

الشهادات .. واحتياز الأموال .. والتفنن في صورة الملذات ، لكنهم سقطوا حين لم يستثمروا الذكاء والأموال لصالح أنفسهم ودينهم جاهلين أو متجاهلين .. أن الله تعالى تعبدهم بهذه الثروات العلمية والمالية .
لينظر كيف يعملون .. وأنه سبحانه لا ينظر إلى الأجسام والأموال . لكنه ينظر إلى ما تثمره من أعمال .

نعمة الابتلاء :

ولك أن تتصور بعد المسافة الايمانية بين رجل يرفل في بحبوحه النعيم هكذا .. ثم لا يلفته النعيم بقوة إلى خالقه سبحانه وبين رجل تدهمه المصائب فاذا بالايمان يحولها كيماويا إلى نعم تحرك لسانه بشكر المبتلي سبحانه « يقول عمر رضي الله عنه » ما من بلاء يصيبني إلا وأرى لله علي فيه أربع نعم :
النعمة الاولى : أن البلاء وقع في دنياي ولم يقع في آخرتي .
النعمة الثانية : أن البلاء لم يقع أكبر مما وقع .
النعمة الثالثة : أن الله صبرني عليه فاحتملته .
النعمة الرابعة : أن الله تعالى ادخر لي ثواب الصبر عليه .
ولأن النعم كثيرا ما تنسي الانسان واهبها سبحانه .. ترى علماءنا المخلصين يحاولون الخروج بالمفتونين بها من كهوفهم المظلمة .. ليقيدوا هذه النعم بشكرها ويقدروها حق قدرها لافتين الأنظار إلى النعم الجزيلة التي تحف بهم ، بينما هم ساهون قالوا النعم ثلاث : نعمة حاصلة يعلم بها العبد ، ونعمة منتظرة يرجوها ، ونعمة هو فيها لا يشعر بها ، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبد عرفه نعمته الحاضرة ، وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتى لا تشرد فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر .. ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه ،وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها وقد حكي أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين : ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بادامة شكرها وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته .
وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها .. لتشكرها فأعجب به الرشيد فقال : ما أحسن تقسيمه ونقول نحن : ما أحسن منهجه في الأخذ بيد الشاردين الرافلين في حلل النعيم ثم هم غافلون عنها .. ليحسوا بالأنس والقرار .
وليخرجوا بالاحساس بها من عزلتهم وغربتهم . وما أكثر الذين يعيشون في البساتين والظلال بينما تجيش نفوسهم بمشاعر الضيق والقلق ..
إنهم أصحاء الجسوم مرضى المشاعر ، أقوياء .. لكنهم ضعفاء أمام أعدائهم .
تسجل أرقام حساباتهم نسبة عالية .. غير أن الأرقام لم تحقق لهم ما يرجون

من وئام وقرار .
ولكن ابن أدهم .. وإن أضناه السفر .. وأدمى قدميه الطريق .. إلا أنه في نظر نفسه قوي .. صحيح .. يمثل جلال الحق الذي يعبر عنه بصبره وإن كان فردا .. (وإذا كان الباطل يتفشى في مجتمع مستكثر مستكبر . فان هذا الاباء وهذا الاستعلاء يزرى بأساليب الباطل التي تحاول فرضه على الحياة وبينما يتخبط المبطلون في التيه بحثا عن السعادة .. التي لا يكتشفونها يكتشف المؤمن الحقيقة .. ليمنحه الكشف سعادة .. لا يحس بها المبطلون لأنهم فقدوا صلاحية تذوقها .. ورحم الله إبراهيم ابن إسحاق الحربي :
لقد صبر أربعين سنة . وشق رأسه يؤلمه ، فما أخبر أحدا من أسرته بذلك وزهد ثلاثين عاما وحصته اليومية .. رغيف واحد .. ولم يتأثر ذكاؤه ولا قواه بمرارة الواقع .. وكان أعلم علماء عصره لقد اكتشف سر الحياة .. ومتعة الموحدين .. فبدأت دائرة سعادته تنداح .. ومملكته تتسع .. وأعياده تمتد .. وأعظم كشف في الحياة : كشف الحقيقة في خضم الحياة المادية ..
وأعظم كرامة : الاستقامة على الجادة في بحور المغريات :
يقول المودودي : « لا كشف أعظم من إدراك حقيقة التوحيد في متاعب هذه الدنيا المادية الخلابة .. ولا كرامة أكبر من الاستقامة على جادة الحق، إزاء ترغيبات الشيطان وذريته وترهيباتهم ووساوسهم .

ولا مشاهدة للأنوار أحق للقدر والاجلال من الاهتداء إلى نور الحق وأتباعه في دياجير الظلام والكفر والعصيان والضلال المطبق على رؤوسنا اليوم وأن أكبر بشرى يمكن أن يرتاح إليها المؤمن هي : أن يقول ربي الله ثم يستقيم على صراطه المستقيم « **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة** » فصلت / ٣٠ .

البؤس المقنع :

وفي هذاالجو المأنوس يمضي المؤمنون على صراط الله وفي الوقت الذي يتبلغ فيه المترفون بثمن الكرامة المضيعة والسعادة الغاربة يختط المؤمن لنفسه :
حياة روحية .. والناس من حوله ماديون . ويدور في أفق الراحة .. وهم من حوله متعبون .. وتملأ القناعة قلبه .. والجشع يغتال العابثين . وصدورهم مستودع هم مقيم . وتمتص الحياة اللاهية رحيق السعادة من دنياهم .. وإن توفرت بين أيديهم أسبابها .
ويصور عبد الوهاب عزام هذه الحقيقة في قوله : قال لي صاحبي :

أراك غريبابين هذا الأنام دون خليل
قلت كلا .. بل الأنام غريب
أنا في عالمي وهذا سبيلي

الرضا طوق النجاة :

إن الرضا بالقضاء هو طوق النجاة

الرقاق . يطلبون الامارات ويضيعون الأمانات يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الـذمة . أهـزلوا دينهم وأسمنـوا براذينهم .

ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين يتكيء أحدهم على شماله فيأكل من غير ماله يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد وبرطب بعد يابس ..

حتى إذا أخذته الكظة (الشبع) تجشأ من البشم (امتلأ البطن) ثم قال : يا جاريتي هاتي حلو ما يهضم الطعام ..

يا أحيمق : لا والله ما تهضم إلا دينك ..

أين جارك ؟

أين يتيمك ؟

أين مسكينك ؟

أين ما أوصاك الله عز وجل به ؟

الأمل المضيء في مدلهم الخطوب

ومعنى ذلك أن الذين يستغرقون بمشاعرهم في أسباب الدنيا المادية يكلهم الحق سبحـانه وتعـالى إلى أسبـابهم الواهيـة .. وسـواعـدهم الواهنة .. فإذا هم أقل من صروف الأيام .. وإذا حياتهم مشدودة إلى أوتاد قلقة حائرة لا تستقر على حال ومن ثم لا يحسون للسعادة طعما ..

أما الذين وصلوا قلوبهم بالحق سبحانه فهم على أوفى ما يكون الثبات لأنهم يملكون من حدة البصر وجلاء البصيرة ما يحول الحياة من حولهم إلى جنات ونعيم بفضل ما يستشعرون من قدرة خالق قادر لا يغيب .. ولا يتخلى عن عبادة أبدا « يروى أن حاتم الأصم أراد أن يحج فبكي أولاده وقالوا : » إلى من تكلنا : ؟

وكانت له بنت فقالت : دعوه .. فليس برزاق فخرج حاتم إلى الحج وبات أولاده جياعا .. وراحوا يوبخون تلك البنت .

فقالت : اللهم لا تخجلني بينهم ومر أمير البلد بالمكان فقال لأصحابه : اطلبوا لي ماء . فناوله أهل حاتم كوزا جديدا وماء باردا فشرب ثم قال دار من هذه ؟

فقالوا : دار حاتم الأصم :

فرمي فيها منطقة من ذهب ..

فقال : من أحبني وافقني . فرمى العسكر كلهم .

وبكت البنت .. فقـالت أمها : مـا يبكيك .. وقد وسع الله علينا قالت :

لأن مخلوقا نظر إلينا فاستغنينا ..

فكيف لو نظر الخالق سبحانه إلينا لقد تصـورت الأسـرة ـ عـدا البنت الراشدة ـ أن غياب العائل معناه : ضياع الرزق المرتبط بناصيته ..

ومن فرط إحساسهم بدور العائـل الذاهب بكوا وحاولوا منعه من أداء الفريضة .

لكن ابنة حاتم تحدر إليها من أبيها قبس من إيمانه الوثيق .. فجاوزت هذا الأفق الضيق .. فشجعته على المضي في رحلته المباركة .. لأن الأرزاق على الخلاق ..

وفعلا جاءهم الرزق المقسوم .. لكنه لم

ينزل من السماء .. فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وإنما دفعت الأسرة الثمن : كوزا .. جديدا .. وماء باردا فلما بكت البنت متأثرة بما حدث .. كانت في قلب الأم بقية من تصورات الأرض .. فاستنكرت بكاءها بعد أن جاءهم الفرج .

وتعطيها ابنتها درسا في الايمان .. بأن هذه قدرة المخلوق فأين هي من قدرة الخالق ؟

وهي محاولة تخرج بها البنت بالأسرة من ضيق الأسباب إلى سعة الايمان .. ومن غربة الحياة مع حظوظ النفس .. لتعيش في جو الايمان وما يثمره من سعادة لا يحس بها إلا المؤمنون بالله إيمانا يرفعهم فوق الواقع المحدود .

الحجاب الحاجز :

إن الارتباط بالوالد .. كأنه الرازق .. وبالطبيب .. كأنه الشافي .. وبالراحلة والطائرة .. والسيارة .. وكل مظاهر الحياة .. كأنها صانعة المستقبل للانسان .. جهل بقدرة الله .. ثم هو حجاب يحبسك بين جدار من ذاتك وأهوائها فلا تستطيع الوصول إلى ساحة الرضوان .. والاستمتاع بالنعيم الحقيقي .. المنبعث من الرضا بقضاء الله تعالى . وإنك لتدعو فلا يستجاب لك .. وتحاول الانطلاق فلا تنطلق لأن قيود الدنيا وقفت بك في مكانك .. وسارت بك أهواؤك من سيىء إلى أسوأ .. وتلك عقبى الذين يثقون بأسباب الدنيا ثقة عمياء .. ترمي بهم في التيه يدورون حول أنفسهم بلا هدف .

وإنها قصة جموع غفيرة من المسلمين : علموا .. وملكوا .. وتنعموا .. لكنهم ذهلوا عن العاقبة .. فلم يقروا بضعفهم .. ولم يشكروا المنعم سبحانه . أي أن آمالهم وقفت بهم عند القشرة الظاهرة وحرمتهم من الغوص في الأعماق . ليحسوا بوجودهم الحقيقي .. المرصود أساسا لدار هي الحيوان نسوها أو تناسوها .. فصنعوا بالغفلة حجابا كثيفا .. وأقاموا بالاستغراق في الآمال الكاذب سدا منيعا حجبهم عن الله تعالى وهو المعنى الذي أشار إليه ابن أدهم عندما سئل :

ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا :

قال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه .

وعرفتم الرسول « صلى الله عليه وسلم » فلم تتبعوا سنته .

وعرفتم القرآن فلم تعملوا به .

وأكلتم نعم الله تعالى فلم تؤدوا شكرها .

وعرفتم الجنة . فلم تطلبوها .

وعرفتم النار فلم تهربوا منها .

وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه .

وعرفتم الموت . فلم تستعدوا له .

ودفنتم موتاكم .. فلم تعتبروا ..

وتركتم عيوبكم .. واشتغلتم بعيوب الناس .

ومعنى ذلك أن الجمهرة الغفيرة من المسلمين .. نجحوا في ا لامتحان النظري .. وسقطوا في الامتحان العملي .. نجحوا في الحصول على

في خضم هذه الحياة : وقد سعدت الحياة باسلافنا الأبرار يوم كـان الرضا بالقضاء جوهر حياتهم . قال سفيان الثوري بحضرة رابعة العدوية يوما : « اللهم ارض عنا » فقالت له رابعة : أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت غير راض عنه .

فقال لها : متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى .

فقالت له : « إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة » فمع أن الرجل لم يدع بإثم ولا بقطيعة رحم لكن رابعة تبادره لافتة نظره إلى القمة في الرضا والتي يجب أن يشد رحاله إليها .. وإذا كان سروره بالنعمة أعلى ـ وهذا شيء طبيعي فمعنى ذلك أن حظ نفسه ما زال ملحوظا مؤثرا .. وذلك مما يخدش معنى الرضا ولكن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتقدم على طريق ا لرضا خطوة أخرى : فقد كان رضي الله عنه مجاب الدعوة ويقصده الناس ليدعو لهم . فقيل له : أنت تدعو للناس .. فلو دعوت الله تعالى لرد عليك بصرك .

فقال : قضاء الله أحب إلي من بصري .

فانظر كيف تجاهل متعة الابصار يستعيد بها ذكريات شبابه وصباه راضيا بالعمى .. بل حبب إليه العمي لأن الله قد رضيه له وإنما رضاه في رضاء ربه سبحانه .. لا فيما تشتهيه نفسه !!

ولم تخل الساحة الاسلامية من نماذج مشرقة على نفس الطريق .. وفي حلكة الليل البهيم ـ كان رضاها عن الله تعالى نورا تبصر في سناه الدار الآخرة وما أعد لها من نعيم ينسيها ما حولها من متاع .. يروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل : دلني على أعبد أهل الأرض .

فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول :

الهي : متعتني بها ما شئت أنت .. وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا بر .. يا وصول .

وكم في دنيا الناس من أناس صحاح الأجسام .. يتمرغون في جنات وعيون لكن حياتهم خالية من عنصر الرضا فحولها الطمع إلى خراب .. وعاشوا غرباء في أوطانهم . وها هو ذا في محنة لا يحسد عليها .. ولكن الأمل ما زال يغمر صدره بالرضا . وما زالت ثقته بربه تمسك قلبه أن يزل وعقله أن يضل .

وربما برقت في ذهن أحدهم بارقة من الطمع في الدنيا .. فينهض وجلا خائفا مذعورا لأن نفسه تعلقت بشيء لم يأذن به الله :

شوهد أحد العارفين يبكي . فقيل له : لماذا تبكي ؟ قال : إنني أبكي منذ أربعين سنة على ذنب أذنبته فسئل ماهو الذنب قال قلت مرة لشيء كان .. ليته لم يكن .

أي أنه تمنى في لحظة من عمره ألا يكون أمر ما قضاه الله قد وقع فبرز حظ نفسه وبالتالي ضعف رضاه عن قضاء ربه .. فعاقب نفسه بالبكاء نصف قرن تقريبا ..

وفي الوقت الذي تبرهن فيه الحضارة

الحديثة على فشلها في تحقيق توافق الانسان مع عالمه .. بما ترمينا به الأنباء من حوادث الانتحار والسخط على الحياة .. وخنوع الارادة هناك أمام أحداثها وعللها .. في هذا الوقت تطالعنا من تاريخنا نفوس صارعت الحياة فصرعتها .. وفي قمة مأساتها تبصر الغد ا لمأمون من خلال رضاها بقضاء الله تعالى فاذا هي في محنتها صحيحة النفس متماسكة الفكر . راشدة مستبصرة : كان من دعاء بعض العارفين في بلائه :

« اللهم إن كان عذابا فاصرفه ..
وإن كان صلاحا .. فزد فيه ..
ثم هب لنا الصبر على البلاء .. والشكر عند الرخاء

فانظر كيف لم يسحق الألم نفسها موصولة بربها ..

إنها راضية بقضائه وقدره لكنها تطلب أن يدوم هذا الرضا بامدادها بالصبر على بلاء النقمة وبلاء النعمة معا .. فلا يتجه إلى الله بقلب جزع ونفس والهة .. وإنما يدعوه بقلب الراضي بعدله المقر بفضله . أن يعينه ليكون عند حسن الظن به .. صابرا .. شاكرا فإذا كانت العلة عذابا .. فهو لا يطيقه ومن ثم دعا ربه أن يصرفه .

وإذا كانت اصلاحا لنفس شغلها المال .. وألهتها العيال .. لتعود إلى صوابها فمرحبا بالمرض وإن كان مرا ..

يقول ابن الرومي :

لو يصح اليقين ما رغب الرا
غب الا الي مليك السماء

غير أن اليقين أضحى مريضا
مرضا باطنا شديد الخفاء

ورحم الله سلفنا الصالح :

لقد كانوا في كل احوالهم سعداء :

كانوا على السراء سعداء . وكانوا على الضراء سعداء .

يقول فيهم الرسول « صلى الله عليه وسلم »

« عجبا لأمر المؤمن :
إن أمره كله خير : وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » رواه أحمد في مسنده .

وقد كانوا في حربهم وسلمهم سعداء :

كانوا في سلمهم سعداء : لأنهم للسلم . والعدل والأمن والطمأنينة خلقوا :

« **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** » النساء/ ١٣٥

وللعمران والاصلاح وجدوا :
« **فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** » الأعراف/ ٧٤

وكانوا في حربهم سعداء :

لأنهم ما كانوا يشنونها إلا لتقويم المعوج وإصلاح الفاسد وتحقيق راحة الانسانية وسعادتها .

وما كانوا يحاربون إلا الجور والعدوان ..

وكانوا سعداء برضاهم عن أنفسهم حيث تحقق لها من كمال اقتضته فطرهم ؟ التي فطرهم الله عليها .



التكامل في الاسلام

تحت هذا العنوان كتب الأخ / فاروق عبدالعزيزسلام - يقول :

الدين الاسلامي ليس عالما مستقلا بحدوده وطبيعته يعزل نفسه عن واقع الحياة .. والذين يعزلون الدين عن الحياة يخلقون نوعا من الثنائية ويعزلون أنفسهم .. ويبددون طاقاتهم هباء منثورا ....

ذلك أن الحياة النفسية والفكرية المزدوجة تعني سياسة تستغل الدين الاسلامي ضد روحه وطبيعته .. وتعرقل تقدم المسلمين ... وهذا ان دل على شيء فانما يدل على سوء فهم الدين وطبيعته .. وبالتالي يعتبر مظهرا للانحراف في منهج تطوير المجتمع العربي والاسلامي والدين الاسلامي يرفض التردد والشك .. والفرقة والضعف .

ولقد أرسي الاسلام القواعد الأساسية الصالحة لكل مكان وزمان لبناء مجتمع انساني سوى ... وهذه القواعد غطت كافة نواحي الحياة (الاجتماعية .. والاقتصادية .. والسياسية) في ربوعها يستظل الانسان بعدالة السماء .. ويعيش آمنا بشريعة الحق .. وتصحيح المسار الخاطىء لسفين حياتنا يقتضي منا بداية مايلي :

أولا : ربط المسلم بمفاهيم دينه لتكون المحصلة العملية تحقيق الرقي الأخلاقي .. والتقدم الحضاري .. وذلك بالقضاء على التميع الحضاري والانحلال الخلقي .. الذي بدأ يلف حياتنا .

ثانيا : ربط الانسان المسلم بمصدر التقويم وأنماط السلوك ، والتغير الاجتماعي يجب ان نستمده من تراثنا وعقيدتنا .... لخلق تنمية روحية وأخلاقية تتلازم مع التنمية الاجتماعية والاقتصادية وبهذا يمكن ايجاد تنمية اقتصادية انسانية رشيدة في زمن طغت فيه الماديات .

ثالثا : أن يكون اتباعنا للمنهج العلمي في ظل التغير المطلوب بعيدا عن النظريات الدخيلة وعن المذاهب المادية التي لا تؤمن بالله ورسله ... الخ .

رابعا : إن الاسلام يتميز ببناء الشخصية الانسانية ويتعاظم بصلابة رجاله في مواجهة جسام الأمور ..

ولكي تكون الشخصية الاسلامية متكاملة ، لابد من الأخذ بمنهج الاسلام في كل مناحي الحياة :

في مجال العقيدة ومجال السلوك الفردي ومجال الاقتصاد ، والسياسة ، والعلم ، وعلينا الا نقطع حكما من الاحكام عن الصورة الشاملة ونجزئه ثم نتعمق في

دراسته وتحليله بمعزل عن الاطار العام للاسلام ، لأن الاسلام وضع الصورة العامة ككل للوجود وحقائقه وقيمه .. ومصالحه ونظمه .. حتى تتفاعل السلوكيات والأخلاقيات وتنصهر في بوتقة الايمان ..

وعلى هذا الأساس يمكن تحديد جذور التكوين النفسي والفكري وصياغة حياتنا وفق أمانينا في التقدم المسئول ..

وشمولية التكامل مرجعها الى مصدرين يكمل كل منهما الآخر ولا يمكن الفصل بينهما وهما :

أ ـ وحدة المصدر

ب ـ ووحدة موضوعه

أما وحدة المصدر ـ فمردها الى كونه منهجا ربانيا ـ **(ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)** النساء / ٨٢

وأما وحدة الموضوع : التي تقوم على التوجيهات والتكاليف الشرعية فنعني بها الانسان .. ويخطىء من يتوهم أن الدين يمكنه تنظيم جانب دون الآخر أو تنظيم جانب على حساب جانب في حياة المسلم أو الانسان عموما ...

فذلك يعتبر تجاهلا بشعا وقبيحا لوحدة النفس الانسانية . وهذا التجاهل يدفعه الحق بقوله : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)** النحل / ٨٩ .

وتكامل المنهج الاسلامي يظهر جليا في ربطه بين الاسس العقيدية والنظام الأخلاقي والاجتماعي .

وأسس العقيدة الاسلامية تقوم على الايمان بمبدأين رئيسين :

أولهما : توحيده سبحانه وتعالى وتفرده بالعبودية : « **لا إله الا الله وحده لاشريك له** »

وثانيهما : الايمان بتخطي نطاق الحس الى الغيب (**يوم لاينفع مال ولابنون.الا من أتى الله بقلب سليم**) الشعراء / ٨٨ و ٨٩

فعقيدة التوحيد تستجمع في عقل الانسان ونفسه مشاعر الولاء والخضوع ، وتقوده الى عبودية الإله الواحد الذي : (**ليس كمثله شيء**) الشورى / ١١

وتنتشل الانسانية من الضياع ، والانسان من وهدة الشقاء ومن تبعات الولاء المشتت .. وهي دعوة للتحرر من سلطان الخلق أجمعين : **(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)** الأحزاب / ٣٧

(فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) آل عمران / ١٧٥

ومن هنا يتضح ان الايمان بالله يعني على المستويين الاجتماعي والاخلاقي الحرية .. والمساواة وهو الذي يطبع الفرد المؤمن والأمة المسلمة بموقف الصلابة في الحق ، وروح النضال من أجل المبدأ ، وفي ذلك يقول الحق :

(وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) الصف / ١١ وكذلك : **(ولايخافون لومة لائم)** المائدة / ٥٤

لانهم يؤمنون بالله رب العرش العظيم .. الواحد الأحد .. الفرد الصمد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء .. يرجون رحمته ويخافون عذابه ، والفرد المؤمن مؤتمن على ما يناط به من أعمال ، حريص على اتقان عمله وتحسين أدائه ولو في غفلة من عيون

الدولة .. وحراسة القانون ، لأنه يعلم أن الرقيب ربه ، وأن الحسيب ربه ، ولأنه يقرأ قوله تعالى : (**ألم يعلم بأن الله يرى**) العلق / ١٤ ويعي عن نبيه صلى الله عليه وسلم قوله : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه .. فان لم تكن تراه فانه يراك » البخاري ..

والمذاهب الوضعية التي تنكر التفرد بالربوبية تفضح عجزها ، وتكشف عن كفرها الوضيع الذي هو في جوهره ستر الحق ، وتنكر مغرض ، وسلوك أحمق للأمر الظاهر الذي تمثله مصلحة مادية أو معنويةودوافعها مواقف سلوكية معيبة وفي هذا يقول الحق :

(**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**) النمل / ١٤ وقوله :

(**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**)الانعام/٣٣ .

« ابتهالة »

شعر عوض الحسيني قشطة

لا تسأل العبد عن عون وعن مدد
واسأل إلهك رب العون والمدد
وافتح ذراعيك للدنيا وكن بطلا
واحذر من النفس إن تدعوك للحسد
والجأ الى الله في كل الأمور ولا
تطرق سوى بابه إن كنت في كبد
فعنده لذوي الحاجات ماطلبوا
وبحره مورد للأم والولد
وكيف تطرق بابا موصدا أبدا
وباب ربك مفتوح الى الأبد
والرزق للخلق رب الخلق ضامنه
عهد عليه ومن أوفى من الصمد
فان رزقت فلا تفخر على أحد
وان رزئت فلا تركن الى أحد
واحفظ على النفس في الحالين بهجتها
فإنها خلقت للصبر والجلد
فاصبر وجالد وأد الفرض مجتهدا
وول وجهك باب الله واعتمد
فإنما الأمر للرحمن مرجعه
في طرفة العين يمحو الضيق بالرغد

الفتاوى

زوج حائر

القارىء ابراهيم خماش من الخليل ، يقول : أمي تصر على ان اطلق زوجتي ، وزوجتي مطيعة وعلى خلق ولي منها ولد وبنت وانا حائر بين ارضاء أمي وبين ظلم زوجتي ماذا أفعل ؟

أمك ما دامت تحب لك السعادة فما ينبغي أن تحكم عليك بفراق زوجة تحبها وتطمئن إلى أخلاقها وهل كانت أمك تقبل أن يطلقها أبوك تنفيذا لرغبة أمه ؟ فكيف ترضى لغيرها ما لا ترضاه لنفسها ؟ هذا خلق غير اسلامي لأن المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه . طاعتك لأمك في مثل هذه الحالة يترتب عليها ظلم لزوجة بريئة وفيها تشريد للأولاد ومخالفة لأمر الله ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . كما أنك مطالب ببر أمك والإحسان إليها وإكرامها أنت مطالب في الوقت نفسه بألا تظلم زوجة تطيعك وتصونك وترعى أولادك ومن حق الزوجة على زوجها أن يكرمها ويحسن عشرتها وأن يمسكها بمعروف ولا يغدر بها وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يوصي بالنساء خيرا وهو القائل : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم .»

عليك أن تقوم بإصلاح ذات البين تفاهم مع زوجتك لتقوم بخدمة أمك وودها والإخلاص في خدمتها فهي في مركز أمها تبذل في سبيل رضاها الكثير من المحاولات لتستل الحقد من قلبها وإذا أصرت أمك على الطلاق بعد ذلك فلا تطعها فليس من البر طاعة الوالدين فيما يؤدي إلى خراب البيت وكسر القلوب .

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما أسلم كان بارا بأمه ولكنها هددته إذا لم يرجع إلى الشرك بأنها تمتنع عن الأكل والشرب حتى تموت ويعيرّه الناس بأنه قتل أمه وامتنعت ثلاثة أيام فقال : إعلمي والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا الشيء فإن شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلي . وفي ذلك يقول الله تعالى : **« وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا »** .

المهم حاول الاصلاح بينهما ولا تيأس ، واصل بر أمك ولا تظلم زوجتك . وسبحان مقلب القلوب وهو الموفق للصواب .

من أساليب التضليل :

ترد إلى المجلة رسائل كثيرة ومن جهات عديدة يسأل أصحابها عن حكم ما يأتيهم من رسائل فيها توصية من شخص اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية ومن غيره يطلب كاتب الرسالة نسخها من ثلاثين نسخة و إرسالها إلى الأصدقاء وفيها بشارات لمن ينفذ ذلك وتهديد لمن يهملها بِشَرٍّ مزعجٍ .

هذه الرسائل وأمثالها من وضع جماعة تكيد للمسلمين وتتسلى باللعب بعقولهم وإزعاجهم ، هذه الرسائل لا يجوز تصديقها أو الالتفات إليها لما يأتي :

أولا : الشيخ أحمد المشار إليه شخص مزعوم لا وجود له وذهب الناس في الحج والعمرة وسألوا عنه فكذب ذلك المسئولون عن الحرم النبوي تكذيبا قاطعا .

ثانيا : هذه الرسائل لم يتحقق منها شيء ومن نفذ ما جاء فيها لم يحصل له الخير المزعوم ومن أهملها لم يحدث شرٌّ كما توهم الكاتبون

ثالثا : كيف علموا الغيب وتوقعوا الخير والشر والغيب لا يعلمه إلا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو .

على المسلمين أن يصونوا عقائدهم من الأوهام والتضليل وأمثال هذه الرسائل يجب أن تمزق أو تحرق إن اشتملت على آيات من القرآن الكريم .

بين الحين والحين ينشط هؤلاء السفهاء من أجل إثارة الرعب أو الجري وراء الأوهام ليشغلوا الرأي العام بما لا يفيد ويصرفوا الناس عن واجبات مطلوبة ، هؤلاء الضالون المضلون بالأمس القريب طلعوا على الناس بخدعة جديدة وفدت من قبرص روجوا لها بوعود مزيفة وأوهموا الناس أن من يدفع خمسة دولارات يحصل على الآلاف منها ويصبح من الأثرياء وجرى وراء هذا السراب كثير من الضحايا وما عرفوا الحقيقة إلا بعد فوات الأوان وصدق الله العظيم : (**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين**) الآية ١٤٩ آل عمران .

المسجد وصلاة المرأة :

قارىء من الكويت يقول أسكن بالقرب من مسجد فهد السالم وزوجتي تصرّ على الصلاة في هذا المسجد وحاولت إقناعها بأن الصلاة في بيتها أفضل فلم تسمع لي أرجو بيان الحكم في ذلك .

يجوز للنساء الخروج إلى المساجد وشهود الجماعة بشرط أن تخرج المرأة بلباس شرعي في غير زينة ومن غير طيب فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات) يعني غير متطيبات ..

ومع هذا الجواز فصلاة المرأة في بيتها أفضل لما رواه أحمد والطبراني عن أم حميدة الساعدية أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني أحب الصلاة معك فقال صلى الله عليه وسلم (قد علمت ، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة) .

فلا ضرورة للإصرار على الصلاة في المسجد ما دامت الصلاة في البيت أفضل ولا معنى لمخالفة الزوج في ذلك في أمر يسر فيه الاسلام على المرأة ولم يلزمها بالخروج إلى المسجد ولعل الزوج يسمح لها أحيانا إذا أرادت الاستفادة بعظة أو محاضرة في المسجد ما دام المسجد فيه مُصليات خاصة بالنساء .

تبديل الأرض والسماء :

القارئة إقبال أحمد كلية آداب القاهرة تقول : وأنا أقرأ الآية الكريمة : «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات .. » فكرت اين يكون الناس في الأرض وأين يكون الملائكة في السماء ؟ »

درج القرآن الكريم على عرض التغييرات التي تحدث في الكون وتصوير نهاية الحياة حتى يخاف الكفار والعصاة وحتى يزداد المؤمنون ايمانا بقدرة الله كما جاء في سورة **الزلزلة والقارعة والانفطار وكثير** من سور القرآن الكريم ونقول للقارئة الفاضلة إن تبديل الأرض والسموات ليس معناه ازالتها وإفناؤها حتى يفكر الانسان أين يكون الناس وأين تكون الملائكة . إنما تبديل الأرض معناه تغيير أوضاعها المعروفة لنا في الدنيا وإنما الأرض هي الأرض بذاتها تسير عنها جبالها وتكون كالعهن المنفوش أو كالسحاب وتفجر البحار وتخرج الأرض أثقالها وكذلك السماء هي السماء ولكنها تتشقق وشمسها تكور ونجومها تتناثر إلى غير ذلك من تغيرات وليس في القرآن ما يدل على خلق أرض أخرى أو سماء أخرى ولكنه يصرح بالاقتصار على تغيير الأوصاف والهيئات .. والله أعلم .

إجابات قصيرة

القارىء أشرف ممدوح عبد الله - مدرس - بلقاس الثانوية الزراعية - ج.م.ع .

لغة سيدنا آدم عليه السلام لم تعرف ماهيتها ولم يثبت أنها كانت اللغة العربية أما الطهارة بورق التواليت فجائزة خاصة اذا لم يوجد الماء حيث يقوم مقام الماء في الطهارة كل جامد طاهر منق ليس بمطعوم ولا ذي حرمة وشرف سواء كان من نوع الأرض أو من غير نوعها .

قارىء من المملكة المغربية لم يذكر اسمه ولا عنوانه :

يجب عليك دفع الدية وصيام شهرين متتالين لأن هذا الحادث قتل خطأ .

أما إلقاء المسئولية على غيرك وان كان قد رضي بذلك فهو إثم وزور وتضليل . ولا تزر وازرة وزر أخرى .

عليك بالتوبة والاستغفار وتعويض المظلوم .

الى كركز وعمر - اليوسفية - المغرب .

نعم تجوز الصلاة خلف الإمام الذى تحدثت عنه وذلك مع الكراهة ، فالأصل الذى ذهب اليه العلماء ان كل من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته لغيره ولكنهم كرهوا الصلاة خلف المبتدع والفاسق .

القارىء خالد على وافى . بسيون . غربية . ج م ع .

اللعب بالورق - الكوتشينة .

أمر يدور بين التحريم والكراهة والإباحة ومن أباح هذا النوع من اللعب اشترط ما يأتى : ألا يلهى عن الصلاة أو واجب دينى . ألا يصرف اللاعب عن تحصيل رزق أو أداء واجب ألا يخالطه قمار وألا يصدر أثناء اللعب ما يخالف شرع الله .

أما أذانُ الصبي للصلاة فجائز اذا كان الصبى مميزا حيث لا يشترط البلوغ لصحة الأذان .

ج . م . ن . ك محافظة الشرقية جمهورية مصر العربية

● الوسوسة المقرونة بالخوف من النطق بها علامة الإيمان ، أخرج مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول الله فيقول فمن خلق الله ؟ فمن وجد ذلك منكم فليقل آمنت بالله ورسوله وفي رواية فليستعذ بالله وَلْيَنْتَهِ .

وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن الوسوسة فقال: تلك محض الإيمان .

مع الصحافة

في الشهر الماضي تفاقم النزاع العسكري في بؤرتي الصراع الساخنتين : حرب لبنان وحرب الخليج . وعلى الرغم من حدوث تطورات عدة في بعض مناطق العالم الأخرى ، فإن الصحافة العربية والعالمية استغرقت في تقصي التطورين الجديدين في الشرق الأوسط ، ولا سيما ما يحدث في لبنان .

وقبل أن نعرض ما نشرته الصحافة عن حرب لبنان وحرب الخليج يحسن أن نشير إلى ما يجري في الحرب التشادية والحرب الأثيوبية الاريترية . ففي تشاد تركز موضوع الأزمة بين الفرنسيين والليبيين ، وحملت فرنسا ليبيا مسؤولية إسقاط طائرة مقاتلة فرنسية ، ويختلف المراقبون في توقعاتهم عن الأسابيع القادمة ، فبعضهم يميل إلى أن الضغط الليبي العسكري على القوات الفرنسية في تشاد سوف يلجئها إلى البدء بالتفاوض مع ليبيا ، بينما يرى آخرون أن الأيام القادمة سوف تشهد تصعيدا عسكريا بين فرنسا وليبيا . أما في أرتيريا فقد نقلت وكالة الأنباء الكويتية تصريحا لممثل جبهة تحرير إرتريا في دول الخليج في ٥ جمادي الأولى جاء فيه : إن الطائرات الأثيوبية شنت خلال اليومين الماضيين غارات متوالية على مدينة « تسني » المحررة ، كما ضربت مدينة « هايكوتا » والقرى المجاورة إثر معركة يوم الأحد الماضي التي خسر فيها الأثيوبيون ٤٥ جنديا بين جريح وقتيل ، وأسر ٦ بينهم جريحان .

ونعود من بعد إلى لبنان : فقد استعرت الاشتباكات بين القوات الوطنية المعارضة وبين الجيش اللبناني ، وأدى ذلك إلى تمزق الجيش ، وانضمام قسم منه إلى القوات الوطنية ، كما سيطرت هذه القوات على بيروت الغربية . ومن ناحية أخرى تواجه الادارة الأمريكية فيما يبدو إخفاقا ذريعا في سياستها حيال لبنان والشرق الأوسط عامة ، وقد تعرضت لنقد لاذع من معظم الأطراف حتى من حلفائها الأوربيين بسبب التدخل العسكري الوحشي الذي قامت به مدافع سفن الاسطول السادس الأمريكي المحتشدة في المياه الاقليمية اللبنانية . ويبدو لبنان الذي هده الخراب على شفير الانقسام النهائي ، بينما يتحدث بعض المراقبين عن صفقات تجرى من وراء ستار يتم فيها منح الأقوياء ـ كما جرت العادة ـ ما يمكن منحه ، بغية الوصول إلى لون من ألوان التسوية .

أما حرب الخليج فلم يكن اهتمام الصحافة بها مساويا لاهتمامه بحرب لبنان ،

على الرغم من التصاعد الخطر للقصف المتبادل للمدن بين الجانبين العراقي والايراني . . وإذا كان اتجاه الحرب نحو تدمير المدن مسألة ذات خطورة فإن دلالة هذا الاتجاه أعظم خطرا فيما يظهر ، فحرب الاستنزاف والتدمير توحي بأن ليس هنالك أمل في المستقبل القريب أن يتوصل البلدان الجاران المسلمان إلى حل للنزاع بينهما ، وإذا كانت سنوات الحرب الأربع قد أضعفت قدرة كل منهما على تنفيذ هجوم فعال فإن حرب القصف المتبادل لا تحتاج إلى ما يحتاجه الهجوم ، وحسبها أن تقوم بإنهاك الطرفين ، وهكذا فلو استمرت الحرب على هذه الوتيرة فأغلب الظن أن أمدها سيطول أكثر .

وعلى حين تجأر المدافع بصرخات الغضب والدمار تنشط المساعي في البحث عن حل لمشكلة الشرق الأوسط ، وبخاصة القضية الفلسطينية ، وتتجه السفائن هذه المرة إلى سواحل أوربة ، ولقد صار من المألوف أن تنبعث الآمال بالحل الأوربي كلما استغلقت السبل أمام الحلول الأمريكية ، ويظهر الآن أن معظم الأطراف قد فقدوا الثقة بقدرة أمريكا على تنفيذ مشاريعها ، أو على الأصح بما يسمى مصداقيتها في ذلك ، بل صاروا على يقين من « مكذابيتها » كما أشار بعض الصحفيين ، والحق أن الادارة الأمريكية تبدي تخبطا شديدا في معالجتها لقضية تعتبرها من أولـيات اهتمامها الدولي ، وقد تعرض الرئيس الأمريكي لهجمات عنيفة من الصحف الأمريكية نفسها ، حتى وصفه بعضهم بالجهل والحمق والرعونة . وهكذا يلجأ الباحثون عن حل سلمي إلى الخيار الأوربي أو على الأصح إلى خيار « الخليط بين الخيارات » بدءا بمشروع قمة فاس ، والمشروع الفرنسي المصري المشترك ، والمشروع الأوربي ، وانتهاء بالدعوة إلى مؤتمر دولي . وعلى الرغم من أننا لا ينبغي أن نميل إلى التشاؤم فإن الظاهر يدل على أن الأمور لن تزيد إلا تعقيدا ، ونظن بأن الباحثين عن الحلول في هذه المعمعة يفعلون في ظنهم الشيء الوحيد الذي يقدرون على فعله ، وذلك من وجهة نظرهم ـ خير من ألا يفعلوا شيئا .

وفي خضم تيارات الحرب وتيارات السلام يستمر العدو الصهيوني في تنفيذ خططه ، فقد قام بعض اليهود في الشهر الماضي بمحاولة لتفجير المسجد الأقصى ، بهدف اجتثاث أهم معلم من معالم الحضارة الاسلامية في فلسطين ، ولعل من نكد الدنيا على المسلمين في هذا العصر أن تزعم الحكومة الاسرائيلية أنها حالت دون هذه الفعلة ، وأن تدعي حماية مساجد المسلمين

○ عن الحرب اللبنانية

عن التدخل العسكري الأمريكي في لبنان نشرت وكالة نوفوستي السوفياتية للأنباء في الاسبوع الأول من جمادى الأولى تقريرا تناقلته بعض الصحف جاء فيه :

لوحظ منذ مدة أنه عندما يغير ساسة البيت الأبيض فجأة من النغمة العسكرية لتصريحاتهم بأحاديثهم حول « حب السلام » فإن ذلك يعني أن انتخابات الرئاسة في

أميركا قد اقترب ميعادها . وحاول الرئيس ريغان في رسالته عن « حالة الاتحاد » الاميركي التي تقدم بها منذ مدة قريبة وقبل عدة أيام فقط من تصريحه رسميا بعزمه على ترشيح نفسه لفترة رئاسة ثانية ، حاول تصوير نهج إدارته الخارجي العدواني الحالي وكأنه نهج « محب للسلام » فقد صرح : « إننا لم نكن أبدا معتدين ، فليست لدينا أية أطماع في الأراضي ولا نحتل دولا أخرى »

إن مصير لبنان لمثال جلي لما تعود به مجهودات الولايات المتحدة لاقامة السلام المزعوم في الواقع . ففي البداية أعطت واشنطن الضوء الأخضر لاجراء عملية « السلام للجليل » الاسرائيلية الدموية التي جلبت للبنان مصائب لا حصر لها . وتبع ذلك إدخال مشاة البحرية الأميركية إلى لبنان ضمن « القوات متعددة الجنسيات » وإرسال مجموعة اميركية ضاربة تضم حاملتين للطائرات إلى الشواطيء اللبنانية . وبدأت مدافع البارجة « نيوجرسي » من عيار ١٦ بوصة بقصف المدن والقرى اللبنانية وهؤلاء الذين يزعم الأميركيون بأنهم وصلوا « لحمايتهم » . ويستخف الرئيس ريغان بالجميع عندما يقول إن « الأميركيين قد أحرزوا تقدما في لبنان » وهنا يبرز هذا السؤال : أحرزوا التقدم في أي شيء ؟ . في القيام وبشكل سافر بالعنف والقرصنة ؟ وقتل اللبنانيين واحتلال أراضي الغير ؟ .

والآن اشتعلت بين الكونغرس والبيت الأبيض مشادة كلامية حول مواصلة اشتراك الولايات المتحدة في هذه المغامرة التي قد تتحول كما تقول بصراحة الصحف الأميركية نفسها إلى « فيتنام شرق ـ أوسطية » بالنسبة للولايات المتحدة . ويبدو أن رجال الكونغرس يقرعون طبول الانذار بهذا الصدد .. ويحاول سيد البيت الأبيض في رده الرسمي على عضو في مجلس النواب تهدئة المشرعين ومع ذلك يصرح علنا بأن الولايات المتحدة تستطيع تحقيق أهدافها في لبنان « عن طريق قوة السلاح » . ولذلك فمن شأن سحب القوات متعددة الجنسيات أن يقوض عملية الوفاق الوطني السياسية لدرجة كبيرة كما تدعو إليها واشنطن .

في الحقيقة تسعى واشنطن بجدية إلى « حل » الأزمة اللبنانية عن طريق توسيع نطاق عملياتها العسكرية في لبنان وفي أواخر شهر يناير الماضي استخدمت الوحدات الأميركية من القوات متعددة الجنسيات الدبابات والمدفعية أثناء القتال في منطقة مطار بيروت الدولي لمحاولة سحق القوى المناهضة لسياسة الاملاء الامبريالية .

ولا يمكن توقع أية تغيرات في النهج الاميركي العدواني إزاء الشرق الأوسط فلم تصل المارينز إلى لبنان رافعة غصن الزيتون وإنما وصلت لتثبت وجودها وإقامة قواعد لقوات الانتشار السريع التدخلية الموجهة ضد دول الشرق الأوسط الأخرى ومن بينها سوريا ودول الخليج . أليس لهذا السبب تسرع البنتاغون في إقامة مقر قيادة السينتكوم الذي سيقع على متن إحدى السفن شرقي البحر الأبيض المتوسط ؟ وليس سرا أن قوات الانتشار السريع التي وضعت تحت قيادة السينتكوم مجهزة بأسلحة نووية .

والولايات المتحدة التي بدأت في إنشاء نقط ارتكاز في المنطقة ثم قامت بحشد مجموعة ضاربة ضخمة أمام الشواطيء اللبنانية تباشر الآن بتشكيل هيئات أركان الحرب التي سيتعين عليها توجيه عمليات التدخل المسلح في شؤون لبنان بالتنسيق مع شريكتها اسرائيل ساعية إلى تحويل لبنان إلى رأس جسر استراتيجي للبنتاغون في الشرق الأوسط لتهديد الدول العربية الأخرى . وقد أكد جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي أن ذلك بالذات هو حقيقة الأمر . وقال إنه حتى لو استقر الوضع في لبنان ستهتم واشنطن للغاية بإبقاء تواجدها في مناطق استراتيجية محددة في الشرق الأوسط .

وعن تحليلات المراقبين السياسيين لتطورات الوضع في لبنان نشرت وكالة « كونا » للأنباء تحليلا من بيروت في الأسبوع الثاني من جمادى الأولى جاء فيه :

يقول المراقبون إن هناك احتمالات وكلها خطيرة :

اولا : أن يستبدل بمتعددة الجنسيات قوات دولية ترفع علم الأمم المتحدة ، خاصة أن الاستعداد الدولي لارسال قوات دولية أخذ يتسع ، استنادا إلى مباحثات غربية - سوفيتية ، لضمان عدم معارضة أي دولة من أصحاب حق النقض « الفيتو » في مجلس الأمن لقرار يصدر عن المجلس الدولي يقضي بانتداب قوات دولية إلى لبنان مكان القوات متعددة الجنسيات .

ووصول القوة الدولية مرتبط بتسوية سياسية يعترضها إلغاء الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي مع انه قد لا يعود كافيا للحل .

وأفادت مصادر مطلعة لجريدة « السفير » اللبنانية أن الدولة اللبنانية تسعى مع السعودية إلى إعداد صيغة تميل إلى إلغاء الاتفاق اللبناني - الاسرائيلي . وقد نقل الوسيط السعودي رفيق الحريري رغبة بهذا المعنى إلى القياديين اللبنانيين المعارضين المتواجدين حاليا في دمشق .

ثانيا : « تلزيم » إسرائيل « تنظيف » البلد من السلاح والمسلحين والجيوش من كل الفئات . ويقول المراقبون ، إن هذا الحل قد تلجأ إليه الولايات المتحدة إذا عجزت عن التفاهم مع سوريا الذي تفضله على غيره نظرا إلى انعكاساته الايجابية على علاقاتها العربية ومصالحها في المنطقة ، وقد تقوم به إسرائيل ، خاصة أن بيانات رسمية إسرائيلية ذكرت أن إسرائيل مستعدة للتدخل إذا شعرت أن التطورات الجارية في لبنان من شأنها تشكيل خطر عليها .

وقد رافق هذه التصريحات تقدم قوات مؤللة ومدرعة اسرائيلية باتجاه مناطق في إقليم الخروب . وقد اجتازت هذه القوات الاسرائيلية خط نهر الأولي أي الخط الذي انسحبت إليه والكائن شمالي مدينة صيدا العاصمة الاقليمية لجنوب لبنان من قبل إسرائيل .

ثالثا - استمرار التصعيد العسكري خاصة في الجبل وخطوط التماس التي عادت لتفصل بين منطقتي بيروت الغربية وتوقع قيام الحكم اللبناني بمساندة القوات اللبنانية الكتائبية وبدعم أميركي - اسرائيلي لمغامرة عسكرية في محاولة لاستعادة المنطقة الغربية من بيروت والسيطرة على الضاحية الجنوبية .

ومصادر المعارضة اللبنانية هنا لا تستبعد أن يكون قرار الرئيس ريغن بقصف مواقع الجبل هو إتاحة المجال للجيش اللبناني الذي قطع مؤخرا طريق بيروت - صيدا على مستوى بلدة الجية الساحلية ، والمتواجدة فيها ميليشيات كتائبية معززة بآليات كثيرة ، وللحكم القيام بعملية عسكرية قد تكون « مغامرة عسكرية » ضد بيروت الغربية أو الضاحية أو بعض مواقع الجبل ، رغم اقتناع مصادر المعارضة بصعوبة قيام الحكم بأي نوع من الحسم العسكري للانقسام الخطير الذي حصل في صفوف الجيش خاصة أن الحكم لم يعد بسلطتهاكثرمن عشرة آلاف جندي فقط من الجيش اللبناني النظامي الذي يبلغ عدده ٣٧٠٠٠

○ عن المساعي السلمية

يبدو من خلال الزيارات التي يقوم بها قادة الدول العربية إلى فرنسا أن فرنسا

تتقلد دورا بارزا في الاتجاه الجديد إلى إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط ، وقد لخصت مجلة المستقبل في عددها ٣٦٤ للسنة٧ خطة تحرك فرنسا في هذا المجال ، في مقال جاء فيه :

ما هي خطة تحرك فرنسا التي ستطرحها على حلفائها داخل الأسرة الأوروبية ؟

١ ـ تدعو باريس إلى ضرورة إخراج لبنان من حال التبعية الأميركية ووضعه تحت « مظلة الشرعية الدولية » عبر جعل المجتمع الدولي يتحمل مسؤولياته تجاه مصير وطن وحياة شعب مهدد بالزوال . والمشروع الفرنسي واضح وهو يحظى بمباركة أوروبية بتأييد عربي ويرمي إلى إبدال القوة المتعددة الجنسيات بقوة دولية تابعة للأمم المتحدة ويسمح للدول الأوربية المشاركة بفك الارتباط العسكري وتحريرها من ثقل الالتزام المادي والسماح للحكومات الأوروبية بقدر أكبر من حرية التحرك السياسي والدبلوماسي لمساعدة لبنان على التوصل إلى هدنة أمنية تمكن اللبنانيين من التفاهم سياسيا على مستقبل وطنهم تمهيدا للمصالحة والوفاق .

٢ ـ إعطاء دور فاعل لسوريا في أي مسعى لحلحلة الأزمة سواء في لبنان خاصة أو في الشرق الأوسط عامة . وكشف المصدر ل « المستقبل » أن باريس ودمشق اتفقتا أخيرا خلال زيارة الأمين العام للخارجية الفرنسية للعاصمة السورية على متابعة الحوار على مستوى رفيع ، على أن يتم لقاء قريب بين وزيري خارجية البلدين كلود شيسون وعبد الحليم خدام وسيتم تحديد المكان والزمان في وقت لاحق .

٣ ـ إشراك الاتحاد السوفياتي في المشاورات القائمة حاليا والمتوقعة مستقبلا وضرورة إخراج الشرق الأوسط من حال المجابهة الأميركية ـ السوفياتية إلى حصول توافق بين الدولتين العظميين يسمح بترجمة عملية للمساعي السلمية في المنطقة . وما بداية الحوار الفرنسي ـ السوفياتي التي استكملت بحوار أوربي ـ سوفياتي إلا مقدمة لبلورة موقف سوفياتي أكثر انفتاحا وإيجابية على المشاكل المطروحة . ولم يخف المصدر أن الجهود الدبلوماسية مركزة حاليا على حصول أوروبا على موافقة موسكو لتشكيل قوة دولية جديدة وإرسالها إلى بيروت والحؤول دون حصول فيتو سوفياتي داخل مجلس الأمن .

ويبدو أن الجواب السوفياتي ـ السوري لم يكن لا سلبيا ولا إيجابيا بمعنى أن موسكو ودمشق لم تقولا « لا » لكنهما في الوقت نفسه لم تردا بـ « نعم » . واعتبر المصدر أن بداية الحوار مشجعة إلى حد ما . مما جعل الأوربيين يحثون الأميركيين على متابعة الحوار مع السوريين .

٤ ـ إن التسوية المؤقتة للأزمة اللبنانية قد تكون مدخلا لتسوية دائمة لأزمة المنطقة في حال تجاوب الطرفين الأساسيين مع الجهود الأوربية .

٥ ـ التشاور مع الفرقاء المعنيين بغية إعداد صيغة توفيقية بين مبادرة الرئيس ريغان التي « تتجاهل الكثير من الحقوق الأساسية » ومشروع الملك فهد الذي حصل على إجماع عربي في قمة فاس وقد يكون المشروع الفرنسي ـ المصري منطلقا للبحث بغية إدخال تعديلات عليه إذا لزم الأمر مقدمة لتبنيه في صيغته المنقحة من قبل الأسرة الأوروبية وتأييده من قبل الدول العربية .

○ عن الحرب في تشاد

وعن الحرب في تشاد نشرت مجلة الحوادث في عددها ١٤٢٢ مقالا جاء فيه :

مرة اخرى تجد فرنسا نفسها معنية وبصورة مباشرة بعمليات عسكرية خارج حدودها يذهب ضحيتها الجنود الفرنسيون . فبعد بيروت وضحايا الفرنسيين الذين سقطوا هناك من القوات الفرنسية في المتعددة الجنسيات فقدت فرنسا طائرة مقاتلة وقتل قائدها في الأجواء التشادية مما أعطى للأزمة التشادية بعدا فرنسيا ليبيا . فبعد الحادثة التي تعتبر الأولى من نوعها منذ إرسال القوات الفرنسية إلى تشاد قبل ستة أشهر بناء على طلب من حكومة حسين حبري ، أبدت فرنسا بكافة أوساطها اهتماما كبيرا بالأمر وبعد اجتماع مجلس مصغر في قصر الاليزيه برئاسة الرئيس ميتران وبحضور كلود شيسون وزير العلاقات الخارجية وشارل هرنو وزير الدفاع وكبار مستشاري الرئيس الفرنسي للشؤون الافريقية أصدرت وزارة العلاقات الخارجية الفرنسية بيانا على شكل تحذير لليبيا التي اتهمها بانها وراء الحادثة ، وجاء في بيان الخارجية الفرنسية « لا يجب إخفاء خطورة الاحداث الأخيرة في تشاد ، ويبدو ان ليبيا تتحمل مسؤولية ذلك بصورة كاملة » . ومما يزيد من خطورة التحذير الفرنسي هذا لليبيا انه يأتي بعد أيام من تصريح للجنرال جان جولي قائد القوة الفرنسية في تشاد الذي اعلن فيه من غير أن يستخدم أية صيغة دبلوماسية « أن ليبيا تعمل لضم شمال تشاد إليها » .

وفرنسا التي أرسلت قواتها إلى الاراضي التشادية منذ شهر آب الماضي بناء على طلب من حكومة الرئيس التشادي حسين حبري وفي إطار اتفاقية مشتركة مع تشاد لم تتوقف عن مواصلة جهودها واتصالاتها لضمان عقد مؤتمر الطاولة المستديرة بين حسين هبري وزعيم المعارضين له جوكوني عويدي ، ودعت باريس دوما منظمة الوحدة الافريقية للتوسط لايجاد حل للأزمة التشادية ، ولكن بعد فشل مؤتمر اديس أبابا للمصالحة الوطنية التشادية الذي كان من المقرر أن يعقد في إطار الوحدة الافريقية في ٩ كانون الثاني الماضي ، بدأ التشاؤم يسود الأوساط الفرنسية بشأن إمكانية تحقيق حل ديبلوماسي للازمة التشادية وأن على القوات الفرنسية في تشاد أن تنتظر أياما ساخنة وربما أنها تأتي كامتداد للأوضاع الصعبة التي تعيشها القوات الفرنسية في بيروت .

ويرى اكثر من مراقب في باريس أن هناك قناعة لدى الأوساط الرسمية في الخارجية والدفاع الفرنسية بأن ليبيا ستزيد من ضغطها العسكري على قوات حسين هبري والقوات الفرنسية المؤيدة له أيضا لتدفع باريس للتفاوض معها بشأن الأزمة التشادية وبالتالي تمرير مطالب زعيم المعارضة جوكوني عويدي الذي تؤيده طرابلس بقوة ، وباريس التي أكدت أكثر من مرة أن قواتها متواجدة في الأراضي التشادية بناء على طلب من حكومة معترف بها من قبل منظمة الوحدة الافريقية لضمان سلامة الأراضي التشادية وستعمل على سحب قواتها فور تحقيق المصالحة الوطنية بين الأطراف التشادية المتنازعة لا يمكن لها أن تقبل بالحوار مع ليبيا حول تشاد ، ومن هذا المنطلق فإن الأيام القادمة ستشهد تصعيدا عسكريا بين فرنسا وليبيا في تشاد ، حتى أن بعض وسائل الاعلام الفرنسية لا تتردد في التحدث عن « مصيدة تشادية » جديدة للقوات الفرنسية « كالمصيدة اللبنانية » ، ولا يعرف أحد أين ستنتهي ، خاصة أن وزارة الدفاع الفرنسية قد أرسلت تعزيزات جوية وأرضية إلى قواتها في تشاد بعد عملية إسقاط المقاتلة الفرنسية ومصرع قائدها في الوقت الذي أكد فيه بيان وزارة الخارجية الفرنسية إثر الحادثة « أن فرنسا لا تنوي إحداث أي تغيير بشأن الأهداف التي تعمل من أجلها لضمان وحدة وسيادة التشاد » .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

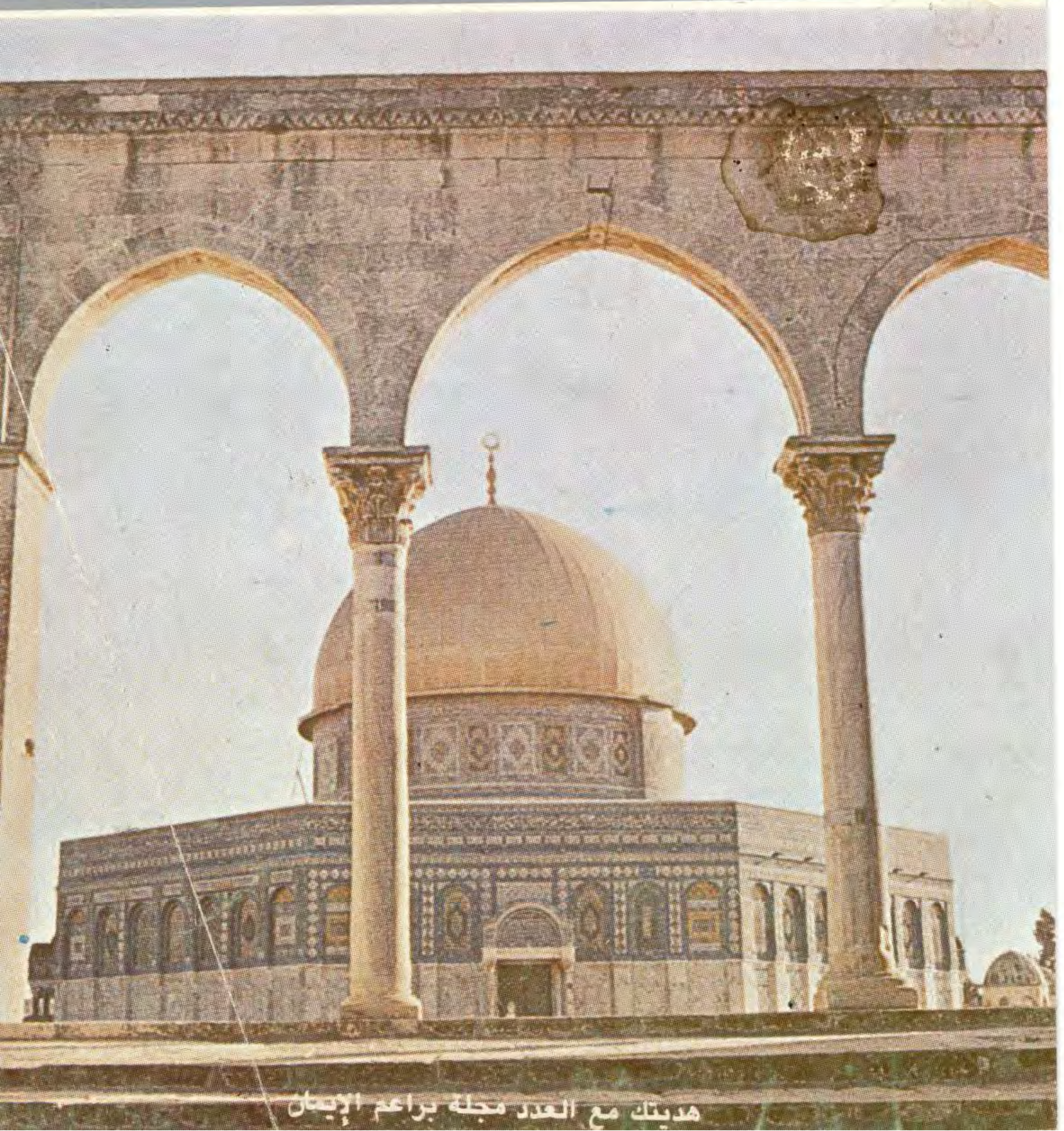


طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٥ رجب ١٤٠٤ هـ ابريل ١٩٨٤م.



هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

فلذلك فادع

واستقم كما أمرت

الشورى : ١٥ ١٣٨٢

ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٥ / رجب ١٤٠٤ هـ . (ابريل - مايو) ١٩٨٤ م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

وأن الفرج مع الكرب

من آيات الله الكونية أن يبدد ظلمة الليل بإطلالة فجر ينير الدنيا ويبعث الحركة وينشر الضياء ، وبذلك يعلم الناس أن الله بيده ملكوت كل شيء ، وأنه لا أحد يكشف الضر سواه ، وأنه القادر على تفريج الكرب بعد استحكام حلقات الهم والضيق والمعاناة وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ **أَمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون** ﴾ ٦٢/سورة النمل .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهض داعيا إلى الله ولم يكن طريق الدعوة مفروشا بالزهور والرياحين بل كان محفوفا بالمكاره والصعاب في وقت عَمَّ فيه الفساد واختلت موازين القيم وضلت سفينة الحياة طريقها وسط عواصف تنذر بالخطر ومن أجل القضاء على الدعوة الجديدة في مهدها تحالفت قوى البغي والشر ، وأخذت الأحداث الجسام تواجه الرسول الكريم وهي تتوالى من قومه ومن بعض أهله ، وكان يحس بعمق الجرح في قلبه كلما رأى من آمن به يواجه التعذيب الوحشي البشع وظل الرسول ماضيا في دعوته لا يبالي بسخرية الساخرين وسفاهة المكذبين ولكن وسائل الكيد له وللدعوة أدت إلى إعلان حرب الحصار والمقاطعة ، فجمع عبد المطلب زعيم بني هاشم أهله وانحاز بهم إلى شعب سمي شعب أبي طالب واستمر حصار قريش لهم نحو ثلاث سنين بلغ فيها الجهد بالمحاصرين غايته ولكنهم لم يضعفوا ولم يستكينوا حتى خرجوا من الحصار أقوى إيمانا وأصلب عودا

وأعظم ثقة بالله وبأنفسهم،وماكادت محنة الحصار تنتهي حتى تعرض النبي الكريم لامتحان جديد عصر قلبه بالحزن والضيق حيث فاجأته مصيبة الموت بفقد زوجته خديجة وعمه أبي طالب ، وكيف لا يحزن ! وقد وقفت خديجة رضي الله عنها بجانبه ربع قرن من الزمن تقاسمه متاعب الدعوة ومغارم الجهاد ، كما كان عمه أبو طالب درعا قويا يرد عنه الأذى ويشد أزره ويقول : يا ابن أخي أدعُ إلى ربك ما أحببت . وبفقدهما أصبحت قريش لا تهاب في محمد أحدا بعد ذلك . فرأى أن يتجه إلى الطائف لعله يجد هناك آذانا صاغية وقلوبا واعية ، ولأن بها قبيلة ثقيف التي لها وزن ومكانة في العرب وترتبط مع أخواله بنسب ومصاهرة ، فكانت قلوبهم أقسى من الحجارة التي استقبلوه بها ، وكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وعاد إلى مكة بخطوات يثقلها الهَمّ وقلب يعصره الألم ، ويشتد الكرب ويبلغ الضيق مداه حيث لم يستطع أن يدخل مكة إلا في جوار رجل مشرك وفي هذا الظرف العصيب جاء تكريم الله لنبيه ومصطفاه بالإسراء والمعراج ، وانتقل ضيف السماء من جو أرضي خانق إلى عالم الإشراق والنور، وبعد أن رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى عاد يتابع مسيرة الدعوة بإيمان لا حَدّ له ويقين لا يقبل الشك بأن كل يوم يمر هو خطوة على طريق النصر القريب . وكما جاءت معجزة الإسراء والمعراج تكريما للنبي وتفريجا لكربه وبلسما لجراحه وتثبيتا لقلبه ، فقد نزلت آية الإسراء بردا وسلاما على قلوب المؤمنين وهي تحمل البشرى بأن هذا البيت الذي لايستطيعون أن يعلنوا فيه عبادتهم سيكون مثابة وأمنا ومسجدا حراما تخلص فيه العبادة لله وحده ، وأن الاسلام سيمتد إلى أرض الشام ، وأن خرائب الرومان في بيت المقدس ستتحول إلى مسجد أقصى يبارك الله حوله وتعلو فيه كلمة التوحيد من جديد ، ومعلوم أن وقت نزول آية الإسراء لم يكن في مكة مسجد حرام بالمعنى المعروف ولا في الشام مسجد أقصى على الوجه المألوف ، ولكن الآية تصرح بالمسجدين بعثا للأمل وتأكيدا للبشرى وتحريضا للمؤمنين على مواصلة الجهاد حتى يأتي وعد الله . وبفتح مكة تحرر المسجد الحرام وتهاوت أصنام الشرك تحت مطارق الايمان ، وعلى يد عمر رضي الله عنه تم تطهير المسجد الأقصى وصدق الله وعده وزاد المؤمنون إيمانا بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأنهم ما داموا مع الله فلن تستطيع قوة في الأرض أن تقهرهم أو تطفيء نور الله وصدق الحق سبحانه إذ يقول : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**) الآية ٤٠/سورة الحج .

قبل المحنة الأخيرة والنكبة المعاصرة بعدة قرون، تعرض المسجد الأقصى

لعدوان صليبي آثم ، وبقي في قبضة الصليبيين ، إلى أن برز من صفوف المسلمين البطل المؤمن صلاح الدين وفي موقعة (حطين) قهر الغزاة وطهّر مسرى رسول الله وحرر مهد الرسالات وخلص جيش المسلمين القدس في اليوم السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣ هـ ، وكما يقول المؤرخون كان يوم جمعة وفيه احتفل بليلة الإسراء والمعراج ، وسجد صلاح الدين لله شكرا وسط تكبير يهز الأرجاء ويملأ سمع الزمن بأن الحق أمضى سلاح ينتصر على الباطل وإن طال الصراع . وانطلق صوت الأذان في سماء الأقصى من جديد تتجاوب أصداؤه في الآفاق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهكذا صان الله مسجده من العبث الصليبي وفك إساره في مثل هذا الشهر المحرّم كما تنبأ الشعراء والقضاة بفتح القدس على يد صلاح الدين في رجب وقال قائلهم :

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

هذا النصر الكريم الذي أعزّ به الله المسلمين وقهر الطغاة المعتدين أذهل العالم في شرق الدنيا وغربها ، وتناوله المؤرخون والباحثون بالدرس والتأمل ، وانتهت أبحاثهم إلى أن المسلمين تنبهوا إلى أسباب النصر فأخذوا بها أنفسهم عقيدة وسلوكا .

اتجهوا جميعا إلى الصفاء النفسي والسمو الروحي والتزموا بتقوى الله . التزم بها القائد فصلح أمره وإذا صلح أمر القائد صلح أمر الرعية وقبل أن يخوض معركة التحرير طبق أحكام الاسلام وأعلن الحرب على كل منكر وأغلق أندية اللهو وحانات الخمر ، واهتم ببيوت العبادة ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم وتكريم العلماء ، وخلّص الأمة من كل ما يخدش الفضيلة أو يجرح الحياء ودرّب الجيش على منهج التقوى وأوصاهم بما أوصى به سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيدنا سعد بن أبي وقاص وقد وجهه إلى فتح فارس كتب إليه عهدا جاء فيه : « **أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم** .... » وبعد اطمئنانه لسلاح الإيمان اهتم بالاستعداد الحربي وهيأ أسباب القوة المادية لتعمل بجانب القوة المعنوية فشيد القلاع والحصون وبنى السفن والأساطيل وأعد الخيل وطور أسلحة القتال عملا بقول الله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به**

عدو الله وعدوكم ..) الآية ٦٠/الأنفال .

بجانب هذا كان من العوامل المؤثرة في قضية نصر المسلم أنهم توافدوا من كل بلد مسلم من أجل إعلاء كلمة الله وجاءوا مؤمنين بأنهم أبناء عقيدة واحدة ، يؤلف بينهم الاسلام ، ويجمعهم في الآلام والآمال ، وتحت لواء الوحدة الاسلامية انضمت كتائب الحق في جيش تحرك من أجل المقدسات الاسلامية دون اعتبار للجنس أو اللون أو الوطن كما قال الشاعر :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنا ... الشام فيه ووادي النيل سيان
وكلما ذُكر اسم الله في بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطاني

وعلى هذا فقضية فلسطين ليست قضية العرب وحدهم ، وإنما هي قضية المسلمين جميعا أينما حلوا وحيثما ارتحلوا . وصدق الله العظيم : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات/١٠ بل هو واجب المسلمين تجاه كل عدوان ضد الإسلام وأمته على امتداد الزمان والمكان ..

نعم انتصر المسلمون بالأمس في موقعة حطين على أقوى أمم الأرض حين حكموا بالإسلام وشريعته ، ولم يستوردوا لحكمهم أنظمة شرقية أو دساتير غربية وحين اعتمدوا على الله ولم يطلبوا النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

انتصروا بوحدة الكلمة وجمع الصفوف وترابط القلوب لم يخوضوا المعركة باسم شعارات مستوردة . لم ينقسموا على أنفسهم ولم يسمحوا للفتن أن تتسلل إليهم ولا للمطامع والأحقاد أن تدمر قواهم وتذهب ريحهم ، بل كانوا مع الله فكان الله معهم وحرروا أرض الإسراء في عِزة وإباء .

وإذا كان وعد بلفور المشئوم قد فتح الباب مرة أخرى لغزو يهودي حاقد احتلوا به الأرض والمقدسات ، فإن أمر هذا الغزو لن يطول . وإن تكن قوى الغدر قد تحالفت ضدنا فليل الغدر لا بقاء له ، وعقب التناهي في الضيق يأتي نصر الله وعونه ، وذلك إذا سرنا على منهج الله واحتكمنا إلى كتابه وجاهدنا في الله حق جهاده ، يومئذ يتحرر الأقصى من جديد وندخل التاريخ من أوسع أبوابه ويعود الغريب إلى وطنه وتعود الحمائم المهاجرة إلى السقوف الطاهرة .

ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

رئيس التحرير

حسن فتاع

من أدب القرآن

للاستاذ / عبدالغني أحمد ناجي

تتفاوت الفضائل في دنيا البشر بين الضآلة والشموخ ، ولكن لا مراء في ان قمة الفضائل الانسانية هو ارتياح النفس البشرية للمعروف يسدي الى الغير ، وللسخاء بشتى صنوف الخير والبر ، وهو ما يعرف بالأريحية .

ولما كان الناس يألفون ذا الأريحية في الحياة وينجذبون اليه ايلافهم ينابيع السعادة ، وانجذابهم لشذى الرياحين ـ ارشد الدين الى التحلي بالأريحية لكونها دعامة الأخوة الندية التي تعتبر الهدف الأسمى لتعاليمه وتوجيهاته ، او قل لفروضه وواجباته .

وحينما نقرأ كتاب الله تعالى نجد الآيات تترى لتؤكد تلك الأريحية وتوصي بالتزامها حتى تغرس في أعماق النفس لتسير بها في رياض الخير والمعروف ، وتجعل الناس في الحياة ملائكة تسعى على البسيطة بعد اقتلاع الشح والكزازة ، والغل الموار ، والأنانية الطاغية .

وإن من يقرأ **سورة الحديد** من القرآن الكريم يجد آياتها الكريمات تسلك كل سبيل يفوق أساليب البشر ـ لتأصيل الأريحية في نفوس البشر . فتبدأ السورة بقول الله تعالى : « **سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** » لترشدنا الى ان اهم دعائم الأريحية الانسانية أن ينزه الانسان ربه وخالقه عن كل نقص ، ويصفه بكل كمال ، ويعترف بأنه القوي الغالب ، وبأنه الحكيم في فعله ، وبهذا يكون الانسان قد انسلخ من غروره البشري الذي يعد العقبة

الإنسان .. بين الأريحية الإنسانية والكزازة البشرية في سورة الحديد

الكئود التي تصطدم بها الأريحية الانسانية ، فالأريحية والغرور لا يجتمعان لدى امرىء ابدا ، وقبل ان تبدأ الآيات في الدعوة الى الانفاق ـ الذي يعد لباب الأريحية ان كان عن طيب نفس وارتياح خاطر ـ تأخذ في التذكير بعدد من صفات الله تعالى التي يغرس التذكير بها فضيلة الأريحية في النفوس ، فالله مالك الملك بيده الأمر يحيى ويميت ، فلماذا تكز النفس وتشح بما أفاض الله عليها من نعم ، ولماذا الخشية من الاملاق الموهوم نتيجة السخاء والجود ، والله الذي امر بالعطاء قادر على الاغناء . فهو على كل شيء قدير ، وهو الأول السابق على سائر الموجودات فهو موجدها ، وكلها تفنى وهو الآخر الذي لا يبقى بعده شيء منها ، فلماذا التشبث بها وهي فانية زائلة ، ولماذا الانشغال بها عن موجدها القوي القادر الذي يفيض القدرة على من يشاء إن لجأ اليه واعتمد عليه فهو الظاهر بقدرته ، والباطن بجلاله عن أن يرى أو يشاهد إلا في آثاره ومخلوقاته ، وهو العليم ببواطن النفوس وخفايا الصدور ، يعلم الأريحية الحقة وبواعثها الندية ، تقول الآيات الكريمات من تلك السورة : « **له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** .. » فهو منزل الأرزاق وأسبابها ، العليم بنوازع النفوس نحوها ، وهو مع عباده أينما كانوا يخلف عليهم ما أنفقوا ، ويثيبهم على ما قدموا ، فلماذا الكزازة بخيره على جهات البر التي أمر بايصال الخير إليها ـ وهو المالك لكل شيء ، والمانح كل شيء ، وإليه يرجع كل شيء : « **وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور** » وقد أظهرت هذه الآية الأخيرة لفظ

الجلالة مكان الضمير ، فكان السياق يقتضي الاضمار لا الاظهار فيقال : « واليه ترجع الأمور » لوجود لفظ الجلالة ظاهرا في أول السورة ، ولكن لما كان الخطاب لانسان يشح بطبعه لاخراجه عن شحه الطبعي الى أريحية ندية ـ ناسب أن تفهمه الآيات أن كل شيء في الحياة صائر وراجع الى الله ، وأن كل عمل ينبغي أن يرجع فيه صاحبه الى أمر الله ، واقتضى ذلك اظهار لفظ الجلالة مكان الضمير تأكيدا لذكره حتى يملأ على السامع كل جوانب نفسه فيرتاح لدعاء ربه ، ويطمئن قلبه لفعل الخير الذي يأمره به مادام كل شيء صائرا إليه .

ثم تأخذ الآيات في لفت نظر الانسان الى طبيعة الكون المتغيرة ، وتلفت الى ابرز مجالات التغيير المنتظم الذي لا يتخلف حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، فتلفت الى تعاقب الليل والنهار في الحياة ، وتنسب عمل التعاقب لقدرة الله القوي العزيز ، ليفهم الكاز الشحيح ان غناه لن يدوم ، وان فقر غيره في الجانب المقابل له ايضا لن يدوم ، فكما يتعاقب الليل والنهار تتعاقب احوال الناس في الدنيا لا محالة ، وكان اللفت الى تعاقب الليل والنهار للدلالة (والله اعلم بمراده) ـ الى ان تعاقب احوال العباد في الحياة امر محتوم لا يتخلف مادامت الحياة ، فلماذا اذن يفرح الواجدون فرحا يدعو الى الغرور والخيلاء ، ويحرمهم فضيلة البذل والعطاء ؟ ولماذا يأسى المحرومون أسى يحرمهم لذة الحياة ماداموا ضارعين الى الله الذي يهب كل شيء في الحياة ؟ فالعقل الحصيف والقلب الرؤوف لا يشمسان امام هذا التذكير والتخويف ، بل ينصاعان انصياعا يخلع الانسان من شحه وكزازته ، ويفتح امامه ينابيع سخائه وأريحيته ، تقول الآية المذكرة اللافتة : « **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور** » . وقد ذيلت ثلاث آيات من الآيات الست السابقة بالاشارة الى علم الله واطلاعه على خفايا الصدور ليكون السائرون في دروب الأريحية سائرين باخلاص وطواعية حتى تتأصل لديهم تلك الفضيلة السامية ، يقول الله تعالى في تذييل الآية الثالثة : « .. وهو بكل شيء عليم » ، وفي ختام الرابعة : « .. والله بما تعملون بصير » وفي نهاية السادسة : « .:. وهو عليم بذات الصدور » .

بعد هذا التمهيد الذي بدئت به سورة الحديد ، والذي استغرق ست آيات كانت كمفاتيح المغاليق ، او كالمنارات الهادية لأقوم طريق ـ تتوالى الآيات الجاذبة بشتى الأساليب الى الأريحية الانسانية الموصدة منافذ الكزازة والشح ، فتجيء الآية السابعة صريحة في الأمر بالانفاق ، واضعة اياه بعد الأمر بالايمان بالله ورسوله ، وكأن الايمان لا يكمل الا بذلك الانفاق ، او لأن الانفاق آية كمال الايمان وأمارته ، فهو المجال الحيوي الذي يبرز فيه ما في القلب من ايمان صادق ، أو هو الزاوية التطبيقية

لأنوار الايمان التي تسطع فتضيء جوانب النفس فتوقظ فيها بواعث الخير والأريحية ، وتقشع منها دلج الكزازة والشر ، تقول تلك الآية .. « **آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » ونجد تلك الآية الكريمة ـ عند التدبر فيها ـ تحطم أقوى ركائز البخل والكزازة ، وهو ادعاء الأغنياء البخلاء أن ما تحت أيديهم من مال لا حق لأحد ـ كائنا من كان فيه ، فتصرح الآية بأن الأغنياء مستخلفون من قبل الله تعالى في ماله ، فالمال مال الله ، والأغنياء خلفاؤه فيه في الحياة ، وعليهم ـ إن عقلوا ـ ان ينصاعوا لأمر مالك الملك والمال ، فينفقوا في كل اتجاه يستدعي النفع الخاص والعام أن ينفق فيه ، فلا يبخلوا على انفسهم ، أو ذويهم ، او على من قست عليهم الحياة .

ولما كانت آيات السورة تدعو الى الأريحية الانسانية ، والأريحية ارتياح بشري لكل جهات الخير والمعروف ـ لم تحدد الآية السابعة جهة الانفاق وهي تدعو اليه : « .. **انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » وتنتهي تلك الآية بالترغيب في الانفاق عن طريق رصد الأجر الكبير عند الله تعالى للمنفقين ، وصدر الآية وعجزها يؤكد ان أهم بواعث الأريحية وهو الايمان الكامل بالله ورسوله ، وكأن الأريحية رياض ندية لا تكشفها إلا طاقات هائلة من أنوار الايمان : « .. **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » . ثم تجيء الآية الثامنة من تلك السورة الكريمة مصدرة باستفهام تعجبي إنكاري لعدم إيمان من يدعوهم الرسول الى الايمان ، وتجيء الآية العاشرة مصدرة أيضا باستفهام تعجبي إنكاري لعدم إنفاق من آمن بالله ورسوله ـ اتساقا لاطار الآيات من أول السورة التي جعلت الايمان ينبوعا تتفجر منه الأريحية الانسانية ، تقول الآية الثامنة : « **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** .. » ، وتقول العاشرة : « **وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض** .. » وكان التعجب من عدم الايمان لقيام الرسول بالدعوة والتذكير ، وقيام الأدلة في الكون الباعثة على الايمان وكأنها العهد والميثاق ، وكان التعجب من عدم الانفاق مع العلم بأن الله مالك كل شيء ، وسيرجع اليه كل شيء في السموات والأرض فصاحب المال مع التصاقه به سيفارقه بالموت وسيرث الله الأرض ومن عليها ، فلماذا الشح والبخل ؟! .

ولما كانت الفضائل تتفاوت فان الأريحية كذلك ، فهي تبلغ ذروة عظمتها وقت الشدائد والأزمات ، ومن ثم صرحت الآيات هنا بأن الذين أنفقوا قبل فتح مكة وقت ضعف المسلمين وقلتهم ـ هم أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح حين قوى المسلمون وازداد عددهم ، فالعطاء بباعث الأريحية عند الحاجة الملحة يثلج الصدر ، ويريح القلب ، ويؤكد المودة والألفة اللتين هما من اهداف

الاسلام ، ومن ثم كان الأجر عليها مضاعفا ، اما العطاء عند الرخاء فهو وان كان محمودا ليس له وقع الأول في النفوس الظمئة والقلوب الملهوفة تقول الآية في التصريح بهذا التفاضل : « .. **لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** » .

ثم تأتي الآية التالية لتفتح ينبوعا آخر من ينابيع الأريحية في دنيا البشر : إنه ينبوع الاقراض الحسن ، ولما كان الاقراض تفريجا لكربة مكروب ، وإغاثة للهوف مع الحفاظ على كرامته إذ هو سيؤدي ما أخذ بعد حين من الزمن ـ كان في درجة أعلى من الانفاق ، وكان الثواب عليه مضاعفا ، وقد سلكت الآية في الجذب لهذا الباب من أبواب الأريحية الانسانية ـ اساليب تربوية ناجحة ، فاستخدمت الاستفهام الدال على الحث والتحريض ، ونسبت الإقراض الى الله تعالى لسرعة استجابة المقرض ، ولادخال الطمأنينة على قلبه ، فماله الذي اقرضه سيعود اليه لا محالة ، فلابد حينئذ من ان يخف لنجدة المحتاج غير عابىء بموعد الرد ، فالأجر عند الله عظيم ، والله الرزاق هو الضامن والكفيل ، تقول الآية الكريمة : « **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم** » ، وتجد تذييل هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : « .. **وله اجر كريم** » لأن الاقراض فيه حفاظ على كرامة المقترض ، في حين ختمت آية الانفاق السابقة بقوله تعالى : « **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » فقد وضع كل تذييل في موضعه المناسب باحكام معجز .

ثم تأتي الآيات التالية موضحة ذلك الأجر الكريم ، عاقدة مقابلة جاذبة لرياض الأريحية البشرية ، فتذكر مشهدا من مشاهد القيامة يظهر فيه المؤمنون في هالات من نور ، فقد نجحوا في مصارعة الشح في نفوسهم ، وتغلبوا على شيطانهم ، فكان النور الذي يحفهم آنئذ فوزا عظيما ، ويظهر المنافقون في ذلك المشهد في وضع ذليل يخالف عزتهم الجوفاء التي تاهوا بها في الدنيا ، يظهرون مستجدين نورا في ذلك اليوم العصيب قائلين للمؤمنين الناجين : « .. **انظرونا نقتبس من نوركم** » فيرد عليهم بالمنع والتهكم : « .. **قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا** » كأن الرد يذكرهم بشحهم ومنعهم الخير والمعروف عمن يستحقون في الدنيا ، فقد حرموا النور في الآخرة لجعلهم ايديهم مغلولة الى اعناقهم ، ولاغلاقهم قلوبهم دون نسمات الأريحية الانسانية في الدنيا فكان الجزاء من جنس العمل : جزاء بالحرمان على ذنب هو الحرمان ، تقول آيات المشهدين المتقابلين : « **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم. يوم يقول المنافقون**

والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » ، ونجد تلك الآيات قد ذكرت المؤمنين والمؤمنات في مشهد النور ، والمنافقين والمنافقات في مشهد الذلة والهوان اشارة الى ان الأريحية المنشودة أريحية انسانية لا تفرق بين الذكر والأنثى ، فهي تصدر عن انسان أترع قلبه بالرحمة حتى فاضت على جوارحه خيرا ومعروفا ، وذلك يتأتى من المرأة كما يتأتى من الرجل ، وهما في الثواب عند الله سواء ، ونجد ختام الآيات بيانا لحيثيات الحكم على المنافقين والمنافقات بالذلة والهوان في الآخرة ، وتختم الحيثيات بالغرور الذي أنضب القلوب من الرحمة ، وأمسك الأيدي عن العطاء فلم تتحقق الأريحية الانسانية التي كان ينشدها من به حاجة ولهفة ، فالتهب قلبه غيظا ، واليوم يلهب المنافق الكاز بالنار جزاء وفاقا ، ولما كان الجزاء يومئذ على الشح والكزازة وفقد الأريحية - وجدنا الآية التالية تبين أن هؤلاء المنافقين الكازين لن تقبل منهم الآن في موقف الذلة والهوان - الفدية كائنة ما كانت ، والفدية عطاء ، وكيف ينفع يومئذ العطاء ، فكأنهم يودون أن يعوضوا ما فاتهم من أريحية ، ولكن أنى لهم ، واليوم يوم حساب لا عتاب ، ويوم جزاء لا عطاء ، « **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير** » .

ثم تفتح السورة صفحة جديدة لمن غفل عن سلوك سبل الأريحية - ليفيق وينشط في ميدان الخير والمعروف قبل ان يقسو القلب ، ويدهم الموت ، ويكون النشاط والافاقة القلبية بالخشوع لذكر الله ، وتلاوة آيات الله ، والخوف من عقابه وعذابه : « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم** » وحتى لا يصيب نفوس الغافلين يأس أو قنوط تلفت الآية التالية الأنظار إلى أن القلوب الغافلة تصحو وتفيق بذكر الله فتفيض الخير في كل اتجاه ، كالأرض الميتة يحييها الله بالماء فتهتز وتربو بالنبات ، وتفيض الخير لكل الكائنات : « **اعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** » وتنبه الآية التالية الغافلين المستجيبين - الى اهم ميادين الأريحية الانسانية فتجملها في ميداني التصدق والإقراض ، وقد جمعت بينهما ولم تفرقهما كما فعلت الآيات السابقة - لأنها في مجال الإجمال لابرز ميادين المعروف التي تتحقق فيها الأريحية الانسانية ، فأجملت العمل وأتبعته بالثواب والجزاء : « **إن المصدقين**

والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم » وتتوالى الآيات مستخدمة شتى الأساليب للجذب الى تلك الأريحية الانسانية ، فنجد الآيات التالية تستخدم اسلوب اقتلاع حب الدنيا من النفوس ، ذلك الحب المسرف الذي ينجم عنه الغرور بها ، والاخلاد اليها ، والتكالب عليها ، وتستخدم الآية في الاقتلاع التصوير المهون من شأن الدنيا والمنذر بوخيم العواقب لمن يغتر بها فهي في زهوها وازدهارها لدى الانسان كالنبات يخضر ويورق ثم يبلغ اقصى حالات النضرة والايناع ، ثم يصفر ويصبح هشيما وحطاما : « **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » .

ومادامت الدنيا كذلك فيجب اقتناص الخير فيها قبل فوات فرصتها ، ويكون ذلك بالأريحية والسخاء في مواطنهما الهاتفة بهما ، حتى اذا انتهى العمر أو نضب معين الخير في الحياة كان الانسان قد ادخر له رصيدا من الخير عند الله ، وفي هذا ينبغي السباق : « **سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » ونسير مع آيات السورة حتى نصل الى البلسم الشافي لداء الكزازة والشح ، فذلك الداء مبعثه الخوف الهالع من الاملاق ، فتأتي الآيات المطمئنة الرابطة على القلوب لتقرر أن كل ما يحدث في الوجود للأفراد والجماعات - مكتوب مسطور في الأزل ، فعلام الخوف والهلع ؟! ، فاذا كان الغنى مقدرا له أن يجابه الفقر بعد غناه ، فلن يزحزحه عن ذلك الفقر المكتوب شح أو إمساك فليعقل ذلك ، وليبسط يده بالعطاء حتى لا يحرم الأجر وحسن الجزاء ، تقول الآيات : « **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد** » فالأسى على ما فات ، والفرح الشديد بكل آت ، والفخر والاختيال - أعمال لا تليق بمؤمن صادق الايمان ، لأنها تحض على الشح والحرمان ، وهما مقوضان دعائم الأريحية التي يحبها الله من عباده المؤمنين .

ثم تنتقل آيات السورة الى ميدان أرحب للاريحية الانسانية بمعناها الواسع الرحيب فهي - بذلك المعنى - سعة الخلق ، والهشاشة للندى والمعروف ، والارتياح للنفع يصل الى الغير ، فتشير الآيات التالية الى أن تلك الأريحية الانسانية مطلب محمود في جميع الأديان السماوية لأنها خلق رفيع ، وفضيلة سامية ، فاحترام

الناس للعدل فيما بينهم أمر يريح النفوس ويثلج الصدور عبر الأزمان والدهور :

« **لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » فالكتب السماوية تتضمن ارشادات هادية - ان سار الناس على هديها - سعدوا في الدنيا والآخرة ، سعدوا في الدنيا بالارتياح النفسي مهما كانت ظروف الحياة او قسوتها ، وسعدوا في الآخرة بالنعيم المقيم ، وتشير تتمة الآية الكريمة الى انداح مرابع الأريحية حتى تشمل القوة النافعة ، أو المشعة النفع فيما حولها كالحديد في قوته ونفعه ، **فالأريحي في قوته وغناه ليس صلد الفؤاد أو غليظ الطبع ، ولكنه لين** الجانب ، واسع النفع ، تقول تتمة الآية : « .. **وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** » وقد قالت الآية : « .. **وانزلنا الحديد** » ولم تقل : « .. **وخلقنا الحديد** ، لأن الحديد - ببأسه وقوته ونفعه - حماية للكتب المنزلة وما تهدى اليه من عدل واريحية انسانية منداحة .

ثم تختم السورة الكريمة بنداء المؤمنين وامرهم بتقوى الله ، والايمان برسوله ، ووعدهم على ذلك مضاعفة الثواب ، فيكون الثواب كفلين من رحمة الله تعالى ، كفاء الرحمة التي فجرتها أريحية الانسان في الحياة فاستظل بظلها الظليل احياء قرت عيونهم ، وطابت نفوسهم ، فرضيت قلوبهم ، وهتفت ألسنتهم بالدعاء بالرحمة للأريحى الذي اراح نفوسهم واثلج صدورهم فكان الثواب مضاعفا يوم العرض والحساب :

« **يأأيها الذين امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** .. »

والأريحى الذي يفرج الكربات - ينير الطريق امام الحيارى والمدلجين ، فالشدة قتام وظلام ، وتفريجها نور وسلام ، ومن ثم جوزى الاريحى **الذي فرج وأنار الدروب في الحياة بالنور عند الله** : « **ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** .

وقد عبر عن الثواب بالنور في هذه السورة - كفاء الأريحية الانسانية - عدة مرات ، لأن الأريحية الانسانية نور في الحياة ، فجزاؤها نور عند الله .

وينتهي ختام السورة الكريمة بما يريح ذوى البصائر ، فتقرر ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، فالأريحى - وإن كان صاحب فضل - فما عنده من الفضل مفاض عليه من الله برحمة الله ، فليحمد الله تعالى على فضله الذي آتاه : « .. **وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » .

وبعد ، فلعلنا بعد هذا التطواف في رحاب سورة الحديد الكريمة - نكون قد وعينا دعائم الأريحية ، وفقهنا سرها وأثرها ، وعلمنا انها من سمات الإيمان ، وشيم المؤمنين الصادقين ، ولعلنا ننشدها ثم نحققها في واقع البشر ، ليسعد البشر كما أراد خالق البشر .

منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم

للدكتور / أحمد محمد الخراط

لعل « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » في مقدمة الاسفار التي حملت بين دفتيها صفوة جهود العلماء المسلمين لخدمة كتاب الله عبر أكثر من خمسة قرون سلفت ، حيث كان كتابه صدى للاتجاهات العلمية المختلفة .

أما مؤلفه فهو الشيخ الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرؤوف بن عطية . ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، في أسرة علمية تعرف قدر العلم فترحل في طلبه وتدلي بدلوها في الورود على مناهله المختلفة . وقد نشأ الفتى عبد الحق في بلاد الأندلس الخضراء حيث كانت للمسلمين في تلك الرياض أيام حافلة ، فعاش في غرناطة واتصل بحلقات العلم التي كانت تغص بالعلماء والمتأدبين ، فأخذ عن والده الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرؤوف ، كما تلقى عن مشايخ بلده أبي علي الغساني والصدفي وابن المطرف وابن مكحول والهمداني ، وتتلمذ له ابن مضاء اللخمي . تميز ابن عطية بتنوع الثقافة : فإن ذكرنا الفقه فهو من علماء المذهب المالكي ، وترجم له ابن فرجون في « الديباج المذهب » على أنه من رجال هذا المذهب المشهورين ، وكتابه « المحرر الوجيز » شاهد حق على ذلك .

وإن سألنا عن علوم العربية فهو عند السيوطي في « بغية الوعاة » نحوي من أعلام النحاة الأندلسيين ، وقد ترك في تفسيره فيضا من آرائه وتحقيقاته التي تكشف عن تعمقه في هذا الفن . كما أن للرجل اهتماما في

علم الحديث ودراسة الأدب العربي . تقلد ابن عطية منصب القضاء في المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة ويقال إنه أحس بمسئولية القاضي الكبيرة فامتلأ قلبه حزنا وغما . وما انفك الناس يتصلون به ويفيدون من ثقافته الخصبة وهو الذي وصفه من ترجم له بأنه كان غاية في توقد الذهن إلى أن توفي في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

أما الكتاب فيبدأ بمقدمة طيبة تضم مناقشات وحوارا يتصل بعلوم القرآن ، فهو يتحدث عن فضل القرآن الكريم الذي « أعجز الفصحاء وأخرس البلغاء وشرَّف العلماء . ثم يذكر معاناته في طلب العلم « فإني لما رأيت العلوم فنونا ، وحديث المعارف شجونا ، وسلكت فإذا هي أودية ، وفي كل للسلف مقامات حسان وأندية فرأيت أن الوجه لمن تشزن (انتصب) للتحصيل وعزم على الوصول أن يأخذ من كل علم طرفا خيارا ، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غرارا (قليلا) ، ولن يرتقي هذا النجد ويبلغ هذا المجد حتى ينضي مطايا الاجتهاد (يهز لها) ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد ، فجريت في هذا المضمار صدر العمر طلقا وأدمنت حتى تفسخت أينا (ضعفت تعبا) وتصببت عرقا إلى أن انتهج بفضل الله عملي وحزت من ذلك ما قسم لي » ثم يتحدث ابن عطية عن شرف علم كتاب الله فهو « العلم الذي جعل للشرع قواما ، واستعمل سائر المعارف خداما ، منه تأخذ مبادئها ، وبه تعتبر نواشئها » . ثم يشير إلى منهجه في كتابه « وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا ، ولا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به ، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم » وذكر أنه نبه على أقوال الملحدين ، وأنه أورد جميع القراءات وسمى المشهورة منها بالمستعملة ، وغير المشهورة بالشاذة وقال إنه « اعتمد تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ . ثم ذكر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن نبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به وأورد في ذلك فيضا من الآثار المختلفة . ثم ذكر بابا في فضل تفسير القرآن والكلام على لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه ، ثم أشار إلى ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين»، فمنهم الطبرى الذي « جمع على الناس أشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في الاسناد ، وقال:إن النقّاش والنحّاس « كثيرا ما استدرك الناس عليهما » .

ويتفرغ ابن عطية بعد ذلك إلى دراسة قوله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه » فيعرض لآراء العلماء في ذلك ، فذهب فريق منهم إلى أنها سبعة أوجه فما دونها كتعال وأقبل وإليَّ ونحوي وقصدي واقرب وجيء ، وكاللغات التي في أف وكالحروف التي فيها قراءات كثيرة . وهذا عند ابن عطية « قول ضعيف » . وقال فريق آخر إن المراد بالسبعة

معاني كتاب الله وهي : أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال .

وقال « وهذا أيضا ضعيف ، لأن هذه لا تسمى أحرفا ، وأيضا فالاجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة » وما يزال يشير إلى آراء العلماء في فهم الحديث السابق حتى خلص إلى توجيهه توجيها سديدا يدل على رسوخ قدمه وقوة حجته فيقول : « فمعنى الحديث » أي فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة » ويضرب أمثلة على ذلك منها أن عمر بن الخطاب كان لا يفهم معنى قوله تعالى : (**أو يأخذهم على تخوف**) النحل/٤٧ فوقف به فتى فقال : « إن أبي يتخوفني حقي » فقال عمر : الله أكبر . أويأخذهم على تخوف : أي على تنقص لهم » . يقول ابن عطية : ولم تقع الإباحة في قوله عليه الصلاة والسلام (**فاقرؤوا ما تيسر منه**) المزمل/ ٢٠ بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي عليه الصلاة والسلام ليوسع بها على أمته ، فقرأ مرة لأبيّ بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه » .

ثم يشير إلى عمل عثمان حيث استنناب العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفصح اللغات ، فمعنى هذا : إذا اختلفتم فيما روى . واستمر الناس على هذا المصحف المتخيّر وتركوا ما خرج عنه مما كان قد كتب . ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات ولا سيما فيما وافق خط المصحف فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم .

ويبين ابن عطية بعد ذلك مسألة جمع القرآن وشكله ونقطه ، ويشير إلى أنه ليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب وما ورد فيه من كلمات أعجمية جرى مجرى العربي الصريح ، وذكر نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن ، واختار قول الجمهور في أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه ، وأبطل قول المعتزلة في أن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ولكنهم صُرِفُوا عن ذلك وعجزوا عنه . والصحيح عند الشيخ أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد . ثم عقد بابا في تفسير أسماء القرآن وذكر معنى السورة والآية من حيث اللغة والاصطلاح فالقرآن مثلا مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قرآنا وقراءة . ثم يصل بعد ذلك إلى الشروع في عرض موسوعته العلمية الكبيرة فيبدأ بالاستعاذة ثم البسملة ثم الفاتحة فالبقرة فما تلاها على حسب الترتيب المعروف لسور المصحف .

سعة مادة الكتاب :

« المحرر الوجيز » ـ كما أسلفنا ـ موسوعة علمية يتميز بغزارة مادته وجمعه لأطراف العلوم المختلفة ، فحديثه في القراءات مثلا حديث العالم المتخصص في حروفها وأصحابها وطرق توجيهها ، وهو لا يقتصر على القراءات السبعة التي اشتهرت على ألسنة القوم بعد أن ذاع صيت ابن مجاهد وكتابه « السبعة » وإنما يتجاوزها إلى ذكر جميع القراءات التي وصلت إلى علمه وهي التي تسمى بالشواذ ، فكان يشير إليها ويسمي أصحابها ويضبطها ، وبعد ذلك يشرع في توجيهها توجيها يقرّبها من لغة العرب ، وكأن الرجل يقصد قصدا إلى حصر هذه القراءات . ومثال ذلك أنه ذكر في « **بئيس** » من قوله تعالى في الأعراف : «**وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** » الأعراف ١٦٥ خمسا وعشرين قراءة ، وذكر معها توجيهها وأسماء قرائها . وقد أثارت آراؤه في فهم القراءات الشاذة والمتواترة مناقشات وحوارا بين ذوي الشأن ، فنجد في البحر المحيط والدر المصون وجامع القرطبي صدى واسعا لطريقة معالجته لها . ومن ذلك أن ابن عطية ينتقد قراءة أبي عمرو بإدغام راء « شهر » في راء « رمضان » في قوله تعالى في البقرة آية ١٨٥ « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** » بحجة الجمع بين الساكنين ، فيرد عليه السمين الحلبي صاحب « الدر المصون » هذا الانتقاد قائلا : « وقول ابن عطية « لا تقتضيه الأصول » غير مقبول منه ، فإذا صح النقل لا يُعارَض بالقياس».

وأما قضايا الفقه وأصوله فيعد الكتاب بحرا زاخرا لمذاهب العلماء وآرائهم الفقهية ، فكان يعرض أقوالهم ويسمى أصحاب هذه الأقوال ، وقد يمضي في مناقشتها وترجيح ما يراه مناسبا لاجتهاده ، لقد أخذت آية الوضوء وحدها في المائدة من تفسيره أكثر من عشر صفحات ، حيث كان يعرض لآراء المذاهب الفقهية ولا يكتفي بالأربعة ، وإنما يهتم بعرض أقوال الصحابة والتابعين . ولعلنا في النص التالي نلمس مدى اطلاعه على أحكام الفقه . قال في آية « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** » المائدة ٣٨ « فأما القدر المسروق فقالت طائفة : لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدا ، قال به عمر وعثمان وعلي وعائشة وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والليث والشافعي وأبو ثور ، وفيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القطع في ربع دينار فصاعدا » وقال مالك رحمه الله : تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم ، فإن سرق درهمين وهي ربع دينار لا نحطاط الصرف لم يقطع ، وكذلك العروض لا يقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم قلّ الصر ف أو كثر . وقال اسحاق ابن رهويه وأحمد بن حنبل : إن كانت قيمة السلعة ربع دينار أو ثلاثة دراهم قطع

فيها ، قل الصرف أو كثر . وفي القطع قول رابع : وهو أن لا قطع إلا في خمسة دراهم أو قيمتها ، رُوى هذا عن عمر وبه قال سليمان بن يسار وابن أبي ليلى وابن شبرمة ومنه قول أنس ابن مالك : « قطع أبو بكر في مجنٍّ قيمته خمسة دراهم » . قال القاضي أبو محمد (وهو ابن عطية) : « ولا حجة في هذا على أن الخمسة حد . وقال أبو حنيفة وأصحابه وعطاء : « لا قطع في أقل من عشرة دراهم . وقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري : لا تقطع اليد في أقل من أربعة دراهم . وقال عثمان البتي : « تقطع اليد في درهمين فما فوقه . وحكى الطبري أن عبد الله بن الزبير قطع في درهم . وروي عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : تقطع اليد في كل ماله قيمة قلَّ أو كثر على ظاهر الآية وحكى الطبري نحوه عن ابن عباس وهو قول أهل الظاهر والخوارج » .

وهو في مسائل اللغة والنحو ابن بَجْدَتِها فقد أثبت أنه الفارس المجلى ويعد كتابه مثالا لكتب التفسير التي تصول وتجول في علوم العربية ، حتى ليخيل إليك أن الكتاب قريب من « البحر المحيط » لأبي حيان . لقد استوعب الرجل أقوال النحاة وقرأ كتبهم وسبر بضاعتهم ، فكان يستعين بها في تفسيره استعانة الخبير الواثق الذى يأتى بالشاهد في المكان المناسب . إن أعلام النحاة مثل سيبويه والزجاج والفراء والفارسي والمبرد ومكي يغصُّ بها الكتاب ، غير أن الرجل يغلب عليه إغفال اسم الكتاب الذي نقل عنه هذا القول ، وبذلك قد يصعب على القاريء العودة إلى النص لمراجعته . كما يضم الكتاب آلافا من الشواهد الشعرية الفصيحة التي يوردها لتدعم تفسيره اللغوي لألفاظ الآية أو توجيهه النحوي للوجه الذي يعرضه .

وأما في مسائل التفسير فالكتاب جامع لأقوال علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وكان الشيخ يهتم بإسناد الأقوال إلى أصحابها ، ومن هنا لا نستغرب ما قاله ابن خلدون عنه في مقدمته : « إن ابن عطية لخص كتابه من كتب التفاسير كلها - ويعني تفاسير المنقول - وتحرى ما هو أقرب منها إلى الصحة ، وهو متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى »

المناقشات التي أثارها :

ترك « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » أثرا واضحا في كتب التفسير وإعراب القرآن التي تلته ، ولذلك أكثر من سبب ، فالرجل يمتاز بعقلية اجتهادية وشخصية متميزة فكان يغوص على أبعاد المعاني ويصل إلى نتائج تكشف عن سعة أفقه وخصوبة ثقافته ، كما أن تنوّع موارد هذه الثقافة من فقه وعلم بالمنقول ونحو وقراءات وحديث جعل الناس يجدون في كتابه ما يُرضي الاتجاهات العلمية كافة ، كل أولئك يفسر كثرة النصوص المقتبسة من كتابه حيث نجد في كتب التفسير والفقه وعلوم العربية من بعده كثيرا من النصوص والنقولات

المستمدة من محرر ابن عطية ، ولعل جامع القرطبي وبحر أبي حيان ودر السمين الحلبي من أكثر المصنفات التي أفادت منه .ومن أمثلة مناقشاتهم معه . فقد ذكر ابن عطية في قراءة علي بن أبي طالب بنصب الحق الثانية من قوله تعالى :) **وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك)** البقرة/ ١٤٦ و١٤٧
أنه منصوب بـ « يعلمون »قبله فقال السمين في الدر المصون : « وعلى هذا الوجه يكون مما وقع فيه الظاهر موقع المضمر أي : وهم يعلمونه كائنا من ربك وذلك سائغ حسن في أماكن التفخيم والتهويل » . وفي قوله تعالى : « **سأريكم دار الفاسقين** » الاعراف ١٤٥ جَوَّز في الرؤية أن تكون قلبية . قال ابن عطية معترضا على هذا الوجه : « ولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفعولين . ولو قال قائل : المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدر أي : مذمومة أو خربة أو مسعرة على قول من قال إنها جهنم قيل له : لا يجوز حذف هذا المفعول ولا الاقتصار دونه لأنها داخلة على الابتداء والخبر . ولو جوّز لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله تعالى » قال أبو حيان في البحر المحيط : « وحذف المفعول الثالث في باب أعلم لدلالة المعنى عليه جائز فيجوز في جواب : هل أعلمت زيدا عمرا منطلقا ؟ أعلمت زيدا عمرا ، وتحذف منطلقا لدلالة الكلام السابق عليه » قال السمين متعقبا كلام أبي حيان : « هذا مُسَلّم ولكن أين الدليل عليه في الكلام كما في المثال الذي أبرزه أبو حيان » ثم قال أبو حيان : « وأما تعليله بأنها داخلة على المبتدأ والخبر فلا يدل على المنع لأن خبر المبتدأ يجوز حذفه اختصارا ، والثاني والثالث في باب أعلم يجوز حذف كل منهما اختصارا ، تعقب السمين هذا بقوله « حذف الاختصار لدليل ولا دليل هنا » .

طبعاته :

طبع المجلد الأول والمجلد الثاني في مصر ، ووصل المحقق إلى الآية ٢٠٨ من البقرة . ثم قامت وزارة الأوقاف المغربية بتكليف المجلس العلمي بفاس بتحقيق الكتاب من أوله ، وصدر من هذه الطبعة تسعة مجلدات استغرقت الكتاب من أوله إلى آخر سورة يوسف . وقد علمنا أن جامعة الأزهر قامت بتوزيع مخطوطاته على طلاب الدراسات العليا في قسم التفسير وكاد الكتاب ينتهي محققا ونأمل أن يحظى بطبعه إلى نهاية تفسيره للآيات الكريمة ، ونتوقع أن يكون قريبا من عشرين مجلدا رحم الله أبا محمد ابن عطية وهيأ له منازل في عليين والحمد لله رب العالمين .



فلنجرب العودة إلى

(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)
البقرة/ ١٢٨

صدق الله العظيم

الاسلام دين الفطرة السليمة ، جاء يخاطب العقل الواعي ، والفكر المستنير ، والقريحة الصافية ، وهو دين المنهاج الرباني الكامل ، لا يقربه نقص ، ولا تشوبه شائبة ، دين جاء ليسمو بالانسانية ويرتقي بالفضيلة .. وهو نظام الحق المستقيم ، المنزه عن كل اعوجاج ، نظام محكم البناء عديم الثغرات ، نظام العبادة والعمل .. العطاء والجني .. الاخلاص والتراحم ، الحب والايثار ، نظام الرابطة القوية والحبل المتين ، من تمسك به عز ومن تخلى عنه باء بخسران مبين : **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** آل عمران/ ٨٥ .

ولقد ظلت النظم الاسلامية تتبوأ المكانة العليا بين نظم العالم .. ثم تفجرت في العالم الغربي فلسفات وأفكار بسبب استبداد الحكام او استغلال الطبقة الرأسمالية للفقراء والعاملين .. وهذه الأفكار وتلك الفلسفات ـ والتي سميت فيما بعد بالثورات الاجتماعية ـ لم تكن النظم الاسلامية بحاجة الى مثلها .. لأن

الإسلام

للأستاذ/سعيد كامل معوض

العدل الذي هو أساس الحكم لا يعرف الاستبداد ، والاحسان الذي هو لب الشريعة الاسلامية لا يسمح بتعسف أصحاب الأعمال بالعمال ..

لذلك فقد كانت النظم الاسلامية في غنى عن مثل هذه الثورات ! .. ولكن بعض الدارسين الذين ذهبوا للدراسة في بلاد الغرب وأوروبا ورأوا هذه الأفكار والفلسفات وشعروا بمكانتها في نفوس من روجوا لها .. أخذوا ببريقها وخدعوا بزينتها وظنوا أنهم بنظمهم الاسلامية يجهلون معنى الحرية .. والديمقراطية .. والاشتراكية .. إلى غير ذلك من الألفاظ الجوفاء .. فحاول هؤلاء الدارسون نقل هذه الأفكار - كما هي - ولم يفطنوا الى فداحة الجرم الذي ارتكبوه في حق أنفسهم وأهليهم ، فبسبب هذه الأفكار العقيمة بدأ اضمحلال النظام ، وضعف العقيدة ، والتقليد الأعمى لكل ما هو جديد دون نظر الى فائدة أو ضرر .

.. واذا نحن تصفحنا التاريخ الاسلامي ونظرنا بعين فاحصة مدققة الى حال العالم الاسلامي في أوج مجده وسعة رقعته وتأملنا النظم التجارية والمصرفية والعمرانية والاجتماعية والثقافية والسياسية

والعسكرية .. لو تأملنا ذلك كله لشعرنا بفداحة الكارثة التي أتى بها هؤلاء المقلدون .. ففي الوقت الذي كان الغرب يغط في ظلمات الجهل والتخلف كانت حضارة المسلمين تتشامخ في رقي وازدهار .. واليوم تتبدل الحال فنرجع القهقري ، ويحيط بنا ظلام التخلف من كل صوب وحدب ، ونبحث عن العلة !! ونظن أنها عدم مجاراتنا لحضارات الغرب وعدم أخذنا بأفكاره وفلسفاته !

والحقيقة ـ التي نتغاضى عنها أن العلة تكمن في ابتعادنا عن تعاليم ديننا الحنيف والتخلي عن نظمه القيمة ومحاولة إرضاء نزعاتنا الخبيثة بتقليدنا لتعاليم الغرب التي لا تسفر إلا عن إباحية ووقاحة وانحلال ، ورويدا رويدا تخلعنا هذه التعاليم من ديننا أو تخلع عنا ديننا ، فلا نجد أنفسنا إلا بين براثن الشيوعية أو العلمانية ، حبائل الشيطان !

واذا نحن قارنا الاسلام ـ وهو النظام الالهي ـ بسائر النظم الوضعية لوجدنا الهوة سحيقة والفرق بيِّناً .. فهو نظام الخالق ، وبقية النظم هي نظم المخلوق ، ولذلك لا نجد في الاسلام عجزا أو نقصا ، ونجد أن بقية النظم يعتورها النقص الواضح والعجز المخيف ، فالاسلام هو نظام الاحاطة بكل شيء لأنه النظام الذي يحيط بكل شيء ، وما من قضية علمية سليمة يتوصل اليها علماء الغرب اليوم الا ونجد القرآن ـ دستور الاسلام العظيم ـ قد تحدث عنها حديث اليقين .. ولم لا ؟! والقرآن كتاب الله وكيف يحيط الانسان بعقله المحدود بعلم من خلق الانسان اللا محدود ؟!

.. والاسلام دين العلم والعمل والعبادة ، وبذلك يكون هو الكمال بعينه .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله تعالى ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين » رواه مسلم .

.. ولقد زعم المتقولون ان الدين كان سببا من أسباب تخلف الأمة العربية .. وفي هذا يرد الامام محمد عبده على هؤلاء المتقولين : « كذب الخراصون ، إن الدين أول معلم ، وأهدى أستاذ ، وأرشد قائد الى اكتساب العلوم ، والتوسع في المعارف ، وأرحم مؤدب ، وأبصر مروض ، يطبع الأرواح على الآداب الحسنة ، والخلائق الكريمة .. هو الذي رفع أمة كانت من أعرق الأمم في التوحش والقسوة والخشونة ، فسما بها الى أرقى مراقي الحكمة والمدنية .. »

.. ولنستعرض بعض الميزات التي تميز نظامنا الاسلامي وتعوز بقية النظم .. النظم الوضعية :

● فالاسلام نظام الآخرة والدنيا فحين أمرنا بالعمل من أجل الآخرة .. أمرنا كذلك ألا نتخلى عن دنيانا والتمتع بحلالها وطيباتها .. أمرنا بالتوكل والاجتهاد في العمل والكدح لا التواكل : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)** القصص/٧٧ .

● وهو نظام يهتم بتربية الضمير الذاتي للفرد .. وهذا الضمير يجعله رقيبا على نفسه .. فلا يفعل إلا ما يراه طاعة لله ورسوله .. وبهذا يضمن الفرد الأمان والاستقرار ، ويضمن المجتمع القوة والازدهار : **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا)** الطلاق/ ٢ . والتقوى هي مراعاة الله في كل شيء ، فلا يفعل الفرد ما فيه إغضاب لله أو مخالفة لرسوله .. بل يحاسب نفسه بنفسه كأنه يرى الله فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ويراقبه أينما كان : **(وهو معكم أينما كنتم)** الحديد/ ٤ .

وهذا النظام ينشىء الفرد على الاعتزاز بنفسه واليقين بربه مما يجعله شخصا قويا ناجحا يتقن عمله ليجني ثمرة هذا العمل : **(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)** الكهف/ ٣٠ .

● وهو نظام الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)** الأحزاب/ ٢١ . وهو بهذا يرسخ في الفرد القيم السامية ويربى فيه أسس الفضيلة والترفع عن الصغائر .. وذلك بالاقناع لا بالارهاب !

● وهو نظام المساواة .. لا فرق بين جنس أو لون أو لسان ، لا فرق بين غني أو فقير ، أو بين حاكم ومحكوم فالجميع سواسية كأسنان المشط .. نظام لا عنصرية فيه ولا طبقية ولا طائفية ولا عصبية .. نظام قوامه التسامح فالمسلم أخو المسلم يحبه ويشد من أزره ويواسيه ، فالغني يعطي من ماله للفقير في غير مَنٍّ ، ولا يتركه يمد يده في ذل أو إهدار لكرامة .. والصحيح يعود المريض فيمنحه القدرة على الشفاء وقهر المرض .. والحاكم يحنو على المحكوم فيسمع شكواه ويحل مشاكله ، وبذلك يعم الرضا وينعدم التذمر بين الأفراد ويترابط المجتمع ويصبح كبناء واحد متماسك اللبنات : **(إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/ ١٠ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره » رواه الشيخان ..

وفي هذا يقول ماسينون : « يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بالعشر في موارد الجماعة .. وللاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها وليس لمجتمع آخر مثل ما للاسلام ، ماض كله التوفيق في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات » .

والمساواة في الاسلام هي مساواة كاملة فلا تعصب ولا عنصرية ولا تفاضل إلا بالتقوى ، لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى .. وفي هذا يقول فيلسوف الحضارة توينبي : « إن انعدام التعصب العنصري ـ كما هو الشأن بين المسلمين ـ من أبرز ما حققه الاسلام في ميدان الأخلاق ، والواقع أن ثمة حاجة ملحة في العالم المعاصر إلى نشر هذه الفضيلة الاسلامية » . وهذه المساواة قوامها التراحم والتآلف : **(محمد رسول**

الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح/ ٢٩ .

وهذا التراحم النابع من رفعة الأسوة وعظمة القدوة والمساواة هو الذي خلق روح الترابط والتضامن وأرسى قواعد التصافي والتعاون والتواد مما ساعد على قوة المجتمع الاسلامي وعلو مكانته .

● والاسلام نظام السلام .. فلم يشرع القتال إلا دفاعا عن النفس أو العرض أو المال أو الضعفاء أو العقيدة ، وحرم الاعتداء والتعدي على حدود الغير : **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)** البقرة/ ١٩٠ .. ولذلك فالفرق واضح بين الاسلام وغيره من النظم التي تسعى الى التوسع والسيطرة وبسط نفوذها على الآخرين وإذلال رقابهم مستخدمة في ذلك الاسلحة المدمرة التي تفتك بكل شيء ، لا تفرق بين طفل وشيخ أو بين بريء ومذنب ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ، سيان كانت تلك الوسيلة شريفة او غير شريفة ..

وفي هذا يقول جيمس متشفر : « اعتقد الغرب أن توسع الاسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون إلى السيف ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة والدليل قوي على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان مادام أهلها يحسنون المعاملة ، وقد حرص محمد صلى الله عليه وسلم على تلقين المسلمين التعاون مع أهل الكتاب ـ أي اليهود والنصارى ـ ولا شك أن حروبا قد نشبت بين المسلمين وغيرهم في بعض الأحيان ، وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات أصروا على القتال ، وفي القرآن آيات تصور العنف الذي استخدم في هذه الحروب ، ولكن الرهبان قطعوا بأن أهل الكتاب كانوا يعاملون معاملة طيبة ، وكانوا أحرارا في عباداتهم ولعل مما يقطع بصحة ذلك ، الكتاب الذي أرسله البطريرك النسطوري ايشوياب الى البطريرك سمعان زميله في المجمع وجاء فيه (بعد الفتح الاسلامي) : « إن العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الأرض اصبحوا عندنا ، ومع ذلك نراهم لا يعرضون للنصرانية بسوء ، فهم يساعدوننا ويشجعوننا على الاحتفاظ بمعتقداتنا وإنهم ليجلون الرهبان والقديسين ويعاونون بالمال الكنائس والأديرة » .

● والاسلام نظام يحترم حرية الفكر وحرية العقيدة فلا إكراه في الدين ولا حجر على العقيدة : **(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف/ ٢٩ .

● وهو نظام الشورى .. تلك اللفظة التي استبدلها هواة التشدق بالألفاظ البراقة بلفظة الديمقراطية : **(وشاورهم في الأمر)** آل عمران/ ١٥٩ . **(وأمرهم شورى بينهم)** الشورى/ ٣٨ . والشورى في الاسلام واجب شرعي يثاب الحاكم إذا فعله ، ويعاقب شرعا إذا تركه .. وبذلك يكون الاسلام أسبق النظم في تطبيق هذا المبدأ الذي يجعل الرعية تشارك الحاكم في تحمل تبعات الحكم

ولا يسمح للحاكم أن يستبد برأي أو يتفرد بقرار ، وبذلك تتلاشى الديكتاتورية وينعدم الاستبداد . ولقد اخذ الرسول الكريم برأي سلمان الفارسي ـ وهو الشخص البسيط ـ في حفر الخندق ، ومن هنا يحس كل فرد أن له دورا في تسيير دفة مجتمعه لا يقل أهمية عن دور الحاكم نفسه .

● وهو نظام الاقتصاد الراقي النظيف ، فلا ربا ولا غش ، ولا استغلال ولا احتكار ، لا اغتصاب ولا تطفيف في كيل أو ميزان ، لا سرقة ولا اكل لأموال بالباطل . نظام الأمانة والسخاء ، الكرم والانفاق الرشيد في غير شح أو تبذير : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) الاسراء/ ٢٩ (**ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون**) المطففين/ ٣ .

● وهو نظام الزكاة .. التي لا يوجد لها نظير في أي نظام من أنظمة العالم .. قد يقول البعض إن الضريبة تناظر الزكاة ، ونقول لهؤلاء إن أقوالهم محض هراء ، فالزكاة تنمية للاحساس الاجتماعي والعاطفة الانسانية وهي تزكية وتطهير للنفس والمال : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة/ ١٠٣ .

والزكاة فرضت أساسا لتؤخذ من القادر فتعطى غير القادر ، وهي اذن توزيع للدخل العام بما يحقق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والتكافل الاجتماعي . وبهذا لا يكون هناك طبقة تتفرد بالثروة واخرى معدمة لا تجد حد الكفاف ، وبهذا يسود مجتمع الدرجات ويتلاشى مجتمع الطبقات : (**والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم**) المعارج/ ٢٤ ـ ٢٥ .

فلفظة حق كما وردت بالآية الكريمة تعني أن الزكاة حق مكفول للفقير بالاجبار ، وليست مجرد إحسان اختياري ، فالحق يقتضيه دائن مستحق والدائن هنا هو الفقير والغني هو المدين .. هذه هي الزكاة ..!

اما الضريبة فهي جزء من المال يدفعه الفرد للدولة ولا يهمه أن يذهب إلى أخيه الفقير أو لا يذهب ، ومن هنا نشأت فكرة التهرب من الضرائب .. ونشأت الطبقية والرأسمالية في النظم الوضعية ، والزكاة تكون جزءا عادلا ليس فيه إجحاف ولا قسوة .. جزء من المال يدفع عن طيب خاطر ـ رغم أنه إجبار شرعي ـ جزء من المال لا يضير صاحبه ولا يؤدي إلى نقص أو خسران .

(أما الضريبة فقد تكون في بعض الأحيان قدرا من المال يؤدي الى افلاس الفرد ، وهناك أمثلة كثيرة لأناس أفلسوا بسبب نير الضرائب وإجحافها) .

●● واذا نحن تناولنا بالمقارنة الاسلام كنظام سماوي وبقية النظم الوضعية .. ولتكن مقارنتنا على سبيل المثال من ناحيتي الزنا والربا .. لنتبين الفرق :

أولا : الزنا :

وهو الاعتداء على الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، لذلك فهو من أخطر أمراض المجتمعات ، إذا أصيبت به أمة ضاعت كرامتها ، وانفصمت عراها ، ودب الخور والوهن في نفوس بنيها .

والاسلام يقف من الزنا موقف العداء السافر ، وحرمه تحريما قاطعا ، وبشر الذين يأتونه بعذاب أليم : **(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)** الاسراء/ ٣٢ ..

وقد حرم الاسلام كل طريق يوصل الى الزنا كالخلوة بالمرأة الاجنبية ، والنظر اليها أو لمسها ، ونهى عن كل ما يثير الغرائز ، ويهيج الشهوات ، وفرض أشد العقوبات على من يرتكب هذه الجريمة النكراء ففرض الرجم او الجلد وحرم الاسلام الزنا لأن فيه ضياعا للأنساب،وإهدارا للكرامة ، وخداعا للزوجات واحتقارا للأزواج .

ولقد أثبت الطب أن الزنا هو البؤرة لكثير من الأمراض السرية الخطيرة ، والفرد المصاب بأحد الأمراض السرية « الجنسية » لا يقف خطره على كون المرض معديا فحسب ، ولكن لأن الأمراض الجنسية وراثية فهو خطر على جيله والأجيال التالية بعده حين يورث المرض لأولاده وأحفاده من بعده !!

مما يوضح سببا آخر من أهم الأسباب التي حارب من أجلها الاسلام الزنا .. فاذا كان هذا هو موقف الاسلام من الزنا فما موقف النظم الوضعية منه ؟!

○○ النظام الديمقراطي الحر (الليبرالي) :

لا يمانع في أن يزني الفرد ، لأنه حر في نفسه يفعل بها ما يشاء مادام يدين لمجتمعه بالطاعة والولاء .

ولقد وصلت حالات الاصابة بمرض السيلان في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠ الى أكثر من ٣٠ مليون حالة !.. وتقول مجلة « الصحة العالمية » في عدد نوفمبر ١٩٨٠ : « ان الارتفاع في عدد المصابين بالأمراض الجنسية يرجع بصورة اساسية إلى انحدار المستوى الخلقي وإباحة الصلات الجنسية » .

●● النظام الشيوعي :

لا ينظر إلى الزنا نظرة عداء لأنه يتطلب مجرد الانجاب ، ويحبذ أن ينتسب الأطفال الى الجماعة لأن الأسرة في نظرهم من المظاهر الرأسمالية والحواجز الطبقية : « بمعنى ان الأسرة استئثار بثروة عامة هي جسد المرأة » !!

ثانيا : الربا :

وهو مبادلة مال بمال مع الزيادة ،

وهذا المال لا يشترط أن يكون نقدا .. ولكن يجوز أن يكون سلعة تباع وتشتري ..

وقد حرمه الاسلام تحريما قاطعا وحذر منه وحث على اجتنابه :

وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة/ ٢٧٥ .

(يمحق الله الربا ويربى الصدقات) البقرة/ ٢٧٦ .

وبشر الله الذين يأكلون الربا بأنهم خالدون في النار ، هذه نظرة الاسلام إلى الربا ، ذلك المرض الاقتصادي والاجتماعي الخطير ، الذي يغرس في النفوس الرذائل القبيحة من أنانية واستغلال وقسوة قلب وترهل .

أما المدنية الغربية فلا تقف من الربا موقف الرفض أو العداء بل تستحسنه وتحث عليه والأدلة كثيرة على ذلك : منها تلك البنوك الربوية المنتشرة في كافة أنحاء العالم والتي تتعامل بالفوائد وتقرض الأفراد ثم تسترد هذه القروض مضافا إليها الفوائد ، وحجتهم أن هذه الفوائد تؤخذ كنظير للخدمات وتغطية مرتبات العاملين بهذه البنوك على حين تتعدى هذه الفوائد في بعض الأحيان قيمة القرض الأصلي !

●● من ذلك يتبين لنا أن الاسلام يعني بتكوين الفرد الذاتي ، ويحرص على أن يكون مواطنا صالحا لنفسه ولأمته ، فيربي فيه الضمير الحي والأمانة والصدق وحب الخير والايثار ويهتم بتكوينه الجسماني والفكري والروحي ..

أما النظم الوضعية فلا تعني إلا بتحويل الأفراد إلى كوادر تسند النظام القائم أو السلطة الحاكمة .. وهي في الحقيقة لا تعني بالبناء الذاتي للفرد إلا بالقدر الذي تتطلبه العقيدة المادية والبناء الاقتصادي للدولة .. ومن هنا يتبين لنا أن هذه النظم ما هي إلا نظم وقتية فاسدة واهية .. لا تنجح في الغالب .. وإن نجحت فنجاحها يرجع فقط إلى أثر القواعد النظامية في بناء الجماعة !

أما الاسلام فهو نظام التشريع الرباني الكامل المستقيم .. دين القيمة ، ولذلك فإن تقليدنا لنظم المدنية الغربية الماجنة لن يعود علينا بالنفع كما قد يظن البعض .. فإذا أردنا أن نفيد من هذه النظم فيجب أن نأخذ صالحها ونطوعها لمبادىء شريعتنا الاسلامية وأصولها ، وهذا ما فعله المسلمون الأوائل منذ بداية قيام الدولة الاسلامية ، فقد سمحوا بتبادل الفكر ، والعمل في البلاد التي فتحوها .. في حدود الشريعة الاسلامية ، بحيث فقدت نظم هذه البلاد شخصيتها الأصلية ، وخضعت لغايات الاسلام ، وانصهرت في بوتقته .

من هنا لا يجوز أن نبيح مثلا الاختلاط بين الرجل والمرأة ،

وننادي بحرية المرأة !! أية حرية تلك التي نقصدها ؟ هل هي حرية الجسد ؟!

لا يجوز لنا مثلا أن ننقل النظم المصرفية الغربية كما هي لأنها ربأ

صريح .. لكن يجب ان نحولها إلى نظم تتفق مع أحكام الاسلام وغاياته .

.. لهذا نحن نرفض مدنية الغرب التي ينادي بها البعض ، ونطالب بالعودة إلى مبادىء الاسلام والتمسك بأركانه وتطبيق أحكامه والثقة فيمن وضع دستوره إلها واحدا منزها عن كل قصور أو عجز . ولو عدنا إلى مبادىء إسلامنا والتزمنا بهديه فلا بد أن نجني الثمرة .. رقيا وسموا وازدهارا .. ونعود كما كنا أمة تملك الأمم وتدين بأحكامها شعوب الأرض .

.. وتعالوا نسأل أنفسنا : ماذا جنينا من مدنية الغرب ؟! إن المدنية الغربية التي ينادي بها البعض ليست في الحقيقة إلا محاولة من محاولات أعداء الاسلام لاحتواء الحضارة الاسلامية وغزوها غزوا فكريا وتحويلها إلى حضارة هشة ممزقة .. وذلك بعد أن وقعت بعض البلاد الاسلامية فريسة للنفوذ غير المسلم ففرض عليها التخلي عن تطبيق شريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية ونشر العادات القبيحة والأفكار السامة .

.. ماذا جنى المسلمون من هذه المدنية المزعومة ؟!

لم يجنوا غير النكبات والنكسات ؛ فضاعت معظم ممالكهم ، وسقطت راياتهم في كثير من البلاد ..

وفرضت الحدود المصطنعة بين بلدانهم ، وأخمدت فيهم روح الحب والتراحم ، وحلت محلها روح التشاحن والعصبية والعلمانية ، وخير مثال على ذلك ضياع بلاد الأندلس ، التي كانت حصنا حصينا من حصون الاسلام ، وسقوط فلسطين في قبضة اليهود ، وضم أرتيريا المسلمة إلى أثيوبيا الصليبية ، ودوران ألبانيا وأفغانستان في فلك الشيوعية والماركسية الملحدة ، وتقسيم دولة باكستان ..

ـ التي كانت من اكبر معاقل الاسلام في آسيا بعد أندونيسيا إلى دولتين .. باكستان الغربية ، وباكستان الشرقية وبذلك ضعفت أكبر قوة اسلامية في آسيا ..

.. واليوم نشهد والمرارة تعتصرنا حربا شرسة بين دولتين مسلمتين .

فماذا جنينا من الغرب غير التشتت والدمار والانهيار ؟ لقد كنا خير أمة أخرجت للناس .. وصرنا أمة تتكالب على لحمها الأمم !

اليس من الجدير بنا أن نعود إلى الله بعد أن نسيناه فأنسانا أنفسنا !

فلنجرب العودة إلى الاسلام .. لنجرب !!

وليكن في حسباننا قوله تعالى في سورة الرعد / ١١ (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) .

ابن تيمية

محمد مؤذن

محيي السنة وإمام المجتهدين

للاستاذ / محمود محمد النجيري

لا ريب كان شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن الخضر بن محمد ابن تيمية النميري الحراني الدمشقي نسيج وحده ، فهو علم الأعلام ، إمام المجاهدين الصادقين الصابرين الأخيار ، عالم رباني ، وعى مصادر الثقافة الاسلامية ، واستوعب ما كتبه وألفه أئمة الدين وشيوخه .

مولده :

وقد ولد شيخ الاسلام ابن تيمية

بحرَّان في شهر ربيع الأول ٦٦١ هـ ، وقدم الى دمشق في أثناء سنة ٦٦٧ هـ فسمع من شيوخها وتلقى عليهم علوم العربية والتفسير والحديث والفقه وأصولهما ، وكان خارق الحفظ والذكاء حتى أنه كان آية في ذلك ، فبرع في هذه العلوم ، وفاق الأقران وسبقهم سبقا بعيدا وهو ابن بضع عشرة سنة .

أسرته :

وابن تيمية من أسرة علمية جليلة ، وكان أبوه وجده من علماء الاسلام المبرزين وكانا مثلين سائرين في الزهد والورع ، وكانا يقومان بالخطابة والوعظ وخدمة القرآن والقيام على السنة مع الزهد والعفة والدين .

كان أبوه شهاب الدين عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية إمام حرَّان ، وقد عنى بابنه فأحفظه كثيرا من الآثار ، ودفعه الى دراسة العلوم اللغوية والأدب ، وفتح له أبوه خزانة كتبه ، وكانت تحتوي على كتب التفسير والحديث والفقه والسير واللغة والآداب و التصوف والتاريخ والفلسفة والكلام وحتى الأحياء والفلك مما ورثه عصر ابن تيمية .

نشأته :

نشأ الشيخ تقى الدين ـ رحمه الله ـ في تصون تام وعفاف وتعبد واقتصاد في الملبس والمأكل وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت .
ومات والده ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ فدرس من بعده ، وقام بوظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على الكرسي من حفظه دون أوراق ، فكان يورد المجلس ولا يتعلثم ، وكان يؤدي الدرس بتؤدة وصوت جهوري وقول فصيح .
أخذ ابن تيمية عن أبيه فقه المذهب الحنبلي حتى أتقنه كما أخذ عنه تفسير القرآن وحفظ كثيرا من الأحاديث النبوية ، ثم درس فقه المذاهب الأربعة ، وأصول الفقه في شتى المذاهب ودرس فقه الشيعة ودرس الفلسفة والنِحَلْ المختلفة .

صورة لعصر ابن تيمية :

كانت الدولة الاسلامية قد تمزقت الى دويلات تتطاحن فيما بينها وكان التتار ـ على الرغم من هزيمتهم في عين جالوت قبل أن يولد ابن تيمية ـ مازالوا يغيرون على بلاد الشام ، ويشنون الغارة تلو الغارة على دمشق يريدون الاستيلاء عليها ، وقد عاثوا في الأرض فسادا .
والصليبيون ما زالوا يحلمون بامتلاك أراضي المسلمين ويغيرون على السواحل ويستولون على المدن الساحلية وينالون من المسلمين فيقتلون منهم ويأسرون .
والعصر مليء بالفساد : فالولاة

يرتشون ولا يؤدون الأمانة ويبطشون بمن يقاومهم ويتمادون في سفاهاتهم وعبادة أهوائهم وشهواتهم ويستطيلون في الظلم والبغي والفساد دون خشية من الناس لذلتهم وهوانهم ، ولا من الله لأنهم لا يرجون لله وقارا ، وزاد تماديهم في ذلك ماتمدهم به حاشية السوء وبطانتهم الغاوية من لابسي ثياب العلماء والعباد زورا وبهتانا يداهنون الحكام خوفا من البطش وطمعا في العطاء وما عاد رجال كالعز بن عبد السلام يفرض عليهم هيبة الدين ، ولا كالنووي ينصح الحاكم فاذا رفض الحاكم نصيحته جابهه بأنه مملوك ينهب ماليس له وعليه أن يذعن لرأي أهل التقوى .

والجمود خيمت ظلماته على العقول ، وساد التقليد الأعمى في شئونهم الدينية والدنيوية ، قَلّ أن تجد فيهم من يعرف نعمة الله عليه في إنسانيته فيقدرها ويحتفظ بها ويستعملها في التفكر في سنن الله وآياته القرآنية والكونية ، بل الناس فيه بجميع طبقاتهم مندفعون في تيار التقليد الأعمى مفتونون به ، زاعمون أنه الدين والهدى من مئات السنين لايخطر على بال أحد منهم أن ينظر الى هذا المجتمع وعقائده ودينه نظرة نقد وفحص وبحث ، ليعرف هل هم يدينون دين الحق من الاسلام الصحيح أم يدينون دين الجاهلية الأولى ؟.

فقد عادوا الى ظلمات الجاهلية والشرك والفوضى والتباغض والتقاطع والى قذارات التقليد الأعمى بالانسلاخ من آيات الله ، فأخلدوا الى ارض الأهواء والشهوات وغلبت عليهم خصائص البهيمية فغفلت قلوبهم عن ذكر الله . واتبعوا أهواءهم فكانوا من الغاوين ، وكان أمرهم في كل شيء فرطا ، واتخذوا أقوال الناس وأهواءهم شرائع تقدم على الشرع الحكيم المنزل من الله هدى و شفاء لما في الصدور .

وتجمدوا على المذاهب الفقهية ، فلا أحد يفكر خارج المذاهب الفقهية المتوارثة وكل حزب يتعصب لمذهبه ، ويكيد كل واحد لأخيه ، وانتشر الفساد ودور اللهو والخمارات حتى أصبحت أكثر عددا من المدارس .

وكانت الدويلات الاسلامية تتطاحن فيما بينها ، وبعض أصحاب هذه الولايات يمالىء التتار أو الفرنج الصليبيين ويظاهرهم على بني وطنه المسلمين ، ومن الشباب من يرخي الشعر تشبها بالنساء ، ومن الذين ينتسبون الى علوم الدين من يحلل المحرمات ، ومنهم من يمارس المجون حتى يفتضح أمره فيضطر قاضي القضاة الى الحكم بإعدامه .

وبعض المنتسبين الى التصوف يزعم أنه قد اتحد في الله فرفع عنه التكليف ، فلا ينهض لأداء أركان الاسلام ـ لا صلاة ولا صيام ولا زكاة ، بل يستبيح المحرمات وتعاطى الحشيش .

وقد حاج ابن تيمية الصوفية ، وكان يرى الصوفية المتأخرة مبتدعة لا يعرفها الاسلام ، أما التصوف الأول الذي ارتضاه السلف فهو جزء من

السنة والأثر ، ومن أمثلته ما في كتاب الزهد والورع لأحمد وكتب الخلال وآراء الجنيد والحسن البصري والحارث المحاسبي والفضيل بن عياض وما عدا هذا فهو يمثل عنده بدعة ويمثل هذا النوع الأخير في نظره : الحلاج وابن الفارض وابن عربي وابن سبعين وأضرابهم .

وفي كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » يحاج المتصوفة ويقول إنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء وأن أسمى درجة يمكن ان يصل اليها بشر هي أن يكون عبدالله خاضعا لشرعته وأحكامه ، وان مقدار سمو العبد وارتقائه في مدارج المجد يتحقق بمقدار امتثاله لهذه الأوامر والنواهي الإلهية ، وأن الله عندما امتدح رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم امتدحه بأنه عبداً لله ، فقال في مقام الإسراء : « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** » الاسراء ـ ١ .

والعامة في يأسهم من العدل يلتمسون العدل والبركة في أضرحة الأولياء والمقبورين حتى لقد عادوا في جاهلية جهلاء وظلمة ليلاء ، فعادت الأصنام أكثر رواجا من أيام الجاهلية الأولى ، وعاد العمل والعبادات تقاليد ورسوما آلية ميتة لا تزيد النفوس إلا رجسا ولا القلوب إلا قسوة وظلمة ، ولا الأخلاق إلا انحلالا ومجاهرة بالفسوق والعصيان ، واتباعا لسلطان الهوى والشهوات وتحاكما الى الطواغيت والطامة الكبرى وراء ذلك أن يسموا كل هذا بسمة الاسلام ويزعموا أنه الدين الذي يستحقون به رضوان الله ونصره في الدنيا والآخرة .

وحاج ابن تيمية فرق المتكلمين من معتزلة وجهمية وقدرية .. وغيرهم ممن يراهم خارجين على السنة ومنهج السلف ، فهم يؤلون آيات القرآن الكريم ، وينكرون أن الله يستوى على عرشه وأنه ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ، وينكرون الصفات كاليد والعين والوجه و القدم والنفس كما جاء بها القرآن الكريم ، وهم في ذلك فريقان : فمنهم المشبهة الممثلة الذين يشبهون الله بخلقه ، ومنهم المعطلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويزعمون أن فهم الآيات بظاهرها تشبيه لله بخلقه وهو منزه عن ذلك .

خرج شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ الى هذا المجتمع بصيرا بآيات الله فيه ، مؤمنا بنعم الله عليه متبعا ما أوحى الله الى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ مقتفيا آثار هذا الرسول الأكرم جهد طاقته واضعا نصب عينه هدفه الذي عرفه وحدده أدق تحديد : وهو تقوى الله بانقاذ نفسه وإنجاء الأمة مما تورطت فيه من التقليد الأعمى الذي أوهن فيها القوى وجرأ عليها الأعداء يتكالبون عليها من كل ناحية ، مؤمنا أصدق الإيمان بأنه لا سبيل الى نجاتها من شرورها وسيئات أعمالها ومن كيد أعدائها إلا بالرجوع الصادق الى كتاب الله وسنة رسوله ـ

صلى الله عليه وسلم .

مذهبه :

وينتمي ابن تيمية الى مذهب أهل الحديث والسنة يقول بمذهب الجماعة كأحمد بن حنبل ويخاصم المعتزلة والأشاعرة ، وينقد الأشعري والباقلاني وإمام الحرمين الجويني والغزالي ، وكان ينكر على الغزالي تحكيمه للفلسفة وقوانين المنطق في أحكام الشريعة وأصولها ، ويبين أنه إنما عول على ابن سينا وجماعته اخوان الصفا ، وأخذ عنهم من الفلسفة ، كما أخذ من مذاهب التصوف عن أبي حيان التوحيدي واستمد من «قوت القلوب» لأبي طالب بن مكي ، ومن كتب الحارث المحاسبي ، ومن رسالة القشيري ، وقد خلط التصوف بالكلام ، والأصول بالفلسفة ، وتأثر ابن تيمية ـ رغم ذلك ـ بأسلوب الغزالي في المناقشة والجدل واستعمل في ذلك أساليب الفلسفة واصطلاحات المناطقة في شتى رسائله وكتبه وله في ذلك كتاب « نقض المنطق » وكتاب « في الرد على الفلاسفة » .

وقد وقف ابن تيمية لجميع المذاهب المنحرفة والمخالفة لمذهب أهل الحديث .

وكان الامام ابن تيمية يترسم خطا الامام أحمد بن حنبل ويجله من كل جوانبه وبخاصة في الفقه والعقائد ، ويقول عنه : « صار أحمد مثلا سائرا في الزهد والورع ومثلا يضرب في المحنة والصبر على الحق ولم يكن تأخذه في الله لومة لائم حتى صارت الإمامة مقرونة باسمه في لسان كل أحد » .

ويعتمد مذهب ابن تيمية الفقهي على ستة أصول : الكتاب والسنة وكان لا يقدم عليهما شيئا مطلقا ، بل كان يأخذ بالحديث الضعيف في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال التي لها أصل ثابت .

والإجماع : وهو عند ابن تيمية ممكن حدوثه ، وقد حدث بالفعل في عصري الصحابة والتابعين ، ومرتبة الاجماع عنده بعد السنة ، وأقوال الصحابة وحَدُّ الصحابي عند شيخنا هو من صحب النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ولو لحظة وهو بهذا قريب من نظرة المحدثين الى من هو الصحابي .

والقياس : وهو عنده في مكان متوسط بين أن يعتمد عليه فيهجر النصوص وأن يهجره جملة وتفصيلا فهو يعتمد عليه عند الضرورة كغياب النص أو ضيق الوقت أو ما شابه ذلك ، وهذا نابع من موقفه من استخدام العقل في مجال الشرعيات حيث يجب ألا يقحم في غير مجاله .. ويعتبر ابن تيمية المصلحة المرسلة حيث يرى أن الصحيح منها هو المصلحة الحقيقية وهي داخلة شرعا في القياس الذي راعى الشارع جنسه البعيد .

وسد الذرائع ومنع الحيل : وابن تيمية يميل الى سد كل ذريعة اللهم اذا كان في منحها مصلحة تفوق مفسدتها فالأصل سد الذرائع ولديه من الأدلة

ما يقوي نظرته واجتهاده ، كذلك فجميع الحيل عنده حرام . وكثيرا ما خرج ابن تيمية على مذهبه الحنبلي الى ما يراه متفقا مع فهمه للكتاب والسنة ، ولا شيء إن وافق المالكية أو الحنفية أو غيرهم .

ويستمسك ابن تيمية بنصوص الكتاب والسنة لا يتجاوزها ، وفي مسألة صفات الله يعتمد النصوص ولا يتخطاها ، فيثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له أعلم الخلق به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تشبيه ولا تمثيل له بمخلوقاته ، وينفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تأويل باطل .

فهو يثبت الاستواء والنزول والوجه واليد والنفس والعين وغيرها ، ويثبت الرؤية والكلام والسمع والبصر والارادة والعلم والحياة .. كل ذلك كما يليق بجلال الله من غير تشبيه ولا تعطيل ، وكما يفهم من قوله تعالى : « **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** » الشورى / ١١ .

وأوضح كتبه في ذلك : الفتوى الحموية الكبرى والرسالة التدمرية والرسالة العرشية والعقيدة الواسطية التي نصر فيها مذهب أهل السنة والجماعة .

وفي كتاب «السياسة الشرعية» يرسم القواعد لإصلاح حال الراعي والرعية بنظرة الفقيه المتشرب بروح الكتاب والسنة ، المتمرس بواقع الحياة وملابساتها .

وفي كتاب « التوسل والوسيلة » أنكر كل الوسائل التي اتخذها الناس الى الله ، وآذن أنها وسائل باطلة ، وانما يتوسل الى الله بالعمل الصالح وبما شرع .

وفي كتابه « منهاج السنة النبوية » شدد على الروافض في مسألة زيارة القبور ، وشد الرحال اليها وقال : إن منهم من يجعل الحج اليها أعظم من الحج الى الكعبة ، وهو يرى أن هذه المغالاة في تعظيم القبور والمشاهد وشد الرحال اليها لم يرد به كتاب ولا سنة ، وانما هي مفضية الى الشرك ، بل هي الشرك عينه .

كتبه :

ألف ابن تيمية في كل علم ، وجال في كل فن ، وصنف التصانيف الجليلة في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام ، والرد على الفرق الضالة والمبتدعة ، وله الفتاوى المفصلة وحل المسائل المعضلة حتى لقد بلغت تصنيفاته ثلاثمائة تصنيف منها : « الفتاوى » في سبعة وثلاثين مجلدا ، و« تعارض العقل والنقل » في أربع مجلدات ، و« الجواب الصحيح على من بَدَّلَ دين المسيح » ردا على النصارى وهو في أربع مجلدات و«شرح عقيدة الأصفهاني » وكتاب « إثبات المعاد والرد على ابن سينا » وكتاب « ثبوت النبوات عقلا ونقلا » و« المعجزات والكرامات » وكتاب « اثبات الصفات » وكتاب « العرش » وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام » وكتاب « الحسبة في

الاسلام » وكتاب « الرد على القدرية » وكتاب « الرد على الاتحادية والحلولية » وكتاب «في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » وكتاب « تفضيل الأئمة الأربعة » وكتاب «شرح العمدة » في الفقه في أربع مجلدات ، وكتاب « الدرة المضيئة » وكتاب «المناسك الكبرى والصغرى » و« الصارم المسلول على من سب الرسول » و«الطلاق » و«خلق الأفعال » و « الرسالة البغدادية » و« التحفة العراقية في الأمراض القلبية » و « الرد على تأسيس التقديس » للرازي في سبع مجلدات ، و« العبودية في الاسلام » و« الفرقان بين الحق والباطل » ... وغيرها .

وفاته :

كان من نتيجة آراء ابن تيمية الخطيرة ، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واغلاقه للحانات واراقته للخمور ، واعلانه للحق دون مواربة أو مداهنة ، كان من نتيجة ذلك أن تألب عليه الحكام والعامة والعلماء ، وقادته جرأته في الحق الى المحن والخطوب حتى أنه سجن مرات ومرات ، وأوذي في بدنه ، فسجن في قلعة دمشق وفي سجون القاهرة والاسكندرية ، وكان يتنقل من سجن الى سجن تنقل النجم من برج الى برج ، فما يزيده ذلك الا صلابة في الحق ويقينا منه ، فكان يقول :

« ما يفعل أعدائي بي ؟
أنا جنتي وبستاني في صدري ...
أنى رحت فهي معي لا تفارقني ...
اما حبسي خلوة ..
وقتلي شهادة ..
واخراجي من بلدي سياحة » .

وظل الشيخ سجين قلعة دمشق نحو عامين ، ممنوعا من القراءة والكتابة وقد درج عليها منذ نعومة أظفاره ولكن الشيخ لم يحتمل طويلا وطأة المنع من الكتابة ، فكان يُصَبّر نفسه بتلاوة القرآن بصوت خاشع متهدج موليا وجهه الى السماء ، وكان في الغاية التي انتهى اليها من الورع حتى استأثرت به رحمة الله ، وفاضت روحه وهو يتلو قوله تعالى : « **ان المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر** » القمر / ٥٤ ، ٥٥ .

وخرجت دمشق تودعه وتبكيه أحرَّ البكاء ، رحم الله الإمام ابن تيمية ورضي عنه ، فلقد كان دائرة معارف في الأصول والفقه والتفسير والحديث والفرق والفلسفة والمنطق والكلام ، وشتيت من المعارف والفنون مما جعل له مركز الصدارة والإمامة ووضعه بحق في ذلك المركز الجليل الخطير مشيخة الاسلام حتى اقترن اسمه بها عند الاطلاق .

وهكذا صمت الرجل الذي ملأ الحياة من حوله ضجيجا وزحاما واضطراما بآرائه واقتحاماته الفكرية فضلا عن سيفه وصولاته الحربية ، وما زال فكره يملأ الحياة من بعده ضجيجا واضطراما ، وما زال حتى اليوم يحتفظ بضراوة الخصوم وحماسة الأنصار .

الرسول

في السنة العاشرة من البعثة ، وبعد وفاة أبي طالب ، ووفاة خديجة رضي الله عنها ، وما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من معاناة في عام الحزن ، وما تحمله من ايذاء قريش وتكذيبها حتى قالت - كما ذكر القرآن الكريم (اجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) سورة ص ٥ - ٧ بعد هذا التكذيب من قريش وانصرافها عن الهدى رأى النبي صلى الله عليه وسلم ان يقصد الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، لعله يجد فيها سندا وعونا .

لقي النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من زعماء ثقيف وسادتها ، هم ابناء عمرو بن عمير الثقفي وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، وألقى اليهم بنوره ودعوته ، فكذبوه ولم يستجيبوا لدعوته .

فقام النبي صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وخاطبهم في حلم النبوة ووداعة الرسالة ، أما وقد أعرضتم فاكتموا عني ، ولكنهم لم يكونوا أهلا لخير فلم يفعلوا . وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به حتى الجأوه الى حائط لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وجلس عليه الصلاة والسلام الى ظل شجرة من عنب ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء اهل الطائف ، ولكنهما لا يريان ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، انه يرى في حلكة

في الطائف ٧

للاستاذ / عبد الرحمن البنا

الظلم والظلمات نور ربه ، ويشهد من عالم الغيب ما لم يشهده العابثون واللاهون من أهل الأرض ، وتصحبه معية الله تعالى فلا يغفل عن ذكره ومنـاجاتـه ، ها هي الجبـال تبدو خاشعة متصدعة من مناجاته ربه ، وهو يرفع وجهه الى السماء ضارعا الى الله (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين•أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ، ان لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من ان تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

وهز المشهد مشاعر ابني ربيعة ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس ، وعمدا الى طبق فوضعا فيه قطفا من عنب وأمراه أن يذهب فيقدمه اليه ووضع عداس الطبق بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وعزم عليه ان يأكل فلما وضع يده فيه قال بسم الله ، ثم أكل ، وعداس ينظر اليه وقد استعرض في نفسه كل ما كان يكتمه من أمر انتظار هذا النبي الكريم ، ويحمد الله ان وجد أمله الذي من أجله ترك وطنه (نينوى) وضرب في أرجاء الارض يقصد الشام والجزيرة ويـأوى الى الأديـرة ، يسمـع الارهاصات من الرهبان تبشر بـه وبقرب مبعثه ، وكيف عدت عليه قافلة سلبته ماله واحتجزته فباعته رقيقا حيث يعمل الآن لابني ربيعة ، وكأنما التصقت قـدمـا عـداس بـالأرض لا يستطيع حراكـا . وتعلق بصره بوجه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: هذا كلام لا يقوله أهل هـذه البلاد ، فقال له النبي عليه الصلاة

والسلام ومن أي البلاد أنت وما دينك ؟ قال : نصراني من أهل (نينوى) قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فسأله عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ ، فقال: ذاك اخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

فاصاب الذهول ابني ربيعة وتشبث بهما كفرهما ، فلما عاد اليهما عداس بالنبأ قالا له: ويحك يا عداس ، لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه . واستغرق عداس في امره وشأنه ، وقفل النبي صلى الله عليه وسلم عائدا الى مكة .

★★★

كذب أهل الطائف النبي ولم يستجيبوا له ، فصرف الله اليه نفرا من الجن يستمعون القرآن ، وذلك بعد نزوله من الطائف ووصوله الى بطن نخلة ، وقيامه من الليل يصلي ويتلو القرآن (**فلما حضروه قالوا أنصتوا . فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم**) . الأحقاف ٢٩ ـ ٣٠ .

ثم كان الاسراء والمعراج فدعاه الله تعالى إلى حضرته ، وشرفه بالدنو منه ، وبعث جبريل بالبراق ، في أعظم موكب تشريف وتعظيم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**) الاسراء/١

ذلك النص القرآني الكريم ، بدئت به سورة الاسراء ، وبدئت بقوله (سبحان) ، وقد روى طلحة بن عبيد الله انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، ما معنى سبحان الله فقال (تنزيه الله من كل سوء) وإذن فسبحان اذا قرنت بفعل تنزه وتعالى عن فعل البشر فلا قياس ولا مقارنة ، ثم قال (اسرى) وإذا اسرى الله تعالى فقد خضعت كل نواميس الكون وتبددت حجب الزمان والمكان ، واكتسى الكون كله بالجلال والرهبة ثم قال (بعبده) ليتحقق معنى العبودية للنبي ، والربوبية لله ، فيسخر الكون كله لهذه الرحلة التي لا مثيل لها ، ثم قال (لنريه من آياتنا) وفي هذا القول الكريم مدى لا يحد ، وغاية لا تدرك . واذا كان الله تعالى قد أطلع ابراهيم على ملكوته (**وكذلك نُرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين**) الانعام / ٧٥ فكذلك يرى محمدا ما شاء ان يطلعه عليه من آياته في الأرض والسماء (**انه هو السميع البصير**) الذي سمع رد قريش وثقيف ، لرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وأبصر ما أساءوا به إليه فشرفه بالاسراء والمعراج .

رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في الاسراء في طريقه ما رأى . وجمع الله له الأنبياء والرسل ، فصلى بهم في المسجد الأقصى ، ثم أدنى له المعراج فعرج به الى السموات العلا (**ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى** .

فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونـه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من أيات ربه الكبرى) النجم من ٨ الى ١٨ .

وفرضت الصلاة في السموات العلا ، وعاد النبي بها الى أمته كأعظم هدية تهدى ، تحدثت هند ابنة ابي طالب وكنيتها أم هانيء ، عن عودته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فقالت فلما كان قبيل الفجر ، أهبنا رسول الله ، فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال يا أم هانيء لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فقلت له يا نبي الله لا تحدث بها الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال والله لأحدثنهم) وخرج يحدثهم فكذب المكذبون وقالوا لأبي بكر إن صاحبك يقول كذا وكذا ، فيقول أبو بكر لئن كان قال لقد صدق ، فوالله إني لاصدقه في أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء) وكذلك صدق المؤمنون ، ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى .**) . النجم ٣ ، ٥ .

وتأتي بيعة العقبة ، ويأذن الله أن تكون يثرب هي المأوى الذي يأوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويهاجر إليه فتلقاه القلوب والأفئدة ، وتهتف الولائد والوالدان وترجع الجبال والروابي والسهول والوديان .

طلع البدر علينا .. من ثنيات الودا ع.ثم تنطلق كبريات الأمور ، بدر وأحد والخندق والحديبية ومؤتة حتى فتح مكة حيث يحاصرها جيش النبي صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف مقاتل . يفتحها سلما ويشملها عفوا .

ولم تكتف ثقيف بما قابلت به النبي صلى الله عليه وسلم حين قصد اليها ولكنها تحالفت مع هوزان ولما تمض ايام على فتح مكة حيث جمعهم مالك ابن عوف النصري .. واجتمعت نصر وجشم كلها وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير يستشيرونه ويرجعون اليه في أمر الحرب ، وخرجت مع القبائل نساؤها وأبناؤها وحملوا معهم أموالهم وسمع دريد رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاة فسأل عن ذلك فقالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . فلما خاطبه دريد في ذلك قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم . قال دريد : وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك) وانحدر الناس من أوطاس الى مضيق الوادي عند قمم حنين ، ترى هل جاءوا ليهزموا المؤمنين حقا ، أو أراد الله أن يحملوا ذلك بأيديهم ليكون غنيمة في أيدي المؤمنين ؟ ..

لقد داخل بعض المؤمنين شيء من

الزهو والصلف حين ساروا الى عدوهم في اثنى عشر الفا من المقاتلين منهم عشرة آلاف هم الذين قاموا بفتح مكة ، والفان ممن أسلم من قريش ، فاعجبتهم كثرتهم وقالوا لن نغلب اليوم ، فأشهدهم الله تعالى نتيجة قولهم فكر عليهم العدو وفرقهم حتى كاد يهزمهم (**ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكفرين**) التوبة ٢٦ .

ويا له من مشهد رائع فقد التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فيمن ثبت معه فرأى أم سليم ابنة ملحان . وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها ببردٍلها ، وانها لحامل بعبدالله بن أبي طلحة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم سليم ؟ قالت نعم بأبي انت وأمي يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك منا تقتل الذين يقاتلونك فانهم لذلك اهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اويكفى الله يا أم سليم وكان معها خنجر ، فقال لها ابو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به .

وبهذه الروح العالية . وبفضل الله ورحمته هزم المؤمنون أعداءهم وقتل دريد بن الصمة بعد ان تنبأ بهزيمتهم . وفرت هوازن وثقيف تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين . اما مالك ابن عوف الذي قادهم ورتب صفوفهم ، فلما انهزموا فر مع ثقيف يحتمي بالطائف .

★★★

ويظهر وجه الطائف مرة أخرى ، ها هي التي أخرجت النبي صلى الله عليه وسلم وحيدا مكدودا يناجي ربه ويشكو اليه (اللهم إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس) ها هو يحاصرها بجيش لم تشهد جزيرة العرب من تاريخها له مثلا .

وها هي الجبال التي بدت خاشعة يوم مناجاته ربه . تبدو الآن مضطربة جياشة تهتاج قممها بما يزمجر به ويغلى هذا الجمع الحاشد والجيش الكثيف .. ويتوقعون أن يفتك النبي بأعدائه او ينقم ممن أساءوا استقباله ..

لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل شيئا من ذلك وان كان قد أرسى قواعد الحرب ، وعلم جيشه كيف يلبس لكل حال لبوسها ، فلمالك بن عوف وقد قاد الجيوش لحرب النبي لا مانع من هدم حصنه الذي يحتمي به في الطائف .

واهل ثقيف الذين تحصنوا بأسوارهم ودخلوا حصونهم يرمون جيش المسلمين من أعلاها بالنبل ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقل عسكره بعيدا عن مرمى النبل في مكان اقيم عليه مسجد الطائف بعد اسلام

ثقيف ، ثم امر الطفيل الدوسي ان يحضر طائفة من قومه (بني دوس) فزحفوا بالدبابات على أسوار ثقيف ورموا حصونهم بالمنجنيق .

وليكون الهجوم أكثر أثرا فقد عمد المسلمون إلى تحطيم معنويات ثقيف بتقطيع كرومهم وتحريقها وهي تمثل أعز ثروتهم حتى ناشدوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها لنفسه أو يدعها لله وللرحم .

وجاءت خويلة بنت حكيم وهي امرأة عثمان فقالت يا رسول الله اعطني ان فتح الله عليك الطائف حليَّ بادية بنت غيلان بن مظعون . او حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانت من أجمل نساء ثقيف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم وان كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟ .

ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم أنه معتق من جاء إليه من الطائف فتوالت الوفود وكان عداس قد آل بعد قتل سيديه الى ثقيف . واسرع في جمع من الرقيق الى النبي وقد تاقت اليه نفسه ولكن سهما من سهام ثقيف اصابه ولما يبلغ صاحبه . وجاء وفد هوازن مسلمين فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وأبناءهم . وأخبرهم ان مالك بن عوف النصري إن جاءه مسلما رد عليه ما له واهله واعطاه مائة من الابل .

وجاء مالك بن عوف مسلما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ ماله وأهله ومائة من الابل بينما يسمع تنازع بين نفر من جيش المسلمين وقد عنفوا على امرأة كهلة من السبايا ، فقالت لهم تعلّموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة .

كانت الشيماء ، أخت النبي حقا من الرضاعة ، فهش لها النبي صلى الله عليه وسلم وفرش لها رداءه وأجلسها فأسلمت وأعطاها ثلاثة أعبد وجارية واستوهبته (بجادا) من بني سعد ابن بكر بن هوازن فوهبه لها .

وأحرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة وأحرم المسلمون يهزون أرجاء الأرض وجبالها بالتلبية (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .



ألا نهضة منكم

شعر : منذر شعار

أقيمي لنا سيف الجهاد مع الترس
بـلادي ، وميلي بـالرعـال وبالعنس
لعـل الذي أسـرى بأحمـد مفـردا
يسـير بنا جيشـا لبيسـان والقـدس
لـعـار عظيم انـك اليـوم نـاظـم
قصيـدا وأقصـاك المطهـر في رجس
فأحسن من ذا نظمك المـوت لؤلؤا
مع اللبة الشوهاء والعنق النحس
أرى وطني في الحزم منطلق الوغى
ويحسن اسداء العزاء على البؤس
ويرمي ـ اذا يرمي ـ بقوس مجاهد
فترميه أعضـاء القرابـة عن قوس
لمـاذا ومـا بـد لتحـريـر أرضنـا
من القيمة الكبرى ومن شظف النفس ؟
لمـاذا وهـذا الـدين أول جـامـع
لنا تحت رايات الأشاوسة الحمس ؟
أكنـا عـلى غـير المـمالـك نتكـي
أكانت لنا الأبيات الا على الشمس ؟
أمـد لنـا سيف ولم تقطـر النـدى
أطال لنا حصن ولم ينس أو يخسى ؟
دخلنا على التاريخ فـافترش العـلى
وزفت لنـا بيض المكـارم في عـرس
بخفقـة سيـف في كتـاب عقيـدة
جعلنا حطاما هيكل الروم والفرس

وهانحن هذا اليوم أجدر أمة
بأن ترتدي ثوب البطولة كالورس
دعوا يابني قومي خلافا وأقبلوا
على الجمع من غير ارتياب ولالبس
حضارتنا كانت بُعَيْدَ محمد
وكانت خرابا يوم ذبيان أو عبس
ألا ليت شعري ماأقول ومالذي
سنجنيه من حوك القصائد والهجس ؟
وأيامنا حزن وقدس صريخة
لنا تحت وطء اللطم والضرب والدعس
ألا نهضة منكم ألا متوثب
كما وثب الابطال من قومنا أمس
أإسراء خير الخلق يزهر يومه
ومسراه عند المجرمين على حبس ؟
أترتاح قدس المسلمين مغيظة
على فاجر بين الجوانح مندس ؟
حلفت فلم أعُدُ الذي سبح الورى
له واستضاء المشرقان من الحس
لئن بقيت فينا الحياة أعز من
جهاد .. لقد نام التراب على الرأس
واني وان ناحت بنات قريحتي
لمثن على ارثي ومستلهم قنسي
فما غاب « عمار » ولا ضن « خالد »
ومازال « عباس » يطل من الدرس
هم سكبوا المجد الكريم بكأسنا
فذوقوا بني قومي من المجد في الكأس

الرعال : جماعة الخيل
العنس : الابل .
القنس : الاصل
عباس : هنا : ابن عباس ، رضي الله عنهما والعرب تتجاوز في اللقب الابن الى الأب .

دفاع عن موقف الاسلام من

من الشبهات التي يثيرها بعضهم حول موقف الاسلام من الأعمال الزراعية بخاصة ، واليدوية بعامة ، الشبهتان الآتيتان :

الأولى : أن هنالك أحاديث نبوية ، وأقوالا مأثورة عن السلف الصالح ، تحتقر الأعمال الزراعية ، وتحذر المسلمين حيازة الآلات الزراعية ، لأنها نذير بالفقر والذلة .

الثانية : أن الاسلام بدعوته إلى الايمان المطلق بأن الله وحده : (**هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات/٥٨ - وأن الرزق مقسوم ومقدر منذ الأزل لكل مخلوق : (**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**) هود / ٦ : (**وفي السماء رزقكم وما توعدون**) الذاريات/٢٢ : (**وماننزله إلا بقدر معلوم**) الحجر/٢١

فالاسلام بهذه الدعوة - كما زعموا - لا يشجع الناس على السعي وراء الرزق ، والجدِّية في العمل والكفاح ، قدر ما يشجعهم على التواكل على القضاء والقدر ، والاطمئنان التام إلى ضرورة وصول رزقه إليه في مكانه ، وإن قعد عن السعي والعمل ، مصداقا للحديث النبوي القائل : « لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه أحمد والترمذي

الأعمال اليدوية والزراعية

للاستاذ / الغزالي حرب

ودفعا لهاتين الشبهتين عن الاسلام الخالد على الزمان أقول : أشرقت شمس الاسلام ، في سماء الجزيرة العربية ، وهي في مجموعها ظلمات بعضها فوق بعض ، وسادتها وكبراؤها جميعهم ، او معظمهم يحتقرون الأعمال اليدوية بعامة والأعمال الزراعية منها بخاصة ، وما حاجتهم إليها ، وتقاليدهم الموروثة تقصرها على الإماء والعبيد ، وعلى الفقراء والمستضعفين ؟!! فماذا صنع الاسلام في مواجهة هذا التخلف العقلي والعملي الصارخ ؟ لقد أخذ أتباعه بتغيير ما بنفوسهم من رواسب وتقاليد فاسدة ، حتى يغير الله ما بهم ، فإذا هم بعد زمن وجيز ، خلق جديد مجيد ، في النظرة إلى الأعمال اليدوية والزراعية جميعها ، وإذا هم خير أمة أخرجت للناس ، بالعمل والمسارعة إلى العمل والاتقان لهذا العمل السريع والمواظبة على هذا الاتقان حتى اللحظة الأخيرة من الحياة ، وقد أحصى بعض الباحثين المحققين الآيات القرآنية الكريمة ، في الدعوة إلى ذلك أكثر من ستين ومائة آية ، ومنها ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) التوبة/ ١٠٥ (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) الملك / ١٥ (**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**) المزمل/ ٢٠ (**فمن**

يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة /٧و٨ **(وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى)** النجم /٣٩ ـ ٤١ **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)** النحل/ ١٤ **(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** القصص/ ٧٣ ومن الأحاديث النبوية الشريفة المهتدية بهذه الآيات الكريمة ، الأحاديث الآتية ـ وهي غيض من فيض ـ : « ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة ، وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره ، لقي الله ـ تعالى ـ ووجهه كالقمر ليلة البدر » رواه البيهقي « سئل رسول الله عن أفضل الكسب فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أفضل الكسب : بيع مبرور ، وعمل الرجل بيده » رواه أحمد ، بهذا الهدي الاسلامي ، أدب الله رسوله فأحسن تأديبه طوال حياته و(**الله أعلم حيث يجعل رسالته)** الانعام/ ١٢٤ وأدب الرسول أصحابه فأحسن تأديبهم ، نجوما يهتدي بهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، ولا سيما ناحية احترام العمل اليدوي بسلوكهم وأحوالهم قبل أقوالهم » :

فالرسول رعى الغنم والإبل ، ثم عمل في التجارة للسيدة خديجة بنت خويلد ، التي كانت هي الأخرى تاجرة قبل أن يتزوجها الرسول ، الذي لم يأل جهدا في تحبيب العمل اليدوي إلى أصحابه ، مهما يكن هوان هذا العمل الشريف على بعض الناس ، مصداقا للحديث الصحيح القائل : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتي إلى الجبل ، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه البخاري

ومن هنا رأينا أصحاب الرسول جميعا أو معظمهم يزاولون ما أتيح لهم من الأعمال اليدوية الشريفة ، وفي الصدارة منهم الخلفاء الراشدون ولا سيما عمر بن الخطاب ، الذي مارس العمل في السوق بائعا أو مشتريا حتى بعد توليه الخلافة الراشدة ، وما أروع كلماته العمرية المأثورة في الدعوة الحارة إلى العمل ، والتنفير الشديد من البطالة والكسل ، ومن هذه الكلمات الخالدة ما يأتي :

« إن الله يكره الرجل الفارغ من العمل » « لا يقف أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » « لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال »« تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته » ، وقال لرجل ترك عمله الذي كان يرتزق منه ، ثم رحل إلى المدينة ليحارب مع المجاهدين في سبيل الله : « ارجع إلى عملك ، فإن عملك بالحق لجهاد حسن في سبيل الله » « لأن يأتيني الموت ، وأنا أبيع وأشتري خير من أن يأتيني الموت وأنا ساجد لربي »« إن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى منا بمحمد يوم القيامة » سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي .

وكان لدرة عمر دورها في استجابة بعض الكسالى لهذه التوجيهات العمرية ، ولم

يفت السيدة عائشة أم المؤمنين ، أن تدفع المرأة المسلمة إلى العمل المنتج الشريف بقولها ـ مثلا : « المغزل بيد المرأة خير من الرمح في يد المجاهد » وإذا كانت الجزيرة العربية وقت ظهور الاسلام ، وخاصة فيما بين تهامة ونجد ، بعيدة بظروفها وأوضاعها عن التوفر على أعمال الزراعة والفلاحة ـ كما ينبغي ـ فإن الاسلام ـ هو الرحمة المهداة للعالمين ـ لم يفته مطلقا ، أن يهيئ الجو ويمهد السبيل ، ويذكّر بالعوامل والوسائل التي تساعد على إتقان كافة الأعمال الزراعية ، وتنمية الثروة الأرضية من القمح والذرة وغيرهما ، ومن أهم الأساليب التربوية الاسلامية في هذا المجال الزراعي ما يأتي :

أ ـ اسلوب التذكرة النافعة بأن الحرث والزراعة من أجل النعم الربانية ، والآيات الإلهية : (**أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون**) الواقعة/٦٣و٦٤ (**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء**) الانعام/٩٩ (**فأحيا به الأرض بعد موتها**) النحل/٦٥ (**فأخرج به من الثمرات رزقا لكم**) البقرة/٢٢ (**أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون**) السجدة/٢٧ (**ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**) النحل/١١

ب ـ وأسلوب التوجيه التربوي للبصائر والأبصار نحو المزروعات والنباتات ، التي تمثل على اختلافها وتنوعها ، معرضا ربانيا فذاً جديرا بالتأمل فيه مدى الحياة ، والشكر لمبدعه في خشوع وصلاة ، (**وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه**) الانعام/١٤١ ولا معنى لشكر هذه النعم الكبرى ، إلا بالأكل منها حلالا ، والانتفاع بها مجالا ، وإخراج زكاتها حالا ، تطهيرا وتزكية لها كمّاً وكيفاً ، مع التزام الاعتدال ، وتجنب الإسراف ، (**كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الانعام/١٤١

ج ـ وأسلوب التربية العملية للمسلم على تعود الغرس والزرع ، لأن اليد التي تعمل هي اليد العليا ، التي اعتبرها الرسول خيرا من اليد السفلى ، وبشّر صاحبها العامل الشريف ، بالثواب العظيم ، والأجر الكريم ، مصداقا لحديث البخاري وغيره : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » أما اليد التي لا تعمل ، في غرس أو زرع ، فليس لصاحبها أن يمسك أرضه عن انتفاع غيره من العاملين بها في سبيل المصلحة العامة ، روى البخاري وغيره عن جابر بن عبد الله : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها ، فإن أبى فليمسك أرضه » وعلى منوال هذا الحديث الشريف ، جاءت أحاديث أخرى صحيحة

د ـ وأسلوب التخطيط الزراعي السليم ، وتحديد الأنصبة الزراعية العادلة ،

روى البخاري عن قيس بن مسلم عن أبي جعفر : « ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع » .

هـ ـ وأسلوب الاحتياط للطوارىء والأزمات الزراعية ، ولكل زمن أسلوبه الملائم لظروفه وأوضاعه التي تختلف ـ ولا شك ـ عن ظروف وأوضاع عصر يوسف الصديق لنرى كيف كان أسلوب ذلك العصر في الاحتياط ومواجهة الأزمات : (**قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يَعصِرون**) يوسف/٤٧ ـ ٤٩ وبهذه الأساليب الاسلامية ، أخذت الحكومات الراشدة ، ومنها حكومة الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز الذي سجل له التاريخ ـ فيما سجل ـ أنه كان يحذر ولاته وعماله إهمال زراعة الأرض حتى لا تبور ، ومن هؤلاء العمال عدي بن أرطاة ، الذي كتب إليه عمر ما نصه : « انظر ما هو قبلكم (جهتكم) من الأرض فأعطوها بالمزارعة على النصف ، وإلا فعلى الثلث حتى تبلغ العشر ، فإن لم يزرعها أحد فامنحها ، وإلا فأنفق عليها من مال المسلمين ، ولا تُبيرنَّ قبلك (جهتك) أرضا » ، وهكذا لم يكتف الاسلام باعتبار الزراعة والفلاحة من الشئون الشعبية ، وإنما اعتبرها بلسان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز من الشئون الدولية الحكومية ، التي ينبغي بل يجب أن تعنى بها كل حكومة إسلامية تشعر بمسئوليتها أمام الله والتاريخ عن المصلحة العامة للأمة ، وقد كان عمر بن عبد العزيز في هذه السياسة الرشيدة ، متشبعا بالروح الاسلامية الأصيلة ، ومهتديا بجده عمر بن الخطاب الذي كانت له أرضه الزراعية بالمدينة ، وكان له أسلوبه في معاملة الناس عليها ، وإليه أشار البخاري بقوله : « وعامل عمر الناس على أنه إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر ، وإن جاءوا هم بالبذر فلهم كذا .... »

وفي ضوء ما سبق ، يتبين لنا أن الشبهتين المشار إليهما في مطلع هذا المقال، لا تنهضان على قدم وساق : أما الشبهة **الأولى** : فتقول إن هنالك أقوالا منسوبة إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه فضلا عن عمر بن الخطاب والإمام مالك بن أنس ، وهي تنفر من الحرث والزراعة ، وتندد بهما وبأصحابهما ، وقد أورد ابن حزم هذه الأقوال ثم فَنَّدَها على الوجه الآتي :

أ ـ روى أسد بن موسى عن محمد بن راشد عن مكحول : « أن المسلمين زرعوا بالشام ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأمر بإحراقه ، وقد ابيض فأُحرق وأن معاوية تولى حرقه »

ب ـ وروي أسد بن موسى عن شرحبيل بن عبد الرحمن المراري أن عمر بن الخطاب قال لقيس بن عبد الغوث المرادي : « لا آذن لك في الزرع ، إلا أن تقر بالذل وأمحو اسمك من العطاء »

ج ـ وروى أيضا أن عمر كتب إلى أهل الشام : « من زرع واتبع أذناب البقر ، حلت عليه الجزية »

وفي التعقيب على هذه الروايات كلها قال ابن حزم ما نصه : « **هذه الروايات مرسلة أي غير متصلة السند إلى عمر بن الخطاب ، وراويها أسد بن موسى ضعيف أي لا يعتد بحديثه ، ويعيذ الله أمير المؤمنين من أن يحرق أرض المسلمين ، ويفسد أموالهم ، ومن أن يضرب الجزية على المسلمين** »

وكما نسبوا إلى عمر بن الخطاب هذه الأقوال نسبوا إلى الإمام مالك بن أنس أنه كان يكره الزراعة في أرض العرب محتجا بحديث رواه البخاري تحت عنوان « باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به » : عن أبي أمامة الباهلي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى سكة (حديدة تحرث بها الأرض) ، وشيئا من آلة الحرث ، فقال مشيرا إليهما :«لا يدخل هذا بيت قوم إلا دخله الذل » وفي رواية أبي نعيم :«لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخلوا على أنفسهم ذلا لا يخرج عنهم إلى يوم القيامة »

وعلى التسليم جدلا بصحة هذا الحديث الذي رواه البخاري ينبغي بل يجب فهمه على أنه إنذار بالذل للقاعدين أو المتقاعدين عن الانتفاع بآلات الحرث والزراعة . دون غيرهم من العاملين الذين يؤمنون أصدق الإيمان ، بمباركة الاسلام للأعمال اليدوية والزراعية على اختلافها .

وأما الشبهة **الثانية** : فتقول : إن الاسلام لا يشجع الناس على السعي وراء الرزق ، اعتمادا على أن الرزق مقسوم ومقدر لكل إنسان ، وسيأتيه في مكانه وإن لم يعمل كما يرزق الله الطير المتوكلة على الله حيث تغدو خماصا ، وتروح بطانا ، وخير ما يساعدنا على جلاء هذه الشبهة ، إعادة النظر فيما مَرَّ بنا من آيات وأحاديث ، تؤكد هي وغيرها دائما أن الاسلام دين **التوكل** لا دين **التواكل** ، وعماد التوكل على الله الأخذ بالأسباب والوسائل المعينة على العمل المنتج الذي دعانا إليه القرآن بقوله : (**وقل اعملوا**) كما دعانا إليه حديث الطير المتوكلة التي وصفها الرسول بأنها تغدو وتروح » ولم يصفها مثلا بالبقاء في أعشاشها دون ما غدو أو رواح ..

وكما دعانا الاسلام إلى العمل دعانا إلى المسارعة إليه ودعانا إلى إتقان هذا العمل السريع بقوله تعالى : (**إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**) الكهف / ٣٠ وقول الرسول ـ كما روى البيهقي وغيره : « إن الله يحب من عبده إذا عمل عملا أن يتقنه » ، ودعانا كذلك إلى المواظبة على هذا الاتقان للعمل السريع المحكم بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلَّ » رواه البخاري ومسلم .

واذا كان هنالك قصور أو تقصير ، فالذنب ذنب المسلمين لا ذنب الاسلام ، ورحم الله أحمد شوقي :

من عادة الاسلام يرفع عاملا ... ويسود المقدام والفعّالا

ظلمته ألسنة تعايره بكم ... وظلمتموه مفرطين كسالى !!

الحاجة للتاريخ

إن مصادر التاريخ الاسلامي في حاجة ماسة الي التمحيص ، لأن أخبارها جمعت في فترات الفتن والخلافات السياسية والمذهبية حتى استغل أعداء الاسلام من اليهود والمشركين هذه الفتن فاختلقوا الروايات التي تظهر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمظهر الذين باعوا دينهم وأنفسهم من أجل المال وزينة الحياة الدنيا الأمر الذي يثير التناقض بين هذه الروايات المفترض أنها تمثل الواقع ، وبين ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية عن صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فقد وصف الله هؤلاء الصحابة بقوله تعالى (**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) الحشر ٧ ـ ٩ فكيف يقطع القرآن بصدق هؤلاء وتجردهم ثم نتبع من يكذب هذا الوصف ؟

قال الله فيهم (**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا**)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (خير أمتي قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) كما قال (لا تسبوا

إلى منهج الإسلامي

للأستاذ / سالم البهنساوي

أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) رواهما الأربعة . التاج جـ ٣ ص ٣٠٤ ،٣٠٦ .

وقال الحافظ أبو بكر بن الخطيب البغدادي(لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما جاء في القرآن والسنة لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين القطع في عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم) العواصم من القواصم ص ٣٤ .

إن المسلم لا يمكنه التسليم بهذه المهازل عن رجال الصدر الأول للاسلام الذين نقلوا الينا القرآن الكريم وسنة النبي صلي الله عليه وسلم وجاهدوا بالمال والنفس لنصرة الاسلام .

ولقد أراد الله حفظ دينه بحفظ سنة نبيه عن طريق رجال من أشد الناس إخلاصا لدين الله وحبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فعكفوا على الأحاديث النبوية يستبعدون ما شابها من دس واختلاق ويتعقبون الكاذبين من الرواة بالبحث والتحري حتى

استأصلوا شأفة الوضع والوضاعين . كما وضعوا مناهج فريدة للبحث والتحري عن الرواة وتمييز الصحيح من الضعيف من الاحاديث . فظهر الجرح والتعديل ؟ حتى أصبح المجتهد والباحث في الفقه الاسلامي وأصول الدين يجد بين يديه ثمرة طيبة دانية القطوف أصلها ثابت وفرعها في السماء .

إن مناهج علوم الحديث والفقه والأصول توجب ألا يقبل الخبر إلا إذا رواه العدل الضابط عن مثله فيصل السند من غير شذوذ ولا علة ، وهذه المناهج تتحدى أرقى ما وصلت إليه مناهج البحث الحديثة في الدنيا كلها حتى يومنا هذا حيث انفرد المسلمون بالاسناد .

ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لكتابة التاريخ أو تصنيفه . فقد زاول المؤرخون كتابة التاريخ الاسلامي بأن جمعوا في مصنفاتهم كل ما سمعوه أو قرؤوه . فانضم الى هذا الكذابون والقصاص وأهل الأهواء والمذاهب السياسية ، وأصبح التاريخ الاسلامي وعاء لكل أنواع الأخبار الصحيحة والباطلة .

لهذا فإن مصادر التاريخ الاسلامي بحالتها لا تعبر تعبيرا حقا عن الأحداث . ومما زاد الطين بلة أن الكتاب في تاريخ الاسلام . مخلصهم ومغرضهم أقبلوا على هذه المصادر يأخذون كل ما فيها دون أن يكون هناك منهاج يسير الباحث على ضوئه ليميز الخبيث من الطيب ويهتدي سواء الصراط .

ثم ظلت عصور التاريخ الاسلامي الأخرى مرتعا خصيبا للدس والوضع والتجني والجهل بالاسلام فاستمسك بها أعداء الاسلام وأهل الملل الأخرى يأخذون منها نصالا مسمومة لتشويه تاريخ الاسلام والمسلمين .

ولكن لم يخل الأمر من ومضات أزالت بعض الشبهات ، وردت بعض المفتريات ولكنها كانت متفرقة لم تجمع في شكل بحث محدد أو منهج واضح .

لهذا فالمسئولية الملقاة على عاتق علماء المسلمين اليوم هي جمع أخبار التاريخ الاسلامي وتصنيفها وتحقيقها وتهذيبها في ضوء منهج لا يتعارض مع أصول الدعوة الاسلامية .

لقد وقع التاريخ الاسلامي ضحية مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على أصول الاسلاموإلباس الباطل ثوب الحق ، والطعن في رجال الاسلام وقادته ، وإضعاف عقائد المسلمين لاثبات أن الاسلام كان قولا لا عملا وأن المسلمين لم يثبتوا على دينهم إلا فترات قليلة من تاريخهم الأول ، ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة الأهواء كغيرهم من أصحاب الملل والنحل .

إن هذا الافتراء لا يستعصي على الرد أو التفنيد لو عكف المسلمون على التحقيق الجدي المثمر لأخبار تاريخهم بلا ملل .

إن المؤامرات على الاسلام وتاريخه ، لم تقتصر على أعمال بعض الأوربيين وعلى تقليد بعض العرب للفلسفة الأوربية ، بل امتدت الى تغيير

بعض أحداث التاريخ الاسلامي لتلائم الفلسفة الأوربية ، ثم امتدت المؤامرات الى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير المذهب الماركسي في تفسيره المادي للتاريخ ، وكان الرواد الأوائل من ذلك بعض صبيان الرأسمالية الغربية ثم أتباع الماركسية من الأعراب أو بعض من تحولوا من الفكر العلماني الى الاسلامي بكتابات أسهمت في بعض الأخطاء نقلا عن مناهج بعض المؤرخين الذين دونوا التاريخ الاسلامي أو كتبوا عنه .

مؤثرات في تدوين التاريخ الاسلامي

ترجع هذه المؤثرات الى عاملين : أحدهما استخدام العقل في غير موضعه ، والآخر ملابسات تدوين التاريخ الاسلامي .

استخدام العقل في غير موضعه ، لقد احترم الاسلام العقل ، وأمر المخالفين أن يستخدموا عقولهم للتعرف على الحق . قال الله تعالى(**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون**) البقرة/٢٤٢ .

وسجل الله تعالى على المخالفين عدم استخدام عقولهم . فقال تعالى : (**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**) الملك/ ١٠

والاسلام قد وضع العقل في مكانه الصحيح ، لأن العقل يستمد حكمه من خلال الحواس الخمسة ، فلا يعرف الأبيض من الأسود إلا عن طريق حاسة البصر .

وبالتالي فالمجال الذي ينفرد فيه العقل بالحكم على الأشياء هو ما خضع لنطاق هذه الحواس . وأما الأمور غير المادية التي لا تخضع بذاتها لنطاق هذه الحواس ، فسبيل العقل فيها هو الآثار المادية التي تدل عليها ، فتعرف النجوم والكواكب التي لا ترى **بالمناظير المكبرة** عن طريق الضوء الصادر عن هذه الكواكب ، ولهذا أرشدنا الله تعالى الى هذه الوسيلة في قوله تعالى : (**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة / ١٦٤ .

إن استخدام الانسان عقله في غير موضعه نشأ عنه صراعات وخلافات دفعت البشرية ثمنها ، ومازالت تجني آثار الصراع بين أصحاب المذاهب السياسية والاجتماعية على مر السنين .

ونتيجة لذلك ظهر ما يسمي بالمذهب الفرديوالمذهب الجماعي . وأصحاب هذه المذاهب قد تجاوزوا حدود الفكر الذي **بنيت عليه فلسفتهم** ، فابتدعت كل طائفة تفسيرا لأحداث التاريخ الإنساني يؤيد فلسفتها كالفلسفة الأوربية والفلسفة المادية

كما وضعت كل فرقةمناهج للنفس

البشرية ، مع أن هذه النفس لا تخضع للتجارب المادية ، وبالتالى فالمناهج التي تبنتها كل فرقة ليست علما بالمعنى الصحيح ، فلم تبن على نتائج محددة لتجارب علمية ، ومن ثم اختلفت هذه المناهج اختلافا شاسعا حيث بنيت على الظن والتسليم بصحة المذهب الاجتماعي الذي انبثقت عنه . لقد ظهر ذلك في الفلسفة التاريخية الأوربية وفي منهاجها ومؤثراتها كأثر لحرمان الانسان من حرية التفكير ولحرق المئات من العلماء والمفكرين بدعوى أن هذا العلم في نظر الفكر الديني الأوربي السائد في القرون الوسطى هو سحر وهرطقة .

ومن المحزن المبكي أن المجتمعات العربية والاسلامية قد سادها أقوام ظلوا أتباعا للغرب ومذاهبه حتى انضموا إليه في اسقاط الخلافة الاسلامية ومحاربتها . لأن بريطانيا في زعمهم ستقيم لهم خلافة إسلامية عربية قرشية هاشمية . مما كان له بالغ الأثر في المنطقة العربية والاسلامية .

كما تجاسر أفراد للعمل على إخضاع الاسلام وقيمه للفكر الماركسي فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو مؤسس اليسار ومشرع مبادئه ، وأن أصحابه كانوا موزعين بين اليمين واليسار ولقد كان لهذه الفلسفات بشطريها أثر في فكر بعض المسلمين الذين يعلمون ظاهرا من علوم الدنيا وهم عن الاسلام غافلون .

فظهر الصراع بين أهل العقل وأهل النص ، وظهر ما يسمي باليمين الاسلامي واليسار الاسلامي .

وحاول كل طرف أن يؤيد مذهبه وفكره بتفسير خاطىء للقرآن والسنة النبوية وتحريف صريح لمواقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم

ملابسات تدوين التاريخ الاسلامي

إن هذه المغالطات التي استخدمها خصوم الاسلام في نطاق السيرة والتاريخ قد ساعدت عليها ملابسات ترتبط بتدوين التاريخ الاسلامي أهمها :

أولا : تأخر تدوين التاريخ الاسلامي

إن السنة النبوية قد دون بعضها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ثم دونت كلها في عصر التابعين الذين أخذوا عن الصحابة وكان ذلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ولكن أحداث التاريخ الاسلامي لم تدون إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة بعد أن ظهرت الفرق السياسية والفلسفات المعادية وروجوا الاخبار والروايات التي تخدم مذاهبهم ومنها الوثنية والمجوسية والمزدكية .

ثانيا عدم تحقيق الروايات

إن الذين دونوا هذا التاريخ كان كل همهم جمع الروايات والاخبار التي تصل الى علمهم وتدوينها كما هي بغير

تمحيص ولا تحقيق لسببين : ـ
الأول : أنه قد نشأ علم الجرح والتعديل الذي كان المقياس لقبول الرواية أو ردها فكان معلوما أن هذه الروايات لن تؤخذ قضايا مسلمة بل ستخضع للتمحيص والتحقيق العلمي .
الثاني : سارع المؤرخون الى تدوين جميع الروايات الصحيح منها والسقيم قبل أن يحول الموت بينهم وبين جمع الأخبار ، وكان عذرهم أنهم يذكرون أسماء رواة الأخبار ليكونوا محل بحث وتمحيص .

ولكن لم يحصل اهتمام بتحقيق هذه الروايات بالميزان الذي محصت به روايات السنة النبوية لأن هذه الروايات تمثل عند هذا العصر أخبارا لا تتصل بالحلال والحرام .

ولقد استفاد خصوم الاسلام من عدم تحقيق هذه الروايات فنقلوها كما هي ونسبوها الى المؤرخين ليضفوا عليها الثقة وهي من الأكاذيب فمثلا ينقل الطبري عن أبي مخنف خبرا عن التحكيم ثم ينقله عنه ابن مسكون ؟ وكذا ابن الأثير ثم ابن كثير وابن خلدون ويخيل للقارىء أن الخبر قد رواه خمسة من الرواة وورد في ستة مصادر تاريخية وهو في الحقيقة قد رواه شخص واحد هو أبو مخنف الأزدي ، ومصدر واحد هو الطبري ، وهذا المصدر قد نبه صاحبه أنه نقل ما سمع من صحيح وسقيم للأمانة العلمية وأن ما ورد من روايات فيها شناعة فليس مسئولا عنها ولا يوثقها إنما نقل ما نقل إليه ليخضع للتمحيص والتحقيق .

كما قد يخيل الى القاريء أن الراوي أبا مخنف الأزدي هو الصحابي الجليل مخنف بن سليم بن الحارث الأزدي الذي كان أميرا على أصبهان من قبل الامام علي رضي الله عنه وقد روى له أصحاب السنن الأربعة ولكن بالبحث الدقيق والعميق يتضح غير ذلك ، فأبو مخنف الأزدي يروي عن التابعين فهو ليس من طبقة الصحابة وأسمه لوط بن يحيى ويكنى (أبو مخنف الأزدي) وهو حفيد الصحابي الجليل سالف الذكر ، وهذا الحفيد أغفله المؤرخون وعلماء الرجال فلم يرد اسمه ضمن الرواة الثقات أو الضعفاء فلا يجوز والحال هذه توثيق روايته .

ثالثا : تسرب فكر أعداء الاسلام

لقد استطاع خصوم الاسلام أن يروجوا الروايات المصطنعة للنيل من الاسلام ورجاله ، ولم يشعر المسلمون بهذا الخطر .

فمثلا، يلفق هؤلاء روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمر والنساء وروج ذلك جورج زيدان في رواياته التاريخية حتى أصبح اسم هارون الرشيد مقترنا بالمجون والخمر والنساء على الرغم من أن ابن خلدون في مقدمته قد نبه الى ذلك بقوله (ما علمنا عليه من صحبة سوء فقد قام بمنصب الخلافة من الدين والعدالة وبما كان عليه من صحبة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن

السماك ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم وما كان عليه من المحافظة على أوقات الصلوات بل روى الطبري وغيره أنه كان يصلي من كل يوم مائة ركعة نافلة ويغزو عاما ويحج عاما .

ويؤكد الامام الطبري أنه روى أخباراً شنيعة لا تقبل وذلك أداء للامانة نقلا عن غيره فيقول (فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماجنين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها صحيحا ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وإنما أوتي من بعض ناقليه الينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا) .

وفي ذلك يقول ابن خلدون (وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالطات في حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط) .

رابعا : الاعتماد على كتب الأدب :

لقد ألف الأدباء المعاجم والكتب خلال العصر العباسي ، وذلك لينالوا العطاء من الأمراء واتخذوا من الخلافات الأخبار المتناقضة سبيلا لتسلية الناس .

ولهذا اخترعوا القصص والروايات لتكون مادتهم في التسلية فأساءوا الى أهل الفضل والتقوى من علماء المسلمين ، فمثلا تضمن كتاب البيان والتبيين للجاحظ كثيرا من الخطب المنسوبة إلى الامام علي والى معاوية وفيها من التجريح وبذاءة اللسان ما يعف عنها السفهاء بله كبار الصحابة .

كما نجد في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه قصصا عن الخلفاء والأمراء والوزراء فيها من التناقض ما لا يصدقه العقل ، وفعل مثل ذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ، وهذه الكتب وغيرها من الكتب الأدبية غير المحققة لا تعد مصدرا للأخبار ولكن للأسف الشديد ينقل منها من يكتبون عن التاريخ الاسلامي ومنهم أساتذة في الجامعات العربية والاسلامية .

ولا يوجد عذر يحول بين هؤلاء وبين تحقيق الروايات وتمحيصها واستبعاد الروايات الباطلة والسقيمة .

خامسا : أخطاء بعض الفرق

كان من عوامل تحريف بعض أحداث التاريخ الاسلامي ظهور الاختلاف بين المسلمين وقد كانوا صفا واحدا ثم محاولة بعض الفرق اختلاق روايات تؤيد مذهبها وتحريف بعض المواقف وتفسير خاطىء لبعض نصوص القرآن والسنة مما ساهم في وجود مورد عذب لخصوم الاسلام لمحاولة تطويعه لخدمة منهاجهم يمينا أو يسارا .

مِن وحي الإسراء

بقلم : د/زيان احمد الحاج ابراهيم

الحمدلله محيينا من العَدَم حمدا جرى في عروقي كلها ودمي
حمدا كثيرا تعالى أن يحيط به حصر من العد أو وصف من الكَلِمِ
صلى الإله على الهادي وعترته وكل من لم يحِدْ عن نهج ذى الكرم
نعوذ بالله من آثام أنفسنا ومن جميع بذور الشك والتهم
ونشكر الله في سر وفي علن فمن يبادر لشكر الله يغتنم
فالحب في الله موصول بلا طرف ومن يحب لغير الله ينفصم

ooo

وقفتُ بالأمس والأحزان تعصِرني من نزف جرح أراه غير ملتئم
فظلتُ أكتم آلاما تساورني أبثها سرّ قرطاسي وفي قلمي
فنبضة القلب قيثاري بلا وتر ودمعة الحزن أشعاري بلا نغم

ooo

إني لأُطْرِقُ رأسي كلما خطرت ذكرى الرسول النقي الطاهر العلم
ذاك السراج الذي قد كان مبعثه نورا يشعُّ لخلق الله كلِّهم
جاء الأمين إلى قوم ليخرجهم بإذ ن ربهمُ من حالك الظُّلم
يقودهم حيث نور الحق يرشدهم ويخرجونَ من الأدغال والأجم
فناصبوه عداء بئس ما فعلوا والنفس أمارة بالسوء والتهم
وحاولوا حجب نور الشمس في يدهم ومجدوا راية الطاغوت والصنم

ooo

اقام دولته بالعدل وارتفعت ... راياتها ، إذ لغير الله لم تقم
ثم انبرى وسيوف الحق تكنُفُه ... يُحيي ويبعث أقواما من الرمم
حتى تقهقر جيش الشرك مندحرا ... ورفرفت راية الاسلام في القمم
وزلزلت كل بنيان يقوم على ... قواعد الشرك والإخلال بالنظم
وخيم الأمن في نجد وفي حزن ... ولم يعد يفرَقُ الراعي على البُهم

ooo

وهب من بعده يعلو برايته ... غُرٌ ميامين من عُرْبٍ ومن عجم
فدوّخوا الشرق حتى لان في يدهم ... واقبل الغرب في ذل وفي سقم
تلقفتها أياد بيض طاهرة ... تهوى الجهاد فسل عن سيف معتصم
أجاب صوتا لأخت قد دعاه على ... بعد المسافة لم يُغمِض ولم يَنم
وان نسينا صلاح الدين تذكره ... تلك الربوعُ من الإسراء والحرم
إذ قد أعاد الى الاسلام عزته ... فما أقام على خسْفٍ ولم يُسَم

ooo

كنا ، وكانت عرى الاسلام تجمعنا ... كالطود نشمخ والأعداءُ كالقزَم
كنا إذا شاكت الإسلام شائكة ... في أي شبر أحسَّ القومُ بالألم
كنا اذا ما اشتكى عضو تبيت له ... من حرقة سائر الأعضاء ، لم تنم
كنا إذا أنَّ في الأهرام منتصف ... لبى له الشام في جرّاره العرم
وان دعا في ثرى الزوراء مصطرخ ... أجابه في ذُرا أوراسَ ذوهمم

ooo

لكن توالت على آثارهم شيع ... فأهملوا الدينَ في ركن من العدم
فسلط الله شذاذ الشعوب على ... خير البرية ، إذ هم أجبن النعم
فسيم قومي تنكيلا وتفرقة ... وأوقع الله فينا أبشع النقم
وطوّحت من سماء المجد رايتنا ... فاليوم أمتنا منكوسة العلم
واليوم نشهد أوصالا ممزقة ... جسما أشلّ ، صريع الداء والسّقم
واليوم أصبح مسرانا وقبلتنا ... أسيرَ قبضة أمشاج من الأمم
يدعو رجالا فلا تصغى لصرخته ... فالقلب في عمه ، والأذن في صمم

ooo

ياقوم هذى ديار المسلمين غدت ، كما ترون بحق ، ملعبَ القدم
ونحن صرنا لدى أقدامهم كرة وتحت رحمة مافون ومنتقم
اما ترون بانا آمة هزلت وخرَّبنيانُها ساقا على قدم
وأن شوكتها من كسبها ذهبت واصبحت - لَهَفي - اضحوكة الامم
وأن عزّتها العظمى قد اندثرت وأنها اليوم قطعان من الغنم
فالمسلمون بكل الأرض جرحُهم نزّافُ حزنٍ كما هطالة الديم

ooo

أقول قولة حق ليس ينكرها قومي ، تسير كوشك البرق في الظلم
لا الشرق ينفعنا ، لا الغرب يسمعنا الدين يرفعنا في قمة القمم
ما لم تقم راية التوحيد شامخة ستنطوي صفحة الإسراء في العدم
وتصبح القدس مسرى النور أندلساً أخرى ، تضيع مع الأجيال والقِدم

ooo

فحكِّموا الشرع في قول وفي عمل وقوّموا النشءَ بالإسلام يستقم
ووحدوا الصف بالإيمان تنتصروا وضمدوا الجرح بالتوحيد يلتئم
ورددوا صيحة بالله تربطكم « الله أكبر » جيش بالغُ العِظَم
فالنصر حق ورب العرش يمنحه لامتي ان بحبل الله تعتصم

ooo

رباه أدعوك ملتاعا ومبتهلا بأن تجدد فينا ميت الهمم
وردَّ يارب اقواما لقد غفلت رداً جميلا الى الاسلام ذي النعم
واجمع على الحق والإيمان قادتها ومن تأسى بخير الرسل والأمم

ooo

فنحن يارب خطاءون أجمعنا وأنت أوسع غفار ومعتصم
فلو بذلنا كنوز الأرض قاطبة والله ما ألّفت قربى ذوي رَحِم
لكنّ قضاؤك يمضي نافذاً أبداً فأصلح البين وارأب كل منفصم
وتمم الفضل والطف ياكريم بنا كما بدأت ، فأحسن خير مختتم

مائدة القارئ

جزاء المهاجرين

قال تعالى : « والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتِلوا أو ماتُوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً وإن الله لهو خير الرازقين . ليدخلنَّهم مُدخلا يرضونه وإن الله لعَلِيم حليم » الآيتان ٥٨ و ٥٩ من سورة الحج

الصلاة

قال أحد العلماء : الصلاة معراج العارفين ، ووسيلة المذنبين ، وبستان الزاهدين .

حاجتنا إلى العلم

قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : تعلموا العلم فإنه زين للغني ، وعون للفقير ، لا أقول إنه يطلب به ، ولكنه يدعو إلى القناعة .

القدس

إليها كان إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها كان معراجه ، وفيها ثالث الحرمين .. وقد تعرضت على مر التاريخ لموجات من أهل الكفر والباطل ، حتى هيأ الله سبحانه للأمة الاسلامية صلاح الدين الأيوبي قائدا ، فحرض المسلمين على القتال ، وانقض بهم على جنود الصليبيين ، فاستنقذ بيت المقدس في سنة ١١٨٧ م ، وخرج الصليبيون يجرون أذيال الخيبة بعد أن استولوا عليه نحو قرنين من الزمان .
فما أحوجنا إلى البطل المسلم ليعيد مجد الاسلام والمسلمين من جديد !!

الصبر والقناعة ومحاربة الغلاء

يقول الشاعر :

إني رأيت الصبر خير معوّلٍ ... في النائبات لمن أراد معوّلا
ورأيت أسباب القناعة أكذبَ ... بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا
وإذا غلا شيء عليَّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

تفاحة القلب

دخل عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - فوجده يداعب ابنته عائشة ، فقال عمرو : من هذه ؟

فقال معاوية : هذه تفاحة القلب .

قال عمرو : انبذها عنك ، فو الله إنهن ليلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغناء .

قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فو الله ما مرّضَ المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع خاله .

هُدِيتَ وهدية أمتك

رغم المعاناة ، والمآسي التي يعيشها عالمنا الاسلامي المعاصر ، فإن أملنا في الأمة الاسلامية عظيم ، فقد ورد في الحديث عن الإسراء والمعراج ، وبعد أن صلى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعدد من الأنبياء في بيت المقدس أنه عرض عليه ثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فسمعت قائلا يقول حين عرضت عليّ : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هُدى وهُديت أمته .

قال : فأخذت إناء اللبن فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُديت وهُديت أمتك يا محمد .

« من سيرة ابن هشام »

الجهل

يقول أحمد شوقي :

وفي الجهّال لا تضع الرجاء   كوضع الشمس في الوحل الضياء
يضيع شعاعها فيه هباء   وكان الجهل ممقوتا ذميما

جولة في كتاب

حديث

قبل ان نقلب صفحات الكتاب ، لابد من إشارة سريعة الى الآثار العميقة التي احدثتها الحضارة الأوروبية في فكر العالم الاسلامي وعقيدته ، وفي طرائق عيشه واسلوب حياته ، فمما لا شك فيه ان نهضة اوروبا واستيلاءها فكريا وسياسيا واقتصاديا على العالم المعاصر ، كانت حادثا كبيرا ، باغت العالم الاسلامي الذي لم يكن قد أعد نفسه لمواجهة هذا الواقع المفاجىء ، فلم يعر هذه العاصفة الفكرية الشديدة التي هبت عليه عناية وانتباها ، حتى اذا هجمت عليه وجاست دياره وجد نفسه بين مواقف ثلاثة :

الأول : موقف مستسلم خاضع ، ومقلد أعمى ، اصحابه كانوا ذوى فكر محدود ، وقدرة ضئيلة على المواجهة ، إذ ما لبثت الحضارة الغربية أن بهرت أبصارهم ، وشلت مراكز التفكير في أدمغتهم ، فكانت النتيجة هذا الايمان الشديد بتقدم الحضارة الغربية في المجال العلمي أيا كانت اشكاله واتجاهاته ، وبقيمها الثقافية وبمذاهبها السياسية والاجتماعية ، متنكرين في ذات الوقت لقيم مجتمعهم وعقيدته ناعين عليه فقره وجهالته .

الثاني : موقف حانق ثائر لم ير أصحابه في الحضارة الغربية الوافدة الا شرا مستطيرا ، تجب محاربته والتصدي لأخطاره ، فتركزت معظم جهودهم في محاربته سياسيا وعسكريا ، دونما محاولة جادة منهم للتعرف على جوانب القوة والضعف في بنيانها . لقد رأوا في أصحاب هذه الحضارة محتلين لأرضهم غاصبين لأموالهم ، أكثر من أن يروا فيهم

مع الغرب

تأليف العالم الاسلامي الهندي : أبو الحسن الندوي

عرض وتقديم شحادة مطر

محتلين لمعتقداتهم غاصبين لتراثهم ، فكانت النتيجة أن وجد الغرب سبيله الى الاحتلال الفكري والى بث سمومه ونشر معتقداته في العالم الاسلامي .

أما الموقف الثالث ، فموقف متأمل دارس ، أصحابه لا ينكرون الحضارة الغربية برمتها ، ولا يخلطون بين القيم والمبادىء التي جاء بها الأوروبيون وما حققوه من تقدم مادي علمي ، لأن التقدم الأخير شركة بين الأمم كلها ، لا تحتكره أمة دون أخرى . وهكذا فاذا كان أصحاب هذا الاتجاه قد حاربوا بشدة الروح المادية الجشعة التي تسربت الى كيان الحضارة الغربية وجرت منه مجرى الروح والدم ، فإنهم في ذات الوقت يحمدون لها تقدمها العلمي وبراعتها في شؤون التنظيم والادارة ، وهما الأمران اللذان يقفان وراء ما ينعم به أهلها من قوة وتقدم .

ويذهب هؤلاء إلى أبعد من ذلك فيقرون صراحة أن هناك مواطن نضج في هذه الحضارة لا يمكن أن تخطئها النظرة الموضوعية المتجردة وواضح أن موقفا كهذا يتسم أصحابه بكثير من النضج والعقلانية لابد وأن يكونوا على قلتهم أقدر على النقد والاختيار ،

وبالتالي أفعل في مد جسور التفاهم والالتقاء بين الشرق والغرب .

وكتاب « **حديث مع الغرب** » موضوع حديثنا يصور موقف هذه الفئة الثالثة في قوة وصراحة . ويقدم **ابو الحسن الندوي** فيه لرجال الدعوة وقادة الفكر الاسلوب القويم في مخاطبة الغرب ، أسلوبا ليس فيه ضعف المستسلم المتخاذل ، ولا سلبية الرافض الجاهل ، وهو من ناحية ثانية لا يكتفي بهذا القدر من الدعوة ، وإنما يوجه حديثه إلى الأوروبيين ، ويلفت انتباههم إلى ما هم فيه من أنانية ومادية جشعة ، سدت عليهم منافذ النور ، وباعدت بينهم وبين قبول الحق .

وهو لا ينسى أيضا أن يوجه حديثه إلى الشباب المسلم خاصة المغترب منه ، محذرا إياه أن يقع تحت تأثير حضارة الغرب فيفقد القدرة على النقد والاختيار ، ويدعوه إلى أن يقف منها موقف المتفحص المدقق ، فلا يأخذ إلا ما لا يتعارض مع مقومات أصالته وشخصيته الاسلامية .

والكتاب بعد ذلك مجموعة من المحاضرات التي كان العالم المسلم **أبو الحسن الندوي** قد ألقاها في بعض الجامعات الأوروبية والمراكز الاسلامية في لندن وبرلين وجينيف ، وغيرها من المدن الأوروبية تولى جمعها ، وترجم بعضها إلى العربية الأستاذ علم الله الحسني .

يتصدر الكتاب محاضرة بعنوان « رسالة الانسانية للشرق والغرب » يستهلها ابو الحسن الندوي بالاشارة الى الآثار الخطيرة الناجمة عن مقولة الشاعر الانجليزي « كيبلنغ » الشهيرة في بداية هذا القرن « الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان » فعلى الرغم من أن هذه المقولة لها جذورها التاريخية العميقة في نفوس كل من الشرقيين والغربيين لقرون طويلة ، كان يسودها في معظم الأحوال الحروب ، وما يستتبعها من كراهية وشك وحذر ، الأمر الذي جعل كليهما لا يعرف الآخر الا معرفة ضئيلة سطحية ، خاصة معرفة الغرب بالشرق الاسلامي ، نقول على الرغم من ذلك كله ، فاننا لا نعرف مقولة جنت على الانسانية ووحدتها ومناهج فكرها مثل ما جنت هذه المقولة ، لأنها تعمل كما يعتقد الندوى على ترسيخ فكرة توزيع الأسرة الانسانية الواحدة إلى اسرتين إحداهما غربية والأخرى شرقية .

ويعرض الندوي بايجاز لبعض الوقائع التاريخية الكبرى ، التي كان من المأمول أن تنتج آثارها الحميدة في تقريب الشرق إلى الغرب ، وفي تضييق الفجوة الكبيرة التي تفصل بينهما ، فكان أول تعارف الغرب بالشرق من قريب في الحروب الصليبية ، وإذا كانت هذه الحروب ، كما هو مقرر في تاريخ الحضارة ، لم تخل من فائدة ، إلا أنها نظرا للظروف والملابسات التي حكمتها لم تستطع أن تكون عاملا إيجابيا في التقريب بين الطرفين بل ساعدت في توسيع وتعميق الفجوة بينهما .

وكان أول تعارف الشرق بالغرب

من قريب يوم أن مد الغرب يده الحديدية القوية مدفوعا بمصالحه الاقتصادية والسياسية الى الشرق ، وبسط سلطانه على أقطاره وزحف إليه بحضارته وعلومه وأساليب حكمه ويذكر الندوي الأسباب التي اعتقد أنها قد حالت بين الشرق و الافادة مما برع فيه الغرب وتفوق وبالتالي بين تقاربهما المنشود .

بالاضافة إلى قوة الصدمة التي أفقدت الشرق توازنه وشلت تفكيره أمدا طويلا ، يذكر القيم المادية للحضارة الغربية التي تتعارض في العديد من جوانبها مع روحانية الشرق ومثاليته ، والشعور الزائد بالسيادة وكرم العنصر الذي اتسم به المستعمرون ،والأعمال التي كانوا يرتكبونها مما لا يتفق مع ابسط قواعد السلوك الانساني ، ومما يتناف مع روح الديمقراطية الغربية التي دافع عنها الأوروبيون أنفسهم في بلادهم دفاعا مجيدا .

بعد ذلك يعرض ابو الحسن الندوي للدور الذي لعبته حركة الاستشراق فهو مع تسليمه بما لها من مآثر كثيرة وأفضال مشهودة ، إلا أنه يعتقد أنها لم تكن في مجملها بعيدة عن الشبهات ، لذلك لم تستطع أن تقدم صورة واضحة صادقة عن الشرق خاصة فيما يتصل بالدين الاسلامي ، بل هناك شعور واضح لدى معظم المسلمين بأن رباطا ما كان يجمع بين حركة الاستعمار وحركة الاستشراق فضلا عن الروح الدينية الضيقة التي كانت وراء نشاط كثير من المستشرقين .

ويلخص الأسباب التي باعدت الشرق والغرب بعضهما عن بعض في سبب رئيسي يرد اليه كل اختلاف وانشقاق بينهما ، الا وهو اختلاف المجال الطبيعي الذي استأثر باهتمام كل منهما ، فاذا كان الشرق قد اتجه باهتمامه منذ القدم الى الانسان في ذاته من حيث بنائه واعداده لحمل الأمانة التي تعهد بحملها ، وهي خلافة الله تعالى في أرضه الأمر الذي جعله على اتصال قوي ودائم بالسماء ، فإن الغرب ولظروف تاريخية يطول شرحها كانت قد ضعفت صلته بالسماء بعدما فقد ثقته بالدين والأديان وهو ما قوى عنده الاتجاهات والنوازع المادية ، واتجهت عنايته لا إلى الانسان وإنما إلى بيئته ومحيطه ، إلى الطبيعة وعلومها ، واستطاع أن يحقق في هذا الميدان إنجازات عظيمة لم تشهد لها البشرية مثيلا ، وهكذا فشقاء الانسانية كما يعتقد أبو الحسن الندوي هو في انفصال الشرق عن الغرب،في انفصال العلم عن الايمان ، فالايمان مايزال ينتظر مرافقة العلم ، والعلم لا يزال ينتظر مراقبة الايمان ، والانسانية لا تزال تنتظر التقاءهما وتعاونهما لبناء مجتمع انساني جديد .

وفي محاضرة اخرى القيت بجامعة برلين ، تحدث ابو الحسن الندوي الى الشعب الألماني ، فأشاد بما اتسم به من جدية وكفاح ، وبالانجازات الفكرية والعلمية العظيمة التي حققها مفكروه وعلماؤه . إن الشعب الألماني

كان مهيئا بما حباه الله من امكانات مادية ومعنوية للثورة على أسس الحضارة الغربية المادية ، هذه الأسس التي حولت الانسان إلى مارد غوى وآلة صماء ، لا روح لها ولا قلب ، وحولت الحياة إلى رحلة لا غاية لها . لقد كانت المانيا ومعها أوروبا كلها بحاجة إلى ثورة أعمق وأوسع ، وأعود على الانسانية بالخير من كل الثورات التي قام بها رجالاتها ، وقادتها في العصر القديم والحديث ، إنه لشيء يبعث على الأسى أن تقع ألمانيا ومعها أوروبا أسيرة الأغلال المادية بعدما جاهدت طويلا لتحطيم الأغلال التي كانت تكبلها الكنيسة بها .

وينتهز الفرصة فيدفع عن الاسلام ما روج له المغرضون في اوروبا من تهم باطلة ضد الاسلام أرادوا عن طريقها تشويه صورته وصورة نبيه الكريم العظيم ، والحيلولة دون فهمه ، فضلا عن تقديره ومد جسور التواصل ومع الشعوب المؤمنة به ، الأمر الذي لو تم لكان عائده خيرا على الانسانية جمعاء . ثم يذكر بعض العوامل التي كانت وراء الحملة الظالمة على الاسلام إذ لعبت الحروب الصليبية . ولعب رجال الكنيسة والمؤلفون الأوروبيون الذين سيطرت عليهم العاطفة الدينية المتعصبة ، دورا كبيرا في تلك الحملة .

ولما كان يؤمن بأن الشباب هم عدة المستقبل للأمة الاسلامية ، وقادتها في المستقبل ، فقد خصهم فضل عنايته ، خاصة أولئك الذين يقيمون في ديار الغرب سواء كانت إقامتهم طلبا للعلم ، أو كانت سعيا وراء الرزق ، وقد دارت احاديثه إليهم على محورين رئيسيين يسلم كل منهما إلى الآخر **الأول** دعوتهم الى الألتزام بقيم مجتمعهم وتعاليم عقيدتهم الحنيفة ليكونوا القدوة الصالحة والصورة المشرقة ، فيكسبوا احترام المجتمعات التي يقيمون فيها . أما **الثاني** فهو تحذيرهم وتنبيههم الى مواطن الزيف والضعف التي تعتور حضارة الغرب والتي مازالت تهددها بالانهيار باعتراف كثير من الأوروبيين أنفسهم ، منتهزا الفرصة بين الحين والآخر لعقد المقارنات كأسلوب للاقناع بين قيم هذه الحضارة ومقولاتها وبين قيم ومقولات مجتمعاتهم وعقيدتهم الاسلامية .

إن أهم ما يميز ابا الحسن الندوي في كتابه هو ، **هذا الاتجاه الانساني الرحب والعميق البعيد عن كل اشكال التعصب** ، وهذه الاحاطة الشاملة الواعية بالتاريخ والعقائد ، وهي إحاطة رافقتها نظرة عميقة فاحصة استطاع من خلالها الكشف عن أهم الأمراض الفكرية والاجتماعية التي ابتليت بها الحضارة الأوروبية المعاصرة والتي تهددها في ذات الوقت بالانهيار .



الشيخوخة والإحسان إلى الوالدين

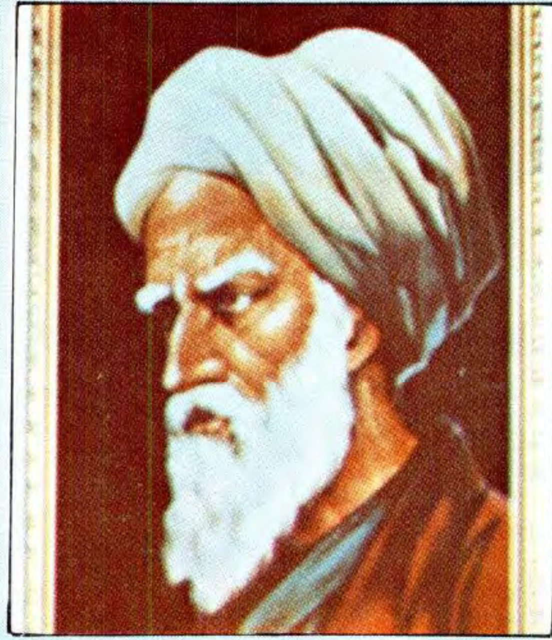
للدكتور / كمال الزناتي

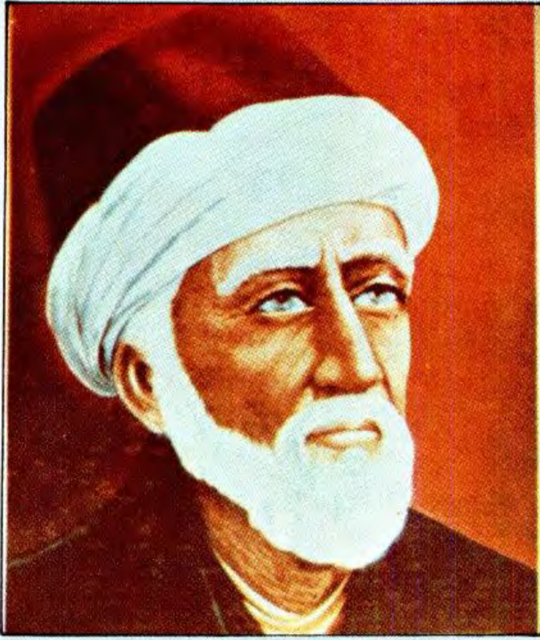
بسم الله الرحمن الرحيم

« إمـا يبلغن عندك الكبـر أحد هما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما »

يحيا الانسان على الأرض في أطوار طفولة وشباب ورجولة وشيخوخـة والشيخوخة في لفظها كانت مناغمة للعجز الصحي والتدهـور الفكري والضعف والمرض الذي لا يملك الطب أمامه شيئا ولا يمكن تجنبها وأن المسنين هم طبقة من الناس في حاجة الى المساعدة ولهم طلبات وليس لهم إنتاج وفي الماضي كان بلوغ سن معينة هو إجبار من قبل السلطات للشخص بتركه عمله وعزله من نشاطـه في المجتمع وما يصاحب ذلك من انحطاط في صحته العامة وقواه الفكرية وكره للحياة حيث يشعر أن لا فائدة منه للآخرين .

وفي إحصـائية أجـريت في عام ١٩٨٠ م . بلغ مجموع الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة في العالم ٢٦٠ مليون وهم بذلك يمثلون ٨ر٥٪ من سكان العالم وفي عام ٢٠٠٠ يتوقع أن





يكون عددهم ٤٠٠ مليون بحيث يمثلون ٦ر٤٪ من مجموع سكان العالم . وتدل الاحصائيات أن تحديد سن للاعتزال وراء انتشار أمراض القلب والبدانة وضغط الدم والكآبة النفسية بل والأمراض الخبيثة والحوادث المختلفة . لذلك فإن ما تفعله بعض الدول بجعل سن محددة لاعتزال الخدمة ليفتح المجال للآخرين ولمنع البطالة جعل المسنين ينظرون الى أنفسهم أنهم أناس يستكملون آجالهم تحت رعاية أبنائهم .

وإذا كان هناك بعض المسنين ممن يعانون من انحطاط في قواهم الطبيعية فإن مرجع ذلك يكون بسبب إصابتهم ببعض الأمراض العضوية وليس مرجعه التقدم في السن ولا يجوز تعميم هذه الظاهرة على كل المسنين . صحيح أن الشيخوخة تقلل من المقاومة للأمراض عامة ولكن بالتقصي والفحص الطبي والرعاية الاجتماعية للمسنين أمكن التوصل لمنع كثير من العلل التي تصيبهم كضعف الذاكرة وحماية الجسم ضد الأمراض المعدية التي كانت تودي بحياتهم ولقد اهتم كثير من المراكز العلمية بالدراسات في هذا الشأن وإصدار توصيات من أجل حياة أفضل للمسنين حاليا ومستقبلا فمن أبناء اليابان في عام ١٩٥٠ لوحظ أن ٥ر٦٧٪ ممن تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة كانوا يعتمدون اعتمادا كليا في حياتهم على الغير وفي عام ١٩٨٠ أصبح عدد الذين يعتمدون على الغير ٤٩٪ أي أنهم يستطيعون الاعتماد على أنفسهم أكثر من ذي قبل .

ومن الملاحظات لحياة الذين وصلوا سن السبعين أنهم يستطيعون العطاء بتقوية الروابط الأسرية والمشاركة في إبداء الرأي والمشورة المبنية على الحكمة والتجربة وهما أغلى شيء في تسيير الأمور والرقي بالمجتمع .

ففي عام ١٩٥٥ أجريت تجارب على ٤٧ رجلا تتراوح اعمارهم بين ٧٠ - ٨٠ سنة وفي عام ١٩٦٦ كان معظمهم على قيد الحياة ومظهرهم جيد ويبدون في سن أقل من الحقيقة حيث أسندت إليهم أعمال تتناسب مع سنهم ووضعوا تحت الاشراف الصحي مع برنامج في التغذية والرياضة والتسلية .

وفي المجتمعات النامية فإن معظم الأيدي العاملة في الزراعة وفي غير هذا المجال يكون الاعتزال بناء على رغبة الأفراد لا طبقا لسن محددة وباستمرارية العمل يقل الفقر والتفاوت في الطبقات ومما لا شك فيه أن الحكمة وخبرات الحياة تزداد كلما تقدم الانسان في السن وما أحوج العالم الى الحكمة في جميع نواحي الحياة لتهدأ النفوس وتطمئن القلوب في هذه الحياة المتصارعة . إننا لا ننكر على الغرب أو ما يقال عنهم الدول المتقدمة تقدمهم الصناعي في شتى الميادين ولكننا نؤكد تخلفهم الانساني نحو أنفسهم ونحو العالم أجمع فهم يودعون المسنين من آبائهم المصحات ودور الرعايةويأبى ديننا هذا علينا وتأباه علينا فطرتنا فالمسنون من آبائنا في أعيننا والأخلاقيات والحمد لله تكاد تكون ثابتة في بلادنا ولا تتغير بالسرعة التي تتغير بها الحياة الاقتصادية أو التقدم التكنلوجي (التقني) وهذا مما يبشر بالخير وينبه بضرورة التمسك بقيمنا وعاداتنا وديننا حفاظا على روابط الأسرة فإن الأسرة المتماسكة خير بيئة لتقديم الخدمة للآباء وليس في دور الرعاية أو المستشفيات فلا تقطع عن المسن حنان الأسرة المتأصل في النفس والنابع من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك أن احتياجات كل مسن تختلف عن الآخر ولا يجوز تعميم الخدمة وتوحيدها لكل هذه الفئة فبعضهم يميل للعمل وبعضهم يميل للمرح وبعضهم يميل للقراءة أو الجلوس الى أصدقائه وفي هذا الصدد نرى الاختلاف في المزاج فمنهم من يحب الجلوس مع من في عمرهم والآخر يحب صداقة الشباب وفي دور الرعاية والمؤسسات تحطيم لهذه الرغبات والمسنون في الواقع لا يريدون أن يكونوا فئة لها وضع خاص في المجتمع تعزل في دور معينة ولكنهم في مجتمع واحد متماسك لا ينفصلون عنه ورعاية الابن لأبيه والجار لجاره والصديق لصديقه من صميم السلوك الانساني وهو السلوك السوي الذي يجب أن يكون بيننا في جميع مراحل العمر وليس كما تفعل المجتمعات التي تعتبر نفسها متحضرة حيث يعاملون المسن معاملة المريض يكفيه الطعام والدواء لقد نسوا أن الاتقان في العمل إنما نتعلمه دائما ممن هم أكبر منا سنا والنماذج الممتازة في إتقان العمل إنما هي دائما من نتاج المسنين سواء في الفنون أوالآداب أو العلوم لذلك فمن المفيد الاستفادة من خبراتهم كمستشارين في تخصصاتهم والاستفادة من أثمن وأغلى مرحلة من العمر حيث القدرة في النفاذ الى أعماق

الحقيقة والمسنون اليوم مطالبون بأن يقودوا مجتمعاتهم بالحكمة التي تجنب أوطانهم الجدال التافه والمهاترات والنزاعات المخادعة وبخبراتهم يوجد التعاون بدلا من التنافس العقيم على التوافه من الأعمال ويكون الاهتمام بالأمور النافعة للأوطان بدلا من التعسف والقهر الذي تتعرض له كثير من شعوب الأرض نتيجة القيادات حديثة السن قليلة الخبرة عديمة التجربة قليلة الحكمة في تدبير الأمور أما على مستوى العائلة فيعتبر الجد المعلم للأطفال في البيت عندما يكون الأب منشغلا في السعي على الرزق ومنه ومن حكمته تكون التربية للنشء فإذا تفككت الأسرة فما لهذا النشء من مرب الا الخادم وشتان بين هذا وذاك والعلم والتعلم لا يكون في المدارس والكتب فحسب ولكن من خبرات الحياة ومن أجل ذلك لابد من التركيز على مزيد من العناية تجاه المسنين واحاطتهم بما يستحقونه من التكريم والرعاية مفسحين لهم مجال الاستمرار في العمل في المجتمع الذي بني بأيديهم وعلى أكتافهم ولا يبخلون على المجتمع في شتى النشاطات الاجتماعية فهم أصحاب دراية وخبرة وهم القادرون على إعطاء الأجيال الشابة من خلفهم خطوط الحضارة والتقدم وتاريخ الأحداث لجعل الغد أكثر إشراقا .

إن التطور السريع في جميع نواحي المعرفة والقوانين التي كثرت مع الادارة الحديثة تجعل كثيرا من المسنين يحجمون عن المشاركة الفعلية في الحياة العملية مما قد يعرضهم للانطواء والاضطرابات النفسية من أجل ذلك لابد من الاهتمام بالاعتبارات الانسانية التي تؤثر على نشاط المسن كإيجاد تأمينات اجتماعية معيشية مناسبة وخدمات صحية تعطي الاطمئنان في الشيخوخة . أما الاحترام الواجب لمن في هذه المرحلة من العمر فإنه يتطلب برنامجا تربويا يدرس منذ الصغر فهو جزء من عقيدتنا ومن المعلوم أن المسن صحيح البنية يكون في مجتمع صحيح المعتقدات فتوعية الأبناء منذ طفولتهم وبيان فضل المسنين وواجب الصغار والشباب نحوهم من صميم ديننا الحنيف .

لقد كان خروج المرأة للعمل خارج البيت بداية التفكك العائلي اذ تركت أكبر مسئولية إنسانية مما أدى الى تحلل المجتمع من قيمه العليا والسلوك الانساني القويم وما أحلى العودة الى نظام التجميع العائلي فلم تكن الاضطرابات النفسية والقلق والاكتئاب بهذه الصورة المنتشرة بهذه الحدة في هذه الأيام والزيارات المتبادلة بين الجار والجار وأولي الأرحام أمر يشيع المودة والحب والاستقرار لجميع أفراد المجتمع .

وفي الكويت يبلغ سكان الكويت حوالي ١٫٤ مليون نسمة منهم ٣٫٦٪ يزيد عمرهم عن ٦٠ سنة ومنهم المعمرون وذلك بسبب ارتفاع مستوى الخدمات الصحية التي تقدم



والأحوال المعيشية عامة لذا فإن متوسط العمر في الكويت ٦٩ سنة كمثيله في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية وأن الحكومة في سعيها الى إيجاد التكافل الاجتماعي ونشر الثقافة والمعرفة ورعاية المسنين قد حققت الكثير فهي تمدد سن اعتزال الخدمة لمن يريد وتحث على إبقاء الروابط الأسرية الأصيلة التي أرسى أسسها الدين الاسلامي عندما يكون الجد وأبناؤه وأحفاده في بيت واحد فيمنح الأحفاد الخبرة والرأي في أمور الحياة ولا يكفون عن العمل حتى ولو كان رعاية الأحفاد والجميع يعيشون في مجتمع واحد متماسك لا ينفصلون عنه .

إن السلوك الاسلامي يجب أن يكون بيننا في جميع مراحل العمر من الطفولة حتى الشيخوخة ومنع العادات التي تسيء الى صحة الانسان سواء في أكله أو في إدمانه على الأشياء الضارة المتعارف عليها والتي لها عواقب وخيمة على صحة الانسان كلما تقدم به العمر ، من أهم الأمور التي يجب أن يسير عليها المجتمع تخفيف الانتقال الفجائي من حالة التوظف الى حالة اعتزال الخدمة وهذه الأمور هي التي تخفف من الاضطرابات النفسية في هذا السن ولا يفهم من ذلك كله وضع قوانين ونظريات ولكننا ننصح المسن بألا يهمل نفسه في أي مجال يحقق له الصحة ويا ليت العالم يلتفت الى الاسلام وتعاليمه وروابطه الأسرية ليتغير وجه الحياة التي يشقى فيها البشر الى حياة يحيا فيها الحفيد والابن والجد في سعادة ونشاط وعطاء كريم متبادل .

(قصة النجم الذي كاد يهوى في بحر الظلمات)

وخنس الأحول!

كثيرا ما يقف قاريء القرآن الكريم مليا عند آية أو آيات من كتاب الله المجيد ، يتدبر معانيها ، ويدير النظر في ظاهرها وخافيها ، وكلما سلط عليها أضواء الفكر ألقت في خاطره ظلالا شتى ، وشقت أمام بصيرته الاكمام عن زهور المعاني الباهرة ، أرأيت ذلك الصياد حينما يفض الأصداف عن خرائد اللؤلؤ ويقلبها بين أنامله تحت أشعة الشمس فيقف الناظر اليها مأخوذا بما ينبعث منها من بريق أخاذ وألوان ساحرة ، تتمايز حينا وتأتلف حينا آخر ، لتكون مزيجا يحس بروعته وسحره ، ويعجز عن وصفه ، وادراك كنهه .

هكذا كنت أمام سورة الناس التي ختمت بترتيلها تلاوة القرآن الكريم ، فالله رب الناس وراعيهم وحاميهم ، وهو مالك نواصيهم المتصرف فيهم ، وهو الاله القادر المسيطر على كل الوجود يوجه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين الى الاستعانة به ، والاستنجاد بجبروته من شر الوسواس الخناس من الجنة والناس . فمن هو الوسواس الخناس ؟ ذلك الشيء العاتي الرهيب الذي لا يردعه ولا يعيذ منه الا قوة الاله الملك الجبار ، وكيف يخلص الى الصدور ، وما الوسوسة وما الخنس ؟ .



للأستاذ/محمد عبد الرحمن صان الدين

تصورات شتى كانت تزحم خاطري ، وتتراءى لي كأطياف الليل ، وأنا في طريقي لزيارة صديقي العالم الباحث (الشيخ حيدر) إنه نجي روحي وظهيري في حل معضلاتي الفكرية فهو بحق لا يصدر الا عن فقه وروية ولا يتحدث الا بصدق ويقين إنه على تقوى من العلم (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) وعلى علم من التقوى (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) له صولات وجولات في حلبات التفسير والتأويل لاتبارى ، فما ان دخلت عليه وحييته حتى بادرته سائلا : ما الوسواس الخناس من الجنة والناس ؟ لقد احتوشتني الافكار والتصورات كما تحتوش الأمواج العاتية في ثبج البحر زورقا صغيرا ، فهيا افصل بين خواطرى المشتبكة وجل أمامي ما التبس علي ، فأطرق برهة وهويمسح على جبهته العريضة المشرقةوكأنما يستحث الذاكرة لتنفض عن مخزونها ركام الأيام واحداث الزمان ، ثم رفع رأسه وهو

يبتسم قائلا : لقد سألت مجربا ،واستعنت بخبير ، كان في يوم ما هدفا للوسواس الخناس من الثقلين ، قلت وكيف كان ذلك - يرحمك الله - فهات ما عندك يا أبا الاسود[1] وهل لتفسير كتاب الله الا فرسانه المدججون بسلاح العلم والفطنة المدرعون بدروع الايمان واليقين ، فهم إن جنحت بهم شطحات العقل ونزعات الشيطان ردهم الى الجادة دليل التقوى والايمان .

أخذ الشيخ حيدر يتحدث قائلا : في ضحى شبابي وريعة عمري إبان طلب العلم كنت أسكن بحي شعبي في بيت قديم في بنائه وطرازه ، يتوسطه صحن فسيح قامت في وسطه شجرة سدر عتيقة شاحبة طالما أطاحت فأس البستاني منها بأغصان ، حتى لا تحجب الضوء عن النوافذ ، وكان مكتبي الذيأكتب وأقرأ عليه بجانب نافذة مطلة على الصحن ، التماسا للضوء والهواء ، وكانعلى جانبي الدهليز بين باب البيت الخارجي والصحن حجرتان احداهما يسكنها رجل قد أشرف على الخمسين من عمره لا أعرف من أمره شيئا كان يطيب له أن يجلس على كرسي أمام حجرته أو تحت شجرة السدر أو أمام مدخلمسكني فكان علي أن ألقي عليه السلام كلما مررت أمامه داخلا أو خارجا فيرد التحية مضاعفة وباهتمام بالغ ، ثم لا أكثر من ذلك ، فأنا بطبيعتي لا أميل الى الاختلاط بمن لا أعرف ، ولا أخطب ود من ليسوا في مجالي أو من أترابي ، وقد علمت فيما بعد أن اسم الرجل (٠٠٠) ويلقب بالاحول وهو جدير بهذا اللقب فإنه وإن لم يكن أحول العين فإنه أحول الفكر والوجدان كما تكشف لي فيما بعد ، وقيل إنه يملك مدارس خاصة ويديرها ، ولكنها ذهبت أباديد وأصبح بائسا رقيق الحال يسكن تلك الحجرة المتواضعة .

- وفي أحد الأيام عند دخولي المنزل - وكان جالسا على كرسيه - هب واقفا ومد يده للسلام وهوينادينى باسمي مع لقب أستاذ قائلا : مالي أراك نائيا عنا مستوحشا منا ؟ ألسنا جيرانا ؟ وأنت من أهل العلم تعرف للجار حقه وعلى الرغم من أني أكبر منك سنا فإني لا أرى بأسا من أن أبدأ أنا بزيارتك توا إن لم يكن لديك ما يشغلك ، فلم أجد بدا من الترحيب به في مسكني وإكرامه كزائر لأول مرة .

وتكررت الزيارات وتعددت اللقاءات إما تحت الشجرة أو داخل المسكن نتجول في ضروب الحديث ودروبه ، والحديث ذو شجون ، وقد بهرني من الرجل أنه واسع الاطلاع ، أنيق العبارة ، جذاب الحديث ، حلو النبرات ، يستهوي السامع بأفانين من الأقاصيص المدبجة والوقائع المثيرة ، ويخوض في كل ضروب المعارف الانسانية سياسية وفنية وأدبية ، وكان من أهم ما

(١) كنيته بذلك لأن اسمه حيدر وهو من أسماء الأسد .

جذبني إليه أنه ذواقة للشعر والأدب ، وقد عرف أني أتعلق بالشعر وأقرضه فكان كثيرا ما يطلب مني إنشاد ما أنظم فيطرب عند سماعه ، ويبدي إعجابه به ويستعيد أبياتا منه يقف عندها مبهورا ـ أو هكذا كان يبدو لي ـ قائلا بصوت منغم : ما أبدع هذا الكلام !! لله درك يا أستاذ !! ، ثم يهز رأسه وهو يقول : خسارة ! أنت جوهرة مجهولة،كان ذلك يستهويني منه ويجذبني إليه ، فأستزيده من الجلسات ، وأقريه بكل شهي عزيز لدي ، وللاطراء تأثير وسحر في نفوس الكهول والشيوخ ، فمابالك الشباب الغرير الذي لم تصقله التجارب ، ولم يفطن بعد الى جوهر الحياة .

قال حيدر : ومضت على هذا المنوال أيام وأيام لم أر فيها ولم اسمع من الرجل ما أنكره الا أنه كان اذا صادف وقت صلاة لا يبدي اهتماما بها الا اذا دعوته للصلاة ، فيقوم متثاقلا ويصلي خلفي مأموما مدعيا أنه علي وضوء من قبل ، فليكن ما ادعى فذلك شأنه وليس عليّ أن أبحث واستوثق .

وفي إحدى الجلسات وبعد أن سمع إحدى قصائدي وقرظها قال : ولكنك قد تركت ضربا من أشهر ضروب الشعر ولونا من أرق وأبدع ألوانه وما من شاعر في القديم والحديث إلا وبدأ به ، وصال وجال فيه ، حتى المتصوفة أهل الزهد والورع ، الا وهو الغزل ، إنه قمة الشعر بل هو الشعر نفسه مع أنك شاب والشباب بطبيعته شبوب العاطفة ، جياش الشعور ، مرهف الحس والوجدان فما سبب ذلك يا ترى ؟ قلت : إني أرفض أن أمارس ذلك الضرب من الشعر ، فإن رجولتي وعزة نفسي تأبيان علي أن أركع أمام امرأة باكيا متذللا مسترحما كعابد الصنم ، وعندي أن شاعر الغزل مفتون فتان بصور ويكشف من المرأة ما يجب أن يستتر ، ناسيا أو متناسيا ما يقترف بفكره وقلمه من جرم على الفضيلة ، غافلا عما ينتظره في آخرته . فقال الأحول : وهو يبتسم ابتسامة شاحبة ذات مغزى : ذلك منطق العاجز ، وحجة من به خلل في تركيبه الوجداني ، وبنائه الجسماني فقلت : بانفعال الشباب وقد أثار مشاعري ذلك اللمز المفتري : كلا كلا،هذا بهتان وظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا . إنني ـ بحمد الله ـ على أكمل ما يكون المرء تكوينا وبناء ، ولست أنكر ما للمرأة في نفسي من تأثير وجاذبية ، ولكني جعلت الله بيني وبينها فلا أتحدث عنها الا في إطار القيم السامية ، ولا أريدها الا بشروطها التي شرعها الله لعباده الملتزمين بشرعه الحكيم ، وما أبسطها وأيسرها . قال الأحول : لعلك أردت أن تقول المتزمتين الذين يعيشون على هامش الحياة مقيدين محرومين ، لكأني أسمع ـ وأنت تتكلم شيخا فانيا يقف على أبواب الآخرة ، وقد فرغ من الحياة ونفض يده من دنياه ، فهو وإن كان فيها بجسمه المتهدم المتداعي ، فإنه خارج عنها بحسه وفكره وسلبيته ، يا عزيزي : إننا نعيش في عصرتطورت فيه الأفكار وتغيرت القيم واتسعت

المدارك ، فلا يصح أن نبقي جامدين متخلفين بل يتحتم أن نساير ركب الحضارة ، ونسلك طريق الرقي والتقدم محتذين في ذلك بلدان العلم والنور والحرية ، قلت له : أولو كان في ذلك هدم لأخلاقنا ومثلنا وإهدار لقوانين ديننا التى هي منحة السماء لعباده كي تستقيم لهم الحياة ، ويقوم عليها للمؤمنين كيان ، وتنمو وتترعرع حضارة كما كان ، ثم قلت محتدا : إنني يا صاحبي - مع إعجابي بك وحبي لك أكاد أشك في أمرك !! فضحك الرجل وهو يقول : لا تغضب يا أستاذ واطمئن ، إنني مسلم متدين من أبوين مسلمين بيد أني متحرر الفكر ، أومن بأن الدين يسر لا عسر وأني بكلامي هذا معك إنما أحب لك الخير وأريد أن أفتح عينيك على الحياة ، لتكون عالما عصريا متطورا تتلاشى من طريق حياتك المصاعب والعقبات ، وأني لو كنت أتمتع بمثل موهبتك وصفاتك لكنت شيئا آخر غير ما ترى ، ثم هب واقفا وهو يقول : إنني على موعد هام ، قد حان وقته ، فإلى لقاء آخر .

قال حيدر : وانصرف الأحول وغاب عن عينى أياما لم أره فيها ، ولكن بقيت من حديثه في شعاب نفسي أصداء متباينة ، ظلت تتردد حينا ثم انشغلت عنهاوعنه ، وطرحت من فكري ما كان ولم يبق منه الا مثل ما يترك لفح الهجير على أديم الضارب في البيداء المحرقة .

قال الشيخ : وعاد الرجل من غيبته ، وقد كنت أتطلع اليه وأتوق حديثه الشيق ،واستراح قليلا في حجرته ثم أقبل الي ، وما إن أخذ مجلسه حتى بادرني قائلا إني لأعجب من أمرك يا فتى ، وأرثى لحالك !! قلت في دهش : فما الذي يوجب العجب ويدعو للرثاء ؟ قال : أليس عجيبا - وأنت شاعر - أن تشغل فكرك بالآخرة وتصبغ سلوكك بصبغة المشرف عليها الماثل أمامها ، مع أن بينك وبينها أمدا بعيدا ، وعمرا مديدا ، لقد ضيقت على نفسك رحبا واسعا والزمتها شيئا ليس يلزمها ، فقبعت في قوقعة مغلقة لا تنفذ اليك منها الأضواء الباهرة ، ولا تترقرق عليك فيها أنسام الحياة البهيجة العبقة . إنك ذو مواهب جمة فأنت الى جانب علمك الديني أديب وشاعر مبدع ولكن منهجك في الحياة يخمد فيك الاحاسيس ، ويخنق المواهب ، ويعقم الفكر ، ويخمل الذكر فتحيا وتموت مغمورا مجهولا لا يحس بك أحد ، ولا يفطن الى وجودك إنسان ذو بال ، فحرام أن تظل هكذا . إن اللؤلؤ إذا لم يستخرج من قاع البحر ، وتشق عنه الأصداف ، وينكشف للشمس والهواء يبقى مطمورا في غيابات المجهول ، لا تستمتع ببريقه الأخاذ عين ولا يتلألأ على صدور الغيد والحسان ، وظلم لنفسك أن تترك زهرة شبابك النضير تذبل وتنتثر من قبل أن تتنسم الحياة وتتندى بأنداء المتاع والبهجة في الدنيا !! قلت - وقد بلغ مني حديث الرجل مبلغا - : فماذا أفعل ؟ قال - وقد لمح في نظراتي وأحس من نبراتي ما يغري بالمضي في الخطة

المحكمة : يأستاذ انطلق ، انطلق في الحياةكما ينطلق البلبل الغريد ، في رحاب الرياض ، وبين الخمائل والمروج ، يستمتع بألوان الزهور المتفتحة ويستاف أريج الرياحين العبقة ، فيملأ الفضاء ترنيما وشدوا ، إن العندليب الصداح لو سجن في قفص ولو من ذهب - كما تسجن أنت نفسك في مجال ضيق قاحل - لما تغنى بأبدع الألحان وأشجى الانغام ، إنها الحرية والانطلاق من كل قيد يا عزيزي ، ولا تنس أنك وأنت في أول طريق الحياة في حاجة الى من يأخذ بيدك ، ويوقفك على سلم الصعود الى سماء المجد والشهرة - قلت وأنا كالحالم في ليل الربيع - : فما السبيل الى ذلك أيها الصديق ؟ قال - وقد تهلل وجهه - دع هذا لي فما عليك الا أن تضع يدك على كتفي وتسير فإذا بك كما تحب وتشتهي قلت : زدني ايضاحا وتفصيلا . قال : يا عزيزي أنت في ريعة العمر مكتمل البنية مستقيم العود ، بادي القوة ، تتوثب حيوية وفتوة ، وتتمتع أيضا بوسامة أخاذة ونظرات نفاذة . وهنا التفت الشيخ حيدر الي مبتسما وهو يقول : وكنت يا هذا اذ ذاك وسيما صبوح الوجه فقلت له : ولازلت كذلك على الرغم من أن صبح المشيب قد تبسم في ليل شعرك ، فأحال الظلام ضياء فقال : أشكر لك هذه المجاملة اللطيفة الماكرة ، فما زدت عن أن قدمتني لنفسي في صورة ينفر منها ، ويحتال على إخفائها كثير من الناس ، ولكني بها فخور قرير العين ، ثم استطرد في قصته قائلا : واستمر الاحول في حديثه يقول : تلك الصفات التي تملكها وتتمتع بها تفتح أمامك القلوب المغلقة وتجذب نحوك العيون المغضبة ، وتخضع لك كل مستعصية ، وتستقبل من أعلام الفكر ونجوم الفن ، وزهرات المجتمع بالقبول والترحاب أينما حللت ، وتقضي حوائجك ، وتنفذ رغباتك كيفما كانت ، الا وإن لي أصدقاء من أرباب القلم وعباقرة الشعر والأدب ، والنقد ممن لمعت أسماؤهم ، وذاعت شهرتهم ، وإني لعلي استعداد لأن أجمعك بهم في أشهى المحافل ، وأربط بينك وبينهم برباط وثيق من الود ، فلا تلبث حتى تكون نجما براقا تردد اسمك الأفواه ، وتهتز تحت قدميك منابر الاعلام ، ذلك إن تخليت عن تشددك وتمسكك بما لا يجديك في حياتك شرو نقير ، وليس له في لداتك من نظير . وإني اليوم على موعد في إحدى جلساتنا الحافلة بما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين بين الخضرة والماء والوجه الحسن ، وإنك لمن أليق الناس لتلك المجالات المونقة وأولاهم بها ، وإني أدعوك لمشاركتنا ذلك الفردوس الغائب عنك المجهول لديك ، وما خصصتك بالدعوة الا تقديرا لك وثقة فيك وقياما بحق الجوار فهل لك فيما دعوتك اليه ؟ فقلت له : دعني أفكر في الأمر فقال : اجعلها استكشافا وتجربة فإن راقك ذلك المجال فقد بلغته ، وعرفت السبيل إليه وإلا فلا حرج عليك في نبذه والانصراف عنه ، والخيار لك ،قال هذا ثم ودع وانصرف ولم ينس أن يترك

على المكتب بطاقة كتب فيها العنوان والساعة التى ينتظمفيها عقد الزمرة ، زمرة الحظ والهوى .

قال حيدر : وخنس الأحوال وكف الانسان عن وسوسته بعد أن أدى المهمة التى ندب نفسه لها بحذق ومهارة ، فقد استطاع أن يهدهد المشاعر ، ويعزف على أوتار العواطف والغرائز فتضطرب وتتلجج في حيرة . قال : وكان وقت صلاة المغرب قد حان منذ قليلوكنت على وضوء ، أو خيل الى ذلك ، فأحرمت بالصلاة وأنا شارداللب ، مبلبل الفكر ، فقمت وقعدت حتى فرغت الصلاة ، وكانت صلاة ميتة لا نبض فيها ولا روح ، إنها تحتاج الى تفكير واستغفار وقمت الى سريري وألقيت بجسدي عليه في غمرة التنازع بين الاقدام والاحجام . تدفعني عواطفي ورغباتي طورا ، ويردني عقلي وخلقي طورا آخر دون بت وحسم في الأمر ، ومضى الشيخ حيدر يقول : كان هناك أبو مرة [١] (إبليس اللعين)خانسا ، في يقظة وتحفز يرصد نتائج جولات صنوه وظهيره من بني الانسان ، اليس الهدف واحدا وهو الاغواء والاضلال ولى الفطر السليمة عن خطها المستقيم وإن اختلفت طريق كل منهما عن الأخرى ، فالانسان يصل الى الفكر والشعور عن طريق السمع والشيطان يصل عن طريق حديث النفس بعد أن يدس فيها خرطومه نافثا ما يشاء من تزيين وتلبيس .

ورآني اللعين مترددا أكاد أتقاعد تحت أشعة العقل الكليلة المرتعشة ، فأراد أن يجهز على الفريسة وهي مترنحة قبل أن تفيق وتتماسك ، فعاجلني بجرعة مسكرة من معناه الشيطاني ، وحاورني محاورة أفرغ فيها كل دهائه وحيله ، واتخذ معي منطق العلماء الذين يقررون حقيقة ربانية ، ويعمقونها في العقل والوجدان ، وهكذا الشيطان يلبس لكل حال لباسها ويختل ضحاياه بفخاخ لا تريب بعد أن يستدرجهم اليها . قال ـ عليه لعنة الله ـ :يا حيدر ألست من أهل العلم والفطنة تحفظ القرآن الكريم ، وتطالع تفاسيره ، وتلم بالكثير من الاحاديث النبوية الشريفة ؟ قلت : بلى ، قال : فما تظن بالله ؟ قلت : خيرا ، قال : إنه عفو غفور تواب رحيم هل في ذلك شك ؟ قلت : استغفر الله ومن سواه لذلك ؟! قال : حسن حسن فهل تحضرك الآيات القرآنية التي تدل على ذلك وتقرره ؟ قلت : أجل قال الله تعالى : **(والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها و آمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم)** ، الاعراف/١٥٣ وقال سبحانه **(إن الله يغفر الذنوب جميعا إنههو الغفور الرحيم)** الزمر/٥٣ ، قال : جميل جميل إنك لقارىء حافظ يا حيدر تأمل بفكرك الثاقب ، تجدهما تقرران ان الله غفور رحيم قلت : نعم نعم قال : ومن هم الذين يلحقهم الغفران وتنالهم الرحمة ؟ إنهم

(٢) ابو مرة : كنية إبليس

الذين عملوا السيئات وارتكبوا الذنب أليس كذلك ؟ قلت : بلى قال : فلو أن الناس جميعا كانوا أبرارا أطهارا لا يذنبون ولا يعملون السيئات فهل يكون للرحمة والغفران مجال تعملان فيه ؟ قلت كلا قال : فهل يليق بك ـ وأنت العالم الفهم ـ أن تعمل على تعطيل صفتين من صفات الله عن العمل ؟ قلت ـ في بلاهة ـ يخيل لي أن هذا منطق معقول قال : إذا لابد من ارتكاب السيئات وإتيان الذنوب ليمحوها الغفران وتغسلها الرحمة . قال : حيدر : وران على قلبي التدليس والتلبيس وخيم على عقلي منه ضباب كثيف فلم أعد أميز الخبيث من الطيب ، والحق من الباطل ، ونسيت قول الله تعالى (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**) النساء/ ١٧ (**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ....**) الاعراف/ ١٥٦ فالتوبةتمنح لمن جهل المعصية ولم يتعمدها ، والرحمة منوطة بالتقوى وهي التحرز من الوقوع في الاثم والمعصية . نسيت هذا وغاب عن ذاكرتي قول الله تعالى (**نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وان عذابي هو العذاب الأليم**) الحجر/ ٤٩/ ٥٠.فاذا كان المذنب العاصي عن عمد وإصرار يحظى برحمة الله وغفرانه فلمن أعد العذاب الأليم المقابل للمغفرة والرحمة ؟ أحفظ كل هذا وأعيه وأطبقه منذ علمت ووعيت ولكني نسيته اذ ذاك وما أنسانيه الا الشيطان أن اذكره ، قال حيدر : ومضى أبو مرة يقول : فماذا عن الأحاديث النبوية ؟ هناكحديث يقرر أن الله يفرح بالعبد المذنب التائب فرحا عظيما فهل تحفظ الحديث ؟ قلت : نعم جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله عز وجل أنا عندظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة و....) وأردت أن أكمل الحديث فقاطعني اللعين قائلا في انزعاج : كفي كفي فهلا تريد أن يفرح الله بك يا حيدر وتحظى برضوانه قلت : ومن ذا الذي يأبى ذلك ولا يطمع اليه ؟ قال ـ وقانا الله شره ـ اذا فلتذنب ولتعط شبابك حقه وأمامك عمر طويل وباب المتاب مفتوح . فهيا انهض يا فتى قبل أن تفوت الفرصة السانحة ، وينفض سامر الكواكب والنجوم ، مع الأنس والبهجة . قال حيدر : وكأن اللعين قد قذف في دمي وأعصابي وكل جوارحي ومشاعري شعلا من طبيعته النيرانية النزقة الطائشة فقمت واثبا كالثور الوحشي المستطار أرتدي ملابسي وأتزين بما لدي من زينة ، وأتطيب بأجود ما عندي من طيب ولم أنس أن أنظر في المرآة لأتيقن من أني في أحسن هيئة ، وكأني ذاهب الى المسجد في يوم عيد أو الى حيث أزف الى عرسي بعد طول انتظار وشدة وجد والتياع ، ولا تعجب يا صديقي فإنه حينما ينام أو يموت الوازع الديني في المرء ويتلاشى سلطانه تجيش وحوش الغرائز والميول الراقدة في كيانه وتنطلق فتحطم القيود ،

وتجتاح الحواجز والسدود فيصير الانسان وحشا ضاريا ـ والعياذ بالله ـ تذوب فيه وتتلاشى كل المعاني الانسانية ولا يبقى من الانسان فيه الا الهيكل والشكل ، صمت حيدر برهة وأنا أنظر اليه في قلق وإشفاق ثم ضحك وقال : خرجت من البيت . وفي يدي العنوان . وسرت في طريقي الى هناك حيث الفردوس الموصوف ، وليس في مخيلتي الا اللقاء الموعود الذي يصعد بي الى المجد المنشود ، وقد وقر في خاطري الملتاث أن الدنيا أوشكت أن تجثو عند قدمي ، ومضيت أدلف من حي الى حي ، وأمرق من شارع الى شارع حتى لم يبق بيني وبين الهدف الا مقدار مد البصر الكليل ، واذا بصوت ينبعث من المذياع يهمس في أذني إنه صوت قارىء القرآن الكريم ، يرتل قوله تعالى في سورة الكهف (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) . الكهف / ٢٨ سمعت الآية ولكن بأذن موقورة كما يسمع النائم نداء خافتا من مكان سحيق فلم تبلغ فكري ولم تلمس وجداني ، وسرت خطوات أخرى فعاد القارىء يرتل الآية مرة ثانية ولكن بصوت جلي يفيض خشوعا ويقطر حنانا وحزنا ، فقرع سمعي قرعا ، وتدفق في روعي تدفق السيل ، وكأني بالقارىء يتابعني بنظرات ينبعث منها إشفاق يمازجه تأنيب بصوت آخر يقول : الى أين أيها المفتون ؟! أتضل على علم وتغوى بعد رشد ؟! ونظرت زائغ العينين فخيل الي أن الطريق موصدة فلا منفذ فيها ولا مناص ، وأن المارة يحدجونني بنظرات تنطق بالمقت والسخرية ، وكأني بالكائنات من حولي جامدها ومتحركها تزمزم قائلة : يا ويحه ! من نجم هوى وطيب غوى ، فكفت قدماي عن المسير وثبتت في مكانهاوكأن الأرض قد غاصت بها ، ومضى وقت قبل أن أفيق وأقول لنفسي : ما هذا أيها الشقي ؟ أين ذهب لبك وكيف شرد عقلك ؟ فتحولت الى مفتون بزينة الحياة الدنيا ، وأطعت من أغفل الله قلبه وأعمى بصيرته واتبع هواه ، قال حيدر : واستأنفت السير في خزي وتهافت ورحت في غمرة من البلبال والذهول فلم أفق الا وأنا أمام با ب مسكني أدير المفتاح في قفله ، فتمتمت قائلا : **الحمد لك يا ربي ، لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** . وخلعت ملبس الزهو والتيه ، وطوحت بها هناك لتستقر أينما تستقر ، وأسرعت فتوضأت وأعدت صلاة المغرب وصليت العشاء تائبا مستغفرا شاكرا ، فقد كنت على شفا حفرة من النار فأنقذني الله وأقصاني عنها ، وكنت عالقا في حبائل شيطانين فخلصني منها ، فعدت الى سريري طاهر الذيل نقي الصفحة ، وشعرت بالجوع فتناولت ما تيسر لي من طعام ، ثم تلوت ما شاء الله ان أتلو من كتابه العزيز ، ثم أويت الى مضجعي راضي النفس قرير العين ، وكان الليل قد انتصف فأخذ الكرى يمسح جفني بأنامله

الوردية ، وبدأت أطيافه تتطاير حول مضجعي بأجنحتها الذهبية . وبينما أنا بين النوم واليقظة إذ بباب البيت الخارجي الثقيل يدفع بقوة ، ووقع أقدام غليظة تدك الأرض فترتج ، فقمت فزعا ، وسمعت من يقول بصوت أجش : أين مسكنك يا جلالة السلطان ؟! ولم أسمع إجابة ولكني سمعت ذلك الصوت يقول : فك القيد من يده اليمنى أيها الشرطي ليخرج المفتاح من جيبه فأسرعت بالخروج مستطلعا الأمر ، فرأيت ضابطا وشرطيين يمسكان بجاري الأحول مقيدا ، فتقدمت من الضابط الذي كان واقفا بين صحن البيت والدهليز وحييته وسألته : ما الخبر ؟ فأجابني بغلظة وما شأنك أنت ؟ هل تمت اليه بقرابة أو صلة ؟ قلت كلا ولكني أقوم بحق الجوار قال : فما مهنتك ؟ قلت طالب علم بالأزهر الشريف . قال : ـ وقد ألان قوله ـ : يا أستاذ مثل هذا الجار لا حق له ولا حرمة ، ولا يليق بأهل العلم أن يخالطوا أو يجاملوا مثل هذا ، إنه كالبعير الأجرب يعدي كل من يخالطه أو يلامسه .

آنست من كلامه وسمته دماثة الخلق ومسحة الصلاح فقلت : فما جريمة الرجل ؟ قال : لا بأس أن أصارحك على سبيل العظة والتحذير ، لقد قبضنا عليه مع زمرة من الخليعين والخليعات يشربون ويعربدون ويتعاطون أنفاس المخدر المحظور شرعا وقانونا بعد أن رصدنا ذلك الوكر الدنس وتأكد لدينا ما يمارس فيه فقلت : لقد سمعتك تخلع عليه لقب جلالة السلطان . فما المراد بذلك ؟ قال ليس الا سخرية ، ولست أنا الذي أطلق عليه ذلك اللقب ، وإنما هو اصطلاح عند هؤلاء ، فهم يطلقون على مجلسهم هذا اسم السلطنة ، ويسندون ادارته الى أكثرهم خبرة وأمهرهم في إعداد المخدر وتقديمه ، ومناغاة المخدرين بما يدفعهم الى الهذيان والضحك ، وهم يخلعون عليه لقب (السلطان) ، وحينما داهمنا ذلك الوكر وجدنا ذلك الشقي هو المتسلطن فيه ، وهذا كل ما في الأمر أعرفت ؟ قلت : نعم ، وشكرت له رحابة صدره معي ، وكان الشرطيان قد فرغا من مهمة تفتيش المسكن ، وتمتما للضابط برموز لم أفهمها وخرجوا يجرون أسيرهم في أغلاله منكس الرأس كاسفا حسيرا ، وعدت الى مسكني وأنا أقول : أهذه هي النهاية ؟ ذا عقاب الدنيا ـ وما أقساه ـ فما بال الآخرة ؟ ! (**فإنها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور**) الحج/٤٦ لقد كدت يا أبا الأسود أن تكون أبا القرود مكبلا في القيود ولكن الله عصم وسلم ، ونظر الشيخ حيدر الي باسما وهو يقول : أظن أن صورة الوسواس الخناس من الجنة والناس قد وضحت في ذهنك قلت : أجل يا صديقي ، وأيضا قد تجلى لي معنى قول الله تعالى (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الأعراف/٢٠١ صدق الله العظيم .

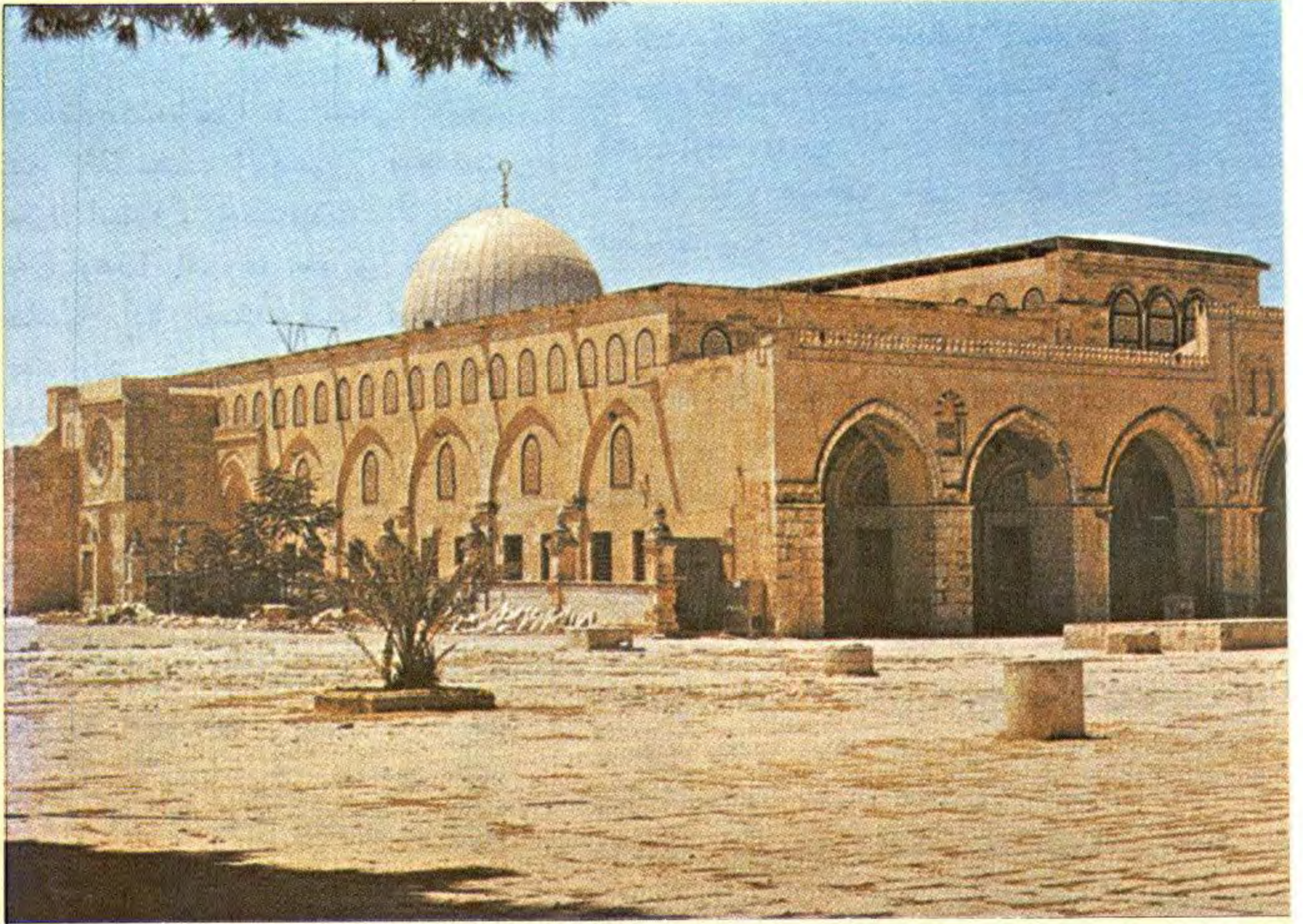
الأقصى المبارك

بين عدوان اليهود وعجز المسلمين

بقلم : نبيل الخانجي

الليل يرنق في عينيه الصمت ..
أسمع قرع سنابك
ـ من هذا الفارس
يتوشح بجلال التاريخ ، يسابق جنح الريح على فرس غاضب ؟
○ ما تعرفني ؟
ـ أحسب أني ....
لعلك طيف من حلم يعبر جسر التاريخ .. ويمضي ؟
○ لا تحسب شيئا ! ....
يبدو أنك لا تعرف تاريخك حقا ..
هل تذكر فتح القدس الثاني ؟ أو تكبير النصر بساحات الأقصى ؟

ـ عرفتك .. أنت صلاح الدين .. !
○ ومن أنت ؟
ـ ليس مهما أن تعرف أحدا من هذا القرن ..
فمعظم من في هذا القرن من النكرات ..
○ ما هذا البؤس المعشوشب في عينيك ؟
ما هذا الوهن البادي في عزمك ؟
ما ليديك ؟
ـ هل تعلم أن « يهود » احتلوا الاقصى من زمن
طال الزمن علينا من بعدك ..



حرقوا بعض الأقصى ...
حرقوا منبرك الخشبي الحامل عطر النصر القدسي ..
○ وأنتم .. ماذا فعلتم ؟
ـ واقتحموا الأبواب على من كان يصلي ..
قتلوا الراكع والساجد والمستغرق في التسبيح
○ وأنتم ماذا فعلتم ؟!
ـ حفروا أنفاقا تحت الأقصى ..
○ وأنتم ..
ـ فعلوا فعلوا ...
○ وأنتم ماذا فعلتم ؟
ـ نحن .. إنا ... أعني ...
○ حسبك ! ..
كف عن الشكوى ... فلقد أصبحت أشك بأنك مني !
حسبك .. !
فلقد أومض بركان الغضب على شفرة سيفي .. !
وتطاير لهب الفتح القدسي شواظا من عيني فرسي .. !
ـ أعرني سيفك .. أو فرسك ..
○ حسبك .. !
ليس لسيف صلاح الدين سوى زند صلاح الدين وقلب صلاح الدين
هذا العبد المفتقر الى الله تعالى .. !

○ خطر وشيك

كثر الحديث مؤخرا عن سعي اليهود لتدمير المسجد الأقصى ، وتعددت مؤخرا أيضا ـ محاولات الاعتداء عليه ، وهذا أمر له مغزى خطير ، وبخاصة إذا استعرضنا سلسلة الاعتداءات الطويلة على المسجد الأقصى التي اقترفها اليهود منذ أن احتلوا القدس ، مما يوحي بأن خطرا وشيكا قد يقع ، أن جريمة أخرى يمكن أن يرتكبها اليهود ، ليختموا بها سلسلة اعتداءاتهم عليه . ففي الشهر الماضي تكررت أكثر من محاولة لتفجيره قام بها يهود تدعمهم الحكومة الاسرائيلية ، ولعل آخر تصريح صدر بهذا الشأن ـ حتى كتابة هذا المقال ـ ما نقل عن محافظ مدينة القدس في الضفة الغربية أنور الخطيب الموجود حاليا في عمان : أن هيكل سليمان المزعوم على وشك القيام على أنقاض المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة ، والذي تخطط سلطات الاحتلال لهدمه بالتعاون مع بعض الجهات المعادية ، وكشف المحافظ في حديثه عن أن جماعات مسيحية « متطرفة » من طائفة فناغالست في مدينة لوس انجلوس الاميركية قامت حتى الآن بجمع ٢٠٠ مليون دولار بهدف إقامة الهيكل المزعوم بالتعاون مع منظمات يهودية متطرفة .

○ الابعاد السياسية للخطر

ولعل مما يزيد من حدة هذا الخطر ما آلت إليه أوضاع العالم الاسلامي بعامة والعربي بخاصة ، لا سيما بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان ، وما أعقبه من ضعف حل بالمقاومة الفلسطينية ، وانقسام في منظمة التحرير ، وتنافر في مواقف بعض الحكومات العربية حول القضية الفلسطينية ، أضف إلى ذلك انشغال المسلمين بحرب الخليج المدمرة ، وقلقهم من استمرارها .

وإذا كانت إسرائيل ـ كما يرى البعض ـ تتهيب من ردة فعل العالم الاسلامي على محاولتها هدم المسجد الأقصى ، فإن أوضاع المسلمين الآن لا تؤيد وجهة النظر هذه فيما يظهر . ومن المرجح أن هناك عاملين أساسيين ما تزال إسرائيل تحسب حسابهما : أولهما ما يمكن أن ينجم عن الاعتداء على المسجد الأقصى ، في الأرض المحتلة ، من غضبة الشعب الفلسطيني المسلم ، وما يمكن أن تدفع إليه هذه الغضبة من تصاعد في العمليات الفدائية ضد العدو الصهيوني . وثانيهما : انعكاس مثل هذا الاعتداء على الخطط السياسية التي يحاول حلفاء إسرائيل الكبار أن يرتبوها في المنطقة ، وما يحتمل أن يسببه هذا الاعتداء من عرقلة لتلك الخطط ، مما يضر بمصالح حلفاء إسرائيل . والواقع أن هذا العامل الثاني عرضة للتغير ، فربما تجد إسرائيل مصلحة حقيقية في إرباك حلفائها أحيانا ، وتلجأ ـ كما رأينا في لبنان ـ إلى عمل من هذا القبيل لخلط الأوراق في لعبة المنطقة .



○ الرموز الدينية

والحقيقة أن الحركة الصهيونية والحكومات الاسرائيلية المتعاقبة أولت الرموز الدينية اليهودية اهتماما كبيرا جدا ، بلغ حد الخرافة في كثير من الأحيان ، وعمدت إلى تسخير هذه الرموز في سبيل قضاياها السياسية . فمنذ المؤتمر الأول للحركة الصهيونية الذي عقد في مدينة بال بسويسرا قال هيرتزل : « اذا حصلنا يوما على مدينة القدس ، وكنت لا أزال حيا وقادرا على القيام بأي شيء فلن أتوانى لحظة عن إزالة كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها ، وسوف أدمر كل الآثار التي مرت عليها قرون »

بدعة حائط المبكى

ومن هذا القبيل ما اخترعه اليهود حديثا من بدعة « حائط المبكى » وهو الاسم الذي أطلقه اليهود في مطلع القرن العشرين على الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم القدسي الذي يسمى حائط البراق ، مع أنه لم يرد قبل هذا التاريخ في أية وثيقة صهيونية ، وذلك لاثارة مشاعر اليهود ، وحثهم على العمل لاقامة دولتهم .

« يدعي اليهود ان هذا الحائط هو من بقايا الهيكل متناسين ان الهيكل الاول الذي بناه النبي سليمان عليه السلام عام (١٠٠٥) ق.م قد هدمه

نبوخذ نصر في عهد الكلدانيين عام ٥٨٧ ق.م ، ومتناسين ايضا ان الهيكل الثاني الذي بناه هيرود الآدومي الاصل عام (١٨) ق.م قد هدمه تيطس الروماني عام (٧٠) ب.م ، وأزال آثاره بالكامل هدريان الروماني عام (١٣٥)ب.م الذي هدم جميع القدس حسب ما جاء على لسان المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس .. » - عن كنوز القدس ص ٣١ - .

والذي أثار غيظ اليهود أن كل الحفريات التي قاموا بها في المنطقة التي يزعمون أن هيكل سليمان كان عليها لم تكشف حتى الآن أي أثر له علاقة من قريب أو بعيد بزمن داوود وسليمان ، وربما كان إخفاقهم في البحث هذا يزيد من تهوسهم بالرموز التاريخية المندثرة ، ومن ثمة ينعكس هذا التهوس في عمليات الاعتداء المسعورة على المسجد الأقصى .

○ متطرفون و .. متطرفون !

وعلى الرغم من أن الحكومة الاسرائيلية تحاول أن تظهر أن عمليات الاعتداء هذه من تصرفات فئة من المتطرفين الدينيين ، فالحقيقة أنها تقوم بدعمهم ، ومن أدل الأمور على ذلك أن وزارة الداخلية الاسرائيلية قد أنشأت « صندوق أمناء المعبد » لدعم الحركة الجديدة التي تسمي نفسها « حركة أمناء جبل المعبد » التي أخذت على عاتقها تغيير كل طابع اسلامي في فلسطين والاستيلاء على المسجد الأقصى ، وهدمه ، وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاضه . ومن المظاهر الدالة كذلك أن رؤساء الحكومات الاسرائيلية الذين يحظون بأكبر تأييد هم من أشد اليهود عتوا وتطرفا ، ولقد كان آخر رئيسين (بيجن وشامير) إراهبيين لهما تاريخ دموي أسود .

○ النزاع على ملكية حائط البراق

ومنذ أن صدر وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧ شرع اليهود في استغلال ما أسموه حائط المبكى لجذب المهاجرين إلى فلسطين ، وبدأوا كذلك في محاولاتهم لتغيير المعالم التاريخية لحائط البراق : يتسللون إليه ، ويتجمهرون حوله أيام السبت ويتباكون ، مما أثار حفيظة المسلمين فبدأ النزاع حوله يشتد ، وبلغ ذروته عام ١٩٢٩ ، فاضطرت سلطات الانتداب آنذاك أن تطلب من عصبة الأمم المتحدة الموافقة على تشكيل لجنة دولية للنظر في حق ملكية حائط البراق . وشكلت اللجنة في مايو ١٩٣٠ ، وعقدت ٢٣ اجتماعا خلال شهري يونيو ويوليو ١٩٣٠ ، استمعت فيها إلى عدد كبير من المواطنين المسلمين والمستوطنين اليهود ، ودرست الآثار التاريخية للحائط ، وعرض اليهود على اللجنة ٣٥ وثيقة ، وعرض المسلمون عليها ٢٦ وثيقة ، وأعلنت اللجنة قرارها في ديسمبر ١٩٣٠ على النحو التالي : للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط

الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف ، التي هي من أملاك الوقف الاسلامي .. الخ ..

○ وبدأت الاعتداءات اليهودية

لكن هناك فرقا بين الاقرار بالحق وبين الاذعان للسيف . وقل أن أذعن اليهود في تاريخهم لغير السيف . ومنذ أن صدئت سيوف المسلمين ، وفل حدهم في حرب حزيران ١٩٦٧ بدأت سلسلة طويلة من الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى يمكن سرد بعض منها على النحو التالي :

- في الاسبوع الأول بعد عدوان عام ١٩٦٧ هدمت جرافات جيش العدو الاسرائيلي الحي الملاصق للمسجد الأقصى ، لكشف حائط البراق .
- في ١٩٦٧/٨/١٥ قام حاخام جيش العدو شكومو بن غوريون مع عشرين ضابطا يهوديا بالصلاة في المسجد الأقصى . وأعلنت صحيفة جروزالم بوست أن لدى الحاخام مشروعا لاقامة كنيس يهودي في ساحة الأقصى .
- في ١٩٦٧/٨/٣١ استولى جيش العدو على مفتاح باب المغاربة أحد



● البائكة الشرقية . العصر العباسي

الأبواب الرئيسية للحرم القدسي .
- في عام ١٩٦٩ أزالت قوات الاحتلال اليهودي حارة المغاربة كاملة : أبنيتها ومدارسها ومساجدها التاريخية ومنها المدرسة الافضلية والزاوية الفخرية ، وذلك بهدف توسيع الطريق المؤدية إلى حائط المبكى .
- في ١٩٦٩/٨/٢١ قام أحد اليهود ، تحت سمع جيش الاحتلال وبصره ، بجريمة إحراق المسجد الأقصى ، في محاولة لهدمه ، وقد تعرض المسجد لتلف شديد أوجزه يومها الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة العلمية الاسلامية في مؤتمر صحفي بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٢ كما يلي :
١ - احتراق منبر صلاح الدين الأثري التاريخي بأكمله .
٢ - تدمير سقف الجناح الجنوبي الشرقي ، ومحراب زكريا بأكمله ، وتبلغ مساحته ٤٠٠/م٢
٣ - وصول النيران إلى قبة الأقصى حتى باتت بطانة القبة معرضة للسقوط .
٤ - تلف جدران المحراب الداخلية جميعا وإصابة النقوش والزخارف الأثرية بشكل لا يمكن إصلاحه .
٥ - تلف العمودين الموصلين من ساحة القبة إلى منطقة المحراب ، وكذلك القوس المحمول عليهما .

وقد ثبت أن سلطة الاحتلال قد تعمدت الابطاء في إخماد الحريق ، إذ لم تصل عربات الاطفاء إلا بعد أكثر من ساعة من اندلاع الحريق ، وأكدت لجنة فنية مؤلفة من ثلاثة مهندسين شكلت للتحقيق في أسباب الحريق ، أن الحريق كان مفتعلا ومتعمدا .

بينما زعمت سلطات الاحتلال أن سبب الحريق احتكاك كهربائي ، ثم زعمت أنه بسبب تطاير شرارة من لحام الأكسجين ، ثم اضطرت في اليوم التالي أن تعلن عن اعتقال شاب يهودي يدعى مايكل روهان وصفته بالجنون ، وقالت إنه قد سبب في الحريق .

○ عمليات الحفر

واتخذ الاعتداء اليهودي على المسجد الأقصى أشكالا اخرى عدة أبرزها عمليات الحفر التي باتت تهدد أساسات المسجد بالانهيار ، والهجوم المسلح على المصلين فيه وقتل أعداد منهم ، وعمليات الاستفزاز بمحاولة الصلاة في ساحة الحرم ، ووضع المتفجرات فيه لنسفه .

وقد جرت عمليات الحفر سرا في البداية بفتح الأنفاق تحت ساحة الحرم ، بدءا من عام ١٩٧٠ ثم استعلنت بعد ذلك ، وقد أوضحت ذلك صحيفة عالهمشمار في عددها ليوم ١٩٧١/٧/٧ إذ نقلت رسالة من رئيس (حركة إسرائيل الكاملة) جاء فيها : « الآن وبعد مضي أربع سنوات على تحرير (..) القدس نود أن نوجه نداء إلى الدوائر والهيئات ذات الاختصاص بأن الوقت قد حان كي تجرى عمليات الكشف عن حائط المبكى على المكشوف وفي وضح النهار وليس فقط في أعماق الأرض . »

وقد فتحت أنفاق عمودية ثم

أفقية ، كما جرى التنقيب عن الآثار سنين عدة في كل التلة الواقعة إلى الجنوب من الحائط الجنوبي للحرم ومناطق أخرى ، ومواقع أخرى في القدس القديمة . وعلى الرغم من هذه الحفريات الواسعة لم يعثر على أي أثر له علاقة من قريب أو بعيد بزمن داوود وسليمان ، وأغلب الآثار التي وجدت تعود إلى فترة القرون الثلاثة الأولى قبل المسيح والقرون الثلاثة الأولى بعده أي في فترتي حكم اليونان والرومان للقدس .

وفي ١٩٨١/٨/٢٩ أكتشف حراس الحرم الشريف نفقا يبدأ من حائط البراق ، ويصل أنفاقا متعددة تفضي جميعا إلى أسفل المسجد الأقصى وساحاته ، لتصل إلى قبة الصخرة ، حيث يزعم المتدينون اليهود أن تابوت العهد الذي كان في هيكل سليمان موجود هناك ! بينما صرح عدد من الجيولوجيين الاسرائيليين أن هذا النفق يقود إلى بئر قديمة ، وأن من المحال أن يصل إلى هيكل سليمان كما ادعى المتدينون . وقال أحد علماء الآثار الاسرائيليين (مئير بندوف) إن الاكتشاف ليس بجديد فقد كان النفق معروفا من ١١٠ سنوات عندما اكتشفه العالم البريطاني شارلز وارن وعرف النفق باسمه وهو جزء من شبكة مائية .

وفي ١٩٨٣/٣/١٣ اكتشفت دائرة الاوقاف فتحات جديدة تحت الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى قام بحفرها اليهود في أثناء محاولتهم اقتحام المسجد .



● قبة موسى بجوار قبة الصخرة . انشأها الملك الصالح نجم الدين ٦٤٧هـ

بيد أن الخطير في الأمر ما كشفه الدكتور محمود أبو طالب رئيس قسم الآثار في الجامعة الأردنية عام ١٩٨٢ من تقرير أعده عدد من المهندسين المعماريين اليهود ركزوا فيه اهتمامهم على « إبراز هيبة حائط المبكى ، والاهتمام بتوفير المكان الكافي للمصلين ومواقف السيارات في ساحة الحائط . وهذا التقرير - كما يقول رئيس قسم الآثار - وضع كأطروحة أساسية للفكرة القائلة : إن منطقة الحرم القدسي هي التي تهفو إليها قلوب بني إسرائيل ، وإن حائط المبكى لا يمكن أن يحل محله .

○ الهجوم المسلح على المصلين المسلمين

في ١٢/٤/١٩٨٢ أقدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلية على ارتكاب جريمة بشعة ، حين اقتحمت مجموعة من عصابات الحاخام مائير كاهانا المسجد الأقصى ، فلما حاول حراس المسجد منعهم قام جندي مظلي إسرائيلي من المجموعة المقتحمة بإطلاق الرصاص على الحراس فقتل اثنين وجرح ثالثا ، ثم أخذ يطلق الرصاص بشكل جنوني على المصلين ، وأشعل النار في بعض سجاجيد المسجد ، فوقع ١٧ من المسلمين بين شهيد وجريح .

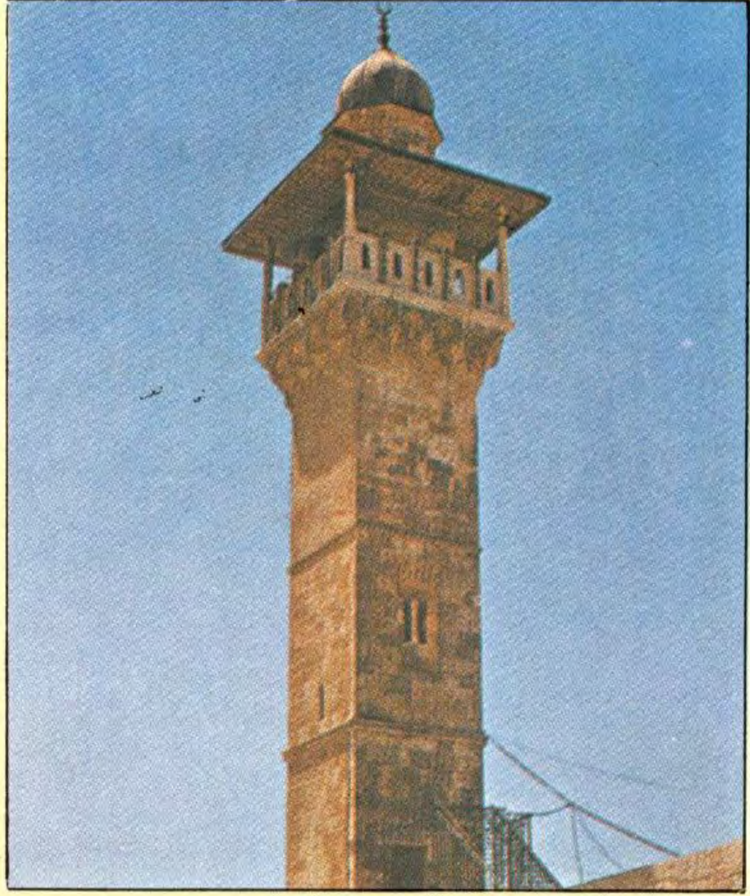
وقالت سلطات العدو فيما بعد إنه صدر الحكم على ذلك الجندي الاسرائيلي (هاري آلن جودمان) بالسجن المؤبد ، إلا أنها أفرجت عنه بعد وقت قصير ، وشوهد مع جنود إسرائيلين في بيروت .

● محاولات استفزازية

في أواخر عام ٦٩ قام ٢٥ يهوديا بتلاوة المزامير والنشيد الصهيوني (هاتفكا) على الدرجات المفضية إلى ساحة المسجد الأقصى .

وفي أوائل عام ٧٢ قام أعضاء من حركة بتيار ، شبيبة حزب حيروت ، بالصلاة داخل الحرم القدسي ، ثم أعادوا محاولتهم في منتصف عام ٧٢ فدخلوا ساحة المسجد في ٢٢/٧/١٩٧٢ ونفخوا في البوق .

وفي أواخر كانون الثاني من عام ١٩٧٦ أعادت هذه الحركة الكرة ، فقام ثمانية من أعضائها بمحاولة استفزازية للصلاة في ساحة المسجد ، فتصدى لهم شبان مسلمون ، وحدثت مشاجرة انتهت بحكم محكمة اسرائيلية بتبرئة اليهود والسماح لهم بالصلاة في المسجد الأقصى ، وصدر عن المحكمة قرار في ٢٨/٢/٧٦ يعطي الحق لليهود بالصلاة فيه . ونجم عن هذا القرار انتفاضة عارمة في الأرض المحتلة استمرت أسابيع ، وفي ١٣/٣/٨٣ نقلت بعض وكالات الأنباء أن عددا من أعضاء الكنيست الاسرائيلي وأساتذة إسرائيليين في الجامعات وأعضاء في الأحزاب الاسرائيلية وضباطا وجنودا في الجيش الاسرائيلي اشتركوا في اقتحام الحرم القدسي الشريف مع « المتطرفين » اليهود .



● المئذنة الفخرية

والواقع أن من الصعب أن نتتبع المحاولات الاستفزازية التي يقوم بها اليهود باستمرار وتدعمهم في ذلك سلطات الاحتلال .

○ تفجير المسجد الأقصى

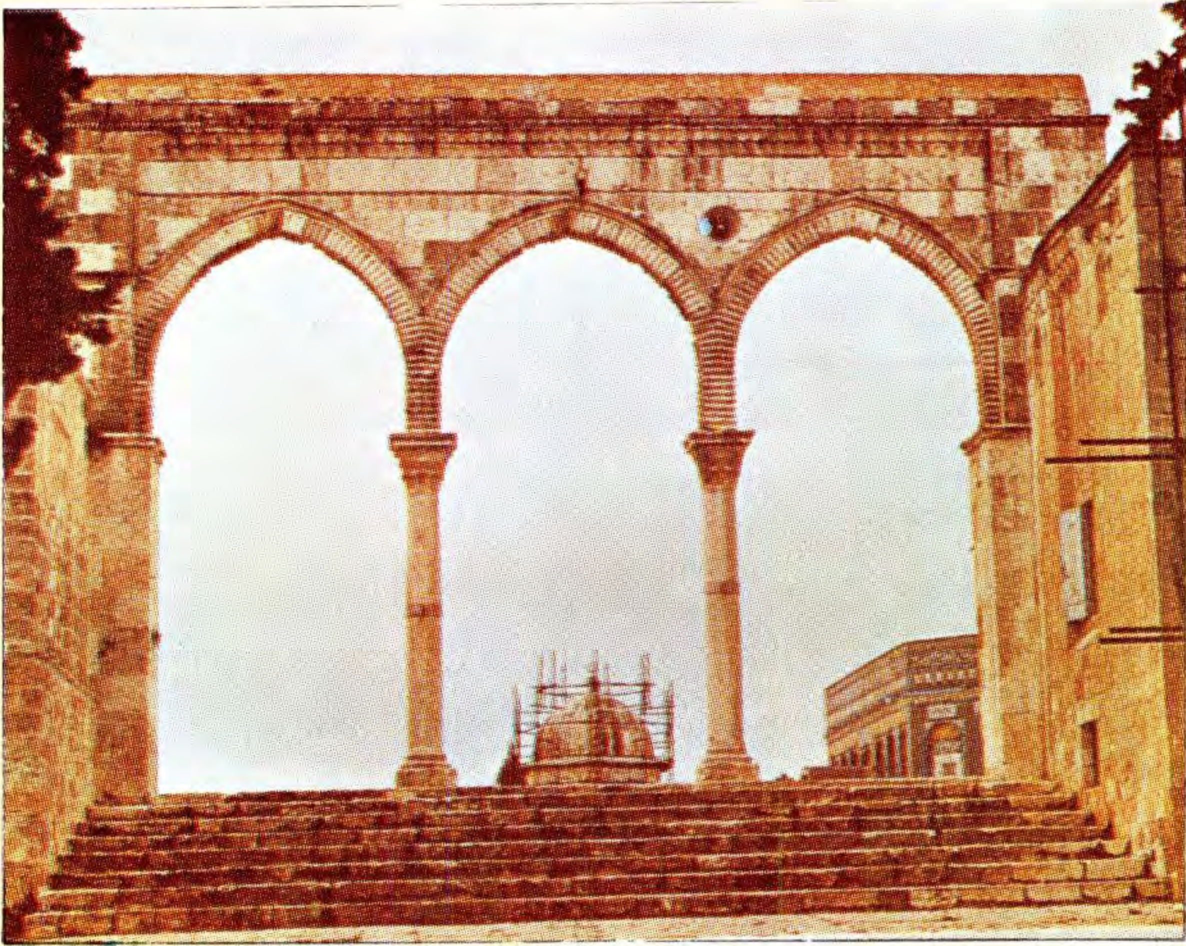
إن محاولات اليهود تفجير الأقصى التي كان آخرها في الشهر الماضي تدل على أن اليهود في نيتهم أن يقوموا بعملية اعتداء كبيرة على المسجد منتهزين الأوضاع السياسية والعسكرية المضطربة في المنطقة . ومن هنا تكتسب صرخات الانذار التي يطلقها بعض المسلمين المعنيين بالمسجد والآثار الاسلامية الأخرى .. جدية وخطرا .

وترجع محاولات اليهود هذه إلى تاريخ ١٩٧٩/٦/٢١ حين أحبط حراس الحرم القدسي محاولة يهودية ثانية لحرق المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقد لاذ اليهودي بالفرار حين لاحظه أحد الحرس ، وعثر قرب المكان الذي فر منه على حقيبة تحتوي مواد متفجرة حارقة .

وفي ربيع عام ١٩٨٠ وقعت محاولة اعتداء بالمتفجرات ، استخدم فيها اليهود متفجرات من النوع الذي يستعمله الجيش الاسرائيلي .

وفي ٨٤/١/٢٧ قام إسرائيليان ، وصفا ـ كالعادة ـ بأنهما متطرفان ، بمحاولة جديدة للاعتداء على المسجد الأقصى ، وكانا يحملان بضع قنابل يدوية ، وست حقائب متفجرات ، وقد

● البائكة الشمالية الشرقية انشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٢٦هـ



حاولا دخول الحرم في الليلة السابقة ، لتفجير المسجد ، غير أنهما لاذا بالفرار حين لاحظهما شرطة الحرم الشريف « وهم شرطة عرب يقومون بحراسته ، ويشرف عليهم قسم الشرطة الاسرائيلية » كما ذكرت الانباء .

وقد علق على ذلك مفتي القدس ورئيس الهيئة العلمية الاسلامية الشيخ سعد الدين العلمي بقوله « إن إرهاب المستوطنين الاسرائيليين الموجه للمساجد والكنائس والمدارس في الأراضي الفلسطينية المحتلة قد بدأ يأخذ أبعادا خطيرة » . واعترفت شرطة العدو الاسرائيلي نفسها بأن كمية المتفجرات الضخمة التي استخدمت تدعو إلى افتراض اشتراك العسكريين فيها بصورة مباشرة . وكانت معظم محاولات الاعتداء بالمتفجرات قد قام بها عسكريون اسرائيليون من جنود وضباط .

○ موقفان

وهكذا يمكن تلخيص موقف سلطات الاحتلال الاسرائيلي بكلمات : إنها قد خططت وسارت سيرا حثيثا في تنفيذ خططها للقضاء على الآثار الاسلامية في الأرض المحتلة ، وفي مقدمتها المسجد الأقصى

ومسجد الصخرة لاقامة الهيكل اليهودي المزعوم على انقاضه، وكدأبها دائما تنسب هذه العمليات التنفيذية لمن تدعوهم « متطرفين » ، ثم تجعل من تصرفات المتطرفين واعتداءاتهم أمرا واقعا جديدا ، بل تسن له قوانين كما رأينا في قرار المحكمة الاسرائيلية بحق اليهود في الصلاة في المسجد الأقصى .. وهلم جرا ...

كما يمكن تلخيص الاجراءات التي اتخذتها حكومات المسلمين في مواجهة الاعتداءات اليهودية على النحو التالي :

في ٦ / ١٠ / ٦٩ عقد أول مؤتمر قمة إسلامي في الدار البيضاء بالمغرب ردا على إحراق اليهود للمسجد الأقصى ، ووضع المؤتمر « استراتيجية » تقوم على قاعدتين :

الأولى : التضامن الكامل والمطلق مع الشعب الفلسطيني في حقه في استرجاع أرضه المحتلة .

والثانية : اعتبار تحرير مدينة القدس مسؤولية إسلامية مشتركة .

وعقدت بعد هذه القمة قمم أخرى إسلامية ، آخرها مؤتمر الطائف في خريف ١٩٧٨ وانبثقت عنه لجنة سميت لجنة القدس عهد إليها وضع « استراتيجية » أخرى لتحرير القدس .

وخلال فترة هذه المؤتمرات ، وقبلها ، وبعدها أيضا ، قامت إسرائيل بسلسلة أعمالها « التنفيذية » التي قمنا بسرد بعضها في الصفحات السابقة ، كما طردت ثلث سكان القدس من العرب المسلمين حوالي (٣٥٠٤) أسرة ، وهودت القضاء ، ولم تبق في القدس أية دائرة رسمية عربية ، ومنحت ترخيصا لمنظمة جديدة تدعى مؤسسة هيكل أورشليم مهمتها إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، وآخر ما أعلن عنه كما ذكرنا من قبل أن وزارة الداخلية الاسرائيلية أنشأت صندوقا خاصا « صندوق أمناء المعبد » لدعم الحركة الجديدة « حركة أمناء جبل المعبد » التي أخذت على عاتقها تغيير كل طابع إسلامي في فلسطين المحتلة ، والاستيلاء على المسجد الأقصى وهدمه ، وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاضه ، بالتعاون مع عدد من القساوسة المسيحيين ورجال الأعمال المتحمسين في ولاية كليفورنيا الأميركية .

○ الحرم القدسي : قراءة تاريخية .

يطلق تعبير « الحرم القدسي » على المكان الذي يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس ، ويقوم عليه مسجد الصخرة ، والمسجد الأقصى ، وما بينهما وحولهما من منشآت حتى الأسوار ومساحة الحرم على الاجمال ٥٠٠ × ٣٠٠ متر مربع .

○ مسجد الصخرة

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وكان الشروع فيه سنة ٦٦

هـ ، والفراغ منه سنة ٧٢ هـ . وقد نقش اسم عبد الملك بالخط الكوفي المذهب على قناطر التثمينة الوسطى .

وقد تعهده بعد عبد الملك معظم خلفاء المسلمين وأمرائهم ، ويعد في نظر كثير من علماء الآثار من أجمل ما خلده التاريخ .

وفي أثناء الحروب الصليبية حوله الصليبيون حين احتلوا القدس عام ٤٩٧هـ إلى كنيسة ، وبنوا على الصخرة مذبحا ، وكان قسوس النصارى في باديء الأمر يقطعون من الصخرة قطعا يحملونها إلى بلادهم فيبيعونها بوزنها ذهبا . فلما فتح صلاح الدين القدس سنة ٥٨٣ هـ أزال عنه آثار الكنيسة ، وزين القبة من الداخل بالنقوش الجميلة ، وكسا جدران المسجد بالرخام .

وقد عني بالصخرة من بعده ملوك بني أيوب ، ويذكر أنهم كانوا يكسونها بأيديهم ويغسلونها بماء الورد ، وكذلك عني بها من بعدهم سائر أمراء المسلمين .

يقع مسجد الصخرة في وسط فناء مرتفع عن أرض الحرم ، قبته مستديرة قطرها ٢٠,٤٤ مترا وارتفاعها عن أرض المسجد ٢٠,٤٨م ، وتحت القبة تقوم الصخرة ، وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ مترا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ مترا ، وارتفاعها عن الأرض يتراوح بين متر ومترين .

تحت الصخرة مغارة ينزل إليها بإحدى عشرة درجة تسمى مغارة الأنبياء . وفي رقبة القبة ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب ، والقبة نفسها تقوم على اثنى عشر عمودا من الرخام ، وأربع أساطين مكسوة بالرخام الأبيض المعرق .

والبناء حول الصخرة مثمن الأركان ، وهو مكون من تثمينتين : الخارجية تتكون منها جدران المسجد . وطول كل ضلع منها ٢٠,٥٩ مترا ، وارتفاعه ٩,٥٠ أمتار ، وجملة ما في الجدران الثمانية ٥٦ نافذة ، أربعون منها ينفذ منها النور . والتثمينة الداخلية بين جدران المسجد والأعمدة الحاملة للقبة ، وهي مرفوعة على ثماني اسطوانات ملبسة بالرخام وستة عشر عمودا مختلفة الألوان ، وبين التثمينتين رواق للصلاة .

ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة من الخشب مكسوة بصفائح الرصاص ، وفناء المسجد واسع مربع الشكل مفروش بالبلاط الأبيض من أيام الملك المنصور قلاوون .

وحول مسجد الصخرة قباب أخرى كقبة السلسلة ، صنعها عبد الملك بن مروان ، وقبة المعراج ، ومحراب النبي بينهما وبين المسجد ، وقبة يوسف ، والقبة النحوية ، وقبة الشيخ الخليلي ، وقبة الخضر ، وقبة سليمان ، وهي من منشآت الأمويين أيضا ، وقبة الشجرة .....

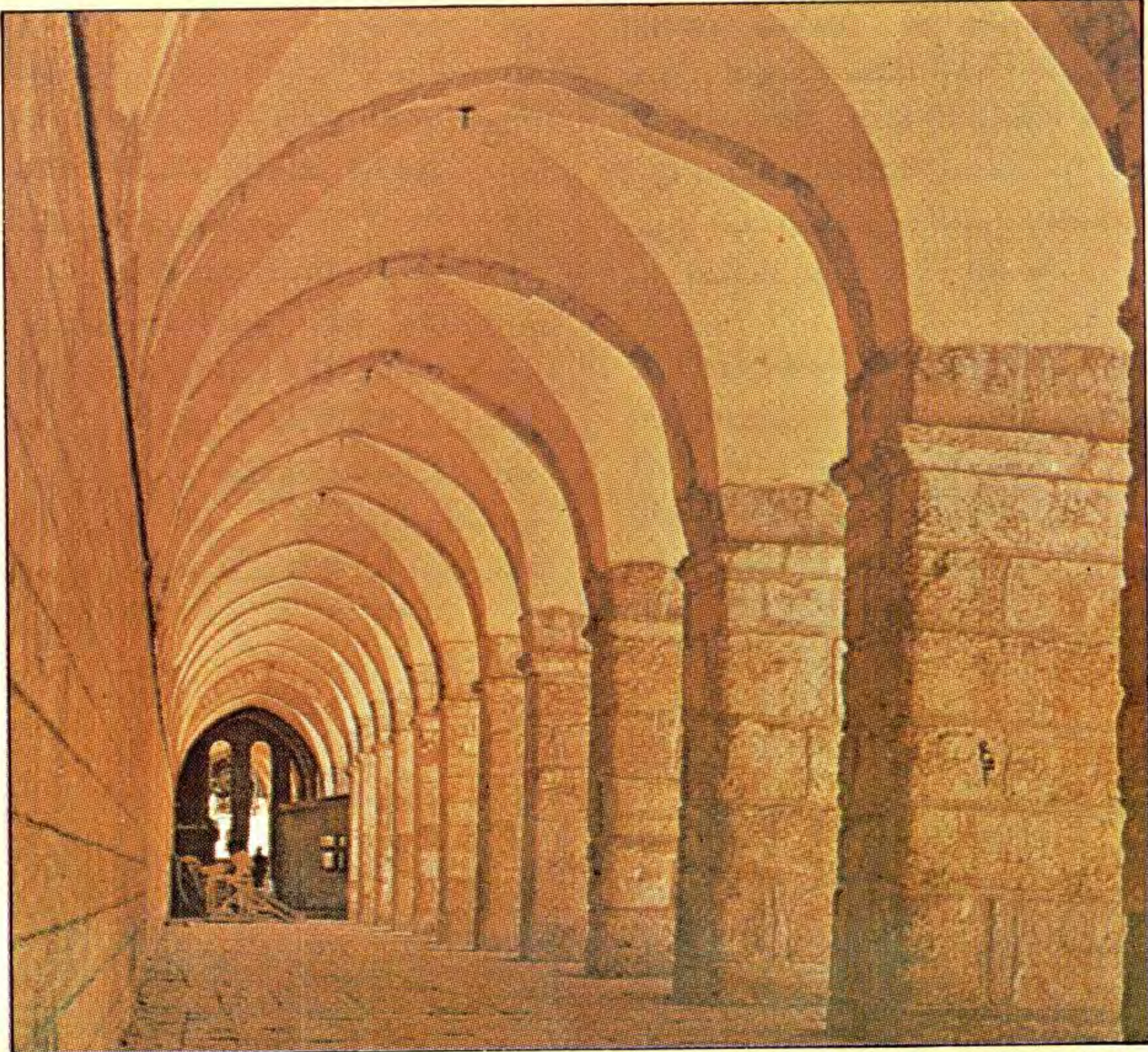
وذكر أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء إماما ليلة الاسراء كانت على الصخرة .

● المسجد الأقصى :

بعد أن أتم عبد الملك مسجد الصخرة بنى إلى الجنوب منه على بضع مئات من الأمتار المسجد الأقصى ، وذلك سنة ٧٤ هـ ونسب بعض المؤرخين بناءه إلى ابنه الوليد ، ولعل الوليد استتم في عهده ما بدأه أبوه من قبل .

طول المسجد ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ، ويقوم على ٥٣ عمودا من الرخام ، و ٤٩ سارية مربعة مبنية بالحجارة . وفي الصدر منه قبة خشبية مستورة من الخارج بصفائح الرصاص ، ومزينة من الداخل بالجص النافر المزخرف بفصوص الذهب الملونة ، وفي الصدر منه أيضا محراب كبير ، إلى يمينه منبر صلاح الدين الذي أحرقه اليهود فيما أحرقوا من المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ ، وكان المنبر من الخشب المرصع بالعاج والآبنوس .

وفي داخل المسجد عند زاويته القبلية إلى الشرق جامع مستطيل متصل به يسمى جامع عمر ، وإلى الشمال من جامع عمر إيوان كبير ،



● الرواق الغربي ـ انشأه السلطان محمد بن قلاوون ٧٠٧

يليه إيوان صغير .
وللمسجد أحد عشر بابا

وأمام المسجد من الشمال رواق كبير ، أنشأه الملك المعظم عيسى ـ من ملوك بني أيوب ـ وجدد بعده ، وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة تنتهي كل منها إلى باب من أبواب المسجد السبعة .

○ مآذن الحرم وأروقته ومياهه :

للحرم القدسي أربع مآذن : مئذنة باب المغاربة وتسمى المنارة الفخرية ، ومئذنة باب السلسلة ، ومئذنة باب الغوانمة ، ومئذنة باب الأسباط .

وفي طرف الحرم من الغرب أروقة محكمة البناء أنشئت في عهد الملك الناصر محمد قلاوون ٧٠٧ ـ ٧٣٨ هـ ، وفي طرفه من الشمال أيضا أروقة أنشأها ملوك آخرون بعده . وفي الحرم سبع وعشرون بئرا ، كلها كانت عامرة حتى عام ١٩٤٩ خلا اثنتين . وفيهما من الماء ما يكفي لسكان المدينة القديمة كلها ، وليس للمصلين وحدهم . وفي الحرم أيضا سبل ماء كثيرة .

○ الحائط الغربي للحرم (حائط البراق) :

طول الحائط ١٠٠ متر وارتفاعه ٢٠ مترا . وذكر أن تسميته حائط البراق ترجع إلى أن جبريل عليه السلام ربط البراق بهذا الحائط حين ربطه ليلة الاسراء ، وذكر بعض من شاهده أن فيه تجويفا كانت فيه الحلقة التي ربط البراق بها .

وأورد ابن كثير في تفسيره حديثا رواه الترمذي عن جبير بن نفير عن شداد بن أوس وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم « .. ثم انطلق بي ـ أي جبريل ـ حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني ، فأتى قبلة المسجد ، فربط فيها دابته ، ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر ، فصليت من المسجد حيث شاء الله » .

وأورد حديثا آخر رواه الامام أحمد عن أنس بن مالك : « .. فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين .. » وفي ذلك أحاديث أخرى ..



ديوان الفضائل في المجتمع الإسلامي

للأستاذة : فتحيـة محمد توفيق

الفضيلة هيئة نفسية تصدر عنها الفضائل . وليس المراد بالفضيلة مجرد الفعل وحده . وانما المراد الهيئة النفسية التي يصدر عنها الفعل . والفضائل تصدر عن القوى النفسية في الانسان ومقياسها الاعتدال الذي هو الوسط الاخلاقي . فالقوة الناطقة اذا اعتدلت كان منها الحكمة .

وديوان الفضائل في المجتمع الاسلامي ، ليس مقصورا على تلك الألفاظ ، والمصطلحات التي نقرؤها ، ونرويها ، ونسمعها ، ولكن روى معها حقائق من الطبع والخلق والكسب . وكان أرفعها السعي لتحصيل العلوم والعمل بها ..

والمتأمل في الدراسات الاسلامية يجد أن العلماء المسلمين لم يقفوا عند حصائل الألفاظ والمصطلحات ، بل

عاشوا حياة العلم ذاتها ، وبذلوا كل الاهتمـام بـاللبـاب دون القشر ، واشتغلوا بالجوهر دون العـرض ، وزكوا أنفسهم بالمحمود الذي يزداد حمدا كلما زكا ونما ..

والفضيلة التي اهتم بها المسلمون ، مشتقة من الفضل ، والفضل ضد النقص ، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل ومعنى الفضل الزيادة على الحاجة او الاحسان ، ابتداء بلا علة ، وفضيلة الشيء مزيته ، او وظيفته التي قصدت منه ، او كماله الخاص به ، ويقـال : فضيلة السيف : إحكـام القطع . والفضيلة في علم الاخلاق هي : الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير او مطابقة الافعال الاراديـة للقانون الاخلاقي ، أو مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها .

فالفضيلة تعـود الارادة تحقيق الخير ، واجتناب الشر في كل مايصدر عنها ، من فعل ، أو قول أو اعتقاد . ولذلك كانت ملكة مقدرة لكل فعل هو خير من جهة ذلك التقدير ، أويظن به أنه خير ، اعني المحافظة لهذا التقدير والفاعلة له .

ومن هذا يتضح لكل مفكر ، أن الفضيلة لاتتحقق بفعل الخير مرة او بصدور الخير عن الارادة وقتا دون وقت . ولكن لكي يكـون الانســان متصفا بالفضيلة لابد أن يكون متعودا على فعلها ، وأن تصدر عنه الفضيلة صدورا مستمرا ، فلا يكفي في وصف الانسان بالصدق ان يصدق في موطن ويكذب في آخر . بل لابد أن يكون صادقا في المواطن كلها ، ومثل هذا يقال في كل فضيلة ، أو في الفضائل جملة .

ويرى العلماء ان الفضيلة لاتتحقق الا بالعلم والارادة والثبات

١ ـ اما العلم فلأن العمل لايكون فاضلا الا اذا كان مسبوقا بالعلم بفضيلته . ومن ثم يجب على المرء أن يعلم اصـول المعارف والمعـامـلات والتأديبات كما يجب العلم بالرذائل والشـرور الضارة بـالانسان حتى يتسنى له بذلك معرفة نفسه وتطهيرها من أدرانها أي انه لابد من التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل .

٢ ـ وأما الارادة : فلا يكون الانسان فاضلا الا اذا كان مريدا مختارا لما يتصف به من الفضائل . ومن هنا فالمكره والمجنون لاتوصف اعمالهما بالفضيلة . فالارادة شرط الفضيلة بل هي أساس المسئولية والجزاء ولذلك يقول ابن مسكويه : الخيرات هي الامور التي تجعل الانسان بارادته وسعيه في الامور التي لهـا اوجد الانسان ومن اجلها خلق ، والشرور هي الامور التي تصرفه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه ، أو كسله وانصرافه .

٣ ـ وأما الثبات : فبالاضافة الى العلم بالفضيلة والارادة لهـا ، لابد من الثبات عليها ، ودوامها ، لانها بذلك تصبح عادة وسجية وتربي في النفس الارادة القـوية نحـو الفضـائـل ، والاقبال عليها والتمكن منها ، ومن ثم فصدور الفضيلة من الانسان بغير ثبات عليها لايجعله من الفضلاء .

وبالعلم والارادة والثبات تتحقق

الفضيلة الكاملة للانسان فلا تنال منه الاحداث ، ولايفزع من نوائب الدهر ، ولايحزن على فقد محبوب ولايتحسر على فوت مطلوب ، ولايهش الا باظهار الحكمة الى اهلها .

ومن شرط الفضيلة ان تتم في الحياة الاجتماعية ، لان من ترك مخالطة الناس وتفرد بالأمر دونهم ، لاتحصل له الفضيلة .

ولامعنى للتواضع ، والصداقة ، والكرم ، والاخلاص وانكار الذات وغيرها من الفضائل ، الا بالنسبة الى رجل يعيش مع الناس ، ويشاركهم في أحوالهم ..

ولذا يقول العلماء : ان الفضائل تختلف باختلاف طبقات المجتمع فاذا كانت العفة فضيلة العمال ، والشجاعة فضيلة الجنود ، والحكمة فضيلة الحكام . فان المجتمع الفاضل هو المجتمع العادي الذي تتحقق فيه جميع الفضائل الانسانية في وزن واحد من الاتساق ..

ومن شروط الفضيلة ايضا : قدرة الفاعل على التمييز بين الفضيلة والرذيلة أو بين الخير والشر . فالذي يعمل الخير ، ولايدري أنه خير لايقال عنه انه فاضل ، ولايوصف فعله بأنه فضيلة ، ولكي يعد العمل فضيلة ، والعامل فاضلا ، لابد أن تتجه نيته وقصده الى الفضيلة .. والمرء لايوصف بفضيلة لانه فعلها مرة او عدة مرات ، بل لابد أن يتعود على فعلها وأن يستمر على التمسك بها دائما ..

ولكي يوصف المرء بفضيلة العدل لايكفي أن يكون عادلا مرة أو مرات بل لابد ان يكون عادلا على الدوام ..

والفضائل كثيرة ومتنوعة فالبر ، والعدل العام ، والشجاعة ، والمروءة والعفة ، وكبر الهمة ، والحلم ، والسخاء ، والحكمة ، والصدق ، والصبر كلها فضائل ..

وهذه الفضائل وان كانت مظاهر لحب الخير ، ومقت الشر الا انها مختلفة ، فمنها ماهي فضائل ذات فقط ، ومنها ماهي فضائل من جهة انها تفعل في أناس آخرين ..

وهذه التي تفعل في أناس آخرين ، تكون أعظم عند قوم منها عند آخرين ، وفي حال دون حال . مثال ذلك أن فضيلة الشجاعة آثر في وقت الحرب منها في وقت السلم .

وأما فضيلة العدل فمؤثرة في السلم والحرب جميعا . وفضيلة السخاء والمروءة عند المحاويج آثر منها عند غير المحاويج .

وانما تنفصل فضيلة المروءة السخاء بالاقل والاكثر ، لان فعل كليهما هو في المال . لكن المروءة هي فعل اكثر من فعل السخاء .

فأما البر فهو فضيلة عادلة يعطي الفاضل بها لكل امرىء من الناس مايستحق وذلك بقدر ماتأمر به السنة .

والجور هو الخلق الذي يأخذ به المرء الاشياء الغريبة التي ليس له أن يأخذها في السنة ..

واما الشجاعة ففضيلة يكون المرء بها فعالا للافعال الصالحة النافعة في الجهاد وعلى حسب ماتأمر به المبادىء

حتى يكون فعله ذلك خادما للتعاليم التي توجهه ..

فـالفضـائـل الشخصيـة هي الفضائل التي تنظم حياة الفرد ، وتجعل قواه وملكاته في حالة تعادل وتوازن . وأما الفضائل الاجتماعية فهي الفضائل التي تجعل المرء في حالة وفاق مع غيره من الناس ، ومما يلاحظ ان كـلا من الفضائـل الشخصية والفضائل الاجتماعية ، له علاقـة وثيقـة بالآخـر ، فبدون الفضـائل الشخصيـة لايمكن تحقيق الخـير للمجتمـع ، وبـدون الفضـائـل الاجتماعية تلحق الأضرار والمفاسد بالافراد ..

ويجـدر بنا ونحن نتحـدث عن الفضيلة والفضائـل أن نذكـر أن البـاحثين وصلـوا الى أن مـراتب الصفات في الجانب الخلقي ثلاث :

المرتبة الاولى :

مرتبة التعامل المألوف ، الـذي يجري عليه كافة الناس ، حين لايكون هنـاك سبب من أسباب المجـاملة والمكـارمـة ، ولاسبب من اسبـاب المنازعه والمخاصمة . والشأن فيه أن يقع في المستوى الطبيعي ، فلا يعلو عنه ولايهبط ..

وإن شئت بعبارة اخرى فقل : هو التعادل المحض ، والتوازن الصرف فهذا يبيعك سلعة وأنت تشتريها ، فلا فضل لك عليه ولافضل له عليك لانك حققت مصلحتك بالاخذ . وهو حقق مصلحته بالإعطاء . ثم مادمت قد أخذت منه حقك كاملا ، وأعطيته حقه كاملا ، فليس احد منكما قد أخل بمستوى التعادل والتوازن .. واذا أردنا أن نصف هذه المرتبة الخلقية في المجتمع فاننا نصفها بانها « هيكل التعامل » تشبيها لها بالهيكل الذي به يقـوم البنـاء ، وتـأتي من بعـده الاضافات او المكملات ، وهي لاتسمى فضيلة ولارذيلة . ومع أنها هي الحد الاجتماعي الذي يقاس عليه التعامل والـذي هو الشـأن الغالب في أي مجتمـع ، فـانهـا لاتكفي النـاس ولايستقيم عليها شأنهم ..

المرتبة الثانية :

مرتبة التعامل الفاضل الذي يقوم على أساس أن يعتقد كل انسان ان واجبه يقتضيه الفضل اى الزيادة ، فهو لايقيس علاقاته مع الناس بمقدار مايفيد منهم ومايفيدهم قياسا صارما لاهوادة فيه ، بل يبنى دائما على ان يتفضل ويتكرم ، ثم لايعتبر تفضله وتكرمه فضلا له ، ولاكرامة ، وانما يعتبـره واجبا ، وبهـذا يسري في المجتمع روح السماحة واليسر والمحبة ويرتبط الناس برابطة الاحسان الذي هو فوق العدل ، وينبعث فيهم لون من النشاط المثمر البناء .

المرتبة الثالثة :

مرتبة التعامل النازل ، وأساسها الأنانية البغيضة ، وأن يشعر الأفراد بـأنهم في معترك ، قـوامـه القـوة والخديعة ، والتحايل على استلاب ما يمكن استلابه من الآخرين . وأن

يؤدي الانسان أدنى الأموال أو الجهود ليحصل على أقصى ما يمكنه من المميزات وأسباب التفوق . ومن نافلة القول : أن مجتمعا تكون درجته الخلقية هي هذه الدرجة لا يمكن أن يكون مجتمعا سعيدا .

وهذه المراتب الثلاث إنما هي منازل طبيعية ، وصور واقعية عقلية معا ، لذلك لا يتبدل الحكم عليها في زمن من الأزمان ، ولا يمكن أن ينقلب أفضلها فيصبح أرذلها ، ولا أدناها ليصبح أعلاها ، والعقول تقرر ذلك في آخر الزمان ، كما تقرر في أول الزمان .

فكيف يسوغ مع هذا لقائل أن يقول : ما يصلح للأولين من الفضائل والمثل لا يصلح للآخرين ؟

وربما سمعنا هذا كثيرا من كتاب ، وأدباء ، وعلماء ، ورجال فكر وتواجهك هذه المقولة التي لا واقع لها كلما دعا الداعون في المجتمعات الاسلامية إلى الأخذ بما صلح به حال الأمة الاسلامية في أول أمرها فينبري هؤلاء المخرفون بتلك الأقاويل المضلة التي تكشف عن عمالتهم وتبعيتهم .

ولعل من أشد البلايا على الأخلاق ما نراه من داء التقليد الذي منشؤه ضعف النفوس ، واستهانتها بالقيم ، والفضيلة ، والدين . وهي بلايا خلقية تبتلي بها الأمم الضعيفة التي أتلف الغزو الفكري فيها روح الصلابة والمقاومة ، فهي تسرع إلى تقليد الأقوياء في رذائلهم ، دون أن تلتمس الطريق إلى معرفة فضائلهم . ولو تماسك الناس بعرى الأخلاق وعرفوا لأنفسهم قيمتها لكانوا بنجوة من هذا السقوط المزري .

ونحن نحمد الله عز وجل فقد بقي للأمة الاسلامية على الأبد ـ مع تباعد أقطارها واختلاف أحوالها ، وتفرق آمالها ـ ديوان من الفضائل السليمة ، وهذا الديوان ثابت القاعدة ، شاهق البناء ، وهو الذي لم يزل يشدها إلى طباعها من الاستعداد والتأهب .

فقد تفتحت في ظل الاسلام الأخلاق فتسامت بفضائل النفس وعائشة رضي الله عنها تنبه إلى ذلك في إجابتها حين سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان ؟

فقالت : « كان خلقه القرآن » وهذا يمدنا بعطاء خلق النفس الناطقة التي يمتاز بها القرآن لأنه حكم وتنظيم ، ورأى وحكمة ، ومنهاج وتدبير ..

وإذا لم ترسم لهذه النفس الانسانية فضائلها المميزة ، فإن الانسان يستوي عند الغضب بالنمر الجائع ، وعند الزهد بالسبع المريض ، وما أجدرنا أن نتمسك بالفضائل التي دعا إليها الاسلام ، ونتخلق بأخلاق القرآن الكريم ويكون سلوكنا مثلا يحتذى في عالم الفضائل ، حتى تتهذب النفوس وتزكو ويرتفع شأن الفرد ، والجماعة ، والأمة ، وتقوى عرى التآخي والتعاون بين بني الانسان ..



وقفة تأمل

الذكرى النافعة

● جرت عادة المجلات الاسلامية أن تتحدث في شهر رجب من كل عام عن حادث الاسراء والمعراج - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . كما جرت عادة المؤسسات الاسلامية عموما أن تحتفل بهذي الذكرى العطرة .

● وفي زاويتنا تلك لن نتعرض لما يقال عادة عن الاسراء ... وهل كان بالجسد والروح معا ؟ أو بالروح فقط ؟ .. فإن ذلك في نظرنا لا محل له .. خاصة بعد التطورات والعجائب التي أصبحت أمورا مألوفة في غزو الفضاء ..وإيماننا الراسخ بأن قدرة الله فوق كل قانون عرفه البشر .. لأن الله سبحانه هو خالق الناموس ،وهو القادر وحده على خرقه .. وسبحانه قال : « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** » .

ونفهم من هذا أن الاسراء كان بالجسد والروح معا .. والا لم يكن الحادث فتنة للناس « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » .. ولما استغلها الكافرون فرصة للنيل من محمد - صلى الله عليه وسلم - ولما ارتد من ارتد من ضعفاء الايمان . ولما تمثل الايمان الصادق في قولة الصديق أبي بكر : « إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في الخبر يأتيه من السماء في ساعة من ليل أو نهار » .

● ولن نتعرض لتفصيلات ذلك الحدث .. فذاك حديث شاع بين الناس ، ولكنا ندعو إلى أن نترجم احتفالاتنا الاسلامية إلى واقع محسوس في دنيا الناس ، فتكون الذكرى نافعة .

● أولا : يجب على المسلم أن يبذل كل ما يستطيع من أجل الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، وتمكين دين الله في الأرض .. ولا يأس ، فإن نصر الله للمؤمنين الصادقين العاملين وعده ، ومحال أن يتخلف وعد الله .. وقد يتأخر تحقيق الوعد بمقاييسنا الأرضية ، ولكنه لابد آت .. « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم

نصرنا فنجي من نشاء . ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ،

● ثانيا : لا يفرط المسلم في حق من حقوقه ، ولا يساوم على دينه ، ولا يقبل أنصاف الحلول . « **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون** » ولهذا فمنطق الاسلام إما نصر ، وإما شهادة .. يقول الشاعر :

ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر

● ثالثا : لابد أن نتخطى حدود القول إلى نطاق العمل لابد أن نترجم دعوتنا إلى منهج حياة ... فالدعوة إلى الاحسان ، لا جدوى لها .. إن لم تتحول إلى لقمة في فم جائع محتاج ، أو كسوة تستر عورة عريان ، أو صدقة تيسر السبل أمام من منعته الحاجة من مواصلة المسير .

لا معنى حقيقي للصلاة إن لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، وتشيع الألفة والمحبة بين الناس . لا معنى للزكاة إن لم تطهر نفس الغني من الشح ، وتقتلع من قلب الفقير الحقد والشعور بالمرارة .

وهكذا كل شعائر الاسلام ، وحتى تكون المناسبات الاسلامية ذكرى نافعة لابد من ترجمة القول إلى عمل .

● وفي ذكرى الاسراء والمعراج .. ينبغي أن يعمل المسلمون لفك أسر الأقصى المبارك ، وتطهير ساحته من الدنس الصهيوني ، ومساندة المسلمين هناك ، وإعداد كتائب الجهاد لاسترداد ثالث الحرمين الشريفين إلى الحظيرة الاسلامية ، لابد من توحيد الصف تحت راية الجهاد في سبيل الله حتى نستعيد الأمجاد الاسلامية .. ولا سبيل لاسترداد الحقوق المغتصبة غير هذا السبيل ، لم يحدثنا التاريخ عن مغتصب أعاد الحق لأصحابه تفضلا منه أو إحسانا ، أو احتراما لضعفه ، أونتيجة مفاوضات بين عناصر غير متكافئة القوة ، لا طريق يعيد لنا الحق السليب إلا الجهاد ، ولا سبيل يعيد الشعب الطريد إلى أرضه إلا الجهاد ..

● ونحن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم - الذي إجتاز الفضاء حتى سدرة المنتهى ، وعندها رأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد إلى الأرض ليحقق العدل ، وينشر شرعة الله ، ثم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا ضال أو هالك .

● وماعلينا إلا نترسم خطى نبي البشرية قدر ما نستطيع ، فنحول الذكرى من مجرد ذكرى إلى ذكرى نافعة ، ونعوذ بالله من أن نضل أو نخزى ، ونسأله التوفيق للذي يرضى .

طبيعة السيادة المفهوم

جاءت الشريعة الاسلامية لتطبق على الناس كافة في أي مكان وزمان ، ومن ثم فهي شريعة عالمية لأمكانية إلا أن تطبيق أحكام الشريعة مرتبط بسلطان المسلمين ومداه ، فكلما امتد هذا السلطان اتسع نطاق تطبيق هذه الشريعة ، فالشريعة من الناحية النظرية شريعة عالمية ، ومن ناحية الواقع شريعة إقليمية يتحدد نطاقها بدار الاسلام .

وليس هنا أوضح في الدلالة على قيام السيادة الاقليميةللدولة الاسلامية من وجود مبدأ تقسيم المعمورة الى قسمين أو إلى دارين :

أ ـ دار الاسلام .

ب ـ دار الحرب

وهذا أحد المبادىء الاساسية للأحكام الدولية للشرع الاسلامي ، وهو مبدأ فريد في بابه تميز به الفقه الاسلامي ، وحدد به كيان الدولة الاسلامية وسريان

الإقليمية في الإسلام

للأستاذ / محمد عيسى داود

أحكام الشريعة في نطاقها . فبموجب هذا التقسيم للمعمورة الى دارين حدد الفكر الاسلامي نطاق السلطة السياسية للدولة الاسلامية بدار الاسلام ، وفقهاء الاسلام على اختلاف فيما بينهم قد بنوا على أساس هذا التقسيم للمعمورة تفريعات وأحكاما مختلفة تنطق بسريان القانون وحكم قواعد النظام العام للمسلمين داخل دار الاسلام وعدم إمكان ذلك خارج نطاق الاسلام .

وقد بلغت المدرسة الحنفية في هذا المجال شأوا بعيدا : فعرف صاحب « السير الكبير » « محمد بن الحسن الشيباني » صاحب أبي حنيفة دار الاسلام بأنها « اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين ، وعلامة ذلك أن يأمن فيه المسلمون » .

وعرفها الامام « الفاهستاني » الحنفي في « جامع الرموز » بأنها : « ما يجري

فيه حكم المسلمين وحكم إمام المسلمين » كما عرف دار الحرب بأنها : « ما يجري فيه أمر رئيس الكافرين » .

وبالنظر في هذه التعريفات وغيرها نجد أن الفقهاء قد اعتمدوا في الحكم على الدار بأنها دار الاسلام أمورا مؤداها أن تكون السيادة والغلبة فيها للمسلمين ، وأن يأمن المسلمون فيها على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم وأن تسري فيها أحكام الاسلام .

ويمكن صياغة هذا المفهوم في تعبير حديث بأنه « هي البلاد التي تسري عليها أحكام الاسلام وتقام فيها شعائره ، وتبرز مظاهره ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء أكان سكانها جميعا من المسلمين أم من غيرهم أم من الفريقين معا » .

أما دار الحرب فيمكن تعريف مفهومها في عبارة حديثة بأنها : « هي البلاد التي لا تسري عليها أحكام الاسلام ، ولا يخضع سكانها لحكم أو سلطان المسلمين » .

وهي بهذا المعنى وحدة لا تتجزأ في مقابلةدار الاسلام بالنظر إلى الأحكام والمسائل التي يمكن أن يكون لاختلاف الدارين أثر فيها ، ولو أنها تتألف في واقع الأمر من دور مختلفة وبلاد متفرقة لكل منها حدودها المعينة ونظمها الخاصة وحكومتها المستقلة .

ومن ثم : ليس بالضرورة أن تعتبر الدار دار اسلام نتيجة وجود أغلبية من المسلمين فيها بل يكفي لاعتبارها كذلك أن يكون المسلمون قد قهروها ، وأعلنوا منائر الاسلام وشعائره فيها وألزموا أهلها بدفع الجزية مقابل حماية المسلمين لهم بموجب عهد الذمة ، ومما لا شك فيه أن طبيعة السيادة في هذه الحالة هي سيادة إقليمية .

غير أنه يبدو من عبارة بعض المتأخرين من فقهاء الحنفية : أنه يكفي لاعتبار البلد دار إسلام ظهور أحكام الاسلام فيه ، وقدرةالمسلمين على إقامة مظاهره وتطبيق أحكامه على أمورهم ومعاملاتهم سواء أكانت الغلبة والسيادة للكفار أم للمسلمين فقد غلب التتار على بلاد المسلمين واجتاح « هولاكو » بجيشه مدنهم وسهولهم وأخضع السكان فيها لحكم المغول ، ولكنهم أبقوا ولاة من المسلمين وقضاة منهم يحكمون بشريعة الاسلام بينهم في عقائدهم ومعاملاتهم على السواء .

وهنا حار فقهاء الاسلام : هل الدار بقيت دار إسلام ؟ أو أصبحت دار حرب ؟ وما حكم حكام المسلمين الذين أبدوا الخضوع للفاتحين ؟ هل هم مرتدون أو مسلمون ؟

وانتهى الرأي بين الفقهاء في هذا الصدد إلى أنه لا شك في أن البلاد التي غُلب أهلها المسلمون ـ كما هو الحال في شأن البلاد الاسلامية التي خضعت للاستعمار الغربي في الآونة الحديثة ـ هي دار الاسلام ، وذلك لعدم اتصالها بدار الحرب ، وعدم ظهور أحكام تتناقض وأحكام الاسلام فيها بل كان القضاة مسلمين ، ومن

قال إنه مسلم بالشهادتين حكم بإسلامه .

ولعل هذه الفتوى التي أفتى بها فقهاء ذلك العهد من غلبة التتار على بلاد الاسلام لا تختلف عما قرره أبو حنيفة من صيرورة دار الاسلام دار حرب بقيام شروط ثلاثة :

١ ـ إجراء الأحكام المغايرة لأحكام الاسلام جهارا ، وأن يحكم الحاكم غير المسلم المسلمين ، ولا يرجعون في منازعاتهم الى قضاة مسلمين .

٢ ـ الاتصال بدار الحرب بحيث لا يكون بينهما بلد من بلاد الاسلام يلحق المسلمين المدد منها

٣ ـ زوال الأمان الأول ، بمعنى ألا يأمن المسلم أو الذمي فيها إلا بأمان غير المسلمين ، ولم يبق الأمان الذي كان للمسلم بإسلامه ، وللذمي بعقد الذمة ، قبل استيلاء غير المسلمين على تلك الدار .

فإن تخلف واحد من هذه الشروط بقيت الدار دار إسلام ، وبقي الحكم فيها على ما كانت عليه أما فيما يتعلق بما فرع فقهاء المسلمين على اختلاف الدارين وسيادة كل منها على أرضها ومن عليها سيادة إقليمية ، فقد أتى الفقهاء في ذلك على تفصيل كبير ، نذكر بعضه :

١ ـ عند الحنفية : أن انتفاء العصمة بين الدارين لا يجيز عقد الوكالة بين الموكل المقيم بدار الاسلام والوكيل المقيم بدار الحرب ، وكذلك بين الموكل المقيم بدار الحرب والوكيل المقيم بدار الاسلام : لأن العصمة منتفية بين الاقليمين . ومن ثم فإن عقد الوكالة في أي من هاتين الحالتين يتنافى وطبيعتها ، من حيث أن الوكيل يجب أن يعمل بموجب توجيهات الموكل وإرشاداته .

٢ ـ عند الحنفية : أنه لا يجوز شهادة مستأمن أجنبي من أهل دار الحرب مقيم إقامة مؤقتة لا تزيد عن عام في دار الاسلام ـ ضد من في دار الاسلام ، نتيجة لاختلاف دار كل منهما . فالذمي رعية من رعايا الاسلام ، أما المستأمن فهو من مواطني دار الحرب . وعلى خلاف ذلك تجوز شهادة الذمي ضد المستأمن ، لأن المستأمن أجنبي فهو في مركز أقل من مركز الذمي المقيم في دار الاسلام . وواضح أن كلا منهما يستمد مركزه القانوني في هذه الحالة من تبعيته لدار معينة .

٣ ـ عند الحنفية : على حد قول « الشيباني » ـ ان انتفاء العصمة بين الدارين يعني عدم جواز التوارث بين المسلمين في دار الاسلام و المسلمين في دار الحرب وكذلك بين غير المسلمين وبعضهم في كل منهما . فليس لغير المسلم في دار الحرب أن يرث غير المسلم في دار الاسلام ، كما ليس للمسلم في دار الاسلام أو دار الحرب أن يرث مسلما مات في الدار الأخرى . وبعبارة أخرى : أن التوارث غير جائز بين من يعيشون على أي من الاقليمين بالنسبة للاقليم الآخر .

٤ ـ عند الحنفية : أنه إذا دخل مسلم دار حرب وعقد مع حربي عقد « ربا » أو غيره من العقود الفاسدة في نظر الشرع الاسلامي فإن العقد جائز . فيحل للمسلم أن يتعامل بالربا وأن يتعاقد بالعقود الفاسدة مع الحربي في دار الحرب ،

وكذلك مع المسلم الذى أسلم هناك ولم يهاجر إلى دار الاسلام.وهذا هو ما اتجه إليه الامام أبو حنيفة ، وأيده الشيباني فيما يتعلق بالحالة الأولى ، وخالفه في الثانية .

أما « أبو يوسف » فذهب والأئمة الثلاثة الآخرون إلى أنه لا يحل للمسلم في دار الحرب إلا ما يحل له في دار الاسلام ، واحتجوا في ذلك بالعموميات الدالة على الاطلاق ، كقوله تعالي : « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » **وقوله جل شأنه** « **لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** » .

وهكذا يبلغ المذهب الحنفي على وجه الخصوص ـ بنظرية السيادة الاقليمية للدولة الاسلامية شأوها البعيد سواء فيما يتعلق بمفهومها ككل بمعنى سيادة الدولة الاسلامية على دار الاسلام ، أو فيما يتعلق بالتطبيقات والأحكام التي تجري على جميع الأشخاص والأشياء فيها .

وعلى خلاف ذلك ذهب المذهب الشافعي الى أن دار الاسلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصير دار حرب ، مهما كانت الصورة التي تأخذها بعد الاستيلاء عليها من الكفار ، أي سواء كانت تقام فيها بعض أحكام الاسلام ، وتعطل إجراء البعض الآخر ، أم انقطعت فيها جميع آثاره . يصرح بذلك العلامة « ابن حجر » وحينئذ يصبح الظاهر أنه يتعذر عودة دار الاسلام دار حرب أو كفر وإن استولى عليها الكفار .

وفي الواقع أن هذه شدة تمليها العاطفة في التمسك بحكم الاسلام ، ولكن لا أثر لها في الاعتبارات العملية ، مثلها كمثل الحكم على أسبانيا اليوم بأنها دار إسلام برغم امتلاك الكفار لها وسيطرتهم عليها كلها ، ومحو كل أثر للاسلام والمسلمين كان قديما في الأندلس .

وجلية الأمر أن نظرية تقسيم المعمورة الى دارين ، وتحديد نطاق دار الحرب ودار الاسلام لا تعدو أن تكون فكرة سياسية بحتة استلزمتها طبيعة الأمور في وجوب سيادة الدولة على أراضيها وسيطرتها على من يقطنون عليها سيطرة كاملة في مواجهة أعدائها . أما ما اختلف العلماء عليه والفقهاء ، الحنفية من جانب ، والشافعية والمالكية من جانب آخر : حول اختلاف الدارين والأحكام الفقهية الواجب تطبيقها في شأنه : إن هو في حقيقة الأمر الا اختلاف في فهم مضمون السيادة : هل هي سيادة إقليمية أو شخصية ؟ وفي تحديد طبيعة القوانين والأحكام الشرعية : هل هي إقليمية تطبق داخل الاقليم على جميع القاطنين فيه ولا تتعدى حدوده إلى الخارج أو يجوز تعديتها إلى أرض دولة أخرى ؟ .

والظاهر أن المدرسة الحنفية كانت أبرز أثرا وأقوى حجة وأعم نفعا في الأخذ بالنظرية الاقليمية في السيادة وسريان التشريع ، بالنسبة إلى عصرنا الحالي من جانب ، والتطورات الدستورية والدولية الحديثة من جانب آخر .

وهذا مثال حيوي خاص بنطاق سريان التشريع العقابي الاسلامي من حيث المكان : فقد اختلف الفقهاء في تطبيق التشريع العقابي الاسلامي ، وفيما يلي إيجاز لآراء المدرسة الحنفية والفقهاء في هذا الشأن :

أولا : بالنسبة للجرائم التي ترتكب في إقليم الدولة :

(أ) الجرائم التي لها عقوبات مقدرة (وهي الحدود والقصاص) .

الأصل أن عقوبات الحدود والقصاص هي جزء من الأحكام الدينية ، ولا تختلف في إقليم عن آخر ، ومن ثم فإنه لا يفرق في تطبيقها على كل من حل بدار الاسلام سواء أكان مسلما أم غير ذلك .

إلا أنه بالنسبة لحد الشرب للخمر يرى « أبو حنيفة » أن غير المسلم ليس مطالبا ولا مخاطبا بالتكاليف الشرعية الاسلامية لأنه **لا إكراه في الدين** ، وشرب الخمر بناء على هذا من الذميين ليس جريمة تستحق العقاب وإلا كان ذلك تدخلا في حريتهم الدينية .

وقد خالف « الشافعي » هذا الرأي ، واعتبر احتساء الخمر جريمة بالنسبة للمسلم وغير المسلم تأسيسا على القاعدة المأثورة « **لهم ما لنا وعليهم ما علينا** » ، ولأن القاعدة في حدود الله تعالى أنها فرضت لحماية نظام الجماعة الاسلامية ، فهي من النظام العام الشامل ، ومنثم تسري على القاطنين في دار الاسلام بغير استثناء .

ويؤيد« أبو يوسف » رأي الشافعية . فيرى أن أحكام الشريعة الاسلامية تسري على كل من يقيمبالاقليم المسلم ، سواء كان مسلما أم ذميا أم مستأمنا ، لأن المسلم ملزم أصلا بمراعاة أحكام الاسلام ، والذمي ملزم بمراعاتها بمقتضى عهد الذمة الذي يضمن له الأمان الدائم والمستأمن ملزم بهذه الأحكام بمقتضى عقد الأمان المؤقت،والذي بمقتضاه يلزمه بأحكام الاسلام مدة إقامته .

ويرى أبو حنيفة أن المستأمن ـ بالذات ـ إذا ارتكب جريمة تمس حق الله تعالى فلا تطبق عليه أحكام الشريعة ، فإن كانت جريمته مما يمس حقوق الأفراد فإنها تطبق عليه . ويعلل ذلك بأن المستأمن عندما دخل دار الاسلاممقيمالمدة محدودة التزم بعدم الاعتداء على حقوق العباد ، أما ما يكون من الحدود متعلقا بحق خالص لله فإنه من الدين والتدين ، ولم يلتزم المستأمن بالأمان الذي أخذ عليه وقت دخوله دار الاسلام أن يتبع أحكام الاسلام في العبادات .

والحقيقة أن هذا الرأي ـ بالذات ـ فيه نظر ، لأن الحدود فرضت أصلا لدرء الفساد عن المجتمع الاسلامي ودفع الضرر ، ومن دخل دار الاسلام التزم بداهة بألا يفسد أو يكون قنطرة فساد . فوق هذا: الأخذ بهذا الرأي مؤداه أن يكون المستأمن في حل من ارتكاب جرائم الحدود دون عقاب . وهو ما يتعارض مع سيادة الدولة في إقليمها ، وما تقتضيه هذه السيادة من تطبيق الدولة التشريعات العقابية التي تحفظ كيان المجتمع على القاطنين في إقليمها .

(ب) العقوبات التعزيرية :

يرى أبو حنيفة عدم تطبيق هذه العقوبات على المستأمنين إذا كانت جريمتهم

تمس حقا لله تعالى ، وتطبق عليهم إذا كان ما ارتكبوه يمس حقوق الأفراد ويرى جمهور الفقهاء : أن هذه العقوبات ليست مقدرة بنص شرعي ، وإنما يقدرها ولي الأمر في ضوء الظروف القائمة والسائدة بالاقليم ، ومن ثم وجب اعتبار فرض هذه العقوبات في إقليم دون آخر وفقا لمقتضيات الظروف فإذا فرضت هذه العقوبات في إقليم معين فإنها تطبق على القاطنين فيه سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .

ثانيا : بالنسبة للجرائم التي ترتكب خارج إقليم الدولة :

يرى جمهور الفقهاء أن ولاية الدولة الاسلامية تمتد إلى المسلمين أينما أقاموا ، فإذا ارتكب المسلم ما يوجب الحد وعاد إلى دار الاسلام أقيم عليه الحد ونفذ فيه .

ويطبق ذلك على الذمي مادام باقيا على ذميته راضيا بالولاية الاسلامية لأنه بانتمائه للدولة الاسلامية بعقد الذمة ورضاه ببقائه يظل مشمولا بالولاية الاسلامية ولا تنخلع عنه تلك الولاية .

ويعاقب على الأفعال التي ترتكب خارج دار الاسلاممادامت تستحق العقاب طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ولو كانت فعلا مباحا في البلاد التي وقعت فيها ، ومرد ذلك أن الاسلام أثم هذه الأفعال لما فيها من فساد ، وأنه لا يجوز للمسلم أو للمشمول بالولاية الاسلامية أن يرتكب الاثم أينما كان .

وأما المستأمن فلا يسأل في دار الاسلام عن الجرائم التي يرتكبها في غير الديار الاسلامية ، لأنه لا ولاية للدولة الاسلامية عليه في مدة إقامته في دار الحرب . وأما سريان العقاب عليه في أثناء إقامته في دار الاسلام إذا ارتكب جريمة فيها فيرجع إلى التزامه بأحكام الاسلام في تلك الفترة المؤقتة لا لأنه دخل في ولاية المسلمين .

ولكن الامام « أبا حنيفة » يرى أنه لا عقوبة على مسلم أو ذمي على جريمة توجب حدا ، كما يرى أنه لاقصاص على الجرائم التي تقع في دار الحرب مع وجوب الدية .

وأساس هذا الرأي أن العبرة بثبوت الولاية العامة الفعلية القادرة على تنفيذ العقاب وقت ارتكاب الجرم ، إذ لا عبرة في هذا الشأن بالولاية الحكمية .

وتجب الديةحتى لا يهدر الدم إذا كان المقتول معصوم الدم ، ولأن الدية تثبت في مال الجاني وقد يكون له مال في دار الاسلام .

ويتفق « أبو يوسف » مع « أبي حنيفة » في أن أحكام الشريعة لا تسري على الجرائم التي ترتكب فيدار الحربولو من المقيمين في دار الاسلام للاعتبارات السالف بيانها

من كل ما سبق نتيقن عظمة الاسلام ، وشمول أحكامه ، وصلاح الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان ، كما نفهم المفاهيم الأساسيةللسيادة الاقليمية للدولة الاسلامية . ومن ثم نسأل ألم يأن للأمة الاسلامية أن تحكم بما أنزل الله وتطرح جانبا قوانين البشر الوضعية ؟

قصة في آية

وكونوا مع الصادقين

٢

قصة نشرنا الجزء الأول منها في عدد ربيع الثاني ١٤٠٤هـ .

ودار الحديث فيه حول دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس إلى الخروج لحرب الروم التي استدعت وجمعت جموعها ، وانضم إليهم من انضم من نصارى العرب . لقتال المسلمين .

وأعلن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن وجهة سير الجيش الاسلامي ـ على غير عادته ـ لأن الرحلة شاقة ، والحر شديد ، والابتلاء عظيم .. ولن يصبر على ذلك إلا المؤمن الحق .

ومن هنا انقسم الناس إلى طوائف :

الأولى : منافقة .. فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وتواصوا بألا ينفروا في الحر ..

وهؤلاء جاءوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد عودته بأعذار واهية ، قبلها الرسول على علاتها ، وأوكل أمرهم إلى الله سبحانه الذي يعلم سرائرهم فهو محاسبهم عليها .

الثانية : أصحاب أعذار منعتهم عن حضور غزوة « تبوك » .. وهم صادقون ، مؤمنون ، تواقون حقا للجهاد في سبيل الله ، ولكن حال

بينهم وبين ما يريدون أعذار ليس في استطاعتهم التغلب عليها ولذا فأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . وهؤلاء لهم أجر المجاهدين .
الثالثة : مؤمنون مجاهدون ، بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله « وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون »
الرابعة : خاصة بجماعة من المخلفين .. هم ثلاثة نفر : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، - رضي الله عنهم - تخلفوا من غير شك ولا نفاق ، ولكنهم استجابوا لداعي الدعة والراحة ، غلبتهم النوازع الأرضية حتى خرج الجيش المسلم ، وأصبحوا لا يرون في المدينة المنورة إلا منافقا معروفا .. أو معذرا .. فعاشوا الهم والغم والحزن ، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم .. تحيروا .. وفكر كل واحد منهم ، كيف يقابله ، وماذا يقول له ، أيختلق أعذارا واهية كالمنافقين أو يقول الحق مهما كان مرا ؟.. واختاروا الصدق .. فلما سأل الرسول كعبا : « ما خلفك ؟ » أجاب « والله ما كان لي عذر » فقال النبي : « أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضي الله في أمرك » . وهكذا كان هلال ، وهكذا كان مرارة .
ثم صدر توجيه من النبي بمقاطعة الثلاثة .. فعاشوا حصارا اجتماعيا رهيبا ، وتنكر الناس لهم ، فلا كلام ، ولا سلام ، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة ..
وماذا بعد ؟.. ذاك ما يقصه علينا الاستاذ/ عاطف شحاته زهران فيقول :-

- ٥ -

خمسون ليلة مرت على مقاطعة الثلاثة بسبب صدقهم . لم يندم أحدهم على صدقه هذا . فلم يكن يرضى واحد منهم أن يحشر في زمرة المنافقين . وكل ما يكون في الدنيا فأمره هين ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . فإيمانهم قوي وأعمالهم شاهدة على ذلك . وما حدث إنما هو خطأ يتحملون تبعته ما دامت دنيوية . فقد سمع كل منهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبدالله بن مسعود (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور . وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) رواه الشيخان . فما لهم والكذب وطريق الكذابين .

مرت الساعات بطيئة يستوي النهار فيها بالليل فقعد هلال ومرارة في بيتهما يبكيان . ولأن كعبا كان ذا جلد فلم يطق الاستكانة مثلهما في بيته . وكان يخرج ليشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف في الأسواق ولا يكلمه أحد .. كان يأتي الرسول فيسلم عليه عله يرد عليه السلام فيستريح خاطره ويطمئن قلبه . فلا يرد عليه .

وبعد مرور أربعين يوما جاء أمر من النبي لكعب باعتزال امرأته . وأمر صاحباه أيضا بمثل هذا . وفي هذه المحنة المرة . وهذه الأيام الأليمة . وصلت رسالة من ملك غسان إلى كعب تقول : (أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك . ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك) وكأن الله أراد أن يشتد في البلاء على هذا فبينما هو مجفو بين المسلمين إذا بصدور غيرهم مفتوحة له . واذا كانت أرض المسلمين قد ضاقت به ففي أرض غسان فسحة لمثله ومتسع . وكان لغير كعب أن يختار أو يلبي دعوة ملك غسان ولكن كعبا من المسلمين الراسخين وكان رده على الرسالة أنه اخذها وألقاها في النار فصارت رمادا . فهو يطمع في سعة رضا الله . وهو راض بما يلقاه ما دام فيه تكفير لذنبه ومغفرة لجرمه .

وبمرور الوقت كان ضيق نفسه يزيد ، ويزداد شعوره بفداحة ما أتاه .. وكان يحاول أن يقطع الحصار المنصوب حوله بمبادرة من جانبه فلم يفلح ، شعر بأنه كالسجين .. نعم السجين الحر . وما ظنك برجل تنكر له كل شيء حتى زوجته وقاطعه كل من حوله من المسلمين كيف يطيق العيش في هذا الجو الرهيب ، حتى أن نفسه التي بين جنبيه كادت تقاطعه هي الأخرى وتتنكر له .. نعم إنها حرية أقسى من السجن . وها هو ذا يتسور الدار على ابن عمه عساه يسمع منه كلمة فتسري عن نفسه وتهون ما هو فيه ولكن ابن عمه لا يرد له سلاما ولا ينطق بأي حرف فالصحابة جميعا يعرفون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بهذه المقاطعة يريد علاج الأمر وإصلاحه .

ولا بد من طاعته صلى الله عليه وسلم . فليست هذه المقاطعة إذن عن كراهية للثلاثة . بل رجاء أن يتوب الله عليهم . حتى أن زوجة كل منهم وقد كانت تمثل عالما بأكمله يأوى إليه ويبثها ما بنفسه فيجد في ذلك راحة بعض الراحة يأتي الأمر باعتزالها وهكذا تقسو الأيام عليهم حين يفرق بين كل منهم وزوجته وتناهي الى سمع كعب أن هلال بن أمية أحد الثلاثة لا يكف عن البكاء . حتى أوشك بصره أن يذهب لكثرة بكائه . واتجهوا جميعا إلى رحاب الله يجأرون بالدعاء . ويبتهلون صباح مساء عسى أن يكشف غمتهم ويقبل توبتهم . ووجدوا في الله أنسا لا يعادله أنس . ووجدوا في الصلاة سلوانا لا يفوقه سلوان . فهي الباب الذي لم يغلق بعد !

اختار كعب مكانا أقام فيه زمن الحصار .. **وحيدا فريدا طريدا .**

ويطرد احساسه كل ساعة بضيق الأرض انها تضيق وتضيق على أضلاعه وتضغط عليها في قسوة . تغير أمامه وأمام صاحبيه لون الحياة وطبائع الناس . كانوا يشعرون بالنسيم العليل كأنه يلفح وجوههم . وبأنداء السحر تنزل على جسومهم محرقة تذيب شحومهم .

ـ ٦ ـ

عشر ليال بعد الأربعين مرت . فيها من القسوة ما فيها .

بعدها صحا المخلفون من نومهم إن كان أحدهم قد نام ـ صحوا لأداء صلاة الفجر في موعدها . بعد أن ضاقت بهم الأرض على سعتها ـ وضاقت عليهم أنفسهم . وظنوا أن لاملجأ من الله إلا اليه . ويسمع كعب بن مالك صائحا يصيح .. وتشق صيحاته سكون الليل وظلمته يقول « يا كعب بن مالك أبشر !! »

يالها من بشارة تثلج الصدر وتطمئن القلب وتهدىء النفس . حدثته نفسه أن هذه البشرى فيها الفرج بعد الكرب . واليسر بعد العسر . فهم أن البشارة تعني بالنسبة له ولصاحبيه بدء حياة جديدة فالمحنة انقضت أيامها والحصار القاسي أذنت أيامه بفراق . وتوبة الله قد حان وقتها .

وحين حملت نسائم الفجر العليلةهذه البشارة إلى كعب وشقت صمت الليل الذي هم أن يودع الكون ليفسح الطريق لنهار جديد مشرق سعيد ، بعد أن مرت خمسون ليلة كلها أشد من بعضها وبمجرد أن سمع كعب ذلك الهاتف بالبشرى خر لله ساجدا شكرا له سبحانه وبعدها توالت البشارات من المسلمين جميعا للثلاثة المخلفين . وتلقاهم الناس فوجا فوجا مهنئين بالتوبة عليهم .

وهرول كعب بن مالك إلى المسجد ليتحقق نبأ البشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم وهناك ألقي السلام على الرسول في مسجده فقال له ووجهه يبرق من السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ! ـ قال له كعب ـ أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ فقال لا بل من عند الله ـ فقال : يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله ، قال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، فقال : يا رسول الله إنما نجاني الصدق . وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا مابقيت ! »

وأنزل الله تعالى على رسوله (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين**

والأنصار ـ إلى قوله ـ ...... **وكونوا مع الصادقين)** رواه الشيخان . وهنا يلقن كعب من بعده درسا في الصدق .. ففيه كل النجاة .. ولربما ازداد البلاء للصادقين ليهون عندهم شأن الكذب ، ولكن نفس المؤمن تنأى عن مزاول الخلق .وهي ترضى بما يكون مالم تغضب ربها جل وعز وهذا كعب لما رآه من ثمرة الصدق يعاهد ربه ألا يحدث كذبا قط ما دام حيا وهو يقول : « والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله ذلك أفضل مما أبلاني الله . والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا . وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للاسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله يومئذ إلا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا . فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد قال : **(سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)** التوبة ٩٥ ـ ٩٦ .

ومن ذلك اليوم لا يقرأ كعب وهلال ومرارة سورة التوبة الا واهتزت قلوبهم ولانت جلودهم . واقشعرت نفوسهم . لأن التوبة تعني التوبة عليهم . وكلما قرأ أحدهم آية التوبة مر أمامه شريط طويل وتتراء له تلك الساعات الأليمة لتي مرت به .

ويرى كل منهم اسمه مطبوعا وراء أحرف الآية النورانية .

وبقيت الآيات بعدهم لتحمل لكل مسلم تلك المعاني السامية في قصة المخلفين لتفتح أبواب العفو أمام المسيئين ، وأبواب التوبة في وجوه العصاة القانطين (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » التوبة ١١٧ ـ ١١٩

رضي الله عن كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وعن الصحابة أجمعين وجمعنا بهم مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الآخرة ونفعنا بسيرتهم في الدنيا وجعلنا من الصادقين ... آمين .



مرحلة الضياع لدى الفتيان

تحت هذا العنوان كتب الأخ/محمد أحمد القحطاني - من المملكة العربية السعودية - يقول :

يمر الطفل بمراحل متعددة ونزوات مختلفة يضيع أثناءها فلا يركز اختياره وتهتز الصور أمامه فلا يكاد يرى ما يهديه الى الطريق السوي ، ويزيد من تعقيد مرحلة الاختيار هذه ما يجده من والديه من عدم مبالاة أو أدني اهتمام لتوجيهه ونصحه .

فالطفل أو الفتى عندما ينهي مرحلة الدراسة الابتدائية ويدخل في المرحلة المتوسطة يبدأ في الانفتاح الاجتماعي ويشعر بشيء من الزهو وبأنه بلغ مبلغا كبيرا من الاعتداد بالنفس ويفكر في أن حماية وتوجيه أسرته تنتهي عند هذا الحد ، فيرى أنه رجل سوي يستطيع بمفرده حل جميع المعضلات التي تواجهه .

وموقف الآباء من هذه المرحلة إما تفريط أو إفراط . فتفريط بأن يهملوا التربية ويتركوا الحبل على الغارب .. وإفراط بأن يتعنتوا في التربية مما يخلق التعقيد النفسي والكبت الاجتماعي لدى هذا الفتى .

وتعالوا نناقش التفريط

أولا : نجد الحرص على الطفل وهو في مرحلة الدراسة الابتدائية والعطف عليه وتدليله تدليلا يفوق الحد المعقول ومراقبته في ذهابه وإيابه ، ثم إذا دخل المرحلة المتوسطة ترك له الحبل على الغارب ، واعتبروه في نظرهم قادرا على توجيه نفسه نحو الطريق السوي ، ومن هنا يبدأ هذا الفتى مرحلة الضياع ، والضياع الذي سيمتد معه أو ربما قد ينتهي بمجرد نصح والديه أو أقاربه مستقبلا لا ينطبق على كل الفتيان .

وينطلق الفتى ليشبع نزواته ورغباته بعيدا عن أنظار أهله ، ويلتف حوله القرناء ، والكل يعلم ما يتمتع به قرناء السوء من لباقة في الحديث وتملق فيه ونفاق يشعر

الفتى الغر بأنه ذلك الفارس المنتظر ، ويسقط في حبائل الصياد دون أن يشعر بسقطته ، ويبدأ من أول الطريق المنحدر فتمتد يد أحد أصدقائه إليه بسيجارة (تزيل الهم وتقوي الفكر) ثم بتشجيع للهروب من المدرسة والقفز من فوق الجدران وجلسات المفاخرة بهذا المسلك ، وما يوغرون به صدره من أنه يجب أن يوقف المدرّس والمدير عند حدودهم .

ومن سيجارة واحدة الى علبة سجائر الى علبة فاخرة وولاعة يحملها

في جيبه يفاخر بها الأقران ، الى « الشيشه» ليمسك بها في فخر واعتزاز

ويبدأ في الانزلاق الى ما هو أخطر وأشد تأثيرا ، فقد يتعاطى المخدرات ويصبح مدمنا وهذا شيء طبيعي في مرحلة الضياع هذه والتي سببها الأب والأم..

ولا أقول أن الأب والأم هماالسبب في كل الحالات فقد ينحرف الفتى برغم ما يحاط به من حسن التأديب والرعاية والاصلاح وذلك من تأثير المجتمع المدرسي وهذه حالة شاذة .

ثانيا : قضية الإفراط في التربية للفتى في هذه المرحلة ، فنجد القسوة المتناهية وعدم فهم موقف الفتى وما يجب أن يكون عليه من واجبات تجاه البيت والمدرسة والمجتمع ، وما له عند الأسرة والمدرسة والمجتمع ، فتجد الأب والأم متحجرين عندما يطلب منهماابنهما شيئا ـ بالطبع ليس طلبا ماديا ـ يصران على موقفهما ويرفضان النقاش مطلقا ويفرضان عليه أحكاما جائرة (في نظرهما عادلة) يعيش الفتي في دوامة لا يهتدي الى أي طريق سوى طريق العصيان والخروج عن الطاعة ويتخذ القرار المرّ وهو التهرب من واقعه المؤلم ، فعندما تواتيه الفرصة للخروج من المنزل يأخذ في إشباع رغباته باندفاع وطيش ويتمرد على كل الأخلاقيات والقيم وعندما يعود الى المنزل تكون قد اختمرت في ذهنه فكرة العقاب الذي سيناله ثم يعاود نشاطه المتمرد متى واتته الفرصة مرة أخرى ، وهكذا نجد النتيجة لهذا الكبت والقسوة تكون بعكس ما أراد الأبوان .

النتيجة والحل :

ومن هذا نجد أن النسبة الكبري في كلا الأمرين تقع على كاهل الأبوين فمنهما كان التفريط والإفراط ، وليس هناك من حل إلا أن يقف المربون موقفا وسطا ، فيجب أن يشعروا الفتى بأنه أصبح قادرا على الاتصال بالآخرين بنفسه ، وبأنه ذلك الذكي الذي يستطيع الاعتماد على نفسه ، وكذلك يغرسوا في قرارة نفسه أنه لا زال داخل نطاق الأسرة ، وأنه لا زالت تنطبق عليه أحكامها ، كما يجب عليه طلب مشورة أهله وأخذ مواقفهم ورأيهم ، ومن هنا يغرسون فيه العزة والكرامة وكذلك التقدير والاحترام فيطيب المغرس ويطيب بعده الثمر .

الفتاوى

في الاسراء والمعراج

ورد إلى المجلة أسئلة خاصة بالاسراء والمعراج في وقت سابق ورأينا تأجيل الاجابة عنها حتى تنشر في عدد رجب شهر الاسراء والمعراج .

يسأل أحد طلاب مدرسة السالمية الثانوية للبنين بالكويت فيقول هل كان الاسراء والمعراج بالجسم والروح أم كان بالروح فقط ويقول مع أني مؤمن بأنه كان بالجسم والروح ولكني احتاج إلى توضيح الدليل لمن ينكر ذلك .

أولا : بقليل من التأمل في قول الله تعالى :(**سبحان الذي أسرى بعبده**) نجد أن فعل الاسراء مسند إلى الله تعالى بمعنى أنه هو الذي أسرى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أسرى به وما دام الفعل فعل الله فلا يبقى للعقول أن تستبعد وقوعه أو أن تبحث فيه البحث الجاري في قوانين البشر ـ إن قدرة الله تعالى فوق تصور البشر وقد بدئت الآية الكريمة بقوله الله تعالى « **سبحان** » ومعناه أن الله منزه في ذاته وصفاته وأفعاله فلا تقاس بأفعال العباد فقدرة الله تنقله بجسمه وروحه في طرفة عين لأنه على كل شيء قدير .

ثانيا : لو كان الاسراء بالروح فقط أو مناما كما يقول البعض ما تعجب كفار قريش من ذلك ولا استبعدوا وقوعه لأن الانسان في المنام يمكن أن يرى نفسه في أمريكا مثلا وهو لم يذهب إليها من قبل ولا ينكر احد عليه ذلك لأنه منام ولكن المشركين لشدة إنكارهم طلبوا منه أن يصف لهم المسجد لعلمهم أنه لم يذهب هناك في رحلاته .

ثالثا : قول الله تعالى : (**أسرى بعبده**) دليل على أن الاسراء كان بالجسم والروح معا لأن كلمة العبد لا تطلق إلا على الروح والجسد فلا يقال للروح عبد ولا للجسد عبد وانما هذه الكلمة تشمل الأمرين معا الجسد والروح ولماذا يستبعد البعض ذلك والأحاديث الصحيحة تذكر الاسراء والمعراج بما يفيد أن ذلك وقع بالجسم والروح وإذا كان الله قد مكن للكفرة والملاحدة أن يجتازوا الفضاء ويسر لهم المشي على سطح القمر أفلا يسخر البراق ويطوى الزمان والمكان لحبيبه ومصطفاه ؟ ليطلعه على آثار قدرته ليزيد إيمانه بأن الله القوي القادر لن يتخلى عنه . **وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** .

الأستاذ محمد عطوة مدرس تربية إسلامية بأحدى مدارس مدينة أسيوط ج . م . ع . يقول قرات ان الاسراء كان تفريجا لكرب النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودته حزينا من الطائف وأسال لماذا اتجه إلى الطائف ولم يتجه إلى المدينة المنورة التي هاجر إليها بعد ؟

نقول للأخ الكريم إن كتاب السير ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم إتجه إلى الطائف لأمور :

منها : أن بها قبيلة ثقيف وهي من أكبر قبائل العرب بالاضافة إلى أن هذه القبيلة بينهم وبين أخواله رابطة نسب ومصاهرة فراوده الأمل أن ينصروه او على الأقل لا يشتركون مع قريش في محاربته ولم يتجه إلى المدينة في الشمال لأن العرب فيها من الأوس والخزرج لم يعرفوا الاسلام بعد وكانوا مشغولين بحرب بينهم يشعلها اليهود كلما هدأت فالاتجاه إليهم لا تؤمن عواقبه .

ومنها : أن المدينة كانت منطقة مهددة من الرومان في هذا الوقت ، لأنها أقرب أرض إليهم من أرض الحجاز وما دام للرومان نفوذ هناك فسيجد منهم حربا ومقاومة .

ومنها : أن اليهود كانوا من سكان المدينة ولهم قدرة على الدس والمكر وخلق أسباب الكيد له ومعروف أنهم أصحاب كتاب يخشون عليه من الدين الجديد وكانوا يتآمرون عليه وهو بمكة فكيف لا يصدونه وهو بينهم في المدينة ؟ ومعلوم أنه لم يهاجر إليها إلا بعد بيعتين عند العقبة وبعد أن انتشر الاسلام بين أهلها فاطمأن إلى اتخاذها دار هجرته ونصرته .

استخدام غير المسلم

قارىء من الكويت يقول هل يجوز الاستعانة بغير المسلم في الأعمال الفنية وهل نقبل منهم الهدايا أم نردها ؟ وما حكم استخدام الهندية غير المسلمة في المنزل ؟

الاستعانة بغير المسلم وخاصة في الأعمال الفنية التي لا تتصل بأمور تمس الاسلام لا مانع منها شرعا ما دام لم يوجد في المسلمين من له هذه الخبرة الفنية أما إذا وجد الكفء الأمين فهو أولى من غير المسلم .

وعلى المسلمين وهم أتباع دين يأمر بالعمل وإتقانه ويحث عليه في اكثر آياته أن يكون عندهم اكتفاء ذاتي في كل مجالات الحياة .

قال العلماء ولا يلزم من كونه كافرا الا يوثق به في شيء أصلا فقد وثق الرسول صلى الله عليه وسلم برجل مشرك هو (ابن أريقط) واتخذه دليلا في أخطر مرحلة من مراحل الهجرة ويشترط فيمن يستخدم من غير المسلمين أن يكون

أمينا حسن الظن بالمسلمين غير حاقد على الاسلام فان كان غير مأمون أو كانت نواياه سيئة بالنسبة للمسلمين فلا تجوز الاستعانة به ولا ينبغي الاطمئنان إليه مهما كانت كفاءته في العمل وإذا كان غير الأمين من المسلمين لا يوثق به فالكافر أولى بالبعد عنه ويجوز إهداء غير المسلم وقبول الهدية الحلال منه فقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا الكفار فعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لها إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من حرير . كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى إليه الملوك فقبل منهم وكانوا غير مسلمين .

فإهداؤهم وقبول هداياهم أمر جائز ما دامت الهدية غير محرمة شرعا واستخدام غير المسلمات في أعمال البيت لا مانع منه مع الحذر والحيطة فلا تترك الأولاد للخادمة غير المسلمة تؤثر فيهم وتعلمهم مبادىء عقيدتها .

كل ذلك إذا لم تيسر استخدام المسلمة فإن وجدت العاملات المسلمات فلا ينبغي العدول عنهن إلى غير المسلمات وذلك حدود الاستطاعة والمصلحة العامة .

حكم الغناء

وردت أسئلة من القارىء عبد الرزاق قيراط الرملة قرقية جمهورية تونس ومن بعض الشباب في المغرب ومصر تدور حول الغناء هل هو حلال أم حرام ؟

أفاض العلماء في حكم الغناء وخاصة الامام الغزالي في كتاب الاحياء ـ كتاب السماع . ودار حكم الغناء بين الحل والحرمة وقد ذهب الكثير إلى أن الغناء من اللهو الذي تستريح إليه النفس ولا بأس به إذا خلا من فحش ولم يشتمل على تحريض على إثم وكان بعيدا عن الاثارة والاغراء .

الغناء البريء يباح في المناسبات السارة بقصد إشاعة السرور والترويح عن النفس كأيام العيد وفي مناسبة العرس وقيل يباح أيضا في العقيقة وعند ولادة مولود أو حدوث نعمة .

يباح في العرس لما جاء في البخاري أن عائشة رضي الله عنها زفت امرأة إلى رجل من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة « ما كان معهم من لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو » . وقال ابن عباس : زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أهديتم الفتاة قالوا نعم قال أرسلتم معها من

يغني ؟ قالت لا فقال عليه الصلاة والسلام إن الانصار قوم فيهم غزل إلى آخر الحديث كما يباح في أيام العيد لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى (في عيد الأضحى) تغنيان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال « دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » متفق عليه .

ومع هذا فالغناء يكون حراما أداء وسماعا إذا اقترنت الأغنية بمحرمات كشرب مسكر أو خلاعة أو فجور أو كان موضوع الأغنية يخالف أدب الاسلام وتعاليمه كالغزل المثير والدعوة إلى معصية أو تمجيد محرم كذلك طريقة أداء الأغنية إن كان فيها تكسر وتميع ومحاولة إثارة الغرائز وتحريك الشهوة كما هو الحال في كثير من الأغنيات المعاصرة فأداؤها وسماعها واقتناء أشرطتها والتجارة فيها أمر حرمه الاسلام لما فيه من تحطيم الأخلاق ودفع أبنائنا وبناتنا إلى مصير غير كريم .

كرم الله الانسان

القارىء أحمد سنان من الرياض يقول هل الانسان أصله قرد وتطور إلى إنسان وما حكم اعتقاد ذلك ؟

لم يثبت أبدا أن الانسان أصله قرد أو أنه متطور في خلقته عن نوع آخر . هذه النظريات باطلة وعلى المسلمين أن يرفضوها ما دامت تخالف النص القرآني الذي صرح بخلق الانسان الأول في قول الله تعالى :(**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) ٢٨ ، ٢٩ / الحجر وإذا كان الانسان في الأصل قردا فكيف يسجد الملائكة لقرد ؟

لا دليل عند أصحاب هذه النظرية الخاطئة إلا أن هناك تشابها بين الانسان والقرد .

على أن القرآن الكريم نفى أن يعلم الانسان مبدأ الخلق قال تعالى : « **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم** » الآية ٥١/ الكهف .

وقال تعالى : « **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الآية ٧٠/ سورة الاسراء ومن تكريم بني آدم الا يكون قردا في الأصل .

هذه النظريات الخاطئة نرفضها نهائيا ولا نعتقد إلا ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة .

مع الصحافة

كان لحرب الخليج التي تصاعدت بشدة في الشهر الماضي النصيب الاكبر من اهتمام الصحافة العربية والعالمية . فقد بدت مرحلتها الجديدة هذه في نظر بعض المراقبين مرحلة حاسمة بينما يعتقد مراقبون آخرون أكثر استقصاء للابساتها أن الحسم غير وارد مادامت الدولتان العظيمتان لاتجدان مصلحة في وضع حد لها . كما بعثت حرب الخليج مخاوف لدى بعض الدول الصناعية من انقطاع تدفق النفط ، ومخاوف أخرى لدى دول المنطقة من أن تؤدي تطوراتها هذه الى تقويض الاستقرار القائم فيها . وقد ركز عدد من الصحف على الخسائر البشرية والاقتصادية الكبيرة التي يتكبدها الشعبان المسلمان في العراق وايران . واجتمع وزراء الخارجية العرب في بغداد ، ونقل عن مصادر مطلعة قولها ان دولا عربية تخطط لتحركات لاقناع الدول الصناعية بعدم التعامل مع ايران .

وتجيء في المرتبة الثانية من اهتمام الصحافة التطورات السياسية السريعة في الشرق الاوسط ، بعد أن منيت السياسة الامريكية في لبنان باخفاق ذريع ، فقدتم الغاء الاتفاق الذي ابرم بين لبنان واسرائيل في ١٧ مايو ٨٣ ، وعلى الرغم من أن معظم الصحف اعتبرت الغاءه نصرا للمعارضة اللبنانية وحلفائها ، فان بعض المخضرمين في المسألة اللبنانية يتخوفون من المستقبل مع أنهم يرحبون بالغاء الاتفاق ترحيبا كبيرا ، كما يقول ريمون اده الزعيم اللبناني المعارض ويضيف « وأرجو ألا يكون هذا الالغاء بمثابة تجسيد للاحتلال الاسرائيلي للبنان ، واستمرار التواجد السوري فيه ، كذلك انا متخوف ... أن يكون قرار الغاء الاتفاق بداية « لتبويس اللحى » ولتمرير صفقة كبيرة ضد استقلال لبنان .. »

وعلى صعيد القضية الفلسطينية عقدت سلسلة اجتماعات بين الملك حسين وياسر عرفات في الاردن ، وصدر عنها بيان وصف بأنه يمثل بداية على طريق ملىء بالاشواك كما تقول مجلة شتيرن الالمانية .

وفي شرقي العالم الاسلامي نشط المجاهدون الافغان في هجماتهم ضد قوات الغزو السوفياتي ، مما اعتبرته بعض الصحف رسالة « رصاصية » الى الزعيم السوفياتي الجديد تشيرننكو . كما وجهت جبهة تحرير مورو الاسلامية نداء عاجلا من المجاهدين المسلمين الذين يخوضون معارك متواصلة ضد القوات الفيليبينية التي تشن على المسلمين في الفيلبين حملات عسكرية فتاكة وغارات جوية مدمرة .

وفي السودان نقلت وكالات الانباء في ٣ جمادى الآخرة أن النائب الاول لرئيس الجمهورية السوداني صرح بأن الحكومة الامريكية قررت اقامة جسر جوي مباشر بين الولايات المتحدة والسودان لنقل الاسلحة والمعدات والمؤن العسكرية لمساندة السودان في التصدي لما وصفته وكالة أنباء السودان بالمؤامرة التي يتعرض لها السودان .

○ عن حرب الخليج

عن اسهام الدولتين العظيمتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في « تغذية » حرب الخليج عن عمد نشرت صحيفة الديلي تلغراف مقالا في أوائل جمادي الآخرة جاء فيه :

تغذي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي عن عمد حرب الخليج بين العراق وايران عن طريق تزويد جانبي الصراع بالاسلحة في وقت واحد .

ويقول معهد البحوث السلمية الدولي في ستوكهولم ان موسكو وواشنطن تخشيان من ان يؤدي انتصار احد الجانبين الحاسم في القتال الدائر حاليا الى تعريض الاستقرار في الشرق الاوسط الى مزيد من الاخطار والى تغيير ميزان مصالح الدولتين العظيمتين في المنطقة .

وجاء في التقرير الذي سينشره المعهد في كتابه السنوي ان الاتحاد السوفياتي قام مؤخرا بتزويد العراق بعدد كبير من صواريخ اس اس ١٢ التي تمكنه من تنفيذ تهديداته بضرب جزيرة خرج التي منها تصدر ايران نفطها الى الخارج . ويقول مايكل بروزوسكا الخبير في المعهد ان الرؤوس الحربية في هذه الصواريخ سوف تنجح في تدمير الاهداف التي تعجز صواريخ اكسوسيت الفرنسية عن تدميرها .

ويقول التقرير ان الولايات المتحدة زودت العراق ايضا بستين طائرة هليوكوبتر وبطائرات استكشاف نفاثة وبسلسلة واسعة من الاسلحة الصغيرة . ولكن المفاجأة المثيرة للدهشة في تقرير معهد الابحاث السلمية الدولي هي ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كليهما يقومان ايضا بتزويد ايران بالاسلحة وبقطع الغيار حتى تظل قادرة على الاستمرار في الحرب . وقد قال بروزوسكا ان حاجة ايران هي لقطع الغيار اكثر وان الدولتين العظيمتين تزودان ايران بها .

واضاف : ان ايا من الولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي لم يبذل اي جهد لوقف تدفق الاسلحة على الجانبين وان هناك اكثر من اربعين بلدا تقوم بارسال اسلحة الى الجانبين بالاضافة الى الدول المنتجة الاصلية .

وقد استقى المعهد معلوماته من بحوث دولية مكثفة في مصادر السلاح الذي تستعمله الدولتان في حربهما وتشير هذه المعلومات الى ان الدولتين العظيمتين غير مهتمتين بوقف الحرب .

وحول مخاوف الدول الصناعية من وقف تدفق النفط تقول الصحيفة :

وبالنسبة لمضيق هرمز واحتمالات اغلاقه يختلف الاستراتيجيون الغربيون حول اهمية هذا المضيق في الوقت الحاضر . واولئك الاستراتيجيون الذين ينظرون الى الماضي يقولون ان دواعي القلق حيال اغلاق هذا المضيق قد تقلصت . ويجادلون بان الاوضاع التي حملت وزير الدفاع الاميركي الاسبق جيمس شليزنجر الى وصف الخليج وهرمز

بانهما شريان حياة العالم لم يعد قائما .

ففي اواخر السبعينات عندما قال شليزنجر ذلك كان هناك نقص حاد في النفط واعتقاد سائد بان الاتحاد السوفياتي سوف يتحرك من افغانستان باتجاه بعض اقاليم ايران المضطربة وانه بمساعدة حزب تودة الشيوعي في ايران سيسيطر على موارد النفط الايراني ويهدد جيران ايران المباشرين .

ولكن موسكو بدلا من ذلك اصبحت مقيدة في افغانستان وزعماء حزب تودة اعدموا مؤخرا في ايران وهناك الآن وفرة عالمية في النفط . الا ان المخططين الذين ينظرون الى المستقبل بدل الماضي يشعرون بالقلق لاسباب اخرى .

فهم يوافقون على ان هناك وفرة في النفط في الوقت الحاضر وان اهداف الاتحاد السوفياتي او نفوذه في ايران لم يعد قائما .

ولكن مايثير قلقهم هو ازدياد الطلب على النفط مع انتعاش الدول الصناعية الغربية الاقتصادي في الوقت الحاضر بعد الركود في عام ١٩٨٣ وما قبله . ومع ان معدلات النمو في الدول الصناعية او الدول النامية لا يمكن تقديرها بدقة فان تقديرات ٣٥٠ شركة اقتصادية في اميركا الشمالية وأوربا الغربية واليابان تشير الى زيادة حادة في النمو خلال عام ١٩٨٤ بالمقارنة بالعام الماضي .

وتقول دراسة اخرى وضعت في شهر يناير الماضي من قبل مجلس ادارة اوروبي ان دولا مثل السويد وفنلندة والنمسا والنرويج قد زادت بدرجة كبيرة من حدة تنافسها الصناعي . وهذه مقدمة طبيعية لزيادة الصادرات والنمو الصناعي . وجاء في الدراسة ايضا ان زيادات كبيرة في الطلب على النفط من قبل الدول التي تشتري النفط من دول الخليج في الوقت الحاضر ستبدأ في الظهور قريبا . ولان هذا النفط يمر من مضيق هرمز كان القلق كبيرا حيال احتمال اغلاقه .

وعن الخسائر الجسيمة التي يتكبدها الشعبان المسلمان نشرت صحيفة الريفوليسيون الفرنسية مقالا في اوائل جمادى الآخرة جاء فيه :

في شباط ١٩٨٤ استؤنفت الهجمات الايرانية التي بدأتها ايران في السنة الماضية . ومن الآن بات واضحا ان حرب الخليج تدخل في مرحلتها الاكثر دموية وخطرا بعد ٤١ شهرا من القتال وما يشير الى خطورة الهجمات الجديدة اصرار ايران على احتلال طريق البصرة - بغداد التي يمر عبرها ٦٠ بالمائة من امدادات العراق . كذلك ظهور الطيران من الجانبين بصورة مكثفة ولاول مرة لقصف المنشآت المدنية ودخول المواجهة الى حقول النفط بعد ان بدأ العراقيون بقصف جزيرة « خرج » الايرانية مما يهدد بتدويل الصراع .

هكذا عاد الى الواجهة صراع نفسي هو الاكثر كلفة في تاريخ الشرق الاوسط . فعلى الصعيد البشري يشهد هذا الصراع مذبحة فعلية اجهزت على حوالي ٢٠٠ الف انسان حتى الآن بينهم الكثيرون من الفتيان الذين يجندهم الجيش الايراني باساليب متنوعة . ولا توفر مجزرة الخليج المدنيين بعد ان باتت الهجمات العسكرية تستهدف تجمعات المدنيين . ومن الناحية الاقتصادية يكفي ذكر ما قاله رئيس البرلمان الايراني رفسنجاني : ان الحرب تلتهم ثلث موازنة الدولة أي مايوازي ٣٠٠ مليون فرنك فرنسي « حوالي ١٠ ملايين دولار » يوميا . ومن الناحية النفطية يكفي التذكير بان احتياطي الخليج من البترول يوازي نصف احتياطي العالم باسره . وهذا الاحتياطي ينفد من اجل الحروب التي تهدد بدمار بيئي اذا استمر قصف حقول النفط كما حدث لدى تدمير حقول ايرانية في البحر ادت الى نشر بقع زيت هائلة في الخليج اتت على الحياة البحرية وهددت منشآت التكرير المائي والمصانع التي تحتاج الماء لسير عملها .

ان الحرب العراقية ـ الايرانية تقود اولا وقبل كل شيء الى اضعاف العراق وايران معا وتهشيم الحركة الثورية فيها ولذلك عمدت القوى الامبريالية الى تأجيج نار هذه الحرب مادامت لا تهدد مصالحها ومادامت الدول الغربية تتوزع فيما بينها مبيعات السلاح للطرفين بمليارات الدولارات وعبر الكثير من الوسطاء « ومنهم اسرائيل » بسبب احتمال ضرب العراق للنفط الايراني واغلاق مضيق هرمز من جهة واحتمال دخول دول عربية الى جانب العراق لان العالم العربي ـ عدا سوريا وليبيا ـ لا يرضى بهزيمة عراقية ويدعمه الغرب في ذلك . اما الاتحاد السوفياتي الذي كان محايدا في البداية فقد نقل دعمه الى جانب العراق الذي اصبح بلدا معتدى عليه منذ هجمات « الفجر » الايرانية . ان الحرب الخليجية لايمكن ان تطول الى مالانهاية وعلى الجميع تغليب صوت العقل في المسألة .

○ عن المحادثات الأردنية الفلسطينية

نشرت مجلة شيترن الألمانية مقالا في الاسبوع الاول من جمادى الآخرة عن المحادثات الأردنية الفلسطينية ، جاء فيه :

بعد سلسلة من الاجتماعات الأردنية الفلسطينية ، اقتصر بعضها على ملك الأردن الملك حسين وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، صدر بيان مشترك لخص القضايا الاساسية التي تم الاتفاق عليها بين الاردن والفلسطينيين ، لكنه قال ان جولات عديدة أخرى من المحادثات ستعقد لمناقشة القضايا التي مازالت بحاجة لبحث أعمق وأكثر هدوءا وصبرا ، وان زيارة عرفات لعمان لن تكون الأخيرة هذه المرة .

البيان المشترك لم يتحدث كما كان متوقعا عن مبادرة أردنية فلسطينية جديدة بل تضمن تأكيدا من الجانبين على ضرورة العمل على كافة الأصعدة الدولية والعربية لتنفيذ قرارات مؤتمر قمة فاس العربي وضرورة قيام تحرك أردني فلسطيني على الساحة الدولية بشكل عام والساحة الاوروبية بشكل خاص من أجل اسهام جميع الدول والقوى المؤثرة بدور في المساعي الرامية الى العثور على حل عادل لقضية الشرق الاوسط .

الملفت للنظر أن هذا البند المهم من بنود البيان المشترك الذي يتعلق بالعمل على الساحة الدولية ، تجاهل تماما الاشارة لمشروع ريغن الذي كان محل اجتهادات متباينة بين الطرفين الأردني والفلسطيني أثناء حوار ابريل الماضي الذي توقف بسبب ذلك الخلاف بالذات وبسبب عدم موافقة بعض المنظمات الفلسطينية المتطرفة على منح الملك حسين التفويض وحرية التصرف نيابة عن الفلسطينيين خلال محادثات كان من المتوقع ان يجريها مع ادارة الرئيس ريغن ، كما تجاهل البند نفسه الاشارة الى القرارات الدولية وخاصة قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الذي يعترف به الأردن وترفضه منظمة التحرير لانه يتعامل مع الفلسطينيين باعتبارهم لاجئين وليس اصحاب قضية وحق .

وحول مستقبل العلاقات الأردنية الفلسطينية أكد بند آخر في البيان المشترك على ضرورة استئناف الحوار بين الجانبين لبلورة موقف بينهما على قاعدة راسخة ومتوازنة تمكنهما من الانطلاق للتحرك يدا واحدة .

خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الفدائية ، أبلغ مراسل مجلة شتيرن في باريس تعليقا على هذا البند ، أن الأردن ومنظمة التحرير توصلا الى اتفاق أساسي بشأن تشكيل اتحاد كونفدرالي بين الأردن والدولة الفلسطينية التي سيتم تشكيلها في المستقبل ، وهذا الاتحاد سبق أن أقره المجلس الوطني الفلسطيني في المنفى (البرلمان) في دورته

الأخيرة في الجزائر في شهر فبراير عام ١٩٨٣ ، باعتباره صيغة مناسبة لتنظيم العلاقة بين الشعبين الأردني والفلسطيني اللذين يرتبطان معا بروابط تاريخية وعملية مشتركة وواسعة .

وحول الوضع في الاراضي المحتلة الذي شكل جزءا اساسيا من هموم المباحثات الأردنية الفلسطينية على امتداد كل جلساتها الطويلة والمكثفة ، اتفق الجانبان على عدد من الترتيبات والاجراءات لتخفيف معاناة الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي الخارج . ومن هذه الترتيبات الاتفاقية على أن تستأنف اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة لدعم الصمود اجتماعاتها فورا وتكليف وفد مشترك خاص للقيام بجولة في الدول العربية لبحث موضوع الالتزامات العربية المتعلقة بالمساعدات المالية للفلسطينيين في الداخل وذلك عبر صندوق دعم الصمود في الاراضي المحتلة الذي شكل بقرار من قمة بغداد العربية عام ١٩٧٨ ليكون الاطار الوحيد الذي يجري عبره تقديم مساعدات عربية حددت قرارات القمة مجموعها وحصة كل دولة عربية منها وذلك من أجل قيام تنسيق أردني ـ فلسطيني مشترك لصرف هذه الاموال بطرق مناسبة .

الانطباع الذي خرج به معظم المراقبين السياسيين عن البيان الأردني ـ الفلسطيني المشترك ، هو أنه يمثل بداية فقط على طريق طويل مليء بالاشواك نتيجة التناقضات القائمة حاليا بين الاسرة العربية الواحدة ونتيجة لتباين مواقف كل دولة عن الأخرى بشأن أكثر القضايا تعقيدا في المنطقة . لكنهم اشاروا الى أن المحادثات الأردنية الفلسطينية نجحت في تجنب الخوض في كل المسائل التي مازال الطرفان يختلفان في تقييمها .

○ عن المجاهدين الأفغان

نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٦٩ مقالا عن الجهاد في افغانستان بعنوان « رسالة بالرصاص الى تشيرننكو » جاء فيه :

يوما بعد يوم وسنة بعد سنة يتأكد السوفيات انهم يعيشون في افغانستان وضعا لا يحسدون عليه . على الرغم من الهجومات الواسعة والوحشية التي يشنها نحو مائة ألف جندي على الثوار الافغان منذ خمس سنوات فانهم لم يتمكنوا بعد من توجيه الضربة التي يريدونها للمجاهدين او على الاقل حماية انفسهم من ضرباتهم .

في الآونة الأخيرة كثف الثوار عملياتهم في شكل أربك القوات الحكومية الافغانية والسوفياتية وأثار قلق زعماء الكرملين عن تطور الوضع في البلاد . وللمرة الثانية خلال اسبوع واحد كانت سفارة الاتحاد السوفياتي في كابول هدفا لهجوم عنيف قام به المجاهدون ليل ٢١ ـ ٢٢ شباط « فبراير » مستخدمين مدافع الهاون والقذائف الصاروخية من المواقع التي يحتلونها في التلال المحيطة جنوب غرب كابول . وقد أتت هذه العملية الجريئة في اطار سلسلة عمليات نظمها الثوار داخل العاصمة الافغانية ، احتفالا بالذكرى الرابعة للانتفاضة التي قام بها الطلاب الافغان ضد الغزاة السوفيات في شهر شباط (فبراير) ١٩٨٠ . يوم ملأ الطلاب الشوارع وصعد الأهالي الى السطوح بالمئات يرفعون نداء « الله أكبر » . ويومها أيضا كان رد السوفيات عنيفا أوقع أكثر من ٢٠٠ قتيل في صفوف المتظاهرين .

والجدير بالذكر ان العمليات الاخيرة شملت هجوما مدفعيا على القيادة العامة للقوات

السوفياتية في كابول ، ذهب ضحيتها حسب تصريحات الثوار ٢٢ جنديا سوفياتيا ، وأدت الى تدمير أربعة مراكز للشرطة وبالاضافة الى ذلك ، عمد الثوار الى زرع عدد من الالغام في مبان رسمية من العاصمة انفجر منها على الاقل ثلاثة ، قبل أن تعطل القوات الحكومية البقية . وقد دمر احد هذه الانفجارات قسما من مكتب رئيس الوزراء ومركز جهاز الاستخبارات الافغانية .

والمعلوم ان القوات السوفياتية كانت قد حرصت على اتخاذ اجراءات أمنية مشددة جدا لمناسبة ذكرى تظاهرات شباط (فبراير) ١٩٨٠ . لم يسبق ان شهدت مثلها كابول منذ ثلاث سنوات ، وقد شملت هذه الاجراءات اعتقالات بالجملة لعدد من الطلاب والاساتذة وتسيير دوريات مؤللة ومكثفة في شوارع العاصمة .

وتأتي عملية الغارة بعد اسبوع من الهجوم الاول في ١٤ ـ ١٥ شباط (فبراير) تأكيدا على اعتناق الثوار الافغان سياسة الهجوم الوقائي لتخفيف هجمات السوفيات على مواقعهم . وعلى الرغم من ان هجومات المجاهدين على كابول لم تعد في حجمها السابق نظرا لازدياد احتياطات السوفيات منها ، فانه يبدو ان الثوار يصرون على الأقل على ابقاء الجو متوترا في العاصمة وكذلك ابقاء السوفيات في حال حذر وذعر وتأهب وارغامهم على الأقل على الاحتفاظ بأكبر عدد من قواتهم في كابول ، بدل ارسالهم لمطاردة الثوار في المناطق الأخرى . ذلك ان الغارات الجوية التي قام بها السوفيات في الأشهر الثلاثة الأخيرة على مواقع الثوار في وادي بانشير وشومالي ، دمرت عددا كبيرا من القرى وأدت الى مئات القتلى خصوصا بين المزارعين .

ولعل السبب الأهم في عمليات المجاهدين الأخيرة هو اعادة اثارة مشكلة افغانستان أمام زعيم الكرملين الجديد تشيرننكو او على الأقل تذكيره بها . وكذلك تذكير العالم الغربي الذي يسعى الى التفاوض مع السوفيات انه مايزال هناك نحو مائة ألف جندي سوفياتي يحتلون افغانستان على الرغم من توافد ثلاثة زعماء على الكرملين .

○ عن المجاهدين في الفيلبيين

وجهت جبهة تحرير مورو الاسلامية نداء عاجلا من المجاهدين المسلمين يحمل عنوان « البيان رقم ٣/٤٠٤ » جاء فيه :

« ان أعداء الاسلام يواصلون حاليا تنفيذ مؤامراتهم الخبيثة التي تهدف الى استئصال الاسلام وابادة المسلمين ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) . وحتى اليوم لايزال المسلمون يتعرضون لحملات التصفية من قبل حكومة الفلبين الصليبية الكافرة حرصا منها على تطهير البلاد من جذور العناصر الاسلامية لتصبح الفلبين دولة نصرانية بحتة تستطيع أن تفرض على شعبها الايمان بعقيدة التثليث الباطلة . ولذلك فإن قوات الفلبين المسلحة تقوم باستمرار بشن عمليات عسكرية فتاكة وغارات جوية مدمرة على المسلمين الأبرياء بغية الوصول الى هذا الهدف العدواني .

وفي الاسبوع الثاني من ربيع ثاني ١٤٠٤ بدأت حكومة الفلبين حملاتها العسكرية الجديدة المستمرة حتى كتابة هذا التقرير وتشمل عددا كبيرا من المناطق الاسلامية في (ميندناو ـ صولو بلاوان) . وتستخدم قوات ماركوس في هذه الحملات الجديدة الدبابات والطائرات ومدافع الهاون والمدافع الثقيلة من نوع ٨١ايم و ١٠٥ و ١٠٦ ايم ايم .

وفي هذه الحملات الوحشية كسابقاتها يمارس الجيش الصليبي الغاشم التقتيل الجماعي والفردي والتمثيل بالقتلى من المسلمين وهتك أعراض النساء المسلمات وخطف الفتيات المسلمات ليتزوجهن الجنود الصليبيون الكفار بأمر من الحكومة مما أدى الى انتحار معظمهن صيانة لكرامتهن . كما يفرط هذا الجيش في نهب واغتصاب أموال المسلمين وممتلكاتهم وتدمير وسائل المعيشة واحراق المزارع والبيوت والمساجد والمدارس الاسلامية العربية وقتل المواشي . ويقوم كذلك بتعذيب المسلمين الأبرياء بما فيهم الاطفال والشيوخ . هذا بالاضافة الى اهتمامه باحراق المصاحف الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والكتب الاسلامية الأخرى .

وايمانا بوجوب الجهاد في سبيل الدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ورغبة في الشهادة في سبيل رفع راية « لا آله الا الله محمد رسول الله » ، فان أبناءنا المجاهدين يتصدون لهذا العدوان الصليبي المستمر على قلة العدة والعتاد ويلحقون بقوات العدو الصليبي الذي يدعمه الاستعمار الامريكي والعدو الصهيوني الاسرائيلي خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات بعون من الله ونصر منه (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) . ففي معركة وقعت في بلدة (ببونج) قتل أوجرح عدد كبير من جنود العدو ومن بين القتلى ضابطان برتبتي رائد وملازم . وفي معركة أخرى ببلدة (بيغافو) قتل عدد كبير من جيش ماركوس واستولى المجاهدون على كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر ، ونال خمسة من أبنائنا المجاهدين الشهادة (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

وأثناء كتابة هذا التقرير العاجل تدور معارك عنيفة بين أبنائنا المجاهدين وقوات العدو الصليبي لليوم الرابع على التوالي في بعض مناطق (ماجيندناو) .

ولهذا فاننا ننادي اخواننا في الله في كل مكان الى المساهمة والمشاركة في هذا الجهاد المقدس في سبيل الله كما يفرضه عليهم كتاب الله قبل أن يأتي يوم لا ينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وذلك لمواجهة القوى الصليبية الطاغية تحت راية « لا آله الا الله محمد رسول الله » والرسول القائد صلى الله عليه وسلم يقول ـ مامعناه :) من مات ولم يغز لم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق) ، ويقول أيضا ـ ما معناه : (من جهز غازيا فقد غزا ..)

وننادي كذلك الحكومات الاسلامية والامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي الى تحمل مسئولياتها أمام الله ذي العزة والجبروت تجاه المسلمين المستضعفين في جنوب الفلبين وغيرها من البلاد كالهند وتايلاند وبورما وقبرص اليونانية والحبشة وأفغانستان ولبنان وفلسطين وغيرها . ونطالب الأمانة العامة للمنظمة تنفيذ مقررات المؤتمرات الاسلامية تجاه المسلمين في الفلبين فورا قبل فوات الأوان .



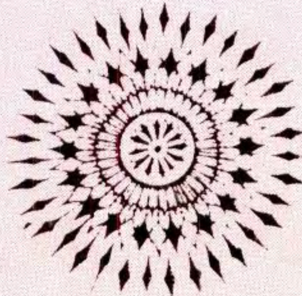
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	: القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	: الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	: الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	: الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	: الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	: بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	: عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	: جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧) الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠) الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢) المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	: مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	: دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	: دار الهلال
قطر	: دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	: المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	: دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





مطابع دار السياسة ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٦ ـ شعبان ١٤٠٤ ـ مايو ١٩٨٤



هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قال الله تعالى في سورة الإسراء:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا

مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٦ / شعبان ١٤٠٤ هـ . (مايو) ١٩٨٤ م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

وبشر المؤمنين

في شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة تحولت قبلة المسلمين ـ كما حقق ذلك أهل الحديث والسير ـ من بيت المقدس الى الكعبة بعد ان مكث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ عقب هجرته الى المدينة ـ يتجه والمسلمون معه الى بيت المقدس في الصلاة نحو ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا تنفيذا لأمر إلهي تلقاه الرسول بالسمع والطاعة .

تزامن التوجه الى بيت المقدس مع الموقف السمح الذي وقفه الرسول الكريم مع اليهود في المدينة حيث قبل عن طيب خاطر بقاءهم على دينهم آمنين ولم يتجه فكره الى سياسة الإبعاد أو المصادرة أو المقاطعة بل ارتبط معهم بوثيقة يأمنون بها على أنفسهم وملتهم واموالهم . وجاءت بنود هذه الوثيقة تؤكد الرغبة في التعاون معهم على نشر السكينة ورد العدوان الوافد الى المدينة وأن بين المسلمين واليهود النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأن النصر للمظلوم وأن الجار كالنفس غير مضار ولا أثم وأقرت الوثيقة حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي تركها والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها .

وفي جو من العدل والحرية التزم المسلمون بعهدهم ولكن متى احترم اليهود عهودا أبرموها ومتى نفذوا مواثيق التزموا بها ؟ لقد صمتوا أولا صمت المستريب وحين تأكد لهم أن الاسلام قضى على الحزازات القديمة بين العرب وأنه سوف يصنع منهم أمة واحدة ساورهم القلق واستبد بهم الهم فشرعوا يفكرون في الكيد لهذا الدين والتربص بأتباعه ووضع العوائق أمام مسيرته . وما استطاعوا ان يكتموا حقدهم الدفين فاستغلوا حادث التحول إلى قبلتهم وقالوا في صلف وغرور وكبرياء : إن محمدا يتبع قبلتنا ويخالف ملتنا . لقد نزل عن نصف دينه وسينزل غدا عن النصف الآخر ، ولحرص الرسول

على إيمان قومه كان يحب التوجه الى الكعبة لأن ذلك يشد العرب إلى الاسلام ويربطهم بأسبابه لما للبيت من قداسة أصيلة تمتزج بدمائهم وفي رحابه ينعمون بالأمن والطمأنينة بالاضافة إلى أنه بناء إبراهيم عليه السلام وقبلته وأنه مركز الحجيج وأن احترامه ممتد الجذور عبر الأجيال وعلى مر التاريخ ، لهذا كان الرسول يقلّب وجهه في السماء متجها إلى ربه دون ان ينطق لسانه بشيء تأدبا مع الله وانتظارا لتوجيهه إلى ما يحبه ويرضاه ثم استجاب الله لحبيبه ومصطفاه ونزل الوحي بقول الحق سبحانه : (**قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) الآية ١٤٤ البقرة .

وفجع اليهود بالتحول عن قبلتهم فقاموا ومعهم المنافقون بحملة ضخمة من التشكيك وبث القلق والحيرة بين صفوف المسلمين وانطلق المرجفون منهم في أرجاء المدينة يقولون **ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ؟ ثم يقولون للمؤمنين إن كان التوجه الى بيت المقدس باطلا فقد ضاعت صلاتكم طوال هذه الفترة وإن كان حقا فالتوجه إلى المسجد الحرام باطل إلى غير ذلك من جدل مثير .

وللقضاء على هذه المؤامرة تولى القرآن إبطال دعوى السفهاء من اليهود والمنافقين ونزل الوحي بالجواب على لسان الرسول : (**قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**) ١٤٢/البقرة .

وزاد من فجيعة اليهود قول الله تعالى للمؤمنين (**وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**) لأنهم علموا أن هذا الأمر الإلهي دعوة صريحة إلى وحدة الأمة ما دامت تتجه إلى قبلة واحدة سواء ما كان منها في المشرق أو المغرب الكل ينتظمهم شعور واحد بأنهم جسم واحد وكيان واحد ومهما تباعدت الأوطان واختلفت الأجناس والألوان والألسنة فإن القبلة تقرب بينهم والإسلام يربط بين قلوبهم ـ نعم كان تحويل القبلة إلى البيت الحرام ضربة قاصمة خيبت أمل اليهود وقضت على أحلامهم وبقدر ما كان هذا التحول خذلانا لهم كان فتحا جديدا زاد من إقبال العرب على الدخول في الدين الجديد وازدحمت المدينة بالوفود التي جاءت تعلن إسلامها وسلامها وأطفأ الله نار فتنة أشعلها الحقد والحسد والبغضاء وصدق الله العظيم (**كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين**) ٦٤/ المائدة .

ومما لا شك فيه أن أحفاد اليهود ورثوا أخلاق أجدادهم فساروا على منهجهم في إجادة الدس والمكر والتضليل والخداع وصناعة المؤامرات وتصدير الفتن والثورات . لذا نجد القرآن الكريم لا يخاطب المشركين

بجرائم من سبقوهم ولا يحاسبهم بأخطاء أسلافهم ولكنه يخاطب اليهود بما كان عليه أسلافهم السابقون فقد نسب **عبادة العجل** إليهم جميعا مع أن عبادة العجل كانت من السابقين ولم تكن من المعاصرين لنزول القرآن ونسب **قتل النبيين** إليهم جميعا مع أن القتل كان من بعض سلفهم كما قال الحق سبحانه (**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**) الآية ٨٧/ البقرة .

أما لماذا ؟ لأنهم يعيشون في جو نفسي واحد مهما تباعدت الأزمان واختلفت العصور ولأن بيئتهم واحدة وتجمعهم غاية واحدة هي عداوات الناس جميعا ، يتخذونهم مطايا لأهوائهم ولا يعملون لنفع غيرهم إلا إذا كانت العقبى لهم ، يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ويتنافسون في الحرص على المادة وعلى الحياة تتحكم فيهم الأثرة ويستحلون السلب والنهب والعدوان وما علموا أن عدل الله سيلاحقهم وأن مكرهم سيحيق بهم وأن حظ الطغيان دائما خاسر وأنه على الباغي تدور الدوائر وصدق الله العظيم (**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**) ٢٢٧/الشعراء .

وإذا كان التخطيط اليهودي قد حقق بعض أهدافه في حقبة من الزمن فمن سنة الله أن يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ووعد الله بنصر أوليائه لا يتخلف ويوم يكون المسلمون أهلا لهذا النصر يرفع الله عنهم عقابه ويفتح لهم مغاليق الأبواب ويهيىء لهم الأسباب ، ان قضية النصر النهائي للمسلمين أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يامسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله

ومن المؤكد أن المسلم الذي ترتجيه الأمة ليس المسلم الذي ورث الاسلام نسبا فقط كما ورث الاسم واللقب بل هو المسلم الغيور على دينه وعرضه ووطنه ، هو الذي يعطي من نفسه وماله ووقته قدر استطاعته لتكون كلمة الله هي العليا ، هو الذي يرتفع بإيمانه فوق مغريات المادة وملذات الشهوات هو الذي لا تبطره النعمة ولا يقهره البلاء بل يواجه المحن مرفوع الرأس عزيز النفس عالي الهمة يعيش في جو المثل العليا والقيم الأخلاقية الفاضلة هذا هو الجدير بنداء الحجر والشجر يا مسلم .

إنه عبد الله حقا لا عبد الشهوات والملذات ، ولا عبد الكاس والطاس ولا عبد المال والدنيا ولا عبد المنصب والجاه ولا عبد المبادىء المستوردة والأفكار الدخيلة مثل هذا لا يتحقق به نصر ولا ترتفع به راية ولا تحرر به أرض أو تسترد حقوق سلبية هذا وأمثاله غثاء كغثاء السيل وهم عبء ثقيل على الأمة

يجلبون لها الخزي والعار والتخلف أما عبد الله فهو الذي يبيع نفسه وماله لله هو الذي يشرف الحياة بإيمان يبيض به وجه التاريخ وبسلوك يستوجب الإكبار والتقدير وبطولة ترهب أعداء الله كما قال أسير يهودي في الحرب الأخيرة : نحن لا نخاف أي قوة كما نخاف من هؤلاء الأبطال الذين تسلحوا بالإيمان ولما سئل ما الذي يخيفكم منهم ؟ قال اليهودي لقد هاجرنا وجئنا من بلاد شتى إلى هذه الأرض لنعيش وهؤلاء يحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة

هذه النماذج الصادقة في إيمانها يثبت الله أقدامهم ويقذف بهم الرعب في قلوب أعدائهم كما حدث في الصدر الأول من تاريخ الاسلام أن قال زعيم يهودي من زعماء خيبر حينما رأى نور الإيمان في وجوه المسلمين قال : (يا معشر يهود هادنوا المسلمين وسالموهم فقالوا : لماذا ؟ قال والذي فلق البحر لموسى إني أرى وجوها لو سألت الله أن يزيل الجبال لأزالها) .

إن أمتنا وهي تجتاز مرحلة صعبة من مراحل تاريخها الطويل حاجتها الى الإيمان أشد من حاجتها إلى الدبابة والطائرة والصاروخ والقنبلة ومما لا شك فيه أن شريعة الاسلام تجمع في ثناياها عناصر الحق والقوة والإخلاص والتقوى والفداء والتضحية ، بها عز الأولون وسادوا وكانوا خير أمة أخرجت للناس يسجل التاريخ ذلك على صفحاته بأحرف من نور ولكن مما يدمي القلوب أن يبرز من الصف المسلم بعض أفراد ينادون بعزل الشريعة عن الحياة في الوقت الذي يحرص فيه الشعب اليهودي على التمسك بالقيم التوراتية ، باسمها يتجمعون من شتى أقطار الأرض ويقيمون دولة يسمونها إسرائيل ، يتمسكون بطقوس يرونها مقدسة ومن يعمل منهم يوم السبت يرمي بالحجارة والذي يتزوج زواجا مدنيا لا تعترف به الدولة والمطاعم التي لا تطبخ على الطريقة اليهودية تغلق أبوابها وتبور تجارتها وبالأمس القريب طالب أكبر حاخامية إسرائيل بجعل التلمود شريعة إسرائيل !!

وهكذا أعداء الله يتمسكون بكتب محرّفة ونحن نهجر القرآن وهو بيننا مصون من التحريف والتبديل ، هم يلتزمون في حياتهم بقيم يرونها روحية ونحن لا نعطي لشريعة الله حقها في إصلاح الحياة !

إن أرادت الأمة ذكرا باقيا إلى الأبد وعزا لا مهانة بعده ونصرا عزيزا يقهر عدو الله وعدوها فليكن عن طريق الاسلام ولا طريق سواه وصدق الله العظيم : (**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .**) **الآية ٥٦ المائدة** .

رئيس التحرير

حسن عنّاع

الإجماع

لم يأت المستشرقون فيما كتبوه عن الاجماع بجديد يضاف إلى ما كتبه المسلمون فيه ولسنا بحاجة حينئذ لترديد ما رددوه عن كتاب المسلمين .

إلا أننا في حاجة إلى إزالة ما أضافوه من غش على مبدأ أو مصدر الاجماع .

فادعى « شاخت » أن الشافعي لم يقل كلمته الأخيرة في الاجماع ولا ندري كيف قرر هذا الحكم ، مع أن الشافعي قال كلمته فيه في أكثر من موضع في كتاب الرسالة .

ثم ادعى « شاخت » أن هرجرونج » هو الذي وضح أهمية الاجماع كعماد للنظرية القانونية الحقيقية الثابتة ، معللا ذلك بأن الاجماع يضمن التأويل الصحيح للقرآن ، والنقل الصحيح للسنة ، وهذا التوضيح من « هرجرونج » مزعوم قطعا فما كتبه لا يشكل نظرية البتة . وما علل به ، « شاخت » رغم أنه لا يضيف جديدا ، فإنه لا يعبر عن الاجماع بالمعنى الاصطلاحي السليم أيضا . فهو هنا يشير إلى أن القرآن في حاجة إلى تأويل صحيح ، والسنة في حاجة إلى نقل صحيح أيضا . والاجماع كفيل بذلك وهذه أهميته وهذا المعنى ليس صحيحا في جملته - إذا أحسنا النية - إذ ليست مهمة الاجماع أن يختار تأويلا معينا للقرآن . وليست مهمة المجتهدين أن يجمعوا على تأويل أو تفسير معين للقرآن الكريم .

ولم يخصص الاجماع كمصدر من مصادر التشريع لمثل ذلك . وكذلك

السنة في نظر المستشرقين

للدكتور/عجيل النشمي

الحال في النقل لتصحيح السنة فليس الاجماع طريقا مخصصا لذلك . كما قد توحي العبارة وإن جاز أن يكون الاجماع على معنى معين من القرآن أو من السنة . وهذا لا يعني أنه خاص بذلك بل هو أعم من هذا ، ولذلك عرفه الاصوليون بأنه : (اتفاق المجتهدين من أمة محمد في عصر من العصور على أمر شرعي بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم) . فالاجماع لابد له من دليلشرعي ـ كما سنبينه ـ لأنه لا يقبل إن كان عن هوى ، ولا يمكن أن تجتمع الامة على غير دليل لأن لكل مجتهد رأيه واجتهاده المبني على دليل عنده .

ويلاحظ أن« شاخت » قد رفع من شأن الاجماع وجعله ضمانة أكيدة لنقل السنة وفهم القرآن الكريم وهو يعلم أن المسائل المجمع عليها قليلة لأن استخدام الاجماع ليس سهلا أو ميسورا ، وعلى هذا تفتقد السنة هذا المصدر الهام الذي ينقلها النقل المضمون الصحيح حسب رأيهم .

ثم يعلق « شاخت » على مسألة الاجماع بقوله : إن ما كان طريقه الاجماع فهو صحيح ولا يبطله الرجوع إلى المصادر الأخرى .

وهذه العبارة منه إما أنه أراد أن يقول ما قاله الاصوليون من أن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ . أو أراد أن يقول : إن الاجماع ند ومعارض للادلة الشرعية الأخرى .

فإن **أراد الأول** نقول : صحيح أن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ سواء كان

الناسخ أو المنسوخ كتابا أم سنة أم إجماعا آخر . لكن التحقيق أن مراد الاصوليين بهذا أن الاجماع الذي لا ينسخ إنما هو الاجماع المستند إلى الكتاب أو السنة الثابتة . أما إذا كان مستنده علة أو مصلحة شرعية جاز نسخه لأنه قد يظهر للمجتهدين أن المصلحة التي بني عليها الاجماع قد تغيرتفجائز حينئذ أن ينعقد إجماع على خلاف الأول وهذا رأي الامامين البزدوي وصدر الشريعة .

وإن **أراد الثاني** : فإن العبارة ـ في جملتها ـ لا تحمل المعنى الصحيح السليم لمعنى الاجماع ، إذ ليس الاجماع ندا للأدلة الأخرى ، ولا يمكن أن يكون معارضا في أية حال من الأحوال لمصدر من مصادر التشريع كالكتاب والسنة ، فلا يمكن أن يعارضهما إجماع على أي حكم كان من المجتهدين لأنه إذا لم يكن اجتماعهم على ضلالة جائزا لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة » فلأن لا تجتمع على ما يعارض كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من باب أولى وهل هناك أشد ضلالا من أن يجتمع المجتهدون على خلاف الكتاب والسنة .

ويحاول « شاخت » أن يبرز هذا المعنى الثاني ويؤكده فيقول « الاجماع قوي الجذور في القانون العرفي ، معترف به رسميا في بعض العناصر الهامة للعبادات حتى وإن تعارض هذا الاجماع مع الكتاب والسنة »

ومن جهة ثانية فإن « شاخت » يعتبر الاجماع مصدرا قد يأتي ليؤكد القياس ويبين صحته ولعله يريد أن يقول إن الاجماع قد يكون مستنده القياس ، وهذه مسألة خلافية سوف نأتي عليها فيما بعد . ويضيف بأن الاجماع يعطي كل الدقائق القانونية .

وهذا تحميل للاجماع بأكثر مما يتحمل ، إذ الاجماع إنما يكون في ظروفه وعند توافر شروطه ، ومجال تطبيقه ضيق ـ كما سنرى ـ إذ يعسر تطبيقه في كثير من الأحيان .

أما « نورمان أندرسون » فقد وافق سلفه « شاخت » وزاد عليه غبشا : بأن الاجماع في نهاية المطاف مصدر غير رسمي informal وربما يريد أنه غير واضح أو غير محدد ، ولكنه لم يعرف أو يبين ما هو الاجماع في نظره أو أي نوع يقصد منه بعبارته .

الاجماع والقانون الروماني

وزعم « جولد تسيهر » أن الاجماع كمصدر من مصادر التشريع عند المسلمين إنما كان بتأثير القانون الروماني .

ولقد ردد هذا الزعم جل المستشرقين في كتبهم . ولم يكلف أحدهم نفسه المقارنة الدقيقة للاجماع عند الرومان والاجماع في التشريع الاسلامي . في حين أن الاجماع عند المسلمين نظرية لها أصولها وقواعدها وأسسها الشرعية وهي مربوطة بالادلة والمصادر الأخرى لا يمكن فصلها عنها البتة .

ولا ضير إذا توافقت الفكرة عند المسلمين والرومان ، ولكن لا يمكن أن

يقال إن الفكرتين متطابقتان من حيث الأسس والشكل والمضمون ، وإن ادعى ذلك فهو حينئذ يحتاج إلى تدليل وإثبات وهذا مفقود حتما .

ويكفي أن نقول إن التشريع الاسلامي ، تشريع رباني لا دخل للناس في تأصيل قواعده وابتكارها ولو كان تشريعا بشريا - كما ينطلق المستشرقون من نظرتهم له - لأمكن القول أنه تأثر بالقانون الروماني أو أي قانون أرضي آخر .

ومن هذا المنطق في نظرتهم للاجماع يحاولون تصويره على أنه دخيل على التشريع الاسلامي وأنه قد أصبح بعمل الفقهاء جزءا من التشريع وأن تطبيقاته أدت إلى الحجر على المجتهدين في حرية التغيير والتطوير . وهذا ما ادعاه « بيرل » وغيره وهذا استنتاج واضح البطلان يصور حقيقة - عدم وضوح معنى الاجماع وتفاصيله لدى أمثال هذا . فإن الاجماع صحيح لا ينقض بإجماع آخر ولا يجوز تغييره وليس في ذلك حجر ما لأن الأمة لن تجتمع على خلافه فيما بعد ، لأنه إنما ابتنى على دليل اتفق عليه رأي مجتهدي ذلك العصر . وكما نص علماؤنا على قاعدة لهم في ذلك فقالوا « لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه » أي إن منكر الأمر المختلف فيه لا ينكر عليه ذلك . وإنما ينكر على منكر المجمع عليه لأنه مبني على دليل لا شك فيه . فالاجماع جزء أصيل في التشريع الاسلامي ارتضاه القرآن والسنة ، فهو منهما واليهما ، وليس بمستورد ولا شاذ .

ولقد بذل المستشرقون جهدهم لجعل الاجماع مصدرا طارئا مستقلا وتوهموه ندا للادلة الأخرى حتى توهموا أنه الدليل الذي سيكسر قيود الجمود في المستقبل فيقول « جولد تسيهر » عن الاجماع :

إن هذا المبدأ بالنسبة للاسلام يحتوي على بذور التحرر للحركات الاسلامية الحرة ، والتطورات المستطاعة ، فهو يقوم ، ضد ديكتاتورية الجمود وقتل الشخصية ، قوة للتعادل ، وقد حقق على الأقل في الماضي كعامل مهم مطابقة الاسلام للعصر وقتئذ ، فماذا عسى يمكن أن يكون باستعماله في المستقبل ؟ وفي الحق أن هذا المبدأ المتبع ملحوظ عند مجددي الاسلام في عصرنا ، فهو الباب الذي يجب بواسطته أن تنفذ إلى بناية الاسلام عوامل القوى الشابة .

ويرد على هذا المستشرق مستشرق آخر منصف في هذه الجزئية فيقول (مبدأ الاجماع لا يعتبر مطلقا مبدءا تحرريا بل هو على العكس من ذلك مبدأ يتسم بطابع التحكم إذ أنه لا يمكن مخالفة ما يصدر عن الاجماع) .

الاجماع والنسخ :

لقد تبرع (شاخت) للكشف عن جهله بأصول الفقه فادعى في دائرة المعارف الاسلامية المعتمدة عندهم أن الاجماع ينسخ أحكام القرآن والسنة ، فقال : « بل إنهم جعلوا للاجماع ، آخر الأمر قوة نسخ احكام الكتاب والسنة ، كما حدث مثلا في

مسألة التوسل بالأولياء والاعتقاد في عصمة الانبياء . »

ونسخ الاجماع للكتاب والسنة لم يقل به أحد ممن يعتد بهم عند علماء الاصول المسلمين ، ذلك أن علماء الأصول اشترطوا لجواز النسخ أن يكون الدليل الناسخ في قوة الدليل المنسوخ أو أقوى منه ، وأن يرد بعده . وعلى هذا لا يكون الاجماع ناسخا لنص من الكتاب أو السنة ، لأن النص إن كان قطعي الدلالة امتنع انعقاد الاجماع على خلافه ، وإن كان ظني الدلالة وانعقد الاجماع على خلافه كان معنى هذا وجود دليل آخر ترجح في نظر الفقهاء المجتمعين على النص الظني الدلالة فيكون ذلك الدليل الذي ابتنى عليه الاجماع هو الناسخ لا الاجماع ذاته .

ومن جانب آخر اشترط علماء الاصول في الناسخ أن يكون خطابا وبمقتضى هذا الشرط يجب ألا يتجاوز عصر النسخ عصر الرسالة ، لأنه العصر الذي يتنزل فيه الوحي وتتلقى فيه عن الرسول السنة ، وهما كل مايصدق عليه خطاب الشرع ، وبمقتضى هذا الشرط أيضا يجب ألا يمنح سلطة النسخ إنسان ـ مهما بلغ علمه ـ إلا إنسانا واحدا ، هو الذي انزل عليه القرآن ليبلغه للناس ، وليبينه لهم ، وهو وحده الذي يمكن أن يوصف بأنه الشارع للحكم ، لأنه هو الذي تلقى شريعة الله ودعا الناس إليها ، وبين أحكامها العملية وبمقتضى هذا الشرط كذلك لا يكون الاجماع ناسخا . وعلى هذا فما ضربه كأمثلة لدعواه من مسألة التوسل مقحمة وليس لها محل .

ويؤكد عدم معرفته بالاجماع المعهود عند علماء الاصول حين يقول في موضع آخر« هناك أبواب هامة من التشريع الاسلامي تقوم على الاجماع وحده ، مثل الخلافة واعتبار سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ملزمة للمسلمين والأخذ بالقياس الخ ... ثم يقول : وجملة القول أن التشريع الاسلامي كله يستمد سنده من الاجماع المنزه عن الخطأ الذي يضمن صحة التشريع واتفاقه مع المعنى المقصود من الكتاب والسنة » .

ودعوى أن الخلافة وحجية السنة والقياس .. الخ تقوم على الاجماع وحده ، دعوى قاصرة عن إثبات المدعي ، فإن ما ذكره من الخلافة وغيرها قد ثبت بأدلة متعددة يعتبر الاجماع أحدها ، وهذا معلوم لمن له أدنى إلمام بمبادىء العلوم الشرعية .

وأما بطلان زعمه في أن التشريع الاسلامي كله يستمد سنده من الاجماع فهو أقل من أن يرد عليه أو يقام على بطلانه دليل ، ما لم يقم هو الدليل ولا دليل .



القرآن

ووشيجة المسلمين

للدكتور/ ابراهيم ابو الخشب

لعله من مكرور القول ، ونافلة الحديث ، أن نقول إن العرب في جاهليتها ، لم تكن لهم معايير للفضيلة ، ولا موازين للأخلاق ، ولا مقاييس للخير والشر ، ولا مفاهيم صحيحة للحسن والقبح ، ولذلك كان النزاع الحاد بينهم بين الجماعات والأفراد أثرا طبيعيا لهذه البلبلة السائدة هنالك في الأوساط والبيئات ، وكأنه أشبه

بالنتيجة الحتمية لعدم وجود الفيصل الذي يرفع الخلاف ، أو يقضي على النزاع ، على الرغم من قيام وشائج اللحم والدم ، والقرابة والمصاهرة ، والمصالح المشتركة ، وسبب ذلك أن الصلة التي تقرب مابين الفرد والفرد ، والجماعة والجماعة ، إن لم تكن منبعثة عن وجدان صادق ، وعاطفة متمكنة ، وميل روحي ، لا يمكن بحال من الأحوال أن تستقر أو يقدر لها البقاء ، ولا نتجاوز حدود المنطق اذا قلنا إن الاتصال القائم على المنفعة هيهات ان يظل ممتدا لأنه تعمل فيه الأهواء عملها ، وتؤثر فيه الأحداث الطارئة ، والعواصف المتاحة ، وتجعله دائما أبدا عرضة للخلخلة أو الزوال ، أو على الأقل تكيفه بالكيف الذي تمليه الظروف والملابسات .. ولهذا كان فعل القرآن الكريم عجيبا ، لأنه لم يجعله اتصالا قائما على أمور الدنيا ، ولا أهواء النفوس ، وميل القلوب ، تطيح به الطوائح والأنواء ، ولكنه جعله عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه ، وعقيدة يعمر بها قلبه ، ودينا يبذل في سبيله دمه وماله ، وجهده وطاقته ، وراحته ونومه ، ونراه في خطابه له وحديثه معه ، دائما وأبدا ، ينوه بهذا الترابط ، ويوقظ الشعور بهذا الامتزاج ، فلا يخاطبه بعنوان كونه واحدا منفصلا ، وإنما يخاطبه بعنوان كونه داخلا في الجماعة ، أو ذائبا في سواد هذه الأمة ..

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » ..

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » ..

« يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم » ..

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » ..

« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » ..

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ..

وهو خطاب يوحي بالانطواء في ضمير الأمة ، وعنوان الجماعة ، ويعلن أن الوشيجة القائمة بسببه ليست مما يتأثر بالأهواء ، أو يتحول بالشهوات أو الأغراض ..

والمسلمون في قرارة أنفسهم يشعرون بأن القرآن إلى جانب كونه معلما للخير ، وهاديا إلى الرشد ، وموجها إلى السداد ، ومنبها إلى ما هو الأولى أو الأفضل ، تراث عزيز عليهم جميعا ، يرتبط به مجدهم ، ويقترن به جاههم ، ويتقرر به مصيرهم ، ويتحدد به مستقبلهم ، لذلك يحسّون وهم يدافعون عنه ، ويحافظون عليه ، أو يجاهدون في سبيله ، أنهم يبذلون ما يبذلون من أجل مقوّم حياتهم ، أو ممكن وجودهم ، أو مثبت أقدامهم ، أو مقرر حقيقة الانسانية فيهم .. وهذا هو السر في أن الاستعمار كان يجعل كل اهتمامه موجها إلى حربه ، والاعتداء عليه ، وعدم الاطمئنان

إليه ، والذي يتقصى تاريخه في كل بلاد العالم يجد أنه لم تهدأ نفسه ، أو يقر قراره إلا بعد أن يتأكد أنه نال منه ، واعتدى عليه ، وأقام في وجهه السدود والحدود ، وأن سلطانه قد ذهب ، وحكومته قد صارت في ذمة التاريخ ..

وفي القرآن ناحية أخرى كان لها الأثر البارز في تلاحم هذه الأمة ، ذلك أنه دائرة معارفهم ، وجامعة ثقافتهم ، ومنبع علومهم التي يدرسونها ، وكتبهم التي يقرؤونها فإن الذين كتبوا في تفسيره ، والذين أبانوا عن إعجازه ، والذين دافعوا عنه ، والذين استنبطوا الأحكام منه ، والذين كتبوا في إعرابه ، والعلوم التي تضمنها ، والثورة التي أحدثها ، والدوى الذي صنعه ، والآفاق الفكرية التي أوجدها ، قد جعلوا منه معينا لا ينضب من العلم والمعرفة ، والفكر والعقل ، والذوق والرأي ، والنظر والتأمل ، والوعي والادراك ، وهكذا كان فيما بينهم مدرسة لرفع حجاب الأمية ، وإزالة غشاوة الجهل ، وذهاب عار التخبط المزري الذي ينزل بأقدار الشعوب الذين يفقدون المنارات والمعالم ، وحتى لو صرفنا النظر عنه كمدرسة قائمة لايمكن أن نغفل شأنه كمصدر للتشريع ، ومنبع للأحكام وفي هذه الناحية وحدها من الخصوبة والثروة ما يجعل التمسك به ، والالتفاف حوله ، والرغبة فيه ، والدفاع عنه ، والغيرة عليه ، والفناء في سبيله من أوجب الواجبات ، وأقدس القربات ، والحديث عنه من ناحية صلاحيته للتشريع ، وإحاطته بالأحكام ، وتعرفه على حاجات الناس ،والادراكلما تمس إليه ضرورة البقاء والاستقرار ، والعدالة والأمن ، من الأمور التي لايماري فيها أحد ، وحسبه أنه هو الكتاب الذي جعله الله دستور الحق ، وقانون العدل ونظام الحياة ، وهداية الناس ، لا ينحرف له رأي ، ولا يضل له قصد ، ولا يميل له ميزان ، ولا يحيف له حكم ، أو يطيش له حلم ، أو يلتوي له سنن ، أو تحوم حوله ريبة ، أو تتغلب عليه غاية ، ولم يسلك هذا الكتاب العظيم وهو يعمل على جمع كلمة هذه الأمة أسلوبا واحدا ـ أو أسلوبين اثنين ـ حين دعاهم إلى أن يدخلوا في السلم كافة ، ولكننا نراه مع الترغيب في العفو والصفح ، والحلم وكظم الغيظ . والوصاة بالجار ذي القربى ، والجار الجنب ، وما شاكل ذلك من المعاني التي تزرع المحبة ، وتزيد المودة ، وتشيع العطف ، وتؤكد التراحم ، ينادي بجمع الكلمة ، وتلاقي القلوب ، وتقارب الأهواء ، إذ يقول « **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات** » آل عمران / ١٠٥ أو يقول « **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** » الأنفال / ٧٢ وكأنه بدعوتهم إلى هذا الترابط ، وتنفيرهم من هذا التفرق والاختلاف يريد أن ينبههم إلى أن اولى الناس بولائهم وأحقهم بإخائهم ، وأجدرهم بالحب والرعاية ، هم هؤلاء

الـذين يجمعهم وإياهم الـدين ، وتصلهم بهم وشيجة الايمان بالله ورسوله .. ولذلك نراه سبحانه وتعالى مع أمره لنا أن نفسح صدورنا للناس جميعا على اختلاف الملل والنحل ، يوصينا مع غير المسلمين ألا نصادقهم صداقة الواثق ، أو نركن إليهم ركون المطمئن ، أو نعتمد عليهم الاعتماد الصحيح ، حين يقول « **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** » أو ليقول « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** » آل عمران / ٢٨ ويرشدنا إلى أنهم لا يخلصون لنا النية ، ولا يضمرون لنا الخير ، مهما تظاهروا به ، وأن الدين بين الناس هو صمام الأمان « **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم** » **آل عمران / ٧٣ إذ أن فيه من الروادع والزواجر ، والترغيب والترهيب ، أو التوجيه والارشاد ، ما يجعل السلوك القويم من أوجب الواجبات ، وهو إذ يقول « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة** » الممتحنه / ١ لم يكن مبالغا في الشدة ، ولا صارما في المعاملة ، ولكنه يقرر قضايا النفوس ، وعصبيات الناس ؛ وأهواء البشرية ، ونزوع الانسان في كل زمان ومكان .. وسر هذا أن الاسلام يرى أن الايمان في قلب صاحبه معين خصب بالبر ، وسح فياض بالخير ، وسيب دائم بالمعروف .. ولا يفوتنا ونحن نتحدث هذا الحديث عن هذا الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أن نقول إن هنالك ترابطا آخر قد أحدثه بسبب لسانه وبيانه ، فإن العرب مع بيانهم العذب ، ولسانهم الطلق ، ومنطقهم الحلو ، وبلاغتهم النادرة ، وألفاظهم المختارة ، وأدبهم الرائع ، قد وجدوا فيه منطقا جديدا ، وأسلـوبا فـريدا ، وبيـانا عـاليا ، وتصويرا دقيقا ، لم يكن لهم به عهد سابق ، ولا إلف متقدم ، وهنـالك أخذهم الذهول ، وتملكهم الاعجاب ، واستولى عليهم الدهش ، ولم يكتفوا بذلك وإنما جعلوه شغلهم الشاغل ، وهمهم المضني ، وأفكارهم الدائبة ، ومائدتهم الممدودة ، التي التفوا حولها لـلأخذ والـرد والدراسـة والفهم ، والامعان والتروى ، والتأمل والنظر ، والتنقيـب والبحـث ، والأخـذ أو الاستفادة ، ومما لا خلاف فيه ، أن القرآن ـ هكذا ـ شغلهم عن الشعر ، وصرفهم عنه ، وزهدهم فيه ، وجعل بعضا منهم لا يعنون به قليلا ولا كثيرا ، وإن كنا لا نعني من وراء ذلك أن نقول إن الشعر قد اختفى من الميدان ـ والواقع يخالف ذلك ـ لأنه كـان موجـودا يؤدي دور التأييـد للدعوة ، أو المعارضة لهـا ، وإذا حاولنا أن نسجل تسجيلا صحيحا لذلك الدور الذي لعبه القرآن حينئذ في الصد عن الشعر ، والتنفير منه ، وبخاصة بعد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عنه ، وذكره أنه يزري به ، ولا يليق بمكانته « **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين** » يس / ٢٩ طال بنا المدى ، وحسبنـا أن نقـول إنـه الثـورة الاصلاحية الكبرى التي ذهل لها الناس ، فلم يعد عندهم من الفراغ ،

ولا لديهم من القبول ، ما يساعدهم على الاقبال عليه ، أو الاشتغال به ، أو التفكير فيه ، وكأن قوله ، والارتباط به - حينئذ - فضول وهذيان ، أو من لغو القول على الأقل ، ما دام هنالك من البيان والروعة ، والبلاغة والسحر ، ما يجعله في خبر كان الناقصة ، وللقرآن أسلوب تميز به ، ونسج لايشاركه فيه سواه ، وهو مع هذا كتاب تشريع وهداية وتهذيب واصلاح ، ونهوض وعمران ، وانتشال للبشرية من وهدة الضلال الذي كانت تقاسيه ، وتعاني منه .. ومثل هذا الكتاب وهو صاحب رسالة خاصة ، أو غرض بعينه ، ما كان ينتظر منه إلا أن يكون جاف المعين ، خشن التصوير ، غليظ رقعة البيان ، جامد الأدب ، تحيط بالناظر إليه ، أو المرتبط به ، الملالة أو السأم ، ولكنك تصاحبه في متعة لا تنتهي ، ورغبة لا تنقطع ، وإقبال لا حدود له ، فتارة يكون تاريخا واعيا ، وسجلا حافلا ، ينتقل بك عبر القرون ، فيحدثك عن آدم وولديه - قابيل وهابيل - أو عن إسرائيل ، وكيف دوخوا الأنبياء ، وأتعبوا الرسل ، وأكثروا في الأرض الفساد ، أو يذكر لك دعوة إبراهيم عليه السلام ، وكيف كانت له لباقة رأي ، وحصافة عقل ، ودهاء فكر ، ومتانة منطق ، وحسن انتهاز فرص ، وكياسة سلوك ، وغير هذا وهذا مما انطوى في لفائف الزمن ، وثنايا الأيام ، يذكره ذكرا خاطفا ، ويمر به مرورا عابرا ، في روعة وبهجة ، وجمال وإعجاب .. ولئن كان أحسن ما اهتدى إليه الناس في النثر الأدبي أن يكون مرسلا من أغلال الصناعة ، خاليا من تكلف الزخرف ، فإن للقرآن منهجا فريدا جعله يشتمل على موسيقى الشعر ، ورصانة النثر ، ومع هذا كان مباينا لهما ، فليس هو بالشعر الذي عرفوه ، ولا بالكلام الذي ألفوه ، وإنما هو شيء آخر تحداهم فخضعوا وصرخ فيهم ففزعوا .. وإذا كان تاريخ الأدب العربي قد أنبأنا أن فحول الكتاب في العصور المختلفة كانت لهم مدارس تمثل بيانهم ، وتحاكي أساليبهم ، وتقفو أثرهم من أولئك الذين عشقوا نهجهم ، وساروا على دربهم ، كالجاحظ في استرساله ، وابن المقفع في سلاسته . فإن المسلمين الذين جمعتهم مائدة القرآن ، وانتفعوا به ، وأخذوا منه ، يدركون كيف كان بحرا عبابا أمدهم ببعض ما فيه ، ولا يزالون أمام خوافيه ، كأنما يقول لهم ستكون الدراسة لي ، والبحث عن كنوزي ، على مدى الدهر ، وعلى طول الحياة ، لأني كتاب الدنيا ، وسجل العمران ، ونظام الأبد ومعجزة الأيام والليالي ، وكذلك أكون وشيجة المسلمين ، وهم يأخذون مني ، أو ينتفعون بي ، أو يلتفون على مائدتي ..



الإسلام

الاسلام دين التوحيد والعبادة ، ودين العلم والمعرفة ، ودين الفن والصناعة .

دعا الناس الى الهدى بعد الضلالة ، والى العلم بعد الجهالة ، وإلى معرفة الأسس والأصول ، وإلى النهضة بعد الخمول ، قادهم إلى ذلك القرآن الكريم ، الذي هو مشرق شموس المعارف ومصدر بواعث اليقظة والنهوض.

فمن مناهله رشفوا ، وبأنواره اكتشفوا ، وعلى هديه درجوا ، وفي آفاقه مرجوا ، فكان منهم علماء القرآن والتفسير ، وعلماء اللغة والبلاغة ، وعلماء الحديث والمصطلح ، وعلماء التوحيد والكلام ، وعلماء الفقه والاصول ، وعلماء الفلسفة والمنطق ، وعلماء الفلك والمراصد ، وعلماء الطب والتشريح ، وعلماء الجغرافيا وتقويم البلدان ، وعلماء الكيمياء والتحاليل ، وعلماء الهندسة والتصاميم ، وعلماء الطبيعة والجيولوجيا ، وعلماء النبات والزراعة ، وعلماء الفنون والصناعة ، وعلماء البناء والزخرفة ، وعلماء السياسة والقضاء ، وعلماء التجارة والاقتصاد ..

بحثوا في عناصر المخلوقات وخصائص الموجودات ، ودقائق الأكوان والأفلاك ، لتتجلى لهم دقة الصنع الالهي ، وعظمة قدرة الله

وعلوم المسلمين وفنونهم

للشيخ / أحمد العجوز

العليم الحكيم ، كيما يسخروا هذه العوالم في مصالحهم ، ليفوزوا فيها بنعمة الله الكريم .قال تعالي : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) الجاثية /١٣
فكان المسلمون بذلك رسل العلوم والمعارف ، وقواد الحركة الفكرية في العالم ، وأرباب النهضة العلمية التي انتشرت في الآفاق ، بثوا في الاقطار كل علم وفن وصنعة ، وملأوا البلاد بالتآليف والتصانيف ، فأيقظوا النفوس الغافلة ، والأمم الخاملة ، ومهدوا لها سبيل النهضة والاقدام ، ووسائل النشاط والتقدم قال (الماجور أرثوليونرد) : لولا مدنية الاسلام وعلومه ، وطرق تعاليمه المدرسية لما كنا نحن الغربيين ـ بهذه الحال الراقية ، بل كنا لا نزال في دور التوحش والهمجية .

وقال المستشرق (ساكس متني) : (إن مرشد المسلمين هو القرآن وحده والقرآن ليس بكتاب ديني فقط ، بل هو أيضا كتاب الآداب ، وتجد به الحياة السياسية ، والاجتماعية . بل هو يرشد الانسان إلى وظائفه اليومية ، والأحكام الاسلامية التي لا توجد بالقرآن توجد في السنة ، والتي لاتوجد في القرآن واضحة ولا في السنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق الاسلامية) .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم بث في نفوس المسلمين وازع العلم

والمعرفة وأعلنها كلمة مدوية في الآفاق على مر العصور قائلا (مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها) رواه أحمد والطبراني .

فتسارع المسلمون لاقتباس العلوم وإتقان الفنون ، وإشادة الحضارة حتى بلغوا أوجها ، ونالوا عزها .

واعترف علماء الأمم بفضلهم ، وشكروا علمهم وعملهم ، وامتدحوهم بألسنتهم وأقلامهم ، في كل قطر من الأقطار اعترافا بالحق ، وإظهارا للفضل ، وحسن الصنيع .

قال (سارتيو) : في كتاب الحضارة : إن ما أتت به الحضارة الاسلامية في باب العلم ولا سيما العلوم وتطبيقها اعظم بكثير مما اتت به في هذا السبيل مملكة بيزنطية . فالحضارة الاسلامية أغنت بأبحاثها جميع فروع العلم ، من جبر ، وحساب ، ومثلثات ، وفلك ، ومساحة ومعادن ، وطبيعة ، وكيمياء ، وطب ، وأقامت مراصد فلكية ، ومخابر ، وخزائن كتب ، ونشأ بها شخصيات عظيمة سامية وعلى هذا كانت حضارة الاسلام محطة مهمة في التمدن بين العالم اليوناني والشرقي ، وأوروبا في القرون الوسطى .

وقال العلامة (درابر) في كتابه : إن عمل التطعيم في النباتات الذي اكتشفه المسلمون حمل إلى أوروبا سنة ١٧٢١ عن طريق استانبول ، فصارت في إنجلترا مقاومة عنيفة من رجال الدين لولا تدخل الأسرة المالكة) انتهى من كتاب (الاسلام دين الهداية) لوجدي وقال (سديو) أحد وزراء فرنسا في كتابه (تاريخ العرب) : كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا سببا في نهضتها وارتقائها ، ولم يكتف المسلمون بأن يكونوا معلمين للأوربيين ،وملقنين لهم النهضة والمدنية ، ولكنهم أسسوا في بلادهم جامعات ، وأقاموا مراصد باعتبار أنها كانت تحت سلطانهم ، فبقيت لأهلها بعد جلائهم ، وأثمرت ثمرتها اليانعةلهم .

نقل العلوم :

لقد اهتم المسلمون كثيرا بنقل ما عرفوا عن الأمم المتمدنة ، من علوم الفلسفة والطب ، والنجوم ، والهندسة ، والرياضيات ، والطبيعة ، وغيرها .

فنقلوا من اليونان الطب ، والجراحة ، والنجوم ، والمنطق ، والفلسفة ، والهندسة ،والموسيقا .

ونقلوا من الأنباط والكلدان التنجيم ، والسحر ، والطلاسم ، والفلاحة ، والزراعة ، وعلم النبات .

ونقلوا من الهند الطب ، والعقاقير ، والحساب ، والحكم .

ونقلوا من الفرس ، الفلك ، والتاريخ ، والسير ،·، وعلم النفس .

ونقلوا من مصر التشريح ، والكيمياء .

وأخذوا عن الرومان صنع السفن البحرية .

الى غير ذلك مما نقلوا ودونوا ، وترجموا ، وحسنوا ، ونظموا ،وقد زادوا فيما نقلوا ، ونقصوا ، وهذبوا ، ونقحوا ، وطبعوه بطابعهم الخاص ، وتفننوا فيه بتحسين عظيم .

وكانوا أول من طعم الاشجار وصنفها ، وأول من نقلها الى اسبانيا وأوروبا ، وأشهر علماء النبات من العرب ضياء الدين أبو محمد البيطار وأبو زكريا الاشبيلي ، ورشيد الدين ابن الصوري ، وقد ألف ضياء الدين كتبا في ذلك أهمها الجامع لمفردات الأدوية والأغذية في أربعة مجلدات .

ابحاث المسلمين

بحث المسلمون في نواميس الجاذبية ، والمغناطيسية وعللوا مغناطيسية الأرض تعليلا دقيقا ، واكتشفوا ثقل الأجسام ، والهواء ، واخترعوا بيت الإبرة ، والبندول .

وبحثوا بحثا حكيما في الضوء والحرارة ، والصوت .

وتقدموا في علم الميكانيك ، وأهم كتبهم في الضوء كتاب الخازن ويبلغ سبعة أجزاء نقلت إلى اللاتينية وطبعت عام ١٥٧٣ وبحثوا في الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) وأدركوا استدارة الارض ، وعينوا قياس دائرتها ، وتحديد قطرها ، وتركيب اليابسة باختلاف طبقاتها ، واستخرجوا المعادن ، وبحثوا في خصائصها وأنواعها .

وبحثوا في الحساب ، وجعلوا له فروعا كثيرة ، وقد أجمع علماء الفرنج على أنهم أخذوا الحساب عن العرب ، وقد ألفوا فيه وفي الجبر الكتب الوافرة ، وأشهر الذين صنفوا في الجبر أبو حنيفة الدينوري ، وأبو القاسم وأبو العباس السرخسي ، وأبو الوفاء البوزجاني .

قال الدكتور (غوستاف لوبون) (إن كتاب الخازن قد أفاد أكبر فائدة عظيمة في أبحاثه في الضوء ، وإن فيه أمورا عظيمة الشأن في المرايا وقوانين الانكسار)

وقال (تاتشروشويل) فيكتاب تاريخ أوروبا العام : (إن الصفر كان مجهولا حتى القرن الثاني عشر عندما اخترعه رياضي مسلم اسمه محمد بن موسى الذي استعمل العلامات العشرية لأول مرة وإن الجبر يكاد يكون من خلقهم ، وقد أدخلوا تحسينات على حساب المثلثات الدائرة ، واخترعوا في الطبيعة والبندول وكتبوا في علم البصريات الكتب ، وبنوا مراصد كثيرة ، وركبوا كثيرا من الآلات الفلكية لا تزال تستعمل حتى اليوم ، وحسبوا زاوية الخسوف ، وحركة التراجع البطيئة لنقطتي الاعتدال على الخسوف ، وكانت معرفتهم بالفلك جسيمة ولا مراء

وفي الطب أدخلوا تحسينات عظيمة على ما كان معروفا عند الاغريق ، ودرسوا علم وظائف الأعضاء ، وعلم الصحة ، وتكاد تكون مادتهم الطبية هي نفس ما لدينا اليوم ، ولا يبرح كثير من طرق علاجهم مستعملا بين ظهرانينا الى اليوم ، وكان جراحوهم

يفهمون استعمال التخدير ويجرون أصعب العمليات المعروفة ، في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة تحرم ممارسة الطب انتظارا منها لاتمام الشفاء على يد المناسك الدينية التي يقوم بها القساوسة ، وكان عند العرب علم طبي حق وابتداء في الكيمياء حسن واكتشفوا كثيرا من المواد الجديدة ، وفي الصناعة بزوا العالم في تنوع الصنف ، وجمال التصميم ، وإتقان الصنعة ، ولم يفقهم أحد أبدا في صناعة المنسوجات وكانوا يعرفون أسرار الصناعة ، فقد صنعوا الورق وكانت لديهم طرائق كثيرة لصناعته .

أول من صنع :

المسلمون هم أول العالم أجمع فيما صنعوا

فهم أول من صنع الساعة الدقاقة التي أهداها هارون الرشيد الى شارلمون ملك فرنسا ، وكان يخرج منها فوارس يدقون الجرس ثم يعودون بعدد الساعات ، الى أربعة وعشرين فارسا وكان من يشاهدهم من الفرنسيين يظنون أنهم عفاريت فيهربون خوفا منهم .

قال (سديو) : (إن العرب أول من استعمل الساعة الطنانة وأول من أتقن الساعة الزوالية ، وأول من اخترع الموار« البندول » لقياس الزمن ، وإن الساعة التي أهداها هارون الرشيد إلى الملك شارلمان هي أول ساعة عرفها الأفرنج)

والمسلمون هم أول من صنع مستشفى نقالا ، وهو يحتوى على كل ما يحتاج إليه من سرر وألبسة وأدوية ، وآلات طبية وأطباء ، وأطعمة ، ومياه ضرورية .

وهم أول من أنشأ مدرسة للطب في أوروبا في (ساليدن) بإيطاليا .
وهم أول من بني مرصدا فلكيا في أشبيليا .

وأول محاولة للطيران في تاريخ البشرية قام بها مسلم من الأندلس اسمه عباس بن فرناس .
وهم أول من أنشأ جامعة القرويين وتعتبر أول مدرسة في الدنيا .
قال (بندلي) من أكاديمية موسكو إن أقدم جامعة في العالم ليست في أوروبا كما كان يظن ، بل في إفريقيا في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب .
وهم أول من نبغوا في الكيمياء إلى حد كبير جدا ، وألفوا المؤلفات الضخمة .
وهم أول من صنع الآلات للجراحة ، وألفوا الكتب في طرق استعمالها وفي الأمراض التي يجب استعمالها للجراحة فيها ، مثل أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي ، فقدأفاض في شرح العلاج بالجراحة ، ووصف ما يزيد على مائتي شكل للآلات الجراحية في كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف)
وهم أول من وضع الرسوم الجغرافية ، وطبقوا عليها أعمالهم وطافوا بمعظم جهات الأرض .

وهم أول من توصل إلى حقيقة تكوين الذرة قبل أن يعرف العلم الحديث تكوينها بمئات السنين .

وهم أول من وضع للبلدان معاجم بأسمائها ، ومواقعها ، وخواصها وما قيل فيها وفي سكانها وشئونهم كمعجم البلدان لياقوت الحموي وهم أول من طعم الأشجار ونقلها الى أوروبا .

وهم أول من حسب الأزمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية .

وهم أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية وهم أول من كتبوا وبحثوا عن الأجسام السابحة والغائصة تحت الماء .

فما تركوا شيئا إلا فعلوه وأتقنوه .

من علماء الكيمياء :

من علماء الكيمياء الامام أبو عبد الله جعفر الصادق وهو من سادات أهل البيت الكرام ، كان عالما جليلا في الكيمياء ، وقد ألف كتابا في الكيمياء يقع في ألف ورقة في القرن الأول الهجري ، وقد تلقي علم الكيمياء عنه جابر بن حيان .

جابر بن حيان :

ولد سنة ١٠٠ هجرية و ٧٢٠ ميلادية ، وتوفي وعمره ٩٣ سنة وهو شيخ الكيميائيين في الاسلام ، ونبغ أيضا في الطب ، والفلسفة ، والطبيعة ، وألف مائتي كتاب ، منها ثمانون كتابا في الكيمياء ومنها كتب : السر المكنون ، والأركان الأربعة ، والمزاج ، والموازين ، والخمائر الكبيرة ،والنهاية والتمام ، والأصباغ والعلم الالهي ، وما بعد الطبيعة ، والحدود والسر والخواص الكبير ، والاحجار ، وغير ذلك .

وتحتفظ بهذه الكتب المكتبات العلمية في مختلف دول العالم .

فيوجد في المتحف البريطاني نسخة خطية من كتابه (الخواص الكبير) وفي المكتبة الأهلية بباريس نسخة خطية من كتابه (الأحجار) وقد ترجم معظم كتبه الى لغات كثيرة في العالم ، ولم تزل المرجع الذي يعتمدون عليه في الكيمياء ، وإن علماء الكيمياء في أوروبا يشيدون بذكره ، ويزينون مؤلفاتهمبصورته المنقولة عن أصل موجود بمكتبة (مديسي بفلوريا) وقد وضع استاذ الكيمياء بكلية (كلفتون لبارد) رسمه في مقدمة كتابه (مشاهير الكيمائيين)

قال المؤرخ العالمي (سارتون) : إن (جابر) من أعظم الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى .

وقال (بريتيلو) إن لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق .

وقال (ليكلرك) : أن (جابر) من أكبر العلماء في القرون الوسطى وأعظم علماء عصره .

من نظريات جابر بن حيان وأعماله :

١ ـ اتخذ ميزانا حساسا لوزن

أصغر المقادير للتجارب العلمية .
٢ ـ نظريته في الاتحاد الكيمائي بين عنصرين باتصال ذراتهما بعضهما ببعض .

٣ ـ الأجسام القابلة للاحتراق ، يتطاير منها عند الاحتراق الكبريت ويتخلف الكلس .

٤ ـ وضع مداد ضوئي يستعمل في المخطوطات ، ويمكن قراءتها في الظلام .

٥ ـ اختراع صنف من الورق غير قابل للاحتراق .
٦ـ اختراع نوع من الطلاء إذا طلي بـه الحديد حفظه من الصدأ وإذا وضع على الثياب لا تبتل .
٧ ـ وضع طرقاً لتحضير كربونات الرصاص ، والفولاذ ، وكبريت الزئبق ، وحامض الآزونيك .
٨ ـ تحضير معدن أصفر براق كالذهب .
وغير ذلك .

عز الدين الجكدكي

هو العالم الكبير في علم الكيمياء ، وقد وضع أصوله ، وقوانينه في خصائص المواد ، وطبائعها ، وتفاعلها ، فلم يترك خاصية للمادة إلا أوضحها .

ألف في علم الكيمياء كتبا قيمة منها : نهاية الطلب ، والتقريب في أسرار التركيب ، كل منهما في ألف صفحة ، في أوصاف المواد ، وطرق تحضيرها ، ووسائل تنقيتها ، ونتائج اتحادها ، وانفصالها ، وتغييراتها .

ومؤلفاته هي مراجع علم الكيمياء في جامعات العالم

من نظريات الجكدكي :

١ ـ المواد لا تتفاعل إلا بأوزان محددة .
٢ ـ فصل الذهب عن الفضة بحامض الازونيك ، وماء الغار .
٣ ـ تولد المرتك والاسريج باحتراق الرصاص .
٤ ـ التحذير من خطر استنشاق الغازات والأبخرة الناتجة من التفاعلات الكيمائية ، وضرورة اتخاذ الاحتياطات الكافية .
٥ ـ إضافة مواد كيمائية إلى الصودا الكاوية المستعملة في صناعة الصابون

٦ ـ تحديد الانطباعات اللونية عند احتراق كل مادة .
٧ ـ تحضير طرق التقطير والترشيح للمواد السائلة. أعلن العالم (براوست في قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي هذه النظرية بعد (٥٠٠) سنة من وفاة الجكدكي .

ومن العلماء البارزين أبو القاسم المجريطي ، وخالد بن يزيد المولود سنة ١٥ هجرية ، وسنة ٦٣٥ ميلادية ، وتفوقه في الكيمياء دليل قوي على مدى التقدم العلمي في الاسلام ، وله مؤلفات قيمة منها الحرارات ، والصحيفة الكبرى ، ووصيته الى ابنه في الصنعة .

ومنهم أبو اسماعيل الحسين مؤيد الدين الاصبهاني الطغرائي ،وأبو النصر الموفق ، وأبو بكر محمد الرازي ، وغيرهم كثير .

حضارة البناء

وقد تقدمت حضارة البناء ، وعظمة الصناعة في الاسلام في أمور النحت والزخرفة ، وبدا الذوق العربي الجميل في الفن كأبدع ما يمكن أن يكون في تطوره وتناسقه وإبداعه قال (درابر) في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : لم تكن أوروبا العصرية بأعلى ذوقاً ، ولا أرقى مدنية ، ولا ألطف رونقاً من عواصم الأندلس على عهد العرب ، فقد كانت شوارعهم مضاءة بالأنوار ، ومبلطة أجمل تبليط ، والبيوت مفروشة بالبسط ، وكانت تدفأ شتاء بالمواقد، وتهوى صيفا بالمنسمات المعطرة ، عن طريق إمرار الهواء تحت الأرض ، من خلال أوعية مملوءة زهرا .

وكانت مآدبهم تتميز بالقناعة

فكانت الخمر محرمة عليهم ،

وكانت غاية لذاتهم البدنية

تنحصر في تمشيهم حول أشجار البرتقال يسمعون قصة مسكينة ، أو يتجاذبون في موضوع فلسفي متعزين عن مصائب الدنيا وآلامها بقولهم : إنها لو كانت بلا آلام ومصائب لنسوا حياة الآخرة وكانوا يوفقون بين جهادهم في هذه الحياة ، وآمالهم في النعيم بالآخرة .

وقال العالم الكبير (دوري) : إن فتح اسبانيا لم يكن خيارا بها ، وما حدث من الهرج والمرج بعده لم يلبث أن زال باستقرار الحكومة الاسلامية المطلقة في تلك البلاد وقد أبقى المسلمون سكانها على دينهم وشرعهم وقضائهم وقلدوهم بعض الوظائف ، حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء، وكثير منهم تولى قيادة الجيوش ، وقد تولد من هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الأندلسية الى المسلمين ، وحصل بينهم تزاوج كثير .

إن الاسلام في جميع أحوال الاجتماع جاء بأصول أرقى مما كانت عليه الأديان التي تقدمته ، سواء في الحرب أم في السياسة . وهذا التطور يشاهد محسوسا من المقابلة بين تاريخ المسلمين ، وتاريخ من سبقهم من جميع الملل .

هذا ما شهد به علماء الغرب بإنصاف . فالمسلمون سبب كل خير ، وكل تقدم في العالم في المجالين العلمي والحضاري فهم الذين انقذوا الانسانية ، وبذروا في الأمم بذور العلوم والمعارف ونظموا الحياة ، ورقوا المجتمع في آفاقه فعسى أن يعود المجد إلى نصابه .



الإسلام

وتزاوج الأقارب

وضع نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم معالم الوراثة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فنادى قائلا :

« تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ».

فوضع بذلك اساس علم الوراثة ، قبل أن يفكر « مندل » في تجاربه الوراثية في نبات البازلاء ، ونسوا ما نصح به نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال « اغتربوا ولا تضووا » والمقصود به اقللوا من زواج الأقارب حتى لا تضعفوا .

ولكي نعرف كيف تتم الوراثة نوضح أن في كل خلية من خلايا الجسم عدداً ثابتا من أجسام صغيرة تسمى « كروموسومات » ، تحمل بدورها أجزاء دقيقة ، وبترتيب خاص تسمى العوامل الوراثية ، هذه العوامل الوراثية هي المسئولة عن الصفات التي تظهر في الانسان وفي أجياله القادمة .

ويتكون الجنين عادة في بطن أمه نتيجة اندماج الحيوان المنوي الآتي من الأب مع البويضة الموجودة في الأم .. وفي خلايا الحيوان المنوي والبويضة نجد عددا من الكروموسومات يعادل نصف العدد الأصلي الثابت في النوع . فإذا ما تم تزاوج الأب والأم وإخصاب البويضة بالحيوان المنوي الآتي من الأب يتكون الجنين ، وبه عدد من كروموسومات النوع الثابتة ، نصفها جاء من الأم ،

والوراثة

والأباعد

للدكتور / عز الدين فراج

ونصفها جاء من الأب .

وهنا يتساءل القاريء عن علاقة ذلك بالناحية الوراثية فأقول له : إن هذه الكروموسومات ما هي إلا الجسر الذي تنتقل عليه صفات النوع من جيل إلى جيل . وعلى هذه الكروموسومات تتوقف عوامل وراثية تنتج الصفات الوراثية ، سواء أكانت جسمانية أم عقلية . والعامل الوراثي عبارة عن كمية خاصة من كروماتين الكروموسوم له موضع خاص ثابت على الكروموسوم . ولكل صفة عاملان مصدر أحدهما الأم والثاني مصدره الأب ، يجتمعان ويصبحان زوجاً في الطفل وهذان العاملان الوراثيان يشغلان نقاطا متقابلة على كل زوج من أزواج الكروموسومات . عامل على كروموسومة جاءت إليه من أمه ، وعامل مقابل له على كروموسومة جاءت إليه من أبيه .

وقد يكون تأثير العامل الوراثي أو « الجين » خافيا أو مستترا وكامنا ، فيطلق عليه في هذه الحال العامل الوراثي الكامن أو السجين أو المتنحي . وعلى الصفة التي ينتجها بالصفة الكامنة أو المتنحية أو السجينة . وإذا وجد العامل المسيطر (السائد) تظهر الصفة السائدة المسيطرة ، وتختفي الصفة المتنحية أو الكامنة أو السجينة فنجد في

الانسان مثلا لون العين البنية صفة سائدة مسيطرة ، تسود وتسيطر على صفة اللون الأزرق في العين .

فإذا تزاوج أب يحمل عاملين يعطيان اللون الأزرق في العين بأم تحمل عاملين يعطيان اللون البني في العين (وهو اللون المسيطر السائد) فإن البويضة عند الأم تحتوي على نصف عدد الكروموسومات وعلى عامل يعطي اللون البني في العين .

أما الحيوان المنوي للأب فإنه يحتوي على نصف الكروموسومات وعلى عامل يعطي لون العين الأزرق .

وعند اندماج الحيوان المنوي بالبويضة يتكون الزيجوت حاملا عاملين وراثيين ، الأول جاءت به البويضة . وهو عامل اللون البني . والثاني جاء به الحيوان المنوي وهو عامل اللون الأزرق وما دام عامل اللون البني في العين هو المسيطر فإن صفة اللون الأزرق تكمن ولا تظهر في أبناء هذين الأبوين الذين نرى أعينهم جميعا بنية اللون وهي وإن كانت بنية اللون في الظاهر إلا أنها تحوي عامل اللون الأزرق في حالة كامنة أو سجينة ، لا أثر لوجوده في وجود عامل اللون البني المسيطر .

فإذا تزاوج بعد ذلك الأبناء الذين يحملون عاملين وراثيين أحدهما عامل اللون البني المسيطر والثاني عامل اللون الأزرق الكامن بزوجة لها نفس هذا الوضع .

فإن كلا من الحيوان المنوي والبويضة ، إما أن يكون حاملا لعامل اللون البني أو لعامل اللون الأزرق .

وسنحلل هذا المثل لنوضح كيف تنتقل العوامل الوراثية التي هي مصدر انتقال الصفات من جيل إلى جيل .

١) ينشأ عن اندماج حيوان منوي يحمل عامل اللون البني ببويضة الأنثى التي تحمل عامل اللون البني ابن يحمل عاملين وراثيين للون البني . وتكون عيناه بنيتي اللون .

٢) ينشأ عن اندماج حيوان منوي يحمل عامل اللون البني ببويضة تحمل عامل اللون الأزرق إنسان بني العين أي يحمل عامل اللون البني السائد أو المسيطر وعامل اللون الأزرق الكامن أو السجين .. وتكون عيناه بنيتي اللون .

٣) ينشأ عن اندماج حيوان منوي يحمل عامل اللون الأزرق ببويضة تحمل عامل اللون البني انسان يحمل عامل اللون البني السائد أو المسيطر ويحمل أيضا عامل اللون الأزرق المتنحي أو السجين .

٤)ينشأ عن اندماج حيوان منوي يحمل عامل اللون الأزرق ببويضة تحمل عامل اللون الأزرق إنسان يحمل عاملين للون الأزرق ، وتكون العين عندئذزرقاء اللون لأن الفرد الناتج لا يحمل عامل صفة اللون البني المسيطر السائد الذي يخفي تحته صفة اللون الأزرق ، وبذلك ظهرت الصفة الكامنة أو السجينة .

وهي صفة اللون الأزرق للعين لوجود العامل الوراثي المتنحي أو السجين ولعدم وجود العامل الوراثي المسيطر (السائد) .

من هذا يتضح كيف تختفي بعض الصفات وكيف تعود للظهور . إذا غاب هذا العامل المسيطر أو السائد .

هذا مثل من أمثلة عديدة توضح طريقة ظهور صفات رديئة في الأبناء ، لم تكن ظاهرة في الآباء والأجداد ، لأن عواملها الوراثية كانت مختفية أو سجينة بفعل العوامل السائدة المسيطرة . فعندما يغيب السجان ينطلق السجين ويظهر . أي عندما يغيب العامل الوراثي السائد أو المسيطر تظهر صفات العوامل الوراثية الكامنة أو السجينة .

لهذا يجب عند الزواج عدم الاكتفاء بالصفات الظاهرية ، إذ تختفي تحتها الصفات السيئة أو الرديئة . ولهذا يجب أن تتوخى عراقة الأصل وحسن المنبت وخلو الأسرتين من العيوب الجسدية والأمراض النفسية والوراثية .

وقد توجد هذه العيوب في أحد الأجداد الراحلين ، ومتى غلبت العوامل الوراثية الجديدة المسيطرة وصفاتها الوراثية الجيدة الناشئة عنها ظهرت الصفات المضادة السيئة في الأحفاد .

وبعد هذه المقدمات العلمية نتحدث عن زواج الأقارب كزواج أولاد العم والخال الذي يتركز لمدة طويلة في أسرة واحدة ، فتتركز تبعا لذلك بعض الصفات الوراثية السيئة . ولكن عند ترك هذه العادة والالتجاء إلى زواج الأباعد تدخل من هذه الأسرة الجديدة عوامل وراثية جديدة من النوع السائد المسيطر . فتختفي هذه الصفات السيئة وتنشأ الصفات الجيدة المقابلة .

وعموما يمكن أن نقول إن زواج الأقارب يزيد الصفة الغالبة في الأسرة ويؤكدها ويبرزها ، خصوصا إذا كانت من الصفات السيئة ، عكس زواج الأباعد فهو يقلل من العيوب الجسمية والمرضية .

يهدد زواج الاقارب بإنجاب اطفال مصابين ، لأن بعض الأمراض الوراثية تكون كامنة وسجينة ، بفعل عواملها الوراثية من جيل إلى آخر .

وتنتقل عن طريق الآباء دون أن تظهر أعراض المرض على الشخص الذي يحملها ، إلا إذا صادف أن الأبوين كانا على علم بوجود هذه الصفة عند الأجداد .

ولهذا يجب على الأقرباء التأكد من خلو شجرة العائلة من الأمراض الوراثية ، خصوصا أن ٢٥٪ من الزيجات على الأقل تكون عند العرب بين الأقارب ، كما تقول الاحصائيات الأخيرة .

وهذا الذي يقوله العلم والطب الحديث أوصى به نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان

فقال : « اغتربوا ولا تضووا » ، أي تزاوجوا الأبعاد في الأنساب بين حين وآخر ، حتى لا تضعفوا . وليس هذا فحسب بل نصحنا باختيار من حسنت جدودها وفروعها فقال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » أي أن الصفات الجيدة أو السيئة قد تكون كامنة أو مختفية أو سجينة في الآباء ،

ولكن كانت موجودة في الأجداد . وقد تعود وتظهر في الأحفاد . وهذا هو أساس علم الوراثة .

أما من حرم الله الزواج منهن فجئن في الآية الكريمة :

« **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما** » النساء/ ٢٣

وقد لاحظ الفلاحون ومربو المواشي والمدربون في حدائق الحيوانات أن نسل الحيوان الواحد لو ترك يتكاثر بين بعضه لكان النسل ضعيفا قليل العدد .

وليس هذا بجديد فقد عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فكان ينصح رعاة الأغنام بالتزاوج بين الأحمر والأبيض أو بين الأبيض والأسود لإنتاج نسل من الأغنام قوي .

ويؤدي التناسل المقفل بين أولاد جد واحد إلى انحطاط الأفراد عقليا وجسميا . كما حدث مع آل هابسبرج وآل بوربون وسواهما في أوروبا . وما زواج ملك اليونان قسطنطين بأميرة دانمركية ببعيد . وكذلك زواج الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا بالأمير ألبرت في القرن الماضي ، وهو من نفس العائلة المالكة .

ولكن إذا كانت العوامل الوراثية في أسرة كلها ممتازة ، وليس فيها ما يورث الصفات والأمراض . كانت في شبه مأمن من عيوب تزاوج الأقارب .. ولكن هذه الحال من الناحية العلمية قليلة .. وقليلة جدا .

والدكتور كارل جورج استاذ الوراثة في الجامعة الأمريكية

يقول :« إن زواج الأقارب في ذاته ليس عاملا على إضعاف النسل أو تشويهه بالأمراض والعاهات في كل الأحوال . فإذا لم تكن السلالة نفسها ضعيفة . فلا يمنع من أن تظل نقية قوية » .

ولكنه يستدرك فيقول : « إلا أن الحالات التي تظل فيها هذه الأسر صحيحة قليلة جدا » ويؤكد ألف مرة بأن زواج الأقارب مضر من حيث أنه يؤدي إلى تلاقي الخصائص السيئة في الأقارب .

ولكي أبرز أثر زواج الأباعد أمامنا العالم الأمريكي الجديد ، خصوصا الولايات المتحدة حيث نجد سلسلة من شعوب مختلفة استوطنت أمريكا . وهذا الاختلاف والتباين بين الشعوب التي نزحت إلى أمريكا قد أدى إلى بعض تحسين النسل من الناحية الجسمانية والعقلية .

كان الرئيس روزفلت يتباهى بأنه يجري في عروقه ثلاثة دماء هي الدم الارلندي والبريطاني والألماني .. وهذا يدل على أن تزاوج الأباعد قد منحه مزايا كثيرة .

أخلاقيات المال

للأستاذ / محمد الدراجيلي

المالك للمال الله سبحانه ـ خالق هذا الكون ومالكه ، وكل شيء في هذا الوجود مملوك له ، « **ولله ملك السموات والأرض وما بينهما** » المائدة/١٧ « **لله ملك السموات والأرض وما فيهن** » المائدة/١٢٠ وليس المال إلا واحدا من هذه المملوكات للخالق الرازق ، والذي خلق المال وجعلنا مستخلفين فيه « **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** »الحديد/٧

وملكية الله للمال ، تذكر الانسان بما سيؤول إليه أمره ، عندما ينتهي دوره في هذه الحياة ، وأن الذي سيبقى له من نتيجة هذا الاستخلاف في المال ، هو صالح عمله والقارىء لكتاب الله العظيم حين يتتبع آيات الإنفاق يجد أن الأمر بالإنفاق يقترن غالبا بالتذكير بأن المال مال الله ، والانفاق من رزق الله سبحانه « **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** » النور/٣٣ « **وأنفقوا مما رزقناكم** »المنافقون/١٠

والآيات الكريمة التي تنسب المال لصاحبه من بني البشر ، كقوله تعالى « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** »التوبة/١٠٣ وقوله عز وجل « **والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم** » المعارج/٢٤ ـ ٢٥ هذه الآيات وأمثالها لا تتعارض مع تلك التي جعلت المال لله تبارك وتعالى لأن المراد ـ والله أعلم بمراده ـ بملكية الانسان للمال هنا ، هو ملكية التصرف والانتفاع وهذا يعني أن

الفرد يملك حق الانتفاع والتصرف ، باعتباره مستخلفا في هذا المال من الله ، فهو ينفق ويتصرف ، وينتفع ، ويستثمر في الحدود التي شرعها مالك المال : وهذه الحدود تمنع إساءة استعمال هذا الحق ممن يملك التصرف ، ولا أدل على ذلك من تقرير الحجر على السفهاء الذين يثبت عليهم تبذير أموالهم حماية لهم وللجماعة حيث ظهر أنهم ليسوا أهلا لهذا التصرف ، ومثل ذلك مما يجيز سلب أحقية التصرف والانفاق غير المشروع في شرب خمر ، أو سياحة منكرة ، أو اقتناء محرّم من كلب أو خنزير ، أو صور فاتنة ، أو شرائط منحرفة .

وحق ملكية التصرف لا يقوم إلا إذا كان المال مصدره حلالا ، وجاء عن طريق مشروع وكل مال محرّم إنما هو سحت يهدر على صاحبه ، وينال عليه العقوبة كالمال المحقق عن طريق الربا ، أو الغش ، أو الخداع ، أو النصب ، أو الغرر ، أو أكل أموال الناس بالباطل « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا** » البقرة/٢٧٨ « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » النساء / ٢٩ « **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » النساء/ ١٠ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » . رواه مسلم

ومن شروط حق ملكية التصرف ، أخذه من حلال ووضعه فيما شرع الله « **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** » رواه مسلم .

ملكية الأفراد :

وحق الانتفاع والتصرف هذا أشرنا إليه من قبل ، هو ما يطلق عليه في أعراف الناس الملكية الفردية ، والاسلام يقرر حق المكية الفردية للمال بوسائل التملك المشروعة ويرتب على هذا الحق نتائجه الطبيعية من حماية المال لصاحبه ، وصيانته له عن السرقة أو السلب أو النهب ، ويضع الحدود الرادعة لكفالة هذا الحق ، فالسارق للمال تقطع يده يقول سبحانه « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** » المائدة/٣٨ « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** » المائدة/٣٣ ومع هذا الردع الذي يتكفل بحفظ حقوق الأفراد يضع الاسلام التوجيهات لكف النفوس عن التطلع إلى ما ليس لها ، مما هو داخل في ملك الآخرين « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

وحق الملكية هذا يترتب عليه نتائج أخرى من حق البيع والاجارة والرهن والهبة والوصية - يقول سبحانه - « **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** » النساء/٣٢ وهذا الحق يقرر العدالة بين الجهد والجزاء ، فوق مسايرته للفطرة ، واتفاقه مع الميول الأصيلة والفطرية في النفس البشرية ، تلك الميول التي يحسب لها الاسلام حسابها في إقامة نظام المجتمع ، وفي الوقت ذاته فإنه يتفق أيضا مع مصلحة الجماعة بإغراء الفرد ببذل أقصى جهد في طاقته لتنمية

الحياة ، وتعمير الكون ، لأن الفرد مخلوق بفطرة حب الخير لذاته « **وإنه لحب الخير لشديد** » العاديات/٨

وهذه الملكية إنما جعلت لينتفع بها الفرد بطريق مباشر ، ولتنتفع بها الجماعة من طريق غير مباشر فإذا عطل المنتفع المال فلم ينتفع به ، فقد عطل انتفاع الجماعة ، وكان للجماعة حينئذ حقوق تتقاضاه إياها . وليس لمالك المنفعة باعتباره مستخلفا إلا أن ينفذ أمر الله عز وجل ويستجيب لدعائه ، ويسعى في سبيل إرضائه .

وسائل التملك المشروعة :

وسائل تملك المال في الاسلام كثيرة ، ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر بعضها لنضع بين أيدي أصحاب المال من المواقع المباركة الطيبة ، والتي يطرحها الاسلام لينمي فيها المسلمون أموالهم بحق وحسن نية ، فيربحوا من ورائها مالا حلالا طيبا يحل عليهم وعلى أبنائهم بركة في الدنيا ، وثوابا عظيما في الآخرة ، جزاء جهدهم وكدهم ، وجزاء نيتهم نفع الجماعة ، وتأمين حاجتها .
من هذه الوسائل :

الصيد : بوسائله المتعددة المتطورة ، وغيرها ، في المياه الاقليمية أو في أعالي البحار وحيثما أمكن أن يكون صيد للسمك ، أو اللآلىء ، أو الاسفنج ، وما إلى ذلك من موارد ضخمة ، وقد لفت القرآن الأنظار إلى أهمية ذلك ، في قوله سبحانه« **وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** » النحل/ ١٤ وفوق هذا فالصيد وسيلة لتنمية الأموال في مجالات أخرى صناعية تستتبعها حرفة الصيد ومن الوسائل المشروعة للتملك ، **إحياء الأرض الموات** ، والأرض الموات هي التي لا مالك لها جاء في الحديث « **من أحيا أرضا ميتة فهي له** » أخرجه الموطأ والترمذي .

وهذا مجال خصب لأصحاب الثروات يبتغون فيه فضلا من الله ورضوانا ، فيمشون في مناكب الأرض المسلمة ، وأطرافها ، وما أكثر مواتها مما هو في مسيس الحاجة إلى فلح وزرع لتخضر وتزدهر ،وتثمر و تنبت من كل زوج بهيج يؤمن حاجات المسلمين الغذائية ، ويحفظ عليهم وجودهم ، ويصون كرامتهم التي تهتز كل يوم أمام الآخرين ، الذين أصبح بيدهم احتكار أقوات الناس ، والتحكم في تلبية حاجات البطون ، وما أقسى غريزتها وصدق الله العظيم « **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** » الملك/ ١٥ « **وأرض الله واسعة** »الزمر/ ١٠

ومنها الجهاد وينشأ عنه ملكية الغنيمة ، التي يكون أربعة أخماسها للمحاربين «**واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** » الانفال/ ٤١ كما ينشأ عن الجهاد

ملكية السلب وهو كل ما مع القتيل المشرك ، جاء في الحديث « من قتل قتيلاً عليه بينة فله سلبه »وللجهاد وظيفة أسمى من ذلك ، وهي الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

والغنائم تقدير للمجاهدين يحفزهم إلى مداومة الجهاد ، بعد تكريم الله لهم بإحدى الحسنيين الغنيمة أو الشهادة ، وما أحوجنا إليهما في عصر استبيحت فيه أموالنا وديارنا ومن خير الوسائل المشروعة لتنمية الثروات العمل بكافة أنواعه ، وأشكاله ، وهو وسيلة يحترمها الاسلام ، ويقدرها حق قدرها ، ويعرف للعامل فضله ، ويعظمه ، ويدعو إلى توفيته أجره ، « اعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » رواه ابن ماجة والطبري .

والقرآن الكريم يغري بالعمل ويجعله محلا للنظر « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » التوبة/ ١٠٥ وفي ذلك إغراء بالتجويد والاتقان ، كما أن فيه تعظيما للعمل بجعله موضعا للنظر والتطلع . والرسول صلى الله عليه وسلم يكرم العمل والعامل فقد قبل صلوات الله عليه يدا ورمت من كثرة العمل ، وقال « تلك يد يحبها الله ورسوله » وتتوارد الاحاديث « **إن الله يحب العبد المؤمن المحترف** ، »رواه البيهقي « **ما أكل أحد طعاما قط خيرامن أن يأكل من عمل يده** » رواه أحمد في مسنده وعلى هذا الأساس يقدس الاسلام حق العامل في الأجر ، ويدعو إلى التعجيل بالوفاء به .

وإذا كانت تسعة أعشار الرزق في التجارة فإنها حينئذ تصبح من أفضل الوسائل لتنمية الموارد المالية ، على أن تكون تجارة تلتزم حدود الله فيما نتاجر فيه ونتأدب بآداب الاسلام فيما نمارس فنعاهد الله على ان تخلو من الغش والكذب ، والفسوق ، والبهتان وأن يكون مقصدها غنى النفس ، ثم سد حاجات الجماعة ، وتيسير أمور دنياهم وأن يكون التاجر دائما مراقبا لله سبحانه ، يخشاه حق الخشية ويستعين في سوقه دائما بمفهوم حديث رسول الله القائل « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف حسنة » رواه الترمذي ،واحمد في مسنده

الضوابط الأخلاقية في تداول المال :

الاسلام يسير في « سياسة المال » سيرا تحكمه فلسفته العامة ، وفكرته الشاملة المأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** » رواه الحاكم والبيهقي ولذا يعتمد الإخاء عنصرا إيجابيا وبناء في طهارة العلاقات المالية وسموها عن الإسفاف ، والأطماع ، وأكل الأموال بالباطل .

لأن المؤمن أخ للمؤمن لا يظلمه ولا يسلمه ، ولأن المؤمنين إخوة حتى في حالات الصراع ، فإن معنى الأخوة المؤمنة لا يضيع بينهم يقول سبحانه ـ « **فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف** » البقرة /١٧٨ والمؤمنون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، ومقتضى ذلك كله أن يسود العدل والانصاف والتناصح بينهم وخاصة في معاملاتهم المالية . فالإخاء الذي

يحرص عليه الاسلام ضابط أخلاقي له وزنه في الميزان المالي ، مصداقا لقول رسول الله « أحب للناس ما تحب لنفسك » رواه الطبراني وأبو يعلي .

ومن الضوابط الأخلاقية التي تحكم سلوك رجل المال المسلم ، الاحسان الذي عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » والإحسان هذا من المباديء الاسلامية والاجتماعية التي لها أثرها في تنقية وتطهير المعاملات من رجس الشيطان وانحراف النفس وانغماسها في الشهوات « **كلا إن الانسان ليطغى . أن رآه استغنى** » العلق/٦ ـ ٧ فالإحسان هو الرقابة الذاتية التي يفرضها الانسان على نفسه ، ويجعلها قائمة عليه في كل أعماله ، وأقواله ، وتصرفاته ، ومن هنا فإن معاملات المسلم تحتضنها هذه الرقابة المتمثلة في اطلاع الله على كل صغيرة وكبيرة يقوم بها وإذا كان الدين النصيحة فإنها تصبح في مفهوم العاملين المسلمين ضابطا وخلقا إسلاميا ينبغي الاستمساك به ، وتقديم النصح في كل المواقف، النصح الذي لا يقبل الغش ، وإنما يفرض على المسلم أن يصدق في التعامل وأثر النصيحة في التعامل يمنع الغش ، والاحتيال والخداع لأن الناصح أمين ومن الضوابط الأخلاقية التي تحكم تداول المال ، الاستقامة ، وهي سلوك فردي وجماعي يدعو إليه الاسلام ، « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون** » فصلت/٣٠ والاستقامة خلق كريم يتحلى صاحبه بالصدق والأمانة وهما عنصران طيبان نافعان في نماء المال وبركته وطهارته وقد كانت الاستقامة سببا في اعتناق كثير من الشعوب للاسلام حين وصل إليها نماذج من التجار المسلمين الأطهار ، الذين صدقوا في كل قول ، وبروا بكل عهد وحفظوا الغيبة والأمانة ،والمسلم الذي يستقيم على شرع الله ويخشى ربه ويتقيه يحرص على أن يكون نظيف السلوك خائفا من أي عمل سواء كان ماليا ، أو أدبيا يحمله مسؤولية أمام الله لأنه يرعى دائما قول نبيه « **اتق الله حيثما كنت** » رواه أحمد في مسنده .

عناصر قوة المال المسلم

● تكمن عناصر القوة في المال المسلم في كونه مالا واثقا بنفسه ، مطمئنا إلى ما عند ربه حيث الأرض والسماء تتسعان لمالكه رزقا ومستقرا « **وفي السماء رزقكم وما توعدون** »الذاريات/٢٢ « **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** » هود / ٦ « **يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة** » العنكبوت/٥٦ وحيث البحار مسخرات للانسان يستطعم لحومها ، ويتمتع بما في جوفها ويبتغي على ظهرها كثيرا من فضل ربه .

ومن هنا فهو لا يخشى جفافا في مصادره ولا يرهب كسادا في مستقبله ، ولا تسمع منه صيحات الفزع والهلع كما نسمعها في تشنجات الآخرين تقرع أسماعنا ، وتهدد وجودنا بالنذير المخيف ، من قدوم أشباح المجاعات ، وقرب فناء

المخلوقات بسبب انحسار الانتاج ، وفقر الموارد ، وضيق المصادر ، الأمر الذي يؤدي بهم إلى جشع مسعور ، وطمع مجنون ، ويقودهم إلى حروب طاحنة هدفها احتكار المزيد من روافد الثراء .

● إن الأرضية التي تنطلق منهاأهداف التنمية في البلاد الأخرى « هي الغاية تبرر الوسيلة » ولذا فهم يرتكبون المظالم ، ويقيمون المشانق ويعيث استعمارهم في الأرض فسادا من أجل شهوة محمومة تجمع المال بالطرق غير المشروعة .

أما الأرضية التي تنطلق منها وسائل التنمية عند المسلمين فهي في المقام الأول العمل المقرون بنية نفع النفس والغير ، وذلك سلوك يعده الاسلام في عداد العبادات ، لأن الأعمال عنده بالنيات ، والنيات تصير العادات عبادات ثم الممارسة المشروطة بأن يكون الأصل حلالا طيبا « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** » البقرة/١٨٨ وتجعل الناتج ربحا طاهرا « **كلوا من طيبات ما رزقناكم** » البقرة/٥٧ بهذا يقع المال المسلم موقع الاحترام من جميع الأطراف بحيث ينطلق إلى مجالات أرحب ، وآفاق أوسع دون خوف من **احتمالات النقمة** والقصاص لأن

● : تتمتع الممارسة المالية المسلمة بربحين ، ربح مادي وهو هدف من أهدافها وربح ديني وهوطلب مرضاة الله وقصد الأجر منه من خلال التعبد بنية بذل الجهد الصادق في استثمار المال إعفافا للنفس وإغناء للجماعة يقول سبحانه « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » الكهف/٣٠ ومن هذا المنطلق اعتبر الاسلام السعي على العيال صدقة ، بهذه الروح الرابحة للدنيا والآخرة ينطلق قانعا شاكرا لا تشتم منه رائحة لبغي أو عدوان فإذا عرف الناس فيه هذه الخصال تعددت مواسم خيره ، واشتدت الرغبة في بناء علاقات التعامل معه .

● :ويجعل الاسلام في أمواله حقوقا معلومة يبيح القتال لأخذها وبذلها لمستحقيها ممن حرموا نعمة المال،وتتطلع نفوسهم إلى امتلاكه ، وهذا من شأنه أن يقي المال المسلم دوافع العداء ، ويجنبه الاحقاد السوداء التي تتسبب في كثير من الضياع والدمار للأموال التي لا تؤدي هذه الحقوق ولذا فإن المال المسلم لا يعرف أبدا الكوارث المالية التي تفتعلها الأيدي الحاقدة ، ولا تسمع عن فساد وقع فيه بقصد مشبوه سواء أكان عمدا أم إهمالا ، كما أنه لا يعرف الصفقات الجشعة التي يستفيد منها الطامعون ، لأنه حين أدى زكاته ، أصبح مال المؤمنين جميعا « والمؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .



الإنسان والكون في التصور الإسلامي

للأستاذ / السيد محمد القاضي

من التعبيرات التي يكثر دورانها في زمامنا تعبير « الغزو الثقافي » ، فربما كان أخطر ما أنجزته حضارة اليوم أنها قربت المسافات ، لدرجة تكاد تلغيها ، حتى إن الأفكار وهي تتخلق في خواطر أصحابها يتسامع بها الخلق ويتناقلونها ، فإذا ما اكتملت وبرزت إلى الوجود انتقلت انتقال الرياح ، وطبعت بطابعها سلوك الخلق وتصرفاتهم ، بل ونياتهم ، ومن ثم فتعبير « الغزو الثقافي » يقترن ترداده دائما بالتوجس والارتياب ، ويصحبه الفزع والارتياع من كل مستحدث جديد ، والذين يتخوفون منه يفتقدون حتما في ذواتهم الأصالة ، ولا يأنسون فيهم التصون والتوقي مما يعتريهم ، ويطرق عليهم حياتهم كل آن ، وهو كثير .

ولسنا ـ علم الله ـ ممن يرهبون الجديد المبتدع في علم أو فن أو ثقافة أو في أي منشط إنساني آخر ، بل على الضد من ذلك تماما ندعو إليه ، ونصر على استرفاده والاستزادة منه إلى حد التهجم عليه واقتناصه ، وفاقا لطبيعة ديننا ، وانسجاما مع التطلع والطموح اللذين ينفثهما في معتنقيه ، ويثيرهما في أتباعه ، أليس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو القائل : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن »؟ رواه ابن ماجة.على أنه من الضروري أن يسبق

الاسترفاد والاستزادة بالامتلاء الأتم والتشبع الأوفى بالتصور الاسلامي الصحيح الذي هو في الحقيقة المقدمة الأولى لاقامة عقيدة اسلامية راسخة ، ولن يضير مع التصور الاسلامي وتشربه حينئذ غزو غاز ولا تهجم متهجم ، كائنا ما يكون ما يدعو إليه ويبشر به .

فما التصور الاسلامي الذي يفترض على كل مسلم أن يمتلىء به ، ويقيمه في نفسه عاصما ، به يحتمي ويتصون ؟

للتصور الاسلامي جوانب متعددة :

فهو تصور إسلامي للوجود ، وتصور إسلامي للكون ، وتصور إسلامي للحياة ، وتصور إسلامي لقضايا أخرى متعددة ، كالألوهية والربوبية .. وكل أولئك يعني المسلم حين يقيم عقيدته على اساس جد متين ، بيد ان التصور الاسلامي للكون وعلاقة الانسان به ، ينبغي أن يجد منا ـ جماعة المسلمين ـ العناية والرعاية ، فقد أصبح ضرورة عيش ، ولزوم حياة ، ففي زماننا الذي نحياه دعوات شريرة ، وخبيثة ، تجتهد في الخفاء وفي العلن ، وبالتصريح وبالتلويح ، تبغي من سعيها عزل الاسلام والمسلمين عن مجال الحضور والتأثير في الحياة والعيش ، وحصر الاسلام والمسلمين في حيز محدود ، لا يتجاوزانه ، وسبيلهم إلى ذلك زرع العداوة بين المسلم والكون ، مع أن تلك القضية أوضح من أن تحتاج إلى إعادة التفكير فيها بعد أن بين الاسلام أكمل بيان طبيعة تلك العلاقة ، وبين أنها علاقة طبيعية تبادلية بين الطرفين« الانسان والكون » أو بتعبير العصر هي علاقة جدلية .

وأول ما يلفت الانتباه إلى العلاقة بين الانسان والكون في التصور الاسلامي إيجابيتها وفاعليتها ، بحيث لا تقتصر الايجابية على طرف دون الآخر ، فما يذكر الكون بعناصره الوفيرة ببعده عن الانسان وقواه المدركة في مستوياتها المتعددة ، ولعله من الحقائق المعجزة أن الاسلام يثير التحدي في الطبيعة البشرية ، بما يبرز وبما يضمر من دواعي الحفز والتساؤل في الكون ، تلك الحوافز التي تدفع الانسان وتحثه لينهض بحثا عن إجابات ترضي الطموح ، وتروي الظمأ ، وعن طريق الممارسة ، بطشا باليد أو ضربا بالرجل أو إعمالا للعقل والفكر لتتفجر الطاقات ، وتتكشف المواهب والقدرات . حتى ما لا طاقة للانسان بمعرفته والاحاطة به ، وهو الغيب لم يصرف الانسان عنه ، ولم تقم الحواجز دونه ، بل أمر أن يوجه إليه أعلى طاقاته إيجابية ، ونعني بها طاقة الايمان ، وجعل الايمان بالغيب من صفات المتقين : (**ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب**) البقرة/١ ـ ٣ أما عالم الشهادة المحس فقد دعي الانسان إلى الاختلاط به والانغماس فيه إلى حد التوحد معه من منطق أن الكون والانسان معا فاضا عن إرادة واحدة ، وقدرة واحدة ، ثم خضعا ، وسيظلان إلى يوم القيامة يخضعان

لتدبير واحد وسنة واحدة ، بين الانسان والكون إذن صلة وثقى هي صلة القرابة والرحم .

والمتتبع لأسلوب آيات الكتاب الكريم في تعريف الانسان بالكون وربطه به تروعه الحكمة البالغة في التأني والتوسل ، وإن الانسان ليستشعر كأن يدا حانية رحيمة ترفق به وهي تضعه على أول الطريق ، وترافقه وترعاه في كل مراحل حياته ، معترفة بقدراته ومواهبه ، مقرة بتعدد المستويات والطبقات في قواه ، ولا تكاد الآيات البينات تدع موطنا دون أن تطوف بالانسان خلاله ، وتعرفه به ، وتمد الوشائج بينهما ، ثم تحفز الانسان إلى النظرة المتأملة المستقصية ، وقبل أن تجول به الآيات تثير فطنته وتلفته إلى ما زودت به فطرته من آلات للرصد والالتقاط : **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ..)** الحج / ٤٦

● ـ فالآيات تستفز الانسان وهممه ، ليتعرف على ملكوت السموات والأرض وما حوى الملكوت من خلق : **(أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)** الأعراف / ١٨٥ : **(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج)** سورة ق / ٦ و ٧ : **(ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)** نوح / ١٥ و ١٦ : **(افلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت)** الغاشية / ١٧ ـ ٢٠ .

● ـ والانسان مستنفر للتعرف على الخلق ، كيف بدأ ، والاستدلال بالبدء على إمكانية الاعادة : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة)** العنكبوت / ٢٠ .

● ـ وفي مجال العبادة والخضوع يتجه الكون كله بما فيه البشر نحو معبود واحد : **(ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ...)** النور / ٤١ **(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ..)** الحج / ١٨ . فليس الانسان بدعا من الخلق ، ولكنه فرد من أفراد كثيرين ، وإن أفرد من بينهم بتمرد الكثير من أفراده : **(وكثير حق عليه العذاب)**

● ـ وتحث الآيات الكريمة الانسان ليتدبر النظر في عناصر الكون ، لادراك دواعي التمايز فيها ، ومن ثم تتولد فيه حاسة البحث والتنقيب ، ويصبح جديرا بصفة العلم : **(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس**

والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/٢٧ و٢٨ .

● ـ أما ظاهرة إنزال الماء من السماء ولفت انتباه الانسان إليها ، وشحذ فطنته فقد استغرقت في التصور الاسلامي حيزاواسعا ، ربما ـ والله أعلم ـ لأن حياة الانسان تدور مع الماء وجودا وعدما ، كذلك فإن إخراج النبات من الأرض بعد إحيائها بعث من نوع ما،ينهض دليلا متجددا محسا على إمكانية البعث والنشور : **(ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد ...)** النور/ ٤٣ :**(ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ..)** الزمر ـ ٢١

● ـ والارض عنصر من عناصر الكون ذو شأن ، وبهذا العنصر ارتبط الانسان أوثق ارتباط ، لأنه يمتد من الميلاد إلى الموت ثم البعث مرة أخرى : **(الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)** طه/ ٥٣ ـ ٥٥

● ـ وكما أشرنا سابقا ماثل القرآن في ذهن المسلم بين عملية إخراج الزرع من الأرض بعد إحيائها بالمطر وبين عمليتين أخريين .

أولاهما : البعث والنشور بعد الموت : **(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)** الروم/ ١٩ : **(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور)** فاطر/ ٩ وثانيتهما : الهداية بعد الضلال ، والعودة إلى الرشاد بعد الانحراف إلى الغي : **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)** الحديد ١٦ و١٧ . ولو ذهبنا نعدد العرى التي تربط المسلم بكونه فلن نحصيها عدا ، ولن نوفيها قدرا .

وربما يثور تساؤل :

ما بال أقوام سبقوا فأعملوا في الكون العقول والأفكار والجوارح ، فباح لهم بالكثير من أسراره ، ووقفهم على حظ غير يسير من نواميسه وقوانينه ، وأباح لهم ، وسيظل يبيح لهم جنباته يمشون في مناكبها ، ويرتادونها ، ويجربون فيها ، وكان من ثمرة سبقهم هذا الكم الهائل من المبتكرات ووسائل الحضارة ، ولم يكونوا مع ذلك مزودين بتصور إسلامي ، ولا بأي تصور آخر معزو إلى دين من الأديان ؟ وهل يعوز الانسان دين يدله على كون هو نفسه بضعة منه ؟ ويجاب عن ذلك

بأن الكون يمكن أن يؤتي من طريقين طريق التصور الديني وطريق الذاتية الطموح ، المشبعة بالاستعلاء والمغالبة والقهر ، وهؤلاء إنما أتوه من الطريق الثانية ، ولكنهم بقدر ما أوغلوا ويوغلون في الكون إدراكا وفهما وإخضاعا يبعدون عن باريء الكون ومبدعه ، لأن اعتمادهم كله إنما هو على معطيات عقولهم وأفكارهم ، بينما من سمات التصور الاسلامي ونعمة أن العبد كلما ازداد وثاقة واندماجا وعرفاناً وانتفاعا بكونه ازداد عرفانا بخالقه وقربا منه وخشية له ، وأحس أن ثمة قوة عليا تعينه ، وتزكي سعيه ، وتفسح أمامه ساحات الأمل .

ومن هذا العرض يستبين لنا أن الانسان حين خلق لم يترك وحيدا ولا هملا دون رعاية ، وأنه قد كتب عليه أن يحقق ذاتيته وماهيته ، ويشق طريقه منفردا ، بل ومصارعا متحديا ، كما تدعي بعض الفلسفات والمذاهب ، وإنما الحقيقة أنه أعد له قبل أن يهبط الأرض كون ، من خلائقه الطواعية وقابلية التسخير ، ثم زود الانسان ذاته حين خلق بقدرات النظر والفهم والسعي وإنفاذ مشيئة الله في خلقه ، ولقد انبهم هذا التصور الاسلامي للانسان والكون في أذهان الكثرة الكاثرة من مسلمي هذا الزمان ، واختلط بالمزاعم والأساطير والأكاذيب ، وأعان على اللبس والخلط ، كثيرون ساء قصدهم ، وخبث علمهم ومسعاهم ، يجتهدون كما قلنا لعزل الاسلام والمسلمين عن الكون وإقامة العداوة بينهما ، وتغييب المسلم وتغريبه عن كونه الذي يضطرب فيه ، توسلا إلى هدف آخر أشد خبثا وزيفا ، هو تشويه وتعطيل « التصور الاسلامي للحياة والعيش » ، وصرف المسلمين عنهما ، ليكونا لغيرهم من دونهم ، ثم كانت القاصمة حين أريد الفصل في الأذهان بين « الكون وخالقه » بعد الفصل بين المسلم وكونه ، نقول ذلك وبين أيدينا أنماط عدة للتفكير السائد في بلادنا الاسلامية وتطبيقاته في مجال التعليم ، فالكون المادي بعناصره مجال البحث والدراسة للعلوم التجريبية ، وقد اجتهدنا في البحث عن أصل واحد من أصول التفكير الاسلامي فيما أتيح لنا من مناهج وبرامج في هذا الجانب من العلوم ، فلم نعثر على شبح أو ظل ، وقصارى ما تتوقعه تلك المناهج والبرامج « إشباع النزعة نحو حب الاستطلاع ، والتعرف على الكثير من الظواهر المحيطة بالانسان ، إذ العلوم هي التي تتيح الفرصة للاشباع والتعرف ... » وكأنما هذا الكون بعوالمه نشأ مصادفة أو نشأ بطبيعته ، وليس ثمة من أوجده ورعاه ، ومن سيبقى هذا الكون يسبح بحمده إلى يوم القيامة ويسجد له . وحسبنا الله ونعم الوكيل .



الإخاء الإسلامي

الاخاء الاسلامي .. هو الأصل الأصيل في بناء دولة الاسلام ، وقيام الأمة الاسلامية .. ولقد كان العرب ـ قبل الاسلام ـ والناس معهم على شفا حفرة من النار . متشاكسين ، متنافرين ، متحاربين . سنين طويلة ، فلما جاء الاسلام .. قيل لهم : تحابوا فتحابوا . وقيل لهم : تآخوا . فتآخوا .. ثم قيل لهم : انفروا . فهبوا خفافا وثقالا .. وتنزلت الآيات .. فقالوا : سمعنا وأطعنا . ومؤمنو مكة ، على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما في التاريخ إلا المهاجرين ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرفنا لهم اسما في التاريخ إلا الأنصار فاذا بالفرقاء والمتشاكسين دولة .

والاسلام لم يكتف باطلاق اسم المهاجرين ، على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا إلى المدينة .. ولم يكتف أيضا باطلاق اسم الانصار على قبيلتي الأوس والخزرج أبناء قيلة .. مع أن اطلاق اسم الأنصار والمهاجرين كاف لاعطاء العمق الاسلامي الاصيل .

لم يكتف الاسلام بهذا . ولذا نجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبدأ في البناء الأخوي الكامل ، ليقيم دولة الاسلام ، على أساس سليم .

قال ابن اسحاق : « وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أصحابه من المهاجرين والأنصار » فقال فيما بلغنا : « تآخوا في الله أخوين أخوين » .

قال تعالى (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة**

وأثره في المجتمع

مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .
الحشر/ ٩

لقد بلغ المسلمون الأوائل في الايثار - بكل ما تشمله كلمة ايثار من معنى ومفهوم ومدلول - بلغوا درجة عليا ، ومكانة عظمى . بما وقر في قلوبهم من إيمان وبما أشرق في نفوسهم من يقين .

إن قوة الايمان بالله ، والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم ، تجعل النفس الانسانية ، تشرق بالكثير من صفات الخير ، وتتخلق بالآداب والفضائل العظيمة ..

ولقد صنع ذلك الايمان وهذا التصديق ، جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة . فكانوا يؤثرون إخوانهم بأموالهم ، وديارهم ، على أنفسهم ، ويتنازلون عن قسمهم في

للأستاذ
أحمد عبد الرحيم السايح

الغنائم من أجلهم ، ويقدمون حاجة إخوانهم على حاجتهم ، حباً لهم، ورغبة في أخوتهم .

والايثار في الاسلام هو : تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين . وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة يقال : آثرته بكذا أي خصصته به وفضلته .

والذين سكنوا المدينة ، واشربت قلوبهم حب الايمان ، من قبل هجرة أولئك المهاجرين . لهم صفات كريمة وشيم جليلة ، تدل على كرم النفس ونبل الطباع ولذا كانوا يقدمون حاجات الناس على حاجة أنفسهم ،

ويبدؤون بالناس قبلهم . تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وآثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه .

وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر : أبا دجانة سماك بن خرشة ، وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة . وقال لهم : « إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة . وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة » .

فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ، ولا نشاركهم فيها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد ـ وخرجوا إليكم » ..

فقالوا : أموالنا بيننا قطائع .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك ؟

فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم التمر .

فقالوا : نعم يا رسول الله .

الكشاف للزمخشري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . فقال الرسول : لا .

فقال المهاجرون : أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا . رواه البخاري .

نعم .. إن الايمان الصادق إذا صادف قلوبا ، هيئت له ، تمكن فيها ونما وترعرع ، وأشرقت آثاره على من حولها ، وسعى أصحاب هذه القلوب المؤمنة ، في بذل ما يرضي من حولهم من المسلمين .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خيرة من تمسك بفضيلة الايثار حرصا على أخوة الاسلام ، والتوادد في ظلال الايمان ..

قال تعالى : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**) سورة الفتح/ ٢٩

وقال تعالى : (**والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم**) الأنفال/ ٧٥

والمؤاخاة في الناس ، قد تكون على وجهين :

أحدهما : أخوة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار ..

والثانية : أخوة مكتسبة بالقصد والاختيار ..

فأما المكتسبة بالاتفاق .. فهي أوكد حالا ، لأنها تنعقد عن أسباب تعود اليها .. والمكتسبة بالقصد ، تعقد لها أسباب ، تنقاد إليها ، وما كان جاريا بالطبع فهو ألزم مما هو حادث بالقصد ..

أما المكتسبة بالاتفاق ، فلها أسباب كثيرة وأول هذه الأسباب : التجانس في حال يجتمعان فيها ، ويأتلفان بها . إن قوى التجانس ، قوي الائتلاف به ، وإن ضعف كان ضعيفا ، ما لم تطرأ عليه علة أخرى

يقوم بها الائتلاف . وإنما كان كذلك ، لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتشاكل بالتجانس ، فاذا عدم التجانس من وجه انتفى التشاكل من كل وجه ، ومع انتفاء التشاكل بعدم الائتلاف .. فثبت أن التجانس وأن تنوع أصل الاخاء . وقاعدة الائتلاف .

وقد روى يحيى بن سعد عن عمر ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، و ما تناكر منها اختلف » رواه مسلم ، فالأرواح بالتجانس متعارفة ، وبفقده متناكرة . قال الشاعر :

فلا تحتقر نفسي وانت خليلها

فكل امرىء يصبو إلى من يشاكل

وقال آخر :

فقلت أخي قالوا أخ من قرابة

فقلت لهم إن الشكول أقارب

نسيبي في رأيي وعزمي وهمتي

وإن فرقتنا في الأصول المناسب

ثم يحدث بالتجانس المواصلة بين المتجانسين . وهي المرتبة الثانية من مراتب الاخاء . وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق بينهما ، فصارت المواصلة نتيجة التجانس . والسبب فيه وجود الاتفاق . لأن عدم الاتفاق منفر .

وقد قال الشاعر :

الناس إن وافقتهم عنبوا

أولا فان جناهم مر

كم من رياض لا أنيس بها

تركت لأن طريقها وعر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهي المؤانسة ، وسببها : الانبساط .

ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهي المصافاة ، وسببها : خلوص النية .. ورتبة خامسة .. وهي المودة وسببها الثقة . وهذه الرتبة هي أدنى الكمال ، في أحوال الاخاء ، وما قبلها أسباب تعود عليها . فان اقترن بها المعاضدة .. فهي الصداقة ، ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة ، وهي المحبة ، وسببها : الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس ، حدثت رتبة سابعة ، وهي الأعظم . وإن كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة ، وهي العشق ، وسببه : الطمع وقد قال المأمون رحمه الله تعالى .

أول العشق مزاح وولع ، ثم يزداد إذا زاد الطمع كل من يهوى وإن عالت به رتبة الملك لمن يهوى تبع

وهذه الرتبة آخر الرتب المعدودة . وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ، ولا حالة محدودة ، لأنها قد تؤدي إلى ممازجة النفوس ، وإن تميزت ذواتها . وتفضى إلى مخالطة الأرواح ، وإن تفارقت أجسادها .. وهذه حالة لا يمكن حصر

غايتها ، ولا الوقوف عند نهايتها .. وقد قال الكندي : الصديق انسان هو أنت إلا أنه غيرك ..

ومثل هذا المروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حين أقطع طلحة بن عبيد الله أرضا ، وكتب له بها كتابا ، وأشهد فيه ناسا ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى طلحة بكتابه إلى عمر ليختمه ، فامتنع عليه عمر .. فرجع طلحة مغضبا إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : والله ما أدري أأنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل عمر لكنه أنا ؟

وأما المؤاخاة المكتسبة بالقصد .. فلا بد لها من داع يدعو إليها ، وباعث يبعث عليها .. وقد يكون الداعي لها من وجهين : رغبة ، وفاقة .. فأما الرغبة : فهي أن يظهر من الانسان فضائل تبعث على إخائه ، ويتسم بجميل يدعو إلى اصطفائه .. وأما الفاقة : فهي أن يفتقر الانسان لوحشة انفراده ، ومهانة وحدته ، إلى اصطفاء من يأنس بمؤاخاته ، ويثق بنصرته وموالاته ..

وأعز ما تملكه الجماعات .. الاخاء فهو الرصيد الثابت ، والقاعدة الصلبة والمرتكز الصاعد .

والأخوة في الاسلام ، قاعدة الحياة ولا حياة بدون إخاء ، وإخوان .. والأخوة في الاسلام فوق كل الحواجز الجنسية ، والعرقية ، والقومية ، والحزبية ، والسياسية .. وهي في الاسلام تقوم على أصول أصيلة ، وقواعد متينة ..

ومن ذلك وحدة الأصل الانساني فالناس جميعا على اختلاف أجناسهم ، وتمايز ألوانهم ، وتباعد أقطارهم .. يرجعون إلى أب واحد ، وأصل واحد ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها في أساليب شتى ، وآيات متعددة لكي تكون دائما موضع الاعتبار ، والرعاية ..

قال تعالى : **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** الحجرات/ ١٣

فهذه الآية العظيمة ـ كما ترى ـ تقرر أصلا من أصول الاسلام ، وهو المساواة بين الناس .. ولقد قررت هذه الآية ، مبدأ ضخما من المبادىء الانسانية السامية .. فهي من معجزات هذا القرآن الكريم الذي أنزله الله ضياء للناس ونورا ، يهتدون به وبرهانا ساطعا ينير السبل امامهم ..

وكان العالم قبل انبثاق نور الاسلام . يموج في الظلم ، ويضطرب في الفساد وتسوده الهمجية ، والعصبية الجاهلية ، وتخيم عليه ضلالات العصور القديمة ، وقد نشر الرعب أجنحته على الدنيا وزاد الفساد ، والتفاخر بالأنساب ، وعاشوا تحت ظل نظام الطبقات ..

في هذه الظلمة الداكنة ، ينبثق فجر الاسلام ، فتبدد أنواره تلك الغيوم السوداء .. وتتنزل هذه الآية الكريمة ، لتقرر مبدأ إنسانيا عظيما .. وهو إعلان المساواة بين البشر ، كل البشر ..

ويهتم القرآن الكريم بالانسانية

والبشرية ، اهتماما يفوق حد الوصف . وهذه كلمة (**الناس**) يتكرر استعمالها في أساليب القرآن الكريم نحوا من مائة وأربعين مرة كثير منها جاء خطابا للبشر عموما ، وكثير منها ورد دالا على الجنس البشري .

وهذه أيضا كلمة « **الانسان** » تستعمل في آيات القرآن الكريم ؛ في أكثر من ثمانين موضعا .. في أساليب متنوعة ، عائدة بالمفكر والعاقل ، إلى أصل الانسان ، ولا شك أن - استعمال « **الناس** » **و** « **الانسان** » بهذا الاهتمام يخلق في المسلم إنسانية تعجز عن الوصول إليها أساليب رجال التربية الحديثة ، أمثال : جان جاك روسو وهربارت سبنسر ، وجون ديوي ، ووليم جيمز .. وغيرهم من فلاسفة التربية ، حتى كلمة **البشر** الدالة على الجنس الانساني الواحد ، تستعمل في القرآن الكريم ، في أكثر من خمس وثلاثين آية .. وهكذا يهتم القرآن الكريم ، بكل ما من شأنه أن يوقظ في الناس أحاسيس الانسانية ، ويربى الخلق الانساني .. والاسلام جاء ليقيم بين البشر رابطة الانسانية القائمة على ارتباط البشر جميعا بالله خالق الأرض والسموات ..

« وفي إنشاء جميع البشر من نفس واحدة ، آيات بينات على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته .. وفي التذكير بذلك إيماء إلى ما يجب من شكر نعمته وإرشاد إلى ما يجب من التعاون والتعارف بين البشر ، وأن يكون هذا التفرق إلى شعوب وقبائل مدعاة إلى التأليف ، لا إلى التعادي والتقاتل وبث روح العداوة والبغضاء بين الناس »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) رواه مسلم وابن ماجة

والمسلمون هم أحق الناس بالحفاظ على الأخوة ، وأجدر الناس باتباع هدى القرآن وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم .. ومن الأصول الأصيلة .. للاخوة في الاسلام وحدة العقيدة ..

ووحدة العقيدة من أهم الركائز لوحدة المسلمين ، وتكامل قوتهم . وعقيدة المسلمين واحدة ، لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس ، أو لون من الالوان ، أو مصر من الأمصار أو جيل من الأجيال ، أو زمن من الأزمان . هذه العقيدة قائمة وتقوم على الايمان بالله ، وبرسول الله وبكل ما في القرآن .. وأن الاسلام هو الاسلام .. والقرآن هو القرآن .. ومن آيات العقيدة في القرآن .. قول الله تعالى :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين

صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة/ ١٧٧

قال الامام ابن كثير : اشتملت هذه الاية على جمل عظيمة وقواعد عميقة وعقيدة مستقيمة . والآية كما نرى مشتملة على خمس عشرة خصلة .. وترجع إلى **ثلاثة أقسام** : فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكماليات الانسانية التي هي من قبيل صحة الاعتقاد وآخرها قوله : **والنبيين** وافتتحها بالايمان بالله واليوم الاخر .. لانهما إشارة إلى المبدأ والمعاد .

والستة التي بعدها .. تتعلق بالكماليات النفسية التي هي من قبيل حسن معاشرة العباد . وأولها (وآتي المال) وآخرها **(وفي الرقاب)** ..

والاربعة الاخيرة ، تتعلق بالكماليات الانسانية التي هي من قبيل تهذيب النفس وأولها **(وأقام الصلاة)** وآخرها **(وحين البأس)** ولعمري من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان ، ونال اقصى مراتب اليقين ..

وعقيدة الاسلام .. واحدة لدى كل المسلمين في شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها . تجتمع عليها قلوبهم ؛ وتحفظها عقولهم ، وتستيقنها نفوسهم ، ووحدة العقيدة .. جددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الدم القائمة بينهم ..

وإذا كانت أبوة آدم عليه السلام ، تجمع بين الأمة الاسلامية ، وتوحد بينها في الأصل .. فان العقيدة الاسلامية هي أبوة روحية ، ترجع إليها فروع المؤمنين والحق أن المؤمن حينما يستشعر جلال هذا الاصل الروحي ، الذي يجمعه واخوانه المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها إلى جانب الأصل المادي الذي يرجعه معهم إلى أبوة واحدة . فانه حينئذ يشعر أنه إنما يحيا باخوانه ويحيا لهم ويحس كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة يحيا بحياتها ويموت بموتها .

وإن رابطة العقيدة في الاسلام - وهي رابطة في المبادىء والمثل العليا ، والقيم الرفيعة - من أقوى عوامل التقدم والازدهار . وتلك التعاليم هي أعلى وأقوى من رابطة الدم ، والنسب ، والمساكنة ، في الوطن والمشاركة في القومية .. وهذا الأساس هو المنطق الوحيد ، للخروج من قوقعة الانانيات الفردية والقبلية والقومية .. إلى صعيد اللقاء الانساني ، على أساس المبادىء . مبادىء الحق ، والعدل والخير .. وفي هذا الاطار التربوي النفسي ذاته ، عالج الاسلام النفس الانسانية اعدادا عظيما لتحقيق التعارف والتعاون .. فعالج آفاتها وأمراضها الحائلة دون التعاون كالحقد والحسد والغل ، التي تثيرها دوافع النفعية للذات الفردية أو القبلية أو القومية .

والأصل الثالث ، في أصول الأخوة الاسلامية .. وحدة مصدر التشريع .. ومصدر التشريع واحد لدى المسلمين .. وهو القرآن الكريم ، كتاب الله ، الذي أنزله ليكون دستور الخالق في إصلاح الخلق .. ينظم الحياة ، ويعالج النفوس ، ويقوم اعوجاج المجتمع ، قال تعالى :

(وانـزلنا اليـك الكتاب بـالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعـا فينبئكم بمـا كنتم فيـه تختلفون . وأن أحكم بينهم بما أنـزل الله ولا تتبـع اهـواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يـريد اللـه أن يصيبهم ببعض ذنـوبهم وإن كثيرا من النـاس لفاسقون) المائدة/ ٤٨ و ٤٩ .

وقال تعالى : **(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بـالغيب ويقيمون الصـلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولئك على هـدى مـن ربهـم وأولئـك هـم المفلحون)** البقرة ـ ٢ ـ ٥

وقال تعالى : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبـع رضـوانـه سبـل السـلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)** المائدة/ ١٥ و ١٦

وان الله عز وجل ذكر للنور ثلاث فوائد :

الأولى : انه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . اي من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور ، يهديه الطريق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة ، من كل ما يرديه ، ويشقيه فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعـالى وحقـوق نفسـه الـروحيـة والجسدية وحقوق الناس ، فيكون متمتعا بالطيبات مجتنبا للخبائث ، نقيا مخلصا ، صالحا مصلحـا .. ويكون في الآخرة ، سعيدا ، منعما ، جامعا ، بين النعيم الحسي الجسدي ، والنعيم الروحي العقلي ..

الثانية : الاخراج من ظلمات الجهل والوثنية ، الى نور التوحيد الخالص .. حيث يصبح الانسان حرا كريما بين الخلق ، عبدا خاضعا بين يدي الخالق وحده .

الثالثة : الهـداية الى الصـراط المستقيم ، وهو الطريق الموصلة الى المقصد والغاية من الدين ، في أقرب وقت ، لأنه طريق لا عوج فيه ، ولا انحراف ، فيبطىء سالكه او يضل في سيره .. وهو ان يكـون الاعتصام بالقرآن الكريم على الوجه الصحيح الذي انزله الله تعالى لاجله . بأن تكون عقائده ، وآدابه ، واحكامه ، مؤثرة في تزكية النفس ، واصلاح القلوب ، واحسان الأعمال .. وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله في خلق الانسان .

والقرآن الكريم هو وحده القادر على تحديد علاقة الانسان بالوجود كله والقرآن الكريم .. هو وحده القادر على ان يـرسم للمجتمع الاسـلامي .. الخطوط السليمة ويضع له الحوافظ التي تحفظ الانسانية ، من التردي

والهلاك .

والقرآن الكريم هو وحده الذي توجد فيه الحلول المنطقية المقبولة لكل ما وراء ـ الحواس .. وهو وحده الذي توجد فيه الحلول العملية لكل الجوانب وبهذا كان القرآن الكريم .. غنيا بكل جوانب الحياة ، الروحية ، والعقلية ، والجسمية ..

والقرآن الكريم هو وحده القادر على اذكاء روح الاخوة الاسلامية وتدعيم المحبة بين المسلمين .

ومادام القرآن الكريم يعمل على وحدة الصف الاسلامي .. فلا غرو أن يأمر الله المسلمين ان دب بينهم نزاع بأن يرجعوا الى كتاب الله ..

قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء/ ٥٩** . فالرجوع عند التنازع في اي أمر الى كتاب الله ، وسنة رسول الله شرط في الايمان . وذلك كله خير محض لا شر فيه أبدا ..

ومن العجيب أن تشاهد تنازعا واختلافا بين الإخوة المسلمين يؤدي الى تحرك أجهزة الاعلام كلها ، لتلقي الشتائم والسباب ، والتهم .. وإن هذا الأمر محزن ومؤلم ولا يصح أن يكون بين المسلمين .. ولا شك أن المذاهب الهدامة والأحزاب البغيضة لها أثر فعال في توسيع هوة الخلاف والاختلاف .

والمسلمون إخوة بنص القرآن الكريم . قال تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**) الحجرات/١٠ .

اخوة في الدين والحرمة لا في النسب .

ولهذا قيل : اخوة الدين أثبت من اخوة النسب ، فإن اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب .. واخوة الدين أحق وأجدر أن يهتم بها في اصلاح ما بين المؤمنين . لأنها اخوة بنص كتاب الله تعالى . والله سبحانه وتعالى هو الذي عقد هذه الأخوة وما عقده الله تبارك وتعالى لا تحله يد بشر ، مهما قويت ، وسطت ، وظلمت .

ومن عجيب أمر هذه الآية الكريمة . أنها جاءت وكأنها قررت أمرا واقعا مفروغا منه ، لا يرد ولا يصد . فقالت : « **انما المؤمنون اخوة** » هذا حكم الله ، وهكذا أخبر عن هذا العقد الذي ربطه في السماء بين المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت لغاتهم ، وتباعدت أقطارهم وتناءت ديارهم فهم أخوة ، تجمعهم عقيدة خالدة ، ورسالة واحدة . وهكذا جاءت الجملة خبرية ، تقرر واقعا عظيما وتخبر عنه . فقالت : (**إنما المؤمنون اخوة**) ولم تأت الجملة انشائية اذ لو جاءت الآية انشائية ،

لكانت الأخوة غير موجودة . ولكنه عز وجل ربط قلوب المؤمنين برباط واحد ، وعقد هذا الرباط ثم اخبر عن هذه الحقيقة الثابتة الواقعة ، وقضى فيها بحكمه فقال : (انما المؤمنون اخوة) ثم ثنى بتقرير هذه الحقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ولا يؤذيه) رواه مسلم .

وفي سنن ابي داود ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن مرآة المؤمن . المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال يكف عنه ضيقه ويحوطه من ورائه » وهكذا فهم الصحابة الكرام هذه الأخوة ، وعاشوا فيها ولها ، واصبحوا بفضل الله تعالى اخوانا .. دعوتهم واحدة ، وامرهم واحد .. تقاسموا الحب فيما بينهم وآثروا اخوانهم على انفسهم .. فقاسموهم الأموال .

والأخوة في الاسلام . اسلوب تربوي وسلوك عملي . يسمو بالمسلمين ، ويصل بهم الى ذروة مراقي الفلاح والنصر .

وآثار الأخوة تبدو واضحة في التعاون الذي قام بين المسلمين ، فجعل منهم امة واحدة .. تخوض المعارك بايمانها بالله وبنصر الله . وسوف يبقى المسلمون في أشد الحاجة الى الأخوة الاسلامية ، لأنها السياج الذي يقي المجتمع من التعثر والتبعثر .

والأمة الاسلامية تحتاج الى الجامعة الاسلامية المتكاملة في الاخاء الاسلامي . الذي لا يعرف ولا يعترف بالحزبية ، ولا العصبية ، ولا القومية ، ولا الاقليمية ، ولا المذاهب الفكرية .

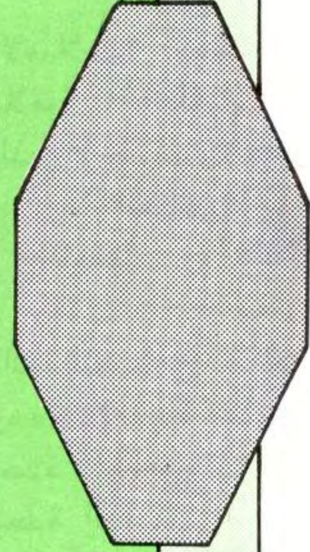
وقد أتم الله للمسلمين .. وحدة الأصل .. ووحدة العقيدة .. ووحدة المصدر ، ووحدة الشعور .. ووحدة الصف .. ووحدة العادات .. ووحدة العبادات .. وكانت آثار ذلك واضحة ، في معارك المسلمين التي خاضوها في سبيل الله .

حققوا النصر والعدل ومن منطلق الأخوة الاسلامية . كانت امتنا ومازالت تملك رصيدا ضخما ، يمكن استثماره ، لتحقيق الاخاء الاسلامي العظيم والذي يجعلنا نحس باخواننا المسلمين في كل مكان .

وسوف نحقق ما نأمله في ظلال الاسلام .. وقوتنا رهينة بتمسكنا بالاسلام .. وقد اثبت التاريخ والتجربة ان الاسلام خير ما عرفته الانسانية .



من تاريخ اللغة العربية



- ١ -

حين تواجه اللغة العربية زحفا هاجما من جديد ، يدعو الى : « الاقتصار على الجمل الاسمية » و (الاكتفاء في جمع المذكر السالم بصيغة الياء والنون) و (توحيد صيغ الأسماء الخمسة فيقال « أبو » في الرفع والنصب والجر) و (جمع الكلمات والتراكيب العامية وقبول مفرداتها في اللغة المكتوبة) .. الى آخر هذه القائمة الجديدة القديمة في آن .. حين تواجه اللغة العربية هذا الزحف الهاجم الجديد في محاولة كاسرة لبتر الصلة بين العربي وتراثه الفكري والأدبي والعقيدي ، فان وعينا بمنابع هذه الحركة الهاجمة ، وبتاريخها على ارض هذه المنطقة يبدو صميميا الى مدى هائل بالفعل ، لأن الوعي بجذور حركة ما يضيء منادح الرؤية حولها ، ويجعل من فهمها الصوابي مقدمة صوابية لمواجهتها وتعرية اساليبها الفاجعة ، مهما كان في وعينا بتاريخ هذه الحركة من جرح آني

في مواجهة التحديات

للدكتور/محمد احمد العزب

لمشاعرنا القومية والعقيدية !!

إن تراثنا يمكن ـ إذا نجحت هذه المحاولات ـ ان يستحيل الى تاريخ غير ناطق ولا مفهوم ، فلنفتح أحداقنا جيدا ، ولنقرأ تاريخ الحركة العدوانية بمزيد من الاستبصار والتأمل وتعقيل الأحاسيس ، لأن فورات الغضب في هذا الصدد ، أو بيانات الاستنكار والتربص الفكري الساذج ، يمكن فقط ان ترضى انتفاخ غرور مرحلي ولكنها ستستحيل في التاريخ الى دليل نقيض يرفع في وجوهنا كل اصابع الاتهام !!

إن الذين يهاجمون ـ ولكن صرحاء ـ يتسلحون بمنطق معقل ومعاصر ، انهم لا يحيلون في كل قضاياهم على أسلافهم كما نفعل نحن ، ولكنهم يخاطبون عصرهم بلغة هذا العصر ، بمنطق هذا العصر ، بهموم أجياله الطالعة ، التي تتشوف الى

محتوى عقيدي يملأ وجدانها بالألق ، وحياتها بالجدوى ، وآفاق مستقبلها بأحلام الانتصار .. ان اسلافنا الذين نحيل - في الفكر اللغوي - عليهم ، يملكون اروع صيغ المنطق الحضاري المدعوم بأروع صيغ المنطق العقيدي ، هذه مسلمة لا يستطيع غير مكابر أن يجادل فيها ، أو يتصدى لانكارها ، ولكن أجيالنا الطالعة في إطار محدودية الثقافة والامتلاء اللغوي والفهم لطبائع الاشياء - ربما يميلون الى منطق المعاصرة اكثر مما يميلون الى منطق الفكر التاريخي القديم ، وهنا يبرز دورنا نحن ، ان عبئنا الفادح يبدأ من هنا ، من محاولة استقطاب كل مفاهيم تاريخنا الفكري والأدبي والعقيدي ، ثم صياغته في أطر عصرية موائمة وصولا إلى فعل أكثر إيجابية ، وإلى فتوحات أعمق فعالية ، في مواجهة هذه التحديات ثم للوصول الى غاية امتلاك هذه العقول الشابة التي تستجيب - ربما - بحكم تكويناتها ومناخاتها وقراءاتها للغة العصر وأنماطه الجدلية في اللغة والفكر والفن .

إن بحثنا الجاهد عن (التاريخ المعاصر) لحركة التحدي ربما يبدأ من مطالع القرن العشرين ، ولقد كان في استطاعتنا ان نقف عند تاريخ التحدي وتاريخ مواجهة التحدي معا ، لولا اننا نريد ان نستنفر جهودا جديدة ، وبشكل موضوعي يتناول الظاهرة بمزيد من التحليل والتأمل والمواجهة ، فان هذا المنطق وحده هو القادر بالتدليل العلمي القاطع على أن يؤكد أننا نعيش عصرنا الهائل ، مسلحين بوعينا الذاتي وبوعي كل العصور ، وأننا - من خلال هذا الفعل التاريخي - نؤكد نجابة تاريخنا القديم وخصوبته ، لأن كل حضارة حقيقية تنجب بالضرورة أجيالا من الرائعين . الذين يضيفون الى فكرها مقولات مستلهمة من طبيعة اصولها الصميمة ، بلا تحريف من هنا ، وبلا تأويل من هناك !!

نحن إذن نركز على تاريخ اللغة العربية في مواجهة التحدي ، لنؤكد لأجيالنا الطالعة الى أي مدى حاولت جهود منظمة ان تقتلعنا من اطارنا اللغوي ، ربما ليسهل عليها بعد ذلك ان تقتلعنا من اطارنا الوجودي ، وهذا هو جوهر المأساة !!

- ٢ -

حين كتب (ولهلم سبيتا) سنة ١٨٨٠ كتابه (قواعد العربية العامية في مصر) باللغة الالمانية ، متنبئا في هذا الكتاب بموت الفصحى وصيرورتها الى العامية - كما ماتت اللاتينية من قبل - لم تكن هذه اول رجة تعرضت لها اللغة العربية ، فقد خاضت عبر عصورها عديدا من المعارك اللافحة ضد شعوبيات كثيرة ، وانتصرت في النهاية على كل الجبهات .

وحين لم تلق دعوة (سبيتا) صدى متجاوبا ، انبرت مجلة (المقتطف) سنة ١٨٨١ تدعو الى كتابة العلوم بالعامية ، زاعمة ان الفصحى لغة النخبة وليست لسان الجميع ، فاذا ارادت الأمة ان تعطي المقولات العلمية لجماهيرها وليس للنخبة فحسب ، فينبغي الا تتردد في رفض العربية الفصحى ، وينبغي ألا تتردد

كذلك تحت أي من العوامل في احتضان العامية لغة تعبير وتفسير وتطوير .

ولقد آزرت هذه الحركة عناصر مد استعماري ، هدفت الى تطويق اللسان العربي وعزله تماما عن مجالات الفعل ، كان أبشعها في المشرق سنة ١٨٨٩ جعل التعليم في المدارس المصرية باللغة الانجليزية ، وكان احطها في المغرب - ربما على مدى التاريخ - محاولة الاستعمار الفرنسي سرقة اللسان العربي ، وفرنسة الشارع والمكتب والمدرسة وصفحات الكتب .

ويأتي (كارل فولرس الألماني) ليؤلف كتابا في (اللهجة العامية الحديثة في مصر) سنة ١٨٩٠ ويترجمه الى الانجليزية (بوركيت) سنة ١٨٩٥ .. ثم يمضي المخطط الى غايته ، فيدعو المهندس الانجليزي للري في مصر (ويلكوكس) الى احلال العامية محل الفصحى ، ولا يطرح دعوته في هذا الصدد على نحو عفوي ، قد يظن هنا لأول وهلة ، ولكنه يؤسس هذه الدعوة على عناصر من الفكر الاجتماعي الذي يمكن أن يشد اليه قطاعات من العامة والمثقفين على السواء ، فهو يتساءل : (لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الى الآن) ؟ ويجيب بأن العربية الفصحى هي السبب الكامن وراء هذا التخلف . لأنها لغة ترف ذهني وليست لغة ابداع علمي .. ولأنها لغة عزلت الجماهير الهائلة عن محاولات الفعل والابتكار .. ويزعم ان الحل الذي لا بديل عنه هو طرح هذه اللغة ، والابحار مع العامية الى نهايات المطاف .

وفي سنة ١٩٠١ ينشر القاضي الانجليزي (ويلمور) كتابه (العربية المحكية في مصر) تنويعا على هذا اللحن الأساسي : (ضرب العربية الفصحى والترويج للعامية) ، الا انه كان اكثر ايغالا في اتجاهات التذويب ، حيث دعا الى اتخاذ اللاتينية لغة ادبية ، والى اتخاذ الحروف اللاتينية في الكتابة العربية .. ويسرع (المقتطف) الى تقريظ هذا الكتاب ، وتأييد صاحبه ، في مظاهرة حماسية بالغة الرنين .

وفي سنة ١٩٢٥ يعود (وليم ويلكوكس) الى الميدان من جديد ، كأنما ليحقق ما عجز عن تحقيقه منذ عديد من السنوات ، لقد عاد ليترجم الإنجيل الى العامية ، ولينشر رسالة بالانجليزية ويزعم فيها ان سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونيه لا العربية ، وليؤلف بالعامية كتابه (الأكل والايمان) الذي تظهر منه ثلاث طبعات الى سنة ١٩٢٩ انظر : لغتنا والحياة - للدكتورة بنت الشاطىء - ص ١٠١ - ١١١ .

- ٣ -

وينحسر المد الخارجي ليتيح للمد الداخلي - على مستوى نوعي - ان يحتل مواقعه ، ففي سنة ١٩١٣ يحاول (لطفي السيد) ان يسرب آراءه من خلال ترفق

هادىء في الدعوة الى عامية الكتابة والتأليف ، وقد اتاح بذلك للمد الكاسح ان يوجه طاقته في محاولة الاقتلاع ، ففي الربع الثاني من القرن العشرين يحمل الكاتب المصري (سلامة موسى) لواء هذه الدعوة ، ويضيف الى مقولات الغابرين مقولات محدثة ، على جانب هائل من الخطورة والتحدي .. ان خطورة هذه المقولات تأتي من جهة كونها مقولات رجل يكتب بالعربية ، ويعرف كيف يركز على مناطق الإثارة والتشويه ، وهو يلخص بنفسه مقولاته في هذه الاساسيات :

١ ـ يجب ان نكبر من شأن لغتنا العربية ، وان نوليها اعظم اهتمامنا ، لأنها وسيلة التفكير ، ولا يمكن التفكير الحسن بلا لغة حسنة .

٢ ـ كان فن البلاغة العربية ـ ولا يزال الى الآن ـ فن التعبير عن العاطفة والانفعال ، ونحن لا نفكر ـ حين ننفعل او نستسلم للعاطفة ـ التفكير الحسن ، ولذلك فان هذا الفن لا يخدم التفكير العلمي والفلسفي .

٣ ـ المجتمع الحسن هو الذي يقوم على العقل وحل المشكلات بالمنطق ، فنحن في حاجة الى بلاغة جديدة تؤدي الى دقة الفهم العلمي لايجاد مجتمع علمي ، بلاغة تميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية .

٤ ـ اللغة هي تراث قديم ، تحمل كلماتها معاني الحياة البدائية (الحياة من الحيا والروح من الريح) ، أو تحمل معاني السحر (علا نجمه وأفل نجمه) بل هي حافلة بأحافير ورواسب يجب ان نتوقى استعمالها اذا شئنا التفكير السديد .

٥ ـ كان المجتمع العربي القديم يستند الى العقائد والتقاليد . وكان مجتمعا حربيا يحتاج الى لغة العواطف والانفعالات التي تحرك الارادة ، ولذلك اصبحت بلاغته كذلك ، وهي لهذا السبب صغيرة القيمة في خدمة مجتمعنا الذي نحاول ان نجعله يسير على مبادىء المنطق والعقل والعلم .

٦ ـ داء الأدب واللغة عندنا هو الكلاسية ، اي التليدية ، وهي تؤدي عندنا الى محاولة استرداد الأمس بالتعبير والتفكير .

٧ ـ المبالغة في هذه الكلاسية تؤدي الى تحجر اللغة . كأنها لغة الكهنة في المعابد ، فتقطع الصلة بينها وبين المجتمع .

٨ ـ في لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة ، تؤدي الى ارتكاب الجرائم : (الدم ، والعرض ، في صعيد مصر) او الى كراهية بعضنا بعضا : (كافر ، نجس) ، والكلمات الجنسية التي تؤدي الى خيالات الحشاشين ، وعلينا أن نقي عقولنا من هذه الكلمات .

٩ ـ للكلمة ايحاء اجتماعي للخير او الشر ، فيجب ان نستغل اللغة للتوجيه الحسن ، للأمة والفرد ، والبلاغة القديمة ـ بلاغة العاطفة والانفعال ـ مفيدة هنا للتوجيه الاجتماعي الحسن ، ولكن مع الحذر العظيم من الدعاية السيئة .

١٠ ـ لن نستطيع الانتفاع بذكائنا الا اذا كانت اللغة ذكية ايضا ، اي تؤدي المعاني الدقيقة في العلوم والفلسفات . ومن هنا ضرورة العناية بتمحيص المعاني حتى نمنع الالتباس . ولهذا تجب مقاطعة المترادفات والمتشابهات (مثل بلدة

للمدينة ، وبلد للقطر) .

١١ ـ الكلمات الحسنة في اللغة الحسنة تبني الأخلاق ، حتى ليصح ان نعد الكلمة شعارا ننضوي اليه كما لو كان رايةً في جهاد ، وعندنا من كلمات المروءة والشهامة والبر والحرية وامثالها ما نبني به المجتمع الحسن .

١٢ ـ علينا ان نزيد في لغتنا مثل هذه الكلمات بحيث تخدم تطورنا العصري ، فنؤلف الكلمات التي تؤدي الى الرقي وزيادة الصحة والسعادة والنور والثقافة .

١٣ ـ البلاغة الجديدة هي بلاغة المنطق الذي يرشدنا الى توقي الخطأ ، والتفكير السديد هو التفكير العلمي الموضوعي الذي يقوم على التجربة ، واللغة الحسنة هي التي تؤدي المعنى في دقة هندسية ، ووضوح اقليدي .

١٤ ـ نشأت في عصرنا الحديث لغتان جديدتان ، إحداهما لغة العلوم ، فيجب ان نأخذ كلماتها جميعا بلا ترجمة ، ولغة كوكبية اخرى ينطق بها كل متمدن في الدنيا ، مثل التليفون والتلغراف وسينما توغراف والراديوفون ، فيجب ان لا نقاطعها ، لانها لغة كوكبية جديدة لا تملكها امة دون اخرى .

١٥ ـ كل انسان متمدن يجب ان يتعلم ثلاث لغات ، لغته الأصلية التي تعلمها من أمه ، ولغة العلوم التي تكتب بها«الجيولوجية ، واليوجنية والفسيولوجية»والكيمياء الخ .. ولغة هذا الكوكب كما نرى في كلمات كوكبية تنشرها الجرائد والكتب .

١٦ ـ يجب ان نستبصر بحركة الاستاذ (اوجدين) في الايجاز والتبسيط باختيار الكلمات التي لا تتحمل الشكوك في معانيها ، وان نيسر تعليم اللغة العربية للعربي وللأجنبي .

١٧ ـ لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة او المشتبهة ، وهي تحتاج من الوقت لتعليمها نحو ثمانية او عشرة امثال الوقت الذي تحتاجه اللغة الانجليزية ، فيجب ان نتجه نحو تيسيرها بالإقلال من القواعد والشذوذات بل ومن الكلمات .

١٨ ـ اتخاذ الخط اللاتيني يحمل الأمة الى الامام مئات السنين ، ويكسبها عقلية المتمدنين ، ويجعل دراسة العلوم سهلة ، وهو خطوة نحو الاتحاد البشري .

هذه آراء (سلامة موسى) كما لخصها هو في كتابه الهاجم (البلاغة العصرية واللغة العربية ص ١٨٥ وما بعدها ط ٤) . وهي آراء لا تزيد قامتها على مجرد الغضب الشعري الذي لا يؤسس مقولاته على منطق التفكير العلمي بما هو تأمل ومقدمات ونتائج .. ان (سلامة موسى) هنا يثير جعجعة لا طحنا ، أمشاج من الملاحظات الهامشية التي لا تتصل اتصالا مباشرا بصميم اللغة ولا تدخل في جدل العلاقات العضوية بين شكل المصطلح العربي ومحتواه من حيث هو بناء وظيفي حمل فكر عصور تمددت في كل عصور التاريخ ، ورفدت الحركة الحية للحضارة الانسانية بمزيد من المشاعل الكاشفة ، ولكن خطورة آراء (سلامة موسى) تأتي من جهتين : اولا : لأنه مفكر عربي قد يظن ان معاناته مع الحرف العربي ، والجملة العربية ، والتفكير بالكلمة العربية ، هو ما أوحى اليه بهذا الغضب الحادم

على لغة فقدت اقتدارها على معاونة الكاتب في عطائه الفكري .. وثانيا : لأن الكاتب يخلع على آرائه أردية التوق الى اصلاح اجتماعي من خلال اللغة ، ويوهم بأن ما يحركه في هذا الغضب ليس القصور عن استيعاب سر اللغة ، وإنما هو محاولة ربط هذه اللغة بأهم منجزات التطور الحضاري الذي يموج به العالم المعاصر .. إن خطورة أراء (سلامة موسى) تأتي من هاتين الوجهتين ، وهي خطورة قد يغيم مضمونها في ذهن المتلقى المعاصر فيقع في اسارها غاضبا او مفتونا ، ولكننا هنا ينبغي ان نفطن الى ان دعوة (سلامة موسى) هذه ليست الى عامية اللغة ، وانما هي مرحلة تالية لدعوة العامية تستهدف خلخلة الثقة باقتدار العربية في اطارها المتعارف على التعبير والبناء .

- ٤ -

ويلفتنا العنصر الأخير في دعوة (سلامة موسى) هذه إلى (اتخاذ الخط اللاتيني) إلى تيار آخر لا يقل ضخامة واستفحالا عن تيار الدعوة إلى عامية اللغة ، وذلك هو تيار الدعوة إلى نبذ الحرف العربي ، والكلمة العربية ، والجملة العربية ، والسياق العربي ، واستبدال كل أولئك بالحرف اللاتيني الذي لا يعاني ـ كما يقولون ـ من تشوش الحرف العربي ، وبالكلمة اللاتينية التي لا تعاني من تسيب الكلمة العربية ، وبالجملة اللاتينية التي لا تعاني من تعقيدات الجملة العربية ، وبالسياق اللاتيني الذي لا يعاني من همجية السياق العربي .

ولقد يكون من المفيد أن نلقي كذلك نظرة هادئة على تاريخية الدعوة إلى هذا الاتجاه الآخر ، فإن ذلك قمين بتحديد نوعية القضية ، وتحديد نوعية مسارها الصاعد أو المتعرج في ذهنية رعيل من المفكرين والكتاب ، الذين لا نستطيع ـ مهما كانت مسافات الخلف بيننا وبينهم ـ أن ننفيهم وجوديا من تاريخ حركة الفكر العربي الحديث إيجابا وسلبا . كما أننا نرفض من خلال منطق المنهج العلمي أن نغلق أبوابنا في وجه أي من الأشياء ما لم نؤسس حركتنا في هذا الصدد على منطق المقولة والسبب ، أو النتائج والمقدمات .

في رهج الدعوة إلى العامية بديلا عن الفصحى طلع (أمين شميل) بدعوته إلى الهجرة الكاملة ، ليس من الفصحى العربية إلى العامية العربية ، وإنما من الشكل العربي إلى الشكل اللاتيني ، وقد بنى تصوراته في هذا المجال على عديد من الأسباب :

منها أن اللغة أداة تعبير ، فإذا عجزت هذه الأداة عن النهوض الحضاري بوظائفها الطبيعية فليس هناك ضير من طرحها جانبا واحتواء أداة غيرها أرقى وأقدر .. واللغة العربية وصلت من مراحل التطور إلى العجز الكامل عن مواكبة هذا التطور ، ولذلك فلا بد للمشتغلين بها من العبور عليها إلى لغة أجنبية أكثر قربا من التطور الحضاري .

ومنها أن اللغة العربية ماضية في طريقها إلى الموت كما ماتت من قبلها لغات كانت لها نفس الخصائص والمكونات ، كاليونانية والسريانية والكلدانية والقبطية .

ومنها أن محاولة البعث في هذا الصدد للغة ماتت أو هي تموت ، ضرب من اللاجدوى التي تشغلنا عن أشياء صميمة ينبغي أن نوفر كل جهودنا للعمل في مجالها الحقيقي .

ومنها أن اللذة العقلية التي نحصلها من درس لغتنا لا تملأ بطن جائع واحد ، فلنتابع ركضنا على طريق الأمم ، ولنعرف جيدا أن تراثنا الذي نحرص عليه موجود (وعلى مستوى صوابي أروع) في اللغات الأوربية الأرقى ، فلا خوف من ضياع شيء ، إذا كان هناك أساسا ما يخاف عليه بالفعل .

ومنها أن الكساد المادي والمعنوي جميعا منوط بأولئك الذين يجهدون أنفسهم في دراسة اللغة العربية .. وإن الانفتاح والامتلاء جميعا منوطان بأولئك الذين يعملون في اللغات الأوربية الحية ، ودعونا من طفولة اللهث وراء (الوطنية) فإن الوطنية الحقة قائمة في المعاني لا في الألفاظ ، (أعني في صيانة حقوق الأفراد وأحكام العدل والتسوية والالتفات إلى الأمة ولغتها وعدم إعطاء خبز بنيها لغيرهم) . التنكيت والتبكيت ـ العدد الخامس ـ ١٨٨١ .

ويأتي ـ بعد حين ـ (عبد العزيز فهمي) لينوح على نفس اللحن الأساسي فيدعو إلى العدول الكامل عن الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني توخيا للسهولة المنشودة ، والأحكام الملائمة لحركة الفكر الحديث ، والاستغناء عن عبثية الضبط بالشكل إلى صوابية الضبط بالحروف .

ويشترك في هذه الدعوة ـ على مستويات متفاوتة ـ لفيف من الكتاب والأدباء والمفكرين ، من أمثال (قاسم أمين) و (لطفي السيد) و (بهي الدين بركات) .

ولكن (سلامة موسى) يلتقط هذا الخيط ، ويشن حملة ضارية على الحرف العربي ، ويؤكد أن من أفدح عناصر الجذب الورائي في تاريخ المنطقة هو رفضنا لاستعمال لغة حضارية حية ، واستمساكنا بأحافير لغة الصحراء والناقة والحجاب والدم والجنون ، إلى آخر هذه القائمة التي تصرخ بها كتابات (سلامة موسى) بلا ملل !!

وواضح هنا أن هذه الدعوة مؤسسة أكثر من سابقتها على منطق أكثر إحكاما وتركيزا ، إلا أن أصحابها قد نسوا بالفعل حقيقة أكثر صميمية . هي أن هذه اللغة العربية التي يدعون إلى الهجرة الكاملة من إطارها ، لا يمكن أن تكون هي المسئولة عن تخلف العالم العربي ، فهي نفس اللغة وقفت معطياتها الشكلية والمضمونية على قمة المد الحضاري أجيالا بلا تخلف ، وإذن فإمكان الفعل الحضاري مكنوز في أعماق هذه اللغة ، وهي فقط في انتظار الفرسان القادرين على تفجير هذه الامكانات ، والعصر المؤهل لتلقي هذا العطاء ، والبيئة المعاونة على تمديد حركة الفعل في شكل ظاهرة وليس في شكل مجرد انتفاض .

وليتنا نقرأ جيدا تاريخ هذه الحركات الهاجمة ، ليس لمجرد استيعابه فذلك أخف أنواعه ثقلا ، ولكن لتوجيه ردود فعلنا في هذا المجال .. إن الفكر اللغوي من وجهة منهجية (في هذه الدعوات) ربما لا يقدر على النهوض ، ولكن ربطه بمعاناة الانسان العربي ، وبكم التخلف الحضاري الذي نحياه وبكيفه ، وبالتوق المزعوم إلى مواكبة التطور التقني في هذا العالم اللاغط .. كل أولئك يعطي هذه الدعوات إمكان النفوذ إلى عناصر من أجيالنا الآنية ، ربما تكون مفتونة بحيوية المنطق الرابط بين اللغة والانسان ، وبجسارة الفكر العامل على تضوىء المسافة ـ حتى ولو بالحرائق ـ بين هموم التعبير اللغوي وهموم إنسان المرحلة !!

ثم يأتي من ينادي بتسكين أواخر الكلمات ، هروبا من صعوبة الضبط ، وانفلاتا من قوانين الحركة في اللغة .. وهي دعوة بائرة من أول الطريق ، لأنها انزلاق باللغة إلى مجاهيل الخلط بين الفاعلية التي تكون للفاعل ، والمفعولية التي تكون للقابل .. فإذا جاز أن يقال إن السياق قد يعطي نوعا من التحديد في هذا المجال ، فإن الأكثر جوازا كذلك أن يقال إن السياق قد لا يعطي أي نوع من التحديد .. ربما يعطي السياق تحديدا في حالة ما إذا كان الفاعل مذكرا والمفعول مؤنثا ، لدلالة الفعل على طبيعة الفاعل .. ولكن هذا السياق نفسه عاجز عن أي لون من التحديد في حالة ما إذا كان الفاعل والمفعول به من جنس واحد . لدلالة الفعل على طبيعتين متساويتين في وقت معا .. فإن قيل إن المقدم يبقى فاعلا والمؤخر يبقى مفعولا .. فإننا نقول : إن التضحية بواحدة من خصائص اللغة ، وهي هنا التقديم والتأخير ، في مقابل لا شيء ، أمر غير مقبول بالضرورة ، وهذا مثال تقريبي .. مجرد مثال !!

ـ ٥ ـ

هذه خلاصة موجزة لأشرس التحديات التي واجهتها اللغة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى الآن .. وهي تحديات قاسية من غير شك ، لأن تأسيسها على هذا النحو المنهجي المخادع يمكن أن يشد إليه كثيرا من اهتمامات أجيالنا الطالعة ، ومن هنا : فإن منطق المواجهة الذي ندعو إليه ، يرفض أن يملأ حنجرته بالزعيق الفارغ ، لأن الأجيال الطالعة تتحسس طرائقها بمزيد من الوعي الذي يتعشق الكلمة الهادئة ، والفكرة الناضجة ، والحوار المسلح بمنطق العصر وهمومه الهائلة .. لا يكفي أن نسود بياض الصفحات بوابل من الشتائم القارصة . وإنما ينبغي أن نتوجه أساسا إلى الفكر النقيض بمحاولة استيعاب أصوله وخصائصه وغاياته ، وتعرية ما في هذه الخصائص من تناقض وتشويه ، وإدانة ما في هذه الغايات من طوايا سيئة وعدوانيات حاقدة !!

إن قدرتنا على إدارة حوار نابغ ومنهجي هو تدليل أكاديمي غير مدفوع على اقتدار لغتنا العربية ، وتأبيها المستمر على كل محاولات الانتقاص .. إن علمية الحوار يعني علمية اللغة الحاضنة ، وحضارية المنطق تعني حضارية اللغة

الإطار ، وتعصير المقولات الجدلية حول أي من القضايا يعني اقتدار هذه اللغة على الهجرة الحية الفاعلة في ذاكرة كل العصور !!

أعلم أن رعيلا مخلصا وجادا من الغيورين على اللغة العربية قد تصدى لبعض هذه الدعوات ، ولكن ذلك أصبح الآن غير كاف بشكل يقيني ، لأن الذين يضربون العربية يطورون كل يوم من أسلحتهم ، ويختارون لذلك شكولا من الابداع لا تنحصر في مجرد الحوار الفكري الناهض على المقولة والسبب والنتيجة ، وإنما يصطنعون ألوانا من الفكر والفن ، ويعبئون هذه الألوان بما شاءوا ، بشكل مباشر مرة ، وبشكل رامز وإيمائي مرات ومرات .. ومن هنا تنبع ضرورة الاستنفار الجديد ، ليس على مستوى آحاد من رجال الفكر اللغوي والأدبي وحدهم ..وإنما على مستوى رعيل متكامل من رجال الفكر واللغة والأدب والفن والفلسفة والحضارة والاجتماع والنفس والدين .. وليت ذلك كله يكون من خلال تخطيط علمي قائم على منهج حقيقي ، يستقطب الظاهرة ، ويحللها ، ويردها إلى عناصرها الأولى ، ويقيم من مقولاته الدافعة شيئا يشبه النظرية المتكاملة التي تربط في جدلية علمية بين اللغة ، والأمة ، والتراث بأضلاعه المثلثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، والتي تجعل من حركة الحلول في اللغة بسماتها الخاصة وقوانينها الذاتية حلولا في التاريخ والحضارة ، والتي تصوب الفهم المغلوط في حتمية الربط الجدلي بين التخلف الآني وتخلف التفكير اللغوي ، ثم في الاصرار الركيك على أن أجرومية اللغة العربية باهظة التعقيد في غير طائل وبلا مبررات !!

إن الجهود التي ينبغي أن تبذل في هذا الصدد ، مدعوة بلا ملال إلى التزام روح المنهج العلمي ، وإلى تعقيل كل الأحاسيس في عالم يرفض أن يواجه قضاياه بمزيد من الضجيج العاطفي ، وهي مدعوة إلى الاطلال الحضاري على كل مقدماتها ونتائجها ، واضعة في حساباتها دائما أنها تخاطب عصرا له منطقه ، وأجيالا لها همومها ومقولاتها وطرائق تفكيرها جميعا .. إن ذلك وحده يكون كافيا بشكل يقيني لايجاد حركة فعل شاملة تضع اللغة على مستوى صميم مع حركة وجودها على الأرض ، حفاظا عليها ، وتأصيلا لها ، ومقاتلة تحت كل راياتها المنتصرة ، فمضمون العربية بالنسبة إلينا الآن ، ليس مجرد مضمون فني أو حتى فكري ، ولكنه مضمون عقيدي بالدرجة الأولى ، يمكن به أن نكون كل شيء في هذا الكون . ويمكن بغيره ـ لا قدر الله ـ أن نصبح قطيعا ضالا في فدافد التخليط حتى البوار !!

إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

الربانية

من أهداف

للاستاذ / عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

يقع في خاطري ان كل سورة من سور القرآن العظيم لها هدف تدور حوله ، وترمي اليه ، وتؤدي آياتها في جملتها الى تحقيق هذا الهدف ، فسورة البقرة عرضت في كثير من آياتها لفضيلة التقوى .. هادفة من وراء ذلك الى تحقيقها في الأفراد والمجتمعات ...

وسورة البقرة أول سورة مدنية ، وقد اعتنت ببناء النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للدولة الاسلامية الناشئة ، فكان لزاما ان يكون هذا البناء قائما على أساس راسخ من التقوى التي جعلها الاسلام هدفا من اهداف التربية الاسلامية ووسيلة ايضا لتحقيق أسمى الغايات ..

والتقوى هي التي تثمر المسلم الرباني ، وتخرج الفرد النوراني الذي تكون تصرفاته خالصة لوجه الله وحركاته وسكناته لله ، وفي سورة آل عمران أوصاف لهذا الانسان الرباني ، مما يؤكد الصلة الوثيقة بين السورتين (البقرة وآل عمران) من حيث ان كلتيهما تشير الى توثيق الصفة الايمانية وتحقيق صلة المؤمن بربه وتحدد شخصيته على أساس متين من الثقة المطلقة بالله والتفويض الكامل له حتى يتم بذلك الصفاء الروحي للانسان .

التربية الاسلامية

ذكر « الربانية » في السورة

لقد ورد في سورة آل عمران قوله تعالى (**ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحُكْمَ والنبوة ثم يقول للناس كونوا عِباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعلِّمُون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسُون**) آية رقم ٧٩

وورد قوله تعالى (**وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وَهَنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين**) آية رقم ١٤٦ .

وهاتان الآيتان تلقيان الضوء على صفة الرباني .

وقد فسّر المفسرون « الربانيين » بأنهم العلماء العاملون المنسوبون الى الرب بزيادة ألف ونون ، وهم الكاملون في العلم والعمل .

والربيون هم الربانيون العلماء الاتقياء العابدون لربهم ... وان كان بعض المفسرين يقول عن الربيين بأنهم الجماعات الكثيرة نسبة الى الربة وهي الجماعة ...

فالربانيون او الربيون هم المنسوبون الى الرب المتفرد بالجلال المتجلي بالكمال على عبادة المقربين وهم الذين اعطاهم الله حسن الفهم والتدبير مصداقا لقوله تعالى (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولو الألباب**) ص/ ٢٩

ونسبة العبد الى الرب تفيد زيادة القرب من الله بحيث تصبح حركاته وسكناته بالله ولله ، فما من تصرف منه الا وهو مبذول في ذات الله سبحانه وتعالى ليس لنفسه فيه نصيب . وصفة « الربانية » وان غلبت قبل الاسلام

على طائفة خاصة متفقهة من اهل الكتاب الا انها هدف سام جاء الأنبياء جميعا لتحقيقه في اتباعهم .

ذلك ان الرباني هو الانسان الإلهي الذي يرى بنور ربه ، الذي ورد في حقه الأثر الكريم : عبدي أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون ... وهو الذي ورد فيه الحديث الشريف : « ومايتقرب اليَّ عبدي بشيء أحب اليَّ مما افترضته عليه ، ومايزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وان سألني أعطيته ولئن استعاذ بي لأعيذنه » رواه البخاري عن أبي هريرة كما في رياض الصالحين ص/ ١٨١ .

وهو صاحب الفراسة الصادقة التي ورد فيها الأثر الكريم : اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله .. وهذه الصفة « صفة الربانية » تتحقق في الانسان بشروط يمكن استخلاصها من الآيتين الكريمتين ...

فالآية الأولى تجعل الربانية نتيجة لتعليم الكتاب ودراسته ، فإن فائدة التعليم والتعلم كما يقول البيضاوي - معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل .

والشرط على ذلك ان يكون الانسان هادفا من تعليمه ودراسته وجه الحق مخلصا لذات الله ولا عبرة بغير ذلك فكم من قارىء للكتاب ومعلم له غير مستنير باطنه بما يقرأ ويعلم ، ومثل هذا يدخل في نطاق قول الحق **(أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)** ص/ ٤٤ .

والآية الثانية تجعل علامات الربانية القوة في العقيدة والرسوخ في الايمان والثبات في مواطن اليأس والصبر على النوائب واللجوء الى الله في كل حال والاستعانة به في كل ملم ..

وقد حفلت سورة آل عمران بكثير من الاشارات التي توضح صفات الربانيين وعلاماتهم وهي وإن لم تنص صراحة على الربانية إلا أنها تشير ضمنا اليها وتدل عليها ..

صفات الربانيين

والانسان الرباني له صفات يعرف بها ويظهر أثرها في حياته بالتحقيق بها ، ولو تتبعنا سورة آل عمران لوجدنا هذه الصفات واضحة تمام الوضوح .

- فمن صفات الانسان الرباني التفويض الكامل لله ، وهذا التفويض يظهر في عدة مواقف .

١ يظهر في موقفه من الآيات المتشابهة ، فهو يفوض أمره الى الله ولايقحم نفسه فيما ليس له ولا يخرج عقله في أمور تتعلق بالله ، وهذا يعطيه رضا النفس وطمأنينة القلب ...

لقد أنزل الله بعض المتشابه من الآيات التي تخفى أسرارها على كثير من البشر فإقحام العقل في تلك المتشابهات ربما يترتب عليه مخالفة لما أراده الله منها ولذلك قال تعالى في شأن ذلك **(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم**

تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلا أولو الألباب) ثم يقول هؤلاء الموصوفون بصفة العقل **(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)** آل عمران ٧ / ٨

أثر التفويض

ان أجمل مايتسلح به المؤمن الرباني هو التفويض لله ، والتفويض هو الذي يفتح للانسان مغاليق الفكر ويعطيه مفاتيح الفهم ، فما عسر أمر يطلبه الانسان بربه وماتيسر أمر يطلبه الانسان بنفسه . ومن الأدعية المأثورة : اللهم لاتكلني الى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك .

وجاء في دعاء العبد الصالح مؤمن آل فرعون **(وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد)** غافر/ ٤٤ .

ان التفويض هو الذي يحمي الإنسان من الزيغ في العقيدة والفساد في الفهم ولذلك كان دعاء الربانيين « **ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا** » أي بعد الهداية الى الطريق السليم والتفويض الكريم

ومن تمام التفويض مايعلّمه القرآن لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتعليمه تعليم لنا - **(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب)** آية رقم ٢٦ / ٢٧ آل عمران .ولا يعترف ذلك الاعتراف اليقيني الا الرباني الذي أصبحت حركاته وسكناته لله ، وأقر بالربوبية الكاملة لمولاه لايشرك به أحدا ولايشهد في الملك سواه .. ولأن التفويض هو ثمرة الإيمان لفت الله جل وعلا اليه نظر العقلاء ، فقال « ومايذكّر إلا أولو الألباب ..

٢ ـ من صفات الربانيين التذكر :

وعلى ذلك فالتذكر من الصفات المثلى التي يتصف بها الربانيون ، وقرين التذكر التفكر الذي ورد في شأنه قوله تعالى في السورة نفسها **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)** ١٩٠ .

ثم وصف هؤلاء بقوله **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار.ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد)** آل عمران /١٩١ ـ ١٩٤ .

تضيف هذه الآيات الى صفات الربانيين مايأتي :

ـ الذكر الدائم الذي لاينقطع لله سبحانه وتعالى .
ـ التفكر في خلق السموات والارض الذي يثمر الإقرار الكامل بالربوبية لله والاعتراف بعظمته وقدرته .
ـ الخوف من العذاب والتعوذ منه والالتجاء الى الله للوقاية من شره .
ـ الاستجابة الكاملة لدعوة الأنبياء والمرسلين ومن يدعو بدعوتهم ويسير على نهجهم الى يوم الدين ..
ـ التشوق الى الجنة وما أعدّه الله فيها من ثواب عظيم ونعيم مقيم والتضرع الى الله بأن ينعم بها عليهم ..

٣ ـ الإخلاص

والرباني لايتخذ من دون الله وليا فولايته لله الحق ، فما بالك اذا كان هذا الولي من الكافرين . وهو مع المؤمنين صادق مخلص لا يتخذ من دونهم أولياء من الكافرين .
فالذي يؤثر الكافر على المؤمن انما هو منافق ، وقد حذر الله المؤمنين من النفاق تحذيرا شديدا ....
وتشير الآية الكريمة رقم ٢٨ في سورة آل عمران الى هذا المعنى قائلة **(لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دُونِ المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير)** .
وكررت السورة هذا المعنى في مكان آخر ، حيث يقول الله تعالى (**يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودّوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** ..) الى آخر تلك الآيات التي توضح صفات هؤلاء الأعداء الذين يظهرون النصح ويخفون العداء ، ولا يخفى ماوراء ذلك من أضرار شديدة على الأمة الاسلامية جمعاء ، والرباني حريص على سلامة أمته ناصح لها مجاهد في سبيلها عامل من أجل خيرها ورشادها . اقرأ ذلك في الآيات من رقم ١١٨ ـ ١٢٠ من السورة .

٤ ـ الاقتداء الكامل

والرباني كامل الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم شديد الحب له يؤثر سنته على كل شيء فذلك هو الطريق الذي يصله بحب الله (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل اطيعوا الله والرسول فإن تولوافإن الله لايحب الكافرين**) آل عمران ٣١ ـ ٣٢ .
وقد رسمت السورة الصورة الكاملة للإنسان الرباني ليكون قدوة طيبة لمن أراد ومثلا اعلى للمؤمنين ..
هذه الصورة تراها في « آل عمران » الذين سميت السورة باسمهم .. « **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** » ٣٣ ـ ٣٤ .
وقد عرضت السورة ألوانا من سلوك هذه الاسرة الربانية تدل على كمال الاخلاص لله وصدق اللجوء اليه والتوكل عليه والتفويض الكامل له ..
« **إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني**

نذرت لك مافي بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ٣٥-٣٦

فامرأة عمران تنذر مافي بطنها لله نذرا خالصا محررا من كل تكليف الا خدمة الله سبحانه وتعالى ونذر الابن له تضحية مابعدها تضحية ، والمعروف ان الابن احب شيء الى الوالدين وبخاصة الأم والانسان يفتدي ابنه بكل غال فمعنى تقديمه نذرا لله قمة التقرب الى الله والزلفى اليه وإيثار خدمة الله على خدمة النفس ورضاء الله على رضاء القلب .

وتنشأ مريم في طاعة الله وتصبح ربانية تلقي بكل قصدها الى الله وتكل أمورها كلها اليه ، وينبتها الله نباتا حسنا ويتقبلها قبولا حسنا « **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب** » ٣٧ .

لاغرابة في ذلك فالربانية وليدة الطاعة وهناك خبر يقول : « عبدي أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون » .

- ويرى زكريا عليه السلام تلك الكرامات الطيبة فيهتف بربه راجيا ان يهبه الذرية الطيبة .. « **ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء** » ٣٨ .

ويمن الله عليه بيحيى ، كما يمن على مريم بعيسى وكلاهما نبي كريم من نتاج تلك الأسرة الربانية الخالصة لله ...

أمثلة مضادة للربانية :

وتمضي السورة لتقدم لنا الصورة المشرقة للانسان الرباني ، وهي في خلال ذلك أيضا تلقى الضوء على الصورة المضادة لها لنتفاداها ونحذرها .

● - ومن أمثلة الصور المضادة هؤلاء الكفار الذين لاتغني عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئا وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم .

● - وهؤلاء الذين أغرتهم زخارف الدنيا الباطلة وشهوتها الزائلة من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث وغفلوا عن متاع الجنة الباقي الذي أعده الله للمتقين . اقرأ ذلك في سورة آل عمران الآيات من السورة رقم ١٠ / ١٧ .

● - - والمضللون من أهل الكتاب الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس .

● - والذين يرفضون التحاكم الى كتاب الله ويغترون بما يفترونه في دينهم . اقرأ الايات من ٢٠ / ٢٥

● - وكذلك الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون الذين يقولون آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار و كفروا آخره ، الذين يشترون بعهد الله

وأيمانهم ثمنا قليلا الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ..

نرى بيانا واضح المعالم لتلك الشخصيات في الآيات من ٦٩ الى ٧٨ في السورة وفي غير ذلك يحذر المسلمين من أن يقتدوا بهؤلاء الضالين المضلين ..

« **ياايها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** » ١٠٠ آل عمران وحتى لايطلق الحكم على جميع أهل الكتاب ، فقد اوضحت السورة انه ليس كل اهل الكتاب سواء ، فمنهم ربانيون تتضح صفاتهم فيما يأتي :

(من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . ومايفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) ١١٣ - ١١٥ .

وتظهر ايضا في نهاية السورة حيث يقول تعالى **(وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) ١٩٩**

٥ ـ صفات أخرى للربانية :

أضافت السورة خطوطا أخرى تزيد معالم الانسان الرباني وضوحا وتطلب الى المسلمين المسارعة في التحقيق بهذه الصورة . اقرأ قوله تعالى (**يأيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تُقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) ١٠٢ / ١٠٤ .

فحق التقوى يؤدى الى الربانية المشرقة التي تعصم من الزلل وتحقق الصفاء الروحي ، وفي الوحدة اعتصام بحبل الله المتين ، وبدون التمسك بالوحدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنتفي الخيرية التي قررها الله لهذه الأمة « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** »آل عمران / ١١٠ .

ثم اقرأ قوله تعالى (**وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين . الذين ينفقون في السرّاء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين .**

والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) ١٣٣ - ١٣٥ .

ولاتكتمل صورة الرباني الا بهذه الصفات الكريمة ، لعل الله يريد أن يضع أمام الناس علامات واضحة يعرف بها الرباني من غيره .. وهي صفات اذا تحققت في إنسان سمت به الى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة « **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** » ١٣٦ .

٦ - الجهاد والاستشهاد :

والجهاد في سبيل الله هو قمة القمم التي يطمح اليها الانسان الرباني .. لذلك أرعت السورة الأنظار الى موقف المؤمنين في معركة من أهم المعارك التي خاضوها هي معركة أحد .. هذه المعركة التي ميزت بين المؤمنين حقا وبين غيرهم .. هي التي فصلت بين الصادقين الذين باعوا نفوسهم لله وبين المدّعين المتخاذلين الذين وهنت عزائمهم والذين انكشفت نياتهم والذين خذلوا المسلمين فلم يخرجوا معهم .. ان صدق العزيمة والجهاد والاستشهاد في سبيل الحق من معالم الربانيين الذين قال الله فيهم « **وماكان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين** » آل عمران ١٤٧ / ١٤٨ .

ان اعظم منزلة هي منزلة الشهيد الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم « تضمن الله لمن خرج في سبيله لايخرجه إلا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما كَلْمٌ يُكْلَمُ في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِمْ لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان أشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة ويشق فأحملهم ولايجدون سعة عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » رواه مسلم وروى البخاري بعضه عن ابي هريرة - كما في رياض الصالحين ..

ومن أجل ذلك أثنت السورة على الشهداء وقالت في حقهم « **ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون** » ١٦٩ - ١٧٠

لقد كانت موقعة أحد ميزانا وزن إيمان الناس فأظهر الرباني من غيره ، ولذلك عرضت السورة وقائع

هذه المعركة عرضا يتناول أبعادها ونتائجها ويثني على الصابرين والمجاهدين والمستشهدين ويخص بالذكر هؤلاء الذين لم تثنهم نتيجة المعركة عن الخروج مرة أخرى الى عدوهم على الرغم من جراحهم وقد بلغهم انه يعسكر في حمراء الأسد .. فكان لخروجهم وهم على حالتهم تلك أثر كبير في بثّ الرعب في صفوف أعدائهم فتفرقوا وعادواالى مكة ..

أثنت عليهم السورة قائلة في حقهم « **الذين استجابوا لله والرسول من بعدما مـاأصابهم القـرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضـل عظيم** » آل عمران ١٧٢ / ١٧٤ .

وبعد ، **فهذه** بعض ملامح الصورة الربانية التي عرضتها سورة آل عمران ، ولئن وردت كلمة الربانيين والربيين مرة واحدة لكل منهما ، إلا أن ذكرهما في سياقهما يشير الى أنهما هدف عام ينبغي تحققه في نفس كل مؤمن ، فلم يجيء الاسلام إلا لرفع شأن هذه الأمة الى أعلى منزلة هي جديرة بها ، والا فَلِمَ كانت لها هذه الخيرية ؟ وصفت بها في السورة نفسها حيث يقول الله تعالى « **كنتم خير أمّةٍ أخرجت للناس تأمرون بـالمعـروف وتنهـون عن المنكـر وتؤمنون الله** » ١١٠ وبيّنَ أن هذه مزية الأمة الاسلامية لأنَ الخيرية انتفت عن الأمم الأخرى بنص قوله تعالى « **ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم** » أي ولو آمنوا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم » .

واستحقت الأمـة الاسـلاميـة الخيرية ـ مع أمرها بالمعروف والنهي عن المنكر ـ بالايمان بالله ، وأخّر بعدهما وحقّه أن يُقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيمانا بالله وتصديقا به وإظهارا لدينه .. هـذا ماذكـره البيضاوي في تفسيره .

وقد تضافرت الصفات المثلى التي وردت في السورة وأشرت اليها في هذا الحديث الى الدعوة الى الربانية ، فلن ينسب **الله الى حضرته** إلا كل من تحققت فيه هذه الصفات ..

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .. الآية / ٨ من سورة آل عمران .



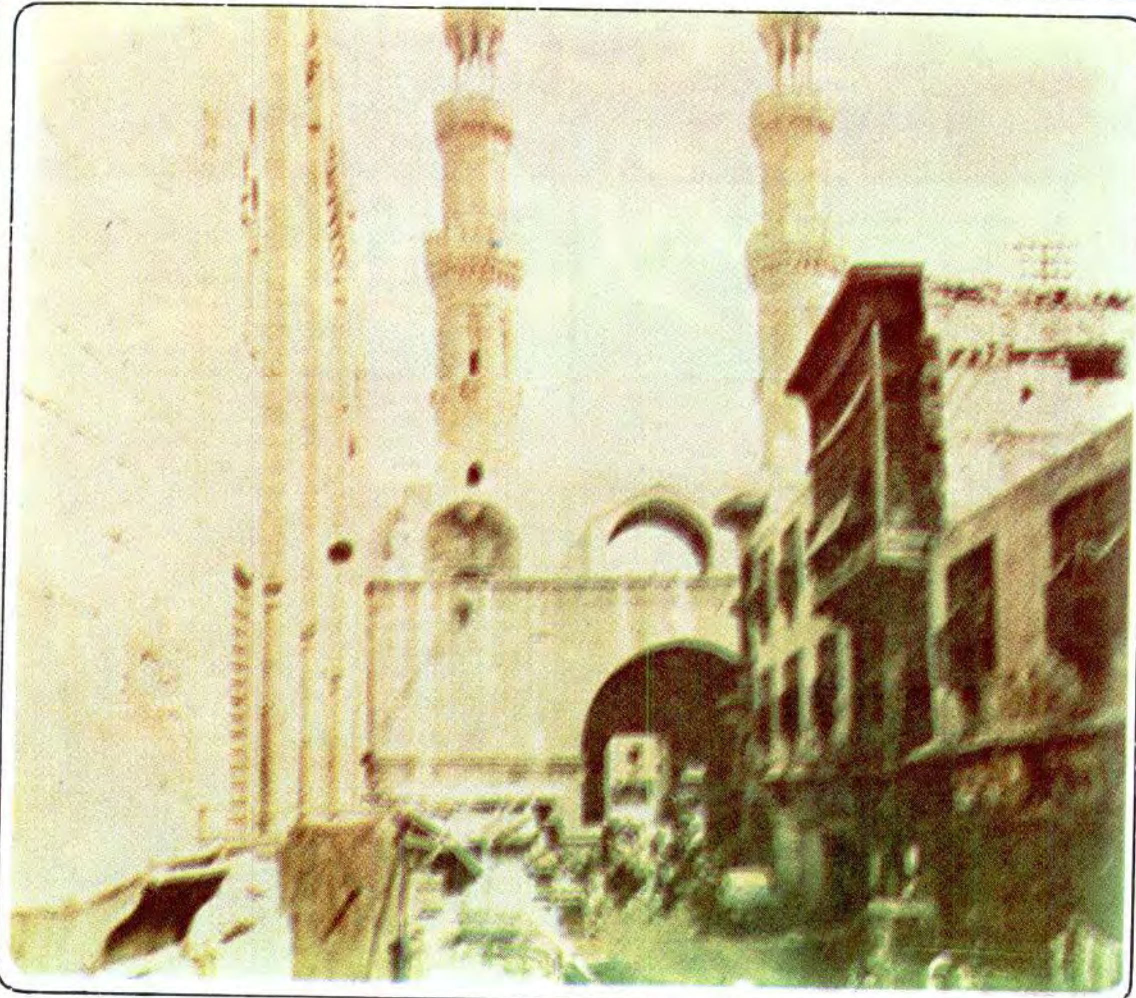
العمارة الإسلامية

ملامح لبعض المدن العربية القديمة

للاستاذ / محمد ابراهيم الصبيحي

« بنى العرب كثيرا من المدن الهامة التي لازالت قائمة حتى اليوم ، وعمروا مدنا أخرى ورفعوها كلها الى مصاف العواصم العالمية . وتناثرت المدن العربية في الوطن الاسلامي شرقا وغربا تزينها القصور الضخمة ، فكانت أمثلة ناطقة لتقدم العمارة المدنية عند العرب . »

كتب ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع العربي في مقدمته المشهورة عن الشروط التي يجب أن تتوافر في المدينة عند بنائها فقال تحت عنوان (باب ما يجب مراعاته في أوضاع المدن : « يجب عند اختيار موضع مدينة مراعاة طيب هوائها ، فإن الهواء إذا كان راكدا أو مجاورا للمياه الفاسدة أو المنافع المتعفنة أو المروج الخبيثة أسرع اليه العفن ، فأسرع المرض للانسان والحيوان معا ، وتفشت الحميات كما أن قرب المدينة من الزرع يمكن الناس من الحصول على الأقوات ، وقربها من البحر



○ باب زويلة . القاهرة

يساعدهم على الحصول على حاجتهم من البلاد النائية ، كما يجب أن تحاط المدينة بالأسوار . وأن تبنى إما على هضبة مرتفعة أو باستواء بحر أو نهر بها حتى لا يصل العدو إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة » .

وهذه الشروط التي أوردها ابن خلدون رغم أنها وردت متأخرة إلا أن العرب قد حرصوا فعلا على تحقيق أغلبها أو بعضها في كل مدينة قاموا ببنائها .

وقد عمل العرب على تزويد كل مدينة بحاجتها من المرافق العامة ، فبنوا بها المساجد ، وأقاموا الميادين الرحبة ، وشقوا الطرق المعبدة ، وأنشأوا المتنزهات ، ونظموا الأسواق ، وأكثروا من الحمامات العامة .

ولا شك أن حرص العرب على إنشاء الحمامات دليل على اهتمام العرب كشعب بالنظافة وحرصهم عليها .

وقد عالج العرب في قصورهم وبيوتهم مشكلة ازدياد حدة الحر في فصل الصيف وتغلبوا عليها بطريقة غاية في البساطة ، تهدف إلى تكييف الهواء بالمعنى المعروف اليوم ، ذلك

أنهم كانوا يثبتون قطعا من الخيش المبلل بالماء بحذاء فتحات الأبواب والنوافذ ، فإذا اندفع الهواء الحار الى الداخل تأثر برطوبة الماء وأصبح باردا منعشا ، كما لجأ البعض إلى تثبيت مروحة كبيرة في سقف الحجرة يتدلى منها حبل ، ثم ترش المروحة بالماء المخلوط برائحة طيبة كماء الورد فإذا أراد الجالسون هواء رطبا زكيا فما عليهم إلا أن يجذبوا الحبل فتتحرك المروحة دافعة الهواء البارد المعطر نحوهم .

وتغلب العرب على ظاهرة تراكم مياه الأمطار ، عند اشتدادها فوق أسطح بيوتهم ، فأدخلوا نظام الأسطح المسنمة أي المحدبة على غرار البيوت الأوربية الحالية ونجحوا بذلك في التغلب على هذه المشكلة .

وفيما يلي نستعرض عددا من المدن العربية التي أنشأها العرب .

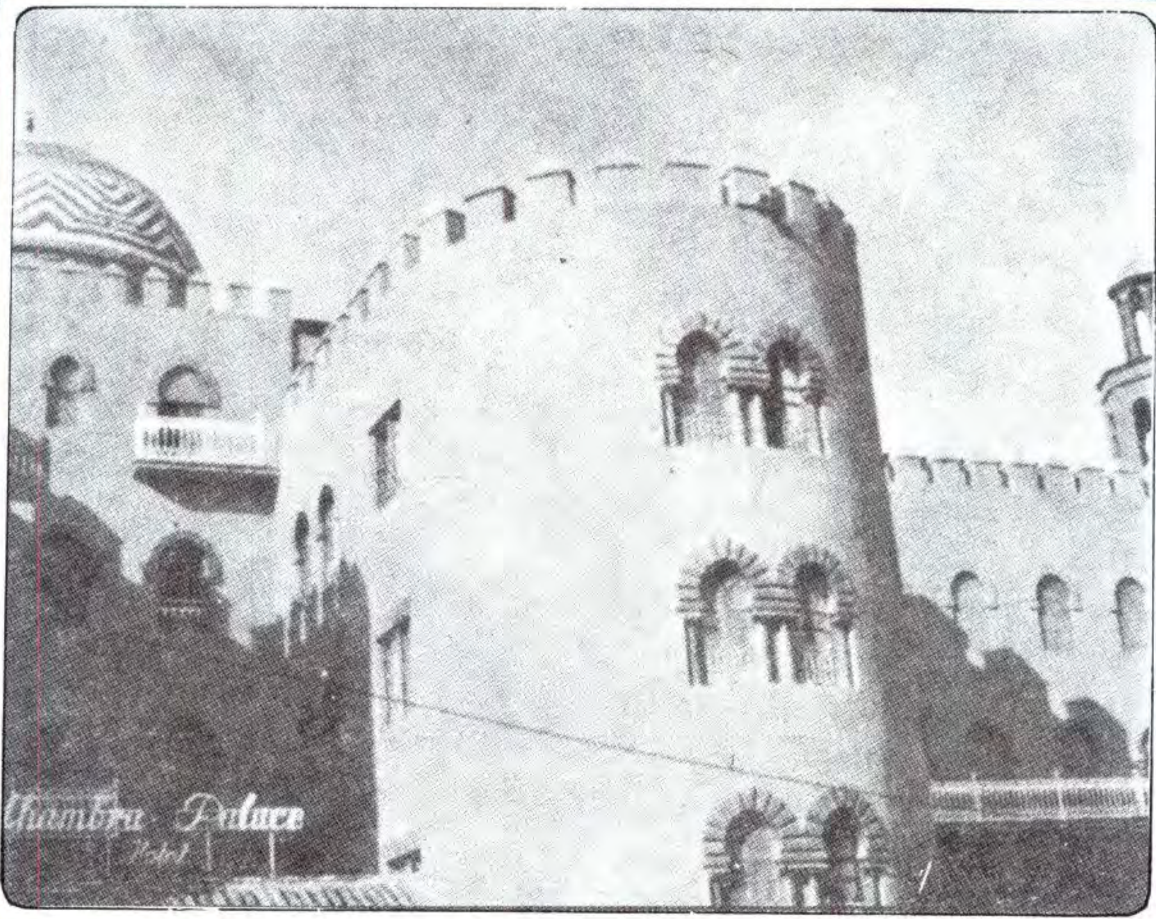
البصرة : في عهد عمر بن الخطاب وفي عام ١٦ هـ ـ اختط عتبة ابن غزوان مدينة جديدة تنزل فيها القبائل العربية التي نزحت الى العراق ، واختار المكان الحالي ، الذي تقع فيه مدينة البصرة ، وقد راعى عتبة عند اختيار هذا الموقع توافر الهواء النقي والكلأ الوفير والمراعي الغنية وامتداد الفضاء الرحيب وقد أقر الخليفة عمر هذا المكان بعد أن علم أن هذا الموقع لا يحول بينه وبين المسلمين بحر أو عائق يعرقل إمداد المدينة الجديدة وسكانها المسلمين بالجند إذا لزم الأمر .

وقد بدأ عتبة بإنشاء المسجد ودار الامارة ثم ترك لكل قبيلة حرية بناء خطة لها فأقبلت القبائل على بناء دورها من الغاب ثم بالآجر والحجارة بعد ذلك ، وقد تعددت الخطط والمساجد في المدينة واستفحل العمران بها واتسع كما تعددت المصانع والحوانيت بمرور الوقت بهذه المدينة .

وقد تبوأت البصرة المركز الأول في التجارة في هذه المنطقة بسرعة فربطت الهند والصين بالعراق ، وربطت العراق بالمغرب ، وقصدتها القوافل القادمة من كل صوب ، وحطت فيها السفن رحالها وأثقالها ، وحملت منها المتاجر والبضائع حتى أصبحت في العصر العباسي الأول من أهم المراكز التجارية في الدولة كلها ، ولقبت « بباب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع والسلع من أطراف الدنيا » وأطلق عليها عمراسم قبة السلام وأصبحت واسطة العرب والعجم .

الكوفة :

ما كادت القبائل العربية النازحة من قلب الجزيرة العربية تستقر في البصرة وتمضي فيها بعض الوقت حتى تبينت في جو هذه المدينة الوليدة تشبعا بالرطوبة لوقوعها على نهر دجلة ولكثرة المستنقعات المجاورة للمدينة فضايقتهم هذه الرطوبة لتعودهم على حياة البادية بهوائها الجاف ، ورغب



○ مسجد تحول الى فندق في قرطبة

بعضهم في البحث عن مكان آخر يتخذونه بديلا عن البصرة ويكون بعيدا عن المستنقعات والهواء المشبع بالرطوبة فأخذ سعد بن أبي وقاص يبحث مع رجاله عن موقع مناسب ويتفق مع رغبتهم ، وكان أن وقع اختيارهم على مكان قرب الحيرة غربي نهر الفرات وبدأ العمل في بناء مدينة جديدة قدر لها أن تولد في نفس الوقت الذي كانت فيه شقيقتها البصـرة تستكمل ملامحها فقد بدأت القبائل العربية تضع أساس المدينة الجديدة عام ١٧ هـ وبنى الجنود خططا لهم على غرار تلك التي بنيت أو التي كانت لا تزال تبنى في البصرة أي من الغاب في أول الأمر ، وقد وقع حادث لهذه الخطط تسبب في تدميرها عن آخرها بسبب التهام النيران لها فعاد الجند يبنون خططهم من جديد ، ولكن باللبن والآجر وفي قلب المدينة تماما كان مسجد الكوفة ودار إمارتها يرتفعان حتى يكونا مقصدا سهلا لكل فرد من السكان .

وقد أعجب على بن أبي طالب بهذه المدينة وأنس من أهلها ميلا إليه ، فاتخذ منها مقرا لخلافته وعاصمة لحكمـه ، وأصبحـت بـانتقـالـه إليهاحاضرة الدولة الاسلاميـة في عهده .

وتميزت الكوفـة بطيب هوائهـا

واتساع طرقاتها وخصوبة أرضها وكثرة خيراتها وسهولة مواصلاتها بالعالم الخارجي .

الفسطاط :

الفسطاط كلمة مشتقة من لفظ fassatum اللاتيني ومعناه المدينة العسكرية أو المعسكر المحيط بخندق لحمايته من المغيرين ، وقد احتفظ العرب بهذا الاسم حين فكروا في اتخاذ مدينة لهم تصبح عاصمة لمصر بعد أن فتحها عمرو بن العاص ، ولاختيار هذا المكان قصة فقد كانت الاسكندرية هي العاصمة القديمة لمصر في عهد الدولة البيزنطية قبل الفتح العربي ولما كانت هذه المدينة الساحلية بعيدة عن قلب الدولة وكانت مهددة في نفس الوقت بإغارات أسطول البيزنطيين عليها فقد رأى عمرو أن يستأذن الخليفة عمر بن الخطاب أولا قبل اتخاذها عاصمة لمصر الاسلامية ، فأوفد إليه رسولا يلتمس الرأي عنده فسأله الخليفة عمر : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء »٣ » فقال : « نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل » . فرفض عمر اتخاذ الاسكندرية عاصمة للدولة ، وكتب إلى عمرو بن العاص والى مصر وقائد الجيش العربي بها يقول :

« إني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء أو صيف فلا تجعلوا بيني وبينكم ماء فمتى أردت أن أركب راحلتي إليكم حتى أقدم عليكم قدمت » .

واقتنع عمرو بوجهة نظر الخليفة وأخذ يفكر في اختيار مكان آخر يصلح لانشاء عاصمة ينطبق عليها شرط الخليفة وهداه البحث إلى اختيار مكان مناسب يقع عند رأس الدلتا قرب حصن بابليون ويشغل المنطقة الواقعة بين النيل وجبل المقطم تحفها الأشجار والنخيل والكروم من الشمال والشرق .

وللمرة الثانية أرسل يستأذن عمر فأذن له .

وبدأت كل فئة من فئات الجيش تبني خطة لها في المدينة ، وعرف كل قسم منها باسم قائد أو قبيلة ومن الاسماء العربية للقبائل التي أسهمت في عملية بناء الفسطاط قبائل بني تميم وبني عقبة وبني وائل وغيرها ، ووضع أساس جامع عمرو ٢١ هـ وكان أول مسجد يقام في مصر ، ونمت المدينة بسرعة واتسعت رقعتها ، وكان لسهولة الاتصال بينها وبين الجزيرة العربية من ناحية ثم لوقوعها بين الوجهين البحري والقبلي أثره في ازدهار العاصمة الجديدة خاصة بعد أن عمل عمرو على تجديد وتعميق المجرى المائي الذي كان يربط نهر النيل بالبحر الأحمر عند السويس « القلزم » وأطلق عليه اسم خليج أمير المؤمنين ، مما ساعد على توثيق الصلة وتيسير المواصلات بين مصر والحجاز كما كان عاملا هاما من عوامل تنشيط التجارة بينهما .

وظلت الفسطاط عاصمة لمصر حتى تم بناء مدينة العسكر ١٣٢ هـ فحلت محلها .

دمشق :

لم تكن دمشق من المدن التي بناها العرب فدمشق مدينة عريقة في القدم كانت مقرا للحاكم البيزنطي إبان الفترة التي خضعت فيها الشام للدولة البيزنطية فلما تمكن المسلمون من فتح الشام عهد إلى معاوية بن أبي سفيان بحكمها ، فلما ولي معاوية امر الشام اتخذ من دمشق عاصمة للولاية العربية الاسلامية الجديدة ، ثم أصبحت حاضرة الدولة الأموية بعد ذلك نظرا للفترة الطويلة التي أمضاها معاوية في حكم الشام ، فأحب أهلها وأحبوه وأصبحوا له بمثابة عصبية يعتز بها فآثر أن ينقل عاصمة الدولة الاسلامية كلها في عهد الأمويين إلى دمشق .

وارتفعت دمشق في سنوات معدودة إلى مصاف العواصم العالمية ، وتضاعف فيها العمران وسرعان ما ظهرت فيها القصور الضخمة والمباني الجميلة ، وكان الطراز العربي يغلب على طابع البناء والزخرفة والأثاث .

كما تعددت المساجد والحمامات والحوانيت في المدينة ، أما بيوت العامة فقد بقيت على طرازها القديم ، ولكن كان يلحق بأغلبها حدائق صغيرة تزرع فيها الزهور وأشجار البرتقال والليمون ، ويمتد إلى داخل كل دار جدول من الماء الجاري ، إذ أن الأمويين عملوا على توفير الماء لكل بيت في دمشق فشقوا عددا من الروافد لنقل الماء إليها .

وقد أولى الوليد عاصمته مزيدا من عنايته .

وكانت دمشق تتميز بأسوارها المنيعة ذات الأبراج العالية ولها ستة أبواب ، هي الباب الشرقي ، وباب توما ، وباب الجابية ، والباب الصغير ، باب الفراديس ، والباب المسدود كما تميزت دمشق بأسواقها المغطاة في شارع طويل ، تمتد على جانبيه الحوانيت التي تبيع مختلف السلع وتخلق حركة اقتصادية دائبة ، وهو المعروف اليوم بسوق الحميدية .

قرطبة :

وتقع على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير في أسبانيا اتخذها عبد الرحمن الناصر « الأول » عاصمة لامارته بعد أن وطد نفوذه في بلاد الأندلس وبنى بها مسجد قرطبة الجامع كما بنى بها قصر الحكم .

وسرعان ما ازدهرت المدينة واتسع العمران بها حتى بلغ عدد سكانها في منتصف القرن الرابع الهجري نصف مليون نسمة كما بلغ عدد الدور بها أكثر من ١٣,٠٠٠ دار عدا القصور التي جملتها وأشهرها قصر الزهراء هذا إلى جانب الحمامات الجميلة التي بلغ عددها أكثر من ثلاثمائة حمام .

وكان يحيط بها ويتخللها عدد كبير من البساتين المثمرة التي جلبت إليها أنواع النباتات والأشجار النادرة من شتى أنحاء العالم ، وكانت بعض القصور تخصص جانبا كبيرا من مساحتها لزراعة هذه الأشجار المثمرة ونباتات الزينة ، مما يضفي عليها جمالا ومنها قصور الروضة والزهر

والرشيق والسرور والتاج والبديع والرصافة والمعشوق وغيرها من القصور التي كانت تجمل المدينة وتضفي عليها من روعتها وفنها الشيء الكثير .

وقد أسهم هشام بن عبد الرحمن في تجديد المدينة وتنظيمها وتجميلها ، فجمل قصر قرطبة القديم واتخذه مقرا لامارته ومدها بقنوات من الرصاص من الجبال القريبة ، وأنشأ الصهاريج الضخمة والبرك البديعة وأحواض الرخام المزينة بتماثيل مختلفة الأشكال مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس مما أكسبها جمالا فريدا وعمرت المدينة بالسكان حتى أصبح عددهم نحو مليون مواطن .

وقد أشاد الشعراء بعظمة هذه المدينة وأطلقوا عليها اسم « جوهرة العالم » كما اشتهرت بجامعاتها التي كان يفد إليها الطلاب من أنحاء أوربا وكان من أساتذة هذه الجامعات الفيلسوف ابن رشد والطبيب ابن زهر والأديب ابن زيدون والفقيه ابن حزم وعشرات غيرهم .

بغداد :

« بغداد » كلمة فارسية معناها بالعربية « هبة من الله » وكانت تطلق على بلد ساساني قديم يقال له بغداد يقع على شاطىء نهر دجلة الغربي فلما وقع اختيار الخليفة العباسي المنصور عام ١٤٥ هـ - على هذا الموقع ليكون مكانا يبني فيه عاصمة دولته الجديدة آثر الاحتفاظ بهذا الاسم .

وتتميز بغداد بقربها من فارس معقل أنصار العباسيين وموطنهم ، لهذا رغب المنصور في أن يكون قريبا منهم ، كما عرفت هذه المنطقة إلى جانب ذلك بطيب هوائها ووفرة خيراتها وجودة زراعتها وجريان ماء نهرها وسهولة مواصلاتها مع المشرق والمغرب ومع الشمال والجنوب على السواء

وفي هذا يروي عن المنصور قوله عندما اختار هذا المكان : « ستكون هذه العاصمة الجديدة مشرعة للدنيا كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والاهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بها فإليها يرد كذلك كل ما يأتي من الموصل وأرمنيا وما تحمله السفن في دجلة وما يأتي من ديار مصر والرقة والشام والمغرب ايحط فيها وينزل

فالحمد لله الذي ادخرها لي وأغفل عنها كل من تقدمني والله لأبنينها ثم أسكنها أيام حياتي ويسكنها ولدي من بعدي ثم لتكونن أعمر مدينة في الأرض »

وبدأ المنصور العمل فاستعان بنحو مائة ألف مهندس وعامل من الممتازين في مختلف فروع العمارة من بناء ونجارة وحدادة وزخرفة .

ولم يشأ الخليفة العباسي أن يأمرهم بالبناء فورا كما يفعل غيره ، بل عمد الى فكرة عجيبة ونفذها ، ذلك أنه أمرهم بتخطيط المدينة بالرماد بيوتها وطرقها وميادينها ، وبعد أن دخلها من الأبواب المخططة بالرماد على الأرض وتجول في طرقاتها ، أمر



○ الباب الوسطاني الوحيد الباقي من ابواب بغداد

العمال بحفر الاساس .

وقد جعلها المنصور دائرية الشكل واتخذ داره وجامعه في قلب الدائرة تماما وبني بجوارها دارا للحرس ودورا للدواوين الحكومية هذا إلى جانب المنازل التي بنيت لاولاده وكبار رجال الدولة من أمراء وموظفين ، ثم يلي ذلك دور للأهالي التي أخذت كلها طابعا واحدا يغلب عليه البساطة تتخللها أسواق المدينة .

وبني سورا للمدينة عرضه من أسفل خمسون ذراعا ومن أعلى عشرون ذراعا ، ثم تبعه بسور آخر خارجي زيادة في الحيطة ولاكساب المدينة منعة ضد أي اعتداء أو هجوم خارجي يتهددها ، وقد بلغ ارتفاع هذا السور الخارجي ثلاثين ذراعا وكان عرضه هو نفس عرض السور الداخلي وقد زود بعدد من الأبراج .

وقد تخلل هذا السور الخارجي أبواب أربعة هي : باب الكوفة ، باب البصرة ، باب الشام ، باب خراسان .

وسرعان ما ازدهرت المدينة الجديدة وعمرت بسكانها المتزايدين الذين بلغوا في عهد الرشيد نحو مليوني نسمة اشتغل عدد كبير منهم بالتجارة التي انتعشت بسبب ما كان يرد إليها من بضائع من مختلف أنحاء العالم ، فأصبحت بغداد مدينة تجارية من الطراز الأول بين مدن العالم أجمع ، ففي أسواقها كانت

تتوافر أنواع الحرير والخزف والمسك والورق من الصين ، والطيب والأصباغ والمعادن من جزر الهند الشرقية ، والعاج من أفريقيا ، والمنسوجات والفراء الثمين من روسيا ، فكانت المدينة تستهلك من البضائع ما تحتاج إليه وتصدر الباقي للدول الأخرى .

وكانت دائما تموج بالحركة والنشاط وقد أفرد لكل حرفة سوق خاص ، فهناك سوق للصناع والتجارة ، وآخر للحدادين وثالث للنجارين ، وكذلك الحال بالنسبة للبزازين والعطارين والقصابين والرباحين وغيرهم .

ولم تأل الدولة جهدا في توفير أسباب الراحة لهم فبلغ مقدار ما أنفق على بناء المدينة نحو ثمانية عشر مليونا من الدينارات أي ما يقرب من تسعة ملايين جنيه مصري وأنفق جانب كبير منها على قصر الذهب الذي بلغت مساحته ١٦٠٫٠٠٠ ذراع ، وقد أنشىء قصر الخلد أيضا لكي يخلد إليه الخليفة إذا رغب في الهدوء والعزلة ، وكان يقع في أطراف المدينة ، هذا عدا مئات الحمامات التي انتشرت في أنحاء المدينة .

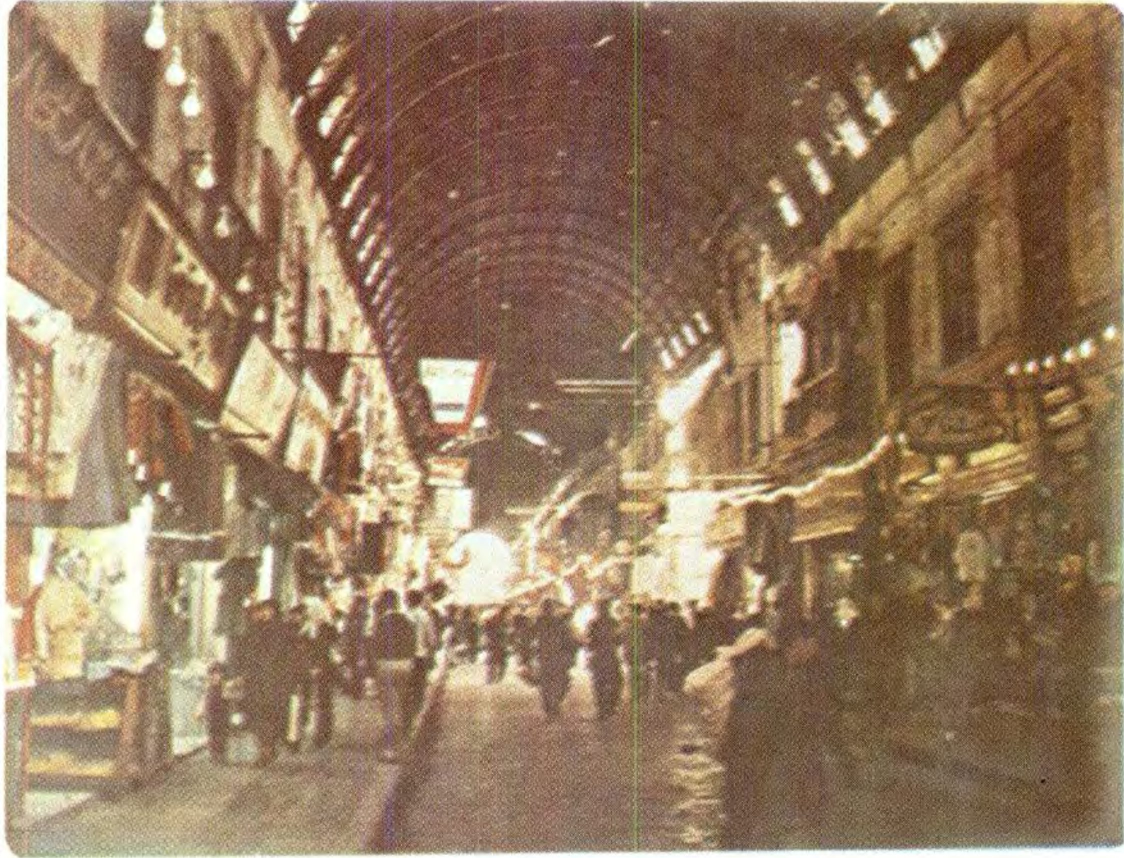
وكان هناك جهاز بشري ضخم مهمته تنظيف المدينة كل يوم وحمل القاذورات من الطرقات إلى خارج المدينة .

فكانت بغداد بحق أضخم مدن العالم تعد مركز اشعاع علمي وثقافي وفني ، امتد إلى كافة جنبات العالم الاسلامي دون استثناء ، وظلت لؤلؤة متألقة حتى داهمها (هولاكو) عام ١٦٥٦ هـ في غزواته البربرية فدخلها ودمرها وأحرقها في وحشية ليقضي على كل معالم الحضارة - بل والحياة في المدينة الجميلة المسالمة .

في ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ - وفي مكان يقع شمال الفسطاط وعلى بعد ثلاثين مترا شرقي مجرى خليج أمير المؤمنين أخذت المعاول تحفر الأرض لتضع أساس مدينة جديدة أطلق عليها اسم القاهرة لتكون عاصمة لدولة الفاطميين .

وكان جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي أول الخلفاء الفاطميين في مصر قد زحف من شمال إفريقيا نحو مصر قاصدا فتحها ينطلق منها نحو الشرق لتحقيق أطماع توسعية أكثر من ذلك ، فلما تحقق لجوهر غرضه ودخل الفسطاط والعسكر لم يشأ اتخاذ إحدى هاتين المدينتين لتكون عاصمة لدولته ، فكان أن بدأ في تأسيس القاهرة لتكون حاضرة للفاطميين ، وقد اختار باختيار هذا الموقع مكانا حصينا يصلح لصد هجمات القرامطة الذين كانوا يهددون حدود مصر الشمالية الشرقية إذ ذاك .

وكان جوهر يريد إطلاق اسم المنصورية على هذه المدينة الوليدة ، وذلك نسبة إلى المنصور والد المعز ، لدين الله ، ولكن المعز هو الذي اختار لها هذا الاسم ، وظلت القاهرة تحمل



○ سوق الحميدية . دمشق

اسمها تعتز به زهاء ألف عام وما تزال تتسع وتتضخم وتزدهر يوما بعد يوم. وكما هي العادة المتبعة في ذلك الوقت في بناء المدن أخذت كل قبيلة من القبائل البربرية القادمة من شمال إفريقيا مع جيش جوهر تختط لنفسها خطة عرفت كل منها باسم القبيلة التي ستقطنها.

وكانت مساحة المنطقة التي اختارها جوهر محدودة أول الأمر أخذت شكل مربع لا تزيد مساحته عن ٣٤٠ فدانا، يتوسطها قصر الخليفة المعز المسمى بالقصر المعزي أو القصر الكبير، وقد بلغت مساحة هذا القصر وحده سبعين فدانا وكان مخصصا لسكن الخليفة المعز وحاشيته، وإلى غربه أنشأ الخليفة العزيز القصر الغربي.

وإلى جانب ذلك كله كان بستان الكافوري الملحق بالقصر الكبير يشغل وحده ٣٥ فدانا ويزرع بشتى أنواع الفاكهة والأشجار المثمرة المزهرة، ثم تتناثر الدواوين الحكومية وخزائن السلاح والجند وثكنات عسكرية وعدد من المساجد الهامة على رأسها الجامع الأزهر. ثم عدد من المساجد منها مسجد الحاكم والأقمر والصالح، وكان العمران ينمو ويتسع يوما بعد يوم فتعددت الدور والمباني كل منها يخدم غرضا عاما يؤدي

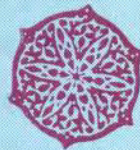
خدمة للشعب ، فبنوا دارا للضيافة ودارا للوزارة ودارا لصك النقود وخزانة للكتب ودارا للعلم كانت تضم آلاف المجلدات في كل علم وفن ، وتفتح أبوابها لكل راغب ، وتقدم إمكانياتها دون مقابل .

وشغلت القاهرة في أول عهدها الأحياء التي تعرف الآن باسم الأزهر وباب الخلق والموسكي وباب الشعرية والجمالية والغورية ثم أقيم حولها سور كبير جعل فيه أربعة أبواب هي باب النصر ويقع في الشمال وباب زويلة في الجنوب وباب البرقة شرقا وباب الفتوح غربا .

وكان هذا السور الذي بناه جوهر الصقلي أيضا من اللبن ضخما سميكا بحيث كان يمكن لفارسين أن يسيرا على قمته جنبا إلى جنب بجواديهما في سهوله تامة ، وقد حفر حوله خندقا عميقا بلغ اتساعه ستة أمتار بقصد صد هجمات القرامطة أو أي عدو مهاجم .

ولكن لما تهدم جزء من هذا السور أمر بدر الجمالي وزير المستنصر الفاطمي بهدمه بعد أن لمس ضعفه وعدم احتماله وأعاد بناء السور من جديد ٤٦٥ هـ - وأنشأ فيه نقطا للمراقبة وكانت أهم أبوابه باب زويلة وهو المعروف الآن باب المتولي - وباب الفرج وباب النصر وباب الفتوح وباب القنطرة - باب الشعرية الآن - وبابا سعادة والبرقة .

وكانت القصور تتناثر في قلب القاهرة وفي أنحائها فتجملها وتعمرها ، وكانت البساتين الممتدة تلحق ببعض هذه القصور وتروى كيف كان يزرع فيها من الأزهار ، والورد والرياحين والنرجس والسوسن والبنفسج والياسمين والنوار والاقحوان والشقيق والبازلا ومن أشجار الفاكهة المشمش واللوز والرمان ، وكان يتعهدها دائما أكثر من بستاني يعمل مقراضه في أوراقها ، حتى لا تطول فيشوه منظر الحدائق المتناسقة فكان كل ناظر إليها يشعر براحة عميقة ويستمتع برائحة طيبة في نفس الوقت . وفوق ذلك كله كان الجامع الأزهر مركزإشعاع علمي وديني قوي ، يسلط أضواءه على العالم بفتح أبوابه لكل طالب علم دون مقابل ولا يزال جادا في تأدية رسالته العريقة على أوسع نطاق .



قصة قصيرة

الفستان والرصاص



للاستاذ/محمد جاد البنا

في مكمن بجوار تل صغير افترش الأرض ، توسد نعليه ... حاول أن يستجلب النعاس .. ولكن .. حبات مطر متتابعة تضرب وجه الأرض وكأنها حبلى بالغضب ... الرياح أيضا ثائرة تبدد سحب المطر وتطاردها في الأفق .. فجأة هدأ كل شيء ... حتى حبات المطر سكت عنها الغضب ، مسرعا قام قبل أن يخطفه النوم ... لم ينس أن يتأبط لفافة طعامه فما زالت السحب تنذر بمزيد من المطر ... يبدو أن أقرب المدن إلى هذه « البرية » يحتاج إلى ساعات غير قليلة مادام المشي على الأقدام هو السبيل الوحيد ... سبحان الله « **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** » النحل/١٦ صدق الله العظيم ... لولا هذه النجوم التي تبخل في الكشف عنها السحب أحيانا لظل تائها في هذه البرية إلى أمد بعيد ... إنه يسري في الليل مهما كانت قسوة البرد فمتاهة النهار دائمة ولأن « يتوه » الانسان في وضح النهار فهذا أشد قسوة .

ـ ترى هل مازالت سلمى هناك أم أنها رحلت إلى مدينة أخرى ؟ ما أظن



خالها يتركها ترحل إلى عمتها في « المخيم » البعيد ... ليست هذه هي القضية إذا وإنما القضية ـ هل أترك سلمى وحدها وأرحل مرة أخرى أم أظل معها إلى الأبد ؟

حيرة ... والحائرون وحدهم يدفعون الثمن .... ثمن ما هم فيه ـ مع أنفسهم ـ مختلفون .... بعض الناس لا يحتارون .... فليس هناك ما يختلفون فيه بينهم وبين أنفسهم ...

تحسس جانبه الأيسر وجد مسدسه الصغير متحفزا ... الحمد لله مازال محشوا برصاصات بقيت من آخر المعارك ... يالها من معركة غير متكافئة ولكن الله سلم ... ما بال المسدس يعلو ويهبط وكأن عدوى الغضب انتقلت إليه هو الآخر ... مسكينة سلمى لا تعرف أن أباها صار **كأبطال المسلسلات** يحمل مسدسا محشوا بالرصاص ، وقلبا محشوا بالخوف من المجهول ... ماذا يمكن أن تقول حينما تراني حريصا على المسدس مثل حرصي عليها ... ما أسهل أن يختلط الحنان بالقسوة والأمان بالخوف ... والحياة بالموت ... أبدا يا ابنتي لا تظني بي

السوء مازلت مثلك لا أحب الموت وأكره الدمار والعنف ... ولكن ماذا نفعل وقد كتب القتل والقتال علينا .

عاود المطر لطم الأرض بحبات أكثر حجما عن ذي قبل ... « وطواط » لا .. يبدو أنه « بوم » صحراوي حائر يرحل من مكمن إلى مكمن يئن بحثا عن أفراخه الصغار في حنايا الليل الملتف في عباءة البرد والمطر .. يبدو أيضا أن مواصلة السير في هذا الصقيع تعد لونا من ألوان العبث ...

لابد من مكمن آخر حتى ينجاب المطر فقد تتابع برق خاطف يأخذ بالأبصار وارتفع صوت الرعد متقطعا حينا ومتتابعا حينا ... ترى ماذا تفعل سلمى في هذا الصقيع أم أن المدينة لا تعبأ بالصقيع والرعود ؟ هانت ساعات معدودات ، ونصل إلى مشارف المدينة ... إن القباب البيضاء والمآذن السامقة تخترق ضوء النهار وإن كانت عاجزة عن اختراق عتمة الليل ... لابد من رأي ثاقب قبل الوصول .... ستسألني سلمى عن وجهتي الجديدة .. يستحسن أن يكون لدي الجواب قبل أن أتلعثم أمامها وأنتحل الأعذار ... الأبناء من خلال منظار مكبر ينظرون إلى الآباء فهم يتصورون أن لدى الأب حلا لكل مشكلة وانفراجا لكل أزمة ... وكلما تلعثم الأب أمام ولده نبتت بذرة من الخوف وعدم الأمان في قلب الصغير .

- راحلون دائما يا سلمى من أرض إلى أرض ومن بلد إلى بلد .. هكذا كتب علينا الخروج من أرضنا ووطننا إلى متى لست أدري ... لا ... لا .... لا تقل أمامها « لست أدري » هذه إذن سأقول لها كل شيء وبتفصيل لن أخفي شيئا فإخفاء الحقائق يجر إلى استنبات وهم خادع ... سأقول لها إني أجاهد في سبيل الله من اجلها ومن أجل « بيارتنا » القديمة في « طولكرم » ... ترى هل ستعرف سلمى « طولكرم » ... إنها لم تولد هناك .

لم ترها ... أحيانا فقط تسمع عنها مثلما تسمع عن أي مدينة في أي وطن ... سأقول لها عنك يا سلمى وعن الأرض أدافع ... هل ستفهم هذا المعنى ؟ سأقول لها .. انظري مسدسي هذا محشو برصاصات من فجيعة وغضب ... ليست رصاصات الحقد يا سلمى صدقيني فشريعتنا شريعة الاسلام - تأبى الحقد ولكنها في الوقت نفسه تحرضنا على أن نحتضن الأوطان ونرويها بالدماء ونزرع أرضها بالشهادة ... صغيرة سلمى لا تعرف أبعاد هذه الأفكار ..

لقد كتب إليّ خالها يقول إنها تؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها وإنها تناقشه في أمور كثيرة هي أكبر من عمرها ... سأقول لها .... انتظريني إذا قدر الله لي أن أعود فقد نعود معا إلى « طولكرم » لنقضي بقية عمرنا هناك ... وانتظريني حتى إذا لم أعد فستشعرين وقتها بالفخر ... لقد مات أبوك شهيدا صحيح لن أوسد وقتها في

تراب الوطن ولكن بلاد الاسلام كلها وطن يا سلمى فمع الشتات والجرح النازف لم نشعر بالغربة ولولا أن الوطن ينادينا ما تمزقت الأرواح صدقيني يا ابنتي إني لا أبحث عن « طولكرم » المدينة والبستان والجدران والبيارة وإنما ابحث عن معنى آخر يختلف تماما أبحث عن عزة ضاعت وشموخ انهار ... أبحث عن أندلس أخرى ... أبحث عن مآذن كانت تشع نور اليقين في قلوب الأهل ... أبحث عن رائحة نفاذة كانت تختلط بالحنايا والوجدان وتتسلل في رفق إلى العظم والدم .. أبحث عن ضوء طالع يعقب صلاة الفجر لم أشهد مثله في كل بلاد العالم مع أني جواب آفاق .. أبحث عن تراب أخضر هو أيضا يختلف عن كل تراب الأرض .. سأقول لها كل شيء .. لم تعد سلمى صغيرة ... سنوات قلائل وتصير عروسا ناهدة ... مسكينة يا ابنتي إلى من ستزفين وأنا غائب ....

قد أكون في غيبة أبدية ... سيتولى خالك - فالخال والد - هذا الأمر فقد أوصيته امك قبل أن ترحل إلى العالم البعيد .... البعيد جدا نحن أيضا يا سلمى سنرحل يوما ما ... يكفي أننا نعيش رحلة دائمة ... سامحيني يا ابنتي فلست أملك حاليا سوى مسدس وهذه الرصاصات المتبقية من المعركة الأخيرة - ولكن لا تيأسي ... لن أتركك بدون هدية حينما أصل إلى المدينة وأتعرف على طولك وعرضك سأستبدل هذه الساعة بفستان جميل يليق بعروس صغيرة ... لا تسأليني عن ساعتي أين ذهبت لم يعد لي بها حاجة ... لقد اختلط الزمن حلوه بالرديء وسريعه بالبطيء ... الأيام متشابهة ... والليل مثل النهار ولولا أن الأمل يموت ليحيا في صدورنا من جديد لفقدنا القدرة على مزاولة الصبر ... لقد أصبح ملهاة سهلة مرارته لها طعم الرمان « مز » لا هو حلو ولا هو حامض ...

السلام عليكم ورحمة الله ....
السلام عليكم ورحمة الله ...

غمرت السكينة قلب المهاجر بعد أن أدى صلاة الفجر في نشاط لم يفقده منذ بدأ رحلة الجهاد ..... تابع السير من جديد سرعان ما اقترب من المدينة مع خطوات شمس الضحى ... المآذن تبدو من قريب فضية اللون ... الأشجار تتمايل من أثر ريح خفيفة - السيارات الصغيرة تحمل الخضروات الطازجة من حقول القرى المجاورة إلى أسواق المدينة ... لابد أن يعدل قليلا من هندامه كي لا يشك فيه أحد - عيون الأعداء منبثة في كل مكان .

- من أنت ؟
- عبد من عبيد الله .
- من أنت يا رجل تكلم ؟
- أنا أبو سلمى .
- ومن سلمى ؟

مرت فترة صمت واستطلاع قصيرة .

- أهلا ... أهلا بك يا أبا سلمى ... كدت أشك في أمرك ... أعذرني فالغرباء في المدينة كثيرون

(والاحتياط واجب) اختلط الأعداء بالاصدقاء وبمن هم لا أعداء ولا أصدقاء ... لقد علمت أنك قادم ... كنت فعلا في انتظارك ، سلمى ستعود بعد قليل .. لقد ذهبت مع خالها في مهمة .

ـ مهمة ؟

ـ نعم مهمة ... اخفض صوتك فللجدران في هذه المدينة آذان لاقطة .

ـ همس في حذر ... ما طبيعة هذه المهمة أخبرني أرجوك ... أنا لا أخشى شيئا ، قلبي قد من حجر صلد ولكنها ابنتي الوحيدة أريد أن أطمئن .

ـ لا تخف يا رجل ... فالأمر هين ... ذهبت مع خالها لشراء حقيبة مدرسية .

ـ هين .. بسيطة ... لقد زرعت بذور الشك في نفسي لكن قل لي كيف حال سلمى في مدرستها ؟

ـ بخير ... حدثني أنت عن رحلتك .

ـ أية رحلة .... ألم تقل إن للجدران في هذا البلد آذانا ؟ الرحلات كثيرة إلا إذا كنت تقصد الخروج الأخير .

ـ نعم أسأل عن الخروج الأخير .

ـ لا جديد غير ما سمعت وقرأت ... لقد خرجنا لنعود وعدنا لنخرج ... وهكذا مازلنا نمتطي سفن الصبر والأمل ، الحلقة متصلة ، والقضية قائمة ، والمأساة لا تكاد تنتهي !

عادت سلمى ... ارتمت في أحضان أبيها ... بكت .... بكي الرجل كما لم يبك في حياته من قبل .... بللت الدموع شعرها الكستنائي الناعم ... بللت الدموع أيضا لحيته الكثة .

ـ تحسس جسدها في حنان ... ما هذا النتوء البارز في صدرها .. ليس طبيعيا ... إنه جسم صلب .. ارتد مسرعا إلى الخلف ـ نظر في عيني خالها وكأنه يستفسر عن سر هذه المتغيرات .

ـ اسألها هي ... لا تسألني ... لا ذنب لي ... لقد نفذت رغبتها .

ـ ما هذا يا سلمى ... ماذا حدث ؟

ـ لا شيء يا أبي ... مسدس خبأته في صدري .... ثم فتحت الحقيبة المدرسية

ـ رصاص .. ما معنى هذا ؟

ـ معناه الجهاد يا أبي ... أنا معك مسافرة إلى طول كرم .

ـ أين نحن من طولكرم يا ابنتي ومن الذي حدثك عنها .

ـ حدثني خالي عنها وعن أمي وعن جدي وجدتي وعن البيارة ... وعن الشمس المغتسلة في مياه النبع ، وعن المآذن السامقة التي تشع النور والأمل في قلوب المؤمنين ـ حدثني أيضا عن أشياء كثيرة ... أريدها

يا أبي أعشقها ... خذني إليها ....
- إنها بعيدة ... يا ابنتي - أبعد مما تتخيلين ... تظنين الأمر سهلا ؟!
- أعرف أنها تلتف في عباءة الضباب وتتوارى خلف كثبان من رمال ورصاص وقنابل وأسلاك شائكة ودماء وموت .

- تماما مثلما تقولين ولكن مالك والجهاد يا صغيرتي مالك والرصاص والدماء ؟

- أليست بلدي مثلما هي بلدك - أليس مستقبلها يعنيني مثلما هو يعنيك .... إن كنت تنظر إلى أني فتاة ... فقد حاربت المسلمات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوات كثيرة ... أعرف أننا سنسافر إليها عبر بلاد بعيدة ... سنرحل من بلد إلى بلد وسنخرج من مدينة إلى مدينة سندفع الثمن غاليا ولكننا سنعود إليها يوما ما .

- صبرا يا بنية لقد كدت أنسى شيئا مهما - أود أن أشتري لك فستانا - لم يعد معي غير ساعتي هذه ... لم تعد لها فائدة معي ... خذيها واشتري بثمنها بعد بيعها فستانا لك ..
أود أن أنسى مرور الزمن .

- لا يا أبي هوِّن عليك لم تعد لي حاجة في فساتين جديدة نحن بحاجة الآن إلى رصاص
- وقد نحتاج إلى الساعة الآن أكثر من أي وقت مضى ... نحن بحاجة إلى معرفة حركة الزمن
- كلام كبير على سنك يا سلمى ... أين تعلمت كل هذا ؟
- علمني ربي .... هيا بنا فقد أقبل الليل .

قال الراوي لم يكد الليل يغطي المدينة حتى كانت القافلة المهاجرة تتكون من الأب والخال وسلمى ... كانوا جميعا في الطريق إلى طولكرم ... قرروا أن يرحلوا بطريق غير مباشر عبر حقول أشواك وأهوال كثيرة كانوا يحملون مسدسات ثلاثة محشوة بكمية لا بأس بها من الرصاص ولفافة صغيرة بها ملابس ونقود وساعة تعمل في نشاط فهي دائما تقفز إلى الأمام أضواء مبهرة غمرت المكان فجأة توقفت سيارة مصفحة بها طائفة من جنود مجهولين ... أركبوا سريعا ... تحركوا .... الوقت يمر - ومضت السيارة إلى أين ؟

- لا أحد يعرف حتى الآن
سوى أنها انطلقت تشق صدر الليل الكئيب ؟



« في صلاة صبح ، والشاعر يؤم أبناءه ، وهو في قلق وصداع من هموم أمته ، لمعت خلال سجوده بارقة تجل واشراق ، وتراءت له صور متداخلة لصلوات ماضية أداها في الحرمين النيرين ... وتملكه شعور عجيب ، كما لو كان يصلي لتوه هناك ... وأحس بخدر بارد ، ثم غمرته طمأنينة وسكينة ...

وغب الصلاة جرى قلمه بهذه الابيات في عفوية وانسياب :

نفحة سجود

للأستاذ عمر بهاءالدين الأميري

شرِّقي يا رياح وجدي وزيدي
في انطلاقَيْ تواسع وصعود
خَلَدٌ أومضت به واشرأبت
سبحات الكيان خلف الحدود
وسجود في « الروضتين » معا هام
وما جاوز « الرباط » سجودي
وكأني ، وحولي الفتية الأنجاب
أحباب قلبي المفؤود

والضياء الحيران في ركعات
الصبح يسري كبسمة المولود
والتسابيح بين سر وجهر
من أريج الزهور والأغرود
وأنا واله التجلي ، أصلّي
لكأني هناك بين الحشود

في « المقامين » خاشع ، وفيوض
الله عمت كل الوجود بجود
مرفأ القلب ، منبع الحب ، خير
أزلي ، عطاؤه من ودود
قد غسلت الهمَّ الملم وأطفأت
غليلي بورده المورود
فاستراحت روحي بأنس ، وأُنسيتُ
معاناة جسمي المكدود
وتسامى الجَنان فوق جِنان
الخلد ، يسعى الى مراقي الشهود

نفحة مثل ومضة البرق أبقت
في عيوني ندى كطل الورود

شردت بي هنيهة عن وجودي
وسناها مازال ملء وجودي



إعتاب من الكبد

للدكتور / هشام ابراهيم الخطيب

موقع وتركيب الكبد

هذه دراسة موجزة عن الكبد وأهميته للانسان ، وكيفية المحافظة عليه .

الكبد اكبر عضو في الجسم ، يبلغ وزنه حوالي كيلو ونصف جرام ، ويشكل حوالي ٣ ـ ٤٪ من وزن الجسم كله ،

يقع الكبد في الجهة اليمنى من اعلى البطن ، ويصل سطحه العلوي الى حلمة الثدي الايمن ، ويفصله عن تجويف الصدر الحجاب الحاجز ، وبرغم وجود الكبد في تجويف البطن الا انه في الواقع مغطى بوساطة الضلوع تقريبا مما يوفر له الحماية .

ينقسم الكبد الى اربعة فصوص وهي الفص ، الأيمن ، والفص الأيسر ، والفص المربع والفص الذنبي ،

واذا تمعنت جيدا في قطعة من الكبد ، فستلاحظ انها حبيبية الشكل ، ويمكنك ان ترى تحت المجهر ان كل حبيبة صغيرة هي في الحقيقة جسم متعدد الاضلاع مثل الذي تراه في الصورة ، وتسمى هذه المضلعات الفصيصات الكبدية ويتكون كل منها من ملايين الخلايا الكبدية الدقيقة

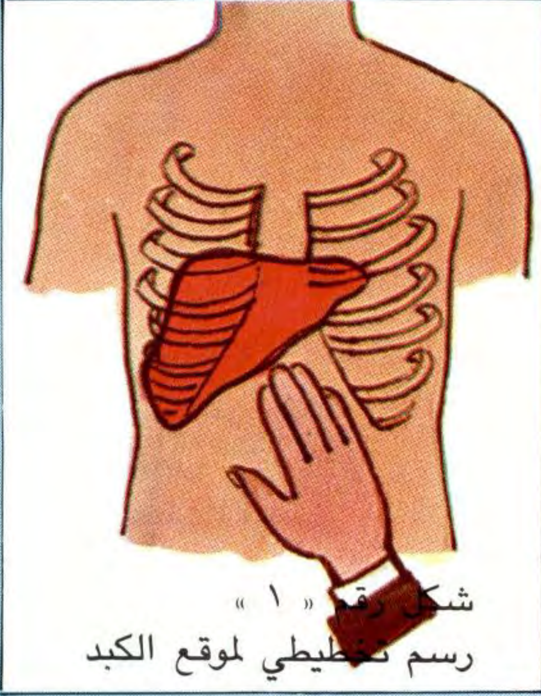
الصغيرة جدا ، والمرتبة حول الوريد الاوسط ويوجد حول كل فصيص من الخارج اطار من النسيج الضام تجري فيه الشعيرات الصفراوية .

الدورة الدموية في الكبد

يتم امداد الكبد بالدم المؤكسد بواسطة الشريان الكبدي الذي هو احد فروع **الأورطي** ، وهذا يشكل حوالي ٢٨٪ ، والنسبة الباقية ٧٢٪ تأتي عبر الوريد البابي وهو دم غير مؤكسد ، ويحتوي على كثير من الغذاء الذي تم امتصاصه من الطعام الذي نأكله ، حيث يباشر الكبد وظائفه على تلك المواد ، ثم يغادر الدم الكبد حاملا المواد اللازمة للجسم عن طريق وريدين كبيرين هما الوريد الكبدي الأيمن والوريد الكبدي الأيسر حيث يصبان في الوريد الأجوف السفلي وبدوره يصب في الجهة اليمنى من القلب .

وظائف الكبد :

للكبد وظائف عديدة نذكر منها :ـ
١ ـ تصنيع بروتينات الدم وهي الالبومين ، والغلوبولين Globulin ، والفيبرنوجين Fibrinogen والبروثروبين Prothrombine ، والاجسام المضادة ، والعوامل المتدخلة في تخثر الدم كالعامل الخامس والسابع والهيبارين ، ولهذا فان الكبد يحفظ الاتزان العجيب في ميوعة الدم

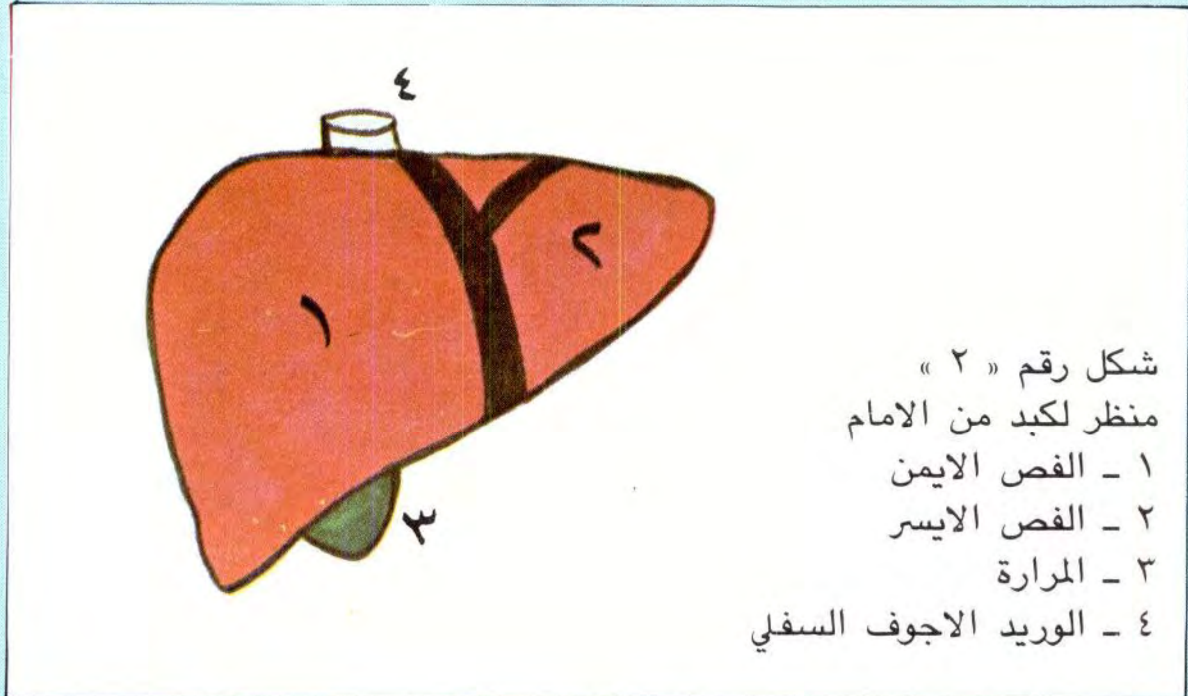


شكل رقم « ١ »
رسم تخطيطي لموقع الكبد

وتخثره ، فتخثر الدم يحدثه البروثرومبين بينما يحدث الهيبارين ميوعته ، ومن اتزان هذين العنصرين ينساب الدم في العروق كافضل مايكون ، ينقل الغذاء والاوكسجين ويعود حاملا ثاني أوكسيد الكربون وفضلات الاحتراث ، ولوزادت نسبة احد هذين العنصرين بمقدار طفيف جدا لكان معناه تخثر الدم اي تجلطه وانقلابه **أشبه** ما يكون بالوحل ، كما ان العكس يجعل الدم اكثر ميوعة ،

٢ ـ اصطياد الجراثيم والمواد السامة :

الكبد شرطي المرور يفتش الدم القادم فيبعد المشبوه ويمرر الطبيعي ، فاذا مالوحظ ان هناك مواد سامة داخل البدن ، يقوم الكبد



شكل رقم « ٢ »
منظر لكبد من الامام
١ ـ الفص الايمن
٢ ـ الفص الايسر
٣ ـ المرارة
٤ ـ الوريد الاجوف السفلي

بايقاف أذاها بعدة طرق ، ومنها طريقة الوسائط الكيماوية وذلك بتركيب المواد السامة مع حامض الكبريتيك وتكوين الكبريتات ، وهكذا تنقلب الاجسام السامة الى مواد عديمة الأذى ، وطريقة طرح المواد السامة مع الصفراء كالزئبق وبعض الجراثيم ، وطريقة تخريب المواد بالكبد ثم طرحها جزئيا .

٣ ـ الوظيفة الصفراوية الافرازية :

تصنع الخلايا الكبدية الاملاح والاحماض الصفراوية لتتجمع في الطرق الصفراوية ومنها تجد طريقها الى الامعاء ، وهي سائل صاف أصفر أو برتقالي اللون ، يختزن ويركز في داخل الحوصلة الصفراوية Gall bladder الى حين حاجة الجسم « الهضم » وخاصة المواد الدهنية ، والكبد ينتج يوميا حوالي لتر من الصفراء .

٤ ـ تكوين الدم :

يعد الكبد أحد الأعضاء التي **تصنع الكرات الحمراء** في الجنين ، أما عند خروج الجنين من الرحم فيبدأ النخاع العظمي بتكوين الكرات الحمراء واذا حلت كارثة أو زاد احتياج الجسم الى كرات دم حمراء ، فان الكبد يعاوده الحنين الى تكوين الكرات الحمراء لاغاثة الجسم الذي يسكنه ومساعدة النخاع العظمي .

٥ ـ اختزان الجلوكوز :

الناتج من هضم المواد النشوية على شكل Glycogen للانتفاع به وقت الحاجة .

سكر الجلوكوز هو الوقود الأساسي

لخلايا الجسم حتى تؤدي وظائفها المتعددة .
وعندما تنخفض كمية الجلوكوز في الدم لسبب ما ، فان الكبد يحول الجلايكوجين Glycogen مرة أخرى الى الجلوكوز الذي يتسرب الى الدم ليرفع نسبة الجلوكوز في الدم .

٦ ـ خزن الحديد والنحاس والبوتاسيوم والمانغنيز والزنك الكوبلت .

٧ ـ تكوين الجلوكوز من المواد غير النشوية مثل الدهنية والبروتينية .

هذا عرض موجز عن وظائف ذلك المعمل الالهي المعجز والكبير الذي تقف العقول أمامه حائرة وتنظر الابصار اليه خاشعة ، ولك ان تتصور ما يصيب الانسان وما يعاني منه اذا اصاب الخلل هذا العضو ، وتوقف عن العمل فلا انتاج ولا وقود لتلبية حاجة الجسم ولا غذاء ولا فيتامينات ولا بروتينات ولا تخلص من السموم .

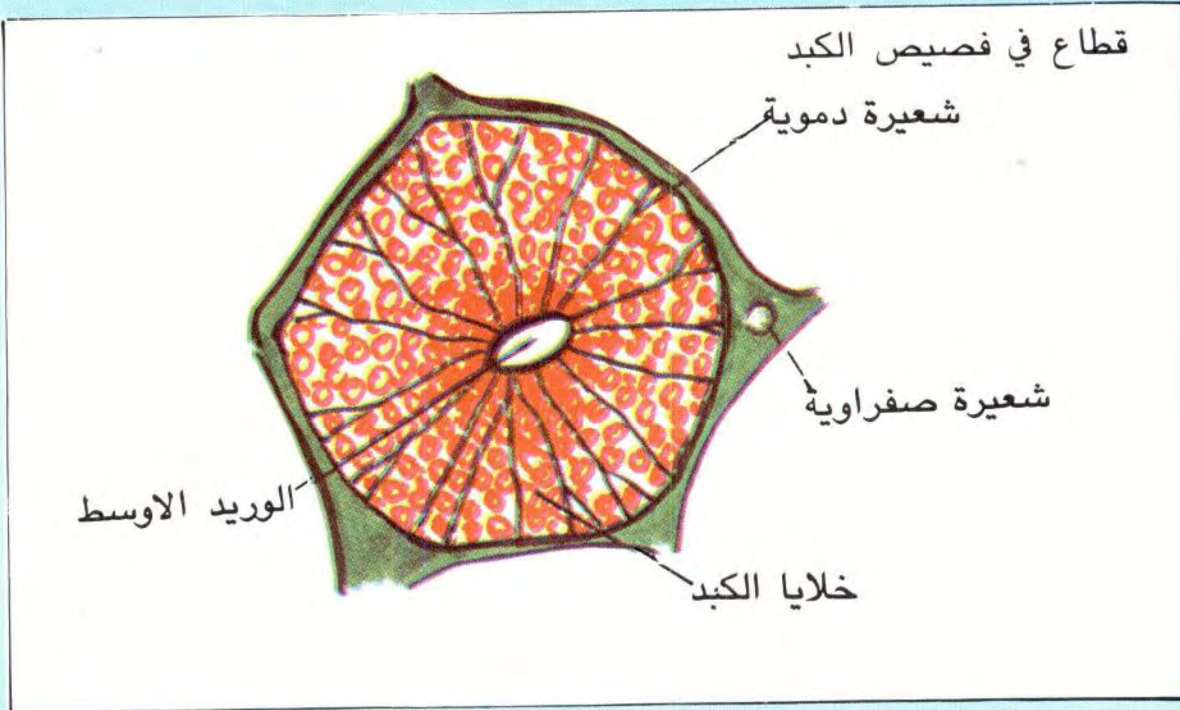
الكبد والغول « الكحول »

الغول « الكحول » من المواد السامة ، ذات التأثير السمي المباشر وغير المباشر على الخلايا الكبدية .

ترى ماذا تفعل « الكحول » بالكبد ؟ لقد أثبت البحث العلمي ان « الكحول » او الخمور تزيد من طاقة الكبد على اختزان الدهون بكثرة ، بينما في الاصل نجد الكبد يختزن هذه المواد بحساب دقيق ، فيحرق منها جزءا ويمد الانسان بالطاقة عندما يقوم بعمل شاق ، ولكن زيادة الدهون عن طاقة الكبد تسبب بداية مرض تليف الكبد ، وبهذا يصبح الكبد عاجزا عن التوفيق بين متطلبات الجسم من مواد وغذاء وبين الدهن الزائد المخزون .

وأيضا نجد الغول « الكحول » تمنع الكبد من تحضير وتوزيع السكر في الدورة الدموية بالاسلوب الطبيعي ويوقف الجهاز الذي يحمي الجسم من هبوط شديد في عيار السكر في الدم في فترات الجوع الشديد ، وهذا يؤدي الى الاغماء عند المدمنين على الغول - « الكحول » ..

ومرض تشمع الكبد ، او تليف الكبد ، مرض خطير ، فيه يحل محل الخلايا الكبدية نسيج متليف ، ينقبض بمرور الوقت بحيث تصبح الكبد صغيرة وجامدة ، ويحدث في المدمنين على الكحول بنسبة تزيد ثماني مرات على نسبة حدوثه في الناس الاخرين ، وأول من وصف تشمع الكبد هو لانيك عام ١٨١٩ وكان سببه الكحول . وهناك أسباب أخرى لتشمع الكبد منها سوء التغذية ، التسممات الدوائية مثل المورفين ، التهاب الكبد الانتاني ، انسداد الطرق الصفراوية داخل وخارج الكبد ، التدرن ، الزهري ، الاصابات الطفيلية مثل الملاريا



البلهارسيا . ومن اعراض ومضاعفات تشمع الكبد ، اليرقان ، احتباس السوائل ، وتكون دوالي المريء ، وما تعقبه من نزيف ، وسبات كبدي ، وتسمم دموي نتيجة الالتهابات الحادة ، والازرقاق ، والتحول السرطاني ، وانقطاع الطمث والعقم وغيرها من المضاعفات .

ولاشك يا أخي المسلم انك سمعت عمن ماتوا بسبب تليف الكبد ، بعد أن تغلبت « الكحولات » والمخدرات عليه فتوقف عمله ومات صاحبه .

ولكي تحافظ يا أخي المسلم على كبدك لابد أن تتقي الله في كبدك ، تخفف عنه ما يتكبده من متاعب تنتج عن تعاطي الكحول والمخدرات ، وعليك أيضا ان تعقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء على كبدك بتناول الكحول التي قد أغرتك بها المدنية الحديثة ، وقرناء السوء الذين مهدوا لك طريق الانغماس في تعاطيها ، وعليك التمسك بفضائل دينك ، فان وفيت بالعهد فان كبدك سيشكرك ويعاهدك على أن يظل وفيا مخلصا ما دمت قد ابتعدت عن طريق الاثم .

وأخيرا يا أخي المسلم رجائي لك ان كنت ممن يتعاطون المسكرات أو المخدرات ان تتوقف قبل فوات الاوان ، ولا تيأس من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، وان كبدك يعدك ان يستخدم ماتبقى منه دون تليف بأقصى كفاءة ليعوضك عما فاتك من خدمات جسمانية ، ويحاول بعون الله أن يخلصك من آثار أم الخبائث ما دمت على عهدك محافظا وعن الخمور والمحرمات مبتعدا .

بارك الله لك يا اخي المسلم في عقلك ، وجعلك الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ..



التدخين والانتحار البطيء

تحت هذا العنوان كتب الأخ/ البركاني جمال الدين مبينا مضار التدخين وتاريخه فيقول :

إن كل سيجارة تحتوي على قدر من النيكوتين الذي هو أشد السموم فتكا حيث استعمل كمبيد للحشرات منذ القرن الثامن عشر ، وهو يستخلص من الأوراق والأزهار والفروع العفنة والطرية لنبات التبغ . يقول أحد الأطباء : إن النيكوتين يصل الى الدماغ بعد بضع دقائق من النفثة الأولى ، ولكي ينتشر في الجسم يحتاج إلى ما بين ٢٠ ـ ٣٠ دقيقة ، والذي لاجدال فيه هو أن التدخين أشد ارتباطا بأمراض عسر الهضم والزكام والسرطان .. إذن لماذا ندفع بأنفسنا إلى التهلكة ؟! لماذا نسمم أنفسنا ونسمم الآخرين معنا ؟!!

عرفت عادة التدخين قبل الميلاد حيث كان جنود الرومان يدخنون أوراق الخس المجففة في أوقات استراحتهم . وفي سنة ١٤٩٢ لاحظ كريستوف كولومبوس أن سكان القارة الجديدة يدخنون أوراقا صفراء يضعونها في أنابيب طويلة تسمى « توباكو » وقد أعجبته هذه العادة فنقلها إلى البرتغال حيث حرفها الأوربيون إلى تباك ، TABAC وسميت بالعربية « طباق » .

والبحار « رودريك دي جيرير » كان أول شخص يتعاطى التدخين في شوارع برشلونة سنة ١٤٩٧م . أما أول من تعاطاها من النساء في فرنسا فالملكة « كاترينا دوميدسيز » وذلك بعد أن أهداها جان نيكو سفير فرنسا في البرتغال كمية من التبغ سنة ١٥٩٣م .

والجدول الآتي يبين استهلاك الفرد للدخان في بعض البلدان العربية والاسلامية وهو يمثل كمية التبغ المستهلكة بالكيلو غرام « إحصاء ١٩٧٩ »

- سوريا ـ ٢,٠١
- تركيا ـ ١,٥٢

● العراق ـ ١,٠٩
● ماليزيا ـ ١,٥٢
● الجزائر ـ ١
● الفلبين ـ ٨١, .
● ايران ـ ٧٨ .
● المغرب ـ ٧٣ , .
● اندونيسيا ـ ٦٩, .
● باكستان ـ ٦٣ , .
● بنغلاديش ـ٦٠ ,
● مصر ـ ٥٧, .

والأمراض التي يسببها التدخين هي : سرطان الرئة والشفة واللسان ، والفم ، والحنجرة ، واللهاة ، والمريء ، والمثانة ، وقرحة الاثنى عشر ، وأمراض الشرايين ، ونخر الاسنان ، وعسر الهضم ، وانتفاخ البطن ، والأرق ، والتحسس ، والضعف الجنسي ، والكآبة ، وضعف الذاكرة ، والتعب . وللحد من آفة التدخين يجب على المسؤولين :

١ ـ تنظيم حملات إعلامية مكثفة في الأوساط الشعبية .

٢ ـ تنظيم محاضرات تبين مضار التدخين من الناحية الصحية والاجتماعية والاقتصادية .

٣ ـ رفع أثمان السجائر بأقصى حد ممكن .

٤ ـ معاقبة المتعاطين للتدخين في الأماكن العمومية (قاعات المحاضرات ـ الفصول الدراسية ـ السينما ـ وسائل المواصلات العامة) .

٥ ـ معاقبة والدي كل طفل يتعاطى التدخين .

٦ ـ إلقاء دروس علمية عن التدخين في المؤسسات التعليمية .

٧ ـ منع إعلانات التبغ من النشر في الصحف والمجلات العربية وغيرها من الوسائل الإعلامية .

٨ ـ منع تأسيس شركات ومصانع وزراعة التبغ منعا كليا في بلادنا العربية .

إن المرء غير المتعاطي للتدخين ليكره استخدام وسائل المواصلات العامة والدخول إلى الأماكن العمومية بسبب ما ينفثه المدخنون من دخان يلوث الجو المحيط ويحيله إلى كتلة ضبابية تخنق الأنفاس . أيها المدخنون بالعزم الصادق والأكيد تستطيعون القضاء على عادة التدخين وإن لم تحاولوا ، فلا تسمموا معكم فهنا من لا يريد الانتحار .



إلى متى ؟!

● لقد مضى زمن الأقوال وأوشك أن ينقضي زمن الأفعال .. فماذا ننتظر ؟ وماذا يمنع أن نحاول التطبيق ـ تطبيق الشريعة الاسلامية ـ وأن نجرب ـ إن جاز هذا التعبير ـ أحكامها في شؤون حياتنا اليومية ـ فقد نجد ـ ونحن واثقون أننا سنجد حتما ـ الحلول لكل مشاكلنا اليومية ـ والنهوض بواقعنا إلى مستقبل أفضل .

● وها نحن في عالمنا العربي والاسلامي .. جربنا كل النظريات الأرضية .. من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار فما زادت مشاكلنا إلا تعقيدا .. وما تزداد أوضاعنا إلا سوءا .. وفي كل يوم تغتصب لنا حقوق .. يأتي كل اغتصاب جديد لينسينا محنة الأمس .. فالحديث كان عن فلسطين قبل التقسيم .. ثم بعد التقسيم عن الضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان .. ثم عن لبنان الذي مازالت تدور فيه حروب وحروب تأتي على الأخضر واليابس .. ثم الخروج الفلسطيني .. ليكون الشتات .. وهكذا .. الوضع في أفغانستان يمر من سيء إلى أسوأ .. واضطرابات في تونس .. ثم في المغرب .. ثم في السودان .. وإن أنس لا أنس تلك الحرب التي بدأت في العراق وإيران ولم يشأ المستفيدون منها أن تضع أوزارها .

فإلى متى نظل أسرى حلول عرجاء .. أو تقليد يضر ولا يفيد .. أو نرفع شعارات أثبتت الأحداث إفلاسها .. فباسم الديمقراطية .. والحرية الشخصية ـ حرية الغرب ـ وباسم الاشتراكية .. وباسم ألف صنم وصنم

نطق به الناعق هنا وهناك وتبعه من تبعه .. استذل الانسان .. وهدرت الكرامات .. وتجمع شذاذ الآفاق بتخطيط طويل الأمد وتنظيم مدروس مجندين شياطين الناس للوصول إلى تحقيق أهدافهم على حساب الدماء الاسلامية التي هانت على أهلها فهانت على عدوها ..

● ومع هذا .. فما زال هناك من يدعو إلى العلمانية فإن فيها الحل .. والبعد عن الخلافات الدينية التي تفرق الناس ، وتبعث العداوة بينهم . هكذا رأى .. وكأنه لم يعلم .. رغم لقبه العلمي الكبير أن هدف الدين عموما هو إسعاد الناس في دنياهم وآخرتهم .. ونشر الحب والألفة بينهم .. وإذا كانت من سنة الحياة أن يكون هناك شر فلا بد من مقاومة الشر والضرب على أيدي الخارجين على أمن المجتمع والجماعة .. هذا هو الأصل في كل دين والدين الاسلامي صريح في ذلك .. يقول تعالى : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** » .

فالدين يوحد لا يفرق .. والناس سواسية في الحقوق والواجبات ، ثم هل ضاع ما ضاع لأننا طبقنا الدين ؟! أم لأننا ابتعدنا عنه ؟ وهل حقق اليهود ما حققوه باسم أرض الميعاد ؟ أم أنهم كانوا يريدون قطعة أرض فقط ؟

● وآخر يستنكر أشد الاستنكار قطع يد السارق .. ويرى أن يلجأ إلى عقاب حديث يحقق الردع .. وهكذا يتعاطف صاحبنا مع السارق والقاتل ومرتكبي الجرائم .. ونسي وهو شيخ المحامين .. أن المعتدى عليه أولى بدفاعه عنه .. وأنه لا اجتهاد مع النص .. وهو رجل قانون .. فإذا كان لا يملك أن يعدل عقوبة يقضي القانون الوضعي بها .. وقد يكون فيها ظلم ما دام النص صريحا وواضحا .. فكيف يطالب بتغيير حكم ارتضاه الله سبحانه وهو الأعلم بما يصلح عباده ؟..

● إننا ندعو إلى الأخذ بشرع الله ، وأن تكون لنا شخصيتنا الاسلامية المستقلة .. وليس في الدين إرهاق أو مشقة .. بل الدين الاسلامي هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها .. جاء لينظمها .. وينظم العلاقة بين الانسان وربه ، وبين الانسان ونفسه ، وبين الانسان ومجتمعه وبني جنسه ، وبين الانسان والحياة والكون .. وبين الانسان وما بعد الحياة الدنيا .. فنظرة الدين الاسلامي نظرة شمولية .. **ولذا فإن الترقيع في ثوب غير إسلامي غير مجد** ..

● ونطمئن الخائفين من تطبيق شرع الله .. بأن جرائم الحدود في الاسلام

ضيقة وأن الاسلام بتلك الحدود يحميهم هم أنفسهم من اعتداء الغير عليهم بسرقة أو قتل أو زنا أو قذف وغير ذلك ..**إلا إذا أرادوا أن يكونوا هم السارقين والقتلة والزناة والعصاة والمفسدين في الأرض** ـ عندئذ فهم الظالمون لأنفسهم .

● أما الاحتجاج بتعدد الآراء الفقهية .. وبأي مذهب نأخذ .. وأي مذهب ندع .. فإننا نقول إن اختلاف الأئمة العلماء في استنباط الأحكام من النصوص التي تحتمل التأويل رحمة بنا ، وعلينا أن نختار منها ما يناسب العصر وظروف الناس ، دون تعصب لمذهب بعينه .. ومعلوم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف .

● هذا .. وإن كثيرا من القوانين التنظيمية والادارية والاجرائية والشكلية لا تتعارض مع أحكام الدين .. **وفي الاسلام لن يؤخذ المتهم بالشبهة أو الظن .. كما هو واقع الآن .. بل الحدود في الاسلام تدرأ بالشبهات** .. ويفسر الشك في صالح المتهم .. لأنك إن تخطىء في العفو عن الجاني أفضل من ان تخطيء في عقوبة بريء .

○ **ولكي نصل إلى ما نرجو .. لا بد من فهم إسلامي مستنير .. وعقلية إسلامية منظمة .. ومنهج إسلامي مدروس ، وخطة للتنفيذ تضع في اعتبارها الظروف والامكانيات المتاحة .. وما يمكن أن نحققه اليوم ، وما يمكن أن نحققه غدا . فهل تأمل الاسلاميون ذلك .. وعملوا له** ؟

ثم إن تغيير النصوص القانونية وحده لا يكفي .. فهو لن يمنع وقوع الجريمة ، والاعتداء على الحرمات ، وكل مظاهر الفساد .. « ولكن النصوص الشرعية ينبغي أن تقترن بكافة أوجه الاصلاح الأسري والمدرسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي » على حد قول الدكتور جمال الدين محمود .

○ **هذا .. وإننا ندعو الله سبحانه أن يخلص دينه من رجال أرادوا استغلاله في تحقيق مآرب شخصية ، ومصلحية ، ونفعية ذاتية** ..وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

وندعو الله جل وعلا أن يوفق المخلصين العاملين .. وينصر دينه وجنده .. وأن يقبضنا إليه غير مفتونين ولا ضالين ولا مضلين ولا مضيعين .. اللهم آمين ..

فهمي الامام

نضال مورو المشروع

للاستاذ / محمود سعيد

من الحقائق التاريخية التي لا يختلف عليها اثنان أن الجزر التي تعرف في الوقت الحاضر بـ « الفلبين » كانت منطقة إسلامية تماما . فلقد اعتنق أهالي تلك الجزر التي تقع في جنوب شرق آسيا الاسلام قبل أن تظهر الفلبين كوحدة سياسية إلى حيز الوجود .

ولقد أثبتت الأبحاث والدراسات المنصفة أن عناصر مسلمة قد تواجدت على نطاق محدود في المنطقة منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، كما ثبت تاريخيا أن الاسلام قد انتشر هناك على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي حيث اعتنقه السكان الوطنيون هناك بشكل عفوي وتلقائي لما تتميز به العقيدة السمحاء من سرعة تقبل العقل والقلب لها .

وقد شهدت الفترة ما بين النصف الثاني للقرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي ، العصر الذهبي لازدهار الاسلام في تلك البلاد البعيدة . غير أن صليبية القرون الوسطى ، بكل شراستها ، كانت بالمرصاد لذلك المد



مجاهدون من مورو

الاسلامي الرائع الذي خرج من شبه جزيرة العرب وطاول أقصى أطراف الدنيا يبشر بالخير والسلام والمحبة . واتخذت الصليبية آنذاك قناعا زائفا اسمه : الكشوف الجغرافية فوصل الصليبي « ماجلان » المكتشف الجغرافي الأسباني الذي يمجده كتابنا وتمتدحه صفحات التاريخ الزائف إلى تلك الجزر عام ١٥١٩م . كانت حملته تلك مدفوعة بحقد دفين ضد كل ما هو مسلم ، فقام بقتل المئات من سكان الجزر المسلمين . ثم عقد اتفاقا مع ملك جزيرة « سيبو » أدخل بمقتضاه ذلك الحاكم الديانة النصرانية بعد أن وعده ماجلان بتنصيبه ملكا على الجزر الفلبينية كلها تحت وصاية التاج الأسباني . ثم تحرك ماجلان بجنوده صوب الجزر المجاورة وقام الصليبيون بإحراق القرى وقتل من بقي فيها . واستمروا في مخططهم الارهابي الدموي إلى أن حدثت واقعة كبيرة بين السلطان المسلم « لابولابو » وبين ماجلان وانتهت بهزيمة الأخير وقتله .

غير أن أسبانيا لم تلعق هزيمتها بسهولة ولم تكف عن تنفيذ المخطط الطويل الأمد ، فسرعان ما أرسلت حملات متعاقبة ردت كلها على أعقابها .

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي جردت أسبانيا حملة عسكرية ضخمة مستهلة بذلك غزوا بربريا وحشيا تلك البلاد الآمنة . واستولت على مجموعة جزر « لوزون » و « فيسياس » وهي تمثل جملة الجزر الشمالية والوسطى وسموها « الفلبين » نسبة إلى الأمير « فيليب » الذي صار ملكا على أسبانيا فيما بعد .

وكعادة الغزاة الصليبيين ، على مختلف جنسياتهم وفي كل العصور ، مارسوا مجازر وحشية بحق السكان يعجز القلم عن وصفها وعاثوا في الأرض مفسدين ، واعملوا الحديد والنار تقتيلا وتنكيلا في المسلمين أصحاب البلاد الشرعيين . فاجبروا الناس على اعتناق عقيدة التثليث التي تتنافى مع العقل . أما باقي سكان الجزر الوثنيين فصاروا رعايا للتاج الأسباني واعتنقوا بدورهم الديانة النصرانية .

وتقهقر من بقي من المسلمين على عقيدتهم الحنيفية وانضموا إلى إخوانهم الذين يقطنون الجنوب الذي يعرف بعدة أسماء :

أ ـ بلاد المورو .

ب ـ بنجسا مورو أو ما يعرف الآن عالميا بـ « مندناو » .

حروب المورو :

لم يقنع الأسبان بما احتلوه ، والذي كان يمثل ثلثي مساحة البلاد ، فأرادوا بسط نفوذهم على بلاد المورو . وإذا تيسر لهم ذلك فكان يعني في حد ذاته « نصرانية » البلاد بالكامل فجردوا حملات عسكرية جندوا فيها الفلبينيين النصارى لغزو المسلمين . فأعلنت الامارات الاسلامية في بلاد المورو الجهاد ضد الصليبيين . وبدأت حرب طويلة ضروس . وعلى الرغم من التفوق العسكري الهائل في صفوف الصليبيين بما يمتلكونه في ذلك الوقت من أسلحة متطورة بالقياس إلى الأسلحة البدائية جدا في أيدي المسلمين ، إلا أن الحرب استمرت سجالا لأكثر من ثلاثمائة عام تخللها فترات متفاوتة لالتقاط الانفاس وإعداد العدة لشن هجوم جديد مضاد . وتعرف تلك الحروب تاريخيا « بحروب المورو » . غير أن الأسبان فشلوا تماما في تحقيق مآربهم ومخططهم القذر في بلاد المورو .

هذا وقد ظلت الفلبين تابعة للتاج الأسباني إلى أن تم توقيع اتفاقية باريس الشهيرة بين الولايات المتحدة الأمريكية وأسبانيا . ففي العاشر من ديسمبر عام ١٨٩٨ ميلادية وقع البلدان اتفاقية تقضي بتنازل أسبانيا عن الفلبين لصالح الولايات المتحدة . وبذا حل الأمريكيون محل الأسبان وشرعوا في بسط نفوذهم على البلاد بما فيها بلاد المورو التي لم يتسن للأسبان إخضاعها .

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى وبعدها ، شددت الولايات المتحدة قبضتها على الفلبين وبدأت في إنشاء قواعد عسكرية لها في البلاد .

غير أنه ما لبث أن اندلعت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) فتعقدت

مشكلة شعب مورو المسلم أكثر حيث أن الهجوم الياباني على الفلبين والذي كان يهدف ضرب الأهداف الأميركية هناك قد شمل بلاد المورو ايضا . وانتهت الحرب بهزيمة دول المحور ومعها اليابان ، فاستردت أمريكا مستعمراتها وصارت منطقة المحيط الهادىء بما فيها الفلبين منطقة حيوية للمصالح العسكرية والاقتصادية الأمريكية في العالم . ومن ثم شددت من قبضتها على قواعدها العسكرية في المنطقة وبخاصة جزر الفلبين ، وشمل هذا الوضع بالطبع بلاد المورو . وفي عام ١٩٤٦م . استقلت الفلبين عن أمريكا « اسميا » وبقيت المصالح الأمريكية كما هي بل زادت وتشعبت أكثر حتى أن الفلبين صارت الآن وكأنها إحدى الولايات الأمريكية . واستهلت الحكومة الفلبينية الجديدة برنامجها بضم بلاد المورو إليها . وتم لها ذلك بدعم وعون عسكري ومادي من قبل أمريكا ، وتم تغيير اسم بلاد المورو إلى : جنوب الفلبين تماما مثلما تبدل اسم فلسطين إلى اسرائيل .

ومن الجدير بالذكر أن إخوتنا المسلمين هناك عارضوا بشدة ضم بلادهم إلى الفلبين . لكن تلك المعارضة كانت واهنة ، حيث أن الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية قد القى بظلاله على بلاد المورو فلم يحدث صراع دموي مباشر مع الحكومة التوسعية في « مانيلا » فور إعلان الضم من طرف واحد ، اذ كان المسلمون في حالة إنهاك ودمار وفقر ، وكان القاسم المشترك الأعظم هو البحث عن المأوى والكساء والطعام .

المخطط الصليبي القائم على اغتصاب الأرض وإبادة أهلها :

بعيد مؤامرة الضم غير الشرعية ، بدأت حكومة مانيلا الفاجرة تنفيذ سياسة المستوطنات على غرار ما تقوم به الآن الطغمة الصهيونية في « تل أبيب » من سياسات توسعية بعيدة الأمد في الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان السورية ومؤخرا جنوب لبنان .

وقد تم للحكومة الفلبينية تنفيذ تلك السياسة من خلال فئتين :

١ ـ النصارى الذين تم ترغيبهم بالاغراءات المادية والاثراء السريع من الأراضي الزراعية الخصبة المتوافرة في بلاد المورو .

٢ ـ العناصر الفلبينية السيئة التي لفظها المجتمع الفلبيني ذاته ، سواء كانوا من الخارجين على القانون أم من المناهضين لحكومة مانيلا ، تقوم الحكومة بمنحهم أراضي اقتطعت من أصحابها الشرعيين .

وعلى الجانب الآخر تقوم الحكومة باحتكار ثروات شعب مورو المسلم ، وانتزاع السلطات المحلية من أيدي المسلمين ، ومحاولة القضاء على الثقافة الاسلامية والميراث الاسلامي العظيم لشعب مورو .

وكرد فعل طبيعي ومشروع ، طالب السكان الأصليون من المسلمين بوقف الهجرات النصرانية الاستيطانية ووقف استغلال ثروات البلاد لمصلحة النصارى ووقف انتزاع السلطات المحلية من أيدي المسلمين .



امرأة مسلمة مع طفلها قتلهما عناصر الكتيبة ٣٢

رد فعل الحكومة على مطالب المسلمين :

بدأت الحكومة الفلبينية بالرد بعنف على مسلمي مورو ، فقامت عناصر تابعة للقوات المسلحة الفلبينية بسلسلة من المجازر الوحشية على فترات متفاوتة . ونسوق منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ مجازر « كوريجيدور » في مارس ١٩٦٨م . حيث قامت كتيبة من جيش الفلبين بتجميع ٦٩ شابا مسلما في قرية كوريجيدور وأطلقت عليهم الرصاص بوحشية لم يسبق لها مثيل ودون محاكمة .

٢ ـ مجزرة مسجد « مانيللي » حيث قتل ٧٤ مسلما غدرا أثناء آدائهم للصلاة في عام ١٩٧١م .

٣ ـ مذبحة « تاكوب » في عام ١٩٧٢م . حيث قتل ٦٣ مسلما من المدنيين الأبرياء .

وتقول مصادر جبهة تحرير مورو الاسلامية ان تلك الحملات التصفوية للوجود الاسلامي في جنوب الفلبين والتي تشنها حكومة « ماركوس » بمباركة البابا والولايات المتحدة ترتكب بالتنسيق مع منظمة إرهابية مسيحية يطلق عليها إسم : « إيلاجا » .

وقد برزت تلك المنظمة إلى حيز الوجود في عام ١٩٧٠ مدعومة ماديا ومعنويا وعسكريا من قبل مسئولين في حكومة ماركوس الطاغوتية .
وحتى تلبس الحكومة مشاريعها البغيضة والوحشية رداء آخر ، فإنها تقوم حاليا من خلال القنوات الاعلامية التابعة لها والادوات الاعلامية الغربية المؤيدة لكل ما هو صليبي ، بإلقاء مسئولية مذابحها البشعة على عاتق بعض الزعماء المسيحيين في البلاد . وبذلك تقلل من شأن الصراع الحقيقي الدائر على أرض مورو الاسلامية وتحجمه إعلاميا إلى مجرد كونه اضطرابات طائفية بين المسلمين والمسيحيين ، وليس بين المسلمين والجيش الفلبيني المجهز بأحدث الأسلحة والمدعوم من أقوى دولة في العالم .
ومن هنا بات الخيار العسكري أمرا ضروريا وملحا أمام مسلمي مورو من أجل هدف الدفاع عن النفس .

قيام مسلمي مورو بتأسيس « جبهة تحرير مورو الوطنية » واندلاع الثورة الاسلامية :

وكنتيجة حتمية لتفشي الظلم والاضطهاد والقمع والقتل والتنكيل ضد المسلمين العزل ، وقيام منظمة إيلاجا الارهابية باعتداءات لا هوادة فيها على المسلمين واستمرار الجيش في حرق بيوت المسلمين ومساجدهم ومدارسهم الاسلامية وإجبار أصحاب الأرض على الرحيل وماشاكلها من الأعمال العدوانية ، لم يتردد المسلمون كثيرا قبل أن يبدأوا في ممارسة حقهم الطبيعي في الدفاع عن أنفسهم ودينهم وعرضهم وأراضيهم . فكونوا المنظمة الثورية المعروفة باسم « جبهة تحرير مورو الوطنية » في عام ١٩٧٢م . وأخذت الجبهة على عاتقها مسئولية ضخمة وهي خوض غمار حرب تحرير طويلة الأمد . وكانت الجبهة ولا زالت الرادع الحقيقي والعائق الاساسي في وجه الابادة النهائية والكاملة لشعب مورو المسلم . فاستطاعت عرقلة الغزاة النصارى غير أن الطغمة العسكرية الغاشمة تركز هجومها بكثافة على المدنيين الابرياء .
إن زعم الحكومة أن جبهة مورو هي التي بدأت الحرب إنما هو محض افتراء وصفاقة واضحة . ولا نبالغ إذا قلنا إنه تحريف عظيم تكذبه الأحداث الجسام على أرضية الواقع في بلاد المورو ، أريد به تضليل الرأي العام العالمي بهدف تبرير جرائمها السابقة والحالية والمستقبلية وانتهاك حقوق الانسان المسلم .
ومن المؤسف أن الصحافة العالمية دأبت على نعت المجاهدين بصفة « الارهابيين » مثلما فعلت ولا زالت بشأن الفدائيين الفلسطينيين الأشاوس . ولعل الحقيقة الساطعة هي أنه لولا الجهود الجريئة الباسلة التي لا تلين من جانب جبهة تحرير مورو وجنودها المسلمين لتعرض إخواننا هناك للابادة والطمس الكامل ، وليس فقط المعاناة الجسدية والمعنوية على أيدي القوات المسلحة البربرية وعناصر ايلاجا

الدموية .
وعلى مدى العقد السابع الميلادي فشلت الحكومة (ولا تزال)) في إخضاع واستعباد وإذلال المجاهدين ومناضلي الحرية . لكن ماركوس الطاغية صب جام غضبه وهياجه من ضربات الثوار المتلاحقة ، فقام بإصدار أوامره إلى جيشه بتركيز الضربات الوحشية على السكان الأبرياء من المسلمين فقامت قواته الجوية والبرية بطمس قرى إسلامية بأكملها . ومارس الفسقة الفجرة أبشع أنواع الغدر والتقتيل في المسلمين العزل من السلاح تحت ذريعة أنهم يؤيدون المجاهدين أو يتسترون عليهم .

خسائر مسلمي مورو في الأرواح والممتلكات :

وخلال العقد الفائت فقط ، استشهد أكثر من مائة ألف مسلم ، جلهم من المدنيين العزل ، من النساء والأطفال والمسنين . ولقد تفننت تلك الهجمة الصليبية الشرسة في أساليب القتل الوحشي الهمجي فتارة تستخدم أسلوب تجميع المواطنين في ميدان ثم تمطرهم بالرصاص ، وأحيانا لا تتورع عن قتل الناس عند « ضبطهم » وهم يؤدون الصلاة في بيوتهم أو في المساجد . هذا فضلا عن تبني استراتيجية تصفية العناصر الاسلامية المتفردة و الهامة مثل الدعاة والأزهريين وخريجي الجامعات الاسلامية والذين تعتبرهم السلطات الفلبينية عقبة كأداء في وجه الهدف النهائي للكنيسة « النصرنة » الكاملة لبلاد مورو .
وفي كل مرة تعجز قوات الجيش عن التقدم بسبب المقاومة المستميتة والصمود البطولي لثوار الجبهة تلجأ الحكومة إلى اسلوب الجبان الفاجر ، فهي تعلم الحقيقة المأساوية وهي عدم توفر أنظمة دفاع جوي لدى الثوار فتقوم بغارات جوية عنيفة ومتلاحقة على القرى الاسلامية ومعاقل الثوار مستخدمة أبشع وسائل التدمير من نابالم وقنابل حارقة وعنقودية الخ .. كما أن الحكومة تستخدم وسائل تدميرية أخرى كالمدافع الميدانية ذات العيارات الكبيرة والتي لا تتوفر لدى الثوار ، وتلجأ أحيانا إلى القصف الصاروخي من البحر . وما أن تتقدم قواتها بسبب جحافلها البشرية والغطاء الجوي والبري والبحري تستولي على إحدى القرى (مثلا) حتى تشرع في اعتقال الأبرياء وتعذيبهم حتى الموت أو تدفنهم أحياء . وأحيانا تأتي بالأطفال الرضع أمام أعين أمهاتهم وتقوم برميهم في البحر ، كما أن المسنين يتركون في العراء والأماكن الخربة المهجورة بلا طعام أو شراب حتى يموتوا جوعا .
وتتعرض المسلمات للاغتصاب ثم القتل أو البيع في سوق الرقيق المزدهر في مانيلا . ناهيك أخي القارىء عن الخسائر في الممتلكات ، فلا نبالغ إذا قلنا إنها لا تعد ولا تحصى . وهي تشمل المزارع والحقول والبساتين والمنازل والمساجد والمدارس الاسلامية . لا لشيء سوى أن هؤلاء الناس يقولون ربنا الله لا إله الا هو ، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولنا ..

ملخص للمخططات الخداعية والأساليب الالتوائية التي تتبعها حكومة الفلبين :

وحتى يمكن الالمام السريع بتفاصيل النضال القائم حاليا ، لابد لنا من إعطاء نبذة قصيرة عن استراتيجية حكومة ماركوس التي تقوم في مجملها على هدف مرحلي يكمن في احتواء وتحجيم وضعضعة كفاح شعب مورو المسلم . وتنصب تلك المخططات في عدة قنوات :

١ ـ ثقافية .
٢ ـ العلاقات الخارجية للفلبين وبخاصة مع البلدان الاسلامية .
٣ ـ الاستراتيجية السياسية والاقتصادية .
٤ ـ الاستراتيجية العسكرية .

أولا : المخطط الثقافي التعليمي

بحجة تشجيع وتعزيز دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي ، قام ما يسمى بـ « وزارة شئون المسلمين » بتوزيع مذكرة أوامر تجبر المدارس الاسلامية ومعلميها على التسجيل الوظيفي لدى الوزارة ومن هنا يبدأ « الاحتواء الثقافي » الذي تنشده الحكومة الفلبينية . فمناهج الدراسة المزمع تنفيذها بتوجيهات وأوامر من الوزارة السابق ذكرها لابد أن تتمشى وتتوافق مع شروط ومتطلبات وقواعد الحكومة الاستبدادية في مانيلا . بمعنى أكثر وضوحا هو أن الحكومة ستراقب عن كثب أنشطة المدارس الاسلامية التي كانت ولا تزال محل شك المسئولين الفلبينيين وعناصر المخابرات هناك . وكانت تلك المدارس حتى عهد قريب معملا ثوريا إسلاميا نشطا ، واداة فعالة في توجيه الشباب المسلم إلى الجهاد .
غير أن هناك هدفا تضعه « وزارة شئون المسلمين » نصب عينيها ألا وهو عرقلة المد الاسلامي المتنامي الذي يدعو إلى تأسيس هوية ثقافية إسلامية منفصلة ومميزة لشعب مورو عن الشعب الفلبيني ومن ثم الافضاء إلى الاندماج التدريجي لشعب مورو في هيكلية الأمة الفلبينية .

ثانيا : العلاقات الخارجية للفلبين وبخاصة مع البلدان الاسلامية

وعلى الصعيد العالمي تلجأ الحكومة إلى سياسة دق إسفين بين الجبهة وبلدان العالم المتعاطفة مع القضية العادلة لمسلمي مورو . فالحكومة تبذل قصارى جهدها

على الصعيدين الدبلوماسي والاعلامي ، لتشويه صورة الجبهة ووصفها بالعناد والتصلب ورفض « الحل الوسط » وبأنها سبب الأوضاع المتأزمة في الجنوب .. الخ .. وترمي الدبلوماسية الفلبينية إلى تحقيق هدفين رئيسيين :

١ ـ العمل على تعضيد العلاقات الاقتصادية والثقافية والدبلوماسية مع الدول الاسلامية وبالأخص تلك الدول التي تصدر النفط ... حيث مصالح الفلبين الحيوية المتمثلة في :
أ ـ المشتريات النفطية .

ب ـ تصدير أعداد ضخمة من العمال الفلبينيين بما يعود على البلاد من عملات صعبة من جهة ، وتقليص عدد العاطلين من جهة أخرى حيث أن البطالة في الفلبين قد وصلت أرقاما فلكية .

٢ ـ تقليص ، إن لم يكن إنهاء التعاطف والتأييد الأجنبي لجبهة مورو ، أو على الأقل ضمان حيدة أكبر عدد ممكن من دول منظمة المؤتمر الاسلامي التي اجتمعت مؤخرا في المغرب ولم تبحث القضية .
إن دول العالم الاسلامي وبخاصة الأقطار الاسلامية المصدرة للنفط قد اكتسبت معرفة ـ نستطيع أن نقول إنها مرضية ـ بشأن خلفية النزاع ومدى معاناة إخواننا المسلمين الذين يئنون تحت القمع العسكري للمحتلين ، وذلك يرجع في المقام الأول للجهة الاعلامية التابعة لجبهة مورو والتي تطلع حكومات الدول الاسلامية أولا بأول على آخر تطورات المشكلة .

وهذا يقودنا إلى استنتاج فشل ألاعيب ماركوس في تحقيق أهدافها الخارجية المتمثلة في تزييف وجه مورو الناصع ـ عمليا نتيجة إلمام الدول الاسلامية بتفاصيل المشكلة ـ ولعل هذا المقال يساهم في إلقاء بعض الضوء لكن يجب أن نلفت الانتباه إلى أن حكومة ماركوس قد نجحت في إقناع بعض الدول الاسلامية المصدرة للنفط بأنها ملتزمة بتنفيذ اتفاقيات طرابلس الخاصة بتسوية النزاع سلميا ، وبالتالي ضمنت استمرار تدفق الزيت . لكن حكومة مانيلا ، وكما سيتضح في جزء آخر من هذا المقال ، تفسر مسألة الحكم الذاتي ـ أهم بنود الاتفاقية ـ على هواها وطبقا لمصلحتها .

ثالثا : التوجه السياسي والاقتصادي لحكومة مانيلا

لعل هذا الجانب يمثل أهم التوجهات الاستراتيجية للحكومة في سعيها الدؤوب لاضعاف وخلخلة جبهة مورو ، وذلك يتم على محورين :
أولا : محاولة شراء الذمم ، بالترغيب والترهيب ، بالعروض المالية السخية والمناصب الحكومية الكبيرة ، والمستهدفون من هذه الخطة هم :

أ) قادة مورو من الساسة ورجال الدين .
ب) سلاطين أقاليم « مندناو » .
والهدف بالطبع واضح جلي .. وهو خلق فصيل من المسلمين يتعاون مع الحكومة ويعزل الجبهة عن قاعدتها الجماهيرية الاسلامية .

ثانيا : بعد أن تسوى القرى بالأرض - أثناء عمليات التمشيط أو الهجمات المضادة - تقوم الحكومة بتقديم مساعدات مادية ضئيلة أو إعانات للعاطلين عن العمل ممن يثبت عدم تعاطفهم مع الجبهة . ويصاحب ذلك الاجراء الخبيث ، حملة إعلامية ضخمة تلقي باللوم على الارهابيين « المجاهدين » الذين تسببوا في مآس كثيرة لبني جلدتهم !؟ فتأتي الحكومة الخيرة وتقدم العون المادي للمنكوبين !!!؟وذلك لاعطاء انطباع مؤداه أن جبهة مورو ما هي إلا مجموعة من المجرمين ، حاملي معاول الهدم يعرقلون فرص التنمية الاقتصادية التي تتشدق الحكومة بها صباحا ومساء لتلهي الجماهير الاسلامية المغلوبة على أمرها ، عن هدف جبهة مورو النبيل - لسان حال شعب مورو المضطهد .

رابعا : الاستراتيجية العسكرية للحكومة

ولعل أبرز ما تحرص عليه الحكومة هو إخفاء العمليات العسكرية التي تشنها ضد المجاهدين عن أعين ممثلي منظمة المؤتمر الاسلامي الموفدين في بعثات لتقصي الحقائق ، وبمجرد عودة هؤلاء الموفدين إلى بلادهم ، يتسع نطاق العمليات العسكرية وتزداد شراستها لتشمل تلك الأقاليم التي زارها ممثلو منظمة المؤتمر !! والآن تهدف الحكومة في عملياتها العسكرية تلك تدمير منازل ومزارع وحوانيت ومصادر رزق الجماهير المسلمة وذلك لدفع تلك الجماهير إلى طلب الاعانة من الحكومة .

ومن هنا تضمن الحكومة ارتباط جماهير « مندناو » بالأطر والهياكل التي تنشئها على أرض مورو الاسلامية من خلال تحكمها في حاجة تلك الجماهير دوما لها ، وبالتالي خضوعها واستسلامها لهيمنة الكوادر المسيحية التي تدير وكالات العون الحكومي المزعوم . كما أنها تضفي صفة الشرعية على تواجد تلك الكوادر الصليبية الاستعمارية فوق أرض مورو الاسلامية بحجة رعاية اللاجئين المسلمين .

وفي الوقت الحاضر لابد أن نضع في اعتبارنا صعوبة الموقف العسكري في « مندناو » فالحكومة زادت من عدد قواتها إلى نحو ربع مليون جندي ، وكما أسلفنا ، أنشأت الحكومة منظمة « إيلاجا » الارهابية ، وأطلقت العنان لمجموعات من الميلشيات المسيحية المسلحة ، بالاضافة إلى تسليح المستوطنين النصارى وعدم تعرضهم إطلاقا للمساءلة القانونية في حالة تعرضهم لاخواننا المسلمين في

ومن الجدير بالملاحظة أن الولايات المتحدة جددت اتفاقية القواعد والتسهيلات العسكرية مع الفلبين كما أن عناصر من الجيش تتلقى حاليا تدريبات متقدمة في تقنيتها واسلوبها وتكتيكها ، على مقاومة حرب العصابات ـ على أيدي خبراء أميركيين ـ وهذا يؤكد من جديد أن الدعم العسكري وإمدادات الأسلحة تتدفق على حكومة مانيلا الارهابية ، وأن حقوق الانسان التي تنادي بها أميركا علنا ما هي إلا واجهة زائفة لوجه قبيح ، وفي الأغلب والأعم ستستخدم المساعدة الجديدة في حملة إبادة جديدة للمسلمين .

« نور مسواري » يتعهد بمواصلة النضال حتى الاستقلال :

أعلن زعيم جبهة تحرير مورو الوطنية أن مسلمي « مندناو » قد عقدوا العزم على مواصلة الكفاح حتى الاستقلال وأن زعماء الجبهة قد قرروا العودة إلى المطالبة بحق تقرير المصير ، وباعتراف المجتمع الدولي بسيادة بلاد المورو كوحدة سياسية مميزة ومنفصلة عن الفلبين وتعليقا على المنصب الكبير الذي عرضه عليه ماركوس مؤخرا صرح السيد « مسواري » بما يلي في مقابلة مع صحيفة عرب نيوز ARAB NEWS الصادرة في ١٦ رمضان ١٤٠٣ هـ : لقد عرض علي هذه الوظيفة في مناسبات عديدة من خلال مبعوثين أرسلهم خصيصا لهذا الغرض وأضاف : غير أن ذلك ليس المشكل الذي نواجهه ، وليس ذلك بمثابة الحل الذي نناضل من أجل تحقيقه واستطرد قائلا « المشكل الذي نواجهه الآن يتعلق بمسألة حياة أو موت شعبنا الذي يتعرض الآن لحملة إبادة جماعية شرسة على أيدي القوات المسلحة الاستعمارية التابعة لنظام الرئيس ماركوس »

ـ خلاصة ـ

لقد بات من المؤكد أنه في أعقاب فشل المبادرة السلمية لمنظمة المؤتمر الاسلامي وفشل تطبيق اتفاقية طرابلس الغرب نصا وروحا ، وفي الأخير فشل وقف إطلاق النار فإنه ليس هناك حل نهائي للمشكل سوى أن يحمل الاستعمار الفلبيني عصاه ويرحل عن بلاد المورو التي يحتلها بقوة العسكر منذ يوليو ١٩٤٦م .
إن الأسباب الرئيسية لفشل اتفاقية طرابلس معروفة للجميع . ويأتي في مقدمتها أساليب ماركوس الشهيرة التي تنطوي على سياسة النفاق في الوجه ثم الطعن في الظهر . ولعل اغتيال « بنينو أكينو » أبلغ دليل على ذلك للعالم أجمع . فلقد اغتال أحد معارضيه الرئيسيين من المسيحيين جهارا نهارا بعد أن استدرجه للبلاد . فما بالك يأخي القاريء إذا كانت المعارضة من جانب المسلمين ، ولقد أثبتت الأحداث مدى الحقد الأسود الذي يكنه ذلك الصليبي الفاشي للمسلمين .
وهناك حقيقة أخرى بهذا الصدد ، وهي أن حكومة ماركوس لم تكن لتهتم ألبتة

بمصالح المسلمين وذلك تمشيا مع الخطة السرية لمجلس الكنائس العالمي القائم على محو الوجود الاسلامي نهائيا ـ على المدى البعيد ـ من منطقة جنوب شرق آسيا برمتها ـ .

وقد وضح الموقف الخبيث لحكومة مانيلا عندما جعلت اتفاقية طرابلس على الورق فقط وعرقلت عمل اللجنة الفنية وادعت الحكومة أن اللجنة الفنية لا تملك صلاحيات وضع اللمسات الأخيرة على الاتفاقية وأن مهمة اللجنة تنحصر في دراسة نص الاتفاقية فقط !؟

وقد تمت الدعوة لجولة مفاوضات أخرى في مانيلا ١٩٧٧ فأرسلت الجبهة وفدا يمثلها لكن الحكومة نظمت مظاهرة عدائية ضد الوفد فاضطر للعودة إلى المقر الرئيسي في المنفى .

وعادت الحكومة لممارسة أساليبها الالتوائية فأعلنت أنها مصرة على تنفيذ اتفاقية طرابلس لكن الصليبيين فسروا النصوص الواضحة التي لا لبس فيها أو غموض ، بطريقة مريبة فهم يريدون من جبهة مورو ومن منظمة المؤتمر الإسلامي قبول مشروع الحكم الذاتي لجنوب الفلبين ، على طريقتهم الخاصة . فالاتفاقية تلزم الحكومة الفلبينية بتطبيق الحكم الذاتي على المنطقة الاسلامية كلها ، أي بلاد المورو بأكملها ، والتي تشمل ثلاثة عشر إقليما لكن الحكومة تريد استقطاع ثلاثة أقاليم هامة هي :

١) إقليم بالاوان . plawan province

٢) إقليم جنوب كوتاباتو south Cotabato province

٣ (إقليم داناو ديل سير . Davao del Sur Provimce

ثم خرقت الحكومة وقف إطلاق النار تحت سمع وبصر » لجنة المراقبة « الموفدة من قبل منظمة المؤتمر الاسلامي واستأنفت حرب الابادة التي لا تزال مستمرة حتى الآن .

وفي الوقت نفسه أعلن وزير خارجية الفلبين آنذاك مانويل كولانتس أن اتفاقية طرابلس لم تعد سارية المفعول . ويرجع الفشل إلى أن الحكومة الفلبينية وجبهة مورو ومنظمة المؤتمر ـ هكذا يزعم الوزير ـ قد فشلوا جميعا في التوصل إلى اتفاق على إجراءات التنفيذ العملي للاتفاق في الاطار الزمني المنصوص عليه .

إذا فالاتفاقية أصبحت ميتة فعلا بسبب انقضاء الفترة الزمنية المحدودة للتنفيذ .

دعم مورو الآن واجب إسلامي ملح

إن حرب التحرير طويلة الأمد تعتمد على « تكتيك » حرب الاستنزاف البطيء لقوات ماركوس ، واسلوب القتال الحالي لاخواننا مجاهدي مورو . وحتى نرفع من روحهم القتالية والمعنوية يتوجب علينا دعمهم بمختلف أنواع الدعم المادي والعسكري وتسليط الضوء أكثر على قضيتهم العادلة .

مائدة القارئ

عباد الرحمن

قال تعالى :

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما .

الصوم في شعبان

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ! قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » رواه النسائي .

من أسرار لغتنا

سِداد .. وسَداد

قال النضر بن شميل التميمي النحوي اللغوي الأديب فيما روي : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِداد من عوز » وكسر السين في « سداد » بدلا من فتحها فقال له المامون ـ الخليفة ـ : ما الفرق بينهما ؟ قال : السَّداد : القصد في الدين والطريقة والأمر . والسِّداد : البلغة ، وكل ما سددت به شيئا فهو سداد . وقد قال العرجي :

اضاعوني وأي فتى اضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر



فكاهة

خرج قوم في سفر ، فأصابهم ريح عاصف ، يئسوا معها من الحياة ، ثم كتب الله لهم النجاة ، فأعتق كل رجل منهم مملوكا ، إلا واحدا قال : اللهم لا مملوك لى أعتقه ، ولكن امرأتي طالق ـ لوجهك ـ ثلاثا .

الترغيب .. والترهيب

يقول ابن عبدل الأسدي :

أطلب ما يطلب الكريم من الرزق ... بنفسي وأجمل الطلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا ... رغبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا ... يعطيك شيئا إلا إذا رهبا
مثل الحمار السوء المخاتل لا ... يحمل شيئا إلا إذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم ولا ... شد لعيس رحلا ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر ... حل ومن لا زال مغتربا

لولا البنية

محمد بن يسير الرياشي :

لولا البنية لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ... ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
اخشى فظاظة عم أو جفاء أخ ... وكنت أخشى عليها من أذى الكلم
إذا تذكرت بنتي حين تندبني ... جرت لعبرة بنتي عبرتي بدم
تهوى بقائي وأهوى موتها شفقا ... والموت أكرم نزال على الحرم

أدب الأدب

قدم أبو محمد اليزيدي مكة في شهر رجب فأقبل على العبادة والاجتهاد والصوم والصدقة . وكان أهل الأدب يجتمعون له ليؤانسوه ، فيقول : ما شيء احب إلي من مشاهدتكم ومحادثتكم، ولكن هذا بلديتقرب فيه إلى الله بالأعمال الصالحة ، وإنما أقيم شهرا أو شهرين ثم انصرف إلى بلدي ، فإن رأيتم ألا تجروا في مجلسي رفثا ولا خنا ولا هجاء في شعر ولا غيره فافعلوا .

المؤمن

يقول محمد إقبال :
إن المؤمن يعيش حيا كالشمس ، يغرب في جهة ليشرق في جهة أخرى ، فهو دائم الإشراق والحياة ، لا يغيب .

من دعائم المجتمع الفاضل

منذ أن خلقت البشرية والى الآن لم يكتب الله تعالى لأمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات مثل ما كتب لمجتمع الاسلام من الخيرية والنجاح والعزة والفلاح ولعل السر في ذلك يكمن في أن بنيان هذا المجتمع يقوم على ركائز قوية وأسس متينة ومبادىء قويمة مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم .

وأود في هذا المقام أن أقف مع آية من كتاب الله تعالى نتعرف من خلالها على بعض تلك الدعائم التي وضعها رب العزة سبحانه من أجل قيام المجتمع الفاضل .

قال تعالى : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**) ٧١/التوبة .

فلقد اشتملت تلك الآية الكريمة على ست دعائم يتعلق على تحققها وجود المجتمع الفاضل ، وفيما يلي عرض لتلك الدعائم الهامة .

١ ـ الإيمان بالله تعالى :

وهو الأساس المتين الذي يقوم عليه البنيان ، لأنه هو الصلة بين المخلوقين والخالق وبتحققه يراقب الانسان ربه في تحركاته وأعماله وتصرفاته مقتنعا في ذلك بقول الله تعالى : (**ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من**

في الإسلام

للأستاذ / عمر حافظ سليم عاصي

نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) المجادلة /٧ ومجتمع يراقب أفراده ربهم فيخلصون في أعمالهم ويؤدون واجباتهم جدير بأن يكون من أفضل المجتمعات وأرفعها وأرقاها .

والايمان بالله تعالى حينما يتمكن من القلوب ويتمركز في الأعماق فانه ينعكس على الأفعال والتصرفات ، وخير مثال لذلك ما كان عليه سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ من الصحابة والتابعين فلقد كانت حياتهم مطمئنة وعيشتهم راضية .

يروى أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما ولي الخلافة أسند مهمة القضاء لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ولما قبل عمر هذه المهمة ظل سنة كاملة لم يتقدم إليه خصمان ولم يعرض عليه نزاع أو خصام ، فذهب إلى أبي بكر وقال له : أعفني من هذه المهمة . ومن ثمرات الايمان بالله تعالى أن الله يفتح الدنيا على عباده المؤمنين قال تعالى : **(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)** ٩٦/ الأعراف .
وقال : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من**

بعد خوفهم أمنا) ٥٥/النور .

ومن ثمرات الايمان أيضا أنه يجعل أبناء المجتمع على صلة وثيقة بالله تعالى متحملين كل المصاعب والمتاعب والمشقات من أجل رضاه ، خاصة أنهم يعلمون أن طريق الايمان ليس مفروشا بالورود والرياحين وإنما هو محفوف بالمتاعب مملوء بالأشواك .

وخلاصة القول أن الايمان حينما يتمكن من النفوس فان المجتمع يسوده الصفاء والنقاء والمودة والاخاء ويستتب فيه الأمن والنظام ويعيش أبناؤه عيشة راضية وحينما يغيب هذا الايمان من جو المجتمع تكثر الانحرافات ويتعكر صفو الحياة ، وتنتشر الفوضى ويعم الفساد وتكون عيشة الضنك . وذلك لأنه في غيبة الحق ينتشر الباطل ، وصدق الشاعر إذ يقول :

إذا الايمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا

٢ ـ الأخوة والمناصرة :

لقد اقتضت سنة الله في خلقه أن يكون التوحد أساس الوجود وأن يكون التفرق نذير الفناء ، نلاحظ ذلك كثيرا في الأشياء التي توجد من حولنا ، بل إننا نلاحظ ذلك في أقرب شيء إلينا وهو جسم الانسان الذي يظل قويا سليما متماسكا حتى إذا ما تألم عضو من أعضائه دب هذا الألم إلى سائر الأعضاء الأخر .

والحال كذلك في هذا المجتمع الانساني الذي نعيش فيه فهو شبيه بالجسم في تماسكه وصلابته كما أن الأفراد الذين يعيشون داخل المجتمع شبيهون بأعضاء الجسم وبما أن الجسم لا يمكن أن يكون صحيحا قويا إلا بسلامة أعضائه من الآلام والأمراض فان المجتمع كذلك لا يمكن أن يكون هادئا ومستقيما إلا إذا تآلف أفراده واتحدوا . ولقد تناول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل هذه المعاني في قوله : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » رواه احمد .

ومن هذا المنطلق جاء اهتمام الاسلام بالأخوة التي تعني بذل صادق المودة والتناصر بالحق والمشاركة في الآلام والآمال ، والتكافل على أحداث الحياة . قال تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) ١٠/الحجرات .

وقال : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**) ١٠٣/آل عمران .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » متفق عليه . كما أنه ـ صلوات الله وتسليماته عليه ـ كان حريصا أول ما نزل بالمدينة المنورة على بذر بذور الأخوة بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن اسحاق : « آخى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ـ ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل ـ « تآخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي » سيرة ابن هشام ج٢ ص١٥٠ طبعة بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ . وبفضل الأخوة والوحدة تمكن المسلمون الأوائل أن يحطموا أقوى الامبراطوريات وأن يتبوأوا مكانتهم اللائقة بهم بين الأمم وأن يفتحوا الدنيا ويملؤوها عدلا وزهدا وتقوى وورعا حتى امتدت حدود الاسلام من حدود المحيط الهندي شرقا إلى حدود المحيط الأطلنطي غربا ، ومن حدود فرنسا شمالا إلى حدود سيبيريا جنوبا .

وهذه الأخوة التي نتحدث عنها تقوم على أساس متين من الحب في الله ولله ، وذلك يقتضي منا أن نترفع بهذا الحب فوق مستوى المصالح والمنافع والأهواء . وترغيبا في هذا النوع من الحب أكد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن المتحابين في الله سيكونون يوم القيامة في منزلة يحسدهم عليها الأنبياء والشهداء .

فعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ـ « إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله خبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس رواه ابو داود وقرأ هذه الآية : « **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

اقتضت إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوجد بين أفراد المجتمع تفاوت في فهم الدين ، فمنهم من يسوء فهمه للدين فهو يحتاج إلى إقناع ، ومنهم من يفهم ولكنه ينسى فهو يحتاج إلى تذكير ، ومنهم من ينحرف فهو يحتاج إلى تقويم .

لذلك فقد شرع الله تعالى مبدأ إسلاميا هاما ، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فجعله واجبا من أعظم الواجبات الدينية .

قال تعالى : (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) ١٠٤/آل عمران .

وجعله أيضا من أهم أسباب أفضلية الأمة الاسلامية على غيرها من الأمم فقال تعالى : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) ١١٠/آل عمران .

وأخبر الله تعالى أنه صفة من صفات المؤمنين ودعامة من أهم دعامات المجتمع الفاضل . فقال ـ عز من قائل : (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**) ٧١/التوبة .

كما اهتمت السنة النبوية الشريفة بهذا المبدأ اهتماما كبيرا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة للأخذ به ، ومن ثم فقد أكد على القيام به تأكيدا شديدا فقال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم) رواه الترمذي وحسنه . وحينما فرض الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما فرضه لمصلحة العباد حيث يجدون فيه الأمن ويشعرون بالأمان وينعمون بالاستقرار بسبب إعلان المعروف والقضاء على المنكر .

فاذا ما أهمل العباد ذلك حل الخوف بدلا من الأمان وساد الاضطراب بدلا من الاستقرار وكان في ذلك هلاك الأمة .

ولقد صور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك العاقبة في حديث من أحاديثه تصويرا عمليا حين قال :

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه البخاري ومسلم .

وهكذا نجد أن الهلاك هو عاقبة عدم الأخذ على أيدي الشذاذ والمفسدين الذين يلغون العقل ويتحللون من الخلق فيسيئون العمل . ولقد كان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد الأسباب التي من أجلها لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم .

قال تعالى : (**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**) **المائدة/٧٨و٧٩** . وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشيع الفاحشة في الناس وتنتشر الرذيلة بينهم انتشار النار في الهشيم ، وبذلك تعاني الأمة من كثير من الأزمات في كل مجالات الحياة من سياسة واقتصاد وتعليم وصحة وغير ذلك حيث أن الفساد لا يجد من يقف في وجهه والظلم لا يجد من يقومه ويضع له نهاية وحدا فينطلق أهل الظلم والفساد يعربدون ويخربون ويستعبدون دون أدنى مبالاة .

يقول الامام الغزالي في كتابه الاحياء :

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفتنة وفشت الضلالة وهلك العباد ، وإن لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق ،

واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفتنة ، وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها » احياء علوم الدين للامام الغزالي ج٢ ص٣٠٢ .

إقام الصلاة :

للصلاة في الاسلام منزلة لا تعد لها أية عبادة أخرى ، فهي عماد الدين الذي لا يقوم بناؤه إلا به ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « رأس هذا الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد لا يناله إلا أفضلهم » رواه الطبراني .

ويأتي اهتمام الاسلام بفريضة الصلاة من منطلق مالها من أثر كبير فهي إصلاح نفسي وروحي واجتماعي للفرد والجماعة .

أما عن أثرها في حياة الفرد فانها تجعله نشيطا حي الضمير متصلا بالله ـ سبحانه وتعالى ـ . وبذلك يتحرر من ماديات الحياة خاصة وأن نفس الانسان دائما تقوده إلى مواطن الشر ، والشيطان دائما يغويه ويغريه ويزين له سوء عمله ، فيضطره إلى الكذب تارة وإلى الغش تارة أخرى وإلى السرقة تارة ثالثة ، ولا مخرج للانسان من تلك الأزمات إلا بالصلاة التي تجعل صاحبها صافي النفس طاهر القلب قريبا من الخير بعيدا عن الشر مفضلا الحلال على الحرام ، ولذلك فان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) **٤٥ / العنكبوت . ولقد عبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن تلك المعاني حين قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق عليه .**

وأما عن أثر الصلاة في المجتمع فانها تساعد على بذر بذور الألفة والمودة والتعاون حيث يلتقي المسلم بأخيه المسلم في المسجد ليؤدي الصلاة في جماعة ، يقف فيها المصلون صفا واحدا متساويا ، الأقدام متجاورة والأكتاف متلاصقة ، والحركة متحدة ، والكل منقادون للامام ، لا فرق في ذلك بين غني ولا فقير ، ولا عظيم ولا صغير ولا قوي ولا ضعيف ، فان الجميع أمام الله سواء .

وبذلك تتجلى المساواة في أجمل صورها وأبهى مظاهرها .

وفي صلاة الجماعة ـ أيضا ـ يظهر المسلمون بمظهر الوحدة والقوة والمحبة والألفة . ولقد كان المسجد وسيظل مصنع البطولة والرجولة فلقد تخرج فيه القادة والأئمة والأبطال الأفذاذ كان المسجد على عهد رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ دارا للعلم ومقرا للشورى ومحكمة للقضاء بما أنزل الله . وبذلك تبوأت الأمة الاسلامية مكانتها اللائقة بها بين الأمم فكانت في المقدمة دائما . وهكذا نجد أن المجتمع الفاضل يحافظ أبناؤه على الصلاة ويسعون إلى المساجد لأدائها في جماعة ، حاديهم إلى ذلك هو الحق سبحانه وتعالى : (**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**) ١٨/التوبة .

إيتاء الزكاة

تعتبر الزكاة دعامة من أهم الدعامات التي يجب أن يقوم عليها بناء المجتمع الفاضل في الاسلام من حيث أنها :

١ ـ تطهير للنفس البشرية من رذيلة الشح والبخل والطمع : فمن المسلم به أن النفس البشرية دائما تحب المال ويعز عليها فقده ، قال تعالى : (**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) ١٤/آل عمران . لذلك فانها حينما تجود بهذا المال تكون قد تطهرت من حبه وترفعت عن جمعه وكنزه ، فيبارك الله هذا المال ويجعله ينمو ويزداد .

قال تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) ١٠٣/التوبة ولاشك أن مجتمعا طهرت نفوس أبنائه من الشح والبخل والطمع مجتمع فاضل .

٢ ـ كما أنها حل لمشكلة الفقر ، وحد لتضخم الأموال عند الأغنياء وتحقيق لمبدأ التكافل الاجتماعي . فالاسلام يكره الفقر من جهة أنه قد يؤدي بصاحبه إلى ارتكاب الجريمة من أجل المعيشة ومن جهة أنه يكون أحيانا جرحالكرامة صاحبه ومدعاة إلى زلزلة العقيدة واختلاط الايمان ولما كان الأمر كذلك شرع الاسلام الزكاة والصدقة كي يحمي الفقراء من الوقوع في الجريمة تحت ضغط الحاجة ، وكي يشعر هؤلاء الفقراء بالعطف والحنان من جهة إخوانهم الأغنياء . وكما يكره الاسلام الفقر فانه يكره الطبقية بحيث تعيش طبقة من الناس في مستوى الترف وتعيش طائفة أخرى في مستوى الشظف ويكره أن يكون المال دولة بين الأغنياء لأن ذلك كله يولد أحقادا دفينة وأضغانا تحطم أركان المجتمع ,لذا فقد شرع الاسلام الزكاة لتكون إذابة للفوارق وإزالة للطبقية .

بل إن الاسلام شدد عقوبة منع الزكاة فأباح قتال من اقترف هذا الاثم ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فان فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله » متفق عليه .

ولقد وقف أبوبكر من المرتدين موقف الحزم والحسم عندما امتنعوا عن أداء الزكاة بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحاربهم حربا لا هوادة فيها

عرفت في التاريخ بحرب الردة ، وذلك يدل على مكانة الزكاة السامية في الاسلام وأهميتها البالغة في إقامة المجتمع المثالي الفاضل مجتمع الرحمة والمحبة والتكافل والمودة .

طاعة الله ورسوله :

حينما خلق الله سبحانه وتعالى ـ الانسان لم يخلقه عبثا وإنما خلقه لغاية من أسمى الغايات هي طاعته وعبادته كما جاء في قوله تعالى : (**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات/ ٥٦ ـ ٥٨ .

ومعنى طاعة الله ـ سبحانه ـ العمل بما أمر به والابتعاد عما نهى عنه في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعلى لسان رسوله الذي لا ينطق عن الهوى . والانسان في ظل طاعة الله وعبادته يجد السعادة كل السعادة ويعيش الهناء كل الهناء كما أنه يجد في الاعراض عن تلك الطاعة البؤس كل البؤس ويعيش الشقاء كل الشقاء . وصدق الله العظيم حيث يقول :

(**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**) ١٢٣ ـ ١٢٦/طه . وبطاعة الله وتقواه تزول الشدائد وتهون الأهوال ويتبدل العسر يسرا وينزل الرزق من السماء من حيث لا يحتسب الانسان .

قال تعالى : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب**) الطلاق/ ٢و٣ . وأهل طاعة الله هم أهل الفوز في الدارين كما وصفهم الله سبحانه في كتابه حين قال : (**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**) ٥٢/ النور . وطاعة الرسول بمعنى العمل بما في سنته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صميم طاعة الله تعالى قال تعالى : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) ٨٠/ النساء . وذلك لأن سنته الشريفة مكملة وموضحة للقرآن الكريم فهما متلازمان . وحينما يكون أبناء المجتمع على مستوى رفيع من طاعة الله ورسوله فان الحياة تصفو والخير يعم والبركة تنزل .

قال تعالى : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) الأعراف/ ٩٦ .

وبعد :

فان المسلمين الأوائل لم يستطيعوا تسجيل ما سجلوه من مفاخر وانتصارات إلا بعد أن أقاموا مجتمعهم على تلك الدعائم القوية المتينة . وحينما فرط المتأخرون في العمل بها آل أمرهم إلى ما هم عليه الآن من فرقة وشتات واختلاف ، ولن يغير الله ما بهم إلا إذا استيقظوا من رقادهم وأدركوا أنفسهم ، أسأل الله أن يوفقنا لذلك .

الفتاوى

« صيام نصف شعبان »

وردت رسالة من القارىء عبدالفتاح السيد من دسوق مركز كفر الشيخ ج م ع يقول : ما حكم صيام يوم نصف شعبان وهل الدعاء الذي يجتمع له الناس ليلة النصف مطلوب ؟

.. نقول وبالله التوفيق : صيام يوم نصف شعبان لم يثبت فيه حديث صحيح فلا ينبغي الاعتقاد بأن صيام نصف شعبان افضل من غيره من أيام شعبان بل من السنة إكثار الصيام في شهر شعبان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم أكثر أيام شعبان . قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان . رواه البخاري ومسلم . ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة في ذلك حين قال « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وانا صائم » رواه أبو داود والنسائي .

أما الدعاء ليلة النصف من شعبان بصيغة معينة وفي اجتماع خاص لهذا الدعاء كما يفعل بعض المسلمين في بعض الاقطار فلا أصل له ولم يحدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة أن اجتمعوا للدعاء ليلة النصف من شهر شعبان .

على أن الدعاء لا يحتاج الى اجتماع يتحدد زمانه ومكانه ويلتزم الناس فيه بصيغة معينة يرددونها في تلك الليلة . هذا وقد يفهم بعض العوام ان هذا امر المطلوب من كل مسلم ان يتقرب الى الله بالدعاء في كل زمان ومكان وأينما حل وحيثما ارتحل مادام الله سبحانه طلب ان ندعوه وقال : **ادعوني استجب لكم** « الآية/٦٠ غافر . وقال : « **واذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان** . البقرة/١٨٦ .

وليس الدعاء مطلوبا وقت الحاجة فقط كما يفعل بعض الناس اذا ألمت به ضائقة نفسية او مالية او تعرض لمشكلة او مأساة ألح على الله في الدعاء وهو في تضرع وخشوع وان كشف الله مابه من ضر ينسى الدعاء ولا يذكر الله الا قليلا ولذا نعى القرآن على المنافقين وأنكر هذا الاسلوب بقوله تعالى : **واذا**

انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض . فصلت/ ٥١ .

لا ينبغي ان نقبل على الدعاء في اوقات ثم نهجره بل الدعاء عبادة وقربى لها صفة الدوام والاستمرار سواء في ليلة النصف ام في غيرها .

● وردت رسالة من القارىء ابراهيم راشد من دبي يقول : ما حكم المزاح هل هو حرام أم مباح ؟ معنا زميل في العمل ينهانا عن المزاح ويؤكد انه حرام .

.. اذا كان المزاح من غير ضجيج وصياح وكان بريئا بمعنى ان كلماته ليست نابية وليس فيه تعريض بأحد ولا يشتمل على كذب او إثارة فهو مباح لما ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا وكان الصحابة رضي الله عنهم يمزحون ويضحكون تمكينا للقلوب من حظها في الراحة بلون بريء يذهب عنها الملل ولعل الاخ الذي ينهي عن المزاح قد ضاقت نفسه لخروج المزاح عن حد الاعتدال او لاشتماله على غيبة او نميمة فيكون على حق في انكاره أما إن كان المزاح في الحدود التي ذكرناها فانه مباح وليس محرما .

سيدنا علي كرم الله وجهه كان يقول : ان القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة ، وكان يقول روحوا القلوب ساعة بعد ساعة .

وعلى هذا يكون الانسان متشددا بما يصادم الفطرة البشرية ويظن أن هذا من الدين وفي الوقت نفسه لا يتجاوز الحد ولا يبلغ في مزاحه حد الاستهتار ولا يمزح في وقت الجد ولا يقضي أكثر اوقاته لاهيا وبغير مبالاة كلا الأمرين فيه خروج عن حد الاعتدال . ولذا قيل أعط الكلام من المزاح بقدر ما تعطي الطعام من الملح .

ومن مبادىء الاسلام الالتزام بحد الاعتدال كما اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى : « **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » الفرقان/ ٦٧ .

(زيارة النساء للقبور)

قارئة من الكويت تقول : ذهبت لزيارة قبر أمي ولكن حراس المقبرة منعوني من الزيارة بحجة ان زيارة النساء للقبور حرام فهل هذا صحيح ؟

.. ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان نهى عن زيارة النساء للقبور ثم اباحها بعد ذلك كما ثبت أن السيدة عائشة رضي الله عنها وهي عائدة من زيارة القبور سئلت من أين أقبلت ؟ قالت من قبر أخي عبدالرحمن ، فقيل لها ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهى عن زيارة النساء للقبور

قالت : نعم ، كان نهى عن زيارة القبور ثم أباح زيارتها . ولعل السر في التحريم اولا : أن الزيارة كانت عبارة عن نياحة وصراخ ولطم خدود وشق ثياب وأمور اخرى موروثة من الجاهلية ولما جاء الاسلام أبطل هذه الصور المزعجة وعلم الناس الايمان بقضاء الله وقدرة ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما بويع من النساء اشترط عدم النياحة على الميت فقلن يارسول الله : ان نساء أسعدننا في الجاهلية ـ والاسعاد معناه المساعدة والمشاركة في النياحة ـ أفنسعدهن في الاسلام فقال : لا اسعاد في الاسلام يعني هذا امر ينكره الاسلام ولا يقره .

فالزيارة تجوز ان كانت للعظة والاعتبار وتذكر الآخرة والترحم على الأموات وتعميق الايمان لأن البقاء لله وحده **وان كل من عليها فان** ، وهذا امر يتساوى فيه الرجال والنساء ولكن هناك امور تصاحب الزيارة من بعض النساء تجعلها ممنوعة وذلك اذا خرجت المرأة متبرجة متزينة او وقفت على القبر صارخة نادبة مولولة أو جلست على القبر مع غيرها للأكل والشرب والتسلية . ولعل هذا هو الذي جعل المسؤولين عن القبور يمنعون زيارة النساء ويلاحظ ان مجرد البكاء لا شيء فيه فقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وعلى أميمة بنت ابنته زينب لأن ذلك رحمة وعاطفة انسانية لا يقدر بعض الناس على مقاومتها ومادام البكاء بريئا من قول او عمل لا يرضي الله فهو مباح .

ولعل القارئة الفاضلة تترحم على أمها وعلى من مات لها وهي في بيتها فليست الزيارة هي الاسلوب الوحيد في بر الاموات وصلتهم بل ثواب الصدقة والاستغفار والدعاء يصل الى الأموات سواء كان ذلك على القبر أم بعيدا عنه .

(بيع العربون)

قارىء من الكويت يقول : بعت عقارا وأخذت جزءا من الثمن على أنه عربون واشترطت على المشتري انه اذا تم البيع يحسب العربون من الثمن واذا لم يتم البيع فالعربون من حقي ووافق على ذلك ورجع عن الشراء بعد ذلك فهل العربون من حقي ؟

●● ورد حديث رواه ابن ماجه من أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع العربون وأخذ به كثير من الفقهاء وقالوا بعدم صحة بيع العربون . ولكن الامام احمد ذهب الى ان هذا الحديث ضعيف فلم يأخذ به وأجاز بيع العربون لما رواه عن نافع بن عبدالحارث انه اشترى لعمر دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم . فان رضي عمر كان البيع نافذا وإن لم

يرض عمر فلصفوان اربعمائة درهم . وأجاز ذلك أيضا ابن عمر . وقال ابن سيرين وابن المسيب : لا بأس اذا كره السلعة أن يردها ويرد معها شيئا .

فلا حرج على السائل اذا اخذ بالرأي الثاني على ان العربون هبة له من المشتري وإن رأى أن يرده الى المشتري كان ذلك أدعى للتآلف والتراحم عملا بالرأي الأول .

(استوصوا بالنساء خيرا) .

وردت رسالة من احد الموظفين في البحرين يقول : لي زوجة مريضة طال مرضها ومعي في العمل زميلة على جانب من الخلق والجمال ولما عرضت عليها الزواج طلبت ان اطلق زوجتي فهل على ذنب لو نفذت هذا الشرط ؟

●● نعم عليك إثم لو فعلت ذلك وتكون هي آثمة كذلك لأنك تفجع زوجتك التي خدمتك وأخلصت لك قبل مرضها والمرض ليس عيبا يصرفك عنها .

ظروف المرض تستدعي مواساتها والوقوف بجانبها والسعي في علاجها واعلم ان وضعك اللقمة في فم زوجتك السليمة لك عليه أجر فما بالك بها اذا كانت مريضة ؟ ان تصرفك هذا يزيدها مرضا على مرضها ويلحق بها ضررا نفسيا أليما . قد يأتيها الشفاء من عند الله وتسترد صحتها من جديد ولا حرج على فضل الله . لا تستسلم لرغبة الزميلة واعلم ان الاسلام حرم الوفاء بما اشترطت عليك فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يبيع على بيعه وقال في موضوعك هذا قولا صريحا قال : ولا تسأل المرأة طلاق اختها لتكفىء ما في صحفتها او إنائها فإنما رزقها على الله تعالى . واذا كان الاسلام ينهي عن سلب حق لامرأة سليمة فما بالك بالمريضة . هذا نص صريح في نهي المرأة قبل الزواج بها عن أن تطلب من رجل طلاق زوجته ، هي في طلبها ذلك آثمة والاخلاق الأصيلة تأبى كسر قلب امرأة تعاني من المرض ، هي اذا قبلت ان تكون زوجة ثانية مع وجود الزوجة الاولى فلا إثم عليها أما انها تبني سعادتها على شقاء غيرها فهذا لا يجوز شرعا .

التعدد في حدود ماشرع الله أمر جائز أما الغدر فعاقبته أليمة . والله لا يحب المعتدين .

ردود قصيرة :

نقول للقارىء بكر بن ادريس .. قبيلة محموده ـ وزان المغرب . بأن مس المصحف يشترط له الطهارة لما ثبت ان النبي صلى الله عليه

وسلم كتب الى أهل اليمن كتابا وكان فيه (لا يمس القرآن الا طاهر) والطاهر لفظ مشترك يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر ويطلق على المؤمن ، أما بالنسبة للقراءة فانها تحرم على صاحب الحدث الأكبر عند الجمهور وتجوز لصاحب الحدث الأصغر .

هذا بالنسبة للسؤال الأول أما بالنسبة للسؤال الثاني فمن المقرر ان التائب عليه أن يرد الحقوق الى أصحابها او يحصل على عفوهم عنها إن كان يعرفهم والا تصدق بما اخذه من غير حق مع الندم على ما ارتكبه وصدق النية في عدم العودة الى ما حرم الله .

● وللقارىء سمير فريد ـ مدرسة نجع حمادي الثانوية ج . م . ع .

بأن التبادل النقدي في مناسبات الأفراح حسب المعتاد في بعض الأوساط المصرية لا يأخذ حكم الربا عند التفاوت في هذا التبادل لأن تقديمه بنية الهدية وليس فيه نية القرض .

● وإلى القارىء الهلالي سليماني الأحواش ٨٢٤٠ قريانة تونس .

في المغني لابن قدامه قال أحمد بن حنبل : الميت يصل إليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيه ولأن المسلمين يجتمعون من كل مصر ويقرؤون ويهدون لموتاهم من غير تكبر فكان إجماعا .

هذا ويلاحظ أن من يقرأ القرآن ترحما على الميت يشترط ألا يأخذ على قراءته أجرا فإن أخذ أجرا فلا ثواب له على قراءته لما جاء في الحديث الشريف .. ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ..

● إلى القارىء عتيق الرحمن المياركفوري ـ داني فوره ـ مياركفور ـ أعظم كره (الهند) :

إن كان الميت قد أوصى بذبح أضحية من مال له فعلى الورثة التنفيذ في حدود الثلث أما إن أوصى ولم يترك مالا فليست الأضحية واجبة على الورثة ولكن من البر بالوالدين التطوع بالوفاء بهذه الوصية وأما إذا لم يوص الميت بذبح أضحية فليست الأضحية مطلوبة من الورثة .

وبالنسبة للأموال الزائدة على الرصيد المودع في البنك فهي ربا يجب التخلص منها لأنها أموال خبيثة .

أما حرمة التصوير أو إباحته فعلى السيد القارىء أن يرجع إلى المنشور في المجلة في فتاوي العدد رقم ٢٣١ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ بالاضافة إلى أن الاجماع قائم على حرمة التماثيل وما وراء ذلك من صور فهي دائرة بين الحل والحرمة والكراهة على أن الضرورة تبيح الصور الفوتوغرافية كصور البطاقات الشخصية وجوازات السفر وصور المشبوهين وغيرها من الصور التي لا يتحقق فيها شبهة القصد الى التعظيم أو الخوف على العقيدة بل تقتضيها المصلحة العامة .

مع الصحافة

« القوة هي اللغة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل » هذه هي المقولة التي عبرت عنها ، بأشكال متنوعة ، الصحافة العربية والاسلامية ، عندما تناقلت أنباء عملية الفدائيين الفلسطينيين في القدس المحتلة يوم ٢/٤/٨٤ ، والعملية التي تلتها أيضا يوم ١٣/٤/٨٤ ، بعد عشرة أيام في قطاع غزة المحتل . ومن ثمة اتجهت أنظار الصحافة إلى متابعة العمليات الفدائية في فلسطين المحتلة ، وانصبت تحليلات عدد من المراقبين السياسيين عليها .

ويتعلق بهذا التطور الجديد في العمل الفلسطيني موضوع آخر شغل من اهتمام الصحافة حيزا لا بأس به ، وهو التوتر الذي حدث بين سورية وإسرائيل ، وعبرت عنه تصريحات عدد من المسؤولين لدى الطرفين . وقد تباينت استنتاجات المحللين السياسيين من التوتر الحاصل ، غير أن أكثرهم يميلون إلى أن الأوضاع الداخلية في سورية واسرائيل ، وكذلك الظروف الاقليمية والدولية ، لا تدفع دفعا حثيثا إلى نشوب اشتباك واسع بينهما .

وأما أوضاع السودان ، وبخاصة ما يحدث في جنوبه ، فقد استعرضت جانبا منها كثير من الصحف ، وحاولت أن تشير إلى الأسباب التي تكمن خلفها وتحول دون الاستقرار في السودان .

وقد عطف الهدوء في حرب الخليج تركيز الصحافة إلى المساعي الدبلوماسية التي أعقبت آخر تصاعد عنيف في المعارك بين العراق وايران ، فتحدثت بعض الصحف عن تحرك عربي جديد ، على الصعيدين الاسلامي والدولي ، لاقناع إيران بالتفاوض ، من أجل وقف الحرب .

○ عن التصاعد الجديد في العمليات الفدائية

عن التطور الجديد في العمل الفدائي داخل الأرض المحتلة نشرت مجلة المستقبل في عددها ٣٧٢ مقالا جاء فيه :

□ ما جرى في شوارع القدس يوم الاثنين الماضي كان « عملا غير عادي » بجميع المقاييس وباجماع المراقبين والصحافيين في اسرائيل . والعملية « غير عادية » على جميع الاصعدة . التنظيمية والعسكرية والسياسية ، وبالتالي فان نتائجها المتوقعة ستكون غير عادية على الصعيدين الفلسطيني والاسرائيلي .

صباح الأثنين الماضي فتح ثلاثة فدائيين نيران رشاشاتهم وقنابلهم ، في شوارع القدس المزدحمة ، وفي دقائق قليلة سقط ٤٨ قتيلا وجريحا . لكن طوال يوم الاثنين جرى تكتم قوي من قبل السلطات الاسرائيلية حول تفاصيل الحادث ، مما القى الشكوك حول حقيقة ما جرى .

ومع ان البيانات قد تناقضت حول شكل العملية واهدافها ، الا ان مكانها وتوقيتها دفعا الجميع الى الحديث عن صفحة جديدة في العمليات الفلسطينية . فاذا كانت العمليات الانتحارية ليست جديدة ، فانها كانت تجري في السابق في مدن الجليل وواحدة جرت في فندق سافوي . الا أنها المرة الأولى التي تقع فيها عملية من هذه النوعية في القدس المحتلة . وكذلك هي العملية الأولى من نوعها بعد الغزو الاسرائيلي للبنان لاسيما بعد أن أسرت الجبهة الديمقراطية جنديا إسرائيليا في اليوم التالي .

الى جانب هذا ، فان إعلان الجبهة الديمقراطية مسؤوليتها عن العمليتين جملة وتفصيلا واعطاءها التفاصيل الكاملة عن قائد الأولى وهو « ابو رابح » يعطي بعدا اضافيا للعملية ، فالجبهة الديمقراطية عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ، وتبنيها لعملية مثل هذه العملية ، يدخل المنظمة من جديد في خط المواجهة المسلحة الذي عرفته قبل سنوات ، وقبل تنامي خط النشاط السياسي في المنظمة ، كذلك فان تبني الديمقراطية للعملية ، واعلان احد مسؤوليها يوم الثلاثاء الماضي « ان ثمة اتجاها جديدا سيظهر في المرحلة القادمة » ، يشير الى تطور جديد في داخل حركة المقاومة الفلسطينية في خلال الأشهر الثلاثة الماضية . واستنادا الى معلومات موثوقة ، فان الاتحاد السوفياتي ابلغ حركة المقاومة « ان اي نشاط ولو ضئيلا في المرحلة الحالية والمقبلة في الشرق الأوسط ، يمكن استثماره بشكل واسع . وبالتالي قطف ثمار كثيرة ومرتفعة المردود » . وقد فسر هذا الكلام « الرسمي » بأنه اشعار سوفياتي للمقاومة الفلسطينية بضرورة تكثيف عملياتها ضد القوات الاسرائيلية ، وعدم النوم على حرير الغاء اتفاق ١٧ ايار (مايو) .

من جهة اخرى ، فان عملية القدس وبعدها عملية خطف الضابط الاسرائيلي تحولت إلى عنصر هام في المعركة في داخل اسرائيل . ومسارعة معظم القوى السياسية المتصارعة الى التركيز على قدوم الفدائيين من لبنان ، فسر على اساس فشل غزو لبنان في ضمان امن اسرائيل ، وحتى ان استمرار هذا الاحتلال في جنوب لبنان لم يشكل ضمانة لهذا « الأمن » ولذلك فان الحل يكمن في وضع ترتيبات تتجاوز الاحتلال نفسه .

○ عن التوتر بين سورية واسرائيل

نشرت الـ « وول ستريت جورنال » الأمريكية مقالا في الأسبوع الثاني من رجب جاء فيه :

في الشهر الماضي ارسلت اسرائيل قواتها المدرعة والمدفعية تهدر في مرتفعات الجولان في تمرينات عسكرية كبيرة تقع ضمن مسافة الصوت تقريبا عن سوريا . وقال قائد عسكري اسرائيلي ان هذا التمرين كان مفيدا لأنه ساعد في ابقاء اسرائيل مستعدة « لاحتمال حرب عامة مع سوريا » .

رغم هذه التوترات ، يعتقد المسؤولون الاسرائيليون بأن الحرب ليست وشيكة . فالمشاكل الداخلية في سوريا واسرائيل على حد سواء تعطي للبلدين سببا لتجنب الحرب الآن . لكن مع الوقت يخشى الكثيرون في الشرق الأوسط من ان تكون الاتجاهات السياسية والعسكرية القوية كما يبدو تدفع بالدولتين نحو مجابهة دموية .

قال الياهو بن اليسار وهو عضو ناقد في ائتلاف الليكود الحاكم ورئيس لجنة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست الاسرائيلي : « لا يوجد اي شعور بخطر مباشر او تهديد مباشر ـ لكن ـ في المدى الطويل نحن نسير على طريق الاشتباك ، ولا شك في ذلك » .

في نهاية الاسبوع الماضي قصفت الطائرات الاسرائيلية قاعدة تشك بأنها للفدائيين الفلسطينيين قرب الخطوط السورية في لبنان ، وذكرت تقارير غير مؤكدة ان سوريا واسرائيل كانتا تعززان مواقعهما داخل لبنان . وكانت اسرائيل قد حذرت من انها سترد بهجمات داخل المناطق التي تقع تحت سيطرة سوريا اذا اكتشفت بأن سوريا ساعدت في هجمات فدائية « مثل عملية القدس » .

وربما يكون الأمر الاكثر إثارة للقلق ان هذا الوضع المتفجر يتطور في وقت تواجه فيه عملية السلام العربي ـ الاسرائيلي حالة جمود وتبدو الولايات المتحدة عاجزة عن اعادة احيائها . وكلما طال أمد الجمود زاد الاغراء لدى سوريا ربما لاستخدام قوتها العسكرية الجديدة لهز التوازن السياسي في المنطقة وترسيخ نفسها كزعيمة للقضية العربية . وقال اردني حسن الاطلاع : « يستحيل ان يظل الوضع على ما هو عليه : لا حرب ولا سلام . وسوف يكون هناك قتال » .

لكن المسائل الداخلية ربما تكون لها اليد العليا في الوقت الحاضر في اسرائيل وسوريا على حد سواء . ان الرئيس السوري حافظ الاسد الان مشتت باعتلال صحته والانقسامات الفئوية في نظامه بالرغم من كل نجاحه الأخير . واسرائيل تعبة من الحرب وقلقة حول اقتصادها المريض ومنشغلة بانتخابات يوليو القادم .

ان السياسيين الاسرائيليين من جميع الاتجاهات لا يرون الا فرصة ضئيلة لان تحاول اسرائيل بدء حرب مع سوريا ، ببساطة لوقف الحشد العسكري السوري . ان خيبة الأمل العامة بغزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ تجعل من المستحيل تقريبا على قادتها ان يبدأوا حرب خيار اخرى ـ كما تسمى ـ كضربة وقائية .

وقال موشى ارينز وزير الدفاع الاسرائيلي : « لا ارى ان اي حكومة اسرائيلية ستبادر الى خوض حرب ضد سوريا ـ ليس تحت اي ظروف منظورة استطيع تصورها » .

ويذهب الى ابعد من ذلك مردخاي غور ، وهو قائد عسكري اسرائيلي سابق ومن قادة حزب العمل المعارض : « ان نظرية حرب اختيار ، لجميع الاسباب العملية ، قد انتهت لمدة جيل على الأقل » .

وقال غور ان حزب العمل اذا تسلم السلطة في انتخابات يوليو القادم سوف يخرج القوات الاسرائيلية من لبنان خلال خمسة شهور وبذلك ينزع فتيل المصدر الرئيسي لحرب محتملة . ويأمل غور مع اخرين غيره في ان تستطيع سوريا واسرائيل تجنب حدوث مجابهة تجنبا كاملا بالتوصل الى نوع من انواع التفاهم حول كيفية المحافظة على شبه نظام في لبنان مثلما فعلتا في اواخر السبعينات الى حد كبير .

من المؤكد وجود اسباب اقتصادية اضطرارية تجعل اسرائيل تريد تجنب الحرب الآن . فالتضخم يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ بالمائة سنويا ويتنبأ رجال المصارف في المجالس الخاصة بأن اي حزب يفوز في الانتخابات الاسرائيلية القادمة سوف يضطر لفرض تقشف قاس وربما يعيد جدولة ديون اسرائيل الخارجية البالغة ٢٠ مليار دولار اميركي . واكثر

من ذلك يوجه معظم الاسرائيليين اللوم الى تكاليف الحرب في لبنان باعتبارها المسؤولة عن مشاكلهم الاقتصادية .

وفي مثل هذه الحالة العامة ربما لا يستطيع رئيس الوزراء اسحق شامير تحسين فرصة الانتخابية ببدء حرب ضد سوريا في محاولة لحشد الاسرائيليين خلفه . وهذا النوع من الحوافز السياسية هو الذي ساعد في توضيح القرار الذي اتخذه رئيس وزراء اسرائيل السابق مناحيم بيغن عام ١٩٨٠ بقصف مفاعل نووي في العراق كما يعتقد كثير من المسؤولين الاميركيين .

اما سوريا فربما تكون ايديها الان مليئة وهي تحاول القضاء على الفوضى في لبنان . ونتيجة لذلك اخذت سوريا على عاتقها البحث عن تسوية سياسية هناك .

ومن اسباب الحذر الأخرى صحة الرئيس الاسد كما يحتمل . ومن الواضح انه تعرض لنوبة قلبية في العام الماضي ، والشرق الأوسط مليء بالاشاعات بأنه تعرض لنوبة اخرى مؤخرا . ورغم ان الاشاعات لم تتأكد فان الاسرائيليين يقدرون بأن الاسد يعمل نصف يوم او اقل فقط .

ويبدو ان مشاكل الاسد الصحية قد فاقمت من حدة صراع بين خلفائه المحتملين . بمن فيهم اخوه رفعت . ويحذر وزير الدفاع الاسرائيلي ارينز من ان هذه الانقسامات الداخلية يمكنها ان تدفع الاسد للبحث عن مجابهة مع إسرائيل لكي يصطف مساعدوه وراءه . لكن معظم المحللين الاسرائيليين يعتقدون بأن مشاكل سوريا الداخلية ستجعل الاسد اكثر حذرا على الارجح .

ويوجد لدى سوريا سبب اخر للحذر في الوقت الحاضر فشركاؤها ليسوا على استعداد للانضمام اليها في قتال ضد اسرائيل . وسوف يزداد احتمال قيام جهد عربي موحد اذا انتهت الحرب الايرانية ـ العراقية التي اوقعت الانقسام في العالم العربي .

وهكذا ربما تكتفي سوريا في الوقت الحاضر بانقاذ النجاح الذي احرزته في لبنان والذي حققته بسياسة حافة الحرب اكثر مما حققته بالحرب المباشرة .

○ حفل الوزارة بمناسبة الاسراء والمعراج

تقرر ، والمجلة ماثلة للطبع ، أن تقيم وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية حفلا بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج يبدأ بتلاوة آيات من القرآن الكريم ، ثم يلقي سعادة الوزير الاستاذ احمد سعد الجاسر كلمة بهذه المناسبة ، تعقبها كلمات يلقيها كبار العلماء .

تنويه

ورد في العدد الماضي خطأ مطبعي في المقدمة فذكر « عبدالمطلب » بدلا من « أبي طالب » ويفهم ذلك من سياق الحديث .

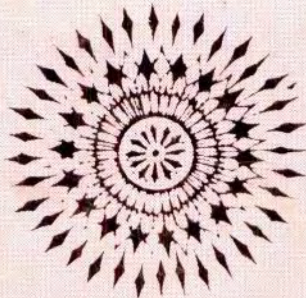
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	: القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	: الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	: الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	: الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	: الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	: بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	: عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	: جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	: مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	: دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	: دار الهلال
قطر	: دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	: المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	: دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٧ ـ رمضان ١٤٠٤ هـ ـ يونيو ١٩٨٤ م

شهر رمضان

الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَنْ صَامَ رَمَضَانَ

إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا

غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ

رَوَاهُ البُخَارِيُّ

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

العدد ٢٣٧ ـ رمضان ١٤٠٤ هـ ـ يونيو ١٩٨٤ م

هدفها

المزيد من الوعي، وايقاظ الروح، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة الوعي

لعلكم تتقون

اصطفى الله شهر رمضان واختاره موسما لسمو النفس وصفاء الروح حيث فرض فيه الصوم وأنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . في رمضان أنعم الله على البشرية بقرآن يهدي للتي هي أقوم فأنقذ الناس من ضلال وهداهم من حيرة وأخرجهم من الظلمات الى النور . وفي رمضان فرض الله الصوم ليقوي الجانب الروحي على الجانب المادي في الانسان ولتلتقي هداية الصوم مع هداية القرآن في بناء الفرد المسلم ليسعد ويرقى وفي بناء المجتمع المسلم لينهض ويبقى . شرع الله الصوم كمنهج يعمق الايمان ويجعل الانسان المسلم دائم الصلة بربه يعيش دائما في معية الله يعبده كأنه يراه خاصة وأن الصوم يتميز عن سائر العبادات بأنه عبادة لا يدخلها نفاق أو رياء أو ادعاء لذا أضافه الله تعالى إليه كما جاء في الحديث القدسي . يقول الله عز وجل : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به) رواه احمد ومسلم والنسائي .

ومما لا شك فيه أن الصوم الحقيقي يأخذ بزمام النفس الانسانية ويقودها إلى الطاعة الواجبة لله ويصل بها إلى ذروة القرب من مقامه الكريم عن طريق التقوى التي هي غاية الصوم وثمرته كما قال تعالى: (**ياأيها الذين**

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الآية ١٨٣/ البقرة .

قال الشيخ محمد عبده إن معنى لعل الاعداد والتهيئة ـ وجاء في تفسير المنار عند قوله تعالى لعلكم تتقون . « هذا تعليل لكتابة الصوم ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالا لأمره واحتسابا للأجر عنده فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوة المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه . وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه .. »

وبتكرار فريضة الصيام سنويا تتضح الغاية منه وهي اعداد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى والمداومة عليها . وعن طريق التقوى تصحو الضمائر . وتصح العزائم . وتسلم النوايا ويقوى الوازع الديني لدى الانسان المسلم . وما أحوجنا كافراد وجماعات إلى يقظة الضمائر المؤمنة أمام مغريات المادة وملذات الشهوات وعن طريق الضمير الديني يستقيم امر المسلم ولا شك . فهو في سره وجهره . في حله وترحاله . في صحته ومرضه . في غناة وفقره . بل في كل سلوكه لا يراقب الا الله ولا يخاف إلا منه يخاف أن يكون قد قصر في جنبه أو اعتدى على حرماته . وإنما يحاسب نفسه ويتدبر عاقبة أمره . ويأخذ من تقوى الله الزاد لفكره والنور لقلبه . نعم ما أشد حاجة الأمة إلى الضمائر المؤمنة الواعية إنها لا ترقى ولا تسعد بفرض القوانين وإصدار القرارات التنظيمية فحسب بل لابد من سيطرة هذه الضمائر ليتغلب جانب الخير ولتنتصر القيم الاخلاقية الفاضلة .

والا فكثيرا ما فرضت القوانين عقوبات رادعة للخارجين عليها ولكن ضعاف الايمان تحايلوا على الفرار من قبضة القانون . وبذلك يمكن القول بأن القانون لا يستطيع إلى حد ما أن يتعقب كل خارج عليه ورجال الأمن لا يقدرون على ضبط كل مخالف ولكن الضمير هو صاحب السلطة في هذا المجال . يدفع من ارتكب جرما ولو سرا إلى الاعتراف بذنبه وهو يقدر خطورة هذا الاعتراف وما يترتب عليه من عقوبات مادية وأدبية . وقد سجل التاريخ لرجال مؤمنين ونساء فضليات ما طلبوه من اقامة الحد عليهم تطهيرا من الذنب وطمعا في مغفرة الله ورحمته .

وفي عهد عمر رضي الله عنه استمع إلى فتاة مؤمنة ـ وهو يعسّ بالليل ـ وقد طلبت منها أمها في الصباح الباكر أن تخلط اللبن بالماء طمعا في الكسب الحرام . قالت أما سمعت أمير المؤمنين ينهى عن الغش يأماه ؟ ولما قالت

الأم إن أمير المؤمنين لا يرانا . ردت الفتاة قائلة . إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا . ويختارها عمر زوجة لابنه عاصم جزاء امانتها وتقواها .

إنه بالاستجابة إلى نداء الضمير يستقيم أمر الحاكم والمحكوم على السواء وينتظم أمر الأمة حين يعرف كل فرد منها ما له من حقوق وما عليه من واجبات من غير تقصير أو تجاوز أو نفاق أو محاباة.لما تولى أبو بكر الخلافة اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لأمر القضاء ليفصل بين الناس في الخصومات ومضى العام الأول لم يتقدم إليه مظلوم بشكوى فذهب عمر إلى أبي بكر يطلب الاعفاء من القضاء وقال لا حاجة لي إلى قوم عرف كل منهم ما له من حق فطلبه وما عليه من واجب فلم يقصر فيه . يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه . إذا مرض أحدهم عادوه . وإذا افتقر اعانوه . وإذا احتاج ساعدوه . وإذا غاب سألوا عنه .

المحبة طبيعتهم والمودة شيمتهم . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دينهم ففيم يختلفون . وعلام يختلفون ؟

وإذا كنا في حاجة ملحة إلى إيمان يحجزنا عن محارم الله وإلى تقوى تبعث الضمائر لتسيطر من جديد على أخلاق الناس وسلوكهم فواقعنا يؤكد أن الناس أمام صحوة الضمائر ثلاثة أصناف .

صنف يمنحه الله ضميرا لا ينام فهو في كل أمره يراقب الله وهو يتمثل عظمته ويخشى غيرته يفر من السيئة . ويتورع عن كل شبهة ، يصون عرضه ودينه . ويطمع في فضل الله ورحمته هؤلاء يرتفعون بتقواهم فوق مغريات المعاصي والدعوات المحرمة هؤلاء هم الرجال حقا الذين مدحهم الله تعالى بقوله:(**في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**) الآيتان ٣٦ ـ ٣٧/ النور فليست الرجولة بعضلات مفتولة او شوارب تنبت فوق الشفاه وإنما الرجولة انتصار على النفس واستعلاء على الأهواء والشهوات والأطماع ومراقبة لله في السر والعلن هؤلاء يزيدهم الصوم ارتباطا بالله وإيمانا به يظهر أثره في عبادتهم وسلوكهم حين يصدق التاجر في تجارته والصانع في صنعته والعامل في مجال عمله والراعي في رعيته يردد كل منهم قول القائل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .
الصنف الثاني . في غفلة الضمير تغلبه نفسه وتتحكم فيه قوة الشر فتنسيه جانب الله وجانب الناس بعض الوقت تحلو له المعصية ولم يجد عزماً يقاوم به الاغراء . ويظل في اضطراب مخافة أن يعلم الناس بأمره . وخوفه من الناس قد يفتح له باب الخوف من الله ويدفعه ضميره إلى أن يطرق باب التوبة والندم وعندئذ يفتح الله له باب الرحمة ويمنحه عفوه ورضاه .. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى:(**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**) ١٣٥ _ ١٣٦ / آل عمران .
الصنف الثالث يجاهر بالمعصية ويعلن الجريمة من غير خجل أو حياء يترك الصوم ويجاهر بالفطر في رمضان لا يصلي ويلهي غيره عن الصلاة إذا ستره الله أذاع السر وكشف ستر الله عز وجل وهذا لضعف الوازع الديني وانعدام الضمير يجد صورا في المجتمع تنفر منها الانسانية وينكرها الاسلام فلا خلق ولا ضمير لتاجر يغش ويأكل أموال الناس بالباطل أو شارب يدعو غيره لشرب المسكر ولعب القمار أو صاحب ناد يضم فيه حفلات الرقص والسهرات الحمراء أو صاحب قلم يدعو إلى التحرر من القيم الفاضلة
أو رسام ينشر صورا عارية تحرك الفتنة وتحطم أخلاق الشباب وتعد الفتيات لمصير غير كريم. على هؤلاء وغيرهم مهما اختلفت أساليبهم في المعصية أن يتخذوا من رمضان فرصة للرجوع إلى الله . عليهم أن يتذوقوا حلاوة التقوى عن طريق الصوم فانه عبادة تسري روحها إلى النفوس العصية فتهديها وإلى القلوب القاسية فتسكن فيها وتشفيها . عليهم أن يقبلوا على الله فيما بقى لهم من أجل مثوبة تسد منافذ ايحاء الشيطان وتبدل سيئاتهم حسنات . ولا يستبد بهم اليأس من رحمة الله القائل : (**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**) ٥٣ / الزمر .
مرحبا بشهر التوبة والإنابة . شهر الهدى والنور والخير والعطاء . شهر القرآن هدية الله إلى البشر . شهر الصيام طريق التقوى ودعوة الايمان .
اعاده الله وقد كشف عن المسلمين الغمة أعاده الله ومعه الفرج بعد الكرب واليسر بعد العسر والوحدة والصفاء بعد التمزق والضياع اعاده الله وقد عرفت الأمة طريقها اليه سبحانه ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .

رئيس التحرير

حسن فنّاع

معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يلقي كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في افتتاح

المؤتمر الأول للزكاة



معالي الوزير يلقي كلمة الافتتاح

ألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد/ احمد سعد الجاسر كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في افتتاح المؤتمر الأول للزكاة الذي عقد في الكويت بتاريخ ٢٩ رجب ١٤٠٤هـ . وقد بين السيد الوزير ما للزكاة من أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع ، وأشار إلى انشاء بيت الزكاة كنظام حديث للزكاة نظرا لتقدم الحياة ، ودعا المواطنين والمقيمين الى الاعتماد على بيت الزكاة في جمع زكواتهم ، وتحدث عن أهمية المؤتمر ، وذكر بأنه جهد رائد ، وان الآمال معقودة عليه ، وأعرب عن رجائه أن تستفيد مؤسسات الزكاة في سائر بلدان المسلمين من نتائجه .

وهذا نص الكلمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

أيها الاخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

يسرني ويشرفني أن أنوب عن سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في افتتاح مؤتمركم هذا سائلا المولى العلي القدير ان يوفق جهودكم لما فيه الخير ، كما يسرني ان أنقل تحيات سموه اليكم وأرحب بضيوف الكويت الأفاضل الذين تحملوا مشقة السفر للمشاركة مع إخوانهم في الكويت لانجاح اعمال هذا المؤتمر راجيا لهم طيب الاقامة في بلدهم الثاني .

أيها الاخوة :

كلكم تعلمون ما للزكاة من أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع حيث انها الركن الثالث من أركان الاسلام الخمسة وهي عماد من أعمدة المجتمع الاسلامي كان ولا يزال لالتزام المسلمين بأدائها منذ عهد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت الأثر الكبير في تحقيق التكافل الاجتماعي والتضامن بين أفراد المجتمع المسلم .

لقد جبل أهل الكويت مثل اخوانهم من المسلمين على فعل الخير واقامة الصلاة وايتاء الزكاة حيث كان الأفراد يتولون اخراج زكاتهم السنوية ويقومون بأنفسهم بالسؤال عن المحتاجين وتفقد ارحامهم وأقاربهم وأبناء حيهم وايصال الزكاة اليهم لسد حاجتهم ، وكان كل فرد من أفراد المجتمع يعاني مشقة اخراج الزكاة والبحث عن مستحقيها وتوزيعها مما يكلفه جهودا فردية مضنية .

ونظرا لتقدم الحياة وتطور أساليب المعيشة وقيام الأعمال في المجتمع على شكل مؤسسات تنظيمية متقدمة وتمشيا مع التطور الكبير الذي تشهده الكويت في مؤسساتها المختلفة ، فقد التقت رغبة السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية على ايجاد نظام حديثومتقدم يرعى شؤون الزكاة ـ ويتولى جمعها وتوزيعها في أبواب الزكاة الشرعية ـ وكانت نتيجة ذلك صدور القانون رقم ٥ / ٨٢ بانشاء بيت الزكاة ، ولقد وفرت الدولة له الأجهزة اللازمة لحسن ادارته والاشراف عليه بما يتطلبه من ميزانية سنوية ، كما توفر لبيت الزكاة الدعم المالي السنوي اللازم لتعينه في تحقيق اغراضه .

وبهذه المناسبة فاني ادعو الاخوة المواطنين والمقيمين للاعتماد على هذه المؤسسة المتقدمة لجمع زكاتهم حيث تقوم نيابة عنهم بتوزيعها وصولا الى أصحاب الحاجة خاصة الذين لا يسألون الناس الحافا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف .



أيها الاخوة :

ان عقد مؤتمركم الأول هذا يأتي جهدا رائدا في مجال بحث أمور الزكاة وتدارس أوضاعها الشرعية وتطبيقاتها خلال مختلف عصور التاريخ الاسلامي المجيد وما يمكن أن تكون عليه مؤسساتها في العصر الحاضر وامكاناتها في تذليل العقبات والتحديات الكبيرة التي يواجهها العالم الاسلامي . لذلك فان الآمال معقودة على نتائج مؤتمركم في أن تسهم لتوسيع نطاق تطبيق هذه الفريضة الجليلة وتحقيق أثرها الشامل على الأفراد والمجتمعات خاصة ونحن نرى ما أتيح لهذا المؤتمر من خبرات وقدرات فريدة تلتقي من مختلف بقاع الأرض من ذوي الاختصاص في مجال الشريعة وفقه الزكاة الى جانب ذوي الاختصاص في الاقتصاد الاسلامي .

والكويت ادراكا منها لاهمية ما أنشيء حتى الآن من مؤسسات ومراكز للعناية بأموال الزكاة في عدد من الدول الاسلامية لنرجو أن يكون نتيجة اعمال هذا المؤتمر استفادة هذه المؤسسات من تجاربها ودعوة مشجعة لتعم مؤسسات الزكاة مختلف المجتمعات الاسلامية لتتولى رعاية فريضة الزكاة في هذه المجتمعات ، كما تتولى رعاية وحفظ حق مستحق الزكاة فيها .

وفي الختام فاني أشكر الاخوة اعضاء مجلس ادارة بيت الزكاة والعاملين في جهازه جهودهم في الاعداد لهذا المؤتمر وتهيئة سبل نجاحه .

وفقنا الله واياكم الى ما فيه الخير والصلاح لخدمة ديننا وأمتنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

علم وبيان من آيات القرآن

للاستاذ/عبد الرزاق نوفل

يقول ربنا العظيم في قرآنه الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

١٨٣ ـ ١٨٥/سورة البقرة

وهكذا تقرر الآيات الشريفة في نصوصها الحكيمة .. الحق كل الحق وتقول الصدق كل الصدق .. إن الله سبحانه وتعالى قد كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا . واطلاق لفظ القبل .. انما يشير الى أن الصوم قد فرض على كل من هو قبل .. ويفضي هذا التسلسل في الرجوع الى الماضي والى كل من له قبل الى ان نصل الى الانسان الذي لا قبل له من

جنسه .. « وهو ادم » ويكون النص الكريم بذلك يوحي بأن آدم قد فرض الله عليه الصوم .. وبالرجوع الى آيات القرآن التي ذكرت آدم نجد ان منها النص الشريف .

﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجـرة فتكـونـا مـن الظالمين ﴾ الأعراف/ ١٩ .

والامتناع عن الاكل من الشجرة هو صوم عنها « وهو نوع من الصوم الذي فرضه الله جل شأنه على آدم في الجنة فيما علم .. وقد يكون هناك غيـره .. فالصـوم اذأبدأ ببـدايـة الانسان وهو في الجنة .. ثم فرض عليه في الارض .. ولو انه لا يعرف كيف كان يصوم الناس في بدايـة عهدهم على الارض . فليس كل صوم هو إمساك عن الأكل والشرب لان لفظ الصوم انما يعني الإمساك والامتناع عن قصد وبنية وقد ورد في القرآن الكـريم مايشـير الى الصـوم عن الكلام .. فقد فرض الله سبحـانه وتعالى على سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام الصوم عن الكلام ثلاثة ايام وذلك بنص قول ربنا الكريم : **﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزا ﴾** سورة آل عمران/ ٤١

كما فرض الله هذا الصوم على مريم بنص الآية الشريفة :

﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلّم اليوم إنسيا ﴾ ٢٦/سورة مريم

الا ان اليـهـود والمسيحيـين يصومون في اوقات معينة وعن اصناف محدودة وقد ورد في الكتب المتداولة من التوراة والاناجيل مايفيـد ان الصوم عبادة قد فرضها الله على عباده .

ويقرر النص الكريم ان استجابة الانسان لامر الله سبحانه وتعالى بالصوم الذي فرضه عليه انما هو من سبل التقوى فالناس بالصوم يتقون .. والتقـوى لها أجـر كريم وثـوابها عظيم .. فلو ان آدم اتقى ربه وصام عن الشجرة لبقى في الجنه حيث لا يصيبه جوع أو عري أو عطش أو حر ولا يناله التعب فيها ويبين ربنا الكريم في نص قرآنه الحكيم ما قاله وحيا لآدم أجرا عن تقواه بصومه :

﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ ١١٨ و ١١٩/سورة طه

ولقد حدد الله لنا الصوم لمدة محدودة .. ولفترة معدودة .. أياما معلومة .. هي شهر رمضان وتحديدا لانه جل شأنه .. أنزل فيه القرآن الحكيم .. يهدي الناس به واليه .. ويبين لهم فيه ماحرّمه عليهم .. وما احلّه لهم .. فقد فرق به بين الحق .. كل ماهو حق وبين الباطل كل ماهو باطل بين الايمان ـ اعمق الايمان وبين الضلال اي ضلال ..

وقد فرض صومه على من ادرك هذا الشهـر .. مؤمنا بـاللـه العظيم .. ورسوله الكريم مطيعا له فيما جاء بقرآنه الحكيم معافى غير مريض مقيما ليس على سفر .. وبديهي ان المجنون لا يدرك الشهر ولا يعلمه . وكذلك

الصغير لا يشهده ولا يعرفه .. وهذان لا صوم عليهما حتى يشهدا عن علم ومعرفة هذا الشهر وما فرض فيه ..

وفضلا من الله على عباده ورحمة بهم .. وتيسيرا عليهم .. وحماية لهم من المشقة وإبعادا للعسر عنهم فقد اباح للمسلم الا يصوم في مرضه .. ولا في سفره على ان يصوم بدلا من ايام افطاره بعد انتهاء ظرف مرضه .. أو سفره . يوما بعد انتهاء شهر رمضان في اي وقت اراد .. ولكن كلما سارع بقضاء ماعليه كان ذلك افضل فلا يعرف الانسان متى يحين حينه .. وذلك حتى تكتمل عدة الايام التي فرض الله صيامها ..

ومن يسر الله سبحانه وتعالى بعباده وعدم العسر بهم انه لم يحدد حالات المرض التي يباح الافطار بسببها وذلك لاختلاف قدرات الاجساد على تحمل آلام المرض وظروفه .. فالمرض الواحد .. وأقله الزكام .. تتفاوت علاماته بين الناس .. وتختلف شدته فيهم .. وأثره عليهم .. فمنهم من يقدرون عليه .. فيتحملون الصوم فيه . بل يفيدهم اذ تخف حدة العلامات المصاحبة له وتتحسن بذلك حالاتهم بما يسببه الصوم من حمية وراحة لمعظم اعضاء الجسم واجهزته وغيرهم يضيقون به اذ يصاحبه من الأعراض الشديدة مايستلزم الاستعانة بالدواء على فترات متقاربة تمنع الصوم .. وكل انسان وطاقته وقدرته على تحمل مرضه .. يحس ويعلم عن ايمان ويقين .. أيستطيع الصوم أم لا فيفطر ويقضي عنه بعد شفائه ..

وكذلك من اليسر بالانسان الا يحدد قدر السفر .. فان مشقة السفر تتعلق بوسيلة السفر . بداية من السفر على القدمين .. الى القطار المكيف ثم الطائرة النفاثة .. ومدته وهل هي ساعة .. او بعض يوم او عدة ايام .. كما تختلف من فرد الى غيره .. فمن الناس من يقلقون في سفرهم ولو كان سفرا قريبا ومنهم من يستمتعون به .. ولو كان سفرا طويلا .. والانسان واستطاعته الصوم في كل حالة وكل سفر .. فمن وجد المشقة وعدم القدرة أفطر وعليه القضاء ..

ومن ضمن مايسر الله به على الانسان ان جعل لمن لا يستطيعون الصيام ولا يتمكنون من القضاء .. كالمريض الذي لاشفاء له .. او الشيخ الذي لا عودة لطاقته .. ولا أمل في قدرته ان يقدم الانسان الفدية باطعام مسكين عن اليوم الواحد من الشهر بقدر ما يأكل واذا لم يجد فلا عليه .. فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ..

ومن يسر الله بالانسان كذلك ان يفطر من لو صام أضر الصيام بعمله .. كالجندي في قتال المعركة .. او أثر في صحة الفرد او غيره .. كالحامل .. اذ خشيت على نفسها او جنينها ... او رضيعها ..

وفي كل هذه الاحوال لا رقيب على الانسان إلا إيمانه .. الله يعلم مايظهره وما يبطنه .. ماهو عليه .. وما هو راغب فيه متجه اليه .. ما هو قصده وما هي نيته ولكل امرىء

مانوى .
هذه قطرات من بحار .. واسعة خاطفة من انوار مما يفيض به قول ربنا تبارك وتعالى من انه يريد بكم اليسر . ولا يريد بكم العسر .. أفلا نكبر الله سبحانه وقد هدانا الى ذلك ألا نشكره .. فلقد هدانا .. بالصوم الى الخير . كل الخير ..

والمتدبر للنص الكريم يجد انه اطلق الخير الذي يحقق الصوم .. وذلك ليشمل الفرد في كل نواحيه العضوية .. والنفسية .. المادية .. والروحية .. التربوية والاجتماعية .. في الدنيا والآخرة .. والمجتمع .. كل المجتمع في كافة قطاعاته .. وشتى طبقاته .. وطالبنا .. باستخدام العلم .. ودراساته العلمية .. حتى يتبين للناس بعض الخير الذي يهدف اليه الصوم .. مما يفتح الله علينا به فنعلمه .. حقا وصدقا .. وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ..

وبالرغم من هذه الدعوة الصريحة الواضحة للبحث العلمي في امر الصوم واهدافه وبالاضافة الى ما يأمرنا الله به من تدبر آيات القرآن الكريم والتدبر هو اعمق صور الدراسة وأعلى مراتب البحث بمثل النص الكريم :

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته) ٢٩/سورة ص

إلا أننا قد تأخرنا في الاستجابة الى داعي الآيات الكريمة .. واستجبنا الى مادسه الخصوم والاعداء علينا مما يناقض ويعارض ويخالف أمر قرآن ربنا العظيم .. ذلك بالا نناقش امر العبادات .. ولا نتدبرها او نفكر فيها .. فان ذلك يخرجنا عن الطاعة الكاملةوالتامة الواجبة نحو العبادات وما كان ذلك منهم الا ليحجبوا عن العالم ماتحققه العبادات الاسلامية من خير للفرد في دنياه وآخرته وللمجتمع في حاضره ومستقبله .

وعندما هاجموا الصوم بأنه يعطل العمل ويعيق الانتاج .. وانه اذا كانت حكمته كما كان يشاع ويتداول بين المسلمين انه وسيلة ليحس بها الغني احساس الجوع فيعطف على الفقير فلماذا يصوم الفقير . ولماذا لا تغني صدقات الغني عن صومه ؟ فقد وضعت العبادات الاسلامية موضع البحوث العلمية .. التجريبية والمعملية العادية والاكاديمية فاذا بالعلم يقرر في حقائقه العالمية ان العبادات الاسلامية شرعت لخير الفرد وصالح المجتمع . فقد اثبتت الدراسات الطبية التي قام بها كبار الاطباء والصفوة من العلماء من كل جنس ودين ان اخطر مايصيب الانسان في حياته هو اسرافه في طعامه .. في أكله وشرابه .. وانه مهما حدد واختصر في كمياتها .. فانها تزيد على حاجته يقينا وقطعا .. مما يجعل الخطر من وجود زيادات في المواد الغذائية قائما .. ودائما .. الامر الذي لابد ان يصيب الانسان بالمرض بداية من ارهاق اجهزة الهضم .. الى زيادة المجهود على القلب والشرايين .. وارتفاع ضغط الدم . والاصابة بالبؤرات الصديدية ثم زيادة الوزن الذي يصاحبه مرض السكر . وانه لا

سبيل الى الوقاية من هذه الامراض وعلاجها إلا بمنع اسبابها وفرض الجوع المؤقت على الجسم بحيث تتحرك الاجهزة الداخلية نحو استهلاك الخلايا الضعيفة او المريضة لمواجهة الجوع ثم يعود الجسم ليبني بعد ذلك الخلايا السليمة القوية ..

وتؤكد الدراسات ان المجاعات التي كانت تجتاح العالم على فترات في العصور السابقة انما هي من وسائل الصوم الاجباري .. وهي التي حفظت الجنس البشري .. وعنها وعن الصوم يقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب و لجراحة في كتابه الانسان ذلك المجهول .

« إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة أدت دورا عظيما في بقاء الاجناس البشرية وهي وظيفة التكيف مع قلة الطعام . كان الناس في الزمان الغابر يلتزمون الصوم في بعض الاوقات وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بإرادتهم والأديان كافة لا تفتأ تدعو الناس الى وجوب الصوم وان الصوم لينظف ويبدل انسجتنا » .

وفي امريكا تجرى الابحاث العلمية على قدرة الصوم على الوقاية ومعالجة الانسان من مرض السكر .

وفي المانيا اقيمت دور الصحة والعلاج والتي تتبع في معالجتها للمرضى وحتى الاصحاء على السواء . الصوم الذي تفرضه على النزيل لفترة تزيد على عشر ساعات وتقل عن العشرين ساعة يوميا .. ثم يتناول الوجبات الخفيفة جدا .. ولابد ان يستمر هذا النظام لمدة متتابعة ومتوالية لا تقل عن ثلاثة اسابيع .. ولا تزيد عن اربعة .. اي بما يتمشى تماما ونظام الصوم الاسلامي .

روسيا التي كانت تهاجم الصوم .. وتحارب الدين .. تعترف به وتشيد بنظامه حسبما قررته ابحاث الصحة والغذاء اذ نشرت مجلة الاغذية الروسية في عددها الاول لعام ١٩٧٦ الصادر من موسكو وفي صفحة ١٩ ماترجمته الحرفية : « وأخيرا يحق التذكرة بكتاب البروفيسور نيكو لايف وينلوف « الجوع من اجل الصحة » والذي يجزم فيه بأنه لكي يتمتع كل مواطن في المدن الكبرى بالصحة يجب عليه تخليص الجسم من النفايات والمواد السامة بأن يقوم وبصفة دورية بجوع تام بالامتناع عن الطعام لمدة لا تقل عن ثلاثة اسابيع ولاتزيد عن اربعة »

لقد كتب الاطباء كل في تخصصه عن الصوم فاذا بخيره وفضله لا يشمل فقط الجهاز الهضمي وما يتصل به - ولا الجهاز الدوري بما يتشعب اليه بل انه يشمل امراض الجلد والعيون والعديد من مختلف الامراض التي كتب عنها ويتداولها العلماء والاطباء حاليا .

وتقرر الدراسات التربوية ان الصوم وسيلة ايجابية .. ودعوة مادية لغرس الامانة في نفس الطفل . عندما يبدأ صومه فيجد الطعام بالقرب منه والشراب في متناول يده وهو في حاجة

اليه فلا يقربه امانة منه لنفسه وربه .. وبذلك تنغرس في نفسه الامانة كما ان الصوم يخلق في الانسان الصبر . وما أشد الصبر .. وما احوج الانسان اليـه .. ومن صبر عـلى الجوع .. والعطش .. والجنس طوال يومه .. فقد هان عليه اي صبر .. آخر .. كما ان الصوم يحارب الاسراف بطريق عملي .. اذ تختصر وجبات الانسان من ثلاثة الى وجبة ونصف باعتبار ان السحور نصف وجبة .. وبذلك يتوافر للانسان من نفقته مايخـرج زكاة الفطر . اذ ان الاسلام مافرض زكاة الا مما يتوافر له منها .. كما لابد من التخفيف في هذه الوجبة في الافطار .. كما ينصح الطب .. فيتحقق بذلك وفر اكبر .

اما علماء الاجتماع فقد قرروا ان الصوم بما يثيره من احساس بالجوع والعطش يحرك شعور الانسان نحو مساعدة غيره وهذا ماهو حاصل في المجتمـع الاسـلامي طـوال شهـر الصوم .. فالخير وفير .. والعطـاء كثير .. والبذل محـدود .. والعطف موصول ..

ولا يمكن ان ينتهي الحديث عما للصوم من فضل وما يحققه من خير للفرد في كل نواحيه .. وللمجتمع في كل قطاعاته في الدنيا .

اما في الاخرة فان للصائم جزاء طاعته لله .. اذا اطاع ما امره به في قـرآنـه الكـريم من صـوم شهـر رمضان .. وبالهيئة التي اوضحها رسـوله الأمـين ومن اطـاع اللـه ورسوله .. فقد فاز فوزا عظيما ..

وذلك بنص قول ربنا الكريم : **﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾** ٧١ /سورة الاحزاب

واي حديث او تخيل عن قدر هذا الفوز . فالحقيقة .. اكبر .. واعظم وكل جوع وحرمان عن الاكل .. فرضه الانسان على نفسه استجابة لداعي الله بالصوم سيعوضه الله عنه بطعام اشهى وشراب اجمل .. وعطاء افضل اذ يقول ربنا الكريم لعباده الذين صاموا في الدنيا .. وهم في الجنة : **﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيـام الخـاليـة﴾** سـورة الحاقة / ٢٤

هكذا بينت الايات الكريمة التي تأمرنا بالصوم .. لفظ الخير حتى يكون عاما .. وشاملا تاما .. وكاملا .. بما لا يمكن للانسان ان يحيط بقدره ولايدري حجمه .. ولا يتخيل حدوده واذا كان هذا هو بعض الخير .. فيما نعلم .. فالله بالحق اعلم .. سبحانه وتعـالى الـوهـاب العليم الـرحمن الرحيم .. له الحمد والشكر .. وهو ما توصينا به ختام الآيات الكريمة .. اذ تقول .. لعلكم تشكرون

﴿بـل اللـهَ فـاعبـد وكـن من الشاكرين﴾ سورة الزمر/ ٦٦

صدق الله العظيم



في رحاب شهر رمضان

للاستاذ / صلاح أحمد الطنوبي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

● رمضان شهر القرآن الكريم :

نزل القرآن الكريم من عندالله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا دفعة واحدة في شهر رمضان ، وبعده أخذ جبريل « عليه السلام » ينزله مفرقا بأمر الله جل جلاله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال الله جل ثناؤه : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » (آية ١٨٥ / البقرة)

وعلى المسلمين ، وهم في شهر رمضان الفضيل ان يذكروا فضل القرآن المجيد عليهم ، ويقوموا بمسئوليتهم تجاهه ، فيتلونه ويفهمونه ويحفظونه ويكونون له جنودا عاملين مخلصين . القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو المنهاج التربوي المتكامل ، والتشريع السماوي ، والقانون الالهي من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي**

ربي منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان » (رواه احمد والطبراني) .

● حكم صوم رمضان :

صوم رمضان واجب بالكتاب ، والسنة ، والاجماع .

فأما الكتاب : فقول الله عز وجل : « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » (آية ١٨٣ / البقرة)

وقال الله عز وجل : « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » (آية ١٨٥ ـ البقرة)

وأما السنة :

فقول النبي « صلى الله عليه وسلم » : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » (رواه البخاري عن عبدالله ابن عمر) .

وأجمعت الامة :

على وجوب صيام رمضان ، وأنه أحد اركان الاسلام ، التي علمت من الدين بالضرورة ، وأن منكره كافر مرتد عن الاسلام .

وكانت فرضيته يوم الاثنين من ليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

استقبال شهر رمضان :

كان المسلمون الاولون « رضوان الله تعالى عليهم أجمعين » يتأهبون لقدوم شهر رمضان قبل الاستهلال ، وتستبشر به نفوسهم ، وتستشرف لنظره استشرافها لقدوم غائب عزيز من سفر بعيد ، لانه موسم العبادة ، وشهر الطاعة والغفران ..

وقد روى عن الامام علي بن أبي طالب « كرم الله تعالى وجهه » أنه كان لا يستشرف لهلال الا هلال رمضان ، وكان اذا نظر اليه قال :

« اللهم أدخله علينا بالسلامة من الأسقام ، والفراغ من الأشغال ، ورضنا فيه باليسير من النوم » .

فاذا دخل الشهر أو شاهد أحد الهلال فيستحب أن يقول : « الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله ، أسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، اللهم سلمنا من رمضان وسلمه منا ، ينقضي وقد غفرت لنا ، ورحمتنا وعفوت عنا » .

خصوصيات شهر رمضان :

خص الله تبارك وتعالى الأمة الاسلامية من بين سائر الأمم بشهر رمضان المبارك ، ووفر بها حظها من الرحمة والنعمة عند القسمة ، كما خص الله تبارك وتعالى رمضان بخصال ووهبها لامة القرآن ، ولم يهبها لغيرها من الأمم .

ففي الحديث الشريف عن أبي

هريرة « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلهم : خلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، فلا يخلصوا فيه الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره ، ويزين الله - عزوجل - كل يوم جنته ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويغفر لهم في آخر ليلة قيل : يارسول الله : أهي ليلة القدر ؟قال : لا ، ولكن العامل انما يوفى أجره اذا قضى عمله » . رواه احمد والبزار والبيهقي . ورواه ابو الشيخ بن حيان في (كتاب الثواب) الاانعنده « وتستغفر لهم الملائكة » بدل « الحيتان » الترغيب والترهيب ج٢ ص١٨ ٢١٨ رقم الحديث ١٤٢٤ وعن ابي هريرة « رضي الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « اذا كان اول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : ياباغي الخير أقبل ، ويباغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة »
(رواه الترمذي وابن ماجه)

على مائدة الرسول « صلى الله عليه وسلم » في رمضان :

يقرر القرآن المجيد مبدأ الاسوة الحسنة والقدوة الطيبة لخاتم الانبياء محمد « صلوات الله وسلامه عليه » فيقول الله عز وجل : « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » (آية ٢١ / الأحزاب)

صام رسول الله « صلى الله عليه وسلم » تسع رمضانات .. وكان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي ، وكان فطره على رطبات ان وجدها ، فان لم يجدها فعلى تمرات ، فان لم يجد فعلى حسوات من ماء .

عن أنس « رضي الله عنه » قال : كان النبي « صلى الله عليه وسلم » يفطر على رطبات قبل ان يصلي ، فإن لم تكن رطبات ، فعلى تمرات ، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء » (رواه ابو داود والترمذي)

ومن سنن الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » في رمضان : السحور ، والسحور من خصائص الأمة المحمدية .. فعن أنس « رضي الله عنه » عن النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : تسحروا فان في السحور بركة » (رواه البخاري ومسلم)

وكان سحور رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قريبا من الفجر فكان يفرغ منه وقد بقي على الفجر نحو عشرين دقيقة !

فعن زيد بن ثابت « رضي الله عنه » قال : « تسحرنا مع النبي « صلى الله عليه وسلم » ثم قال : إلى الصلاة ، قلت : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية . رواه الشيخان والترمذي

وكان الرسول العظيم « صلى الله عليه وسلم » يقول عند فطره : « ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله » (رواه ابو داود والنسائي)

وكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » . (رواه ابو داود)

وكان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » اذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » ، واذا رفعت المائدة من بين يديه قال : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه » رواه البخاري .

ما يتحلى به الصائم في رمضان :

كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » في شهر رمضان يكثر من الاحسان وتلاوة القرآن الكريم والصلاة والاعتكاف والذكر ، وقد ورد عن ابن عباس « رضي الله عنهما » قال : كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أجود الناس ، وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله « صلى الله عليه وسلم » أجود بالخير من الريح المرسلة » (اخرجه احمد والشيخان)

وعلى الصائم ان يكف أذاه عن الناس من سب وشتم وغيبة وإيذاء .

فقد روى أبو هريرة « رضي الله عنه » ان النبي « صلى الله عليه وسلم » قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » (اخرجه الجماعة الا مسلما) وعلى الصائم أن يتحرى الحلال في طعامه وشرابه ، فليس من الد ؟ ان يصوم نهاره ليفطر على مايم صه من دماء العباد ..

التقوى من ثمرات الصيام :

التقوى ثمرة الصوم ، وهي امتثال اوامر الله تبارك وتعالى ، واجتناب نواهيه .. وهي جماع كل خير في الحياة الدنيا والاخرة ..

قال الله تعالى : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ● ويرزقه من حيث لا يحتسب** » .

الطلاق / ٢ ـ ٣

وقال الله عز وجل : « **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » النحل / ١٢٨ وحسب المتقي ـ أن يحبه الله تبارك وتعالى ، قال تعالى : « **إن الله يحب المتقين** » التوبة / ٤

مواكب النصر في شهر رمضان :

شهد شهر رمضان المبارك نصرة الاسلام والجهاد والنضال ضد اعداء الله ، وأحرز العرب والمسلمون على امتداد السنين اعظم انتصاراتهم الحربية في هذا الشهر المبارك .

● في شهر رمضان بعد الهجرة النبوية كون المسلمون اول سرية مقاتلة بقيادة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وسرية عبيدة بن الحارث ، وكان من أثر هذه السرايا بث الرعب في قلوب اليهود الذين

أظهروا العداء الشديد للاسلام ، وكان من أثرها أيضا : رفع المعنويات للمسلمين واقبالهم على الجهاد والقتال .

● في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة النبوية وقعت معركة بدر الكبرى وانتصر المؤمنون على قوات الكفر المشركة ..

● في شهر رمضان من السنة الخامسة للهجرة النبوية كان استعداد المسلمين لغزوة « الخندق » بعد ان حرض اليهود قريشا والقبائل لشن حرب ضد المسلمين ، وقد وقعت هذه الغزوة في شوال من نفس العام ، وانسحبت الأحزاب وقريش من حصار المدينة بعد أن عصفت بهم ريح أوقعت في قلوبهم الرعب ..

● في شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة النبوية واصل المسلمون الجهاد في سلسلة من السرايا .. منها سرية عكاشة بن محصن ، وسرية أبي عبيدة بن الجراح .. وسرية زيد ابن حارثة التي قاتلت بني فزارة الذين انضموا الى قريش في غزوة الخندق .

● في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة الشريفة أنعم الله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين بفتح مكة ، وفي نفس هذا العام بعث المصطفى « عليه الصلاة والسلام » بعدة سرايا لهدم الاصنام ، فكانت سرية خالد بن الوليد لهدم العزى ، وسرية عمرو بن العاص لهدم سواع ، وسرية سعد بن زيد لهدم مناة ..

● في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة النبوية احتفل المسلمون بعودة الجيش الاسلامي المنتصر في « تبوك » حيث حققت المعركة أغراضها وأظهرت قوة الاسلام ..

● في شهر رمضان من السنة الثالثة والخمسين للهجرة فتح العرب جزيرة رودس .

● في شهر رمضان من السنة الواحدة والتسعين للهجرة نزلت جيوش المسلمين الى الشاطىء الجنوبي لبلاد الاندلس .

● وفي شهر رمضان من السنة الثانية والتسعين للهجرة انتصر الفاتح الاسلامي طارق بن زياد على الملك فردريك في معركة فاصلة .

● في شهر رمضان سنة ٤٧٩هـ كان انتصار المسلمين على الافرنج في معركة « الزلاقة » بالاندلس .

● في شهر رمضان سنة ٥٨٤هـ استرد البطل الاسلامي المجاهد صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين معظم البلاد التي استولوا عليها في فلسطين .

● في شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ انتصر الجيش الاسلامي على الجيش التتري في عين جالوت ..

● في العاشر من شهر رمضان سنة ١٣٩٣هـ انتصر الجيش الاسلامي على العدو الغاصب ، وعبرت القوات المؤمنة ـ مهللة مكبرة ـ قناة السويس الى سيناء ، « **وما النصر الا من عندالله** » آل عمران / ١٢٦ « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » الروم / ٤٧ .

مِن هَدْي النّبوّة

حَسْبُ ابنِ آدمَ

عن المقدام بن معد يكرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » . رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه .

تعسا للمرض ، ووقانا الله شره ! كم أحنى رءوسا ، وأرق جنوبا ، وأدمى قلوبا ، وأقعد عتاة ! ما أقبح وجهه ، وأثقل ظله ، وما أشد وطأته ، وأقسى ضجعته ! إنه أحد أعداء ثلاثة ابتليت بها البشرية في هذه الحياة . وقصته مع الانسان قديمة مرتبطة بوجوده على هذه الأرض ، والمعركة بينهما طويلة وشرسة ، وهي ما تزال قائمة ، وستظل ، فقد حاصر الانسان منذ نشأته ، وطارده طول رحلته ، وهاجمه في غير هوادة ولا رحمة ، وجرعه من كئوس الأسى ألوانا وألوانا ، وأذاقه من الهم ما الله به عليم .

وتحداه الانسان ولم يستسلم ، وكان صراعه معه قاسيا ومريرا ، ففكر وقدر ، وحاول وكرر ، وجرب وطور ، واستطاع بقدر وشيئا فشيئا أن يوقف من زحفه ، ويحد من غائلته ، ويخفف من آلامه .. وبعد تجارب الأيام والسنين ، وكفاح العلماء مع العقاقير والمخابير اهتدى الى الدواء بتوفيق من الله .

وجاء العصر الحديث بآلاته ومخترعاته ، وجاءت معه مشكلاته وصراعاته ومادياته فلم يستطع أن يحقق للانسان سعادته ، أو يوفر له

لقيمات يقمن صلبه

للأستاذ / محمد محمد حلاوة

أمنه وراحته ، وظهر ما يسمى بأمراض العصر : القلق ، والكبت ، والخوف ، والجبن ، والتوتر ، والوهم ، وغير ذلك من الأمراض . آلاف من (الفيروسات والميكروبات) تحاصر الانسان وتتربص به ، ومثلها من الأمراض تصيبه أو يمكن أن تصيبه ، فمازال بعضها لم يكتشف حتى اليوم .

وبالمشاهدة العادية لعيادات الأطباء على اختلافها تطالعنا الحقائق الآتية :

باستثناء عيادات الجراحة والعظام وأمراض النساء والولادة فان عيادات الأمراض الباطنية وأمراض القلب على كثرتها تأتي دائما في مقدمة العيادات التي تزدحم بمرضاها ، وتفتح نهارا وليلا ، لا فرق في ذلك بين صيف وشتاء ، وربيع وخريف (في حين أن بقية العيادات الأخرى بعضها يغلق أبوابه ليلا ، ومنها ما يقل رواده بدرجة ملحوظة ، ومنها ما يتذبذب عدد المترددين عليه من وقت الى آخر ، أو بالأدق من موسم الى آخر . **وتلك ظاهرة ـ فيما أظن ـ تكاد تنتظم كل عيادات الأطباء في بلادنا الشرقية .**

وبالرجوع الى شركات الأدوية

المختلفة نجد أن ما تنتجه هذه الشركات من أدوية للأمراض الباطنية وما يتصل بها يعادل ثلث ما تنتجه كله تقريبا أو يزيد ، والأمر كذلك بالنسبة للصيدليات وشركات التوزيع ، وليس لذلك تفسير إلا أن البطن بيت الداء .

ويجمع الأطباء على أن الاسراف في الطعام والشراب يضر ضررا بالغا بالصحة ، ويؤثر تأثيرا مباشرا على الجهاز الهضمي وملحقاته ، وأمراضه معروفة ، وآلامها مبرحة وقاسية ، كما أنه يؤثر تأثيرا غير مباشر على اجهزة الجسم الأخرى ، وله علاقة قوية بأمراضها ، حتى تلك التي يظن أنه لا صلة للطعام بها كالجراحة .

نستطيع أن نجزم الآن أن الاسراف في الطعام والشراب له علاقة وثيقة مباشرة أو غير مباشرة بكثير من الأمراض . وإذا فلنحن رءوسنا إجلالا وإكبارا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه . بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » فقد هدانا معلم الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو النبي الأمي إلى أصل الطب كله ، ووضع أيدينا على أنجع علاج لأخطر المشكلات الثلاثة التي دوخت العالم ، وأضنت البشرية ، وحيرت العقول ، دون أن يكلفنا ذلك شيئا إلا عزيمة صادقة ، ونفسا قوية ، وغريزة سوية .

فها هو ذا صلوات الله وسلامه عليه يبين لنا أن شر وعاء يملؤه الانسان هو البطن ، يملؤه بالطعام والشراب ، ذلك لأن الانسان لا يعيش ليأكل ، وإنما يأكل ليعيش ، وفرق كبير بين الحالتين ، فالأكل في الحالة الأولى غاية لا وسيلة ، وهو في الحالة الثانية وسيلة لا غاية ، والذي يأكل ليعيش هو الذي يعرف هدفه في الحياة ، وهدف الحياة منه .. هو الانسان ، اما الذين يعيشون ليأكلوا فأولئك هم الأنعام: **﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾** سورة محمد الآية ١٢ .

ولا يلزم الانسان لكي يعيش إلا قدر قليل من الطعام « لقيمات يقمن صلبه » فما زاد على ذلك فلا حاجة للجسم به ، ولا فائدة منه ، بل يلحق به الأذى ، ويجره إلى متاعب وآلام كثيرة قد تنتهي به إلى ما لا تحمد عقباه .

ولما كان هذا القليل من الطعام قد لا نتفق على مقداره وتحديده ، ولما كانت سورة البطن تتفاوت من شخص إلى آخر ، ومن بيئة إلى بيئة ، ولما كانت الحالات تختلف من واحدة إلى أخرى فقد وضع ذلك كله في الاعتبار ، وحسب له أدق حساب « فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » أي فإذا كان الأمر يحتم أكثر من اللقيمات التي تقيم الصلب فلا بأس ، ولكن حذار أن يصل ذلك إلى حد يرهق معدتك ، ويثقل جسمك وأمعاءك ، ويضغط على صدرك وقلبك ، فتلهث انفاسك ،

وتسرع دقاتك ، وتتدلى أجفانك ، ويسلمك ذلك إلى الرقاد والكسل ، ويطمس على قلبك وعقلك .. ثم ينتهي بك إلى الحيوانية .

وأعتقد أنه ليس من فضول القول أن نورد هنا بعض ما أثر من كلام السابقين في مدح الاقلال من الطعام والشراب ، والثمرات التي نجنيها من ورائه ، وذم الاكثار من الطعام والشراب ، والمضار الناتجة عنه .

قال لقمان عليه السلام يعظ ابنه : « **يابني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة** » وقال الحارث ابن كلدة طبيب العرب : « **الذي قتل البرية ، وأهلك السباع في البرية إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام** » وقال ابن أبي ماسويه عندما قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ، ولتعطلت دكاكين الصيادلة » وعن الحسن رضي الله عنه قال : « والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ، ولو شاء لأكله فيقول : والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله » وقال ابراهيم ابن أدهم : « من ضبط بطنه ضبط دينه ، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة » وذكر أبو سليمان الداراني ست آفات للشبع قال : « **الأولى** فقد حلاوة المناجاة . **الثانية** تعذر حفظ الحكمة **الثالثة** حرمان الشفقة على الخلق . **الرابعة** ثقل العبادة ، **الخامسة** زيادة الشهوات . السادسة ان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباع يدورون حول المزابل » ، ولاحد الصالحين وهو يعدد فوائد الجوع ومضار الشبع : « وبه (أي الجوع) صفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة ، فان الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معاون الفكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ، وعن سرعة الادراك ، بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، وصار بطيء الفهم والادراك » .

ومهما يكن من أمر فمن المسلم به أن الانسان يصفو قلبه ، وتسمو روحه ، وترق مشاعره ، وينشط جسمه ، وتخف حركته ، وتنكسر شهوته ، ويصح بدنه ، وتستقيم حياته إذا قلل من الطعام ، ويعمي قلبه ، وتظلم روحه ، ويتبلد ذهنه ، وتقسو مشاعره ، ويثقل جسمه ، وتضعف حركته ، وتطغى شهوته ، ويعتل بدنه ، وتتعثر حياته إذا أفرط في الطعام .

وقد تشدد بعض العلماء ولا سيما الصالحين منهم في تحديد القدر الذي يقيم صلب الانسان من الطعام والشراب ، وروى عنهم في ذلك حكايات وأقوال كثيرة لا تخلو من مبالغات أحيانا ، وقد لا يستريح لها العقل أحيانا أخرى .

وباستثناء الزهاد والعباد ومن اختصهم الله بروح من عنده نقول : إن الانسان كالآلة ، ولكي يتحرك

تلزمه الطاقة ، والطاقة في حاجة إلى وقود ، والوقود لابد أن يكون كافيا ، وعلى درجة عالية من الكفاءة . وإذا كان الشبع يقتل الهمة ، ويضعف النشاط فإن الاقلال من الطعام عن القدر اللازم يوهن الجسم ، ويورث العلة ، ولاسيما في عصر أصبح طلاب العيش فيه في سباق رهيب مع رغيف الخبز فضلا عن مطالب الحياة الأخرى ، وما أكثرها وأثقلها ، ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقيمات بقوله « يقمن صلبه » وهو وصف من الدقة بمكان ، وقد يخفى مغزاه على الكثيرين ، فكلمة « تقيم » نفسها لا يمكن أن تؤدي هذه الوظيفة ، وللصلب خاصة إلا إذا كانت مشحونة بشحنة من الزاد عالية وكافية ، واحتاط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لا تكفيه اللقيمات على النحو السابق فهناك المرضى ، والضعاف ، ومن يزاولون مجهودات شاقة ، ومن يضعفون أمام شهواتهم فقال صلى الله عليه وسلم : « فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه .. ليسد كل ثغرة على هذه الحكمة الغالية التي لو عودلت بكل ما باعته وتبيعه الصيدليات وشركات الأدوية في العالم كله من نشأتها وحتى تقوم القيامة لرجحته .

ومع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نستلهم بعض روائعه .

« ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .

تعبير يجمع بين الابداع والاحكام والجمال ، نتبين ذلك في استخدام ما النافية ، وتصدير الجملة بها ، وفي حسن اختيار الكلمات ، وفي دقة الصياغة ، وفي روعة التشبيه .

« بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه » .

الباء في بحسب تأتي في موقعها لتؤكد كفاية القليل ، وكلمة حسب نفسها تسمع فيها رنة القطع ، ونبرة التنبيه والتحذير ، والكناية في ابن آدم كناية لطيفة نستشف منها الاشفاق والحنو على بني الانسان ، ولقمه وتصغيرها « لقيمات » ويقمن صلبه تحمل من الدلالات القوية ما بعضه واضح قريب ، وما بعضه خفي بعيد .

« فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

استعمال كلمة لا محالة تدل على حتمية الزيادة ، والتقسيم في ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه والذي يجرى على الصورة الحسابية يراد به توضيح المعنى وتقريبه إلى الأذهان ، ويوحي بالضبط ، والانتظام ، والاعتدال ، والحذر ، ومعان أخرى .

ألا ما أبعد الفرق ، وأوسع الشقة بين الواقع الذي نعيش فيه ، وبين ما يدعو إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين ما يجب أن يكون ، وبين ما هو كائن !! فكم لونا وكم صنفا من الطعام يقدم على موائدنا ؟! وبكم طريقة يعد ؟! وأي كمية نتناول ؟! وكيف نأكل ؟! وكم من الطعام يبقى ؟! وإلى أين يصير ؟!

سلوا الأطباق والأواني

والأكواب .

. بل سلوا أنفسكم أنتم أيها الناس .. سلـوا أيديكم وأفواهكم وجيوبكم ..

وهل رأيت ما يقدم في حفلاتنا وفي ولائمنا !! البذخ كلـه ، والاسراف كله ، والجشع كله .. ياللأموال التي تنفق ! والصحة التي تهدر ! والنعمة التي تكفر ! ياللظلم المبين !

أفيقوا أيها المسلمون ، وفكروا أن تشتـروا نصف الكمية التي كنتم تريدون ، وأن تنضجوا في القدور نصف ما تنضجون ، وأن تضعوا على المائدة نصف ما كنتم تضعون ، وأن تتناولوا من الطعام نصف ما كنتم تتناولون .. افعلـوا وجربـوا شهرا واحـدا ، واجمعـوا مـلاحظـاتكم ، وسجلوا نتائجكم .. ستخف الكروش المنتفخة ، وتذوب الشحوم المتراكمة ، وتصح الأجسام السقيمة ، وتعتدل الأمزجة المعتلة ، وتمتلىء الجيـوب الفـارغـة ، وتستيقظ الأرواح الهامدة .. ستنتظم الحياة .

وبعد فلا يحسبن أحد أن المرض كله محنة خالصة أو شر محض ، فبالمرض اهتدى الانسان إلى ربه ، فرنا إلى السماء ، ورفع أكف الضراعة والرجاء ، وبـالمرض أقـر الانسان بعجـزه ، واعتـرف بقـدرة اللـه ، وبالمرض عرف للصحة قدرها ، وشكر الله عليها ، وبالمرض ابتلى الله عباده ليعرف المجاهدين منهم والصابرين .

نسأل الله سبحانه وتعـالى أن يكفينا شره ، ويهبنـا خيره ، وأن يلهمنـا السداد والصـواب ! والله أعلم .



معالم الأصالة في النظام العقابي الاسلامي

للدكتور/ أحمد علي المجدوب

أوضحنا في مقال سبق نشره بعدد شوال ١٤٠٣ هـ أن التشابه بين بعض الأحكام المتعلقة بالعقوبات في الشريعة الاسلامية وبين نظيراتها في الشرائع السابقة عليها ، لا ينفي عن هذه الأحكام صفة الأصالة ولا يثبت شيئا مما زعمه أعداء الاسلام الذين كشفوا بقولهم هذا عن سطحيتهم وبعدهم عن الموضوعية لأنهم لم يحاولوا أن يسبروا غور الموضوع ويتعمقوا في دراسته .

وفي هذا المقال سنبين أن معالم الأصالة في النظام العقابي الاسلامي تبدو أوضح ما تكون لا في النطاق الذي حصر أعداء الاسلام اتهامهم فيه وهو الحدود والقصاص وهي التي لم تعد تطبق في الغالبية العظمى من الدول التي تدين شعوبها بالاسلام ، ولكن في خارج هذا النطاق وعلى وجه التحديد فيما يسمى بالعقوبات التعزيرية التي تعد نظاما إسلاميا خالصا نشأ في الدولة الاسلامية الأولى وتأثر في تطوره بما طرأ على المجتمع الاسلامي من تغيرات وإذا كانت قوانين العقوبات أو قوانين الجزاء المطبقة في كل دول العالم تعتمد سلب الحرية كعقوبة أساسية توقع على مرتكبي الغالبية العظمى من الجرائم في صورة الايداع في السجن لمدد تتفاوت في الطول فان هذه العقوبة لم يكن لها وجود قبل قيام الدولة الاسلامية وما ذكر فيما خلفه لنا الأقدمون ـ من آثار بشأن السجن لا يتضمن أي معنى يدل من قريب أو من بعيد على أن الايداع في السجن كان على سبيل

العقاب ، وإنما كان من قبيل ما نسميه الآن الحبس الاحتياطي أو التوقيف ، وهو عادة إجراء يسبق المحاكمة ويقصد به وضع المتهم بحيث يكون في متناول الدولة أو القضاء فلا يهرب أو يؤثر في شهود الواقعة أو في الادلة المتعلقة بها ، أو حتى بقصد حمايته من أي اعتداء قد يصيبه من المجني عليه أو من أقاربه انتقاما منه ، وهي نفس الأسباب التي يستند إليها نظام الحبس الاحتياطي أو التوقيف في القوانين الحالية . أما الايداع في السجن كعقوبة لها أركان وشروط وغير ذلك فإن الدول التي قامت قبل الاسلام لم تعرفه فمن يقرأ ما عثر عليه من قوانين كانت مطبقة في المجتمعات القديمة لا يصادف في كل ما تضمنته من نصوص أي إشارة إلى عقوبة تسمى الحبس أو السجن وإنما يجد أن العقوبات كلها بدنية وقد تتبعها عقوبات مالية كالمصادرة أو الغرامة أو الاتلاف . كذلك كانت هناك عقوبة أخرى هي عقوبة الطرد من الجماعة أو النفي وبمقتضاها تتخلى الجماعة عن الجاني وتحرمه من الانتماء إليها فيصبح مهدر الدم ولكنها كما هو واضح ليست حبسا ولا هي من قبيله وما ذكر في سورة يوسف يدل بوضوح على أن الايداع في السجن لم يكن عقابا وإنما كان حبسا احتياطيا أو توقيفا ، فالرجلان اللذان التقى بهما النبي يوسف عليه السلام لم يكونا قد حوكما وأدينا وإنما كانا ينتظران المحاكمة ، ولذلك فان ما تنبأ به لهما يوسف عليه السلام كان هو الحكم الذي صدر بحقهما ، فقد أطلق سراح أحدهما بعد أن ثبتت براءته بينما عوقب الآخر بالاعدام بعد ثبوت إدانته . كذلك الحال بالنسبة ليوسف نفسه فإنه لم يحكم عليه بالسجن وإنما أودع به حتى يتبين الملك أمره ، فلما ثبتت له براءته مما نسب إليه ، أطلق سراحه وقربه إليه .

وقد تبين من الدراسات التاريخية لنشأة العقوبات وتطورها أن فرضها ، أي العقوبات لم يكن من فراغ أو على غير أساس فالمعروف أن العقوبة إنما هي جزاء يوقع على الجاني الذي ثبت ارتكابه لجرم ، وهذا الجزاء له أهداف ، ومن ثم فان نوع الجزاء وأسلوب تنفيذه ينبغي أن يكونا بحيث يحققان تلك الأهداف وإلا فان الجزاء يفقد أثره ، بل يؤدي إلى عكس النتائج المرجوة منه وبغض النظر عما يقال اليوم من أن العقوبة يجب أن تهدف إلى إصلاح المحكوم عليه وإعادة تأهيله لكي يعود مرة أخرى عضوا نافعا في الجماعة ، فإن هناك هدفا يرمي المجتمع إلى بلوغه بالعقوبة وهو الايلام ، أي جعل الجاني يشعر بقدر من الألم نظير اللذة التي حققتها له الجريمة وهذا الهدف ، أي الايلام ، سيظل محل اعتبار الجماعات مهما قيل من وجوب تخليص العقوبات من أي قدر من الألم ولو كان ضئيلا وإلا فما معنى أن تكون هناك عقوبة أو جزاء ؟

وإذا نحن أعملنا النظر في النظم العقابية على اختلافها ومنذ قيام الدول وإلى الآن فسوف نلاحظ أن العقوبات

كانت ولا تزال توجه إلى حق من حقوق الفرد ، فالمشرع يهدف إلى المساس بأحد هذه الحقوق تحقيقا لعنصر الايلام الذي يقابل ما حصل عليه الجاني من متعة ، فالعقوبة إذن تعمل على إعادة التوازن بين ما للمجني عليه وما للجاني من حقوق سبق أن أخلت بها الجريمة ومما لا شك فيه أن هذا التوازن يعود كاملا إذا أصابت العقوبة حقا للجاني يماثل ما كان للمجني عليه من حق إصابته الجريمة وهذه هي العدالة المثلى من ذلك أن نفقأ عين الجاني كما فقأ عين المجني عليه أو نقطع يده أو لسانه أو أذنه أو غير ذلك مما أصابته الجريمة في المجني عليه . وكلها تدخل في نطاق ما يسمى بحق الشخص في سلامة جسمه . أما حقه في الحياة فانه يفقده مقابل إزهاقه لروح المجني عليه وهكذا فان تعذر المساس بحق للجاني مماثل لحق المجني عليه الذي انتقصته الجريمة أو سلبته تماما ، فإن العقوبة تتجه إلى حق آخر للجاني فتمس به تحقيقا للغاية المنشودة وهي إعادة التوازن إلى الحقوق التي للأفراد أو التي للجماعة ومن ثم فإنه لا يتصور النص على عقوبة تمس حقا لا وجود له وإلا كانت عبثا .

وقبل الاسلام لم يكن للانسان من الحقوق إلا حقه في الحياة وحقه في سلامة جسمه وحقه في ملكية الاموال الثابتة والمنقولة كالأرض والماشية والمسكن والنقود ومع ذلك فان الحق في الملكية لم يكن شائعا أو عاما وإنما كان قاصرا على عدد قليل من الناس هم الحكام والزعماء وأعوانهم ، أما الغالبية العظمى من الناس فكانوا لا يملكون إلا أنفسهم فقط فهم عبيد أو أتباع أو أقنان ، ولذلك فإن حبسهم أو سجنهم لم يكن يسبب لهم ألما بل لعل العكس هو الصحيح فربما وجدوا فيه فرصة للافلات من المعاناة والتخلص من العذاب والهوان واستغلال الاقوياء والأغنياء لهم . كذلك فان هؤلاء لم يكونوا ليرضوا بحبس عبيدهم أو أتباعهم لأن ذلك من شأنه أن يحرمهم من جهدهم وثمرة أعمالهم ، وبطبيعة الحال فإن الأغنياء وأصحاب السلطة لم يكونوا يعاقبون ولذلك كانت العقوبات كلها بدنية فقطع اليد لم يكن يقتصر على السرقة فقط وكذلك الاعدام لم يكن يقتصر على قتل النفس أو الزنا فقط .

وبظهور الاسلام ظهر حق جديد لا عهد للبشرية به هو الحق في الحرية ، والمقصود بالحرية ليس حرية الحركة فقط وإنما حرية الاعتقاد وحرية الكلام والتعبير وحرية الفكر وبحلول مبدأ العبودية لله الواحد زالت أو كادت عبودية الفرد لغيره ، ودعم مبدأ الحرية مبدأ المساواة فالناس سواسية كأسنان المشط وكلكم من آدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وهكذا أصبح الناس سواء أمام القانون ، لا فرق بين أمير وحقير ، ولا بين غني وفقير ، لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ، كذلك دعم المبدأين مبدأ ثالث هو الأمن للجميع ، فالمسلم ، من سلم الناس من لسانه ويده ، ولا يؤمن

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

وهكذا أصبح المسلم أينما كان يملك حريته التي أصبحت حقا ثابتا له يضاف إلى الحقوق الأخرى ، وأصبح المساس بهذا الحق محققا للايلام المقصود . وفي ذلك الوقت لم يكن الانسان في أي مكان آخر من العالم المعروف حينئذ يتمتع بحريته ، بل كانت الغالبيـة العظمى من أقنان الأرض يباعون معها ، فيملكهم المالك كمـايملكهـا ويتصـرف فيهم كمـا يتصرف في بهائمها وآلاتها ويملك عليهم حق الحياة .

بل ويشارك الزوج زوجته ويـأخذ لنفسه الحق في أن يكون أول رجل يضاجع العروس وهو ما كان يسمى بحق « القفزة الاولى » وغير ذلك الكثير مما تمتلىء به كتب التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى التي ذكرت فيما ذكرته أن إقبال الناس على الالتحاق بالجيوش الصليبية التي وجهها زعماء الكنيسة الكاثوليكية في روما لمحاربة المسلمين لم يكن بدافع من إيمانهم أو من قبيل الحماس للدعوة إلى حرب المسلمـين ، وإنمـا كـانت بقصـد التخلص من وضعهم المزري كأقنان للأرض وعبيد للأمراء وكبار رجال الدين ولذلك نلاحظ أنه بينما لم يبدأ تطبيق عقوبة الحبس في أوربا إلا بعد الثورة الصناعية التي قضت على هذه الأوضاع وبالتـالي ردت للانسـان الأوربي حريته ، فان هذه العقوبة ظهرت في الدولة الاسلامية منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) أي أن الفرق الزمني بين الأمرين يزيد على أحد عشر قرنا هي في الواقع الفرق بين تاريخ حصول الانسان على حريته في كلا المجتمعين .

ولم يكن فرض عقوبة الحبس عملا تحكميا أو تصرفا عشوائيا من هذه التصرفات ، التي يقدم عليها بعض الحكام ذوي السلطة المطلقة أو تعبيرا عن رغبة أو بدافع من هوى طبقة اجتماعية أو فئة من أصحاب المصالح المتميزة ، وإنما كان تطويرا صحيحا وسليما لنظام كان قائما في المجتمع الاسـلامي الأول بمقتضـاه يعهـد بالمدين إلى الدائن ليحرسـه حتى يستوفي منه دينه ، وكان المدين يمسى أسيرا ففي رواية « أبو داود » وابن ماجة عن الهرماس بن حبيب عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي فقال لي : الزمه . ثم قال : يا أخا بني تميم ما تريد أن تفعـل بأسيرك ؟ وفي رواية ابن ماجة ثم مر بي آخر النهار فقال : ما فعل أسيرك يا أخا بني تميم وكان عليه الصلاة والسلام يوصيه بالأسير خيرا كلما مر به . وهكذا كان الحال في عهد الرسول صـلى الله عليـه وسلم حيث كان المجتمع الاسلامي صغيرا والجرائم قليلة ، بل نادرة . فلما زاد عـدد المسلمين واتسعت دولتهم بما فتحوه من مدن كانت لفارس وبيزنطة وشرع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إقامة دعائم الدولة الاسلامية الفتية وتنظيم أمور المجتمع الاسلامي الكبير لم يكن بد من قيام الحكومة الاسلامية بأمور كانت من قبل مما يعهد به إلى الأفراد

بصفة استثنائية ومؤقتة ، ومن هذه الامور تنفيذ العقوبات الصادرة بحق من ثبت جرمه . من ذلك ما فعله عمر ابن الخطاب بالنسبة لعقوبة الجلد ، فبينما كانت هذه العقوبة تنفذ بطريقة عشوائية وغير منظمة حيث كان الناس يجتمعون على من ثبت جرمه كشارب الخمر مثلا فيضربونه كيفما اتفق بالأيدي والنعال أو بأطراف الثياب إلى أن يستوفوا الحد ، فان عمر ألغى هذه الطريقة واختار سوطا له مواصفات معينة ليكون أداة لتنفيذ عقوبة الجلد ، وعهد إلى شخص واحد بتنفيذ الجلد وألزمه بأن تكون الضربات في أماكن معينة من جسم المحكوم عليه دون غيرها . وكما فعل في الجلد ، فعل في الحبس أو الأسر كما كان يسمى . فلم يكن من المتصور وقد قامت الحكومة الاسلامية أن تعهد بالمذنبين أو حتى المدينين إلى أشخاص يحرسونهم حتى ولو كانوا الدائنين ، لما في ذلك من احتمال إساءة هؤلاء الأشخاص إلى أسراهم ، خاصة وقد دخل في الاسلام أناس لم يكونوا على درجة من التقوى والالتزام بمبادىء الدين مماثلة لما كان عليه صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك بادر الخليفة الثاني إلى شراء دار في المدينة اتخذ منها سجنا يودع فيه المدينين الماطلين والأشخاص الذين ارتكبوا جرائم تعزيرية ، فأصبح هؤلاء بذلك تحت إشراف الحكومة الاسلامية وفي رعايتها تلتزم إزاءهم بتعاليم الدين فلا تنتقص حقا من حقوقهم الطبيعية ، فيما عدا تقيد حركتهم بحيث لا يتمكنون من ارتكاب جرم جديد أو يستمرون في مماطلة دائنيهم . وقد حبس عمر بن الخطاب الشاعر الحطيئة عندما . عاد إلى شرب الخمر وكان قد جلده ونهاه عن العودة إليها . كذلك سجن غيره تعزيرا وأسوة بعمر قام الولاة في الأقاليم الاسلامية بإنشاء السجون وأودعوا بها المذنبين سواء من الموقوفين : « المحبوسين احتياطيا » أو من المحكوم عليهم وكانت الحكومة تتكفل بتقديم الطعام والشراب والكساء والدواء للمسجونين الذين ليس لهم مال ينفقون منه على أنفسهم أما غيرهم من المسجونين فانهم كانوا ينفقون على أنفسهم من مالهم الخاص وهذا وضع عادل إذ لا يتصور أن تتحمل الحكومة بأعباء إعالتهم وهم الذين أساءوا إلى المجتمع بجرمهم فكأنها باعالتها لهم تخسر مرتين : مرة عندما تحملت مضار الجريمة ، والأخرى عندما تنفق عليهم من مال المسلمين ومن معالم أصالة نظام العقوبة في الاسلام ما تتضمنه عقوبة الحبس من شروط إسلامية الطابع ، مثل التفرقة بين الذكور والاناث في الحبس ، بحيث لا يحبس الرجال مع النساء كما كان يحدث في أوربا وأمريكا حتى قرب نهاية القرن الثامن عشر طبقا لما ذكره « دونالد تافت » في كتاب « مبحث الجريمة » لأن الاسلام يحرم اختلاء المسلم بالمرأة الاجنبية وما في حكمها كذلك كان من غير المسموح به حبس الصغار مع الكبار منعا لما قد يتعرض له الصغار من

فساد .

وقد سبق أن ذكرنا أن الحبس كان يقتصر على تقييد حركة السجناء فقط دون أي مساس آخر بأي حق من حقوقهم وقد اشترط الفقهاء ألا تزيد مدة الحبس على سنة ، واعتبر بعضهم الحبس أشد من الضرب لما في الحبس من إنكار لآدمية الانسان وإهدار لطاقاته وانحراف بها عن وجهتها الصحيحة ، لذلك ذهب غالبية الفقهاء إلى جواز التقاء السجين المتزوج بزوجته في مكان معد لذلك داخل السجن ، مع اشتراط قبول الزوجة بالمجيء إليه ، وذهب بعضهم إلى القول بجواز سجن الزوج مع الزوجة إذا كانا قد عوقبا بالسجن لجرم اقترفاه ، وهذا من قبيل درء الفساد الذي قد يقع فيه الزوج نتيجة لحرمانه من إشباع رغبته الجنسية ولحماية زوجته من الانحراف أثناء غيابه عنها ،

كذلك كان يسمح للمسجون الذي يرغب في القراءة بإحضار ما يشاء من الكتب لقراءتها ، أما غيره من المسجونين الذين ليس لديهم ما يشغلون به وقت فراغهم ، فقد كانوا يكلفون ببعض الأعمال البسيطة ، مثل نسج التكك وصنع السلال أو غير ذلك وهو ما يعد أساسا للسياسة التي تتبعها المؤسسات العقابية الحديثة في تشغيل المسجونين وتعليمهم بعض الحرف التي تدر عليهم دخلا بعد أن يغادروا السجون . ومن يقرأ تاريخ السجون في الدولة الاسلامية يلاحظ أن هذه المؤسسات شأنها شأن غيرها من مؤسسات الدولة قد تأثرت بما طرأ على المجتمع الاسلامي من تطورات أو لحق به من تغيرات فبلغت في بعض المراحل أقصى ما يمكن تصوره من رقي ، وأصابها في البعض الآخر أشد ما يمكن تصوره من انحدار وتخلف وفساد ، وهذا أمر طبيعي عرفته المجتمعات على اختلافها ولكن يجب دائما التفرقة بين المبادىء السامية التي قام عليها هذا النظام وبين التطبيقات السيئة التي لم يتم فيها الالتزام بهذه المبادىء كما يجب أيضا الاعتراف بأصالة نظام العقوبات السالبة للحرية باعتباره نظاما إسلاميا خالصا لم تعرفه المجتمعات السابقة على الاسلام ، ولم تعرفه المجتمعات اللاحقة له إلا متأخرا .

والاعتراف كذلك بما للفقهاء المسلمين أمثال أبي يوسف وابن عبد الحكم وسحنون وابن تيمية وغيرهم من فضل الريادة في مجال الدراسات العقابية والاهتمام بنظام السجون وأساليب معاملة المسجونين وهو الاهتمام الذي سبقوا به نظراءهم في أوربا بقرون كثيرة ، ولاشك أن مسؤولية تعريف الاجيال الجديدة من طلبة كليات الحقوق والشرطة وكافة المهتمين بالاساليب العقابية بأولئك العلماء الأفذاذ تقع على عاتق الأساتذة والعلماء الذين يقومون بتدريس ما يسمى بعلم العقاب في الجامعات العربية والاسلامية .

بعض آيات الذكر في الذكر

للأستاذ / سعد عوض المر

لا يستطيع أي مفكر أن ينكر أن العبادات كل العبادات ذكر لله جل علاه ، ولم لا ؟ ونحن لا نهم بها الا حين نذكره ، كما أننا حين نقوم بها نكون قبلها قد ذكرنا الله وتذكرنا أوامره : (**وذكر اسم ربه فصلى**) الأعلى/ ١٥ ، وكما أن كل عبادة : ذكر فإن قراءة القرآن هي أيضا عبادة لان القرآن ذكر ، فاذا سأل سائل : كيف يكون القرآن ذكرا ؟ نقول : ولم لا يكون ذكرا ؟ وفيه الفكر وفيه الشكر وفيه الذكر (**ص والقرآن ذى الذكر**) أول سورة ص ، (**ولقد يسرنا القرآن للذكر**) سورة القمر/ ١٧ (**وأنزلنا إليك الذكر**) النحل/ ٤٤ ، (**وهذا ذكر مبارك أنزلناه**) الأنبياء/ ٥٠ .

حتى هؤلاء الكافرون الذين عاندوا لم ينكروا أنه ذكر:(**أألقي الذكر عليه من بيننا**) القمر/٢٥ ، لقد أطلقوا عليه تلك الصفة التي كانت تزلزل أعماقهم من الجذور كلما سمعوه :(**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا**) الاسراء/٤٦ .

* ذكر الله غاية الغايات :

حقا إن ذكر الله عز وجل هو أسمى الغايات لأنه الهدف من كل العبادات ولأنه الصلة الدائمة برب العباد ، إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الجن والانس إلا من أجل هذه العبادة ، ومن أجل هذا الذكر : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) الذاريات/٥٦ ، لهذا أمر الله رسوله الأمين ان يذكره دائما : (**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا**) المزمل/٨ ، كذلك امتد الأمر الكريم إلى عباده المؤمنين :(**فاذكروني أذكركم**) البقرة/١٥٢ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه عن ربه في أحاديثه القدسية : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) متفق عليه .

هذا وقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن شرائع الاسلام قد كثرت علي ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) رواه الترمذي ، وابن ماجة .

حقا إنه لهو الحق المبين ذلك الذي قيل في تبيان مقام الذكر سواء في كتاب الله الكريم أم في الأحاديث القدسية المباركة أم في الاحاديث النبوية الشريفة ، حتى ان المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يدعو ربه دائما أن يعينه على شكره وذكره وحسن عبادته .

* مكانة الذكر عند الله تعالى :

لكي نعلم مكانة الذكر عند الله تعالى ، هلم نقرأ قوله عز وجل : (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**) الأنبياء/١٠٥ .

إن تفسير هذه الآية يقودنا الى القول : بأن كلماتها المباركة تبين لنا بوضوح أن اللوح المحفوظ هو أيضا ذكر لأن الزبور قد تنزل قبل القرآن الكريم وليس من بعده ، كذلك يمكن القول بأن هذا القرآن الكريم ـ قبل أن يتنزل على سيد المرسلين ـ هو المقصود في تلك الآية التي بينت أن الزبور قد تنزل من بعده ، لأن القرآن كان ولا يزال ذكرا للعالمين : (**وما هو إلا ذكر للعالمين**) القلم/٥٢ ، فهذا عالم الملائكة وذاك عالم الجن ـ قد أوجدهما الله من قبل أن يخلق آدم ـ كذلك عالم

الطير .. كل قد علم صلاته وتسبيحه ، إن هذا ما نلمحه في هذا التقديم في تعليم القرآن وذاك التأخير بالنسبة لخلق الانسان الذي ورد ذكره بسورة الرحمن : (**الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان**) الرحمن/من ١ حتى ٤ .

* أركان الاسلام أساسها الذكر :

إن ذكر الله تعالى يتخذ أساليب عدة حسب حالة كل ذاكر ، لكن قمة المعاني التي يتجلى فيها الذكر أكثر هي ـ كلمة التقوى ـ تلك التي تمثل الركن الأول من أركان الاسلام خاصة عند استحضار مدلولاتها التي تعنيها حين يذوب الكيان فيها : كيان الذاكر فيتطهر من شوائب مادياته حتى ينسى تعطش جسده وهوى نفسه .

ـ عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، رواه ابن ماجة والنسائي كذلك الصلاة وهي ـ أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة ـ تقوم على ذكر الله : (**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**) طه/ ١٤ ، وايضا الحج : كل اعماله قائمة على الذكر لأن فيه التكبير .. وفيه التهليل وفيه التلبية .. وفيه الشكر وفيه الحمد سواء في الطواف او حين السعي أو عند الوقوف بعرفات أو وقت الرمي أو في أثناء الهدى ، كذلك الصيام ـ إنه ذكر دائم للرحمن ـ لأن الصائم طوال صومه يعلم أن ربه يراقبه ، كذلك الزكاة إنها أيضا ذكر ودعاء مرفوع لله جل علاه كي يتقبلها قبولا حسنا .

* تقوى الله ذكر دائم لله :

حقا إن العلماء هم المتقون : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/ ٢٨٢ ، كما أن المتقين هم الذاكرون ، لأنهم يعيشون في ذكر قائم من خلال انتباههم الدائم بمراقبة الله لهم ، لهذا أمرنا الله مولانا أن نلجأ إليه اذا ما أردنا يوما أن نستعلم عن شيء غمض علينا مشيرا اليهم بصفتهم التي وصلوا بها إلى التقوى ثم إلى العلم (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) النحل/٤٣ .

إن المتقين يحاسبون أنفسهم لأنهم يعلمون أن الله بصير بما يعملون سميع لما يقولون ، لهذا كانت تقواهم وصالا بالله ، لأن الوصال الفكري يربط هذا التقي بربه على الدوام ، فيجعل شعوره بوجود الله ممزوجا بحركاته وسكناته في تلك لحياة ، أو بمعنى آخر : يعيش الفكر في الذكر عابدا يلتمس معية الله مع كل نبضة حياة .

أما إذا أقبل المتقون على معصية ما حتى كادوا أن يقعوا فيها أو يواقعوها ،

فإنهم سرعان ما يبصرون حين يستحضرون عظمة ربهم وجلاله وجبروته فيتراجعون حين يتذكرون أوامره ونواهيه ، إن هذا التذكر هو أول خطوة في طريق الذكر (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**) الاعراف/٢٠١ ، أما إذا اقترف المؤمن معصية ما أو ارتكب بعضا من الظلم فإنك تراه قد ارتجف من خشية الله حين يتذكره ، ثم تجده يسارع إليه بالاستغفار ويجأر اليه بالدعاء : (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**) آل عمران/١٣٥ .

* في النظر فكر وذكر :

إنه ليس باللسان وحده يكون الذكر ، أو بالقلب أو بالفكر .. بل بالعين أيضا يكون هذا الذكر ، فحينما يشاهد المؤمن شيئا ما يبهره ، فإننا نسمع لسانه ينطلق سريعا لينطلق قلبه باسم ربه (**الله .. الله**) دون أي تردد أو سابق نية ، كذلك الحال حينما يسبح هذا المشاهد بعينيه في جمال خلق الله أو يذوب في سحر ألوان يكون الله قد وضعها فوق ريش طاووس أو فوق فرو حيوان أو فوق قشور أسماك ، حينئذ يسبح كل جزء فيه ذاكرا بملء فيه (**الله .. الله**) ثم ينخفض صوته كي يصلي بفكره مشاركا بذكره أنشودة هذا الكون العظيم تمجيدا للرب الكريم الذي أوجد كل هذا الابداع في مختلف تلك الأنواع .

لكننا في الجانب الآخر نرى أناسا كثيرين يشاهدون كل هذا ولا يتأثرون ، لأنهم لا يتفكرون ولا يتذكرون بالرغم من ان في رؤسهم عيونا لكنهم بها لا يبصرون برغم انهم ينظرون ، كذلك في أفواههم ألسن إلا أنهم لا يذكرون ، رغم انهم بها ينطقون (**الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا**) الكهف/١٠١ .

كل العبادات المفروضة لها أوقاتها ومعاييرها فيما عدا الذكر :

لقد حدد الله كل العبادات بأوقات معينة ومواقيت محددة ، فكانت حكمته عز وجل أنه فرض على المسلم عبادات يومية تتمثل في فريضة الصلاة ، وأخرى أسبوعية تتمثل في صلاة الجمعة ، وأخرى حولية تؤدي كل عام كصيام رمضان ، وأخرى عمرية فرضها الله مرة واحدة طول الحياة تلك التي تتمثل في حج البيت لمن استطاع .

لكنها جميعا لا تمثل إلا ساعات قليلة إذا ما قورنت بأوقات الانسان التي يعيشها مغموسا في شؤونه الخاصة أو في نومه طوال عمره ، لهذا جاءت حكمة الله البارىء تحث المؤمن على ذكره .. ذكره كثيرا بأقصى طاقة وأكبر استطاعة حتى يظل هذا الذاكر في حضرته يتنعم في نعمته ويتقلب في رحمته : (**واذكروا الله**

كثيرا) الجمعة/١٠ ، (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) الاحزاب/٣٥ (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) الأحزاب/٤١ .

* ذكر الله مرغوب ومطلوب في كل الأحوال :

لكي يحج المسلم لابد له أن يأتزر أولا بملابس إحرامه من قبل أن يبدأ مناسكه ، كذلك حين يريد أن يصلي لا بد له أن يتوضأ قبل أن يدخل في صلاته ، لكنه يستطيع أن يأتي الذكر فيذكر بمجرد أن يتذكر وبدون أي عمل يسبقه لكونه طريق وصال وأداة اتصال بالله الرب ووسيلة قرب لهذا القلب بمن أحب .

إن رحمة الله أجازت لهذا المؤمن أن يؤدي الذكر في جميع أحواله وحالاته حتى في حالة الجنابة إلا قراءة القرآن لان فيه كلام الله : (**الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**) آل عمران/١٩١ .

هذا وقد ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن هذه الأحوال التي عددتها الآية السابقة هي أحوال المصلي في صلاته ـ تلك التي تقام لذكر الله ـ وفقا لحالته الصحية التي لا تدوم على حال ، لكن الواقع يقول : إن المعنى ليس قاصرا على ذلك ، بل انه امتد ليشير إلى كل أحوال وحالات بني آدم خارج صلاته ، إنه بعينه ما نتبينه من ذكر الصلاة وذكر هذه الحالات معا في آية واحدة : (**فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**) النساء/١٠٣ .

كما يجب أن نلحظ ورود الترتيب في هاتين الآيتين الذي نلمح فيه الأفضلية لحال الذاكر في ذكره ، كذلك نلحظ فيهما ترتيب الأكثرية الذي يتمشى مع الواقع الانساني الذي يعايشه المؤمن في حياته المعتادة ، إن فرصته تكون في الذكر أكثر بينما هو قائم لأن معظم وقته يقضيه على هذه الحال .

* ذكر الله محبوب ومطلوب في كل الأعمال :

لقد أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن كل عمل لا يبدأ بذكر اسم الله يكون مبتورا لا بركة فيه من أجل أن يكون هذا الوقت الذي يظل فيه هذا المؤمن في ذلك العمل في عبادة ، لقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأذكار كي نرددها مع كل حركة نتحركها سواء عند الاقبال عليها أو وقت القيام بها أم بعد الانتهاء منها ، مثال ذلك الأكل والنوم والسفر والقتال والخوف والوقوع في مصيبة ، أو عند الاحساس بهم أو بغم ، وعند الاعجاب بنعمة .

كذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نأكل مما ذكر اسمه عليه ، كذلك نذكر اسمه على ما نأكل وقت أن نأكل (**فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**) الأنعام/١١٨ ، كما نهانا عن أكل ما لم يذكر عليه اسمه (**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه**)الانعام/١٢١ .

* ذكر الله محبوب ومطلوب في كل الأوقات :

تالله .. ستأتي على الانسان ساعة (يالها من ساعة) فيها يندم ندما كثيرا على ساعة قد أمضاها من عمره أو ضيعها دون أن يذكر فيها ، لكن هيهات هيهات أن ينفع الندم وقتذاك ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ، رواه مسلم .

ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الخير لامته فانه كان دائما يحثها على الذكر ويبين فضله ومكانته عند الله الحق ، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا - أوصلى - ركعتين جميعا ، كتبا في الذاكرين والذاكرات ، رواه ابو داوود .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا : (أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن) رواه مسلم ، صدقت يارسول الله : ان في هذه الساعة يخلو كل حبيب بحبيبه حين تأتي السكينة ويسبح المؤمن في صمت السكون ، صدقت يارسول الله وصدق الله العظيم الذي يقول : (**إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا**) المزمل/٦ .

كذلك تعددت الآيات التي أمر الله فيها نبيه والمؤمنين أن يذكروه ويسبحوه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها (**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**) ق/٣٩ ، وأيضا في الصباح وفي الضحى وفي الظهيرة ، كذلك حينما يأتي المساء وفي العشاء وفي الفجر :(**فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون**) الروم/١٧ و ١٨ ؛ (**ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**) ق/٤٠ .

* ذكر الله خفية وخيفة :

إن الذكر محله القلب : (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا**) الكهف/٢٨ ، ذلك لأن الله سميع بصير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فلقد أمرنا جل شأنه أن ندعوه في أنفسنا وأن نذكره في قلوبنا رهبة وخشية ، خيفة وخفية لأنه مطلع علينا يعرف عنا ما لا نعرفه عن أنفسنا :(**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/٥٥ ؛ (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول**) الأعراف/٢٠٥ ، وياللعجب إن هذا الأمر - بالنسبة للدعاء والذكر خيفة وخفية وتضرعا - جاء في سورة واحدة

ان ذكرك لله يجب ألا يسمعه غيرك حتى لا يكون هناك رقيب عليك فيمتلىء إحساسك بتلك الرقابة فتفقد خشوعك في ذكرك وقت أن يسلب فكرك ، حينئذ

تتلاشى حلاوة وصالك بسبب بعدك عن ربك نتيجة لقربك من الناس بينما أنت قائم في حضرته قائم في نور ذكره .

لكن إياك .. إياك أن تعتقد أن هناك تعارضا بين ذلك المعنى وما رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديثه القدسي الذي يقوله فيه (وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .

ان الله جل شأنه حينما بين في كتابه الكريم طريقة ذكره إنما أراد أن يهدي ذلك المؤمن ليهتدي إلى كيفية وضع نفسه فوق الطريق الأمثل من أجل الاخلاص في سبيل الخلاص من أي رياء ، كذلك التخلص من أي مؤثر غيره أو رقيب سواه ، أما في الحديث القدسي فانه يتناول فضل الذكر من جانب آخر : لأن ما ورد فيه ليس أمرا كما جاءت صيغة الخطاب في الآية المباركة ، إنه عز وجل بين فيه أحوال هؤلاء الذاكرين وما يحظى به كل فريق منهم حسب حالته في ذكره بدليل أنه قدم من يذكره في نفسه عمن يذكره في ملأ من حوله فجعل الجزاء الأول أفضل وأعظم .

* من يعرض عن ذكر الله تعالى كذلك الذي يتعالى عن الدعاء :

إذا تمعنا قليلا في مدلول الدعاء وجدناه العبادة ، ولم لا يكون عبادة ؟ وهو فرع من فروع الذكر الذي هو أيضا عبادة بدليل أن الذي يعرض عنها إنما يكون مستكبرا آثما ، انه كهذا الذي يبحث بنفسه عن طريق هلاك ذاته حين يقطع ببعض أنامله الضعيفة حبل مشيمته .. لا لشيء اللهم إلا ليفقد هذا المدد الدائم المتمثل في أسباب حفظه : (**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**) غافر/٦٠ ، إن ما يقال عن استكبار هؤلاء المعرضين عن الدعاء هو نفس ما قيل في حق المعرضين عن الذكر من حيث الاستكبار والتعالي : (**واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين.إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**) الاعراف/٢٠٥ و ٢٠٦ ، كذلك لا يخفي عنا ان الله لا يحب المستكبرين: (**إنه لا يحب المستكبرين**) النحل/٢٣ .

* كثرة الكلام بغير الذكر قسوة قلب :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله : فإن كثرة الكلام بدون ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي) رواه الترمذي .

ومن منا لا يعلم أن الحب منبعه القلب ، فإذا كانت القلوب خالية من كل شيء سوى الله ، فان الله يسقيها حبا ويصب عليها الخير صبا ويغسلها في بحر من محبته من كل قسوة ، هذا وقد روى أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله

عليه وسلم يوما وأخبره بأن ربه يقرؤه السلام ويقول له بأنه يحب الذاكر والشاكر والصابر .

لكن يجب ألا يغيب عنا أن القلب القاسي يختلف تماما عن القلب الناسي ، لانه إما أن يكون هذا القلب الأول لجبار عنيد أو لظالم متكبر متجبر حقود ، إنه ذلك القلب الذي لا يجعل صاحبه متذكرا ربه أو ذاكرا له إذا ذكر ، وحين يتكلم لا يتذكر ولا يذكر مهما كثر أو قل كلامه .

* الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن ينسى ربه :

إن حرية الاختيار التي منحها الله للانسان هي تلك التي أعطته القدرة على نية النسيان : نسيان الله جل شأنه ، نتيجة للمفاضلة الذاتية بين لذات البنيان الجسدي للكيان الفاني وبين السمو النفسي بالغذاء الروحي ، كذلك هذه الغشاوات التي يصنعها هذا الناسي بنفسه ثم يضعها على عينيه وقلبه كي تتراكم ليظل في دوامة غيبوبته وغفلته .

لهذا حرم الله عز وجل الخمر من أجل أن يظل هذا العقل في يقظته الدائمة ، ومن أجل أن يستمر المرء في شعوره المتواصل بوجوده حتى يتذكر دائما وجود الله وقيوميته ، بعكس ذلك الجاحد الذي يبعد نفسه عن ذكر ربه حين يعاند ذاته فلا يساير هذا الكون في تسبيح الله وذكره بعد أن ظن أنه يستطيع أن ينزع منه كيانه ، أو ينخلع عنه بوجدانه كي ينسلخ عنه تماما ، فكان جزاؤه العادل أنه هوى بعد أن نسى .

* الشيطان يعمل جادا على إبعاد المؤمن عن ذكر ربه :

كلنا يعلم أن إبليس اللعين أخذ على نفسه عهدا أن ينتقم من ذلك الانسان الذي كان وجوده سببا لغضب الله عليه بعد أن رفض السجود له ، ثم استكباره وإصراره على هذا الرفض بعد أن أعطى فرصة الرد الذي أكد به رد الأمر بالكفر فكان ذلك الموقف بمثابة شهادة منه على نفسه وكفره .

لهذا كان الصراع عنيفا بين هذا الانسان وبين ذاك الشيطان ، إن الشيطان يستخدم في هذا الصراع أعتى سلاح يستطيع به ـ إذا تمكن ـ أن يدمر ويهلك هذا الانسان : إنه سلاح النسيان ـ نسيان الخالق الحق ـ حين يظل هذا الناسي غافلا عن ذكر ربه .. لاهيا لاهثا وراء شهواته ، إن هذا بالطبع يجرنا إلى التساؤل الذي يقول : هل سمى الانسان إنسانا لأنه كثير ـ دائم ـ النسيان ؟ لقد استطاع الشيطان أن يسرق كثيرا من قلوب الناس بما يزينه لهم من مغريات وبما يوسوسه لنفوسهم من إلحاحات من أجل أن يتم الاشباع الذي ليس له طريق إلا الانغماس في الماديات : (**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) المجادلة/ ١٩ .

ان للشيطان وسائله المتعددة لابعاد المؤمنين عن ذكر الله : إنه يغرقهم في بحور من الخمور أو يحرقهم في لهيب من الميسر : (**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله**) المائدة/ ٩١ ، إنه يشد انتباههم ويجذب تفكيرهم نحو مشاغلهم الدنيوية إذا ما أحس انهم قد أقبلوا على ذكر الله ، لهذا كان أمره تعالى أن نستعيذ به منه قبل أن نبدأ في قراءة القرآن .

كذلك يستخدم الشيطان المال والعيال استخداما خبيثا حثيثا كي يظل ويبقى هذا الغافل في غفلته معرضا عن الذكر : (**يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**) المنافقون/ ٩ ، وبعد أن يجذب هؤلاء المعرضين إلى أحضانه يدفعهم إلى إغواء غيرهم أو الاستهزاء بهم (**ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر**) الفرقان/ ٢٨ ، ٢٩ ، :(**فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري**) المؤمنون/ ١١٠ .

* الجزاء العاجل العادل لمن يعرض عن ذكر ربه :

حقا إن الشقي هو ذلك الذي ينأى بجانبه ويعرض عن ذكر ربه ، لقد اعتقد أنه يستطيع أن يسعد نفسه بنفسه لكنه في الحقيقة قد أشقاها ، لقد أصبح بذلك عبدا لهواه أسيرا لنفسه حين نسى ربه وقت أن أخضع قلبه لشهواتها فكان من الله أن أنساه إياها بعد أن نسيه .

لكن .. هل حقا ينسى الله بعض خلق من خلقه ؟ بالطبع لا .. إن معنى قوله جل شأنه : (**نسوا الله فنسيهم**) التوبة/ ٦٧ : أنه تركهم لأنفسهم برغم أنه أقرب إليهم منهم ، بل ومعطيهم تلك القوة التي تحركوا بها ففعلوا بها ما أرادوا عصيانا لأوامره ، لقد تركهم لأنفسهم كي يجنوا ثمار ما زرعوا بعد أن اعتمدوا على قوتهم دون أن يذكروا قوة الله التي أمدتهم بتلك القوة:(**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**) الحشر/ ١٩ .

إنك تراهم في هم دائم وغم ، تراهم في ضيق وضنك حتى وإن ملكوا أو امتلكوا كل شيء ، ذلك لأن الشيطان ظل جليسهم .. يلازمهم ، يسامرهم ، يمنيهم .. يعدهم الفقر ويجذبهم نحو الغفلة عن الشكر والذكر:(**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا**) طه/ ١٢٤ ،:(**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) الزخرف/ ٣٦ ، :(**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**) الجن/ ١٧ .

* الجزاء العادل الآجل لمن أعرض عن ذكر الله :

لكن .. هل ما يناله ذلك المعرض في دنياه من جزاء يكفي لهذا الجرم العظيم ؟

بالطبع لا .. إن الله عز وجل قد توعده بالمزيد ، توعده بالخسران والنسيان يوم يشيب الولدان ، وإن أردت أن أزيد فلا أملك إلا أن ادعوك لنقرأ سويا قول الله تعالى : (**ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**) طه/ ١٢٤ حتى ١٢٦ .

وهل هناك خسران أضيع من هذا الخسران ؟ بالطبع لا ، يقول الله:(**استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**) المجادلة/ ١٩ .

* الويل كل الويل لمن يعرض عن ذكر الحق بقسوة قلب :

نعم يالهم من أشقياء حقا ، بل ياويل هؤلاء الحمقى يا ويل اولئك الذين يقول الله فيهم:(**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**) الزمر/ ٢٢ .
نعم الويل كل الويل لهم لأن الذي توعدهم هو الله الجبار القهار ، فهل لهم بعد ذلك من نجاة ؟ بالطبع لا ، لأنهم لم يعرضوا عن ذكره بسبب لهو أو طول غفلة ، بل نتيجة لأن قلوبهم قاسية لا تلين حين يكون الذكر ، وكأن أصحابها لا يسمعون .. نعم أنهم فعلا لا يسمعون برغم تلك الآذان التي تسمع ، لأن ذلك يرجع إلى ضعف ايمانهم الذي شدهم نحو ضلالهم وإضلالهم .

لقد وردت الكلمات الطاهرة في تلك الآية واضحة :(**القاسية قلوبهم من ذكر الله**) ولم تأت:(**القاسية قلوبهم عن ذكر الله**) رحمة بعباد الله ، ان هؤلاء يذكروننا مرة أخرى بأنفسهم حين نقرأ قوله تعالى:(**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة**) الزمر/ ٤٥ .

لكننا يجب ألا نضع هؤلاء أو أولئك في صف الذين أسلموا لكنهم بسبب إقلالهم أو إقلاعهم عن ذكر ربهم نتيجة للهوهم أو إنشغالهم لا تخشع قلوبهم أو تقشعر جلودهم عند ذكر ربهم:(**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**) الحديد/ ١٦ .

* قلب المؤمن يطمئن بذكر ربه :

ان اضطراب القلوب له أشكاله المتعددة حسب أحوال كل إنسان ، وكل إنسان مهما أوتي من قوة أو مال لا ينال ولا يستطيع أن يصل إلى كل ما يرنو إليه أو يأمله ، إنه لن يستطيع أن يصل أو يؤمن لنفسه تلك السعادة الدائمة التي ينشدها ، حتى وإن حققها فإنه لن يكون إلا كذلك الزورق الحائر الذي يتأرجح فوق

الأمواج ويخشى أن تعصف به الريح فيضيع أو تضيع منه تلك السعادة كلها أو بعض منها ، وقد يكون اضطراب القلوب نتيجة لهذا الترقب من بغي عات أو من مباغتة عدو أو من غدر غادر أو من بطش ظالم .

إن هؤلاء جميعا لا ينجيهم أو ينقذهم من اضطرابهم أو فزعهم أو يهدىء من روعهم سوى ذكر ربهم ، ولم لا ؟ وهو المهيمن على الأقدار القادر على حفظ كل خائف واجف :(**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد/٢٨ .

وطالما علم الذاكر ان الله يذكر من يذكره وانه مع من يذكره مادام يذكره فإنه لا يحق له أن يخاف أو يهاب أحدا أبدا طالما هو بالذكر قائم لأن الله إذا كان معه فمن بعد ذلك سيكون عليه ؟ إن الطمأنينة بالذكر هي روح من الله وأنس ، إنها نور يقوى بها الضعيف ويهدأ بها الحيران .

* المؤمن يلين قلبه بذكر ربه :

يقول الرب جل وعلا :(**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**) الزمر/٢٣ .

فطوبى لهؤلاء المؤمنين .. طوبى لهم أولئك الذين يتواضعون لله ويخشعون : يخشعون حين تخشع قلوبهم بذكر ربهم ثم تلين .. تلين حين يقرءون القرآن او يسمعون ، حينئذ يتذكرون فيذكرون ، إنهم بايمان على ايمانهم يزدادون ، اولئك هم الذين اطلق الله عليهم المخبتين :(**وبشر المخبتين.الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) الحج ٣٤ و ٣٥ . (**إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**) الأنفال/٢ .

* المداومة على ذكر الله في بيوت الله مجلبة لسعة الرزق :

لقد ضمن الله أرزاق كل الناس سواء منهم المؤمن أو الكافر ، سواء منهم العباد أو العبيد :(**رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا**) البقرة/١٢٦ ، إنه عزوجل أقسم على ذلك في كتابه الكريم حتى يطمئن الجميع ، لقد تكفل بذلك لأنه هو الذي أوجد الانسان في هذه الحياة ثم أرجأ حسابه ليوم الدين :(**وفي السماء رزقكم وما توعدون**) الذاريات/٢٢ ، بل لقد وردت بعد هذه الآية المباركة آية اخرى أقسم الله فيها بنفسه على ذلك .

ولما كان الاسلام دينا : دين عمل من أجل الحياة ودين عبادة من أجل الآخرة ، فان الله طمأن هؤلاء الذين يسعون الى بيوته كي يقيموا الصلاة فيها من أجل

ذكره ، لقد طمأنهم بأن هذه الأوقات التي يقضونها لن تنقص من أرزاقهم شيئا ، بل على العكس لقد بشرهم بالرزق الوفير نتيجة لذلك ، إن هذا ما نلمحه من قوله عز وجل :(**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**) النور/٣٦ .. الى قوله: (**ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**) .

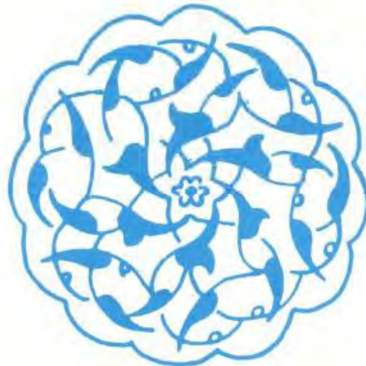
كذلك ما ورد بعد قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**) الجمعة/٩ ، (**قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**) الجمعة/١١ .

* بين الذكر والبيع تختبر القلوب :

ربما يتساءل سائل بعد أن يقرأ الآية التاسعة من سورة الجمعة عن سبب ورود كلمة (**البيع**) دون ذكر أية حرفة أو مهنة أخرى ، أو حتى الاشارة إلى الشق الايجابي في عملية التجارة نفسها ذلك الذي يتمثل في (**الشراء**) ، أقول وبالله التوفيق وهو العليم : انه عز وجل حينما أنزل كلمة (**البيع**) دون غيرها من الكلمات إنما أراد سبحانه وتعالى أن يجمع كل عمل دنيوي له انعكاساته على المجتمع الانساني ، لأن كلمة (**البيع**) تعتبر النتيجة النهائية الحتمية لكل إنتاج بشري ، أي بتعبير آخر : تعتبر هذه الكلمة المصب الجامع لكل ثمار الأعمال .

ان كلمة (البيع) هي الكلمة الوحيدة التي تنطوي تحت أجنحة حروفها مختلف أنواع الحرف سواء الصناعية أم الزراعية أم غير ذلك ، إن كل إنسان داخل مجتمعه لابد له أن يبيع جزءا من نتاج عمله كي يحصل على جزء أو أجزاء أخرى من ثمار مجهود الآخرين التي تتنوع .

إن هذا ينطبق تماما على الخدمات المؤداة مثل الطب والمحاماة وغير ذلك ، إن كل هذه النشاطات تمثل جميعها بيعا ، بيع خبرة او خدمة مقابل ثمن مثل بيع أية سلعة ، ان ما يوضح ذلك جليا هو ما ورد بالآية الكريمة التي فرقت بين مدلول كلمتي البيع والتجارة حيث جاءت بهما معا كي نعلم أن كلمة البيع لا تعني بالتطابق كلمة تجارة (**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**) النور/٣٧ .



الربا وآكلوه

للدكتور / عبد الفتاح احمد الغاوي

عرض القرآن الكريم فيما جاء من آيات التشريع وتعرض لمسألة الربا ، ووفى القول فيها كما وضحت السنة الشريفة ما أجمله القرآن في هذه المسألة حتى غدت مسألة الربا موضوعه وحرمته ومصيره وعاقبته من المسائل الواضحة البعيدة عن الاحتمال والشك .

والربا في اللغة هو الزيادة . يقال : ربا الشيء يربو ومنه قوله تعالى عن الأرض (**اهتزت وربت**) فصلت/ ٣٩ ـ الحج/ ٥ أي زادت . والربا وإن كان زيادة في الظاهر إلا أنه نقص وتنقيص في الحقيقة ، كما أن الزكاة وإن كانت تنقيصا في الظاهر إلا أنها زيادة في الحقيقة .

والربا نوعان : ربا النسيئة ، وربا الفضل : وربا النسيئة هو الذي يدفع فيه شخص مالاً لشخص آخر إلى أجل معين على أن يأخذ صاحب المال كل شهر قدرا معينا مع بقاء رأس المال كاملا فاذا حل الدين طالب المدين برأس المال فإن تعذر عليه الأداء زاد في الحق والأجل وكان هذا النوع معروفا ومتعاملا به عند العرب في الجاهلية .

وأما ربا النقد : فهو أن يباع الدرهم من الفضة بدرهمين والدينار من الذهب بدينارين مثلا .

وجاء الاسلام بتحريم النوعين ربا النسيئة وربا الفضل . وقد حرّم القرآن أحدهما ، وتكفلت السنة بتحريم الآخر وهو ربا النقد ، وكان ابن عباس يحل هذا النوع الأخير من الربا ويقول : لا ربا إلا في النسيئة ، إلا أنه روجع في هذا الرأي فرجع عنه حينما قال له أبو سعيد الخدري : شهدت مالم تشهد أو سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم تسمع . قال محمد بن سيرين كنا في بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس ، فقال إنما كنت استحللت التصرف برأيي ثم بلغني أنه صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أني حرمته ، وبرئت منه إلى الله .

وكانت حجة ابن عباس أن قوله تعالى (**وأحل الله البيع**) البقرة/ ٢٧٥ يتناول بيع الدرهم بالدرهمين فقط ، وقوله وحرم الربا لا يتناوله ، لأن الربا عبارة عن الزيادة ، وليست كل زيادة محرمة . بل قوله وحرم الربا إنما يتناول العقد المخصوص الذي كانوا يسمونه فيما بينهم بأنه ربا وذلك هو ربا النسيئة فكان قوله ـ وحرم الربا ـ مخصوصا بالنسيئة فبقي أن قوله وأحل الله البيع يتناول ربا النقد وقوله وحرم الربا لا يتناوله فوجب أن يبقى على الحل ، ولا يمكن أن يقال إنما يحرم بالحديث لأنه يقتضي تخصيص ظاهر القرآن بخبر الواحد وذلك غير جائز في عرف ابن عباس .

وأما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على تحريم الربا في النوعين : أما ربا النسيئة فبالقرآن وأما ربا النقد فبالحديث . والحديث مصدر من مصادر التشريع نص عليه القرآن في قوله تعالى : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) الحشر/ ٧ وفي قوله : (**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**) النساء/ ٥٩ كما نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « إني أوتيت الكتاب ومثله معه » رواه احمد . فالسنة، قولا كانت أو فعلا أو تقريرا مصدر من مصادر التشريع وحجة على جميع المسلمين وما ورد في السنة بالاضافة إلى ما ورد في الكتاب ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما كان مطابقا لما فيه فيكون مؤكدا له ويكون الحكم مستمدا من مصدرين الكتاب والسنة ومن ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج .... الخ .

والنوع الثاني : ما كان بيانا للكتاب بتفصيل مجمله كتبيين السنة العملية لمواقيت الصلاة وأركانها وعدد ركعاتها أو تخصيصا كتخصيص السنة أن الأنبياء لا يورثون « إنا معشر الأنبياء لا نورث ماتركناه صدقة » رواه البخاري . أو كتقييد قطع اليد في السرقة بأنه من الرسغ

والنوع الثالث : ما كان مشتملا على حكم جديد غير مؤكد لما في القرآن ولا مبين له . وهذا النوع فيه اختلاف ولكن الأرجح إثباته وذلك كمسألة ربا النقد التي نحن بصددها فإنها لم ترد في القرآن وانما جاءت بها السنة على ان هذه المسألة يمكن أن تكون من النوع الثاني وهو تخصيص السنة لما ورد عاما في القرآن فنقول

إن السنة خصصت قوله تعالى (**وأحل الله البيع**) بما لم يكن عن طريق ربا النقد والله أعلم .

وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع . ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبار هذا النوع الأخير مصدرا من مصادر التشريع وحذر من إهداره بقوله : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول لا أدري . وما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » . رواه الترمذي وابن ماجة .

ولذلك فإننا يجب أن نعتقد وندين بأن الربا بكلا نوعيه حرام ولا تقل حرمة أحد النوعين عن حرمة الآخر .

ويختلف الرأي مرة أخرى في موضوعات ربا النقد أي في الأشياء التي يحرم فيها الربا فمنهم من يرى قصرها وحصرها على الأشياء الستة التي ورد بها الحديث دون غيرها . ومنهم من يرى أن الحرمة عامة وغير محصورة في هذه الأشياء الستة . وحجة الفريق الأول أن الشارع خص من المكيلات والمطعومات والأقوات أشياء أربعة ، فلو كان الحكم ثابتا في كل المكيلات أو كل المطعومات لقال لا تبيعوا المكيل بالمكيل متفاضلا ، أو قال لا تبيعوا المطعوم بالمطعوم متفاضلا لما عهد في أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايجاز والبلاغة ، فلما لم يقل ذلك بل عد الأربعة علم أن الحكم مقصور عليها . كما قالوا إن حرمة ربا النقد مختلف فيها وقد رجحنا القول بالتحريم قياسا على ربا النسيئة فينبغي أن يقف التحريم عند حدود ما ورد به الحديث حتى لا نبعد ولا نغرق في القياسات . فإن قوله تعالى وأحل الله البيع يقتضي حل ربا النقد فإذا أخرجنا ربا النقد من تحت هذا العموم بخبر الواحد في الأشياء الستة التي وردت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » رواه أحمد ومسلم وأبو داود . ثم اثبتنا الحرمة في غيرها بالقياس عليها كان هذا تخصيصا لعموم نص القرآن في الأشياء الستة بخبر واحد وفي غيرها بالقياس على الأشياء الستة التي تثبت الحكم فيها بخبر الواحد ومثل هذا القياس يكون أضعف بكثير من خبر الواحد وخبر الواحد أضعف من ظاهر القرآن فكان هذا ترجيحا للأضعف على الأقوى وذلك غير جائز .

كما أن التعدية من محل النص إلى غير محل النص لا تمكن إلا بواسطة تعليل الحكم في مورد النص وذلك غير جائز لأنه يقتضي تعليل حكم الله وذلك غير ثابت في الأصول .

وأما جمهور الفقهاء فقد اتفقوا على أن حرمة ربا النقد غير مقصورة على هذه الأشياء الستة بل هي ثابتة في غيرها . ثم إنه من المعلوم أنه لا يمكن تعدية الحكم عن محل النص إلى غير محل النص إلا بتعليل الحكم الثابت في محل النص بعلة حاصلة في غير محل النص فلهذا المعنى اختلفوا في العلة على مذاهب ، فذهب

الشافعي رضي الله عنه إلى أن العلة في حرمة الربا الطعم في الأشياء الأربعة واشترط اتحاد الجنس ، وفي الذهب والفضة النقدية وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه أن كل ما كان مقدرا ففيه الربا والعلة في الدراهم والدنانير الوزن ، وفي الأشياء الأربعة الكيل واتحاد الجنس ، وذهب مالك رضي الله عنه إلى أن العلة هي القوت أو ما يصلح به القوت وهو الملح وقال عبد الملك بن الماجشون أن كل ما ينتفع به ففيه الربا .

هذه هي جملة آراء العلماء حول الربا موضوعه وحكمه ولعل من تمام القول ـ هنا ـ ومقتضيات الحديث تناول حكم فوائد البنوك والشركات وأرباحها بيد أن هذه القضايا أثيرت كثيرا وطال حولها الكلام والخلاف إلا أنه ليس ثمة بأس من الاشارة اليها في هذا المقام إشارة موجزة . وهو أن هذه الأمور بوضعها الذي هي عليه الآن ربا : منها ما هو ربا نقد ومنه ما هو ربا نسيئة لأنه إذا أخذ أرباحا شهرية أو سنوية على ماله المدخر مع بقاء رأس ماله كما هو فهو ربا النسيئة الذي بيناه آنفا . وإن كان التعامل مع هذه الجهات بزيادة المبلغ أو مضاعفته فهو من ربا النقد الذي أسلفنا الحديث عنه أيضا ، فصفة الربا في هذه الأنواع من المعاملات المالية متحققة وخصائصه موجودة وحرمته قائمة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

ولا محل لما يقال هنا أن هذه البنوك أو تلك الشركات تستخدم هذه الأموال وتستثمرها وتدر عليها أرباحا طائلة فليكن لأصحاب هذه الأموال من تلك الأرباح نصيب لأننا نقول لهؤلاء إن الاسلام لم يحرم مثل ذلك النوع من المعاملة فهناك المضاربة الاسلامية ثابتة وقائمة في الشريعة الاسلامية ، ولكن بشرط أن يكون صاحب المال شريكا في الربح بقدر معلوم وفي الخسارة المحتملة أيضا . وبذلك يكون التعاون بين رأس المال والعمل تعاون الشريكين المتكافلين لكل نصيبه من الغنم والغرم قل أو كثر . أما أن يفرض لصاحب المال ربح محدد مضمون لا يزيد ولا ينقص وان تضاعف الربح أو تفاقمت الخسارة فهذا مجافاة للعدل الصريح وتحيز لرأس المال ضد الخبرة والعمل وتشجيع لحب الكسب المضمون دون عمل ولا مخاطرة ، وذلك هو روح الربا الخبيث وكما أباح الاسلام اشتراك الخبرة مع رأس المال فقد أباح وبارك أيضا اشتراك اصحاب رؤوس الأموال في دائرة ما أحله الله بعيدة عن الربا والغرور والظلم والجشع والخيانة بكل صورها وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يد الله على الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما » رواه الدارقطني

وهنا ينبغي أن نشير إلى هذا النوع من البنوك الاسلامية التي أقيمت على أسس الشريعة الاسلامية فجعلت التعامل بينها وبين عملائها قائما على أساس المشاركة في الربح وفي الخسارة معا بقدر معلوم لكل منهم وفيها يخرج الأمر من دائرة الربا إلى دائرة المضاربة كما يخرج من دائرة الحرمة إلى دائرة الحل .

وقد يتساءل البعض ـ وما السر أو الحكمة في تحريم الربا ولم يحظر الاسلام

على أهله ذلك النوع من التعامل مادام قائما على رضا الطرفين وعلى الإيجاب والقبول ، ومادام يتحقق لكل من الطرفين من ورائه منفعة وفائدة ؟

فإننا نرى أن أحكام الشرع لا تتعلل أو لا ينبغي أن تعلل ومع ذلك فإن من أسباب تحريم الربا أنه يقتضي مال الانسان من غير عوض لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض ، ومال الانسان متعلق حاجته وله حرمة عظيمة ، فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرما ، ولا يقال هنا إن إبقاء رأس المال في يده مدة مديدة عوض عن الدرهم الزائد وذلك لأن رأس المال لو بقي في يده هذه المدة لأمكن للمالك أن يتجر فيه ويستفيد بتلك التجارة ربحا فلما تركه في يد المدين وانتفع به المدين كان من حقه أن يأخذ الزيادة عوضا عن هذا الانتفاع .

ولكن ينبغي أن يعرف هؤلاء أن الانتفاع الذي أشاروا إليه موهوم قد يحصل وقد لا يحصل ، وأخذ الدرهم الزائد أمر متيقن ، فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع ضرر .

كما أن الربا قد يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك لأن صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعة الشاقة وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات .

والربا ـ أيضا ـ قد يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض الحسن وغيره لأن الربا اذا حرم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله ولو حل الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والاحسان ، ولا ينبغي أن ننسى هنا أن المقرض ـ غالبا ما ـ يكون غنيا والمستقرض يكون فقيرا فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير مالا زائدا وذلك غير جائز برحمة الرحيم . وبعد ذلك وقبله يجب أن نعرف ونعترف أن حرمة الربا ثبتت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلوما للخلق فوجب القطع بحرمة عقد الربا وإن كنا لانعلم الوجه فيه .

وإذا كان الله قد حرم الربا ، فإنه كذلك قد نفر منه وشدد العقوبة عليه ، ويكفي تنفيرا منه تصويره المرابي بتلك الصورة التي جاءت في قوله تعالى: (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس**) البقرة/ ٢٧٥ ذلك أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة أنه آكل الربا في الدنيا ، وقيل إنه اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين لقوله تعالى: (**يخرجون من الأجداث سراعا**) المعارج/٤٣ إلا أكلة الربا فإنهم يقومون كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وذلك لأنهم أكلوا الربا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الاسراع ولا يقدرون

ويتأكد هذا القول بما روي في قصة الإسراء ان النبي صلى الله عليه وسلم انطلق به جبريل إلى رجال كل واحد منهم كالبيت الضخم يقوم أحدهم فيثقل به بطنه فيصرع فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .

ويشدد الحق تعالى النهي عن الربا ويبالغ في تهديد آكليه بقوله تعالى : (**يمحق الله الربا ويربي الصدقات**) البقرة / ٢٧٦ لأن الداعي إلى فعل الربا تحصيل المزيد في الخيرات والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصان الخيرات . فبين تعالى أن الربا وإن كان زيادة في الحال إلا أنه نقصان في الحقيقة ، وأن الصدقة وإن كانت نقصانا في الصورة إلا أنها زيادة في المعنى ، ولما كان الأمر كذلك كان اللائق بالعاقل ألا يلتفت إلى ما يقضي به الطبع والحس من الدواعي والصوارف ، بل يعول على ما ندب الشرع اليه من تلك الدواعي والصوارف .

والمحق نقصان الشيء حالا بعد حال ومنه المحاق في الهلال ومحق الربا وأرباء الصدقات محتمل أن يكون في الدنيا أو أن يكون في الآخرة أو فيهما معا لأن المرابي وإن كثر ماله فالغالب أن تؤول عاقبته إلى الفقر وتزول البركة عن ماله ، قال صلى الله عليه وسلم « الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل » رواه الحاكم . وإذا لم ينقص مال المرابي فإن عاقبته الذم والنقص وسقوط العدالة وزوال الأمانة وحصول اسم الفسق والقسوة والغلظة له ، ناهيك عن لعن الفقراء له ودعائهم عليه ، وتوجه الأطماع اليه من كل ظالم وسارق وطماع ، وأما الآخرة فقد جاء في الحديث « أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام » رواه احمد وأبو داود .

فإذا كان الغني من الوجه الحلال كذلك فما ظنك بالغني من الوجه الحرام المقطوع بحرمته .

هذا ومن مزايا التشريع الاسلامي وسموه أن يراعي فيما يشرع خير الانسانية كلها أبيضها وأسودها مسلمها وكافرها لذا نراه يحرم التعامل بالربا مع المسلمين وغير المسلمين . فالربا في الاسلام حرام : حرام أن يتعامل به المسلم مع المسلم وحرام أن يتعامل به المسلم مع غير المسلم بل قل ـ إن شئت ـ حرام أن يتعامل به الانسان مع أخيه الانسان وهذا على غير ما تقرره شريعة اليهود الآن ـ لا شريعة موسى عليه السلام ـ من أن الربا حرام بين اليهود بعضهم مع بعض ولكن حلال لهم أن يتعاملوا به مع غيرهم في سفر التثنية : « للأجنبي تقرض الربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا » .

ولم يقتصر الاسلام عن تحريم التعامل بالربا وإنما نهي عن ملابسته أو مخالطته بأية صورة فقد جاء في الحديث « لعن النبي صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء ـ رواه مسلم وغيره . وما ذلك الا ليحفظ على البشرية أخلاقها واقتصادها وصلابة مجتمعها .. والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل .

المؤثرات الفكريّة على المسلم المعاصر

للأستاذ / عبد القادر بن محمد العماري

منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عندما بدأت النهضة الصناعية في الغرب ، فرض الغرب نفوذه على الشرق ومنه البلاد الاسلامية بقوته وضعف الشرق في جميع نواحي الحياة ، ولانه قد جرت سنة الحياة في طبيعة البشر أن يقلد الضعيف القوي ، فقد حاول الشرقيون والمسلمون منهم ان يقتفوا أثر هؤلاء الذين فرضوا عليهم نفوذهم وقوتهم واستعمروا بلادهم واستغلوا ثرواتها فكان ان ظهر من ابناء المسلمين من تشبع بأفكار المستعمر ورأي أن الطريق الصحيح لمماثلة

الغربيين في القوة والحضارة والتقدم ان يندمجوا بهم ويقلدوهم في حركاتهم وسكناتهم وفي قيمهم وأخلاقهم فيأخذوا كل ماعندهم بخيره وشره وحلوه ومره ، وما يحمد منه ومايعاب بل غالى بعضهم كما جاء على لسان بعض أنصار كمال اتاتورك إذ قال : « إننا عزمنا على أن نأخذ كل ماعند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئتهم والنجاسات التي في أمعائهم » . وهكذا تنكب أكثر المثقفين من ابناء المسلمين الطريق ولم يفرقوا بين النافع والضار في الحضارة الغربية ولم يميزوا بين الصالح والطالح منها ، ومع هذا فشلوا في تقليد الغربيين في القوة والتقدم والصناعة والعلوم ، واكتفوا بالمظاهر ونهلوا من ثقافة الغرب في الادب والفلسفة والتاريخ والقانون وقصروا في الطب والهندسة والعلوم الطبيعية ، فكانت النتيجة وكان المردود هو التشكيك في الدين والقيم والاخلاق والهجوم العنيف على تاريخ المسلمين وتراثهم ، وبقيت شعوبهم على ضعفها وأفقدوها شخصيتها وثقتها بنفسها وأخذوا يلوكون كلاما ويغمرونها بالقصص والافلام والمقالات والمسرحيات التي تشيد بالغرب وثقافته وتسخر من الاسلام ورجاله وتاريخه ولم تخل الساحة من رجال تصدوا لهذا الغزو الفكري وحملوا المشاعل لانارة الطريق وفرقوا بين الحق والباطل والغث والسمين ونادوا بأعالى أصواتهم بأن على المسلمين ان يأخذوا بأسباب التقدم وأن يفرقوا بين الحضارة والثقافة والفكر والمعرفة ففي الاسلام ثقافتنا وفي الاسلام حريتنا ، وفي الاسلام عزتنا وكرامتنا ، واذا أخذنا بعلوم الغرب في الطبيعة والطب والهندسة فلنا سابقة فيها ، وقد أخذت اليابان حضارة الغرب وعلومه ورفضت فكره وثقافته ، والاوربيون أنفسهم أخذوا علوم المسلمين دون ثقافتهم عندما قاموا في العصور الوسطى بترجمة كتب الطب والعلوم والجبر والهندسة من العربية الى اللاتينية ، فقد ترجموا كتب الزهراوي والموصلي وابن البيطار والرازي وابن سينا والخوارزمي والبستاني وأبو الوفاء وابن الهيثم والبيروني والخازني والفزاري وغيرهم من علماء الاسلام المتضلعين في مختلف العلوم من طب وجبر وهندسة وكيمياء وفلك وجغرافيا ، وكانت هذه الكتب التي نقلها الاروبيون عن المسلمين هي أساس حضارة اوروبا وتقدمها فالمعرفة اذا ملك عام شائع بين جميع البشر وأما الثقافة فهي أقرب ما تكون مرتبطة بالقيم الاساسية للامم والفكر يصدر عن الثقافة ، واليوم تتقاسم العالم فكرتان فكرة علمانية قومية وشيوعية أممية ، ومن حيث النهج الاقتصادي رأسمالية وشيوعية وظهرت في بعض دول العالم الثالث فكرة ثالثة أخذت من الفكرتين وهي الماركسية القومية ، اما الاشتراكية وان كانت هي مقدمة الشيوعية في نظر الماركسيين الا انها لم تعد ذات معنى بعد ان ادعاها اتباع هذا وذاك ، ولم يبق منها الا الاسم من غير رنين .

ومعين هذه الافكار جميعها ومصدرها الفكر الغربي حتى الشيوعية اذ هي نتاج فكر ماركسي وهو من اليهود الألمان ، وكل هذه الافكار تقوم في الجملة على المادة والاشادة بها والتفسير الاقتصادي للتاريخ فالعلمانية وهي فصل الدين عن الدولة والسياسة كانت بسبب سيطرة رجال الكنيسة في الغرب من الكهان والرهبان ومحاربتهم للعقل والعلم واستغلالهم للشعوب المسيحية وقد طرحت هذه الفكرة في المجتمعات الاسلامية نتيجة السيطرة والنفوذ الذي للاستعمار الغربي فقد فرض عليها أن تقتبس قوانينه التي تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة فعاشت المجتمعات الاسلامية حياة غير مستقرة نتيجة فصل الدين عن المجتمع وقد تبنى

المثقفون ثقافة غربية من الاجيال التي خلفها الاستعمار هذه الفكرة وفات هؤلاء ان الاسلام يختلف عن الاديان الاخرى فليس للاسلام مؤسسة كالكنيسة في الغرب ولا صراع في الاسلام بين الدين والعلم ، ولا بين الدين والعقل ، ولم يؤيد الاسلام ابدا ظلم الملوك والامراء المستبدين بل كان دائما ضد الظلم والطغيان والاستبداد ، واذا كانت المسيحية قد قررت ان ما لقيصر لقيصر ومالله لله ، فان الاسلام قرر منذ أول يوم فيه ان الكل خالص لله « **له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وماتحت الثرى** » (٦ : طه) . « **وله من في السموات والارض** » . (١٩ : الانبياء) . ولذلك فإن الشعار الذي يرفع أحيانا « **الدين لله والوطن للجميع** »

فيه انحراف عن الاسلام وشبهة الشرك بالله فالصلة التي تربط الدولة بالدين أو السياسة بالدين هي من خصائص الاسلام ومميزاته ، وإذا كان الغرب معذورا في ابعاده الدين عن السياسة او عن الدولة بسبب سيطرة رجال الكنيسة وظلمهم ، فانه لا عذر للمسلمين في ذلك اذ ما عرف الاسلام الا انه محرر للشعوب ولا عرف علماء الدين في تاريخ الاسلام الا انهم قادة للامة في قول كلمة الحق ودفع الظلم والجهاد في سبيل الله فلا كهنوت ولا رهبانية ولا طبقة تسمى رجال الدين في الاسلام ولا متاجرة بصكوك الغفران وان من يطبقون الفصل بين الدين والدولة على الاسلام انما هم كالببغاوات تردد ماتسمعه من سيدها ، واذا كانت القرون الوسطى تمثل في اوروبا فترة قاتمة مظلمة وهي فترة الصراع بين الكنيسة والدولة فهي تمثل في تاريخ المسلمين مجدهم وعزتهم ولذلك ترى مدى جهل اولئك الذين يرددون في وجه المطالبين بحكم الاسلام القول : أنكم تريدون ان ترجعونا الى عهد القرون الوسطى ، واذا كان الغرب قد قضى على نفوذ رجال الكنيسة في العصر الوسيط ، فأننا نرى في العصر الحديث ارتباطا بين الدين والدولة او بين الدين والسياسة وبشكل آخر ، فقد أسست أحزاب سياسية على انها مسيحية ، فهناك الحزب الديمقراطي المسيحي في ألمانيا والحزب الديمقراطي المسيحي في النمسا والحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا ، وفي بريطانيا تعتبر الملكة رئيسة الكنيسة ، ولا يخفى مايمارسه البابا في الفاتيكان من تدخلات في شؤون العالم السياسية وحتى بولندا البلد الشيوعي للكنيسة فيه دور سياسي اتضحت قوته في

الفترة الأخيرة ، ولكن يوجد عندنا من ينكر مثل هذا الارتباط على الاسلام ، لان الصهيونية والماسونية والاستعمار يريدون ذلك ، وقد يموهون على العامة بأن ابعاد الدين عن السياسة يحفظ له قدسيته واحترامه ، وهم يعلمون ان احترام الدين وتقديسه هو في اتباع هديه وتطبيق أحكامه مع انهم اذا شاؤوا وكانت لهم مصلحة خاصة ادخلوا سياساتهم الحمقاء في الدين ليشوهوه ، فالسياسة في مذهبهم حرة ولها الحق كل الحق في ان تتدخل في الدين وليس للدين الحق ولا بعض الحق في التدخل في الشؤون السياسية .

والقومية ايضا من نتاج الفكر الغربي وقد قامت دعوة القوميات في تركيا والبلاد العربية وغيرها من بلاد المسلمين مرتبطة باللادينية ، فالذين بشروا بالقومية في البلاد الاسلامية والعربية كانت نظرتهم علمانية بحتة فأبعدوا الاسلام عن أسسها وأنكروا الأخوة الاسلامية بين الاجناس التي جمعها الاسلام ، تلك الاخوة التي قررها رب العالمين في محكم تنزيله « **انما المؤمنون إخوة** » وأعادوها عنصرية وعصبية كتلك العصبية الجاهلية التي أدانها رسول الاسلام عندما بدرت من بعض المسلمين قائلا لهم « **ما بال دعوى الجاهلية دعوها انها منتنة** » .

رواه البخاري وقال عليه الصلاة والسلام أيضا « **ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا قاتل على عصبية** » . رواه أبو داود ولم ينس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلقى خطبته في حجة الوداع أن يذكرهم بنعمة الله عليهم وامتنانه على أن أذهب عنهم هذه العصبيات فقال : « ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بالآباء والاجداد ، الناس لادم وآدم من تراب ، لافضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى » . أخرجه أبو داود والترمزي .

فمن اصالة الفكر الاسلامي إيمانه بالوحدة البشرية القائمة على أساس وحدة المنشأ والمصير ، وقد أعلن الاسلام الاخوة الانسانية وبشر بالدعوة الى العالمية ، أما حكمة التقسيم الى شعوب وقبائل فهي للتعارف أما التفاضل انما هو بالتقوى والعمل الصالح . يقول الله تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات/١٣ ويقول تعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا**)النساء/١ .

وللانسان الحق كل الحق في أن يحب قومه ويحب الخير لهم بل إن ذلك من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الحرص على هداية قومه حتى قال له ربه : (**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**)فاطر/٨ . (**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث**

أسفا) الكهف/٦ الكهف . واذا قصدنا من القومية الواقع اللغوي والتاريخي والثقافي والجغرافي والاجتماعي لشعب من الشعوب ، وأبعدنا عنها العصبية والعنصرية وجعلناها في اطار الرسالة الانسانية المشتركة بين بني البشر جميعا فاننا لن نكون مخالفين في ذلك مبادىء الاسلام على أن نقيم نحن المسلمين حكم الاسلام في هذا الواقع وليس بالضرورة ان تكون لنا دولة واحدة ، فالعرب باعتبارهم شعبا واحدا متجانسا وله لغة واحدة يقيمون كيانا واحدا مستقلا ، وكل شعب من الشعوب الاسلامية يقيم له دولة وتجمعهم جامعة اسلامية ، وعلى هذا الاساس يمكن للمسلم الملتزم بالاسلام إن يقبل فكرة القومية العربية ولكن من المؤسف أن دعاة القومية عندنا استغلوا العاطفة الصادقة في نفوس المسلمين فخلقوا للقومية فلسفة منمقة ومفهوما مستقلا عن الاسلام وانطلت دعوة العصبية القومية هذه على بعض دعاة الاسلام بعبارات مثل التراث والتقاليد لانه يراها تنسجم مع رغبته في الحفاظ على الشخصية الاسلامية والمسلم يؤمن بالاسلام لا على انه من تراثه وتقاليده بل لانه تنزيل من عزيز حميد يحقق السعادة في الدنيا والآخرة ، فليس الاسلام تراث قوم ولا تقاليد قوم وانما هو دين من الله جاء الى الناس كافة فاذا نحن خدعنا بهذه العبارات واندفعنا في اتجاه العادات والتقاليد والتراث فلكل شعب عاداته وتقاليده السابقة على الاسلام ، ويحرص أعداء الاسلام على بعثها وإحيائها لتكون منطلقا للانقضاض على الاسلام وعائقا لانتشاره بين غير المسلمين وبذلك نكون قد ساعدناهم على تحقيق أهدافهم المعادية للاسلام ، وقد أقام الاسلام الوحدة على أساس الفكر لا على أساس الدم فالدين هو أساس الاخوة بين المسلمين .

أما الفكرة التي سلبت ألباب جمهور عظيم من أبناء المسلمين وسيطرت على أفكارهم فهي الفكرة الماركسية او الشيوعية . فآراء ماركس ومعه انجلز الدستور والاساس للفكرة الشيوعية او الاشتراكية العلمية كما يروق للبعض أن يسميها وهي مبنية على مبدأ النقيض ، فكل شيء في نظرهم يتضمن نقيضه وينتقل الشيء الى نقيضه حتى يصل الى نقطة معينة فيحصل التغيير المفاجىء ، ويطردون هذا المبدأ في جميع الاشياء الطبيعية وغيرها حتى في المجتمعات ، فالنظام الملكي يتحول الى النظام المقابل له والاقطاع يتحول الى الرأسمالية ، والرأسمالية لابد وان تتحول الى الشيوعية والتحول عندهم يكون الى الاحسن فالرأسمالية لابد ان تتحول من الرأسمالية ، وسموا ما يتعلق بالمجتمعات بالصراع بين الطبقات او الصراع الطبقي ، وعندهم العوامل الاقتصادية هي الدوافع وراء كل الاعمال الانسانية على مدار تاريخ البشرية وموقف الشيوعيين من الاديان موقف معاد ، فهم يعتبرون الاديان مخدرة للشعوب وأنها من صنع الاقطاعيين والبرجوازيين من أجل بقاء سيطرتهم ونفوذهم على الطبقات الكادحة ، وأن الاله خرافة وحولوا الالوهية الى الدولة وجعلوا العلم المادي هو مصدر التوجيه الوحيد في حياة الانسان ، وذلك ان

الشيوعية تنكر ماوراء الحس والمشاهدة ، وفي الوقت الذي لا يرى الشيوعيون شيئا مقدسا ينسون انهم يدعون الى عبادة الدولة ويضفون على قيادة الحزب الشيوعي قداسة لا حدود لها ويدعون ان الماركسية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

أما نظرتهم الى القيم والاخلاق فتنبع من اعتقادهم عدم ثبات القيم ، فتقاليد الاسرة وعلاقة الجنسين لابد ان تتطور الى الافضل ، والافضل في نظرهم هو الحياة الحيوانية بين الجنسين ، وأن تتبنى الدولة الاطفال الشرعيين وغير الشرعيين ، وتطبيقا لمبدئهم وهو انتقال الشيء الى نقيضه يقتضي تحول الشيوعية الى نقيضها ، ولكنهم هنا يصمتون صمت القبور ، ولا يطردون هذا المبدأ على شيوعيتهم ويوقفون حركة التاريخ عند الشيوعية باعتبارها الهدف الأسمى للبشرية والجنة الموعودة في هذه الارض ، حيث يكون الناس جميعهم طبقة واحدة متساوية ، ولم يعودوا في حاجة الى قوة بوليسية تحمي اهل السيادة ، فاذا انتقل الشيء الى مقابله ثم انتقل المقابل الى جامع بين الشيء ومقابله ، وسيكون هذا الجامع هو الموحد بين المتقابلين ، فرأس المال سينتقل من الرأسماليين الى العمال ثم ينتقل الى الدولة ، والدول الصغيرة سيكون بينها الصراع ، ثم ان هذا الصراع سينتقل الى دول كبرى ، والصراع بين الدول الكبرى ستكون نتيجته عالما موحدا ، ثم لاداعي بعد ذلك الى وجود دولة وكلها خيالات ، وتخمينات يصوغونها في قالب علمي ، وقد رأينا ان بعضا من تنبؤات ماركس التي اعتبرها الشيوعيون قواعد علمية لا تقبل النقاش قد تبين زيفها ، فقد تنبأ ماركس ان الثورة الشيوعية ستقوم اولا في اكثر البلاد تقدما في الصناعة وقد رشح لذلك المانيا او بريطانيا ، فقامت في أكثر البلاد تخلفا في اوروبا وهي روسيا ، ولولا مساعدة الغرب للثورة الشيوعية في روسيا بقيادة لينين سنة ١٩١٧ لما انتصر ، فلينين نفسه هيأ له الالمان الذهاب الى روسيا لقيادة الثورة ، وهذه المساعدات من الدول الغربية للشيوعيين كانت نكاية لروسيا القيصرية التي كانت تناصبهم العداء ، فلا زالت الشيوعية في دعايتها تعتمد على أخطاء الغرب من مواقفه الاستعمارية للشعوب وفي الحرب العالمية الثانية لولا الدعم الهائل من امريكا للاقتصاد الروسي وإمدادها للاتحاد السوفيتي بالتكنولوجيا والخبراء الغربيين لاضمحلت الشيوعية ، فوقعت روسيا فريسة تحت اقدام هتلر ، واليوم فان لموقف أمريكا والدول الغربية من قضايا الامة العربية والاسلامية ومناصرة الغرب للظلم الصارخ في فلسطين وتحيزه الكامل لاسرائيل تأثيرا كبيرا فان الشيوعية في حد ذاتها قد فشلت فشلا ذريعا من حيث التطبيق ، وقد تبين ان العمال ـ كانوا مخدوعين فيها ، وقد جاءت في زعمها من أجل العمال لتدفع عنهم الظلم والاجحاف ، فماذا حدث بعد ذلك ؟ أن أحداث المجر سنة ١٩٥٦م . وتشيسلوفاكيا سنة ١٩٦٥م . والان أحداث بولندا سنة ١٩٨٠م ـ وسنة ١٩٨١م . والسور المكهرب المحيط ببرلين في المانيا الشرقية ، كل ذلك قد

اعطانا الدليل القاطع ان الشيوعية بالنسبة للعمال والشعوب ماهي الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . فقد كان العمال قبل قيام الحكم الشيوعي يستطيعون ان يطالبوا بحقوقهم بمختلف الطرق ولهم حق الاضراب والاحتجاج بكل الوسائل ، أما بعد قيام الحكم الشيوعي فلا حق لهم في أي احتجاج ولا إضراب ولا مطالبة بزيادة اجور ، وأصبح العامل مجرد آلة مسخرة للدولة ، لان الدولة بزعمهم هي دولة العمال ، وبعد ان كان يجد من ينصفه من صاحب العمل ويحتكم اليه ، فلم يعد له في النظام الشيوعي أي ملجأ ، لان صاحب العمل هو الدولة وهي الخصم والحكم ، واستأثر القادة الشيوعيون بالمناصب وسكنوا القصور والدور الفخمة وتمتعوا بكل مالذ وطاب وأحلوا لانفسهم كل شيء ، وتركوا ابناء شعبهم يعيشون في فقر مدقع .

والان وقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها ولم تعد تنطلي دعاويها على الشعوب ، ولم يبق أمامها الا ان تقوم أكبر دولة شيوعية في العالم وهي الاتحاد السوفييتي بالغزو المسلح في محاولة منها للسيطرة على مقدرات الشعوب ، وقد رأينا كيف اندفعت قواتها في أكبر هجوم مسلح على شعب مجاور هو الشعب الافغاني المسلم ، فعندما رأى الاتحاد السوفيتي ان الشعب الافغاني يرفض الشيوعية ، وأن عملاءه في أفغانستان الذين اغتصبوا السلطة على حين غفلة وبدعم من الاتحاد السوفيتي من أجل تطبيق الشيوعية في أفغانستان ، قد بدأوا يتساقطون تحت ضربات الشعب الافغاني المجاهد فلم يسع الاتحاد السوفيتي الا ان قام بهجومه البربري ولكن الشعب المسلم في أفغانستان الذي لايرضى بالاسلام بديلا منذ رفرفت عليه راياته بقيادة محمد بن القاسم الثقفي لن يتوقف عن الجهاد في سبيل الاسلام ومن أجل دحر الشيوعية عن بلاده ، ولعل من المبشرات بالنصر ان يواكب هذا الجهاد الصحوة الاسلامية التي عمت الشعوب المسلمة والتي قد امتدت الى داخل الاتحاد السوفيتي نفسه في الجمهوريات الاسلامية التي تعاني من القهر الشيوعي ، ان الشيوعية اليوم تتقهقر في المجال الفكري أمام البعث الاسلامي المتدفق ، هذا البعث الذي رأيناه أيضا قد بدأ يتأجج بين المسلمين في الارض المحتلة فلسطين ، وقد بدأت اسرائيل تشعر بخطره عليها أكثر من أي خطر آخر ، اذ كل أعداء الاسلام يعرفون ان انبعاث الروح الاسلامية على حقيقتها هو الكفيل للقضاء على أطماعهم في بلاد المسلمين ان فلسطين لن تحرر بالقومية ولن تحرر بالاشتراكية ولن تحرر بالماركسية ولن تحررها المحافل الدولية ولا قرارات هيئة الامم ولا مجلس الامن ولا مؤتمرات القمة ولا دول المواجهة ولا الصمود ولا اتفاقيات معسكر داود ، انما ستتحرر بالاسلام كما تحررت وفتحت بالاسلام .

ان صلاح الدين الايوبي عندما انتزعها من أيدي الغزاة الصليبيين بعد ان احتلوها ثمانين عاما لم ينتزعها الا بعد ان جمع المسلمين ووحد مصر والشام على فكر اسلامي واحد وثقافة اسلامية واحدة ثم بعد ذلك رفع شعار الاسلام الخالد

الله أكبر ولله الحمد ، فلا أكبر من الله جل جلاله ولا حمد الا لله رب السموات ورب الارض ، وقد وعى المسلمون آنذاك قول ربهم (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) الانفال : ٦٠ . فدخلوا الحرب على استعداد كامل في العدة بعد أن عمروا قلوبهم بالايمان والثقة لما أعد الله لهم من جنات عرضها السموات والارض ، فلم يدخلوا الحرب بقلوب خاوية وأسلحة فاسدة ، وانما دخلوها بقلوب مليئة بالايمان تراقب الله وتخشاه وتطيعه بالليل والنهار ، فلا يترفهون بالليل على الجنس وموائد الخمور والقمار ولا يولون الادبار عند احتدام القتال بالنهار ، وانما يقضون ليلهم في ذكر الله وطاعته ، ولا يترفهون بما يغضب الله ، وان كانوا يروحون عن انفسهم أحيانا بمالا معصية فيه وبما أحله الله ، واذا حمى وطيس المعركة ثبتوا كالرواسي وخاضوا غمارها كالاسود الكاسرة .

ولعل أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه الذي ينظر بنور الله ، قد استشعر ما ستؤول اليه حال العرب والمسلمين اليوم من تفريط في الاسلام ، مما سيؤدي الى ضياع وتفريط في أوطانهم وفي مقدمة تلك الاوطان القدس وفلسطين ، ومن العجب ان يستشعر عمر ذلك وهو على مشارف بيت المقدس فقد روى الحاكم وقال صحيح على شرطهما عن « طارق خرج عمر رضي الله عنه الى الشام ومعنا ابو عبيدة فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل وخلى خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض ، فقال ابو عبيدة يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا ؟ ماسرني اهل البلد استشرفوك . فقال : أوه ولو يقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لامة محمد إنا كنا اذل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » . وانما قال عمر لأبي عبيدة لو كان غيرك لجعلته نكالا لامة محمد أي لعاقبته ليكون ذلك ردعا لمن بعده ، لانه عرف من أبى عبيدة حسن النية والاخلاص ، وقد كان ابو عبيدة قائدا للجيش .

وانظر إلى جواب عمر فقد جعل القضية ، قضية اسلامية ككل ولم يحصرها في ملاحظة ابى عبيدة المحدودة .

وأخيرا فرحم الله الامام مالك بن أنس الذي قال لا يصلح آخرهذه الامة الا بما صلح به أولها .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



وقفة تأمل

الصدقة الجارية

● الصدقة جزء من المال غير محدد المقدار يخرجه المالك من ماله لأصحاب الحاجة سدا لحاجتهم وابتغاء لمرضاة الله .. وقد تكون محددة المقدار كصدقة الفطر .. التي يخرجها المستطيع القادر الحر عن نفسه وعمن يعيل قبل الخروج إلى صلاة العيد .

● يقول الله في محكم التنزيل مخاطبا نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » . ويقول سبحانه « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل** » .

ويقول تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ... » إلى آخر الآية الكريمة في سورة البقرة .

ومن هذه الآية يتضح أن في المال حقا غير الزكاة ... فالزكاة مقدرة القيمة ، ولها نصاب ، وتستحق وقت حصاد الزرع الى غير ذلك من الشروط ، أما قوله « **آتى المال على حبه** » فإنها تعني الصدقة بلا حدود .

● والصدقة الجارية : هي التي يمتد أمرها إلى ما بعد انقضاء أجل صاحبها في الحياة الدنيا .. وذلك كبناء المساجد ، أو إنشاء المكتبات ليستفيد منها طلاب العلم والمعرفة ، أو تشييد مدرسة يتلقى فيها أطفال المسلمين دروس التربية الاسلامية ، أو تعبيد طريق يسهل للناس حياتهم ، أو إنشاء مصانع ، ومستشفيات ، وشق ترع وقنوات ، إلى غير ذلك مما يعود بالنفع على جموع المسلمين .

● أليس من الصدقة الجارية أن يربي الانسان ولده تربية إسلامية صحيحة ؟ .. فينشأ الولد على الخلق الكريم والآداب السامية ، فيحسن التعامل مع الناس ، ويعرف لكل ذي حق حقه ، ويتحلى بالأمانة والصدق والشرف . فيكون لبنة صالحة في بنيان المجتمع الاسلامي .. ويكبر الولد

فيصير والدا ويربي أولاده كما رباه والده .. أليس ذلك أثرا طيبا موصول العطاء يفيد المجتمع بأسره ؟ .. وهل يفعل مسلمو اليوم ذلك .. أم أن الكثيرين يتركون الحبل على الغارب لأولادهم حتى إذا ما سقطوا في مهاوي الرذيلة .. حاولوا العلاج بلا فائدة .. فقد استفحل الداء واستعصى على العلاج ووسائل الإعلام المختلفة من صحافة منحرفة أو «سينما » هابطة ، أو « فيديو » ينشر الرذيلة كلها عوامل إفساد وإضلال . فإذا ما نشّأ والد أولاده ، برغم هذا الوسط ـ تنشئة إسلامية فإنه بذلك يساهم في نشر الفضيلة بعد وفاته .. فتكون له صدقة جارية .

● وعلماؤنا الأفاضل الذين ألّفوا في فروع العلم ، وخدموا دين الله ، ونفعوا البشرية ، وما نزال نعيش على موائد فكرهم إلى اليوم .. أليس الذي صنعوا من الصدقة الجارية .. يصلهم ثواب جميل صنيعهم إلى اليوم وإلى ما يشاء الله ؟!

● هل هذا العالم الذي يخترع اختراعا يفيد البشرية .. في مجال الطب ، والزراعة ، والصناعة ، والتكنولوجيا وغير ذلك مما يفيد الناس في معاشهم .. أليس صاحب صدقة جارية ؟

● إن الصدقة الجارية بمفهومها الواسع لا تقتصر على مجرد العطاء المادي .. بل هي واسعة شاملة كل ما ينفع الناس في حياتهم وآخرتهم .

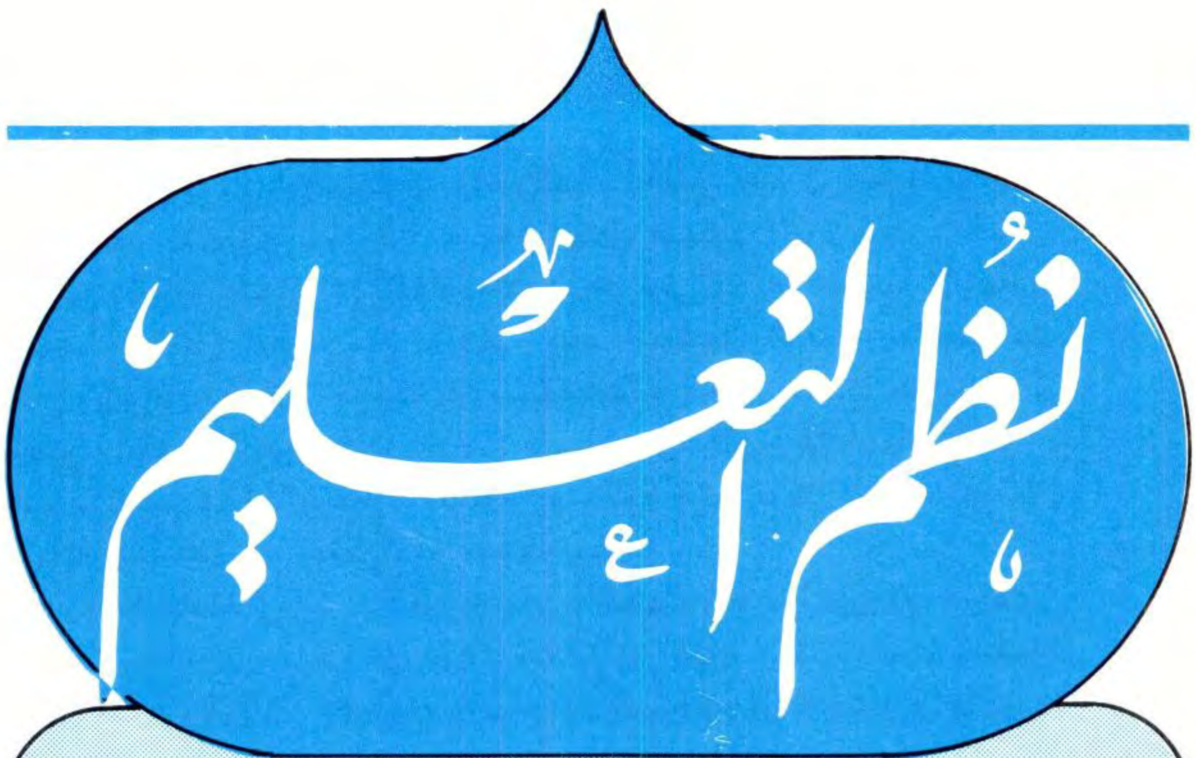
● وغير المسلمين ممن اخترعوا اختراعات أفادت البشرية جمعاء في مجالات مختلفة .. في الكهرباء ، وفي الأدوية التي نعالج بها مرضانا .. وفي المصانع .. وفي غير ذلك .. ما جزاؤهم ؟ ..

إن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا .. فهؤلاء ذاع صيتهم .. واكتسبوا شهرة في الدنيا ، وخلدت أسماؤهم في سجل العلماء .. وذاك هو جزاءهم في الدنيا ـ أما عند الله في الآخرة .. فلا نصيب لهم .. هكذا أراد الله .. فلاحظ إلا لمن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين .. ذاك قبل الأعمال ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

● وهل لمسلمي اليوم أن ينهضوا ـ أو تنهض طائفة منهم ـ ليكونوا روادا في كل مجال .. كما كان المسلمون الأوائل ؟ أو على الأقل ليساهموا في مجالات الحضارة المعاصرة .. لتكون لهم الذكرى الطيبة والعاقبة الحسنى ..

هذا ما نأمل ... وبالله التوفيق ،

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :
« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .



نظم التعليم بين الترميم والتجديد

للأستاذ / أحمد العناني

- الأزمة الراهنة في نظم التعليم الغربية وتكهنات صائبة لمفكر أوروبي .
- جناية « الكم » على الشعوب الفقيرة .
- يجب أن نبدأ من حيث انتهى المسلمون قبل عشرة قرون .
- رضوان الله والنفع هدفا التعليم الأساسيان ...
- دور المسجد والمعمل والحرفيين .
- يجب أن نخرج من السرداب بهداية القرآن والسنة ومعلمينا العظام .



هناك أزمة كبيرة في موضوع التعليم تكاد الشكوى منها تعم العالم كله وان كانت في الواقع آخذة سبيلها لتأزم مكرب في سائر بلدان العالم الثالث بخاصة ، والبلدان الصناعية بعامة .

ونحن في الشرق الاسلامي كما سنرى لاحقا في هذا المقال استجلبنا هذه

لصيبة الى جحورنا استجلابا أحمق نتيجة مؤامرة التقليد الأعمى للغرب خلال القرن الراهن .. ولو كنا توقفنا قليلا لنفكر فيما يصلح أو لا يصلح لنا ، ولو راجعنا حتى أبسط طرقنا البدائية في التعلم لكنا جديرين بقدر أقل من العذاب والندم للأوضاع التي انتهينا إليها .

ولكن ما هي هذه الأزمة ؟ انها أزمة تعميم التعليم بالأساليب المطبقة حاليا في فتح أبواب مختلف المراحل الدراسية أمام كل الأولاد في المجتمع دون تمييز أو استثناء .

ولأول وهلة قد يتساءل البعض : وأي ضرر في ديمقراطية التعليم أليس من حق الناس أن يتعلموا بقدر ما هو من حقهم أن يستنشقوا الهواء وينالوا ولو أدنى الغذاء ؟ أليس ذلك أجدر بأن يضمن لنا وصول الناس جميعا لحقوقهم ، ومعرفتهم واجباتهم واحسانهم المساهمة في إعمار أوطانهم ؟

وهنا ، ومن هنا أيضا جاء الخلط في هذا الموضوع الكبير ... إذ ليس لأحد اعتراض على مبدأ التعلم والتثقف انما الموضوع المطروح هو ماذا نتعلم ، ومتى ؟ وكيف ؟ ومن الذي يتحمل نفقات التعليم اذا كان تنفيذه سيكون على وفق الطريقة المطبقة حاليا من فتح الصفوف وتقسيم الحصص لاستيعاب نفس المناهج التي تدرس حاليا ؟ وكيف يمكن أن تحتمل البلدان النامية بخاصة كل النفقات المخيفة لبناء المدارس وصيانتها وربما توفير سبل المواصلات إضافة إلى أسرة التدريس من معلمين وموجهين ومشرفين اجتماعيين وفراشين وخدم ، ناهيك عن الكتب المدرسية وأدوات الاستهلاك المستمر في المدارس ... ، وكذلك نفقات الادارات التعليمية ووسائل الايضاح وأجهزة المختبرات ونفقات المكتبات وتنظيمها وتسييرها ...

إن فرض العبء على كاهل أية أمة فقيرة بهذه الكيفية انما يعني أن ينوء ذلك الكاهل مهما كان متينا بذلك العبء ، وفي العادة فإن النتيجة مفهومة ، يهبط « الكم » بقدر التوسع في « الكيف » هبوطا وئيدا في البداية ، ثم يتحول إلى انحدار فانحلال تام في العملية التعليمية كلها ... إننا في الواقع نقاسي حتى اليوم من الأخطاء الكبرى التي جاء بها الانقلاب الصناعي الهائل في أوروبا حين أصبحت القارات الأربع سوق استهلاك ضخم للبضائع الأوروبية ، ومستزرع غذاء ومصدر مواد خام رخيصة لبطون أبنائه ـ أعني الغرب الصناعي ـ ومطالب مصانعه وشركاته الاحتكارية الضخمة .

لقد أدت العجلة والارتجال في تلبيته مطالب ذلك التغيير إلى فوضى هائلة وأخطاء ما تزال تقتضي الناس العذاب في كل مكان ، فالصناعيون الرأسماليون باتوا يعبدون الربح بأية وسيلة ، ويدخلون الى المناجم والمصانع والأراضي المستغلة لصالح الشركات ، النساء والأطفال والعبيد المنهوبين في رابعة النهار من مزارعهم

وقراهم ... وكانت النتيجة قيام أوضاع عاتية من شدة بؤس أولئك العاملين ولا سيما النساء والأطفال وخصوصا أنهم تكدسوا في أحياء واسعة من الأكواخ الركيكة وشبه البيوت الضيقة المبنية كما اتفق مما جعل من مساكنهم مباءات للجريمة والسوء وأدى الى قيام حركات عمالية متشددة في تحقيق مطالب عاطفية متطرفة منها مساواة الرجل بالمرأة ليس فقط في أجور العمل ولكن في كل وضع وحق دون أي استثناء . ومفهوم أن يكون الأجر عادلا لكنه ليس مفهوما أبدا أن نلغي كل الفروق بين المرأة والرجل بالرغم من الاختلاف الكبير في البنية الطبيعية وما يتبع ذلك من أمور خاصة بالمرأة من حمل وميلاد وتنشئة ، الأمر الذي أدى الى شيء كثير من الانحلال الخلقي .

كذلك وفي نفس المناخات المتوترة نشأت الدعوة الى فتح أبواب المدارس لسائر الأطفال من سن معينة دون أن تكون هناك رؤيةمسبقة في شأن الارهاصات والمشكلات التي قد تنجم عن مثل تلك التوجهات النظرية التي لم تدرس فيها النفقات ولم تحدد الأهداف المتوخاة ، والتنسيق بين حاجات التعليم وضرورات الاقتصاد ، وكذلك بين برامج التعليم ومقتضيات التطور التقني الهائل في كل مكان بالعالم الآن ..

وليس سرا أن مستويات التعليم بكل مراحله في معظم العالم ولا سيما العالم الثالث تعاني هبوطا خطيرا في المستويات الدراسية وهبوطا متواصلا أيضا ، كما أن الآثار الناتجة عن ضآلة المخصصات المالية للتعليم في عالم الفقراء الثالث يسارع الآن بالعملية التعليمية الى حالة من الانحلال التام .

تكهنات صائبة لمفكر أوروبي :

ولقد كان المفكر البريطاني برتراند رسل تكهن في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بأواخر الأربعينات أن تؤدي « ديمقراطية التعليم » في كل العالم الثالث إلى حالة الانحلال التي تعانيها المدارس اليوم ، وبالتالي لقيام الدكتاتورية التي تدعي القدرة على حل أمثال هذه المشكلة ولكنها في الواقع لا تزيد الأمور الا تعقيدا .. ذلك بأنه لا يمكن أداء رسالة المعلم بالكيفية الدعائية الغوغائية التي يستهدفها بعض الشباب خصوصا وان العقلية التي تتفاعل مع مثل هذا الوضع هي نفسها التي تنفق فوق طاقة البلاد على شؤون مرتجلة وبمقررات عاطفية ، وها نحن نرى بلدا كبريطانيا يعاني الأمرين من أمثال هذه النفقات ، مع أنها كانت أحسن بلدان العالم اقتدارا على تسيير سياسة تعليمية ليبرالية كما يقولون ، والسبب واضح ، وهو عجز تلك البلاد ، بدون موارد امبراطورية ضخمة ، عن الوفاء بمتطلبات جهاز تعليمي مرتفع السوية بمجرد موارد بريطانيا الحالية وليس سرا أن أعدادا ضخمة من المدارس البريطانية خارج الحواضر الكبرى أصبحت في أوضاع مزرية ولا تصلح لإيواء الطلبة ، فضلا عن أن مستوى المعرفة

والانضباطية عند الطلاب ومستواهم الخلقي عموما أصبحت كلها مهزلة من المهازل ..

ذلك في بريطانيا فكيف الحال ببلاد قد لا يصل معدل الدخل القومي فيها خمسين دولارا للرأس في ظروف الغلاء الفاحش في عالم اليوم وكيف يمكن لمثل هذه البلاد باتباع ديمقراطية التعليم أن تظفر بأية نواة من العلماء الاختصاصيين من أبنائها في أي وقت ... ؟

وتوضيحا لما أريد أطرح مجموعة من الأسئلة على سبيل المثال لا الحصر طبعا

السؤال الأول : لماذا يجب أن ينفق الطالب والطالبة اثنتي عشرة سنة دراسية قبل الوصول لأدنى مستوى يؤهل لطلب الالتحاق بالجامعة ؟

والسؤال الثاني : لماذا يجب أن يدرس كل الطلاب سائر موضوعات التاريخ والجغرافيا والعلوم وعلم الاجتماع ومبادىء الفيزياء والكيمياء والأحياء والجبر والحساب والهندسة واللغة الأجنبية وقد تكون أكثر من لغتين أحيانا ؟

وسؤال ثالث : لماذا الرياضيات حتى لطالبة الفرع الأدبي والى نهاية المرحلة الثانوية ؟ ثم إلى متى تدريس النحو على نفس أسلوب أجدادنا الأولين ، والى متى تبقى العملية التعليمية بهذا التخشب الذي ورثته عن صفوف السكسون في القرن الماضي .

ثم إلى متى نسوق التلاميذ حتى للجامعات سوقا لكي يكونوا حلية ضمن افتخارات آبائهم وأمهاتهم ؟

مزايا التعليم الاسلامي :

ويا لله ما أروع العملية التعليمية التقليدية في الاسلام ، وما أعظم جدواها وأقل كلفتها اذا ما قيست بهذه النظم المتخشبة التي أخذناها قوالب مصبوبة لكي نظهر في مستوى الدنيا التي تتعلم .

وتعال معي نستذكر جوانب من تلك العملية .

أولا : في مجال التثقيف العام وارتفاع مستواه معروف أن الإسلام فرض قدرا أدنى من الثقافة الدينية التي تمكن من أداء الفروض وتمييز الحلال من الحرام ، وحسن تلاوة القرآن والالمام بالحديث الشريف وهذه عملية حياتية مستمرة يساهم فيها المتعلم نفسه بكل الحرص اللازم للنجاة من النار ، ودخول الجنة مع الأبرار ، كما يساهم فيها خطباء المساجد ، والمدرسون في حلقاتهم التثقيفية حيث تتاح الفرصة لكل مسلم ليطرح بحرص ومودة كل تساؤلاته وهي عملية لا تعيقها ممارسة المهنة ، ومخالطة شؤون الحياة العملية وتلتمس عند كل مسلم قادر على العطاء ، وتتداولها الأسرة فيما بينها ويرى كل مسلم ان عليه دورا في تبصير أخيه المسلم في أمور دينه هذه إن هذه الثقافة الاسلامية توفر تدريبا مثاليا في طلب المعرفة مع الحب والحرية والانطلاق وراء قيود الزمان والمكان وبهذه التطوعية

فإن كلفة هذا التثقيف لا تبلغ شيئا يقاس بالنفقات الباهظة لوسائل التثقيف المتخشبة فيما يسمونه بالمدارس النظامية .

ثانيا : **مزايا الحلقات الدراسية** : إن الذي يعيد للأذهان المزايا العظمى لممارسة الدراسة في الحلقات التقليدية هو الفشل الذريع لعمليات الصفوف المدرسية الاصطناعية وما يواكب دراسة التلميذ فيها من استكراه وملالة وما يصب عليه رغم أنفه من دراسات قد لا يتذوقها ولا يريدها ، بينما نجد الحلقة وقد غشيها أناس بمحض اختيارهم تجاوبوا مع العلم المطروح فيها على من يشاء أن يأخذ .

إن أخذ المعرفة مع المحبة والاختيار الفردي الواعي يوفر علينا كل الجهود والنفقات الضائعة في تطبيق منهج متماثل على ألوف مؤلفة من الطلبة قد لا يكون الا نسبة ضئيلة بينهم صالحة للعلوم التي يحملون على حضور حصصها ومتابعة دروسها وامتحاناتها . إن نظام الحلقات الدراسية الإسلامية يفتح باب التعلم لكل راغب في الوقت والعمر وبالقدر والكيفية التي يستطيعها وتلائم ظروفه المعيشية ، ولا تعطل جهده الآخر في تعلم علم دنيوي أو اكتساب مهارة فنية أو صناعية .كذلك فإن الحلقة الدراسية تفتح باب المناقشات الحرة ، وتهيىء قنوات الفكر لاستقبال روافد جديدة من المعرفة مع الرغبة . ويطول الكلام كثيرا في موضوع الحلقات ومزاياها وربما عدت لها في مقال منفصل .

ثالثا : المعلمون والعرفاء في مجال العلوم الدنيوية والصناعية والتقنية :

لقد كان لكل صناعة عريف في السوق ، والعريف هو كبير الهيئة المسؤولة من معلمي أية حرفة أو صناعة ، فصناعات الكيمياء ، والعطارة ، والأدوية النباتية ، وصناعات النحاس والحديد وما يتبعها من حفر وتطعيم وزخرفة ... كلها تدرس في السوق وعبر الخدمة العملية ومع الحفاظ على أخلاق المتعلم المسلم وضرورة إكسابه ثقافة اسلامية تكمل له شرف التلمذة .

وكان معلمو الصناعات يناظرون تماما أساتذة وشيوخ الحلقات للعلوم الاسلامية والانسانية ، وكان للمعلم وللمتدرب وغيرهما نظم تضبط تطور تدريب المتدرب ، وتبين حقوق المعلم وكانت العلوم المتصلة بكل صناعة تجد لها مختبرات ضمن مؤسسة المعلم .

والآن نرى دعوة عالية للتعويل على التدريب العملي الصناعي وتجديده وتنويعه لنفس المتدرب بين الحين والآخر لمتابعة التطور العلمي الصناعي ، وبعبارة أخرى بدأ العلم في العالم يخرج من حالة التخشب الى وضع عملي مرن يقصد به الحصول على التدريب المؤمن مكانا في المجتمع ، ودورا في الانتاج وبالتالي كسب الرزق الحلال .

رضوان الله تعالى والعلم النافع :

منذ نزلت أول آية في الاسلام بدأت الدعوة للقراءة ولكنها قراءة باسم الله تعالى الذي خلق الانسان من علق ، وهي قراءة موضوعية يراد بها تأكيد هدف الحياة بحسن عبادة الله تعالى ، واكتساب الوسيلة المؤمنة للمعيشة أيضا باسم الله تعالى ، ولنفع النفس عن طريق نفع المسلمين ، من هنا كان الاسلام أول من ربط العلم بالحياة وبالتنمية وبحاجات الأمة ، ومن هنا كان تأكيد المسلمين الدائم على العلم النافع ، ومن هنا رفض المسلمون السحر والشعوذة والتمثيليات الوثنية ، ورفض ما يمكن أن ينحدر بهمة الانسان أو يزري بشرفه وكرامة انسانيته باسم الفن أو ما خالط ذلك من المعاذير المنتحلة لاغتيال أسمى ما في الانسان من دوافع للسمو واحترام الذات .

الخروج من السرداب :

منذ أن وضعت لنا نظم التعليم الغربية ونحن نسير في سرداب مظلم وما زلنا دون الانجاز اللازم لتغيير هذه الحال المحزنة . ان من التوجهات الخاطئة منذ انتشار الوعي الاسلامي الظن بأن من الممكن ترميم نظم التعليم الغربية المطبقة لنا ، والواقع الذي نحتاجه هو نظم جديدة كاملة تصل ما بيننا وبين غاية جهد أجدادنا الى نهاية القرن الخامس للهجرة على الأقل يجب أن نخرج من السرداب المظلم ويجب أن نستعيد دور المسجد والبيت والمصنع والمتجر ومجلس القرية (والديوان) لاستعادة الثقافة الاسلامية الانسانية ، واسترداد وحدتنا الثقافية ومنطلقنا الفكري الواحد من حول القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين إن حاجتنا ماسة جدا لانقاذ العملية التعليمية من قهر الانضباطية الصفوفية ونفقاتها الرهيبة وجوها الخانق ، واستعادة التمحور حول القرآن والسنة كأساس ونواة علومنا الانسانية ، أما علومنا المادية الحياتية فيجب أن نباشرها في المصانع والمتاجر والمخابز وحوانيت المعلمين وشيوخ النقابات .

وبهذه الكيفية فإن الأماثل سيبرزون لأنهم سيدرسون ما يحبون باختيارهم الحر في الحلقات وفي أماكن التدريب الصناعي التجاري

هذا غيض من فيض هذا الموضوع الكبير أردت به أن أثير الهمم لاحترام الذات واستعادة الايمان بنظمنا ورد الاعتبار لتقاليدنا القويمة .



مؤتمر الزكاة

مؤذن

بين التجربة الأولى والطموح الكبير

كتب نبيل الخانجي :

لكل مؤتمر « أول » خصوصية تميزه . إنها مغامرة التجربة الأولى ، بكل ما تحفل به من جدة وطرافة ، وطموح وأمل ، .. ومفاجآت أيضا . ومن ههنا نفهم بوضوح كل ما ظهر في المؤتمر الأول للزكاة : من إدراك للأهمية الكبيرة لهذا الركن الثالث من أركان الاسلام ، ومن ثقل المسؤولية التي يجب أن يتصدى لها علماء المسلمين ، ومن قضايا عدة معاصرة تطرح عددا كبيرا من الأسئلة تنتظر الحلول ، ونفهم كذلك : لماذا برز هذا التنوع في الآراء ، ولماذا اصطبغت بعض المناقشات بألوان الحماسة المحببة ، على الرغم من الطابع العلمي الصرف الذي كان جو المؤتمر الأصيل ، وعلى الرغم من ضيق الوقت ضيقا أجمع عليه المشاركون .



○ صنفان من العلماء

لقد اجتمع في المؤتمر صنفان من العلماء : الأول يضم المتخصصين في علم من العلوم المتعلقة بالزكاة كالمال والمحاسبة والقانون ونحو ذلك ، والثاني يشمل الفقهاء والأصوليين . والحق ان وقت المؤتمر الوجيز لم يتح لهؤلاء وأولئك ضربا من التفاعل العميق الذي لا بد أن يأخذ مداه الكامل ليتسنى للجميع إنضاج القضايا المعروضة إنضاجا فنيا وشرعيا كاملين .

○ اتجاهات في المنهج

وبرز في المؤتمر اتجاهات في المنهج : فبعض المشاركين كانوا ينطلقون من نظرتهم إلى واقع المسلمين اليوم الذي يبتعد قليلا أو كثيرا عن الاسلام وأحكامه ومفاهيمه وطرائق عيشه ، والذي تهيمن عليه أنظمة اقتصادية ومالية لا تقوم في كثير من جوانبها على أساس من أحكام الشرع الاسلامي ، والذي ظهرت فيه حاجات وأوضاع معاصرة هي نتيجة هذا كله . وقد برز لدى هؤلاء

المشاركين ميل إلى التوسع في بعض مدلولات النصوص الشرعية ، ودعوة إلى الاعتماد على ما أطلق عليه « روح النص » .

غير أن هناك منهجا آخر برز في المؤتمر ، استمسك به آخرون من المشاركين ، ورأوا أن من الافتئات على النصوص الشرعية وأحكام الشرع أن نقول بالتوسع في مدلولاتها ، وأن من الخطأ أن تتحمل نصوص الشرع أوزار واقع غير قائم على الأحكام الاسلامية ، وأن من الضروري - بل من الحتم الشرعي - أن نلتزم التزاما دقيقا بمدلولات النصوص الشرعية المحددة .

○ طرائق في الاصلاح

وكذلك ظهر أكثر من اتجاه في فهم طريقة الوصول إلى حل للمشكلات القائمة في العالم الاسلامي ، فبعض المشاركين كان يؤكد على حقيقة أساسية هي أن الاسلام كل متكامل في أحكامه جميعا ، ولا يمكن أن نكفل النجاح لحكم من أحكامه عند التطبيق ما لم تكن سائر أحكام الاسلام مطبقة في مختلف جوانب الحياة ، بينما كان آخرون من المشاركين يتساءلون : وهل ننتظر حتى تقوم الدولة الاسلامية ؟ وهم يرون أن واقع المسلمين اليوم لا يمكننا من تطبيق أحكامه كلها مرة واحدة ، فلا بد - كما يرون - من أن نميل إلى التدرج في تطبيق ما يمكن تطبيقه ، أملا في أن تستكمل سائر الأحكام في المستقبل ، ويقوم الحكم الاسلامي بمعناه الكامل .

○ النقاش بين الدقة والخطابة :

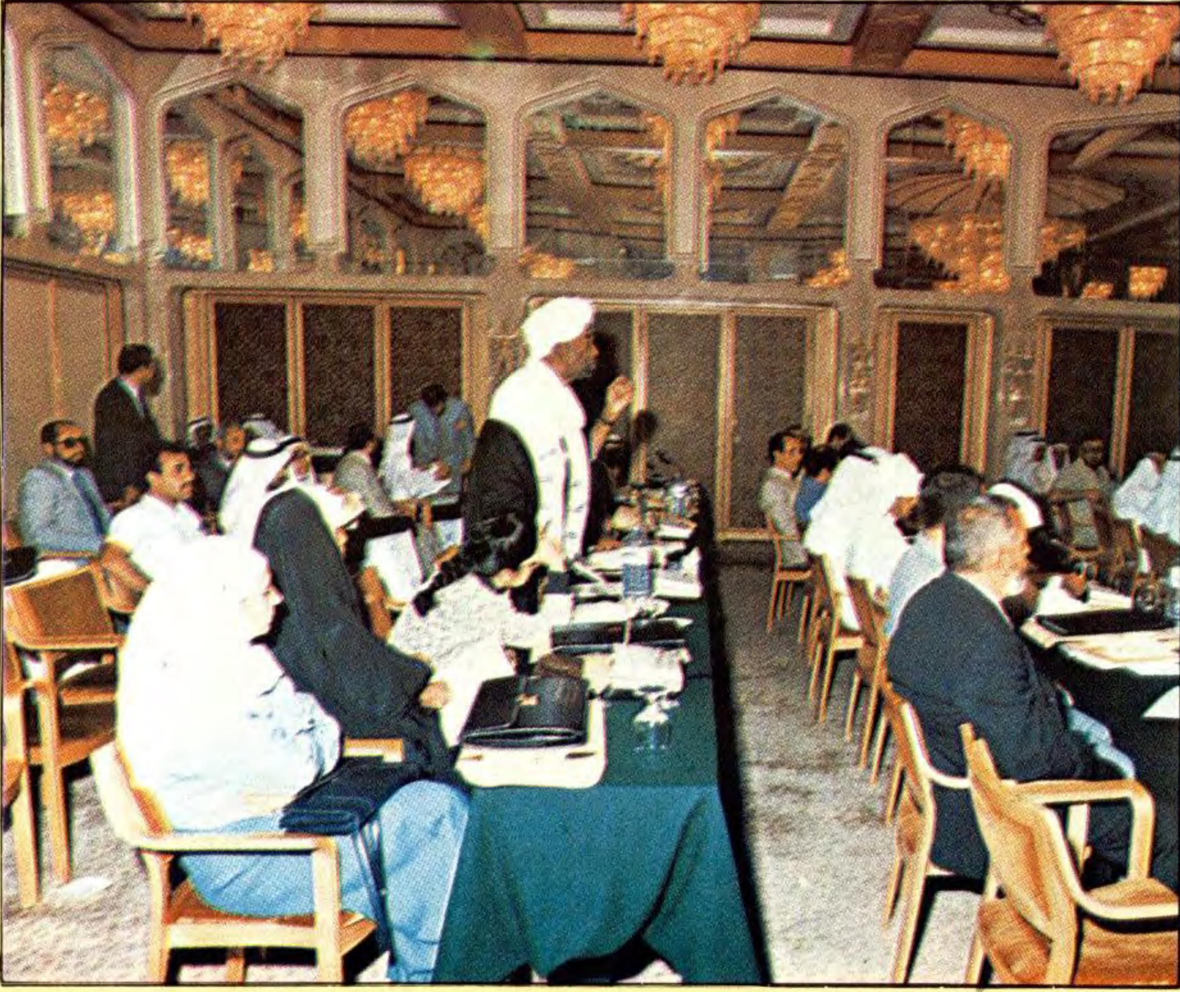
وأما أساليب النقاش التي سادت في المؤتمر فيمكن أن توصف بأنها علمية هادئة في مجملها ، غير أنك تستطيع أن تلحظ فرقا أحيانا بين هؤلاء الذين تميزوا بالدقة والضبط والحياطة في التعبير عن أفكارهم ، وبين أولئك الذين نزعوا إلى أسلوب مشوب بشيء من رنة الخطابة والتكرار .

○ ضيق الوقت :

غير أن هؤلاء وأولئك جميعا لم يلتزموا بالوقت المخصص لهم في المناقشة ، بل الحق أن يقال إنه لم يكن في مستطاع أحدهم أن يلتزم بذلك ، لأن الوقت المخصص لكل منهم كان ثلاث دقائق ، لا مناص من أن تستغرق إحداها في توجيه الشكر للباحث في البدء وفي غير ذلك من لوازم الحديث ولعل مما يجدر ذكره أن البرنامج الذي أعده للمؤتمر بيت الزكاة الكويتي قد تم تنفيذه بدقة تامة .

وإذا كان هناك من ملاحظة على المؤتمر فهي أن المشاركين لم يتمكنوا من الاطلاع على الأبحاث ودراستها قبل أن يحضروا المؤتمر ، وذلك - كما ذكر لي الأستاذ فؤاد العمر مدير بيت الزكاة - أن الباحثين تأخروا في تقديم أبحاثهم عن الموعد المحدد . ومهما يكن من أمر فقد خطر ببالي أن أقوم بحساب الوقت الذي أتيح فيه لكل مشارك أن يدرس الأبحاث المقدمة ، علما بأن الباحثين لم يكونوا في أثناء إلقاء أبحاثهم يتقيدون بالنص المكتوب ، فضلا عن أن يذكروا جميع ما ورد فيها من قضايا وأفكار ، فإذا حذفنا اليوم الثالث الذي صدرت فيه التوصيات والفتاوى بقي لدينا ٤٨ ساعة . يمكن تقسيمها على النحو التالي في غضون يومين :

١٢ ساعة للنوم ، ١٤ ساعة لحضور المشاركين في قاعة المؤتمر للمناقشة ، ٦ ساعات للطعام ، ٢ ساعتان لحفل العشاء الذي اقامته وزارة الأوقاف ، ٤ ساعات للقاءات الفردية والتعارف بين المشاركين ، ٢ ساعتان يخلو فيهما المشارك لنفسه وربه وشؤونه الخاصة . ويبقى من اليومين ٨ ساعات فقط . وأظن أن من المحال على أي مشارك أن يقرأ (٣٤٤) صفحة من القطع الكبيرة جدا (تعادل ٧٠٠ صفحة من الكتاب المتوسط) حتى لو كان ما يقرؤه قصة



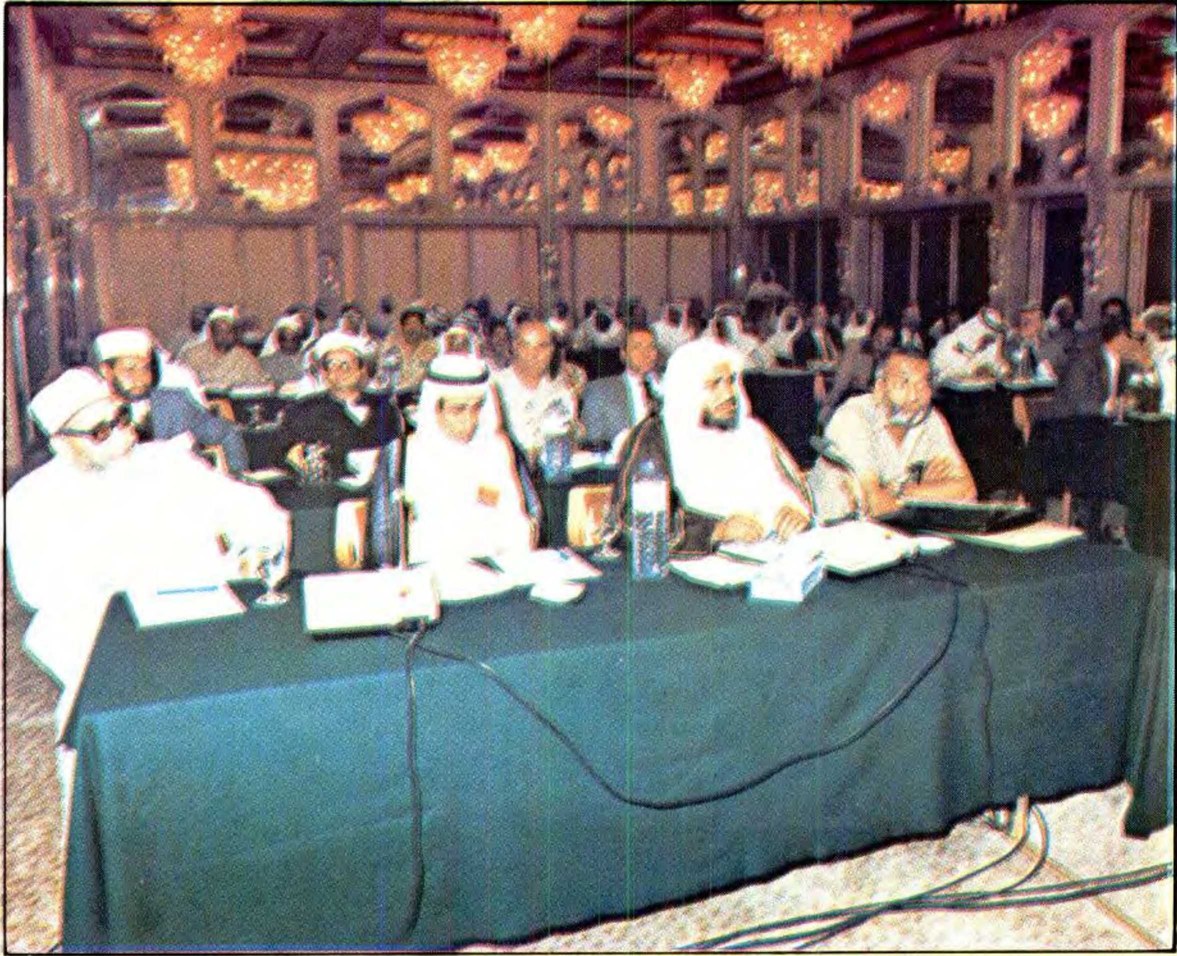
بوليسية مشوقة جدا ، فكيف بك إذا كان الأمر يحتاج الى دراسة مستأنية ، وتفكر ، وتدبر ، وفحص للأدلة ، ومقارنة ، وترجيح ، وما ينبغي لذلك كله من اجتهاد كل الاجتهاد ، حتى يتم التوصل الى رأي يطمئن المشارك إليه ، ثم يقوم بطرحه في المؤتمر ؟! .

وعلى هذا كله ، يوشك أن يكون معظم المشاركين مجمعين على أهمية مثل هذا المؤتمر وضرورته ، ومتفائلين بالخير من هذه اللقاءات التي تتم بين العلماء المسلمين ، كما سوف نرى بعد حين إذ نعرض لما قاله عن المؤتمر بعض المشاركين فيه .

○ الأيام الثلاثة للمؤتمر : صورة مجملة

ولنعد إلى البداية .. إلى يوم ٢٩ رجب ١٤٠٤هـ لنرسم صورة موجزة للأيام الثلاثة التي امتد بها المؤتمر ، في فندق حياة ريجنسي الذي يقع على شاطىء الخليج في منطقة هادئة نسبيا (الرميثية) ، والذي دعا إلى انعقاده بيت الزكاة الكويتي .

فقد بدأ المؤتمر بآيات من القرآن الكريم ، وألقى بعدها كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد أحمد سعد الجاسر فتحدث عن أهمية الزكاة في النظام الاسلامي ، ودعا المواطنين الى الاعتماد على بيت الزكاة لصرف زكواتهم في الطريق الأمثل ، وبين أن المؤتمر سيسهم في تحقيق أثر هذه الفريضة على الناس والمجتمعات . ثم ألقى السيد يوسف النصف كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر وأعرب عن أمله أن يكون انعقاد المؤتمر خطوة على طريق



التعاون ، وإعطاء هذه الفريضة حقها لتؤدي الدور المناسب لسد حاجات الأفراد والمجتمعات ، وتحدث عن دواعي انعقاد المؤتمر فذكر ان أهم ما يسعى إليه المؤتمر هو تنسيق الجهود وتلاقي الخبرات وتوحيد التوجهات العامة وترتيب الأوليات .

ثم تلا ذلك الجلسة الأولى للمؤتمر برئاسة السيد عيسى ياسين وجرى فيها عرض لبحث « آثار الزكاة في الأفراد والمجتمعات » ألقاه الدكتور يوسف القرضاوي . وأعقب العرض مناقشات عدة في القضايا التي طرحها الباحث . ثم عقدت الجلسة الثانية في مساء اليوم نفسه برئاسة السيد حمد الجوعان ، وألقى فيها السيد احمد أمين حسان بحثا بعنوان « الجوانب القانونية لانشاء وتنظيم وإدارة مؤسسات الزكاة وتطبيقاتها العملية المعاصرة » وبعد المناقشة التي اعقبت الجلسة جرى عرض الحلقة الأولى من تقارير الزكاة ، وكانت عن مديرية صندوق الزكاة بالمملكة الأردنية الهاشمية .

وفي اليوم الثاني عقدت الجلسة الثالثة برئاسة السيد محمد ناصر الحمضان وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت ، وتم فيها عرض بحث « التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها » للدكتور محمد عقلة ، ثم عرضت بعد ذلك الحلقة الثانية من تقارير مؤسسات الزكاة وكانت عن ديوان الزكاة والضرائب بجمهورية السودان الديمقراطية . وفي مساء اليوم نفسه عقدت الجلسة الرابعة برئاسة الدكتور عمر زهير حافظ وألقى فيها الدكتور محمد أنس الزرقا بحثا بعنوان « دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية » .

كما عقدت اللجنة العلمية في مساء اليوم

الثاني اجتماعها التمهيدي ، وعقدت كذلك مؤسسات الزكاة اجتماعها التمهيدي أيضا .

وفي صباح اليوم الثالث عقدت الجلسة الخامسة برئاسة الدكتور خالد بودي ، وألقى فيها الدكتور شوقي اسماعيل شحاته بحثا بعنوان « أصول محاسبة الزكاة وضبط جمعها وصرفها » وعرضت بعد المناقشة الحلقة الثالثة من تقارير الزكاة وكانت عن صندوق الزكاة في ماليزيا وفي المساء عقد الاجتماع الختامي للجنة العلمية لصياغة الفتاوى المستخلصة من ندواتها ، وتم كذلك عقد الاجتماع الختامي لمؤسسات الزكاة لصياغة القرارات والتوصيات ثم جرى إعلان التوصيات والفتاوى ، وأعقب ذلك الكلمة الختامية للجنة التحضيرية للمؤتمر ، ومن الجدير بالذكر أنه قد حضر المؤتمر عدد كبير من العلماء والفقهاء المسلمين من مختلف أقطار العالم الاسلامي .

○ صور من مناقشات المؤتمر :

كما يتضح من عناوين الأبحاث المقدمة في المؤتمر جرى تناول جوانب عدة في موضوع الزكاة ، شملت النواحي الاجتماعية والقانونية والتاريخية والاقتصادية والمالية والمحاسبية . كما أوضحت تقارير مؤسسات الزكاة جانباتطبيقيا هاما من خلال عرضها لتجارب متنوعة لمؤسسات الزكاة في بلدان العالم الاسلامي ، غير أن الصورة لا يمكن أن تكتمل ما لم نعرض لصور من المناقشات التي أثيرت وبعض القضايا التي دار حولها الجدل ، في قاعة المؤتمر وكانت مجال أخذ ورد بين المشاركين . وأما الأبحاث التي ألقيت في المؤتمر وكانت مدار المناقشات فقد قام بطبعها في مجموعتين بيت الزكاة الكويتي ، ويمكن القارىء أن يطلع عليها بنفسه .



○ التوسع في مدلول « في سبيل الله » :

من القضايا التي أثارت نقاشا طويلا في المؤتمر مسألة التوسع في مدلول « في سبيل الله » الواردة في الآية التي حددت فيها الأصناف الثمانية المستحقة للزكاة ، وذلك قوله تعالى : « « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » التوبة/ ٦٠

وقد ذكر د . يوسف القرضاوي أن الفقهاء اختلفوا « في تحديد معناه ـ مصرف « في سبيل الله » ـ والجمهور على أنه يراد به (الجهاد) وقالوا : إن المراد به عند إطلاق اللفظ . وقال ابن الأثير : إنه صار لكثرة الاستعمال فيه كأنه مقصور عليه . وعلى هذا لا يجيزون أن يبنى من مال الزكاة مسجد ، أو تنشأ مدرسة دينية أو يقام مستشفى خيري ، أو دار لرعاية الأيتام أو تكفين الموتى ونحو ذلك .

وذهب بعضهم إلى أن (سبيل الله) يشمل كل القرب والطاعات ، وكل ما فيه مصلحة للمسلمين ، فقد نقل القفال في تفسيره عن بعض الفقهاء : أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير ، من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد ، لأن قوله (وفي سبيل الله) عام في الكل .. »

ثم يقول د . القرضاوي : « والمسألة اجتهادية ولكن الذي أميل إليه أن كل عمل يراد به نصرة الاسلام وإعلاء كلمته ونشر دعوته هو (في سبيل الله) استلهاما من قول النبي صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » فيلحق بذلك كل عمل ثقافي أو تربوي أو إعلامي أو اجتماعي أو اقتصادي يراد بها إعلاء كلمة الاسلام .. » ص ١٤٥ أبحاث المؤتمر ـ المجموعة الثانية .

وقد اختلفت آراء المشاركين حول المسألة (في سبيل الله) فقال د . عمر سليمان الأشقر من الكويت : إن التوسع فيها هو إلغاء لما ورد من أن هناك ثمانية أصناف يصرف لها من الزكاة فهو توسع أكثر من اللازم . بينما قال د . عبد العزيز الرومي من السعودية : المقصود بـ (في سبيل الله) هو الغزو ، ولا ينبغي أن نتوسع في هذا المفهوم ، وحيثما أطلق تعبير (في سبيل الله) فهو الغزو فقط ، وإذا توسعنا فيه فسوف يتأثر هذا المرفق الهام وهو إعداد العدة لقتال العدو . أما ما ذكر من أبواب التوسع فيمكن أن تصرف لها من أموال الصدقات الخيرية وصدقات التطوع ، وأما الزكاة المفروضة فتصرف في باب الجهاد بمعناه المحدد وهو الغزو . والآية الكريمة ذكرت أبوابا لصرف الزكاة ، بعضها هو من باب (في سبيل الله) وبعضها ليس من بابه ، أي أن (في سبيل الله) يراد بها الغزو فقط .

وقال د . محمد أبو فارس : لو كان المقصود بها الجهاد فقط لما اختلف الفقهاء في المقصود بها ، والمسألة ليست نصية بأن الجهاد هو الغزو فقط ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم مائة من إبل الصدقة لأولياء الانصاري الذي قتل في خيبر كما روى الشيخان ، والعلة في هذا كانت حياطة الأمن ، ولم يكن هؤلاء من أحد الأصناف الثمانية . فلماذا لا ينفق من أموال الزكاة في المصالح العامة التي تتعلق بأمور الدين والدولة دون الأفراد ؟! وقال د . محمود الخالدي من الأردن : لقد قام الدليل من الكتاب والسنة على ان المراد بـ (في سبيل الله) الجهاد فقط ، وفي آية الصدقات (انما الصدقات ..) حصر واضح ، وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم معنى (في سبيل الله) بقوله : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » أي ان المصرف يكون في حمل السلاح وبناء المصانع الحربية وإعداد المقاتلين ونحوها ، والحقيقة أن التوسع في مدلول (في سبيل الله) لتشمل



المساجد والمدارس والمستشفيات ، هو خطأ محض ، لأن هذا كله من مهام الدولة وعليها أن تقوم به ، وأخشى أنه إذا قام بذلك الأفراد أن يكون ذلك داعيا الدول القائمة الى الاسترخاء وتضييع أموال المسلمين في غير موجباتها ، والخلاصة : يجب أن نلتزم بالحكم الشرعي المحدد لمصرف (في سبيل الله) على أنه الغزو وحمل السلاح .

إنشاء مصانع أو مؤسسات من أموال الزكاة :

اقترح د. إبراهيم زيد الكيلاني من الأردن تعقيبا على ما ذكر من أن فقهاء المسلمين قد أفتوا أن يجعل من مصارف الزكاة تأمين حاجة ذوي الحاجة من أدوات الحرف وآلاتها .. اقترح إقامة مصانع ومؤسسات حديثة وتمليكها لذوي الحاجة تبعا لتطور الحياة المعاصرة .

وقد تنوعت الآراء حول هذا الاقتراح فقال د . عبد العزيز الرومي : أخشى أن يكون في هذا الاقتراح حرمان بعض أفراد الفقراء ممن لا يستطيعون المجيء إلى مثل هذه المؤسسات كما أخشى أن يؤثر هذا الاقتراح على الهدف الأسمى الأساسي من الزكاة وهو سد حاجة الفقراء .

بينما أيد د . عبد السلام العبادي من الأردن رأي د . الكيلاني في بناء المصانع من حصيلة الزكاة ، وأضاف بأن من الممكن أن تكون المصانع ملكا للفقراء أو ملكا لبيت الزكاة يشتغل فيها الفقراء ، ما دام الغرض هو استئصال الفقر .

وقال د . محمود الخالدي : إن استثمار أموال الزكاة غير جائز لأن الاستثمار يعني الربح والخساوة وهذا قد يؤدي إلى تضييع أموال الزكاة ، أو أموال صنف من الأصناف الثمانية المنصوص عليها ، ولا دليل شرعي على جواز استثمار أموال الزكاة ، فهذا الاستثمار إذن مخالف للشرع .



وقال د . القرضاوي : أفضل أن تملك المؤسسات العامة للفقراء وتوقف عليهم . وقال إن مرادنا من استثمار أموال الزكاة أن نملك أموال الزكاة للفقراء للعمل ، وهذا مذهب الامام الشافعي ، ولم نرد المعنى العام للاستثمار .

زكاة النفط :

أثار الأستاذ الحسيني هاشم من مصر الحديث عن زكاة البترول وقال إن فيه زكاة مقدارها ٤/١ العشر يعطى لبيت مال الزكاة كما أفتى بذلك السيد سابق وغيره . وقال د . القرضاوي إن النفط والمعادن فيها زكاة حين تكون ملكا لأفراد أو شركات ؛ وأما إذا كانت ملكا للدولة فكيف نقول إن فيها زكاة ؟! وأرى أنه لا يجب فيها الخمس بل خمسة الأخماس أي أن تكون كلها لمصلحة المسلمين ، إنها فيء والله تعالى يقول : « **ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » الحشر/ ٧

إن الكل يجب أن ينفق في مصلحة المسلمين ، وعلى رأس ذلك المصارف الثمانية المذكورة في الآية الكريمة ، وأنا أرى أن أموال الدولة لا زكاة فيها ، والزكاة فرع من التمليك ، فكيف تملك الدولة ما ليس لها ؟!

وقال د . شوقي الفنجري الواقع أن الدولة تحتكر النفط ، وأظن أن الخلاف في القضية هو من حيث التطبيق . بينما قال د . ياسين العمر : إن الدولة إذا أقامت شرع الله تبقى مسؤولة عن مال الله ، ثم تساءل : لكن إذا لم تكن تطبق شرع الله فماذا نفعل ؟!

فوائد المصارف الربوية :

تساءل د . عبد السلام العبادي حول فوائد أرصدة « أموالنا » التي في البنوك الأجنبية فقال : هل يمكن أن تصدر فتوى في ذلك عن هذا المؤتمر ؟

ويرى د . القرضاوي أن أي فوائد لأموالنا تتجمع في البنوك الأجنبية يجب أن تستخلص منهم ، لأن تركها لهم خطأ آخر ، وستحول إلى خناجر للتبشير والاستعمار .

وأما احتجاج البعض بحديث « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا » فنقول إن هذه الفوائد ليست صدقة ولا حلالا إنها مال حرام ، فهل نرميه في البحر ؟ لا .

○ هل يعطى غير المسلمين من أموال الزكاة ؟

من القضايا التي أثيرت في المؤتمر ما ورد في بحث الدكتور محمد عقلة (التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها) عن شمول غير المسلمين بآثار الزكاة فجاء في البحث ما رواه أبو يوسف في الخراج من أن « عمر رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عمر عضده على خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودي . قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : اسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ! إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه » ص ٤٠ المجموعة الأولى من أبحاث المؤتمر .

فقال د . نور الدين عتر من سورية يجب أن نؤكد أن ما فعله عمر رضي الله عنه لم يكن مخالفة شرعية بل إن له فهما للنص القرآني فأطلق كلمة مساكين على المسلمين وغيرهم .
وقال الشيخ بدر المتولي عبد الباسط : إن حادثة عمر مع اليهودي ضرب من ضروب المعاونة وهي حادثة وليست قاعدة .

أما د . محمود الخالدي فقال : إن ما فعله عمر لا يعني أنه أعطى اليهودي من مال الزكاة ، فلم يرد نص يفيد ذلك ، بل يفهم من الرواية أنه أعطاه من بيت مال المسلمين ، وهذا أمر معروف ودليله أن الدولة الاسلامية ملزمة أصلا بتوفير الكفاية لجميع مواطنيها مسلمين وغير مسلمين . ومن جهة أخرى لا يجوز الاستدلال بأن النص القرآني يتسع لغير المسلمين فالنص محكم ، وإذا سلمنا فرضا بأنه مجمل ، ففهمه يكون بالسنة الشريفة ، وقد ورد في حديث معاذ قوله صلى الله عليه وسلم : فإن أجابوك - أي إلى الاسلام - فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » أي بعد أن يصبحوا مسلمين ، والنص واضح في عدم جواز دفع الزكاة لغير المسلمين ، لأن الزكاة عبادة . ثم قال د . عمر سليمان الأشقر : لدي ملاحظتان في هذا المجال : الأولى عن طريقة تناول الحكم الشرعي : يظن بعض الباحثين أنه إذا وجد في المسألة قولان جاز له أن يأخذ بواحد منهما . والحق أن هذه ليست طريقة السلف ، والواجب أن يقوم الباحث بدراسة الأدلة ويأخذ بالرأي الذي يرجح لديه أن الدليل عليه أقوى ، ونتيجة البحث هي التي تهدي إلى العلاج . والملاحظة الثانية عن التثبت والتحقيق في تناول النصوص : فما دليل ثبوت قصة عمر رضي الله عنه مع اليهودي ؟ فلا بد للباحث من التأكد أولا من صحة هذه النصوص . وأرى أن زكاة المال يجب أن تكون لفقراء المسلمين ، وهل يقوى هذا النص عن عمر ليقوم أمام نصوص القرآن الكريم الواضحة ؟!

○ استغلال حركات التنصير (التبشير) لأوضاع الفقر في العالم الاسلامي :

لفت بعض المشاركين في المؤتمر الأنظار إلى خطورة الدور الذي تقوم به حركات التنصير في العالم الاسلامي ، وإلى أن هذه الحركات تستغل أوضاع الفقر الضاربة في معظم بلدان المسلمين ، ولقد أكد كثير من المشاركين هذه الحقيقة ، وبينوا أهمية الدور الملقى على عاتق مؤسسات الزكاة لاستنقاذ المسلمين من براثن الفقر وبراثن التنصير .

الضيوف المشاركون يتحدثون عن المؤتمر



د . محمد الحبيب ابن الخوجه

مفتي الجمهورية التونسية

المؤتمر استجابة لرغبة اسلامية عامة

لقد كان المسلمون يتطلعون من زمن طويل إلى الحلول العملية التي تستجيب لروح الدين الاسلامي في مواجهة المشاكل المعاصرة التي يتحدى بها العالم الغربي وأوضاعه وأنظمته وفلسفته .. العالم العربي الاسلامي . والمؤتمر الذي حضرناه جاء استجابة لرغبة جامحة في نفوس المسلمين لدراسة مشاكل كثيرة منها : التأكيد على القيام بالركن الثالث من أركان الاسلام وهو الزكاة ، والمسلمون اليوم أمام ألوان من المكاسب وألوان من الدخول المختلفة التي جاء القرآن وجاءت السنة بتحديد ما ينبغي إخراجه منها . والمعاملات الجديدة مثل قضية الأسهم والسندات والمستغلات بأنواعها والمداخيل التي تحصل من المهن الحرة والأجور والمرتبات ، وأيضا الأموال المحرمة .. تحتاج كلها إلى درس وتحديد موقف الشريعة الاسلامية منها . فكان هذا المؤتمر استجابة لرغبة إسلامية عامة في دراسة هذه الألوان من المكاسب وتحليلها تحليلا شرعيا تراعى فيه الأحكام ومقاصدها .

ولا أدعي أن هذا المؤتمر قد حل كل المشاكل بل هو يعترف وتعترف اللجنة العلمية التي مهدت لأشغاله ، وانتهت إلى ضبط توصياته .. بأن هناك كثيرا من الخفايا ما زالت تحتاج إلى درس أعمق ومداولات أكثر للوصول إلى الحلول الصحيحة التي يطمأن إليها في التصرفات المالية الاسلامية ، وبخاصة في تطبيق أحكام الشريعة في مجال الزكاة .



د . خالد بودي

رئيس تحرير مجلة النور الاسلامية الاقتصادية

أتمنى التركيز على موضوعات تخصصية

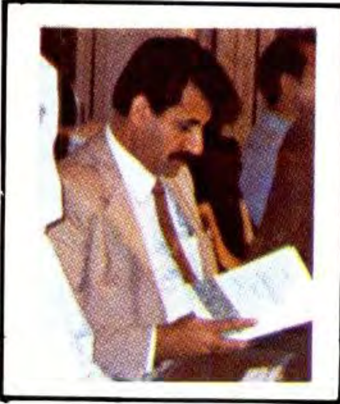
المؤتمر أثار قضايا هامة تتعلق بجوانب مختلفة كالقانونية والاقتصادية والمحاسبية وتوضيح الآثار الفردية والاجتماعية للزكاة . والتقى نخبة من الأساتذة والمفكرين والعلماء ، وكانت المناقشات مفيدة . وأعتقد أن المؤتمر نجح على الأقل في إثارة الاهتمام بموضوع الزكاة .

ولا نزال بحاجة إلى ندوات متخصصة تبحث في جوانب معينة للزكاة ، وبخاصة في وقتنا الحاضر حيث تتعقد الحياة المالية والاقتصادية ، لذا لا بد من التوصل إلى مبادىء محددة مبنية على الأصول الشرعيةللزكاة .

وكان من الطبيعي أن يتميز في المؤتمر أنواع من التخصص في المجالات العلمية المتعلقة بالزكاة ، وهذه في الحقيقة ظاهرة عالمنا المعاصر عالم التخصص العلمي .

أما المناقشات في المؤتمر فالحق أنها لم تشمل النواحي التطبيقية كافة ، بل جرى عرض نظري ، لأن هذا هو المؤتمر الأول ، وهو بداية .

وعن مشاركة صناديق الزكاة في البنوك الاسلامية في المؤتمر أقول إن صناديق البنوك صغيرة نسبيا ، ولم يتوقع أن يكون لها دور رئيسي في المؤتمر .
وعلى العموم أقترح أن يتم التركيز في المؤتمرات القادمة على موضوعات تخصصية تعطى حقها في قضية الزكاة .



د . محمود عبد المجيد الخالدي

استاذ الدراسات الاسلامية بجامعة اليرموك بالأردن

هناك أخطاء !

لي على المؤتمر عدد من الملاحظات :

○ إن بعض الباحثين لم يتقيد بالموضوع الذي أعده في أثناء عرضه له .

○ إن كثيرا من المحاضرين لم يلتزم بالعربية الفصحى في حديثه ، وهي لغة القرآن .

○ إن الوقت المخصص للتعقيب على الباحث ومناقشة الآراء لم يكن كافيا ، لذا ضاعت القدرة على بلورة كثير من المفاهيم .

○ لم ألحظ الطريقة المنهجية في استنباط الأحكام الشرعية ، ولذلك فإني أعتقد أنه لا يمكن الاطمئنان إلى النتائج التي تصدر عن مؤتمر تقع فيه مثل هذه الأخطاء .

○ ومما لا أجد له مسوغا أن يتكرر دائما في كل المؤتمرات وجود أشخاص معينين ، فهذا يؤدي إلى تكرار الآراء نفسها دون جديد يذكر .

د . محمد أنس الزرقا

المؤتمر فرصة للتعاون بين العقول والخبرات

ليت المؤتمر حصل قبل ١٠ سنوات فهو ضرورة منذ زمن ، وعلى كل حال الحمد لله على عقده . وأعتقد أن المؤتمر يحتاج إلى الكثير من التشاور والعديد من الدراسات ، والمؤتمرات تتيح فرصة للتعاون بين العقول والخبرات .

لقد كان تنظيم المؤتمر جيدا ، وواضح أن هناك جهدا كبيرا قد بذل في الاعداد العلمي ، والجهد العلمي المسبق للمؤتمر لا يستهان به .

اتمنى أن يكون هناك فترة أطول لاعداد وكتابة الأبحاث ، وإرسالها للمعقبين العلميين للتعليق عليها قبل موعد المؤتمر ، وألا يتم طبعها إلا بعد انعقاد المؤتمر في ضوء المناقشات . وفي ظني أن التحضير للمؤتمر يجب ألا يقل عن سنة .



د . نور الدين عتر .

استاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث

بجامعتي حلب ودمشق

تميز المؤتمر : بالجدة والابتكار والموضوعية العلمية ..

يتميز المؤتمر بطابع الجدة والابتكار ، لأنه أول مؤتمر متخصصفي الزكاة ، ولهذا التميز دلالة على وعي الأثر العميق للزكاة في الناحية الدينية ومقاصد الشريعة الاجتماعية والاقتصادية . ويعتبر المؤتمر وسيلة ممتازة للدعوة إلى الزكاة ، فيشعر المسلم بمسؤوليته تجاه إخوانه المستحقين .

وتميز المؤتمر بإعداد ممتاز ، وتنظيم دقيق ، ومراعاة المواعيد مراعاة دقيقة ، ورعاية الوفود رعاية جيدة ، وبتحديد الموضوعات التي تمس الحاجة المستعجلة إليها ، خصوصا لبيت الزكاة الكويتي .

ولاحظت في المناقشات تحكم الموضوعية العلمية ، وسعة صدر المناقشين للآراء المختلفة ، على الرغم مما كان يبدو من اقتناع بعض المشاركين بضعف الرأي الآخر . وأقترح للمؤتمرات القادمة إن شاء الله متابعة البحث في النقاط التي لم يتفق عليهما الباحثون : مثل حكم الزكاة في ريع الدور والبنايات المؤجرة والآلات الصناعية وما يستجد عن التطبيق من أمور . وأن تستمر هذه الظاهرة دوريا في البلدان الاسلامية .



بابكر عبد الله ابراهيم

امين عام ديوان الزكاة بالسودان

المؤتمر صحوة

المؤتمر صحوة وهو في خير المنطقة ، وهو ظاهرة علمية حرية بالدراسة ، وقد أجاد الباحثون في اختصاصاتهم .



د . عبد السلام العبادي

وكيل وزارة الأوقاف والشؤون

والمقدسات الاسلامية بالأردن

التعرف على المؤسسات الزكوية حقق أهدافه

المؤتمر بادرة طيبة . وباعتباره أول مؤتمر ليس من المتوقع أن يغطي جميع قضايا الزكاة ، ومن المتوقع أن تكون المناقشات والدراسات في بدايتها . وأعتقد أن التعرف على المؤسسات الاسلامية العاملة في مجال الزكاة قد حقق أهدافه . ومن الملاحظ أن الأبحاث المقدمة طرحت أفكارا جيدة جديرة بالتطبيق . وأما الخلاف بين الآراء في المناقشات فهو في رأيي دليل حيوية ، ودليل على أن المؤتمر يتصدى لقضية حساسة ومهمة .

أما بروز نوعين من العلماء فنيين من جهة وفقهاء من جهة أخرى فهو في رأيي إفراز طبيعي للبنية التعليمية في العالم الاسلامي . ولكن هذا غير مخيف ، ولعل زيادة المؤتمرات تحل المسألة قدر الامكان ، ولا بد من أن نعد الكوادر اللازمة التي تتمكن من ردم هذه الازدواجية .

أما عن وقت المؤتمر فأقترح أن تعطي المناقشات وقتا أطول .
أما عن الباحثين فقد خرج بعضهم عن موضوع البحث المعروض .
أقترح أن تتكرر المؤتمرات بشكل دوري ، وأن تتولى التخطيط لها جهة معينة كأمانة سر دائمة للمؤتمر .

وأقترح تشكيل لجنة علمية متخصصة لصياغة قانون للزكاة متطور يهتم بالقضايا التالية :

١ - أن يقعد أحكام الزكاة ، وبخاصة ما اتفق عليه .
وأن يتبنى حكما معينا من الأحكام الاجتهادية المختلف فيها ، على أساس قوة الدليل وتحقيق المصلحة .
٢ - أن يتبنى رأيا واضحا في القضايا المعاصرة بخصوص الزكاة مثل الأموال المستحدثة .
٣ - أن يحدد إجراءات تنظيمية مرنة للتحصيل والتوزيع بما يتفق وظروف كل بلد بحيث تعالج بشكل واضح العلاقة بين الزكاة والضرائب المعاصرة التي تجبيها بعض الدول الاسلامية من مواطنيها .



د . صالح جو كولا فيتش

الأستاذ في الجامعة الاسلامية

في سراجيفو ـ يوغسلافيا

هموم الجاليات الاسلامية

المؤتمر جيد ، وهو بداية نرجو أن تكون مثمرة مفيدة لنا جميعا ، ولا شك في أن لمؤسسة الزكاة دورا كبيرا في حياة المسلمين الاقتصادية . أما وقت المؤتمر فلم يكن كافيا للوصول إلى نتائج عملية ، ومع هذا فللمؤتمر ـ باعتباره أول مؤتمر ـ أهمية وفائدة .

أتمنى أن يعقد أحد المؤتمرات القادمة في بلد من البلدان غير الاسلامية في إحدى دول أوربة مثلا لدعم موقف الجاليات الاسلامية وتنشيطها .

واسمح لي أن أضيف رغبة خاصة بالجاليات الاسلامية : إن ما يهمني هو مساعدة الدول العربية الاسلامية للجاليات الاسلامية في مجال الدراسة ، لما لذلك من أهمية بالغة ، وأتمنى أن تزيد المنح الدراسية للطلبة والطالبات من المسلمين ، فمثلا نحن افتتحنا منذ ست سنوات مدرسة دينية إسلامية للطالبات اليوغسلافيات وهن يتطلعن لمتابعة الدراسة في بلد عربي إسلامي ، وأتمنى النظر في قبول الطالبات اليوغسلافيات في جامعة الكويت .



د . سامي رمضان سليمان

كلية التجارة بجامعة الازهر

يجب أن تتفرغ المؤتمرات لمسألة التطبيق

كان من المفروض أن يتم عقد هذا المؤتمر من زمان ، والواقع أن المشكلات المطروحة في المؤتمر هي أكبر بكثير من الوقت المخصص له ، ولذلك أتوقع أن يخرج المؤتمر بتوصيات عامة ، ولن يتمكن من حسم مشكلات معينة تمهد للتطبيق ، وأعتقد أن كل مشكلة تحتاج إلى مؤتمر وحده إذا كان الهدف هو تطبيق ما يصدر عن المؤتمر .

ولو شكلت لجان علمية من فقهاء ومحاسبين وغيرهم للاستقرار على بعض الآراء الفقهية التي تناسب التطبيق في ظل ظروف الاستثمارات المعاصرة بشرط عدم تعارضها مع النصوص الصريحة القاطعة . وأقترح أن تتفرغ المؤتمرات لمعالجة : كيف يكون التطبيق العملي ، وأعني ألا يستغرق وقت المؤتمر في الجدل الفقهي ، وإلا فسوف يضيع الوقت دون أن ندخل في تحقيق الهدف ، وهو تطبيق الزكاة في واقع حياتنا المعاصرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

توصيات المؤتمر الأول للزكاة

عقد مؤتمر الزكاة الأول في دولة الكويت بدعوة من بيت الزكاة في الفترة من ٢٩ رجب وحتى ١ شعبان ١٤٠٤هـ الموافق ٣٠ ابريل وحتى ٢ مايو ١٩٨٤م في فندق حياة ريجنسي الكويت وقد تناول المؤتمر الابحاث الآتية :

١ ـ آثار الزكاة في الافراد والمجتمعات .
٢ ـ الجوانب القانونية لانشاء وتنظيم وادارة مؤسسات الزكاة وتطبيقاتها العملية المعاصرة .
٣ ـ التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها .
٤ ـ دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية .
٥ ـ اصول محاسبة الزكاة وضبط جمعها وصرفها .

وكما استعرض المؤتمر تقارير لمؤسسات الزكاة الآتية :ـ
١ ـ صندوق الزكاة في المملكة الاردنية الهاشمية .
٢ ـ ديوان الزكاة في جمهورية السودان الديمقراطية .
٣ ـ بنك ناصر الاجتماعي في مصر نظام تدبير الزكاة في ماليزيا .

وكما ناقشت اللجنة العلمية في اليوم السابق للمؤتمر اربعة جوانب لاحكام الزكاة وهي :
١ ـ زكاة اموال الشركات والاسهم والسندات .
٢ ـ زكاة المستغلات العقارية والصناعية وغيرها .
٣ ـ زكاة ارباح المهن الحرة والرواتب والاجور .
٤ ـ زكاة الاموال غير المنصوص عليها والاموال المشتبه بها والمحرمة .

وقد اتخذ المؤتمر التوصيات الآتية :ـ
١ ـ يؤكد المؤتمر على ضرورة أن يعمل المسلمون جميعا ـ حكاما ومحكومين على ترسيخ العقيدة الاسلامية الخالصة وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية الغراء في بلادهم .
٢ ـ يناشد المؤتمر ولاة الامور في الدول الاسلامية وغيرها التي لم تنشأ فيها مؤسسات الزكاة ضرورة انشاء وتشجيع قيام مؤسسات مستقلة للزكاة وذلك لما للزكاة من آثار طيبة على المجتمعات والافراد .

٣ ـ انشاء أمانة عامة او اتحاد لمؤسسات الزكاة لتنظيم جميع شئون الزكاة وعقد المؤتمرات المتخصصة واختيار احد البلدان مقرا لها .

٤ ـ تشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الامور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية ويتولى بيت الزكاة الكويتي متابعة الجهات المختصة في العالم الاسلامي لتنفيذ ذلك ، على ان تعطي اللجنة اولوية لاعداد صياغة شرعية موحدة لاحكام الزكاة تعالج جمعها وصرفها وجميع المسائل المتعلقة بها .

٥ ـ تكوين صندوق او منظمة باسم صندوق الزكاة تشترك فيه الدول الاسلامية يكون تابعا لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، للتنسيق بين مؤسسات الزكاة في الدول الاسلامية وحل مشاكلها عن طريق البحوث والدراسات اللازمة وتنظيم جمع الزكاة وتوزيعها على مستوى العالم الاسلامي . على ان يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية مع منظمة المؤتمر الاسلامي واعداد الدراسات اللازمة في هذا الشأن .

٦ ـ يوصي المؤتمر بأن يكون انعقاد مؤتمر الزكاة كل سنه مرة في أحد الاقطار الاسلامية تأكيدا لاهمية هذه اللقاءات لمعالجة قضايا تخصصية على ان يتولى بيت الزكاة في الكويت متابعة تنفيذ هذه التوصية .

٧ ـ دعوة وزارات التربية والتعليم والجامعات في الدول الاسلامية للاهتمام بتدريس مقررات الزكاة وجوانبها المختلفة ضمن مناهجها وتشجيع البحث العلمي في نواحيها المتعددة .

٨ ـ يوصي المؤتمر كافة الوسائل الاعلامية بتوضيح وتبسيط احكام فريضة الزكاة واعداد البرامج الموضحة لمدى الحاجة اليها في المجتمعات الاسلامية وآثارها في النهوض لهذه المجتمعات .

٩ ـ يوصي المؤتمر بأهمية اختيار الموظفين ذوي الكفاءة والصلاح والاهتمام بالعمل الاسلامي العام لادارة مؤسسات الزكاة والعمل على تنظيم الدورات التدريبية والحلقات التخصصية لتطوير قدراتهم .

١٠ ـ يوصي المؤتمر بدراسة التطبيقات الحالية والمتقدمة في تطبيق فريضة الزكاة للاستفاده من خبراتها وانشطتها المختلفة مثل المملكة العربية السعودية وجمهورية باكستان الاسلامية وغيرها من الدول الاسلامية .

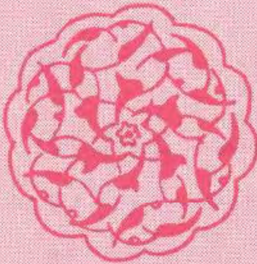
١١ ـ يوصي المؤتمر صناديق وبيوتات الزكاة بالاهتمام بالمجاهدين وتقديم كل عون لهم .

١٢ ـ يوصي المؤتمر مؤسسات الزكاة في العالم الاسلامي بضرورة التنسيق المستمر فيما بينهم والعمل على تبادل الخبرات والرأي في مختلف قضايا الزكاة .

وفي النهاية يتوجه المؤتمرون بالشكر والتقدير لدولة الكويت على هذه البادرة الطيبة باقامة واستضافة مؤتمر الزكاة الاول .

كما يتوجه الحضور بالشكر الى بيت الزكاة الكويتي على الجهد الخالص الذي قام به في سبيل انجاح هذا المؤتمر ووضعه اللبنة الاولى لمثل هذه اللقاءات الخاصة بموضوع الزكاة .

وأوصى المؤتمر برفع برقيات شكر تتضمن ذلك لحضرة صاحب السمو أمير البلاد ولسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ووزير الاوقاف والشئون الاسلامية رئيس مجلس ادارة بيت الزكاة ولرئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر .



بسم الله الرحمن الرحيم

الفتاوى المستخلصة من ندوات اللجنة العلمية بالمؤتمر الأول للزكاة

○ زكاة اموال الشركات والاسهم .

○ زكاة اموال الشركات :

تربط الزكاة على الشركات المساهمة نفسها لكونها شخصا اعتباريا ، وذلك في كل من الحالات الاتية :-

(١) صدور نص قانوني ملزم بتزكية اموالها .
(٢) ان يتضمن النظام الاساسي ذلك .
(٣) صدور قرار الجمعية العمومية لشركة بذلك .
(٤) رضا المساهمين شخصيا .

ومستند هذا الاتجاه الاخذ بمبدأ (الخلطة) الوارد في السنة النبوية بشأن زكاة الانعام ، والذي رأت تعميمه في غيرها بعض المذاهب الفقهية المعتبرة والطريق الافضل وخروجا من الخلاف - ان تقوم الشركة باخراج الزكاة ، فان لم تفعل فاللجنة توصي الشركات بأن تحسب زكاة اموالها وتلحق بميزانيتها السنوية بيانا بحصة السهم الواحد من الزكاة .

○ زكاة الاسهم ○

اذا قامت الشركة بتزكية اموالها فلا يجب على المساهم اخراج زكاة اخرى عن اسهمه منعا للازدواج .

اما اذا لم تقم الشركة باخراج الزكاة فانه يجب على مالك السهم تزكية اسهمه وفقا لما يلي :-

كيفية تقدير زكاة الشركات والاسهم

اذا كانت الشركة ستخرج زكاتها فانها تعتبر بمثابة الشخص الطبيعي وتخرج زكاتها بمقاديرها الشرعية بحسب طبيعة اموالها ونوعيتها ، اما اذا لم تخرج الشركة الزكاة فعلى مالك الاسهم ان يزكي اسهمه تبعا لاحدى الحالتين التاليتين :ـ

الحالة الاولى :

ان يكون قد اتخذ اسهمه للمتاجرة بها بيعا وشراء فالزكاة الواجبة فيها هي اخراج ربع العشر (٢٫٥٪) من القيمة السوقية بسعر يوم وجوب الزكاة ، كسائر عروض التجارة .

الحالة الثانية :

ان يكون قد اتخذ الاسهم للاستفادة من ريعها السنوي فزكاتها كما يلي :
أ) ان امكنه ان يعرف عن طريق الشركة او غيرها ـ مقدار ما يخص السهم من الموجودات الزكوية للشركة فانه يخرج زكاة اسهمه بنسبة ربع العشر (٢٫٥٪) .
ب) وان لم يعرف فقد تعددت الآراء في ذلك :
ـ فيرى الاكثرية ان مالك السهم يضم ريعه الى سائر امواله من حيث الحول والنصاب ويخرج منها ربع العشر (٢٫٥٪) وتبرأ ذمته بذلك .
ـ ويرى آخرون اخراج العشر من الربح ١٠٪ فور قبضه ، قياسا على غلة الارض الزراعية .

زكاة المستغلات

يقصد بالمستغلات المصانع الانتاجية والعقارية والسيارات والالآت ونحوها من كل ما هو معد للايجار وليس معدا للتجارة في اعيانه .

وهذه المستغلات اتفقت اللجنة على انه لازكاة في اعيانها وانما تزكى غلتها ، وقد تعددت الآراء في كيفية زكاة هذه الغلة :
ـ فرأي الاكثرية ان الغلة تضم (في النصاب والحول) الى ما لدى مالكي

المستغلات من نقود وعروض التجارة ، وتزكى بنسبة ربع العشر (٢٫٥٪) وتبرأ الذمة بذلك .

ـ ورأي البعض ان الزكاة تجب في صافي غلتها الزائد عن الحاجات الاصلية لمالكيها بعد طرح التكاليف ومقابل نسبة الاستهلاك وتزكى فور قبضها بنسبة العشر (١٠٪) قياسا على زكاة الزروع والثمار .

○ زكاة الاجور والرواتب وارباح المهن الحرة وسائر المكاسب ○

هذا النوع من الاموال يعتبر ريعا للقوى البشرية للانسان يوظفها في عمل نافع وذلك كاجور العمال ورواتب الموظفين وحصيلة عمل الطبيب والمهندس ونحوهم ، ومثلها سائر المكاسب من مكافآت وغيرها وهي مالم تنشأ من مستغل معين .

وهذا النوع من المكاسب ذهب اغلب الاعضاء الى انه ليس فيه زكاة حين قبضه ولكن يضمه الذي كسبه الى سائر ما عنده من الاموال الزكوية في النصاب والحول فيزكيه جميعا عند تمام الحول منذ تمام النصاب ، وما جاء في هذه المكاسب اثناء الحول يزكي في آخر الحول ولو لم يتم حول كامل على كل جزء منها .

وما جاء منها ولم يكن عند كاسبه قبل ذلك نصاب فيبدأ حوله من حين تمام النصاب عنده وتلزمه الزكاة عند تمام الحول من ذلك الوقت ونسبة الزكاة في ذلك ربع العشر (٢٫٥٪) لكل عام .

ـ وذهب بعض الاعضاء الى انه يزكي هذه الاموال المستفادة عند قبض كل منها بمقدار ربع العشر (٢٫٥٪) اذا بلغ المقبوض نصابا وكان زائدا عن حاجاته الاصلية وسالما من الدين .

فاذا اخرج هذا المقدار فليس عليه ان يعيد تزكيته عند تمام الحول على سائر امواله الاخرى ويجوز للمزكي هنا ان يحسب ما عليه ويخرجه فيما بعد مع امواله الحولية الاخرى .

○ الدين الاستثماري والزكاة

ـ الدين اذا استعمله المستدين في التجارة يسقط مقابله من الموجودات الزكوية اما اذا استخدم في تملك المستغل من عقار او آليات او غير ذلك فنظرا الى انه على الرأي المعمول به من ان الدين يمنع من الزكاة بقدره من

الموجودات الزكوية وان ذلك يؤدي الى اسقاط الزكاة في اموال كثير من الافراد والشركات والمؤسسات مع ضخامة ما تحصله من ارباح .

ـ لذلك فان اللجنة تلفت النظر الى وجوب دراسة هذا الموضوع وتركيز البحث حوله وترى اللجنة مبدئيا الأخذ في هذا بخصوصه بمذهب من قال من الفقهاء من انه اذا كان الدين مؤجلا فلا يمنع من وجوب الزكاة على ان الامر بحاجة الى مزيد من البحث والتثبت والعناية .

○ السندات والودائع الربوية والاموال المحرمة ونموها :

ـ السندات ذات الفوائد الربوية وكذلك الودائع الربوية يجب فيها تزكية الاصل زكاة النقود ربع العشر ٥ر٢٪ أما الفوائد الربوية المترتبة على الاصل فالحكم الشرعي انها لا تزكي وانما هي مال حيث على المسلم ان لا ينتفع به وسبيلها الانفاق في وجوه الخير والمصلحة العامة ما عدا بناء المسجد وطبع المصاحف وسائر الشعائر الدينية .

وكذلك الحكم في الاموال التي فيها شبه .

أما اموال المظالم المغصوبة والمسروقة ، فلا يزكي عليها غاصبها ، لانها ليست ملكه ، ولكن عليه ان يردها كلها الى اصحابها .

○ الحول القمري :

الاصل في اعتبار حولان الحول مراعاة السنة القمرية ، وذلك في كل مال زكوي اشترط له الحول .

واللجنة توصي الافراد والشركات والمؤسسات الماليةاتخاذ السنة القمرية اساسا لمحاسبة الميزانيات .

او على الاقل ان تعد ميزانية لها خاصة بالزكاة وفقا للسنة القمرية .

فان كان هناك مشقة فان اللجنة ترى ان يجوز تيسيرا على الناس اذا ظلت الميزانيات على اساس السنة الشمسية ـ ان يستدرك زيادة ايماها عن أيامها السنة القمرية بأن تحسب النسبة ٥٧٥ر٢٪ تقريبا .

هذا ما وصلت اليه اللجنة ولايزال بعض هذه الموضوعات محتاجا الى مزيد من البحث والتمحيص الفقهي في ضوء واقع الحال ...

كما يوصي المؤتمر باستكمال دراسة القضايا الاخرى المستجدة مما لم يتسع له وقت المؤتمر ..

واخيرا تدعو اللجنة الى الاهتمام بالتوعية بالزكاة ودراسة احكامها ومراعاة شأنها في كل مجال يتطلب ذلك في التطبيقات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

في استقبال رمضان

للاستاذ محمد السيد الداوودي

سطع الفجر فاستجاب المنادي — وأذاع النداء في كل ناد
أقبل الضيف يسحب الذيل تيها — بهبات ميمونة وأياد
جاء في موكب من الملأ الأعلى — بنور إلى المحجة هاد
كلما غاب ذابت النفس شوقا — وحنينا إلى اقتراب المعاد
فإذا لاح نجمه اكتست الآفاق — نورا يفيض في كل واد

★★★

ضيفنا الواعظ الأثير أتى — بالخير واليمن والهدى والرشاد
وبأي من الكتاب تلاها — خير داع إلى طريق السداد
ليلة فيه عادلت الف شهر — فاتقوا الله فالتقى خير زاد
ليله ساهر وقرآنه تال — وأنغامه ربيع الفؤاد
والتسابيح صاعدات وأنفاس — المناجاة رائحات غواد
وعطاء السماء متصل الفيض — دؤوب وماله من نفاد
وقلوب العباد في الليل يقظى — ولهذا العطاء غرثى صواد
حسبنا أن الله معط كريم — واسع الفضل باسط الأمداد

★★★

رب إنا إلى رحابك نرجو — عزة الوصل بعد ذل البعاد
ثقل الوزر والخطايا توالت — وزحام الذنوب في الازدياد
والمسيء الظلوم في حمأة الهول — معنىً وليس يفديه فاد

ليتـه كـان في الـوجـود تـرابـا ليس يرجو الثمار يوم الحصاد

★★★

مـالكم يابني العـروبة اشتـاتـا وأنتـم ذخيـرة الآبـاد
هبط الـوحي في حمـاكم فكنتم في حمى الـوحى كعبة القصّـاد
والـرسـول الأمـين فيكم ومنكم جـاهـد المـارقـين أيَّ جـهـاد
جمـع الصحب حولـه في إطـار محكـم ضـم صفـوة الأمجـاد
وتـلاميـذه الأعـزة كـانـوا في ثبـات اليقـين كـالأطـواد
رسمـوا منهـج الحيـاة سـويـا وبنـوا صـرحهـا رفيـع العمـاد
إن للحـق هيبـة وجـلالا فانصروا الحق يـاحماة الضـاد

★★★

فـرقتكـم أهـواؤكـم فجنيتـم بعد ورد الريـاض شوك القتـاد
وانتهت كبـريـاؤكم بعمى القلب فمـا تبصـرون غـير الفسـاد
ضل قومي قصد السبيل وجاروا واستعـادوا فرعـون ذا الأوتـاد
كم تمنيت أن أرى فيهم الاحسان لكنـهـم طـغـوا في البـلاد
واستباحوا الـدماء قتـلا وسفكا وتمـادوا وأسرفـوا في التمـادي

★★★

ليت قـومي تعايشـوا في سـلام ووئـام وألفـة ووداد
وتناسوا دواعي الفرقة الـرعناء واستلّـوا كـامـن الأحقـاد

★★★

مـا أحيـلاك يـاوفـاق رسـولا نـاظم الشمـل غـائظ الحسَّـاد
ليت أنـا عـلى الـوفـاق التقينـا وحيينـا في عـزة واتحـاد

★★★

ربِّ إن العبـاد حـاروا ولجّـوا في عتـو وغلظـة وعنـاد
رب فـامنن بـرحمـة وبلطـف يـغمـران الأنـام بـالاسعـاد

الحياة الاجتماعية

اختلف العلماء في تصنيف الفئات التي يتكون منها المجتمع زمن المماليك ، فابن خلدون يقسم المجتمع الى قسمين : سلطان ورعية[1] ، ونحا هذا المنحى أيضا المؤرخ الانجليزي استانلي لين بول فأشار الى وجود فئتين في ذلك العصر ، الأولى : هؤلاء المماليك الذين يؤلفون القلة الحربية الحاكمة ، والثانية : أفراد الشعب الذين كانوا أداة لفلح الأرض ودفع الضرائب التي أعانت المماليك ، والذين قامت على عواتقهم مختلف الصناعات العسكرية والمدنية ، وبالاضافة الى ذلك فقد اختصوا بالوظائف القضائية والدينية والادارية ، وهذا لا يمكنهم من الظهور بعامة أو الوصول الى مرتبة المماليك[2] .

ورأى المقريزي أن فئات المجتمع سبع ، الأولى : أهل الدولة من المماليك ، والثانية : أهل اليسار من التجار ، والثالثة : متوسطو الحال من السوقة والباعة ، والرابعة : أهل الفلح ، والخامسة : الفقهاء وطلاب العلم ، والسادسة : أرباب الصنائع وأصحاب المهن ، والسابعة : ذوو

١ ـ مقدمة ابن خلدون ١٦٨

٢ ـ دراسات في الحياة الاجتماعية ١٠

في دولة المماليك

للدكتور/ احمد الهيب

الحاجة المسكنة[٣] .

وبناء على ما تقدم نجد أن المجتمع العربي في العصر المملوكي كان طبقيا يتألف من طبقات عدة ، تتميز عن بعضها البعض في أصولها وخصائصها ولغاتها وصفاتها ومظاهرها ، بالاضافة الى اختلاف نظرة الدولة نحو كل طبقة من هذه الطبقات ، والتي كان يحددها مقدار ما تقوم به من واجبات ، وفي ظل مثل هذا التنظيم الطبقي يبدو الفارق كبيرا بين الحاكم والمحكوم .

والحقيقة ان المماليك حكموا البلاد دائما بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة ، استأثروا بالحكم وبشؤون الحرب ، ونظروا في كثير من الأحيان الى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة أو درجات لا ينبغي أن يشاركوا في الحياة الحربية ، واذا سمح لبعضهم بالمشاركة في شؤون الحكم فبالقدر المحدود الذي تخوله صلاحيتهم[٤] .

وهكذا كان المماليك يؤلفون طبقة مستقلة عن سائر السكان ، فلم يتزوجوا منهم ، بل كانوا يختارون زوجاتهم من بنات جنسهم اللائي كان التجار يجلبونهن ، ولقد توفرت لهؤلاء المماليك أسباب النعيم على الرغم من الظروف القا سية التي كانت جموع

٣ ـ اغاثة الأمة ٨٢

٤ ـ العصر المماليكي ٣٢٠

الشعب ترزح تحتها ، اذ كانوا يعتمدون في معاشهم على ما يمنحون من اقطاعات غنية ، ولكن هذه الاقطاعات كانت تعاد الى خزانة الدولة بعد وفاة المقطع له ، وقد أنشأت الدولة المملوكية مكتبا خاصا لهذه الشؤون[١] .

وأما الموظفون من غير المماليك فيقسمون الى اقسام هي : أرباب الأقلام ، أي أصحاب الوظائف الديوانية مثل كتابة السر ونظر الجيش والمال والأوقاف وغيرها ، ثم أرباب الوظائف الدينية مثل قضاة المذاهب الأربعة وقاضي العسكر ، والمفتين ووكيل بيت المال ونقيب الأشراف وشيخ الشيوخ والمحتسب والخطباء وشيوخ المدارس والخوانق وغير ذلك ، وهذه الوظائف بعامة موقوفة على العلماء من أهل البلاد . وبالاضافة إلى ما تقدم فهناك أيضا وظائف أرباب الصناعات مثل رئاسة الأطباء ورئاسة الكحالين (أي أ أطباء العيون) ورئاسة الجرائحية (أي أطباء الجراحة) وغيرهم[٢] .

وهذه الوظائف التي تركها المماليك للشعب على كثرتها ليست بذات خطورة أو تأثير في سير احداث الدولة ، فضلا عن خضوعها بعامة لسلطة المماليك حيث يوظفون من يريدون ويقيلون من يشاؤون وهكذا كان الشعب آنذاك خاضعا لأرستقراطية حاكمة قد استأثرت بالحكم والوظائف الهامة ، وحرمته

١ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٢٠
٢ ـ اعلام النبلاء ٣/٣

المشاركة بصورة فعلية ذات قيمة في أمور بلاده ، وصار كل ما يطمح إليه الشعب هو أن يلي أمره سلطان أو نائب عادل يحسن معاملته[٣] .

ومهما يكن من أمر فان العلماء أو أهل العمامة ـ كما كان يلقبهم المؤرخون ـ قد نالوا مكانة خاصة متميزة عند المماليك وبكلمة مسموعة ورأي مطاع ومشورة نافذة في كثير من الأحيان ، وكان المماليك كثيرا ما يفيئون اليهم لعرض فكرة أو دراسة مشكلة أو طلب نصيحة ، وكثيرا ما كانوا ينطوون تحت كلمتهم[٤] ، وذلك لأنهم ـ على ما يبدو ـ أحسوا دائما أنهم غرباء عن البلاد وبحاجة إلى عامة يستندون إليها في حكمهم ويستعينون بها على إرضاء الشعب ، فلم يجدوا أمامهم سوى العلماء لما للدين ورجالاته من قوة وأثر في نفوس الناس .

ولقد اعتد علماء الدين بمكانتهم هذه ، فعمدوا أحيانا الى معارضة سلاطين المماليك وأمرائهم عندما كانوا يحيدون عن الحق ، على أن هذه المكانة الكبرى التي وصلوا إليها لم تمنع بعض السلاطين والأمراء من التعرض لهم بالنقد والتهكم ، كما لم يرض المماليك أن تشاركهم فئة من السكان في ركوب الخيل ، فاشترطوا على السلاطين حرمان المعممين من ركوبها[١] ، ومع ذلك فلا بد أن نشير

٣ ـ العصر المماليكي ٢١٤
٤ ـ عصر سلاطين المماليك ٢٠٣/٤

١ ـ الحياة الاجتماعية في عصر سلاطين المماليك ٣٢

إلى أن المماليك كانوا كثيرا ما ينضوون تحت كلمة علماء الدين ويقفون عند رأيهم[٢] .

وبالاضافة إلى ذلك كان هؤلاء المعممون أو علماء الدين يحظون بحب الناس وثقتهم ، ويبدو أن مكانتهم هذه ، أو ما نالوه من سعة في العيش ، أو كلا الأمرين معا ، كانا سببا في تحرك نفوس بعض الأمراء بالحقد عليه ، ومن ثم التقليل من شأنهم[٣] ، وعلى كل حال فلقد كان لهؤلاء العلماء دور فعال في إنماء الروح الدينية في جميع طبقات المجتمع في حالتي السلم والحرب على حد سواء .

وإلى جانب العلماء كان هناك الأشراف المنتسبون إلى بيت النبوة الشريف ، والذين نالوا احترام المماليك وإكرامهم وتعظيمهم وذلك بفضل نسبهم الشريف ، وكذلك كان أفراد المجتمع يحترمونهم ويبجلونهم ويحبونهم .

وقد حارب المماليك ذلك التيار الماجن المنحرف في كثير من الأحيان بالعنف والشدة مثلما أمر الملك الظاهر بيبرس بهدم المواخير وإغلاق الحانات وإهراق الخمور وحرق الحشيش ، وطبق هذا الأمر بشدة متناهية حتى إنه صلب أحد السكارى قبل أن يصحو من سكرته بعد أن علق الجرة والقدح في عنقه[٤] .

٢ ـ در الحبب ١/٥٧١
٣ ـ المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ٣١
٤ ـ بدائع الزهور ١/١٠٥

وكان إلى جوار هذا اللهو لهو بريء مثل ذهاب الناس إلى ظاهر المدن ولعبهم بالبندق (اسم لعبة قديمة) وغيره وبخاصة في عيدي الفطر والأضحى وغيرهما من المناسبات التي كانت تقام فيها احتفالات كبيرة تشارك فيها العامة والخاصة وتقام فيها المآدب وتوزع الحلوى ويعم الفرح[١] .

وأما بالنسبة إلى أهل الذمة من النصارى واليهود فكانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم في كل مدينة من مدن السلطنة المملوكية تقريبا[٢] ، ولقد كفل لهم المماليك والشعب أيضا حرية العبادة في الكنائس والبيع وحفظها ، بل قد قدمهم المماليك على غيرهم في الوظائف الادارية في بعض الأحيان[٣] ، إلا أنهم قد أمروا ألا يتزيوا بزي المسلمين ، وأن يكون لهم زي خاص أحيانا حتى يعرفوا مثلما أصدر السلطان الناصر قلاوون أمرا يقضي بأن تكون عمائم الذميين صغيرة ، وذات لون أزرق بالنسبة إلى النصارى ، وذات لون أصفر بالنسبة إلى اليهود[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن مثل هذا التمييز لأهل الذمة والتضييق عليهم كان نشازا عن القاعدة التي كانت تعني التسامح ، الأمر الذي يجعلنا نقول واثقين : إن المماليك حكاما

١ ـ اعلام النبلاء ٢/٣٩٩
٢ ـ دمشق الشام ٣٦
٢ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٩
٤ ـ بدائع الزهور ١/١٤٣

والمسلمين شعبا كانوا يعاملون أهل الذمة معاملة كريمة طيبة .

وبالاضافة إلى ما تقدم كان هناك التجار وأرباب الصناعة الذين جعلهم ازدهار التجارة وتقدم الصناعة في هذا العصر أغنياء ذوي ثروات ضخمة تستطيع أن تؤثر في ميزان قوة الدولة المملوكية ، وبخاصة في أوقات الحاجة ، الأمر الذي جعل المماليك يحترمونهم فضلا عن احترام باقي فئات الشعب لهم ، كما أنهم استطاعوا بما ملكوه من ثروات أن يقلدوا المماليك في ترفهم وقصورهم ومعاشهم وغير ذلك .

وتقابل هذه الطبقة المترفة طبقة الفقراء الذين عانوا كثيرا من شظف العيش وشح المال وقسوة الظروف ، ولعل الفلاحين يمثلون أدنى فئات هذه الطبقة نظرا للنظام الاقطاعي الذي كان سائدا آنذاك[٥] .

وأما بالنسبة إلى الأعراب فقد كانوا يعيشون عيشة بدوية قائمة على الأرتحال والغزو ، الأمر الذي جعلهم مصدر خطر دائم على الفلاحين وأهل المدن ، وقد حاول سلاطين المماليك إدخال عشائر البدو في النظام الاقطاعي ، فأضفوا على شيوخ تلك العشائر ألقاب الامارة وأقطعوهم الاقطاعات وفرضوا عليهم التزامات معينة ، أهمها الولاء للدولة وحراسة الطرق الصحراوية وتقديم الرجال وقت الحرب ، ولكن عشائر البدو أنفت من الخضوع لذلك النوع من التنظيمات الحكومية التي تفقدها كثيرا من حريتها ، فأخذت ما في النظام المملوكي من مميزات ، وفي الوقت نفسه تخلت عما فيه من التزامات[١] ، ومع ذلك فقد أسهم هؤلاء الاعراب في الدفاع عن البلاد ضد العدوان الخارجي مثل إسهام آل فضل من بني كلاب في طرد التتار وكسرهم في عين جالوت[٢] .

وأما بالنسبة إلى المرأة في هذا العصر المملوكي فلم تشارك في الحياة العامة أو الرسمية للمجتمع مكتفية بحياتها الخاصة بها وبالأعمال المناسبة لها ، ومع ذلك فإننا نسمع لها صوتا ضعيفا في الشعر مثل بوران بنت الشحنة[٣] ودينا بنت أبي بكر[٤] وغيرهما ، ومن الجدير بالذكر أن كلتيهما من بيت علم وأدب الأمر الذي يعني أنهما استثناء من القاعدة الآنفة الذكر .

هذا بالنسبة إلى المرأة الحرة ، أما الأمة غير الحرة فلم يكن أمامها الحواجز نفسها التي كانت أمام المرأة الحرة ، إلا أنها مع ذلك فقد فقدت كثيرا من المجالات التي كانت مفتوحة على مصراعيها أمامها في بغداد العباسية او القاهرة الفاطمية ، ولعل ذلك يعود إلى ضعف تيار المجون وقوة تيار الزهد ثم إلى تدني نسبة الغنى والأغنياء عما كانت عليه من قبل في العصر العباسي .

٥ ـ مقدمة ابن خلدون ٢٩٤

١ ـ العصر المماليكي ٢٠٧
٢ ـ صبح الاعشى ٤/ ٢٠٤
٣ ـ در الحبب ١/ ٤٠٣
٤ ـ اعلام النبلاء ٥/ ١٩٨

ازمة تصوّر في الأدب

للدكتور / عبدالباسط بدر

في عمق التاريخ ، ومنذ ان وجد الانسان البدائي نفسه في مواجهة الطبيعة ومظاهرها الجميلة والمخيفة ، ومنذ أن واجه الموت في الخطر الداهم ، وأحس بيد خفيه تمتد اليه بالنجاة .. ومنذ أن عجز عن تفسير قضايا كثيرة تمر به بين الحين والآخر .. منذ ذلك الوقت بدأ إحساسه بالقدر وبدأ تعبيره عن هذا الاحساس ، في طقوسه الدينية وابتهالاته .

وعندما عثر على صورة التعبير الفني ، في أناشيد وقصص أولية عبر ـ فيما عبر عنه ـ عن إحساسه القوي بالقدر .

وتكشف لنا دراسات الآثار والنقوش البدائية في الكهوف أن القدر حقيقة رهيبة في حس الانسان القديم يخافها ويتقيها غالبا ، وفي فترات غيبة الأديان السماوية عن المجتمعات

البشرية - بسبب بعد هذه المجتمعات عن الأديان وكفرها - كان الانسان يضع البدائل المختلفة لمفهوم القدر ، ويخترع له الأوصاف ويحيطه بقدر كبير من تصوراته البدائية المختلطة . وكان الأدب يبرز هذه الصورة في أطره الفنية المتنوعة ، ويجعلها في حالات كثيرة مضمونه المهم .

فالأدب اليوناني - وهو الجذر المشترك للآداب الأوروبية كلها - كان شديد الاهتمام بالقدر ، يتخذه موضوعا لعدد من مسرحياته ، ويبرزه في ملاحمه وشعره الثنائي ورواياته السانجة ، وكانت صورة القدر مشربة بالوثنية العميقة ، وبتصورات الانسان السوداء .. تجعله ظلما محضا ، ينصب على الانسان المظلوم ويحاصره باللعنات والمصائب ويدخل معه في صراع مرير .

وقد أفاضت العقيدة اليونانية الوثنية هذه الصور على الأدب اليوناني ، وتفنن الأدباء في تلوينها بألوان قاتمة ، وكأنها تستجدي العطف للانسان ، وتشحن المتلقين بمشاعر سوداء إزاء القدر لتزيد في وثنيتهم وضلالهم . ويكفي أن تقرأ مسرحية أوديب لأديب اليونانيين الكبير سوفوكليس لترى أي إسفاف وأية قتامة في تصويره للقدر .

ولم يكن الأدب الروماني أحسن حالا من أستاذه الأدب اليوناني ، فقد أخذ عنه - فيما أخذ - تلك الصورة المضطربة للقدر ، وعرضها في أعماله الأدبية ، فأنت تلقاها في الأليـاذة ملحمة الأدب الروماني الكبرى بل وحتى في مسرحيات بلوتوس الفكاهية الساخرة .

وقد ورثت الآداب الأوروبية - منذ عهد النهضة حتى اليوم - هذه القضية من الأدبين اليوناني والروماني ، فالأوروبي المعاصر هو حفيد الاثيني والروماني ، وتصوره للكون والعلاقة بين الله والانسان او بين الطبيعة الغامضة عند الذين لا يؤمنون بالله والانسان لا يختلف في خطوطه العامة عن تصور سوفوكلس ويوربيدوس وفرجيل وبلوتوس خاصة وأنه تلون بموجات الالحاد ومعاداة الكنيسة التي بدأت في عصر النهضة واستمرت مدة طويلة ، وقد استبدل الأديب الأوروبي في بعض الحالات به قدرا آخر كالطبيعة أو الظروف أو قوة المجتمع ، وحاول أن يفسر الألوهة في صورة مادية محسوسة بعيدة عن الغيبيات ، دون أن يسقط قضية الصراع منها ، وهي القضية الكبرى في التصور اليوناني الوثني .. بل ان الأديب الأوروبي قد قدم صورة للقدر لا تختلف عن الصورة اليونانية الا في بعض التفصيلات الصغيرة التي - تقتضيها طبيعة الفلسفات الجديدة . فظل الانسان في هذه الصورة مظلوما مقهورا ، وظل في صراع مع القوة الغامضة الجديدة ، ينهزم أحيانا وينتصر أحيانا ، وقد حمل المسرح الأوروبي منذ العصر الكلاسيكي الجديد وحتى عصرنا الحاضر أشكالا من هذه الصورة القاتمة ، وجسد صراع الانسان المتوهم مع الألوهة وصور القدر ظلما مطلقا ينصب على

الانسان المسكين ، ولعل أقسى صورة وأكثرها اضطرابا وقتامة هي ـ ما حملها المسرح الغربي منذ قرن حتى الآن .. ولو استعرضنا مسرحيات آرمان سلاكرو وجان كوكتو وموريس مترلتل والبيركامي وجان بول سارتر فسنجدها تقوم على فكرة الصراع مع القوة الخفية والآلام المضخمة التي يعانيها الانسان الغربي نتيجة لهذا الصراع . ووجود قضية القدر في هذا الحجم الكبير في المسرح الغربي عامة ـ والمسرح المذهبي خاصة ـ دليل على ان المسرح المعاصر يعترف بالقدر ، ويخاف منه ويبحث من خلال تصوره الخاطىء له عن براءة للفرد الأوروبي من ذنوبه وإلحاده وتناقضاته ، ويسعى جاهدا للتخلص من تبعة الذنوب والالحاد والتناقضات ، وإلقائها على قوة غيبية لا يريد أن يبحث عن حقيقها .

ان الضلال العميق الذي لف الفكر الأوروبي في عرام إلحاده ، والذي تسلل الى الأدب وصار أحد محاوره الكبيرة جعل الأديب الغربي يتوهم انه لا مجال لان يلتقي قدر الله وارادة الانسان في انسجام وتوافق ، وان الله ـ تعالى الله عما يأفكون ـ لا يمد يده الى الانسان في ساعات يأسه وتخبطه وحيرته ليرفعه الى آفاق الأمل ويبصره الطريق الذي يجب أن يسلكه صوب مصيره .. وأنه لا مجال لأن يكون القدر صديقا حميما للانسان ـ لا عدوا لدودا ـ يهديه اذا ضل الطريق ، ويسرع به اذا أبطأته احداث الزمن .. فراح الأديب يصرخ بهستيرية عجيبة . لماذا الحياة ؟ وما المصير ؟

ومادام الأديب الغربي في ضلاله لن يقع على الجواب الصحيح ، وكل هذا لم يكن يهمنا ولا يقلقنا ـ بقدر ما يهمنا ويقلقنا اليوم ـ لو لم يتسرب الى أدبنا العربي الحديث وأدبائنا المعاصرين .

فثمة قدر من الأدباء أقبلوا على الثقافة الغربية ، ولم يكونوا قد ارتووا بعد من أصولهم العقدية . ولا من تراثهم الأدبي .. وأعجبوا بالأدب الغربي ومذاهبه ، وفتنهم مسرحه بما يملكه من معطيات العصر الهائلة ولم يحسوا بما فيه من أمراض قاتلة . وما لبثت العدوى أن دبت فيهم .. وما لبث إنتاجهم الأدبي أن حمل جراثيم كثيرة .. أخطرها هذا التصور القائم للقدر .

والمدهش في الامر أن عددا من الأدباء لم يدرك بعد خطورة هذا التصور ، ولم يشعر أنه أحاط بانتاجه الأدبي في سداه ولحمته دون أن يدري فإذا به يناقش في شعره أو قصته أو مسرحيته قضايا الحياة والموت ويبث في شخصياته الأدبية التي ينشئها شعور العبث والظلم ، ويجري على السنتها عبارات الخصومة والتمرد والصراع ، وكم من رواية تسود بضع مئات من الصفحات لتقول لك أن الحياة عبث لا طائل وراءه ، وأن الانسان مقهور شاء أم أبى ؟ وكم من مسرحية تشد إليها جمهورا عريضا ، تضحكهم وتبكيهم وتزرع فيهم اقتناعا بأن الانسان عليه أن يخلص

حقه من قوة غيبية تخاصمه ؟ وكم من قصيدة وقفت تتعجب من الموت وتسأل في جهل ووقاحة ، لماذا الموت ؟

هل من حاجة لأن أذكر قصائد ومسرحيات وروايات في هذه القضية ؟ وهل من حاجة لأن أذكر أسماء أصحابها ؟ لا أعتقد أن أحدا من المهتمين بالأدب يجهل هذه الأعمال الادبية وموضوعاتها ، ولا أعتقد أن أحدا منهم ينكر أنها بعض من تأثير الغرب فينا .. ولكن الامر الذي يتردد فيه بعضهم ، بل أكثرهم هو أن تقول لهم إن هذه هي الصورة الغربية الشوهاء للقدر ، وأنها تسلك إلى أدبنا وأدبائنا بعلمهم أو بجهلهم بتتلمذهم الطويل والمؤسف لهذا الأدب .

إن تراثنا الأدبي بريء من هذه الصورة الشوهاء ، فلا تجد أديبا يدعى أن بين الانسان وخالقه صراعا أو خصومة .. ولا تجد قصيدة تنعت القدر بالظلم والجور ، حتى قصائد الرثاء القوية ، تبكي المفقودين بحرقة كبيرة ، ولكنها تسلم بأنه القدر ، وأن القدر عدل وحكمة .

والذين تأثروا بهذا التراث بدءا بالبارودي في الشعر ومحمد حسين هيكل في القصة ، وصولا الى المعاصرين الاصلاء كعمر أبي ريشة وهاشم رشيد ونجيب الكيلاني وغيرهم كثيرون قد رسموا في أدبهم صورة ناصعة للقدر تستمد خيوطها من التصور الاسلامي التقي .

غير أن ركاما من الاعمال الأدبية لأدباء آخرين تجعلنا ندق أجراس الخطر ، وننبه الأدباء والنقاد والجمهور إلى الصورة الشوهاء التي تفد إلى ساحاتنا الأدبية من الأدب الغربي ، ولو استمر هذا الزحف الأسود - لا سمح الله - فسوف ينشيء قطيعة مريبة بين أدبنا الحديث وتصوراتنا العقدية .

إن الأدباء والنقاد مطالبون بالتنبيه لهذا الخطر ومواجهته ، ولا بد أن يتخلص الأديب من آثار الصورة الغربية الشوهاء للقدر ، ولا بد أن يتجرد الناقد لتمييزها ورفضها وتحذير الجمهور منها .

وليس أجمل من أن يعود هؤلاء جميعا إلى الرؤية الاسلامية الناصعة للقدر .. فيرون أنه إرادة الله الحكيم الخبير اللطيف الرحيم العادل . وأن هذه الارادة تتصل بصفات الله مباشرة .. وتحنو على الانسان المخلوق ، وترتب أحداث حياته وفق حكمة ظاهرة حينا ومغيبة أحيانا كثيرة . لكنها موجودة لا تنعدم أبدا .

وعندما يرتبط أدبنا بهذه الصورة ارتباطا كليا فسوف يحمل القضية الانسانية والعميقة ، ويفهم حقيقة الانسان وحقيقة الحياة .. بل وحقيقة الكون كله .

وليس أبرع ولا أصدق من أدب يصدر عن فهم عميق لكل هذه الحقائق .



شهر الأنعم الحسان

للاستاذ : اسامة محمد المنياوي

أنعم الله عز وجل في رمضان - بفضل منه ورحمة - على العباد ؛ بنعمتين جليلتين هما : بعثة محمد صلى عليه وسلم الى الناس كافة ، بهذا الدين الحنيف اليسر السمح ، القائم على العدل والاحسان . كما أنعم جل علاه بأن أنزل على رسوله في الشهر نفسه أول ما أنزل من الكتاب الكريم .

ومن هاتين النعمتين تأتي النعمة الثالثة الجليلة وهى الاسلام ، ذلك الصراط المستقيم الذى ارتضاه الله تعالى للانسانية كلها دينا .

وانه لحق على كل مسلم اذا جاء شهر رمضان ، أن يستقبله وفي نفسه اكبار وتقدير لهذه النعم عليه وعلى الناس - فان اختيار الرسول واعلاء قدره ، واصطفاءه من خير خلقه ، وارساله الى من بعث اليهم لدليل على عناية الله تعالى بمن أرسله اليهم كعنايته بمن أرسل .. فالله عز وجل اصطفى محمدا من خير خلقه ، وابتعثه الى خير أمة أخرجت للناس .. فكان حقا على المسلمين أن يذكروا نعمة الله عليهم اذ أرسل فيهم رسولا منهم .. وقد عد ربنا جل علاه هذه النعمة وسجلها في كتابه الكريم وأمر بشكرها اذ يقول : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) البقرة / ١٥١ - ٢٥١ .

السنة الدينية والسنة الهجرية :

شهر رمضان فيه عيد ميلاد القرآن ، وفيه عيد ميلاد محمد الرسول ! في ربيع الأول ولد محمد بن عبد الله ، وفي رمضان ولد محمد رسول الله ! كان في ربيع الأول بشرا كسائر البشر وأصبح في رمضان بشرا يوحى اليه .

ولئن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولد في ربيع الأول بشرا ، فان الاسلام قد ولد وبدأ في رمضان .. ومن هنا كان رمضان شهر الذكريات الاسلامية الخالدة الماجدة ، وموسم الأنعم الحسان .. التى كان النبى

صلى الله عليه وسلم يقدرها حق قدرها ، فيحتفل بها احتفالا يكافىء عظمتها وجلالها .. ولقد كان يبدأ احتفاءه منذ أن يتراءى هلال شعبان .. استعدادا واعظاما لرمضان ..

أجل لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يبدأ الاحتفال برمضان منذ يهل شعبان .. فيصوم منه أكثر مما يصوم في شهر غيره سوى رمضان ..

قالت عائشة رضى الله عنها : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهرقط الاشهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان .)رواه الشيخان .

ولما سئل رسول الله عن سر صيامه في شعبان قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه ، بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين . فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (رواه أبو داوود والنسائي وصححه ابن خزيمة) .

ذلك بأن السنة الدينية تبدأ برمضان ، شهر الاسلام والقرآن والرسول .. فكان من الطبيعي أن يكون ختامها شعبان ..

ان رمضان رأس السنة الدينية التى ترتبط بالذكريات الاسلامية العزيزة وعمل المرء وعبادته .. أما المحرم فرأس التقويم للدولة الاسلامية ؛ الذى اختار الفاروق عمر حادثة الهجرة مبتدأ له ، وكان موفقا حين اختار حادثة فذة ليؤرخ بها ظهور الدولة الاسلامية ووجودها في الواقع .. تم بها تحويل الفكرة الى تطبيق عملى يترجم عن الحقائق الجديدة للدولة الوليدة .

أما التقويم الدينى ، المتعلق بالبعثة والقرآن والاسلام ـ فهذا تقويم يبدأ ـ ولاشك ـ مع البعثة النبوية ، وانزال الكتاب ، وولادة الاسلام .. وكل ذلك وقع في رمضان ..

فرمضان هو بداية السنة الاسلامية الدينية ، التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختتمها في شهر شعبان , بالاجتهاد في الصوم اعدادا لرمضان ، وليرفع عمله ويعرض على الله عز وجل وهو صائم ..

وهو تقويم للعمل الاجمالى ،ووقفة مع النفس .. وما أحوج المرء المسلم الى مثل هذه الوقفة ! يقوم بها عمله ؛ ويحاسب نفسه .. ويلتمس لما قدم من صالح عمله حسن القبول .. وليستقبل رمضان رأس السنة الدينية بقوة .. ذلك عمل السنة يرفع الى الله تعالى في شهر شعبان ، أما أعمال الأسبوع فانها تعرض على الله تعالى شأنه يومى الاثنين والخميس .. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم هذين اليومين أكثر ما يصوم ..

روى أحمد عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس .. فقيل له (أي سئل عن سبب ذلك) فقال : ان الأعمال تعرض كل اثنين وخميس ، فيغفر الله لكل مسلم ، أولكل مؤمن ، الا المتهاجرين ، فيقول : أخرهما .

وروى مسلم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه .

منهج الرسول في رمضان :

فاذا أتى رمضان ، وحل بالبركة والخير على الأمة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لـه في الاحتفاء به - شكرا لله على تلكم الأنعم الغوالى - نهج فذ يمكن اجماله في هذه الخلال الأربع : الأولى : كان صلى الله عليه وسلم يكثر من تلاوة القرآن ومدارسته في ليالي الشهر المبارك .. فقد روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل - وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان - فيدارسه القرآن ..فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

والروح الأمين يتنزل بأمر ربه طول العام ، وفي رمضان ينزل كل ليلة يتدارس مع النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل من القرآن منجما ، جبريل عليه السلام يتلو والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع . والنبى صلى الله عليه وسلم يقرأ وجبريل عليه السلام يستمع ويفسر مصداقا لقوله تعالى : (**لاتحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه**) سورة القيامة ١٦/ ١٩ فلا يشذ عنه كلمة ولا حرف .. ولا سبيل للشيطان عليه أن يزيد حرفا أو ينقص حرفا .. لأن الله تكفل بحفظه ، وزاده نعمة فتكفل ببيانه .. وكان جبريل يقول في معارضة ما نزل من القرآن على مدار العام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ضع آية كذا في مكانها من سورة كذا .. قبل آية كذا وبعد آية كذا .. فترتيب الآيات توقيفي عن جبريل عن الله عز وجل ، لا اجتهاد لأحد فيه .. وكان هذا يتم كل عام في شهررمضان .. وحين عارضه جبريل عليه السلام القرآن وهو يدارسه مرتين ذات رمضان .. علم رسول الله عليه وسلم أنها المراجعة الأخيرة ، وأن أجله قد حان .. اذ أكمل الله الدين ، وأتم النعمة ورضى الاسلام دينا ..

ولهذا فمن السنة أن يكثر المسلم الصائم في شهر رمضان من تلاوة القرآن ومن مدارسته .. تلاوة تدبر وتفكر .. فليست العبرة بكثرة التلاوة ولكن بالتدبر فيها .. يجلس الناس الى العالم ، كما يجلس العالم الى العالم .. كما كان النبي الكريم يجلس الى جبريل يتلوان القرآن ويتدارسانه في كل ليلة من رمضان ..

وفي مثل هذا يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ما جلس قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه ، الا غشيتهم الرحمة ، وتنزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الملائكة بأجنحتها ، وذكرهم الله فيمن عنده . (رواه مسلم)

الثانية : كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصلاة والتهجد في رمضان ، فيقوم ليله كما روي الجماعة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره

على احدى عشرة ركعة - فقد صلى أربع ركعات لا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم صلى أربعا لا تسل عن حسنهن وطولهن - ثم صلى ثلاثا - وكان يقوم حتى تنفطر قدماه في بيته كيلا يشق على أصحابه (وأفضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكتوبة) رواه النسائي والطبراني - بعيدا عن الرياء والسمعة واخلاصا لله .. وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكربه شيء ويشغله ويطيل السجود له كما تكربه الشفقة على هذه الأمة - ولما قام الليل ، رآه بعض أصحابه فصلى بصلاته .. فلما أصبحوا تداعوا فيما بينهم وانتشر الخبر ، فأقبل نفر كثير فصلى فصلوا بصلاته .. وفي الليلة الثالثة كانوا أكثر عددا .. فلما كانت الليلة الرابعة قال صلى الله عليه وسلم : لم يخف عليّ صنيعكم ، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .

فبما فطره الله عليه من الرحمة ، أشفق على الأمة أن يحل بها ما حل بمن سبقها من التقصير والفتور - فجعل الأمر موكولا الى كل امرىء وما يستطيع .. فمن استطاع قيام الليل بركعتين حسنتين فنعما يفعل .. فان زاد على ذلك فان الله ذو فضل عظيم ..

وهكذا كان قيام رمضان على عهده صلوات الله وسلامه عليه .. قام إماما ثم ترك لعلة هى خشيته أن يشق على الناس لحبهم أن يتأسوا به ويقتدوا به في الأمر كله .. وكانوا يحرصون كل الحرص على اتباعه .. وكثيرا ما كان ينهاهم عن ذلك بقوله : اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ، وان أحب العمل الى الله أدومه وان قل » . (رواه أحمد وأبو داوود والنسائي .)

فلما قبض رسول الله ولقى ربه ، وانقطع الوحى وكمل الدين ، وأصبحنا في أمن من فريضة تفرض لم تكن قد فرضت من قبل .. رأى عمر رضى الله عنه ان يجمع الناس في رمضان على امام يصلى بهم القيام .. ورتب لهم ثلاثة أئمة .. أحدهم يطيل لمن يطيق قيام الليل كله .. وآخر يتوسط لمن تكون همته وطاقته دون ذلك ، وثالث للمستضعفين .. يصلى بهم صلاة حسنة هينة خفيفة في تمام .. فلا يحرم أحد من عبادة يستطيعها .. !

فصل ما شئت ، ولكن جود ما استطعت وأحسن القراءة فيها ان كنت لا تريد ان تزيد على الثماني، أخذا بحديث عائشة الذى ذكرنا .. ولكن كن أقرب الناس شبها بصلاتهم .. فان لم تستطع ان تقوم قيامهم ، وان تقرأ قراءتهم أو قريبا منهم .. فالزم من الركعات ماتعوض به ما فاتك من التسبيح والتهليل وقراءة القرآن ..

وليس من البر المماراة في عدد الركعات .. وليس ما يدعو للخلاف والهرج والعيب على من صلى القيام عشرين وأنه مبتدع ! .. فانه انما رغب في طاعة الله ..ولم يحدد رسول الله لقيام الليل حدا يقف عنده المرء .. وانما هي سنة .. وهذا ما صنعه أمير

المؤمنين عمر .. وما يزال معمولا به الى اليوم في كثير من بلاد المسلمين .. وبخاصة في المسجد الحرام ..
أو صل القيام في بيتك ، وكن اماما لأهلك .. صل أربعا أو ثمانيا أو أقل من ذلك أو أكثر .. وقدم بين يديك بقدر ما تطلب من ربك غدا .. !
الثالثة : وخلة ثالثة كريمة في الاحتفاء برمضان ، تتمثل في بره صلى الله عليه وسلم المضاعف وعطائه المزيد .. في هذا الشهر المبارك .. وهو طوال عامه جواد ماجد .. يعطى ولا يقول لسائل : لا مادام يجد .. فان لم يكن عنده وعد ووفى .. كان أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان .. كان يبارى نفسه جودا وسخاء .. فيتفوق عليها .. وبذلك لا يقتصر على الصلاة فانها عمله وخاصة به .. ولكن يزيد عليها ويضيف اليها البر والجود .. فيحكم الصلة فيما بينه وبين الله بقيام الليل والصلاة .. ويحكم الصلة فيما بينه وبين الناس بالجود والسخاء الذى فطره الله عليه .. والانسان ليس يكمل الا باجتماع الخصلتين فيه .. والصلاة والصلة في الاشتقاق من مادة واحدة .. وذلك من أثر الصيام وحكمته .. حين يمتنع المؤمن اختيارا عن مطعمه ومشربه وشهوته ... فيذكره ذلك بالممتنعين اضطرارا .. وهذا يعمق في النفس شعورها بالآخرين .. ويرقق الأفئدة .. ويرهف وجدان الأمة المرحومة الراحمة ، ويوجهها الى نهج التكافل والتراحم والإخاء ... وحين ينزل جبريل ويدارسه القرآن .. كانت يداه تفيضان بالندى ... وكان رمضان سوق خير ينتظره الفقراء والمحرومون بلهفة .. وقد حث رسول الله من وجد طعاما ان يشارك فيه اخوانه الصائمين .. ووعد ان يكون له مثل أجر من أفطره .. واكتمل سبب الجود بما استن الصادق المصدوق من صدقة الفطر اختتاما للشهر الكريم ذي البركات : طهرة للصائمين ، وطعمة للمساكين ، وعيدا للبر والحب يشمل سائر المسلمين .
الرابعة : كان صلى الله عليه وسلم يلتزم المسجد ليلا ونهارا ويظل معتكفا لا يخرج منه الا لما تقضى به الضرورة البشرية .. وذلك في العشر الأواخر من رمضان ـ روى أحمد عن أنس قال : كان اذا كان مقيما اعتكف العشر الأواخر من رمضان ـ واذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين . ذلك لأن الاعتكاف في المسجد قربة مشروعة من القربات التى عطلها المسلمون أو كادوا .. وحقيقة الاعتكاف : المكث في المسجد بنية التقرب الى الله تعالى .. ويظل رسول الله في طاعة وذكر وعبادة وتلاوة للقرآن ومدارسة له ، وعمل للبر والخير .. وفي مكنة كل مسلم اليوم ان يصيب من هذه السنة المحمودة بقدر ما تواتيه ظروف معيشته .. بعد ان يكفى نفسه وأهله حاجتهم ... فمن استطاع اعتكف عشرا أو ثلاثا أو يوما واحدا .. بل عدة ساعات من نهار او ليل .. فلا يحرمن أحد نفسه من خير ما وسعه .. وديننا قائم على اليسر ونفى الحرج .. ولله الحمد .

الفتاوى

بمناسبة شهر رمضان المبارك وردت اسئلة كثيرة للمجلة من الاخوة القراء مع ثنائهم على المجلة بصفة عامة وعلى باب الفتاوي الذي يعالج كثيرا من المشكلات .
ونجيب بتوفيق الله تعالى في هذا العدد عن الأسئلة الخاصة بالصوم وأحكامه :

« الصيام ورؤية الهلال »

يسأل الأخ القارىء المهندس إيهاب محمد عيسى مصر الجديدة فيقول لماذا لم يتفق المسلمون على يوم واحد في بدء شهر رمضان ثم يقول عند رؤية الهلال في أي شهر هل يجب على من يراه دعاء مخصوص ؟ وما هو الدعاء المطلوب في رمضان ؟

ياأخي الاختلاف في بداية شهر رمضان يرجع إلى أن رؤية الهلال تختلف من قطر إلى قطر . ومعلوم أن شهر رمضان يثبت برؤية هلاله لقول الله تعالى (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** ..) والهلال يظهر لأهل المشرق قبل أهل المغرب ، فمن رآه ثبت لديه بداية الشهر ووجب عليه الصيام . ومن التمس الهلال ولم تثبت رؤيته لا يبدأ الصيام ويكمل عدة شعبان ثلاثين يوما . والفقهاء في هذا الموضوع لهم بحث طويل ، فكثير منهم يرى أنه إذا رئى الهلال في بلد وجب الصيام على جميع البلاد الأخرى . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته) . وهذا خطاب عام لجميع الأمة ، فمن رآه منهم في أي مكان يعتبر ذلك رؤية للجميع من أهل الأماكن الأخرى . وفريق آخر من العلماء لا يلتزم بهذا ويقول المعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم للهلال . ورؤية غيرهم له دونهم لا تلزمهم هذا هو سبب الاختلاف في رؤية الهلال وثبوت شهر رمضان أحيانا . وتوجد حاليا محاولات إسلامية لتوحيد بداية الأشهر العربية والأعياد والمواسم الاسلامية . وذلك ببحث ثبوت الرؤية مع الاستئناس بالحساب الفلكي . ويميل كثير من العلماء إلى وجوب

الصوم على أهل البلد الذين رأوا الهلال وعلى البلاد التي تكون معهم على خط عرض واحد وهذا يتفق مع الواقع لامكان رؤيتهم جميعا له .

أما الدعاء عند رؤية الهلال فليس واجبا بل هو مستحب ، بمعنى أنه يستحب للمسلم إذا رأى الهلال أن يدعو الله بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، والأفضل الدعاء بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا رأى الهلال قال الله أكبر . اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله . ومن لم يحفظ هذا الدعاء يدعو بما فيه خير ويستقبل الشهر الجديد بالتضرع والدعاء ، وخاصة شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

أما في رمضان فالصائم يدعو وأمله في الله كبير أنه لا يرد دعوته . روى الترمذي بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر والامام العادل . والمظلوم ، يؤيد هذا ما رواه ابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند الافطار : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، هذا الدعاء وغيره فيه شكر لله وثناء عليه وإقرار بفضله وعونه .

(حكم النية في الصيام)

القارىء عبد الجبار حسن من البصرة **يقول في بعض ليالي رمضان أنسى أن أقول نويت الصيام فهل صيامي صحيح أم باطل ؟ وإني أعرف من دراستي أن النية شرط أساسي في العبادات .**

★ نعم يا أخي لا بد من النية وأن تتحقق قبل الفجر وفي أي جزء من أجزاء الليل في صيام رمضان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) ومعنى (من لم يجمع) من لم يأت بالنية ويعزم عليها ولقوله صلى الله عليه وسلم (من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له) ولكن إذا تسحر الصائم فالسحور يعتبر نية . وإذا كان عنده عزم على ترك المفطرات هذا العزم يعتبر نية . التلفظ بالنية غير ضروري لان النية محلها القلب . فلو قال الصائم باللسان نويت الصيام مع العزم بالقلب أجزأه ذلك وإن اقتصر على النية في قلبه أو أدى عملا يؤكد النية صح صومه ولو لم يتلفظ بها والفرق بين النية في صوم رمضان والنية في صوم التطوع . ان النية في رمضان لا بد من تبييتها ليلا وصدورها قبل الفجر . أما

التطوع فالنية فيه جائزة في النهار قبل الزوال فلو اصبح المسلم ولم يفطر وأراد أن يصوم ينوي الصيام تطوعا وينعقد صيامه ولو لم يبيت النية . أما صيام رمضان فلا بد فيه من النية ليلا .
والدليل على جواز النية نهارا في صوم التطوع أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة رضي الله عنها ذات يوم وقال هل عندكم شيء ؟ قلنا لا ـ قال : فإني صائم .

(حكم من مات وعليه صيام)

قارئة من الكويت تقول : **مات والدي وأنا إبنته الوحيدة وكان مريضا وأفطر في شهر رمضان لمرضه فما هو المطلوب مني حتى تبرأ ذمته من صيام رمضان** ؟

★ السؤال كان يحتاج إلى توضيح أكثر بمعنى هل ظل والدها مريضا حتى مات أم إنه شفي بعد ذلك مدة توازي الأيام التي أفطر فيها ؟
على أي حال لو استمر المرض حتى جاء أجله لا شيء عليه لقول الله تعالى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** البقرة/ ١٨٥ ولم يتحقق ذلك حتى يمكنه أن يقضي ما عليه ما دام المرض قد لازمه حتى الوفاة .

أما إذا كان قد شفي من مرضه مدة بقدر الأيام التي أفطر فيها ولم يصم فجمهور الفقهاء يرى أن (وليه) والمراد بالولي القريب سواء كان عصبة أم وارثا . لا يصوم عنه ويطعم عنه مقدار قدحين أو قيمتهما عن كل يوم .

وأن كان المختار من مذهب الشافعية أنه يستحب لولي الميت أن يصوم عنه وبذلك لا يطعم عنه لو شاء وإستدلوا على ذلك بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من مات وعليه صيام صام عنه وليه) ولما روى أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه ؟؟ عنها فقال : لو كان على أمك دين كنت قاضيه قال نعم قال فدين الله أحق أن يقضي .
بهذا فالأخت صاحبة السؤال بالخيار إما أن تطعم عنه كما يرى الجمهور أو تصوم كما يرى بعض الفقهاء
هذا إذا كان أبوها مات بعد الشفاء بمدة ولم يقض ما عليه من صيام أما إذا استمر عجزه عن الصيام حتى مات فلا إطعام ولا صيام .

« اصرف بصرك »

قارىء من مدينة الاسكندرية يقول : **أحاول المحافظة على الصوم ولكني بحكم عملي في محل بيع الألبسة النسائية يقع نظري على بعض النساء السافرات وأنا صائم فماذا أفعل وأنا مضطر للتعامل معهن** ؟!

★ يا أخي الكريم النظرة العابرة البريئة لا إثم فيها بل الاثم في تكرار النظرة وإطالتها لأنها تثير الغريزة وخاصة إذا كان هذا التوجه إلى امرأة ذات جمال في كامل زينتها . من أجل ذلك أمر الله سبحانه بغض البصر أمر به الرجال والنساء في قوله سبحانه : **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون)** ثم يقول **(وقل للمؤمنات يغضضن أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ..)**

والغضة من البصر ليس معناه إغلاق العين أو أن يمشي الانسان وقد أغمض عينه أو يمشي مطأطىء الرأس حتى لا يقع نظره على محرم ، هذا أمر ليس في الامكان وبالتالي لا يكلف به الانسان لأنه ليس مستطاعا له . ولكن معنى الغض عدم إطالة النظر أو الاسراف فيه سواء كان من الرجل أو من المرأة وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم النظرات الجائعة المشبوهة من أحد الجنسين إلى الآخر نوعا من الزنا فقال (العينان تزنيان ورتاهما النظر) وسمى ذلك زنا لأنه نوع من التلذذ وإشباع الغريزة الجنسية في أمر محرم شرعا والنهي يتناول الصائم وغير الصائم ليحرص المسلم دائما على النظرة أن تكون أمينة عفيفة لا نقول لك امتنع عن العمل ما دام هذا العمل وسيلة رزقك ولا وسيلة لك غيره إلا إذا كانت الفتنة قد أخذت طريقها إلى قلبك فيجب أن تبحث عن عمل آخر تطمئن فيه على دينك وخلقك والمطلوب منك في رمضان وغيره أن تحذر المحرم من النظرة غير البريئة ومن محاولة تعمد الحديث معهن في غير مصلحة العمل ، النظرة الفجائية لا إثم فيها فعن جرير بن عبد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال اصرف بصرك ـ يعني لا تعاود النظر مرة أخرى أنت بمراقبتك لله تستطيع أن تتجنب فتنة النظر ومما يساعد على ذلك ألا تخرج السافرة بصورة تشد الأنظار وتدعى أنها صائمة تخرج متعطرة وتدعى أنها صائمة تتكسر في مشيتها وتتعمد الحركات المثيرة بلا خجل ولا حياء على هؤلاء وأمثالهن الالتزام بآداب الاسلام ففيها الجمال والكمال وبها تسمو القيم الأخلاقية الفاضلة .

مع الصحافة

• عن عودة السوفيات إلى المنطقة

نشرت مجلة الايكونومست البريطانية حول هذا الموضوع مقالا في الأسبوع الأول من شعبان جاء فيه :

يبدو ان الدب الروسي بدأ في العودة الى الشرق الأوسط من جديد ، الا أن العسل ما يزال بعيدا عن متناوله بعد . ففي الشهر الماضي ، وافق الرئيس المصري مبارك مبدئيا على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع موسكو ، بعد انقطاع في العلاقات بين البلدين منذ ١٩٨١ ، بعد طرد السادات للسفير السوفياتي حينذاك ، والعراق من جهته بدأ في تغيير لهجته مع موسكو لتصبح أكثر ودا بعد أن أصبحت موسكو أكبر مورد للسلاح الذي يحتاجه العراق في حربه الحالية مع ايران .

وفي الوقت الذي لا تشعر فيه الولايات المتحدة بالرضى عن الانجازات الدبلوماسية الروسية تلك ، فانها لا تعتقد بأنها تشكل تحولا خطيرا في نفوذ الدول الكبرى في المنطقة . والرئيس المصري في موقفه الجديد لا شك مدفوع بعاملين ، الأول يتعلق برغبته في الحصول على بعض قطع الغيار للأسلحة السوفياتية التي ما يزال الجيش المصري يستخدمها منذ الستينات ، والثاني ، يحاول الرئيس مبارك منذ توليه زعامة مصر اجراء تعديل على سياسة بلاده الخارجية بدون المساس بمعاهدة الصلح التي تربطه باسرائيل واضعاف علاقته الاقتصادية والعسكرية مع الولايات المتحدة ، الأمر الذي يعني محاولة الظهور بمظهر الأقل تبعية للولايات المتحدة من سلفه السادات ، على الأقل في أعين العرب ، ولعل في دعوة ياسر عرفات مؤخرا نقل مقر منظمة التحرير الى القاهرة دليل على نجاح سياسة مبارك التقاربية مع العرب .

في بداية حرب الخليج ، حاول الاتحاد السوفياتي اتخاذ موقف حيادي ، الا أنه سرعان ما فقد الأمل في اكتساب نظام آية الله كصديق ، وخاصة بعد ملاحقة حزب تودة الشيوعي المؤيد لموسكو في العام الماضي . كما يبدو أن الروس قد تناسوا الاجراءات القمعية العراقية بحق الحزب الشيوعي في أواخر السبعينات . الا أن الروس مصممون الآن على منع سقوط النظام العراقي وقيام حكومة دينية متشددة على غرار الوضع في ايران ، وكذلك على منع تحول العراق الكامل باتجاه أميركا وانضمامه للتكتل العربي الحالي الذي يضم الأردن ومصر والسعودية . ففي صيف ١٩٨٢ بدأ الروس في شحن الأسلحة الى العراق بشكل أبعد بغداد عن الولايات المتحدة ، وفاق محاولات التسليح الفرنسية وغيرها من المصادر الغربية . وفي مارس الماضي وافق الروس على مساعدة العراق في بناء مفاعله النووي الذي سيحل

محل المفاعل القديم الذي قام الاسرائيليون بتدميره في غارة جوية عام ١٩٨١ .
وفي لبنان حيث تعتبر خسارة الولايات المتحدة هناك بمثابة كسب للروس ، اتبع هؤلاء أسلوبا حذرا في التحرك ، فهم راضون عن نجاح السوريين في فرض موقفهم القاضي بقدرتهم على افشال أي اتفاق لا يحوز على موافقتهم . كما أنهم يحاولون جاهدين التوفيق بين الرئيس الأسد وياسر عرفات ، وهي مهمة لن تكون بالسهلة ، ولن يقل عن ذلك سهولة الموقف الروسي القاضي بضرورة اعتراف العرب باسرائيل في نهاية الأمر ، وعليه فان هناك حدودا لحرية الحركة التي تتمتع بها السياسة السوفياتية في المنطقة فسورية هي الوحيدة التي ما زالت الصديقة ذات الشأن هناك ، في حين أن كلا من مصر والعراق ما يزالان يعارضان الخطط السورية الرامية للهيمنة على المنطقة . ومن المستبعد في الوقت الحاضر أو المستقبل المنظور حدوث تقارب بين سورية ومصر أو تقارب سوري عراقي .
الروس ولا شك سيحاولون مدفوعين بالرغبة في تحقيق أفضل العلاقات مع المعسكرين في العالم العربي ، سيحاولون اقناع الأسد باعادة فتح أنابيب النفط العراقية عبر سورية ، وسيعتبر نجاحهم في ذلك ضربة موفقة وانجازا كبيرا للدبلوماسية الروسية . الا أن أهداف روسيا الآنية متواضعة بعض الشيء . فكل ما يطمع به الزعيم السوفياتي تشيرنينكو حاليا هو عودة السوفيات الى الشرق الأوسط والقبول بدوره القديم . ومع ان خطواته الأولية بهذا الشأن حتى الآن تعتبر موفقة وذكية ، الا أنه ما يزال بعيدا عن تحقيق هدفه المنشود .

● عن رغيف العالم الثالث

نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٧٧ للسنة السابعة مقالا عن تقرير لمدير البنك الدولي حول تعرض بلدان العالم الثالث لعملية نهب قاتلة .. وجاء في المقال :

في تقرير لمدير البنك الدولي تلاه في الندوة الأوروبية للادارة التي عقدت مع نهاية العام ١٩٨٣ في مدينة دافوس في سويسرا ، قال : « ان بلدان العالم الثالث تتعرض لعملية نهب قاتلة ، وسيكون عليها الانتظار سنوات طويلة قبل أن تنهض من أسوأ كساد عالمي منذ ٤٠ عاما .

وأضاف : « ان الديون الخارجية للعالم الثالث بلغت ٨١٠ مليارات دولار ... » .

وأورد الرجل كلاما على الأزمة الحادة في الغذاء التي سيواجهها العالم مع مطلع التسعينات ، اذ تكون ديون العالم الثالث قد تضاعفت من جهة . واعداد سكانه أيضا .. واستنادا الى الواقع الحالي ، فان انتاجه سيظل محدودا مما سيتسبب في فناء اعداد كبيرة من البشر بسبب الجوع وستترتب على ذلك أمراض وأوبئة ..

وتقول الاحصاءات ان الولايات المتحدة الأميركية تستأثر بـ ٥٠٪ من مجموع صادرات الحبوب في العالم ، كما انها باخضاعها استراليا وكندا لهيمنتها الاقتصادية ، استطاعت أن تخلق مؤسسة الاحتكار العالمي للحبوب . وعن طريق هذه المؤسسة المثلثة الأضلاع والزوايا استطاعت الولايات المتحدة ان تسيطر على أسعار الحبوب ، وبدأت وحدها تدير سياسة بيع المواد الغذائية بشكل عام والحبوب بشكل خاص ، وبسطت هيمنة كاملة على سوق الغذاء العالمي ، وربطت ذلك بالسياسة . ولعل أوضح مثل على ذلك ما جرى ويجري في مصر ، فالمعروف ان الولايات المتحدة تصدر الى مصر أربعة أرغفة من كل خمسة يستهلكها المواطن المصري . وقد تعمدت واشنطن تجزئة المعونة الى مصر بحيث تقدم لها كل ثلاثة

اشهر مرة وليس مرة واحدة كل سنة ، كما هي العادة .
والولايات المتحدة بذلك استطاعت أن تؤمن لنفسها سلاحا لا يقهر ، وظفته ضمن تخطيط سياسي دقيق ومتداخل بحيث استخدمته لاخضاع الآخرين للترهيب وللترغيب ، كما ان الولايات المتحدة خاضت ولا زالت تخوض حربا شرسة ضد جميع بلدان العالم خارج نطاق الاحتكار الثلاثي الأميركي ـ الاسترالي ـ الكندي ... وحتى دول أوروبا الغربية لم تكن بعيدة عن التدخل الاميركي لتحجيم دورها عن طريق محاربتها اقتصاديا خصوصا في ميدان الانتاج الزراعي .
وقد نجحت الولايات المتحدة نجاحا باهرا في عرقلة الانتاج الزراعي في بلدان العالم الثالث لكنها لم تستطع ان تنجح في دول أوروبا الغربية . اذ استطاعت القارة الأوروبية عن طريق السوق المشتركة ان تجمع كل جهودها في تنمية زراعية بالدرجة الأولى .
وبعد ما أعادت أوروبا تنظيم قواها في ميدان الانتاج الزراعي في السنوات الأخيرة ، حققت فائضا كبيرا في الانتاج الغذائي ، ورغم ان لأوروبا أسواقها الا ان الاحتكار الأميركي في مجال التسويق ، وضعف أسواق العالم الثالث وتراكم ديونه ، أوقع أوروبا في أزمة جديدة وهي أزمة الفائض الغذائي ، الذي قد يعرض القارة العجوز للافلاس ، أو يجعل السوق الأوروبية المشتركة تعيد النظر في الدعم السخي للانتاج الغذائي . وتقول احصائية أخيرة ما يلي :
« وفي أوروبا اليوم بحيرة من الحليب ثمنها ٦ مليارات دولار ، وفيها ٢٥ مليون بقرة تعطي ١٠٥ مليارات ليتر من الحليب الا ان عشرين في المائة من هذه الكمية لا يمكن بيعها وهي تستخدم في انتاج الزبدة والحليب المجفف ، وتتكون جبال الزبدة من ٩٠٠ ألف طن محفوظة في مخازن التبريد ، وبسبب زيادة عدد الأبقار ، فان هنالك جبالا من اللحوم مخزنة في البرادات ويبلغ وزنها ٤٠٠ ألف طن ... » هذه بعض ارقام فائض الغذاء في أوروبا . أما أميركا فلديها على الأقل عشرات اضعاف هذا الرقم من المخزون الغذائي . أما ما تحكم عليه الولايات المتحدة بالاعدام من الانتاج الغذائي فهو عشرات أضعاف المخزون اياه !
ويقول الناس بشكل عادي في أميركا ان ما يلقى في القمامة من «الهمبرغر» يكفي لتغذية القارة الافريقية بأكملها . ويدهش من يزور الولايات المتحدة عندما يسمع بأن الجزء الأكبر من انتاج الحبوب يتم حرقه سنويا (!) أولا لحرمان فقراء العالم منه ، وثانيا للاحتفاظ بسعر الحبوب عاليا .
وبسبب غياب التكامل الاقتصادي العربي فان الاستثمار في مجال الانتاج الغذائي يصبح مشكلة في بعض الأحيان وعدم الاستثمار يصبح مشكلة في احيان أخرى .
ولو أمكن التوصل الى نوع من التكامل الاقتصادي العربي لأمكن استغلال الأرصدة العربية المكدسة في بنوك الغرب في تنمية قطار الانتاج الزراعي . وفي البلاد العربية أراضي شاسعة وأموال طائلة وطاقة بشرية متطورة ، ولا أقل من أن تلتقي هذه الامكانات العربية في السوق العربية المشتركة القائمة اسميا الغائبة فعليا ... لا بد أن تلتقي هذه الطاقات في حدها الأدنى في دعم لقمة الخبز والانتاج الغذائي . لا بد من الافادة من التجربة الأوروبية ، ولا نطمح الى فائض الغذاء الذي حققته السوق الأوروبية المشتركة في سنوات لكن لا بد من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، وهي قضية لم تعد ترفا أو مسألة صعبة . لقد أصبح ذلك هو الرهان الحقيقي على مستقبل الشعوب والأمم .

رسالة الصيام

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ
ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

رواه البخاري ومسلم والنسائي

صيام رمضان

تعريف الصوم :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه .

حكمه :

وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف .

دليل وجوبه :

ودليل وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات**) البقرة/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) . البقرة/ ١٨٥ .

ومن السنة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**) .

(رواه البخاري ومسلم)

أركان الصوم

للصيام ركنان :

الاول ـ النية . فلا يصح الصوم إلا بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . ومحلها القلب . وهي واجبة لكل يوم عند جمهور الفقهاء . وعند المالكية تكفي النية الواحدة في اول كل صوم يجب تتابعه كصوم رمضان وصوم الكفارة ، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر كله .. ويقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر للامتناع عن الاكل وغير ذلك . ولا يضر الاكل أو الشرب أو اتيان الزوجة بعد النية ما دام ذلك قبل طلوع الفجر .

الثاني ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل**) البقرة ١٨٧ والمراد بالخيط الابيض

والخيط الاسود بياض النهار وسواد الليل .. ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فَلَفَظَهُ صح صومه أما إذا ابتلعه بعد ذلك فانه يفطر .

شروط وجوب الصوم :

ويشترط لوجوبه : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، والاقامة - وألا تكون المرأة حائضا ، ولا نفساء ، ولا حاملا ، ولا مرضعة ، والقدرة على الصوم

الأعذار المبيحة للفطر

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم القضاء :

يباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه ، والمسافر ، ويجب عليهما القضاء لقوله تعالى : (**ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر**) والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يؤخر الصوم شفاءه والسفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر الصلاة بسببه ، وقد قدره أهل العلم بما لا يقل عن واحد وثمانين كيلو مترا .. ويكره للمريض أن يصوم لما قد يلحقه بذلك من ضرر ، أما المسافر فله أن يصوم وله أن يفطر لما رواه مسلم : قال حمزة الاسلمي « يا رسول الله ، أجد من قوة على الصوم في السفر فهل عليَّ جناح فقال : هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . وإذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار أما إذا نوى الصيام وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فجمهور العلماء على عدم جواز الفطر له .. وأجازه بعض العلماء .

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم الفدية :

يباح الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال .. إذا كان الصيام يشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا وجبتين من أوسط ما يأكلون عادة ولا قضاء عليهم . روى البخاري عن عطاء « أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**) قال ابن عباس ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا » . والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم والعمال الذين يضطلعون بمشاق الأعمال مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

حكم الحامل والمرضع:

يرى الأحناف ان الحامل والمرضع سواء خافتا على نفسيهما أو على ولدهما فعليهما القضاء ويرى ابن عباس وابن عمر أ عليهما الفدية طعام مسكين عن كل يوم ويرى أحمد والشافعي : أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء . وإن خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية .

المسافرون بالطائرة

يشاهد المسافرون بالطائرة ، وبخاصة إذا كانت فوق السحاب ، أنهم إذا نظروا إلى الأرض قبيل المغرب لم يروها لأن قرص الشمس غاب عنها بسبب تقوس سطح الكرة الأرضية ، في حين أن نورها يظل ظاهرا على السحاب فترة ، ثم يختفي ، وهم في الوقت نفسه يشاهدون قرص الشمس واضحا وهو يميل إلى الغروب حتى يختفي تماما . ومع الترخيص للمسافر سفرا طويلا بالفطر بشروطه المعروفة ، قد يختار بعض الناس أن يصوموا ، بل قد يلزمهم أحيانا ، وعلى هذا

فمتى يفطر ركاب الطائرة ؟

لا يجوز أبدا أن يفطروا إذا مروا على أرض غاب عنها نور الشمس ، ما داموا هم يرونها ، فان الليل إذا كان قد دخل على سكان الأرض في منطقة فإنه لم يدخل على ركاب الطائرة بعد ، وعلى هذا لا يجوز لهم الافطار إلا بعد غياب قرص الشمس تماما . قال تعالى « **وأتموا الصيام إلى الليل** » وليل الركاب لا يدخل إلا بتواري قرص الشمس عنهم في المغيب .

مبطلات الصيام

مبطلات الصيام قسمان :

- ما يبطله ويوجب القضاء فقط .
- ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة .

ما يبطله ويوجب القضاء فقط

١ ، ٢ ـ الاكل والشرب عمداً فإن أكل أو شرب ناسياً أو مكرهاً فلا قضاء عليه ولا

كفارة .
٣ ـ القيء عمداً فان غلبه القيء فلا يبطل صومه .
٤ ، ٥ ـ الحيض والنفاس ولو في اللحظة الاخيرة قبل غروب الشمس ، ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما .. أما الاستحاضة وهي نزول الدم في غير أوقات الحيض فلا تمنع الصوم ولا الصلاة .
٦ ـ إنزال المنى إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي اليه كالاستمناء وتقبيل الزوجة ، والنظر المتكرر لمن عرف أنه ينزل به على ما رآه بعض الأئمة . أما نزول المنى باحتلام فلا يبطل الصيام ولا يبطله المذى ولا الودي .
٧ ـ الردة عن الاسلام ومنها سبُّ الدين واحتقار مقدساته وجحد ما علم منه بالضرورة كوجوب الصلاة .
٨ ـ الجنون والسكر المتسبب فيه والإغماء .
٩ ـ من نقض نية الصيام قاصدا الفطر بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا
١٠ ـ إذا تناول الصائم مفطرا أو فعل ما يفطر ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند الائمة الأربعة .
وعند بعض الفقهاء صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى (**ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**)
١١ ـ الدخان بجميع أنواعه والنشوق الذي يؤخذ عن طريق الأنف

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

فهو الجماع لا غير
والجمهور على أن الكفارة واجبة مع الرجل والمرأة ما داما قد تعمدا الجماع مختارين في نهار رمضان ناويين الصيام ، ويرى الشافعي وأحمد أنه لا كفارة على المرأة مطلقا وإنما يلزمها القضاء فقط والكفارة عتق رقبة فإن عجز عنه صام شهرين متتابعين فان عجز عن الصيام أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله ويرى بعض الفقهاء أنه مخيّر بين هذه الثلاثة فأيها فعل أجزأته وإفساد كل يوم بالجماع له كفارته الخاصة ويرى الأحناف أن كفارة واحدة تكفي عن إفساد جملة أيام .

كيفية القضاء :

كيفية القضاء : أن يصوم بدل الأيام التي أفطرها في زمن يباح فيه الصوم ، ويجوز له أن يصوم أيام القضاء متتابعة أو متفرقة .
ويسن له التعجيل بالقضاء ، وتجب عليه المبادرة إذا بقى على رمضان التالي بقدر ما يكفي القضاء ، فإذا أخره عن رمضان وجب عليه مع القضاء فدية عن كل

يوم اخره . وذلك إن كان التأخير بغير عذر ، فإن كان بعذر فلا فدية عليه مع القضاء ، ورأى أبوحنيفة عدم وجوب الفدية للتأخير مطلقا ، سواء أكان بعذر أم بغير عذر .

ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه سحة الحديث بذلك ، وقال الأحناف والمالكية : لا يصوم عنه وليه بل يطعم ع، كل يوم مدا .

امور لا تفطر :

وهي نوعان : مكروهة وغير مكروهة .

فالمكروهة منها :

١ - مضغ الطعام أو ذوقه ثم مجُّه ، إلا لحاجة كالطاهي فلا يكره .
٢ - مضغ العلك « اللبان » الذي لا يتحلل منه شيء ، فان تحلل منه شيء وبلعه بطل صومه .
٣ - تمتع النفس بالمتع المباحة من المبصرات والمسموعات والمشمومات ، كتقبيل الزوجة ، ومعانقتها بشرط أمن العاقبة ، وإلا كان ذلك حراما . أما التمتع بالمحرّم كالنظر إلى الأجنبية أو سماع المحرّم أو قوله فهو حرام على الصائم وغيره ، وتشتد حرمته على الصائم ، لأن الصوم يقوم على كفّ النفس عن شهواتها .
٤ - الاكتحال والتقطير في العين لغير ضرورة ، والشافعية والأحناف لا يقولون بالكراهة ، ومالك يقول بالحرمة إن تحقق وصول الطعم إلى الحلق ، وإن شك كره . وعند أحمد يكره ، وإن وجد الطعم في الحلق بطل الصوم .
٥ - دهن الشعر على رأي الجمهور ، والمالكية يقولون : لو وصل الأثر إلى الحلق بطل الصوم .
٦ - الحجامة والفصد للعلاج ، وقال أحمد بالحرمة وبفطر الحاجم والمحجوم .

وغير المكروهة منها :

١ - وصول شيء إلى الجوف بنسيان أو إكراه ، أو بسبب يعذر به شرعا ، وذلك عند غير المالكية ، أما هم فيبطلون الصوم بالنسيان والإكراه ، ويوجبون القضاء دون الكفارة .
٢ - الابتراد بالماء صيفا ، بغسل أو مضمضة بلا مبالغة ، أما المبالغة في المضمضة والاستنشاق فمكروهة .
٣ - ابتلاع الريق ما لم يجاوز الشفة ، فان جاوزها ثم ابتلعه أفطر .

٤ - وصول بقايا الطعام التي بين اسنانه بجريان الريق إذا كان عاجزا عن مجه .
٥ - وصول غبار الطريق إلى الجوف لمشقة الاحتراز عنه ، وكذلك غبار الدقيق

للطحان ومن يعالجه ، فإن تعمد الابتلاع أفطر .

الصوم مع ترك الصلاة :

من صام وترك الصلاة فقد ترك الأهم في أركان الاسلام فان لم يكن مؤمنا بما ترك كان خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وإن كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه وصحّ صومه كما تصحّ العبادات الأخرى . وإن كان صومه مع ترك الصلاة دليلاً بينا على أنه لم يصم امتثالا لأمر ربه ، وإلا لما ترك الواجب الأول .

صوم المريض بالسُكَّر :

إذا أصيب الانسان بمرض السكر ، فعليه أن يعرض نفسه على طبيب مسلم حاذق موثوق به في دينه ، لفحصه والوقوف على درجة مرضه بواسطة تحليل البول أو الدم أو هما معا وبيان أثر الصوم في حالته ، فإذا طلب منه الإفطار كان عليه أن يفطر حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة ، وإذا أخبره بأن الصوم لا يضره وجب عليه أن يصوم .

صيام الصغار :

الصبي وإن كان الصوم غير واجب عليه إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، قادرا على تحمله ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدربون أولادهم الصغار على الصوم ويرغبونهم فيه بأنواع من اللعب يتلهون بها عن الجوع تقول الربيع بنت معوذ ـ فيما رواه البخاري ومسلم : « كنا نصوّم صبياننا الصغار ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار » .

الصوم في البلاد القطبية وغير المعتدلة عموما :

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد القطبية حيث يستمر الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما تكون هذه المدة الطويلة نهارا في القطب الجنوبي وفي البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو بالعكس . فقال البعض تقدر أوقات الصلاة والصوم على أقرب البلاد المعتدلة اليهم . وقال البعض الآخر تقدر على البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة والمدينة . وكل من الرأيين جائز فإنه اجتهادي لا نَصّ فيه .

من آداب الصوم

○ إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم
يقول : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ،
هلال رشد وخير » (رواه الترمذي وقال حديث حَسَن») .

○ استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا ، وافتح في أول ساعة منه ،
صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح
الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه
وسلم : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب
النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد :
يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر » (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا
اللفظ والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

○ ليكن منهجك في الصوم ، التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالحلم والوقار
والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ،
وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام
رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (رواه
أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد) .

○ إذا صدرت من غيرك إساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتي هي
أحسن ، وذكّر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خُلُقَ الصائم ، وردد ما أمرك
الرسول الكريم به في هذا الموقف « فإن شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ..
إني صائم » (من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي) .

○ أقبل على تلاوة القرآن في رمضان ، في ليله ونهاره ، في الصلاة وخارج الصلاة ،
فهو شهر القرآن .. ففي الحديث المتفق عليه .. « كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان
جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله وسلم
حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان
للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام « أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار
فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان » (رواه
أحمد بسند صحيح) .

○ **لا تجعل** شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الإساءة لفريضة الصوم أن
تكون مدعاة للتراخي عن العمل ، وضعف الإنتاج ، فهو شهر جَلَدٍ وصبرٍ ، يتسلح
فيه المؤمن بقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط إلى العمل ، وينطلق في ميادين

الكفاح ، يملؤها بالجد المثمر ، والسعي البناء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

○ قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان ، فإن الثواب يضاعف فيه ، وإسداء المعروف ، وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم ، يقع في ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، يقول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فَطَّرَ فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من اللبن) » (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال : صح الخبر) .

○ حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ، ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك ، تجنب قول الزور : من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخاري) .

○ تناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فإن الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفىء حرارة العطش ، فإن لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل . هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ : « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

○ عند الافطار ، توجه الى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » (رواه ابن ماجه) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .

وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، أن تغفر لي » .

○ تناول سحورك قريبا من الفجر ، ففي ذلك عون على النشاط في النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور،قبل الفجر بنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنّة بتأخير السحور ، وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » (متفق عليه) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال : خمسون آية » (متفق عليه) .

○ تجنب الافراط في الأكل والشرب ، فإن من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة ، وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام ، وإن عدداً كبيراً من الأمراض الشديدة . والعلل المنهكة ، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه ، وقد جاء في الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب ، في رمضان وغيره فقال عزّ مِنْ قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » (٣١ : الأعراف) .

« **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » .

صلاة التراويح

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة ، وتسن فيها الجماعة ، ووقتها بعد صلاة العشاء .

دليل سنيتها :

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة : ليلة الثالث والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ركعات ، ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .

وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين ، حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام فكانت صلاة التراويح جماعة

مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده . وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : « كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » ـ أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح ، وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ، ووافقه الصحابة على ذلك ، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم ، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التي خرج اليهم فيها ،ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملون العشرين في بيوتهم ، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف ، والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام الليل ، من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي .

ومن الأفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك ، وإلا فليصل بما تيسر له .

وروح الصلاة الخشوع ، فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات ، وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني . وَرُبَّ ركعات قليلة ، تؤدى في صلاة خاشعة ، وقراءة فيها تدبر ، خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها ..!

العمرة في رمضان

للعمرة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة .

روى البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك أن تحجي معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه ـ لزوجها وابنها ـ وترك ناضحاً ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمري . فإن عمرة في رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي) .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرة في رمضان ، وإن كان لها مثل ثواب الحج ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة .

روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات ، كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته

عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في

ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وإنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، لفضيلة هذا الشهر ، ولمخالفة الجاهلية في ذلك ، فإنهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ، ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ، ليكون أبلغ في بيان جوازه فيه ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

وقد وقع خلاف حول ما إذا كان الأفضل العمرة في رمضان ، أو في شهر الحج ، فقيل ان العمرة في رمضان لغير النبي أفضل ، وأما في حقه فما صنعه أفضل ، وذلك لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يمنعون الاعتمار في أشهر الحج ، وهذا هو رأي الجمهور .

الاعتكاف

الاعتكاف رياضة روحية وتزكية نفسية وتطهير للقلب والعقل من غلبة أغراض الدنيا على نفس المؤمن .. وتكون في المسجد تفرغا لله سبحانه وتعالى ولعبادته .. .. يلجأ إليها الذين يزدادون شوقا إلى رضى الله ، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبّه ..

ورياضة الاعتكاف رياضة قديمة ، كان يؤديها أصحاب النفوس الشفافة .
روى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله (إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له صلى الله عليه وسلم .. أَوْفِ بنذرك) .
وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . « رواه البخاري ومسلم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه ، اعتكف عشرين يوما .

ومعنى الاعتكاف : الإقامة الكاملة في المسجد ، وعدم الخروج منه مدة معينة ، على نية التقرب لله عز وجل ، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه ، وتتأكد سنيته في العشر الأخير من رمضان ، فإذا نذره المسلم ، كان واجبا عليه أن يؤديه .

وليس للاعتكاف وقت محدد ، فمتى مكث الانسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف ، كان معتكفا ، فاذا خرج ، فله أن يجدد النية ، ويجوز ذلك . أما الاعتكاف المنذور ، فيجب عليه أن يؤديه على الوجه الذي نذره به .

أركانه :

١ ـ المكث في المسجد .
٢ ـ النية .

شروطه :
الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل وكونه في مسجد ، ولا يشترط صوم المعتكف ، وإن كان صومه أفضل ، وللمرأة أن تعتكف بإذن زوجها ، فإن منعها فعليها أن تمتنع .

ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، واستحسن البعض المبيت ليلة الفطر بالمسجد ، والغدو إلى صلاة العيد .

ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام دخل معتكفه قبل أن يتبين له طلوع الفجر ويخرج بعد غروب جميع قرص الشمس ، أما إذا نذر اعتكاف ليلة أو ليال ، فإنه يدخل معتكفه قبل مغيب جميع قرص الشمس ، ويخرج بعد أن يتبين له طلوع الفجر .

ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم ، ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

ويكره له : إشغال نفسه بما لا يعنيه ، من قول أو عمل ، ويكره الصمت عن الكلام ظنا أن الصمت يقرّب من الله .

ويباح له : الخروج لقضاء الحاجة ، وللإتيان بالمأكول والمشروب ، إذا لم يكن له من يأتيه به ، وللمعتكف أن يمشط شعره ، ويحلق رأسه ، ويقلم أظافره ، وينظف بدنه ، ويلبس أحسن الثياب ، ويتطيب بالطيب .

ويبطل الاعتكاف : الخروج عمدا لغير حاجة ، والرِدة عن الاسلام ، وذهاب العقل بجنون أو سكر ، والحيض أو النفاس أو الجماع أو الانزال . وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه وقيل يجب عليه ذلك .

ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الاقصى وإن نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه وإن نذره في المسجد الأقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة أحب .

ليلة القدر

القَدْرُ هو الشرف العظيم ، ولقد عَظَّمَ الله من شأن هذه الليلة لنزول القرآن فيها قال الله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر**) .

وقال صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان) رواه

أحمد والبخاري وأبو داود .

والمشهور أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهو رأي لفريق كبير من الصحابة ، وإحياؤها سنة لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري ، والمراد بالمجاورة ، الاعتكاف ، والدعاء فيها من هدى الرسول الكريم ، روى أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وحكمة إحيائها بالعبادة ، تذكر نعمة الله علينا بإنزال القرآن فيها هدى للناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم وقد احتفل الله بها وكرّمها ، فمن واجبنا أن نعرف قدرها ، ونحرص على إحيائها ، والتقرب إلى الله فيها .

صدقة الفطر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبرا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » (رواه أبو داود) .

حكمة مشروعيتها

ومن هذا يتبين أن الحكمة في فرضها سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم ، وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر ، في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجا بالعيد ، وفي هذا من معنى التكافل والتراحم بين المسلمين ما فيه ، كما أن في إخراجها تقرّبا إلى الله ، وتطهيرا للصائم من السيئات التي يكون قد ارتكبها أثناء صومه ، لأن للحسنات آثارها الطيبة في محو السيئات .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها** » رواه أحمد والترمذي .

شروط وجوبها

وشروط وجوبها : الحرية والاسلام ووجود ما يفيض عن حاجته وحاجة من

تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال ، فلا يجب على العبد إخراجها لأنه لا مال له ، ولكن يخرجها عنه سيده ، ولا على الفقير الذي لا يجد ليلة العيد ويومه فائضا عن حاجة أولاده ، كما لا يجب على من مات قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان ، ولا على من ولد بعد غروبه .

دليل الوجوب

ودليل وجوبها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين** » - متفق عليه .

مقدارها :

يجب على كل فرد صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن ، فيكون أفضل ويقدر الصاع بنحو خمسة أرطال ونصف من القمح أو الشعير أو الأرز أو الدقيق ويجوز إخراج القيمة نقدا ، حسب السعر الحالي والأسعار تختلف من بلد لآخر .

وقت إخراجها

يجوز إخراجها من أول رمضان ، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة ، كعدم وجود فقير في البلدة حال إخراجها .

ومن المستحسن استعجال خروجها ، حتى يستعين الفقير بها على ما يحتاجه في رمضان ، وإعداد ما يلزمه هو وأولاده في أيام العيد ، ليتحقق معنى الزكاة والغرض منها في أيام العيد ؛ فإن الفقير قد يحتاج إلى ثياب له ولأولاده فلا بد من إعطائه فرصة يتمكن فيها من إعداد الثياب والحاجيات الأخرى اللازمة له ولأولاده .

ولا يجوز نقلها من بلدة إلى أخرى . أو من منطقة إلى أخرى ، إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، كما لو اكتفى أهل البلد أو المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون ، أو كان له قريب فقير في بلدة أخرى قريبة من المكان الذي يقيم فيه يريد أن يعطيه جزءا منها وعند الأحناف لا يكره نقلها الى أي بلد فيه قرابة محتاجون أو من هم أحوج من أهل البلد أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم ونحوه .

والأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها ، وله أن يزيد فقيرا عن آخر في الاعطاء نظرا للحاجة أو لقربه منه .

عمن يخرجها ..؟

يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من الزوجة والأقارب

وهم : الوالدان الفقيران والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم .

لمن تصرف ؟

تصرف لمن يوجد من الفقراء المحتاجين الذين لا يكفي دخلهم لسد حاجاتهم ومنهم المسافرون المغتربون الذين لا مال لهم بأيديهم ينفقون منه على شؤونهم وإن كان لهم مال في بلدهم . وكذلك الدور المشرفة على الفقراء والداخلون في الاسلام المحتاجون للمعونة والذين لا يجدون ما ينفقون حتى تتيسر لهم سبل العيش .

صلاة العيد

دليل شرعيتها :

لم يغفل الاسلام ناحية الأعياد لدى أتباعه ، لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة ، حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح فيها ، وتستجم من عناء العمل ، وأعياد كل أمة ترتبط إما بدينها أو بحوادث هامة ، لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، لذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهرا من مظاهر شخصيتها .

ولأجل هذا لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : عيد الفطر ، بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ، وعبادتهم لله ، وعيد الأضحى ، بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج ـ وهو الوقوف بعرفة ـ ويفرحوا ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ماهذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود .

التكبير :

يندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والعطاء للبائسين .

ووقت التكبير لم تتفق المذاهب على تحديده ، ولذا نختار لك منها أن يبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، وحتى يصعد الإمام

على المنبر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى (**واذكروا الله في أيام معدودات**) قال ابن عباس : « هي ايام التشريق وهي اليوم الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة » .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو في الطريق أو في المجالس .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : (الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد) .

وزاد بعض المذاهب (الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا إلى آخر الصيغة المشهورة) . على أن يكون معلوما أن ذلك كله أمر مندوب فلا يجوز أن يحتدم الخلاف حوله بين المسلمين .

حكمها :

عند أكثر المذاهب سنة عين مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة وأداؤها مع الجماعة سنة عند الشافعي فله أن يصليها منفردا وقال الآخرون : الجماعة شرط بلا آذان ولا إقامة .

وقتها :

من ارتفاع الشمس ولو قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال والأفضل التعجيل بها والمسارعة إلى أدائها وتحديد وقتها رغبة في اجتماع المسلمين حتى يؤدوها في جماعة ثم ينصرفوا إلى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم وتقوي روابطهم .

كيفيتها :

وصلاة العيد : ركعتان كغيرهما من النوافل غير أنه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ، ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات (الله أكبر) يفصل بين كل تكبيرتين بقدر آية صغيرة وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة . أما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام ، يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في القراءة .

ويندب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (سورة الأعلى) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة (سورة الغاشية) وإن كان له أن يقرأ بما شاء ، وإذا أدرك الامام في بعض التكبيرات تابعه في التكبير ولا يعيد ما فاته منها،ولو نسى المصلي التكبير ، ودخل في القراءة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام أو القيام فلا يعود للتكبير وصلاته صحيحة .

أين تؤدى صلاة العيد ..؟

يستحسن آداؤها في الصحراء في غير مكة وخاصة إذا كانت قريبة من العمران ، بخلاف الشافعية فإنهم قالوا إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر ، كضيقه ، فيكره الزحام فيه وتسن حينئذ في الصحراء .

ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلى العيد ماشيا إن أمكن وأن يجهر بالتكبير ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة .

والأجدر أن يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر ، ومن السنة أن يأكل قبل خروجه الى مصلاه في عيد الفطر ، تحقيقا لمعنى الفطر ، أما في عيد الأضحى فيندب تأخير الأكل .

لا صلاة قبلها ولا بعدها :

لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها : قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله وسلم يوم عيد فصلى ركعتين ، لم يصل قبلهما ولا بعدهما » (رواه الجماعة) .

الخطبة :

وبعد أن ينتهي الامام من صلاة العيد ، يصعد المنبر ، ويخطب خطبتين خفيفتين ، يرشد الناس فيهما إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد ، من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه وهما كخطبتي الجمعة ، غير أن خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة ، وأما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة .

كما أن خطبتي الجمعة ، تفتتحان بالحمد لله ، وأما خطبتا العيد ، فإنهما تفتتحان بالتكبير ، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعا وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعا ، وتختم بقول الله تبارك وتعالى .

(**سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين**) (الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢) .

اجتماع العيد والجمعة :

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ، وجب عند الأئمة الثلاثة أداء كل صلاة منهما في وقتها المشروع ، فتصلي صلاة العيد في وقتها ، وتصلي الجمعة في وقتها ، ويرى الامام أحمد أنه إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد ، ويصلي الظهر بدلها .

ومن السنة اظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، ويدعو الاسلام إلى التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة .. فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » قال الحافظ : إسناده حسن .

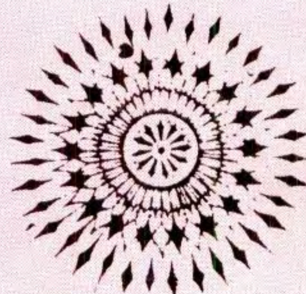
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





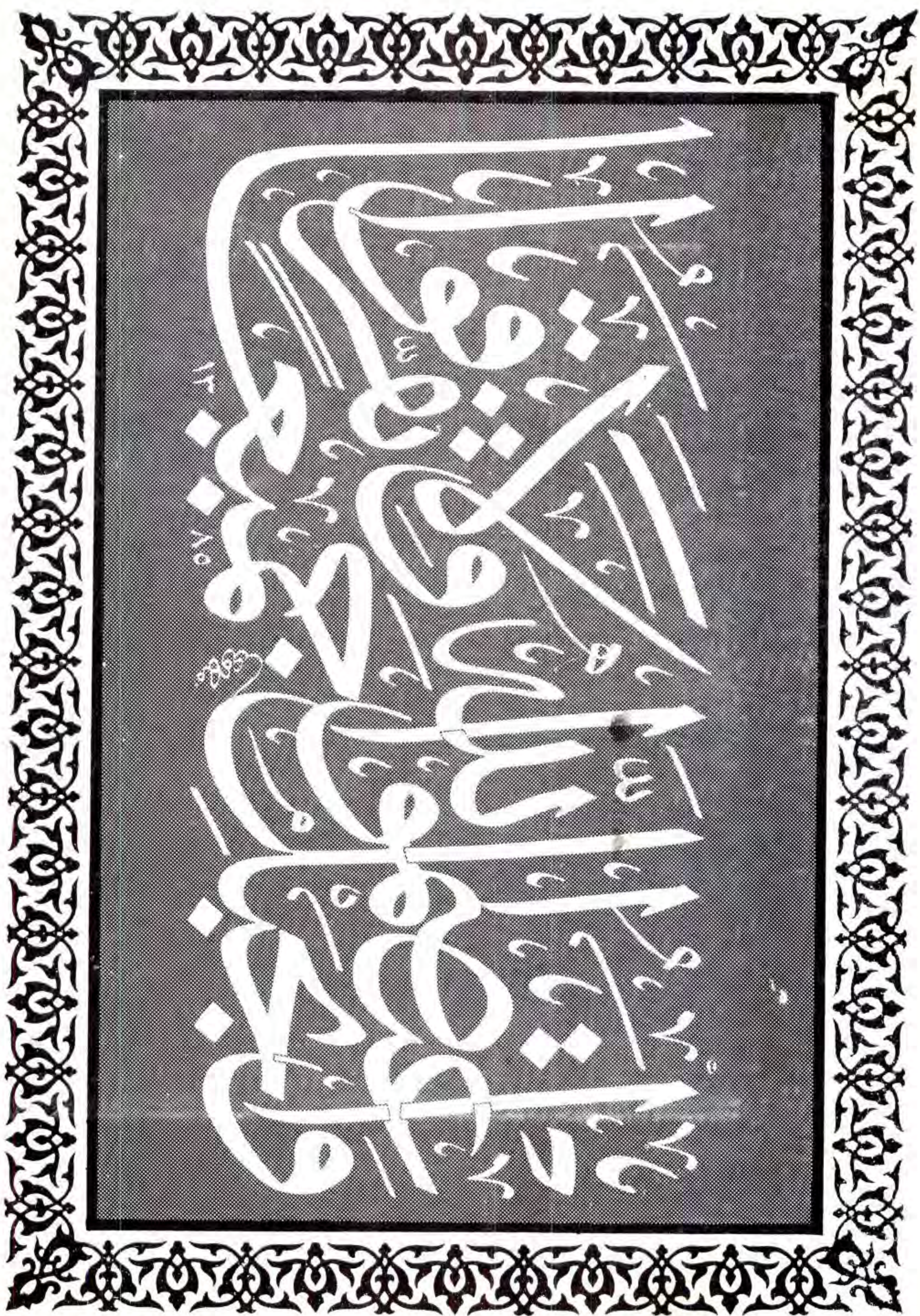
طباعة موسسة دار السياسة – الكويت –

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٣٨/ شوال ١٤٠٤هـ/ يوليو/أغسطس ١٩٨٤م.

للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه

من حديث صحيح



الوعي الإسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة العشرون

العدد ٢٣٨/ شـوال ١٤٠٤هـ/ يوليو/أغسطس ١٩٨٤م .

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمـن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنـان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونـس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

مفهوم الايمان

في دورة تدريبية ميقاتها شهر رمضان . قضاها المسلم في جو روحي تدرب في ظلاله على محاسبة النفس ومراقبة الله تعالى والخوف منه سرا وعلانية . وهذا أمر يجعل المؤمن في يقظة دائمة متميزا بحس مرهف وحياء جم وخلق نظيف ، وإذا صدق في صومه عاش موصولا بالله يجعل كل حركة في حياته وثيقة الصلة بعقيدته ، وهو في غير رمضان كأنه في رمضان ، لا ينسى لذة الطاعة ولا يشبع من عمل الصالحات ، وما يقدمه من خير لا يبتغي به إلا وجه الله ، « **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » الآيتان ١٦٢ و١٦٣ من سورة الأنعام .

وهكذا يتخرج من صدق في عبادته وصح صومه من مدرسة الصوم وجامعته بمؤهل الايمان . ومما لا شك فيه ان عقيدة الايمان هي الضمان القوي للفرد والمجتمع من أخطار الفساد والضياع والانحراف . فهي الحافز على الطاعة والاستقامة وشرف السلوك ، بها يقوى الجانب الروحي المشرق على الجانب المادي المظلم في الانسان ، وبغيرها لا تقوم شريعة ولا يستقيم قانون ولا تنتظم شؤون الحياة .

عز الأولون وسادوا وانتصروا على أقوى أمم الأرض لأنهم عرفوا قيمة الايمان بالله والصلة به ، وعرفوا ضلال المبادىء التي تقوم على غير هذا الأساس ، فهانت في أعينهم كل القيم الزائفة وأبطلوا كل دعوة ضالة وكل مذهب غوي آثم ، حتى ابيض بإيمانهم وجه التاريخ وشرفوا بأخلاقهم وسلوكهم نظام الحياة .

نعم في ظل الايمان بالله تعالى يجد الانسان نفسه غنيا عن رقابة البشر وأنه

يعيش في معية الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . فيسقط من نفسه أسلوب التحايل والخداع والحقد والخيانة ، ولا يفعل في السر ما يستحي منه في العلن ، ولا يمارس اليوم عملا يخاف من حسابه غدا ، لأن إيمانه برقابة الله ضبط حركة نفسه وأعمال جوارحه ونظم مظاهر خلقه وسلوكه في ضوء القيم الاخلاقية الفاضلة ، ويظل هذا العطاء الايماني موصولا في كل أشهر العمر لا يقتصر على شهر أو يتوقف على مناسبة معينة . ويظل من استفاد من تجربة الصوم يقاوم في نفسه كل شهوة ، ويستعلي بايمانه على كل المغريات والدوافع المحرمة ، ورحم الله هذا الاعرابي الذي كان يرعى الغنم في البادية وصاحبها غائب ، فجاء من يريد شراء واحدة منها فلم يوافق الراعي فقال المشتري : إن صاحب الغنم غائب وسأدفع لك فيها ما شئت ، فيرد الراعي المؤمن قائلا : إذا كان صاحب الغنم غائبا فإن الله حاضر لا يغيب .

أما من عاد بعد رمضان إلى انحراف في السلوك وتقصير في العبادة فقد خان الأمانة ونقض العهد مع الله ـ وللعهد مكانة كبرى في الاسلام ، ولذا شبه ناقض العهد بالمرأة التي كلما أحكمت غزلها عادت بطيشها وحمقها فتنقضه من جديد ، وبذلك لا يتم لها غزل وتظل طول حياتها في سفه وضياع ، يصور القرآن الكريم ذلك بقول الله تعالى : « **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا** ...» الآية ٩٢/ النحل .

بقوة الايمان انتصر المسلمون الأوائل مع قلة العدد وضعف العدة في مواطن كثيرة على أقوى أمم الأرض ، وفي الأحداث المعاصرة ترجح كفة الايمان في حرب غير متكافئة دخلت عامها الخامس في أفغانستان ، يشهد العالم بطولات الأفغان وتضحياتهم وهم يقاومون أقوى جيوش العالم ، والملاحدة الذين تمكنوا من غزو الفضاء لم يتمكنوا بأحدث الأسلحة من غزو بلاد تدافع عن حقها وتسير على منهج الاسلام الحنيف ، مع ضراوة المعركة الشرسة لم يذل الرجال المؤمنون ولم يضعفوا ولم يستكينوا ولم يفقدوا الأمل في النصر لأنهم مع الله ومن كان مع الله أيده بنصره ولو اجتمعت الدنيا على حربه ، فسنة الله المقررة أن النصر لا يتوقف على كثرة الجند ولا على قوة الحديد والنار ولكنه في النهاية لعباد الله المؤمنين بحقهم السائرين على منهج الله وشريعته .

دولة الاتحاد السوفييتي التي اكتسحت فيما مضى دولا إلحادية مجاورة في ليلة واحدة ودولا صليبية تساندها كل دول أوروبا الغربية ، تتورط اليوم وهي تقف عاجزة أمام فئة قليلة مؤمنة ، في ذلك أكثر من درس يعلم الناس مدى ما يصنعه الايمان في نفوس أتباعه فهو أساس النجاح في مقاومة العدوان في كل مكان مهما تحملت المقاومة من مغارم الجهاد وأخطار

المواجهة ، وبدافع الايمان ينزل الرجال من قصورهم وضياعهم ، يهجرون المدن العامرة والمزارع الخضراء الى حياة الكهوف والجبال . فرض الايمان على هذه الأمة أن يرفضوا احتلال الأرض أو شراء الضمائر أو التسليم الذليل لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، لن يغفر الله لأمة الاسلام-اذا تثاقلت عن جهاد المعتدين ولن تعذر الأجيال القادمة غفلة الآباء عن واجبهم أو غياب وعيهم عن قضيتهم . ولسوف يسأل كل مسلم بقدر ما أعطى وبقدر ما بذل في سبيل دينه ووطنه ، وإن كانت الأمة في حاجة إلى السلاح المادي لمواجهة تآمر الشرق والغرب فحاجتها إلى سلاح الايمان أشد ، لأن السلاح لا يعمل إلا بيد الأبطال والأبطال لا يصنعهم إلا الايمان وصدق من قال :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام

ولكن ما هي ماهية الايمان وما مفهومه ؟

صدق الاعتقاد بالله وبرسوله نور فطري يسكبه الله في الأرواح ويودعه في النفوس والمشاعر ، إنه ارتباط وثيق بين العقيدة النقية والسلوك العملي التطبيقي ، إنه القوة الفاعلة لضبط الخلق الاسلامي ، تملأ هذه القوة قلب المؤمن وتسيطر على شعوره ووجدانه ويظهر أثرها في تصرفات المؤمن ومنهج حياته ، إذ لا اعتبار لايمان بغير عمل ، لأن المعرفة المجردة عن معنى الانقياد لله لا وزن لها ، والعلم الذي لا يترجم عنه العمل لا قيمة له . فهذا إبليس كان يعلم أن الله تعالى خالق كل شيء وكان يعرف انه القادر القاهر وبيده ملكوت السموات والأرض فلم ينفعه علمه ولم تغن عنه معرفته حين أبى واستكبر وتمرد معلنا عصيان أمر الله فكان جزاؤه الطرد من رحمة الله وحقت عليه اللعنة إلى يوم الدين .

كذلك العمل إذا صدر عن غير إيمان كان مصيره الضياع والخسران قال تعالى : « **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** » الآية ٢٣ من سورة الفرقان .

ولهذا فالذين لا تهمهم قضية الايمان أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف . وصدق الله العظيم « **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** » من الآية ١٠٣ الى ١٠٥ سورة الكهف .

لقد قرن الله تعالى الايمان بالعمل في أكثر من سبعين آية من آيات القرآن الكريم ، كل آية منها تذكر الايمان وتعطف عليه عمل الصالحات « **والعصر . إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ... والسنة المطهرة تسير في جو القرآن وتدعو بدعوته وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يربط بين الايمان والعمل ويوجه انتباه المسلمين إلى أن يكون سلوكهم مطابقا لعقيدتهم ، لما جاءه رجل يسأله قولا في الاسلام لا يسأل عنه أحدا غيره . قال له (قل آمنت بالله ثم استقم) .

فليس الايمان مجرد انتساب لعقيدة الاسلام أو التسمي بأسماء المسلمين ، وليس الايمان همهمة أو تسبيحا مجردا ، وليس الايمان بالتمني كما ورد في الأثر (ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

روى جماعة من المفسرين للقرآن الكريم أن مجلسا ضم بعضا من اليهود والنصارى والمسلمين ، فزعمت كل طائفة منهم أنهم أولى الناس بدخول الجنة ـ اليهود قالوا نحن أتباع موسى الذي اصطفاه الله برسالاته وبكلامه ، والنصارى قالوا نحن أتباع عيسى روح الله وحكمته ـ والمسلمون قالوا نحن أتباع محمد خاتم النبيين وخير أمة أخرجت للناس ، فحسم القرآن ذلك وخاطب المسلمين في صراحة ووضوح بقول الله تعالى : « **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** » الآيتان ١٢٣ و١٢٤ من سورة النساء .

ما أحوج الأمة إلى ايمان يزيدها ارتباطا بالله وإلى عمل يحب الله من أحسنه وأتقنه ، هذا هو الايمان الذي يظهر ميزانه مع التاجر في تجارته والصانع في مصنعه والموظف في ميدان عمله والحاكم مع رعيته وما أحوج الفرد المسلم الى هذا النمط من الايمان ينتصر به على نفسه وعلى الدوافع غير المباحة من متع وشهوات ، يتمرد به على الذل فلا يرهب الأقوياء ولا ينافق الأغنياء أو الرؤساء ، ويتأبى على الهوان فلا يرضى الدنية في دينه ودنياه .

هذا هو مفهوم الايمان لو طبقناه في حياتنا بصدق لدخلنا التاريخ من أوسع أبوابه ووضعنا بصماتنا على جبين الحضارة وقدمنا كأسلافنا منهجا يرضي الله ورسوله ويرتفع بقيمة الانسان وكرامته ، ويومئذ نستحق بشارة القرآن الكريم « **وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » الآية ١٣ سورة الصف .

رئيس التحرير

حسن مناع



آية ضل فيها بعض المعاصرين

للأستاذ / مصطفى محمد الحديدى الطير

قال الله تعالى في سورة البقرة : « **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(٦٢)

البيان

تكررت هذه الآية فجاءت في سورة المائدة ، لكن بتقديم الصابئين على النصارى ، ورقمها هناك (٦٩) وقد أساء بعض المعاصرين فهمها ، حيث زعم احدهم أن اليهود والنصارى والصابئين مأجورون ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه ، لأن الآية في نظره تدل على أن المطلوب من هذه الطوائف أن يؤمنوا بالله واليوم الآخر ويعملوا صالحا ، ليحصلوا على الأجر ويأمنوا الخوف ، ولم تطلب الآية منهم أن يؤمنوا بالنبي وما أنزل عليه ، وبما أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات ، فهم ناجون مأجورون برغم كفرهم بخاتم المرسلين ، وقد أساء هذا المعاصر فهم الآية فضل عن سواء السبيل ، وانحرف بذلك عن حقيقة الاسلام .

الآية تدعوهم إلى الايمان بالله

لو كان ما عليه الصابئة وأهل الكتاب إيمانا بالله واليوم الآخر لم يشترطه الله عليهم لكي يحصلوا على الأجر وينجوا من الخوف ، ولكان نظم الآية هكذا : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من عمل منهم صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ولكنه اشترط عليهم الايمان بالله

واليوم الآخر بقوله« **من آمن بالله واليوم الآخر** » لكي يحصلوا على الأجر كما يحصل عليه المؤمنون الذين صدرت بهم الآية ، فكأن النص يقول : إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكذا اليهود والنصارى والصابئون لو آمنوا بالله إيمان المؤمنين، بأن دانوا بشريعة التوحيد التي أصلحت ما أفسده أهل الأديان ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

فالآية في الحقيقة دعوة لهم إلى الايمان بالله إيمانا نظيفا من الشرك والولدية والوثنية ، وترك ما هم عليه ن الأفكار الخاطئة في الله تعالى ، والسبيل الى ذلك أن يتركوا ما هم عليه من الديانات التي انتهت بهم إلى عقائدهم الفاسدة ، ويستجيبوا إلى دين الحق الذي أنزله الله ليصلح ما أفسده أهل الأديان ، اذ يناديهم بقوله سبحانه في سورة آل عمران : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » آل عمران / ٦٤ أي أنهم إن لم يستجيبوا إلى ما دعاهم إليه من دين التوحيد ، وترك ما هم عليه مما ينافيه ، فإنهم بذلك لا يكونون مسلمين ولا مؤمنين ، بل كافرين خالدين في النار ، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة النساء : « **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** » ١٥٠ _ ١٥١

فقد دلت هاتان الآيتان ، على أن من كفر ببعض رسل الله فقد كفر بالله ، فلا يصح التفريق بين الايمان بالله والايمان برسله كما زعم هذا المعاصر ، فمن كفر بالرسول فقد كفر بمرسله ، لأنه رفض الآية التي أيده بها وردها على ربه وكذبها ، ومن كذب بآية الله فقد كذب الله وكفر به .

عقائدهم في الله أبعدتهم عن الايمان به

على أن عقائدهم في الله أبعدتهم عن الايمان به ، فالله تعالى يقول في سورة التوبة : « **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** » التوبة / ٣٠ ويقول في سورة المائدة : « **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد** » ١١٦/ ١١٧ المائدة

واليهود يعتقدون أن الله تعالى يخطىء ويصيب كالبشر ، فإذا تبين له خطؤه ندم وبكى ، ويزعمون أنه ندم على الطوفان الذي أهلك به عصاة البشر ، وأنه يبكي من أجل هـذا الخطأ ، كما يزعمون أنـه صارع يعقـوب حتى الفجر ولم يستطـع الافلات منه إلا بعد أن ضربه في حق وركه ، وأصابه من أجل ذلك بمرض عرق النسا ، وأنه تعالى غير اسمه من يعقوب إلى اسرائيل لشجاعته وجهاده ومصارعته لربه هكذا قالت التوراة ـ فانظر سفر التكوين إصحـاح ٣٢ فقرة ـ ٢٣ ـ ٢٨ وكما أن اليهود يدينون بذلك فالنصارى مثلهم ، لأنهم يتعبدون بالتوراة ، فهي العهد القديم عندهم ،

والايمان بالله في الاسلام لا يبيح مثل هذا الاعتقاد في الله ويرفضه ويكفره ، كما أن العقل المستقيم لا يقبل أن يغلب البشر جميعا خالق الكون فضلا عن واحد من عباده ، ولا يوافق على هذا العبث الماجن ، حيث تصور التوراة الاله الخالق المقتدر الجبار بمصارع عابث ، وواهن عاجز لا يستطيع أن يفلت من رجل يصارعه إلا بعد معاناة طول الليل انتهت بأن يضربه في فخذه والنصارى تخبطوا في شأن المسيح ، فتارة جعلوه ابن الله ، وأخرى ثالث ثلاثة ، ثم جعلوه هو الاله وحده ، واعتقدوه في كل هذه الدعاوى شخصا ساذجا ضعيف الفكر ، إذ يسلم نفسه لخصومه اليهود ليصلبوه ويقتلوه ، زاعمين أنه بذلك يكفر خطايا البشر ، مـع أنه بـذلـك يضـاعف خطاياهم بتمكينهم من قتله ، في حين أنه يستطيع العفو عنهم دون أن يرتكبوا هذه المأساة أو المهزلة الكبرى بقتله ، ويتحملوا إثمها من غير داع ، وكيف يستطيع البشر أن يقتلوا إلههم أو ابن إلههم ، وكيف كان حال الكون حين قتله ، فهل كان اليهود يديرون شؤونه بعد قتله وقبل قيـامه من الموت ، أم كان يدار آليا بطبعه ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وكيف يستقيم أن عيسى هو الله أو ابن الله ، وقد ثبت في أنا جيلهم الأربعة أنه كان يخاطب الله وهو مصلوب قائلا : « إيلي إيلي لما شبقتني » أي إلهي إلهي لماذا تـركتنـي لأعـدائـي ليصلبـونـي ويقتلوني ، لقد أنكر القرآن كل هذا وحكم بكفرهم وعقابهم ، قال تعالى في سورة المائدة : « **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ○ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** » الآيتين ٧٢ ، ٧٣ وقال : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » النساء/١٥٧ .

وحسبك هذا القدر في تصوير الايمان بالله عند أهل الكتاب ، دون أن نعرض لتفاصيل أخرى ، ومعلوم أن العهد القديم موضع التسليم من اليهود والنصارى كما تقدم ، ولا نجد ردا

عليهم أعظم من قوله تعالى « **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** » الزمر/٦٧ . وقوله « **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** » الشورى/١١ . وقوله « **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** » .

اما الصابئة فمع إيمانهم بالله ووصفه بالأزلية والأبدية ، يتوصلون إلى عبادته بعبادة الكواكب كما سنبينه ، ولما كان إيمانهم بالله مشوبا بالاشراك به في العبادة ، فإنه لا يعتبر إيمانا به سبحانه ، ويضاف إلى ذلك أنهم كافرون برسله ، ومن كفر بهم فقد كفر بمرسلهم ـ كما سبق بيانه ، ولهذا لا ينجيهم إيمانهم بالله من أشد العقاب ، قال تعالى « **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق** » الحج/٣١ . وقال « **وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** » النساء/٦٤ . وقال « **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** » النساء/٨٠ ، وقال « **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ○ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا** » النساء ٤١/٤٢ ، وحذر من الكفر بآياته الدالة عليه أو على صدق رسله فقال « **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما** » النساء/٥٦ .

كما حذر أهل الكتاب من كفرهم بالقرآن بقوله « **يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا** » النساء/٤٧ .

دعوة هرقل إلى الاسلام ومدلولها

لا يوجد أعلم بمقاصد القرآن ممن أنزل عليه القرآن ، وأنت ـ أيها القارىء الكريم ـ تعلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا هرقل عظيم الروم ـ وهو نصراني يؤمن بالله إيمان النصارى به ، دعاه الرسول إلى الاسلام بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم اليريسيين ـ أي عامة الشعب ـ « **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** » آل عمران/٦٤ .

فأنت ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتبر هرقل النصراني على هدى ، ولهذا قال في خطابه : السلام

على من اتبع الهدى ، كما أنه دعاه إلى الاسلام ، لأن إيمانه بالله كإيمان النصارى بعيسى ، وهو إيمان غير سديد ، وقد جاء الاسلام ليصلح ما أفسده أهل الكتاب من عقيدة الحق ، وليأخذ بيد البشرية لتسلك الجادة الآمنة إلى نعيم الخلود ، وتبتعد عن تيهاء الضلال ، وتتجنب عذاب السعير .

ولقد اختتم النبي صلى الله عليه وسلم كتابه إلى هرقل بإنذاره بأنه إن تول وأعرض عن الاسلام الذي دعاه إليه مع أمته ، فإن عليه إثم عامة الشعب فوق إثمه ، لأنه لم يبلغهم دعوة الاسلام ولم يأخذهم بها ، ثم نبههم إلى توحيد الله والامتناع عن اتخاذ أرباب من البشر ، وختم كتابه إليه بأنهم إن أعرضوا عما دعاهم إليه ، فليشهد هو ومن معه من أهل دينه أننا نحن المسلمون دونهم .

وكما دعا النبي هرقل إلى الاسلام دعا المقوقس عظيم القبط إليه أيضا ، ومن ذلك نفهم أن الاسلام الذي يدعو إليه القرآن ويأمن به صاحبه من النار هو الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل ذلك يعتبر الايمان به وبالقرآن الذي انزل عليه اساسا في الايمان بالله الذي تكون به النجاة من الخلود في النار ، ويعتبر الكفر به كفرا بمن أرسله وأيده بكتابه العظيم .

○ كلمة عن الصابئة ○

في سهول الموصل جماعة يسمون الصابئة ، يؤمنون بأن الخالق واحد أزلي لا أول لوجوده ولا نهاية له ، منزه عن عالم المادة والطبيعة ، وهو الذي أوجدها ، ولكنهم مع هذا يتقربون إليه بعبادة الأفلاك والكواكب ، زاعمين أنها أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى ، وأنها حية خالدة ناطقة ، وأن كل ما يحدث في العالم يكون على حسب ما تجرى به الكواكب حسب أمر الله لها ، فعظموها ثم جعلوا لها تماثيل وأصناما ترمز إليها فعبدوها ، فهم كالمشركين الذين عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله تعالى .

وبما أنه سبحانه لم يقبل من المشركين اعترافهم بالله خالقا مع إشراكهم غيره معه في العبادة قال تعالى « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » النساء/١١٦ فالله سبحانه يرفض الوسائط في عبادته بقوله في القرآن « **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون** » الذاريات/٥٦ . وبقوله في الحديث القدسى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه » .





للمهندس/ محمد عبد القادر الفقي

يحفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تحث الانسان على التدبر في ملكوت السماوات والارض ، والتأمل فيما خلق الله ، لأن التدبر والتأمل من شأنهما أن يثيرا في الذهن عددا كبيرا من الأسئلة التي تقود إلى كشف الكثير من الاسرار التي اودعها الحق ـ سبحانه وتعالى ـ في خلقه ، ولأن ذلك ايضا يكون مدعاة الى الايمان بقدرته ـ عز وجل ـ والتسليم بوحدانيته ، والشكر على نعمه التي انعمها علينا ، ما ظهر منها وما بطن .

والجمل ـ سفينة الصحراء كما سماه العرب ـ ذلك الحيوان الصبور القادر على تحمل العطش في الجو القائظ أياما عديدة .. هو أحد آيات الله في خلقه التي حثنا

على دراستها والنظر في تكوينها وفي هيئتها وفي كيفية خلقها ، ولذلك فهو يستحق منا أن نقف أمامه ونحاول أن ندرك اسراره التي أودعها فيه الحق - عز وجل - والتي تمكن العلم الحديث من الكشف عن بعضها ، وأعتقد ان به من الأسرار ما لم نحط به علما رغم التطور العلمي والتقدم التقني الهائل والكبير الذي حققته البشرية في هذا العصر .

إنه مما يؤسف له أن علماءنا القدامي والمحدثين لم يهتموا بهذا الحيوان الذي اكرمه الله بالحديث عنه في كتابه الكريم ، وجعل النظر الى « كيفية خلقه » أسبق من التأمل في كيفية رفع السماوات ، ونصب الجبال وتسطيح الأرض : (**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الارض كيف سطحت. فذكر إنما أنت مذكر**)- سورة الغاشية/ الآيات ١٧ - ٢١ .

لقد حظى الجمل بمكانة كبيرة في الشعر العربي القديم باعتباره رفيق السفر ، ووسيلة المواصلات المريحة والمتاحة ، ولكنه لم يحظ بالدراسة العلمية الجادة ، والمتصفح لكتب « الحيوان » ألتي ألفها أجدادنا الأقدمون يتحقق له صدق رأينا هذا .

ان الجمل لغز كبير ، وكثيرا - حينما أخلو إلى نفسي وأضرب بعصاي في عالم الافكار - أحس أننا بحاجة ماسة الى دراسة هذا الحيوان دراسة متأنية شاملة ، وكاملة ايضا ، بمعنى أن ندرس الجمل فسيولوجيا وتشريحيا وبيولوجيا وبيوكيميائيا ، ولا ندع فيه صغيرة ولا كبيرة الا حللناها وفحصناها وقارنا النتائج التي نحصل عليها بغيره من الحيوانات ، وهي عملية تحتاج الى مجهودات كبيرة ومصاريف باهظة ، لكن مما لا شك فيه ان الاسرار التي يمكن ان نحصل عليها من مثل هذه الدراسة يمكن ان تؤدي الى قلب كثير من المفاهيم ، بل وإحداث ثورة كبرى في مجال العلم بصفة عامة ، ستنعكس اثارها على كل أوجه ألنشاط البشري ؛ وفوق هذا وذاك ، ستكشف النقاب عن سر تمييز الجمل عن سائر الحيوانات ، وتقديمه في الآيات الكريمة السابقة على رفع السماء ونصب الجبال !

لقد ساعدتنا معرفتنا ببعض العمليات الحيوية التي تحدث في الانسان والحيوان على محاولة تقليدها معمليا وصناعيا ، على سبيل المثال ، ساعد فهم الانسان لوظيفة الكلى على اختراع أجهزة الترشيح المختلفة التي لا تكاد تخلو منها صناعة ، بل وساعده ذلك أيضا على عمل وتصميم الكلى الصناعية ، أيضا ، ساعد فهم الانسان لطبيعة الاتصالات التي تحدث بين الخلايا العصبية و مراكز التحكم في المخ على اختراع وتطوير أجهزة الكمبيوتر والحاسبات الالكترونية ، ومن يدري ، ماذا يمكن للبشرية أن تجنيه من وراء الدراسات التي أدعو إلى إجرائها على الابل ، استضاءة بهدي القرآن الكريم ، وتذكرة للمؤمنين الذي يتبعون ما أنزل على نبيهم ويشهدون أنه الحق من ربهم .

وربما يقول قائل : إن الخيال والفكر قد نبا بك إلى أفق بعيد ، وأن الأمر لا

يتعدى لفت أنظار العرب ـ الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم ـ إلى أقرب الحيوانات إليهم حتى يتأملوه ، وكان من الضروري أن يخاطبهم القرآن على قدر عقولهم ، وأن يذكر لهم مثلا يعرفونه جيدا ، لأن التأمل فيما هو أمامك أجدى وأسهل من التأمل فيما هو بعيد عن ناظريك وعن حدود عقلك المحدود !!

وربما تعترف معي ـ عزيزي القارىء ـ بان هذا الرأي مردود عليه ، وأنه ينم عن قصور في الفهم ، لأن التأمل في خلق الابل لا يكون بالنظر الى سنامها أو شكلها الخارجي ، ولكن التأمل « المطلوب » هو البحث والنظر في « كيف خلقت » ، أي في دراسة الابل دراسة تتعلق بما يحدث داخلها في عمليات حيوية وكيميائية وكيميائية فيزيائية .. الخ ، بالاضافة الى التأمل في وظائف الاعضاء الداخلية والعلاقة بينها ، وما يحدث من تفاعلات ، وما تنقله الأعصاب من اشارت .. الخ .

إن النظر في « ألكيفية » يجب ألا نقصره على المظهر أو الشكل الخارجي كما يفهم البعض ، لأنه لا قيمة أو جدوى أو أهمية أو فائدة يمكن أن أجنيها من النظر الى الشكل الخارجي « المجرد » للجمل ، أو للجبال المنصوبة أو السماء المرفوعة .. النظر هنا يجب أن يكون أعم وأدق وأنفذ حتى أتعرف على الكيفية ، وهذا هو المغزى من ضرورة التذكرة للتأمل والنظر : (فذكر إنما أنت مذكر)

الجمل والعطش :

احد الاسرار التي شغلت الناس بمحاولة اكتشافها : قدرة الجمل الفائقة على الصبر على نقص الماء ، وقد تساءل كثير من الباحثين : إلام ترجع هذه القدرة ؟ هل يحتاج جسد الجمل إلى كميات قليلة من الماء ؟ هل يقوم الجمل بتخزين الماء في خلاياه توقعا ليوم لا يجد فيه قطرة يرتشفها ؟ وهل يحتوي جسمه على مصنع يقوم بانتاج الماء عند الحاجة اليه ؟

على أية حال ، فإن علماء الفسيولوجيا والبيولوجيا في العصر الحديث قد تمكنوا من حل هذا اللغز ، وهم بذلك قد سبقونا في النظر الى كيفية خلق الابل ، سواء بدون قصد ام قصد منهم .

لقد وجدوا ـ وهم للاسف من الغربيين ـ ان للجمل قدرة على انتاج الماء من الشحوم الموجودة في سنامه بطريقة كيميائية تعجز مصانع الارض قاطبة عن مضاهاتها في كفاءتها وعظمتها ودقتها ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق الذي أبدع كل شيء خلقه ، صنع الله ومن أحسن من الله صنعا :(**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**) سورة الأنعام/ الآية ١٠٢

وصدق الشاعر :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ومن المعروف لعلماء الفسيولوجيا والكيمياء أن افضل مادة خام لانتاج الماء ،

واسهلها منالا هي الشحوم والمواد الكربوهيدراتية ، ويرجع السر في ذلك الى أن هذه المواد لا ينتج عن احتراقها في الجسم أية مواد ثانوية ، بل كل ما ينتج عن عملية الاحتراق هو الماء وغاز ثاني أوكسيد الكربون الذي يتخلص منه الجسم في عملية التنفس ، بالاضافة إلى تولد كمية كبيرة من الطاقة يستغلها الجمل لمواصلة نشاطه الحيوي .

ويقوم الجمل بتخزين الشحوم في أماكن مخصصة لهذا الغرض ، وهو لا يخزنها تحت الجلد كما هي الحال في الانسان ، لأنه لو كان الأمر كذلك لهلك الجمل ومات بسبب السخونة الزائدة في جسم الجمل عن الانسان ، ولكن الخالق العظيم الذي ابدع في تصويره وخلقه شاء ان يخزن الجمل شحمه في سنامه فقط ، بحيث لا يترك شيئا منه في اي مكان آخر من سطح جسمه ، ولذلك ، لا يعاني الجمل من الحر ، ولا يفقد جسمه كميات كبيرة من العرق نتيجة لذلك ، وبالتالي ، يحافظ على الماء الموجود في جسمه من الفقد بسبب العرق .

ومن بديع خلق الله في الابل ان جعل احتياطي المادة الخام الضرورية لانتاج الماء ـ اي الشحوم ـ كبيرا للغاية يفوق اي حيوان آخر ، ويكفي للتدليل على ذلك ان نقارن بين الجمل والخروف المشهور بإليته الضخمة المملوءة بالشحم ، فعلى حين نجد الخروف يختزن زهاء ١١ كيلو جراما من الشحم في إليته نجد ان الجمل يفوق ذلك المقدار بأكثر من عشرة اضعاف « ١٢٠ كيلو جراما » وهي كمية كبيرة بلا شك ، يستفيد منها الجمل بتحويلها الى ماء وثاني اوكسيد الكربون اذا اشتد به الظمأ ، ولذلك يمكن للجمل ان يقضي حوالي شهر ونصف بدون ماء يشربه ، ولولا ذلك لمات هذا الحيوان عطشا .

كيف يحافظ الجمل على حرارة جسمه ؟

من المميزات التي يتميز بها الجمل عن غيره من المخلوقات ، والتي كشفها لنا العلم الحديث في هذا العصر : اختلافه عن غيره في المحافظة على حرارة الجسم ، فالجمل من الحيوانات ذات الدم الحار ، وهي حيوانات لها وسائلها الخاصة التي تحميها من البرد ، فحين تنخفض درجة حرارة الهواء تبدأ اجهزة خاصة في أجسام هذه الحيوانات بالعمل على عزل الجسم حراريا عن الوسط الخارجي المحيط به ، حيث تتقلص الأوعية الجلدية ويصبح الجلد باردا ، وتقل كمية الحرارة التي تنتقل من الجلد للوسط المحيط ، اما اذا ظلت الحيوانات تشعر بالبرد فإن أجسامها تبدأ بالارتعاش ، ويؤدي ذلك الى زيادة التوليد الحراري حتى تحس هذه الحيوانات بالدفء .

وحين خلق الله الجمل جعل جسمه قادرا على التكيف على العيش في ظروف الصحراء أكثر من سائر الحيوانات الأخرى التي تعيش في مثل هذه الظروف ، فمن المعروف أن الصحراء تتغير فيها درجة الحرارة بين الليل والنهار بشكل كبير ،

ويستطيع الجمل تحمل تقلبات درجة حرارة الجسم نتيجة لذلك ، والتي قد تصل الى خمس درجات ونصف دون إلحاق أي ضرر بصحته .

وفي الليل حين يكون الجو في الصحراء باردا ، حيث تصل درجة حرارة الجو أحيانا الى حوالي ـ ٤٠ درجة فهرنهيت ، اي تحت الصفر المئوي ، تنخفض درجة حرارة جسم الجمل إلى حوالي ٣٥ درجة مئوية ، وقابلية جسم الجمل لانخفاض حرارته الى هذه الدرجة لها فائدة كبرى ، ذلك لأن الجمل لن يحتاج الى بذل احتياطياته من الطاقة لكي يرفع من درجة حرارته ، أما في النهار ، حين ترتفع درجة حرارة الجو ، عندئذ ، ترتفع درجة حرارة الجمل إلى ٤٠,٥ درجة مئوية ، ولا يحتاج الجمل آنذاك الى بذل آية محاولة لتخفيض درجة حرارته هذه ، وهنا كما قلت سابقا مجال الاختلاف ، فبينما نجد أن الحيوانات الأخرى تظل درجة حرارتها ثابتة مهما تغيرت حرارة الجو المحيط بها ، نجد الجمل له القدرة على أن تختلف حرارة جسمه دون ضرر بين ٣٥ درجة مئوية و٤٠,٥ مئوية ، واذا اتخذنا الانسان مثالا للمقارنة ، نجد أن جسم الانسان في الحالة العادية تكون حرارته ٣٧ درجة مئوية ؛ أما إذا انخفضت حرارة جسمه عن هذه الدرجة او ارتفعت فوقها ، فان ذلك يكون دليلا على المرض ، وربما توفى الانسان اذا وصلت حرارة جسمه الى القيمتين اللتين تتراوح بينهما درجة حرارة جسم الجمل « ٣٥ و٤٠,٥ مئوية » .

ومن الأمور التي ينبغي أن نشير اليها هي أنه إذا انخفضت درجة حرارة الهواء المحيط بالجمل ـ حتى ولو لنصف درجة أو لدرجة واحدة ـ « وهذا ما يحدث في أغلب الأحيان » ـ فإن الجمل يصرف الى الخارج بكل سهولة فائض الحرارة الذي يتكون لديه أثناء عمله .

خاتمة :

هناك من الأسرار الموجودة في الجمل ما قد اكتشفه العلم الحديث وبينه لنا ، وهناك أسرار اكتشفت ولم نتبين بعد الحكمة منها ، على سبيل المثال فإن كرات الدم الحمراء لدى الغالبية العظمى من الحيوانات تكون مستديرة ، أما في الابل وحيوانات اللاما وهي شبيهة بالابل ، فانها تختلف ، فهي مشوهة ، ولا أحد يدري السبب في ذلك ، وهناك أسرار أخرى كثيرة لم يتوصل العلم إلى التعرف عليها بعد ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق ، وعلى دعوته الصادقة التي جاء بها النبي الأمي محمد ـ صلى الله عليه وسلم .



تشويه المستشرقين

لقد أخطأ المستشرقون في تصور الاجماع كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي وخلطوه بغيره من المصادر حتى جردوه من أسسه الثابتة المتينة ، وأصبح مصدرا مشوشا لا يمكن بناء الأحكام عليه فادعى شاخت أن الامام الشافعي وهو واضع علم أصول الفقه لم يقل كلمته الأخيرة في الاجماع ولم يبين رأيه فيه ، ومن جانب آخر رفع شاخت من شأن الاجماع كمصدر وجعله الضمانة الأكيدة للنقل الصحيح للقرآن والسنة في حين أنه يعلم أن استخدام الاجماع محدود ، بل إنه ذهب إلى أن ما كان طريق ثبوته الاجماع فهو صحيح ولا يبطله حتى الرجوع إلى المصادر الأخرى ثم يخلط بينه وبين العرف أو القانون العرفي ، ويجعل من القانون العرفي سندا للاجماع يقلم حتى على الكتاب والسنة فيقول : الاجماع قوى الجذور في القانون العرفي معترف به رسميا في بعض العناصر الهامة للعبادات حتى وإن تعارض هذا الاجماع مع الكتاب والسنة » ويزعم جولد تسيهر أن الاجماع عند المسلمين كان متأثرا بالقانون الروماني إلى غير ذلك من الأخطاء الكثيرة ولسنا هنا في معرض الرد على هذا الخلط وتلك الاخطاء بقدر ما نحاول الوقوف على الأسباب العلمية التي أدت إلى تلك الأخطاء . فنقول وبالله التوفيق إن الذي أوقع المستشرقين في هذا الخلط والخطأ عند تناولهم للاجماع كمصدر من مصادر التشريع الاسلامي عدة أمور :

أولا : أنهم لم يراعوا ترتيبه من حيث كونه مصدرا ثالثا ، إذ الترتيب يقتضي عدم اللجوء إليه إلا عند عدم وجود حكم صريح من الكتاب أو السنة أو لآزرة ما اختلف فيه من تفسير آية أو ثبوت حديث وما إلى ذلك .

وهذا يعني أن الاجماع قد كون مستنده من القرآن الكريم كالاجماع

للإجماع

للدكتور/ عجيل النشمي

المنعقد على حرمة نكاح الجدات وبنات الأولاد مهما نزلت درجتهن ومستنده قوله تبارك وتعالى (**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم**) النساء/ ٢٣ ، فقد أجمع علماء الأمة على أن مراد الآية بـ « أمهاتكم » الأصول من النساء وحينئذ تدخل الجدات مهما لت درجتهن . وأن مراد الآية بـ « وبناتكم » الفروع من النساء وحينئذ تدخل البنات الصلبيات وبنات الولد مهما نزلت درجتهن لاطلاق لفظ « بنات » عليهن .

وقد يكون الاجماع مستنده السنة ، كاجماع المسلمين على أن نصيب الجدة في الميراث السدس ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة السدس .

وابتناء الاجماع على القرآن والسنة مما لا خلاف فيه ، إلا أن الخلاف بين الأصوليين في استناد الاجماع على اجتهاد أو قياس ، فالجمهور على أنه جائز ، وهذا يؤيده اجماعات انعقدت في زمن الصحابة رضوان الله عليهم ـ كاجماعهم على جمع القرآن في مصحف واحد ، وهذا مستنده الاجتهاد في تحري المصلحة الشرعية وإجماعهم على تحريم شحم الخنزير وفي جميع الأحوال لا بد وأن ينظر للاجماع حسب مستنده من المصادر ، ثم ينظر إلى مستنده من الأدلة ، حتى يعتبر حجة قطعية لا يسع أحدا أن يجتهد على خلافه خصوصا إذا كان إجماعا منقولا بطريق التواتر . أما إذا كان نقله بطريق آحاد فيفيد الظن تبعا لطريق وصوله .

وهذا كله إذا توافرت شروطه من اتفاق المجتهدين جميعهم وأن يكونوا من المسلمين وأن يكون إجماعهم على حكم شرعي وأن يكون بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم .

وثانيا : أنهم اعتبروا الاجماع كما سبق مصدرا دخيلا على التشريع الاسلامي استمده المسلمون من القانون الروماني وهذه الفكرة كلفتهم مفارقات كثيرة وأخطاء لا يتحملها التصور الاسلامي للاجماع كمصدر من مصادر التشريع .

وكان تصورهم هذا مبنيا على اعتبار أن المسلمين أخذوا بالاجماع

لسد الفراغ التشريعي عندهم ، وتطور الأمر حتى أصبح الاجماع حاكما حتى على القرآن والسنة . ولهذا وجدنا جولد تسيهر يقول : « كل ما أجمع عليه جماعة المسلمين يعتبر صوابا ، ويستحق الاعتراف الواجب ويكون صحيحا فقط في الشكل الذي أعطاه له الاجماع ولا يكون صحيحا من تفسير القرآن سوى ما اعتبره الاجماع صحيحا ، من إقرار لنسخ القرآن بالسنة وبهذا المعنى يملك الاجماع حق الاذن بالتفسير »

ولا شك أن هذا ادعاء لا يسنده دليل ، ويكشف في نفس الوقت عن الجهل التام بمفهوم الاجماع المراد عند الأصوليين .

ثالثا : أنهم لم يفرقوا بين الاجماع والعادة أو العرف - كما سبق - وخلطوا بينهما خلطا أدى إلى نتائج خاطئة يقينا .

وهذا جولد تسيهر يتبنى هذا الخلط الفاحش فيقول :

أن فكرة الاجماع ، التي ثبتت قواعدها خلال هذاالتطور الذي مر بالشريعة الاسلامية ، أصبحت عنصرا من عناصر التوفيق والتقريب بين السنة والبدع المستحدثة ، وذلك آن المسلمين إذا اتبعوا عادة من العادات أو الفوا تقليدا من التقاليد يصبح في النهايةجزءا من السنة ، وقد ترتفع أصوات الفقهاء الورعين خلال بضعة أجيال مظهرين استياءهم وتذمرهم من هذه البدعة غير أن هذه البدعة كلما طال الزمن عليها وانعقد اجماع المسلمين على اتباعها تعتبر مباحة ، بل قد ينتهي الأمر بها إلى أن يشترط المسلمون مراعاتها ويرون البدعة كل البدعة في مخالفتها واطراحها ، وإذا فهم يصمون كل من طالب باعادة السنن القديمة واحيائها بأنه مبتدع .

ث، يضرب مثالا على ذلك فيقول : وانا نجد في مولد النبي مثالا بارزا يوضح لنا كيفية تطور البدعة وتحولها الى سنة .. وكان علماء المسلمين لا يزالون حتى القرن الثامن الهجري يعدونه مخالفا للسنة وثبت عند غالبيتهم على اعتبار أنه بدعة مستحدثة في الاسلام ، وصدرت فتاوي كثيرة في تحريمه وأخرى في اباحته .

غير أن هذا العيد أصبح منذ القرن الثامن الهجري ، اعتمادا على إقرار جمهور الأمة الاسلامية وموافقتها ، جزءا أساسيا جوهريا لا ينفصل عن صميم الحياة الاسلامية ، وأصبح لا يتطرق إلى ذهن مسلم أن يفكر في صدده على أنه بدعة من البدع المستقبحة ،

ثم يضيف قائلا : ويثبت لنا تاريخ الاسلام أن علماء المسلمين مهما بلغوا من الصلابة والتعنت في مبدأ الأمر ، ازاء العادات والتقاليد التي يكون جمهور الأمة قد ارتضاها وأقر اتباعها ، لم يستنكفوا مع ذلك أن تهدأ مقاومتهم لتلك العادات والتقاليد التي اكتسبت حقها في الوجود ، وأن يقرروا أن الاجماع قد انعقد على استحسان ما كانوا يعدونه من قبل من البدع المنهى عن اتباعها .

إن أول لبس وقع فيه جولد تسيهر أنه اعتبر من مهام الاجماع التوفيق والتقريب بين السنة والبدعة ، ونحن نعلم أن السنة ضد البدعة فكيف يوفق أو يقرب بينهما ، وكيف يقوم الاجماع بهذه المهمة ؟ وهل يقرب السنة إلى البدعة أو العكس ؟

يجيب جولد تسيهر عن هذا باعجب منه فيجعل مهمة الاجماع حيث اعتاد المسلمون تلك البدعة وألفوها وارتضاها جمهورهم ولم ينكروها فهذا هو الاجماع الذي صير البدعة سنة . وجعل من ينادي بالسنة ينادي ببدعة محرمة وهو بالتالي مبتدع . وهذا استنتاج لا يستقيم في ميزان النظر الدقيق بل مع أدنى نظر يسير .

ويكشف ثانيا عن جهله بمعنى السنة ومعنى البدعة ، أما السنة فقد بينا تفصيلها سابقا . وأما البدعة فهو يرى أنها العادة التي يسير عليها المسلمون زمنا طويلا وهي كما قال في موضع آخر : البدعة « كل ما خالف السنة أو كل ما لم يتماثل معها تماما سواء أكانت المخالفة في المسائل الاعتقادية . أم في أهون تفصيلات السلوك في الحياة العملية » .

وهذا تعريف للبدعة مبتدع لا يصح في جملته اطلاقا .

فالبدعة عند علماء المسلمين : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه : قال الامام الشاطبي وهذا التعريف على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات ، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول : البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية .

وعلى كلا التعريفين اللذين ساقهما الشاطبي لا يستقيم تعريف جولد تسيهر في جملته فتدبر، والذي نريد التوقف عنده هو ما ذكره من الخلط بين الاجماع والعرف أو العادة خلطا لا يستقيم معه المعنى الاصطلاحي السليم سواء للاجماع أو العرف .

فهو حينما أراد الاستدلال على أن البدعة هي السنة عن طريق الاجماع ، قال أن تلك البدعة أو تلك العادة لما استمرت زمنا متتاليا طويلا وارتضاها جمهورهم ولم ينكروها حتى انعقد اجماع المسلمين عليها وآعتبرت مباحة ، بل اصبحت شرطا لا بد من مراعاته ، بل انها أصبحت سنة . وكل هذا مستنده الاجماع .

فمحصلة هذا الكلام أن ما اعتاده جمهور الناس مدة من الزمن وكان مخالفا للسنة ولم ينكروه يعتبر أمرا مجمعا عليه لا يليق تغييره أو مخالفته ولو أنكره آخرون .

وهذا كلام يستحق الطعن من أربع جهات ، إذا علمنا أن الاجماع هو اتفاق مجتهدي الأمة في عصر من العصور بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على أمر شرعي :

الأولى : أن ما اعتاده جمهور الناس ليس بحجة على الشرع فهو عادة أو عرف يخضع لشروط العلماء

في العوائد والاعراف وأهمها أن يكون العرف صالحا غير مخالف لنص شرعي أو قاعدة شرعية عامة ..

فاعتياد الناس أمرا مهما طال عليه الزمن لا يعني أنه أمر مجمع عليه باطلاق حتى مع عدم انكارهم له .

الثانية : أن الاجماع إنما يكون معتدا به إذا كان من أهله وهم المجتهدون من علماء الأمة فمهما تكاثرت جماهير الناس لا يعتد بما هي عليه من فعل ولو صرحت بقبوله لمجرد تكاثرهم على أمر ما .

الثالثة : أن الاجماع لا يعتد به إذا أنكره أحد المجتهدين وفي كلامه ما يشير إلى مثل هذا الانكار .

الرابعة : أن الاجماع إنما يكون على أمر شرعي ، ولا يمكن أن يصح اجماع على خلاف السنة كما ذكره فهو إجماع باطل ولو فقه الرجل الاجماع والعرف وعلم الفرق بينهما ، ما وضع نفسه في هذه الزاوية الحرجة .

والفرق بينهما واضح لائح ، فان العرف أولا : لا يقوم دائما على مصدر من مصادر الشريعة وثانيا : قد يكون العرف صحيحا أو فاسدا وثالثا : ليس للعرف قوة الالزام دائما لاختلاف مصدر هذه القوة ، هل هي إرادة المجتهد أو قضاء المحاكم أو اتفاق الناس ، ومصالحهم تتباين ، ونظراتهم تختلف ، وعقولهم تتفاوت ، فلا تستطيع الحكم على العلاقات حكما متفقا عليه ما لم يكن الأصل أي المصدر متفقا عليه وثابتا .

ورابعا : يكفي في العرف التزام طائفة من الناس به أو أكثرهم سواء أكانوا من عامة الناس أو من خاصتهم .

أما الاجماع فانه :

أولا : لا ينعقد إلا باتفاق مجتهدي الأمة .

ثانيا : لا يتحقق إلا باتفاق الجميع سوا. كان اجماعيا قوليا أو فعليا أو سكوتيا .

وثالثا : ينبغي أن يكون مستندا إلى دليل شرعي لم يصل إلينا ، وإنما وصل إلينا الاجماع .

ويبدو من كتابات المستشرقين في الاجماع محاولتهم جعله سببا مباشرا لتطوير التشريع الاسلامي بادخال البدع والاعراف عن طريق الموافقة عليها بمثل ما ذكر .

ولعل شاخت كان أقل تحمسا في الاعتماد على الاجماع لتمرير كل هذا ، فقد أحس بأنهم حملوا الاجماع أكثر مما يحتمل مما أوقعهم في تناقض ، ولذلك يقول :

« على أنه يجب ألا نغالي ، مع هذا ، في تقدير صلاحيته أي الاجماع في تدرج التشريع الاسلامي ، ورفض الأحكام القديمة ، وادماج عناصر جديدة ، كما أنه من الراجح ، أن تدرجه لم يمنع البدع ولم يشجعها ، فان العناصر العديدة الغريبة التي يشتمل عليها التشريع الاسلامي دخلت فيه قبل أن يكون للاجماع ذلك السلطان على الفقه في جملته » .



الأيّام أزهار والمصائب أشواكها

للاستاذ/محمود إبراهيم طيرة

حقا إن الله بالناس لرؤوف رحيم ، وإن من مظاهر رحمته بالناس ، ورأفته بهم ، وتفضله عليهم ، تنويع الحياة في مناحيها المختلفة ، حيث لم يجعلها ـ سبحانه وتعالى ـ تقوم على حالة واحدة لا تتغير ، بل جعلها

أشكالا مختلفة وألوانا متعددة ، فيها

تسلية وفيها تسوية ، وفيها تشجيع على العمل وتحريض على مواصلة السير فيه بهمة عالية وعزم صادق ، هذا فضلا عن تجدد الآمال بتجديد الليالي والأيام ، والا كانت حياة جامدة هامدة ممجوجة مملولة ، تثبط الهمم وتفتر العزائم ، وتجعل أهلها كارهين لها ، ويضيقون ذرعا بها ، ولربما يدفعهم الضيق إلى اليأس منها والقنوط فلا تصبح الحياة حياة ، لأنه لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة ، وتكون النتيجة الحتمية أن أهلها يعيشون في قلق واضطراب ، وكبت وبؤس وانقباض واكتئاب ، كأنهم أموات الاحياء ، المعنيون بقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الأحياء !!
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

وإن أوضح مثال لما ذكر هو الوقت . نوعه المولى جل وعلا على مداه القصير ومداه الطويل ، أما على المدى القصير وهو اليوم ، فقد جعل بعضه نهارا وبعضه ليلا ، أما النهار فهو مشرق مضيء يكد الناس في ضيائه ويكدحون ، وينتشرون في الأرض يبتغون من فضل الله ، ويعمرون هذه الأرض التي استخلفنا الله فيها ، باكتناه كنهها ، واستخراج كنوزها وخيراتها ، واستثمارها بالزراعة والصناعة والتجارة ، واقامة المشروعات النافعة على اختلاف أنواعها فيفيدون أنفسهم وينفعون أمتهم وبلادهم ، وهذا هو ما أراده المولى سبحانه وتعالى من استخلافنا في الأرض . هذا كله فضلا عن أنه بمعرفة الأيام يمكن تحديد الزمن بالاسابيع والشهور والأعوام ، أما الليل فإن الناس يلتمسون في هدوئه وسكونه الراحة من عناء الأعمال طول النهار وإلى هذا يشير رب العالمين بقوله : « **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا ـ أي دائما ـ إلى يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل ارأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة مَنْ إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** »الآيات من ٧١ ـ ٧٣ من سورة القصص ، وقال عز وجل « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا** » الآية ١٢ من سورة الاسراء .

أما تنويع الوقت على المدى الطويل وهو العام ، فانه يتجلى في جعل العام أربعة فصول : وهي الصيف والخريف والشتاء والربيع ، ولكل

فصل من هذه الفصول خصائصه وفوائده التي تعود على الناس بالخيرات والبركات والنفع العام في أنفسهم وأنعامهم وزروعهم وثمارهم وسائر أحوالهم بيد أني لا أريد الدخول في تفصيلات هذا التنويع ، فإنه شيء كثير يطول شرحه ، لا سيما أن هذه المقدمة للموضوع الذي نحن بصدده ، ولا يناسبها التطويل ، فلأنتقل إلى الكلام عن حياة البشر على ظهر هذه الأرض وتنويعها ، ومواقف الناس من مصائبها واحداثها وما يتصل بذلك مما يدخل في موضوع هذا البحث (**الأيام أزهار والمصائب أشواكها**) فأقول : إن المولى تبارك وتعالى جعل للحياة في هذه الدنيا موازين ، وهي - ولا ريب - موازين عادلة فإن الحياة كما أن فيها الخير فإن فيها كذلك الشر ، وكما أن فيها ما يسر ففيها كذلك ما يسيء ، وهكذا تمضي الحياة متوازنة متعادلة : فكل ابتسامة تقابلها دمعة ، وكل مسرة تقابلها أحزان :

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان

أجل - إن الحياة على ظهر كوكبنا هذا لا تسير على نمط واحد ، ولا تمضي على وتيرة واحدة ، فإن كل يوم هو في شأن ، وكل وقت له مشاكله وشواغله ، فيوم يسر ويوم عسر ، ويوم شدة ويوم رخاء ، ويوم سعادة ويوم شقاء ، ويوم غنى ويوم فقر وهكذا دواليك مصداقا لقول القائل :

يوم لنا ويوم علينا
ويوم نُساء ويوم نُسر

هذه هي الحياة : محيط واسع ، وأفق بعيد ومجتمع رحيب ، تتلاطم فيه العبقريات ، وتتنافس المواهب ، ويضرب المرء في معتركه بسهمه ، فيوم يصيب ، ويوم يخيب ، فيتخذ من خيبته بالأمس عوامل نجاحه في الغد ، فإنه ليس عيبا أن يخطيء المرء أو يخفق في معترك حياته ، ولكن العيب أن يخطيء ويتمادى في خطئه ، فكل ابن آدم خطاء ، وجل من لا يخطيء ولا ينسى - إنه مما لا شك فيه أن لكل إنسان في هذه الحياة هدفا يحاول جاهدا أن يصيبه . فإذا وفقه الله ونجح في نيل مراده كان عليه أن يتوجه إلى المولى جل وعلا بالشكر على نعمة التوفيق والنجاح ، وإن جافاه التوفيق فصدمه الفشل ، وبلاه الزمان وعجمت عوده الأيام ، كان عليه أن يصبر كثيرا ، ويواجه المحنة بشجاعة ويحاول جهده أن يذلل الصعاب ، ويتخطى العقبات ، بل يدوسها كما يدوس الفتى كومة الهشيم إلى الأمل المنشود ، متمثلا بقول القائل :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

هذا والمشاهد المحسوس أن الحياة ملآى بالمصائب زافرة بالشدائد حافلة

بالآلام ، بل الحياة مدرسة تختبر فيها العـزائم ، وتبتلي الارادات ، وأن شئت فقل إن المصائب محك الرجال ومختبر الأبطال ! ، فلابد من مواجهة أخطار الدهر ، وأحداث الزمان ، بقوة العزيمة ، وصلابة الارادة ، وشدة الحزم والتصميم . وهذه كلها طاقات متولدة من الصبر ، وهو قوة احتمال كامنة في النفس لا يحركها إلا البلاء ، يدّرع بها المرء في مواجهة ما سوف يلم به من أرزاء أو يصيبه من كيد الأعداء أو ينزل به في معترك الحياة من بؤس وشقاء ! والناس في مواجهة المصائب مختلفون ، فمنهم من تذيبه المصيبة وتقضي عليه ، تنزل به فيفزع ويهلع ويضجر ويجزع ، ويترنح أمامها قليلا ثم يتهاوى ويسقط ، وفي الغالب يعيش مزعزع النفس ، منقبض الصدر ، مضطرب الأعصاب ، وقد أفسدت المصائب عليه حياته ! ومنهم من يذيب المصيبـة ويقضي عليها ، يـواجهها بصبر بالغد، وعزم صادق ، وإرادة صلبة لا تلين ، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى : (**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**) الآية ١٨٦ من سورة آل عمران . يغالب الشدائد فيغلبها ، وينازل المصيبة فيهزمها . ولا يلبث أن يقف أمامها وهي مهزومة مكدودة يتحدى ويتغنى بقول القائل :

فبـات يـريني الخطب كيـف احتماله
وبت أريه الصبر كيف يكون

ومن الناس المتأرجح الذي لا يثبت في مواقفه أمام كل المصائب ، فيوما يتماسك أمام المصيبة ويحاول أن يكون ثابتا ، ويوما آخر ينهار أمام مصيبة أخرى ويسقط ، وذلك حسب حجم المصيبة ومبلغ تأثيرها . ومثل هذا المخلوق يعيش حياة مشوشة مضطربة ، وهو في مسيس الحاجة إلى من يرشده ويثبته بالحكمة والإيحاء ويكون دائم الاتصال به عن كثب ليوالي إرشاده وتثبيته ، وحبذا لو هيأت الظروف له قدوة صالحة ، فقد يصير بها في وقت قريب من الثابتين الصابرين .

هذا ولما كان للصبر على المصائب والرضا بقضاء الله وقدره والتسليم له في كل الأمور الثواب الجزيل والأجر العظيم . كما بشر الله بـه عباده الصـابرين بقـوله جـل شأنـه (**ولنبلـونكـم بشيء من الخـوف والجـوع ونقص مـن الأمـوال والأنفس والثمـرات وبشر الصـابرين . الـذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليـه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) ١٥٥ ـ ١٥٧ من سورة البقرة ، فإن للصبر على المصيبة عند الصـدمة الأولى الثواب الأكبر والأجر الأعظم لأن الصدمة الأولى للمصيبة قد تطيح بصواب المرء فيكفر بربه ، ويتمرد على قضائه وقدره ، ولهذا كان للصبر عندها هذا الجزاء العظيم في الآخرة ، وقد يعوض الله عليه في الدنيا خيرا مما فقـد بقول مـولانا الـرسول عليـه

الصلوات وازكى التسليمات (اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم روح ولد عبدي فيقولون نعم ، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع - أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد) رواه الترمذي عن أبى موسى .

ولعله قد صار واضحا مما سبق ماهومقرر ومعروف ، من ان الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الآخر ، فضلا عن أن الصبر يتبوأ مكانة عظيمة بين الفضائل ، بل يعتبر أساسا لها جميعا ، فإنه إذا كان المال عصب الحياة - كما يقولون - فإن الخلق عصب المال والحلم عصب الخلق ، والصبر عصب الحلم ومن أجل ذلك ذكر المولى سبحانه وتعالى الصبر وحث عليه في سبعين موضعا من القرآن الكريم ، ووعد عباده الصابرين بالجزاء الأوفى الذي تجاوز به كل حدود الكرم فقال تبارك وتعالى : (**إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب**) الآية ١٠ من سورة الزمر وإذا كان الصبر لازما للفرد الذي يعيش في هذه الدنيا ، لمعالجة مشاكلها ، ومجابهة أحداثها ، فإنه أشد لزوما للزعماء المصلحين والقادة المرشدين ، لأنهم - ولا شك - يصادفون في طرقهم عقبات ، ويلقون مصاعب لا يمكن تذليلها إلا بالصبر وقوة الاحتمال ، وقد علمتنا التجارب وكثرة المران ، أنه لا يتسنى لمصلح أو مرشد أن يصيب هدفه من غير أن يناله الأذى ويلحق الضرر من خصوم دعوته الذين لا تهدأ جنوبهم ولا تغمض عيونهم من الدس عليه ، والكيد له ، ووضع العراقيل في طريقه ، فإذا لم يصبر كثيرا ولم يصفح طويلا فستفلس حتما دعوته ، وتتوقف رسالته ، ويعود من جهاده صفر اليدين وبخفي حنين ! وتذهب جهوده أدراج الرياح .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه ليس من السداد ولا من الرشاد أن يفزع المرء ويجزع كلما ألمت به شدة أو نزلت بساحته مصيبة ، فإنها قد تكون في ظاهرها نقمة ولكنها في واقعها نعمة ، كأن يبتليه المولى بها كي يطهره من ذنوب أو يرفع بها درجته عنده وهاتان نعمتان كبيرتان ، توجبان لله كل حمد وشكران .

كما أنه ليس من سداد الرأي أيضا أن يستبد الفرح بالمرء إذا أصابته نعمة فيتملكه الغرور والكبرياء والصلف والادعاء ينسى مولاه المنعم المتفضل وربما يتمرد عليه فيغضبه ، ومن يحلل غضب الله عليه فقد هوى ! والى هذا يشير رب العالمين بقوله (**كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) الآية ٢١٦ من سورة البقرة . وأوضح الأمثلة لمن تملكهم الغرور عندما أصابتهم النعمة هو فرعون وقارون :

أما فرعون فقد آتاه الله ملك مصر بما فيها من خيرات كثيرة ونعم وفيرة ونيل عظيم ، يمتد بها من أقصى

الجنوب الى أقصى الشمال ، يجري بصافي السلسبيل فيشرب منه الظمآن من أنسان وحيوان ويحيي بمـائه العذب الأرض الموات فتخرج الزروع والثمار وينبت الله فيها جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد . آتى الله فرعون هذا الملك الكبير فبدلا من شكره على ما أولاه من هذه النعم طغى وبغى وتجبر ثم تمرد على ربه ثم كفر به ، ثم ادعى الألوهية حيث جمع الناس ونادى فيهم قائلا ـ أنا ربكم الأعلى !! فانتقم الله منه فأغرقه وجنوده أجمعين ، قال تعالى مبينا ما كان من أمر فرعون مع نبي الله موسى عليه السلام ثم ما كان من طغيانه وجبروته وتمرده على ربه وادعائه الألوهية فقال سبحانه : (**هل أتاك حديث موسى ○ إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى ○ اذهب إلى فرعون إنه طغى ○ فقل هل لك إلى أن تـزكى ○ وأهديـك إلى ربـك فتخشى ○ فأراه الآية الكبرى ○ فكذب وعصى ○ ثم أدبر يسعى ○ فحشر فنادى ○ فقال أنـا ربكم الأعلى ○ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ○ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**) الآيات ١٥ ـ ٢٦ من سورة النازعات .

أما قارون فقد آتاه الله المال الوفير والكنوز التي تثقل مفاتيح خزائنها العصبـة أولى القوة وتميلهـا فـلا تستطيع حملها فاستبد بـه الفرح وخرج على قومه في زينته مزهوا مختالا فنصحه قومه فلم ينتصح وذكروه بربه وبالآخرة فلم يتذكر واستمر في غروره وادعائه ، يقول: أنا أوتيته على علم عنـدي فخسف اللـه بـه وبـداره الأرض ! ولندع القرآن الكريم يحكي لنا القصة فيقول : (**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ○ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ○ قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ○ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ○ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ○ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ○ وأصبح الذين تمنوا مكانـه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر . لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون**) الآيات ٧٦ ـ ٨٢ من سورة القصص .

وهكذا تتجلى لنا الحكمة القائلة : كم من منحة في طيها محنة ، وكم من محنة في طيها منح . هذا وإذا كان المؤمن العادي ينظر إلى المصيبة على

أنها نقمة يجب الصبر عليها فإن لله رجالا ربانيين ، قد اشتد قربهم من الله وعظمت مكانتهم عنده ، يرون أن المصيبة ليست نقمة يجب الصبر عليها ، بل إنها نعمة توجب الشكر لله رب العالمين ، لأنها من عند الله ، وكل ما جاء من عنده خير ونعمة .

يحدثنا أرباب السير أن شقيقا البلخي نزل ضيفا على رجل صالح من أهل العلم ، وبينما هما يتحادثان سأل شقيق صاحبه قائلا ـ هل عندكم زهد ؟ قال الصاحب نعم ، فقال شقيق ـ ما حد الزهد عندكم ؟ فقال الشامي ـ نحن قوم إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ، فضحك شقيق حتى استلقى على قفاه ، فسأل الشامي ضيفه قائلا ومم تضحك ؟ فقال شقيق اضحك من زهدكم ، هذه صفات كلابنا في بلخ : إذا رمينا للكلب كسرة خبز أكلها ، وإلا أقعى على ذنبه في انتظار فرج الله ـ فقال الشامي وهو قنيط محنق إذن ما حد الزهد عندكم في بلخ ؟ فقال شقيق نحن قوم إذا وجدنا آثرنا ـ أي قدمنا غيرنا على أنفسنا ممن يكونون أحوج إلى الطعام منا مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى : (**والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ـ أي فقر وشدة حاجة ـ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) الآية ٩ من سورة الحشر ـ وإذا فقدنا شكرنا ، فانتم عددتم الفقدان نعمة يجب عليها الصبر ـ ونحن نعده نعمة يجب عليها الحمد والشكر الجزيل .

أما بعد فإن لنا في باب الصبر على الشدائد وتحمل المصائب أسوة حسنة بمولانا الرسول صلى الله عليه وسلم فلقد كان فيهما المثل الأعلى غير منازع : لقى من قومه وأقرب الناس إليه ، من أشد أنواع الأذى وأقسى صنوف الانتقام ما لاقى مما لا يحتمله الجبال الرواسي وتنوء به كواهل الشجعان البواسل ، فما هلع ولا فزع ، ولا وجل ولا جزع بل كان ثابتا ثبات الجبال واسع الصدر طويل الصبر ، وما استكان ولا وهن ولا ذل ولا ضعف ، ولم يبلغ الملل من نفسه ولم يخلص اليأس إلى قلبه ، فكان يقول لقريش أشد ما كان به هزءا وسخرية ـ والله يا معشر قريش لا يمضي عليكم غير قليل حتى تعرفوا ما تنكرون ، وتحبوا ما أنتم له اليوم كارهون ، ! ولكأني به عليه الصلوات والتسليمات قد دخل على ولده إبراهيم وهو مسجى على فراش الموت يجود بروحه ، وكان يحبه حبا جما ـ فاضت عيناه بالدموع ، دموع العطف والحنان الأبوي ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ما فزع أمام مصيبة الموت ولا جزع بل ادرع بالصبر الجميل ، ولم يزد على أن قال « العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون .

وموقفه صلوات الله وسلامه عليه في ليلة الهجرة مثل رائع من أمثلة الصبر وقوة العزم ، وصلابة الارادة والثبات العجيب في مواطن الخطر « فقد

أحاطت بداره كوكبة من أقوى وأشد شبان القبائل استعدادا لتنفيذ المؤامرة التي أعدها أعداؤه بليل ، حيث يضربونه تحت جنح الظلام وهو نائم في فراشه ضربة رجل واحد فيذهب دمه في القبائل ! ولكن الله تعالى أمره بالهجرة في هذه الليلة فخرج عليهم رابط الجأش ثابت الجنان غير هياب ولا وجل ، وفي يده قبضة من التراب حثاها في وجوه القوم وهو يقول شاهت الوجوه ، ويردد قول الله سبحانه : (**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) الآية ٩ من سورة يس،وكان موقفه ومعه أبو بكر في الغار لا يقل روعة وثباتا عن موقفه وهو يغادر الدار . أما موقفه عليه الصلوات والتسليمات في غزوة الأحزاب وقوة احتماله ، وعظيم صبره وثبات قدمه وقد أحاطت به الأخطار فقد كان أغرب من الخيال : وها هي ذي قريش قد أقبلت مع حلفائها في عشرة آلاف مقاتل جاءوا إلى النبي والمسلمون من فوقهم ومن أسفل منهم ، فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر حيث كان هؤلاء الجاهليون المتآمرون يريدون خنق الدعوة الاسلامية قبل استفحالها ، وقتل صاحبها الرسول في عقر داره ، وهنا قد حانت الفرصة للمنافقين وضعاف الايمان ودعاة الهزيمة فخلعوا ثياب التمويه والتضليل والخداع ، وظهروا على حقيقتهم ، فيقول المنافقون منهم ومن في قلوبهم مرض يتحدون الرسول ويستفزونه ـ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، وقامت طائفة منهم يحرضون الناس على أن يولوا الأدبار وينفضوا من حول الرسول ، فينادونهم قائلين ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي في أن يرجعوا إلى بيوتهم معتذرين بأعذار كاذبة واهية فيقولون ـ ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ، إن يريدون الا فرارا . كل هذا يجري من حول الرسول وهو صابر صبر الأبطال ، وثابت ثبات الجبال ، والموقف رهيب ، والوقت عصيب ، والساعة فاصلة في حياة الدعوة الاسلامية ، ولكن صاحبها الرسول واقف كالطود الشامخ : ثابتا لا يبرح ، ومقبلا لا يدبر ولا يتزحزح ، وثقته في نصر الله وتأييده لا يتزعزع ، فما هي إلا لحظات حتى أن ادركه الله بنصره وأيده بجنده ، فأرسل على الاعداء ريحا وجنودا لم يرها المؤمنون : وأرسل عليهم تحت جنح الظلام ريحا عاصفة عاتية ، اقتلعت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، وأكفأت قدورهم وصارت تعوي في آذانهم عواء مخيفا ، وألقى الله الرعب في قلوبهم ، فتهيأ لهم أن محمدا قد عبر بجنده الخندق المضروب حول المدينة ، وأطبق عليهم ففروا هاربين إلى رؤوس الجبال ، متهالكين مذعورين لا يلوون على شيء ! وهكذا رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا !

أكتفي بهذا القدر من مواقف الرسول في الصبر على المصائب واحتمال الشدائد ، فمواقفه تلك

كثيرة عديدة لا يستوعبها مثل هذا المقال ، بيد أني أشعر كأن صوتا يهمس في أذني ويقول - إن الرسول عليه الصلوات والتسليمات ممدود من الله بالقوة ، وموعود بالنصر والتأييد ، فلا غرو أن تكون مواقفه في أوقات الشدائد والمصائب على ما ذكرت ، فما بال الناس الذين ليسوا بأنبياء ولا رسل ؟ وردا على هذا أقرر أن لفتة إلى الوراء ، ونظرة في تاريخنا الاسلامي المجيد ترينا بما لا يدع مجالا للشك أن كثيرا من المؤمنين في مراحل التاريخ المختلفة قد أودعوا سجلاته قصصا من الصبر ، تلفت الانظار وتسترعي الانتباه بل تدعو إلى الاعجاب وتثير في النفس الدهشة والاستغراب ! وإني لذاكر طرفا قليلا منها كنماذج لما أقول ، لأن استيعابها يحتاج إلى كتب ومجلدات .

فهذا رجل مؤمن ملأ الايمان قلبه ، فملك عليه مشاعره وحواسه فأنساه آلام نفسه ومسح عنها آثار الهموم ، لا يرى المصيبة تنـزل به بعينيـه كلتيهما ، بل ينظـر إليها بـاحدى عينيه ، وينظر بالأخرى نعم اللـه عليه ، ويحاول أن يوازن بين المصيبة وبين هذه النعم ، فلا يستطيع ، حيث تبدو المصيبة تجاه النعم ضئيلة قليلة أما النعم فتتجلى أمام عينيه كبيرة كثيرة جليلة ، ثم يحس من أعماقه بضميره يهتف به ويقول - إن كان الله قد سلب فقد أعطى ، وإن كان قد ابتـلى فقد أنعم ، وهكـذا يفلسف المصيبة إلى ما يجعله صابرا عليها ، بل راضيا بها ، شاعرا بفضل الله ورحمته مطمئنا إلى عدالته ، مؤمنا بقضائه وقدره ، ذاكرا قوله جل علاه (**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانـا وعلى اللـه فليتوكـل المؤمنـون**) الآية ٥١ من سـورة التوبة . ذلكم الرجل هو عروة بن الزبير ، مثل في رباطة الجأش ، ومقابلة المصيبة بالصبر وقوة احتمال الآلام ! أصابته (الأكلة) في رجله فأشاروا عليه ببترهـا ، خشية أن تفسد عليه سائر جسده وقالوا له - تسقيك المرقد - أي المنوم وهؤلاء الرجال يمسكونك حتى لا تفلت من أيدينا أثناء القيام بالجراحة ، فلربما تنبهك شدة الالام ، فلا تستطيع معها صبرا ، فقال لهم - لا داعي لهؤلاء الرجال سأكفيكم ذلك من نفسي ، ثم مد رجله فأعمل فيها الطبيب مبضعه وعروة ثابت لا يتحرك ولا يلتفت ، حتى اذا بلغ العظام أعمل فيها المنشار . وأغلى الزيت في مغرفة الحديد وحسم به الداء ! كل ذلك يتم وعروة لم ينقبض له وجه ، ولم تتغير له سحنة ، ولم تسمع له أنّة ، وما كاد الطبيب ينتهي من العملية حتى دخل على عروة رجل يعزيه ويواسيه فقال للرجل - إن كنت جئت تعـزيني في رجلي فقـد احتسبتها عند الله ، فقال له الرجل - لا أعزيك في رجلك ولكن أعزيك في ولدك فقد سقط الساعة في (الاسطبل) فما زالت الدواب ترفسه حتى قتلته ، فلم يفزع عروة ولم يجزع ، وما زاد على أن قال مناجيا ربه - اللهم أخذت ابنا وأبقيت لي ابناء ، وأخذت عضـوا وتركت لي أعضاء اللهم إن كنت ابتليت

فقد عافيت ، وإن كنت أخذت فقد أبقيت !! هذا مثل يعد من أروع الأمثال في الصبر على البلاء ضربه للناس عروة بن الزبير فهل هم به يقتدون ؟ وعلى منواله ينسجون ؟ لعل وعسى ! ، ولم تكن قصص الصبر على احتمال المكاره وقفا على الرجال المؤمنين وحدهم ، فإن نساء المؤمنات كانت لهن قصص مثيرة في هذا المجال ، بل ربما كن في بعض المواقف أبلغ في الصبر من الرجال . فهذه الخنساء امرأة قد فقدت زوجها وأخويها معاذا وصخرا ولكن الأقدار ما لبثت أن صدمتها صدمة أخرى أقسى وأعنف ، فقد ابتلاها الله بفقد أولادها الاربعة في حرب القادسية فلم تلطم خدها ، ولم تشق جيبها كما تفعل النساء عند نزول المصائب ، بل واجهت المصيبة التي تقصم الظهور بالصبر الجميل والرضا والتسليم ، ولم تزد على أن قالت ـ الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته !! وهذه أسرة ياسر كان الطغاة المشركون يسومونها سوء العذاب وكان الحبيب المصطفى عليه الصلوات والتسليمات يمر بهم وهم يعذبون فلا يملك الا أن يقول لهم مواسيا صبرا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة غير أن المشركين لم يكتفوا بتعذيب الأسرة فرأوا أن سمية أم عمار بن ياسر إن هي صبأت عن دين محمد إلى دينهم فسوف يتخلخل الاسلام في دار ياسر ثم لا يلبث أن يزول ، ولكن كيف تفعل سمية ذلك وهي امرأة صعبة المراس ، شديدة التمسك بدينها ! إنه لا وسيلة لجعلها ترضخ لمطلبهم وتستجيب إلا تهديدها بالقتل على اسوأ صورة إن لم تفعل ! هكذا تآمر المشركون على المرأة المؤمنة وما هي إلا ان قرروا تنفيذ المؤامرة وذهبوا إلى سمية وهددوها بأنها إذا لم تصبأ عن دين محمد الى دينهم فسوف يقتلونها شر قتلة وأعطوها مهلة للتفكير في الأمر والاستقرار على رأي ثم موافاتهم به فذهبت سمية إلى مولانا الرسول عليه الصلوات والتسليمات شاكية ، فرخص الله تبارك وتعالى لها بأن تجاريهم بلسانها فقط إنقاذا لحياتها ولا يضرها ذلك ما دام قلبها عامرا بالايمان ، وقد نزل هذا الترخيص في قرآن كريم يتلى ، فقال سبحانه : (**إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ○ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**) النحل ١٠٥ ، ١٠٦ . هكذا رخص لها القرآن بأن تنطق كلمة الكفر بلسانها حفاظا على حياتها ، ولكنها قالت في عزم واصرار وتصميم ـ والله لا ألوث فمي بها أبدا ! فلما سألها المشركون عن رأيها الأخير أعلنتهم في شجاعة نادرة أنها لن تترك دينها الاسلام أبدا وليفعلوا بها ما يشاءون ، فطار صوابهم ، وركبوا رؤوسهم وربطوا أحد فخذيها في بعير والفخذ الآخر في بعير ثان ، ووجهوا البعيرين وجهتين مختلفتين فشقوها نصفين . وعلى هذه الصورة

البشعة لقت سمية مصرعها وهي تتمثل بقول القائل .

وقد خيروني الكفر والموت دونه
وقد هجرت عيناي في غير مفزع
ولست أبالي حين اقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي !!

وهذه امرأة مؤمنة تدعى الرميصاء كانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام مات ولدها الصغير الوحيد بين يديها بعد مرض طويل فما أن رأت إمارات الموت ترتسم على وجهه حتى صرفت أباه في قضاء حاجة لها يستغرق قضاؤها وقتا طويلا ، حتى لا يرى ولده يموت حيث كان يحبه حبا كبيرا ، فخشيت عليه الفتنة في دينه ومات الولد فغطته راضية بقضاء الله ، ولما جاء أبوه سألها عنه فقالت إنه قد نام ، وكان لا ينام في مرضه فاستبشر الرجل ، وظن أن شفاء الولد قد بدأ ، وفي الليل تزينت له كأحسن ما تتزين المرأة لزوجها وكان بينهما ما يكون بين الرجل وزوجته في وقت الصفاء ، وفي الصباح لقنته الخبر بحكمة حيث قالت له لو أن أحد الناس استودعك شيئا ثم جاء يطلبه أتمنعه منه ؟ قال لا ، فقالت له إن الله استودعنا هذا الولد ثم أخذ وديعته فهل تغضب لذلك ؟ قال لا ، إن لله ما أعطى ولله ما أخذ ثم ذهبا إلى الرسول وأخبراه بما كان فأثنى عليهما ودعا لهما بخير ، وبشرهما بأن الله سيعوضهما خيرا عما فقداه وهكذا قد كان .

أيها القارىء الكريم إن من يسير في دروب الحياة على ظهر هذه الأرض لا يسلم من المصائب ، تكدره وتنغصه وتكاد تفسد عليه حياته : لا يخلو من العقبات تعترض طريقه وتعوق سيره ، فلابد من مواجهتها جميعا بالصبر ، يقاوم به المصائب ويغالبها فيبطل مفعولها ويتخطى به العقبات ليواصل سيره ولا يتخلف عن القافلة . إن الانسان العاقل الرشيد هو من اذا هبت عليه العاصفة ينحني لها حتى تمر بسلام ثم يمضي في طريقه لا يتوقف !

واذا كان من المسلم به أن الصبر مر المذاق ، فإنه بلا أدنى شك حلو العاقبة ، يقول الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه لا يعدم الصبور الظفر ، وإن طال الزمان ، فهنيئا للصابرين ، وهذه أبيات ليست من صنع الخيال بل من وحي المقال أختتمه بها :

إصبر على حلو الزمان ومره
واعلم بأن الله بالغ أمره
ما شاء ربك أن يكون فسوف لا
يتخلفن دقيقة عن وقته
ولكل حي في الورى قدر يلا
حقه ، فلا إفلات من مقدوره
والله رب خالق ، ومقدر
يختار ما هو واقع في ملكه
سلم أمورك للاله جميعها
ولترض إن حكم القضاء بحكمه

وقفة تأمل

هل فقدت الأمة عقلها!

● أنعم الله على البشرية بالدين الاسلامي الخالد .. وارتضاه دينا لها .. يقول سبحانه « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

● وغاية الدين هي تحقيق سعادة الانسان في دنياه وأخراه .. بالاحتكام إلى شرعه « **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** » .. والامتثال لأمره « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » .. والدعوة إلى ما حث عليه ، والابتعاد عما نهى عنه : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » .

● وخلق الله الكون للانسان ليعمره ، وليكتشف كنوزه ، وليكون خليفة لله سبحانه في أرضه ، يبذل جهده في سبيل الخير وتحقيقه : « **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه** » .

● وحتى يقطع الدين الاسلامي دابر الخلاف والشقاق ، ويقضي على عوامل الفرقة والتمزق .. كانت وحدة العقيدة .. فالله واحد أحد لا شريك له ولا مثيل « **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** » .

● والناس سواسية كأسنان المشط .. لا تفاضل إلا بالتقوى والعمل الصالح : « **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

فما دام الدين واحدا .. والناس في ظله سواء ، والعدالة مكفولة للجميع .. فلا ضرر ولا ضرار فلم التنازع والخصام ؟ .. بله العداوة والقتال .. والاعتداء .. والتخريب ؟ لمصلحة من تقاتل الأمة المسلمة نفسها ؟ لمصلحة من تستمر الحروب فيما بيننا ؟ .. ديننا واحد .. وقبلتنا واحدة .. ورسولنا

واحد .. وإلهنا ـ رب الوجود ـ واحد .. فلم الفرقة .. والبغضاء .. وإشاعة الفوضى والاضطراب ؟ .. لمصلحة من نجعل نعمة الله علينا نقمة .. فنخرب اقتصادنا .. وندمر منشآتنا .. ونقتل أولادنا ؟ .. لمصلحة من نطمع الأعداء فينا ـ وهم كثر ـ وكلهم يريد الكيد للاسلام والمسلمين ؟ هل فقدت الأمة عقلها ؟ .. وهل انتهت مشاكلها مع خصومها .. حتى تنشأ مشاكل بين أبناء الملة الواحدة ؟ .. إنه لأمر عجيب .

● وويل لهؤلاء الذين يزرعون الفتن والقلاقل .. ويروعون الآمنين .. ويقتلون الأبرياء .. ويعملون على نقض البنيان الاسلامي .. والاتيان على أساسه من الداخل ..

ويل لأولئك الذين يظلمون الناس بغير حق .. ويجعلون من الأمة الاسلامية فرقا .. وأحزابا ..

● وإذا كانت حكمة الله قد اقتضت أن يكون هناك اختلاف بين الناس .. فإن الله سبحانه قد حذرنا من البغي والفساد .. ودعانا إلى الأخذ على يد الظالم .. بقوله تعالى : « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء ألى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** » .

● ودعانا القرآن الكريم إلى أن تكون منا جماعة من شأنها أن تدعو للخير ، وتعمل للاصلاح ورأب الصدع .. « **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » .

● يا إخوة الاسلام .. ويا أصحاب الأمر .. تداركوا ما فاتكم .. واستعملوا عقولكم .. وراعوا الله في دينكم .. وأهلكم .. وشعوبكم .. وتعالوا إلى كلمة سواء .. ووفروا دماء المسلمين وأموالهم لما هو واجب من جهاد الأعداء .. واعملوا على تنمية الحاضر .. لنصل إلى مستقبل أفضل .

● ويا أخي القارىء .. حاول أن تستطلع أخبار أقطار المسلمين .. وقل لي أي قطر منها بلا مشاكل وأي قطر منها لا يعيش الأخطار .. وكيف يتسنى لنا أن نحتفل بالعيد .. وقد قتلوا البسمة على شفاه الأطفال .. ودمرت قنابلهم منازل الأبرياء .. والرعب في كل مكان .. وفتن كقطع الليل المظلم .. ولا منجى ولا خلاص مما نحن فيه إلا بالعودة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، وتحكيمهما في واقعنا .

والله ينقذنا مما نحن فيه .. ويهدي للتي هي أقوم ...

فهمي عبد العليم الامام

الوحدة الاجتماعية

الحمدلله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد .

فقد كان المجتمع الانساني قبل الاسلام يقوم على نظام الوثنية التي كانت تمثل في ذلك الوقت نظاما اجتماعيا أشد خطرا من العبودية ، ويتجسد ذلك النظام في مجموعة العادات والتقاليد والعقائد الفاسدة التي اتضحت في وأد البنات وتعدد الزوجات الى غير حد ، والربا في افحش ما تستطيع العقلية البشرية ان تتصوره ، والاباحية في اسفل صورها . لم تكن هناك قوة تكون من شأنها ومهمتها نصرة المظلوم ودفع القوى عن الضعيف وردع الظالمين ، الا ان بني هاشم وغيرهم من العقلاء آنذاك من الحكومات الحاكمة سنوا قانونا ينص على الا يكون بمكة مظلوما من اهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى يردوا عليه مظلمته ، وسمى الاجتماع الذي سن فيه هذا القانون بحلف الفضول وقد اختاروا دار عبدالله بن جدعان لعقد هذا الاجتماع ، والاسلام لم يكن الا لكي يطمس كل ما شوه المجتمع من تلك المفاسد ويشيد على انقاضها مجتمعا خاليا من الظلم والعدوان .. مجتمعا سماته الطهر والوحدة والتكافل الاجتماعي والتآزر والسلام بين الناس ، فكما ان ديننا الحنيف دعانا الى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك

والتكافل في الاسلام

للاستاذ حامد عبدالمقصود

له فقال تعالى (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه**) سورة الاسراء آية ٢٣ .

فقد دعا ايضا الى الوحدة بين معتنقي هذا الدين وحث عليها فقال تعالى (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) آل عمران ١٠٣ .

كما ان الاسلام جعل تحيته (السلام عليكم) وهي عبارة في صميمها تدعو الناس الى السلام فيما بينهم لأن السلام محطم لمؤامرات الشيطان وجدير بتأليف القلوب وتوجيهها الى العمل المثمر المفيد وربنا عز وجل يقول (**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**) سورة البقرة آية ٢٠٨ . وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيئ اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم**) **رواه مسلم وابو داود والترمذي** . وشريعة هذا الدين لم تأت لجماعة دون جماعة او شعب دون شعب وإنما هي للناس كافة فهي شريعة كل قبيلة ودولة . ولم تأت لوقت دون اخر ولكنها شريعة كل وقت وكل

زمان ، وكل ما اتت به هذه الشريعة السمحاء انما هي معان سامية انشأت اصحابها نشأة جديدة خالصة لله عز وجل واتصلت بوجدانهم وقلوبهم فحررت النفوس من قيود الذل والهوان وطهرت القلوب من الوثنية ودعت الناس جميعا الى الوحدة والتوحيد . فاذا نظرنا الى الصلاة وجدنا أن فيها اجتماع المسلمين،توجه اليهم دعوة بالاتحاد وتدعوهم الى الإخاء الصادق والوحدة وذلك بتوجيههم جميعا نحو قبلة واحدة ففي مشارق الأرض ومغاربها وبها يشعر المسلمون جميعا بأنهم امة واحدة ، والحج الى بيت الله الحرام انما هو اجتماع للمسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم مرة كل عام ليعرف بعضهم بعضا (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**) سورة الحجرات آية ١٣ .

والصيام كذلك يدعو المسلمين الى استرداد حريتهم وارادتهم وحرية تفكيرهم وفيه معنى المساواة بامساك المسلمين جميعا في وقت واحد وافطارهم كذلك في وقت واحد فهو في حد ذاته دعوة الى الاتحاد واما الزكاة فهي حق يأخذه الفقراء من مال الأغنياء وما شرعت الا لمحاربة الفقر وآثاره لكي تعين الفقير على الحياة وتجتث ما في قلبه ونفسه من الحقد والبغضاء تجاه الأغنياء من الناس فهي عامل من عوامل الوحدة بين صنوف المسلمين وكذلك الصدقة فهي تطهير للنفوس وللمال بجانب انها تساعد على تأليف القلوب ونشر الحب بين المسلمين .

(**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) سورة التوبة اية ١٠٣

ومن ذلك كله يتضح ان مبادىء الاسلام وشرائعه وفرائضه بينت للمسلمين طريق الأخوة والوحدة ووضعت لهم اللبنات الأولى في بناء صرح الاسلام الشامخ الذي يدعو الى تلك الوحدة والأخوة والاتحاد وربط المسلمين بعضهم البعض بأوثق الروابط . قال تعالى :

(**إنما المؤمنون إخوة**) سورة الحجرات آية ١٠ .

التكافل الاجتماعي في شريعتنا الاسلامية :ـ

كما أن الاسلام دين توحيد فانه كذلك دين القوة والحرية والتكافل فالنظام الذي سنه في تعاليمه وهو النظام الاجتماعي له أثره الواضح الذي ينجلي وينكشف في توحيد الجماعة الاسلامية والمساواة أمام الله وأمام القانون ، وجعل هذه المساواة اساسا للوحدة وتآلف القلوب ، والاسلام لكي يصل الى هذه الغايات النبيلة والسامية سلك مسلكا يختلف في تفاصيله وفي جزئياته عن الديانات السابقة وان كان متجها معها الى وجهة واحدة وهدف واحد . ذلك ان الاسلام هو خاتم الأديان فكان لابد ان يحتوي على المبادىء والنصوص والدلائل ما يمكن معها اقامة مجتمع متكافل في مختلف

العصور والأزمان . ونظام الاسلام الاجتماعي نظام اشتراكي جعل حقوق الانسان الطبيعية واجبا مقدسا وحفظه من عوامل الفساد والانحلال واذا امعنا النظر في القرآن الكريم نجد انه قد وضح هذه الحقوق التي نوجزها فيما يأتي :-

اولا : حق الحياة :

فالله قد وهب الانسان الحياة منحة منه ولا يملك اي مخلوق ان ينتزعها بغير ارادته (**إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير**) سورة ق آية ٤٣ .

واعتبر الاسلام الاعتداء على الفرد اعتداء على المجتمع كله والقصاص من الجاني إحياء للمجتمع كله . فقال تعالى :

(**مَنْ قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومَنْ أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) سورة المائدة آية ٣٢ .

وقد أعطى الاسلام حق القصاص لأن فيه الحياة (**ولكم في القصاص حياة ياأولى الألباب**) سورة البقرة آية ١٧٩ . وعناية بالفرد وحفاظا عليه أوجب العناية بالصحة ودفع الأمراض والأوبئة عن المجتمع فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم) رواه أحمد وابن حبان والحاكم . وقال صلى الله عليه وسلم (فر من المجذوم فرارك من الأسد) رواه البخاري .

ثانيا : حق الحرية :-

فالحرية تعتبر أثمن ما في الوجود لبني الانسانية لأن الانسان يولد حرا غير مملوك لأحد وهذا عمر بن الخطاب يقول لعمرو بن العاص (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟) فالانسان حر لكنه عبد لله عز وجل وحده مدين له بتلك الحرية . قال تعالى (**قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**) سورة الملك آية ٢٣ . ومن هذا المنطلق كان دائما شعار المسلم لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . كذلك نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل العلاقة بين السادة والعبيد علاقة القربى والأخوة وليست علاقة التحقير والاستعباد فقال (أخوانكم خولكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم ولا يقل أحدكم هذا عبدي وهذه أمتي وليقل فتاي وفتاتي) ـ رواه البخاري ومسلم . هكذا ضمن الاسلام حق الحرية للانسان واصبح الرقيق حرا له كرامته وكيانه لا يعتدي عليه . ولم يكتف بتحرير العبيد روحيا فقط بل عمل ايضا على تحريره من الرق بالعتق او المكاتبة ورسولنا صلى الله

عليه وسلم القدوة العليا في ذلك إذ أعتق زيد ابن حارثة وجعله حرا وسار على سنته ابو بكر الصديق رضي الله عنه إذا اشترى بلالا ثم أعتقه في الاسلام وغيره من العبيد كذلك .

ثالثا : حق العلم :-

وقف الاسلام من العلم موقف الدعوة إليه والاشادة بفضله وفضل طلابه وأهله . فقال تعالى (**اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم.الذي علّم بالقلم . علّم الانسان ما لم يعلم**) سورة العلق آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وقال تعالى : (**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**) . سورة البقرة آية ٣١ و٣٢ و٣٣ . وبذلك استحق آدم أن يكون خليفة في الأرض وذلك بفضل علمه الذي وهبه له ربه وعلمه إياه . وقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة العلماء عند الله بقوله (يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم : اشفع للناس كما أحسنت أدبهم) رواه النسائي والترمذي .

والاسلام فرض العلم على أصحابه وقد رفع من منزلتهم دون سواهم من المخلوقات وقد وضح ذلك في قول الحق تبارك وتعالى (**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**) سورة العنكبوت آية ٤٣ . وقال صلى الله عليه وسلم (وما من خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما صنع) رواه احمد وابن ماجة عن صفوان بن عسال . لذلك وجب ان ييسر للانسان الوصول الى هذا الحق لأنه - اي العلم من الحقوق الطبيعية في شريعتنا الاسلامية .

حق المساواة والعدالة في الحقوق والواجبات :-

قال تعالى : (**ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**) سورة الأنعام آية ١٦٥ . وهذا التفاوت ربما يكون في الموهبة او الذكاء أو المقدرة على العمل وهو سبيل للتفاضل عند الله تعالى كما يقول جل شأنه (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات آية ١٣ . فواجب على أصحاب المواهب بأن يستغلوها في خدمة دينهم وأمتهم ومصلحة شعبهم وهذا هو المتضح في قوله تعالى (**ليبلوكم فيما آتاكم**) أما بالنسبة للحقوق والواجبات فالناس جميعا متساوون فيها فالأخذ لابد أن يقابله العطاء والحق يقابله الواجب وكل فرد له حقوقه وعليه واجباته ليس لأحد ميزة في حق أو في إسقاط واجب دون غيره فيقتل العالم قصاصا إذا قتل

جاهلا والعكس كذلك ، والغني يقتل قصاصا إذا قتل فقيرا ، والأبيض يقتل قصاصا إذا قتل أسود والعكس كذلك والقرشي يقتل قصاصا اذا قتل حبشيا ، والمبدأ الإلهي في ذلك (**النفس بالنفس**) سورة المائدة آية ٤٥ .

فنظرة الاسلام إلى الناس واحدة في حقوقهم وواجباتهم لا فضل لعربي على أعجمي إلا بتقوى الله والعمل الصالح . وهذه سنة الحياة في عمران الكون إذ أن التفاوت بينهم في الكفاءات والمواهب والامكانيات يجعلهم يخدم بعضهم بعضا على قدر استطاعة احدهم ، وبذلك جاء قول الحق تبارك وتعالى (**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا**) سورة الزخرف آية ٣٢ . وبهذا نرى ان الاسلام نادى بتعاون المجتمع وتساوى افراده في الحقوق والواجبات وكرامة الانسان ، وقد شرع الاسلام تلك المبادىء التي تضمن لأفراده حقوقهم وتحقق لهم الكرامة وتتضح تلك المبادىء في قول الحق تبارك وتعالى (**يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**) سورة النساء آية ١٣٥ . وقال (**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**) سورة النساء آية ٥٨ .

وقال تعالى (**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) سورة المائدة آية ٨ وقال (**فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**) سورة ص آية ٢٦ . ومعلمنا الأول ومعلم البشرية كلها صلى الله عليه وسلم يقول (ايها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) رواه البخاري ومسلم .. هكذا نجد ان الاسلام بمبادئه العادلة حريص على تحقيق العدالة في القضاء والمساواة في الفرائض والواجبات والحقوق لتسود روح التضامن والأخوة والاتحاد والمحبة والعطف كل أفراد المجتمع ويصبح أفراد المجتمع الاسلامي أخوة متضامنين حياتهم قائمة على الحب والعدل والاحسان ، حفظ الله لنا ديننا الاسلامي في كل انحاء الأرض وأعز أهله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



من دعائم الاستقرار

عن النعمان بن بشير : أن أباه أتى النبي صلى الله عليه وسلم .
فقال :
إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ »
فقال : لا ..
فقال صلى الله عليه وسلم :
« فأرجعه » رواه مسلم .

★★★

يحرص الاسلام على تقوية الروابط الاجتماعية وتنميتها بوسائله المختلفة والتي منها : الهبة ..
وللهبة جوانب متعددة تتحقق بها المحبة .
جانب مادي يحتز المنفعة واليسر للمهدى اليه .. فهي صورة من التعاون على البر والتقوى .
جانب نفسي .. فهي تذهب بالشحناء .. وفي نفس الوقت تستجلب المودة ..
ولها بالاضافة الى ذلك معنى التقدير للموهوب له .. حين تصبح رمزا لصداقة يجب ان تدوم .
وكلما كانت الهبة بسيطة .. بلا تكلف .. خفيفة .. كلما كان رصيدها من المودة أوفى ـ لأنها حينئذ تصدر عن نفس راضية بها ..
فلم تهز ميزانية البيت .. وسوف تظل مع صغرها رمزا لصداقة لا تنفصم عراها ..

★★★

ولان الهبة عامل مؤثر في تقوية الروابط الاجتماعية .. فان الاسلام يحض عليها .. ولو كانت شيئا تزدريه العين :
يقول صلى الله عليه وسلم :

في بناء الأسرة

للدكتور/محمود محمد عمارة

« يانساء المسلمات : لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاه » رواه البخاري .

ثم هو ـ وبنفس القوة ـ ينفر من الرجوع فيها ..

لماذا ؟

انه التقدير للعلاقات الاجتماعية ان تظل متماسكة متآلفة مع الأيام :

بأن رجوعك في الهبة ـ إذا كانت للأجنبي ـ معناه :

١ ـ أنك تسحب ثقتك به . وتقديرك له .

٢ ـ وبعد أن يكون قد رتب حياته عليها .. ودخلت الهبة فعلا في نسيج حياته .. تستردها أنت فتنقض غزله من بعد قوة أنكاثا !

وكان من الممكن ألا تهدي ابتداء .. واذن ـ فلن يكون هناك رد فعل ..

أما وقد وهبت .. ثم انسحبت .. فانك تعرض العلاقة لخطر يعود بها أضعف مما كانت .. قبل الهبة !

ثم انها ـ من ناحية الواهب ـ تردد ذميم يفقد الشخصية احترامها ..

من اجل هذه الأسباب جميعا نفر الاسلام من الرجوع في الهبة إذا كانت للأجنبي .

وقبل أن يتورط الواهب فيحاول الرجوع .. يردعه بقوة عن طريق هذه الصورة البيانية التي من شأنها الفرار بالنفس حتى لا تقع في هذا الخطأ الجسيم ..

يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم :

« العائد في هبته كالكلب : يقىء ثم يعود في قيئه » ولك أن تتصور بشاعة الموقف إذا ما تأملت أبعاده :
ان العائد في هبته :
أولا : كالكلب .. لا كالثعلب مثلا !
ثانيا : انه كلب يقىء .. ولا يأكل !
ثالثا : ثم يعود الى قيئة مرة أخرى .. يلغ فيه !!
ولك أن تتصور نفرة الناس من هذا المشهد وتفرقهم عنه .. تماما كما يفعل الرجوع في الهبة حين يقطع الروابط .. ويفرق الجماعة ..

★★★

الهبة للولد :

وإذا حرص الاسلام على تقوية العلاقات الاجتماعية فهو أحرص على تقويتها داخل الأسرة :
إن الخلاف بين البعداء قد تحتمل مرارته من حيث لا تشتبك مصالحهم إلا نادرا ..
أما تحت سقف البيت .. وفي حياة الوالدين .. فانها المعركة المنتهية حتما بهزيمة الفريقين !!
من أجل ذلك يحبذ الاسلام الهبة للأجنبي استجلابا للمحبة .. ثم يستبقى هذه المحبة ذاتها حين يكره هدية الوالد لولده دون بقية اخوته .. ويحبذ الرجوع فيها ..
إن التوجيهين كليهما .. يخرجان من مشكاة واحدة .. مشكاة النبوة الراشدة .. المبقية على الأخوة أن تذهب بها رياح الطمع ..

قصة حديث النعمان :

نبتت فكرة تخصيصه بهبة في ذهن أمه كما تقول رواية :
ان أم عمرة بن رواحة : « سألت أباه بعض الموهبة »
« فالتوى بها سنة » يعني : مطلها .. لأنه لم يكن مؤمنا بفكرة التفضيل ..
ثم « بدا له » أن يحقق رجاءها فاشترطت عليه أن يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمانا وتوثيقا .
أي أن العاطفة الغلابة في قلب الأم لم تفرض عليها اتخاذ القرار قبل أن يوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

★★★

موقف الرسول :

كان لابد من التحقق أولا من سلامة هذا العطاء :
صحيح أن بعض الأولاد ينالون قدرا زائدا من التقدير في ظروف استثنائية :
المريض حتى يشفى .. والصغير حتى يكبر .. والغائب حتى يعود .. لكن لا ينبغي أن يترجم هذا التقدير الى خصوصيات مادية يختل بها ميزان العدل في البيت !
وقد يستفيد الولد من الهبة .. لكنه وان أفاد المال .. فسوف يخسر الرجال !
وسوف يخسر الوالدان أمن

البيت .. ويفلت من أيديهما الزمام .. وغدا .. سيخرج الأولاد الى المجتمع بروح عدوانية لم يتمكنوا داخل البيت من التعبير عنها .. في عملية تصفية حساب قديم ينال البيت كفل منها !

من هنا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم الوالد :

أكل ولدك نحلته ؟

فلما تبين له أنه جانب الصواب أمره بردها .. وعزز ذلك الدرس المفيد له .. ولمن سار على دربه واحتطب في حبله من الآباء الغافلين :

إن المعادلة هنا واضحة بسيطة :

أيسرك أن يكونوا في البر سواء ؟

« كما في رواية أخرى » قال بلى :

واذن .. فلابد من التسوية .. لتضمن عدلها .. برا بك .

وهكذا يربى الرسول النفوس على أوفى ما تكون الدروس : عرف دوافعها ومساربها .. ونقاط الضعف والقوة فيها .. ثم لقنها دروسا في : العدل .. وصلة الرحم .. حبا يجمع الأخوة في حزمة واحدة .. ثم يفرز في النهاية برا تسعد به الأسرة سعادة تقوى بها أصرة الزوجية . فلا يكون شقاق ولا طلاق ! ولا يأخذها بهذا الأدب العالي .. تلقينا .. بل تمكينا .. بالممارسة .. لابين جدران المدرسة !

ويمضي الصبي الصغير .. النعمان ابن بشير .. مع والده ذاهبا آيبا .. يعيش التجربة .. ويعي الدرس ..

يرى كيف يتصرف الوالدان .. وكيف يلتزمان بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

يرى الحاكم وقد فتح قلبه وعقله لمشاكل الناس ومشاغلهم .. فاستوعبها ووجهها في الخط السليم .. فاستبان له الخطأ كما استبان له الصواب .. حتى لا يتورط مستقبلا في مثل ما تورط فيه أبوه .

ويتم ذلك كله في تجاوب رائع بين البيت .. والشارع .. والدولة .. تبلغ به التجربة كمالها .

★★★

الحكم اذا وهب فعلا :

واذا أراد الوالد في مثل هذا الوضع أن يصحح العمل .. فماذا يصنع ؟

أمامه واحد من طريقين :

١ - إما أن يعود في هبته .. ليعود الصفاء الى البيت ..

٢ - وإما أن يهدي لكل واحد من اخوته مثله .. جبرا للخاطر .. اذا سمحت ظروفه المادية بطبيعة الحال .

★★★

وإذا قرر أن يصحح موقفه بالهبة للجميع .. فهل يسوى بين الذكر والأنثى .. أو يعطي للذكر مثل حظ الأنثيين ؟

في رأيي . أن تفضيل الذكر في الميراث :

أولا : حكم من الله .. فهو على العين والرأس ..

ثانيا : هو حكم مأخوذ فيه مسؤوليات الرجولة ومجالاتها المتعددة ..

والداعية إلى مزيد من الانفاق .

أما هنا : فالقضية مختلفة : إنها حكم بشر ..

ثم هو أساسا جبر للخواطر وتقدير شخصي بغض النظر عن الذكورة أو الأنوثة .

وتحقيق العدل إذن يحقق الحكمة من الهبة التي يستوى فيها الجميع - فيقدمون برهم - وبنفس المقدار - إلى والد ينظر اليهم جميعا بعين الشفقة والتقدير .

★★★

الأساس القرآني :

والأساس القرآني لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم واضح : فعندما حكى القرآن عن يوسف عليه السلام :

(إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) يوسف/ ٤ .

حكى القرآن أيضا حكمة الوالد الخبير بطبائع النفوس :

(لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) يوسف/ ٥ وإذ يجادل انسان في صحة القضية معتقدا أن حقد الأخ على أخيه الممتاز غير وارد .. فان الواقع يكذبه :

صحيح أن الأخوة لذاتها - وبفطرتها غير مجبولة على ذلك .. لكن الخطر يأتيها من خارج النفس :

(إن الشيطان للانسان عدو مبين) يوسف/ ٥ .

هذا الشيطان الذي يوسوس للزوجة لتنغص حياة زوجها حين يظلمه أبوه .. أو أخوه ..

والوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .. حقيقة واقعة تمارس نشاطها الهدام .. فينبغي ألا نمكنه من ذلك .. بالعدل .. كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واجبنا اليوم :

وإذا كنا نشكو اليوم جفاء أولادنا فعلينا أن نخفف من غلوائنا .. عائدين على أنفسنا باللوم والتثريب .. لأننا وضعنا الأساس .. حين فضلنا بعض الأبناء .. هكذا جزافا على غير أساس ..

فوضعنا بذرة العداوة .. التي رعاها الشيطان واستثمرها وسلط جنوده في الأرض فسعوا لها سعيها ..

فكان ما كان .. مما نصطلي بناره ..

ولن تنطفىء هذه النار المشتعلة إلا بالعودة إلى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .. حتى إذا استقام الأساس داخل البيت .. سمق البناء .. وعز على الشيطان أن يحدث فيه شرخا .



التغريب وخطره على العالم الاسلامي

للاستاذ/جمال النجار

حاول الغربيون ومازالوا يحاولون تغريب الشرق الإسلامي بإبعاده عن ثقافته المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله واتباعهم نظمهم وثقافتهم هادفين من وراء ذلك قطع الصلة بين المسلم ودينه .

فالتغريب كما يقول الدكتور عبدالحليم محمود « هو مجموعة من الدراسات والأعمال والثقافات والنظم التي تجرى حول المسلمين وتطبق على مجتمعاتهم فتؤدي بهم في النهاية الى ان يتشبعوا بالفكر الغربي والحضارة الغربية المعادية للاسلام فتغريب المسلمين هو تحويل ولائهم للغرب ونظمه وعاداته وتقاليده بعد صرفهم عن الاسلام الذي شوه لهم » .

اما الاستاذ انور الجندي فيعرفه قائلا : « التغريب في أبسط مفهوم له هو حمل المسلمين عامة والعرب خاصة على قبول ذهنية الغرب ومحاولة غرس مبادىء التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخفى في نفوسهم موازين القيم الاسلامية » .

اما الدكتور علي جريشة فقد عرَّفه بأنه « هو التغيير الذي يجرى أول ما يجرى داخل العقول والقلوب ثم ينتقل

الى الأخلاق والتقاليد والعادات ويخطط لهذا التغيير علماء النفس والاجتماع فوق أجهزة التخاير والاحصاء العامة المختلفة » .

وقد حاول الغرب أن يصنع أفرادا من جلدة المسلمين ليحملوا ثقافته وفكره إلى العالم الاسلامي ، لتتمكن دعوتهم في النفوس وتستقر في العقول ، وقد صادفت دعوة هؤلاء رواجا كبيرا لدى النفوس الضعيفة وخاصة الشباب الذين لم يتشبعوا بالتربية الاسلامية الصحيحة ، فأغروهم على التمرد والاستخفاف بكتاب الله وسنة رسوله فاستهواهم زيف الحضارة الغربية ومظاهرها الخلابة التي ترضى نزواتهم فأصبح يقلد الغربيين في تعلم الرقص الغربي الذي يخاصر فيه الفتيان الفتيات ، وراح يقبل على الغناء والمشاركة في احتفال الأوروبيين برأس السنة الميلادية ، فأفسد هذا التقليد فطرة المسلم السمحة البريئة ، وتوقيره للدين وآدابه وتقاليده .

فالتغريب ضربة خطيرة قاسية وجهت ومازالت توجه الى كل جوانب الحياة في المجتمع الاسلامي دخلت اليها بعد تشويهها وتحريفها من قبل أعدائه مستهدفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتاريخ الاسلام وتراثه .

لذلك فقد أسس أعداء الاسلام المؤسسات والمراكز التي تعمل على تفريخ الافكار الضالة وترويج الفلسفات الهدامة وإذاعة المذاهب المنحرفة ومساندة المذاهب الباطلة والأفكار المضللة التي تهدف إلى تحريف الاسلام وتشويهه عقيدة وشريعة وأخلاقا وتراثا ، وهذه المؤسسات هي التي تضع الخطط لهدم كيان الاسلام ونظامه ، ووضع الحواجز أمام غير المسلمين الذين يريدون الدخول في الاسلام حتى لا يدخلوا فيه .

وقد خرجت عن هذه المؤسسات مذاهب باطلة كالقاديانية وفلسفات مدمرة كالوجودية والشيوعية والرأسمالية ودعوات مضللة كالفوضوية وجمعيات مخربة كالماسونية .

وقد استخدم الغربيون وعملاؤهم من المسلمين كل الأدوات المتاحة التي توصلهم إلى أغراضهم فيسيطروا على وسائل الاتصال (من سينما وإذاعة ومسرح وفيلم وأغنية وتعليم)، وتوغلوا في جميع مظاهر الفكر والعمل ومن ثم وصلت دعوتهم إلى كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ففي الجانب الاجتماعي استهدفت القيم الخلقية والسلوكيات والعادات والتقاليد ، فذاب المجتمع وأصبح مسلوب الإرادة في أحضان الحضارة الغربية وصارت مظاهر الطعام والشراب واللباس والاعداد والاحتفالات والمصايف والملاهي دليل على ذلك .

وأما في الجانب السياسي ونظم الحكم والقضاء والقوانين التي تحكم العلاقة بين الانسان وخالقه وبين الأفراد حكاما ومحكومين أصبحت القوانين وضعية غربية غير إسلامية

وأصبحت قوانين الحكم في أغلب بلدان العالم الاسلامي غربية .

وفي الجانب الاقتصادي نرى اليوم المصارف والبنوك والمؤسسات الاقتصادية تتعامل بالفوائد والربويات غير المشروعة إسلاميا .

فالتغريب يستهدف تحقيق إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين خاصة والشرقين عامة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامي ومبادىء الاسلام وثقافته ، واعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله وانتقاص الدور الذي لعبه في تاريخ الثقافة الانسانية ، والحط من مقدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب الاسلامية وخاصة العربية منها ، والحيلولة دون قيام وحدة الفكر التي هي مصدر وحدة الأمة وبلبلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات ومن هنا يجرى العمل على اخراج الفكر الإسلامي والثقافة العربية من قيمها وجذورها ومفاهيمها بمحاولة فرض قيم متباينة لا تلتقي مع الذوق والطبع والنفس والمزاج العربي الاسلامي .

فحملات التغريب تناولت أصل الاسلام وهو القرآن الكريم والتفسير الصحيح لهذا الأصل وهو السنة الصحيحة لرسول الله صلى عليه وسلم .

ووجهت هذه الحملات سمومها إلى الفكر الإسلامي فإذا ما اهتزت ثقة المسلمين في دينهم أصبح الواحد منهم يعاني فراغا في نفسه وعقله وعاطفته ، وعندئذ تتلقاه دعايات هؤلاء الأعداء لحضارتهم ونظمهم وقوانينهم فيصبح فريسة لها وما هو إلا أن يرتمي في شباكها فيضع اعتزازه بدينه ويصبح تابعا خاضعا لعدوه .

ومن أخطار التغريب وضع الحواجز بين الاسلام من قبل أعدائه وبين الجموع البشرية المقبلة عليه من كل قارات العالم .

وهكذا كانت وما تزال أهداف التغريب تمزيق الروابط الثقافية والسياسية بين شعوب العالم الاسلامي بإثارة الدعوات القديمة مثل الفرعونية والبربرية والأشورية والفينيقية وكذلك السيطرة الفكرية على الثقافة الاسلامية عامة والعربية خاصة .

ومن أخطار التغريب تثبيت القيم والمفاهيم الغربية والقضاء على المفاهيم الإسلامية والعربية بدعوى تأخرها .

وقد اعتبر التغريب الاسلام دينا ، ولكنه تنكر له باعتباره منهج حياة ، ومن أهدافه تجزئة ونقد القرآن ، وتزييف التاريخ وإذاعة الإباحية وتعظيم الغرب وتغريب التعليم والتربية ..

وقصارى القول فأخطار التغريب هي بلبلة عقول المسلمين وإثارة الشكوك بينهم ، وتشويه تاريخهم ، وتحريف نظمهم ، وقوانين دينهم والحط من شأن اللغة العربية ، ومقدرة القوانين الاسلامية ، والفصل بين الدين والدولة ، ونشر القومية ، وشعار حرية المرأة ، وإخراج الفكر الإسلامي من قيمه وأصوله .

الاسلام يبارك

في الحديث الشريف : المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز رواه مسلم).

وقوة المؤمن قوة خيرة بناءة ، موصولة الأواصر بقوة القوى المتين ، فهي تحسن القيام على الأمانة التي حملها الانسان ، وأشفقت السموات والأرض والجبال من حملها .

ويزداد المؤمن بزيادة علمه ، ووفرة ماله ، وكثرة ولده ، ومتانة بنيانه الجسدي قوة إلى قوته .

والايمان هو روح هذه القوة ، وملاك أمرها ، والحارس الأمين لضمان وضعها حيث يجب أن توضع ، وتصريفها لخير ما خلقت لأجله .

مائدة الرحمن حافلة :

ولقد تفضل الرحمن جل جلاله ، فجعل الأرض بساطا لبني الانسان ، ومائدة معدة لجميع المخلوقين ، بارك فيها ، وقدر فيها أقواتها ، ومهد سبلها ، وامتن على عباده مذكرا بنعمته إذ يقول :

« **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** » الملك/١٥ وجعل سبحانه الرزق للمخلوقين ، حقا على رب العالمين ، حيث يقول :

« **وما من دابة في الأرض إلا على**

الكثرة القوية

للشيخ/كمال أحمد عون

الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها » هود/٦ .

ولقد توالت العصور والدهور ، وما ضاقت الأرض بأهلها ، ولا عجزت عن مؤنة من عليها ، فإذا ضاقت أرزاق أقوام ، أو أخذوا بالسنين ، فذاك بما جنت أيديهم ، وما اقترفوا من آثام ، وبما فرطوا في جنب الله ، وحادوا عن صراطه المستقيم ، قال تعالى : « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » النحل/١١٢ .

صيحات :

والآن - وبعد الفتوحات العلمية المدهشة - تتوالى الصيحات في جنبات العالم العربي والاسلامي ، بضرورة الحد من زيادة النسل ، بما يتواءم وزيادة الموارد الطبيعية لبني الانسان ، حتى لا تضيق الأرزاق بأهلها ، وتنوء الأرض بطعام الخلائق عليها .

وهي دعوة تستغل خللا اقتصاديا في كثير من أقطار العرب والمسلمين ، يصحبه بل يسبقه خلل سياسي في حكومات هذه الأقطار ، ينأى بها عن التهدي بهدى الله ، والعمل الجاد لصالح المواطنين ، بما يفرضه شرع الله الحكيم ، وتمليه أمانة المسؤولية لدى الحاكمين .

نظرية مالتس :

ومن قبل ذلك وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل التاسع

عشر نادي (مالتس) عالم الاقتصاد البريطاني بضرورة الموازنة بين نمو عدد السكان ، ونمو وسائل الانتاج منذرا بأن الأرض ستضيق يوما بسكانها ، إذا ما ترك للنسل أن يتكاثر بدون تنسيق ، شارحا دعوته قائلا : إن زيادة السكان تطرد في توال هندسي على نحو : ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ ٣٢ وهكذا حيث يتضاعف العدد كل خمسة وعشرين عاما ـ أما وسائل الانتاج فزيادتها في نفس المدة بنسب محدودة على نحو : ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ .

ومن أتباع نظريته من يقول : ألم تر إلى العود الأخضر يكون معه غيره يقتسم غذاءه وريه فيضعف كل منهما ، فلابد ليتم لأعواد الزرع نموها ، وتؤتي ثمارها من التخلص من بعضها .

رغبة نفر من الأخيار :

ومن اختارهم الله تعالى ، فأكرمهم بصحبة نبيه الكريم ، من رغب في بعض الأحيان تفادى النسل لغرض ارتآه ، وإن لم يكن لمثل ما رأى الآخرون ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين :

« الرجل تكون له المرأة ترضع فيصيب منها ، ويكره أن تحمل منه ـ والرجل تكون له الأمة فيصيب منها ويكره أن تحمل منه ـ قال : « فلا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم ، فإنما هو القدر » رواه مسلم . قال ابن عون فحدثت به الحسن ، فقال : والله لكأن هذا زجر .

فاستوجب الأمر وقفة متأنية ، تكشف من الموضوع جوانبه ، وتستبين ما خفى منها ، وتستيقن حكم الله فيه .

ولنبدأ ببعض اسئلة فيه واردة :

١ ـ هل استغل سطح اليابسة استغلالا صحيحا وتاما ، فضاق عائده ، أو كاد يضيق عن حاجة بني الانسان ؟

٢ ـ وهل كشف باطن الارض عن كل ما فيه ، فأوشك ان ينفد ما يضمه ذلك الباطن من كنوز ؟

٣ ـ وهل انتفعت الانسانية بما خلق الله من بحار وانهار ، ففنى مذخورها أو شارف الفناء ؟

٤ ـ وهل تعاملت الانسانية مع ما سخر الله لها من طاقات شمسية أو نووية ، أو حتى رياح وأمطار ، كما يتطلع العلم ، فلم توات حاجة من تطلع إليها من الناس ؟

ولندع الحديث للدارسين والمختصين ليقرروا :

ان سطح اليابسة ـ ويقدر بربع سطح الكرة الأرضية أو يزيد قليلا ـ لم يستغل منه سوى جزء يسير ، تبقى معه الأرض الصالحة للزراعة .. والغابات الفسيحة بغير استغلال وعلى سبيل المثال تقول وثيقة « رسمية سميت بالميثاق الوطني في مصر البلد الزراعي ، (ولقد طال إهمال مساحات شاسعة من الأرض ، لم تزد الجهود التي وجهت إليها عن مجرد خدوش على سطحها) ـ فصل الانتاج والمجتمع ص ٨٧ طبعة وزارة

التربية .

سطح الأرض :

ولقد توفرت للقدرة البشرية ، بما يتيحه العلم بوسائله من طاقات لا يعرف لها الآن حدود .

فلئن زادت غلة الأرض بالتغذية الصناعية ، وكوفحت الآفات الزراعية ، بما يحفظ للأرض غلتها ، فإن استصلاح الأراضي البور ، وتوفير المياه لها ، وبناء القناطر والسدود على الأنهار الجارية ، وخزن مياه الأمطار ، واستخراج المياه الجوفية ، واستعمال الوسائل الحديثة في الري ، برش الزرع بالماء ، ونقله في مواسير حديدية أو خرسانية ، حتى لا يضيع أكثره ، كل ذلك من العوامل الهامة في زيادة موارد الانتاج زيادة هائلة ، وهي على أهميتها تعد من الوسائل التقليدية الآن .

جوف الأرض :

أما جوف الأرض فهو إحدى خزائن رحمة الله تعالى لعباده ، أودعه ما علمه الناس وما لم يعلموه من كنوز ومعادن ، ظهرت بعض آثارها الباهرة في حياة البشرية ، والعلم يكشف كل حين عن جديد .

عالم البحار :

ثم يأتي عالم البحار والأنهار والمحيطات ، وهي تغطي ثلاثة أرباع الأرض تقريبا ، فإذا هي من أعجب تلك الخزائن ، وأجل مصادر تلك الحياة ، وكما قال الحق تعالى : « **وجعلنا من الماء كل شيء حي** » الانبياء/ ٣٠ وقال « **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** » النحل/ ١٤ .

ولقد نصح بعض الدارسين بأن واجب الانسانية ألا تضن على دراسة البحار ببعض ما تنفقه في مجال استكشاف الفضاء ، وأن من الخير لها أن تولى وجهها قبل البحار ، وهي منها أشبه بالفناء الخلفي المهجور للبيت الذي تسكن فيه ، لتجد ما يسد حاجتها المتزايدة الى المعادن والغذاء ، فالبحر مملوء بالنفائس التي لم ينل منها الانسان سوى القليل الذي استطاعت أن تبلغه يداه ، وهناك الثروات الحية الهائلة التي تمثل مصادر غذائية عظيمة ، لم يكد يبدأ استغلالها حتى اليوم .

ويقول أحد الباحثين : قد ثبت من بعض الاحصائيات أنه في بعض المناطق قد وجد أن فدانا من الماء ينتج كمية من الاسماك سنويا ، تساوي اضعاف القيمة الاقتصادية التي قد تنتج من أي المزروعات في نفس المساحة .

الطاقة الشمسية :

فاذا جئنا الى الطاقة الشمسية ،

وما يسر الله منها ، وأودع من آلائه فيها ، وتأملنا قوله تعالى : « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار** » ابراهيم/٣٣ . وقوله سبحانه « **وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الجاثية/١٣ . رجعنا في هذا إلى أنباء مؤتمر للطاقة عقد بمصر من سنوات ، تابعته في حينه الصحف المصرية بخاصة ، والعربية بعامة ، وحضره ستمائة عالم من أنحاء المعمورة ، يمثلون ثمانين دولة ، ويناقشون مائتين وخمسين بحثا علميا عن استخدام الطاقة الشمسية في مجال تحلية مياه البحر ، واستصلاح الأراضي ، والري بالأراضي الصحراوية .

وتستقي صحيفة الجمهورية القاهرية مما تحصل عليه من أنباء المؤتمر ، وبحوث العلماء ، ما يجعلها تقول :

إن الدول العربية ستجد نفسها في موقف رائد حتى بعد نضوب احتياطيات البترول ، إنها تملك عشرة ملايين (ك م م) من الأراضي الصحراوية ، ولو استخدمت ٢٪ من هذه المساحة لاقامة مشروعات للطاقة الشمسية ، لانتجت من الطاقة قدر ما يستهلكه العالم الآن اكثر من ثلاثين مرة .

وتذكر الصحيفة نفسها اتفاقية للمملكة السعودية مع الولايات المتحدة الامريكية ، قيمتها مائة مليون دولار ، لابحاث الطاقة الشمسية وتطويرها في مجالات التسخين والتبريد والطاقة الحرارية ، وتوليد الكهرباء ، وطاقة الرياح والبخار . (١٣ من رجب ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨/٦/١٩ .

الطاقة النووية :

وقد ظهرت أواخر الحرب العالمية الثانية في شكل رهيب ، تمثله قنابل ذرية ألقيت على بعض المدن اليابانية ، واستطاعت بما بثته في النفوس من رعب شديد انهاء القتال بين الدول المتناحرة ، واستخدمت الى جانب ذلك في الأغراض السلمية من زراعة وصناعة وطب وسواها ، والمختصون يتحدثون عن التوسع في استخدامها يوما بعد يوم ، وما سيكون لها من الأثر البعيد في حياة البشرية ، حتى ليرى بعضهم أن عصر الطاقة النووية سيكون بالنسبة لعصرنا الحاضر عصر الكهرباء كما كان عصر الكهرباء بالنسبة للعصر البدائي الذي لم يعرف الزراعة فيه ، ولم يستخدم النار .

أهمية العنصر البشري :

ونعود بعد الاجابة على الاسئلة السابقة بما أشار الى روعة المائدة الآلهية الممدودة امام الخلائق بغير حساب ، لنرى اهمية العنصر البشري ، وتقدمه على كل عنصر سواه من عناصر الانتاج .

وفي هذا يقول احد الباحثين : ان من المتفق عليه عند علماء الاقتصاد ، أن عوامل الانتاج ثلاثة :

الأرض ، والانسان ، ورأس المال - وأن الانسان هو أهم هذه العوامل الثلاثة ، إذ هو الذي يبدع في العاملين الآخرين الحركة والاستهداف والتفاعل .

ثم يقول :

فمهما كان الوطن غنيا بالأرض الواسعة ، ورأس المال العظيم ، فإن شيئا من ذلك لن يتحول إلى تقدم ورخاء إلا بالكثافة السكانية ، إذ تتحرك فتحيل كلا منهما إلى طاقة وإبداع .

ويقول غيره في مثل هذا :

إن الأمة بعدد سكانها ، وليس هذا فحسب بل وبقيمة هذا العدد من حيث الصحة والثقافة والتقدم التكنولوجي والحضاري .

ثم يقول :

والمهتمون بالعلوم السياسية يقيسون الأمم بهذا المقياس الدقيق ، فأمة تعدادها عشرة ملايين نسمة ليست كأمة تعدادها مائة مليون نسمة ، هذا أمر « بديهي » فمن الملايين العديدة - وطبقا لقوانين الاحتمالات الاحصائية - لابد وأن يخرج عدد لا بأس به من النوابغ والمفكرين والعلماء والقادة .

وهناك نسبة إحصائية معينة من هذه الملايين تكون القوى العاملة في الحقل والمنجم والمصنع ، ومنها تستطيع الدولة أن تجند الجيش والأسطول والجو وهكذا .

فرص النجاح والقلة :

وقد جنح إلى رغبة التقليل من النسل كثيرون ، يرون في العامل الاقتصادي ضاغطا يدعوهم إلى الحد من كثرة الذرية ، وبالتالي يرون في الكثرة عبئا يثقل الأبوين ، ويقلل من القدرة على العناية بتربيتهم وتعليمهم ، أما الولد والولدان فعناية الأبوين بهما أتم ، وفرص النجاح لهما أوفر .

والحق أن الولد الواحد ، أو النسل القليل ، تتركز حوله عواطف الأبوين ، ويحاولان أن يوفرا له ما يريد ، فيحرم المرانة على الكفاح ، وما تكسبه مغالبة الصعاب من قوة وجلد ، والولد في الأسرة الكبيرة يشعر بالكثرة والقوة ، ولا يحب أن يكون أقل إخوته حظا من النجاح ، فيحفزه ذلك إلى السباق في محيط الحياة ، وآفاقها الرحيبة .

وفي مثل ذلك يقول أحد المفكرين الاسلاميين عن : تحديد النسل :

إنه قول غير صحيح ، والحقائق الثابتة تدل على عكس ذلك تماما ، فالولد الواحد ينشأ مدللا في الأعم الأغلب ، وينحرف أحيانا فيصبح فاسدا ، والغالبية العظمى ممن ينجحون في الحياة ، فضلا عمن يعملون أعمالا بطولية ، لم يكونوا أبدا وحيدي ابويهم ، ولكن كانوا دائما ممن كثر إخوتهم وأخواتهم .

وإذا حدث على سبيل الاستثناء أن نجح إنسان لأنه كان مرفها في طفولته وشبابه ، فانه يوجد إلى جوار هذا الاستثناء الواحد ألف إنسان كان

سبب نجاحه ضيق ذات اليد ، وكثرة العيال .

قلة السكان في العالم العربي والتخلف :

وقبل الحديث عن ذلك نضرب مثلا بدولة « شرقية » كانت إلى عهد قريب متخلفة ، تلك هي اليابان ، وتبلغ مساحتها خمس مساحة ليبيا تقريبا ، فلما اتقدت جذوة النهضة فيها ، وارتفعت أعدادها إلى أكثر من مائة مليون نسمة تمكنت منتجاتها من السيطرة على كثير من أسواق أمريكا وأوروبا ، وهي ما تزال سياسيا تحت نفوذ أمريكا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية . فإذا علمنا أن بلادها الضيقة تكتنفها سلاسل من الجبال تجعل الجزء الأكبر منها غير صالح للاستغلال ، ازداد إعجابنا بما تفعله الكثرة والوفرة البشرية ، إذا مستها كهرباء الحياة الجادة ، واندفعت ناهضة إلى العمل والانتاج .

ثم نقول :

ومع هذه الدعوة إلى تحديد النسل ، فهل بلغت كثافة السكان في الوطن العربي ما يسمى في تعبير بعض الكاتبين انفجارا سكانيا ؟ أو حتى ساوت أو قاربت ما هو واقع فعلا في الدول المتقدمة من كثافة سكانية ؟

إن بين أيدينا إحصائية شاملة لجميع دول العالم ، منقولة من إحصاءات رسمية تعطينا الصورة الحقيقية عن الكثافة السكانية ، مقيسة إلى مساحات كل دولة ، يستبين منها أن العالم العربي ينال في عمومه أقل نسبة عددية في العالم ، تصل في بعض أقطاره إلى ما يشبه الفراغ السكاني ، مع جودة في الأرض ، وتنوع في مصادر الانتاج ، ووفرة في رأس المال .

ولئن كانت الاحصائية من عدة سنين ، وربما تغير عدد السكان قليلا فما يزال هذا التغير اليسير لا يغير من واقع الأمر شيئا يذكر .

إسرائيل :

وفي قلب البلاد العربية « اسرائيل » التي تقض مضاجع العرب ونسبة السكان فيها :

١٥٤ شخصا في كل (ك م م) .

تزداد باطراد أعدادا مقاتلين من الاتحاد السوفياتي !

وتزداد باطراد مالا وسلاحا وحماية من الولايات المتحدة الامريكية !!

وتزداد قوة وغطرسة بتفرق العرب الحالي !!!

الدول الغربية

فاذا جئنا إلى الدول الغربية المتفوقة صناعيا رأينا النسبة على النحو التالي عالية ، ومع ذلك فان بعضها يشكو قلة النسل ويدعو لزيادته والمكافأة لشعبه عليه .

أما الاتحاد السوفييتي الذي طحن كثيرا من البلاد الاسلامية وابتلعها ، وما تزال شهيته لابتلاع أفغانستان

المجاهدة وما بعدها من بلاد المسلمين ، فمساحته شاسعة ونسبة السكان فيه من ١١ في بعض جمهورياته الى ٨٠ في الأخرى .

وان الدولة هناك تشجع النسل ، وترصد الاعانات والجوائز للأم الولود ، وتمنح لقب الأم المثالية لمن تنجب من الأولاد أكثر من عشرة .

دعوة مريبة :

ولنتبين حقيقة الدعوة وأهدافها لبلادنا فينبغي أن نعرف أن كتاب الغرب يردون على آراء (مالتس) الداعية إلى تحديد النسل ، ويفندونها بالنسبة إلى دولهم ، فإذا جاءوا إلى عالمنا العربي والاسلامي تغيرت آراؤهم فجأة ، وصاروا يحذرون مما يسمونه الانفجار السكاني .

وهذا واحد من كثيرين من الغربيين في كتاب له بعنوان : الاسلام قوة الغد العالمية يحذر قومه من عنصرين هامين يؤديان إلى أن يصبح الشرق غدا قوة عالمية هما :

١ ـ الزيادة المطردة في عدد سكانه

٢ ـ وما كشف في باطن أرضه من المواد الخام التي تكفي لقيام صناعة تضارع مثيلاتها في أوروبا .

ويقول : هذان المصدران : زيادة السكان ، والمواد الخام هما مصدر القوة النامية في العالم الاسلامي .

الاسلام والنسل :

وبعد ان انتهينا من نظر المسألة اجتماعيا واقتصاديا ، للرد على المخطئين والخاطئين بالمنطق العلمي الذي يتمسحون به ، فقد بقى أن نعلم التوجيه الاسلامي لهذا الدين الذي أنزله الله نورا وهدى للناس ، لنرى أن الاسلام :

(١) حث على الزواج ، وابتغاء النسل ، فقال في حل المباشرة ليلا للصائمين : « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » البقرة/١٨٧ . وامتن الله على عباده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا ، وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة ـ كما عد من صفات عباد الرحمن توجههم إليه راغبين أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين ، وذكر من دعاء نبي الله زكريا قوله : « **رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء** »آل عمران/٣٨ .

وروى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج .

وأورد صاحب فتح الباري حديث أنس : تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم يوم القيامة ـ وقال ـ رواه ابن حبان ، وذكره الشافعي بلاغا عن ابن عمر : تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم ـ والبيهقي من حديث أبي أمامة .

(٢) تنظيم فردي :

ومع ذلك فإذا رأى انسان لنفسه

مصلحة شخصية ، كتلك التي عناها بعض الصحابة من العزل عن نسائهم ، أو كانت المرأة ممن يسرع الحمل إليها بما يرهق صحتها وصحة الرضيع قبل أن يتم رضاعه ، او قضت ضرورة صحية بوقف النسل مؤقتا أو دائما ، فالاسلام لا يحرم ذلك ، ولا يسوم المسلم عسرا أو عنتا ، على أن يكون ذلك بقدر الحاجة إليه حالات فردية ، لا دعوة عامة ، ولا منهجا محببا أو مقننا .

العلماء نصحوا :

ولقد بين العلماء حكم الله تعالى ، ونصحوا لأمتهم وحذروها كيد الأعداء .

ومن بيان للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي جاء فيه :

درس المجلس مسألة تحديد النسل ، واتفق أعضاء المجلس على أن المخترعين لهذه الفكرة أرادوا أن يكيدوا بها للأمة الاسلامية ، وأن المجندين لها من المسلمين وقعوا في أحبولتهم ، وستكون لهذا التحديد إن نجح ـ لا قدر الله ـ عواقب وخيمة « سياسية واقتصادية وحربية » ..

واستطرد البيان يقول :

وقد صدرت فتاوي كثيرة من علماء اجلاء موثوق بعلمهم وديانتهم بحرمة هذا التحديد ، ومجافاته للشريعة الاسلامية .

وبعد :

فقد رأينا الآفاق الفسيحة للمائدة الالهية ، وما يفتح العلم الآن من مجالات ، لم تكن تخطر لأحد على بال .

واتضح لنا مدى الكثافة السكانية في الدول المتقدمة علميا وصناعيا ، وأثر الكثرة البشرية في قوة الدول ونهضتها .

وانكشف نزول هذه الكثافة السكانية إلى حد الخواء السكاني في بعض البلاد العربية ، وتبين لنا مدى ما في الدعوة إلى تقليل النسل من خطورة على الأمة .

ثم ما يريده الغرب لأمتنا من الذلة والقلة والفرقة .

وأخيرا هذا المنهج الأمثل والأكمل الذي شرعه الاسلام لابنائه في دينهم ودنياهم ، فلعل من حقنا بعد هذا أن نسأل :

متى ينتبه المسلمون انتباها كاملا وعمليا لوضعهم ورسالتهم في الحياة ؟

متى يأخذ المسلمون بأسباب القوة الحقيقية كما أمر الله « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » الأنفال/ ٦٠

متى يستمسكون بحبل الله المتين ، وشرعه القويم ، دولا وأفرادًا في كل أمورهم وتصرفاتهم ؟



إلى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند إرسال مقالاتكم وإنتاجكم إلينا :

* المقال او البحث المرسل لا يقل عن خمس صفحات فلسكاب ـ مكتوب بخط واضح ـ ولا يزيد عن سبع صفحات . وأن يتم إرسال أصل المقال (ولا تقبل صورة المقال) .
* ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
* لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة . ولا ينشر لكاتب واحد في عددين متتاليين .
* موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر على الاقل حتى يتسنى نشرها في حينها .
* أن تكون المقالات العلمية والطبية مدعومة بالصور والرسوم المتعلقة بالموضوع .
* أن يكون الانتاج المرسل خاصا بالمجلة وألا يكون قد سبق نشره أو إرساله إلى جهة اخرى للنشر ، (وأن يتم اخطار المجلة في حالة إرساله الى جهة أخرى) .
* النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه .

والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية أو النشر . ولا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

* ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .
* البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .
* كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث .
* ترسل المقالات باسم رئيس تحرير« مجلة الوعي الاسلامي»ـ ص ب : ٢٣٦٦٧ (الصفاة) دولة الكويت ..

تحية إلى أفغانستان

للاستاذ / عمر الراكشي

لبئس طعم حياة مثلها العدم   فليس من عاش من علوا ومن طعموا[1]
من يحمد العيش ذلا إنه جيف   حتى ولو نفخت أضلاعه النسم
ما أوهن القول إن لم يحمه بطل   وأضيع الحق إن لم تحمه الهمم
« أفغان » تعصمه زمنا ويعصمها   وتهصر الحرب أكبادا وتخترم[2]
ويكثر القول حول الهول مختلطا   ويكبر القيل والتأويل يحتدم
ويغرق الناس في تفسير حربهم   ويسهر الخلق جراها ويختصموا »
فكم تكلم تحت الشمس ساعدهم   فأرهف الخصم أذنا عابها الصمم
أرادها البغي حربا بئس مشعلها   وقودها الناس والأحقاد والنقم
قصف الرعود مع الزلزال تنشره   حرب هي النار والبارود والحمم
أسد رجال تباروا .. جل مطمحهم   صدق الشهادة ، أو يعلو لهم علم
جادوا .. وغاية ما في جودهم وطن   لا تسأل الأجر ـ ما جادت به ـ الديم[3]



جـازوا المحال وكـل راح يبتهل | الله أكبر مـا كروا ومـا هجموا
كانت منى النفس أن يلقوا عدوهم | ويثخنوه جراحـا كلما التحمـوا
فلقنـوه دروسـا بـات يفهمهـا .. | كيف الحقوق تصان وكيف تحترم
ويعجز الوصف عن تبيان ما فعلوا | ويعجز الشعر والقرطاس والقلم
ما أوهن القول إن لم يحمه عمل | وأضيع الحق إن لم تحمه الهمم
هذا عدو شعـوب الأرض يمقته | الطفل والزرع والجيران والرحم
تـواق للقتـل لا يبقى ولا يـذر | هنـاك للعـرض دومـا للـدمنهم
الفقـر والشح والخـذلان شيمته | وأينمـا حـل في الأزمـان متهم
سحقـا لجحفلة بـاتت خطايـاها | في كل أرض علامات لها تصم[٤]
تفاضل الناس بالتعمير ما برحوا | فما تماثل من شادوا ومن هدموا
أفغان أفغان قد قامت لهـا دول | حتى الخصوم ، وأحنت رأسها الأمم

(١) علوا : شربوا تباعا
(٢) تخترم : أي تتشقق أو تهلك
(٣) الديم : جمع ديمة وهي المطر المتصل في سكون بلا رعد ولا برق
(٤) جحفلة : الجيش الكبير والجمع جحافل

طفل الانابيب

الشيخ بدر المتولي عبد الباسط

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الرسول الأمين جاء بالحق والصراط المستقيم وعلى آله وصحبه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه الى يوم الدين .

أما بعد

فقد أثيرت في هذه الأيام مسألة أطفال الأنابيب بعد أن أصبحت حقيقة واقعة بعد أن كانت من قبل يظن أنها مسألة افتراضية وقد اختلفت آراء علمائنا المعاصرين في بعض الصور واتفقت في بعضها فاستعنت بالله على بيان هذه الواقعة من جميع نواحيها من ناحية الحكم الشرعي التكليفي من حيث الحل والحرمة وكذلك من حيث الأحكام أي الآثار المترتبة على هذا العمل من ناحية ثبوت النسب وما يتصل به من ميراث وغيره كحل الزواج أو حرمته وما الى ذلك من الأحكام المترتبة على هذا التصرف .

وباستطلاع آراء أهل الذكر في هذه المسألة (وهم الأطباء) تبين ان هذه المسألة تقع على الصور الآتية :

الصورة الأولى : امرأة سليمة المبايض ولكن هناك خلل ما في قناة فالوب يمنع وصول البيضة (البويضة) من المبيض الى الرحم فتؤخذ البييضة وتلقح بماء زوجها وتحفظ فترة ما في انبوب خاص ثم ترد هذه البييضة الملقحة الى رحم هذه المرأة .

وهذه لا مانع منها شرعا على ان لا يتجاوز اطلاع الطبيب المعالج على أكثر مما تقتضيه الضرورة .. والطفل الذي يولد من هذه العملية ينسب قطعا الى الزوج والى أمه صاحبة البييضة وهي كذلك الحاضنة .

وعلى اني اتحفظ في هذه المسألة أيضا وأرى وجوب الاحتياط الشديد جدا في حفظ هذه البييضة من أن تختلط بغيرها من البييضات الملقحة فكلنا يعلم ما يجري في معامل التحليل (دم وبول الى آخره من أخطاء شنيعة مهما بلغت شناعتها فانها لا تبلغ شناعة اختلاط البييضات الملقحة بعضها ببعض فان الخطأ في اختلاط عينات الدم أو البول لا تتجاوز صاحب العينة التي وقع فيها الخطأ بينما أدنى خطأ في اختلاط بييضة ملقحة بأخرى تمتد آثاره الى أجيال وأجيال .

فاذا فتح هذا الباب فلا بد أن يكون هناك رقابة شديدة جدا على من يقوم بهذه العمليات والا فالأولى سد هذا الباب أخذا بمبدأ سد الذريعة على انه يجب أن يكون مع الطبيب المباشر زوج أو محرم أو مع التسامح الشديدان لا يختلي الطبيب بالمرأة بما يسمح للشيطان أن يدخل بينهما ، هذا ما أدين الله عليه .

الصورة الثانية : رجل تزوج أكثر من امرأة وكانت احداهن عقيما مع سلامة مبيضها فتؤخذ بييضتها وتلقح بماء زوجها وترد البييضة الملقحة الى رحم احدى ضراتها السليمة الرحم فيتربى في رحمها حتى يولد .

ولا بد من بيان حكم هذه المسألة من ناحية الحل والحرمة ومن ناحية الآثار المترتبة على هذه العملية .

وأرى البدء ببيان الآثار المترتبة على هذه العملية أولا ليتضح الحكم التكليفي ثانيا ـ

مما لا شك فيه ان هذا الطفل ينسب الى زوج صاحبة البييضة وضرتها التي حملت هذه البييضة الملقحة وهذا أمر واضح لقيام الفراش وهو الزوجية . أما الى منٍ ينسب هذا الطفل من ناحية الأم الصاحبة البييضة أم التي حملته ؟

ان الذي أدين الله عليه ان هذا الطفل ابن أو بنت التي حملته لا صاحبة البييضة لقوله تعالى : « ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم » وهذا نص قطعي الثبوت والدلالة ولا سيما انه جاء على صيغة الحصر ، فليست صاحبة البييضة الا كالدجاجة تبيض بيضتها ولكن لا ينسب فرخها اليها بل الى الدجاجة التي حضنته .

فالفرخ المتخلق من هذه البيضة لا يعرف الا أمه التي حضنته ، ويقول الله سبحانه وتعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن » فهل صاحبة البييضة حملته وهنا على وهن ؟ وكذلك يقول تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها » فهل صاحبة البييضة كذلك ؟!

هذا من ناحية النص ومن ناحية المعنى ان البييضة الملقحة انما نمت وتغذت بدم التي حملتها وتحملت الأم الحمل وآلام المخاض .. فهل يعقل ان ينسب الولد لغيرها ؟

وعليه فهذا الولد ابن لهذه التي حملته وولدته ويأخذ كل أحكام الولد بالنسبة لأمه والأم بالنسبة لولدها من حيث الميراث ووجوب النفقة والحضانة وامتداد الحل والحرمة الى أصولها وفروعها وحواشيها الى غير ذلك .

بقي الكلام على علاقة صاحبة البييضة كالام المرضعة وذلك لأن الحنفية اعتبروا علة التحريم في الرضاع هي الجزئية أو شبهتها فأقل ما يقال ان هذا الطفل فيه جزئية من صاحبة البييضة توجب حرمة الرضاعة .

على اني لا أستريح الى هذا التخريج وأرى ان عملها هدر لا تترتب عليه أحكام .
ألا ترى ان امرأة ما لو غذت طفلا رضيعا بدمها بالطرق المعروفة الآن

هل يثبت بين صاحبة الدم وبين هذا الطفل حرمة الرضاع ؟ والذي يبدو لي من قوله تعالى « وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم » ان الارضاع فيه معنى الجزئية .

والذي اقطع به ان هذه المرأة لا تتجاوز ان تكون زوجة أب هذا الطفل أما وراء ذلك من تعلق حرمة الرضاع بها بأصولها وفروعها وحواشيها فأمر موهوم أكثر مما هو مظنون .

وان القول الذي يهب اليه بعض الباحثين في هذه المسألة بأن الأم هي صاحبة البييضة قول مردود للأدلة النقلية والعقلية السابقة ولما يترتب عليه من آثار خطيرة من أن امرأة تبيض وأخريات يحملن ويتألمن ويعانين آلام الحمل والمخاض ثم لا يتمتعن حتى ولا بصفة الأمومة .. ويمكن لمثل هذه المرأة ان يكون لها في كل شهر جنين أو أجنة ومن هنا يتبين ان الآثار المترتبة على هذا التصرف خطيرة وهذا يرجح القول بحظر هذه العملية لما يترتب عليها من مشاكل أو على أقل تقدير الاشتباه بعلاقة هذا الطفل بصاحبة البييضة . والله اعلم .

الصورة الثالثة : ان تلقح بييضة امرأة ما بماء غير ماء زوجها ثم ترد الى رحمها .

فهذه الصورة محرمة قطعا لما فيها من اختلاط الانساب .. ولكن هل يقام حد الزنا في هذه الصورة ؟ الجواب .. لا ولكن يعزر كل من اشترك في هذه العملية تعزيرا شديدا .

ثم الى من ينسب هذا الولد ؟ والجواب ان هذه المرأة ان لم تكن زوجة فالولد ينسب اليها كولد الزنا ولا ينسب الى صاحب الماء لأن ماءه هدر أما اذا كانت زوجة فقد حسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القضية بقوله « الولد للفراش وللعاهر الحجر » فينسب الولد الى الزوج فان كان الزوج يقطع بأنه ليس منه فالمخلص له أن ينفي النسب ويلاعن هذه الزوجة ويفسخ النكاح بينهما ويقطع نسب الولد من الزوج ويلحق بأمه فقط .

وان علم انه ليس منه ورضي به ثبت نسبه منه ولكن يكون آثما وعلى بنات هذا الرجل وأخواته ان يحتجبن من هذا الولد ان كان ذكرا وان كانت أنثى فللاحتياط لا يتزوج أبناء هذا الرجل منها والأصل في ذلك ان رسول الله بالرغم من انه ألحق ابن وليدة زمعة بزمعه الا انه قال لزوجته أم المؤمنين سودة رضي الله عنها احتجبي عنه يا سوده بالرغم من انه ألحقه بزمعة ابيها .

ولعلي أكون قد بينت ما في هذه المسألة من صور واشكالات فان كنت قد وفقت في ذلك فذلك من الله والا فمني ومن الشيطان .. والله اعلم

كن معهم

قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) آل عمران/١٣٣ ـ ١٣٦ .

الزاد

قال عمر بن عبد العزيز :

لكل سفر زاد لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي ، وتظهر عيلتي ، وتبدو مسكنتي ، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق .

مع الله

« لا مهرب لعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة له على طاعته إلا بمحبته وإرادته .





أبو العتاهية :

فيا عجبا كيف يعصى الاله
أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

الصَائمونَ..

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » رواه البخاري ومسلم .

الجنة

إن الجنة لا يرحل عنها من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها . وكونوا قوما مستبصرين في دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم . **فإن الله عباد الله في دين الله .**

الصلاة

الصلاة : من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن الناس دعاء .

وسميت صلاة : لما فيها من دعاء ، أو لما فيها من رحمة ، أو من الاستقامة : من صليت العود على النار إذا قومته .

قيل للحسن :

ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها ؟ فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره .

صديق وفي

قال لبيد بن ربيعة لما بلغ ١٣٠ سنة وحضرته الوفاة :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فقوما فقولا بالذي تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شَعَرْ

وقولا هو المرء الذي لا صديقه
أضاع ولا خان الخليل ولا غدر

إلى سنة ثم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

في استقبال

تسائلني نفسي وفي أضلعي وقْدُ ... وأذرف دمعا إذ أروح وإذ أغدو
أما للأسى حد ؟ لقد هدك الأسى ... فقلت محال أن يكون له حد
تريدين أن أستقبل العيد باسما ... ومسجدنا الأقصى المبارك ينهد
وفي كل شبر للشريعة مذبح ... من الأرض تحميه المطامع والحقد
ذريني وأحزاني فما العيد واجدا ... سبيلا الى قلبي فقلبي مسود
سأقطع أيامي نضالا وثورة ... الى أن أرى قومي أفاقوا وقد جدوا
وعادوا كما كانوا كراما أعزة ... وأسدا لدين الله تخشاهم الأسد
فإني أرى فيهم حساما مهندا ... ولكنه في الغمد يحبسه الغمد
علاه الصدا دهرا وإن جلاءه ... لفي ذلك الدين الذي عنه قد صدوا
هو الحق من يضرب به كان غالبا ... ولو كان فردا واحدا غلب الفرد
حسام من الرحمن عضب وصارم ... فهيهات يوما أن يفل له حد
اذا نحن لم نجعله نورا وهاديا ... يقود خطانا لن يكون لنا رشد
فتحنا به الدنيا وكنا حماتها ... فما عاقنا بحر ولا صدنا سد
وكنا عماليق البناء وأمة ... لها العز من دون الخلائق والمجد

العيد

للأستاذ / محمد محمد عبد العزيز صادق

وكنا بحارا في العلوم وحكمة ... لها تسجد الدنيا اذا نورها يبدو
فهُنّا وأصبحنا الصعاليك في الورى ... ومن يخذل الرحمن ليس له جند
لقد حكمت فينا الليالي بعدلها ... وحكم الليالي ليس يخطئه قصد
من العدل أن نشقى ونحيا أذلة ... يذبحنا قرد ويقتلنا وغد
أرانا بذي الدنيا نهيم صبابة ... وليس الى الأخرى يحركنا وجد
نطير بأحلام الصغار الى العلا ... ونطمع يوما أن يحالفنا السعد
وما كانت العلياء يوما رخيصة ... وما نالها في العالمين فتى عبد
فجدوا وقولوا للدنا إننا هنا ... كراماً كما كنا بأخلاقنا نشدو
وعودوا الى الاسلام فهو نجاتكم ... سريعا ، فهذا هو الحل والحد
وسيروا على اسم الله للقدس واحزنوا ... فليس لنا عيد سوى الحزن يشتد
فما الدين الا القدس في الأرض حرة ... فكل الذي يسهو عن القدس مرتد

مكافحة الديدان

مازالت الأمراض الناتجة عن وجود الديدان الطفيلية في جسم الانسان من أكثر الأمراض انتشارا ، إذ يقدر عدد المصابين بها بألف مليون شخص تقريبا

عندما أردت الكتابة عن هذا الموضوع ، فكرت طويلا فيما اذا كان من الأنسب أن أكتب إلى مجلة علمية طبية أكاديمية خالصة ، حتى يكون الكلام والشرح موجهين لزملائي من الأطباء كي يسترشدوا به في علاجهم للمرضى والمصابين بهذه الديدان في مصر والوطن العربي ، ليس في الريف فقط ، حيث تتوطن هذه الطفيليات لعوامل كثيرة ، وإنما في الحضر نظرا للهجرة المستمرة وغير المخططة لقاطني الريف إلى المدن المجاورة ، مما يؤدي أحيانا إلى تكدس سكاني رهيب ربما يؤدي بالتالي إلى انهيار الصرف الصحي وعدم مراعاة الأساليب الصحية في تحضير وتجهيز الأغذية والتخلص من الفضلات وغير ذلك مما يطول شرحه وليس هنا مجال سرده ، أو أن أكتب في الموضوع إلى مجلة عامة شاملة فأكون بذلك قد قمت بإتاحة الفرصة للقارىء غير المتخصص لكي يتعرف على كنه الطفيليات أو الديدان وكيفية الاصابة بها ، وطرق تجنب ذلك وما هو متاح لها من علاج ، ولذا

في جسم الانسان

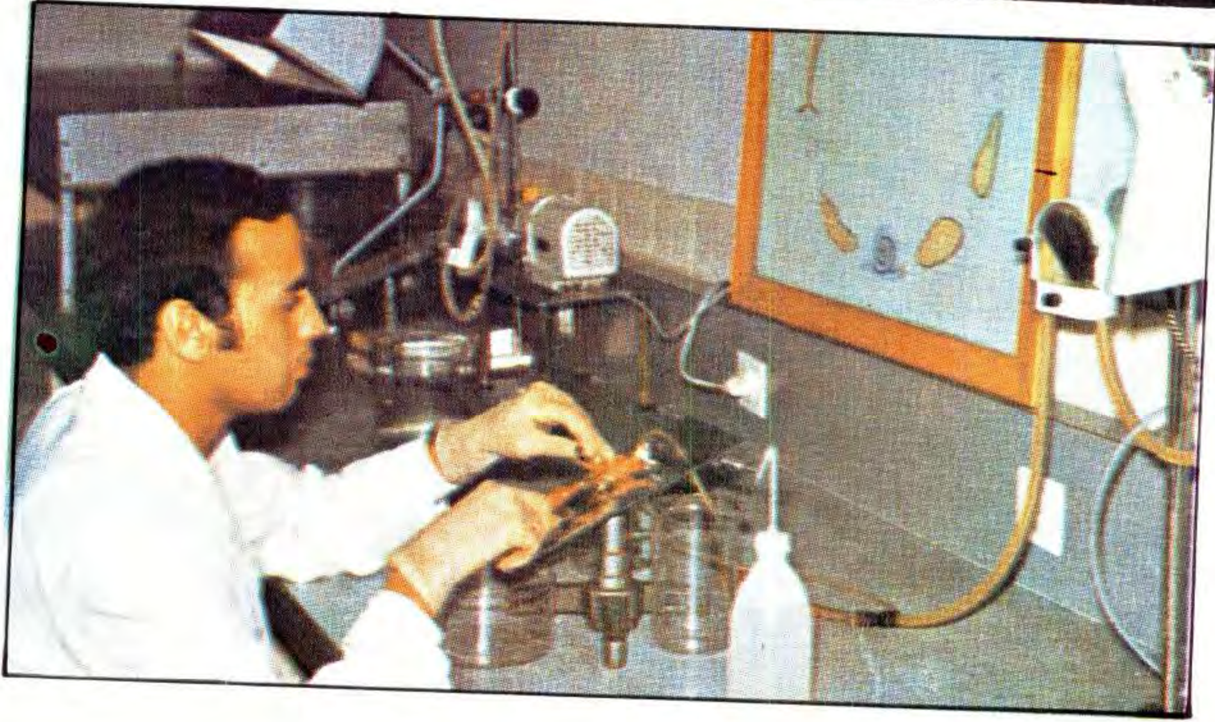
للدكتور/نبيل سليم علي

فضلت أن أكتب في هذا لمجلتنا الحبيبة التي بين يديك أيها القارىء العزيز وهو موضوع يتعلق أساسا بأمراض متوطنة تستشري في بلادنا وتستدعي في علاجها وطرق الوقاية منها أن يكون كل من الطبيب المعالج والمريض المصاب على دراية تامة بطرق العدوى والوقاية والعلاج .

فهناك أنواع عديدة من هذه الديدان الطفيلية كالدودة الدبوسية ، والدودة الشريطية ، وديدان الانكلستوما ، والاسكارس ، وغيرها .

وبعكس الفيروسات والبكتريا نجد أن هذه الديدان الطفيلية تتهرب من جهاز المناعة الموجود في جسم الانسان ، ويعني ذلك أن هناك تهديدا دائما للاصابة بها مرة ثانية إذا كان الانسان يعيش في منطقة تستوطنها هذه الطفيليات ، بل إن أحدث الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع تشير إلى أن الطفل الوليد الذي يصاب بهذه الديدان يظل محتفظا بها في جسمه طيلة حياته .

والديدان الطفيلية كائنات حية تعيش عالة على الانسان طالما هي داخل الجسم ، ولذلك فانها تستفيد منه وتستنزف موارده الغذائية ، إما بالطريق المباشر بعد أن يقوم الجهاز الهضمي للانسان بهضم الغذاء وإعداده للامتصاص ، أو تتغذى عن طريق إمتصاص دمه بما يحويه من مواد غذائية ليست مهضومة وممتصة فقط ، وإنما مجهزة لكي تستخدمها خلايا جسمه بعد تهيئتها لهذا الغرض . ويجرى ذلك بصفة مستمرة وبدرجة بطيئة ومتوازنة ، ولذلك فإن رغم



هذا الاستنزاف المستمر الذي قد يؤدي على مر الأيام إلى إضعاف صحة المصاب وإنهاك قواه ، ففي أغلب الأحيان لا يصل الحال الى حد التهلكة ، لأن هلاك الشخص المصاب ، سيؤدي بالتالي إلى هلاك الديدان المصاب بها ، وهذا ما لا تبغيه هذه الديدان حفاظا على حياتها وحفاظا على استمرار دورة حياتها .

وهذه الديدان على درجة كبيرة من المكر والدهاء رغم ضآلة حجمها ومظاهر بدائيتها فهي في غاية النشاط والتكاثر طالما كان الشخص المصاب بها في حالة صحية جيدة نسبيا ، فهي تشاركه غذاءه وتتناسل داخل أمعائه ، وتخرج بويضاتها مع برازه لتنتشر وتصيب أشخاصا آخرين . وكلما زادت تحركات الشخص المصاب كلما زاد إفراز وانتشار البويضات للعمل على إعداء أكبر عدد من الناس ، وبذلك تحفظ هذه الديدان استمرار وجودها ، وهذه هي سنة الطبيعة ، أما إذا وهن جسم الانسان المصاب وضعف بدنه ، فإنه بالتالي يقلل من تحركاته ، أو يضطر إلى ذلك ، فتحد هذه الديدان من نشاطها عندما تستشعر ذلك ، وتعمل في حياته أطول ما يمكن لها أن تكون ، وفي نفس الوقت تعمل هذه الديدان على الإقلال من إنتاجها للبويضات ، لأنه لا لزوم لإفراز الكثير منها وتحركات المريض قليلة .

وتعتمد الديدان المعوية في دورات حياتها على طبيعة تصرفات الانسان المصاب بها . فبعضها تخرج بويضاتها مع البراز الذي يختلط - إذا أفرز في العراء - بالأتربة حيث يجف ويتأثر معها ، أو تعلق بالخضروات إذا سمدت بالبراز الذي يحويها ومثل هذه البويضات تقاوم التغيرات والتقلبات الجوية من جفاف ورطوبة وحرارة وصقيع ، حتى تجد الفرصة المواتية للوصول بطريقة ما إلى فم إنسان سيء

الحظ أو مهمل فتبدأ حياتها في جسمه ، وبعضها تخرج بويضاتها مع البراز وتفقس يرقات تستكن في الأرض الرطبة الظليلة حتى يمر او يجلس عابر سبيل حافي القدمين فتخترق هذه اليرقات ما بين أصابع قدميه من جلد رقيق ، وتعمل على الوصول إلى أمعائه عن طريق دورة طويلة في الدم والرئتين ، وفي الأمعاء تنمو هذه الديدان وتتزاوج وتتناسل ثم تخرج بويضاتها مع البراز .

وعادة تكتشف الإصابة بهذه الديدان إذا صادف وطلب الطبيب المعالج فحص براز المريض وكثيرا ما اكتشفت الاصابة في أشخاص ميسوري الحال وعلى درجة من الوعي الصحي تستبعد مثل هذه الإصابة ، وزال العجب عندما تذكر المصاب أنه سبق أن ذهب في نزهة وأكل خضارا أو فاكهة دون غسل جيد أو خلع نعليه وتحرر من بعض ملابسه واستلقى مستريحا تحت ظلال شجرة .

ولكن في الريف تكون الفرصة أفضل لاكتشاف الاصابة بهذه الديدان نظرا لتوفر الفرصة لفحص بول وبراز كل مريض يتردد على الوحدات العلاجية ومستشفيات الأمراض المتوطنة قبل إجراء الكشف الاكلينيكي عليه . ولذلك فإن هذه الوحدات تعتبر خط الدفاع الأول في مكافحة الأمراض المتوطنة ومنها الديدان الطفيلية .

وهنا يلزم أن أنوه عن أنه رغم توطن مثل هذه الأمراض في بلادنا وانتشارها في الريف والحضر فإن المستشفيات الجامعية تهتم أساسا بإجراء الفحوص الأكلينيكية والتشخيصية الأخرى ، وتهمل الفحوص الخاصة بالطفيليات إلا في الأقسام المتخصصة ، تاركة هذا العبء على عاتق مستشفيات الأمراض المتوطنة والوحدات الريفية ، وكذا الأمر في علاج مثل هذه الأمراض ، وترتب على ذلك أن أغلب الأخصائيين في فروع الطب المختلفة أصبحوا بعيدين في تفكيرهم عن أهمية الأمراض كقاعدة محتملة لمرض باطني أو مرض يحتاج لتدخل جراحي .

وكم من مرة شخصت حالات انسداد الأوعية الصفراوية ، وحولت للجراحة ، وعند فتح بطن المريض ، وجد الانسداد ناشئا من دخول طرف دودة اسكارس في فتحة قناة عصارة الصفراء . وكثيرا ما دخلت غرفة العمليات حالات انسداد في الأمعاء وثبت من إجراء العملية الجراحية أن السبب في هذا الانسداد المعوي هو تجمع عدد كبير من ديدان الاسكارس ، كما ثبت أن الكثير من حالات الالتهاب الحاد للزائدة الدودية التي تحول للجراحة العاجلة سببها انسداد مفاجيء لفتحة الزائدة الدودية بطرف دودة من ديدان الاسكارس . من هذا كله كان دافعي للكتابة في هذا الموضوع .

والأعجب من ذلك أن نجد في البلاد المتقدمة اهتماما بتدريس الأمراض المتوطنة وإجراء البحوث المتقدمة والمتعمقة فيها ولا نجد مثل هذا الاهتمام في بلادنا .

ولا أريد إن أقول أن الكثير من اطبائنا يوفدون للتخصص في مثل هذه الأمراض في أوروبا وأمريكا . والسبب الأساسي في اهتمام البلاد المتقدمة بمثل هذه الأمراض ليس اهتماما بالبلاد النامية التي تتوطن فيها هذه الأمراض وإنما للأهمية

السياحية وغير السياحية لهذه البلاد بالنسبة لها .

وعلى وجه العموم فإن الاهتمام بهذه الأمراض أصبح عالميا ، ويلزم أن يكون شاملا في بقاع وطننا العربي خاصة وأن وسائل المواصلات والتسهيلات السياحية وكثرة الانتقال بين أرجاء العالم قد أدت إلى زيادة المخالطة والترابط بين سكان دول العالم المختلفة مما أدى بالتالي إلى ضرورة التعرف على مختلف الأمراض المتوطنة في المناطق المختلفة وإمكان تجنبها وعلاج من يصاب بها .

ونحمد الله على أنه يتوفر حاليا العلاج الفعال لأغلب هذه الديدان الطفيلية - إن لم يكن كلها - وذلك بمركبات علاجية ذات سلامة ويندر باستخدامها حدوث أي أعراض جانبية تذكر مع سهولة الاعطاء ورخص التكلفة . ولكن الأهم من ذلك هو وجوب اتباع طرق الوقاية من تكرار العدوى مع العمل على اتخاذ كافة الاجراءات التي تكفل عدم استمرار انتشارها .

وهذا يعتمد على سلوكيات الانسان نفسه ، فلا يمكن بأي حال من الأحوال مكافحة مثل هذه الأمراض دون تعاون الشخص المعرض للاصابة .

وبالرغم من عدم وجود مصل يقي الانسان من الاصابة بالديدان الطفيلية ، فإن هناك عدة مركبات كيميائية ذات فعالية قوية يمكنها القضاء على الديدان في جسم الانسان ولو مؤقتا .

والمشكلة الوحيدة في هذا المجال ، هي أن العلاج بهذه المركبات الكيميائية يكلف الكثير من المال ، وخاصة للذين يعيشون في بلاد تعاني الفقر المدقع . لذلك يحاول العلماء التوصل لعلاج أمراض الديدان الطفيلية لا يكلف كثيرا .

ولم يكن أحد يستطيع قبل هذه الدراسة التي يجريها أولئك العلماء أن يجيب على أسئلة مثل : هل يجب اجراء البحث على نطاق واسع أو تركيز الدراسات على الافراد المصابين إصابة خطيرة بهذه الأمراض ؟ لقد أدرك هؤلاء العلماء أنه بدون دراسة تفصيلية لأمور هامة مثل انتشار الديدان ودورة حياتها بل وحتى دورة حياة الانسان المصاب بها . لن يمكنهم التوصل إلى نتيجة مرضية ، لذلك بدؤوا في جمع هذه التفاصيل وحفظها بطريقة رياضية طبقا لأحدث مناهج علم الاحصاء .

وتظهر النتيجة التي توصل إليها هؤلاء العلماء أنه بالرغم من التكاليف الباهظة التي سيتكلفها علاج الاشخاص الذين وصلت إصابتهم درجة خطيرة فإن الفوائد التي سيحصل عليها العاملون في هذا المجال من تطبيق العلاج فوائد جمة ايضا .

ولكن مازالت هناك مشاكل تتطلب حلا لها قبل تطبيق الوسائل العلاجية التي توصلوا اليها . فهناك على سبيل المثال مشكلة الآثار السامة التي سوف تنتج عن استخدام جرعات كبيرة من هذه المركبات الكيميائية ، والتي ستعطي للأشخاص الذين وصلت إصابتهم إلى درجة خطيرة .

لذا فإن الوقاية - دائما - خير من العلاج ، كما أن العمل على اتباع الأساليب الصحية يوفر على الانسان مشقة الاصابة بهذه الأمراض والعلاج منها وبذلك يوفر على الدولة الكثير من الجهد والمال .





وسنعرض هنا لأكثر الديدان المعوية انتشارا في مصر والوطن العربي :

* ديدان الاسكارس *

يطلق على هذه الديدان اسم ثعبان البطن ، وهي ديدان اسطوانية قد يصل طولها إلى أربعين سنتيمترا ، ويميل لونها إلى الأصفر الباهت أو قد تكتسب مسحة أرجوانية . وتبدو لأول وهلة مدببة الطرفين . وكثيرا ما تثير الجزع والهلع لدى المريض وعائلته عند خروجها من فتحة الشرج أثناء التبرز أو عند مناظرتها في البراز . وأكثر من ذلك إذا تصادف وخرجت عرضا مع محتويات المعدة أثناء القيء .

والأدهى من ذلك والأكثر إزعاجا إذا حدث وخرجت فيما ندر عن طريق الأنف ، والاصابة بديدان الاسكارس منتشرة ليس في الريف فقط وإنما أيضا في الحضر .

وتنتشر بين الأطفال والبالغين ذكورا وإناثا . وهي تعيش في الأمعاء الدقيقة للانسان . ومنها الذكر والأنثى . والطرف الخلفي للذكر يبدو ملتويا ولكنه مفرود مدبب في الأنثى . ويبلغ عدد البويضات التي تضعها الأنثى الواحدة من ديدان الاسكارس يوميا حوالي مائتي ألف بويضة تخرج كلها مع البراز . فإذا كانت الأنثى الواحدة من هذه الديدان تضع مثل هذا العدد الهائل من البويضات فلنا أن نتصور العدد الكلي من البويضات الذي يمكن ان يخرج يوميا في براز مريض واحد مصاب بمائة أو أكثر من هذه الديدان . خاصة اذا وضعنا في الاعتبار أن بعض المرضى يكونون مصابين بأكثر من أربعمائة دودة .

وعندما تخرج بويضات الاسكارس مع البراز تبدأ الأجنة داخل هذه

البويضات في التطور والنضج داخل أغلفة البويضة القوية التي تقاوم مختلف درجات الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة ويستغرق ذلك مدة تتراوح بين ثمانية أيام وخمسين يوما حسب الظروف البيئية المحيطة بها . وتعلق هذه البويضات بأوراق الخضروات التي يجرى تسميدها بالبراز الآدمي مثل الخس ، والأدهى من ذلك كثرة انتشارها مع الأتربة خاصة في الأماكن التي تنتشر فيها عادة التبرز في الخلاء أو في أركان الأحواش والطرقات ، وهي عادة مبتذلة انتشرت نتيجة لعدم توفر المراحيض العامة ، وعندما يجف البراز ويختلط بالتراب ينتشر في الطرقات والمنازل حاملا بويضات الأسكارس لأشخاص لا يمكن أن يدخل في روع أحد منهم أن مثل هذه الأتربة تحمل في ثناياها خطر الاصابة بهذه الديدان .

وعندما تصل البويضات الناضجة بأي طريق الى فم الانسان فإنها تنتقل الى معدته حيث تخرج منها الاجنة الناضجة على هيئة ديدان صغيرة تخترق جدر الأمعاء الدقيقة وتسير مع الدم إلى الكبد ومنه إلى الدورة الدموية العامة حتى تصل الى القلب ثم إلى الرئتين وهنا تخترق الديدان الصغيرة جدار الحويصلات الهوائية ، محدثة احتقانا في الرئتين يسبب سعالا قد يكون شديدا . ويؤدي هذا السعال إلى انتقالها إلى الشعب الهوائية فالقصبة الهوائية حتى تصل إلى البلعوم . وهنا تنتقل هذه الديدان الصغيرة عن طريق البلع مرة أخرى إلى المعدة فالأمعاء الدقيقة حيث تقبع هناك حتى تستكمل نضجها وهي عالقة بشفاهها الموجودة بطرفها الأمامي بجدار الأمعاء ، ثم تبدأ الأنثى في وضع البويضات التي تخرج مع البراز .

وتستغرق هذه الدورة في جسم الانسان ما يقرب من الشهرين . وقد يشعر المصاب أثناءها بأعراض حساسية مثل « الهرش أو الحكة » أو الارتيكاريا التي قد يرجعها المصاب إلى حساسية لأكل معين أو ما إلى ذلك . ثم يعاني المريض بعد ذلك من سعال شديد وقد تحتقن رئتاه وقد يصحب ذلك ارتفاع في درجة حرارة الجسم عند مرور هذه الديدان بالرئتين . وقد تؤخذ هذه الشكوى خطأ على أنها نزلة شعبية أو أزمة ربوية أو نزلة برد أو انفلونزا وهي من كل ذلك براء .

وبعد أن تستقر الديدان البالغة في الأمعاء الدقيقة تحدث أعراضا كثيرة ولكنها غير مميزة ، لأنها قد تحدث أيضا في كثير من الأمراض الأخرى ، فقد يشكو المريض من مغص بالبطن وتقلصات بالأمعاء وقيء وقلق نفسي وتوتر ذهني وأرق . وإذا كان عدد الديدان كبيرا فقد يؤدي ذلك إلى حدوث انسداد في الأمعاء أو قد يؤدي دخول طرف الدودة في مخرج الوعاء الصفراوي إلى يرقان انسدادي أو قد يؤدي دخولها في الزائدة الدودية إلى التهاب حاد بها مما يستتبع إجراء الجراحة العاجلة التي يكتشف بعدها السبب غير المتوقع .

وتحدث العدوى بديدان الاسكارس عادة نتيجة لأكل السلطات الخضراء أو الخس أو الفجل والجرجير وما إليها دون غسيل جيد أو نتيجة لتلوث الأطعمة أو الأيدي بالأتربة في الأماكن التي يكثر فيها التبرز في العراءأوعن طريق الذباب .

وتعد **الذبابة** من أهم العوامل الأساسية التي تنشر العدوى ، كما يعد نفض السجاجيد والأكلمة بالمضارب في الشرفات بالأحياء الشعبية من الوسائل التي تعمل على انتشار العدوى بين الشقق والمنازل . وهنا يجب أن نشير إلى أن الشخص المصاب بديدان الاسكارس لا يعدى من يعيش معهم مباشرة طالما كانت هناك وسائل صحية سليمة للتخلص من البراز حيث أن البويضات التي تخرج مع البراز لا تصبح قابلة للاعداء إلا بعد مرور فترة من الزمن كما ذكر قبلا .

والوقاية من العدوى بهذه الديدان بسيطة وتتلخص في وجوب التبرز في الأماكن المخصصة لذلك وغسل الأيدي جيدا قبل الأكل مع تقليم الأظافر « وكثيرا ما نجد الكثير من آنساتنا أو بناتنا وسيداتنا مصابات بالاسكارس نتيجة لاطالة الأظافر وعدم تنظيف ما يتجمع تحتها » . وغسل الخضروات التي تؤكل طازجة أو نيئة غسلا جيدا بالماء الجاري ولمدة كافية لازالة كل ما يعلق بها من شوائب وذلك قبل أكلها أو استعمالها في تحضير السلطات مع مكافحة الذباب وتغطية المأكولات حتى لا يحط عليها الذباب .

وعلاج الاصابة بديدان الاسكارس فعال وبسيط ويوجد من المركبات المعالجة مثل مركبات « الليبرازين » والبيرانتيل ، وليفاميزول ، وميبندازول ، ولكن الأهم من ذلك هو مراعاة أساليب الوقاية عملا بالحكمة القائلة والخالدة « **الوقاية خير من العلاج** » .

*ديدان الانكلستوما *

وهي أيضا تماثل ديدان الاسكارس في أنها اسطوانية ولكنها تختلف في ضآلة حجمها حيث لا يتعدى طولها سنتيمترا واحدا إلا أنها أكثر منها ضراوة وتتغذى مباشرة على دم الانسان ومنها الذكر والأنثى .

وينتهي طرفها الأمامي بزوجين من الأسنان التي تشبه الشص وتتعلق بواسطتها بجدار الأمعاء الدقيقة للانسان حيث تعيش خاصة في منطقة الاثنا عشر . وبواسطة هذه الأسنان تحدث هذه الديدان جروحا بجدار الأمعاء الدقيقة لينزف منها الدم الذي تمتصه بشراهة بالغة . ومما يدل على شراستها ، أنها رغم وجودها وسط الأكل المهضوم في الأمعاء لا تكلف نفسها عبء استخدامه في غذائها ولكنها تنتظر حتى يمتص وتحصل عليه من الدم جاهزا دون أي عناء والأدهى من ذلك أنها تحدث نزفا كثيرا للحصول على غذائها لأنها تمتص الدم الذي يمر في جهازها الهضمي الدقيق وتأخذ منه البلازما تاركة جسيمات الدم الحمراء تخرج من مؤخرتها ، وقد يصل ما تمتصه الدودة الواحدة يوميا إلى حوالي ٠,١سم^3 من الدم إذا كانت متواضعة ، فإذا كان الشخص مصابا بألف دودة مثلا وهو عدد عادي بالنسبة للاصابة بالانكلستوما فإن المريض يفقد مائة سنتيمتر مكعب يوميا





أي يفقد لترا من الدم كل عشرة أيام .
وهذه الكمية كبيرة إذا وضعنا في الاعتبار أن متوسط حجم الدم في الجسم حوالي خمسة لترات .
وبعد تناسل ديدان الانكلستوما في الأمعاء تخرج بويضاتها مع البراز ويقدر المعدل اليومي للبويضات بما لا يقل عن عشرة آلاف بويضة لكل دودة . وتخرج منه الأجنة في التربة حيث تتحول إلى يرقات تختار المكان الظليل الرطب وتنتظر فرصة وجود شخص يأتي للراحة أو يسير عاري القدمين في مثل هذا المكان فتخترق الجلد الرقيق بين أصابع قدميه وتسير مع الدم إلى القلب ومنه إلى الحويصلات الرئوية التي تخترق جدرها بعد ذلك وتسير مع الهواء الموجود بالرئتين فتسبب السعال الذي يؤدي إلى خروجها إلى البلعوم . وعندما يبتلع المصاب ما ينتج من سعاله من مخاط يحتوي على هذه اليرقات فإنها تصل عن هذا الطريق إلى المعدة فالأمعاء حيث تتعلق بجدار الأثنا عشر وتستكمل دورتها .
ويستغرق ذلك حوالي خمسة أيام ، كما تتراوح المدة بين وصولها إلى الأمعاء وكمال نضجها وإفرازها للبويضات بين أربعة أسابيع إلى خمسة .
والأعراض الثانوية التي تحدث أثناء دورة هذه الدودة في الجسم حتى تصل إلى الأمعاء تشمل الهرش والارتيكاريا والسعال التي قد لا تسترعي أي اهتمام يذكر ولا تشير إلى الاصابة بها . إلا أن الأهم من ذلك ما يحدث من أنيميا شديدة طوال فترة وجودها في الأمعاء الدقيقة لشراهتها في استنزاف الدم . وتكتشف الاصابة عند فحص البراز واكتشاف وجود البويضات . ورغم أن الاصابة الشديدة قد لا تتسبب في أعراض أو ظواهر ملحوظة إلا بعد فترة طويلة ، فإن الاصابة الشديدة قد تسبب حدوث أنيميا شديدة وما يصاحبها من مضاعفات قد تكون خطيرة

خاصة إذا كان المريض يعيش على حد الكفاف وكان معرضا للعدوى المتكررة .
وعلاج هذه الديدان سهل وميسور الآن باستخدام مركبات فعالة وذات سلامة مطلقة مثل الليفاميزول ، والبيفنيوم ، والبيرانتيل ، والميبندازول .

*ديدان التريكو كفالس *

وهي ما يطلق عليه اسم الديدان السوطية لأنها مزودة في مؤخرتها بطرف رفيع مثل السوط . وهي تعيش في الأمعاء الغليظة للانسان وخاصة في منطقة الأعور ، وفي هذه الحالة قد يشكو المريض من ارتباكات معوية مع مغص وإسهال متكرر ، ويبلغ طول الدودة البالغة حوالي خمسة سنتيمترات ، ويصاب بها البالغون والأطفال على حد سواء نتيجة لتناول الطعام الملوث بالبويضات عن طريق تلوثه بالبراز الذي يحويها ولا يشكل المصاب بهذه الديدان أي خطر مباشر على مخالطيه ، لأن الأجنة الموجودة داخل هذه البويضات تحتاج لمدة شهر إلى ثلاثة شهور لكي تصبح قابلة لإحداث العدوى . وعلى هذا الأساس فإن أفضل سبل الوقاية منها هو استخدام المراحيض في التبرز ، وهي كافية للقضاء على العدوى أو احتمال إصابة الآخرين . ورغم أن علاج مثل هذه الاصابة صعب إذا قورن بما سبق أن ذكرناه بخصوص الطفيليات المعوية الأخرى ، فإن ما يعوض ذلك أن الاصابة بمثل هذه الديدان في الوطن العربي قليلة ولا تشكل أي مشكلة صحية ذات بال . وعلاجها يتم بمركب ليفاميزول أو ميبندازول وهو سهل وميسور .

*ديدان الهتروفس *

العجيب في الاصابة بهذا النوع من الديدان أنها لا تصيب الانسان نتيجة الاهمال في النظافة أو لقصوره فيما يجب اتباعه من القواعد الصحية ، إنما تصيبه نتيجة لتهافته على نوع معين من الأكل واختياره لما هو أكثر إثارة للشهية فالانسان بطبيعته يسعى إلى الأكل الشهي مهما كان نوعه وهذه الديدان تصيب الانسان نتيجة لأكل **الفسيخ** الذي يكثر الاقبال عليه في مواسم معينة مثل شم النسيم في مصر . وكلما كان الفسيخ طليا حلو المذاق قليل التمليح كلما ارتفع سعره وزاد الطلب عليه وبالتالي زادت الفرصة للاصابة بهذه الديدان . فهي عندما تصيب الانسان تعيش بأعداد كبيرة في الأمعاء الدقيقة للانسان وغيره من الحيوانات التي تتغذى بالأسماك . وهي ديدان مفلطحة ضئيلة الحجم كمثريةالشكل لا يزيد طول الواحدة منها عن ملليمتر ونصف أو أكثر قليلا أما عرضها فلا يتعدى ٧/١٠مم . وهي دودة خنثى وتتعلق بجدار الأمعاء الدقيقة بواسطة ممصين

عضليين . وتخرج منها بويضات غاية في الضآلة ، كثيرة العدد تختلط مع محتويات الأمعاء الدقيقة ، ثم تصل إلى الأمعاء الغليظة حيث تخرج مع البراز . وعندما تصل هذه البويضات إلى مياه نصف مالحة تخرج منها الأجنة التي تصيب نوعا معينا من القواقع يسمى « **قواقع الميلانيا** » التي تعيش في مثل هذه المياه . ولذا فانها تكثر في بحيرات شمال الدلتا المتصلة بالبحر الأبيض المتوسط وتصب فيها مياه النيل وهي بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس ونتيجة لاختلاط مياه البحر المالح بمياه نهر النيل العذبة ، تصبح مياهها نصف مالحة . ومن هذه القواقع تنتقل العدوى للاسماك التي تعيش في مثل هذه البحيرات مثل البوري والطوبار والبياض والبلطى حيث تتكيس في عضلاتها وهذه التكيسات لا تموت إلا إذا طهى السمك طهيا جيدا أو قُليَ قلياً جيدا أو أُجرى تمليحه لمدة لا تقل بأي حال من الأحوال عن ثمانية أيام ، فإذا عومل السمك بأي من هذه الطرق ، أصبح أكله آمنا لا يسبب أي ضرر ، ولكن المصيبة تحدث عندما يفضل الذواقة الفسيخ الحلو وهو سمك البوري المملح لمدة لا تزيد عن أربعة إلى خمسة أيام . وهو في الحقيقة يكون في ذلك الوقت حلو المذاق ، لذيذ الطعم ، ولكنه يحوي البلاء بعينه عندما يؤكل ، لأنه إذا كانت عضلاته تحوي أكياس ديدان الهتروفس فإن أكله سيسبب حتما الاصابة بهذه الديدان ، ولكن الفسيخ جيد التمليح لا ضرر من أكله وكذا الحال إذا أكل مثل هذا السمك بعد شويه جيدا .

ولما كانت الاصابة بهذه الديدان منتشرة ومتكررة ، فلا عجب إذا أتى المريض شاكيا من مغص وإسهال مع ارتباكات في إفراز العصارة المرارية . ويحضرني في ذلك ما قابلته مرارا من مرضى يعانون من الاصابة ، وبعد علاجهم وشفائهم يعودون ثانية بنفس الاصابة ذاكرين مدى نهمهم إلى أكل السفيخ الحلو رغم علمهم بما قد يحدثه من ضرر .

ويستخدم في علاج مثل هذه الاصابة حاليا النكلوزامايد ، وكذا مركب البيفنيوم . ولكن يجب النص على عدم جدوى العلاج طالما كان الطلب كبيرا على الفسيخ والسمك المشوي شيا خفيفا ، وهذا للأسف مطلب الكثير من القادرين لحلاوة مذاقه .

ورغم أن علاج كل هذه الديدان ميسور إلا أن المركبات الكيميائية لها آثار سامة وضارة أحيانا ، ولهذا فإن الأبحاث مازالت مستمرة من أجل الإقلال من سُمية هذه العقاقير ، ومازالت هناك مشاكل تتطلب حلا لها قبل تطبيق الوسائل العلاجية التي توصل إليها العلماء مؤخرا . فهناك على سبيل المثال مشكلة الآثار السامة جداً التي سوف تنتج عن استخدام جرعات كبيرة من هذه المركبات الكيميائية والتي ستعطي للأشخاص الذين وصلت إصابتهم إلى درجة خطيرة .

ولكن برغم ذلك ، فإن الدراسات التي يقوم بها هؤلاء العلماء سوف تكون هاديا ومرشدا لكل الأطباء الذين يبذلون أقصى ما في وسعهم للقضاء على مشكلة تبدو مستعصية .

الإسلام

وأخطار الرضاعة الصناعية

○○ الرضاعة الطبيعية تحمي الطفل من الأمراض

للاستاذ / عبدالرسول الزرقاني

يحرص الاسلام كل الحرص على صحة الطفل ، حيث أمر برعايته صحيا ونفسيا واجتماعيا وذلك من أجل غد مشرق لبلادنا ، لأن طفل اليوم ، هو رجل المستقبل الذي يبني ويقيم الحضارات الشامخة لأمة الاسلام ، وقد حرص الاسلام على الطفل صحيا فأمر برضاعته حولين كاملين وذلك لمن أراد أن يتم هذه الرضاعة حيث قال الحق سبحانه « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** » البقرة : ٢٣٣ وفي هذه الآية أمر للأمهات بإرضاع

أطفالهن رضاعة طبيعية لأنه قد ثبت أن لبن الأم يعتبر أفضل غذاء للطفل ، حيث يشتمل على البروتينات التي تعطى الطفل مناعة ضد كثير من الأمراض .

○○ لبن الأم معقم بطبيعته :-

وعلى هذا يوضح د . علي مطاوع عميد طب الأزهر أن لبن الأم معقم بطبيعته وليس به ميكروبات تسبب نزلات معدية أو معوية وهو جاهز في كل وقت تحت طلب الطفل ، كما أن تركيبه يتغير تبعا لاحتياجات الطفل وتغير سنه ، كما وجد أن اللبن الذي يعطي للطفل له دخل كبير في تكوين جسم الطفل وعقله وسلوكه ، لأن الطفل يتأثر باللبن الذي يتعاطاه في حياته الأولى ، ولأن جسمه وعقله يكونان في دور التكوين والبناء .

ـ وهنا لابد من وقفة :

وهنا يصح أن نقف وقفة عند هذه الآية المذكورة لأنها تعد وسيلة إلهية لتنظيم النسل إذ أن إرضاع الطفل حولين كاملين ، ومنع الحمل في اثناء الرضاعة يعني أن الأم يجب ألا تنجب إلا مرة واحدة كل ثلاث سنوات على الأقل سنتان في الرضاعة وسنة اخرى مدة الحمل .

○○ الرضاعة الطبيعية تحمي الطفل من الاصابة بضغط الدم :

وقد أثبتت الاحصائيات العلمية أن ١٪ من الأطفال يعانون من ارتفاع ضغط الدم إما بصفة دائمة أو وقتية وترتفع هذه النسبة إلى ٢١٪ عند البلوغ : وتقول الدكتورة ـ منى سالم أستاذة طب الأطفال بعين شمس إن ارتفاع الدم في الأطفال قد يحدث كعارض ثانوي لبعض الأمراض ، مثل أمراض الكليتين ، كما يحدث للأطفال المصابين ببعض أمراض الغدد والأوعية الدموية والأورام وقد ثبت علميا أهمية الرضاعة الطبيعية في حماية الأطفال من الاصابة بضغط الدم ، فهؤلاء أقل عرضة للاصابة بضغط الدم من الأطفال الذين يعتمدون في غذائهم على الألبان الصناعية نظرا لتناسب تكوين لبن الأم مع احتياجات الطفل وانخفاض نسبة أملاح الصوديوم في لبن الأم عنه في اللبن الصناعي .

وتقول الأبحاث العلمية إن أعراض ضغط الدم في الأطفال قد تكون على هيئة صداع وزغللة وقيء ، وكذلك يصاب الطفل بالعصبية الزائدة والتشنجات ـ هذا ويتم علاج الاطفال المصابين بضغط الدم علاجا باطنيا بالأدوية وهنا تتضح عظمة الاسلام عندما أمر الأمهات برضاعة أطفالهن رضاعة طبيعية ، وبأن تكون المرأة

موطن حنان وحب ورعاية لطفلها ، ولو تحقق في المجتمع الايمان وطبقت نواحيه المختلفة لكان تقدمنا ورخاؤنا وفقا لقوله تعالى (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**) الأعراف : ٩٦ .

○○ الأم ورضاعة الطفل : -

الأم الحامل التي ترغب في إشباع طفلها من الرضاعة في حاجة إلى وجبات يومين من أغذية تحتوي على بروتينات من أصل حيواني ويعتبر اللحم والدجاج والبيض واللبن من الأغذية الحيوانية التي يجب ان تتوفر للأم ، لأنها توفر الفيتامينات والحديد والمواد المعدنية الأخرى الضرورية واللازمة لغذاء الأم والطفل حين الرضاعة وحقا كما يقول الله (**حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) الأحقاف : ١٥ وهنا يجب ان تهتم الأم بصحتها وذلك من أجل صحة اطفالها ، وبالتالي سيكون المجتمع المسلم القوي الذي نهدف اليه .

○○ العلم الحديث ورضاعة الطفل :

لقد اكد العلم الحديث ان الوسيلة الآمنة والنظيفة تتمثل في الرضاعة الطبيعية للطفل والله سبحانه قد وجه الأمهات إلى ضرورة الالتزام بهذا عندما قال (**والوالدات يرضعن أولادهن**) فإنه عندما يولد الطفل سرعان ما يكون في انتظاره غذاء كامل بل إن لبن الأم فيه الغذاء والعلاج ، كما يقول الأطباء لأن اللبن ينطوي على مضادات حيوية طبيعية من عند الله تقوم بدور مقاومة الطفل ضد العدوى ويضاف إلى ذلك : أن التغذية عن طريق الأم تساعد رحم الأم على العودة الى حجمه الطبيعي وفوق ذلك فإن لبن الأم لا يحتاج إلى تحضير من جانب الأم أو انتظار من جانب الطفل وأيضا هو مضمون النظافة وسهل الهضم ومركب تركيبا كيميائيا خاصا للطفل بعينه .

ويؤكد الدكتور زيدان عبدالباقي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر أن لبن الأم من الناحية الاقتصادية يعتبر بدون ثمن ، أي منحة كريمة من الله - ومن ثم فمن الواجب على الأم أن تبذل قصارى جهدها للمساعدة على زيادة لبنها بكل الوسائل الميسورة أو المتاحة وأن تتجنب كل ما يحول دون الرضاعة الطبيعية .
- ويضيف قائلا : إن الاسلام يحض الآباء على أن يعملوا على توفير لبن الأم لوليدها بمعنى أن الأم إذا امتنعت عن إرضاع وليدها إلا بأجر وهذا حقها - فانه يجب على الأب أن يدفع لها هذا الأمر لكي يوفر الغذاء للطفل .
وهذا ما يبينه الله سبحانه في سورة البقرة : ٢٣٣ (**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود**

له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) .

ـ وهنا نستطيع أن نعلق على ذلك : إن الرجل إذا طلق زوجته في أثناء الحمل ، فالاسلام يلزمه أن ينفق عليها حتى تضع حملها ، وأن يطلب إرضاع طفلها نظير أجر ، فإن وافقت كان بها وإلا فعليه أن يبحث عن مرضعة أخرى ، كما يقول الله تعالى :

(وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) الطلاق : ٦ .

ـ والجدير بالذكر أن الساعات الاثنتي عشرة الأولى من عمر الوليد بعد الولادة لا يحتاج فيها الطفل إلى الرضاعة ، وإنما يعطي له القليل من الماء المخلوط بالسكر ، بعد غليه وتبريده ، وفي اليومين الأولين تفرز الأم نوعا من اللبن يسمى (بالكولستروم) .

وهو سائل اصفر غني بالاجسام المضادة للميكروبات ، وهو لذلك يساعد على رفع مناعة الجسم ضد الميكروبات .

○○ فماذا عن الرضاعة الصناعية للطفل :

الرضاعة الصناعية نوعان :

١ ـ نوع تكميلي ومعناه : أن يرضع الطفل من ثدي أمه ثم يستكمل وجبته من الزجاجة .

٢ ـ نوع يقوم على التغذية البديلة : بمعنى أن تستبدل رضعة الطفل من ثدي الأم برضعة من الألبان الحيوانية .

وقد يضطر الطفل الى ذلك، نظرا :

ـ لعدم نزول اللبن من ثدي الأم ، ويرجع ذلك الى ضعف الغدد التي تقوم بوظيفة افراز اللبن .

ـ لاصابة الأم ببعض الأمراض المزمنة مثل السل ، وامراض القلب ، وهنا تضطر الأم إلى استخدام الرضاعة الصناعية حتى لا تنتقل العدوى إلى الطفل عن طريق الرضاعة .

○○ رفض إرضاع الطفل من أجل مظهر الأم :

يحرص كثير من الأمهات على مظهرهن ، ورشاقتهن ، فيستخدمن الرضاعة

الصناعية حفاظا على الثدي من الترهل ، وعلى البطن من الكبر أو الانتفاخ ، ولهذه الأسباب التافهة يلجأن إلى الرضاعة الصناعية وفي هذه الحالة ، يستبدل بلبن الأم اللبن الخارجي ـ مثل لبن البقر وخلافه ، مع العلم بأن اللبن من الأغذية التي تتلوث بسرعة ، فضلا عن أن لبن البقر وخلافه يختلف في تركيبه عن لبن الأم ، واللبن الخارجي بذلك يسبب عسر هضم للطفل ، كما أن السكريات فيه قليلة .

○○ أخطار الرضاعة الصناعية :ـ

أكدت الدراسات التي قام بها علماء الصين الشعبية مؤخرا ، أن لبن الأم ينمي ذكاء الطفل ، وثبت أن الأطفال الذين اعتمدوا في طفولتهم على الرضاعة الطبيعية هم أكثر ذكاء من غيرهم .

والسبب في ذلك : هو أن أسرع مرحلة لنمو المخ في الانسان تكون في العام الأول من حياته ، وخلال هذه الفترة يكون في حاجة إلى مواد غذائية كاملة ومتوازنة وهي لا تتوافر بالشكل المطلوب إلا في لبن الأم فقط ، وأي نقص يتعرض له الطفل غالبا ما يؤدي إلى نقص في القدرات العقلية للأطفال .

ـ أيضا من الثابت علميا أن الأطفال الذين يتناولون الألبان الصناعية يتعرضون للاصابة بالنزلات المعوية ، والنزلات الشعبية أكثر من الأطفال الذين يرضعون ألبان أمهاتهم .

ـ وفوق ذلك نجد أن الطفل يشعر بالأمان والاستقرار بين ذراعي امه ، فينشأ الطفل نفسيا واجتماعيا نشأة صحيحة ، وفرق كبير بين حنان الأم وحنان المرضعة أيا كانت .

ـ وهكذا :

لكي ينشأ الطفل نشأة اجتماعية صحيحة وسليمة ، لابد من رعايته نفسيا وصحيا وهذا هو واجب الأسرة ، فإذا ساعدت الأسرة الطفل على المرور بنجاح في هذه المرحلة الأولى لنمو الطفل ، هنا يمكن أن يقال إن الطفل قد ولد بصورة اجتماعية غير معقدة وبذلك وضحت وجهة نظر الاسلام ـ حينما امر بالرضاعة الطبيعية ، وحذر من الاهمال ، أو عدم رعاية الطفل ، لأنه يهدف الى خلق الطفل القوى الذي ينشأ داخل المجتمع المسلم بكل قيمه ومبادئه .



قصّة العدد

جحيم النعيم

للمهندس / محمد الحسيني عبد الكريم

- ١ -

« في بيت أبى ذر الغفاري ، الصحابي الجليل ، الزاهد ، وقد دخل عليه شاب تبدو على وجهه علامات الأسى والحزن فاستقبله أبو ذر مرحبا »

ثعلبة : السلام عليكم ورحمة الله .
أبو ذر : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .
ثعلبة : معذرة يا صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد جئتك من غير سابق معرفة .
أبو ذر : البيت بيتك .... من تكون ؟
ثعلبة : أنا « ثعلبة بن حاطب » الانصاري .
أبو ذر : أهلا وسهلا بك .
ثعلبة : لقد بلغني أنك تحب الصدقة ، فأحببت ان ينالني شيء من برك .
أبو ذر : « وقد ظهرت عليه علامات الدهشة والاستغراب » انت شاب مسكين ؟
ثعلبة : اي والله يا أبا ذر .
أبو ذر : ويحك يا ثعلبة !! ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، أنما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم : « لا

يسألون الناس إلحافا » وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول : « **مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم** »
ثعلبة : أتريد أن تردني بغير صدقة يا أبا ذر ؟
أبو ذر : كلا ، وإنما أردت نصيحتك . فأنت شاب جلد تستطيع ان تعمل فتكسب من عملك .
ثعلبة : وأي عمل أستطيع أن أعمله ؟
أبو ذر : أي عمل ، ولو ان تحتطب، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .
ثعلبة : يا صاحب رسول الله ، تركت زوجتي مريضة في المنزل ، وما عندنا شيء وتوصيني أنت بالاحتطاب في الجبل ؟!
أبو ذر : « يغيب داخل المنزل لحظة ، ثم يعود حاملا كيسين » ، ما عندي غير هذا الصاع من التمر وهذا الصاع من الشعير فخذهما ياثعلبة ، ولو كان عندي أكثر لأعطيتك .
ثعلبة : جزاك الله خيرا يا أبا ذر .

« في بيت ثعلبة »

ثعلبة : « يضع الصاعين أمام زوجته » خذي .
زوجته : من أعطاك هذا ؟
ثعلبة : أبو ذر الغفاري .
زوجته : والى متى ياثعلبة تسأل الناس ؟ ألا ترى لك عملا خيرا من ذلك ؟
ثعلبة : « في غضب » اسكتي يا امرأة . لو كان أبوك غنيا لأغناني عن ذلك .

ـ ٣ ـ

« في بيت أبي ذر »

أبو ذر : كيف حال زوجتك ؟
ثعلبة : بخير .
أبو ذر : « وقد أعد أدوات الاحتطاب » هيا بنا الى الجبل لكي نحتطب .
ثعلبة : أنا لا ينفعني الاحتطاب ، فأنا اشتهي أن يكون عندي مال كثير وأتصدق به على الفقراء والمساكين .
أبو ذر : قد جعل الله لك مخرجا يا ثعلبة .
ثعلبة : وكيف ؟
أبو ذر : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وتميط الأذى عن

الطريق صدقة ، وتأمر بالمعروف صدقة ، وتمسك عن الشر صدقة ، هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثعلبة : ولكني يا أبا ذر أريد ان اتصدق بالمال .
أبو ذر : إني أرى بك حرصا على المال .
ثعلبة : لشدة حرصي على الصدقة .
أبو ذر : اصبر حتى ييسر الله لك رزقا .
ثعلبة : ماذا ترى لو ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يدعو لي بالغنى ؟
أبو ذر : إن شئت أن تسأل رسول الله فاسأله أن يدعو لك بما هو خير من المال .
ثعلبة : لا شيء يعوزني غير المال يا أباذر . أستطيع أن أصلي كما أشاء وأن أصوم كما أشاء ، وأن اسبح كما أشاء ولكني لا أستطيع أن أتصدق بالمال .

- ٤ -

« قريبا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم »

أبو ذر : ماذا أصابك يا ثعلبة ؟ ما عدت أراك تصلي في المسجد كدأبك .
ثعلبة : معذرة يا أباذر .. فقد تركت بيتي الصغير بالمدينة ، واتخذت لي منزلا أوسع في الضاحية .
أبو ذر : ويلك ، هلا اتخذت المنزل الاوسع في ذات المدينة لتكون قريبا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثعلبة : لا يمكنني ذلك يا أباذر ، فقد كثرت غنمي فأشفقت ان تضيق بها أزقة المدينة ويتضرر منها الناس ، ولكني أشهد الجمعة وأحرص عليها كما ترى .
أبو ذر : غدا تضيق بغنمك مراعي المدينة فتقيم أبعد من الضاحية ولا تشهد حتى صلاة الجمعة .
ثعلبة : أبدا لن تفوتني صلاة الجمعة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعني انصرف الان فإن أعمالي كثيرة .

- ٥ -

« في بيت ثعلبة ، ويظهر على البيت علامات الغنى والثروة ، ثعلبة يستقبل عامل الصدقة »
العامل : يا ثعلبة بن حاطب . إني عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقات ، وقد جئت لأخذ زكاة مالك .
ثعلبة : « متأففا » انطلقوا أولا الى الناس الذين ورائي ثم مروا بي .

العامل : قد فعلنا ياثعلبة ولم يبق وراءك أحد .
ثعلبة : ما أدري والله كيف تفرض هذه على المسلمين ؟ ما هذه إلا أخت الجزية !!
العامل : قبحك الله !! . ماذا قلت ؟ والله لأُبلغنها الى النبي صلى الله عليه وسلم . « يخرج العامل ، وتدخل زوجته »
زوجته : ويحك يا ثعلبة !! ماذا فعلت ؟
ثعلبة : اكنت تسمعين حديثنا ؟
زوجته : ويل لك اليوم من وقوف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انك لا تعطي رسول الله شيئا من عندك ، هذا حق الله في مالك ، هيا بنا نذهب الى أبي ذر حتى نجعله يشفع لك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ ٦ ـ

« في منزل أبى ذر ، وقد حضر ثعلبة وزوجته »

زوجة ثعلبة : حنانك يا أبا ذر اشفع لزوجي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
أبو ذر : أشفع له بعد ما نزلت الآية : **﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ● فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾**التوبة/ ٧٥، ٧٦ .
زوجة ثعلبة : ناشده يا أباذر أن يقبل صدقته .
ثعلبة : أجل يا أبا ذر ، ناشده أن يقبل صدقتي .
أبو ذر : قد رفضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن يقبلها أبدا لشفاعة أحد .
زوجة ثعلبة : انه تائب يا أباذر والله يقبل التوبة من عباده .
ثعلبة : أجل يا أبا ذر إني تائب نادم .
أبو ذر : أين أنت من قوله جل شأنه **﴿ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾**التوبة/ ٧٧ .
ثعلبة : والله ما أنا بمنافق ولا كاذب .
أبو ذر : قاتلك الله ، أنكذب قول الله ونصدق قولك ؟
لقد شهد الله عليك بذلك من فوق سبع سماوات .
ثعلبة : هيـ ... هيـ ... أنا خير منك يا أبا ذر ، قد ذكرني الله عز وجل من فوق سبع سماوات .
أبو ذر : « في أسف وخشوع يتمتم »
لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا حول ولا قوة الا بالله .
﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

نحو اقتصاد إسلامي..

لماذا رفض الإسلام..

ونحن نجري وراء النظم الاقتصادية المعمول بها في الشرق والغرب نسي كثيرون من القائمين على شئون الاقتصاد في كثير من بلدان العالم الاسلامي أن الاسلام ـ بنظامه المتكامل ـ كفيل بحل المعضلات الاقتصادية ، بما يمثل أفضل الحلول عن طريق أفضل الوسائل للتنمية .

والسمة الأولى للاقتصاد الاسلامي ، هي رفضه المطلق للمعاملات الربوية ، ولذلك أردنا أن نبين ـ بتوفيق الله ـ للقاريء الكريم ، أثر الربا على المنتج والمستهلك والعامل .. ولماذا رفضه الاسلام ؟

حتى تتجلى الحكمة أمام الأبصار فتعيها البصائر ، واضعين نصب أعيننا أن المصلحة العليا لأمتنا المسلمة ، تتحقق من غير ريب في اتباع الطريق الأقوم ، بالامتثال لأوامر الله ، ونواهيه ، إيمانا واحتسابا ، وقد قال تعالى في شأن الربا : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم** »(البقرة/ ٢٧٥ ، ٢٧٦) هذا نص قطعي الدلالة ، ولا اجتهاد مع النص .

المعاملات المصرفية

باديء ذي بدء ، وحتى نكون على

النظام الربوي

للاستاذ/رشدي محمد إبراهيم

بينة من أمر هذه المعاملات .. قبل الحديث عن أثر الربا وحكمة رفض النظام الربوي في الاسلام .. نضع بين يدي القاريء الكريم ، ما قرره المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية بشأن المعاملات المصرفية .. وهو :

١ ـ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لا فرق بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي ، وما يسمى بالقرض الانتاجي .

٢ ـ كثير الربا وقليله حرام .

٣ ـ الاقراض بالربا محرم ، لا تبيحه حاجة ولا ضرورة .. والاقتراض بالربا محرم كذلك ، ولا يرتفع اثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة .. وكل امريء متروك لدينه في تقدير ضرورته .

٤ ـ أعمال البنوك من الحسابات الجارية ، وصرف الشيكات ، وخطابات الاعتماد ، والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل ، كل هذه من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

٥ ـ الحسابات ذات الأجل ، وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الاقراض نظير فائدة ، كلها من المعاملات الربوية ، وهي محرمة .

هذه أهم قرارات مجمع البحوث الاسلامية .. وهو جهة الاختصاص في هذا الشأن بما يضمه من علماء وفقهاء .

أثر الربا على المنتج .. والمستهلك .

يقرر الاقتصاديون أن تكاليف الانتاج لأية سلعة ترتبط بعدة عناصر في مقدمتها التمويل .. ويقول الدكتور حسن العناني في بحث له عن « علة تحريم الربا وصلتها بوظيفة النقود » : « إذا افترضنا وجود مشروعين متساويين ثبتنا فيهما كل عوامل الانتاج ، فيما عدا التمويل ، حيث كان تمويل أحدهما بنقود خالية من الربا ، وتمويل الآخر بنقود مقترضة بفائدة ، كان حجم التمويل بداهة في المشروع الأول مقتصرا على النقود ، وكان حجم التمويل في المشروع الثاني النقود مضافا إليها سعر الفائدة ، وهذه الاضافة في حجم التمويل تؤدي بداهة إلى عدة أمور :

١ ـ لما كان سعر الفائدة دينا إضافيا للمقترض ، كان من الحتمي تجنيب الفوائد الربوية أولا بأول ، وبصفة دورية لحساب المقرض الدائن .. وهذا يؤدي إلى حرمان المشروع منها . بينما المشروع الأول الخالي من الربا ، يضيف هذا الجانب إلى أرباحه الحقيقية ، ويفيد منها في تنمية المشروع وتطويره .

٢ ـ عند خصم سعر الفائدة الدائنة للمشروع من الأرباح فإن ذلك سيؤدي حتما إلى انكماش الأرباح ، وبالتالي حرمان المنتج منها بحجم الفائدة الربوية الدائبة ، بينما يضاف **هذا القدر لصالح أرباح الشركاء في المشروع الأول .**

٣ ـ أن يكون إنتاج السلعة بتكلفة أعلى من تكلفتها الحقيقية في المشروع الأول .

٤ ـ في النهاية تتبلور هذه المضرات إلى قاع المجتمع لأن ارتفاع التكلفة في إنتاج السلعة سيشق طريقه إلى المستهلك بالضرورة حيث تصل إليه السلعة بسعر أعلى من مثيلتها في المشروع الأول .. » .

فالمجتمع إذن هو الذي يدفع الفائدة الربوية من خلال ارتفاع أسعار السلع المنتجة بقروض ربوية .. هذا إذا ظلت دورة الرخاء ، والاقبال على السلعة ، أما إذا تقلصت ، وقل الطلب بسبب هذا الارتفاع في الثمن ، فإن ذلك يؤدي ـ مع استمرار تقلص الاستهلاك ـ إلى وجود فائض من المنتجات بغير تصريف .

أثر الربا على العامل .

وفي دراسات مجمع البحوث الاسلامية ما مؤداه « أن المنتج إذا أراد .. تخفيض تكاليف الانتاج التي ارتفعت بسبب الفوائد حتى قل الاقبال عليها ، فإنه لا يجد إلا أجور العمال فيخفضها ، أو يستغني عن بعضهم ، مما يؤدي إلى نقص القوة الشرائية ، أو خلق البطالة .. ومن ثم يزداد تقلص الاستهلاك ، ويزداد فائض المنتجات .. هذا الفائض هو الذي دفع الدول الانتاجية الكبرى إلى أن تبحث عن أسواق لها في الخارج من خلال المعاهدات أو السيطرة

والنفـوذ ، لتصريف هـذا الفائض لديها .. فإذا اخفقت هذه الدول في تخفيض أجور العمال لخفض التكلفة لجأت إلى تخفيض أثمان المواد الأولية التي تستوردها من الدول المتخلفة صناعيا .. ومن هنا تتكتل الـدول الصنـاعية في تكتـلات احتكـاريـة لتخفيض أثمان المواد الأولية .. »

لا جـدال إذن في أن البـديـل الاسلامي فيه رحمة للعالمين .. وقد يقول قائل : « إنني أملك مالا وأريد استثماره ، وليست لدي الخبـرة ، فالبنك هو خير وسيلة لاستثمارها .. » ونقول له : « نعم . ولكن بشرط أن يسلـك البنـك بمـالـك الطـريق الاسلامي .. وفي شركة المضاربة التي أقرها الاسلام ، وعرفت في الفقـه الاسلامي « بالقراض » .. البديـل الاسـلامي .. وفي ظهـور البنـوك الاسلامية ، وممارستها للمعـاملات المصرفية بالاسلوب الاسـلامي ما يعطي بارقة الأمل ..

لماذا رفض الاسلام ... الربا ..؟

بعد الذي ذكرناه عن أثر الربا على المنتج والمستهلك والعامل .. وما قد يجره على الشعوب .. تكاد تتضح في الذهن الاجابة عن سؤالنا : لمـاذا رفض الاسلام النظام الربوي ..؟ أو ما حكمة تحريم الربا في الاسلام ..؟ بيد أننا نضيف إلى ذلك ما نستكنه به سر هذه الحكمة أو بعضه .. فمعاذ الله أن تسبر عقولنا البشرية أغوار وأسرار الحكمة الالهية في التحريم والتحليل .. ولكنها مجرد شارات على الطريق وومضات نلمس بها الحق والخير والهداية ..

وفي إطار الفهم الاسلامي القائم على أن ما في الأرض من ثروات هو ملك لله جل وعلا .. وقد سخره الله للبشر واستخلفهم فيـه وشرط عليهم أن يلتزموا في تنمية الأموال الوسائل التي لا ينشـأ عنهـا أذى واستخفـاف بالآخرين ولا يترتب عليها تعطيل ، أو تعويق لجريان الأرزاق بين العباد ، ودوران المال في الأيدي على أوسع نطاق .. وفي هذا المسلك تتحقق نظافة اليد والغاية ، والمنبثقة من طهارة النية والعمل ، القائمة على دفع الضرر والأذى عن الفرد في ذاته والجماعة في كيانها .. وهذا ما لا يتحقق في ظل النظام الربوي ، لأن المرابي لا يبالي جلب الأذى والضر لغيره .. إذ المهم عنده .. هو أن يضيف إلى خزانته وأرصدته كل ما تصل إليه يـداه ويحقق به مبتغاه .

وبالاضافة إلى ذلك .، فـالنظام الـربوي معيب حتى من الـوجهة الاقتصادية البحتة .. وقد قال دكتور « شاخت » مدير بنك الرايخ الألماني سابقا : « إنه بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جدا من المرابين ، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائما في كل عملية ، بينما المدين معرض للربح والخسارة ، ومن ثم فإن المال كله في النهاية لابد - بالحساب الرياضي - أن يصير إلى الذي يربح دائما »

حقائق أساسية

وهناك حقائق أساسية يجب أن ندركها حول رفض الاسلام للنظام الربوي أهمها :

١ ـ لا يجتمع النظام الاسلامي بحقائقه القائمة على العدل والرحمة والايثار ، بالنظام الربوي القائم على الظلم والقسـوة والأثرة .. شتـان بينهما .

٢ ـ النظام الربـوي بلاء عـلى الانسانية ، ليس في أخلاقها فحسب ولكن في حياتها الاقتصادية والعملية أيضا .. كما أسلفنا .

٣ ـ لا يعرف الاسلام الانفصال بين الخلق والعمل بمعنى أن الاقتصاد الاسلامي لا يقوم بغير أخلاق ، وأن الأخلاق ليست نافلة من القول ، يمكن الاستغناء عنها ، ثم تنجـح حياة الناس العملية بعد ذلك .

٤ ـ التعامل الربوي يفسد ضمير الفرد وخلقه وشعوره تجاه أخيه في الجماعة .. ويفسد حياة الجمـاعة وتضامنها بما يبثه من شره وأثرة .. وهو الدافع لتوجيه رأس المال ـ بغية الكسب ـ إلى أحط وجوه الاستثمار ، حتى يؤدي الفائدة الربوية .. ولو على حساب الفضائل عن طريق إثـارة الغـرائـز والشهـوات ، وتحطيـم الأخلاق .

٥ ـ لا شك أن الاسلام متكامل في نظامه بحيث إنه عندما حرم الربا جعل نظام الحياة السوية في غناء عنه دائما .

٦ ـ من المهم أن نعتقد كمسلمين : أن هناك استحالة اعتقادية في أن يحرم الله أمرا لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه ..
أو أن يكون هناك أمر خبيث ويكون حتميا لقيام الحياة وتقدمها .

٧ ـ ونقول للذين يزعمون أن قيام الاقتصاد على نظم غير ربوية أمر مستحيل نقول لهم : هذه ليست إلا خرافة ، وأكذوبة ضخمة روج لها المستفيدون من النظام الـربوي .. لأنهم في ظلـه يحققـون أطمـاعهم وأحلامهم الخبيثة .

وهكذا منطلقا من حقائق الاسلام المشرقة بنور الحق ، يرفض الاسلام والمسلمون ـ امتثالا لامره ـ النظام الربوي لحل أزمتهم الاقتصادية .. ويطلبون البديل .. ولعل إنشاء بعض البنوك التي تعمل بالربا لفروع لها تحمل اسم الاسلام ولا تعمل بالربا .. هو اعتراف منها يدحض كل حجة باطلة ليقرر أن الاسلام يمكنه أن يسير حركة البنوك على نظامه ، ويزيل عنها خبث الربا وهو إحساس من إدارات هذه البنوك بأن الجماهير المسلمة .. في ظمأ شديد وتطلع أكيد إلى غد جديد يسطـع في سمـائـه نجم البـديـل الاسلامي في المعاملات المصرفية .



دور المرأة العربية

في معركة إعادة بناء الإنسان العربي

للأستاذه / سامية عبد اللطيف الشرقاوي

لايستطيع الا حاقد او جاحد ان ينكر فضل المرأة العربية والمرأة المسلمة عبر التاريخ الطويل . واذا كانت بعض البلدان العربية قد سمحت ، مؤخرا ، للمرأة بخوض غمار معركة الحياة جنبا الى جنب بجوار الرجل ، الا أن ذلك لا يعني أنه لم يكن لها دور فعال منذ بداية التاريخ البشري .

ولعل دورها في مجال البيت وتربية الاطفال وانجابهم لا يقل قدرا ولا شرفا عن دورها خارج المنزل . والحقيقة التي لايستطيع أحد أن ينكرها ان المرأة الصالحة هي صانعة الاجيال الصالحة . ولقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة أن المرأة السليمة صحيا وعقليا ونفسيا ودينيا وخلقيا هي التي تنجب الاطفال الاصحاء .

وللمرأة دورها المشهود في كافة

معارك الامة العربية مع الزمن وعبر تاريخها الطويل . ولذلك فهي تضرب بسهمها الوافر في معركة اعادة بناء الانسان المسلم على الارض العربية ، ولكنها مازالت تحتاج الى مزيد من الاعداد والتأهيل والتوعية والتعبئة ليزداد اسهامها في هذه المعركة الهامة . وأعني بها اعادة بناء الانسان العربي .

ان العالم يتغير من حولنا ، ويسير في معركة تغيره بخطوات سريعة وواسعة . ونحن ايضا ابناء الامة العربية والاسلامية نعيش لحظات التغيير والتطوير .. تطوير شكل الحياة والانتقال بها بسرعة وكفاءة الى الافضل .. الى مزيد من العلم والايمان والتقدم والنماء والرخاء والتطور ، حتى تجد أمتنا العربية الناهضة مكانها تحت الشمس ، وتثبت للعالم أجمع قدرتها على النمو والحركة والتطور ، وتظهر قوتها في العالم وفي مجالات الخير والسلام . ولتثبت ، للعالم أجمع ، أننا ابناء أمة كانت ومازالت خير أمة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو للسلام وتنهي عن الفساد والطغيان والضلال والانحراف .

واذا كان المنظر الاجتماعي يتغير من حول الانسان بصورة سريعة متلاحقة ، فان ذلك يتطلب ، بالضرورة ، اعادة بناء هذا الانسان ، وصقل شخصيته وتنمية مواهبه وقدراته واستعداداته وتطوير فكره وذهنه وتحريره من رواسب الماضي وشوائب الحضارة الغربية الغازية ، وترسيخ قيم الاسلام في نفسه ووجدانه ، وتربيته على السمات والخلال الاسلامية الحميدة في الشجاعة والبسالة والاقدام والمروءة والشهامة والجدية وتحمل المسئولية والالتزام والانضباط والصدق والامانة والوفاء والاخلاص ، والتفاني في العمل واتقانه واجادته عملا بقوله تعالى : **انا لانضيع أجر من أحسن عملا** » . الكهف / ٣٠ مع ضرورة تربيته على ان يحترم صغيرنا كبيرنا وان يعطف كبيرنا على صغيرنا ، وان نصل الأرحام ، ونكرم الجار ، ونصدق القول والفعل ، ونضحي بالنفس والنفيس في سبيل الحفاظ على الوطن والزود عن حرماته والالتفاف حول القادة والمصلحين ، والسعي الجاد والموصول لتحصيل اكبر قدر ممكن من العلم ومن ثقافة العصر ، مع تأصيل قيمنا الاسلامية الغراء . اننا نعيش عصرا لامكان فيه بيننا لمتراخ او متكاسل او اناني او نفعى أو انتهازي او وصولي . لابد لنا من أن نلفظ أهل النفاق والرياء وصناع الوشاية والدس والوقيعة والمداهنة ، ولابد أن نزكي روح التضحية والإيثار والرجولة والإقدام والشجاعة الادبية ، وكلها ليست غريبة علينا ، فهي ولاشك نابعة من تراثنا الاسلامي ومن تاريخنا العربي المجيد .

ولذلك فان معركة اعادة بناء الانسان العصري على الارض العربية لا تعدو ان تكون إحياء للقيم والمبادىء والمثل الاسلامية الاصيلة وترسيخها

وتأصيلها وتعميقها في نفسه بحيث يؤمن بها قولا وفعلا .

واذا كانت اعادة بناء الانسان العربي ضرورة حتمية ، فانك ، أختي المسلمة ، لابد أن تتساءلي : ماهو الدور الذي أستطيع أن أقوم به في هذه المعركة الحاسمة ؟

لاشك أن المرأة مدعوة ، الى أن تحسن تربية أبنائها منذ الصغر ، وأن تكرس حياتها في سبيل اعدادهم وتنشئتهم تنشئة صالحة ، وأن تعني بهم جسميا وروحيا وخلقيا ودينيا واجتماعيا وعلميا ومهنيا ، بحيث يتكون جيل صالح ، كفء وقادر على دفع عجلة الانتاج وزيادة الدخل القومي ، وبحيث يتحلى بالضمير الحي الوخاز ، والاحساس المرهف ، والوطنية الصادقة ، وبحيث تجري في عروقه الدماء الاسلامية والعربية النقية والخالصة . ولاشك ان الأم قادرة على الوفاء بمثل هذه الرسالة الخطيرة ، فهي اول من يستقبل الطفل ، وفي حجرها يتربى وعلى صدرها يترعرع ، ومن نبع حنانها يرتوي ويشرب ويمتص منها الخلق القويم والعادات الطيبة والخصال الحميدة والفضائل الدينية ، وعن طريقها ، يتربى على حب التعاون والاخذ والعطاء والإيثار والتضحية ، وحب الوطن والعمل على رفع شأنه واعلاء كلمته ورفع هامته عالية شامخة . ولاشك في ان قوة المجتمع وسلامته تكمن في قوة أفراده وسلامتهم . والمؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ـ

والمرأة المعاصرة مطالبة بأن تساعد زوجها ، في هذه المرحلة الحاسمة ، حيث تتطلع الينا الأطماع ويتربص بنا الأعداء الدوائر . وعليها أن تقف بجوار زوجها ليتمكن هو مع صفاء ذهنه من العطاء والبذل والتضحية والابداع في عمله وفي انتاجه ، وعليها أن تهييء له من سبل المعيشة الهانئة الرغدة والمستقرة مايمكنه من الانطلاق ، بكل طاقاته ، الى العمل الجاد والمتواصل والبناء والتشييد والتعمير . فهي مطالبة أن تكون أماً صالحة وزوجة صالحة ومواطنة صالحة ، وأن تكون قدوة حسنة ومثالا طيبا يقتدي بها ، لان تأثيرها على الطفل لايعرف الحدود ، فالطفل في يدها عجينة سهلة لينة في استطاعتها أن تحسن تشكيلة وتكوينة . والأم ـ بحق ـ مدرسة ـ بل هي جامعة تعد الشباب والاجيال وتسهم بعطائها في رخاء الأمة واعداد العناصر البشرية الصالحة فيها . والعنصر البشري هو أغلى مافي الوجود ، وهو ثروة تفوق جميع الثروات ، وهو القوة القادرة على الابداع والانتاج والتطوير والنماء ، وللمرأة دور كبير في إسعاده أو شقائه .



مجلس الأمة الكويتي

اختتم مجلس الامة دور الانعقاد العادي الرابع من الفصل التشريعي الخامس .
وقد صادفت الجلسة الختامية اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٠٤ هـ وفي الجلسة القى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ / سعد العبدالله السالم الصباح كلمة قال فيها :

○ ان سياسة الكويت الخارجية تحكمها مجموعة من المبادىء لا تحيد عنها او تتهاون في تطبيقها مهما بلغ حجم الضغوط والصعوبات .

○ وقال سموه :
ان موقف الكويت كان .. ومنذ بدأت الحرب العراقية الايرانية - هو موقف الاصرار على ضرورة انهاء الحرب بين الجارتين المتحاربتين لحقن الدماء .

○ وعن الاعتداء الايراني على ناقلات النفط الكويتية والسعودية قال سموه :
ان الكويت تحركت في مواجهة هذا العدوان كعادتها في اطار



الشرعية ، ومن خلال القانون واحكامه ، ولكنها مصممة كذلك على الدفاع عن سيادتها وارضها ومصالحها في مواجهة اي عدوان .

والى قراء مجلة الوعي الاسلامي ننشر نص كلمة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح . حيث قال :

الأخوة رئيس وأعضاء مجلس الأمة الموقر :

يسعدني في مناسبة انتهاء دور الانعقاد الرابع من الفصل التشريعي الخامس أن أتوجه إليكم جميعا باسمي واسم إخواني أعضاء مجلس الوزراء بخالص التحية والتقدير للجهد المتواصل الذي تابع به المجلس الموقر نشاطه الكبير ، متعاونا مع الحكومة في حمل تبعات المسؤولية الوطنية في مجالاتها المتعددة .

الجبهة الداخلية

لقد كان على المجلس كما كان على الحكومة .. بل كان على الكويت كلها أن تكون إحدى عينيها على الجبهة الداخلية بكل ما تحتاج إليه من الحرص المطلق على توفير المزيد من الأمن والأمان والاستقرار لأبناء الكويت ولكل

المقيمين على أرضها الطيبة ، وللحفاظ على كيانها الاقتصادي قويا ومستقرا وقادرا على استيعاب ما تفرضه عليه الظروف من صعاب وعقبات .. وأن تكون عينها الأخرى على الجبهة الخارجية حيث تتصاعد من حولنا الصراعات المسلحة التي تهدد أمننا واستقرارنا ومصالحنا كما تهدد أمن واستقرار ومصالح الملايين من أبناء أمتنا العربية والاسلامية .

السيادة والاستقلال

إيها الأخوة أعضاء المجلس الموقر : تعلمون جميعا أن سياسة الكويت الخارجية تحكمها مجموعة من المباديء لا تحيد عنها أو نتهاون في تطبيقها مهما بلغ حجم الضغوط والصعوبات .. وعلى رأس تلك المبادىء المحافظة المطلقة على سيادة الكويت واستقلال إرادتها ..
مع الاحترام الكامل لسيادة الآخرين والامتناع عن التدخل في شؤونهم الداخلية .. والمسارعة إلى إصلاح ذات البين بين الأشقاء والأصدقاء أداء لحقوق الأخوة والرابطة القومية والاسلامية . ومنذ بدأت الحرب ـ العراقية الايرانية ـ والكويت تعلن موقفها الثابت من هذه الحرب .. وهو موقف الإصرار على ضرورة إنهائها في أقرب وقت والعمل بكل سبيل على تحقيق تسوية سلمية بين الجارتين المتحاربتين تحقن الدماء وتصون السلام وتحول دون صرف أمتنا العربية والاسلامية عن مواجهة خصومها الحقيقيين .. ولقد استجاب العراق لنداءات الكويت وسائر الدول التي لم تنقطع جهودها لانهاء تلك الحرب الخطيرة .. ولم تتردد الكويت في أن تمضي في جهدها هذا إلى أبعد الحدود .. فقام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية يصاحبه وزير خارجية دولة الامارات بزيارة إلى بغداد وطهران .. ورغم ذلك كله لم تتجاوب إيران مع هذه الجهود الخيرة التي من شأنها توفير الأمن والاستقرار لمنطقتنا وأمتنا الاسلامية .

التصعيد الأخير

ولقد فوجئنا أن التصعيد الأخير للصراع بين الجارتين قد دفع إيران إلى أن تعتدي على ناقلات كويتية وسعودية متجاهلة ما أبدته الكويت وسائر دول مجلس التعاون الشقيقة ولا تزال تبديه من حرص على صيانة روابط الجوار ومتجاهلة كذلك الآثار البعيدة التي يمكن أن يتركها هذا الاعتداء على مستقبل العلاقات في المنطقة كلها .. بل على مستقبل المنطقة وقدرة شعوبها على حل مشاكلهم دون تدخل من قوى خارجية كبرى .

الدفاع عن السيادة

ولقد تحركت الكويت كعادتها في إطار الشرعية وفي ظلال القانون وأحكامه .. فرفعت الأمر إلى مجلس التعاون لدول الخليج العربية .. وعرضته على مجلس جامعة الدول العربية كما تقدمت بشكواها إلى مجلس الأمن الدولي .. معلنة ـ بعد ذلك كله أنها لا تزال حريصة على حسن الجوار وعلى صلاح ذات البين .. ولكنها مصممة كذلك على الدفاع عن سيادتها وأرضها ومصالحها في مواجهة أي عدوان .

وقفة مسؤولة

وفي هذا المقام لا يسع الحكومة إلا أن تذكر لمجلسكم الموقر وقفته المسؤولة والمتفهمة لجوانب الموقف المعقد الذي سببته تلك الاعتداءات .. ومساندته للحكومة في موقفها المبدئي وفي تحركها العربي والدولي لمساندة هذا الموقف .

قانون الأحوال الشخصية

الاخوة أعضاء المجلس الموقر ..

لسنا اليوم في مقام استعراض تفاصيل الانجاز الذي حققه مجلسكم الموقر .. في مجال التشريع أو غيره من مجالات اختصاص المجلس ولكن من العلامات البارزة في هذه الدورة أن المجلس خلالها أقر العديد من التشريعات الهامة ومن بينها تشريع يعتبر من أهم التشريعات ، وهو قانون الأحوال الشخصية الذي يضبط نظام الأسرة ويكفل لها الحماية والاستقرار ويرعى مصالح أفرادها في إطار مستمد من عدل الشريعة الاسلامية وحكمتها وسماحتها .

سوق الأوراق المالية

كذلك تابع مجلسكم الموقر مع الحكومة تعقب الآثار الباقية لأزمة سوق الأوراق المالية .. فأقر مشروع القانون الخاص بالتصرف في أسهم الشركات المساهمة والأوراق المالية وتداولها كما تابع مع الحكومة مسار تنفيذ التشريعات التي تعالج معاملات أسهم الشركات التي تمت بالأجل .

الأمن والاستقرار

الأخوة أعضاء المجلس الموقر



إن كثيرا من السحب التي تخيم على سماء المنطقة لم تنقشع بعد .. وأن أمامنا جميعا عملا كثيرا ومسؤوليات نحن ـ باذن الله ـ أهل لحملها ..
حتى تظل الكويت دائما كما عرفناها وعرفها الجميع بلد أمن واستقرار .. وواحة تقدم ورخاء .. وصاحبة رأي حر وموقف مبدئي لا يميل ..
وختاما أحييكم مرة أخرى واحيي جميع العاملين بالمجلس مقدرا ما بذلوه ويبذلونه من جهد كبير سائلا الله تعالى أن يجمعنا على جهد جديد موصول حفاظا على الكويت وخدمة لشعبها بتوجيه ورعاية صاحب السمو الأمير حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا وقد استعرض رئيس مجلس الامة السيد / محمد يوسف العدساني في كلمته الاوضاع العربية والاسلامية وتطوراتها الراهنة ..

وكان مما قال :

○ ان اوطاننا اصبحت بصفة عامة وطنا نبكي فيه او وطنا نبكي عليه .

ثم تساءل :

○ فمتى تعود هذه الأمة الى ربها وتوحد كلمتها ؟



وفيما يلي نص كلمة رئيس مجلس الامة السيد / محمد يوسف العدساني حيث قال :
سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، حضرات الاخوة الزملاء المحترمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

ففي هذا اليوم الختامي لدور الانعقاد العادي الرابع من الفصل التشريعي الخامس لمجلسكم الموقر لا يستطيع الواحد منا إلا أن يقف وقفة المتأمل في تلك الجراح النازفة التي تلف جسد الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه .

ففي المغرب جرح الصحراء وفي السودان جرح الجنوب وفي القلب جراح لبنان وفلسطين وفي المشرق جراح الحرب العراقية الايرانية ، وفي الخليج يجري شق جراحات جديدة توشك أن تسيل دما وحقدا ، بعض هذه الجراح من صنع أيدينا وبعضها من صنع الأعداء ولكنها جميعا تتغذى مما إبتلينا به من العنجهية الفارغة والأحقاد الجاهلية والنزوع إلى السيطرة وتفضيل العاجلة على الآجلة ، وكأن التاريخ قد أغلق كتابه فلا خجل ولا حياء وكأن الآخرة ليست آتية ، فلا حساب ولا عقاب ، وإذا قلبنا البصر في أرجاء العالم الاسلامي وجدنا الجوع يجتاح أمة « التعاون على البر والتقوى » والجهل يعشعش في أمة« **إقرأ باسم ربك الذي خلق** » والضعف يخيم على أمة « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » حتى أمن المسيء ، وطمع الطامع ، وأهدرت دماء المسلمين في أفغانستان وغيرها بلا رقيب ولا حسيب .

توحيد الكلمة

لقد أصبحت أوطاننا بصفة عامة وطنا نبكي فيه ، أو وطنا نبكي عليه ، فمتى تعود هذه الأمة إلى ربها وتوحد كلماتها ويعم خيرها كل أبنائها ويحكم كتاب الله في كل أمورها وخلافاتها حتى تصبح كالبنيان المرصوص فيرتدع الطامع ويؤدب المعتدي وتستأنف مسيرة العزة والكرامة من غير شطط ولا غلو .

ومتى يدرك مفكرو هذه الأمة وقادتها أن تغالب المغلوبين حماقة مضحكة وأن منطق الفرقة والتجزئة أخرس ولو أنطقوه بألف حجة ولسان ، وأن المنهج الذي تنكر لله ولكتابه ولرسوله منهج نتن ولو نثروا عليه كل عطور المشرق والمغرب .

إرادة الله

ولكن إرادة الله عز وجل التي خلقت الليل الحالك خلقت فيه النجوم التي يهتدي بها الناس في الظلمات ومن هذه النجوم بلدنا الحبيب الكويت . هذا البلد الذي آمن فيه أهله وضيوفه فلا عدوان إلا على الظالمين ، وأدرك واجبه تجاه الأشقاء فلم يبخل بعون مادي ولا معنوي ، وحمل في قلبه هموم هذه الأمة فله في كل ميدان وجود لا يجحده حتى المكابر الموتور ، هذا البلد الذي لم ينسه التمسك بالمثل العليا أن يتعامل مع الممكن ، ولم يصرفه طول الطريق عن السير فيه ولو خطوات ، هذا البلد الذي لم يبخل بشيء وهو يسعى للسلم ولن يبخل بشيء صيانة لعقيدته وكرامته ووطنه . أن هذا البلد الذي ننتمي إليه ونفخر به إنما وصل إلى ما وصل إليه ، وملك من الطموح ما يجعله دائما يرفض الواقع ويتوثب نحو المستقبل لأنه آمن بأن الله ربا ومولى ، وأن الانسان أكرم خلق خلقه الله وأن تاريخ أمته العريق مليء بالمشاعل والهداة الذين ينيرون له الطريق وأن الوحدة والالتفاف حول القيادة خير ضمان للمسيرة .

توثب دائم

من هذا الايمان والفهم ولد هذا المجلس الموقر وولد دستوره وولد توثبه الدائم لصياغة الحياة على النحو الذي يرضي الله عز وجل ومن هذا الايمان والفهم كان هذا التناسق المتميز بين السلطتين التشريعية والتنفيذية . ومن هذا الايمان والفهم كانت حرية الصحافة وتفاعل الكويتيين مع مجلسهم

وحكومتهم . ون هذا الايمان والفهم كان ذلك الجهد العظيم والمشكور الذي بذلتموه خلال دور الانعقاد الذي نختتمه اليوم . ومن باب نسبة الفضل لأهله نذكر في هذه المناسبة حرص المجلس على عقد جلسات أسبوعية ثنائية منذ مستهل هذه الدورة بلغ مجموعها ٥٥ جلسة مضاعفا بذلك الجهد عما هو مطلوب أصلا حتى ليكاد يحقق ذلك رقما قياسيا كما عقدت لجانه المختصة ١٦٢ اجتماعا نظرت فيها ٢٩٦ موضوعا أتمت دراستها وأعدت فيها ٢٧٨ تقريرا بالاضافة إلى العديد من التوصيات التي بلغت جملتها ٧٥ توصية والتي عرضت على المجلس مع التقارير المشفوعة بها لاتخاذ قرار فيها .

استعراض وجيز

وإن استعراضا وجيزا لنشاط المجلس في شتى المجالات في الدورة الراهنة تسجيلا للحقيقة ليتضح منه أن الجواب على الخطاب الأميري الذي افتتحت به هذه الدورة قد حظيت دراسته ومناقشته وإبداء الملاحظات والأماني بصدده بتمعن دقيق واستأثر بعناية بالغة في كل من اللجنة المختصة والمجلس وكذلك الحال بالنسبة إلى الرد على برنامج الحكومة الذي تم البت فيه .

٦٢ قانونا

وقد بلغ مجموع ما ناقشه المجلس وأقره من تشريعات في الدورة التي نختتمها اليوم ٦٢ قانونا ، منها ما تميز بأهمية خاصة كقانون الأحوال الشخصية ، وتعديل قانون انتخابات مجلس الأمة على نحو يوجب نشر أسماء الناخبين في الجريدة الرسمية ، وبلغ عدد مشروعات القوانين الواردة من الحكومة ٧٤ مشروعا ، أقر المجلس منها ٥٥ مشروعا شاملة لقانون الميزانية العامة للدولة والقوانين الخاصة بالمزانيات الملحقة والمستقلة والحسابات الختامية ، بينما بلغ عدد الاقتراحات بمشروعات القوانين المقدمة من الأعضاء « تسعة » اقتراحات أقر المجلس منها « سبعة » اقتراحات بمشروع قوانين .

وبلغ عدد العرائض والشكاوي التي وردت للمجلس « ٣٢ » عريضة وشكوى ، درستها لجنة العرائض والشكاوي وأعدت في شأنها « ١١ » تقريرا أقرها المجلس .

كما بلغ عدد الأسئلة التي تقدم بها الأعضاء « ٣٢٠ » سؤالا وردت من الحكومة إجابات عن « ٢٦٦ » سؤالا منها ، خلال هذه الدورة .

بينما وصل عدد الاقتراحات برغبات أو بقرارات المقدمة من الأعضاء « ١٥٠ » اقتراحا ، تبنى المجلس منها « ١٠٩ » اقتراحات ، وأبلغ توصياته في خصوصها للحكومة ، وبلغ عدد الردود الواردة من الحكومة في شأن هذه الرغبات « ٦١ » ردا .

وقد نظر المجلس في موضوعات طرحت للمناقشة العامة لاستجلاء سياسة الحكومة في شأنها بلغ عددها « عشرة » موضوعات .

كما انتهت اللجنة التي ألفها المجلس للتحقيق وتقصي الحقائق في الأمور المنسوبة إلى بلدية الكويت من تقديم تقريرها الذي أحيل إلى الحكومة في خصوص هذا الموضوع .

نشاط المجلس

وإذا كانت هذه لمحة مجملة عن حصيلة نشاط المجلس وإنجازاته في دور انعقاده الراهن على الساحة الداخلية ، فإن دوره في المحيط العربي والدولي كان ملموسا بارز الأثر ومحل الاستحسان والتقدير من الجميع ، إذ أسهم بمشاركة فعالة عن طريق شعبته البرلمانية ووفده في المؤتمرات والاجتماعات والمحافل البرلمانية العربية والدولية بالمناسبات التالية :

أولا : المؤتمرات العربية

١ ـ الحوار البرلماني العربي الأوروبي الذي عقد في بغداد .

٢ ـ إجتماع مجلس الاتحاد البرلماني العربي الرابع عشر الذي عقد في صنعاء .

٣ ـ الحوار البرلماني العربي الأفريقي الذي عقد في تونس .

٤ ـ الندوة البرلمانية العربية للتنمية والسكان التي عقدت في تونس .

ثانيا : المؤتمرات الدولية

١ ـ المؤتمر السبعون للاتحاد البرلماني الدولي الذي عقد في سيؤول .

٢ ـ المؤتمر الحادي والسبعون للاتحاد البرلماني الدولي الذي عقد في جنيف .

وتلبية لدعوات موجهة من دول صديقة فقد قام وفدان من مجلس الأمة بزيارة كل من الاتحاد السوفياتي والمملكة المتحدة .

كما استقبل المجلس بناء على دعوة موجهة منه ، الوفود الرسمية الزائرة من الدول العربية والصديقة وهي :

١ - رئيس لجنة الشؤون الخارجية والدفاع الوطني في مجلس العموم الكندي .
٢ - وفد جمعية الصداقة البرلمانية الفرنسية .
٣ - وفد المجلس الوطني لنواب الشعب في جمهورية الصين الشعبية .
٤ - وفد المجلس الاستشاري لسلطنة عمان .
٥ - وفد مجلس الأمة في جمهورية هنغاريا الشعبية .

جهود الأمانة

أيها الأخوة الكرام ،

ومن الانصاف أن أنوه في هذه المناسبة بالجهود المشكورة والدائبة والعناية الصحفية التي بذلها الأخوة الأمين العام والأمناء العامون المساعدون وسائر العاملين في أجهزة المجلس في قيامهم بواجبات وظائفهم مما كان له أبلغ الأثر في تنسيق الجهود ، وتنظيم الأعمال المطلوبة وحسن انجازها في مواعيدها على خير وجه .

ولا يفوتني أن أشيد بالدور الايجابي والجهد الصادق الذي بذلته الصحافة وأجهزة الاعلام المختلفة في توطيد التفاعل والتلاقي بين الشعب ونوابه .

الظروف الخطيرة

حضرات الأخوة الكرام

وفي ختام كلمتي أود أن أنوه بأن الظروف الخطيرة التي تمر بها المنطقة ، ومحاولات توسيع نطاق الحرب بالاعتداءات التي وقعت على السفن الكويتية والسعودية تفرض علينا وعلى كل كويتي ومقيم أن نستنفر وعينا ويقظتنا لقطع الطريق على كل من تسول له نفسه العبث بالأمن والاستقرار ، كما تفرض علينا جميعا أن نلتف بحب وعزيمة وإخلاص حول قائد مسيرتنا صاحب السمو أمير البلاد ، وحول حكومته الرشيدة برئاسة سمو ولي العهد ، فالايمان واليقظة والوحدة هي شعارات هذه المرحلة بل وكل مرحلة .

حفظ الله الكويت ، وحفظ أميرها وشعبها ، ووفق العرب والمسلمين إلى طريق الحق والمحبة والمجد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

• مع الصحافة •

حجبت أنباء حرب الخليج ، بتطوراتها الأخيرة ، معظم أنباء العالم الاسلامي عن البروز ، وبدت الصحافة مشغولة بتتبع أحداثها تتبعا دقيقا . فلم تنل أنباء الجهاد في أفغانستان حظا يكافىء أهمية المعارك الطاحنة التي يخوضها المجاهدون هناك ، وكذلك الاشتباكات التي لا تكاد تنقطع في لبنان ، والحوار بين الفصائل الفلسطينية في عدن للوصول إلى لون من الوفاق . كما ألقت حرب الخليج بظلالها على كثير من الأنشطة السياسية والاقتصادية التي تجري في العالم ، على نحو ما سنرى في المقال الذي يتعرض للاجتماع السنوي الذي عقده قادة الدول الصناعية الكبرى في لندن .

وقد تباينت تحليلات المراقبين السياسيين للتطور الجديد في حرب الخليج . فبعضهم يعتقد أن تصعيد الصراع في هذه المرحلة إنما يقصد به وضع نهاية لهذه الحرب ، وهم يرون أن الجانبين المتنازعين كليهما يعملان على هذا التصعيد ، على اختلاف بينهما في الأسباب والملابسات التي تحمل كلا منهما على ذلك . فمنذ أن فرض العراق حصاره على جزيرة (خرج) بدا واضحا أن مخاطر النزاع سوف تتعاظم ، إذ تعتبر (خرج) خط النفط الرئيسي لايران ، ويرى بعض المراقبين أن العراق يرغب في « تدويل » الحرب ، ليكسب دعم الغرب الذي يتحسس الأخطار التي تهدد مصالحه في مضيق هرمز ، وليكسب كذلك التأييد الكامل والدعم من دول الخليج (المتحفظة) التي سوف تخسر الكثير إذا انتصرت إيران في الحرب .

أما عن إيران فيعتقد هؤلاء المراقبون أن الوضع الذي ساد بعد حصار (خرج) يهدد بحرمان إيران من مصدر العملات الصعبة التي تحتاجها ثمنا للسلاح . ثم إن بعض خبراء تجارة الأسلحة يذكرون أن إيران بدأت تتعرض لصعوبات في الحصول على الأسلحة ، لأن الأمريكيين والسوفيات قد مارسوا ضغوطا على حلفائهم لحملهم على الامتناع عن تزويدها بالأسلحة . إن كل هذه التطورات تدفع إيران ، كما يرى هؤلاء المراقبون ، إلى محاولة لإنهاء الحرب التي طال أمدها .

ولكن كيف يمكن أن تنتهي هذه الحرب ؟ الواقع أن الاختلاف الكبير بين

المحللين السياسيين يبدو في الجواب عن هذا السؤال . لقد تبادل العراق وإيران منذ أوائل رمضان قصف المدن ونجم عن ذلك عدد كبير من الضحايا المدنيين في الجانبين ، وأسقطت الطائرات السعودية طائرتين إيرانيتين ، وتعالت لهجة التهديد المتبادل بين الطرفين المتحاربين ، وزحفت بهدوء حاملات الطائرات الأمريكية مقتربة من المياه الجنوبية للخليج .. وتتحدث إيران عن هجوم بري كبير تزمع أن تشنه على العراق .

ومع ذلك فهذه المشاهد لم تثر إلا القليل من حماسة المحللين السياسيين ، إن كثيرين منهم يعتقدون أنه قدآن للحرب أن تضع أوزارها وأن المراد من هذا التصعيد أن يتحمل جميع المعنيين بالحرب أو الذين تمسهم الحرب بآثارها الخطيرة مسؤولياتهم للعمل على إيقافها .

○ أزمة الملاحة في الخليج

عن آخر تطورات الملاحة في الخليج نشرت صحيفة الاكسبرس مقالا في الأسبوع الثاني من رمضان جاء فيه :

لم يثر الوضع الحرج ولا المخاطر الكبيرة الذي تتعرض لها منطقة الخليج ، ولا عشرات آلاف الجثث التي تناثرت على الحدود بين العراق وايران خلال الأشهر الاربعة وأربعين الماضية نفس الاهتمام الذي أثاره فقدان حوالي ٣٠ سفينة في مياه الخليج من ضمنها ١٠ ناقلات نفط قام العراق بتدميرها حول جزيرة خرج .

ولأول مرة منذ بدء النزاع بين طهران وبغداد أصبحت إيران غير قادرة على تصدير نفطها الخام الذي يعتبر المصدر الوحيد للعملات الحرة الضرورية لتمويل مجهودها الحربي . وإذا استمر الوضع على هذا النحو ستضطر إيران أن تذعن للواقع في القريب العاجل .

وقررت مجموعة شركات لويدز رفع قيمة التأمين على السفن المتجهة إلى الخليج ، وخاصة المناطق الواقعة على مقربة من منطقة العمليات العسكرية . وأصبح ميناء جزيرة خرج ميناء شبه محظور يصعب الاقتراب منه بكل ما تحمله العبارة من معنى . وحتى أصحاب شركات ناقلات النفط اليابانية قرروا عدم ارسال سفنهم إلى الميناء . وكانت اليابان تستورد ما يعادل ٤٠٠ الف برميل نفط يوميا تشحن من خرج .

أما ناقلات النفط ففضلت التوقف على مداخل الخليج حيث تقف ٢٥ ناقلة نفط بالغرب من الساحل العماني . والمهم أن الحركة الملاحية إلى الموانىء الواقعة إلى الشمال من منطقة الخليج أصيبت بالشلل من الناحية العملية . وأدت هذه التطورات إلى إثارة

المخاوف لدى الغرب ، وخصوصا في أوروبا الغربية واليابان ، من التعرض إلى وضع يشبه الوضع الذي ساد العالم الصناعي عقب فرض الحظر النفطي الكبير في عام ١٩٧٣ على الرغم من الاحتياطي النفطي الذي تمتلكه الدول الصناعية والذي يكفي لمدة ثلاثة أشهر تقريبا .

○ ثلاثة خيارات أمام دول الخليج

عن الخيارات المتاحة لدول الخليج كي تتفادى مخاطر انتشار الحرب ، نشرت صحيفة (الفيفارو) الفرنسية مقالا جاء فيه :

يذكر الدبلوماسيون العرب والغربيون أن أمام دول الخليج ثلاثة خيارات فقط :
○ أولا : يمكن أن تستخدم هذه الدول مواردها العسكرية لمقاومة إيران ، ولكن المشكلة تكمن هنا في أن مجلس التعاون الخليجي أخفق في إحراز أي تقدم فيما يختص بتوحيد أنظمته الدفاعية ، وكانت دول مجلس التعاون قد أجرت مناورات عسكرية مشتركة في أكتوبر ولكن غياب الانسجام بين الأنظمة الدفاعية الجوية أبرز نقاط الضعف في المناورات .

○ ثانيا : والخيار الثاني يتلخص بطلب الحماية من الولايات المتحدة ، فهذا الاسطول الاميركي السابع يتمركز خارج الخليج وبالقرب من عمان . ولكن معظم زعماء الخليج يخشون من توسيع نطاق الحرب إذا تدخل الاميركيون ، وقد أبلغ أحد السفراء الصنداي تايمز الاسبوع الماضي بأن دول الخليج قد لا تطلب المساعدة من الولايات المتحدة إلا إذا قامت المقاتلات الايرانية من قاعدة بندر عباس القريبة من مضيق هرمز بشن أي هجوم .

وأثناء اجتماع مؤتمر قمة مجلس التعاون الذي عقد يوم الخميس ، جرى حوار ساخن حول حكمة طلب المساعدة من أميركا . فطلبت عمان من دول الخليج توجيه نداء فوري إلى الرئيس ريغن ، في حين اكدت الكويت على منافع الاعتماد على النفس .

وفي النهاية توصل المؤتمرون إلى قرار يقضي بالاكتفاء بعرض القضية على مجلس الأمن التابع للامم المتحدة والجامعة العربية .

الولايات المتحدة لم تصدر عنها أية بوادر تشير إلى الاندفاع . فقد أكدت البيانات التي صدرت في واشنطن في الأسبوع الماضي أن الأميركيين لن يتدخلوا إلا إذا طلب إليهم ذلك .
وعبر عن ذلك أحد المسؤولين الأميركيين بالقول بعد ما حدث في لبنان ، لا يمكن أن نقبل شيئا ونحن نشعر بأننا غير مرغوب بنا » .

○ وثالثا : الخيار الثالث أمام دول الخليج يتلخص بالضغط على العراق لكي تنهي « حصارها الجوي » الذي ضربته على جزيرة خرج .

○ اجتماع الصناعيين الكبار

عن الاجتماع السنوي لقادة الدول الصناعية الكبرى ، وانعكاسات حرب الخليج على قضاياه نشرت صحيفة القبس الكويتية مقالا في ١٠ رمضان جاء فيه :

قادة الدول الصناعية الكبرى الذين التقوا في لندن ضمن الاجتماع السنوي العاشر لهم ، بحثوا القضايا الاقتصادية الكبرى وسياساتها الصناعية والتجارية والتنسيق فيما بينها ، ولم يفضلوا الأمور السياسية عنها بل تصدوا لها وتوزعوا أدوارا لتولي تنفيذ استراتيجية السيطرة السياسية وتقاسم مناطق النفوذ في العالم .

والاعلام الرسمي لهذا الاجتماع حاول أن يحدد ملفين رئيسيين يتعلقان بالنواحي الاقتصادية وهما : مسألة ديون العالم الثالث لمصارف أميركية وأوروبية والتي تتجاوز مبلغ ٦٠٠ مليار دولار . والمسألة الثانية تتعلق بارتفاع معدلات الفائدة على الدولار داخل أميركا .

كما كان هناك ملف سياسي حاسم لم يعلن عن موضوعاته ولكن من المفترض أن تطورات حرب الخليج في مقدمتها .

ومن المعروف أن هذا الاجتماع السنوي قد انعقد ٣ مرات على الأقل خلال استمرار الحرب الخليجية ، ولم يصدر عن هذه الاجتماعات سوى ما يؤكد بصورة أو أخرى إدعاء الحياد الذي يعني موافقة ضمنية على إستمرار الحرب . حتى أن أحد المعلقين الرسميين في تلفزيون باريس أدهش الجمهور ذات مساء من هذا الأسبوع ، وهو يكرر عدة مرات أن الدول العظمى ليس من مصلحتها إيقاف هذه الحرب . وعدد أسبابا لذلك من أهمها أن العالم كان يستورد من الخليج سابقا ما يعادل ٤٥ بالمائة من حاجته النفطية ثم أصبح أخيرا لا يستورد إلا ٢٠ بالمائة من هذه الحاجة ، وأن عودة الضخ من موانىء الخليج تهدد شركات تكساسيةوهكسيكية وربما كذلك شركات بحر الشمال ونيجيريا ، وذلك إذا ما هبطت أسعار النفط دون المعدل المطلوب بعد أن يعود الانتاج الخليجي إلى مستواه السابق قبل الحرب .

إلا أن المسؤولين الكبار الذين اجتمعوا في لندن يعترفون أن التطورات الخليجية الأخيرة قد أخرجت الحرب عن حدودها النفطية الاقتصادية لتمس استراتيجيات سياسية ودولية خطيرة . وبالتالي بحث ملوك الصناعة عن حل بات ضروريا حتى لا يفلت زمام السيطرة من أيديهم نهائيا . وكان أمامهم مشروعان أحدهما ياباني والآخر أميركي ـ بريطاني . ويبدو أن فرنسا وحدها تقدمت بحل خاص أقرب ما يكون إلى الموقف العربي ، وربما التقت مع اليابان حول النتائج .

الزكاة

فيض الغمام بروضة الاسلام ... وشذا الربيع القاطر البسام
وعريش كرم نام تحت ظلاله ... جدب الزمان ، وقسوة الأيام
وبريد إحسان يقل رسائلا ... خطت صحائفها يد الاكرام
أهدت إلى العرب السلام وقبلها ... لم يظفروا من دهرهم بسلام
عاشوا بأخلاق الوحوش وليتهم ... نالوا الذي نالته في الآجام
ولدتهم البأساء بين بلاقع ... عقمت عن الأنداء والأنسام
جهلوا النعيم فلو تمثل زائرا ... ظنوه بعض طوارق الأوهام !!
حتى أتى الاسلام يوحي ربه ... لنبيه بتواصل الأرحام
فإذا الأناسي الوحوش ملائك ... غر الوجوه ، محجلو الأقدام ..
ورثوا كنوز الأرض حتى أصبحوا ... أغنى من الأعجام والأروام ..
فتقاسموا الأموال فيما بينهم ... بالطوع لا بالكره والإرغام ..
قل للملاحدة الذين تشدقوا ... بنظامهم : يا قوم أي نظام ؟!
أفبعد شرع الله حكم صالح ... للناس : جل مشرع الأحكام !!
أرنو إلى وطني العزيز ، فأنثني ... بمدامع حري ، وقلب دامي ..
فكأنني مما أكابد من أسى ... أصبحت نضو هوى ، صريع غرام



يوسف زاهر

حسب المشاهد للخلائق أن يرى ... ما ليس يخطر في رؤى النوام
فرد تسربل بالثراء، وآخر ... يحيا حياة سوائم الأنعام ..
ومرفه يدمي الحرير بنانه ... وأخو شقاء أغبر الهندام ..
وربيب قصر آرنس بضيائه ... وقعيد كوخ موحش الاظلام ..
وحليف أطماع تمنى أنه ... قاد الغنى كل الغنى بزمام ..
ولو استطاع إلى السماء توصلا ... سلب السماء لوامع الأجرام !!
من مبلغ عني نصيحة شاعر ... هادي الفراسة صادق الالهام ..
أدوا « الزكاة » إلى العفاة، فإنها ... حق لهم في شرعة الاسلام ..
آسوا بها جرح الفقير، وكفكفوا ... ذوب الأسى بمدامع الأيتام ..
ردوا بها الحب الذي ألقى به ... شح النفوس على شفا الإجرام ..
إن « الزكاة » هي العلاج، وإنها ... لمراجل الأحقاد خير صمام
لو أخرج المثرون حق زكاتهم ... لرعى الذئاب سوارح الأغنام !!

رسالة الزكاة

قال تعالى :
« وأَقيمُوا الصلاةَ و آتوا الزكَاةَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون » .

روى الطبراني في الاوسط والصغير عن علي كرم الله وجهه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الله فرض على اغنياء المسلمين في اموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا او عروا الا بما يصنع اغنياؤهم . الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما » .

أحكام الزكاة

تعريف الزكاة :
الزكاة اسم لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى المستحقين . وسميت زكاة لما يكون فيها من تزكية النفس وتطهير المال ونمائه .

حكمها :

فرض . وهي ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية . ودليل فرضيتها الكتاب ، والسنة ، واجماع الأمة ، وكانت فريضة الزكاة في أول الاسلام بمكة مطلقة لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه ، ولا مقدارما يؤخذ منه ، وانما ترك ذلك لاحساس المسلم وكرمه وسخاوة نفسه ، وفي السنة الثانية من الهجرة على المشهور فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال وبينت بيانا مفصلا .

دليلها :
دليلها من الكتاب قول الله تعالى : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** .. النور/٥٦ .
ومن السنة المطهرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)** .

حكم مانعها :
الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة ، فلو أنكر وجوبها مسلم خرج عن الاسلام ، الا اذا كان حديث عهد بالدين ، فإنه يعلم ويعذر لجهله .
اما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم ولا يخرج عن الاسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويعزره ، ولو امتنع جماعة من المسلمين عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها ، وكانت لهم قوة ومنعة ، فانهم يقاتلون عليها حتى يعطوها .
وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني**

دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ».

على من تجب الزكاة : ؟

تجب الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أي نوع من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة .

الأموال التي تجب فيها الزكاة :

أوجب الاسلام الزكاة في الذهب ، والفضة ، والزروع ، والثمار ، وعروض التجارة ، والسوائم والمعدن ، والركاز .

زكاة الذهب والفضة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم . وليس عليك شيء ـ يعني في الذهب ـ حتى يكون لك عشرون دينارا . فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار . والدينار وزنه مثقال**) رواه ابو داود .

بهذا الحديث تحدد المقدار الذي تجب فيه الزكاة وهو ما يسمى (نصابا) كما تحددت نسبة الزكاة وهي في الذهب والفضة ربع العشر .

والمثقال في عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة لم يتغير وزنه وهو يساوي ٤ $\frac{١}{٤}$ غرام . فالنصاب في الذهب على هذا يساوي ٨٥ غراما من الذهب الخالص وليس المثقال النبوى الذي يحسب به نصاب الذهب مساويا للمثاقيل المستعملة الآن كالمثقال العجمي وهو (٤,٨) غراما والمثقال العراقي (٥) غرامات .... وهذا ما افاد به بعض تجار الذهب بالكويت

وامادرهم الفضة فوزنه ٢,٩٧٥ غراما فنصاب الفضة على هذا ٥٩٥ غراما .

فاذا كنت تملك ذهبا او فضة على شكل سبائك او عملة تتعامل بها ، فان بلغ وزن الذهب عشرين مثقالا « نبويا ـ (٨٥ غراما)» وبلغت الفضة مائتي درهم « ٥٩٥ غراما » فقد وجبت فيها الزكاة (ربع العشر) وما زاد على هذا المقدار فبحسابه فتخرج عن كل زائد ربع عشره .

.. وإن كان ابو حنيفة لا يرى في الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب ، فيكون فيه ربع العشر .. فمن يملك مائتي درهم فضة فزكاته خمسة دراهم .

وتحسب قيمة الزكاة بالعملة الجارية ويوزعها فاذا كانت زكاته مثلا خمسة دراهم فضة اخرج قيمة هذه الدراهم بالعملة السائدة في بلده وحسب السعر

الجاري وكذلك الامر في الذهب .. ولا مانع من اخراج زكاة الذهب ذهبا ، وزكاة الفضة فضة .

زكاة العملات الجارية

زكاة العملة المعدنية

التعامل الجاري الآن لا يتم غالبا بالعملة الذهبية أو الفضية وكل دولة من الدول لها عملتها ونقودها السائدة وهي قد تكون من نحاس أو نيكل أو ألمنيوم .

وقيمة هذه العملات كلها مرتبطة بالعملة الورقية السائدة ومن الممكن تحويلها إليها . لهذا كله نرى أن فيها زكاة مع العملات الورقية فيزكيها إذا بلغ ما عنده منها قيمة النصاب فيخرج عنها ربع العشر .

زكاة العملة الورقية .

إذا بلغ ما يملكه المسلم منها ما قيمته عشرون مثقالا من الذهب ففيها الزكاة وتحسب زكاة العملة الورقية على اساس نصاب الذهب .

حيث انه اعلى قيمة من نصاب الفضة في عصرنا الحاضر .

ويجب ان نلاحظ بعناية ان قيمة الذهب والفضة تختلف من زمن الى زمن ومن بلد إلى بلد كما هو معروف .

وعلى هذا يجب ان يراعى كل انسان القيمة السائدة للذهب في بلده وقت اخراج الزكاة ، وهذا يؤدي بالتالي الى ان مقدار النصاب من العملة الورقية الذي تجب عليه الزكاة قد يختلف في الكويت مثلا عنه في السعودية .. في مصر .. في العراق .. الخ وذلك حسب سعر الذهب فيها .

كما أن نصاب الزكاة قد يختلف ايضا من سنة الى سنة في البلد نفسه وذلك حسب اختلاف سعر الذهب . وهذا ما يجب أن يتنبه إليه الناس جيدا ولا سيما المفتون من العلماء ولا يعتمدون على أرقام المبالغ التي دونت في الكتب من قبل لأنها حسبت على اساس سعر الذهب والفضة في زمنهم والأسعار متغيرة كما نعرف ومادام وزن النصاب ثابتا حسب النص فانه من الممكن حساب قيمته كل سنة حسب الأسعار يوم وجوب إخراج الزكاة .

كيف تحسب زكاة العملة ؟

اعرف كم يساوي العشرون مثقالا من الذهب بالعملة الجارية فاذا وجدت ان عندك قيمة العشرين مثقالا من العملة الورقية او من العملة المعدنية كالنحاس والنيكل فانك تكون حينئذ قد ملكت النصاب وعليك ان تعرف اليوم الذي بدأ فيه ملكك لنصاب كامل ليكون بدء سنة الزكاة .

ونصاب الذهب كما قلنا هو ٨٥ غراما من الذهب الخالص ، ونصاب الفضة هو « ٥٩٥ » غراما من الفضة الخالصة ... وعلى هذا فلو كان عندك ٢٥٠ دينارا كويتيا فقط وحال عليها الحول وكان سعر الذهب يوم وجوب اخراج الزكاة هو ٣,٢٥٠ دينارا للغرام فانه لا زكاة عليك لان قيمة النصاب هي :
٨٥ × ٣,٢٥٠ = ٢٧٦,٢٥٠ دينارا .

فيكون ما عندك اقل من نصاب .
وعندنا سؤال يقوم في الأذهان ...
وهو : لنفرض ان النصاب توفر في وقت من الأوقات كان بدء سنة الزكاة ولكن هذا المبلغ نقص أثناء السنة ثم زاد حتى بلغ نصابا او اكثر عند تمام السنة ، فما الحكم في هذه الحالة ؟ الامام ابو حنيفة يرى انه لا يضر النقصان عن النصاب أثناء السنة إذ أن العبرة عنده بوجوده في أولها وعند نهايتها وعلى ذلك يرى وجوب الزكاة في هذه الحالة .
أما غيره فيرى أنه لا بد من وجود النصاب طوال السنة بحيث لو نقص في يوم من ايامها انقطعت السنة فاذا زاد حتى بلغ النصاب في يوم من الأيام بدأ حساب سنة جديدة من وقت بلوغه النصاب .

زكاة الحلى :

اعتاد الناس أن يتخذوا من الذهب والفضة حليا للزينة كما اعتاد بعضهم أن يستعمل بعض الأدوات المتخذة منهما كالملاعق ، والشوك ، والأطباق والتحف وما إلى ذلك ... فهل تكون عليها زكاة .. ؟
قال جمهور الأئمة إن كان المصنوع من الذهب أو الفضة حليا مباحة فلا زكاة فيه .
وقال الامام أبو حنيفة بل تجب في الحلى المباحة زكاة .

ومن المعلوم ان المرأة هي التي يباح لها فقط التحلي بالذهب والفضة ولا يباح للرجل التحلي بالذهب مطلقا ، ولا بالفضة إلا بقدر خاتم صغير منها ، اما استعمال الأواني والتحف من الفضة او الذهب فحرام على الرجل والمرأة معا بالاجماع وعلى هذا تجب الزكاة على ما يتخذه الرجل من زينة ذهبية او فضية وعلى كل الاواني المصنوعة منهما المملوكة للرجل او المرأة وتحسب على اساس نصاب الذهب أو الفضة كما قدمنا . والذين قالوا بعدم وجوب الزكاة في حلى المرأة قالوا اذا اتخذت المرأة حليها مادة ادخار حتى لتجدها احيانا زائدة عن حد الزينة لمثلها يقولون بوجوب الزكاة عليها لأنها خرجت عن الغرض المقصود منها وهي الزينة الى الادخار ...

الحلى من الجواهر :

وقد اعتاد البعض التحلي بخواتم او بعقود من الماس او اللؤلؤ او غيرها من الأحجار الكريمة الغالية الثمن حتى ليصل ثمن الخاتم الى عدة آلاف كما يصل ثمن العقد إلى عشرات الألوف فهل في هذه الحلى زكاة ؟

والجواب أن هذه الحلى لم يرد النص بتحريمها ، ومن ثم فهي مباحة كما لم يرد نص بالزكاة عليها ، ومن ثم لم يقل احد من الفقهاء ان عليها زكاة حتى الذين قالوا إن في حلى الذهب والفضة المباحة زكاة كالامام أبي حنيفة .

ومع ذلك فانها لو اتخذت بقصد الادخار لأجل الاستثمار ببيعها في المستقبل فانه يكون لها شأن آخر إذ في هذه الحالة عليها زكاة على حسب قيمتها في اخر كل عام .

زكاة الديْن

للأئمة والفقهاء المجتهدين أراء وتفصيلات كثيرة حول زكاة الدين مذكورة في كتب الفقه ... ومن خلال هذه الآراء والتفصيلات يمكن ان نختار لك هذا الموجز .

فالدين الذي لك على آخر او آخرين إما أن يكون :

١ ـ دينا حيا « أو قويا » وهو ما كان المدين معترفا به مستعدا لسداده في وقته او عند طلبه .

٢ ـ أو دينا على معسر لا يرجى منه السداد أو على مماطل او جاحد له غير معترف به وليس لك به بينة .

● والقسم الأول وهو الدين الحي يرى جمهور الأئمة ان على الدائن زكاته بالشروط السابقة في زكاة المال الا أنه لا يجب عليه اخراج زكاته الا بعد قبضه ويزكى عن المدة الماضية كلها سنة او اكثر .

اما اذا كان الدين من النوع الثاني وهو ما يكون على معسر أو مماطل او جاحد فأكثر الأئمة على أنه لا زكاة فيه ، وإن كان الامام مالك يرى أنه إذا قبضه فانه يزكي عنه لعام واحد فقط ولو مكث عند المدين أعواما .

ومن عليه دين ؟

ومن كان عليه دين يستغرق كل ماله أو بعضه فهل عليه زكاة ؟ قال الشافعية .... نعم عليه زكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصابا .

وقال الحنفية .... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال مقابل للدين الا زكاة الزروع والثمار فانها تجب .

وقال المالكية والحنابلة ... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال الا زكاة الزروع والثمار والماشية فانها تجب .
ونحن نميل الى الأخذ برأي الذين يقولون لا زكاة عليه في المقدار الذي يساوي الدين الذي عليه فان طابت نفسه فليفعل ما هو أنفع للفقراء بأن يزكي جميع ما تحت يده من مال ، ولو كان يقابل دينا عليه ، مادام يتصرف بالمال ولا يعاجله الدائن بالمطالبة .

زكاة عروض التجارة

اذا كان الانسان يتاجر في أي سلعة من السلع وجب عليه أن يخرج الزكاة اذا بلغت قيمة السلعة الجارية نصابا عند تمام الحول .
والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والبيهقي عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة (الزكاة) مما نعده للبيع .
وما رواه ابو عمرو بن حماس عن أبيه قال : كنت أبيع الأدم (الجلد) والجعاب (جمع جعبة وهي التي تحمل فيها السهام) فمر بي عمر بن الخطاب فقال : أد صدقة مالك . فقلت يا أمير المؤمنين انما هو الأدم قال : قومه ثم اخرج صدقته .
فكل سلعة يتاجر فيها الانسان سواء اكانت أصلا من الاصناف التي تزكي كالحبوب والماشية أم لم تكن كالأقمشة والأشياء المصنوعة والأرض ، والعقارات والاسهم وغيرها تجب الزكاة فيها بالشروط الآتية : ـ
١ ـ ان تكون عنده نية التجارة فيها .
٢ ـ ان تبلغ قيمة السلعة او السلع التي يملكها ويتاجر فيها نصابا عند تمام السنة .
والنصاب المعتبر هنا هو النصاب المذكور في زكاة الذهب والفضة ، فيأتي المالك اخر العام ويجري جردا عاما لمتلكاته التي يتاجر فيها ، ويحسب قيمتها وقت الجرد ، ولا يدخل في ذلك قيمة الاثاث والأجهزة الموجودة في المحل اللازمة للتجارة ، فان بلغت قيمتها حسب سعر السوق نصابا أو زادت زكاها باخراج ربع عشرها وإلا فلا زكاة وكل تاجر في بلده يخرج زكاته على أساس قيمة النصاب المالي فيها كما قلنا في زكاة العملة الورقية . ولا يضر نقصان قيمة البضاعة عن النصاب اثناء الحول إذ العبرة بالقيمة عند تمامه . وتقويم السلع التجارية يكون على أساس قيمتها بالعملة الجارية في بلده .
وإذا كانت له عدة محال تجارية فانها تضم بعضها إلى بعض وتحسب قيمة ما في هذه المحال ويخرج عنها الزكاة وهي ربع العشر وإذا ملك أرضا أو عقارا أو مثل ذلك بغير نية التجارة فلا زكاة في هذه الحال ، فاذا نوى التجارة بدأت سنة الزكاة

من حين نيته التجارة فيها ...
ويلاحظ أن الربح يضم إلى رأس المال عند الجرد السنوي الختامي وتؤدي الزكاة عن الجميع فلو بدأت التجارة مثلا بثلاثمائة دينار وفي اخر العام بلغت خمسمائة دينار فالزكاة واجبة على الخمسمائة دينار .
ومعلوم أن التاجر عندما يعمل حسابه الختامي في آخر العام يحسب ما له من الديون الحية على الآخرين ويسقط من ذلك ما عليه للآخرين - ان شاء - أو يجعله مما تشمله الزكاة .
ويعرف بعد ذلك قيمة ما يمتلكه ويضم اليه ماله المدخر ان كان وعلى هذا تكون الزكاة . اللهم إلا اذا كان له دين على تاجر مفلس او عميل لا ينتظر منه السداد فلا يحسب فيما تجب فيه الزكاة .

زكاة التأمين النقدي :

التأمين النقدي الذي يدفعه المستأجر للمالك مال مملوك للمستأجر مودع عند المالك ضمانا لسداد الاجرة في مواعيدها فتجب زكاته على مالكه (المستأجر) لا على المؤجر اذا توفرت شروط الوجوب .

زكاة العقار :

العقار الذي يتجر فيه صاحبه بالبيع والشراء حكمه حكم السلع التجارية ويزكي زكاة عروض التجارة والعقار الذي يسكنه صاحبه ، او يكون مقرا لعمله كمحل للتجارة ومكان للصناعة لا زكاة فيه ، والعقار الذي يستغله مالكه بالايجار لا زكاة في عينه ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشروطها اذا توفرت من النصاب الزائد عن حاجته والحول .

زكاة الاسهم

يرى بعض الفقهاء المعاصرين ان الاسهم التي تتخذ للتجارة تجري فيها زكاة عروض التجارة ومقدارها ربع العشر في قيمتها بعد حولان الحول كما تقدم .
اما الأسهم التي لا يقصد صاحبها التجارة وانما قصد ارباحها كالشركات الزراعية والصناعية فتجب الزكاة في غلاتها بعد حسم كل النفقات والقدر الواجب اخراجه هو عشر الصافي من الغلة ويرى بعض العلماء ان تزكي الاسهم بحسب موجودات الشركة المتداولة بعد طرح ما عليها من الديون ، فيزكي الصافي بنسبة

ربع العشر بقطع النظر عما تحققه الشركة من ارباح .

زكاة الزروع والثمار

وردت أيات من القرآن الكريم تأمر المؤمنين بالانفاق مما اخرجته الأرض ، ومنها أخذ الفقهاء وجوب اخراج زكاة الزروع . والثمار ، وان اختلفت وجهة نظرهم في الأصناف التي تؤخذ عليها زكاة والأصناف التي لا تؤخذ عليها ، يقول الله تعالى في سورة الأنعام آية (١٤١) : (**وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده**) .

ويقول تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون**) (٢٦٧ سورة البقرة) .

ويقول عليه الصلاة والسلام ... (**فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر**) رواه الجماعة الا مسلما .

والعثري بفتح العين والثاء وكسر الراء الذي يشرب بجذوره لأنه عثر على الماء في باطن التربة فلم يعد في حاجة الى سقي .

اما النضح فهي آلة السقي كالساقية والماكينة ونحوهما .

الاصناف التي تزكى منها :

والذي يتتبع آراء الأئمة حول الأصناف التي تجب فيها الزكاة يجدهم مختلفين في وجهات نظرهم حولها .

فيرى الأحناف أن الزكاة واجبة في كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، لا فرق بين حبوب وخضر وثمار وفواكه ، فكل ما يزرعه الانسان عليه زكاة ، مع استثناء نحو الحطب والقصب الفارسي والأشجار غير المثمرة وهي واجبة عندهم في القليل والكثير .

أما جمهور الأئمة فيرون أن الزكاة واجبة في ثمار النخل والكرم وفي كل ما يزرع للقوت بشرط ان يكون صالحا للادخار كالقمح ، والشعير ، والارز ، والذرة ، واللوبيا ، والحمص ، والعدس ونحو ذلك ، ويزيد الامام أحمد على هذا أنه لا يشترط ان يكون ما يدخر صالحا للأكل فيوجب الزكاة على ما يدخر ولو كان غير صالح للأكل كحب الفجل والفواكه والقطن والكتان وما شابه ذلك .

وتجب الزكاة في الثمار عند نضجها واستطابة أكلها كما تجب في الزروع بعد قوتها واشتدادها وتصفيتها ، فاذا قطعت قبل نضجها أو بدو صلاحها واشتدادها فلا زكاة عليها .

نصاب الزكاة فيها :

وقد سبق ان عرفت ان الامام أبا حنيفة يوجب الزكاة في القليل والكثير ولا يشترط بلوغها نصابا .

اما الآخرون فانهم يشترطون مع ما تقدم ان تبلغ الثمار او الزروع النصاب ، وهوخمسة أوسق حسب نص الحديث السابق ، وذلك بعد تصفية نحو الارز من قشره ومن الطين والتراب وبعد جفاف الثمر .

والوسق قدره الرسول صلى الله عليه وسلم بستين صاعا بصاع المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون النصاب ثلاثمائة صاع ، **والصاع قدح وثلث** .

ولا شك أن المكاييل تغيرت الآن عما كانت عليها في عهد الرسول وقد قدر بعض العلماء النصاب حسب المكاييل الحاضرة بأربعة **أرادب وكيلتين** .. والأردب اثنتا عشرة كيلة ..

وعلى هذا فمن يعرفون عندهم الآن مقدار الصاع المدني فأمامهم مقدار النصاب بالصيعان ومن لا يعرفونه فأمامهم قدر النصاب حسب الكيل المعمول به في مصر الآن ..

وقد قدر بعض العلماء النصاب بالوزن فقالوا أنه يبلغ بالرطل البغدادي قديما (وهو نحو ١٢٩ درهما) ١٦٠٠ رطل بغدادي وبالرطل المعمول به الآن ١٤٢٩ رطلا ..

ولكن لو لجأنا إلى الوزن فسنجد أن الحبوب بعضها ثقيل كالأرز مثلا وبعضها خفيف كالشعير **والذي اعتبره العلماء منها هو البر الرزين** .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية المجلد ١٤ ص ١٠٥ ان مد النبي صلى الله عليه وسلم يساوى : ٠,٧٥ لترا على وجه التقريب والصاع أربعة امداد فيكون الصاع على هذا ثلاثة التاركيلا تقريبا واللتر معروف لدى المواطنين في معظم الدول الاسلامية .

المقدار الواجب إخراجه :

نَصُّ الحديث الوارد الذي ذكرناه من قبل بين لنا هذا ، ففي كل زرع يسقى بماء المطر أو بماء الأنهار دون تكلفة من الزارع فزكاته العشر ، أما اذا سقي بالساقية أو الماكينة أو الشادوف أو نحو ذلك مما يتكلفه الزارع في سقيه ، فزكاته نصف العشر .

وإذا سقي نصف المدة بهذا ونصفها الآخر بذاك فزكاته ثلاثة أرباع العشر ، والمرجع في هذا ضمير الزارع ووازعه الديني .

زكاة الأنعام

الأصناف التي تجب فيها الزكاة هي : الابل ، والبقر ، والجاموس ، والغنم والماعز ولا يزكي عنها إلا بشروط أربعة :

١ ـ أن تكون سائمة أي ترعى الكلأ المباح أكثر السنة وهذا الشرط عند الجمهور ، أما المالكية فانهم لا يشترطون السوم في وجوب زكاة النعم ، بل تجب سواء أكانت معلوفة أم سائمة .

٢ ـ أن تتخذ الماشية للدر والنسل والتسمين لا للعمل .. وهذا أيضا على رأي الجمهور بخلاف المالكية فانهم لا يشترطون هذا الشرط بل يرون أن الزكاة واجبة في النعم سواء أكانت عاملة أم غير عاملة .

٣ ـ أن تبلغ نصابا معينا كما سنوضحه فيما بعد .

٤ ـ أن يحول عليها الحول الا ما تولد منها أثناء العام ، فانه لا يشترط لوجوب الزكاة فيه مرور عام جديد ولكن يزكي مع الكبار عند تمام عامها . واليك بعد هذا نصاب كل نوع والمقدار الواجب فيه :

زكاة البقر

نصاب البقر والجاموس ثلاثون منها فليس في أقل من ذلك زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

من ٣٠ الى ٣٩	تبيع أو تبيعة وهو ماله سنة .
ـ من ٤٠ الى ٥٩	مسنة وهي مالها سنتان .
ـمن ٦٠ الى ٦٩	تبيعان .
ـ من ٧٠ الى ٧٩	مسنة وتبيع
ـ من ٨٠ الى ٨٩	مسنتان
ـ من ٩٠ الى ٩٩	ثلاثة أتباع
ـ من ١٠٠ الى ١٠٩	مسنة وتبيعان
ـ من ١١٠ الى ١١٩	مسنتان وتبيع

وهكذا فيما زاد على ذلك ففي كل ثلاثين منه تبيع ، وفي كل أربعين مسنة . ولا شيء في الوقص ، وهو ما بين الفريضتين .

زكاة الابل

نصاب الابل خمس منها فليس في أقل من خمس زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٥ الى ٩	شاة
ـ من ١٠ الى ١٤	شاتان
ـ من ١٥ الى ١٩	ثلاث شياه
ـ من ٢٠ الى ٢٤	اربع شياه
ـ من ٢٥ الى ٣٥	بنت مخاض (وهو التي دخلت في سنتها الثانية)
ـ من ٣٦ الى ٤٥	بنت لبون (وهي التي دخلت في سنتها الثالثة)
ـ من ٤٦ الى ٦٠	حقة (وهي التي دخلت في سنتها الرابعة)
ـ من ٦١ الى ٧٥	جذعة (وهي التي دخلت في سنتها الخامسة)
ـ من ٧٦ الى ٩٠	بنتا لبون
ـ من ٩١ الى ١٢٠	حقتان

فاذا زادت ، ففي كل اربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة .

زكاة الغنم

القدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٤٠ الى ١٢٠	شاة لها سنة
ـ من ١٢١ الى ٢٠٠	شاتان
ـ من ٢٠١ الى ٣٩٩	ثلاث شياه
ـ من ٤٠٠ الى ٤٩٩	اربع شياه
ـ من ٥٠٠ الى ٥٩٩	خمس شياه

وهكذا ففي كل مائة شاة .

هذا ويجوز إخراج الذكور في الزكاة اتفاقا إذا كان نصاب الغنم كله ذكوراً فان كان إناثا فقط أو اناثا وذكورا ، جاز إخراج الذكور عند الأحناف وتعينت الأنثى عند غيرهم .

المعْدِن والركاز

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى أودع أرضه الكثير من خيراته وادخرها لبني آدم ومكنهم من نيلها بجهد قليل .. ونعم الله تقابل بالشكر عليها والانفاق منها في سبيله سبحانه ..

ولذلك أوجب الله تعالى على من استخرجها حقا ليعم الانتفاع بتلك الثروات

العظيمة ويعود نفعها على مستخرجها وعلى الجماعة الاسلامية .
وكذلك ما قد يجده الانسان في الأرض من الكنوز التي لا يعرف لها مالك أثبت الشرع فيها حقا .
قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**) وهذا يشمل ما تنبته الأرض من الزروع والثمار وما استخرج من الأرض مما أودعه الله فيها من المعادن والكنوز .
والمعادن : لغة المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض ، وقيل المعادن تلك المواد نفسها ، كالذهب والفضة والنحاس ، والنفط ، والكبريت .
وتطلق في عصرنا الحاضر على مواد معينة منها الذهب والفضة والنحاس وليس منها النفط والكبريت ونحوها .
والكنز : المثبت في باطن الأرض من الأموال بفعل الانسان .
والركاز : **يشمل النوعين** : **المعادن والكنوز** .
فالركاز ما يوجد في باطن الأرض مما أودعه فيها الخالق أو المخلوق .

القدر الواجب في الركاز :

كل ما استخرج من باطن الأرض وجب فيه الخمس (٢٠٪) . لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (في الركاز الخمس) .
ثم إن ما يؤخذ مما يستخرج من المعادن فهو زكاة ، وأما ما يؤخذ من الكنوز فقد قيل هو فيء فيصرف في المصالح العامة ، وقيل هو زكاة فيصرف في مصارف الزكاة .

مصارف الزكاة

حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فقال سبحانه :
« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .
فمصارفها اذن كما يتبين من الآية الكريمة ثمانية :

(١ ـ ٢) الفقراء والمساكين :

هم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم ويقابلهم الأغنياء وهم المكفيون ما يحتاجون اليه ، والقدرالذي يصير الانسان به غنيا هو قدر النصاب الزائد عن الحاجات الأصلية له ولأولاده ومن تلزمه نفقتهم من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ومركب ، وآلة حرفة ، ونحو ذلك فكل من عدم هذا القدر فهو فقير يستحق

الزكاة والفرق بين الفقراء والمساكين من حيث الحاجة والفاقة .

فالمساكين هم الذين لا يملكون شيئا ولا يكتسبون شيئا ، والفقراء هم الذين يملكون او يكسبون اقل مما يقوم بكفايتهم وقيل عكس ذلك .

٣ ـ العاملون عليها :

وهم الذين يوليهم الامام أو نائبه العمل على جمع الزكاة من الأغنياء ، ويدخل فيهم الحفظة لها والرعاة لانعامها والكتبة لديوانها ، ويجب أن يكونوا من المسلمين وألا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة ويجوز أن يكونوا من الأغنياء .

٤ ـ المؤلفة قلوبهم :

وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام أو تثبيتها عليه لضعف إسلامهم أو كف شرهم عن المسلمين أو جلب نفعهم في الدفاع عنهم .

٥ ـ في الرقاب :

ويشمل المكاتبين ، فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق ويشتري به العبيد ويعتقون .

٦ ـ الغارمون :

وهم الذين تحملوا الديون ، وتعذر عليهم اداؤها كمن التزم في ذمته دينا ليدفعه في اصلاح ذات البين أو ضمن دينا فلزمه أو استدان لحاجته إلى الاستدانة ، فهؤلاء يأخذون من الزكاة ما يفي بديونهم ، ومن استدان لاصلاح ذات البين يأخذ من الزكاة ولو كان غنيا .

٧ ـ في سبيل الله :

سبيل الله الطريق الموصل إلى مرضاته . وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو ، وأن سهم سبيل الله يعطي للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة فهؤلاء لهم سهم من الزكاة فيعطونه ولو كانوا من الأغنياء .

وسبيل الله يشمل الاستعداد للحرب بشراء الأسلحة وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة ، ويشمل إعداد الدعاة إلى الاسلام في بلاد الكفر وتجهيزهم بوسائل النقل ووسائل الاعلام وغير ذلك .

ويمكن أن يقام بها مستشفيات أو مدارس في بلاد الكفر بغرض خدمة الدعوة إلى الاسلام .

ولكن لا يصح أن يبني بها في ديار الاسلام مستشفيات أو مدارس يستفيد منها الأغنياء أما إن كانت للفقراء خاصة فلا بأس ، وكذلك لا تبنى بها المساجد أو تشق بها الطرق .

لأن سبيل الله هو الجهاد فلا يقاس عليه ما ليس بمعناه ، ولكن يقاس عليه ما هو بمعناه ، وهو ابلاغ الدعوة إلى الكفار بأي وسيلة مناسبة .

٨ ـ ابن السبيل :

وهو المسافر الذي نفد ماله وأصبح في حاجة إلى مال ينفق منه حتى يصل إليه ماله أو يصل هو إلى بلده .

توزيع الزكاة :

اختلف الفقهاء في توزيع الزكاة على الاصناف الثمانية السابقة فالجمهور على أنه لا يجب توزيعها على الأصناف كلها وأنه يجوز توزيعها على جنس واحد ، وللمزكي أن يعطي بعض الجنس دون بعضه إذ المقصود من الزكاة هو سد الحاجة وهذا يقتضي تقديم أهل الحاجة على غيرهم .

من تحرم عليهم الزكاة :

الأصناف الآتية لا تستحق الزكاة ولا تحل لهم ولا يجزي صرفها اليهم :

١ ـ الكفرة والملاحدة .

٢ ـ آل البيت من بني هاشم وبني المطلب .

٣ ـ الآباء والابناء ويشمل الأجداد والأمهات والجدات وأبناء الأبناء والبنات .

٤ ـ الزوجة لأن نفقتها واجبة على الزوج .

هل يجوز إخراج الزكاة قبل موعدها ؟

لا تجب زكاة المال ، وعروض التجارة ، والماشية ، إلا إذا مضت سنة على ملك النصاب فيها ، وأما الثمار والزروع ، فتجب الزكاة في كل منها عند نضجها وحصادها ، سواء أتم ذلك في شهور ! أم في سنة أم أكثر وقد سبق الكلام عن ذلك .

والأنواع التي لا بد في وجوب الزكاة فيها من تمام الحول .

● هل يجوز لمالك النصاب أن يخرج زكاته الواجبة فيها قبل تمام السنة ؟

فمثلا لو كان آخر شهر ذي الحجة هو تمام السنة على مالك المدخر فهل يجوز لك أن تخرج زكاة هذا المال قبل آخر ذي الحجة ؟

قال الشافعي ، وأبو حنيفة ، وأحمد وبعض التابعين يجوز التعجيل بها قبل مجيء وقتها .

وذهب مالك ، وسفيان الثوري إلى عدم الجواز .

ولكل من الفريقين أدلته التي بني عليها رأيه وهي مذكورة في الكتب المطولة .

ويهمنا أن نضع امامك الرأيين وأنت بالخيار في الأخذ بأحدهما والأولى ألا تخرجها قبل موعدها الا لمصلحة مهمة تستدعي ذلك كأن يوجد محتاجون يصعب عليهم انتظار حلول موعد الزكاة .

هل يجوز إعطاء غير المسلم شيئا من الزكاة ؟

اجمع الأئمة على عدم جواز صرف شيء من الزكاة الواجبة ـ غير زكاة الفطر ـ

إلى غير المسلم ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بقصرها على فقراء المسلمين ، وذلك في حديثه لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن وقال له : (فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) رواه البخاري .

أما زكاة الفطر فقد أجاز أبو حنيفة وحده صرف شيء منها لغير المسلم بينما منع الباقون من الأئمة ذلك ، وأما صدقة التطوع وهي غير الواجبة فجمهور الأئمة يجيز توزيع بعضها على المحتاج غير المسلم ممن بيننا وبينهم صلة وعهد ، باعتبار أن برهم والاحسان اليهم لم يمنعنا الاسلام منه علما بأن دفعها للمسلم أفضل وأكثر ثوابا والأمر في ذلك يرجع إليك وإلى تقديرك للظروف حولك ..

وأهم شيء يجدر بك أن تراعيه هو حاجة أقاربك وجيرانك وأهل بلدك ومن لهم بك صلة ومن هم أشد حاجة من غيرهم .. وكلما كان من تعطيه الزكاة أصلح دينا أو أشد فقرا أو أقرب إليك فهو أفضل .

نقل الزكاة من بلد إلى بلد آخر

قال الأئمة جميعا إن الأصل في زكاة البلد أن تصرف لسد حاجة فقرائها أولا ثم فقراء البلاد المجاورة لهم .

ومنع جمهور الفقهاء نقلها إلى بلاد بعيدة عنك قدروا مسافة بعدها بنحو ثمانين كيلو مترا ! وهي ما يسمونها مسافة القصر أي التي يُقْصِرُ المسافر فيها الصلاة الرباعية ما دام في بلدك محتاجون إليها .

ولكن أجاز أبو حنيفة نقلها إلى أكثر من ذلك ما دام يوجد لك أقارب محتاجون في البلد البعيد أقرب من الموجودين لديك . أو مسلمون أشد حاجة ممن هم قريبون منك أو طالب علم أو مجاهد ونحو ذلك فانهم يُقَدَّمون على غيرهم فتصرف الزكاة لهم كلها أو اغلبها ، والأغلب أفضل حيث يتاح لك أن تصل معهم بعض من حولك في بلدك ممن ينتظرون منك العطاء .

وعلى هذا الرأي يجوز للمسلمين في أي مكان أن يصرفوا زكاتهم كلها أو بعضها للمرابطين على خط النار والمتضررين من آثار العدوان المحتاجين وإلى النازحين واللاجئين لتحسين أحوالهم وتوفير المأوى والطعام والكساء لهم وكذلك لأقاربهم المقيمين في بلاد بعيدة .

هل تجب في مال الصبي زكاة ؟

قال الأئمة ما عدا أبا حنيفة تجب الزكاة في مال الصبي وعلى وليه إخراجها منه ..

وقال أبو حنيفة : لا زكاة في مال الصبي ، ولا يجب على الولي شيء لأن الزكاة عبادة محضة كالصلاة وهي ليست واجبة على الصبي .

والاولى الأخذ بالرأي الأول .. إذ الزكاة (**حق معلوم . للسائل والمحروم**) (المعارج ٢٤ و ٢٥) وهذا الحق ثابت في المال .. ومن ثم يجب على من يتولى تدبير أمور الصبي بالنفقة وتنمية المال وتسديد ما عليه من ديون أن يتولى إخراج الزكاة كذلك .

والأمر في المجنون والسفيه والمحجور عليه كالأمر في الصبي ..

من مات وعليه زكاة

من مات وعليه زكاة وجبت في ماله وتقدم على الورثة ، والوصية . لقوله تعالى في المواريث (**من بعد وصية يوصى بها أو دين**) (النساء آية ١٢) والزكاة دين قائم لله تعالى .

وهذا رأي من عدا الحنفية . أما عند الحنفية فلا يجب إخراجها إلا إن أوصى بها المالك فتكون وصية وتخرج من الثلث .

التهرب من الزكاة

وبعض من لا دين عندهم يحاولون أن يفلتوا من الزكاة ويلجئون إلى حيل شتى ، ويظنون أنهم يتعاملون مع أفراد لا مع الله الذي يعلم ما في الصدور فيتهربون من إخراج الزكاة ، ولكن إذا تهربوا في الدنيا وضنوا بحق الله ، فأين يهربون من الله في الآخرة يوم لا ملجأ منه إلا إليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ..؟

هذا هو الضابط وهو الفرق بين ما يفرضه الله على عباده وما يفرضه العباد على العباد خارجا عن شرع الله .

الدعاء للمزكي

يستحب الدعاء للمزكي عند أخذ الزكاة منه لقوله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) (التوبة ١٠٣) ..

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بصدقة قال : (اللهم صَلِّ عليهم) وإن أبا أوفى أتاه بصدقة فقال (اللهم صَلِّ على آل أبي أوفى) رواه أحمد .

وروى النسائي عن وائل بن حجر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل بعث بناقة حسنة في الزكاة ، (اللهم بارك فيه وفي إبله) .

قال الامام الشافعي السنة للامام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول : أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت . وكذلك يسن للمستحق أن يدعو لمن يعطيه الزكاة ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ومن صنع معك معروفا فكافئه عليه فان لم تقدر فادع له .

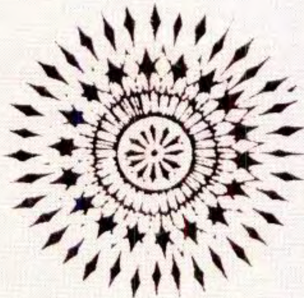
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية : **جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ .**
الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان : مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء : دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة - الكويت -

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٣٩ ذو القعدة ١٤٠٤ هـ / أغسطس ١٩٨٤ م

وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ
تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
المزّمّل - آية ٢٠

محمد مؤذن

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ رقم ٣٠

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة العشرون

العدد ٢٣٩ ذو القعدة / ١٤٠٤ هـ - أغسطس ١٩٨٤ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمـــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريـالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريـالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنـان	ليرة ونصف
ليبيـا	١٣٠ درهما
تونـس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدن العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

كلمة سمو الأمير

لمناسبة العشر الأواخر من رمضان

وجه سمو امير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح كلمة الى الشعب لمناسبة العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ، اذيعت في اذاعة وتلفزيون الكويت يوم ٢٥ منه ، وقد اكد سموه على الاخاء والمودة والتعاون بين الإخوة في العروبة والإسلام ، وأوضح أن حرب الخليج قد استغلها تجار السلاح والموت ، فاستنزفت جهوداً كان من الخير أن تظل مصوبة نحو تحرير فلسطين والقدس الشريف ، وذكّر سموه الشعب بحق الله تعالى عليهم وحق الوطن وحق الغد ، وأشار إلى الامتحان الاقتصادي العسير الذي تعرضت له الكويت ، ودعا إلى اليقظة والإخلاص والصبر على الوفاء بالمسؤولية ، ودعا الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور الذين يحملون مسؤولية القرار في إيران إلى وساطات الصلح المخلصة .

وفيما يلي نص كلمة سموه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه الى يوم الدين .

إخواني ،،،

أتحدث اليكم في هذه الايام المباركة ذاكرا فضل الله علينا أن أكرمنا بنعمة الاسلام ، ولغة القرآن وجعلنا أمة وسطا ، ورزقنا من الطيبات لنكون من الشاكرين .

ولقد كنا ، ولا زلنا ، نستطيع أن نعيش الاخاء والمودة مع جيراننا ..نبني



○ إن المسؤولية لا تقتصر على من هم في مناصب رسمية ، فكل مواطن مسؤول

الحياة ، ونساهم بنصيب اكبر في ركب العلم والتقدم ، ونتعاون مع إخوتنا في العروبة والاسلام وكل محب للخير .

ولكن جانبا كبيرا من نعمة الله قد تبدل حروبا استغلها تجار السلاح والموت . وأنتم ترون ما وصلت اليه حرب الخليج ، وكيف اتسعت مساحات الدم المتدفق من جراح الاسلام والعروبة ، واستنزفت جهودا كان من الخير ان تظل مصوبة نحو تحرير فلسطين والقدس الشريف .

ان مثل هذه الحروب اوفدتها اهداف امتدت تطلعاتها الى ما حولها ، واصطلت بنيرانها شعوب لم يكن امامها الا ان تدافع عن أرضها .

اخواني

إن هذا الاطار الدولي الذي نعيش فيه ، بكل مخاطره ، وان الامال التي تمتلىء بها نفوسنا سعيا الى الخير لنا ولغيرنا ، تدعونا في هذا المنعطف من حياتنا ، الى تأكيد أصول قام بها مجتمعنا ، وتسير عليها سياستنا ، فاذكروا دائما :

ان لربكم عليكم حقا .

○ الوحدة الوطنية ، والتعاون الخليجي ، والانتماء العربي ، وهدى الاسلام ، والسلام العالمي : دعائم خمس تقوم عليها حياة الكويت

وأن لوطنكم عليكم حقا
وأن لغدكم عليكم حقا

أما حق الله سبحانه : فقد عشتم الاسلام ، كما عاشته أجيال الآباء والاجداد ، إخاء وسماحة ومودة ، وحفظا لروابط الاسرة ، وحقوق الجيرة والعشيرة والوطن ، فاحفظوا للاسلام سماحته ،وا هتدوا بقول الله تعالى « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** » .

واذكروا حديث رسوله صلى الله عليه وسلم :

« ان الرفق لا يكون في أمر الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » وما نصحنا به في قوله « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » .

اخواني

وأما حق الوطن فهو مسؤوليتنا جميعا .

ان حب الكويت يسبق حب النفس والمال والولد في قلب كل كويتي ، نبتت بذرته وامتدت جذوره وفروعه في أرضها الطيبة .

ان الوحدة الوطنية ، والتعاون الخليجي والانتماء العربي ، وهدي الاسلام والسلام العالمي ، دعائم خمس تقوم عليها حياة الكويت الداعية الى الخير والدافعة للشر والعدوان .

لقد مرت الكويت في امتحان عسير استهدف اقتصادها وأمنها ، واستطاع أبناؤها بتوفيق من الله ، أن يكونوا على مستوى الأحداث في تماسكهم وحكمتهم وصلابتهم وحماية كويتهم .

أدعو نفسي وأدعوكم الى اليقظة والاخلاص والصبر على الوفاء بالمسؤولية .

إن المسؤولية لا تقتصر على من هم في مناصب رسمية ، فكل مواطن مسؤول .

إن حمل المسؤولية شرف ، وصيانتها أمانة ، وأداءها واجب ، والتفريط فيها خطيئة .

هذا هو الطريق الذي ينبغي أن نسلكه افرادا وجماعات ، كويتيين ومقيمين .

وإن دور الابوين والاسرة اساسي في غرس هذه القيم ، ورعايتها بالقدوة

الحسنة والتربية المستمرة ، فالنساء شقائق الرجال ، في الحق والواجب والعطاء ، الذي يعود خيره على الاسرة والمجتمع .

واذا كان التعاون والتنسيق بين افراد الشعب وبين الاجهزة المدنية والامنية والدفاعية مطلبا وطنيا في كل الاوقات ، فانه فريضة في الظروف الطارئة ، ذلك لأن سلامة الوطن لا تعلو الى مستواها اي قضية .

إن نعم الله وعطاءه اختبار للانسان : أيشكر أم يكفر . وحياة كثير منكم بين اقامة وسفر . وأنتم في سفركم ، تحملون الكويت في قلوبكم حبا ، وعلى لسانكم ذكرا ، فاختاروا لانفسهم واهليكم مواقع الخير ، واجتنبوا مواقع الذين ظلموا انفسهم ، واجعلوا اقوالكم وافعالكم صورة كريمة لوطن كريم .

اخواني

أما حق الغد ، فانه يجمع الماضي والحاضر ، فازرعوا أرض الحاضر ليحصد أبناء المستقبل ، وادخروا بعض ما أكرمكم الله به ، زادا لايام يداولها الله بين الناس .

إن ابناء اليوم وبناته هم آباء الغد وأمهاته ، فضعوا في أيديهم وسائل الحياة ، ايمانا وعلما وقوة .

إن أقلامهم اسلحة العلم ، وأن أسلحتهم أقلام النصر .

ان مسؤولية كبيرة في بناء الغد يحملها الجيل الجديد من علمائنا الذين أتابع بالتقدير جهودهم الدائبة في تكوين القاعدة العلمية ، والمساهمة في حل مشكلات المجتمع ، وفتح الطريق أمام الابداع ، في توازن بين الانتماء الوطني والاتصال بالفكر العالمي .

إن ثمار البحث العلمي غالية ، ولا تنالها الا العقول التي عاشت لها ، وبذلت لها العزيز من الوقت والجهد ، في صبر وتفرغ ونكران ذات ، مؤمنة أن ما ينفع الناس يمكث في الأرض .

اخواني

في هذه الايام ونحن بين صائم وقائم وراكع وساجد ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور الذين يحملون مسؤولية القرار في ايران الى وساطات الصلح المخلصة التي طرحتها مختلف الدول والمنظمات الاقليمية والعالمية .

وندعو الله أن يعيد الاخاء والسلام الى لبنان ، وأن يهب العرب والمسلمين مزيدا من التكاتف والقدرة على تنفيذ ما يتخذون من قرارات فيها صلاحهم ، فالتنفيذ حياة الارادة .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » .

وكل عام وأنتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

لبيك اللهم لبيك

العبادات منذ شرعها الله تلتقي عند غاية واحدة . عند عبادة الله وحده والاخلاص في طاعته والتوجه إليه والاستعانة به فهو رب النعمة التي لا تحصى ورب العزة التي لا تذل ورب كل شيء بيده ملكوت السموات والأرض ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . لهذا استقر في وجدان المسلم وضميره أن يحقق معنى العبودية لله فيما يؤديه من صلاة وصوم وزكاة وحج وأخلاق وسلوك كلها وإن اختلفت صورها وأزمنتها فهي استجابة لنداء الله وتلبية لدعوته وإقرار بربوبيته: « **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** » ١٦٢ ، ١٦٣ / الأنعام

ولما كان الحج من أقوى العبادات في إظهار معنى العبودية والاخلاص لله ناسب أن تكون التلبية عنوان الشروع فيه فهي إقرار من الانسان المخلوق بوحدانية الخالق المعبود تنطلق بهذه التلبية أصوات القوافل المؤمنة كلما رقوا عاليا أو هبطوا واديا أو نزلوا منزلا أو شرعوا في نسك . يجددون بها عهد الايمان مع الله معلنين أنه لا حمد إلا لله ولا نعمة إلا منه ولا ملك إلا له سبحانه لا شريك له . إن السماء تحيى من تركوا الأهل والديار والأولاد والتجارة والأعمال . بدافع من وجدانهم وحركة إيمانهم بعد أن كمل فيهم الشوق إلى الحج الأكبر وشدهم الحنين إلى وقفة الضراعة وإلى مشاهدة منابت الذكرى ومهابط الوحي ومولد الرسالة .

بصدق الايمان وفيض الشوق جاءوا من كل صوب بثيابهم البيض يحدوهم الأمل في عفو الله ورضاه انطلقوا إلى أرض النور بقلوب عامرة وشفاه ذاكرة .

زحفهم صلاة وهتافهم تلبية ونداؤهم عبادة وسفرهم هجرة إلى الله . ولعل في هذا المشهد الايماني أكثر من درس ينبه القلوب الغافلة عن ذكر الله ويحرك المشاعر اللاهية بالأموال والتجارة عسى أن يستمع هؤلاء إلى قول الحق سبحانه:« **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** » الآية ٩/ المنافقون

عسى أن يتحرروا من سلطان المادة وهم يعلمون أن المال مال الله وأن ما ينفق في سبيله تكفل بمضاعفته:« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » ولعل القادرين المتكاسلين يستجيبون لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**تعجلوا إلى الحج فان أحدكم لا يدري ما يعرض له**) ولعل هؤلاء الذين يشدون الرحال إلى مصيف اتقاء الحر يشدون رحالهم إلى الحج ليتقوا به نار الآخرة .

أما من عزم على حج بيت الله ولبى دعوته فهو في ضيافة الله يحرسه ويرعاه في حله وترحاله إن خرج مهاجرا إلى الله وقد خفف عن نفسه أثقال الذنوب وتخلص من حقوق الله وحقوق الناس وكان حريصا على أن يكون حجه خاليا من الرياء والمفاخرة فقد حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة ثم دعا ربه فقال:(**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**) .

هذا ومن علامات القبول أن تكون نفقات الحج من مال طيب خالص من كل ريبة وشبهة فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز**) ـ أي الركاب ـ فنادى لبيك ناداه مناد من السماء **لبيك وسعديك** زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور . **وإذا خرج بالنفقة الخبيثة** فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء **لا لبيك ولا سعديك** زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور) ـ رواه الطبراني في الأوسط .

وليعلم من خرج من بيته مهاجرا إلى الله وانتظم في موكب الايمان . أن الحج نوع من الجهاد بالنفس والمال . فلا تضيق يده في مواطن البذل والعطاء ولا ينقبض صدره بمشقات السفر إن صادفته ولا يغضب إن فقد الراحة في حله وترحاله بل يحرص على آداب الحج قدر استطاعته ذاكرا قول الله تعالى (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله** ..) الآية ١٩٧ ـ البقرة .

إن رحلة الحج من غير شك فرصة العمر وفرحة الحياة فما ينبغي لضيوف الرحمن أن يقضوا أيامها في نوم أو سمر أو متاع مادي ولا يجوز لهم أن يغفلوا عن المعاني المستوحاة من الحج فكل المناسك توحى مشاهدتها بالعظة والاعتبار توحي باستحضار ذكريات من عهد أبي الأنبياء خلدها التاريخ وباركها الاسلام بل على حجاج بيت الله إن عاينوا مكة أن يذكروا أنها أحب البلاد إلى الله ، فيها ولد محمد عبد الله ومصطفاه وفيها شرفة الله بأعظم رسالة في الوجود وإليها عاد بعد الهجرة بفتح مبين .. وفي طوافهم يذكرون أن هذا البيت أول بيت وضع للناس وأنه بيت الرجاء والأمل في رحابه الطهر والتقى ومن دخله كان آمنا بيت رفع قواعده إبراهيم وعاونه إسماعيل عليهما السلام وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وإذا سعوا بين الصفا والمروة عليهم أن يستحضروا مشهد الايمان وأن يستشعروا معنى الحب والتضحية في موقف هاجر الباحثة عن ماء تروى غلة طفلها الرضيع وقد أخذت تهرول في صعود وانحدار بين الصفا والمروة وقلبها يعصره الألم وهي تسمع أنين ولدها وقد جف ريقه وترى شبح الموت يقترب منه وبعد الحيرة والاضطراب تسلم أمرها لله فأدركتها رحمته وجاءها الفرج بعد الكرب والمعاناة وفجر لها زمزم سلسلا عذبا ونبعا دافقا من عهد إبراهيم عليه السلام إلى أن يقوم الناس لرب العالمين باستحضار هذا المشهد تقوى صلة المؤمن بالله الذي يجيب المضطر إذا دعاه فيعيش دائما في معيته لا يرجو الخير إلا منه ولا يلوذ إلا به فصدق الله العظيم :

(وإ[illegible] ك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضـ[illegible] ن يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) ١٠٧ سورة يونس .

أما مشهد الوقوف بعرفة فانه يمثل أعظم صورة من صور الايمان ، فيه يشهد الوجود أن الاسلام دين التضامن والألفة ودين الحياة ، فيه يسمع الزمن الاقرار الجماعي بوحدانية الخالق والحاجة إلى فضله ورحمته ، فيه تتردد أصوات صاعدة إلى السماء بشتى اللغات واللهجات تنطلق من أصحاب الأردية البيضاء بأفصح لسان وأحلى بيان . جاءت هذه الجموع المؤمنة تعلن ذلها وفقرها وتلوذ بحمى ربهافارة من ذنوبها وخطاياها .

في هذا الموكب الالهي تتجلى الوحدة بأكمل صورها وتتجسد المساواة بأجمل معانيها لا ينبغي أن يمر الحجاج على جبل النور دون وقفة متأنية وهم ينظرون إلى سطحه مرة وإلى قمته مرة ليستعيدوا في خواطرهم صعود النبي الاكرم على صحرائه الوعرة فارا من ضلال الشرك وطغيان الجاهلية ليخلو في الغار إلى ربه بفكره وتأملاته طالبا هداية السماء لهذه الانسانية المعذبة

والبشرية الضالة اليائسة .
وفي غار حراء تتصل الأرض بالسماء ويضم جبريل الأمين رسول الله ومصطفاه قائلا:(**إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق** ..) كم في حرم الله من مشاهد تملك المشاعر وتملأ القلوب بروعة الايمان وجلالة .. وإذا سرت يا أخي الحاج إلى المدينة المنورة قد شدك الشوق لزيارة سيد الخلق فأكثر من الصلاة عليه في أدب وخشوع واستحضر أنك في مهبط الوحي ومنبع الطهر ومنزل القرآن اذكر أنه في تلك الرحاب تفجر الايمان ومنها انطلقت الدعوة إلى جميع آفاق الدنيا تهدي الناس من حيرة وتنقذهم من ضلال .

وإذا لامست قدماك أرض المدينة اذكر أنها تشرفت بخطوات رسول الله وشهدت جهاد أصحابه معه وقد عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأنت تزور شهداء بدر وأحد اذكر شهداء الاسلام على أرض الاسراء اذكر مقاومة الأبطال في لبنان وأفغانستان وغيرهما من بلاد المسلمين واطلب النصر لدين الله وإعلاء كلمته .

مما لا شك فيه أن الظروف القاسية التي تمر بها أمتنا المسلمة تفرض على حجاج بيت الله الحرام أن يتخذوا من موسم الحج فرصة يعرضون فيها قضية الاسلام ويتدارسون فيما بينهم مصير أمة تواجه تخطيطا حاقدا من خصوم الاسلام وتآمرا خفيا وسافرا من الشرق والغرب على السواء . وأنه لا خلاص من هذا الخطر إلا بوحدة الصف وجمع الشمل والعودة إلى الاسلام من جديد .

نعم كم في الحج من مشاهد تثير في النفوس الأبية التحرك والانفعال فإذا رأى الحجاج والعمار المسجد الحرام تذكروا المسجد الأقصى وما صار إليه من ذل وما يعانيه من بشاعة الاحتلال وهذا يوحي بالسعي والجهاد من أجل تحريره وفك إساره . وإذا رأوا الخيام المنصوبة في منى وفي عرفات تذكروا خيام اللاجئين وهي تضم أمًّا ثكلى وأختا مشردة وشيخا يستجمع بقايا نفسه وطفلا مضيعا . وليعلموا أن قيام هذه الخيام في الأرض المحتلة يسجل وصمة العار على كل مسلم ومسلمة مهما بعد موطنه أو ثقلت مطالبه . على حجاج بيت الله أن ينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم إذا لم ينفروا خفافا وثقالا لاسترداد ما سلب من كرامات وأرض ومقدسات: **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)**.

رئيس التحرير
حسن مناع

البواكير الأولى

يقـول ابن خلدون : « اعلم أن أصـــول الفقــه من أعظم العلــوم الشرعية ، وأجلّها قدرا ، وأكثـرها فائدة ، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام » ثم يقول : « واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة ، وكـان السلف في غُنية عنه ، لما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية ، وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصا فمنهم أخذ معظمها .. فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلهـا صنـاعـة احتـاج الفقهـاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقـواعد لاستفـادة الأحكـام من الأدلة ، فكتبوها فنا قائما برأسه ، سموه أصول الفقه ».

وقد اختلف الناس في أول من كتب أصول الفقه ودونه ، فيرى بعضهم أن الامام أبا يوسف الحنفي أول من جمع قواعد أصول الفقه .

ويرى آخرون أن أول من دون أصول الفقه الامام محمد الباقر ، ويرى الأكثر أن الامام الشافعي هو

لعلم أصول الفقه

للدكتور/ محمد الزحيلي

أول من وضع علم الأصول ودونه ، وهو المشهور بين العلماء .

البذور الأولى لأصول الفقه :

والحقيقة أن البذور الأولى لعلم أصول الفقه جاءت في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى باللغة العربية ، فقال تعالى : « **إنا أنزلناه قرآنا عربيا** » يوسف/٢ ، وقال تعالى : « **بلسان عربي مبين** » الشعراء/ ١٩٥ ، وقال عز وجل : « **كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** » فصلت/ ٣ ، وقد نزل القرآن الكريم على الرسول العربي الهاشمي ، وعلى أمة عربية فصيحة اللغة واللسان ، فعرفوا مقاصده ، وفهموا مراميه ، وأدركوا روحه ومغزاه ، وأخذوا أحكام الله تعالى منه بمقتضى الصيغة العربية ، والأسلوب العربي ، واستعمال الألفاظ في معناها العربي من حيث الحقيقة والمجاز ، والعام والخاص ، والمنطوق والمفهوم ، والمشترك والمطلق والمقيد ، ومعاني الحروف وتعدد استعمالاتها بحسب السياق والقرائن ، وهذا يغطي جانبا مهما في علم أصول الفقه .

كما وجدت بذور أصول الفقه في السنة النبوية الشريفة ، سواء في بيان القرآن الكريم وتفسيره وتطبيقه نظريا وعمليا أم فيما وضحه الرسول الكريم من مناهج الاستدلال والاستنباط والاجتهاد لمعرفة الاحكام الشرعية مما تلقاه عن ربه وعلمه لأصحابه ثم أمرهم بالاجتهاد وعيّنهم على القضاء ، وسلمهم الولايات والامارات ، وأرشدهم إلى أقوم السبل في ذلك ، فكان القرآن الكريم مصدرهم الأول ، وجاءت السنة مبينة للقرآن الكريم ، وفي الدرجة الثانية بعده ، وكانت مجموعة الأحكام الشرعية في القرآن والسنة هي المادة الرئيسية للفقه في معرفة أحكام الله تعالى ، وتشتمل في جوهرها على الأسس العامة ، والقواعد الكلية ، والمبادىء الأصولية التي ترسم منهج الله للناس .

ولازم الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال البعثة ، ورشفوا من نوره ، وعاصروا نزول القرآن الكريم ، وعرفوا حكمة التشريع ، واطلعوا على أسرار الشريعة ، وعرفوا قسطا وفيرا من تفسير القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأدركوا أسباب نزول الآيات ، وأسباب ورود الأحاديث ، ويضاف إلى ذلك الفطرة السليمة والذهن الصافي ، والفكر المستقيم ، وفصاحة اللسان الذي نزل به القرآن ، وفوق كل ذلك فقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد » رواه الستة والشافعي وأحمد ودربهم على الحكم والقضاء ومواجهة القضايا والمشاكل ، فعن عبد الله بن عمرو أن رجلين اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمرو : اقض بينهما ، فقال عمرو : أقضي بينهما ، وأنت حاضر يا رسول الله ؟ قال :«نعم ، على أنك إن أصبت فلك عشرة أجور ، وإن إجتهدت فأخطأت فلك أجر » رواه أحمد والحاكم ، وأرسل صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب قضاة إلى اليمن ، وعين عتاب بن أسيد قاضيا وواليا على مكة ، واختبر معاذا فقال له : « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بكتاب الله تعالى ، قال فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أجتهد رأيي ، ولا آلو ، أي أقصر ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ، وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله » رواه حمد والدارقطني وأبو داود والترمذي والطبراني .

وهذه القصة تظهر السليقة السليمة في ترتيب المصادر عند الرجوع إليها ، فيقدم القرآن الكريم ، ثم السنة ، ثم الاجتهاد ، وهذا ما قعَّدَ علم أصول الفقه فيما بعد ، وقد اكتسب الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تجربة حية ، وملكة ناصعة ، ساروا عليها بعد وفاته

عليه الصلاة والسلام ، وقد وردت آثار كثيرة عنهم تؤكد سلامة الفطرة في الاستنباط ، وصفاء الخاطر في معرفة مقاصد الشريعة ، وحدة الذهن في إدراك الأهداف والغايات ، ووضوح المنهج في الاجتهاد واستنباط الأحكام فيما لم يرد فيه نص ، فمن ذلك رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ، وفيها : « الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، فاعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق » وهذا يفيد ترتيب المصادر من جهة ، وأنه لا اجتهاد في مورد النص ، والبحث عن العلة لقياس أمر على آخر يشترك معه فيها ، وهو ما أرساه علماء الأصول في كتبهم ، ومن ذلك كتاب عمر إلى قاضية شريح ، ومنها اجتهاد علي كرم الله وجهه في عقوبة شارب الخمر ، وأنها ثمانون جلدة ، قياسا على عقوبة القذف ، وقال : « إنه إذا شرب هذى ، وإذا هذى افترى ، وحد المفتري ثمانون جلدة » معتمدا على مبدأ أصولي ، وهو « سد الذرائع » وأن شرب الخمر وسيلة وذريعة إلى القذف ، فأعطا نفس الحكم الثابت في القرآن الكريم للقاذف ، وهو ما أخذ به جماهير الفقهاء خلافا للشافعية ، وهذا ما تقرره القوانين الجنائية في حكم الشروع وعقوبته ، ولما اختلف الصحابة في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها لوجود آيتين في شأنها قال عبد الله بن مسعود بأن عدتها تنتهي بوضع الحمل ، واستند لتأييد رأيه بقوله : « أشهد أن سورة النساء الصغرى : « الطلاق » نزلت بعد سورة النساء الكبرى « البقرة » ، أي أن النص المتأخر ينسخ النص المتقدم ، أو يخصصه ، وهو مبدأ أصولي مسلّم به ، وأخذ بقول ابن مسعود أكثر الصحابة وجماهير الفقهاء .

وسار الأمر على هذا المنوال تقريبا في زمن التابعيين الذين نهجوا طريق الصحابة ، وتتبعوا خطاهم ، وتتلمذوا على أيديهم ، وتبلورت في زمانهم بعض المبادىء الأصولية الجديدة ، فكان سعيد بن المسيب يراعي المصلحة في الاستنباط عند فقد النص ، بينما كان ابراهيم النخعي يعتمد على القياس ، فيستخرج العلة في المسألةالتي ورد فيها نص ، ويطبقها على الفروع ، وينقل حكم النص إلى حكم الفروع .

وبدأ الأمر يتغير شيئا فشيئا ، وانتقلت الفتوحات خارج الجزيرة العربية ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وانخرط غير العرب في سلك الدعوة الاسلامية ، واختلط العرب بغيرهم ، وضعفت اللغة العربية في ربوع الدولة الاسلامية ، وتسربت العجمة إلى مجالس العلم والعلماء ، ولم ينحصر العلم باللغة العربية ، ولم تبق الفصحى لغة التخاطب والكتابة ، وبرز من غير العرب أئمة وعلماء ، ولم يعد الاجتهاد ميسورا وسهلا كما كان في زمن الصحابة والتابعين ، واستجدت قضايا ومشاكل ونظريات وحركة عمرانية وثقافات مختلفة ،

وتفتح العقل على أمور لم يرد عليها نص في القرآن الكريم ولا في السنة الشريفة ، ولا في آثار الصحابة والتابعين ، فاتسع الاجتهاد ، وفتح الباب على مصراعيه ، وأدلى كل عالم بدلوه ، وقام بواجبه في استنباط الأحكام الشرعية لكل جديد ، وظهرت الفرق المختلفة ، وتأثر كل فريق من العلماء بما وصل إليه من تراث السلف رواية ودراية ، وبرز إلى الوجود أئمة أعلام ، يتميزون بالكفاءات العلمية ، والملكات الفردية ، وأدى كل ذلك إلى الاختلاف الواسع في الاجتهاد ، وتميزت مناهج العلماء والأئمة واصطبغت الأحكام بالصبغة العلمية بذكر الأدلة والحجج والعلل والأصول العامة ، وبرزت للوجود مدرسة الحديث في مكة والمدينة ، ومدرسة الرأي في الكوفة والبصرة ، وبدأ النقاش العلمي بين المدرستين ، وظهر الجدل بينهما ، فشعر العلماء حينئذ بالحاجة الماسة لوجود ضوابط في الاستنباط يعتمدون عليها ، ومنهاج للتفكير يبنون عليه وشروط للاجتهاد والاستدلال ، وقواعد لأساليب البيان العربي الذي وردت النصوص به ، كما سبق في كلام ابن خلدون ، فجادت قرائح الأئمة والعلماء بمجموعة من ضوابط الاستنباط وشروط الاجتهاد ، وقواعد البيان والفهم والاستدلال ، ومنهاج للتفكير ، وهي في مجموعها براعم أصول الفقه .

وصار كل مجتهد يشير إلى دليل الحكم ، ومنهج الاجتهاد ، ويحتج على مخالفه بوجوه من الحجج ، فكان الامام أبو حنيفة رحمه الله يصرح باعتماده على الكتاب فالسنة ففتاوى الصحابة إذا أجمعوا ، فإن اختلفوا تخير من آرائهم ، ولا يخرج عنهم ، ولا يأخذ برأي التابعين ، لأنهم رجال مثله ، ويقرر منهجه في القياس والاستحسان ، فكان أصحابه ينازعونه بالقياس ، فإذا قال : أستحسن ، لم يلحق به أحد .

وكان الامام مالك يتبع منهجا أصوليا واضحا باعتماده على الكتاب والسنة ، واحتجاجه بعمل أهل المدينة ، وتقديمه على خبر الآحاد .

ولكن هذه المبادىء ، وتلك القواعد كانت متناثرة هنا وهناك ، وتختلف من عالم إلى آخر ، ومن مدرسة إلى أخرى ، ولا ينتظمها مسلك ، ولا يحوطها سور ، ولا تشكل علما مستقلا ، إلى أن جاء الامام الشافعي فجمع شتاته ، ودون قواعده وأحكامه ، وصنف أول كتاب في علم أصول الفقه ، وهو « الرسالة » .

الشافعي وتدوين الاصول :

الشافعي هو محمد بن إدريس ، أبو عبد الله المطلبي القرشي ، يلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولد سنة ١٥٠ هـ بغزة ، ثم انتقلت به أمه إلى مكة ، وتوفي في فسطاط مصر سنة ٢٠٤ هـ ، وقد تميزت حياة الامام الشافعي بعدة أمور جعلته مؤهلا لكتابة علم أصول الفقه وتدوينه ، وهي :

١ - نشأ الامام الشافعي بمكة

المكرمة ، وترعرع بجوار الكعبة المشرفة ، وحفظ القرآن الكريم ، وهو ابن سبع سنين ، وأخذ تفسير القرآن عن علماء مكة الذين ورثوه عن ترجمان القرآن ومفسره : عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وقد اشتهرت مكة بهذا ، وكانت مجمع العلماء من جميع الأقاليم ، فأخذ الامام الشافعي الفقه والعلوم الشرعية من جلّة علمائها ، وأذنوا له بالإفتاء ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، قال له شيخه مسلم بن خالد الزنجي أحد علماء مكة : إفت يا أبا عبد الله ، فقدر - والله - آن لك أن تفتي ، فجمع في مكة بين حفظ القرآن وتفسيره وعلومه وبين الفقه والأحكام .

٢ - رحل الامام الشافعي إلى المدينة المنورة ، وقصد الامام مالكا ، وأخذ عنه « الموطأ » مشافهة ، بعد أن حفظه في مكة ، وهو ابن عشر سنين ، ولازم الامام مالكا تسع سنوات متقطعة ، وكان يتفقه عليه ، ويدارسه في كل مسألة يستفتى فيها ، واتصل بجميع علماء المدينة ، وأخذ عنهم السنة وما أخرجته من علم ، وأتقن علوم الحديث ، ثم دافع عن السنة وبين مكانتها من القرآن الكريم ، وفي التشريع والأحكام ، ورد شبه المنحرفين عنها ، حتى لقب بناصر السنة ، أو ناصر الحديث .

٣ - خرج الامام الشافعي من مكة إلى البادية ، ولزم هذيلا ، وهي من أشهر القبائل العربية التي أعرقت في الشعر ، فتعلم كلامها ؛ وأخذ اللغة عنها ، وكانت أفصح العرب ، فاستفاد منها - مع كونه عربيا وقرشيا - المعرفة الواسعة باللغة والشعر ، حتى أصبح الامام الشافعي حجة في اللغة ، ونقل عنه الأصمعي شعر الهذليين كاملا ، واكتسب الشافعي فصاحة اللسان ، وجودة النطق ، وأخذ العربية من ينابيعها ، وفهم أسرارها ، وأدرك مرامي ألفاظها وعباراتها وأسلوبها ، فساعده ذلك على تفهم القرآن والسنة ، وأفاده قوة في التعبير ، ورصانة في الأسلوب ، يقول الجاحظ : « نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم أر أحسن من المطلبي ، لسانه ينثر الدر » .

٤ - سافر الامام الشافعي إلى العراق في سبيل طلب العلم ، وأخذ عن الامام محمد بن الحسن فقه العراقيين ، وقال : « ما أحد في الرأي إلا وهو عيال على أهل العراق » وقال : « الناس عيال على أهل العراق في الفقه » وكان سابقا قد أخذ الحديث والتفسير عن علماء مكة والمدينة ، فجمع بين علم الحجاز وعلم العراق ، وكان فقهه يجمع بين علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث ، ويجمع بين علم العقل وعلم النقل ، واطلع على مناهج الجميع في الاستدلال والاستنباط ، ثم اتخذ مذهبا مغايرا لهم ، بين الجمع والترجيح والاجتهاد الشخصي فأصبح نسيج وحده .

قال ابن حجر : انتهت رياسة الفقه بالمدينة إلى مالك بن أنس ، فرحل إليه ولازمه وأخذ عنه ، وانتهت رياسة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة ، فأخذ

عن صاحبه محمد بن الحسن حملا ليس فيه شيء إلا وقد سمعه عليه ، فاجتمع علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث ، فتصرف في ذلك حتى أَصَّل الأصول ، وَقَعَّدَ القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره ، وعلا ذكره ، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار » .

٥ ـ درس الامام الشافعي علم الجدل والمناظرة والمنطق ، وأصبح مناظرا من الطراز الأول ، فيجادل أهل العراق لالمامه بالقرآن والسنة وبلاغتهما ، وأساليب البيان والتبيين فيهما ، ويناظر أهل الحجاز لإدراكه الحكم الشرعية والعلل القياسية ، ولم يناظر أحدا إلا وظهر عليه ، وكان يستفيد من موسم الحج أثناء إقامته في مكة وقدومه عليها ، ليجتمع مع كبار العلماء المسلمين في العقيدة والحديث ، والفقه واللغة ، والتفسير وغيره ، فيأخذ منهم ، ويأخذون منه ، ويجادلهم ويناظرهم ، فاجتمع فيه رجاحة العقل ، وسعة الاطلاع ، وفصاحة اللسان ، وقوة البيان ، ورصانة الأسلوب ، وصدق فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قدموا قريشا ولا تقدموها ، وتعلموا منها ، ولا تعالموها » رواه الطبراني والبيهقي والديلمي .

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله : « الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء : في اللغة ، واختلاف الناس والمعاني والفقه » .

٦ ـ وأخيرا يضاف إلى ما تقدم إقبال الشافعي على العبادة ، والزهد في الدنيا ، ومراقبة الله تعالى ، والتقوى والورع ، وصدق النية ، وإخلاص العمل لله تعالى ، فاتقى الله في أعماله ، ففتح الله عليه كنوز المعرفة والعلم ، تطبيقا لقوله تعالى : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/ ٢٨٢ ، وقال له الامام مالك : « يا فتى إني أرى الله قد ملأ قلبك نورا ، فلا تطفئه بظلمة المعصية » ، وأنشد ذلك الامام الشافعي في حوار مع شيخه وكيع بن الجراح ، فقال :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور
ونور الله لا يهدي لعاصي

هذه الصفات والخصائص ، التي امتاز بها الامام الشافعي رحمه الله ، مع ما فطره الله تعالى من رجاحة العقل ، وقوة الحفظ ، وجودة الذاكرة ، وصفاء القريحة ، وشدة الذكاء ، جعلته مؤهلا لكتابة علم أصول الفقه ، وتدوين قواعده ، ووضع ضوابط الاجتهاد ، فأصّل الأصول ، وَقَعَّدَ القواعد ، ليعصم أهل الاجتهاد والخلاف والمناظرة من الخطأ والانحراف في الاستنباط ، ويضع بين أيديهم الموازين لبيان الخطأ من الصواب ، ويحدد مناهج الاجتهاد ، ويحصر مصادر التشريع ، فكان بحق أول من وضع علم أصول الفقه .

قال ابن خلدون : « وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله عنه ، فأملى فيه رسالته المشهورة ، تكلم فيها في الأوامر والنواهي ، والبيان

والخبر ، والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس » .

وقال الرازي : « اعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض » .

وقال أبو ثور : « لولا أن الله تعالى مَنَّ عليَّ بالشافعي للقيت الله تعالى وأنا ضال ، ولما قدم علينا ودخلنا عليه كان يقول : إن الله تعالى قد يذكر العام ، ويريد به الخاص ، وقد يذكر الخاص ، ويريد به العام ، وكنا لا نعرف هذه الأشياء فسألناه عنها .. فعلمنا أن كلامه ليس على نهج كلام غيره »

وقال الامام أحمد بن حنبل : « ما كنت أعرف قبل الشافعي ناسخا ولا منسوخا » .

وأما ما يذكره ابن النديم في « الفهرست » أن أول من دون علم أصول الفقه في سفر مستقل هو الامام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، فليس له دليل علمي ، وإنما أثبتت الأدلة التاريخية والواقعية عكسه ، وإن أراد وجود ضوابط ومبادىء ومناهج أصولية في مذهب الامام أبي حنيفة وفي كلام أبي يوسف ، فهذا لا يخالفه فيه أحد ، فإن الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم ينطلقوا في اجتهادهم عن هوى ، فحيث يكون الفقه يكون حتما منهاج للاستنباط ، (ونفس هذا الجواب يقال عن إدعاء الشيعة الإمامية أن أول من وضع أصول الفقه الامام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق ، وأنهما أمليا على أصحابهما قواعده) ، والواقع أن عبارة ابن النديم لا تدل على المعنى الذي ينقله عنه بعض علما الأصول ، وأنها لا توحي بأن للصاحبين أبي يوسف ومحمد كتابا في أصول الفقه ، وإنما يعدد عند ترجمة الامام أبي يوسف والامام محمد الكتب فيقول : « ولأبي يوسف من الكتب في الأصول والأمالي : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة .. ، ويقول : ولمحمد من الكتب في الأصول : « كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب المناسك » ، وبذلك يترجح أن الشافعي رحمه الله تعالى هو أول من كتب في أصول الفقه ، وجمعه ودونه ، وهو المشهور بين العلماء والمؤرخين .

كتب الامام الشافعي في الأصول :

صنف الامام الشافعي عدة كتب في الأصول ، وهي :

١ ـ الرسالة : وهي أكبر الكتب وأهمها وأشهرها ، وقد كتب الامام الشافعي رحمه الله فصول الرسالة في مكة المكرمة بعد تجواله في الأقطار ، وعندما قدم بغداد في المرة الثانية طلب منه الفقيه الحافظ عبد الرحمن بن مهدي أن يضع كتابا في معاني القرآن والسنة والناسخ والمنسوخ وحجية الاجماع ، فأجابه الشافعي لذلك ، وكتب له الرسالة ولما استقر في مصر أعادها وأملاها على الربيع بن سليمان ، وجعلها مقدمة لكتابه « الأم » وهي النسخة التي وصلتنا والحمد لله ، وطبعت أكثر من مرة ، وأحسن طبعاتها هي التي حققها وعلق

عليها المرحوم أحمد محمد شاكر بالقاهرة .

وتتضمن « الرسالة » مباحث البيان وأنواعه ، ومباحث الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وأسهب الكلام عن حجية السنة ، ثم تكلم عن الناسخ والمنسوخ ، وتعرض لرد الاستدلال بالاستحسان ..

وكانت الرسالة المحجة للمخالفين ، والموئل للمتنازعين ، فوحدت شملهم ، وخففت من أثر الخلاف بينهم ، وسار كثير منهم على نهج « الرسالة » ، وكان مذهب الشافعي مسايرا لما جاء فيها .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لما نظرت « الرسالة » للشافعي أذهلتني ، لأنني رأيت كلام رجل فصيح ناصح ، فإني لأكثر الدعاء له .

٢ ـ جماع العلم : وقد أفرده الشافعي لاثبات حجية خبر الآحاد ، ووجوب العمل به ، والرد على من أنكره .

٣ ـ إبطال الاستحسان : الذي بين فيه الامام الشافعي معنى الاستحسان ، ورد حجيته ، لأنه احتكام للعقل والهوى والشهوة ، وقال : « من استحسن فقد شرع » وفند أدلة القائلين به .

٤ ـ اختلاف الحديث : الذي وضعه للجمع بين الأحاديث التي يبدو عليها التعارض ، وهو أول كتاب من نوعه في هذا الموضوع .

٥ ـ أحكام القرآن الذي جمعه البيهقي من أقوال الامام الشافعي عن بيان القرآن وكيفية استنباط الأحكام منه .

الكتب الأولى في الأصول :

وكانت هذه الكتب وخاصة « الرسالة » المنارة الباسقة لدعوة العلماء للتأليف والكتابة ، فشمر العلماء والأئمة عن ساعد الجد ، وحرروا المصنفات ، وأكملوا البناء الذي أرسى أساسه الإمام الشافعي ، وزادوا عليه بما يتفق مع المذاهب والآراء ، وتعددت طرق التأليف ، وظهر عند الشافعية البرهان لإمام الحرمين ، والمستصفى للغزالي ، وعند المعتزلة كتاب العهد لعبد الجبار ، والمعتمد لأبي الحسين البصري ، وعند الحنفية أصول الكرخي ، وتقويم الأدلة وتأسيس النظر للدبوسي ، وأصول الجصاص ، ثم تعددت الكتب والمؤلفات مستفيدة من هذه الكتب الأولى ، ومقتبسة منها ، وبعضها يجمع بينها ، وبعضها يتوسع بالشرح والاستدلال حتى أصبحت المكتبة الأصولية زاخرة بالمجلدات العظيمة التي وصل إلينا معظمها ، وقد يسر الله تعالى طباعة عدد منها للاستفادة من تراث السلف ، والسير على خطاهم لنلحق بهم إن شاء الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .



علم أسباب النزول وأهمّيته في تفسير القرآن

الدكتور/ نور الدين عتر

هذا العلم هام واساسي في دراسة القرآن الكريم ، واثير لدى الباحثين في علوم القرآن عامة ، وفي التفسير خاصة ، لما في ذلك من الصلة الوثيقة بين السبب والمسبب ، حتى قد صدر الامام الزركشي بهذا البحث كتابه « البرهان في علوم القرآن » .

ويقارب هذه المنزلة لعلم أسباب النزول ما يعنى به الأدباء ، ويصدرون به شرحهم الأدبي لقصيدة أو نص أدبي من بيان « مناسبة القصيدة » «و « النص » كما جرى عليه اصطلاحهم .

غير أن علماء التفسير وعلوم القرآن كانوا أعظم دقة وأكثر توفيقا في استعمال كلمة « سبب » موضع كلمة « مناسبة » . وذلك لسببين أساسيين :

● السبب الأول : الدلالة على قوة العلاقة بين النص والأمر الذي نزل القرآن لأجله ، ولا شك أن كلمة « سبب » أقوى في إفادة ذلك من كلمة « مناسبة » ، فضلا عن أن كلمة مناسبة قد تطلق على أي ربط بين الشيء وغيره ، ولذلك استعملها المفسرون بمعنى الارتباط بين أجزاء النص ، وكذا الارتباط بين النص وما قبله ، فكانوا أدق في حسن اختيارها للمعنى الذي قصدوه .

● السبب الثاني : دقة المفسرين وعلماء البحوث القرآنية في تعريف سبب النزول تعريفا علميا ، لا نجد الأدباء عمدوا لمثله بالنسبة لمصطلحهم في « المناسبة » .

ونختار في تعريف سبب النزول هذه العبارة :

سبب النزول هو : ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه .

وهذا الشرط « أيام وقوعه » شرط هام جوهري في معرفة سبب النزول ، وصيانة الدارس أن يخلط بين سبب النزول وبين موضوعات الآيات التي نزلت تتحدث عن أخبار الوقائع الماضية ، مثل أخبار الأنبياء السابقين كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وما وقع لهم مع أقوامهم ، وغير ذلك من أنباء الأمم السابقة ، فكل تلك الوقائع ليست من أسباب النزول ، لأنها لم تقع أيام نزول القرآن .

وتطبيقا لذلك ناقشنا الروايات في قوله تعالى : « **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاخائفين** » **البقرة/ ١٤٤** .

أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : «هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة .. »

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ومجاهد أنهم النصارى ، قال مجاهد كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يصلوا فيه .

فقررنا على الرواية الأولى بأن الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم المشركون أنه يصلح أن يكون صدهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة عن دخول مكة للعمرة سببا لنزول الآية ، لأن ذلك كان في أيام نزول الآية الكريمة .

أما الرواية الثانية أنهم النصارى ، فلا يصلح أن يكون منعهم الناس عن الصلاة في بيت المقدس سببا لنزول الآية الكريمة لأن ذلك اخبار عن واقع في الماضي البعيد لم تنزل الآية أيام وقوعه .

ومراعاة لهذا الشرط في سبب النزول بأن يكون نزول الآية أو الآيات أيام وقوعه

انتقد العلماء الامام الواحدي لما ذكر في تفسيره لسورة الفيل أن سبب نزولها قصة قدوم الحبشة به معهم حين جاءوا لهدم الكعبة المشرفة ، فأهلكهم الله تعالى ، كما قال : « **وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول** » الفيل من ٣ ـ ٥ . فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء ، لأنه ليس في أيام نزول السورة الكريمة ، بل هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضية ، كذكر قصة نوح ، وعاد ، وفرعون ، وغيرهم ..

غير أن ثمة أمرا هاما يجب التنبيه عليه في هذا البحث وهو أنه ليس كل القرآن قد نزل على أسباب ، بل أن القرآن قسمان :

قسم نزل ابتداء غير مبني على سبب ، بالمعنى الاصطلاحي ، ومن ذلك أكثر قصص الأنبياء مع أممهم ، وكذا الوقائع الماضية ، أو أنباء الغيب القادمة ، وأهوال القيامة ، والجنة والنار ، فقد نزل أكثر ذلك كله ابتداء من غير سبب .

والقسم الآخر من القرآن : هو الذي نزل على أسباب ، ومنه معظم آيات الأحكام ، والرد على المخالفين ، وما نزل بشأن وقائع مع المسلمين ، أو المغازي ونحو ذلك .

وهذا ظاهر معروف لا يخفي على من له اطلاع على أمور القرآن العظيم .

غير أن بعض الكاتبين انطلاقا من هذا انتقد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود في قوله : « والله ما نزلت آية إلا وأنا أعلم فيمن نزلت .. » وكذا ورد نحوه عن علي رضي الله عنهما ، فادعى أن في هذا مبالغة من قائله لأنه ليس لكل آية سبب نزول ، أو أن بعض الرواة تزيد على الصحابي الذي نقل عنه !!

وهذا عجيب في فهم كلام الصحابة ثم في نقده ، فان هذا القول لا يعني أبدا أن لكل آية سببا ، بل المراد إن كان لها سبب فهو يعلمه ، وذلك بحسب ما رآه باجتهاده في تتبع أسباب النزول ، ثم كيف يظن بالرواة تزيدا وهم هنا في هذه الرواية ليسوا من عامة الناس ، بل من الثقات الأثبات !! لقد كان ذلك يوجب على الأستاذ الناقد إعادة النظر في فهم النص ومقصده الحقيقي .

طريق الوصول إلى أسباب النزول :

ومن البدهي أن يكون طريق الوصول إلى هذا العلم هو النقل والرواية ، لا سبيل غيرها إليه من اجتهاد أو استنباط ، إلا في حدود نقد الروايات وتمييزما يثبت منها وما لا يثبت ، وقد حرم العلماء القول فيها إلا بطريق الرواية والنقل عن الرواة الموثوقين . وقد قال الامام الواحدي في ديباجة كتابه : « أسباب النزول » « ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب »

وهذا حكم مجمع عليه لا خلاف فيه بين العلماء ، وقد تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول ، حتى قال الامام محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من

القرآن ؟ فقال : إتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن » .

تقسيم الآيات بحسب ورود أسبابها :

وتنقسم الآيات بحسب ما يذكر لها من أسباب إلى ثلاثة أقسام ، وهي :
١ ـ أن يكون السبب واحدا والنص النازل واحدا ، وهذا هو الأكثر والأغلب ، إلا أنه ربما يوجد في هذا النوع أكثر من رواية في سبب النزول ، ويكون ذلك بسبب ضعف الرواية في بعضها ، أو غلط الراوي ، فتكون الرواية مرفوضة ، وإذا خالفت الثقات والمقبولين كانت أولى بالرفض .
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : « **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** » البقرة/ ١١٥ .
فقد ثبت أنها في صلاة التطوع للراكب المسافر على الدابة :
أخرج مسلم عن ابن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه ، قال : وفيه نزلت : فأينما تولوا فثم وجه الله » .
وأخرج الترمذي وضعفه أنها في صلاة من خفيت عليه القبلة فاجتهد فأخطأ القبلة ، فإن صلاته صحيحة .
فالمعول هنا في سبب النزول على الأول لصحته .

٢ ـ تعدد الأسباب والمنزل واحد :

وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة فتنزل الآية لأجلها كلها ، وذلك واقع في مناسبات متعددة ، والعمدة في ذلك على صحة الروايات ، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلا على أن الكل سبب لنزول الآية أو الآيات .
مثال ذلك : آيات اللعان :
فقد أخرج البخاري أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : « **والذين يرمون أزواجهم** .. » النور/ ٦ .
وفي الصحيحين أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد مع امرأته رجلا .. فقال صلى الله عليه وسلم : إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتك قرآن .
وظاهر الحديثين الاختلاف ، وكلاهما صحيح .
فأجاب الامام النووي بأن أول من وقع له ذلك هلال ، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا ، وبذلك قال الامام الخطيب ، قال : « لعلهما اتفق لهما

ذلك في وقت واحد » .

٣ ـ أن يتعدد نزول النص لتعدد الأسباب :

قال الامام الزركشي : « وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه ، وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه .. »
ولذلك أمثلة ، منها :
ما أثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى « **ويسألونك عن الروح** » الاسراء/ ٨٥ أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة ، ومعلوم أن هذه الآية في سورة « الاسراء » ، وهي مكية بالاتفاق ، فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين وعن أهل الكهف قبل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ، فأنزل الله الجواب ، كما سبق بيانه .
ولا يقال : كيف يتعدد النزول بالآية الواحدة ، وهو تحصيل حاصل ؟
فالجواب : أن لذلك فائدة جليلة ، « والحكمة من هذا ـ كما قال الزركشي » ـ أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، تذكيرا لهم بها ، وبأنها تتضمن هذه » .

أشهر المؤلفات في أسباب النزول :

لما كان المرجع في معرفة أسباب النزول هو النقل والرواية ، لا جرم أن يكون المحدثون فرسان التصنيف في هذا العلم الجليل في مختلف العصور ، وجدير بالتنويه هنا أن اهتمام العلماء بهذا الفن جعله أقدم علوم القرآن تأليفا .
وقد كان التسطير في أسباب النزول من اختصاص الأئمة الكبار المشاركين في عدد من العلوم ، ثم منهم من تعرض لأسباب النزول في كتب التفسير كما نراه في كتب التفسير بالمأثور بصورة خاصة ، ومنهم من أفرد جمع مادة هذا العلم في تأليف مفرد .
وأول من عرفناه ألف في أسباب نزول القرآن الكريم شيخ البخاري الامام علي ابن عبد الله المديني (المتوفى سنة ٢٣٤ هـ) ، ثم تتابعت المصنفات في ذلك ، لكنها لم تعن بالتنقيح ولم تلتزم ببيان السقيم من الروايات من الصحيح ، مما يلزم الدارس بالتثبت والتحقيق .
وأهم الكتب المصنفة في ذلك هذان الكتابان المطبوعان :
● ـ « أسباب النزول » للامام المفسر النحوي المحدث أبي الحسين علي بن أحمد النيسابوري الشهير بالواحدي ، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ .

وقد عول فيه على رواية الأسباب بأسانيده ، فأحال على الأسانيد وهي طويلة ، تكتنف الوعورة دراستها في كثير من الأحيان ، كما أنه أورد أشياء معلقة بدون إسناد .

● ـ « لباب النقول في أسباب النزول » للامام المحدث الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) جرده من الأسانيد وعزا كل حديث لمن أخرجه ، فكفى القارىء بذلك جهدا كبيرا ، وزاد على ما ذكره الواحدي ، غير أنه أخل بأمرين :

الأول : أنه لم ينص على الصحيح من غيره ، معتمدا على المراجع التي أحال القارىء عليها وكثير منها نادر الوجود ، وبعضه في زمننا هذا مفقود .

الثاني : أنه ترك كثيرا من أسباب النزول لم يوردها ، كما يعلم من مطالعة المراجع مثل تفسير ابن كثير ، والدر المنثور للسيوطي نفسه ، فلا تظنن الآية نزلت مبتدأة لا على سبب لعدم ذكر سببها في اللباب فقد يكون لها في المراجع سبب أو أسباب .

أهداف علم أسباب النزول :

لا ريب عند من تأمل وخبر بشرح النصوص والوثائق أن لمعرفة أسباب النزول والوقائع التي بني عليها وقوع أمر من وقائع التاريخ له أثر بالغ الخطر في دراسة تلك النصوص أو الأحداث ، وذلك من أوجه كثيرة ، نذكر منها في هذا المقام ما يلي :

١ ـ الاستعانة على فهم المعنى المراد ، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبب ، قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »

وقال ابن دقيق العيد : « بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن »

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب » .

لكن هذا التفسير بسبب النزول مضبوط بقاعدة هامة من أهم قواعد التفسير ، وهي : « العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب »

ومعنى هذه القاعدة أن سبب نزول الآية إذا كان خاصا ، أي حدث من شخص معين أو أشخاص بأعيانهم ونزل نص الآية بصيغة « العموم » فان العبرة في الحكم لعموم اللفظ ، لا لخصوص السبب » ، ولا يجوز جعل الآية قاصرة على عين الشخص أو الأشخاص الذين وقع لهم سبب النزول .

وهذه قاعدة مشهورة معتمدة ، متفق عليها بين جماهير المفسرين والأصوليين والفقهاء وغيرهم ، بل إن هذه من البدهيات لا يمكن للعالم أن يخصص ألفاظ القرآن العامة « بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ، ولا عاقل على الاطلاق » كما قال ابن تيمية رحمه الله .

قال الامام الزركشي : « وقد يكون السبب خاصا والصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم اللفظ . وقال الزمخشري في تفسير سورة الهمزة : « يجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح ، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه ، فان ذلك أزجر له ، وأنكى فيه » .

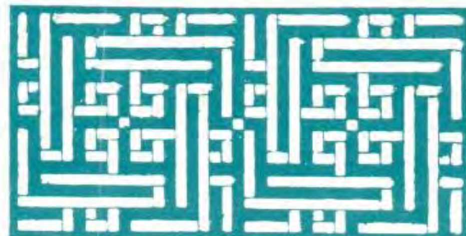
٢ ـ معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع ، مما يكون أدعى لتفهمه وتقبله ، فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة تلي الأخرى أدرك ضرورة تحريم الخمر ، وبهته موقف الصحابة وامتثالهم العجيب عندنزول تحريمها البات لأن يقتدي بهم ، ويأتسى بعملهم ، فينزجر عما قد يكون عليه من فعل محرم .

٣ ـ إزالة الأشكال عن ظاهر النص لمن لم يعرف سبب النزول : وذلك كثير يصادفه المفسر ، ومنه هذا المثال المشهور ، وهو :

أنه قد أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى : « **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** »آل عمران/ ١٨٨ وقال : « لئن كان كل امرىء فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون » حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه » أخرجه الشيخان .

ومن ذلك قوله تعالى : « **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم** »البقرة/١٥٨ .

عن عروة عن عائشة قال : قلت ـ أي لعائشة ـ أرأيت قول الله تعالى : « **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** » قلت : فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما ؟ فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت : فلا جناح أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية . فأنزل الله عز وجل : « إن الصفا »



نظرات في القرآن الكريم

محمد ﷺ ومنزلته عند ربه

للأستاذ / عبد الكريم الخطيب

الله أعلم حيث يجعل رسالته :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون محمد صلوات الله وسلامه عليه ، صفوة رسله ، وخاتم أنبيائه ، والمبعوث رحمة للعالمين ، من مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

وكان من هذا الاصطفاء لتلك الرسالة العامة ، الخاتمة ، أن تكون معجزتها كلمات الله ، بحيث يقوم منها شاهد التحدي والاعجاز على كل من يتلوها ، أو يستمع إليها ..

ثم كان من اصطفاء الله لحامل هذه الرسالة العامة الخاتمة ، ان يكون على المستوى العالي ، الذي يؤهله لحملها ، والقدرة على السفارة بين الله وعباده بتلك الرسالة .. والشاعر العربي يقول :

إذا كنت في حاجة مرسلا
فأرسل حكيما ولا توصه

وقد أُرسل الله محمد برسالة إلى الناس كافة ، ومعها وصاياه لرسوله المصطفى ، حيث كانت تتنزل عليه آيات الله ، مؤيدة له بأمداد من الصبر والعزاء على ما يلقى من كيد الكائدين له ، ومن مفتريات المفترين عليه ، واعدة إياه بتأييد الله ونصره ، كما يقول له ربه : « **إذا جاء نصر الله والفتح ۝ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ۝ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** » (سورة النصر) ويقول له سبحانه : « **أم يقولون نحن جميع منتصر ۝ سيهزم الجمع ويولون الدبر ۝ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ۝ إن المجرمين في ضلال وسعر ۝ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر** » (سورة القمر : ٤٤ ـ ٤٨) ..

يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ « لما نزل قوله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » لم ادر أي جمع هذا الذي سيهزم ويولى الدبر ، حتى كان يوم بدر ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتجه إلى جيش المشركين ، وهو يتلو هذه الآية الكريمة ، يستنجز بها وعد الله ، فعلمت حينئذ هذا الجمع الذي لم يلبث حتى هزم وولى الدبر » .

الناس وموقفهم من رسل الله :

داع من السماء ، يحمل بين يديه النور والهدى إلى الناس .. ورسول من الله يقوم بالسفارة بين الله ، وبين عباده ..

ما ظن الناس بهذا الداعية ، وماذا يرتسم في تصوراتهم من صور لهذا الرسول ؟

إن كثيرا من الناس قد أنكروا أن يكون هذا الرسول بشرا مثلهم ، فكذبوا رسل الله إليهم ، وأبوا أن يعتمدوا الوثائق التي بين أيديهم ، إلا أن يشهد عليها شاهد من السماء ، كما يقول تعالى عن مشركى مكة ، وتكذيبهم لرسول الله : « **وقالوا يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ۝ لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ۝ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين ۝ إنا نحن**

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون • ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين • وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » (سورة الحجر : ٦ ـ ١١) ..

وكما يقول سبحانه عن هؤلاء المشركين ، وموقفهم من رسول الله : « **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا • وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا • قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما • وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا • أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا • انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** » (سورة الفرقان : ٤ ـ ٩) .

وإذا كان هؤلاء المشركون ، قد ذهب بهم الضلال إلى هذه المذاهب المغرقة في الضلال ، فإن كثيرا من الناس ايضا يرتفعون بمقام الحكماء ، ودعاة الحكمة فيهم ، وبمقام الرسل المرسلين إليهم ـ إلى مقام الألوهية ، حتى إنهم ليعبدونهم من دون الله ، كما أله النصارى المسيح ابن مريم ، وعبدوه من دون الله !

يقول الفيلسوف ، جان جاك روسو ، معللا لهذه الظاهرة :

« وهذا هو السبب في أن آباء الشعوب ـ اي حكامهم وقادتهم ـ اضطروا في جميع الأزمنة ، إلى الالتجاء إلى السماء ، وان ينسبوا إلى الآلهة حكمة ، هي في الحقيقة ، حكمتهم هم ، حتى يقبل الناس الخضوع لقوانين الدولة ، كما يخضعون لقوانين الطبيعة ..

وأين محمد من هذه المقولات ؟

إن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ، هو بشر من عالم البشر ، قد اصطفاه ربه لحمل رسالته ، فكان كما قال عنه ربه : « **وإنك لعلى خلق عظيم** » (سورة ن : ٤) وكما قال هو عن نفسه : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .. فهو صلى الله عليه وسلم ، ليس شاعرا ولا مجنونا ، كما افترى المشركون ، وقد نفى الله ذلك عنه ، وبرأه مما افتروا ، فقال سبحانه : « **ن والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون** » (سورة ن ١ ـ ٢) ، ويقول عنه سبحانه : « **فلا أقسم بما تبصرون • وما لا تبصرون • إنه لقول رسول كريم • وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون • ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون • تنزيل من رب العالمين** » (سورة الحاقة : ٣٨ ـ ٤٣) .

وهو صلى الله عليه وسلم ، ليس إلها ، ولا ابن إله ، ولا شريكا لله ، كما يدعى الجهال الذين يغالون فيه ، ويحاولون ان ينزعوا جلد البشرية عنه ، ويلبسوه حلل الألوهية .. يقول له الله تعالى على لسانه ، صلى الله عليه وسلم : « **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » (سورة الكهف : ١١٠) .. ويقول جل شأنه مبطلا تصورات المشركين الضالة : « **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا • او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا • أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا • أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** » (سورة الاسراء : ٩٠ ـ ٩٣) .

إن محمدا بشر ، وإن كان أكمل البشر ، وإنه ليجرى عليه ما يجرى على البشر ، من يقظة ونوم ، ومن سرور وحزن ، ومن شبع وجوع ، ومن حياة ثم موت ، حتى لقد نعاه ربه في القرآن الكريم ، وهو قائم على الدعوة التي أمره الله تعالى أن يدعو بها الناس جميعا ، فقال تعالى : « **إنك ميت وإنهم ميتون • ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** » (سورة الزمر : ٣٠ ـ ٣١) .. وقال سبحانه « **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** » (سورة آل عمران : ١٤٤) .

محمد في القرآن الكريم :

وفي القرآن الكريم صورة مكتملة لسيرة الرسول الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، تولى الحق سبحانه بيانها ، تكريما لرسوله الكريم ، وتنويها به ، حتى تكون سيرته قرآنا متلوا يتعبد به المتعبدون ويصلي به المصلون ، في كل مكان وزمان ..

ميلاد النبي :

ويحدثنا القرآن الكريم ، عن ميلاد رسول الله ، وأنه ولد يتيما فقيرا ، تحيط به معبودات قومه ، من الأصنام والأنداد ، فيقف منها موقف الحائر ولا يرى إلا اعتزالها ، خاليا بنفسه في غار حراء ، يبحث عن الإلٓه الحق ، الذي يخلص له عبادته ، حتى فجأه الوحي وهو في عزلته تلك ، بأول ما نزل عليه من كلام ربه : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم** » (سورة العلق : ١ ـ ٥) ..

وعن ميلاده ، صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه من يُتْم وفقر ، ثم ماتفضل به عليه ربه ، يقول الله تعالى : « **والضحى • والليل إذا سجى • ما ودعك ربك وما قلى• وللآخرة خير لك من الأولى • ولسوف يعطيك ربك فترضى • ألم يجدك يتيما فآوى• ووجدك ضالا فهدى• ووجدك عائلا فأغنى** » (سورة الضحى : ١ ـ ٨) ..

النبي وما كان يلقى من شدة الوحي :

ويحدثنا القرآن الكريم ، عن وقع الوحي على النبي ، حين تلقاه لأول مرة ، فتزمل ، وتدثر ، من شدة وقعه عليه .. فيقول له الحق سبحانه مخاطبا إياه : « **ياأيها المدثر • قم فأنذر • وربك فكبر • وثيابك فطهر • والرجز فاهجر • ولا تمنن تستكثر • ولربك فاصبر** » (سورة المدثر : ١ ـ ٧) ويقول له الحق جل وعلا : « **ياأيها المزمل• قم الليل إلا قليلا • نصفه أو انقص منه قليلا • أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا • إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا** » (سورة المزمل : ١ ـ ٥) ..

النبي وما لقى من عناد المشركين :

ثم يحدثنا القرآن الكريم ، حديثا مفصلا ، عن هذا الصراع العنيد العنيف الذي كان بين زعماء المشركين في مكة ، وبين اولئك الأفراد العزل ، الذين سبقوا الى الاسلام ، وما كان يجده النبي من الآلام ، وهو يرى من استجابوا لدعوته يجلدون بالسياط ، ويكوون بالنار ، ثم هو لا يملك لهذا البلاء دفعا ..

وانه لم يكن هناك من دواء لدفع هذا الضيق ، وإزالة هذا البلاء عن صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما تتنزل به آيات الله ، فتكون بردا وسلاما على قلب رسول الله ، وقلوب الذين استجابوا لدعوته ، وصدقوا برسالته .

وفي هذا يقول الله تعالى ، مخاطبا رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه : « **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين • إنا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون • ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون • فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين • واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** » (سورة الحجر : ٩٤ ـ ٩٩) ..

ويقول الحق سبحانه ، مخاطبا رسوله الكريم : « **واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون • إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » (سورة النحل : ١٢٧ ـ ١٢٨) . ويقول تبارك اسمه مواسيا الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه : « **فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك**

وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل • أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سُوَر مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين• فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » (سورة هود : ١٢ ـ ١٤) .

ويقول جل وعلا ، مخاطبا النبي ، ومثبتا قدمه على طريق الدعوة الى الله : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » (سورة الانفال : ٣٠) ..

ثم يتمادى المشركون في ضلالهم ، حتى ليبلغ بهم هذا الضلال أن يسألوا الله أن ينزل عليهم صواعق من السماء تهلكهم ، إن كان ما يتلوه عليهم محمد منزلا من عند الله ، ولكن الله برحمته التي أرسل بها محمدا ، لا يأخذهم بالمهلكات التي طلبوها ، مادام محمد نبيهم حتى لا يرى مصارعهم وهو فيهم ، وهم أهله وقومه ، وقد علم الله أنهم سيخرجون من هذا الضلال والعناد إلى اتباع محمد ، والاستجابة لدعوته ، والايمان بالله رب العالمين .. وفي هذا يقول سبحانه : « **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين• وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم• وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون • وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** » (سورة الأنفال :٣١ ـ ٣٤) .. ويقول جل شأنه : « **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون• وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل اللهِ اللهُ أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون** » (سورة الأنعام : ١٢٣ ـ ١٢٤) .. ويقول تبارك وتعالى ، مخاطبا رسوله صلوات الله وسلامه عليه : « **وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال• وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال• وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال• فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام** » (سورة ابراهيم : ٤٤ ـ ٤٧) .. ويقول سبحانه وتعالى مخاطبا رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « **أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تَذْهب نفسُك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون** » (سورة فاطر : ٨) .. ويقول له تبارك وتعالى : « **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** » (سورة فاطر :٥٦) ..

وهكذا تتنزل آيات الله بردا وسلاما على قلب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فيرى على أنوارها جنود الحق ، تقف معه ، مؤيدة له ، آخذة برقاب الذين يكيدون له ، ويتربصون الدوائر به ، وبمن آمن به ، واستجاب لدعوته ..

غزوات الرسول في القرآن الكريم :

ويحدثنا القرآن الكريم كذلك ، عن غزوات الرسول ، وعن النصر الموعود به من ربه ، وعن ملائكة الرحمن الذين أمرهم الله تعالى ان يكونوا جندا مع جنده ، يقاتلون في سبيل الله ..

وأول مشهد لهذا التأييد من الله لرسوله الكريم ، هو ما كان من هجرته الى المدينة ، والمشركون يرصدون حركاته في مكة ، ويتبعون خطواته إلى الغار ، هو وصاحبه أبو بكر الصديق ، ويبعثون بمن يتعقبه في الطريق إلى المدينة ، ويأتيهم به .. وفي هذا يقول تعالى : « **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** » (سورة التوبة : ٤٠) .

فإذا كانت الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم ، والمشركين من جهة ، ثم بينه وبين اليهود من جهة أخرى تنزلت آيات الله بجنود الله ، وبالنصر لمحمد وأصحاب محمد ..

في غزوة بدر :

ففي غزوة بدر ، يقول الله تعالى : « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون • إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين • وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم • ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين** » (سورة آل عمران : ١٢٣ ـ ١٢٧) ..

وفي غزوة بدر أيضا يقول الحق سبحانه : « **إذْ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان • ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب • ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار** » (سورة الأنفال : ١٢ ـ ١٤) ..

وفي غزوة أحد :

وفي غزوة أحد ، وقد كان النصر فيها أول الأمر في جانب المؤمنين ، فلما أخلى الرماة أماكنهم التي أقامهم رسول الله فيها ، وأمرهم ألا يتحولوا عنها إذا انتصر المسلمون أو انهزموا ، إبتلاهم الله بالهزيمة ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين• إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون** » (سورة آل عمران : ١٥٢ ـ ١٥٣) .. ثم تتنزل آيات الله بالعزاء لرسول الله وللمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد ، فيقول تعالى : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين• إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين• وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين• أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » (سورة آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤٢) .

في غزوة الخندق :

وفي غزوة الخندق ، وقد جمعت لها قريش جموعها ، لدخول المدينة ، وأقامت حول الخندق أياما ، تنتظر فرصتها في المؤمنين ، فزلزل الله بها ، وأرسل عليها جندا من جنده ، بددوا شملهم ، وألقوا الرعب في قلوب المشركين ، فولوا منهزمين .. وفي هذا يقول الله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا• إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** » (سورة الأحزاب : ٩ ـ ١١) ..

في غزوة اليهود من بني قريظة :

تم بعدغزوة الخندق ، والمعروفة بغزوة الأحزاب ، والتي أخزى الله فيها المشركين ، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا . سار الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين إلى يهود بني قريظة بالمدينة ، وكانوا قد حالفوا المشركين على قتال رسول الله ، والمؤمنين في غزوة الخندق .. فلما أخذ الله المشركين بما أخذهم به من بلاء ونكال ورجع الرسول والمؤمنون إلى أهليهم .. وبينما رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، يغتسل من وعثاء المرابطة في مواجهة المشركين ، جاءه جبريل ، وقال له : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم .. قال جبريل ، ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها .. ثم قال لرسول الله : إن الله تبارك وتعالى ، يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة ، ومعه المسلمون ، وحاصرهم داخل أسوارهم وحصونهم ، حتى رضوا بأن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، سيد الأوس ، وقد كانوا حلفاءه في الجاهلية ، فاستدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم فيهم بما يراه ، فقضى فيهم سعد بأن تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذريتهم ، وتؤخذ أموالهم وديارهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .. فقتل رسول الله مقاتلتهم ، وسبى ذريتهم واستولى على أموالهم وديارهم ..

وفي هذا يقول الله تعالى : « **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا • وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا • وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا** » (سورة الأحزاب : ٢٥ ـ ٢٧) .

في غزوة الفتح :

وفي غزوة مكة ، وهي المعروفة بغزوة الفتح ، سار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى مكة ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا عيونهم تستطلع جيش المسلمين ، ولما علموا أنهم في مواجهة جيش لا قبل لهم به ، عرضوا على رسول الله أن يدخل بالمسلمين مكة عليهم في غير حرب منهم له ، وقد ألقوا أسلحتهم ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة من غير قتال ، ورسول الله يقول لهم : « من دخل الكعبة فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن » ثم دعاهم الرسول الكريم إلى الاجتماع إليه ، فلما اجتمعوا بين يديه ، قال : يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : « أذهبوا فأنتم الطلقاء » !!

وفي هذا يقول الله تعالى : « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا • هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** » (سورة الفتح ٢٧ ـ ٢٨) .

في شؤون النبي الخاصة :

وفي القرآن الكريم ، حديث متصل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في أحواله في بيته مع زوجاته ، وما قد يكون بينهن من مباغضات تصل إلى رسول الله ، صلوات

الله وسلامه عليه ..

فعندما فتحت مكة ، ودانت العرب كلها بالاسلام ، وأدت الزكاة المفروضة عليها ، ودخل بيوت المسلمين من الغنائم في الحروب وظهرت آثار ذلك في حياتهم ، وحياة أهليهم وأولادهم ـ كان لا بد أن تمتد أعين زوجات الرسول إلى شيء من هذا الذي دخل بيوت المسلمين ، إذ كان في تقديرهم أن الرسول أولى بهذا منهم ..

وهنا جاء حكم الله فيما يجب أن تكون عليه حال زوجاته صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يحجبن أبصارهن عن هذه الدنيا العارضة ، ومتاعها الزائل ، وأن ينظرن إلى ما عند الله من نعيم خالد ، ورضوان من الله في جنات عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين .

وفي هذا يقول الله تعالى لرسوله الكريم ، ما يجب أن يقوله لزوجاته ، وأن يخيرهن بين فراقه لهن ، وأن يحيين الحياة التي يرونها ، وبين الحياة معه على تلك الحال التي هو عليها ، فيقول سبحانه : « **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ● وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » (سورة الأحزاب : ٢٨ ـ ٢٩) .

ويقول تعالى مخاطبا نساء النبي : « **يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا.وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » (سورة الأحزاب : ٣٢ ـ ٣٣) .

ويتوعد الله تعالى نساء النبي بطلاقهن منه ، إذا هن خرجن عن طاعته ، فيقول سبحانه : « **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا** » (سورة التحريم : ٥) .

قادة الشرك والعداوة لرسول الله :

وفي مسيرة الدعوة ، وما كان من أهل الضلال والعناد ، أمسك القرآن الكريم برقاب هؤلاء الضالين المعاندين ، وساقهم إلى جهنم ، وهم أحياء بين قومهم ..

فهذا أبو لهب ، عم النبي ! كان من أشد أعداء رسول الله والمحرضين علي عداوته ، هو وامرأته ، أم جميل ، حمالة الحطب ، ينزل الله تعالى فيهما سورة تسمى سورة المسد : « **تبت يدا أبي لهب وتب ● ما أغنى عنه ماله وما كسب ● سيصلى نارا ذات لهب ● وامرأته حمالة الحطب ● في جيدها حبل من مسد** » ..

وكان هذا يردد على أسماع قريش ، وينزل نزول الصواعق على أبي لهب وامرأته ..

وهذا الوليد بن المغيرة المخزومي ، توفده قريش ليستمع إلى ما يقول رسول الله ، ثم يأتي فيقول فيما استمع قولا ترضاه منه قريش .. فلما ذهب إلى رسول الله ، واستمع منه إلى آيات من كتاب الله ، عاد إلى قريش وهو خزيان لا يجد شيئا يقوله مما يرضيهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يقول في رسول الله القول الذي ينالون به من رسول الله ..

فجعل يفكر ويقدر ، ثم قال ما ذكره القرآن الكريم على لسانه « **إن هذا إلا سحر يؤثر• إن هذا إلا قول البشر** » (سورة المدثر : ٢٤ ـ ٢٥) .

وقد توعد الله هذا العُتل الزنيم بما جاء في قوله تعالى :

« **ذرني ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا • وبنين شهودا • ومهدت له تمهيدا • ثم يطمع أن أزيد • كلا إنه كان لآياتنا عنيدا • سأرهقه صعودا • إنه فكر وقدر • فقتل كيف قدر • ثم قتل كيف قدر • ثم نظر • ثم عبس وبسر • ثم أدبر واستكبر • فقال إن هذا إلا سحر يؤثر • إن هذا إلا قول البشر • سأصليه سقر • وما أدراك ما سقر • لا تبقي ولا تذر • لواحة للبشر • عليها تسعة عشر** » (سورة المدثر : ١١ ـ ٣٠) .

البدء والختام :

وهكذا تظل آيات الله ، تتنزل على رسول الله من يوم مبعثه ، إلى أن أدى رسالة ربه ، وألحق بالرفيق الأعلى ، قائمة على حراسته ، دافعة كيد الكائدين له ، مبطلة مدعياتهم ومفترياتهم ، متوعدة لهم بالخزي والهزيمة في الحياة الدنيا وبالعذاب الأليم في نار جهنم خالدين فيها أبدا ، واعدة المؤمنين بالعز والنصر في الدنيا ، وبرضوان الله ونعيم جناته في الآخرة : « **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم• يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب• ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور• فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير** » (سورة الحديد : ١٢ ـ ١٥) ..

والصلاة والسلام على إمام المرسلين ، وخاتم النبيين .



مواقف خالدة

في حجة الوداع

للدكتور / محمد محمد الشرقاوي

تعتبر الآثار والأحاديث النبوية الشريفة التي حفلت بها حجة الوداع .. حاسمة في تاريخ التشريع الاسلامي كله .. نظراً لانها من آخر ما ختمت به الرسالة المحمدية .. مما يعتبر ناسخا لما خالفه مما تقدمه من اوامر ونواه ، وأقوال وأفعال .. فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الحجة الأخيرة في حياته الشريفة يوم الخميس لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة نهارا ، وصلى الظهر بالمدينة اربع ركعات .. ثم صلى عصر ذلك اليوم بذي الحليفة ركعتين قصرا .. وقد سميت حجة الوداع لأكثر من سبب .. فهو قد ودع الناس فيها بقوله في خطبة الوداع اول ايام النحر : « لعلي لا ألقاكم بعد عامي في موقفي هذا » .. ولأنه لم يحج بعدها ، ولأنه أجمل لهم أهم وأخطر ما يحل لهم وما يحرم عليهم وقال : هل بلغت ؟ ، ولأنها الحجة الوحيدة في حياته صلى الله عليه وسلم من المدينة .. وكان ذلك بسبب النسيء الذي عالجت به العرب شهور السنة العربية حتى أخرجتها عن مواقيتها الأصيلة .. وقد أخر الرسول صلى الله عليه وسلم حجته الى العام العاشر من الهجرة لأن أوضاع الشهور العربية وأيامها كانت قد استقرت على ما كانت عليه فيما عند الله تعالى ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في خطبته تلك « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ؟ » وذلك

على الرغم من ان الحج قد فرض سنة ست من الهجرة على ما صححه الرافعي في باب السير ، وتبعه النووي .. واما ابو حنيفة فيرى ان الحج فرض في السنة العاشرة من الهجرة ولذا قال : انه واجب على الفور .. وغيره يرى انه على التراخي .. وتصادف عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى هذه الحجة الأخيرة في حياته الشريفة أن اصاب الناس بالمدينة مرض الجدري بشكل وبائي منع كثيرا من الناس من الخروج معه .. فقال صلى الله عليه وسلم لهم تطييبا لمن تأخر منهم عن الحج معه : « عمرة في رمضان تعدل حجة .. او قال : حجة معي » رواه البخاري ، والنسائي وابن ماجة مختصرا ، وقد اعاد هذا القول عند عودته من حجة الى المدينة لام سنان الانصارية حين قال لها : « ما منعك ان تحجي معنا ..؟ » قالت : لم يكن لنا الا ناضحان ، « اي جملان » فحج ابو ولدها وابنها على ناضح .. وترك لنا ناضحا ننضح . قال : فاذا جاء رمضان فاعتمري فان عمرة في رمضان تعدل حجة » وفي رواية « تعدل حجة او حجة معي » رواه مسلم بلفظه .. كما قاله ايضا لغيرها من النسوة كام سليم وام طليق وام الهيثم .. وكان يوم عرفة من هذه السنة يوم الجمعة .. وبعد عصر هذا اليوم والنبي واقف بعرفات على ناقته العضباء غشاه ما يغشاه من الوحي ، فكاد عضد ناقته يندق من ثقل الوحي ثم سُرِيَ عنه .. وتلا ما نزل عليه من قوله تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**) المائدة / ٣ قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتفق في ذلك اليوم اربعة اعياد : عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة ، وعيد لليهود ، وعيد للنصارى ، وعيد للمجوس ، ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم قبله ولا بعده ، ولما نزلت هذه الآية الكريمة استشعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها بفطرته اللماحة الذكية قرب نهاية الرسول ورسالته .. ولذا بكى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك يا عمر ..؟ .. فقال رضي الله عنه : أبكاني أنا كنا في زيادة .. ولا يكمل شيء الا نقص ، فقال : صدقت .. فكانت هذه الآية نعيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يعش بعدها الا ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ، ولم ينزل بعدها شيء من الأحكام ، وان كان نزل بعدها شيء من القرآن ، وكان آخر ما نزل : (**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**) البقرة / ٢٨١ .. وفي هذه الحجة الخاتمة جاء ذكر الحج عن الغير .. وذلك حين دفع النبي رحله من المشعر الحرام قبل طلوع الشمس من يوم العاشر من ذي الحجة على خلاف ما درجت عليه الجاهلية من انها كانت لا تنفر الا بعد طلوع الشمس .. وقد اردف خلفه يومئذ الفضل بن العباس رضي الله عنه فجاءته امرأة تسأله : يا رسول الله .. ان فريضة الله على عباده .. الحج ، ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال نعم .. فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه .. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل .. فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر .. وفي لفظ : انه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل .. فقال له العباس : يا رسول الله .. لويت عنق ابن

عمك .. قال : رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان » وكان ذلك في منى متفق عليه واللفظ للبخاري وهذه المرأة من قبيلة خثعم .. وقد تعددت روايات الحج عن الغير ، ويجوز تعدد القضايا بتعددها .. وفي بعضها : ان السائل رجل سأل عن حجه عن امه ، والحديث دليل على صحة الحج عن الميئوس من شفائه .. اما غيره فلا .. وفي بعضها : ان امرأة من جهينة قالت : ان امي نذرت ان تحج ولم تحج حتى ماتت .. أفأحج عنها ؟ قال : « نعم حجي عنها .. أرأيت لو كان على امك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله احق بالوفاء » رواه البخاري .. وهذا الحديث وأمثاله يخصص عموم قوله تعالى : **(وأن ليس للانسان الا ما سعى)** النجم / ٣٩ ـ سبل السلام جـ٢ ، : ٢٥٥ ـ وفيه ايضا انه يشترط لصحة الحج عن الغير اداء الحاج عن نفسه اولا .. لما رواه ابو داود وابن ماجة وصححه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه : « ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة .. فقال صلى الله عليه وسلم : من شبرمة ؟.. قال : اخ لي او قريب لي فقال : حججت عن نفسك .. قال : لا .. قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة »

وفي عرفة تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لنظام المواريث فألغى الوصية للورثة مبينا ان فيما اعطاهم الله تعالى من حقوق الارث الكفاية .. كما عرض لنظام الانساب ، وانها لا تثبت الا لصاحب الفراش الشرعي .. وغيره لا يثبت له شيء من ذلك .. ويجب توثيق النسبة الى الاباء والأولياء بدون اشتباه أو تلفيق .. فعن عمروبن خارجة رضي الله عنه قال : « بعثني عتاب بن اسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته .. ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان لعابها ليقع على رأسي فسمعته يقول .. ايها الناس .. ان الله قد أدى الى كل ذي حق حقه ، وانه لا تجوز وصية لوارث .. والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن أدعى الى غير ابيه ، او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » .. وبعد زوال الشمس يوم عرفة امر بناقته القصواء فرحلت .. ثم اتى بطن الوادي فخطب خطبته التي عرفت بخطبة الوداع فذكر فيها : تحريم الدماء والأموال والأعراض ووضع ربا الجاهلية وأسقطه ، فلا يطالب به .. واول ربا وضعه ربا عمه العباس ، كما وضع دماء الجاهلية وأسقط المطالبة بها ، واول دم وضعه دم ابن عمه ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكانت قد قتلته هذيل . وقال : هو اول دم أبدأ به من دماء الجاهلية فلا يطالب به في الاسلام .. وأوصى بالنساء خيرا .

وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على ازواجهن ، وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل .. وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر أنه لا يضل من اعتصم بذلك ، وأشهد الله على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمهم .. فاعترف الناس بين يديه بالبلاغ ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ومما قاله : « ان

دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع .. واتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .. وانكم لتسألون عني .. فما انتم قائلون ؟ قالوا : نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت .. فقال مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى يرفعهما الى السماء .. وينكتها الى الناس : اللهم فاشهد اللهم فاشهد اللهم فاشهد » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعين في هذا البلاغ بمن يحمل صوته وبلاغه الى من وراءه ممن بعد عنه من الناس .. فأمر ربيعة بن أمية وكان جهوري الصوت أن ينادي بما نادى به الرسول ويقول له يا ربيعة .. قل : يأيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا .. فيصرخ بذلك وهو واقف تحت صدر ناقته .. وتشاء ظروف ربيعة هذا بعد ان اسعدته ايامه بهذا اللقاء البلاغي في اشرف مكان ، واكرم زمان ، ومع اعظم انسان .. ان تزل به قدمه فيهوي الى الكفر في خاتمة ايامه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. وذلك بعد ان شرب الخمر في عهده .. فخاف من الحد فهرب الى الشام .. ومنها الى قيصر فتنصر عنده .. ومات بارضه .. وكان قد رأى في عهد ابي بكر رضي الله عنه مناما وقصه على ابي بكر .. رأى كأنه في ارض معشبة مخصبة .. وخرج منها الى ارض مجدبة كالحة ؛ ورأى ابا بكر في جامعة من حديد عند سرير .. الى الحشر .. فقال له ابو بكر : ان صدقت رؤياك تخرج من الايمان الى الكفر .. واما انا فذلك ديني جمع لي في اشد الناس الي يوم الحشر .. ، وقد شرب النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة قدحا من لبن على مرآى من الناس بعثته اليه ام الفضل زوجة عمه العباس ام عبد الله بن عباس ولذا روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه : « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » رواه ابو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه ، والحكمة في ذلك اوضح من الشمس في رابعة النهار .. فان اهل عرفة في شغل وحركة يشق معهما الصيام ، وبهذا استدل الفقهاء على كراهة الصيام في يوم التاسع من ذي الحجة للحاج .. وفي يوم العاشر من ذي الحجة وهو اول ايام النحر .. اعاد الرسول صلى الله عليه وسلم اهم ما خطب به الناس في اليوم السابق تأكيدا له .. وتعميقا لمعناه في النفوس .. فانه بعد ان رمى جمرة العقبة واسامة بن زيد يظلله بثوبه من الحر .. خطب الناس على ناقته وبلال يقودها وذلك بمنى ومما قرره : تحريم الزنا والأموال والاعراض فقال يايها الناس : اي يوم هذا قالوا : يوم حرام : قال .. فاي بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأي شهر هذا ؟ .. قالوا : شهر حرام قال : فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا .. اعادها الرسول صلى الله عليه وسلم مرارا .. ثم رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت .. فليبلغ الشاهد منكم الغائب .. لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، خذوا عني مناسككم ، لعلي لا أحج بعد عامي هذا .. وكان وقوفه بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد .

الهدى

من شعائر الله

قال الله جل ثناؤه : « **وأتموا الحج والعمرة لله** » (آية ١٩٦ ـ سورة البقرة)
وقال الله جل جلاله : « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** » (آية ٩٦ - ٩٧ ـ سورة آل عمران).
وقال الله تبارك وتعالى : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** » (آية ١٩٧ ـ سورة البقرة) .
وقال الله سبحانه وتعالى : « **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل**

للأستاذ/ صلاح احمد الطنوبي

ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » (آية ٢٧ ـ ٣٠ ـ سورة الحج).
وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » (رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله

عنهما).
وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « يأيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » (رواه مسلم والنسائي).
وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : « من أراد الحج فليتعجل » (رواه احمد وابو داود)

تعظيم شعائر الله تعالى :

قال الله تعالى : « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** » (آية ٣٢ ـ الحج)
تقول اللغة : الشعيرة والشعار والشعارة : تطلق على المكان او الشيء الذي يشعر بأمر له شأن وأطلق على معالم الحج ومواضع النسك ، وتسمى مشاعر ـ جمع مشعر ، وعلى العمل الاجتماعي المخصوص الذي هو عبادة ونسك ..
والشعائر هي المعالم التي ندب الله تعالى اليها ، وأمر بالقيام بها ، وقيل : ان معالم الحج معالمه الظاهرة للحواس ، وقيل : إن شعائر الحج هي آثاره وعلاماته ، أو كل ماكان من اعماله ، كالوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت العتيق ، والسعي بين الصفا والمروة ، والرمي ، ونحر الهدى وغير ذلك .
والشعار ما يشعر به الانسان نفسه في الحرب أي يعلم ، وشعار الحرب ما يتعارف به الجيش .
قال الله تبارك وتعالى : « **ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** » .

وتعظيم حرمات الله تبارك وتعالى هو صيانتها واجلالها ، والشعور في قلب الانسان بالرهبة منها ، والحرص على أداء الحقوق المتعلقة بها في وفاء وإخلاص .
إن القيام بشعائر الله تعالى علامة على الخضوع لله جل جلاله ، وعبادته ايمانا وتسليما .

الهدى من شعائر الله تبارك وتعالى :
معنى الهدى : الهدى اسم للحيوان الذي يهدى باسم الله تبارك وتعالى الى الحرم يذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين .

الهدى في القرآن الكريم : عرض القرآن المجيد للهدى في ثلاث سور : سورة البقرة ، وسورة المائدة ، وسورة الحج ، وعرض له في تلك السور من جهات ثلاث :
أولا : جهة التنويه بشأنه : طلبه وطلب الاخلاص فيه لله سبحانه وتعالى ، وجعله من شعائره التي تجب المحافظة عليها ، ويحرم اهمالها ..
قال الله جل جلاله : « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين** » (آية ٣٦ ، ٣٧ ـ سورة

الحج).
وقال الله جل ثناؤه : « **يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا** ... » (آية ٢ ـ سورة المائدة).

ثانيا : جهة الحالات التي يطلب فيها وهي : حالة الاحصار وهي المنع عن إتمام الحج قال الله تبارك وتعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله** » (آية ١٩٦ ـ سورة البقرة)

وحالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، وحالة التمتع بالتحلل من العمرة الى الحج وحالة الجناية على الحرم بقتل صيده أو قطع شجره ..

قال الله جل جلاله : « **يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النَّعَم يحكم به ذَوَا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعامُ مساكين أو عدلُ ذلك صياما ليذوق وبال أمره** » (آية ٩٥ ـ سورة المائدة).

وعرض القرآن الكريم للهدى من **جهة المكان الذي** يذبح فيه :

قال الله سبحانه وتعالى : « **حتى يبلغ الهدي محله** » (آية ١٩٦ ـ سورة البقرة)

وقال الله تبارك وتعالى : « **هديا بالغ الكعبة** » (آية ٩٥ ـ سورة المائدة) .

وقال الله تبارك وتعالى : « **ثم محلها إلى البيت العتيق** » (آية ٣٣ ـ سورة الحج) .

الروح الذي يتقبل الله تعالى به الهدي :

أرشد القرآن المجيد الى الروح الذي يتقبل الله تعالى به الهدي ، وهو روح الإخلاص والتقوى ، شأن كل التكاليف ، لا يكفي في تقبلها شكلها ولا صورتها ، وإنما يرفعها اليه الاخلاص والتقوى ، وهو المعنى المقصود بقول الله جل جلاله :

« **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** » (آية ٣٧ ـ الحج) . وأمر الله تعالى بالتقوى في القرآن الكريم أمرا صريحا (٨٣) مرة ، وذكر مادة التقوى بين الترغيب والترهيب واختلاف الأساليب (٢٤٠) مرة ... وشعب التقوى تتداخل مع الانسانية في كل فكر وقول وعمل ، فالصدق من التقوى ، والوفاء من التقوى ، والعدل من التقوى ، والاحسان من التقوى ، والأمانة من التقوى ، والكرم والتواضع والصبر من التقوى ، ومن خاف على ذريته فعليه بالتقوى ، ومن أراد البركة والرزق فعليه بالتقوى ، ومن أراد معية الله فعليه بالتقوى ، ومن أراد الجنة فعليه بالتقوى ...

فضل الهدى :

ورد عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى

عنها أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال :

« ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب الى الله من اهراق دم ، وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا » (رواه ابن ماجة والترمذي).

نوع الهدي :

يجمع العلماء على أن الهدى لا يكون الا من النعم (الأبل ، والبقر ، والغنم) على الترتيب بحسب الأفضلية ، لأن الابل أنفع للفقراء ، لعظمها ، والبقرة أنفع من الشاة كذلك ..

مقدار الهدي :

اختلف العلماء في الأفضل للشخص الواحد هل يهدى سبع بدنة (ناقة أو جمل) ، أو سبع بقرة أو يهدى شاة ؟ والظاهر أن الاعتبار بما هو أنفع للفقراء .

أقل ما يجزىء في الهدى : للمرء أن يهدى للحرم ما يشاء من النعم .. وقد أهدى المعصوم « صلى الله عليه وسلم » مائة من الأبل ، وكان هديه هدى تطوع .

وأقل ما يجزىء عن الواحد شاة ، أو سبع بدنة ، أو سبع بقرة ، فان البقرة أو البدنة تجزىء عن سبعة .

قال جابر « رضى الله عنه » : حججنا مع رسول « صلى الله عليه وسلم » فنحرنا البعير عن سبعة ، والبقرة عن سبعة (رواه احمد ومسلم) .

شروط الهدى :

أولا : أن يكون سليما من العيوب ، فلا تجزى فيه العوراء ، ولا العرجاء ، ولا الجرباء ، ولا العجفاء (الهزيلة) ولا المريضة ..

قال الله عز وجل : « « **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** » (آية ٢٦٧ ـ سورة البقرة) .

ويستحب اختيار أحسنها ، لأن الله جل جلاله أكرم الكرماء ، واحسن من يختار له ، والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل الا طيبا .

ثانيا : اذا كان الهدى من الإبل فان عمره يكون خمس سنوات ، واذا كان من البقر يكون عمره سنتين ، أما الغنم فيجزىء من الضأن ما له ستة أشهر ومن المعز ما له سنة كاملة .

اقسام الهدي :

١ ـ **هدى مستحب** للحاج المفرد ، والمعتمر المفرد .

٢ ـ **هدى واجب** لكل من :

أ ـ القارن والمتمتع .

ب ـ لمن ترك واجبا من واجبات الحج كرمى الجمرات ، والاحرام من الميقات ، والجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة والمزدلفة أو منى أو ترك طواف الوداع .

ح ـ لكل من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام كالتطيب ، والحلق ، والتقصير .

د ـ لكل من تعرض لقتل الصيد في الحرم ، أو قطع شجرة .

٣ ـ هدى منذور : وهو واجب أيضا ، لكن بالنذر ، ولا يجوز الأكل منه ، لأنه صدقة وهو حق للفقراء .
٤ ـ هدى تطوع :وهو ما يتبرع به الحاج ، ولا يجوز الأكل منه إذا جعل للمساكين ، أما غير ذلك فيجوز الأكل منه ، والانتفاع بجلده ، وحفظ شحومه .

وقت ذبح الهدى :
اختلف العلماء في وقت ذبح الهدى .. فعند الشافعي « رضي الله عنه » أن وقت ذبحه يوم النحر ، وأيام التشريق لقول رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وكل أيام التشريق ذبح » (رواه احمد) فان فات وقته ذبح الهدى الواجب قضاء .
وعن مالك واحمد رضى الله عنهما وقت ذبح الهدى سواء أكان واجبا أم تطوعا **أيام النحر** .
وهذا رأى الأحناف بالنسبة لهدى التمتع والقران .
وأما دم النذر والكفارات والتطوع فيذبح في أي وقت .
وحكى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، والنخعي : **وقتها من يوم النحر الى آخر ذي الحجة** .
مكان الذبح :الهدى ـ سواء آكان واجبا أم تطوعا ـ لا يذبح الا في الحرم ، وللمهدي أن يذبح في أي موضع منه .
والأولى بالنسبة للحاج أن يذبح بمنى ، وبالنسبة للمعتمر أن يذبح عند المروة ، **لأنهما موضع تحلل كل منهما** ، اما المحصر فمكانه المحل الذي **أحصر فيه** والأفضل أن يبعثه للحرم .

كيف يتم نحر الهدي :
يستحب أن تنحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى .
أما نحر البقر والغنم فيستحب ذبحها مضطجعة .
ويستحب أن يذبحها بنفسه إن كان يحسن الذبح ، والا فيندب له أن يشهده .

الأكل من لحوم الهدى :
أمر الله تعالى بالأكل من لحوم الهدى فقال عز وجل : « **فكلوا منها واطعموا البائس الفقير** » (آية ٢٨ ـ سورة الحج) .
ويشمل ذلك هدى الواجب ، وهدى التطوع .
وللمهدى أن يأكل من هديه أو يتصدق بما يراه ، وقيل : يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف ... وقيل : يقسمه أثلاثا ، فيأكل الثلث ، ويهدي الثلث ، ويتصدق بالثلث .

حكمة ذبائح الهدى :ويعتبر ذبح الهدى في الحرم إحياء لسنة ابراهيم « عليه الصلاة والسلام » وتذكرة بنعمة الله تبارك وتعالى عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل « عليه السلام » من الذبح الذي ابتلاه الله تعالى به ، إظهارا لقوة إيمانه .
وصلى الله تعالى على محمد النبي الأمي العربي وعلى آله وصحبه وأمته وسلم تسليماً كثيرا .

الإنسان بين

لو لم تستتبع آيات الخوف من وعيد الله ، آيات الرجاء بوعد الله لأظلمت الحياة على الأرض ولو لم يذكرنا الرسول بالجنة ونعيمها مع النار ولهيبها لقنط الانسان من رحمة الله .

بلغ رسول الله عن أصحابه شيء ، فجمعهم وخطب فيهم فقال : « عرضت عليّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيرا » (متفق عليه)

تأثر صحابة رسول الله بهذه الموعظة وعظم خوفهم ، وطال انزعاجهم من هول الآخرة ، فما أتى عليهم يوم أشد من هذا اليوم ، فغطوا رؤوسهم وهم يخفون نشيجهم بالبكاء ..

لقد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآخرة ، وهم يرون أنفسهم بين يدي الله ، فيتملكهم الخوف الشديد ، ويبكون بكاء مرا ، وتذكروا حديث رسول الله :

« لا تزول قدما عبد يوم القيامةحتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » (رواه الترمذي)

لقد بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذكرهم بأخبار الآخرة وكأنه قرأ عليهم كتبهم وكأنه تلا قول الله عز من قائل :

(**يومئذ تحدث أخبارها**) الزلزلة/ ٤ وما أخبارها ؟ يقول لهم الرسول : تشهد

الخوف والرجاء

للدكتور/ حسن الشرقاوي

على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها .. تقول : « عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا .. فهذه أخبارها » رواه الترمذي

ألا يخاف الناس ، كل الناس من سماع أخبار الآخرة ، ألا ترتعد فرائصهم من هول ما يسمعون ، وكيف يطيب لهم العيش وقد اقتربت قيامتهم ..

وكيف ينعم الناس وهم يتذكرون يوم الحشر وقد حشروا حفاة عراة غير مختونين نساء ورجالا .. فالأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض ..

لكن لو بقي هذا الخوف قائما على قلوب صحابة رسول الله ، لبكوا الدهر كله ، ولعظمت خشيتهم من هول الآخرة ، فما هنأ أحدهم من طعام ، وما استمتع بمال أو رياش ...

لو أن الانسان تذكر آيات الوعيد والخوف الشديد ، كأن يتلو على نفسه : (**وإياي فارهبون**) البقرة/ ٤٠ و : (**إن بطش ربك لشديد**) البروج/ ١٢ و : (**إن أخذه أليم شديد**) هود/ ١٠٢ و : (**وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود**) هود/ ١٠٣ و ١٠٤ (**فمنهم شقي وسعيد**) هود/ ١٠٥ و : (**وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**) الحج/ ٢

لو أن الانسان بقى على هذا الخوف من وعيد الله دهرا ، لقنط من رحمته ، وذاب من رهبته ، واضاع عمره فزعا مرتعبا من بطش الله الشديد ..

لكن سبق عدل الله تعالى رحمته ، فكان مع جناح الخوف جناح الرجاء ، وهما

جناحا الايمان ، وكأن الايمان طائر له جناحان أحدهما الخوف والآخر الرجاء وبهما معا يستقيم طيرانه ، فاذا ما فقد أحدهما أو كليهما لم يستطع الطيران .

ليس هناك رجاء في الله أفضل من ذلك الحديث الذي ذكره معاذ بن جبل عند موته ورواه أنس رضي الله عنهما :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا معاذ

معاذ : لبيك يا رسول الله وسعديك

الرسول : يا معاذ

معاذ : لبيك يا رسول الله وسنعديك

الرسول : يا معاذ

معاذ : لبيك يا رسول الله وسعديك

الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار » ..

وإذا استمع المسلم إلى هذا الحديث عمر قلبه الرجاء واستبشر بوعد الله ، وأمن ساعة من وعيد الله .. وربما ساعات وأياما ..

لذلك فقد سأل معاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الناس كل الناس بهذا الحديث الذي يسكن القلوب ويملأ النفوس طمأنينة وأمنا قال معاذ للرسول صلى الله عليه وسلم :

أفلا أخبر الناس بهذا الحديث فيستبشروا ؟

فأجاب صلى الله عليه وسلم :

إذن .. يتكلوا ..» رواه البخاري .

لقد خاف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتواكل الناس عند سماعهم هذا الحديث ويقعدوا عن السعي وأن يتقاعسوا عن مجاهدة النفس وتعويدها على صالح الأعمال ..

ولو لم يخف معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يقع في اثم كتمان العلم ، وخاصة إذا كان حديث رسول الله لو لم يخف معاذ وهو على فراش الموت من إثم كتمان الحديث المذكور ما حدث به أحدا ولحبسه معه في قبره إلى يوم يبعثون ..

إن الرجاء في الله يعطي للانسان القوة على مواصلة الحياة برغم ذنوبه العديدة ومعاودة اقتراف ذنوب جديدة ، يقول أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل في الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه » متفق عليه .

لقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبشر صحابته ، وأن يطمئن قلوبهم ، فمع وجود آيات الترهيب والنذير والتخويف الشديد التي جعلت بعضهم يفر إلى رؤوس الجبال ويعتزل النساء ويظمأ نهاره ويسهر ليله ، ويكثر من العبادة آناء

الليل وأطراف النهار ويبكي خوفا من وعيد الآخرة ولا يأمن على نفسه من مكر الله ..

لقد بشر الرسول صحابته برب كريم غفور رحيم فيقول لهم : « أذنب عبد ذنبا فلجأ إلى الله تعالى فقال العبد :

ـ اللهم اغفر لي ذنبي ..

قال الله تبارك وتعالى :

« أذنب عبدي ذنبا .. فعلم أن له ربا يغفر الذنب .. ويأخذ بالذنب .. ثم عاد فأذنب العبد فلجأ إلى الله تعالى وقال :

ـ اللهم أغفر لي ذنبي ..

فقال الله تبارك وتعالى :

أذنب عبدي ذنبا .. فعلم أن له ربا يغفر الذنب .. ويأخذ بالذنب .. ثم عاد العبد إلى الذنب فأذنب ، فلجأ إلى الله فقال :

ـ أي رب . اغفر لي ذنبي ..

فأجاب تبارك وتعالى :

أذنب عبدي ذنبا .. فعلم أن له ربا يغفر الذنب .. ويأخذ بالذنب .. لقد غفرت لعبدي ، فليفعل ما يشاء » (متفق عليه)

وتظهر آيات الرحمة في هذا الحديث ، فبرغم عودة العبد إلى اقتراف الذنب ، فقد وجد ربا غفورا رحيما يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر منه ما دام محافظا على طلب المغفرة متوسلا إلى الله أن يعفو عنه ويصفح عن ذنبه .. وهنا تتجلى معاني الرحمة الالهية ، التي تجعل قلب العبد مستبشرا بالله راجيا له تعالى ..

وهو يعلم علم اليقين أنه تعالى لن يخذله أبدا حين يتذكر قوله تعالى :

(ورحمتي وسعت كل شيء) الأعراف/ ١٥٦

وعندما يتذكر المذنب قوله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) الزمر/ ٥٣

فالانسان المؤمن يحيا بين الخوف والرجاء ، الخوف من وعيد الله والرجاء في وعد الله ، فمع وجود الترهيب يوجد الترغيب ، ومع الخوف من عذاب جهنم يوجد الاستبشار بنعيم الجنة ، وبين هذا وذاك يتطهر الانسان من الأدران ، ويغتسل من الآثام ويولد في كل توبة ميلاد جديد ، ويجد في رحمة الله الملجأ الأخير فيطرح حمله الثقيل ويدخل في رحمة الله فيولد من جديد ..



دور المسجد في عهود الإسلام

للأستاذ / حسن منصور

الحمد لله ولي النعمة ، والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي أنقذ الأمة ، وهداها الى طريق مستقيم ، مبشرا ومنذرا ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .

وبعد ، فإن المسجد في الاسلام مركز توجيه فكري وروحي للأمة الاسلامية ، ومركز عطاء كبير اجتماعي وفردي لعامة المسلمين وأئمتهم ، ومكان اجتماع في كل أمر يهم جماعة المسلمين . ولولا عظمة رسالة المسجد وعظم مكانته في الاسلام ما كان المسجد أول بيت وضعه الله للناس « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين** » آل عمران/ ٩٦ فالمسجد هو البيت الأول الذي نزل ببنائه ورفعه الأمر الالهي : « **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** » الحج/ ٢٦ ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك انت السميع العليم**﴾ البقرة/ ١٢٧ .

وتكريما لذكرى أول بيت وضع للناس ؛ جعل الله البيت الحرام قبلة ومحجا يحج إليه ويطاف حوله ، وعهد بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع والسجود . قال تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » آل عمران/ ٩٧ وقال أيضا : « **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين**

والركع السجود » البقرة/ ١٢٥ .

فكان هذا المسجد الأول أبا لكل المساجد إذ تتجه قبلتها اليه وكان البلد الحرام من حوله أم القرى . ولذلك لما هاجر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى المدينة كان أول عمل قام به هو بناء مسجد قباء ، وهو المسجد الذي ذكره القرآن في قوله تعالى : « **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » التوبة/ ١٠٨** . ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بتوجيه أصحابه لبناء هذا المسجد بل شارك أصحابه في أعمال البناء فكان يحمل التراب مع المسلمين ويحمل اللبن والحجارة على بطنه الشريفة اغتناما للأجر وتشجيعا على الأمر ومشاركة للمسلمين في صالح العمل . وتخليدا لهذه الذكرى الكريمة : ذكرى أول مسجد بناه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أول مسجد بني في الاسلام . وكان الرسول يزوره كل يوم سبت تارة راكبا وتارة ماشيا كما ثبت في الصحيح وقال صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخاري ومسلم : (صلاة في مسجد قباء كعمرة) وفي رواية أخرى (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة) .

○ الحث على بناء المساجد ○

فالمساجد هي البيوت التي خصها الله بإعلان الأذان برفعها رفعا ماديا بالبناء والتشييد ورفعا معنويا بالتطهير والتمجيد قال تعالى : (**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**) النور/ ٣٦ ـ ٣٨ ومع أن الأرض كلها لله ، فقد خص الله المساجد منها بأنها له لرفع الملكية المجازية الانسانية عنها ، ولتكون أماكن لعبادة الله وحده والدعاء له وحده والقيام بالأعمال التي ترضيه ، مطهرة ، محترمة ، مصونة من الأدناس المادية والمعنوية . قال تعالى : (**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا**) . الجن/ ١٨ ولما كانت المساجد لله وحده والأعمال التي تقام فيها يجب أن تكون له وحده ولا يقصد بها غير وجهه ، كان من الطبيعي حصر إعمارها بمن آمن بالله واليوم الآخر ، لأن هؤلاء هم الذين يعنيهم ابتغاء مرضاة الله وهم الذين يسعون لنيل الثواب الذي أعده الله لعباده الصالحين ، قال تعالى : (**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ۞ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**) التوبة/١٧و١٨ .

○ قداسة المسجد ○

وفي تكريم المساجد وتنزيهها جاء النهي عن دخولها لمن كان جنبا إلا أن يكون عابر سبيل لحاجة دعته . وفي هذا تنبيه على ضرورة صيانة المساجد واحترامها وحفظها من كل الأرجاس والأدناس المادية والمعنوية وضرورة صيانتها عن الأعمال الدنيوية البحتة التي تهم أفراد الناس كالبيع والشراء واللهو واللغو .

ومن نصوص الكتاب والسنة ومن عمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتبين لنا مدى أهمية المسجد في الاسلام ، لتربية الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي ـ فهو المكان الجامع الأول للتربية الاسلامية . فالمجتمع الاسلامي لا يكتسب صفته الكاملة إلا إذا التزم الاسلام عقيدة وعملا ولا تظهر له جماعة ولا رابطة إلا من خلال المسجد بروحه ووحيه وآدابه ومضمون رسالته .

○ المسجد يوحد الجماعة ○

ففي المسجد تظهر معاني الاخوة والمودة بين المسلمين ، اذ تلتقي الأجساد بالأجساد دون فوارق وتلتقي القلوب بالاخوة الايمانية وتلتقي الأرواح في مسلك حب الله والخضوع له والتذلل بين يديه في عبادة صادقة مخلصة . وفي المسجد تظهر روح الجماعة بين المسلمين القائمة على الحق والعدل ، فلا أثرة ولا أنانية ولا تعالي ولا تفاخر ولا تكاثر في أعراض الدنيا ، ولا تباهي بحظوظها الباطلة . كما تظهر في المسجد معاني النظام والانضباط والطاعة للقيادة ووحدة الصف والحرص على المواقيت فيكتسب المسلم بممارسة العبادات في المسجد خلق الصبر والمشاركة الجماعية ، وحسن التعامل مع الناس بالرفق واللين . كما يكتسب أخلاق الطاعة والنظام والانضباط ، والتزام الحق كما يتدرب على مشاعر المساواة مع إخوانه المسلمين فيتخلص من نوازع الكبر والتعاظم والتعالي أو الترفع عن مجالسة الفقراء والضعفاء ، إذ يشعر أنهم بعبوديتهم لله ، وصدق طاعتهم له قد يكونون أعلى منه مقاما عند الله يوم القيامة وأرقى منزلة وأعظم ثوابا كما يتدرب على الجلوس على الأرض والتواضع لله والصبر على مزاحمة الناس وتحمل وضع جبهته عند مواطىء أقدامهم . كما يتدرب المسلم في المسجد على حسن التجمل للناس ومراعاة ما يسرهم ، والرحمة بالفقراء والضعفاء وذوي الحاجات فيعينهم ويأخذ بأيديهم ، ويسعى في قضاء شؤونهم بدون وساطة أو وجاهة وبذلك تتوطد الروابط الجماعية بين المسلمين ، فيكونون مصداق الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم . ومهما انصرف كل مسلم الى بيته يعبد الله في خلواته فان معاني الجماعة الاسلامية التي يعطيها المسجد لا يكون لها وجود في غيره ، والمسلمون لا يزالون بخير ما دام المسجد هو المكان الجامع الذي يشد

أواصر وحدتهم ويوثق عرى جماعتهم .

ففي المسجد يذكر المسلمون ربهم ، ويتعلمون أمور دينهم ويتلقون دروس الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الله بحكمة . كما يستمعون إلى آيات الله ويتدبرون ما فيها من معان قدسية تربوية ، وأحكام دينية وعلوم غيبية وعظات وقصص وأخبار .

○ المسجد يهذب النفوس ○

وفي المسجد تنزل السكينة على قلوب العابدين القائمين الراكعين الساجدين ، فتصفوا قلوبهم من أهواء الدنيا وزينتها وتحلو لهم الآخرة وترفرف لها أرواحهم ، فيسعون لها سعيا وهم مؤمنون . فاذا خرجوا من المسجد كان ما اقتبسوا فيه مددا لهم يرافقهم في أعمالهم فيقوم سلوكهم ويدفعهم إلى فعل الخيرات واغتنام الصالحات وترك السيئات والمنكرات ، قال تعالى : « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** » العنكبوت/ ٤٥

من كل ذلك يظهر لنا ما للمسجد من آثار تربوية لأفراد المسلمين وجماعاتهم حيث يكتسبون فضائل الأخلاق ومحاسن السلوك ومن أجل هذه المكانة العظيمة للمسجد في تربية الفرد والمجتمع أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببناء المساجد وتنظيفها وتطييبها وأخبرنا بالثواب العظيم لمن بنى مسجدا . روى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله يقول : « من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » وروى ابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة » .

وروى أحمد وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب » ولم تقتصر رسالة المسجد في العصر النبوي على أداء الصلاة وسماع الموعظة وحضور مجالس العلم بل كان المسجد يومئذ مركز المهمات الكبرى لجماعة المسلمون فكلما حزب المسلمين أمر نادى المنادي : الصلاة جامعة فيجتمع المسلمين ويقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيخطب فيهم ويعرض عليهم الأمر ويستشيرهم وربما تم إبرام قضية كبرى من قضايا المسلمين في السلم أو الحرب .

فالوظيفة الأولى للمساجد هي أنها أماكن عبادة يؤدي فيها المسلم صلاته ويذكر الله فيزكي نفسه ويسمو بروحه ، كما أنه ينظر في أمور دنياه ولذلك كان المسجد النبوي الشريف في العهد الاسلامي الأول يقوم مقام المجالس الشورية الآن ومجالس النواب فكثيرا ما عقدت فيه مجالس الصحابة للتشاور والنظر في الأمور الهامة كما حدث ذلك قبل غزوة أحد وغزوة الأحزاب ، بحيث يكون النظر في شؤون

الحرب والسلم والمعاهدات والصلح ومصالح الدولة وحقوق الرعية حتى كان المسجد هو المنصة الرسمية التي يعلن منها عن سياسة الدولة ومنهاج عملها .كما أنه المقر الرسمي الذي تتم فيه مبايعة من يختاره المسلمون ليكون أميرا عليهم كما كان المحكمة التي تصدر عنها أعدل الأحكام على هدى شريعة الله .

○ المسجد وسيلة إعلام ○

نعم كان المسجد النبوي يقوم مقام وسائل الاعلام في الدفاع عن الاسلام والمسلمين والمنافحة عن الدين وتثبيت الدعوة وإبطال الترهات والأقوال الزائفة والاشاعات المغرضة وتصحيح المفاهيم الخاطئة .

فقد ثبت أن حسان بن ثابت صاحب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ينشد الشعر في المسجد النبوي في إظهار محاسن الاسلام ويدافع به عن المسلمين ويظهر فضائلهم ومحاسنهم وذلك بحضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففي صحيح البخاري أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له مرة : « أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس» .

وهكذا نرى المسجد في صدر الاسلام كان يؤدي دورا كبيرا وواسعا في حياة المجتمع أوسع شمولا من كونه مجرد مكان تؤدى فيه العبادات . وفي وقت الحروب والغزوات ينقلب المسجد إلى مركز تدريب ومستشفى عسكري فقد ثبت ان المسجد النبوي كان مركز تدريب على فنون القتال وإعداد الجنود والسلاح كما ثبت أن بعض الصحابة كان يعد القسي ويعد السهام في رحاب المسجد النبوي ، كما خصص جانب منه لمداواة الجرحى ومرضى الحرب وقد كانت السيدة رفيدة الصحابية الصحابية الجليلة تقوم بتمريض الجرحى وتضميد جروحهم ونصبت لها خيمة خاصة لذلك كما نصبت خيمة أخرى لبني غفار لتمريض جرحاهم . وفي يوم الخندق أمر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن تضرب خيمة بالمسجد لسيدنا سعد بن معاذ عندما أصيب في ذلك اليوم ليكون قريبا منه ويرعاه ويعوده .

○ المسجد ملجأ ومبرة ○

وفي أوقات السلم كان المسجد النبوي يقوم مقام الملاجيء والمبرات التي يأوى اليها الغريب وابن السبيل فيجد البيت الذي يأويه والطعام والشراب بل والكساء .

فقد كان بالمسجد النبوي صفة ـ وهي مكان مظلل في مؤخرة المسجد ـ يأوي اليها من لا دار له وبها نزل أهل الصفة ، وهم ضيوف الله وضيوف الاسلام .كانوا

يجدون المأوى والطعام والشراب والكساء كما حدث بذلك أبوهريرة وغيره من الصحابة في صحيح البخاري وكما كان دار ضيافة للوفود التي ترد على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد ثبت أن بعض الوفود كانت تبيت بالمسجد ويوكل الرسول اليهم من يرعاهم ، وذلك ليعرفوا الاسلام عمليا - مثل كيفية أداء الصلاة والوضوء - بعد أن يلقن اليهم ويدعون اليه .

كما لعب المسجد دورا آخر من أدوار البر والمعروف فقد كان المسجد النبوي يقوم مقام الجمعيات الخيرية الآن حيث يقوم بجمع الزكاة والصدقات من الأغنياء والمثقفين في سبيل الله ، ويقوم بتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين .

○ المسجد هو المدرسة الأولى في الاسلام ○

من المعلوم انه لم يكن للنبي - صلى الله عليه وسلم - مدرسة مشيدة ولا معهد تعليم يجلس فيه إلى أصحابه يحاضرهم ويعلمهم ، بل كانت مجالسه العلمية بالمسجد حيث يجتمعون فيه أغلب الأوقات لأداء الفرائض . بحيث كان المسجد هو المكان الرسمي للعلم والتعليم والمذاكرة والوعظ والارشاد .

ولما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية تطور تبعا لذلك دور المسجد وصار معهد علم وتدريس لكل الفنون والعلوم . فعرف المسجد النبوي حلقات ابن المسيب والامام مالك . واستمرت رسالة المسجد تزدهر طوال عصور وازدهار الاسلام وتحافظ على رسالتها وتنمو معطياتها حتى صارت بعض المساجد الكبرى في العالم الاسلامي بمثابة معاهد وأكاديميات علمية ذات شأن عظيم يتخرج منها المحدثون والمفسرون والفقهاء والخطباء والوعاظ والمؤرخون وعلماء السير والأدباء والشعراء واللغويون والنحويون وبرز في هذا المضمار مساجد صنعاء باليمن والجامع الأموي بدمشق والجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس والقيروان بفاس . وتبارى الملوك والأمراء في بناء مدارس ملحقة بالجامعات لاقامة الطلبة وسكناهم ورصدت لها الأوقاف الخاصة والعامة للصرف عليها . وكان من أثر ذلك ازدهار العلوم والثقافة في كافة المجتمعات الاسلامية وقيام حضارة راقية يدين لها بالفضل عصرنا الحديث فأخرجت ألوف العلماء في كل علم وفن حتى زخرت الحضارة الاسلامية بما لم تزخر به حضارة قط . واستطاعت هذه المؤسسات العلمية أن تصنع من الأمة الاسلامية مجتمعا يتعاون على تحويل العلم الى عمل مثمر وجهاد نافع وتحققت بذلك رسالة العلم في الحياة .

وتعددت مراكز الاشعاع مع النمو البشري والفكري والتطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وتزايد عدد العلماء الأعلام الذين زخرت بهم الحياة الثقافية والعلمية وتوثقت الصلات المادية والروحية وتوالى تنقل الأساتذة والطلاب بين مراكز الاشعاع العلمي والثقافي والحضاري فكان العلماء يتنقلون بين هذه

المراكز ويتطارحون القضايا والمشكلات ويقيمون المناظرات والمناقشات والطلاب يتوافدون على الجامعات العلمية يرشفون من مناهلها .

وقد نشأ عن ذلك تبادل ثقافي عميق بين المدارس العلمية في مختلف البلدان الاسلامية ولا سيما في مغربنا العربي الاسلامي من ذلك العلاقة الثقافية والعلمية بين المغرب وتونس المطبوعة بالمتانة والوثوق منذ أن ساد المذهب المالكي في المغرب العربي الكبير على يد علي بن زياد في تونس بوساطة جامع الزيتونة وأسد بن الفرات في القيروان بوساطة جامع عقبة ثم التحق بهما جامع القرويين بفاس عندما تقاطر الطلاب من المغرب على تونس والقيروان لدراسة المدونات المالكية وتلقيها كما انتقل العلماء الى المغرب والأندلس لنشر المذهب المالكي .

كما ثبت أن هناك ترابطا واتصالا علميا آخر : من ذلك تبادل المعلومات والاكتشافات الطبية التي وقعت بين ابن الجزار الطبيب القيرواني الشهير مع ابن زهرة الطبيب الشهير في بلاط المرابطين بالمغرب . ويكفي أن نذكر أن من بين الأعلام الذين لعبوا دورا في ربط الصلات بين المغرب العربي بثقافتهم ومجهودهم العلمي عبد المؤمن بن علي الذي وحد المغرب الكبير من برقة إلى المحيط الأطلسي .

○ دور المساجد اليوم ○

أما رسالة المسجد اليوم فقد انحسرت وتقلصت حتى أصبحت أماكن للعبادة والصلاةو فحسب . وفقدت الكثير من هذه الخصائص والوظائف التي قامت بها في صدر الاسلام أو بعده في عصوره الزاهرة ، فضعف دور المسجد واتسعت الفجوة بينه وبين الواقع المعاش في المجتمع فضعف تأثيره فيه لأن الأوضاع الاقتصادية أثرت في المناخ خارج المسجد فأصبح تأثيره على المجتمع ضعيفا ، وبذلك ضعف الوازع الديني في المجتمع .

والذي نرجوه في هذه الظروف ونتمنى على الله تحقيقه هو أن يعيننا على تغيير مجرى حياتنا ويخفف حدة المادة من نفوسنا حتى تستشف معاني الايمان وتتشبع بروح الاسلام فتزكو بمعالم الهداية وتثوب إلى رشدها وتهتدي إلى الصراط المستقيم .

فاللهم أعنا على تعمير بيوتك في الأرض وبيض وجوهنا يوم العرض واهدنا الى صراطك المستقيم واجعلنا من الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الظالين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الإجرام الصهيوني

على مر العصور

للأستاذ : محمد فوزي حمزة

إبادة الشعب .. واستلاب امواله واغتصاب أرضه .. ذلك ما تفعله اسرائيل اليوم في شعب فلسطين ، وما تريد أن تفعله في بقية المنطقة لو لم يحترز من فيها من يوم هي تخطط له وتلهيهم عن ضرورة الاستعداد له لتستدرجهم إليه استدراجا فتنقض عليهم فيه .

وهذا الذي تفعله اسرائيل اليوم هو أيضا ما كانت تفعله في الزمن القديم كلما قدرت عليه ، والمذبحة التي شهدتها مثل هذه الأيام في مخيمات اللاجئين ببيروت والتي راح ضحيتها آلاف الوادعين من الشيوخ والأطفال والنساء إذ انقضت عليهم قوى اسرائيل بعد إبعاد مقاتليهم وإبادتهم عن آخرهم ، ليست هي الأخيرة من نوعها طالما بقى من أمتنا من يمشون بأنفسهم

حسب خطة اسرائيل وينساقون لرغباتها طائعين مختارين ويعيشون ـ كما تريد ـ لاهين عن خطرها غير مستعدين له ، كما أنها ـ أي المذبحة ـ ليست هي الأولى في تاريخ الفظائع الصهيونية ، .. « صبرا » ، « شاتيلا » .. اسمان لضاحيتين في بيروت ، وعلامتان من علامات العار والخزي على جبين الصهيونية ، ومن قبل « دير ياسين » ، « يافا » و « قبيه » وغيرها ، وفي الزمن القديم « أريحا » .. و « عاي » ومدائن أخرى .. وما أكثر علامات العار على جبين الصهيونية .. فما قصة هذه المدائن ؟ وماذا جرى فيها من مذابح ؟ هذا ما سأقصه عليك .. من التاريخ المعاصر .. ومن العهد القديم .

رضا الرب في العهد القديم

في قراءة العهد القديم ، وباستثناء الاصحاحات الأولى التي تصف قصة الخلق والتكوين ، لا تقع على ذكر للجنة ولا للنار ولا عن الثواب والعقاب ولا الدار الآخرة جميعا ، وانما رضا الرب وغضبه في الكتاب المقدس هو تسليط بني اسرائيل على شعوب الأرض او كفهم عن هذه الشعوب ، ولا يذكر الكتاب المقدس فترة رضى فيها الرب عن بني اسرائيل إلا ويذكر انه ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ مكنهم من جيرانهم وامرهم بقتلهم واغتصاب ارضهم واستلاب أموالهم ، ولا يذكر غضب الرب إلا بمناسبة أضمحلال القوة في بني اسرائيل وتحول الميزان العسكري إلى غيرهم وانحسارهم عن الظلم والطغيان ، والمسألة كلها أنهم كانوا كلما تقووا على غيرهم وكثر نفيرهم استعدوا للغزو واحكموا رباطاتهم مع القوى الكبرى التي تمكنهم او تمنعهم منه ، ثم يفتعلون الأسباب للاقدام على الضربة الغازية .. ويقدمون عليها إقداما وحشيا بربريا سمته النهب والغصب والابادة ثم يقولون : رضى ربنا عنا !!

وعندما قويت شوكتهم في عصر « يشوع بن نون » واستعدوا لغزو فلسطين أيام الغصب القديم ، قال قصاص العهد القديم إن الرب رضى عن إسرائيل ، وحسب الطبعة الصهيونية للتوراة عبر الرب عن رضاه عن « شعبه المتميز » بأن وعدهم بأراضي فلسطين ومكنهم من اغتصابها فطفقوا يغتصبونها ويبيدون أهلها على نحو ما سنرى .

اريحا

وكانت أريحا من أوائل الضواحي الفلسطينية التي تعرضت للغزو الصهيوني في ذلك « الطروء » القديم ، فزعم الكتاب المقدس أن الرب وعد السفاح الاسرائيلي « يشوع » بأن يمكنه من أهلها ويغلبه عليهم ليطردهم منها ويستولى عليها ويوزع أراضيها على بني قرابته .

وكان هذا الوعد المزعوم بعد موت موسى فكان منطقيا من « قصاص التوراة » أن يختار لمزاعمه قائد جند موسى يخلعها عليه وهو يشوع بن نون ، فزعم أن الرب أمر هذا القائد بأن يعبر الأردن ليعطيه الأرض التي هو معطيها لبني اسرائيل ـ يشوع ١ : ٢ ، وطبقا للطمع الصهيوني المعهود في بني اسرائيل فقد شمل الوعد المزعوم « كل موضع تدوسه اقدامكم » إلا أنه جعل حدودا مرحلية لهذا الملك الذي لا يرى آخره فجعل حدود هذه المرحلة « من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس ـ يشوع ١ :٣ ، ٤ » .

إلا أنه بدا جليا أن يشوع لم يتلق هذا الوعد من السماء وإنما لفقه مؤلفو التوراة تلفيقا إذ أن يشوع عندما خاطب جنده وحلفائه لم يكن يبلغهم أمرا من الرب وإنما كان يجلو لهم فرصة لاغتصاب أملاك الغير ، فبينما كان يستنفرهم للقتال لم يكن يخاطبهم بخطاب يستثير فيهم عوامل الحمية الدينية وإنما عوامل المصلحة الشخصية والطمع اليهودي والشرة الصهيوني

نحو الاغتصاب » حتى يريحكم الرب ويملك أخوتكم مثلكم ويمتلكوا هم أيضا الأرض ـ يشوع ١ : ١٥ ـ » .

المهم أن الباغي يشوع تقدم بجنده ليحاصر أريحا ويذل أنفاسها بمنع المؤونة والماء عن شعبها ، وطال الحال وأريحا « مقفلة بسبب بني اسرائيل ولا أحد يخرج ولا أحد يدخل يشوع « ٦ ـ ١ » ، ثم بدأ الغزاة يمارسون على حدودها بعض أعمال الارهاب ويقومون ببعض الخطوات الاستفزازية ليتذرعوا بها إلى دخول المدينة ، كأن يحدثوا جلبة شديدة حول المدينة أو يسقطوا بعض النواحي من أسوارها « يشوع » ٦ ، ٤ ، ٥ » .

ولا تخلو واقعة في التاريخ اليهودي من مكان بارز للاسطورة ، والاسطورة في هذه الواقعة شخصية خرافية اسماها الكتاب المقدس « رئيس جند الرب » الذي رآه يشوع على هيئة جندي شاكي السلاح فاستغرب ملامحه وعرف أنه ليس من جنوده وخشي أن يكون جاسوسا جاء يستطلع جيشه فتقدم منه وسأله « هل أنت لنا أو لأعدائنا ؟ » .

قال الجندي المجهول « أنا رئيس جند الرب « يشوع ٥ » : ١٣:١٤ » وهنا سجد يشوع لرئيس جند الرب الذي تقول الأسطورة أنه ظل يداوم الاتصال بيشوع حاملا إليه التعليمات الربانية بغزو أريحا واغتصاب أراضيها وإبادة أهلها والحلول محلهم ، وأنه هو الذي رسم ليشوع كيفية الحصار ووضع له خطة الغزو « يشوع ٦ : ١ وما بعدها .

وهدمت العصابة سور المدينة ، ودخلتها ، ولكن حرص الرواية المقدسة على الصياغة الأسطورية للتاريخ جعل سور المدينة ينهدم من مجرد تعرضه للاشعة المتلفة المنبعثة من التابوت وبداخله (رب الجنود) ومن تعرضه لهتاف الجيش الاسرائيلي « يشوع » ٢:٦ وما بعدها ، وقد حاول قصاص التوارة جاهدا أن يجعل هذه الحرب حربا مقدسة إلى درجة أنه أشرك فيها « رب اسرائيل » ليس فقط بوعده أو بتوجيهه وتأييده ولكن بارساله رئيس جنده بل وبحضوره الحرب شخصيا يدخل التابوت ويسخر نفسه وهو بداخله كآلة حربية تحملها عصابة يشوع وتستخدمها عند اللزوم ، وحاول جاهدا أن يداري على الأهداف الصهيونية من هذا الغزو ، ولكنه لم يستطع أن ينقي روايته منها تماما وإنما افلتت منه بعض الشواهد الدالة على الأهداف الصهيونية التي كانت وراء هذه الحرب ، من ذلك أن الرواية المقدسة تضمنت أن جنود يشوع طفقوا يسرقون المدينة وينهبونها رغم تحذير الرب وشهدت مرتين على أحدهم ـ هو عخان بن كرمي الزراحي (٧ : ١ ، ٧ : ٢١) شهادة لا تقبل الشك إذ سجلت فعلته ودونت محاكمته وعينت سرقته ومقدارها مئتا شاقل ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا ورداء شعّاني نفيس .

فظائع الصهيونية اذا قدرت

ولن نخوض كثيرا في محاولة إضفاء القدسية على هذه الحرب التي رأينا القصاص يشرك فيها رب اسرائيل ، إلا أننا سنقف لاستبيان الطبائع الصهيونية لرب اسرائيل الذي تتحدث عنه الراوية المقدسة ، فإن الرب الدموي لم يكتف باغتصاب الأرض ولكن أمر بقتل أهلها جميعا ، ولا يعقل أن تكون هذه المجزرة أمرا ربانيا وإنما هي خاصية « إبادة الجنس » التي يتبناها الخلق الصهيوني منذ زمن هذه الرواية ويطبقها الصهاينة كلما قدروا عليها ويطبقونها اليوم في فلسطين ، إذ أمر الرب عصابة يشوع بأن يبيدوا أهل المدينة ولا يغادروا منهم أحدا على قيد الحياة ، ففعلوا ، وبنص الرواية المقدسة . « حرموا ـ أي قتلوا ـ كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ ـ ياللفظاعة ـ حتى الغنم والبقر والحمير بحد السيف « يشوع »٦:٢١ » ، ثم إن الرب لم يكتف بهذه المجزرة وإنما شارك في العمل على إخفاء الجريمة البشعة فزادها بشاعة إذ أمر ـ كالرواية ـ بحرق المدينة تماما حتى تكون عملية « إبادة الجنس » قد تمت عن

آخرها فلا يبقى من جنس أهل المدينة حي ولا ميت ، وبالفعل ، تقدم جيش يشوع « واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها « يشوع »٦:٢٤ » ، ولكن كان متوقعا ان يستثنى الصهاينة أموال المدينة ومتاعها من الحرق وأن يستولوا عليها : « إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب « يشوع »٦:٢٤ » .

الزانية تنجو من القتل :

أهل بيت واحد فقط نجوا من الذبح ومن الحرق ، بيت زانية في أريحا كان اسمها (راحاب) ، أمر يشوع عصابته بألا يتعرضوا لها ولا لأهل بيتها وأن ينجوهم من المذبحة ومن المحرقة ، وكان لهذه الزانية قصة ودور في غزو أريحا ، ويبدو أن يشوع كان على صلة بها من قبل وكان يعرف بيتها ويعرف أنها زانية وخائنة لمدينتها فأرسل جواسيسه يتصلون بها لتدلهم على مكامن المدينة وأسرارها وليقيموا عندها ويستطلعوا أخبار المدينة ، واتصل بها جاسوسان من جند يشوع فأقسمت لهما وأحلتهما عندها ، وعندما علم ملك المدينة بأن في المدينة جواسيس أرسل جنوده يعسون ، فسأل جنود المدينة كل بيت فيها عن رجلين غريبين يحتمل أن يكون أحد قد رآهما فلما سألوا (راحاب) ضللتهم وسيرتهم في اتجاهات شتى وخبأت الجاسوسين في مكمن في بيتها ـ يشوع : الأصحاح الثاني كله ـ وبعد انتهاء الحرب أنجاها يشوع وكرمها وأحلها بين شعب اسرائيل ، وعندما أمر بقتل المدينة وحرقها تضمن أمره بالحرف الواحد أن « راحاب الزانية فقط تحيا ـ يشوع ٦ : ١٧ » .

ومن أريحا تقدمت العصابة القوية نحو مدينة أخرى اسمها « عاي » ، وطفق الرب كعادته ـ يبذل ليشوع وعده باغتصاب أرضها وإبادة أهلها ويؤكد على طبائع الغصب والابادة في أصول هذه العقيدة الصهيونية ، غير أن الوعد في هذه المرة تضمن طبعا آخر من أصول هذه العقيدة وهو استلاب أموال الغير وإباحة انتهابها ، في أريحا تضمن الوعد الابادة واغتصاب الأرض فقط دون النهب ولكن النهب في أريحا تضمنه الفعل كما شرحنا ، أما هنا فقد كانت نية الانتهاب مبينة من مرحلة تلفيق الوعد إذ جاء فيه أن « غنيمتها وبهائمها تنتهبوها لأنفسكم « يشوع »٨:٢ » فلما جاءت مرحلة الفعل وانتهبوا المدينة فعلا أوحت الرواية بأن جند إسرائيل لم ينتهبوا ما انتهبوه إلا حسب قول الرب ـ يشوع ٨ : ٢٧ » .

وقبل اقتحام المدينة نصبت العصابة كمائن متعددة حولها وكانت الخطة « الربانية » أن يشعلوا النار فيها فيهرب أهلها فتلتقطهم هذه الكمائن وتوسعهم التنكيل والقتل ، وقد كان ، وأضرمت النار في المدينة ـ يشوع ٨ :١٩ . وأتت على كل بيت وزرع وموطن مسكون ، وبالجملة ، « أحرق يشوع على عاي وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم ـ يشوع ٨ : ٢٨ » ، ولعل مطالعة هذه الشهادة التوراتية تكفي وحدها للوقوف على مدى الفظاعة التي تعرضت لها المدينة إلا أن أهل المدينة ـ وقد هرعوا إلى خارجها هربا من فزع الحريق ـ وقعوا في كمائن العصابة الغازية فقتلوهم عن آخرهم ، والرواية المقدسة ذاتها شاهدة على بشاعة الجرم الذي ارتكبته إسرائيل في حق أقل أهل المدينة إذ تقول أن الاسرائيليين قتلوا « جميع سكان عاي في البرية حيث لحقوهم ، وتقول « ضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ـ يشوع ٨ : ٢٢ » .

تقول وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا » ، أما من بقي بالمدينة من سكانها ـ وهم بالطبع الشيوخ والأطفال والعجزة الذين ضعفوا عن الهرب واستسلموا لمصيرهم ـ فإن النص المقدس يقول إن الاسرائيليين عادوا فاقتحموا عليهم المدينة وضربوهم حتى أفنوهم ـ يشوع ٨ : ٢٤ » ثم أحصى السفر القديم عدد القتلى فقال « اثنا عشر ألفا جميع سكان عاي ـ يشوع ٨ : ٢٥ » .
وذلك ما كان من أمر المدينة المنكوبة ، أما ملكها اليائس فإنه عندما فوجيء بالحريق وبالهجوم

جمع رجاله وخرج لملاقاة العصابة فوقع في الكمين ـ يشوع ٨ : ٢٤ ـ فقبض عليه فسأقوه أسيرا وقدموه إلى يشوع الذي أعد له سلاسل وأغلالا وأمر بصلبه فصلب إلى المساء وأنزل عند غروب الشمس جثة هامدة . يشوع ٨ : ٢٩ » .

البقاع الأخرى

بعد أن سمعت البقاع الأخرى في المنطقة بالذي وقع في « أريحا » وفي « عاي » حاولت التكتل للوقوف في وجه هذه العصابة الخطيرة ، وبالفعل تجمع ملوك هذه البقاع ـ الحثيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحوويون واليبوسيون ـ وتعاهدوا في نظام ما من الوحدة القديمة جمعهم إلى كافة ملوك البقاع إلى « كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان ـ يشوع ٩ : ١ » ، وتكتل الجميع فيما يشبه معاهدة الدفاع المشترك .

معاهدة الصلح

وقد كان هذا التحالف للدفاع المشترك كفيلا بأن يجمع قوى الدويلات الصغيرة في هذه المنطقة ويمكنها من مقاومة الغزو الاجرامي ، لولا أن دويلة في المنطقة اشترت سلامتها وعقدت « معاهدة صلح » مع اسرائيل منفردة بهذا الصلح عن جاراتها كافة وشريكاتها في الدفاع ، وقد جاء هذا العمل الفردي القديم من حكومة « جبعون » التي اتصل حكامها بملوك إسرائيل وسالموهم وعاهدوهم ـ يشوع ٩ : ٣ ـ ٦ ، وكان طبيعيا أن تحدث هذه المعاهدة خللا ملحوظا في (الدفاع المشترك) الذي أقامته دول المنطقة فيما بينها وأن يكون لها تأثير سلبي خطير في قوى المواجهة فأدى هذا إلى تدهور العلاقات بين (جبعون) وجاراتها إلا عدوتهم جميعا التي ظلت تعمل على تقوية صلاتها بجدعون » وعلى استدراجها حتى أخرجتها تماما عن صف المواجهة ، وإزاء تدهور العلاقات بين (جبعون) وجاراتها تمادت الدولة الخارجية على أمتها وعقدت مع إسرائيل معاهدة تحالف مشترك ضد بني أبيها وتمادت في أعمال الاذاية لهم والنكاية فيهم ـ يشوع : ١٠ كله .

فأحدث هذا الخلل ضعفا كبيرا في قدرة المنطقة على احتمال الهجوم ، وتمكنت إسرائيل من دول المنطقة واحدة فواحدة تهاجمها وتذبح أهلها وتحرقها وتضمها ، ..« مقيدة » فعلوا بها كما فعلوا بأريحا « قتلها ولم يبق شاردا ـ يشوع ١ :٢٨ » ، .. (لنبة) .. « ضربها بحد السيف كل نفس بها لم يبق شاردا يشوع ١٠ :٢٩ ، .. (الخبيش) ..« ضربها بحد السيف حتى لم يبق شاردا ـ يشوع ١٠ : ٣٠ » . ..جازر) ..« ضرب ملكها مع شعبه حتى لم يبق شاردا ـ يشوع ١٠ : ٣٣ » ..

وعلى نفس المنوال كشفت الرواية المقدسة عن فظائع إسرائيل في البقاع الأخرى ..(عجلون) ..(حبرون) .. (دبير) .. كل ذلك هاجمه جيش إسرائيل وقتل شعبه وأحرق مساكنه واغتصب أرضه ، وبالجملة لم تنج بقعة من المنطقة من فظائع إسرائيل .. « كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شاردا بل حرم ـ أي قتل ـ كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش إلى برنيع إلى غزة وجميع الأرض ، إلى جبعون وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة ـ يشوع ١٠ ـ ٤٠ » .

موقع الرب من العقيدة الصهيونية :

ومن الهام أن نعرف أن الرواية المقدسة عندما استعرضت هذه الفظائع تعتبر قد شهدت على تأصل الطبائع الخبيثة ـ القتل والحرق والابادة والغصب والنهب ـ في العقيدة الصهيونية ،

وبنيت موقع « الرب » من هذه العقيدة وهو موقع الآمر بهذه الفظائع والمساعد عليها والآله الحربية التي تسكن التابوت ليحملها جنود اسرائيل وهم سائرون في الحرب كأنه برج من أبراج الحرب أو ترس من تروسها ، وإذ أعادت الرواية كل فظائع إسرائيل إلى أوامر الرب فإنها تقول « كما أمر الرب موسى عبده ... هكذا أمر موسى يشوع .. وهكذا فعل يشوع - يشوع ١١ : ١٥ » .

ولكن المهم جدا أن الرواية نفسها ردت منذ الزمن القديم قول من قال إن الحرب ستهدأ إذا عاشت إسرائيل في (حدود آمنة) . وشهدت بأن إسرائيل لن تكف عن الحرب مادامت فيها قوة - حتى تبتلع المنطقة كلها ، وهي في الزمن القديم لم تتوقف عن الحرب حتى ابتلعت المنطقة كلها فعلا ، تقول الرواية - وأقول لمن يعتبر - : « فأخذ يشوع الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لاسرائيل حسب فرقهم واسباطهم » وهنا فقط ... ، استراحت الأرض من الحرب - يشوع ١١ : ٢٣ » ، إلا أن قصاص التوراة كان - كما سنرى - يأسف بشدة لأن الأرض استراحت من الحرب عندما تقدم السفاح في السن وضعف عن قيادة العصابة وما تزال في الدنيا أرض نافعة متاحة للاغتصاب .

العاقل من يعتبر :

قلنا أن جميع بقاع المنطقة سقطت غصائب اسرائيل وقتلاها وحرقها ، ونقول - والسعيد من وعظ بغيره - : إن بقعة واحدة ظنت أنها ناجية من إجرام إسرائيل ، (جعبون) التي تصالحت معها كان ظنها أن معاهدتها ستحميها وأن إسرائيل كانت تنوي صلحها فعلا وأنها ناجية إلى مالا نهاية ، ولكن إسرائيل لم تلبث أن كشفت عن النوايا التي بيتتها وقت إبرام هذه المعاهدة والتي لم تكن إلا لتسكين من استطاعت تسكينه (من دول المنطقة) ثم تستدير إليها بعد أن تبتلع الآخرين ، وبالفعل لم تكد إسرائيل تتفرغ من بقية البقاع حتى استدارت إلى « جبعون » - التي حالفتها وانشقت على أخواتها - فضمتها واستعبدت أهلها وضربت عليهم ألوانا من السخرة ، واضطرت (جبعون) - إلى أن تقنع بحياة العبيد تحت سيادة إسرائيل ، ثم تحركت في إسرائيل شهية قتل وإبادة من يقع تحت سلطانها فأخذ شعب اسرائيل يضغط على قادته ليقتلوا شعب (جبعون) - يشوع ٩ : ١٧١ ولكن القادة فضلوا أن يبقوا عليهم ليستخدموهم ، وبالفعل استعبدوهم واستذلوهم وأقاموا يستعبدون رجالهم ويزنون بنسائهم وبناتهم وسلبوهم أحقيتهم في وطنهم وسلبوهم أراضيهم وأموالهم ووضعوهم في منزلة دانية تشبه الحضيض الذي كانوا هم فيه في أواخر أيامهم بمصر وانتهى أمر هذه الدولة - الحليفة الوحيدة لاسرائيل - إلى ألا يكون شعبها في وطنهم مواطنين ولو حتى درجة ثانية - ولا ثالثة - ولكن عبيدا تحت أقدام الاسرائيليين « محتطبي حطب ومستسقي ماء - يشوع ٩ :٢١، ٢٧ » .

مدار السيرة بين موسى والسفاح :

شرحنا في مقالات سابقة بهذه المجلة أن السفر القديم أدار سيرة موسى من خلال فكرة الغزو الصهيوني لفلسطين واغتصابها وإبادة أهلها تلك الخاصية الصهيونية التي أقحمها السفر إقحاما في حياة موسى حتى أن السفر جعل منه زعيما من زعماء الصهيونية المعروفين لا نبيا من أنبياء الله المرسلين ، ولكن مؤلف السفر اصطدم بحقيقة لا حيلة له فيها وهي أنه لم يتحقق على يد موسى هدف واحد من أهداف الصهيونية ، وذلك ببساطة لأنه لم يكن صهيونيا يعمل لخراب الدنيا وإنما كان نبيا رسولا يدعو إلى إصلاحها ، وهذا ما لم يعجب كتاب العهد القديم الذين لم يعودوا يعنون كثيرا بموسى ، ولم يهتموا بتحقيق سيرته جيدا بل أنهم بعد وفاته نفضوا أيديهم

منه ومن توراته ولم يسجلوا لاجيالهم عنها شيئا يذكر .
اما يشوع فلأنه كان بالفعل قائدا صهيونيا حقق لبني إسرائيل كثيرا من أهدافهم التوسعية ورأى مؤلفو التوراة خصائص الصهيونية وهي تتجسد فيه فقد عنوا به كثيرا وأولوه اهتماما أكثر مما أولوا لموسى إذ بينما لم يبين السفر شيئا عن موسى بعد وفاته ولا حتى موضع قبره من ارض مؤاب تجد موتة يشوع مسجلة تسجيلا جيدا موضحا به مقدار عمره حين قضى نحبه « مائة وعشر سنين » يشوع ٢٤ : ٢٩ » وموضع قبره بتحديد دقيق « في تخم ملكه في ثمنة سارح » التي في جبل إفريم شمالي جبل جاعش ـ يشوع ٢٤ : ٣٠ » ، صحيح أن مؤلف التوراة وقع في شيء من اللبس في اسم هذا الموضع ـ لامكانه ـ إذ سماها في إصحاح آخر « ثمنة حارس » . قضاه ٢ : ٨ : ٩ » إلا أن هذا التحديد لم يرق إليه وصف السفر لموت موسى إذ قال ـ بالكاد ـ إنه مات في أرض مؤاب ـ التثنية ٣٤ ـ ٥ .
وبينما رحيل موسى لم يحظ بكثير من أسف التوراة إذ في نهاية سفر التثنية ترى قصاص التوراة يودع سيرة موسى وداعا فاترا ويستعجل تشطيبها ويتعجل استقبال سيرة يشوع ويفرح باستقبالها قبل أن ينتهي من سيرة موسى . تجد في نهاية سفر يشوع القصاص يأسف لاقتراب أجله وما تزال في الدنيا أرض متاحة للاغتصاب شاخ يشوع وتقدم في الأيام فقال له الرب أنت قد شخت وتقدمت في الأيام وقد بقيت هذه الأرض الباقية كل دائرة فلسطين وكل الحشوريين من الشيحور الذي هو أما م مصر إلى تخم غفرون شمالا ـ يشوع ١٣ ـ ١ ـ٤ » وهكذا لم يخف قصاص التوراة أسفه على رحيل الغاصب الكبير الذي ربما توقع ألا يصادف بنو إسرائيل مثله من يقودهم إلى ممارسة خصائصهم الكبرى .. الغصب .. والابادة .. والاحتلال .

فظائع اخرى بعد يشوع

وبعد وفاة يشوع لم يعدم المؤلف الصهيوني زعيما يرثه في قيادة العصابة وإنما وجد يهوذا يملأ كرسي يشوع فضمن استمرار العمل الوحشي وأسند إليه الوعد والمهمة ـ قضاة ـ ١ : ١ ، ٢ ـ فكان مما فعل يهوذا وكانت الجولة ما تزال لاسرائيل وكانت ماتزال صاحبة القوة الضاربة في المنطقة وصاحبة الغلبة ـ إنه قتل من الكنعانيين عشرة آلاف في « بازق » وقبض على ملكهم ومثل به إذ قطع أصابعه الابهام واستعبده قضاة ١ : ١ ـ ٥ ، وجعل القتل في أهل أورشليم وأضرم فيها النار (قضاة ١ : ٨) ، وانعطف خرابه على القرى الوادعة في الجبل والجنوب والسهل ،قرى حبرون واشيشاي وأخيمان وتلماي ودبير قضاة ١ ٩ ـ ١٢ ـ تعداها إلى غزة واشقلون وعقرون قضاة ١ : ٨ ـ وقرية آمنة اسمها (لوزا) استغل أحد أبنائها وكان ضعيف النفس فذلهم على عورتها وأعطوه أمانا له ولأهله ـ قضاة ١ : ٢٤ ـ

مقارنة وعبرة

والذي كان يجب أن يفهمه الاسرائيليون ويقدروه جيدا هو أنهم كانوا إذا ضعفوا وتملكت عليهم الدول اعاشتهم في أكنافها وحافظت على آدميتهم ولم تهدر ما كان حقا شرعيا لهم ـ وقد حدث غير مرة أنهم دالت أيامهم بعد قوة وانهزموا بعد غلبة فلم يجدوا وحشية ولا انتقاما من أهل المدائن ، وقد شهدت الرواية المقدسة بأنهم عندما زالت قوتهم وارتفع عليهم أهل الأرض « أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيرونيين والحويين ـ قضاة ٣ : ٢ » . وكذلك عندما هزمهم « عجلون » ملك المؤابيين وتسيد عليهم ـ قضاة ٣ : ١٢ ـ لم يلقوا من فاتحيهم معاملة سيئة ولا عدوانا ولا أنزلوا منزلة مهينة ولم يخسروهم شيئا اللهم أنهم عاشوا حياة عادية بين المواطنين بغير رئاسة ولا تسلط دموي .

كيف تجنّبين طفلك الكذب

للاستاذة / آمال عبدالرحمن محمد

أختي المسلمة : بحكم مسئوليتك الجسيمة في الاسلام كأم يقع عليك العبء الأكبر في إعداد الاجيال الصالحة وانت تؤسسين اللبنة الاولى في حياة الصغير وتغرسين فيه بعض المبادىء والقيم بحكم أنك أول كائن يتفاعل معه الطفل ذلك لأن الأم حجر الزاوية في تكوين العلاقات الانسانية بين الطفل والمجتمع من حوله وهي التي تعلمه أول درس في الأخلاق .

ولهذا كان عليك ان تحرصي أشد الحرص في تنقية مايكتسبه الطفل من عادات وتقاليد وأول ماينبغي أن تغرسيه في طفلك عادة الصدق عملا بقوله تعالى - (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**) التوبة/ ١١٩ وأن تجنبيه الكذب لأنه أقبح الظواهر في نظر الاسلام مصداقا لما ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله

صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ومازال العبد يكذب حتى يكتب عندالله كذابا) رواه الشيخان وغيرهما ... (والكذب هو توفير النية للتضليل) ، وعدم مطابقة القول للواقع ، وهو بذلك عكس الصدق الذي هو توفير النية لمطابقة القول للواقع مطابقة تامة ، والأمانة في القول وفي غيره خصلة مكتسبة وليست فطرية بحيث يولد الفرد مزودا بها بل هي صفة تتكون في الفرد عن طريق التقليد والتمرين وغير ذلك من طرق التعلم المختلفة ، والكذب لدى الطفل ماهو الا عرض ظاهري ، لذلك ينبغي معرفة العوامل والدوافع النفسية والقوى التي تؤدي الى ظهور هذا العرض ، ومن المشكلات التي تتصل بالخوف اتصالا وثيقا مشكلة الكذب ، ويرى البعض ان الكذب الحقيقي عند الاطفال لاينشأ إلا عن خوف والغرض الاساسي منه حماية النفس ، ويرجع الاهتمام بهذا الموضوع الى ان الكذب يستغل عادة لتغطية الذنوب وقد وجد الباحثون في جرائم الأحداث أن من اتصف بالكذب يتصف عادة بالسرقة والغش وهذه الخصال الثلاث تشترك في صفة واحدة وهي عدم الأمانة .

موقف الآباء من الكذب :

ينصب الآباء على الأبناء بالتقريع ، والإذلال ، والتشهير والضرب اعتقادا منهم انهم بذلك يصلحون أبناءهم ، ويقطعون دابر الكذب ولكن اغرب من هذا ان تأتي هذه المعاملة بعكس مايتوقع منها من نتائج فيصر الاطفال عادة على صحة كلامهم ويتفننون في إخفاء الحقائق وتزييفها .

أنواع الكذب :

كذب خيالي حيث يتحدث الطفل عن أشياء من مخيلته ، وينبغي الا نحكم على الطفل في هذه الحالة أنه كاذب ، لان ذلك يشبه خيال الشاعر والأديب ، ويعتبر هذا نوعا من أنواع اللعب يتسلى به الطفل ، وعند كشف هذه القوة الخيالية الرائعة يحسن توجيهها والاستفادة منها .

الكذب الالتباسي :

ويرجع الى قدرة الطفل على التمييز بين مايراه حقيقة واقعة وما يدركه واضحا في مخيلته ، فكثيرا ما يسمع الطفل حكاية خرافية او قصة واقعية وسرعان ماتملك عليه مشاعره وتسمعه في اليوم التالي يتحدث عنها كأنها وقعت له بالفعل ، وهذا النوع يزول من تلقاء نفسه عندما يكبر الطفل ويستطيع ان يميز بين الواقع والخيال وليس لهذين النوعين خطورة ولكن ينبغي ان توجه بعض الارشادات للطفل .

الكذب الادعائي

كأن يدعي الطفل المرض ليجذب اليه الانتباه وليحصل على قسط اكبر من العطف والرعاية ، ويحدث ذلك في

الاسرة التي لم يشعر فيها الطفل بالحنان او نتيجة لقدوم مولود جديد للاسرة ويخشى الطفل ان ينتزع منه الوافد الجديد اهتمام الآباء كما قد يبالغ الطفل في وصف تجاربه الخاصة ويتحدث عما عنده في المنزل من لعب وملابس جميلة والواقع انه ليس عنده منها شيء ولكنه يريد ان يحدث لذة ونشوة عند سامعيه ، وليجعل نفسه مركز إعجاب وتعظيم ، وتحقق كل من هذين الغرضين يشبع النزوع للسيطرة فهذا الكذب الموجه عادة لتعظيم الذات وجعلها مركز الانتباه والاعجاب ينشأ عادة عن شعور الطفل بنقص في مثل هذه الحالة يحسن ان نكشف النواحي الطيبة في الطفل ونوجهها لتنبت نباتا حسنا وبذلك نساعد الطفل على ان يعيش في عالم الواقع بدلا من ان يعيش في عالم خيالي وبذلك ترتد ثقته ويزول عنه احساسه بنقصه ، وينبغي الاسراع الى علاجه في الصغر وإلانما عند الطفل .

الكذب الغرضي والأناني :

حيث يكذب الطفل لتحقيق غرض شخصي فقد يذهب الطفل الى أبيه ويطلب منه نقودا مدعيا أن والدته أرسلته لشراء بعض المطالب والواقع انه يريدها لنفسه .

الكذب الانتقامي :

قد يكذب الاطفال ليتهموا غيرهم باتهامات يترتب عليها عقوبتهم او سوء سمعتهم ويحدث ذلك عند الطفل الذي يعيش في مناخ لايشعر فيه بالمساواة في المعاملة بينه وبين غيره وينبغي ان يكون الآباء والمعلمون في منتهى الحرص إزاء هذا النوع من الاتهامات إذ إنها تكون في كثير من الأحيان على غير أساس كاف من الحقيقة .

الكذب الدفاعي والوقائي :

وهو اكثر انواع الكذب شيوعا حيث يكذب الطفل خوفا مما يقع عليه من عقوبة كأن يدعي المرض في حالة تقصيره في عمل الواجب المدرسي وقد يكذب الطفل ليحتفظ لنفسه بامتياز معين

كذب التقليد :

وكثيرا ما يكذب الطفل تقليدا لوالديه ولمن حوله اذ يلاحظ في بعض الحالات ان الوالدين نفسهما يكذب الواحد منهما على الآخر وقد تكذب الأم فتقول للطفل إنها تأخذه للنزهة ثم تأخذه ليأخذ حقنة .

الكذب العنادي:

وأحيانا يكذب الطفل لمجرد السرور من تحدى السلطة خصوصا اذا كانت شديدة الرقابة والضغط قليلة الحنو .

الكذب المرضي المزمن:

قد يصل الكذب أحيانا عند الشخص الى حد أنه يكثر منه ويصدر عنه على الرغم من ارادته كأن يدعي طفل ان والده توفى وكأن يكذب بعض الاطفال في المؤسسات الاجتماعية ويطلب الخروج لحدوث مكروه لأحد

اقاربه وبعد ذلك يتضح انه لم يحدث شيء . وقد تتداخل عدة اسباب في احداث الكذب .

الوقاية والعلاج :

ينبغي فهم الهدف الذي يحققه الكذب والعمل على علاج الحالة من أساسها لأن الكذب عرض كما ينبغي معرفة هل حدث الكذب من الطفل مرة واحدة فلا نوليها اهتماما اما اذا كان متكررا فنبحث عن نوع هذا الكذب مع عدم علاج الكذب بالضرب او بالانتهار والسخرية او التشهير لان ذلك يفقد الطفل الثقة بنفسه ، كما ان العقوبة الصارمة تدفع الى الكذب وانما يكون بعلاج الدوافع الاساسية التي دفعت اليه ، وينبغي تجنب الظروف التي تشجع على الكذب فلا نطلب واجبا من الطفل اكثر من طاقته حتى لا يكذب ويستعين بشخص آخر في انجازه ثم يقول انه من عمله ، كما ان كثيرا من المدرسين يعرضون في معرض المدرسة بعض الأعمال وينسبونها للتلاميذ مما يرسخ عندهم عادة الكذب كما قد تلجأ بعض الأمهات الى الكذب على الاطفال بحجة إسكاتهم من بكاء أو ترغيبهم في أمر أو تخفيف ما عندهم من غضب الا أنهن بذلك يكن قد عودوا الاطفال عن طريق المحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات وأرذل الاخلاق فضلا عن انهم يفقدون الثقة باقوالهن ويضعف جانب التأثير بنصائحهن ومواعظهن لأن فاقد الشيء لا يعطيه كما لا يصح ان نعطي الكاذب فرصة للإفلات بكذبه دون ان نكشفه لأن النجاح في الافلات بالكذب له لذة خاصة تشجع على تثبيته واقترافه مرة أخرى كما ينبغي عدم إيقاع عقوبة بالطفل بعد اعترافه بذنبه فالاعتراف له قدسيته وله حرمته ومن شأن إيقاع العقوبة على الطفل ان يقلل من قيمة الصدق ومكانته في نظره كما أن الطفل الذي يعترف بذنبه يمكن إصلاحه ويجب أن نقيم صداقات مع الطفل لانه لايكذب مع من تربطه بهم صداقات وإذا نشأ الطفل في بيئة تحترم الصدق قولا وعملا ويفي أفرادها دائما بوعودهم فطبيعي جدا أن ينشأ أمينا في كل أقواله وأفعاله وهذا إذا توفرت له أيضا عوامل تحقيق حاجاته النفسية من اطمئنان وحرية وتقدير وعطف وشعور بالنجاح والطفل حينئذ لا يلجأ الى التعويض بانواع من الكذب كما يجب ان تتسم معاملة الطفل بالاتزان وتقديم الارشاد والتوجيه ومساندة الطفل نفسيا والعمل على تكوين القيم الدينية التي تحض على الصدق والاخلاص والامانة وسرد بعض القصص عن الامانة والصدق وسيرة الرسل والأنبياء علما بأن ظاهرة الكذب من الخصال الرذيلة فينبغي على المربين بوجه عام وعلى الامهات بوجه خاص أن يعيروها اهتمامهم وأن يولوها كل جهودهم ليقلع الأطفال عنها وينفروا منها ويتجنبوا مزالق الكذب ومواطن النفاق ويجب عليك أختي المسلمة أن تكوني صادقة وأمينة لما لذلك من أثر في تشكيل سلوك أبنائك،وفقنا الله الى رعاية أبناء امتنا العربية الفتية .

الدعوة والدعاة

كتبه : فهمي عبدالعليم الإمام

وزير الأوقاف يقول :

○ الحرية سلاح ذو حدين ونريد استعمالها لمصلحة الدعوة

● العلماء هم ورثة الأنبياء .. والداعون إلى الله لهم مكانة سامية .. وبمقدار مكانتهم تكون مسئوليتهم أمام الله .. والناس .. فهم أولى الناس بخشية الله .. « **إنما يخشى الله من عبادة العلماء** » .

● ولما كان المسجد هو رمز الاسلام الخالد .. كان أول عمل للمسلمين عندما أعلنوا قيام دولتهم لأول مرة في تاريخ البشرية في المدينة المنورة .. « **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** » .

● وكان المسجد وما يزال ـ بحمد الله ـ منارة المسلمين .. ومن فوق مئذنته يتردد في أجواء الفضاء نداء المسلمين الخالد .. « الله أكبر الله أكبر » . وإليه يهرع المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة .. ليربطوا بين الحياة والآخرة .. ويصلحوا ما اعوج من سلوكهم « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » .

● في المسجد كانت تعقد ألوية الجهاد .. ويتحرك جنود الله حاملين رايات الهداية إلى الانسانية الضالة .. وكان المسجد يقوم بدور التربية الاجتماعية .. والاقتصادية .. والسياسية .. وغير ذلك .



● ثم مضى الزمن بالناس فاعتلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحسن القول .. والأدعياء .. وأصحاب الأهواء والبدع ، وتاجر بالدين أقوام .

● وطائفة أخرى من الدعاة مكبلة بقيود لا تستطيع معها أن تقول كلمة الحق ..

● وأخرى تنطق بأهواء الحاكم .. فتكون في واد .. والناس في واد آخر .. ويحاولون تضليل الناس

● وصنف من الدعاة يلجأ إلى الكلمة السيئة ، ويشهّر بالناس .. رغم أن الرسول أوصانا بالستر على المسلمين فمن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة .. والله سبحانه أمرنا أن ندعو الناس بالكلمة الطيبة « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » .

● هذا وإن التيارات الفكرية المعاصرة تمتد من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ـ كما يقال ـ فهل استعد الداعون إلى الله لمواجهة هذه التيارات بالطريقة التي تناسبها ؟

● حاول البعض أن يكرّس الانفصام النكد بين السياسة والدين ـ فما موقف الدعاة من ذلك ؟

● وكيف يواجه الخطيب جماهير المسلمين على اختلاف ثقافاتهم ؟.. وهل اختار الوقت المناسب ليقول الكلمة المناسبة ؟.



● ثم ما المشاكل والعقبات التي تواجه الامام والخطيب .. وكيف يتم التغلب عليها ؟

من أجل الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها .
دعا وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ/احمد سعد الجاسر الى انعقاد مؤتمر تحت شعار « التعرف على صعاب ومتاعب الدعوة ومحاولة التغلب عليها » .

حضره السادة ضيوف وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في رمضان .. وهم .. الشيخ احمد حنفي عبدالله القاضي مفتش الوعظ بالأزهر ، والشيخ صلاح أبو اسماعيل ، والدكتور إبراهيم زيد الكيلاني ، والدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس ، والدكتور يوسف حامد العالم . والعاملون في الوزارة من الأئمة والخطباء .. وكان الحوار مفتوحا .. وبصراحة تامة .. حيث يقف الإمام والخطيب فيعرض المشكلة .. ويتولى السادة الضيوف الإجابة عليها .

وكانت وقائع المؤتمر هكذا ..

● انعقد المؤتمر في كلية الحقوق ـ جامعة الكويت بالشويخ ـ في الساعة الحادية عشرة مساء يوم الثامن عشر من شهر رمضان ١٤٠٤هـ .

o لا يجوز أن تكون بيوت الله مسارح للخصومات بغض النظر عن خطئها وصوابها

o ليبقى المسجد مهوى قلوب الجميع

[لقاء مشاركة ومكاشفة]

افتتح السيد الوزير المؤتمر بحمد الله سبحانه .. والصلاة والسلام على نبيه محمد أفضل خلق الله .

ثم قال : أردنا أن نلتقي على العادة التي نلتقي عليها كل عام – في رمضان – مع ضيوف الوزارة .

لنتدارس همومنا المشتركة في مسئولية الدعوة إلى الله .. من خلال المهمة التي يقوم بها كل منكم ، في الامامة .. والدروس الدينية ، والوعظ ، والاتصال بالمواطنين والمقيمين ودراسة قضاياهم ، وحل مشاكلهم ، ومن خلال خطب الجمعة .

ثم قال سيادته : والغرض من اللقاء هو الحوار فيما بيننا ، حوار نستعرض فيه المشكلات التي تواجه الدعوة ، ونسمع من ضيوف الوزارة الحلول المقترحة ، بحكم خبرتهم في هذا الميدان .

فاللقاء إذن لقاء مشاركة ومكاشفة لا خطابة ، في حدود المهمة الأساسية للداعي .

أما الهموم الإدارية والتنظيمية ، فأعدكم بلقاءات أخرى لمناقشتها ومعالجتها فيما بعد .. ولذا ينبغي أن نركز الحديث حول القضايا العامة لنتوصل إلى الحلول التي تعيننا على أداء مهمتنا .

ثم قال وزير الأوقاف والشئون الإسلامية احمد سعد الجاسر – مخاطبا الأئمة والخطباء : فلنقتصر على إيراد الملاحظة ، وإبرازها ، ومحاولة حلها .

[الراتب]

ثم وقف أحد الخطباء فقال : إنه يفضل أن يكون العامل في مجال الدعوة متفرغا لها ، ثم طالب بكفايته البحث عن وسائل أخرى للرزق .. واشتكى من ضعف الراتب وأنه لا يكفي الإقامة والسكن .

○ اذا جاز للمسلمين أن يختلفوا في أي مكان فلا يجوز أن يختلفوا في المسجد

○ لا يستفزنا المرجفون لقول الكلمة المنحطة

[لم نحضر لهذا]

أجاب السيد الوزير : بأننا لم نحضر ونستضف هذه الشخصيات الإسلامية لمناقشة مثل هذه الأمور .

[كتاب الله]

كما طالب الإمام بأن يكون الداعية حافظا لكتاب الله تعالى ، وأن تعقد لقاءات بين الدعاة والمسئولين في الوزارة بصفة دورية ، وتطبع نشرات توزع على مساجد الكويت بصورة منتظمة ، تتضمن نظرة مستقبلية لمسار الدعوة إلى الله ، وتطرح حلولا لمشاكل المساجد مع المصلين . وأن تعمم الفتوى التي تصدر عن هيئة الافتاء بالوزارة على المساجد .

وأخيرا قال : إننا لا نجد من ينصف الداعية .. إذا احتاج الأمر لذلك .

[استقبال رمضان]

أما الشيخ احمد القطان ـ إمام وخطيب ـ فبعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه الكريم ، قال : لقد استقبلنا الدعاة إلى الله في هذا الشهر الكريم لنتدارس العلم وما يصلح المسلمين بدلا من استقباله بالفنانين والفنانات . وطالب ضيوف الوزارة بتوجيه النصائح للإخوة الخطباء المتطوعين وغير المتطوعين .

[الجهاد بالكلمة]

ضيف الوزارة الشيخ/صلاح أبو اسماعيل .. قال معقبا : إن النصائح التي يمكن توجيهها في هذا الوقت الضيق وفي عصرنا التي اختلطت فيه التيارات

الشيخ : صلاح ابو اسماعيل

○ الحرية في الكويت لا مثيل لها في العالم



الفكرية وتصارعت :

أطالب الداعي إلى الله أن يلجأ إلى القول الحسن والكلمة الطيبة « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

وأن يقدر الداعي إلى الله المكانة التي هو فيها ، ويتذكر أنه يعتلي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .

وأهم العناصر التي يجب توافرها في الداعي إلى الله : الاخلاص في القول والعمل ، والنية الصالحة ليكون بعيدا عن الرياء ولا بد أن يتسلح بالعلم والمعرفة ليتمكن من مخاطبة جميع المستويات ، وعلى الداعية أن يكون القدوة للآخرين في عمله ومسلكه وسيرته ، وأن يستخدم الكلمة المناسبة في الوقت المناسب . فالجهاد بالكلمة لا يقل عن الجهاد بالسيف .

كما أشار إلى أنه ينبغي للإمام والخطيب أن يراعي مستويات الناس المختلفة ، فالمسجد جامعة المسلمين الكل يهرع إليه ، عندما ينادي المؤذن للصلاة خمس مرات في اليوم والليلة .

الدكتور الكيلاني :

○ نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه

[حرية الكلمة]

ثم أشاد الشيخ صلاح أبو اسماعيل بحرية الكلمة في الكويت ، وأن الخطباء هنا يتمتعون بحرية مطلقة .
وقال : إن هذه الحرية لا مثيل لها في العالم . وضرب مثالا على كبت الحريات ما يحدث في مصر بلد الأزهر لرجال الدين . وأن هناك في مصر نصاً لا يجوز لأحد ولو كان من رجال الدين أن يقول قولا يعارض به قانوناً وإلا تعرض للسجن والغرامة التي تصل إلى ألف جنيه .
وفي الختام أشاد بالسيد وزير الأوقاف والشئون الإسلامية وبما يتمتع به خطباء المساجد من الحرية المطلقة في ظل رعايته .

[لغة القرآن]

ومما ركز عليه الذين يريدون النهوض بركب الدعاة : أن يعتني الدعاة إلى الله بلغة القرآن الكريم حرصا على سلامة المنطق ، وحفظاً للغة ، واجتذابا للمستمعين .

[الحديث الواعي]

لمواجهة المرجفين والذين في قلوبهم مرض ، والذين يذيعون الاضطراب والفوضى في صفوف الناس .
طالب الشيخ : بأن يكون حديث الداعي إلى الله حديث الإنسان الواعي الغيور على الدين ، الحريص على أمن مجتمعه ووطنه ، وأن يتصدى للقضايا المعاصرة بالتحليل والتعليق والحل .. وأن يكون المرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الله والرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

الدكتور يوسف العالم :

○ الاختلاف عند المثقفين يعتمد على الدليل أو الحجة

○ يجب تقدير الظرف ومستواه حتى يسمع إليك

[لجنة للردّ]

واقترح الشيخ/صلاح ابو اسماعيل أن تتشكل لجنة في وزارة الأوقاف تتعقب ما ينشر في الصحف مما يتناول الجماعات الدينية . وتتولى اللجنة الردّ عليها .

[الابتعاد عن الخلافات الجزئية]

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني : تناول طرف الحديث ، فأضاف إلى ما قاله الشيخ/صلاح أبو اسماعيل أن الداعية يتعرض لتيارات إسلامية فكرية



متصارعة ، وموقف الداعية منها : أيزيد الخرق اتساعاً أم يعمل على إزالة الخلاف ما أمكن ، ويتمسك بالأصول العامة للإسلام ؟!

فما دمنا نلتقي على الأصول والعقائد فإن الفروع والاختلاف فيها - لا ينبغي أن يفسد ما بيننا .

وحذر الدكتور الكيلاني ، كما حذّر الشيخ صلاح من تصارع المذاهب الإسلامية ، فإن التصارع يؤدي إلى التساقط والمستفيد من هذا الذين لا يريدون بالإسلام خيراً .

وضرب الدكتور الكيلاني مثلا باختلاف الصحابي الجليل أبي ذر مع الخليفة الراشدي ذي النورين عثمان حول الصلاة مع القصر أو الصلاة بدون قصر ، وأن أباذر - رضي الله عنه - قد اقتدى بعثمان رضي الله عنه في ذلك ، فلما سئل أبو ذر في هذا قال : إن الخلاف وتفرقة الصف أكبر من هذا .

كما أشار الدكتور الكيلاني إلى طبيعة المعركة العامة الآن ، وأنها تدور بين الإلحاد والكفر من جهة والإسلام من الجهة الأخرى ، وطالب بأن يتفرغ الدعاة لمواجهة هذه المعركة ، ومواجهة الانحلال الواقع في دنيا الناس ، والابتعاد عن الخلافات الجزئية .

[احتدم النقاش]

ثم احتدم النقاش عندما تحدث أحد الخطباء عن البدع المنتشرة في أوساط الناس ، وهل منها الاحتفال بالمولد النبوي ؟ وانكر الاحتفال به ، وقال : إن اول من احتفل به هم الرافضة ، وأن هذا لم يكن معروفا في القرون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام وعن هؤلاء الذين يتوسلون بفلان وفلان من الأموات .

ودار النقاش حول مفهوم البدعة ، وما هي ؟.. اما إذا مسّ الأمر العقيدة فإنه مرفوض قولاً واحدا . « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله » .

أما إذا كان الاختلاف محتملا ولا يضرّ بأصل من أصول الإسلام فلا ينبغي أن نثير خصومة حوله ، ونبذل جهداً كان يمكن بذله في مجاله الصحيح .. فلماذا المعركة حول الاحتفال بالمولد النبوي والهدف .. والسكوت عن الفيديو ، ومجلة الشبكة ، والتلفزيون ، وما تبثه هذه الأجهزة من سموم ، ثم دعا إلى أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه . وقال : إن على الدعاة أن يعيشوا قضيتهم الكبرى ، ولا ينشغلوا بالجزئيات .

[عدم استعداء المدعو]

كما يرى الدكتور الكيلاني أن يحافظ الداعية على عدم استعداء المدعو ، وألا

يلجأ إلى الأسلوب الجارح والمسيء ، بل يعالج المشكلة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يعمل على بناء الشخصية الإسلامية ، في ظل العقيدة الصحيحة ، وأن يقول ما ينفع قبل أن يقول ما يسر .

[لبس الإزار والقميص]

قال أحد الخطباء : إن المطبوعات والنشرات ، والفتوى التي تتعصب لرأي فقهي معين توزع في المساجد عقب أداء الصلوات ، وقد توزع دعايات انتخابية في المسجد ، ودعايات لحملات الحج .

وضرب مثلا : بالفتوى التي تقول بأنه لا يجوز إخراج صدقة الفطر في رمضان إلا طعاما ، وبالتالي لا يجوز إخراج القيمة ، في الوقت الذي تصدر فيه الفتوى من الوزارة بأنه يجوز إخراج القيمة ، وهذا يوقع الإمام في حرج مع المصلين . ومن المؤسف أن يبقى هذا الخلاف ويتسع في الوقت الذي تضرب فيه ناقلات النفط ، وتمر بمرحلة صعبة في هذه المنطقة ، ثم يأتينا من يدعو للبس الإزار والقميص .

[ضيق الأفق]

وعقب الشيخ صلاح حيث وصف الدعاة للبس الإزرار والقميص بضيق الأفق والغباء ، وأنهم لا يصلحون لقيادة الجماهير .

[دراسة ظاهرة]

طالب السيد الأستاذ/خالد الـزير الوكيل المساعد بوزارة الأوقاف بدراسة ظاهرة ابتعاد الناس عن المساجد بعد رمضان ، ومحاولة ربطهم ببيوت الله في جميع الشهور السنة .

[صدق رسول الله]

وأجاب ضيوف الوزارة بأن هذه الظاهرة تستدعي الدراسة فعلا ، ولعل إقبال الناس على المساجد في رمضان راجع إلى أنه شهر تصفد فيه الشياطين .. مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » .

الدكتور أبو فارس :

○ جمع الناس على أمر فرعي متعذر أو مستحيل

○ المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا باللسان البذيء

المكتبة الاسلامية

وتحدث أحد الأئمة عن أهمية المكتبة الاسلامية للخطيب ، وإمدادها بالمراجع المناسبة ، وطالب وزارة الأوقاف بأن تزود الخطيب بمكتبة إسلامية مناسبة ، وبأسعار رمزية ، لتكون خاصة به ، يمكنه أن يرجع إليها في أي وقت يشاء .

نظرة مستقبلية

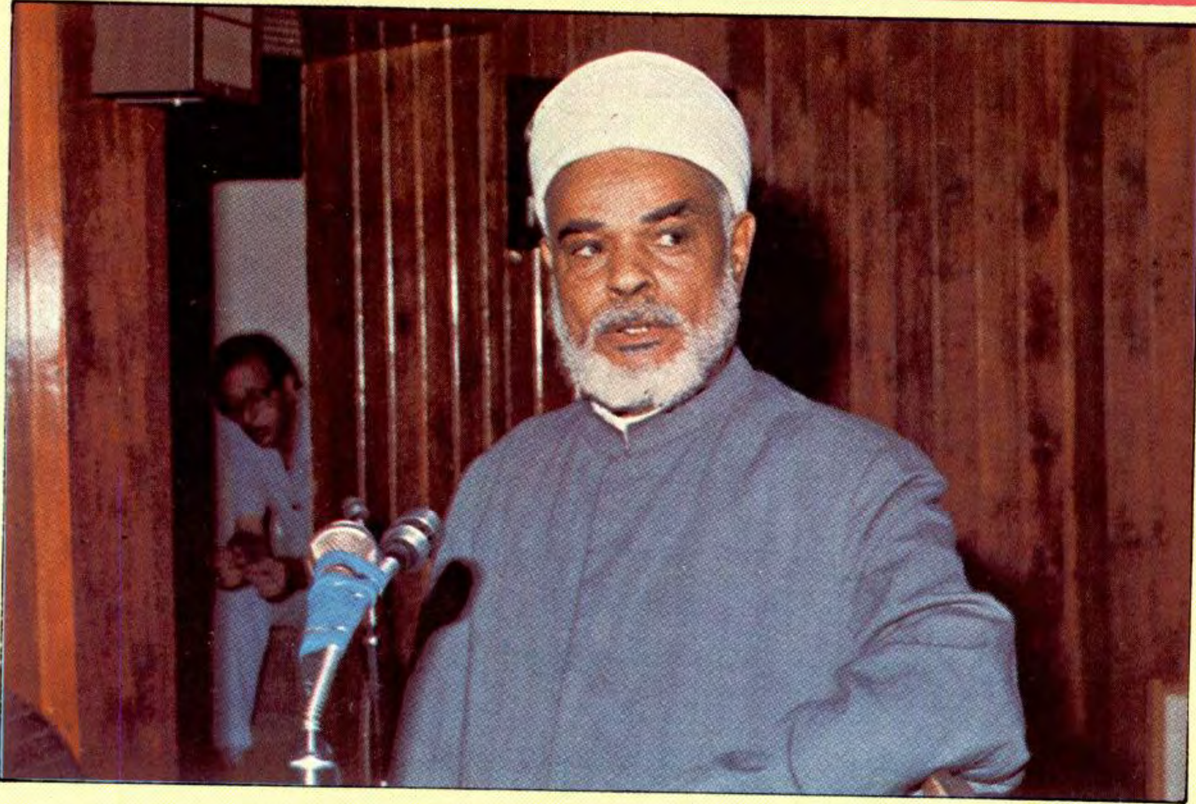
أحد الأئمة طالب بتشكيل لجنة تعيش مشاكل العصر ، وترسم خطة لمنهج طويل الأمد ، ينظر في الحالة الحاضرة وصولا لنظرة مستقبلية ، في الفكر ، والتصور ، لتضع للناس الخطوط الأساسية والعريضة للمسائل التي تدور في الأذهان ، بمعنى أن يسبق التصور الاسلامي عصره .

التجار المسلمون

أحد التجار المسلمين الذي يعيد إلينا سيرة السلف الصالح ، حيث يدعو إلى الله من خلال عمله ، طالب : بأن تقيم وزارة الأوقاف دورات شهرية مسائية ليتعلم التجار فقه الدعوة ـ في أماكن تواجدهم ـ ولتثقيفهم دينيا ، لينشروا دعوة الاسلام من خلال أعمالهم .

وعد الوزير

وعد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدراسة هذا الأمر مع المسؤولين في الوزارة والعاملين في مجال الدعوة خدمة للاسلام والمسلمين ، خاصة في البلاد غير الاسلامية ، والتي يذهب إليها التجار المسلمون من الكويتيين وغيرهم .



نحن أصحاب قضية

قال أحد الخطباء : إن هناك مشاكل عصرية لا يمكن للخطيب أن يخوض فيها ، فإذا سئل الخطيب : أين الجهاد ؟.. وإذا سئل عن السياسة الاسلامية الآن ؟ فماذا يقول ؟

قال الدكتور محمد عبد القادر مركزا حديثه في نقاط تجملها فيما يلي :

● نحن كشرقيين لا يتسع صدرنا للرأي المخالف .
● وجمع الناس على أمر فرعي متعذر أو مستحيل .
● وأنه على المفتي أن يتقي الله في فتواه ، وألا يسرف ، وأن يتأنى عند إصدار الفتوى .
● وأنه لا بد من نظر فقهي جديد لقضايا عصرية جديدة ، ولذا لا بد من تحديد الهدف ، والوسيلة وأن يلتزم الخطيب بوحدة الموضوع .
● وأن يتعرض الخطيب للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمنطق إسلامي ، بعيدا عن السباب واللعان والقول البذيء .
● وأن يهتم بقضايا الشباب . وألا نضيق بهم ذرعا .
● ونحن أصحاب قضية ، فلا بدَّ من بث روح الجهاد ، وبعث روح الأمل في النفوس .

تحضير الخطبة

وقال ضيف الوزارة : إن كثيرا من الخطباء لم يحضر كلمة واحدة ، فيكون كالقائد العسكري الذي يحضر المعركة بلا خطة ، وأنه ينبغي للخطيب أن يحضر خطبته كأنه يتحدث مع علماء .

انتقادات

● لم يخل المؤتمر من انتقادات وجهها بعض الحضور .. فأحدهم اعترض على عدم افتتاح اللقاء بتلاوة آيات من القرآن الكريم .

فرد الشيخ/ معوض عوض إبراهيم : بأننا لم نلتق إلا لخدمة القرآن والتناصح في الدين ، ثم تلا سورة العصر .

● وجه أحد الأئمة : انتقادات عنيفة لادارة المساجد وبعض العاملين فيها .. وعاب عليهم سوء معاملتهم له .. وتحدث مدير الادارة .. نافيا أن يكون هذا هو أسلوبه في معالجة المشاكل ، وكادت تحدث مشادة كلامية .

كلكم إخوة

وعقب ذلك ، قال وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ/ أحمد سعد الجاسر : إننا حريصون على كرامة العلماء والخطباء .. وأنه فوجىء بما يقال الآن .. وأكد على أخوة الجميع .. وأنه مستعد لاستقبالهم في مكتبه بالوزارة ، ووعد بدراسة الموضوع ، وسماع كلام الطرفين .

إزالة الخلاف

أحد الأئمة أشار إلى بعض الخلافات بين المدارس الاسلامية .. وطالب بالحل ..

فاقترح أحد ضيوف الوزارة .. تشكيل لجنة تقوم بتحديد نقاط الخلاف ، والكتابة إلى أصحاب المدارس الاسلامية .. ليتولى المسؤولون فيها الاجابة عليها .. ثم جمع الآراء وتسجيلها في كتاب .. وتقوم الوزارة بطبعه ونشره تعميما للفائدة .

ثم تحدث الدكتور/ يوسف حامد العالم ، فركز على توافر الاخلاص والنية الصادقة في القائم بمهام الدعوة . وأشاد بأن أئمة المساجد في الكويت كلهم أو



معظمهم خريجو جامعات .

وعن الاختلاف قال : إن الاختلاف يتركز في فكرة المندوب أو البدعة .. أو الاستحباب والبدعة .. وذلك عند العوام .. أما عند المثقفين فيعتمد الاختلاف على الدليل أو الحجة ، والدراسة المتأصلة لا تخرج عن نطاق الكتاب والسنة .

نصائح للخطباء

وقال الدكتور/ يوسف العالم :

يجب على الامام والخطيب أن يهتم بدراسة اللغة العربية ، فتسعة أعشار علوم الأصول في اللغة العربية .

● وعاب على الدعاة ابتعادهم عن معالجة التجارب الاسلامية المعاصرة ـ كالمصارف الاسلامية ـ وعدم الاعتناء بالواقع ، واكتفائهم بسماع الحكم من الآخرين .

● وطالب كل داعية بأن يقدر الظرف الذي هو فيه ، والوقت المناسب ، حتى يسمع إليه .

ثم تحدث الشيخ/ أحمد حنفي القاضي .. فأشاد بدور وزارة الأوقاف .. ونصح الأئمة والخطباء ..

وبعد أن استعرض الشيخ/ صلاح أبو اسماعيل .. بعض المواقف التي

واجهها .. وأن أحدهم وصفه بالنفاق .. وكيف أنه تدرج معه في الحديث حتى حرك فيه قدرته الفاهمة .. ووصل معه إلى أنه لا يعرف حقيقة المنافق إلا الله « مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وأقنعه بأن يعود إلى دراسته بكلية العلوم جامعة القاهرة بدلا من الانقطاع للعبادة في المسجد الحرام « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله » وهكذا يكون أسلوب الداعي إلى الله .

الختام

ثم ختم اللقاء بكلمة لوزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ / أحمد سعد الجاسر ..

قال فيها :

○ ينبغي أن نحافظ على جو الحرية في الكويت ، فهي حرية مسؤولة ، وهي حرية ممنوحة للجميع .

وقال : إنها سلاح ذو حدين ، ونريد استعمالها لمصلحة الدعوة .

وأضاف قائلا : ومن خلال تجربتي القصيرة في وزارة الأوقاف وصلت إلى قناعة بأنه لا يجوز أن تكون بيوت الله مسارح للخصومات ، بغض النظر عن خطئها وصوابها ، نريدها أن تكون منبعا للكلمة الطيبة التي مثلها الله بالشجرة الطيبة ، وبالتالي فإنا نريد استشعار حرمة المساجد عندما نعلو المنابر ، فلا يستفزنا المرجفون لقول الكلمة المنحطة .

○ دعا السيد الوزير إلى أن تظل المساجد رمزا لوحدة المسلمين ، فإذا جاز للمسلمين أن يختلفوا في أي مكان فلا يجوز أن يختلفوا في المسجد .

وأضاف قائلا : لا نريد لرواد المساجد أن ينقسموا إلى جماعات يكون فيها الخصام والخلاف ، وليبق المسجد مهوى قلوب الجميع ، ومن أراد الخلافات فليعقدها من خارج بيوت الله ، فرب فاسق يعي لنفسه ويرشد ، ولرب ماجن يضربه الله بعصا الطاعة فجأة ، فلا تقنطوا من رحمة الله أحدا ، ولرب عدد كبير من الدعاة كانوا في بعض الضلالات فهداهم الله .

ثم قال : ينبغي أن يكون الانسان دائما تحت رحمة الله ،فيجب علكيم أن تحدوا الناس إلى المسجد من خلال قطاعات المجتمع .

وركز الوزير في كلمته على الاهتمام بدور المسجد ، ودور الامام ، وقال : نريد جهده مستمرا ، لا موجة مندفعة ثم منحسرة ، نريد جهده في دروس أسبوعية مبرمجة لرواد المسجد جميعا .

وتمنى الوزير ـ ونتمنى معه ـ أن يوفق الله الجميع لما فيه صالح الاسلام والمسلمين .

راية الفتح

للاستاذ
عمر
بهاء
الدين
الأميري

مزجت عيناي في غمضهما
الواله المرسل نحو « الحضرة »
خضرة « الروضة » في اشراقها
بجلال في سواد « الكعبة »
وظلال المسجد المحزون في
« القدس » والقبة فوق الصخرة
والدموع الغر كالدر على
خدي المحراب من « قرطبة »
بدم الصيد الذين استشهدوا
في رضا الله ومجد (الملة)
فاذا بي ، وأنا في سهوتي
هائما في سبحات السجدة
تحشد الآمال والآلام لي
عسكر « الفتح » وجند النجدة
فأراني صغت أوطاني التي
قطعت وانتثرت ... في وحدة
وحدة سامية هادية
أمرها بالحب لا بالسطوة
واذا الألوان هاتيك التي
مزجتها أعيني في غمضتي
افترقت ... ثم تلاقت صفحة
رصعت بالبأس والمرحمة
وتعالت في ذرى إسلامنا
حيث صارت « راية » للأمة

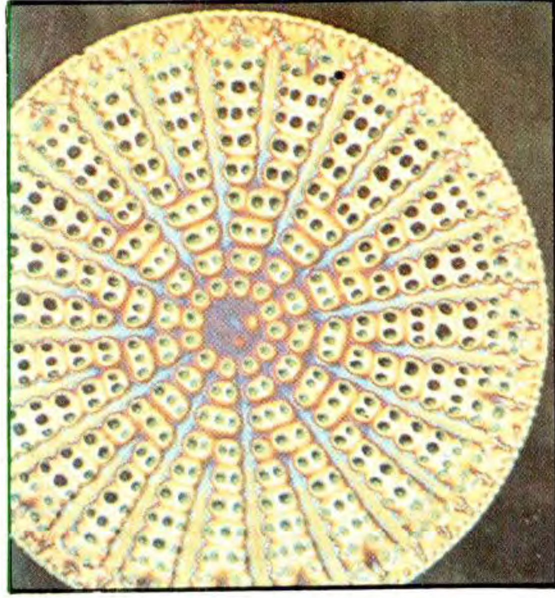
لوحة الشهر

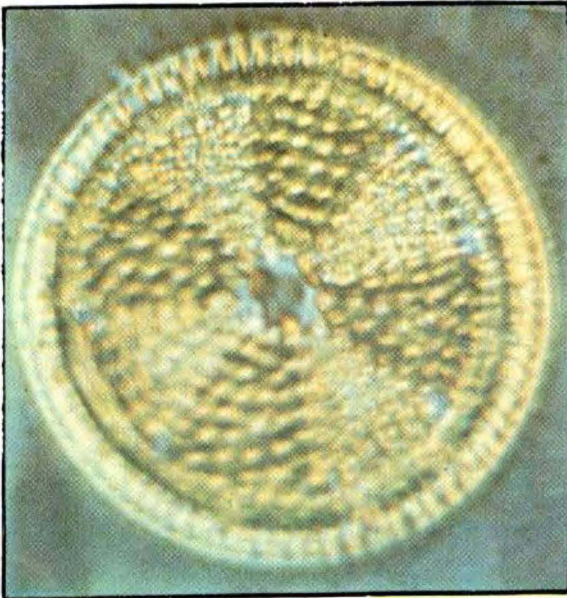
من بديع صنع الله..

كل ما في الكون والحياة ، يشهد باتقان ما خلق الله (**والذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**)(الاعلى/٢و ٣) .. (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) القمر ٤٩ .. (صنع الله الذي **اتقن كل شيء**) النمل/٨٨ الى آخر هذه الآيات القرانية التي تشير الى آيات الخلق الذي جاء بحساب ، وسوى بمقدار ، لكن الانسان لا يرى من تناسق الخلق ، وجمال التكوين وروعة التدبير ، وحكمة التقدير لا يرى منه إلا أقل القليل ، ويرجع ذلك إلى قصور في حدود ابصارنا ، أو عدم البحث عن كنوز المعرفة الكامنة في آيات الخلق ـ تلك الآيات التي عبر عنها الحسين بن منصور أوجز وأجمل تعبير :

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

للدكتور / عبد المحسن صالح







في الكون والحياة

ويطيب لنا ان نقدم على صفحات هذه المجلة ، صورة أو لوحة معبرة عن باطن الخلق أو ظاهره ، لنرى فيها « مالا عين رأت » .. وهذه اللوحة التي نراها هنا تتجلى لنا فيها استدارة متكاملة ، وخطوط متناسقة ، وتكوينات مذهلة ولمسات من الجمال واضحة ، وألوان متداخلة ، وزوايا تخرج من المركز بحساب ومقدار ، يدعوك ذلك إلى التساؤل : ترى .. ماذا تعني هذه اللوحة ؟ .. ومن رسمها .. ولأية مدرسة من الفنون القديمة أو الحديثة تنتمي ؟! .. الخ

الواقع أن اللوحة لم يرسمها انسان ، بل جاءت تجسيدا لتخطيط عظيم في « برنامج » وراثي متكامل في داخل هذا التكوين الفريد ، والتكوين لكائن حي ذي خلية واحدة ، وليكون دليلا على تناسق كامن في بدايات الحياة ، وبرهانا صادقا على تنسيق في الخلق له مغزاه ومعناه ، واشارة واضحة الى تجليات الله ، ولا يدرك ذلك الا العلماء الذين يرون مالا يستطيع غيرهم ان يراه !

تلك إذن صورة مكبرة آلاف المرات لكائن من النباتات الأولية الدقيقة التي تعيش في الماء ، أوهي بالتحديد لنوع واحد من أنواع كثيرة تعد بعشرات الالآف ، وتتبع رتبة الدياتومات ، وفي هذه المرتبة تلتقط الخلية أو الكائن الحي مادة « السيليكا » (الرمل) الكائنة في الماء ، ثم تنمقها على جدارها في تشكيلات لا نكاد نحصيها عدا ، وبحيث يتمخض عن ذلك كائنات تبدو تحت عدسات الميكروسكوبات ، وكأنما هي تحف فنية سبحان من وضع لها برنامجها ، وأوحى فيها أمرها ، لتشق في الحياة طريقها ، وليأت الخلف بصفات السلف : (**وكل شيء عنده بمقدار**) الرعد/٨ (**لكن أكثر الناس لا يعلمون**)

الاجتماع التأسيسي

للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

عقد الاجتماع الأول للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية في الكويت يوم ١٧ رمضان الفائت ، وقد اجتمع فيه أكثر من ١٥٠ عضواً يمثلون ٣٨ دولة من دول العالم الاسلامي . وقد حضر الجلسة الافتتاحية معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ أحمد سعد الجاسر ومستشار سمو الأمير عبد الرحمن العتيقي وعدد من نواب مجلس الأمة والمسؤولين .

وقد ألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كلمة في حفل الافطار الذي دعي إليه أعضاء الوفود كلمة شكر فيها الحضور وتمنى لهم النجاح والتوفيق لرفع راية الإسلام وتحمل المسؤولية تجاه المسلمين الذين يعانون المرض والجوع في كثير من أرجاء العالم الإسلامي .

وقد تحدث في الجلسة الافتتاحية رئيس اللجنة التحضيرية السيد

يوسف الحجي فرحب بالحضور للمساهمة في إقامة هذا المشروع الحيوي ، وأشار إلى أهمية هذا اللقاء في ذكرى غزوة بدر الكبرى التي نصر الله بها القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وعلت بها راية الإسلام ، وقال : إذا كان المسلمون يشغلون اليوم مناطق العالم المهمة وعددهم يزيد على ألف مليون مسلم وتحت أيديهم أهم ثروات العالم حيوية وقيمة إلا أنهم يعيشون حالة بؤس وشقاء وتخلف فالكثير من بلدانهم تعاني الجهل والفقر وشظف العيش وبعضها يعيش قهراً استعمارياً واخرى تعيش حالة غزو حضاري أو ثقافي . إن الألف مليون دولار الذي هو رأس مال الهيئة والذي سيستثمر في المجالات الاقتصادية الاسلامية وفقاً للشريعة الاسلامية ويصرف من أرباحها وعائداتها للأعمال الخيرية وستكون تحت إشراف مجلس إدارة من المؤسسين ولجان متخصصة لتحقيق الأهداف المبينة في النظام الأساسي بالوسائل المتاحة . والهيئة تقبل الزكوات والصدقات والهبات والوصايا الخيرية والتبرعات النقدية والعينية التي تتفق مع اهدافها لتنفق في وجوهها المشروعة .



ثم ألقى الدكتور يوسف القرضاوي كلمة قال فيها : العمل هنا اجتماعي خيري يهدف إلى تقديم الطعام للجائع واللباس للعريان والعلاج للمريض والإيواء للمشردين والرعاية لليتيم والتعليم للجاهل والتشغيل للعاطل .. وأشار إلى أن بعض زعماء التنصير في العالم اجتمعوا في كلورادو عام ١٩٧٨ وقرروا العمل على تنصير المسلمين في العالم ورصدوا لذلك الف مليون دولار وانشؤوا لهذا الغرض معهداً لتخريج مبشرين متخصصين في التبشير بين المسلمين ، فاذا كان غيرنا يتحرك من موقع الهجوم علينا فلا أقل من أن نتحرك من موقع الدفاع عن ذاتنا .

وقد أثنى د. القرضاوي في كلمته على الذين تبرعوا فور سماعهم هذا الاقتراح وطالبوا بإقامة هذه الهيئة . وقال أيضاً . اننا الآن بصدد إعداد الهيكل العام لهذه الهيئة ومن ثم إعداد عملية جمع المال ثم استثمار هذه المبالغ للحفاظ على رأس المال ثم عملية توزيع الأموال على المستحقين من المسلمين في أنحاء العالم . وأعلن د . القرضاوي أن هذه الهيئة هي هيئة خيرية وليس لها صلة بالسياسة ونحوها ، وهي إسلامية تحتكم في أمورها للإسلام ، وعالمية ليست محلية أو إقليمية .





ثم تواصلت الجلسات لمناقشة مشروع النظام الأساسي للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية، وتم الاتفاق على اختيار الكويت مقراً للهيئة، ثم أجريت الانتخابات لتكوين مجلس إدارة الهيئة المكون من (٢١) عضواً.

وقد حصلت المملكة العربية السعودية على ٥ مقاعد والكويت على ٤ مقاعد بينما حصل كل من الدول الأخرى المشاركة على مقعد واحد.

أما اعضاء مجلس الادارة الذين تم انتخابهم منهم:

يوسف جاسم الحجي. عبدالله العلي المطوع. يوسف القرضاوي. أحمد بزيع الياسين. عيسى الخليفة. محمد بن مقود. عبدالله الزايد. اسحق الفرحان. صالح الحصين. مبارك قسم الله. أنور ابراهيم. خورشيد أحمد. فؤاد العمر. محمد البكر. أحمد ليمو. أحمد القاضي. عبدالله الانصاري. فؤاد الخطيب. غالب همت. عبدالرحمن بن عقل. أصيل ترك.

وقد جرت مناقشة باب التبرع بعد عملية الانتخاب، وافتتح الأعضاء المشاركون باب التبرع بمبلغ قدر بمليون ونصف المليون دولار.

وحمله وفصاله

ثلاثون شهراً

للدكتور/عبدالمحسن صالح

بينما كنت أقلب في مراجعي ، تعلقت عيناي بصورة معبرة أدق تعبير (وهي منشورة ضمن هذا المقال).. لم تكن الصورة لانسان ، بل جاءت من عالم الحيوان ، أو هي بالتحديد صورة أم وطفلها من عالم القرود .. الأم تتشبث بطفلها ، وتحتضنه على صدرها ، وتضعه بجوار قلبها ، وتهبه حنانها ، وتدفئة بحرارتها ، والطفل بدوره مطمئن بين ذراعيها ، سعيد بوجودها .. وبالاختصار نرى الأمومة هنا تعبر عن نفسها ادق تعبير (شكل ١).

ولقد طافت بالعقل وقتها مشاعر شتى ، ولا زالت ، ثم تزاحمت الخواطر ، وانطلقت في الوجدان كل الذكريات التي تجمعت من الملاحظات والدراسات والبحوث والقراءات التي تشير الى غرائز دفينة في عالمي الانسان والحيوان ، وعلى رأسها غريزة الأمومة التي لا يختلف عليها اثنان ، ومع ذلك فان أحدا لا يستطيع ان يحدد طبيعة هذه الدوافع التي تجتاح الكائنات ، فالغريزة في حد ذاتها دافع خفي ، وعندما لا نجد لها تعليلا مقبولا ، فما أيسر - والحال كذلك - ان نطلق الأسماء دون أن نصل الى جوهر الحقيقة .



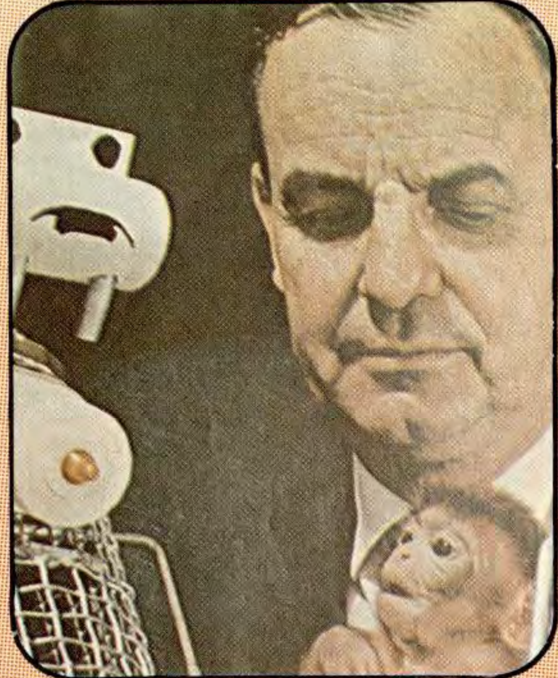
شكل (١) صورة معبرة لغريزة الامومة في عالم الحيوان ، حيث يشعر الرضيع بالدفء والحنان ، ويستكين للطمانينة والأمان .. ولاحظ ان الأم قد الصقت راس طفلها على صدرها بجوار قلبها ، علّه يستمع إلى نبضه ويرتاح لايقاعيته (المزيد من التفاصيل ـ راجع المقال)

والواقع ان لفظ الغريزة كلمة بديلة عن جهلنا بما كان ويكون ، فأين ـ اذن ـ موقعها من الكائنات ؟! وكيف تنشأ ؟.. وما هي طبيعتها ؟.. الى آخر هذه الأسئلة الحائرة التي يبحث لها العلم عن اجابة تشفي غليلنا الى المعرفة الحقة ، لكن الأمور لا زالت مدثرة بالأسرار ، ومطوية في غلالات من الكتمان ، ومع ان الحقيقة فيها لا زالت مبهمة ، الا ان لها آثارا تدل عليها ، ومؤشرات تشير اليها ، والصورة المنشورة ـ او غيرها ـ خير دليل على ما نقول .

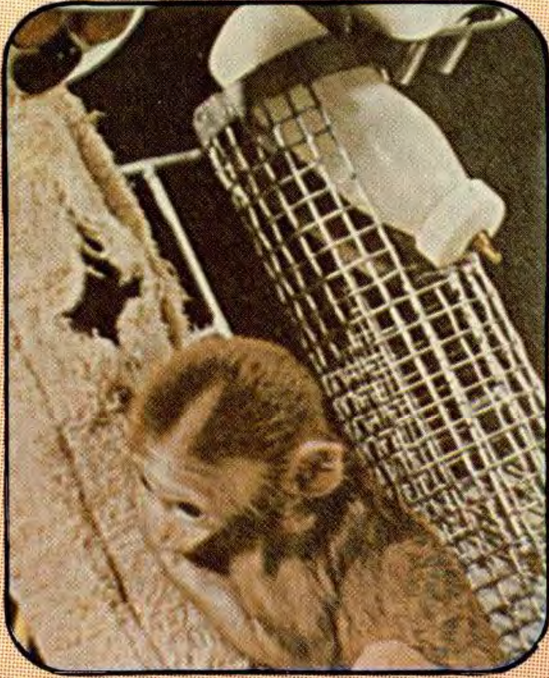
بين عالمين :

ومع ان غريزة الأمومة في عالم الانسان أرقى ، ودوافعها أقوى ، إلا أن ظروف الحياة المعاصرة والمتطورة قد تحول بين الأم وطفلها في اهم فترة من فترات تنشئته الأولى .

ولكي نوضح ، كان لا بد ان نشير الى ان دخول الأمهات ميدان العمل ، وارتباطهن بمهام الوظيفة ، قد باعد ـ بعض الشيء ـ بين الأم وطفلها ، فما عاد معظم اطفال اليوم يجدون ما وجده اطفال الأمس البعيد من رعاية



شكل (٢) الدكتور هاري هارلو يمسك بين يديه قردا رضيعا ، ويقدمه لدمية صناعية مزودة بزجاجة لبن صناعي .. ومع ان الغذاء هنا موجود ، إلا ان الحنان مفقود !!



شكل (٣) دميتان من السلك ، احداهما مزودة بزجاجة من لبن ليرضع منها الصغير ، والاخرى مزودة بنوع من النسيج اللين ، وعليها يستكين هذا الرضيع من عالم القرود . إن حالة الصغير وبؤسه ووحدته تعني بالنسيج اللين عله يعوضه حنان الام المفقود .

وعناية وحنان ومداعبة ، ذلك ان تنشئة الطفل لا تستقيم بالغذاء وحده ، لأن تنشئته تحتاج الى أمرين هامين : أولهما التنشئة البدنية ، وثانيهما التنشئة النفسية ، فالانسان ـ على أية حال ـ نفس وبدن ، أو روح وجسد .

ولقد اشار القرآن الكريم الى ذلك اجمل اشارة ، وفي اوجز عبارة : (**وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**) (الأحقاف/١٥).. (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**) (البقرة/٢٣٣).. لكن مما لا شك فيه ان المعنى الكامن في هاتين الآيتين أعمق مما نتصور ، لأن عملية الرضاعة في حد ذاتها تنطوي ايضا على صلة وملامسة وطيدة بين الأم ورضيعها، ولهذا فان الأشهر الواحد والعشرين الى الأربع والعشرين التي اشار اليها القرآن الكريم لتكون الفترة المناسبة للرضاعة ، هي اشارة لصلة اللبن وصلة الأمان بين احضان الأمهات الرضع ، لأن امداد الرضيع باللبن وحده ، ثم حرمانه من الملامسة والمداعبة والدفء والحنان ، قد يؤدي فيما بعد الى تنشئة غير سوية ، وقد تترك في نفسية الطفل آثارا لا يحمد

عقباها ، فنراه عصبيا وعدوانيا ومنطويا على نفسه ، لأنه لم يجد في طفولته العاطفة التي تؤهله ليكون عاطفيا مع نفسه ، ومع من حوله .

والواقع ان مثل هذه الاستنتاجات لم تنبع من فراغ ، ولا هي من وحي الخيال ، بل جاءت نتيجة لتجارب كثيرة وهادفة ، وطبيعي أن أطفال البشر ليسوا حيوانات تجارب ، بل أجريت هذه التجارب أساسا على اطفال الحيوان ، وخاصة اقربها صلة بالانسان ، ثم دخل الانسان بعد ذلك فيها ، كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد .

في جامعة ويسكونسين بالولايات المتحدة ، قام البروفيسور هاري هارلي وزملاؤه بانشاء مستعمرة للقرود في ساحة الجامعة كي يجروا فيها تجاربهم ، فكانوا يأخذون القرود الوليدة ، ويعزلونها عن أمهاتها ، ويرضعونها بزجاجات لبن كما تفعل بعض امهات هذا العصر مع أطفالها (شكل ٢)، ونمت أطفال القرود وترعرعت ، واتسمت حياتها بالصحة والقوة والعافية ، وهذا شيء جميل ومطلوب ، لكن الشيء السيء ان الأطفال المعزولة عن أمهاتها قد اظهرت سلوكا غريبا يدل على أنها مضطربة عاطفيا او نفسيا ، ولا يسعنا هنا الا أن نقدم ما كتبه هارلي عن حالتها ، وسجله في مذكراته ، وفيها يقول « كانت تجلس في اقفاصها وترنو ببصرها الى الأفق البعيد بنظرات تائهة ، ثم تقوم من مكانها وتدور في أنحاء اقفاصها دورات متكررة وبدون هدف واضح ، وتقف لتمسك رؤوسها بيديها لفترات قد تطول تماما مثلما يفعل البشر عندما يضعون رؤوسهم بين ايديهم ويروحون في حالة شرود - وأحيانا ما كانت تصاب بحالة من الفزع والعدوانية بمجرد اقترابنا منها » .

ولقد شك هارلي وزملاؤه في ان هذه الحالة ربما ترجع الى عزل الأطفال عن امهاتها ، وحرمانها من الملامسة والمداعبة ، واحتضانها بحنان الأمومة الملاحظ دائما بين الأمهات واطفالها ، لكنهم لم يقفزوا الى هذه الاستنتاجات قفزا ، فليس ذلك من سمات العلماء التجريبيين على أية حال ، بل لا بد من التحقق من الأمر بتجارب اخرى ، ومن اجل هذا قاموا بتصميم تجربة توضح لهم الغث من السمين .

تجربة مثيرة لها مغزاها :

في هذه التجربة وضعوا مع كل طفل من أطفال القرود دميتين تشبهان الى حد ما قوام امهاتها ، وكسيت احدى الدميتين بنسيج ناعم مزود بوبرلين ، وتركت الثانية على حالها دون كساء « كانت من السلك - انظر الصورة الدالة على ذلك في (شكل ٣) »، لكنها زودت بزجاجة بها لبن ، ولاحظوا سلوك الأطفال مع هذه الدمية أو تلك .

ان هذه التجربة تعني ببساطة شديدة وضع الطفل امام اختيارين لا ثالث لهما ، فإما ان يختار الدفء

والحنان ، وإما ان يختار الطعام .. فالى ايهما يلوذ يا ترى ؟.. دعنا نرى .

لقد لاذ الأطفال جميعا ـ كل الوقت ـ للدمية التي زودت بالنسيج اللين الناعم ، وكان الطفل منها يتشبث بها ، ويلتصق بجسمه عليها ، وكأنما هو يسعد بها ويرتاح اليها ، واحيانا ما يتركها ويتجول هنا وهناك ، ثم يعود اليها ، ولم يكن ليتركها الى الدمية الأخرى الا اذا جاع ، فاذا رضع منها ، تركها في التو واللحظة ، وعاد الى الاخرى ، وكأنما هو يحتاج بالفعل الى الراحة والحنان .. وكثيرا ما كان العلماء يتدخلون أثناء عملية الرضاعة ، ويضعون معه في القفص اشياء غريبة تسبب له شيئا من القلق والخوف ، وما أسرع ـ والحال كذلك ـ من قفزه مسرعا الى الدمية الأخرى ، تاركا من ارضعته ، الى من يشعر انها ستحميه من الخوف ، وتبعث في نفسه الاطمئنان ، فيتشبث بها ، وبذراعيه يطوقها .

ولقد نما هؤلاء الأطفال نموا عاديا ، لكن ليس بالنمو وحده تقاس الأمور ، وتقيم المعايير ، اذ لا بد ايضا من اخذ العامل النفسي في الاعتبار ، نقول قولنا هذا ، لأن هؤلاء الأطفال بعد ان كبروا وقاربوا سن البلوغ ، واختلطوا بأترابهم ممن بدأوا حياتهم مع امهاتهم ، اظهروا شيئا من العدوانية نحوهم ، وتجنبوا الاختلاط بهم ، وكثيرا ما فضلوا العزلة على الاختلاط ، اذ ليس باللبن وحده ، ولا بالفراش وحده ، ولا بالاثنين معا ، تتكون النفسية السوية ، بل ان عامل الأمومة من اهم العوامل التي تشكل الطفل منذ خروجه من بطن أمه ، ووجوده بين ذراعيها لتحضنه ، وعلى صدرها لترضعه ، وبحنانها تدلله ، ومن الخوف تطمئنه ، الى آخر هذه الأمور الهامة التي تؤثر وتكون الشخصية في مراحل مبكرة .

وقد يقول قائل : وما يدرينا ان عزلة هؤلاء الأطفال في الأقفاص لم تكن هي السبب المباشر فيما اصابهم بعد ذلك من قلق وخوف ، ادى الى عدوانيتهم وتجنبهم لرفقائهم عند الاختلاط بهم ؟

وهو تساؤل في محله ، وهو ايضا ما أخذه هارلي وزملاؤه في اعتبارهم ، ومن اجل هذا قاموا باجراء سلسلة من التجارب ، منها مثلا ان الأطفال التي عزلت في اقفاصها مع الدمي ، كانت تخرج من عزلتها بضع ساعات كل يوم ، لتختلط مع أترابها الذين يعيشون مع أمهاتهم في المستعمرة الكبيرة ، ثم يعادون الى اقفاصهم ، ولقد لاحظ العلماء كل صغيرة وكبيرة في سلوك هؤلاء وهؤلاء ، فوجدوا ان الأطفال الذين عاشوا مع امهاتهم كانوا أكثر حركة ، واعظم حيوية من اترابهم ، ليس هذا فحسب ، بل ظهر بعض الاختلاف في درجات النمو ، لم يكن ـ في الواقع ـ اختلافا كبيرا ، لكنه ـ على اية حال ـ مؤشر واضح ، فأطفال المستعمرة ذوي الأمهات زادوا في الوزن قليلا عن اترابهم اطفال الأقفاص .

واستمرت هذه التجربة فترة طويلة ، حتى اذا بلغ هؤلاء وهؤلاء من

العمر عامين ، اختفت الاختلافات تماما خاصة عند اقترابهم جميعا من مرحلة البلوغ ، فكأنما اختلاط هؤلاء بهؤلاء قد ادى الى نوع من الألفة والمودة .

لكن المحصلة النهائية لمثل هذه التجارب ، او غيرها مما اجراه علماء آخرون في معاهد بحوث مختلفة ، قد اوضحت ان الشهور الأولى من عمر الوليد لها اثرها على سلوك الطفل بعد ذلك ، ذلك أن الحرمان من اتصاله بامه ، قد ترك أثره عليه ، لأن المولود دائما ما يتشبث بأمه في هذه الفترة الحرجة من نموه .

طفل الانسان :

ولا شك اننا قد لاحظنا ان طفل الانسان يستكين في أحضان امه ، ولها يهش ويبش ، حتى ولو كان ذلك في مراحل طفولته الأولى ، فما ان تهل الأم عليه بوجهها ، حتى نراه يبتسم لها ، وقد يحرك ذراعيه وساقيه علامة على الفرحة ، وتأكيدا للترحيب بها ، وكذلك قد يفعل مع من تعودت نظراته عليهم ، او عاملوه بمثل ما تعامل به الأم وليدها ، ذلك ان انطباع هذه الصور في ذهنه تبدأ مبكرا ، ومن الملاحظ ايضا ان الطفل يبتسم لمن يبتسم له ويدلله ، ويبكي اذا ما وجد على الوجوه علامات العبوس أو العدوانية .

وطبيعي ان الفترات التي يقضيها الوليد مع أمه ، بحكم ارضاعها له ، والعناية به ، وتدليلها له ودغدغته ، لا تقارن بأية فترات اخرى يقضيها مع غيرها ، ومن هنا كانت العلاقة بينها وبينه علاقة شبه مستديمة ، وهي ايضا علاقة حميمة ورحيمة ، ولا يعلو عليها علاقة اخرى مهما خدعنا انفسنا وافترضنا ان مربية الطفل او من كان له ذو قربى يمكن ان يحل محل الأم ، لأن الأمومة ذاتها مفهوم يتسم بالسمو والعطف والرحمة ، وهي غريزة راقية ومبهمة ، ولقد حارت في تعريفها حكمة الحكماء ، وعلم العلماء ، فكأنما هي بمثابة الوحي او النور غير المرئي الذي يشع ويضيء الوجدان بين الأم ووليدها .

ومما لا شك فيه ان اشارة القرآن الكريم الى اطالة فترة الرضاعة ، وامتدادها الى العامين : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)** انما تنطوي على حكمة ، وحكمتها ان تمتد فترة رجوع الطفل الى صدر امه ، واحساسه بالانتماء اليها ، وبالملامسة بينه وبينها ، وهذا في حد ذاته من المكونات الرئيسية لتنشئة نفسية سوية ، فليست العلاقة هنا علاقة لبن وغذاء ، لأن الطفل يستطيع ـ اذا اردنا له ـ ان يعيش على غير لبن امه بعد عام واحد من ولادته ، او ربما اقل ، لكن اذا اكتملت الرضاعة سنتين ، فلا بد ان يتبعها ايضا علاقة أخرى غير علاقة الطعام .. انها علاقة الاحساس والانتماء ، وربما كان التمرد الأسري والاجتماعي الذي نلحظه الآن على بعض الشباب ، ربما يكون راجعا

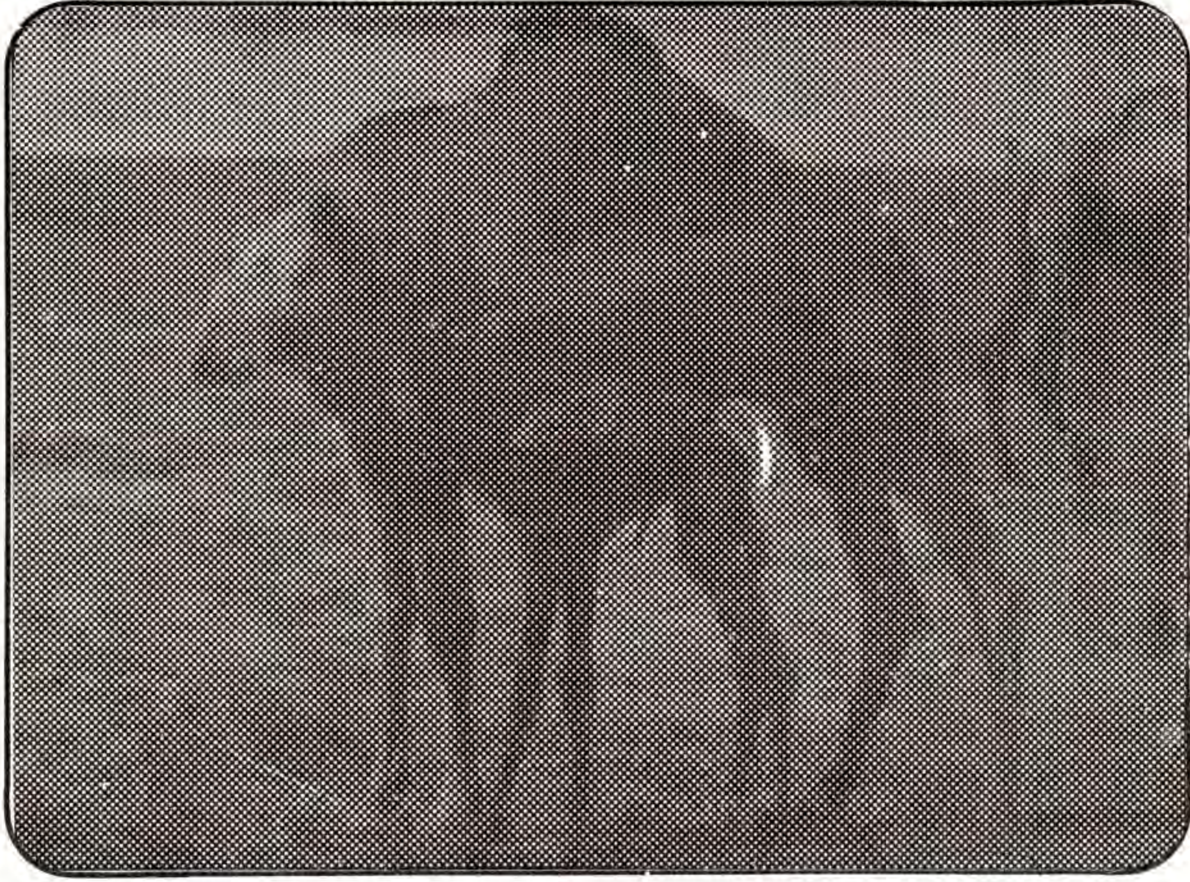
لأمهات شغلتهن هموم الوظيفة أو العمل عن رعاية اطفالهن الرعاية المثلى في مراحل الطفولة المبكرة ، او هو عامل هام من العوامل التي قد ينشأ الأطفال فيها ، ويتأثرون بها .

ان أجنة الانسان والحيوان تمر بمراحل هامة ، فهي تبدأ في البطون ، وتخرج من البطون الى الصدور ، وغالبا ما تحمل الأمهات صغارها على الجانب الأيسر من صدورها (انظر بعض الصور الدالة على ذلك) وقد لا يكون ذلك محض صدفة ، بل هي العادة السائدة ، ولها يرتاح الأطفال ، لأنهم تعودوا على الاحساس بنغمة ثنائية منتظمة ورتيبة تصدر من القلوب التي تأتي الى اليسار .. نغمة تتردد على هيئة « لب .. دب .. لب .. دب . لب .. دب » وهذا ـ بلا شك ـ أول ايقاع أو « ريتم » سمعه كل حيوان ثديي عندما كان جنينا في بطن أمه ، ففي الشهر الخامس من عمر جنين الانسان ، تتكون له اذنان كاملتان ، وبهما يتقبل تلك المقاطع الثنائية الرقيقة التي تصدر عن قلب أمه ، ولا بد انها قد آنسته في عالمه الموحش المظلم داخل الرحم .

وعندما يولد الطفل ، تنقطع الصلة بينه وبين أعظم وأرق مهد طبيعي قضى فيه أشهرا تسعة دون أن يدرك او يدري ، لكن تكوينه العصبي ـ في تلك المرحلة ـ كان على صلة وثيقة بما يجري ، بمعنى ان دقات قلب الأم قد انطبعت فيه ، لتؤثر على سلوكه مستقبلا ، ويكفي ان نشير هنا الى اهتمام الطفل بدقات « رقاص » الساعة الرتيبة عندما نلصقها على احدى اذنيه ، عندئذ نراه يستمع اليها ، ويقبل عليها ، لأنها اقرب ما تكون الى النغمة الثنائية لدقات القلوب ، وهي التي عايشها وهو لا يزال جنينا في بطن أمه ، ولهذا يعلق دكتور « لي سولك » أستاذ علم النفس الاكلينيكي لطب الأطفال بجامعة كورنيل الامريكية ومدير قسم سيكولوجية الطفل بمستشفى نيويورك ـ يعلق على هذه الظاهرة بقوله « ربما ونحن في بطون أمهاتنا قد توطدت علاقة بين ايقاعية نبضات قلب الأم ، وبين الجهاز العصبي والسمعي للجنين ، فأدى ذلك الى تهيئة جو خال من التوتر ، وربما نشأ حبنا للشعر المنظوم ، او الغناء الموزون ، او دقات الدفوف ، او الايقاع الموسيقي .. ربما نشأ ذلك فينامنذ ان كنا اجنة نستمع إلى قلوب امهاتنا » !

تجارب على اطفال البشر :

ان وجود الطفل بين ذراعي امه ، او احتضانها له على صدرها ، او مداعبته ودغدغته .. الخ ، لمن العوامل الهامة التي تسعد الطفل ، وتجعله يستكين وينام ، خاصة اذا حملته فوق صدرها ، والصقته بجوار قلبها (وهي العادة الغالبة عند معظم السيدات) .. ولقد جذبت هذه الملاحظة اهتمام بعض العلماء وتساءلوا : هل يمكن ان تكون هناك علاقة بين دقات قلوب الأمهات ، وبين



شكل (٤) لمحة حنان من عالم الحيوان بين ناقة عربية ووليدها . والصورة تعبر عن احاسيس مبهمة .. فطرة الله التي فطر الكائنات عليها

نمو الأطفال واطمئنانهم لايقاعية هذه الدقات ، فتجعلهم اقل توترا ، واكثر استرخاء ؟

ولا يكفي التساؤل ، كما لا تكفي ايضا الاجابة بدون تجارب ، تتمخض عن نتائج ، ومن اجل هذا اختار مجموعة من العلماء احدى دور الحضانة التي تترك فيها الأمهات الأمريكيات اطفالهن الرضع عندما ينشغلن في اعمالهن لساعات طويلة ، وقاموا بتقسيم الأطفال الى مجموعتين ، مجموعة منها اذيعت عليها تسجيلات لدقات قلب ام ، ومجموعة اخرى كانت بمنأى عن هذا التسجيل ، ثم لاحظوا الحالة النفسية والفسيولوجية والصحية لهؤلاء وهؤلاء ، وتمخضت هذه التجربة عن حقائق مثيرة .

ومن هذه الحقائق ان الأطفال الذين سمعوا لتسجيل قد زادت اوزانهم - لكل منهم - في المتوسط - حوالي ٤٠ جراما خلال الأيام الأربعة التي اذيعت فيها نبضات القلب ذات الايقاعية الثنائية الهادئة ، في حين ان الاطفال الذين حرموا من سماع هذا التسجيل لم يزد وزن الواحد منهم عن عشرين جراما ، وفي المدة ذاتها .

كذلك سجل العلماء عدد مرات بكاء الأطفال ، وطول فترته ، فاتضح ان الذين اذيعت بينهم تسجيلات نبضات

القلب ، قد انخفضت بينهم عدد مرات البكاء ، وطول فترته بنسبة ٣٠٪ ، في حين ان اكثر من ٦٠٪ من اطفال المجموعة الاخرى التي لم تسمع ، قد بكت لفترات اطول ، ولعدد من المرات اكثر ، ولهذا يرجع العلماء سبب الوزن الزائد عند الأطفال الذين سمعوا التسجيل ، ربما يكون لقلة البكاء ، لأن البكاء يحتاج الى طاقة ، والطاقة تتطلب « وقودا » ، والوقود في الغذاء الذي يرضعونه ، وكأنما الطاقة التي يجب ان تستغل في البناء ، قد استهلك جزء منها في البكاء ، ومن هنا يمكن تعليل زيادة وزن هؤلاء عن هؤلاء .

ومن اكثر التجارب اثارة تلك التجربة التي جاء فيها العلماء بتسجيل لدقات قلب مضطرب ، ذات نبض مرتفع « بمعدل ١٢٨ نبضة في الدقيقة » ، واذاعوه على مجموعة من الأطفال الرضع ، عندئذ ظهرت عليهم حركات قلقة ، فمنهم من بكى ، ومنهم من استيقظ من نومه ، فبكى مع من بكى ، وكأنما هذا الشذوذ في الايقاعية ، قد اثار فيهم نوعا من القلق والتوتر ، فعبروا عن عدم ارتياحهم له بالبكاء والعويل ، وعندما توقف هذا التسجيل ، وحل محله تسجيل آخر لنبضات هادئة ، ذات ايقاعية رتيبة ومنتظمة ، بدأت المواليد تهدأ وتستكين ، فمنهم من نام في طمأنينة ، ومنهم من ظل في حالة نفسية طيبة ، وكأنما هم يستمعون الى سيمفونية بديعة من صنع الله الذي اتقن كل شيء .

كل هذه التجارب وغيرها ، قد اصبحت بمثابة مؤشر بيولوجي يوضح لنا العلاقة الوطيدة بين قلوب تؤثر في نفوس ، وهذا ما تؤكده ايضا اشارات القرآن الكريم قبل ان تظهر العلوم التجريبية بحقب طويلة ، لأن غريزة احتضان الأمهات لأطفالهن في فترات رضاعتهن ، ثم استكانتهم على صدورهن ، ليس صدفة او اعتباطا ، بل هو ـ وكما يعبر عنه دكتور سولك ـ « تفاعل مبهم بين كائنين ، وتجاوب غامض بين نفسين ، وهذا من شأنه ان يؤدي الى احساس بالرضا والطمأنينة والشعور المتبادل ، وفيه يلعب القلب دورا هاما ، ليس فقط لخلق شعور طيب بالسكينة للرضيع ، لكنه يمنح آلام ايضا شعورا بالسعادة عندما تحس ان نبضها قد انعكس من وليدها اليها ، وكأنما هو شريان حياة يربط بينهما برباط مقدس » !

والواقع ان التجربة الانسانية ذاتها قد ظهرت قبل تجارب العلماء بزمن طويل ، وهي دائما تعبر عن نفسها فيما نراه بين أم ووليدها ، فعندما يترك على فراشه ـ مهما كان هذا الفراش وثيرا وناعما ومريحا ـ فانه لا يغني مطلقا عن الصدر الحنون ، فعندما يبكي الطفل على فراشه ، ربما شعورا بوحدته ، او حنينا الى العنصر الانساني الذي يفتقده اذا ما ترك لحاله فترة قد تطول ، فانه سرعان ما يكف عن البكاء عندما يؤخذ بين الأحضان ، هذا إن لم يكن به مغص أو ألم أو جوع ،



شكل (٥) بعد ان ارضعت الغوريلا طفلها، اخذت هذا الوضع المريح وراحت تتطلع الى وليدها، وهي تلاطفه وتداعبه وتدلله .. فمثل هذا السلوك ليس مقصورا فقط على انثى الانسان

وعندئذ يحس بالأمان، ويبتسم للحنان، ومن أمن واستكان، هدأ وسكن في امان.

نعود لنقول: ان الغريزة المبهمة بين الطفل وأمه، خاصة في مراحل نموه المبكرة، ليست مقصورة فقط على الانسان، بل نراها ايضا في عالم الحيوان، وبالتحديد في الحيوانات الثديية التي تحتضن اطفالها على صدورها، او تحملها بين ذراعيها، وترضعها من اثدائها، والصور المنشورة هنا خير دليل على ما نقول (شكل ٤ ، ٥).. والحق نقول بقول الحق: (**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**).. ففيهما - اي الحولين - تتشكل النفوس السوية، وتنمو الأبدان الفتية، وفي هذا الكفاية لقوم يدركون ويفقهون.



وقفة تأمل

الصحافة الإسلامية

○ قال محدثي : إن الصحافة الاسلامية ضعيفة ، ومتخلفة ، تعيش في واد والناس في واد آخر ، لا تشارك في معالجة أحداث الساعة ، وما أمرها وأقساها في الساحة الاسلامية ، والعربية منها خاصة .

○ ومضى يقول : إن الصحافة الاسلامية لا تصنع رأيا عاما في الأوساط الشعبية ، بل إن الكثيرين لا يعرفون من الصحافة الاسلامية حتى مجرد أسمائها .

○ ومع ذلك فإنه لا يخلو قطر من أقطار المسلمين إلا وتصدر فيه عدة مجلات إسلامية .. أو قل : مجلة واحدة على الأقل ..

○ فهل هناك جدوى من صحافة لا تعنى بشؤون المسلمين .. « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ؟!

○ هل هناك جدوى من صحافة هي مجرد فصول من عدة كتب لا تغير من واقعنا شيئا ؟

○ ونقول بعد أن فرغ صاحبنا من حديثه .. الذي اكتفينا بذكر بعضه : إن الذي تعانيه الصحافة الاسلامية أقسى مما تتصور ، والعلل أكبر من أن تشخص ، والأمراض تكاد تفتك بالجسد الواهن ..

ودعني أصارحك ..

○ أنت تعلم أن هناك صحافة إسلامية صنعتها أجهزة معينة على عينها ، لحاجة في نفسها ، ولكي يقال عنها : إن لها صحافة إسلامية .. وهذا الجزء من المصارحة يكفي .. وإلا ..

○ وهناك صحافة إسلامية ذات اتجاه معين .. قد يصفه البعض بأنه متشدد . فتسبب النفور منها في أوساط العديد من الناس .

○ وهناك صحافة إسلامية مكبلة بقيود رهيبة ، لاتستطيع منها فكاكا .. فكل حرف فيها لا بد أن يمر على الرقيب ، والمسئولون على هذا النوع من

الصحافة نصبوا من أنفسهم رقباء من كثرة إلفهم لمنطق الرقيب ـ فيسارعون متـطوعين لتنفيذ رغبات لم يفصح أصحابها عنها .

O وبعض القائمين على الصحافة الاسلامية إما معينون من قبل السلطة ـ وهؤلاء مجرد أقلام في يد الكبار ، وإما يعيشون في زمن غير زمانهم .

O وإذا ما قيض الله للصحافة الاسلامية رجلا مناسبا .. جوبه بحرب شعواء من الداخل والخارج ، وإتهم بما لا يقال .. « والتهم جاهزة سلفا » .. ثم يطرد او يزاح عن منصبه ، أو تغلق الصحيفة .

O وإذا ما حاولت أقلام شابة أن تتصدى لأصحاب مباديء هدامة .. تنخر في عظم أمتنا كالسوس ، فتكاد تأتي عليها حتى النخاع .. إذا ماحاولت هذه الأقلام الشابة المؤمنة منعت ، وقيل لها ما لا يقبله المنطق ، ولا يرضاه الدين .

O فكيف يمكن لصحافة هذا واقعها أن تؤدي دورها .؟؟

O وعلى الطرف الآخر صحافة ناشطة .. تجري وراء الخبر ، وتنفق ببذخ ، وتخدم أفكارا معينة ، بل وتضلل الرأي العام حينا ، وتعرى الناس ـ بعض الناس ـ حينا آخر ، فتنكشف عورات ما كنا نظنها بهذا القبح .

O وما أكثر الصحافة اليومية ، والأسبوعية ، والهشرية ، والفصلية .. وهكذا .. حتى لتجد نفسك في ركام من الورق لا تكاد تذكر شيئا ـ حتى يأتي غيره فينسيك إياه ، وأيامنا ولياليناا بالأحداث حبلى ، وفي كل ساعة مولود جديد .

O فكيف يمكن للصحافة الاسلامية أن تواكب الأحداث ، وليست هناك صحيفة إسلامية يومية واحدة ؟

O كيف يمكن للصحافة الاسلامية أن تؤدي دورها المطلوب منها .. والحال كما وصفت لك ؟

O ومع ذلك ، فان بقاءها ـ مع ما هي عليه ـ أفضل من عدمه ، فقد يأتي اليوم الذي تؤدي فيه دورها كاملا ، ولا يمكننا أن نغفل وجود صحافة إسلامية ذات مستوى جيد ، وأن هناك مخلصين حريصين على أن تصل الثقافة الاسلامية إلى القراء في الوطن الاسلامي الكبير ، وخارج الوطن الاسلامي ، فعلل الجهد المتواضع يثمر ـ ولو قليلا ـ برعاية الله وتوفيقه .. وبجهد العلماء الغيورين على دينهم .. والرجال العاملين من أجل صالح المسلمين . هذا ما نرجو ونأمل ..

فهمي عبد العليم الامام

مسلمات في القمة..

سلجوقة

مقدمة

لو حق لفتاة أن تفخر بما قام به أبوها واخوتها وبنو قومها من أعمال مجيدة في خدمة الاسلام والدفاع عن المسلمين ، لكان لزوج الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وابنة سلطان ملك الدروب وأرض الروم ، قلك أرسلان ، السيدة سلجوقة خاتون ، قصب السبق في هذا السبيل .

منذ أن دخلت بلاد الشام في ملك المسلمين أيام الخلفاء الراشدين وعلى امتداد الخلافتين الأموية والعباسية ظلت آسيا الصغرى (الاناضول وتركيا اليوم) موطن الصراع بين الاسلام والمسيحية ، وأرض المعارك الطاحنة بين العرب والروم ، فلما وصل قوم السيدة سلجوقة خاتون لتلك البلاد حسم الأمر لصالح الاسلام ، ففر الروم من الأناضول الى قارة أوروبا ، حيث احتموا بأسوار القسطنطينية ، وأقاموا حذرين أن يحتل المسلمون مدينتهم العظمى ، فاستغاثوا بالبابا واستدعوا أمم أوروبا لحمايتهم ، فأقبلوا اليهم على كل صعب وذلول في جيوش لها أول وليس لها آخر ، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري .

كان قوم السيدة سلجوقة يسمون بسلاجقة الروم تمييزا لهم عن سلاجقة العراق ، ولما شبت نار الحروب الصليبية كان سلاجقة العراق مشغولين بحرب بعضهم

خاتون

للأستاذ / محمد علي العبد

بعضا ، فلم يسرعوا للقاء الغزاة الأوروبيين ، وبقى سلاجقة الروم وحدهم في الميدان ، واستطاعوا أن يمزقوا أول جيش عبر بحر مرمرة الى الاناضول بقيادة بطرس الناسك ، شر ممزق ، فعاد من بقى منهم بأخبار ما أصابهم إلى القسطنطينية ، ولما عبرت الحملة الكبرى إلى بلادهم استطاع الصليبيون أن يحتلوا عاصمتهم « نيقية » بعد حصار طويل ، وبعد أن قتل منهم عدد كبير .

أما في الحملة الصليبية الثانية بقيادة ملكي فرنسا والمانيا فقد تمكن قوم السيدة سلجوقة بقيادة ابيها ، قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان ، من تدمير تسعة أعشار تلك الحملة ، وذلك عام ٥٤٢هـ - ١١٤٧م ، ووصلت الغنائم التي استولوا عليها من الصليبيين إلى أبعد الأسواق الاسلامية . ولقد أقسمت زوجة ملك فرنسا ، التي كانت ترافقه ، وهي ترتعد خوفا ، ألا تسير في بلاد المسلمين مرة أخرى ، اذا قدرت لها النجاة .

لقد ولدت السيدة سلجوقة خاتون وسط نيران هذه الحروب ، وشهدت ، منذ طفولتها ، قومها يصطلون بنارها ، ويخوضون غمارها ، وشبت بين صليل السيوف ، وصهيل الخيول ، وصيحات الأطفال المفجوعين بآبائهم ، والأرامل

النادبات أزواجهن ، فنشـأت تقية نقية ، تقوم ليلها ، وتصوم نهارها ، تدعو ربها بالنصر لقومها ، والعزة لدينها ، ولم تعرف لهوا ولم تتقن غناء . فلما خطبها نور الدين محمد بن قرا ارسلان ملك حصن كيفا ومدينة آمد ، وزفت إليه مع عدة حصون اقتطعها أبوها من مملكته وضمها إلى أراضي صهره الجديد ، لم تنل لديه الحظوة ، ولا العناية التي تلقاهـا الزوجة من زوجها ، فقد كان هذا الأمير بعيدا عن ساحات الجهاد ، يعيش بين قرع الكؤوس وأصوات الغانيات المغنيات اللواتي مال إلى احداهن فاتخذها زوجة له .

لو كانت هذه الزوجة الجديدة غير مغنيـة لعوب ، لجـاز لنا أن نظن بسلجوقة خاتون انها قد عجزت عن ارضاء زوجها ، إمـا لقبح صـرفه عنها ، أو لترفع وكبرياء نفراه منها ، أو لأمور أخرى تقـع بين الأزواج فيضطر الزوج أن يميل إلى أخرى يجد سعادته لديها ، وتكون ذات فضل على زوجته الأولى في جمال ، أو أدب ، أو عفاف ، أو عباد . اما أن تكون ميزتها التي استهوت هذا الأمير هي الغناء على مجالس الشراب ، والتنقل من بلد إلى بلد ومن معجب بها إلى معجب آخر ، فذلك ما نزل على تلك الفتاة الفاضلة وقومها نزول الصاعقة .

لقد كانت سلجوقة جميلة جمالا فائقا ، إذ لم يكد هذا الأمير يلقى ربه عام ٥٨١هـ حتى سارع الخليفة إلى خطبتها ، وهو الذي وصفه الرحالة ابن جبير بأنه جميل المنظر ، أبيض اللون ، معتدل القامة ، رائق الرواء . ولو أن هذا الخليفة ـ الذي سنذكر زواجه بسلجوقة فيما بعد ـ تزوجها طمعا في استمالـة أبيها ، وتقـربا لقومها ، لما أحبها ذلك الحب العظيم الذي تحدثت عنه كتب التاريخ ، فقد توفيت في قصره فوجد بها وجدا ظهر للناس كلهم ، وبنى أبواب القصر الذي كانت تسكنه حتى لا يرى ما يذكره بها ، وكان لا يتمالك نفسه عن البكاء إذا ذكرها أحد أمامه .

غضب سلجوقة لكرامتها

يقول المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل :

وفي سنة ست وسبعين وخمسمائة سار صلاح الدين يوسف بن أيوب من الشام إلى بلاد قلـج أرسلان بن مسعود ليحاربه ، وسبب ذلك أن نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوج ابنة قلج ارسلان وبقيت عنده مدة ثم إنه أحب مغنية فتزوجها ومال إليها ، وحكمت في بلاده وخزائنه ، وأعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيا منسيا ، فبلغ أباها الخبر فعزم على حرب نور الدين وأخذ بلاده ، فأرسل نور الدين إلى صلاح الدين يستجير به ويسـأله كف يـد قلج ارسلان عنه ، فأرسل صلاح الدين إلى قلج ارسلان في المعنى ، فأعاد الجواب : إنني كنت قد سلمت إلى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتي ، فحيث آل الأمر معه إلى

ما تعلمه ، فأنا أريد من يعيد إلي ما أخذه مني . وترددت الرسل بينهما ، فلم يستقر حال فيهما ، فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره ، وجاءه نور الدين محمد (زوج سلجوقة) ، وأقام عنده ، فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه ، أرسل إليه أكبر أمير عنده ، ليقول له : إن هذا الرجل فعل مع ابنتي كذا ، ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه ، فلما وصل الرسول ، واجتمع بصلاح الدين ، وأدى الرسالة ، امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ ، وقال للرسول : قل لصاحبك : والله الذي لا اله الا هو لئن لم يرجع لأسيرن إلى (ملطية) وبيني وبينها يومان ، ولا أنزل عن فرسي إلا في البلد ، ثم أقصد جميع بلاده ، وآخذها منه . فرأى الرسول أمرا شديدا ، فقام من عنده ، وكان قد رأى العسكر وما هو عليه من القوة ، والتجمل ، وكثرة السلاح والدواب وغير ذلك مما ل عنده ما يقاربه ، فعلم أنه إن قصدهم أخذ بلادهم ، فأرسل إليه في الغد يطلب أن يجتمع به ، فأحضره ، فقال له : أريد أن أقول شيئا من عندي ، وليس رسالة عن صاحبي ، وأحب أن تنصفني ، فقال له : قل ، قال : يا مولانا أما هو قبيح بمثلك ، وأنت أعظم السلاطين وأكبرهم شأنا ، أن تسمع الناس عنك أنك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة ، وأعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك ، وللمسلمين عامة ، وجمعت العساكر من أطراف البلاد البعيدة والقريبة ، وسرت ، وخسرت أنت وعساكرك الأموال العظيمة لأجل قحبة مغنية ، ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة ، وملوك الاسلام ، وكافة العالم ؟ وأحسب أن أحدا ما يواجهك بمثل هذا ، أما يعلمون أن الأمر هكذا ؟؟ ثم احسب أن قلج ارسلان مات ، وهذه ابنته قد أرسلتني إليك تستجيرك وتسألك أن تنصفها من زوجها ، فإن فعلت فهو الظن بك ألا تردها . فقال صلاح الدين : والله الحق بيدك ، وإن الأمر لكما تقول ، ولكن هذا الرجل دخل علي واستجار بي ويقبح بي تركه ، **لكنك أنت اجتبته** ، وأصلح الحال بينكم على ما تحبون ، وأنا أعينكم عليه ، وأقبح فعله ، ووعد من نفسه بكل جميل ، فاجتمع الرسول بصاحب الحصن ، وتردد القول بينهم ، واستقر أن صاحب الحصن يخرج المغنية عنه بعد سنة ، وإن كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون وهو وقلج أرسلان عليه ، واصطلحوا على ذلك . وعاد صلاح الدين عنه إلى الشام ، وعاد نور الدين إلى بلاده ، فلما انقضت المدة أخرج نور الدين المغنية عنه ، فتوجهت إلى بغداد وأقامت بها إلى أن ماتت .

السيدة سلجوقة خاتون تخرج للحج

وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة هجرية خرجت السيدة سلجوقة خاتون قاصدة مكة المكرمة في موسم

الحج ، وكانت في الخامسة والعشرين من عمرها ، ونجد في رحلة الأديب الأندلسي ابن جبير وصفا رائعا لما رآه من أفعالها وصفاتها ، قال :

وكان المجتمع من الحجاج في هذا العام عددا لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم ومن النساء العقائل المعروفات « بالخواتين » واحدتهن خاتون ، ومن السيدات بنات الأمراء كثير . ومنهن الملكة سلجوقة خاتون بنت ملك الدروب والأرمن وما يلي بلاد الروم . وخاتون هذه أعظم الخواتين قدرا ، بسبب سعة مملكة أبيها ، وهو في بسطة من ملكه ، واتساع من إمرته ، وصهره عليها نور الدين صاحب مدينة آمد وما سواها ، ولخاتون هذه أفعال من البر كثيرة في طريق الحج ، منها سقي الماء للسبيل ، عينت لذلك نحو الثلاثين ناضحة ، ومثلها للزاد ، واستجلبت لما تختص به من الكسوة والازواد وغير ذلك نحو المائة البعير ، وأمورها يطول وصفها ، وسنها نحو خمسة وعشرين عاما ، ويصف هذا الرحالة دخولها مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

ومن عجيب ما شاهدناه من الأمور البديعة الداخلة مدخل السمعة والشهرة أن (سلجوقة خاتون) وصلت عشى يوم الخميس السادس من محرم إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راكبة في قبتها ، وحولها قباب كرائمها وخدمها والقراء أمامها ، إلى أن وصلت باب المسجد المكرم ، فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها ، ومشت إلى أن سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وصلت إلى الروضة الصغيرة التي بين القبو الكريم والمنبر ، فصلت فيها تحت الملحفة ، والناس يتزاحمون عليها ، والمقامع تدفعهم عنها ثم مشت إلى الصفحة الغربية من الروضة المكرمة ، فقعدت وأرخى الستر عليها ، فما زالت في موضعها إلى الليل ، ثم حضر رئيس الشافعية ، والحرم قد غص بالمنتظرين (لسماع وعظه) والخاتون جالسة موضعها ، وعند وصول رئيس العلماء أزيل الستر عنها ، وبقيت بين خدمها وكرائمها متلفعة في ردائها ، فعاينا من أمرها في الشهرة الملوكية عجبا .

ولما عاد الحجاج إلى بغداد ، وانتهت مهمة أمير الحج هناك ، خرجت سلجوقة خاتون تقود الحجاج إلى الموصل وديار بكر ، حيث بلاد زوجها ، وخرج ابن جبير في ركبها ، وقد وصف دخولها الموصل واستقبال الناس لها ولأم ملك الموصل العائدة بصحبتها ، ثم أكمل حديثه عنها بقوله : وأخبرنا غير واحد من الثقات ، ممن يعرف حال خاتون هذه ، أنها موصوفة بالعبادة والخير ، مؤثرة لأفعال البر ، فمنها أنها أنفقت في طريقها هذا إلى الحجاز في الصدقات مالا عظيما . وهي تحب الصالحين والصالحات ، وشأنها عجيب على شبابها وانغماسها في نعيم الملك والله يهدي من يشاء من عباده .

وفاة زوجها وخطبة الخليفة لها

وفي عام واحد وثمانين وخمسمائة للهجرة توفي نور الدين زوج سلجوقة فخطبها الخليفة العباسي إلى أبيها ، وأرسل لذلك الشيخ المحدث الصوفي أبا يعقوب يوسف بن أحمد الشيرازي ، فجاء بها إلى بغداد سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

ومما يعجب له المرء أن أمهات الخلفاء العباسيين والمشهور من زوجاتهم كن من الجواري المجلوبات ، ولذلك قل من استقر له أمر أو استقام له حكم بعد الثمانية الكبار الأوائل من أولئك الخلفاء . ولقد كان هذا الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء شهما ، شجاعا ، ذا فكرة صائبة وعقل رصين ودهاء ، قل من يشبهه ممن سبقه من الخلفاء ، ولم يأت بعده أبدا من كان قريبا منه ، ولذلك فان اختياره لامرأة توفي عنه زوجها ، ثم إخلاصه لها ، وحبه إياها ذلك الحب العظيم الذي تحدثت عنه كتب التاريخ ، لدينها وعبادتها واستقامة أخلاقها لأكبر دليل على شهامته وصدق نظرته وحكمه على الأمور .

كذلك فإن تاريخ أميرات البيت العباسي يدل على حرصهن على المال وجمع الجواهر والحلي حتى إن احداهن **سمحت بمقتل ولدها** بأيدي الجنود المطالبين بالمال ، وهي «قبيحة» زوج المتوكل وأم الخليفة المعتز ، وأبت أن تقرضهم خمسين ألف دينار ، ولديها في خزائنها وصناديقها الملايين ، ولذلك فإن سلجوقة خاتون كانت في أمرها عجبا إذ لم تفعل فعلهن ، بل كان همها أن يبني الخليفة لها تربة تدفن فيها ، ورباطا (تكية) يطعم الفقراء منها ، ولقد وضع الخليفة بعد وفاتها في تلك التربة مكتبة حوت كثيرا من الكتب القيمة .

لقد توفيت سلجوقة خاتون قبل أن يتم البناء الذي شرع فيها في حياتها ، وأكمل بعد مماتها ، رحمها الله تعالى .

ولقد رثاها الشاعر الشهير سبط بن التعاويذي بقصيدة ، منها :

فيا قبر ما بين الصراة ودجلة — إلى نهر عيسى جارك الغيث من قبر
فلله ما استودعت ياقبر من تقى — ومن كرم عد ومن نائل غمر
ثوى بك من لو جاوز النجم قدره — لزادت به الأفلاك فخرا إلى فخر
نمر عليه خاشعين كأننا — نمر على الركن المقبل والحجر
لنا دعوة عنده مستجابة — فكل الليالي عنده ليلة القدر
عليك سلام الله كل عشية — يكر على اعقابها مطلع الفجر
رثيناك يا خير النساء تعبدا — ومثلك لا يرثى بشعر ولا نثر
ومن كانت الشعرى العبور محله — تعظم قدرا أن يؤبن بالشعر
تحجبت عن مرأى العيون جلالة — وعزا فمن خدر إلى خدر
وصبرا أمير المؤمنين لرزئها — وإن جل ذا الرزء العظيم عن الصبر

الفقه الإسلامي وأدلته

للدكتور وهبة الزحيلي

الكتاب الذي أتحدث عنه ، مثال بارز على ما اقول .

(الفقــه الاسلامي وأدلتــه)هو في الحقيقة موسوعة فقهية ، كالتي تحلم باخراجها المؤسسات والجـامعات ، ويجند لها الباحثون والكتاب ، ضمت اكثـر من سبعـة الآف صفحـة ، وأخرجت في ثماني مجلدات كبيرة .

المؤسسة التي اهتمت باخراج هذه الموسوعة ، تتمثل في شخص واحد .

اما الجهود والميزانيات المالية التي رصدت لها ، فليست شيئا اكثر من رغبة ذاتية للمؤلف ، اتجهت بصدق وحمـاسة الى السعي لانجـازهـا ، والصبر على كل صعوبات الطريق وعثراته . اما الزمن الذي استغرقه العمل ، فبضع سنوات .. وهي يقينا اقل عددا من مجلدات الكتاب . (١)

هذه الرغبة الذاتية الدائبة ، التي جاءت بالضرورة من وراء الاختصاص العلمي الدقيق ، هي سر النجاح في العمل ايا كان ومهما بلغ اتساعه او اشتدت صعوبته .

والرغبة الذاتيه هذه ، تأبى الا ان تكون ضرة قاسية للنشاط الوظيفي الذي ينمو في ظل الاجور والمرتبات .. وانها لواحدة من سنن الله ، وقد تجد لها شذوذا ، ولكنه نادر .

* * *

وبعد ، فإن اهمية هذا الكتاب ، او

جهد جماعي في عمل فرد!

إعداد الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي

المعنى الذي يجعل منه موسوعة ، لا يتمثل في تصفيات زائدة او مناقشات مطولة للمسائل والاحكام . وانما تتمثل هذه الاهمية في مزايا أخرى ، كلها من أهم ما تحتاج اليه مكتبتنا الفقهية في هذا العصر . ولعل هذه المزايا تبرز في النقاط التالية :

اولا - ليس الكتاب واحدا من الكتب الفقهية المذهبية التي يتبنى كل واحد منها واحدا من المذاهب الاربعة دون التفات الى المذاهب الاخرى (على ان هذه الكتب المذهبية مفيدة وهامة في نطاقها) وانما هو يحوي الفقه الاسلامي ، كما تم ، فهما واجتهادا ، من مصادره الاصيلة ، والتبعية الثابتة ، سواء فيما هو داخل الكليات والاحكام المتفق عليها ، او في المسائل الجزئية التي وقع الخلاف فيها . انه ليس كتابا في الفقه المذهبي ، وان كان يحترم المذاهب الفقهية كلها .

ثانيا - يعرض المؤلف لأدلة الاحكام ، سواء كانت قرآنها ام سنة ام اجماعا ام قياسا . ويقارن في المسائل الخلافية بين الآراء المذهبية وادلتها ، ملتزما تخريج الاحاديث والتحقيق في صحتها وبيان درجتها . ولا شك ان الكتاب يرقى بهذه المزية الى مستوى الفقه المقارن . ومن المعلوم ان كتب الفقه المقارن التي استوعبت جميع ابواب الفقه قليلة نادرة .

ثالثا - جمع المؤلف بين الطريقتين : القديمة المتبعة ، وتتمثل في عرض جزئيات المسائل والاحكام ، من خلال ابواب الفقه وفصوله المعروفه ، والجديدة المفضلة لدى

بعض الناس ، وتتمثل في ربط جزئيات الاحكام بمحاور كلية شاملة تستوعب المنشورات المؤلفة منها والمتفرعة عنها والمفصلة بها ، وهي التي تسمى اليوم بالنظريات .

ونحب ان نقول في هذه المناسبة ، إن احدى هاتين الطريقتين لا يمكن ان تغني ، في هذا العصر ، عن الاخرى . فالاحكام الجزئية المنثورة ، ينبغي ان تندرج ، في ذهن الفقيه على اقل تقدير ، ضمن كلياتها المنبثقة عنها ، وان تتجلى بشكل بنيان متكامل تبرز اركانه وشرائطه ومكملاته مترابطة متساندة . غير ان تصور هذه الهياكل العامة لا معنى ولا رصيد له ، إلا بمعرفة جزئياتها التي تكون جوهرها وتدخل في قوامها ، على ان تكون هذه الجزئيات مرتبطة بأدلتها الاساسية من الكتاب والسنة او القياس الصحيح عليهما او على احدهما .

فالنظرة الفقهية إذن ، مع ثمرة لاحكامها الجزئية المستندة بدورها الى ادلتها الثابتة . وليست الاحكام الجزئية ثمرة للنظرية الشاملة كما هو متصور عند القانونيين .. وللامام الشاطبي كلام هام دقيق في بيان هذه الحقيقة التى تصل ما بين الكليات الفقهية وجزئياتها ، والتي قد يذهل عنها حتى كثير من المتفقهين (١) .

نعود فنقول : ان الدكتور وهبة قطع شوطا كبيرا في الجمع بين هاتين الطريقتين ، على طريق اخراج الفقه الاسلامي كله في نظريات شاملة متكاملة . فقد افرد معظم المجلد الرابع لشرح نظريتين منها شرحا مسهبا متكاملا ، وهما نظرية الحق ، ونظرية العقد ، وكان المؤلف كلا من نظريتي الضرورة والضمان في مؤلفين مستقلين .

رابعا - افرد المؤلف ملحقا في المجلد الرابع ، ضمنه بيان ما اقتبسه القانون المدني من الفقه الاسلامي .

ومن المعلوم ان القانون المدني السوري ينص في المادة الثانية منه على انه اذا لم يوجد نص تشريعي يمكن الاعتماد عليه ، حكم القاضي بمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية . كما ان القانون المصري ينص على نحو ذلك ، الا انه يقدم العرف على احكام الشريعة الاسلامية .

وعمل الدكتور الزحيلي في هذا الملحق يتضمن بيان اهم الاحكام التفصيلية التي استفادها القانون من الفقه الاسلامي ، واهم المبادىء والنظريات المقتبسة منه في احكام الاهلية ومسؤولية عدم التمييز ، ونظرية التعسف في استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، وحوالة الدين ، .. الخ .

خامسا - لم يتجاهل المؤلف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الحديثة ، التي طورت كثيرا من ارضية الفقه الاسلامي التي لا بد ان تفرسق فيها وتنشأ عليها . ومن اهم الاوضاع المالية والمشكلات الاقتصادية الحديثة ، التي سببت بدورها عقدا ومشكلات كثيرة في نطاق المعاملات والعقود واوضاع الشركات ، واثارت بلبلة في تفهم موقف الشريعة الاسلامية منها .

وليس معنى هذا ان المؤلف انساب ، كشأن بعض الكاتبين والباحثين ، مع التطور والواقع ، وراح يلوي اعناق الاحكام والمبادىء الفقهية كيفما اقتضى الواقع وانى سار أو انحرف .. وإنما الزم نفسه بالمنهج العلمي الذي عبر عنه هو في مقدمة كتابه :

« يمتاز هذا الكتاب الشامل لفقه المذاهب ، باعتماده على استنباط احكامه من مختلف مصادر التشريع الاسلامي النقلية والعقلية . فمن قصر فقه الاسلام على القرآن وحده فقد مسخ الاسلام من جذوره وكان أقرب الى أعداء الدين ، ومن حصر الفقه بالسنة وحدها فقد قصر واساء ، وعاش قاصر الطرف عن شؤون الحياة ، وبعد عن التفاعل والتجارب مع متطلبات الناس وتحقيق مصالحهم .. ومن المعروف ان زعماء مدرسة الحديث اخذوا بالمصالح المرسلة والعرف والعادة وسد الذرائع وغيرها من ادلة الاجتهاد بالرأي ، كما ان زعماء مدرسة الرأي كالنخعي وربيعة الرأي وابي حنيفة واصحابه لم يهملوا بتاتا سنة او اثرا او اجتهادا عن السلف »

سادسا - وضع المؤلف في نهاية كتابه فهرسا شاملا للالفاظ الفقهية ، واحال كلا منها الى اهم الاماكن التي ورد فيها . ويقع هذا الفهرس في ٣٠٠ صفحة بالخط الدقيق . وهو بحد ذاته عمل مستقل كبير ، يضاعف من قيمة الكتاب ، وييسر سبل الاستفادة منه لكل الفئات والطبقات .

هذه المزايا التي عددتها تجعل لهذا الكتاب قيمة ممتازة عن سائر الكتب الفقهية الاخرى ، وتجعله يملأ زاوية قد تكون الى الآن فارغة في المكتبة الاسلامية المعاصرة .

وان ممن يرى ان الفقه الاسلامي لا يغرس في فراغ ، وان التربة الوحيدة التي تصلح ان تغرس فيها بحوث الفقه الاسلامي ، دراسة وتجلية وتمحيصا ، انما هي المجتمع الاسلامي النابض بسر الحياة الاسلامية ، عقيدة وعبودية وتبتلا . ففي هذا الغرس تزدهر اصوله وفروعه ، ويتحقق الهدف المنشود من دراسته وفهمه والتاليف فيه .

غير اني ارى في الوقت ذاته ، ان من الخير ان يقبل المسلمون الغيارى على اسلامهم الى كل من هذين البناءين يرفعونه ويشيدونه في وقت واحد . ذلك لان واقع التدرج الذي يفرض نفسه في اقتطاف ثمارها ، لا يفرض نفسه في مرحلة القيام ، بالعمل البنائي لكل منهما .

واخشى ما نخشاه ، اذا الزمنا انفسنا بارجاء القيام بالعمل المهم ، ريثما نفرغ من القيام بالعمل الاهم ، ان يذهب الوقت كله سدى ، دون ان نشتغل لا بالمهم ولا الاهم .



المسجد الحرام

قال تعالى : « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » الآية ٢٥ من سورة الحج .

الجواسيس

قال المأمون لأحد جلسائه : هل في القرآن ذكر للجواسيس ؟

قال : نعم . ألم تسمع قوله

تعالى : « يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » هؤلاء هم الجواسيس ، يسمعون ثم ينقلون الأحاديث لمن كلفهم بذلك .

الله احق بالوفاء

عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن أمرأة من جهينة جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ..

فقالت : « إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟»

قال : « نعم حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء » أخرجه البخاري .

الحكمة

قال علي - رضي الله عنه : فرض الله الايمان تطهرا من الشرك ، والصلاة تنزيها من الكبر ، والزكاة تسببيا للرزق ، والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق ، والحج تقوية للدين ، والجهاد عزا للاسلام ، والامر بالمعروف مصلحة للعوام ، والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء .



الأم

قال الأصمعي : سمعت اعرابيا وهو يقول في الطواف : اللهم اغفر لأمي ، فقلت له : مالك لا تذكر اباك ؟ فقال : ابي رجل يحتال لنفسه ، واما امي فبائسة ضعيفة !.

دخل رجل على ابن حنبل رضي الله عنه فقال : عظني ..
فقال له : إن كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقا فالراحة لماذا ؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا ؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقا فالجمع لماذا ؟ وإن كان كل شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا ؟

النجدة

ارادت اذاعة روسية ان تطلع الفلاحين على اجهزة الاذاعة ، وان يشترك كل منهم في ارسال الحديث الى العالم بكلمة واحدة لا يزيد عليها ، فلما تقدم الفلاح الاول وسئل ان ينادي بالكلمة الوحيدة صاح بملء فيه : النجدة .

تقوى الله

اوصى صديق صديقه قائلا : اوصيك بتقوى الله تعالى ، فإن الله تعالى جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب .

قال تعالى : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** » .

دعاء المضطر

انشد زين العابدين علي بن الحسين وهو متعلق بأستار الكعبة :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم .. يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا .. وأنت يا حيّ يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا .. فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه .. فمن يجود على العاصين بالكرم ؟

المستشرقون

نقرأ في كتب التاريخ ، أو هكذا تعلمنا ، أن الاستعمار الأوروبي بدأ يتغلغل في البلاد الاسلامية اعتبارا من الثلث الأول من القرن الماضي ، مبتدئا بالجزائر ، ثم انتشر في غيرها من البلدان .

ولكن الحقيقة هي أن الاستعمار الأوروبي المعلن ، والمسلح ، الغاصب ، هو الذي بدأ على ذلك النحو ، وفي تلك الحقبة . غير أن ذلك لم يكن الا إعلانا وثمرة لما قام به الرحالة ، والمستكشفون ، والمستشرقون الأوروبيون ابتداء من الحروب الصليبية ، وإلى أن جاء الاستعمار ، بل إلى يومنا الحاضر بشكل أو بآخر ! فقد سبقوا الاستعمار بتمهيد متقن ، وتخطيط قائم على الدراسات التاريخية والنفسية للشعوب الاسلامية ، الأمر الذي مَكّن الأوروبيين من الظفر بما كانوا يطمعون به ، وهو بسط نفوذهم على المنطقة ، وإضعاف المسلمين ، ومحاربة الاسلام ، والتقليل من شأنه عند أهله .

وفي هذه المقالة سنعرض جانبا من حياة أحد المستشرقين الذين يحلو لبعض جهلتنا أن يسميهم «مبشرين» ، وهي التسمية التي يحبونها .. وهو ـ المدعو رايمندس

سبقوا بالجريمة

للدكتور/ يحيى عبد الرؤوف جبر

لولوس - الذي مات عام ١٣١٦م في التاسع والعشرين من حزيران ، يونيو ، متأثرا بجراحه على يد مسلمي تونس ، حين أقام فيها قداسا علنياً ، فهاجموه ضربا .. فكانت هذه هي المرة الثانية التي يتحدى فيها مشاعر المسلمين هناك ، حيث كان يدعوهم للتنصر .

ليس بالسلاح وحده

وقد ولد هذا المستشرق عام ١٢٣٥م في أسبانيا ، واشتغل منذ صغره في البحث عن وسيلة تمكن من انتصار الكاثوليكية على الاسلام « **الشعوذة والكفر في مفهومه** » ولم يكن يرى رأي غيره من دعاة الحرب من أمثاله ، ولكنه كان يرى أن السلاح وحده ليس كفيلا بتحقيق أهدافه ، وذلك بالرغم من أنه عاش حقبة انتصار المسيحيين على العرب المسلمين في اسبانيا ، ولذلك فقد صمم على البحث عن طريقة عملية تكفل نشر ما أسماه « حقائق المسيحية المباركة » في العالم الاسلامي .

اختراق النفسية

ويمكن إجمال خطته في هذا المجال بتعريف المسلمين بهذه الحقائق ،

وبلغتهم الأصلية ، أي العربية ، وعندها يصعب على « المشعوذ والكافر » يقصد المسلم ، ألا يقتنع بها إلا اذا ركب رأسه ، وعاند ، وأصر «بدافع شيطاني » . وكان «لولوس » يرى في الاسلام أخطر عدو على الكنيسة في زمانه ، ولذلك لا بد من تقويضه ، ولتحقيق ذلك لا بد من اختراق النفسية الاسلامية بوساطة دعاة الكنيسة ، ولا بد حينئذ من توفر عاملين في الداعية وهما :

أولا : أن يجيد الداعية الكاثوليكي اللغة بطلاقة ، لأنها لغة القرآن !

ثانيا : أن يتحلى بالصبر خلال الحوار مع المسلمين ، والجدل مع فقهائهم .

تعلم العربية

وفعلا شرع «لولوس » في تحقيق الشروط الأولى ، فتعلم اللغة العربية على يد عربي من موريتانيا مدة تسع سنوات متواصلة ، ثم أقنع الكاردينال يعقوب الأول بأن يقيم مركزا لتثقيف المبشرين بالعلوم اللاهوتية ، وتعليمهم اللغة العربية ، وفعلا فقد أقيم مركز كان الأول من نوعه لتعليم العربية في « ميرامار » عام ١٢٧٢م ، وضم ثلاثة عشر راهبا فرانسيسكانيا ، بالاضافة إلى « لولوس » نفسه ، وأقيم لهؤلاء الرهبان دورات مكثفة في اللغة العربية ، إلى جانب دراسة علم اللاهوت . وارتاح بال لولوس لهذا الانجاز الذي لم يكن في نظره إلا خطوة على طريق طويل يهدف إلى تحقيق أحلامه « التبشيرية » والاستعمارية .

واستمر في مساعيه لإقامة أكبر عدد من المراكز المماثلة في مناطق أخرى من العالم المسيحي الأوروبي ، وسافر لهذا الغرض « عام ١٢٧٧ أو ١٢٧٨م » إلى روما ليقنع البابا «نيقولا الثالث » بضرورة تبني أفكاره وتنفيذها ، ولكن نيقولا لم يتحمس لها ، فمال إلى التأليف حين كتب سنة ١٢٨٣م - ١٢٨٥م مؤلفا في أسلوب روائي تخيل فيه أنه تبوأ الكرسي الرسولي وأوفد مبشرين إلى سائر أنحاء العالم يجيدون العربية ولغات شرقية أخرى .

محاولة للتحالف

عندما اجتاح التتار بلاد الاسلام ، ظن « لولوس » أنهم سيكونون حلفاء للمسيحية ضد الاسلام ، وفعلا ، بادىء الأمر ، فقد حال « أبقا بن هولاكو » وابنه من بعده استمالة ملوك أوروبا للتحالف معهم ضد الاسلام . وقد عمل اليهود آنذاك على تحقيق هذا التحالف بين الطرفين .. غير أن التتر ما لبثوا أن دخلوا في دين الله أفواجا ، فأسقط في أيدي الحاقدين على الاسلام والمسلمين .

محاورة

ثم رأى رايمندس لولوس أن يتوجه الى خارج أوروبا للتبشير بالمسيحية بين صفوف « الكفار » يعني

المسلمين ، فسافر من «جنوه» الى تونس التي اختارها مكانا للحوار مع المسلمين ! وكانت آنذاك تشكل ملجأ للنازحين من عرب الأندلس المسلمين ، وفعلا تم الحوار بينه وبين فقهاء المسلمين ، ولكنه لم يتمكن من التفوق عليهم بالحجج .

مواصلة الجهود

وفي عام ١٢٩٤م نشر مقالا ضمنه تأكيده على رأيه بضرورة تثقيف المبشرين واستخدامهم أسلوبه الخاص في إقناع « الكفار » لقبول « حقائق الكاثوليكية » ، وأكد ، أيضا ، على ضرورة استخدام القوة العسكرية لاحتلال بلاد « الكفار » واستعمارها .

وفي عام ١٣٠١م زار قبرص وآسيا الصغرى ـ ولم تكن بعد قد فتحت من قبل المسلمين ـ وفي عام ١٣٠٧ جرب حظه مرة أخرى في الحوار مع المسلمين في مدينة بجاية الجزائرية ، ولكنه عاد بخفي حنين .

ثمار متأخرة

لكن جهود لولوس المتواصلة قد أثمرت بعض الشيء بعد حين ، وذلك حين أقر المجمع المسكوني في فيينا عام ١٣١١م تعيين مدرسين كاثوليكيين اثنين في كل من جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وسالونيك لتدريس اللغات الاغريقية والعبرية والعربية والكلدانية . وقد فرح لولوس بهذا القرار ، فسافر إلى تونس مرة أخرى بالرغم من تقدمه في السن .. ولكنه لم يدر أنه كان يسعى لحتفه بظلفه ، فقد قتله المسلمون هناك ، لأنه تحدى مشاعرهم في عقر دارهم .

وهكذا ، من خلال حياة واحد من هؤلاء المستشرقين نتبين أنهم لم يتعلموا العربية ، ولم يدرسوا تراثها ، وكذلك لم يتكبدوا عناء السفر ومشقة التجوال في بلدان العالم الاسلامي حبا في العربية ، ولا حبا في سواد عيون المسلمين ، ولكنها مأربة لا حفاوة ، وكيد حقير أخفوه من وراء أعمالهم التي يبدو الخير في ظاهرها ، بينما هي في الحقيقة فياضة بالشرور والآثام ، الأمر الذي لمسه أباؤنا ، وما نزال نلمسه بنسب متفاوتة ، فبعضنا قد تخدّر جسمه ، وتلبد حسّه ، وبعضنا لم يعد يبالي ، مشغول بالدنيا ، كأنه سيعيش فيها أبدا ، وقليل منا يدركون أبعاد الخطر الداهم الذي تغلغل في العقل والنفس بحيث يكاد التغلب عليه يكون ضربا من أحلام اليقظة ، إلا أن تفيق أمتنا على هذه الحقيقة المؤلمة ، وتستيقظ من سباتها ، ألا وقد تلع الضحى ، بل إن الشمس تكاد تغيب ، ولكن الغافلين عن ذلك في نوم عميق ، وقد لا يفيدهم أن يستيقظوا .





ما هكذا يكون النقاش

الأخ / عمر الحنشى ـ من صفاقس ـ تونس .. أرسل إلى بريد الوعي الاسلامي رسالة مطولة جاء فيها : أنه بعد اطلاعه على « رسالة الصيام » استوقفه ما أثبتناه تحت عنوان مبطلات الصوم .. وأنها قسمان : قسم يبطل الصوم ويوجب القضاء فقط .. وقسم يبطله ويوجب القضاء والكفارة ..

وقلنا : إن الأكل والشرب عمدا يوجب القضاء فقط ..

ثم قلنا : إن ما يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة هو الجماع لا غير ..

● ثم مضى الأخ عمر يقول : إن نتيجة هذه الفتوى أنه يمكن للصائم أن يفطر رمضان صيفا ، ثم يقضيه شتاء وعندما يقصر النهار .

وقال : وهذا خلاف خطير للشريعة الاسلامية ، ولا أظن أن أي مذهب يبيح هذا المنطق الغريب .

وواصل حديثه فقال : إن الافطار عمدا بوصول الأكل إلى البطن أو بالجماع يوجب القضاء والكفارة لكل يوم على حدة . ويقول الحنشي : هذا هو منطق العقل ، والطريق القويم .

ثم عاب على المجلة أنها لم تذكر سندا شرعيا لما نشرته . وأن مرضى النفوس سوف يستغلون الفتوى ، ويشككون في رسالة الاسلام ، هكذا قال .

ثم قال كلاما نستحي من نشره .. فيه سباب ، وشتم ، وتكفير ، واتهام لنا بالخروج عن الدين .

ونقول للأخ القارىء : إننا أثبتنا في صدر رسالة الصيام الآيات الكريمة ، والأحاديث الصحيحة التي توجب على كل من بلغ سن التكليف من المسلمين ، ولم يمنعه عذر شرعي من الصيام ـ أن يصوم شهر رمضان إيمانا واحتسابا لوجه الله الكريم .. وأنه لو أفطر يوما من رمضان لا يعدله صوم الدهر كله وإن صامه .. كما قال رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ..

فنحن إذن لم ندع إلى الفطر في رمضان لغير عذر شرعي .. بل رهبنا من الفطر فيه ، ولكن ما حكم من أفطر

عمدا في رمضان بالأكل والشرب ؟

هذا هو محور النقاش :

بالرجوع إلى كتاب « فقه السنة » للشيخ سيد سابق ـ الجزء الأول ـ صفحة ٣٩٣ ـ نجده يقول : أما ما يبطله ويوجب القضاء فقط فهو ما

يأتي : ١ و ٢ ـ : الأكل والشرب عمدا . ثم مضى يعدد بقية ما يوجب القضاء فقط .

● وبرجوعنا إلى كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » تأليف عبد الرحمن الجزيري ـ الجـزء الأول ـ صفحة ٥٦٠ ـ طالعنا :

* **الحنفية** ـ قالوا : يوجب القضاء والكفارة أمران : **الأول** : أن يتناول غذاء ، أو ما في معناه بدون عذر شرعي ، كالأكل والشرب ونحوهما ، ويميل إليه الطبع وتنقضي به شهوة البطن . **الثاني** : أن يقضي شهوة الفرج كاملة .

ثم قالوا : وإنما تجب الكفارة في هذين القسمين بشروط . عدوها .

* **الشافعية** ـ قـالوا : مـا يوجب القضاء والكفارة ينحصر في شيء واحد وهـو الجماع .. بشـروط .. عدهـا المؤلف .

* **الحنابلة** ـ قالوا : يوجب القضاء والكفارة شيئان : **أحدهما** : الوطء في نهار رمضان ودليلهم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر المجامع في نهار رمضان بالقضاء والكفارة **ثانيهما** : إذا باشرت امرأة أخرى وأنـزلت إحداهما وجبت عليها الكفارة .

* **المالكية** ـ قالوا : إن وصول أي شيء إلى المعدة ، سواء كان مائعا أو غيره ، عمدا بدون عذر سواء وصل من الأعلى أو من الأسفل ، لكن ما وصل من الأسفل لا يفسد الصوم إلا إذا وصل من منفذ ـ يوجب القضاء والكفارة بشروط ذكروها .

ومن هذا يبين لنا أن الحنفية والمـالكية قـالوا بـوجوب القضـاء والكفارة على من أفطر بالأكـل أو الشرب عمدا في نهار رمضان ، وأن الشافعية والحنابلة قـالوا بـوجوب القضاء عليه فقط .

ولذا نقول للأخ الحنشي : إننا لم نقل في الدين برأينا ، ولم نأت بفرية بل استندنا فيما ذكرنا على آراء علماء أجلاء ، واخترنا الرأي الذي يقول يوجب القضاء فقط على من أفطر عمدا ، لأن القضاء متفق عليه بين المذاهب جميعها ، وتركنا المختلف فيه وهو الكفارة .

أما استغلال مرضى النفوس ممن لا ترهبهم الأحاديث التي تنفر من الفطر في رمضان بغير عذر ، وتتوعد مرتكب ذلك ، ولا تنير قلوبهم الأحاديث التي تفتح أبواب الجنان أمامهم .. فلا حول لنا ولا قوة بشأنهم والله هو الذي يتولى عقابهم .. كمن يترك الصلاة

تساهلا وكسلا ، أو يتكاسل عن أداء فريضة الحج ، أو امتنع عن إخراج الزكاة ، كل هؤلاء مطالبون بأداء ما افتــرضـــه الله عليهم ، وإلا فهم محاسبون أشد الحساب يوم القيامة .

ثم إن الصوم سر بين العبد وخالقه فيمكن لمـــريض النفس أن يفطـــر رمضان - دون أن يراه أحـــد من النـــاس - ويبـــدو أمـــامهم بمظهـــر الصائم ، ولا يقضي ما أفطره . فلا شأن لنا إذن بمرضى النفوس ولا بـــاستغلالهم السيىء لحكم الله .. وحسابهم على الله .

● ولعلك بعد هذا يا أخ عمر - قد عرفت أننا لم نقل إسرائيليات ، ولم نخرج على شرع الله ، ولم نيسر أمام مرضى النفوس طريق الخروج على ما شرع الله ، ومعاذ الله أن يشجع على الفطر في رمضان بغير عذر شرعي .

● أما منطق العقل ، والطريق القويم الذي ذكرت ، وأنك لا تظن أن هناك مذهبا قال بما قلناه ، فمنطق العقل لا يفيد شيئا في هذا ، بل هي أحكام الله ، وأما أنك لا تظن ، فيجب عليك أن تعتقد الآن أن هناك من قال بما قلناه ، وكونك تجهل ذلك لا يعني أنه غير موجود .

● وأما ما قلته من سباب ، واتهام بـــالكفر ، وأننـــا أناس مبتـــدعون ، وألهتنا الحياة ، فسامحك الله يـــا أخي ، فليس هذا أدب الحديث ، وما هكذا يكون النقاش .



الفتاوى

[عمل المرأة خارج البيت]

● ناظرة مدرسة ثانوية في دبي لم تذكر اسمها . تقول ما حكم الاسلام في عمل المرأة خارج البيت علما اني في حاجة إلى مرتبي انفقه على نفسي وأولادي الصغار توفي ابوهم ولم يترك شيئا يذكر ؟

مما لا شك فيه ان الاسلام أجاز للمرأة أن تتولى البيع والشراء وكثيرا من انواع التعامل واعتبرها كاملة الأهلية في تصرفاتها المشروعة لكنه رغب إليها الا تباشر العمل خارج بيتها إلا عند الضرورة كما إذا لم تجد من يعولها وينفق عليها من زوج أو أب أو أقارب وليس لها مورد رزق تستغني به عن العمل في هذه الحالة يجوز لها أن تعمل من أجل العيش والاستغناء عن سؤال الناس وأعطاها الاسلام حق العمل إذا احتاجت إليه . فلم يمنعها نهائيا كما كان سائدا في الأمم السابقة ولم يحرضها على هجر البيت كما هو الشأن في الحضارة الحديثة . ومن المقرر انه من الخير لها وللمجتمع أن تتفرغ لأداء رسالتها التي تنسجم مع طبيعتها وفطرتها ومكان ذلك هو البيت ، أما اذا فرضت الظروف عليها ان تعمل فلها ذلك في حدود الالتزام بالآداب الاسلامية التي تصون كرامتها من الابتذال وأنوثتها من الاستغلال .

الاسلام يعطي المرأة حق العمل فيما تنجح فيه اكثر مما ينجح الرجل كالوظائف التي تباشرها المرأة وتكون أقرب إلى طبيعتها كالمستشفيات ومدارس الأطفال والعمل في مدارس وكليات البنات ومختلف نواحي النشاط النسائي الاجتماعي والثقافي إلى غير ذلك من مجالات تبرز فيها مواهب المرأة وذلك في حدود ما تقتضيه المصلحة الخاصة والعامة بحيث لا يترتب على ذلك تعطيل عمل البيت أو ضياع الأولاد أو التعرض لفتنة كما يشترط أن تخرج المرأة الى عملها بلباس الحشمة والوقار لا تبدي شيئا من زينتها ولا يخلو بها أحد من غير محارمها ولا تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وان تبتعد عن كل وسيلة فيها إثارة أو تدعو إلى فتنة أو إغراء أو تثير شبهة والقارئة الفاضلة في ضوء ما ذكرت في سؤالها لا حرج عليها في عملها كناظرة مدرسة

لها أن تواصل أداء هذه الرسالة الثقافية ما دامت في حاجة وما دامت تلتزم بالآداب الاسلامية والضوابط المذكورة وان أغناها الله عن العمل فتربية الأولاد أغلى من المال وأعز من الوظيفة والعمل .

[حكم تفضيل بعض الأولاد]

● **عبد الوهاب الحصين من جدة يقول لي أولاد كبار يزاول كل منهم عملا مناسبا ولي أولاد صغار من الزوجة الأخيرة وأنا رجل كبير السن فهل يجوز أن أكتب للصغار أملاكي لتنفعهم بعد وفاتي أم لا يجوز ذلك ؟**

ـ بينت آية المواريث أنصبة المستحقين للتركة وأمام هذا التشريع لا ينبغي لك يا أخي ولا لغيرك من الآباء أن تتعجلوا توزيع أموالكم وأنتم أحياء لا ينبغي حرمان المستحق فتخصيص بعض الأولاد وتفضيلهم على بعض يولد الحقد بين الاخوة ويثير العداوة مدى الحياة . لا تخف على الصغار فهم في رعاية الله الذي ضمن الأرزاق لكل دابة في الأرض ولا تقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ولأن تترك أولادك إخوة متحابين خير من أن تتركهم متحاربين . رأينا وسمعنا وقرأنا كثيرا من المآسي بسبب تفضيل بعض الأولاد على بعض . قتل الأخ أخاه وخرجت البنت على أبيها وأعلنت الحرب على أخيها وتعرضت الأسرة كلها للتمزق والضياع بسبب هذا التفضيل . حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمرة بنت رواحة ألحت على زوجها بشير أن يخصص النعمان ولدها منه بعطية وطلبت أن يشهد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله النبي الكريم . ألك ولد غيره ؟ قال نعم قال أعطيت سائر ولدك مثل ما أعطيته ـ قال لا،فرده وقال لا أشهد على جور وأمر بالعدل بين الأولاد ورجع بشير في عطيته خوفا من الله وامتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

يجوز أن يخصص الانسان بعض أولاده لحاجة كأن يكون طالب علم أو يكون عاجزا عن الكسب مثلا والصغار له أن يوفر لهم المال الذي يمكنهم من مواصلة الدراسة ويؤمن لهم النفقة من غير أن يعطيهم أملاكه ويحرم غيرهم للمعنى الذي ذكرناه من قبل .

[الزوج الشاكي]

● **قارىء من المغرب طلب ألا نذكر اسمه يشكو من زوجته أنها لا تطيعه**

وتخرج بدون إذنه وتتطاول عليه مع أنه قائم بكل ما يجب عليه ويقول لولا الأولاد لطلقتها ماذا أفعل ؟ علما أنها تحرص على قراءة فتاوي المجلة .

ـ الاسلام الذي طالب الزوج برعاية حق الزوجة طلب في الوقت نفسه من الزوجة أن تطيع زوجها ما دامت الطاعة في غير معصية . تحافظ على كرامته ولا تخرج من بيته إلا بإذنه جاء في الحديث الشريف ـ ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارعان . يعني متخاصمان ـ

وعائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟ قال زوجها قالت فأي الناس أعظم حقا على الرجل قال أمه .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ، لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ! ولقد وصف القرآن الكريم الزوجات الصالحات يقول الله تعالى (فالصالحات قانتات) ـ يعني طائعات ـ ثم يقول حافظات للغيب ، يعني يحفظن غيبة الزوج فلا تخونه الزوجة في نفسها ولا في بيته وماله .

جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنيابة عن النساء تقول : المجاهدون من الرجال لهم أجر فما نصيبنا من الأجر ونحن نعينهم على الجهاد ؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم (أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك ـ يعني أجر الجهاد ـ وقليل منكُنَّ من يفعله) لا يجوز أبدا للزوجة أن تستهين بحق الزوج ولا ينبغي أن تتمرد عليه ولا يجوز أن تخرج من غير اذنه .

إذا كان الاسلام منع الزوجة أن تصوم تطوعا إلا بإذنه ومنعها من حج التطوع الا باذنه فكيف تخرج الزوجة الى الزيارات أو إلى الأسواق دون اذن الزوج ورضاه ؟ انها معصية لله ولا شك ، ومعصية للزوج صاحب الحق أما التفكير في الطلاق فلا ينبغي اللجوء إليه لأن الطلاق يعرض الأولاد للضياع وعلى الزوج أن يختار حكما من أهله وحكما من أهلها لتقريب وجهة النظر وتبصير المرأة بما لها من حقوق وما عليها من واجبات وذلك بعد أن يبذل من جانبه ما يستطيع من وعظ ثم هجر ثم تأديب من غير يأس من إصلاحها وعليه ان يصبر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

[النذر المحرم]

● س . س . م من محافظة الجهراء بالكويت تقول نذرت إن نجح ولدي الوحيد أن أشتري له خاتم ذهب وسلسلة ذهب وأن أذبح خروفا

للفقراء والمساكين وسمعت أن هذا النذر لا يجوز ماذا أفعل ؟ وهل يجوز لنا الأكل من خروف النذر أم لا ؟

ـ لا ينبغي أن تتقربي إلى الله تعالى بما حرمه الاسلام ومن المقرر أن الذهب حرام على الرجال فلا تدفعك عاطفة الحب لولدك وان كان وحيدا إلى ترغيبه في الترف والمباهاة بالحلي والزينة المحرمة . تحريم الذهب على الذكور فيه هدف تربوي أخلاقي نبيل يبتعد بشبابنا عن مظاهر التكسر وعن زينة النساء فالاسلام يدعو إلى الرجولة والبطولة والاعداد للجهاد وخوض معارك الحياة في قوة وصلابة ومن جهة أخرى إباحة الذهب يؤدي إلى كسر قلوب الفقراء ، التحلي بالذهب مباح فقط للنساء فعن علي كرم الله وجهه قال (أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال (إن هذين حرام على ذكور أمتي) وفي رواية : حل لاناثهم .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خذ خاتمك انتفع به ، قال لا والله ، لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والتحريم يشمل السلسلة التي يلبسها بعض الشباب والساعة من الذهب والقلم من الذهب وكل ما هو مصنوع من الذهب . ان كان لا بد من خاتم فليكن من الفضة فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق . أي فضة ، وكان في يده . رواه البخاري .

ويراعى في خاتم الفضة أن يكون على الهيئة المعروفة في لبس الرجال أما إذا صنع على هيئة خواتم النساء فانه يكره تحريما ، نذر الخاتم الذهب والسلسلة لا يجب الوفاء به لأنه في معصية ، وفي الحديث الصحيح ، لانذر في معصية الله تعالى ، اما نذر الخروف فانه في طاعة ويجب الوفاء به وينصرف للفقراء والمساكين ولا يجوز لكم الأكل منه إلا إذا كنتم فقراء .

اعيني ولدك على التمسك بآداب الاسلام فالأمة في حاجة الى الشباب القوي في أخلاقه وعقيدته وسلوكه .

[الاسلام والنظافة]

● ربة بيت من إيران تقول زوجي لا يهتم بالنظافة ومظهره غير لائق وكلما حاولت إقناعه بالنظافة يقول الزينة مطلوبة من الزوجة لزوجها وليست مطلوبة من الزوج لزوجته فهل هذا صحيح ؟

ـ هذه مغالطة من الزوج لأن الاسلام يعنى بحسن الهيئة وجعل النظافة والمظهر الجميل قدرا مشتركا بين الرجال والنساء . النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى نظافة الثياب ونظافة الأبدان ونظافة البيوت واهتم بنظافة الأسنان والايدي والرأس والاسلام وهو دين النظافة جعل الطهارة مفتاحا للصلاة وجعل من شروط صحة الصلاة طهارة الثوب والبدن والمكان .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تنظفوا فان الاسلام نظيف) وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس واللحية فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال عليه الصلاة السلام (أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثار الرأس كأنه شيطان) كما جاءه مرة رجل عليه ثوب دون فقال له ألك مال ؟ قال نعم قال من أي المال ؟ قال من كل المال قد اعطاني الله تعالى قال (فاذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته) فإذا كانت الزوجة مطالبة أن تتزين لزوجها فالزوج كذلك مطالب أن يتزين لزوجته قال تعالى (**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**) .

المرأة تحب أن ترى من الرجل ما يشرح صدرها ويقربها منه . إن تزين الرجل لزوجته يعفها ولا ينفرها غاية الأمر ان زينة الزوج الشاب يختلف عن زينة الزوج الشيخ كبير السن بمعنى أن تكون الزينة مباحة وفي حدود المظهر المناسب لكل منهما وذلك حسب العادة والعرف وهناك أشياء يشترك فيها الشباب والشيوخ كالطيب والسواك والتطهر وتقليم الأظافر وسنن الفطرة وغير ذلك من وسائل النظافة والجمال .

ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول : إني لأتزين لامرأتي كما تتزين هي لي .

ردود قصيرة

● **القارىء محمد عبد القادر المسكي شارع مراكش رقم ٢٢ ـ المغرب**

ـ التفكير أثناء الصلاة لا يؤثر في صحة الصلاة وعليك أن تتأمل معنى ما تقرأ وأن تستحضر انك في مناجاة مع الله وأما المغنية التي تصلي ولا تمتنع عن الغناء المثير لعل صلاتها تكون سببا في هدايتها قال تعالى **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** أما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي فكلاهما كلام لله تعالى إلا أن القرآن يتميز بأنه معجز في لفظه متعبد بتلاوته .

● **القارىء ابراهيم رمضان سالم ـ زاوية صقر ـ أبو المطامير ـ بحيرة ج .م .ع**

ـ دوران نعش الميت في شبه حلقة أو دائرة أو أن يجري بحامليه لا يعرف له

أصل في كتب السنة ولم يرد إلا في خفة حمل جنازة سعد بن معاذ الانصاري بعد موته شهيدا من جرح في معركة الخندق ، لما حمله الصحابة وجدوا له خفة فقالوا والله إن كان لبادنا (أي كثير اللحم) وما حملنا من جنازة أخف منه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (إن له حملة غيركم والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش) .

● **القارىء خالد حسين الزهراني ـ أم الحمام ثانوية الغافقي ـ الرياض**

ـ تغيير أماكن المصلين بعد أداء الفرض لم يعرف له أصل ولا ينبغي الاعتقاد بأنه أمر واجب .

المسبل للثوب إن كان لغرور أو كبر وخيلاء أو رياء فهو محرم شرعا وان كانت اطالة الثوب عادة بريئة فلا إثم فيها بشرط ألا تلحقه نجاسات بسبب الاطالة .

أما حكم الصورة فالأرجح ان الصور الشمسية لا يشملها النهى عن الصور خاصة إذا كانت للتعرف على هوية صاحبها .

● **القارىء خالد عاشور ـ المطرية ـ القاهرة**

ـ الصلاة من الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم معناها ثناؤه عليه عند الملائكة والصلاة من المؤمنين عليه معناها الدعاء والاستغفار وكذلك الصلاة عليه من الملائكة . قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) . والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي جميعا .

القارئة الآنسة الصافية خليل ـ شارع رمضان الكاضي/رقم ٣٣٤ ناوريرث المغرب

ـ مصافحة النساء للأجانب حرام شرعا ولو كانوا أبناء العم لأنهم ليسوا من المحارم وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصافح النساء في بيعتهن .



○ عن الأوضاع في لبنان

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها ١٤٤٤ مقالا عن الخطة الأمنية في لبنان وما يعترضها من عقبات جاء فيه :

الحديث عن الخطة الأمنية التي أقرها مجلس الوزراء في نطاق بيروت الكبرى . والتفاؤل السياسي الذي عزز الآمال الحذرة في فتح المعابر والمطار والمرفأ ، لم يوقف القصف العشوائي ولا أوقف الاندفاع نحو الهجرة إلى كل بقاع الأرض الآمنة هربا من « بطاقات الموت » التي توزع مجانا على المدنيين الأبرياء .

فعلى صعيد القصف العشوائي ، تقول إحصاءات ديبلوماسية الاهتمام والمصدر أن نسبة ما يحصونه يوميا من أرواح الأبرياء وصل خلال الأسبوعين الماضيين إلى ما لا يقل عن ١٥ قتيلا و ٣٥ جريحا كمعدل وسطي دائم .

ولوحظ أن القصف اشتعل يومي السبت والأحد بين شطري بيروت في الوقت الذي كان التلفزيون يتحدث بألسنة الوزراء عن أولى تباشير الاستقرار . وتتحدث الصور والكلمات عن أولى بدايات سحب السلاح الثقيل من قبل الميليشيات من بيروت إلى الجبال .

وعلى صعيد آخر ، نشط القصف العشوائي مع تزايد الحديث عن قرب استئناف حركة الملاحة الجوية من مطار بيروت بين يوم وآخر ، ومع تزايد إقبال اللبنانيين على الهجرة مرفقين بالآمال والوعود التي علمتهم التجارب السابقة لا يحملوها على محمل الجد .

وأحدث الاحصاءات التي تحرص سفارات الدول الكبرى في بيروت على أعدادها مرة كل شهر لمعرفة طبيعة التحولات الديمغرافية في المجتمع اللبناني تدل على أن الاجراءات الأمنية التي أقرت لم تنجح بسبب القصف المستمر في الحد من الاقبال على دور السفارات الأجنبية والعربية سعيا وراء إجازات الدخول ولو للسياحة إلى أراضي هذه الدول .

والواقع أن هناك أسبابا كثيرة تبرر حالة الشك بالخطة الأمنية غير فشل التجارب المماثلة السابقة .

من هذه الأسباب إحساس الناس بأن اسرائيل التي تملك نسبة مؤثرة من الأوراق الضاغطة في لبنان لم تقرر بعد التخلي عن هذا التأثير . وهذا أمر بديهي ، بل هي على العكس من ذلك قررت أن تمارس دورها كاملا للانتقام من الطوائف ومن لبنان ومن الكيان الذي تريده ممزقا تشفيا من الدولة التي ألغت اتفاق ١٧ آيار ورفضت التفاوض المباشر للاتفاق على موضوع الأمن في الجنوب وقررت إقفال المكتب الاسرائيلي في ضبيه . إضافة إلى رغبة إسرائيل القديمة في ضم الجنوب ومياه أنهاره إلى قانونها وهيمنتها .

وهناك موجات المعلومات والاشاعات التي تعد الناس بجولات محتملة الوقوع ضد الموارنة تارة ، حيث تجدد الحديث عن العرض الأميركي القديم الذي قدمه المبعوث الأميركي دين براون في عام ١٩٧٦ إلى الرئيس سليمان فرنجية لترحيلهم إلى كندا . وضد الشيعة لترحيلهم من بيروت والضاحية الجنوبية والجنوب إلى البقاع تارة أخرى . إلى الحديث من ناحية ثالثة عن مخططات وجولات تطال هذه الطائفة أو تلك المنطقة وتطال بالتالي لبنان .

○ عن رأب الصدع الفلسطيني

نشـرت الهيرالد تريبيون في ١١ شوال الماضي مقالا عن الجهود المبذولة لتوحيد الصف الفلسطيني جاء فيه :

وصلت الجهود الخاصة بإعادة توحيد منظمة التحرير الفلسطينية في أعقاب مرور سنة من العداء بين فئاتها إلى مرحلة حاسمة ، ولكن المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية والدبلوماسيين يقولون أن سوريا هي التي تقرر فيما إذا كانت العناصر المنشقة ستنضم إلى المنظمة أم لا ؟

ونظرا لأهمية سوريا التي تعتبر الدولة الرئيسية التي تدعم المعارضة لرئيس المنظمة عرفات ، ذهب رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير فاروق قدومي وهو من كبار مساعدي عرفات إلى دمشق يوم الأربعاء لمقابلة الرئيس السوري حافظ الأسد . وكان هذا أول اجتماع يعقد بين سوريا والمنظمة على مستوى رفيع منذ بدء حركة الانشقاق في العام الماضي .

وجاءت زيارة قدومي في أعقاب توقيع إتفاقية في عاصمة اليمن الجنوبي في الاسبوع الماضي من جانب منظمة فتح وأربع منظمات فدائية ضمن ما يدعي بالتحالف الديمقراطي وهي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة االديمقراطية لتحرير فلسطين ، وجبهة التحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي الفلسطيني .

ويذكر أن هذه المجموعات لم ترسل مقاتليها للاشتراك في الحرب ضد السيد ياسر عرفات أثناء الحصار الذي فرض على مؤيديه في ميناء طرابلس في الخريف الماضي .

ومن غير المتوقع أن تنشر نصوص الاتفاقية قبل الاسبوع المقل . ولكن المسؤولين يقولون أنها تدعو إلى تشكيل قيادة جماعية للتخلص من حرية عرفات في المناورة ، كما تدعو إلى عقد اجتماع لزعماء المنظمات الثماني داخل منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر خلال الشهر الجاري .

ولكن مؤيدي عرفات حذرون جدا . أنهم يقولون أنه من غير المؤكد أن تساند عناصر منظمة التحرير الفلسطينية الأعضاء في التحالف الديمقراطي والتي ظلت ضمن إطار المنظمة مع احتفاظها بعلاقات وثيقة مع سوريا ، قيادة السيد عرفات .

وكانت سوريا قد طردت ياسر عرفات من في يونيو من العام الماضي في مستهل حركة الانشقاق التي تمردت على قيادته وأعقبت ذلك معارك عديدة حتى أرغم عرفات في النهاية على الخروج من طرابلس في ديسمبر الماضي .

ومن المتوقع أن يحدد الاجتماع المقترح عقده في الجزائر موعدا لانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الذي يبلغ عدد أعضائه ٣٨٤ عضوا ، علما بأنه انعقد آخر مرة في فبراير ١٩٨٣ .

وظل ياسر عرفات يحاول عقد المجلس منذ خمسة أشهر ، ولكن الخلافات بين فتح والمنظمات الأخرى حالت دون ذلك .

وكان التحالف الثالث الذي يشمل الذين تمردوا على قيادة عرفات ويتمتع بدعم سوريا وحارب مؤيدي عرفات في لبنان ، قد رفض إنفاقيةعدن يوم الخميس ، بحجة أن هذه الاتفاقية ستزيد من الانقسام داخل المنظمة . ولم يكن ذلك مفاجئا لزعماء فتح الذين رفضوا دائما التعامل معهم ، وتعهدوا باستخدام أغلبيتهم في المجلس الفلسطيني « لتصفية الحسابات » معهم ، وهو اصطلاح يعني « الطرد » .

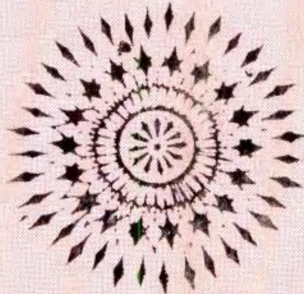
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	:	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	:	**جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ .**
		الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
		الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
		المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	:	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	:	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٤٠ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ / سبتمبر ١٩٨٤ م

ولله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

قال الله تعالى في سورة البقرة ١٩٧

الحج أشهر معلومات

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير
يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب

صورة الغلاف : الحجيج على جبل عرفة

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة العشرون

العدد ٢٤٠ ذو الحجة / ١٤٠٤ هـ - سبتمبر ١٩٨٤ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

اللهم اشهد

كما فضل الله الناس بعضهم على بعض واختار منهم رسلا لهداية خلقه وتبليغ وحيه . فضل الأزمنة واختار منها أياما جعلها موسم رحمته . ومظهر نعمته وفضله .. وميقات رضوانه وغفرانه . منها تلك الأيام العشر التي تبدأ بأول ذي الحجة وتختم بعيد الاضحى المبارك . شرف الله هذه الأيام فسماها الأيام المعلومات ولفت الأنظار الى تعظيم لياليها لما اقسم بها في مطلع سورة الفجر فقال سبحانه (**والفجر . وليال عشر**) انها من غير شك أيام مشرقة في حياة المسلمين لما فيها من تعظيم لشعائر الله . فيها تلبية وتكبير ودعاء . فيها صيام وبذل وعطاء . فيها تتزاحم مواكب النور في ارض الرسالة ومنازل القرآن ، فيها يوم عرفة ذلك اليوم الاسلامي المشهود في هذا اليوم العظيم أكمل الله الدين وأتم نعمته على هذه الأمة . ونزل الوحي على

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول الحق تبارك وتعالى **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ..)** الآية ٣ سورة المائدة .

جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : يا أمير المؤمنين . آية في كتابكم لو نزلت علينا لاتخذنا يوم نزولها عيدا - وذكر هذه الآية - فقال عمر رضي الله عنه . إني لأعلم أي يوم نزلت وفي أي وقت نزلت وفي أي مكان نزلت . نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يوم عرفة في عصر يوم الجمعة . وقد اتخذنا ذلك اليوم عيدا .

في هذا اليوم الخالد خشعت الأصوات وأنصت الكون والرسول القائد يلقي خطبته الجامعة قرر فيها مصير الأمة وحدد أبعاد الدعوة . وسجل اعظم وثيقة انسانية تاريخية ظلت ولا زالت دستور السلوك القويم ومنهج الحياة الحرة الكريمة في اطار تقوى الله وتنظيم علاقة المؤمن بربه وعلاقته بأخيه المؤمن . حرم فيها الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء وأوصى بالضعفاء . ثم حذر المسلمين من خطر التفرق والتنازع . حذرهم من الفتنة الداخلية ومن الانقسام الى شيع متحاربة واحزاب متصارعة . وهو يشدد في النهي عن ذلك . كأنما احداث المستقبل ماثلة امامه وكأنه يبصر ما وراء الحجب واستار الغيب وتنكشف له محن مروعة تهدر فيها القيم وتسيل فيها الدماء الزكية . القاتل فيها شقيق المقتول والظالم من بني عم المظلوم ومشعل الفتنة من قوم الضحايا وقبيلهم .

وما كان النهي يومها موجها لأهل الموقف وحدهم ولكنه يعني الأمة على امتداد تاريخها الطويل وهو يقول (وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . ألا . لا ترجعوا بعدي كفارا . يضرب بعضكم رقاب بعض . ألا هل بلغت . قالوا نعم . قال اللهم أشهد) نبه الرسول المودع الى خطر وقفة الحساب والمسئولية أمام الله تلك المسئولية التي لا يعفى منها الحاكم ولا المحكوم ولا الذين يسعون بالفتنة لاشعال أوارها ولا ينجو منها السلبيون الذين لا يأخذون على ايدي المارقين المفسدين . ولن يفلت من حساب الله وعقابه الذين يديرون ظهورهم للاعداء ويحصدون بأسلحة الغدر اخوانهم في الوطن واللغة والعقيدة . وويل لمن يتاجرون بدماء المسلمين ويبنون ثراءهم على حساب الضحايا الأبرياء .

لعل المسلمين هنا وهناك يستعيدون نداء الرسول في عرفات فيستجيبون له بسعي مشكور وحركة صادقة لاخماد فتنة اشعلها أعداء الأمة وخطط لها الحاقدون . لعل الوعيد القرآني يبعث في المسلمين وعيا جديدا يجمعهم بعد فرقة ويصلح بينهم بعد خصومة وقتال وهم يتدبرون قول الله تعالى (**واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين**) الآية ٤٦ الأنفال .

منذ فجر الدعوة وصل الرسول القائد الأمة بعضها ببعض عن طريق المؤاخاة بينهم وبهذا الرباط المقدس ذابت عصبيات الجاهلية وسقطت فوارق النسب واللون والوطن وكانت عواطف الإيثار والمواساة تمتزج بالحب في اطار هذه الاخوة الكريمة وتتميز بالشدة على الكفار والتراحم بينهم . (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا** ..) الآية ٢٩ الفتح .

بهذه التربية الايمانية واجهوا عدوهم صفا واحدا وقلبا واحدا فانتصروا مع قلتهم على أقوى أمم الأرض وجعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين .

وفي جو هذا التآخي عاشت الأمة أول عهدها في وحدة تقهر الطامعين وقوة ترد كيد المعتدين وما استطاعت المحن أن تفرق بينهم ولا الأطماع أن تنال من ترابطهم . انتصروا على فتنة كادت تطل برأسها يوم الحق الرسول الكريم بربه وطالب المهاجرون والأنصار أن يكون الخليفة من بينهم وفي سقيفة بني ساعدة تبادل المسلمون الرأي وفي جو من الصفاء والوفاء . اتفقوا على خليفة واحد وتزاحموا على مبايعة الصديق رضي الله عنه . فانطلق يهودي كان يشهد الموقف وهو يولول قائلا ما صبر المسلمون على أن يفترقوا ساعة من نهار .

فهل آن للمسلمين أن يسيروا على هذا الدرب وهم يواجهون عدوا مشتركا يعمل على بث الفرقة بينهم ليضعف شوكتهم ويسلب خيراتهم ؟

وهل آن لهم أن يستجيبوا لأمر الله تعالى اذ يقول : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**)... الآية ١٠٣ آل عمران .

على المسلمين في لقاءاتهم المتجددة في عرفات أن يتخذوا من هذا

الموقف مؤتمرا اسلاميا جامعا يتدارسون فيه قضية الاسلام وهموم المسلمين هذا ما يجب أن يكون أما ما هو كائن من عزلة في الخيام أو اجتماع ينفض دون أن يعرف بعضهم بعضا ومن غير تشاور بينهم في امر دينهم ودنياهم فهذا امر تضيع معه المعاني المستوحاة من الحج وتفوت به فرص عالية في حياة المسلمين .

ومن الأيام المباركة عيد الأضحى يحمل للمسلمين أينما كانوا ذكريات التضحية والفداء ويوحى بالصمود والصبر والايمان حين يمتحن المؤمن ويبتلى في أعزما لديه كما صبر أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام في امتحان رهيب همّ فيه بذبح ولده ومناط أمله امتثالا لأمر ربه وواجه المحنة بايمان لا حد له وعزم قهر به وساوس الشيطان حتى أدركته بشارة السماء .

(وناديناه أن يا إبراهيم.قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذِبْحٍ عظيم) من الآية ـ ١٠٤ الى الآية ١٠٧ سورة الصافات . والمسلمون في هذا العيد وهم يتقربون إلى الله بذبح أضحياتهم يعلنون الشكر لله الذي أنعم على البشرية بنجاة اسماعيل إذ جاء من نسله النبي الخاتم وكانت رسالته رحمة للعالمين وصدق الله العظيم وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .

من حق المسلمين ان يفرحوا في أعيادهم على أن تكون الفرحة في حدود الاعتدال بما يجعل المؤمن موصولا بربه وهو في احوال سروره وفترات تطلعه للاستمتاع بنعم الله تعالى عليه على أن الفرحة ما عادت تأخذ طريقها الى القلوب الجريحة وهي تعاني هموم الصراع والفرقة والعدوان وكيف تكتمل الفرحة في المجتمع المسلم والمقدسات ما زالت سلبية والأرض ما زالت محتلة والغدر يلا حق المسلمين في كل مكان ؟

وإذا كانت سحب المحنة تخفي إشراقة العيد وإذا كانت صرخة الثكالى تعلو على أغاريد العيد فليل الغدر لا بقاء له وعقب التناهي في الضيق يفرج الله الكرب ويكشف الغمة ويدفع البلاء إذا آمنا بوعده وتمسكنا بكتابه وسنة رسوله حينئذ تكون لنا أعياد في الأرض وفي السماء ويومئذ نستحق بشارة القرآن الكريم **(وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)** .

رئيس التحرير

حسن مناع



ونفير الجهاد

الحج .. والكيان العسكري للأمة :

● قوة الكيان العسكري للامة الاسلامية من المعاني التي تبعثها شعيرة الحج وينبغي أن يتدبرها المسلمون وخاصة في هذا الوقت الذي مال فيه أعداؤهم عليهم ميلة واحدة ، فأصبحوا يواجهون حربا حضارية شاملة .

والكيان العسكري للأمة يضم أبناء الأمة جميعا في ظل إيمان راسخ وعقيدة قوية ، وإحساس عام بالخطر الصادق ، وشعور بالواجب الدفاع عن الحق والكرامة ، ويقوم هذا الكيان على أساس إحساس « كل فرد » من أبناء الأمة بأن شخصيته وآماله ووجوده ومصيره ترتبط ارتباطا شديدا بأدائه المخلص لواجبه أيا كان موقعه ، وبتأهبه الدائم ، واستعداده بكل قدراته للدفاع عن أمته .

○ **والحق أن الحج ينطوي على تربية المسلمين على فضائل التعاون والتكافل ، والطاعة والانضباط ، والفداء والتضحية ، والصبر والايمان ، والتقشف وإنكار الذات ، في ظل عقيدة التوحيد وإسلام الوجه لله والعبودية له وحده .. بهذه الفضائل يبني**





للواء الركن/ محمد جمال الدين محفوظ

ويرغمون أعداءهم على أن يلزموا حدودهم .

○ **ولقد أصبحت قوة الأمم ، لاتقاس بقوة جيشها فحسب ، بل بقوتها الشاملة كأمة شعبا وجيشا ، وأصبح الكيان العسكري هو التعبير العملي لهذه القوة الشاملة ، والضمان الحقيقي لفاعلية الجيش ، ولقدرة الأمة على الصمود ، وقهر العدوان ..** يقول الجنرال ديجول :

● إن الشعوب أو الدول التي تفقد كيانها العسكري ، تخسر الحرب قبل أن تدخل أية معركة ، بل قبل أن تنطلق رصاصة واحدة » ويقول الجنرال الفيتنامي جياب : « إن الأمة المسلحة هي القاعدة العريضة لوجود الدولة ، والتي لن يكون لها بدونها أي كيان مهما بلغ حجم القوات المقاتلة وإمكانياتها » .

● وسجلات التاريخ حافلة بالأمثلة التي تبرهن على القيمة العظمى للكيان العسكري ، وعلى أنه قد تملك الدولة قوات مسلحة ضخمة ومتفوقة عسكريا ، لكنها مع ذلك تعجز عن التغلب على قوات دولة صغيرة ، لأن تلك الدولة الصغيرة تملك كيانا عسكريا - وهو ما لا تملكه الدولة الكبرى - يجعل من قواتها العسكرية المحدودة بالتضامن والتلاحم مع شعبها ، قوة قادرة على الصمود والاتيان بما يشبه المعجزات ..

وحدة الأمة

يقول الله تعالى : « **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » (المؤمنون/ ٥٢) فالأمة الاسلامية أمة واحدة في عقيدتها وفي عبادتها وفي نشأتها وفي مصيرها ، تراقب الله خالقها وتستجيب لندائه وهو يقول : « **وأنا ربكم فاتقون** »
والاسلام وهو يدعو الأمة إلى الوحدة ويحرص على التمسك بأسبابها ، ويحشد القوى للحفاظ على كيانها ، لايفتأ يدعو إلى جمع أبنائها في إطار هذه الوحدة ، ويعمل على التمكين لها فيما بينهم بالقضاء على ما يوهن من قوتها أو يضعف من عزيمتها ، يقول الله تعالى :
« **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** » (آل عمران ١٠٣) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » (رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه) ويقول : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية » (رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه) ومعنى ميتة جاهلية أي على هيئة موت أهل الجاهلية فإنهم كانوا لا ينضمون إلى جماعة واحدة ، بل كانوا فرقا وعصائب يقاتل بعضها بعضا .

قوة العلاقة بين المسلم ومجتمعه

● وإذا كان الكيان العسكري للأمة يقوم ـ كما ذكرنا ـ على الكيان العسكري لكل فرد فيها ، فإن منهج الاسلام في بناء الشخصية الاسلامية والمجتمع الاسلامي يجعل من الفرد المسلم لبنة قوية وعنصرا إيجابيا وفعالا في مجتمعه الكبير ، بإحساسه بواجبه ، وإخلاصه في العمل ، وتعاونه مع أبناء أمته ، وتعامله معهم بالفضيلة ومكارم الأخلاق ، كما يجعل من المجتمع المسلم مجتمعا فاضلا يهيء للفرد المناخ الصالح للتنشئة السليمة والتربية القويمة ..
هذه العلاقة القوية بين المسلم ومجتمعه تتيح له إظهار طاقاته المادية والمعنوية إلى أقصى حد في سبيل بناء أمته والدفاع عنها .

○ **وعلى الأمة أن تتنبه إلى أن هذه العلاقة تواجه في هذا العصر حربا ضارية من جانب الأعداء تستهدف تخريب شخصية الانسان وتفريغها من روح الانتماء والولاء للأمة والوطن ، ومن كل الحوافز النفسية والدوافع المعنوية التي تدفعه إلى العمل والانتاج والأخذ بأسباب التقدم لبناء وطنه والنهوض به .. فينبغي أن تكون قضية الانتماء والولاء على رأس ما**

يشتغل به فكر المفكرين والمصلحين والدعاة والمربين ، لأن الغفلة عن هذه العمليات الهدامة ، وعدم التصدي لها ، يهدد بالهدم كل محاولاتهم لبناء الانسان في بلادهم :

فلن يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

فرضية الجهاد

ولقد سبقت حكمة الله عز وجل أن يكون للأمة الاسلامية كيان عسكري على أقوى الأسس وأحكمها ، ففرض عليها الجهاد في سبيله ، ورفع من قدر التكليف به فجعله شرفا لها ، ووظيفة اختارها لأدائها ، وجعلها بهذا التكليف والتشريف والاختيار في خير منزلة بين الأمم ، قال تعالى :

« **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** » (الحج/ ٧٨)

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟

قال : « الايمان بالله والجهاد في سبيله » (رواه الشيخان)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله ، أي الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » (رواه البخاري)

الجهاد ونجدة الدول المعتدى عليها

والجهاد عامة يكون « فرض عين » على كل مسلم إذا كان العدو في داخل بلاد الاسلام ، أو إذا اعتدى العدو على بلد من بلاد المسلمين وكان أهل هذا البلد عاجزين وحدهم عن رد عدوانه .

ولا بد لنا هنا من أن نوضح أمرا بالغ الأهمية فيما يتعلق بحالة قدرة الدولة المعتدى عليها على صد العدوان .. ففي هذه الحالة يصبح الجهاد « فرض كفاية » ، لكن الأمر الذي نريد أن ننبه إليه هو أن سقوط فرض الجهاد عن البعض في هذه الحالة « لا يعفيهم » من المسؤولية إذا حدث وعجزت الدولة المعتدى عليها ـ والتي كانت في بداية الأمر قادرة وحدها ـ عن صدالعدوان ، فإزاء هذا الاحتمال وهو حدوث العجز عن صد العدوان ـوهو أمر وارد في الحروب قديما وحديثا ـ يجب « تأهب » جميع البلاد الاسلامية للنهوض بهذا الواجب .

ومعنى ذلك أن كل دولة إسلامية يجب أن تكون مستعدة للمساهمة في رد العدوان عن غيرها من الدول

الاسلامية بحسب قدرتها في أي مكان ..

النجدة .. وطبيعة العصر

● وهذه المشاركة والمساهمة في رد العدوان عن الدولة التي ظهر عجزها عن رده ، لا تكون ذات جدوى أو فاعلية إذا لم تأت في الوقت المناسب وقبل فوات الأوان ، الأمر الذي يقتضي أن تكون لدى الأمة الاسلامية القدرة على « الحركة السريعة » إلى البلد المعتدى عليه ، ففضلا عن أن الأعمال التي تتخذ طابع النجدة والاغاثة تتطلب السرعة في الحركة والعمل ، فإن الأعمال الحربية في هذا العصر الذي تقدمت فيه أسلحة القتال ومعداته وأساليبه تقدما مذهلا ، أصبحت تتسم بالايقاع السريع ، والتطور المتلاحق للمواقف والأحداث على نحو تقطع الأنفاس متابعته ، الأمر الذي « يستلزم » أن يكون التصرف في المواقف « بسرعة وفي الوقت المناسب » .

○ لكن هذا الأمر ، ليس سهلا ، ذلك لأن هناك عدة عوامل قد تحول دون وصول النجدة كالظروف والأحوال الدولية وصراع المصالح بين الدول الكبرى فضلا عن الظروف المحلية في جبهة القتال كالحصار البحري وإغلاق المضايق وإغلاق المطارات أو تعرضها للضرب .

● ولعل ذلك يفتح عيوننا على الدول الأخرى وما أعدته لمواجهة مثل تلك المواقف .. أن هذه الدول « تبنى » استراتيجيتها العسكرية أصلا على « تحقيق القدرة على التدخل السريع » للسيطرة على الأحداث في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لها ووفقا لمصالحها وتحقيقا لأهدافها العليا .. ولكي تتغلب على العوامل المضادة والمحتملة التي قد تحول دون أن يتم هذا التدخل بسرعة وفي الوقت المناسب ، فنراها تتخذ أسلوب « الاقتراب المبكر » من منطقة الأحداث ، حتى يكون لها « وجود » فعلي يضمن لها تحقيق ما تريد .

○ بل إن هذه الدول أصبحت اليوم لا تنتظر ظهور المؤشرات الأولى التي تنبىء بالخطر ثم « تقترب » ، إنها تحقق لنفسها « الوجود العسكري » في المناطق الحساسة في الظروف والأحوال العادية وإن لم يكن هناك بوادر لأي خطر .. وهذا يفسر توزيع الدول الكبرى لأساطيلها البحرية في البحار والمحيطات بصفة أصلية ومستمرة ، وسعيها الحثيث إلى اتخاذ قواعد عسكرية خارج أرضها وقريبة من تلك المناطق ، وتشكيلها لقوات مقاتلة تخصص للتدخل السريع ، وتدريب هذه القوات على القتال بالأسلوب الذي يتناسب مع طبيعة الأرض والمناخ والظروف المعيشية في المنطقة التي يحتمل أن تدفع إليها .

استعداد الأمة الاسلامية

○ ولا يقول قائل إن الأمة

الاسلامية لا تستطيع أن تجاري الدول الكبرى في هذا المجال ، فإن لديها من الموارد ومن العلماء والخبراء العسكريين ما يحقق لها الوفاء بتكاليف الجهاد طبقا لطبيعة العصر الذي تعيش فيه . ولعل نقطة البداية في هذا المجال هي أن تجتمع كلمة الأمة الاسلامية على « استراتيجية دفاعية محددة » تضع الخطوط الأساسية لبناء القدرات العسكرية للأمة ومهام الجيوش الاسلامية في السلم وفي ظروف التوتر وظروف الحرب على حد سواء ..إن العالم من حولنا مليء بالأحلاف والتكتلات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، وأغلبها لا تتوفر بين دوله مقومات الوحدة أو الاتحاد ، وإنما جمع بينها اتفاق المصالح الاستراتيجية أو خطر مشترك ، وعلى الصعيد الاسلامي لانجد اتفاقا يجمع كلمة المسلمين على استراتيجية دفاعية واحدة رغم ما يتوفر لهم من عوامل الوحدة ومقوماتها على نحو لا نجد له مثيلا لدى الدول الأخرى !

● لقد واجه المسلمون في عصر النبوة أكثر من عدو ، واجهوا المشركين وواجهوا اليهود وواجهوا الروم ، وفي عصر الفتوحات واجهوا أعظم قوتين عالميتين في ذلك الوقت هما فارس والروم (بيزنطية) فقهروهما بكل ما وراءهما من تاريخ حربي طويل وخبرة واسعة بفنون الحرب والقتال ، **والسر وراء تلك القدرة الفذة على مواجهة أقسى التحديات وقهرها أنهم ساروا على نهج دينهم وهدى رسولهم في الاعداد والاستعداد ، وفي تطوير سياستهم الحربية طبقا لمقتضيات عصرهم ، ومن ذلك اقتحامهم لمجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل وإدارتهم لعمليات حربية لم يسبق لها مثيل في عصر النبوة كعمليات عبور الأنهار والموانع المائية والقتال في المدن والمسير الطويل وإقامة الثغور والقوات العسكرية .**

● ولو أردنا أن نسترشد بتوجيهات الاسلام في نجدة الدول المعتدى عليها فسوف يدهشنا أنها ـ وهي التي قررها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ـ تحتوي على كل ما وصل إليه الفكر العسكري الحديث .

يقول الله تعالى : « **والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحا . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا** » (العاديات/ ١ـ ٥)

ففي هذه الآيات « يقسم » الله تعالى بخيل الجهاد « المسرعات » التي يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من « شدة الجرى » ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية ، والتي « يهجم » بها « فرسانها » على العدو في وقت الصباح « ليأخذوه على غرة » ، والتي يكون من شدة جريها أنها تثير غبار الطرق في وقت الصباح ، فتدخل

« وسط جمع الاعداء » فتشتته .
وهذه الآيات ـ فضلا عما تنطوي عليه من معاني السرعة في التصرف والحركة إلى حد مفاجأة العدو ـ تنطوي على تنبيه المؤمنين ليكونوا « دائما » على أهبة الاستعداد لمواجهة الخطر والعدوان .

الحركة بأقصى سرعة

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين كيف تكون حركتهم لمواجهة الخطر وقرر أن تكون هذه الحركة « بأقصى سرعة » وبأسرع الوسائل التي يعرفها الانسان في كل عصر .. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « من خير معايش الناس لهم ، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه (أي في مظانه أي الأماكن الموجود فيها) .. » (رواه مسلم)
ونستخلص من هذا الحديث الشريف عناصر ومقومات الحركة السريعة التي يريدها الاسلام والتي يستطيع بها المسلمون نجدة المعتدى عليه في الوقت المناسب :

(١) قوات جاهزة للعمل الفوري

وهو ما يستفاد من كلمة « ممسك » ، إذ أنها تعني ما هو أكثر من مجرد « ركوب الفرس ، وتفيد أن الفارس على أقصى درجات الاستعداد للعمل الفوري ، فالفارس إذا جاءه الأمر بالانطلاق ، أو إذا رأى خطرا ، لن يكون بحاجة إلى الاتيان بأي تصرف ، ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك به لأنه ممسك به فعلا .. أي أن كل ما سوف يفعله هو : الانطلاق في الحال .

(٢) انطلاق القوة بأقصى سرعة

وهو ما يستفاد من كلمة « يطير » و « طار » (يطير على متنه كلما سمع هيعه أو فزعه طار عليه) وهي كلمات تفوق في مدلولها كثيرا كلمة اندفع أو أسرع أو انطلق ، فالطيران هو أسرع أشكال الحركة على الاطلاق ، ونحن عادة ما نقول لمن نريده أن يندفع بأقصى سرعته : « طر »

(٣) استخدام أسرع وسائل النقل

وانطلاق القوة بأقصى سرعة لا يتحقق عمليا إلا إذا تملكت القوة أسرع وسائل النقل والحركة ، وذلك مما يعبر عنه ذكر الخيل في الحديث (رجل ممسك بعنان فرسه) وفي الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وفي الآيات الكريمة من سورة العاديات السابق ذكرها .
فالخيل في ذلك الزمان كانت أسرع

وسائل النقل والحركة ،ويقوم مقامها في عصرنا الطائرات والمركبات والصواريخ .. الخ .

(٤) استمرار الاستعداد للحركة

ويوجه الاسلام أن تكون حالة استعداد المسلمين للحركة السريعة لمواجهة الخطر « حالة دائمة » في السلم أو الحرب على حد سواء ، ولا تتوقف إذا زال الخطر .. وهو ما يفهم من كلمة « كلما » في عبارة (كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه) فالاستعداد للانطلاق لا يفتر ، وإذا تحركت القوة وقضت على الخطر ، يظل الاستعداد قائما وعلى أقصى درجاته لمواجهة أي خطر جديد أو « كل » خطر جديد . وهكذا نرى أن الاسترخاء في الاستعداد للحركة الفورية وللقتال أمر لا يرضاه الاسلام ويحذر من عواقبه لأنه يقود الأمة إلى « الغفلة » التي تعرضها للهلاك : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (النساء ١٠٢) « **يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم** » النساء ٧١)

كان أبو هريرة رضي الله عنه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطين ، ففزعوا إلى الساحل ، ثم قيل : لا بأس .. فانصرف الناس (يعني إلى مواقعهم) ووقف أبو هريرة (أي قريبا من مصدر الخطر ولم ينصرف) فمر به إنسان فقال : يا أبا هريرة ، ما يقفك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « موقف ساعة في سبيل الله ، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الاسود » (رواه البيهقي وابن حبان عن مجاهد)

الانذار المبكر ضرورة حيوية

وليس من شك في أن الانذار المبكر من ألزم الأمور التي تحقق للمسلمين الوفاء بتكاليف الجهاد ونجدة الدول المعتدى عليها أو التي تتعرض للخطر في الوقت المناسب . ولقد عنى الرسول صلى الله عليه وسلم غاية العناية بهذا الأمر فكانت له عيون وأرصاد في المدينة وخارجها وفي قريش والقبائل العربية الأخرى بل وخارج شبه الجزيرة العربية في فارس والروم ، ومن أبلغ ما يدل على نجاح هذه الأرصاد وكفاءتها العالية في الانذار المبكر بالأخطار التي تهدد المسلمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج في عدة غزوات وهاجم كثيرا من القبائل فور علمه بأنها تدبر للعدوان على المدينة ، فكانت هذه القبائل من هول المفاجأة تفر تاركة أرضها وأموالها للمسلمين ، ومن هذه الغزوات : غزوة بني سليم - ذي أمر - بحران - ذات الرقاع - دومة الجندل - بني المصطلق - بني لحيان ..

فهذه العمليات توضح أهمية الانذار المبكر وتوضح أيضا أن

اقتران الانذار المبكر بسرعة الحركة لدى المسلمين مكن المسلمين من « إجهاض » تدابير العدوان عليهم والقضاء عليها في مهدها ، فضلا عما انطوت عليه من درس كبير هو أن الاسلام لا يقف مكتوف الأيدي أمام تدابير العدوان ، ويقصر في انتظار المصير المحتوم ، بل يتحرك بسرعة لردع أعدائه وإرغامهم على أن يلزموا حدودهم .

القيادة وسرعة اتخاذ القرارات

وأخيرا يوجه الاسلام إلى ضرورة أن تكون القيادة قادرة على اتخاذ القرارات في مواقف الخطر أوالتهديد به بالسرعة التي تمنح حركتها الفاعلية والنجاح في القضاء على الخطر .

والرسول صلى الله عليه وسلم القدوة المثلى للمسلمين قد قدم لنا أكثر من دليل علىماللسرعة في اتخاذ القرارات في مواقف الخطر من شأن كبير في تقدير الاسلام فكانت غزواته ـ السابق ذكرها ـ التي تمكن بها من إجهاض تدابير أعدائه للعدوان ، هذا فضلا عما قدمه بنفسه من دليل ليقظة القيادة وسرعتها في التصرف ، فعن أنس رضي الله عنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عرى (بدون سرج) والسيف في عنقه وهو يقول : « لن تراعوا .. » (رواه الشيخان)



القرآن مأدبة الله

فتعلموا من مأدبته

للاستاذ/ عبد الكريم الخطيب

ماذا ينزل من السماء :

الذي ينزل من السماء ويراه الناس مشهودا لهم ، هو الماء الذي تحمله السحب ، فينزل على الأرض في المواقع التي أرادها له الله سبحانه .. كما يقول تعالى : (**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم**) البقرة/ ٢٢ .

والذي ينزل من السماء ، ولا يراه الناس رأي العين هو كلام الله ، المنزل منه سبحانه وحيا الى رسله ، ليبلغوه إلى الناس مبشرين ومنذرين .كما يقول تعالى مخاطبا رسوله الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه :

(**نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥ ويقول جل شأنه ، مخاطبا الرسول الأمين : (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل**

التوراة والانجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) آل عمران/٢ ـ ٤
وذلك إلى كثير من آيات القرآن الكريم ، التي تحدث عن انزال شرائع الله الى الناس ، من هذا المقام الكريم العالي ، وهو اللوح المحفوظ ، عند رب العالمين ، كما يقول جل شأنه ، (**انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين)** الواقعة : ٧٧ ـ ٨٠ .

فالماء الذي ينزل من السماء ، هو غذاء مادي للأرض ، وما يخرج من الأرض ، من نبات وحيوان ، وانسان ، ولولا هذا الماء الذي ينزل من السماء ، ما تغير وجه الأرض ، ولا كان للحياة أثر فيها ..

وأما ما ينزل من السماء من كلمات الله المشرقة بأنوار الحق والهدى ، فانه غذاء للأرواح ، وحياة للقلوب ، ونور للبصائر ، كما يقول تعالى : (**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)** الاسراء : ٨٢ .

غذاء الأجسام وثمراته :

وقد جعل الله تعالى غذاء الأجسام ، مما تخرج الأرض ، من نبات وحيوان ، وكل ذلك مما يرجع أصله إلى الماء الذي ينزل من السماء .. ولولا هذا الماء لما كانت حياة أبدا على هذه الأرض .

ومن هنا كانت الحياة على الأرض رهنا بالماء ، الذي ينزل عليها ، فيكون منها الخصب ومنها الجديب ، ثم تكون نهاية هذا كله الى الفناء ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : (**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لـم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)** يونس : ٢٤ .

ومناسبة هذه الآية الكريمة التي نحن بين يديها ، لما سبقها من آيات ، هي الكشف عن وجه الدنيا ، التي يتعلق كثير من الناس بمتاعها ، ويركبون مراكب البغي والطغيان في سبيل الحصول على كل ما تهفو إليه أنفسهم من زخرفها .. فجاءت الآية الكريمة بهذا المثل للحياة الدنيا ، وأنها كماء أنزله الله تعالى من السماء ، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام .. ثم إذا أخذت الأرض زخرفها بما أخرجت من زرع وثمار ، ولبست من ذلك حلة من البهجة والجمال ، وخيل للناس أنهم قد أمسكوا بها ، وضمنوا الحياة في ظلها ، أتاها أمر الله ، في أية لحظة من لحظات الزمن ، فذهب بكل ما كان عليها ..

ففي قوله تعالى : (**وظن أهلها أنهم قادرون عليها)** ـ إشارة إلى ما دخل على الناس من غرور ، حين رأوا الأرض وما عليها من زرع وجنات فاطمأنوا إلى الحياة ، وحسبوا أنهم آلهة على الأرض ، لا قدرة لأحد على انتزاعها منهم .. وذلك ما كان من صاحب الجنتين ، وما ركبه من غرور ، حين اطلع عليهما ، وملأ ناظريه

منهما ، فقال ما ذكره الله تعالى على لسانه : (**ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا**) الكهف : ٣٥ و ٣٦ . فهذا الشقق الأثيم ، كان مؤمنا بالله ، ولكن حين ابتسمت له الحياة ، وملأت يديه من متاعها ، نسي ربه ، وأنكر البعث والحساب والجزاء ، ثم زين له شيطانه ، بأنه إذا كانت هناك آخرة ، وكان هناك حساب وجزاء ، فإنه سيكون هناك ـ كما في الدنيا ـ ذا مقام كريم ، ومنزلة عالية عند ربه .. وما درى أن الشيطان قد خدعه بتلك الأماني الكاذبة ، وكان من الذين قال الله تعالى فيهم : (**ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا . يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً**) النساء : ١١٩ ـ ١٢١ .

وفي قوله تعالى : (**وظن أهلها أنهم قادرون عليها**) ـ إشارة إلى تمكن طلاب الدنيا وعشاقها ، مما تلوح لهم به ، من زخارفها وزينتها ، فيخدعون لذلك ، ويحسبون أنهم أصحاب جاه ، وقوة ، وسلطان ، وما هم في الواقع إلا أضغاط أحلام ، يجرون وراء سراب خادع : (**يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا**) النور/ ٣٩ إنهم ظنوا أنهم قد ملكوا الدنيا ، واستولوا على مقاليد الأمور فيها ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ..

وفي تشبيه الحياة الدنيا ، وما يلبس الناس فيها من مختلف الألوان ، وما يقع لأيديهم فيها ، من جاه وسلطان ـ في تشبيه هذه الحياة ، بالماء الذي ينزل من السماء ، فيختلط به نبات الأرض ، ويلبس هذه المظاهر التي يتشكل منها النبات ، في صور مختلفة ، من زروع وجنات ، وزهر ، وثمر ـ في هذا التشبيه ، إعجاز من إعجاز القرآن ، وآية من آيات الله ، الدالة على مكانة الانسان ، وعلو منزلته على كائنات الأرض كلها .

فهذا الانسان ، الذي هو ابن الماء ، يخالط الحياة ، ويتحرك في أحشاء الوجود ، وسرعان ما يصبح هذا الكائن ، وكأنه جنة قد أخذت زخرفها وأزينت ، فيملأ الأرض تيها وعجبا ، ويمشي عليها مختالا فخورا ، يكاد يخرق الأرض ، أو يبلغ الجبال طولا ..

وهذا الماء الذي ينزل من السماء ، ويختلط به نبات الأرض ، وقد عرفت شأنه ، وما صنع من هذا النبات ـ أليس هو الانسان ابن الماء والطين ؟ .. ثم أليس هذا الانسان الذي هو محصول هذا الماء والطين ، يصير هشيما ، كما يصير النبات ابن الماء والطين ، حصيدا هشيما ؟

إن هذا التطابق بين هاتين الصورتين ، على هذا التصوير المعجز ـ هو آية من آيات الله ، ليس بمقدور مخلوق ان يمسك بخيط من خيوط نسجه المحكم المعجز !!

وهل هذا هو كل ما هنالك من إعجاز إلهي في هذه الصورة ؟ ومعاذ الله أن ينفد إعجاز كلامه ، أو ينقطع جني ثمره ، على مدى الأزمان ، وعلى كثرة الواردين والطاعمين !!

انظر في قوله تعالى : (**فاختلط به نبات الأرض**) !!

وأكاد أدعك لتكشف عن بعض السر في هذا النظم الالهي ، الذي جعل اختلاط نبات الأرض بالماء ، ولم يجعل اختلاط الماء بالنبات هكذا : « فاختلط بنبات الأرض » على ما يقتضيه مفهوم النظر الانساني لهذه الظاهرة !!

فالماء ـ في تقديرنا نحن البشر ـ هو الذي يختلط بنبات الأرض ، ويسري في كيانه فيبعث فيه الحياة ، ويخرجه من عالم الأموات .. هكذا نرى ، وهكذا نقدر .. ولكن القدرة الالهية ، ترى ما لا نرى ، وتقدر ما لا نقدر ، وتعلم ما لا نعلم !! فإن كنت ـ أيها العالم ـ تنكر هذه القدرة ، أو تشك في هذا العلم ، فهات ما في قدرتك ، واستحضرها في علمك ، وقل لي : ماذا ترى هناك ؟ وماذا تعلم مما بين الماء والنبات من تفاعل ؟ وأيهما المختلط ؟ وأيهما المختلط به ؟ وأيهما الفاعل ، وأيهما المفعول ؟

وأقول لك ناصحا مخلصا : دع عنك ما أنت فيه ، من نظر وعلم ، وانظر في كلمات الله ، لترى العلم والحق منها .

ولن أدعك ـ كما قلت لك من قبل ـ بل سأنظر معك ، وأتلقى العلم في صحبتك ، والله يوفقنا إلى سواء السبيل .

فالماء والنبات ، حين يلتقيان .. ماذا يحدث عند التقائهما ؟ وماذا يكون من هذع اللقاء ؟

وليكن في تقديرك ـ قبل الاجابة على هذا السؤال ـ أن المراد بالنبات هنا ، هو أصل النبات ، وهو البذرة التي تغرس في الأرض ، لا النبات حين يكبر ويكون نباتا ذا غصون ، وأوراق ، وأزهار وثمار .. فهو في تلك الحال لا يكون مجرد نبات ، بل هو الماء والنبات ، وأن لقاء قد تم بين البذرة والماء ، حتى تخلق هذا النبات ، كما يتخلق الجنين في رحم أمه !!

فإذا تقرر هذا ، فلتجب على هذا السؤال : ماذا يحدث من التقاء البذرة ، أو الحبة بالماء ؟

البذرة ، أو الحبة ، التي تقلبها بين يديك ، ليست شيئا ميتا كما يبدو لك ، بل هي كائن حي ، يحتفظ في كيانه بكل عناصر الحياة ، التي تنتظر من يثيرها ، ويبعث فيها الحياة .

وذلك البعث للحياة في البذرة أو الحبة ، لا يكون إلا بأمرين :

أولهما : غرس الحبة أو البذرة في الأرض الصالحة لها ..

وثانيهما : وصول الماء إليها ، وتحول تراب الأرض إلى طين بهذا الماء .

وهنا تبدأ الحياة الكامنة في البذرة ، أو الحبة ، في التحرك ، وأخذ طريقها إلى الماء المختلط بالتراب فتجذبه إليها ، وتفتح له الطريق إلى الحياة الكامنة فيها ، وتأخذ منه ما يروي ظمأها ، ويبعث الحياة الكامنة فيها ، وإظهار آيات الخالق ، التي أودعتها القدرة فيها .

فالبذرة أو الحبة ، هي الطالبة للماء ، والمهيأة للحياة ، والمتشوقة إليها .. وما الماء ، وما التراب ، وما الطين ، إلا عناصر مساعدة ، ومحركة للحياة الكامنة في

البذرة أو الحبة ، تماما كما هو الشأن في رحم الأم حين يستقبل نطفة الرجل ، ويتفاعل معها ..

فالحبة إذن ، هي الداعية لتلك العناصر من الماء ، والتراب والطين ، وهي الطالبة للاتصال بها ، تماما كما يتغذى الطفل من ثدي أمه ..

ومن هنا جاء النظم القرآني المعجز : (**إنما مثل الحياة الدنيا كماءأنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**) .

أرأيت إذن سر هذا النظم الإلهي ، الذي أسند الاختلاط بالماء ، إلى البذرة أو الحبة ، وإلى ما يتخلق منهما من نبات ، ولو جاء النظم القرآني على غير هذا ، فأسند الاختلاط بالحبة إلى الماء ، لكن خطأ علميا ، يناقض ما كشف عنه علم الأحياء ، اليوم !!

وهذا الذي حدثتك عنه ، لا يمثل إلا وجها واحدا من الصورة التي عرضها النظم القرآني في هذه الكلمات المعدودات في الآية الكريمة ..

غذاء الأرواح :

أما الوجه الآخر من هذه الصورة ، وهو الانسان ، ابن الماء والطين ، المقابل لعالم النبات ، ابن الماء والطين أيضا ..

فالانسان ، وإن كان نبتة من نبات الأرض ، فإنه هو الماء الذي يبعث الحياة في موجودات الأرض ، ويكشف عن القوى الكامنة فيها ، وبهذا أقام الله الانسان خليفة على هذا الكوكب الأرضي ، الأمر الذي رغبت فيه الملائكة ، فصرفه الله عنها ، الى الانسان ، بما أودع فيه من قدرات لا تملكها الملائكة ، فصرفه الله عنها ، إلى الانسان ، بما أودع فيه من قدرات لا تملكها الملائكة ..

فالانسان ، وإن كان قد غذى من ماء المطر ، وما يخرج من ثمرات الأرض ، مما يحتاج إليه في بناء جسده ، وإمساك الحياة عليه ـ فإنه مع ذلك ، قد خرج على سائر المخلوقات في الأرض ، بهذه النفخة الالهية فيه من روح الله ، كما يقول تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) الحجر : ٢٨ و ٢٩ .

وكما يقول سبحانه : (**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين**) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ .

ففي قوله تعالى : (ثم أنشأناه خلقا آخر) ـ إشارة مضيئة بأنوار الحق ، تكشف عن أن الانسان ، وإن كان يجري في بده خلقه وتكوينه ، آخذا طرييق المخلوقات الحيوانية ، من نطفة فعلقة ، فمضغة ، فعظام ، فلحم ، يكسو العظام ـ فإن الانسان ينفرد بعد هذا بما لم يكن لمخلوق غيره ، وهو ما أشار إليه قوله تعالى :

(**ثم أنشأناه خلقا آخر**) فهذا الخلق الآخر الذي أنشأنا الله عليه الانسان ، ورفعه به عن سائر المخلوقات ، هو ما كان من نفخ الله تعالى من روحه سبحانه ، في الانسان ، فكان له ما لم يكن لمخلوق غيره من عوالم الأرض ، من عقل ، وارادة ، ومن حساب وجزاء في الآخرة ..

فإذا كان الانسان نبتة من نبات الأرض ، فإنه قد انفرد بذلك الغذاء الروحي ، المنزل من عند الله بكلماته سبحانه ، الحاملة للهدى والحق ، لمن استقبلها بعقله وقلبه ، فكانت غذاء طيبا لروحه ، ونورا هاديا له إلى مواقع الخير والرشاد ، والسعادة في الدنيا والآخرة .. أما من أعرض عن غذاء روحه من مأدبة الله فان الشقاء ملازم له في دنياه وآخرته جميعا .. والله تعالى يقول : (**فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**) طه : ١٢٣ و ١٢٤ .

ولما كان الناس جميعا مشتركين في موردهم على ما يغذي أجسادهم وأرواحهم وكانوا على حظوظهم من هذا الغذاء ، فكان منهم القوي والضعيف ، والمستقيمن والمنحرف ، والمهتدي والضال ، فقد ضرب الله لذلك مثلا من الماء ، حيث كان منه العذب ، كما كان منه الملح ، يقول سبحانه : (**وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا**) الفرقان /٥٣ .

ومن إعجاز القرآن الكريم ، فيما تكشف عنه هذه الآية الكريمة ، من روعة التصوير ، ودقة التمثيل فيما بين مجتمع الماء والماء ، والناس والناس .

فأولا : هذا التشابه في الصورة ، بين الماء العذب ، والماء الملح ، ثم بين الأخيار والأشرار من الناس ..

فالتطابق في الظاهر يكاد يكون تاما بين المتناضين في كل من وجهي الصورة ، فعلى أحد وجهيها ، ماء عذب فرات ، وماء ملح أجاج .. وعلى الوجه الآخر انا مؤمنون ، وأناس كافرون .. ولكن لا يعرف أي من هذه الأطراف إلا بعد المذاق والاختبار .

وعلى هذا ، فإنه لا يعرف الماء العذب ، والماء الملح ، إلا بعد مذاق كل منهما ، كما لا يعرف المؤمن والكافر ، إلا بعد امتحان أعمالهما ، وما تحصل من خيرلهما وللناس ، أو ما تحصل من شر عليهما وعلى الناس ..

وثانيا : أن الناس ، وان ظهروا في صورة آدمية واحدة ، فانهم في حقيقتهم مختلفون ، كهذا الاختلاف الذي بين الماء العذب والماء الملح ، وان ظهرا معا في صورة ماء ..

ففي الناس من يشبه الماء العذب ، وفيهم من يشبه الماء الملح ، وإن كان العذب والملح من أصل واحد ، هو الماء .

وثالثا : كما أن الماء العذب ، هو روح الحياة لكل حي على هذه الأرض ، فإن المؤمنين الأخيار ، هم روح الحياة الانسانية ، وثمرتها الطيبة المباركة ، وجذورها

هي الممسكة بالناس ، ولولاهم لهلك الناس جميعا .. والله تعالى يقول : (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**) البقرة/٢٥١ .

ورابعا : المؤمنون الأخيار ، هم قلة في المجتمع الانساني ، في كل زمان ومكان ، كما ان الماء العذب ، هو قليل بالنسبة إلى الماء الملح .. ومع هذا فإن الماء العذب ، هو مبعث الحياة ، حيث كا نت هناك حياة .

وخامسا : ليس في الناس من هــو شر خالص ، أو خير محض .. ففي الأشرار ما في الماء الملح من عناصر الماء العذب ، حيث ان من هذا الماء الملح ، ما يرق ويصفو ويتحول الى بخار وسحاب ، ثم ينزل على الأرض ماء عذبا فراتا ..

وفي الأخيار ، ما في الماء العذب من قابلية للتحول عن حاله ، والاختلاط بما يفسده ويغير من طبيعته ، وهو يسلك مسالكه في الأرض فتارة يسلك مسلكا طيبا ، فيظل عذبا صافيا ، وتارة يقع في مستنقع ، فيركد ثم يتعفن ، ويصير مأوى للجراثيم والحشرات .. والله تعالى يقول : (**أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**) الرعد/١٧ .

وضرب الأمثال من الله تعالى ، إنما يكون للاعتبار ، والتعرف على مواقع الخير منها ، وهذا لا يكون إلا من أهل العقول السليمة ، والبصائر النافذة ، كما يقول تعـالى : (**وتلك الأمثـال نضربهـا للناس ومـا يعقلها إلا العـالمـون**) العنكبوت/٤٣ .

وقد ضرب الرسول الكريم للقرآن الكريم ، الذي أرسله الله به إلى الناس ـ ضرب مثلا لهذا القرآن ، بالغيث الذي ينزل من السماء ، فتختلف آثاره في مواقعها المختلفة ، وفي هذا يقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه :

« مثل ما بعثني به الله عز وجل ، من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طائفة طيبة ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أخاذات أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة أخرى منها ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ .. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » رواه مسلم ..

وهكذا يغترف رسول الله ، من بحور علم الله ..

وصدق الله ، وصدق رسول الله ،،،



منهج في تفسير

عرضت في عدد جمادى الأولى المنصرم من الوعي الزهراء لأهم المبادىء التي ينبغي أن ينهض عليها منهج جديد في تفسير القرآن الكريم ، وذكرت في ختام ما عرضت له أن هذا المنهج يستجيب لتطورات الفكر ، ويواكب أحداث الحياة وظروف العصر ، وفي الوقت نفسه لايجافي التراث ، أو يشيح بوجهه عنه ، إنه المنهج الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة على هدى وبصيرة .

وفي هذه الكلمة الموجزة أحاول أن أتناول أهم سمات هذا المنهج الجديد بشيء من التفصيل ، ويجدر قبل الحديث عن هذه السمات الاشارة إلى أن أصول التفسير التي لا اختلاف عليها ولا جدال فيها ثلاثة هي :

أ ـ النص القرآني في موضع آخر .

ب ـ التفسير النبوي .

جـ ـ المعنى اللغوي .

والأصل الأول : يومىء إلى أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فأحكامه وآدابه قد توزعتها الآيات والسور ، وما أجمل منها في مكان قد بسط في مواضع أخرى غالبا ، وما نزل من الآيات متأخرا مبني في المعنى على ما نزل متقدما ، ومن ثم كان النظر في الآيات المتعلقة بكل موضوع بعد ترتيبها وفقا للنزول أمرا ضروريا ؛ لأنه يعين على فهم تلك الآيات فهما متكاملا ينتج عنه تصور سليم لأبعاد الموضوع الواحد وأحكامه .

ويتصل بهذا الأصل مراعاة الربط بين أحكام القرآن جميعها فلا ينظر في آيات حكم منها دون سائر الآيات التي تتحدث عن أحكام أخرى ، فهي كلها تخرج من مشكاة واحدة ، وتمثل في

القرآن الكريم

للدكتور/ محمد الدسوقي

مجموعها بنيانا مرصوصا لا تستغني لبنة فيه عن غيرها ، ولا تقوم بدورها في حماية البنيان من التصدع والانهيار دون سواها ، ومن ثم كان الفهم السوي لأحكام القرآن منوطا بالربط بينها ؛ درءا للوقوع في الفهم القاصر ، أو التناقض ، والقرآن كتاب الله الذي أحكمت آياته ، فلا يعرف تناقضا ولا تعارضا ، **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** .

أما الأصل الثاني : فالتفسير النبوي للقرآن كان أول تفسير له ، لقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة ما احتاج من ألفاظ القرآن وأحكامه إلى بيان ، فكانت السنة لهذا شارحة للكتاب ، فصلت أصوله وقواعده ، ووضحت مبادئه ومقاصده .

ويدخل في هذا الأصل ما يعزى إلى الصحابة من أقوال ، فهم عاينوا التنزيل ، وكانوا يسألون ويختلفون ، فكانت تنزل الآيات إجابة أو حكما عما يسألوا عنه ، واختلفوا فيه ، فهم لذلك أعرف بأسباب النزول ، وأحداث السيرة النبوية ، بالاضافة إلى ما امتازوا به من علم وعمل ، وإلى أن أقوالهم في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتأخذ حكم سنته من هذا الوجه ، غير أن المفسر إزاء بعض المرويات والنقول ينبغي أن يأخذ بالحيطة والحذر ؛ لأن منها ما دخلته الاسرائيليات والتأويلات الباطلة ، أو المفاهيم التي تمثل طرفا من الأساطير الشعبية ، فلا يقبل من الآثار إلا ما اجمعت الأمة على صحته ، ومر عبر موازين النقد التاريخي التي وضع المسلمون

أسسها وضوابطها في علوم الحديث .

وللأصل الثالث : وهو التفسير اللغوي ضوابط أو مبادىء أساسية هي :

١ ـ تفسير الألفاظ تفسيرا يلتقي مع معانيها وفقا للمعجم اللغوي للعربية وقت نزول القرآن ؛ بسبب التطورات اللفظية بمرور الزمن ، مع مراعاة الدلالة القرآنية للكلمة باستقراء مواضعها في الكتاب كله ، وتدبر سياقها في الآية والسورة .

٢ ـ الالتزام بقواعد تفسير النصوص المتفق عليها كأحكام العموم والخصوص ، والاطلاق التقييد ، والمنطوق والمفهوم .. الخ

٣ ـ تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي ، بحيث لا يصار إلى هذا المعنى إلا إذا تعذرت الحقيقة (راجع مناهل العرفان للشيخ الزرقاني جـ١ ص ٥٠٢) والأخذ بهذه المبادىء في تفسير المفردات ؛ أو ما عبر عنه بشرح الغريب يمنع كل تأويل لا يلتقي مع قواعد العربية التي نزل بها الكتاب العزيز .

هذه الأصول الثلاثة التي لا يختلف عليها اثنان متعاونة كلها في الكشف عن معاني القرآن ، وتطبيقها لا يعني طرح جهود السابقين أو عدم الاسترشاد بها والتعويل عليها ، وإنما كل ما يعنيه الالتزام بتلك الأصول أن جهود السابقين تصبح محكومة بها لا حاكمة عليها ، فكل رأي يتعارض مع أصل من هذه الأصول لا يعتد به .

ولكي يكون تطبيق أصول التفسير المجمع عليها محققا الغاية منها في تفسير كتاب الله تفسيرا خاليا من شوائب النزعات والثقافات الخاصة ، كان على المفسر أن يأخذ نفسه ما استطاع بالموضوعية والتجرد من التصورات المذهبية أو العلمية بمفهومها المعاصر ، حريصا أبلغ الحرص مع إظهار عظمة القرآن في تشريعه وآدابه وهدايته وعلاقة هذا الكتاب المحكم بالحياة وتياراتها المتجددة في الفكر والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، فهذا القرآن مهمته الأولى إخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، ووضعها على طريق مستقيم لا عوج فيه ، طريق مستقيم في العقائد والأخلاق والأعراف والتشريعات ، وما لم يكن تفسيره معينا على تحقيق هذه المهمة أو الغاية فإنه لن يكون تفسيرا بالمعنى الصحيح .

إن الاهتمام بالقضايا النحوية والبلاغة وما يدور في فلكها اهتماما زائدا ، او اتخاذها الغاية الأولى للمفسر ، يحول بينه وبين توضيح الفلسفة القرآنية في بناء الأفراد والجماعات ، ووقاية الأمة كل أسباب التخلف والانحطاط ، ويجعل من التفسير كما ذهب الامام محمد عبده في مقدمة تفسير المنار لونا من التطبيقات العربية لا وسيلة لتشرب المعاني القرآنية ، والعمل من أجل الحياة في ظلها ، والاعتصام بها والشهادة دونها .

سمات المنهج :ـ

وماذا بعد كل ما تقدم عن أهم سمات المنهج الذي يمكن أن يعين على شرح كتاب الله شرحا يوضح معانيه دون تأويل مذهبي او فكري خاص . ؟

إن أهم هذه السمات ما يلي :

أولا : تطبيق الأصول العامة التي لا اختلاف عليها في تفسير كتاب الله في دقة دون الزج بالقرآن في نصرة رأي أو مذهب أو نظرية علمية ، مع الالتزام بقواعد العربية في شرح المفردات والتراكيب دون اغفال لاستعمالات القرآن لها .

ثانيا : التركيز على توضيح الغاية الأولى من انزال القرآن وهي اخراج البشرية من عبادة الناس والشهوات الى عبادة الله الواحد الأحد ، وأنه من ثم جاء بمنهج كامل للحياة الانسانية في شتى مجالاتها وأن هذا المنهج لا نظير له (**صبغة الله ومن احسنُ من الله صبغة**) ، وأن سعادة الانسان منوطة باتباع هذا المنهج في صدق وشمول ، على ان يكون الحديث عن ذلك كله في أسلوب تفوح منه رائحة الايمان ، وحرارة اليقين ، بحيث يصبح قوة محركة للعمل ، فلا هدف من شرح كتاب الله الا الفهم من أجل التطبيق والسلوك ، ومن هنا كان على المفسر الا يتناول ما يتصل بعالم الغيب والايات المتشابهات الا في قصد واعتدال ، والا يسرف في تأويلها وعرض الاراء المضطربة حولها ، وأن يفسرها في ضوء الدلالة اللغوية للالفاظ والتراكيب مع الربط بينها وبين الآيات المحكمات فهن أم الكتاب وعليها مدار احكامه .

ثالثا : مع الجمع بين الأصالة والمعاصرة .. ان أولى مراحل التحديد في المنهج المعاصر للتفسير هي قتل القديم فهما واستيعابا ونقدا ، والاسترشاد به فيما يجدي الواقع ، وذلك في أسلوب عصري فلكل زمان لغته ومشكلاته ، وقد أمرنا بمخاطبة الناس بالتي هي أحسن ، وعلى قدر عقولهم ، ولذا كان على من يتصدى للتفسير أن تضم ثقافته الى جانب فقه لغة النص ودراسة تاريخه الوانا من الدراسات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وبعبارة موجزة كل ما يموج به عصره من أفكار ونظريات ليكون في عمله التفسيري اقدر على تجاوز البحث الحرفي الجامد الى الفهم الدقيق الواعي لأهداف القرآن ، ومشكلات الحياة الواقعية ، والاسلوب الملائم لعلاجها وفق تلك الأهداف .

رابعا : ان هذا المنهج التفسيري منهج استقرائي تحليلي تركيبي ، فهو يتتبع المادة القرآنية في الكتاب كله ، ويستقرىء مايتصل بها من السنن والاثار وأقوال العلماء باعتبارها وسائل لالقاء الضوء على النص القرآني من حيث الاجمال والتفصيل والاطلاق والتقييد ، وترتيب الايات وفقا للنزول مع الوقوف على أسبابه ، وملاحظة أن العبرة بعموم اللفظ لا

بخصوص السبب ، الى غير ذلك مما يعين على ما يسمى بدراسة ما حول النص .

أما أقوال العلماء في مختلف فروع الدراسات والعلوم فهي وجهات نظر ينتفع بها في حدود الأصول التفسيرية دون أن ننسى أن القرآن هو الأصل والمرجع الأول ، وأنه حاكم على هذه الأقوال وليس محكوما بها(انظر مقدمة في المنهج للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ١٣٧) .

ويقصد بالتحليل دراسة عناصر الظاهرة أو الفكرة أو النص وادراك ما بين هذه العناصر من علاقات للوصول الى تكوين فكرة واضحة عن الشيء المدروس بعد التأليف بين تلك العناصر التي قام الباحث بتحليلها تحليلا علميا كشف عن معرفتها معرفة حقيقية واضحة .(انظر المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ص ٢٧٩) .

فالمفسر يحلل مفردات النص القرآني وتراكيبه تحليلا دقيقا ، يتوخى إبراز الدلالات ، وفقا للقواعد اللغوية والمعجمية في عصر نزول الوحي مع مراعاة الاستعمال القرآني ، ولا يكتفي المفسر بهذا بل يدرس أيضا العلاقات بين أجزاء النص وما احتف به من ظروف بيئية ، وملابسات خاصة ، ثم تكون المرحلة الأخيرة وهي مرحلة استنباط المعاني والأحكام ، ولا يصل الباحث الى هذه المرحلة الا بعد تركيب الأفكار الجزئية للنص أو التأليف بينها ، وهي أفكار جاءت ثمرة التحليل للمفردات ، وادراك ما بينها من صلات .

والأخذ بهذا المنهج لا يعني أن جهود المفسرين تصبح نسخا مكررة ، ليس بينها تفاوت او تباين ، فسيظل لشخصية المفسر دورها الذاتي وأثرها الخاص ، وإنما كل ما يعنيه الأخذ بذلك المنهج ان تتوارى المذهبية الفكرية والأهواء السياسية ، أو لا تطغى على العمل التفسيري ، وتسود الموضوعية هذا العمل ، وتصبح الذاتية في دائرة لا تطغى على الجوهر أو الأهداف الأساسية لشرح كتاب الله ، بل قد تكون مجالا لتألق القدرات الخاصة ، وتنافسها المحمود في اطار الضوابط المنهجية للدراسة العلمية .

العمل الجماعي :

يجنح بعض المعاصرين الى الأخذ بالعمل الجماعي في دراسة العلوم الاسلامية ، فنحن نعيش في عصر قضى على المسافات بين الشعوب ويسر للناس فرص اللقاء ، وتبادل الاراء دون مشقة أو عناء ، فضلا عما جد فيه من مشكلات ، واتجاهات ومذاهب فكرية متعددة وتطورات علمية مذهلة ، لا يتسنى لفرد واحد مهما أوتي من طاقة عقلية ، وعمر مديد أن يحيط بها جميعها ، فكان التعاون بين العلماء وأهل الذكر في دراسة تلك المشكلات والاتجاهات والتطورات المتداخلة ، والتي تؤثر في حياة المجتمع البشري تأثيرا واضحا أكثر نفعا وأقل خطأ .

ويرى هذا البعض أن التفسير في

عصرنا الحالي يقوم على النحو التالي :

ا ـ تتألف لجان التفسير من علماء الدين وعلماء اللغة ونفر قليل من أهل العلم الحديث على أن يكون هؤلاء ممن لا يحاولون إخضاع الايات لاراء خاصة او نظريات علمية لا تثبت على حال .

ب ـ تتولى هذه اللجان وضع تفسير جديد للقرآن وفي الوقت نفسه تقوم بتنقية كتب التفسير القديمة من الاسرائيليات ، ويقصد بها كل ما أخذه علماء المسلمين من روايات في التفسير عن أهل الكتاب وبخاصة اليهود وكذلك تنتقيه هذه الكتب من التأويلات الباطلة .

ج ـ على اللجان أن تذكر وهي تراجع كتب التفسير ، أو تضع للقرآن تفسيرا جديدا أن القر آن ليس كتاب طب أو فلك أو طبيعة ، وانما هو كتاب تشريع وهداية في المقام الاول ، فلا يجوز ان تحمل آياته من المعاني ما لا تحتمل ، أو تحاول اخضاعها للاكتشافات الحديثة ، او تخضع لها هذه الاكتشافات ، لكي لا نعرض القرآن في المستقبل القريب او البعيد لما تعرضت له بعض النظريات العلمية القديمة ، وما قد تتعرض له بعض النظريات الحديثة بعد عشرات السنين أو مئاتها من تغيير وتبديل ، أو سقوط وانهيار(انظر مجلة« العربي » العدد ٧٦ ص ١٣٨) .

وهذا العمل الجماعي سواء في وضع تفسير عصري جديد للقرآن ، أو في تنقية كتب التفسير مما اشتملت عليه من اسرائيليات ، أو تأويلات فاسدة ـ هذا العمل الذي يخضع لضوابط منهجية صارمة ، حماية للقرآن من التأويلات المذهبية أم السياسية ، أو الزج به في النظريات العلمية التي لا تثبت على حال ، ومحاولة لتجلية هدايات القرآن ، وأهدافه العليا في صياغة الحياة الانسانية صياغة ربانية ـ تعاون علمي يباركه الاسلام بل يحض عليه ، وينزله منزلة الفريضه ، حتى تكون الثمرات العلمية ناضجة تؤدي دورها الفاعل في احداث التغيير الجذري في حياة المجتمع الاسلامي المعاصر ، ليصبح للاسلام سلطانه وهيمنته على الأفراد والجماعات في كل شأن من شئون الحياة .

ولكن أخطر ما يتهدد هذا التعاون الذي يعد الطابع الأساسي للامة الاسلامية ، ويقضي عليه بالفشل هو التأثر بالأهواء السياسية أو المذهبية ، وعدم التخطيط المدروس للاستمرارية والعطاء المتجدد دون اعتبار لما يجد من اختلافات وصراعات بين الشعوب الاسلامية ، فكم وأدت هذه الصراعات كثيرا من الأعمال العلمية المشتركة أو حالت دون استمرارها ، ناهيك بسواها من الأعمال في شتى المجالات ..

والله يتولى الجميع بهدايته وتوفيقه ..



التكافل الاجتماعي في

مدخل :

من المشكلات الأساسية الأُول التي تصدى لها القرآن الكريم هي مشكلة الفقر .. وكيف يسقطها الله تعالى أو يتركها مهملة وهو العدل الرحمن الرحيم !!

واهتمام القرآن بحرمان البشرية وشقائها كان يظهر واضحا كوضوح الدعوة لمسح آثار الشرك بالله تعالى والسقوط الأبدي لدولة الوثنية .. وكان يظهر جنبا إلى جنب مع الاستنكار الصريح للشك في رسالة السماء ، ولعلنا كثيرا ما نرى القرآن الكريم ناعيا على المشركين بُخلَهم وإمساكهم المال عن المعوزين والفقراء وأصحاب الحاجة ، كما رأيناه ناعيا عليهم عبادتهم للأوثان والشرك بالله وانحرافهم عن الجادة .

القرآن والاصلاح الاجتماعي :

نزل القرآن الكريم حاملا معه أدوات الاصلاح لواقع فاسد ، بمجتمع فاسد .. والفساد المستشري الذي ساد المجتمع وقتذاك لم يكن مقتصرا على العقيدة فحسب ، بل امتدت جذوره وتشعبت فشملت النظم الاقتصادية كذلك وكان من المؤشرات الواضحة في ذلك المجتمع وجود الفقر المدقع والبؤس وسط باحات الثراء الفاحش .. ذلك العوز الذي تفاقم دون أن يثير مظهره أي عطف أو رأفة في أفئدة الموسرين منهم ، ولم يحرك أثرا لساكن في قلوبهم .

القرآن الكريم

للاستاذ / عبد العظيم جعفر محمد

كانت تجارة قريش آنذاك مرتبطة بالشام صيفا واليمن شتاء ، وظهر كنتاج بدهي لتلك التجارة المزدهرة عدد كبير من الأثرياء أشتهروا بالغلظة واللهث وراء المال والشهرة ، وقد دفعهم شرههم ذلك إلى اتباع طرق غثة بغية الكسب الفاحش السريع ، فكانت معاملاتهم الربوية ، وكانت تجارتهم بالأعراض مستغلين في ذلك الإماء أبشع استغلال .

.. وجاء القرآن مواجها لهم ببخلهم وبظلمهم الاجتماعي .. كما واجههم بفساد عقيدتهم ورداءة نحلتهم .. قال تعالى مؤكدا وحدانيته ، متوعدا على الكفر والبخل معا .. « **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد** » الكهف (١١٠) وقال تعالى « **وويل للمشركين.الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون** » فصلت (٦ ، ٧) والقرآن يبين لنا أن مسببات عذاب المشركين هي الضلال والبخل معا وعدم الرأفة بالمساكين .

« **كل نفس بما كسبت رهينة.إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون . عن المجرمين.ما سلككم في سقر.قالوا لم نك من المصلين.ولم نك نطعم المسكين.وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين** » المدثر (٣٨ الى ٤٧)

وفي القرآن الكريم استنكار صريح لتفشي الروح المادية البحتة والتي انتشرت في أنحاء المجتمع ، فكان حب المال وتقديسه والتهالك عليه ، واخفاؤه عن وجوه

البر .. يقول تعالى :

« **كلا بل لا تكرمون اليتيم.ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما** » الفجر (١٧ - ٢٠) .

فالقرآن يضع المؤشرات بقرنه لمسالة الكفر بالبخل والغلظة والقسوة على اليتيم واللامبالاة لما يؤول إليه حال الفقير .. « **أرأيت الذي يكذب بالدين.فذلك الذي يدع اليتيم.ولا يحض على طعام المسكين** » الماعون (١ - ٢ - ٣) . ويبين لنا كذلك عقاب من يكفر بالله مؤكدا في الوقت ذاته ضرورة التكافل ممثلا في إطعام المسكين والأخذ بيد ذي الحاجة ..

« خذوه فغلوه.ثم الجحيم صلوه.ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه.إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.ولا يحض على طعام المسكين » الحاقة (٣٠ - ٣٤)

ويربط القرآن كذلك عظمة الايمان بالدعوة الصريحة للتكافل وذلك من إطعام لليتيم والمسكين ويختتم تلك الدعوة مناديا بالتراحم ..

« **فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة.فك رقبة.أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة.أو مسكينا ذا متربة.ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة** » البلد (١١ - ١٧)

الاحسان ركيزة التكافل :

نجد في تضاعيف القرآن الكريم مواضع شتى عظم فيها شأن الاحسان والمحسنين ، فجاء مقرونا بعبادة الحق تعالى كما لاحظنا من قبل ارتباط الشرك بالبخل ..

« **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا** » النساء ٣٦ ، وفيها نرى التدرج الذي انتهجه الله تعالى ليبين لنا - جل شأنه - مكانة الوالدين الرفيعة والدعوة المتكررة لبرهما .. فهي تمثل اللبنات الأولى في بناء صرح مجتمع التكافل .. وهي الصيحة الأولى المبشرة بولادة المجتمع السوي المعافى .

والقرآن الكريم يعظم من شأن المتقين إكراما لاحسانهم ، ويقرر أن الجنة هي الجزاء وهي الجائزة ، فهم الذين استقطعوا من أموالهم حقا ثابتا بينا مساعدة للسائل ومعاونة للمحروم ..

« **إن المتقين في جنات وعيون.آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون.وبالأسحار هم يستغفرون.وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** » الذاريات (١٥ - ١٩)

والدعوة للتكافل يربطها الله تعالى بإقامة الصلاة توكيدا لضرورتها وإعلاء لشأنها ، فاقترنت إقامة الصلاة بالانفاق مما جاء به الرحمن على عباده ..

« **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا**

وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » إبراهيم ٣١ .

وفي القرآن تحفيز عظيم لمن أنفق مساهما في السر والعلانية ، قاصدا بذلك مرضاة الله تعالى ، آخذا بأيدي ذوي الحاجة والمعدمين ، وهذا لا يتأتى إلا بتقوى الله والايمان الراسخ به واتباع سبيله ..

« **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور** » فاطر ٢٩ ، ٣٠

والاحسان من زكاة للمال وغيره ينجي صاحبه من عذاب النار .. « **فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى.الذي كذب وتولى.وسيجنبها الأتقى.الذي يؤتى ماله يتزكي** » الليل ١٤ ـ ١٨ .

ويأمرنا القرآن بإعطاء الفقير ما يستحقه وفقا لأوجه الانفاق ومصارف الزكاة التي بينها لنا الحق سبحانه وتعالى أوضح تبيان .

الملكية الفردية .. والانفاق :

جاء القرآن حاملا معه الدعوة للاحسان مبتدئا بإقرار الملكية الفردية مجاراة لناموس الحياة وسلوكيات الفرد .. وجاء في الوقت نفسه منكرا الممارسات الضالة التي كانت تسود مجتمع رأس المال من استغلال للضعفاء وحرمان للفقراء وتماد في جمع المال وتباه له . وتدرج بهذه المسألة شيئا فشيئا حتى بلغ شأوا حاسما ، فيه فرضت الزكاة ، ضريبة من أجل حياة أفضل لكل الفئات .. غذاء ومسكنا وملبسا .. ودعوة كفيلة بصنع مجتمع التكافل .

وجاء أيضا مصححا المغالاة والتطرف في مفهوم طبيعة الملكية ، فاستقام بذلك الفهم الاجتماعي لمعنى الملكية الفردية فكان الكرم وكانت السماحة وكان عون المعدمين ومساعدة المحتاجين بعد أن كان الناس يعتقدون أن لصاحب المال مطلق التصرف فيما يملك ، ينفقه كيف يشاء وأين يشاء .. يظنون أنه المالك الحقيقي ، فضن المالك وبخل بماله ، والمحتاجون يحفونه من كل جانب .. يقتلهم العوز وتفتك بهم الحاجة .. ولا ينبسون ببنت شفة ، فليس لأحد عليه من سبيل . وجاء القرآن بمصابيح الهداية معطيا الملكية الفردية معنى جديدا ..

« **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » الحديد ٧ .. فوضع بذلك أساس الضريبة الاجتماعية الاسلامية .. الزكاة ..

توكيد استخلاف الانسان :

والقرآن يؤكد لنا وفي مواضع عدة أن المالك الفعلي الحقيقي هو الله تعالى ، فهو المالك للأرض ومن فيها وما فيها .. وهو صاحب التصرف .. وما الانسان إلا خليفة له سبحانه وتعالى ، فهو الوكيل عن صاحب الملك والله جل شأنه يعلن للملائكة خلافته للانسان في الأرض منذ بدء الخليقة :

« **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** » البقرة ٣٠ .

ومن هنا نعلم أن تلك الملكية ما هي إلا استخلاف وإباحة للانتفاع وقد وردت آيات كثيرة تشير إلى أن الله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيهن ..

.. « **ولله ملك السموات والأرض** » آل عمران/١٨٩ .

.. « **لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير** » المائدة/١٢٠

.. « **له ما في السموات وما في الأرض** » البقرة/٢٥٥

.. « **إلا أن لله من في السموات ومن في الأرض** » يونس/٦٦ .

فما الانسان - إذن - إلا النائب عن المالك الحقيقي .. وهنا كان الاستخلاف وكانت الوكالة .. فتحتم على الوكيل أن يدير أعماله وفقا لما يريده المالك ، ويعمل طبقا لتوجيهاته ؛ فكان لزاما عليه إيتاء الزكاة ووجب عليه الاحسان مما يرسي دعائم تكافل المجتمع الانساني .

وإذا تطرقنا لبعض التفاسير التي أوردها الزمخشري في (الكشاف) للآيتين :

(أ) « **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » الحديد ٧

(ب) « **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض** » الانعام ١٦٥

لتؤكد لنا ان تلك الأموال التي جعل الانسان وكيلا للتصرف فيها والاستمتاع بها هي ، في حقيقة الأمر ، لله تعالى - وهو الذي يلقي للانسان مقاليد التصرف فيها فالزمخشري يقول في تفسيره للآية (أ) :

(يعني ان الأموال التي في ايديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما خولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها) اما عن الآية الثانية فيورد :

(المعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه ، وقد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة) .

والمتتبع لما ورد من دعوة للاحسان والانفاق يمكنه استخلاص الغرض من استخلاف الانسان في الأرض ، فاستنبات النبات واستيلاد الحيوان وتعمير الأرض وغير ذلك مما يفي بحاجات الانسان ويحقق طموحه ، يكون نسقا ويشيد بناية شامخة للتكافل ، يضع كل فرد من أفراد المجتمع لبنة من لبناتها ، مشاركا في خلق الحياة الكريمة التي يدعو إليها القرآن .

الزكاة ومقدمات الضريبة :-

وضح لنا القرآن إرادة الله تعالى في التوزيع فأعطى الفقير حق الزكاة وغير ذلك من الحقوق التي تكفل له الحياة الكريمة . ولابد من الخضوع لتلك الارادة فهي إرادة المالك .

ويبين القرآن شريعة الله في التوزيع ، فقد سن تعالى من القوانين ما هو بين جلي

وحذرنا من مغبة التفريط فيها .. فهي الهدى والهداية وهي السبيل للترابط والتكافل . والأدلة على فرضية الزكاة وردت في القرآن في مواضع شتى ، فقد جاء قوله تعالى « **اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** » مرات عديدة في كتابه الكريم .

والزكاة تحوي جميع مقومات الضريبة بأبعادها التي حددت تحديدا متقنا بالرغم من تفرع شعبها كأنواع المال المختلفة من ذهب وفضة وعروض تجارة وحرث وأنعام ، وقد جاء هذا التحديد تفاديا للعقبات التي قد تعوق جمعها .

والقرآن يبين لنا مصارفها تبيانا واضحا وصريحا : « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » التوبة ٦٠ .

فالفقراء هم الذين لا يملكون اموالا يزكون عنها . والمساكين هم أشد حاجة من الفقراء (يروى عن عكرمة مولى ابن عباس قوله إن الفقراء هم فقراء المسلمين والمساكين هي فقراء اهل الكتاب) . أما العاملون عليها فهم من يقومون بجمعها من أربابها وتوزيعها على مستحقيها . والمؤلفة قلوبهم يعطون منها تمكينا للاسلام في قلوبهم . كما تصرف الزكاة لفك أسر الأرقاء وفي هذا المقام يجب علينا ذكر حقيقة أن الاسلام هو أول نظام جعل جزءا من ميزانيته لفك الرقاب . أما الغارمون فهم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم . وابن السبيل يراد به المسافر الذي لا يجد ما يوصله لوطنه . أما المصرف الأخير وهو سبيل الله فهو ما يعم كل مصالح المسلمين .

وفي القرآن الكريم تكليف صريح للدولة بجمع الزكاة وتوزيعها :ـ

« **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وَصَلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم . ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم** » التوبة (١٠٣ ، ١٠٤) .

عليه نرى أن الحكومات الاسلامية لو استطاعت العمل بما شرعه الاسلام من طرق ومصارف لسدت ايراداتها حاجة الطبقات المحرومة وفاضت عن الحاجة .

وهكذا نجد القرآن منذ البداية يضع مسألة الفقر تحت حواس الانسان ويقرن الدعوة للايمان بالدعوة للاحسان والرفق والاهتمام باليتيم والفقير وذي الحاجة ، ليتحقق بذلك مجتمع التكافل والبر والخير والذي يجد فيه الفقير والضعيف واليتيم ملاذا واحتراما ووزنا وينال فيه من الحنان والعناية والرحمة ما يكفل له الطمأنينة والراحة .



الجانب الانساني

تنتفش الحضارة الحديثة ، وتنتفخ أوداجها ، وهي تعلن تبنّيها لقضية الانسان المعاصر ، وتعهدها له بالحماية والرعاية ، خاصة بعداندلاع الثورة الامريكية ، ثم الثورة الفرنسية ..

وعبر المبادىء التي صيغت فيما يسمى « بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ».. ومن خلال اروقة عصبة الأمم ، التي لقيت مصرعها بعد الحرب الكبرى الثانية ، ومن فوق منابر الأمم المتحدة .. راحت تلك الحضارة تزهو وتتيه ، وتملأ الدنيا صياحا ، بأنها محررة الانسان ، ومحطمة العبودية .. ولكن حقائق التاريخ أثبتت زيف هذه الدعوى ، وأنها تقوم على غير أساس صحيح .

إن ما أعلنته الحضارة المعاصرة في خلال القرون الثلاثة الماضية .. سبقت إليه بعشرة قرون ، في وقت كان المجتمع الانساني فيه ، يعاني من دياجير الجهالة ، والبغي والتسلط .. وحرب الانسان لأخيه الانسان ، وناهيك بألوان أخرى فادحة من القهر والظلم والجبروت ...

أجل !!! لقد تم الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، وبالتحديد في اليوم التاسع من ذي الحجة ، من السنة العاشرة للهجرة ، حيث وقف سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، على راحلته ، وأعلن تلك المبادىء الكبار ، في جموع

في رسالة الإسلام

للدكتور/عبد الفتاح محمد سلامه

الحجيج الهادرة ، إذ قال فيما قال :

« في أي يوم نحن ؟ في أي شهر نحن ؟ في أي بلد نحن ؟ ألسنا في يوم عرفة من شهر ذي الحجة ؟ ألسنا في مكة البلد الحرام ؟ إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها لمن أئتمنه عليها .. » ثم قال صلوات الله وسلامه عليه : « أيها الناس : إن أباكم واحد وإن ربكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ... »

ثم أحدث التغيير الاجتماعي الهائل : فوضع دماء الجاهلية ، وثاراتها القبلية ، وألغى المعاملات الربوية ، وبدأ بأقرب الناس اليه : وهو عمه العباس .. « ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا عمي العباس ...» البخاري .

ويلاحظ أن هذه الحقوق التي منحتها رسالة الاسلام للانسان : لم تتفجر عقب ثورة دامية ، ولم تعلن في أعقاب حرب كاسحة ، ولم يروج لها أحد من محترفي الكلام ، الذين عادة ما يخضعون لأساليب المزايدة .. وانما أعلنت تلك المبادىء الشم إكمالا لمهمة دين ، وتتويجا لرسالة خاتمة ، عامة خالدة ، وتأكيدا لروح الأخاء ، بين البشرية جمعاء .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ...»... المائدة ـ ٣ .
إن المجتمع الانساني : لم تمض عليه سوى سنوات قليلة ، بعد هذا الاعلان الزاكي ، حتى وجد ضياء الحرية ، يبدد من طريقه حنادس الليل ، ونعمة المساواة تزيل من حياته الجنادل والعقابيل ، وتزرع فيها معاني الحب والود ، والبر والاحسان . ودعوة القرآن الكريم : لا تزال في المجتمع المسلم تملأ القلوب وا لآذان :
« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ... » الحجرات ـ ١٣ .
إن الانسان في رسالة الاسلام موضوع وغاية فهي توليه من العناية وتتوجه اليه بالتكاليف ، التي تطهره وتزكيه ، وتربي عنده قيم الحق ، وتمنحه قسطا وافيا من العلم الهادى ، وتلبسه ثوب الحكمة : حتى يشرف على كل المخلوقات ، ويحلق في آفاق الكمالات ، خليفة عن الله ، عبدا له دون سواه :
« لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ... » آل عمران ـ ١٦٤ .
« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ... »البقرة ـ ١٥١ .
ومن دعاء إبراهيم واسماعيل لنبى الاسلام محمد وأمته : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ... » البقرة ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ .
والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، يحدد وظيفته المنوطة به ، والغاية التي ابتعثه الله من أجلها ، وهي غاية تخدم قضية الانسان أولا وأخيرا ، يرتقى بها فكره ، ويتسامى بها خلقه ... فيقول :
« إنما بعثت معلما ... » .
« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ..... » مالك
لقد كفل الاسلام للانسان أسباب حمايته ، وهيأله موجبات بقائه ، فحرم عليه أن يقتل نفسه أو غيره .. قال عز من قائل : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ... » النساء ـ ٢٩ .
وقال : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ... » الاسراء ـ ٣٣ .
وقال رسول الله : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فشربه فمات فسمه في يده يتحساه في

جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ....» ... مسلم ...

وقال أيضا : « الانسان بنيان الرب ملعون من هدمه ....» الترمذي ..

وفتح الاسلام للانسان أبواب الرزق على مصاريعها ، ومهد له سبله ، وأخذ عليه في ذلك شرطا ، أن يبتغيه حلالا طيبا : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ...» الملك . ١٥ .

وأباح له التمتع بالطيبات في اقتصاد واعتدال ، بلا سرف أو مخيلة : « يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ....» البقرة ـ ١٦٨ .

وندب الاسلام الى الانسان التزين والتجمل ، ورغبه في أن يبدو حسن الصورة ، مشرق الطلعة ... « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ....» ... الأعراف ـ ٣١ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة ....» ... مسلم .

وأعطى الاسلام للانسان حق التملك ، متساوقا بذلك مع نداء الفطرة ، بل وأوجب عليه الدفاع عما ملكت يداه : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله !!أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : لا تعطه مالك !! قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : قاتله !! قال: أرأيت إن قتلني ؟ قال : أنت في الجنة !! قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو في النار !!»

لقد منح الاسلام الانسان حقوقا تمتد به لتجعل منه سيد الكائنات ، فهي مسخرة له مذللة ، عليه أن يستغلها ويطوعها لقدراته ، بفهم ووعي ، والتزام بالسلوك الانساني الرشيد :

« وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ...» الجاثية ـ ١٣ .

والرحمة بالانسان حق راسخ في الاسلام ، نص عليه وأكده بطريقة جازمة ، يوم كان الانسان يباع ويشتري في سوق النخاسة ، وبأسلوب القهر والاذلال ، وفي صورة تفتت الأكباد ... ولكن الاسلام محا كل هذا ، وصدع بهذا التوجيه : فقال رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم : « من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء ...» البخاري .

« الراحمون يرحمهم الرحمن .....».. أبو داود .

« لا تنزع الرحمة إلا من شقى ....» الترمذي .

هذا هو الانسان ، وتلك منزلته في الاسلام .. مخلوق عزيز ؛ كريم على ربه ، له الخلافة والسيادة ، وبيده أسباب القوة والمنعة .. فما أجدره ـ وقد أعطى ما أعطى ـ أن يتوجه الى ربه بالعبودية ، ويطرح الغرور والتعالي ، ويبني الحياة على دعائم الحق والخير ...

والله الهادي الى سواء السبيل

لا لتحديد النسل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

إن صيحة العصر الذي نعيشه الآن هو ما يسمى بتحديد النسل زاعمين أن في تحديد النسل الأمل العظيم والحصن المنيع في التغلب على مشاكلهم السكانية والاقتصادية .

ولكن الهدف المقصود اعظم من ذلك بكثير حيث أن السهم موجه بحق لضـرب الاسلام ولكن حاش لله فان الدين الاسلامي مهما تعرض للمحن فهو باق وثابت الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

حيث يقول المولى عز وجل وهو أصدق القائلين : « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » الحجر - ٩ .

بيد أن الفلسفة الغربية اللعينة والفكر الملحد المتطرف وجماعات التنصير كل

للدكتور / عزت أبو الفتوح

هؤلاء يعملون جاهدين على تفكيك أواصر الوحدة الاسلامية والوصول الى المسلمين والسيطرة عليهم من خلال المشاكل التي تواجههم ويعانون منها . فها نحن نعاني من الزيادة المطردة للسكان وانخفاض المستوى الاقتصادي لذلك تجدهم يحاولون مد يد العون لنا وهي ملطخة بالفكر البغيض الذي يحمل بين فكيه السم السقيم الذي يريد أن يفتك بالمسلمين في عقر دارهم .

ولكن إذا أردنا أن نتناول هذه القضية من الناحيتين الدينية والعلمية نقول : **أولا** :

إن المولى عز وجل خلق الانسان وتعهده برعايته ورزقه حتى الكافر منه .

فهو القائل جل شأنه : « **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** » هود / ٦ .

ولكنه قرر أن السعى مطلوب فقال « **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » الملك ـ ١٥ .

من هذا نرى أن الله تبارك وتعالى اتخذ على نفسه وعدا صادقا برزق كافة مخلوقاته الصالح والطالح منهم والبار والفاجر منهم ...

ولكن المؤسف حقا أن نرى بعض المسلمين ينصتون ويسيرون وراء هذا التيار الجارف بحجة أن في تحديد النسل والاقلال من الانجاب وسيلة هامة من الوسائل التي ترفع من مستوى المعيشة وتحسن من الوضع الاقتصادي للمجتمع .

*** لا يا أيها المسلمون***

اعلموا أيها المسلمون تمام العلم أن هذه ضربة قوية مصوبة الى ظهور المسلمين من الخلف دون أن تدركوها الا بعد وقوعها .

فان الهدف السقيم الذي يرجوه **الغرب هو الحد** من تزايد **اعداد المسلمين وبذلك** يصبح **العالم الاسلامي أقلية ضعيفة** بمقارنته بالعالم الملحد التصراني وبذلك يظل العالم الاسلامي دائما وأبدا في حاجة ماسة الى طلب العون والمدد من العالم

الغربي المتحضر والدليل على ذلك ـ هو ما نراه ونشاهده الآن من تزايد جماعات التنصير المزودة بالأموال الطائلة من أجل إغراء المسلمين في الدول الفقيرة وجذبهم الى فكرهم وديانتهم . كذلك فاننا نجد أن الدول الغربية التي تقوم بتبني فكرة تحديد النسل تخصص أموالا طائلة جدا من ميزانيتها لكي تصرف في هذا الغرض الملعون ..

*** ثانيا ***

إن هذه الفكرة اللعينة التي تكاد تتوطن في بعض الدول الآن وبصورة توحى بالخوف من جراء نتائجها الوخيمة على المسلمين التي تؤدي في النهاية الى معصية المولى عز وجل وارتكاب الفواحش وبالتالي فان الله يتوعدهم في الاخرة بالعذاب الشديد . وينتقم منهم في الدنيا حيث يمدهم في طغيانهم يعمهون . فيتبعون الشهوات وبذلك فهم يتجاوزون حدود الشرع ويرتكبون العديد من المعاصى وينغمسون في المحرمات . والاعراض عن العبادات والتفريط في أحكام الشريعة السمحاء . وكل هذا يؤدي في النهاية الى ضعف ووهن الايمان ومتى تعرض الايمان للوهن والضعف في القلوب تحركت النزعة المادية للاغراق بالشهوات والوقوع في المحظورات وارتكاب الكبائر .والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في هذا المقام عن ضعف ووهن الايمان والوقوع في المحظور « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن .....» رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي .

وإن من اخطر الفواحش والكبائر المترتبة عن تحديد النسل استباحة الزنا بصورة أو بأخرى . ومن المؤسف حقا أن تعدد الوسائل والعقاقير المستخدمة في تحديد النسل وسهولة الحصول عليها من دور الصيدلة . كل هذا ساعد على تفشى جريمة الزنا وكذلك تفشى ظاهرة الاجهاض وبخاصة في حالات الحمل الغير شرعي ...

إن من المعروف لدينا أن تعدد وسائل تحديد النسل وعقاقيره من حبوب عن طريق الفم أو حبوب موضعية أو أجهزة لولبية توضع بالجهاز التناسلي للأنثى كل هذه الوسائل تخصص لها مبالغ طائلة . تضيع هدرا وتنفق في معصية الخالق الصانع المدبر للكون بما فيه ...

* ثالثا *

مما لا شك فيه أنه ثبت أن استخدام أي نوع من وسائل تحديد النسل تعود بآثار وخيمة على الحالة الصحية للأم .

* صنع وإبداع الخالق !

إن الله عز وجل خلق الأنثى وخلق فيها الجهاز التناسلي الذي يهيمن على وظيفته مجموعة من هرمونات التناسل تفرز من الفص الأمامي للغدة النخامية والمبيض ...

وفي الحالة الطبيعية تفرز هذه

الهرمونات بنسب مقدرة ومعينة بحيث إذا حدث فيها أي زيادة أو نقص أدى ذلك الى حدوث حالة مرضية والفكرة التي استخدمها علماء فسيولوجيا التناسل والكيمياء الحيوية في اختراع موانع الحمل هي مبنية أساسا على معرفة طبيعة عمل الهرمونات والتحكم في إفرازها . بصورة أو أخرى قد يطول شرحها .

ولكن الذي يعنيني هنا في هذا الموضوع هو أن أي تدخل بأي وسيلة حتى الآن في تحديد النسل له من الآثار الجانبية ما يفوق الوصف من :-

* اختلال في التوازن الهرموني بالجسم .

* زيادة وزن الجسم وتجمع كميات كبيرة من السوائل به .

* حدوث التهابات شديدة بالجهاز التناسلي للأم .

* ضعف عام في الصحة العامة للأنثى .

وقد ثبت أخيرا دون أدنى شك أن استعمال موانع الحمل وبخاصة الحبوب أدى الى حدوث بعض الحالات السرطانية كل هذا يحدث من جراء الرغبة في تحديد النسل .

ولعل من بعض وسائل الاغراء المادية التي تستخدم في بعض الدول مثل الصين والهند اعطاء حوافز مادية للأسر التي تقوم بتحديد النسل ويحرم منها الأسر التي لا تحدد النسل .

* رابعا *

إن انتشار ظاهرة تحديد النسل بالصورة التي توجد عليها الآن هو معصية الله تبارك وتعالى وتفريط بالغ في حقه جل شأنه .. واعلموا أيها المسلمون أن الله يمهل ولا يهمل .. فانه يتوعد هؤلاء الخارجين عن طوعه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة .

* خاتمة *

يجدر بنا الاشارة الى أن درجة نجاح وسائل تحديد النسل ليست مائة في المائة . ففي معظم الحالات وبخاصة في حالة استخدام الحبوب المانعة للحمل . يحدث الحمل رغم استخدامها وهذا يعتبر درسا هاما لمن يعتقدون ويؤيدون موانع الحمل وكأن الله تبارك وتعالى يقول لهم عودوا الى رشدكم فهو الذي خلق فأبدع ورزق فأغدق ..

ولعلي أتساءل اذا كان العلم قد نجح الى حد ما في انتاج وسائل تحديد النسل فلماذا لا يعمل العلماء بمثل هذه الكفاءة في علاج مشاكل العقم التي تسبب مانعا كبيرا في الانجاب لدى نسبة كبيرة من الأمهات اللاتي يرغبن في الانجاب ؟

وبذلك يكون قد استخدم العلم في مجال الاصلاح والبناء لا مجال الهدم والتدمير ونشر الفواحش ومعصية الخالق ..

أرجو أن يعيد علماء وأطباء المسلمين حساباتهم مع المولى عز وجل وأن يدرسوا القضية من كافة جوانبها وأن يرفضوا بشدة كل فكر مستورد ومصوب لهدم الوحدة الاسلامية حتى يكونوا قد أدوا رسالتهم في الحياة وفازوا برضا الله جل علاه .

تتابع في غزوة

للأستاذ الدكتور/ محمد فوزي فيض الله

يقول علماء التوحيد : إن الله تعالى لم يفرض على عباده الايمان بالرسل ، وبما جاؤوا به ، إلا بعد أن أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة .

والمعجزة ـ في اصطلاحهم ـ: أمر خارق للعادة ، يجريه الله تعالى على يدي نبي من أنبيائه ، ليكون بمثابة قوله : صدق عبدي فيما يبلغ عني .

وقد جاء في السنة أن كل الأنبياء زودوا بالمعجزات ، التي كانت سببا في إيمان الخلق بهم ففي الصحيح : « عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ، مامثله آمن عليه البشر ؛ وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله تعالى إلي ؛ فأرجو

معجزات تبوك

أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » رواه مسلم .

ولا شك أن معجزة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القطعية المتواترة الخالدة ، هي هذا القرآن الكريم ؛ وهناك معجزات أخرى قطعية نص عليها القرآن الكريم ، كانشقاق القمر ؛ وهناك معجزات مشتهرة منتشرة ، شاع الخبر بها ، كنبع الماء من بين يديه وإخباره عن أشياء بالغيب ، وتكثير الطعام في يديه ، ونحوها ، مما روي في موطن اجتماع الكثير من الصحابة ، ومجمع المسلمين ؛ ولم يؤثر عن أحد من الصحابة إنكار أنهم رأوه كما رواه الصحابي ، وهم منزهون عن السكوت على باطل ، والمداهنة في كذب ، فسكوت الساكت منهم ، كنطق الناطق ؛ وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ؛ فهذا يلحق بالقطعي ـ كما يقول العلماء ـ من معجزاته ـ عليه الصلاة والسلام .

وقد كانت غزوة تبوك غزوة مباركة : كانت دعوة إلى الاسلام في شمال البلاد العربية ، وكانت تمهيدا لجيوش المسلمين لفتح بلاد الشام ، وغزو إمبراطورية الروم ، فيما بعد ، إذ كانت آخر غزوات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت إزالة لسطوة ملوك نصارى العرب المصاقبين الممالئين للروم ؛ وكانت فيها عقود الذمة

معهم ؛ كما كانت مناسبة طيبة ، لاكرام الله ـ تعالى ـ نبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بمعجزات متتابعة ، زادت المؤمنين إيمانا ، واستكبر عنها المنافقون ، فأنكروها كما أنكر آل فرعون من قبلهم معجزات سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وقال تعالى في ذلك :

« **وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ، ظلما وعلوا** » (سورة النمل : ١٤)

وهذه معجزات غزوة تبوك :

الأولى : أن الله تعالى يرسل السحاب ، استجابة لدعاء نبيه بالسقيا

وذلك لما جاوز النبي ـ صلى الله عليه وسلم حجر ثمود ، أصبح الناس في قيظ شديد ، ولا ماء لهم ، وأصابهم فيه عطش ، حتى ظنوا أن رقابهم ستنقطع ؛ حتى إن الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فرثه ، فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده . فقال الصديق : يا رسول الله إن الله عودك في الدعاء خيرا ، فادع الله لنا ؛

فقال : أوتحب ذلك ؟ قال : نعم ؛

فرفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يديه إلى السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ـ أي آذنت بمطر ـ فأطلت ، ثم سكبت ، فملأوا ما معهم واحتملوا حاجتهم من الماء .

فتحدث الرواة عمن قال لمحمود بن لبيد : هل كان الناس يعرفون النفاق والمنافقين فيهم ؟

قال : نعم ، والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ، ومن أبيه ، ومن عمه ، ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك .

ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال من قومي ، عن رجل من المنافقين ، معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ؛ قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ! هل بعد هذا شيء ؟ فقال : سحابة مارة .

الثانية : النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبر عن ناقته الضالة ، وأنها في شعب ، حبستها شجرة بزمامها .

لما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سائرا في طريقه إلى تبوك ، ضلت ناقته ؛ فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من أصحابه ، يقال له : عمارة بن حزم ؛ وكان عقبيا بدريا ، ممن شهد بيعة العقبة وغزوة بدر ؛ وهو عم بني عمرو بن حزم ؛ وكان معه في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي ؛ يقول الرواة :

قال ابن اسحاق ، بسنده : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أليس محمد يزعم أنه نبي ؟ ويخبركم

عن السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟
فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؛ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ؛ وقد دلني الله عليها ؛ وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا ، فجاؤوا بها .

فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شي حدثناه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آنفا ، عن مقالة قائل ، أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذي قال زيد بن اللصيت .

فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ، ولم يحضر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : زيد ، والله ، قال هذه المقالة قبل ان تأتي ، فأقبل عمارة على زيد ، يجأ في عنقه (يطعنه فيه) ويقول : إلي عباد الله ، إن في رحلى لداهية ، وما أشعر ؛ اخرج ، أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني .

هكذا يطلع الله نبيه على الغيب ، وينكشف بذلك بعض أهل النفاق ، المندسين في المسلمين ، كما يندس الزوان في القمح .

فقال ابن اسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس : لم يزل متهما بشر حتى هلك .

الثالثة : إخباره عن قادم أنه أبو ذر ، وقوله : رحم الله أبا ذر : يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

لما مضى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طريقه إلى تبوك ، في تلك الظروف الجوية القاسية : من حر مشتعل ، إلى لهب يشوي الوجوه ، إلى عطش مميت .. جعل يتخلف عنه بعض الرجال ، فتقول الصحابة : يا رسول الله ! تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يا رسول الله ! قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك ، فقد أراحكم الله منه .

وتلوم أبو ذر (تمهل) على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماشيا .

ونزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين ؛ فقال : يا رسول الله ! إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : كن أبا ذر (أي أرجو الله أن يكون أبا ذر) . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ! هو والله أبو ذر ؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

فروى ابن اسحاق بسنده إلى عبد الله بن مسعود ، قال :

لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة (موضع قرب المدينة) ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا إمرأته وغلامه ؛ فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا :

هذا أبو ذر ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعينونا على دفنه .

فلما مات ، فعلا به ذلك ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبد الله بن مسعود ، في رهط من أهل العراق ، عمار ؛ (أي معتمرون) فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الابل تطؤها ؛ وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك .

ثم نزل هو وأصحابه ، فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسيره إلى تبوك .

الرابعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - يبعث خالد بن الوليد في سرية إلى أكيدر حاكم دومة الجندل ، النصراني ، ويقول له : إنك ستجده يصيد البقر

كان من بركات غزوة تبوك ؛ أن نصارى العرب في شمال الجزيرة ، الذين كانوا يعملون للروم ، ويعتزون بهم ، ضعفت ثقتهم بهم ، لما جبن الروم عن ملاقاة المسلمين ، وانصرفوا عن القتال .

واضطر هؤلاء الأمراء إلى مصالحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - : فصالحه صاحب أيله ، وأعطاه الجزية ؛ وأتاه أهل جرباء وأذرح ، وأعطوه الجزية ؛ وكتب لهم بذلك كتابا .

وتخلف حاكم دومة الجندل ، وهو أكيدر فأرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد ، في سرية فيها عشرون وأربعمائة فارس : ويقول البيهقي : كان الجيش مكونا من المهاجرين ، على رأسهم أبو بكر الصديق ، وكان خالد على رأس الأعراب .

ولما أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه السرية ، قال لخالد : « انك ستجده يصيد البقر » ، وهذا يعني أنه من الحاكمين المترفين ، الذين شغلهم اللهو عن الجد ، ومقارعة الأبطال .

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ؛ فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ؛ فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا (الصيد) قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد .

فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له : حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذته وقتلوا أخاه ، لانه قاومهم ، وكان على أكيدر قباء من ديباج ، مخوص بالذهب ، فاستلمه خالد ، فبعثه سريعا إلى رسول الله -

صلى الله عليه وسلم ـ قبل قدومه به عليه (مشيرا إلى ظفره بأكيدر) .

وتحدث الرواة عن أنس قال : رأيت قباء أكيدر ، حين قدم به على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتعجبون من هذا ؟ فو الذي نفسي بيده ، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا .

قال ابن اسحاق : ثم إن خالدا قدم بأكيدر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحقن له دمه (حفظ له نفسه) وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ وكان ـ كما قال الواقدي ـ هو ومن معه على الذمة .

وسجل بجير بن بجرة الطائي هذه المعجزة بقوله :

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائدا عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد

الخامسة : الرسول ـ يخبر عن راكب بعيد مقبل قائلا : كن أبا خثيمة

وكان أبو خثيمة ممن تخلف أول الأمر عن مسيرة الغزاة أياما ؛ فحدث أنه رجع إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له ، في عريشين لهما في حائطه (بستانه) قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيها ماء ، وهيأت له فيه طعاما .

فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الضح (الشمس) والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف !

ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما ، حتى ألحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهيئا لي زادا ، ففعلتا ؛ ثم قدم ناضحه (جمله) فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أدركه حين نزل تبوك .

وكان قد أدرك أبا خثيمة ، عمير بن وهب الجمحي في الطريق ، يطلب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك ، قال أبو خثيمة لعمير بن وهب :

إن لي ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عني ، حتى آتي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كن أبا خثيمة ؛ فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خثيمة .

فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أولى لك يا أبا خثيمة ! (يعني كدت تهلك) ثم أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخبر ؛ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيرا ، ودعا له بخير .

ففي هذا يقول أبو خثيمة :

لما رأيت الناس في الدين نافقوا　　أتيت التي كانت أعف وأكر ما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد　　فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما
تركت خضيبا في العريش وصرمة　　صفايا كراما بسرها قد تحمما
(يريد أنه ترك في العريش نخلا كثيرة الحمل ، وتمرا أخذ يحلو ويسود)
وكنت إذا شك المنافق أسمحت　　إلى الدين نفسي شطره حيث يمما

السادسة : الله تعالى يفجر لنبيه من الماء القليل المنحدر من صخر مرتفع بعد أن وضع فيه يديه الشريفتين ، ما له حس كالصواعق

لما عاد النبي – صلى الله عليه وسلم – من تبوك ، بعد بضع عشرة ليلة ، أقامها فيها ، لم يجاوزها – كما قال الرواة – شكا إليه أصحاب العطش ، وقلة الماء ؛ وهم يمشون في وادي المشقق ، وسط صحراء مرملة ، والشمس ترسل أشعتها كاللهب المشتعل ، وما في الوادي من الماء إلا وشل (ماء قليل يقطر من جبل مرتفع) يروي ا لراكب والراكبين والثلاثة .

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من سبقنا إلى ذلك الوادي ، فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه .

قال ابن اسحاق : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقف عليه ، فلم يرفيه شيئا ، فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل : يا رسول الله ؛ فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنههم أن يستقوا منه شيئا ، حتى آتيه ؟ ثم لعنهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودعا عليهم .

ثم نزل ، فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما شاء الله أن يدعوه به ، فانخرق من الماء – كما يقول من سمعه – : ما إن له حسا كحس الصواعق ؛ فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول ا لله – صلى ا لله عليه وسلم : لئن بقيتم لتسمعن – أو قال : من بقي منكم ليسمعن – بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

وفي رواية أنه قال لمعاذ : يوشك يا معاذ ، إن طالت بك حياة ، أن ترى ما هنا قد ملىء جنانا .

هذا إن تفجير الماء ، ببركة دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – وإبتعاثه له بمسه ونضحه ، تكرر في غير غزوة تبوك ، كما في غزوة الحديبية ، وكان الصحابة أربع عشر مائة ، وبئرها لا تروي خمسين شاة فجاشت مياهها ، فشربوا حتى رووا ؛ وبذي المجاز ، حين ضرب الأرض بقدمه لعمه أبي طالب ، فنبع الماء : فقال : إشرب ؛ وفي غيرها ، وهو كثير – كما يقول القاضي عياض –

ألا إن نبع الماء ، فجره الله تعالى لسيدنا موسى – عليه السلام – بعصاه ، وفجره لنبينا سيدنا محمد – عليه الصلاة والسلام – بيده ؛ وإنه لمن نبع النبوة ، أكرم الله به رسوله ، ورسخ به الايمان في قلوب المؤمنين ، وفتن به – وبغيره من المعجزات – مرضى القلوب والمنافقين .

درس

من يوم عرفة

للشيخ /معوض عوض ابراهيم

أسرار فريضة الحج وحكمة مشروعيتها والدروس والعبر التي تلهمها مناسك الشعيرة الخاتمة تتضح رؤيتها وتبدو لكل من أعمل فكرا وأنعم نظرا في قول الله تعالى :

« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » الآية ١٣ ، سورة الحجرات .

ان حكمة الله تعالى من خلقنا ههنا شعوبا وقبائل تتعدد لغاتها وهيئاتها وأعرافها وعاداتها بعد أن اكد الأصل انما أوجب الله به أن نتعارف أفرادا وجماعات أو أن نتآلف ونتواصل ونتكافل ونكون في فرصة الحياة الواحدة كعين وأختها وككف ومعصم أو كما قال معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وتواصل المسلمين وتكافلهم وتعاونهم على البر والتقوى ضرورة حياة لا ريب وهو صمام أمن المجتمع المسلم بعد أن قال الله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » . آل عمران / ١٠٣ .

وقد أخرج الامام البخاري بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك النبي صلى الله عليه وسلم بين أصابعه .

وما من فريضة من فرائض الصلاة والصيام والزكاة والحج ألا وهي تولى هذا التواصل اهتماما بل لا تتم واحدة منها على أمثل حالاتها الا مع المسلمين جماعة في الصلاة وصياما يطبع المسلمين بطابع الاستجابة لله تعالى جماعة لا تختلف في زمانها ومكانها الواحد فيما بينها وهي تبدأ يوم صومها وتنتهي منه وتبدأ شهرها وتتمه لا تضائل من أداء المسلمين لهذه الفريضة في أقطار وأمصار قد يصنع اختلاف مطالع القمر ومشارق الشمس وغروبها فيها شيئا من الاختلاف الزمني الذي يرعاه أهل كل موقع بما يناسبه فيكون المسلمون في صوم شهرهم قريبا من قريب يجنون ثمرة الصيام التي تشد بينهم العرى وتوشج الروابط وتنظم الجميع في شعور الاخوة الانسانية واخوة العقيدة التي ترجح لسائر الصلات والعلاقات المقنعة والجلية في دنيا الناس .
وهل تكون الزكاة الا معطيا وآخذا ، معطيا يعرف أن ما عنده من خير الله ونداه وأنه يعطي حقا معلوما لأ منة تكون هضيمة على الآخذ ونقصا في عزته ، ويأخذ فيعطي عرفانا وتقديرا لمن سد عوزا ، وأقال عثرة ، وواسى في حاجة ملحة الى عزم صادق على أن يكون حين يصادف السعة ويجد أنعم الغنى واليسار أسرع ما يكون عونا لفقير وسندا المعوز وملاذا العائذ فالحياة لا تدوم على حال وانما يقلب الله عباده فيها بين عسر ويسر ، وشدة وضيق ، وأكدار ومسار ، وابتلاء ومعافاة « **وتلك الأيام نداولها بين الناس** » آل عمران/ ١٤٠ .

فيوما علينا ويوما لنا   ويوما نساء ويوما نسر

أن تجمع المسلمين في الحج تشهده أرض الله في الأشهر المعلومات طوائر في الجو ، وبواخر في البحر ، وقطارات وسيارات وان أنس فلست بناس هؤلاء الاخوة الذين مروا بأحد الموانىء وكان الوفد من باكستان واحتفى المسؤولون في هذا الثغر وجمهور المسلمين بالاخوة الذين قضوا أياما كنا واياهم فيها على اتصال تام ، وكان أكثرهم لا يعرف العربية الا بقدر ما يقرأ شيئا من القرآن أو من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو يسمع شيئا من ذلك من غيره ، وكان همزة الوصل بيننا وبين الاخوة أستاذ باكستاني فاضل اتصلت أسبابنا بأسبابه والحمد لله برسائل حتى جمعنا الله في رابطة العالم الاسلامي بمكة شرفها الله عام ١٣٩٣هـ ثم لقيته زمنا أطول في مدينة سيدنا رسول الله حين كان طالبا في الدراسات العليا في الجامعة الاسلامية ، ولعل «مشير علي » بين أساتذة الجامعة أو مبعوثيها الآن .
ان الطرق كلها الى مكة المكرمة والى المدينة المنورة كأنما تغطيها وفود الحجيج وضيوف الرحمن آتين من كل فج عميق بيضا وحمرا وسمرا وصفرا رجالا ونساء وفتيانا وشيوخا ، وكأنهم يرهفون السمع لأبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام منذ قام لله تعالى بما أمر .

« **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** » الآية ٢٧/٢٨ ، سورة الحج . فلا احساس بمشقة ، ولا شعور باغتراب ، ولا تأثر بجو قد يخالف مألوف هؤلاء وأولئك حرا أو بردا ..

ان شعورا واحدا يسيطر على الجميع ؛ انه شعور « لبيك اللهم لبيك ؛ لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » ، انه خفق قلوب ، ووجيب أفئدة ، ومشاعر وأحاسيس تترجمها كلمات هي الولاء كله لله واليقين في وحدانيته جل جلاله وهو أهل الحمد والثناء والاقرار بسوابغ نعمه وآلائه التي تجاوز الحد ولا يحيط بها احصاء أو عد ومنها هذه النعمة ، فلولا الله ما حج حاج ، ولا اعتمر معتمر ولا اجتمع الحجيج على أرض عرفات يسألون الله مغفرته ورحمته فيمحو الحوب ويغفر الذنوب ويعفو عن السيئات ويطمئن برضوانه القلوب ويوقظ سبحانه وجدان كل واقف بعرفة أضعاف ما أيقظه وهو يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويرى جوانب المسجد الحرام وفجاج مكة ومشاهد دار الهجرة التي تهمس في كل أذن بذكريات غوال عن الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف اصطفاه مولاه وقام باذن ربه وعونه فأخرج الناس من الظلمات الى النور ما هادن الشرك ، ولا لاين الضلال ولا قبل المساومة قيد شعرة في أداء الرسالة التي انتدبه الله لها وكلفه بها وأرسله رحمة للعالمين .. أجل .. يستيقظ من فوق أرض عرفات وجدان كل واقف وهو يلهج بالدعاء ويلحف في الرجاء ويمعن في الرغبة والطمع في كرم الكريم وبر البر الرحيم ويزيده في ذلك كله يقين عارم بأن هؤلاء الذين يمدون الى الله أيديهم بمثل دعائه ورجائه لن يردها الله صفرا حتى يضع فيها وفي يديه خيرا يسع دنياهم ويحقق في الآخرة أملهم ومناهم .

« **ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** » سورة التوبة/آية ٧٢ إن الحج عرفة كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو قمة تكاليف الشعيرة الخاتمة فقل أن يغيب عن الموقف الجامع الا القليل الذين لن تضيق بهم رحمة الله ان أتوا عرفات ووفد الله قد استجاب لأمر ربه . « **فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين** » آية/١٩٨ ، البقرة . ان عرفة باجتماع المسلمين في ساحته بلباسهم الواحد وعملهم الواحد وأملهم الواحد يقدم مثلا في الاخوة والمساواة التي لا بد لنا نحن المسلمين منها اليوم في كل موقع اسلامي على أرض الله لنكون مرة أخرى « **خير أمة أخرجت للناس** » ..

« **ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** » سورة/ق ـ آية ٣٧ .



للأستاذة/فتحية محمد توفيق

لقد جاءت رسالة الله سبحانه وتعالى الى خلقه ، ونزل وحيه الى عباده ، وفيه من كماله وعظمته ورحمته ، ما يطبهم ، ويصلح شأنهم ، ويرتقي بهم الى ما فيه خيرهم ، جامعا للفرائض ، مبينا للحدود ، موضحا للمحارم ، مشتملا على ما يحيط بذلك من الأوامر والنواهي ، متوخيا من الأساليب أقومها في تربية الناس ، ومن المناهج أقواها في اسلامهم ..

ولقد كان الترغيب والترهيب من أبرز ما عالج به الاسلام شطط الانسان وجموحه وتمرده على الحق ، وما يدور في فلك ذلك من معصية وانحراف ..

الأمر الذي يؤدي فطريا الى أن تتحرك نفس الانسان من خمود ، وأن تستيقظ من سبات ، وأن تختلط فيها بواعث الرغبة بعوامل الرهبة ، وأن تمتزج فيها دوافع الخوف ، وموجبات الرجاء ..

والرجاء في اللغة هو : الطمع فيما يمكن حصوله ، ويرادفه الأمل .

في الرسالة الإسلامية

والرجاء في الاصطلاح : تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل ، وقيل : هو توقع الخير ممن بيده الخير ، والرجاء الاستبشار بوجود فضل الرب تعالى ، والارتياح لمطالعة كرمه . وهو من أجل منازل السالكين وأعلاها وأشرفها .

ومن ثم فان الاسلام قد جاء يلبي في الانسان داعية حيويته ، ويغطي فيه جانبا نفسيا بأسلو ب تربوي حكيم وفريد .

وفي الحديث الصحيح يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله : « ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي » ,, يقول الفيروز ابادي في كتابه « بصائر ذوي التمييز » :

« الرجاء عبودية وتعلق بالله من حيث اسمه البر المحسن فذلك التعبد والتعلق بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري . قوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته على غضبه . ولولا روح الرجاء لعطلت عبوديته القلب والجوارح . ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الارادات » .

لولا التعلق بالرجاء تقطعت نفس المحب تحسرا وتمزقا
وكذلك لولا برده لحرارة الأ كباد ذابت بالحجاب تحرقا
أيكون قط حليف حب لا يرى برجائه لحبيبه متعلقا
أم كلما قويت محبته له قوى الرجاء فزاد فيه تشوقا
لولا الرجاء يحدو المطى لما سرت بحمولها لديارهم ترجو اللقا

فالرجاء يحفظ على النفس بسطها وتفتحها ، وتطلعها الى الكمال ، وتدرجها فيه وانطلاقها في افق أعلى تحلق فيه بكل أملها في الله وأمنيتها عنده ورجائها إياه ، لا تقيدها عقدة ، ولا يحبسها ذنب ،ولا يوقف سعيها يأس ، ولا يجمد حركتها قنوط ، ولا يقطع الطريق عليها الى الله سعار المادة ، ولا تعثر الفطرة ، ولا يضيق عليها الخناق أبدا مهما كانت قبضة المعصية أو ضراوة الخطأ ، أو شراسة الاثم .

والايمان لا يزكو في النفس ، ولا يستقيم المؤمن بعبادته على الجادة ، الا اذا لفه الخوف من ربه ، وغمره الرجاء فيه . وأيقن تماما أن الجنة والنار كليهما أقرب اليه من أي شيء .

ولو يعلم الناس ما لدى الله من العدل والعقوبة ، ما أقدم على معصيته أحد ، ولو يعلمون ما لدى الله من الفضل والمثوبة ما قنط من رحمته أحد .

يا صاحب الهم ان الهم منفرج أبشر بخير فان الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأس فان الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فان الصانع الله
اذا بليت فثق بالله وأرض به ان الذي يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

فالله سبحانه وتعالى لم يطمعنا في شيء قدر ما أطعمنا في رحمته ، ولم يحذرنا من شيء قدر ما حذرنا من عقابه ، ولم يسرع بشيء قدر اسراعه بقبوله ، ورضوانه ، وقربه لأهل دعائه ورجائه ، والأمل فيه والقرب منه .

والايمان لا يكتمل ، والعبادة لا تستقيم ، الا اذا حلّق المؤمن في دينه وأعماله بجناحي الخوف والرجاء . من حيث يدفعه الخوف الى اجتناب الاهمال ، والتفريط ، والبعد عن القصور ، والتراخي ، وضبط النفس على حسن العمل ، واتقان أدائه ، والاخلاص فيه ، ومراقبة الله في جليله ودقيقه ..

والانسان لا يستوي يقينه ولا يكتمل ايمانه ، ولا يصلح عمله ، ولا تستقيم عبادته ، ولا تزكو فطرته ، إلا بخوفه من ربه ورجائه فيه ، ولا يتزن الانسان ولا تسقيم مسيرته إلا اذا كانت حياته مزيجا من الخوف والرجاء ، وأمشاجا من رغبته في ربه ورهبته منه .. لذا جاء الاسلام يدعونا إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى والرجاء فيه ، والخوف الذي نستشعر فيه عظمة الله وجلاله وقيوميته

ومراقبته وخشيته والشعور الموصول بهيبته إلى غير ذلك مما يقود الى تنظيم محارم الله ، واحترام حدوده ، والتطبيق الكامل لأوامره ، والانتهاء التام عن نواهيه .

والرجاء الذي يفتح للمؤمن بالله باب الأمل والتطلع الى ما لدى الله من فضل أعده للعاملين المؤمنين من مثوبة ، وما وعدهم به من أجر مضاعف ، ونعيم مزيد ، ثم ما يمنحه هذا الرجاء للانسان من نعمة التعلق بالله ، واللجوء اليه ان يقبله اذا عثر ، وأن ينهضه اذا كبا ، وأن يمد اليه يد العون بحبل الانقاذ والنجدة ساعة الضيق ولحظات الحرج .

فالرجاء والخوف جناحان بهما يطير المؤمنون بالله سبحانه وتعالى الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع المقربون كل عقبة كؤود .

والمسلمون في حاجة الى الادراك الواعي بعمق مفهوم الرجاء في الرسالة الاسلامية . ولا رجاء للمسلمين في شرق ولا في غرب ولا في مذاهب دبجها سماسرة الفكر البشري . فالرجاء كل الرجاء في الله سبحانه وتعالى ، وفي رسالة الاسلام التي جاءنا بها الرسول الصادق الأمين ، ويقول عليه الصلاة والسلام « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم » ..

ولعلنا ندرك في وضوح أن الله سبحانه وتعالى ربط المسلمين برسالة الاسلام ، وبالاقتداء بصاحب الرسالة الكبرى محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى لا يضل المسلمون الطريق السليم ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى : «« **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » .

والأسوة بمعنى الاقتداء ، وهي اسم وضع موضع المصدر وهو الائتساء كالقدوة من الاقتداء ، وائتسى فلان بفلان أي اقتدى به .

ومن هنا كان كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية الراجين الله سبحانه وتعالى صورة حية لحياة الرسول الصادق الأمين ، بيانا ، وجهادا وعبادة ، وثباتا ، واقداما ، وحزما .

ولو يعلم الناس ما لدى الله تعالى من فضل ورحمة لأهل خشيته والخوف منه ، والاجلال له ، وأصحاب القرب منه ، واللجوء اليه ، والرجاء فيه ، لأوغلوا في ذلك ، وألحفوا فيه ، وأكثروا من طمعهم في الله .

ان الاسلام يدعونا الى الرجاء في الله ، ويأمر ان يكون سلوكنا انعكاسا طبيعيا للرجاء وما يستتبع ذلك من مراقبة الله في كل شأن ، ومحاولة الاجادة في كل عمل ، وضرورة الاتقان في كل أمر ، مشفقين على أنفسنا من التفريط ، حذرين عليها من التقصير ، طامعين في الكمال ، راجين الأجر والثواب .

ويوم أن كان المسلمون يرجون الله سبحانه وتعالى وحده كانوا سادة الدنيا بحق ، وكان العدو يتهيب بأسهم ويخشى سلطانهم . وكان الشرق والغرب يعمل لهم ألف حساب ، وما أشد حاجتنا أفرادا وجماعات الى الحق نهتدي به ، ونحتكم اليه ، ونمضي في حياتنا على هداه ، حتى يكتمل ايماننا ويستقيم يقيننا ، ويصلح عملنا .

من الإمام مالك

للأستاذ / عبد الجواد محمد الخضري

من واجب علماء الدين الداعين الى الله أن يوجهوا السلطان إلى ما فيه خير البلاد والعباد ، بيد أن صلاح الأمراء مرتبط بتوجيه العلماء ، وحين يرفض الحكام آراء الدعاة فلا عليك منهم ..

وسنعرض هنا لرسالة بعث بها إمام دار الهجرة (مالك بن أنس » إلى (هارون الرشيد) ووزيره (يحيى البرمكي) وقد علم عن مالك أنه كان يتعاون مع القادة وقيل له : « إنك تدخل على السلاطين وهم يجورون ويظلمون فقال لمحدثه : رحمك الله ! وأين المتكلم بالحق » ؟!

بيئته وثقافته

ولد مالك بن أنس بن مالك .. الأصبحي اليمني عام ثلاث وتسعين من الهجرة مدني الدار والمولد والنشأة يقول واصفه : « كان أشبه شيء بالملوك » كان طويلا جسيما عظيما .. تتلمذ على أيدي (ربيعة وابن هرمز وابن شهاب) وغيرهم اشتهر بجودة الحفظ والاستيعاب حتى بلغ

إلى قادة المسلمين

درجة لا يقارن بها أحد ، ولعل أعظم شهادة تنطبق عليه قوله : صلى الله عليه وسلم ـ يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة » جلس للفتوى ولم يبلغ سبعة عشر عاما صنف مؤلفات أعلاها قدرا (الموطأ) ويعد من مصادر تدوين الحديث الأولى وافته المنية لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ـ رحمه الله ـ

مع المنصور ..

لا ريب أن اقتراب مالك من الحكام كان لمصلحة الدين وللتذكرة والتبصرة وقد استشاره الخليفة المنصور في بعض أموره وكتب إليه ما نصه : « إن رأيت ريبة في عامل المدينة أو عامل مكة ، أو أحد عمال الحجاز فاكتب إلي بذلك أنزل بهم ما يستحقون » .. أ هـ » .

وفي الحق أن الامام لم يك إمعة أو لينا بل كان صاحب رأي نافذ غير هياب يدور مع الحق أنى دار ، وقف كالطود الأشم في محنته « لقد أفتى بحق وضرب بباطل » فما لان أو استكان بل وقف مثالا للفداء على مر الدهور .

هذه الرسالة ...

تقع في ثلاثين ورقة طبعت ثلاث طبعات آخرها (الناشر العربي بالقاهرة) وقد اطلعت عليها مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم

(١٣٠١) تصوف وأخلاق وللأسف لم تحقق لليوم وطبعاتها رديئة على الرغم من أهميتها كشاهد على أدب العلماء مع الأمراء ... استهلها بقوله ... أما بعد فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشدا ولم أدخرك فيه نصحا تحميدا لله وأدبا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتدبره بعقلك وردد فيه بصرك وأرعه سمعك ثم اعقله بقلبك ... قلت : والنصائح جاءت على وتيرة منتظمة تعالج أخطاء السلوك والعقيدة والعبادة أما السلوكيات فمنها : « أذكر نفسك غمرات الموت وكربه وما هو نازل بك منه وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله ثم الحساب ثم الخلود بعد الحساب ، وأعد لله - عز وجل - ما يسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها .. »

وكأني به وهو يوجه القادة الذين سكرتهم نشوة الدنيا فعاثوا في الأرض فسادا ثم فاتهم أن القيامة آتية لا ريب والحساب واقع لا محالة إنه يذكر هذا الصنف أن يراجع نفسه مع الله ومع الناس حتى ينجو من عذاب الله ثم يوجه الامام أوامره قائلا :

« مر بطاعة الله وحبب عليها وانه عن معاصي الله وأبغض عليها .. بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإنما هلك من كان قبلكم بتركهم نهيهم عن المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار »أخرجه الترمذي .

وبديهي أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احدى أصول الدين الاسلامي التي بنى عليها أساس العقيدة وحين يعيش الزعيم في برج عاجي ، يغيب عن وعي الشعب فيصبح وكأن لم يكن ولذا يحذر الامام : « إياك والكبر والزهو فإن الله - عز وجل - لا يحبهما وبلغني عن بعض العلماء أنه قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس بتكبرهم على الله - عز وجل - لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله فانه بلغني عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : «شاور في أمرك الذين يخافون الله » .

ومما يؤسف له في عصرنا أن يعتقد بعض الحكام أن الحكم مغنم لا مغرم فيتكبرون في الأرض بغير الحق ، ويعطون لأنفسهم أوسمة المجد والخلود وهي عند الله هواء ، وكيف يتسنى لحاكم يحتقر أهله أن يسود من أجل هذا فطن الامام للأمر فقال : « أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لرجل : « لا تسأل الناس » أخرجه السيوطي عن أبي سعيد وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك .. لا تكثر الشخوص من بيتك إلا في أمر لا بد منه .. اتق أهل الفحش ومخالطة أهل الردى ومحادثة الضعة من الناس بلغني أن ابن مسعود قال : « اعتبر الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل الرجل مثله » ..

وفي معنى طلب الحوائج الضرائب الباهظة التي ينفقها الحاكم على ذويه ويحرم منها الشعب ، وإنك لواجد في

نصيحته بعدم الشخوص (أي الخروج) ما يصلح الدين ولعل الذين يكثرون رحلات الترفيه أن يعتبروا !! ولو نظرت إلى المواعظ العقائدية لوجدتها مستقاة من الحديث النبوي الشريف ، وقد استعمل فيها الايجاز حتى لا يمل الحاكم منها .. « إياك والرياء فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرائي إلى الله عز وجل ولا يزكيه عنده إن استطعت أن تعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فانه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها غيره فرب غائب أحفظ من شاهد ورب حامل فقه غير فقيه » رواه اصحاب السنن عن ابي مسعود إنه يحذر من المباهاة بالأعمال وهي بلية تأكل الحسنات ، ولم يمن الحاكم على الرعية وهو راعيها ؟! وقد تفشت تلك المثلبة اليوم وكأن المشاريع التي نفذها أولئك من خزائنهم ... ثم يوجه مالك القادة إلى طريق العقيدة المستقيم قائلا :

« إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا فليكن مفزعك فيها إلى الله - عز وجل - حين تنزل بك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لن ينزل بعبد قط أمر كان مفزعه فيه إلى الله إلا فرج الله عنه »

لله درك ! ومن أصدق من الرسول حديثا ، إن الانسان يجب أن يلجأ إلى الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ومن تمام الايمان أن تجعل الله نصب عينيك في البأساء والضراء حتى تسعد في دنياك وآخرتك . وتأمل معي تلك المشاعل المضيئة بنور الايمان تهدي ضلال السلوك ، وتقوم اعوجاج المعاملة ، يبثها إمام دار الهجرة وهو يعلم أن عمره بيد المالك جل وعلا يقول : « لا تدهن في مدهن ذهب ، ولا فضة ولا تستجمر في مجامر منهما بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عن الشرب في إناء الذهب والفضة ، لا تنم على الحرير والديباج فإنها لبسة النساء .. إذا رأيت أمرا في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره فلا تحابين منهم أحدا وقم بالذي يحق عليك ... » .

فهل آن لهؤلاء الذين يبذرون أموال البلاد فيما نهى الله عنه أن يتقوا الله في تصرفاتهم ، لقد قرأت خبرا يقول : إن أحدهم كلف يخته الشخصي (١٣) مليون دولارا !!!

هلا تذكر إخوته في (أفغانستان واريتريا والفلبين) إن ثلاثة عشر مليون فقير يئنون من الجوع والتشرد والضياع ما هذا يا سادة ؟! رحمك الله يا إمام الأئمة !

وإلى علماء الأمة أقول :

لو أنكم صنتم العلم عن التزلف للأعتاب والتمسح في الألقاب لتقبل الحاكم منكم النصيحة ، وشكركم عليها ، إن واجبنا نحن الدعاة أن نخلص العمل لله تعالى :

« **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » .

حينها ستنعم الأمة بالاسلام والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الاعجاز الطبي في الحديث النبوي

النخالة

للدكتور/ فاروق مساهل

لتعاليم الاسلام وتوجيهاته السبق دائما في كل مجال ، والفوز مطلقا في كل ميدان ، وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الاسلام يعلو ولا يعلى عليه » رواه الدارقطني والبيهقي

وفي مجال صحة الفرد والمجتمع ، فإن الاسلام ترك الطب يلهث وراءه محاولا الوصول إلى حكمه ، واستنباط فوائده ، مؤكدا أن الاسلام لم يبخل على البشرية بإرشاداته الغالية التي لو اتبعت لكانت خيرا وسعادة على الناس في حياتهم الدنيا لما لها من أثر على صحتهم وعافيتهم ، وفي الآخرة بما لها من ثواب ونعيم مقيم .

يقول الله سبحانه وتعالى : « **وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** » آل عمران : ١٣٢ ، ويقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي : كتاب الله وسنتي »رواه مالك

والمعجزة الطبية التي أمامنا الآن هي عن النخالة في الطعام [٣] والتي

جاءت في الحديث الشريف الذي رواه أبو حازم (سلمة بن دينار) قال : **(سألت سهل بن سعد ، فقلت : هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي ؟**[1] **فقال سهل : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله . فقلت : هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل ؟**[2] **قال : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله ، فقلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ غير منخول قال : كنا نطحنه وننفخه ، فيطير ما طار ، وما بقي ثريناه (اي بللناه) رواه البخاري والترمذي واحمد**

لقد كان مفهومنا لهذا الحديث الشريف حتى وقت قريب مقتصرا على جوانب الزهد في المأكل ، والخشونة في العيش ، إلا أن الحديث الشريف ينفرد بأشياء تجعل مفهومه لا يقتصر فقط على مظاهر التقشف وحدها ، فتكرار نفي سهل بن سعد رضي الله عنه لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم للخبز الأبيض أو لاستعماله للمناخل يجعل لهذا الأمر أهمية خاصة ، كذلك فإن طول المدة واستمرارها ، من أول البعثة المحمدية المباركة - مع الحرص على تطبيقها بالرغم من وجود الدقيق الابيض - حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلها سنة مؤكدة عن المصطفى صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

ولقد تأكد الطب منذ عهد قريب من وجود علاقة بين نقص أو غياب النخالة من الطعام وكذلك الألياف الموجودة في الخضروات والفواكه وبين مجموعة من أمراض القناة الهضمية التي تصيب الانسان ، ويؤدي بعضها إلى هلاكه ، وأهمها :

١ - **الامساك المزمن** : إذا لم تحتو الوجبة الغذائية على النخالة أو الألياف فإن ما يتكون من بقايا الطعام لا يكفي لتنبيه الأمعاء لكي تتقلص وتطرد هذه النفايات إلى خارج الجسم ، وهنا يضطر المرء إلى اعتصار أمعائه أثناء قضائه لحاجته ولو استمر هذا لمدة طويلة فإنه قد يؤدي إلى مضاعفات أخرى مثل :

أ - **البواسير** : حيث تحتقن أوردة المستقيم ، وتبرز خارج فتحة الشرج ، وغالبا ما يصحبها نزيف دموي أثناء وبعد قضاء الانسان حاجته .

ب - **فتق جدار البطن** : تنفجر عضلات جدار البطن نتيجة زيادة الضغط داخل البطن عند قضاء الحاجة .

جـ - **فتق الحجاب الحاجز** : وهو الذي يفصل بين محتويات البطن من معدة وكبد وأمعاء وبين محتويات الصدر من قلب ورئتين ، ويمر خلاله المري والأوعية الدموية والأعصاب . فلو زاد الضغط في البطن فإن بعض

محتويات البطن مثل المعدة أو الأمعاء تجد طريقها إلى داخل الصدر محدثة ضيقا في التنفس واضطرابا في نبضات القلب .

٢ ـ الردب : وهو ظهور نتوءات كثيرة في الأمعاء الغليظة . والذي يحدث أن عدم احتواء الطعام على النخالة أو الألياف الناتجة عن الخضروات يؤدي إلى صغر حجم نفايات الأكل التي تصل إلى الآمعاء الغليظة والتي تتقلص بطريقة قطعية ، ولما كان حجم هذه النفايات صغيرا فإن الأمعاء تحت هذه الظروف تتقلص بطريقة عنيفة في محاولة لملامسة جدار الأمعاء الداخلي لبقايا الطعام ، وهنا يرتفع الضغط ويزداد داخل الأمعاء الغليظة ، فيتسبب هذا الضغط المرتفع في بروز الغشاء المبطن للأمعاء الغليظة

وينتج عن الردب عوارض متعددة أهمها انتفاخ البطن ، وإحساس بالثقل في أسفل البطن يكون مصحوبا بالمغص المعوي ـ خاصة في الناحية اليسرى من البطن ـ الناتج عن تكرار تقلص الأمعاء الغليظة .

وللردب مضاعفات خطيرة منها :

أ ـ الالتهاب الردبي : حيث تقوم هذه النتوءات بتخزين بقايا الطعام الذي يتعفن بفعل الجراثيم المقيمة في تجويف الأمعاء ، فيحدث الالتهاب الحاد والذي يتكرر من حين إلى آخر ، محدثا ألما مستمرا في البطن وارتفاعا في حرارة الجسم وتوعكا عاما في البدن .

ب ـ الانثقاب الردبي : ويؤدي إما إلى حدوث خرّاج متقيح محلى حول الأمعاء بسبب وجود ثقب في جدار النتوء الردبي بفعل الالتهاب المتكرر ، وإما إلى التهاب الصفاق (وهو الغشاء الذي يلف أعضاء البطن) ونسبة الموت فيه مرتفعة .

جـ ـ إنسداد الأمعاء : الناتج عن الالتصاقات المتوالية الناشئة عن الالتهاب الردبي .

د ـ النـزيف الدمـوي المعوي : ويحدث في ١٧٪ من حالات الردب ، والتي غالبا ما تحتاج إلى نقل الدم لانقاذ حياة المريض .

هـ ـ الناسور : ويحدث في ٥٪ من كل حالات الردب . ويتكون الناسور بين الأمعاء الغليظة وبين كل من : **ـ مثانة البول** : فيشكو المريض من خروج الريح أو الغائط من قناة مجرى البول .

ـ المهبل : ويتسبب الناسور في شكوى المريضة من خروج ريح أو براز من المهبل .

ـ الجلد : حيث يصل الناسور ما بين الأمعاء الكبيرة وسطح الجلد .

وللوقاية من الردب أو علاجه لا بد من وجود النخالة في الطعام .

٣ ـ سرطان الأمعاء الكبيرة الخبيث : وهذا المرض يقتل كل عام خمسين ألف شخص من الامريكيين (فيكون ثاني سرطان يفتك بالأمريكيين بعد سرطان الرئة الناتج عن التدخين) ، وعشرة آلاف شخص من الانجليز (وهم سكان انجلترا

وويلز ، بخلاف سكان اسكتلنده وإيرنلدة)

ويعتقد بأن السبب في حدوث هذا المرض هو أن المواد الناتجة عن هضم الطعام ، والتي تمر داخل الأمعاء الغليظة في طريقها للخارج تحتوي على مواد سرطانية تهاجم جدار الأمعاء الكبيرة من الداخل مسببة حدوث السرطان الخبيث ، ولوجود النخالة داخل تجويف الأمعاء الكبيرة دور كبير جدا في احتواء هذه المواد السرطانية ومصاحبتها إلى خارج الجسم مع الغائط ، حيث لا تصل إلى جدار الأمعاء الداخلي .

وينقسم سرطان الأمعاء الكبيرة إلى أربعة أقسام :

١ - **السرطان الحلقي** : على هيئة حلقة دائرية .
٢ - **النوع الأنبوبي** : الذي يحدث في جزء أطول من الأمعاء .
٣ - **النوع القرحي** : على شكل قرحة بارزة داخل تجويف الأمعاء .
٤ - **النوع القنبيطي** : وسمي كذلك لشبهه بنبات القنبيط .

ويؤدي سرطان الأمعاء الكبيرة إلى إصابة الانسان بالنزيف الدموي المعوي والذي يخرج مع البراز ، وبفقر الدم ، وفقدان الشهية ونقص وزن الجسم المميز لإصابة الانسان بالسرطان ، وبعسر الهضم ، والقيء الملازم للمغص المعوي ، وبانسداد الأمعاء .

وتمثل أشعة الأمعاء بصبغة الباريوم أهم وسيلة في تشخيص هذا السرطان الخبيث

وكثيرا ما يتم التعرف على المرض أثناء الجراحة الطارئة للانسداد المعوي .

وينمو سرطان الأمعاء الكبيرة الخبيث ببطء نسبي ، وينتشر إلى الغدد الليمفاوية الموجودة في داخل البطن ، وينبث متأخرا بواسطة الدم إلى الكبد .

ولو تم تشخيص هذا السرطان مبكرا لكان بالإمكان استئصاله ، ولكان معدل عودته مرة أخرى أقل من أن لو اكتشف في طور متأخر .

من أجل كل هذا فإن الجهات الصحية في دول كثيرة تنصح مواطنيها بتناول النخالة مع الوجبات الغذائية ، بعد أن جنت عليهم « وجبة الفرنجة » الخالية منها ، وأصبحت النخالة الآن تباع في محلات الطعام في صور متعددة كمسحوق أو كأقراص .

وعجبت من تصرف الانسان : يبذل الجهد والمال لفصل النخالة عن الدقيق ، ثم يبذل الجهد والمال في وضعها في أشكال مختلفة يشتريها الناس !!

وهنيئا للمسلمين بدينهم لو اتبعوه وعملوا بكل ما جاء به من تعليمات وإرشادات ، وبما أوضحه لهم رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، **واتقوا الله إن الله شديد العقاب** » الحشر : ٧ .

(١) الطعام والخبز الأبيض المنزوع منه النخالة ، ويسمى بالخبز الدرمك أو الخبز الشامي .
(٢) جمع منخل وهو الذي يفصل النخالة عن الدقيق .

الملاكمة

رياضة إتلاف المخ

للدكتور/نبيل سليم

تقول التقديرات إن حوالي ١٢ مليون أمريكي قد أصيبوا نتيجة لمزاولة الألعاب الرياضية عام ١٩٦٣ ، وفي عام ١٩٧٣ ارتفع العدد الى ١٧ مليون .. وفي العام الماضي زاد الى ٢٠ مليون . ولا شك ان ممارسة مختلف ألوان الرياضة هدف جميل لأنها تعود على أصحابها بالصحة والعافية وتكسبهم مزيدا من الحيوية والنشاط فصحة الأبدان والعقول مطلب كل انسان ، ولكن أن تتحول اللعبة الرياضية الى لعبة مؤذية تضر بصحة اللاعبين فهذا أمر لا يمكن السكوت عليه ويستلزم منا التدخل السريع .

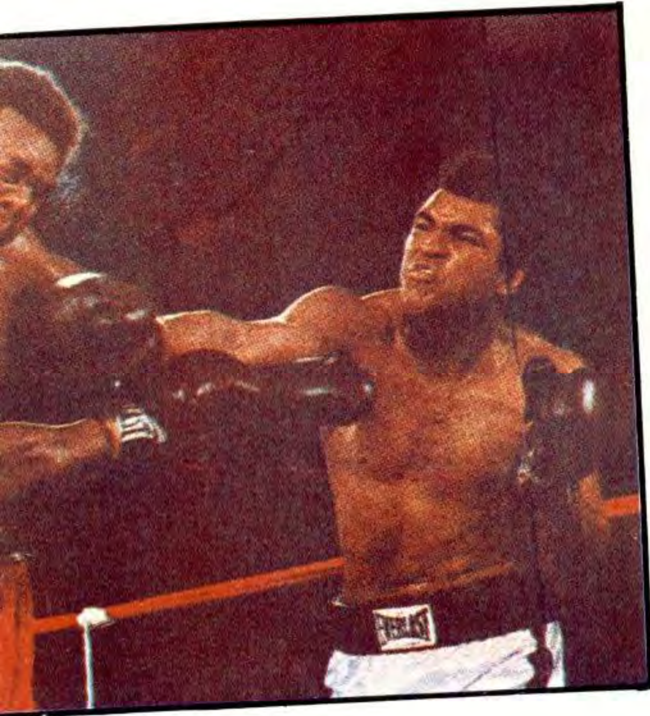
فهناك أنواع من الرياضة يتنافس فيها الأفراد ليتغلب أحدهم على الآخر بدنيا ، مثل المصارعة بأنواعها ثم الملاكمة ، **والملاكمة هي أسوأ أنواع الألعاب الرياضية** بل ربما لم تكن تستحق أن تسمى «**رياضة**» رغم أنها في دول الغرب حيث تنتشر الملاكمة انتشارا كبيرا خاصة في المدارس والجامعات ، بل تعتبر لعبة شعبية ،

وتجد لها عشاقا من شباب هذه الدول المتقدمة بل والنامية على حد سواء - أصبح انتشارها على أساس الاحتراف ، ومن الغريب أنهم يسمونها « **الرياضة النبيلة للدفاع عن النفس** » ! لكنهم ينسون أو يتناسون ، أن الهدف الرئيسي منها إيذاء الخصم وطرحه أرضا ، ويفضل أن يكون ذلك بالضربة « القاضية » - كما يسمونها - وهي ذروة درجات الفوز في الملاكمة !

وقد ارتفعت أصوات كثيرة في برلمانات دول كثيرة ، تطالب بمنع ممارسة الملاكمة للمحترفين نظرا للأذى الذي يلحق بكثير من ممارسيها ، بل نجحت السويد في ذلك بينما فشلت دول كثيرة في تنفيذ هذا المنع ، رغم الأذى اللاحق بالملاكمين المحترفين والوفيات العديدة التي تحدث نتيجة مباشرة لهذه « الرياضة » العنيفة وكان آخرهم الملاكم « دوك كو » من كوريا الجنوبية واليكم هذه الحادثة المؤسفة التي وقعت في أمريكا .

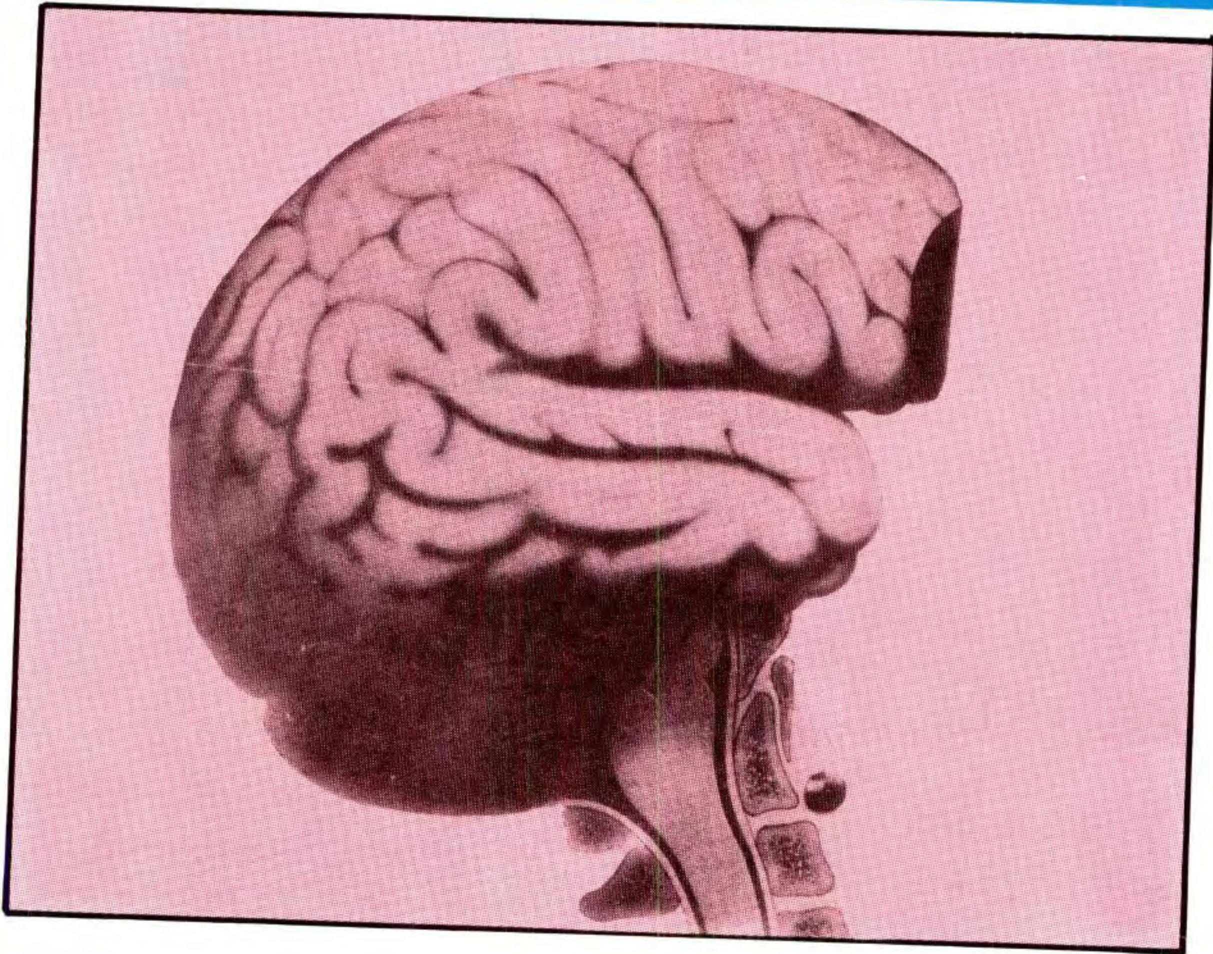
● رياضة الموت ●

تلقى « جوني أوين » لكمة على فكه ، فهوى على الأرض ، ويبدو أنه تحامل على نفسه ونهض على قدميه قبل أن يسترد وعيه تماما ، اذ إنه ما ان تلقى لكمة ثانية حتى سقط على الأرض فاقد الوعي ويبدو أن الحكم أدرك ما حدث ، فلم يبدأ العد ، كما هي العادة ، في انتظار نهوضه ، بل



أوقف المباراة . وبعد لحظات أدرك خصم « أوين » أيضا جسامة الضرر الذي ألحقه به فأعلن أنه في غاية الحزن والأسف ، ولكن اللعبة كانت تقتضي ذلك !! إما أن يكون منتصرا أو مهزوما !!!

ومضت سنتان على هذه المباراة التي كانت آخر مباراة يشترك فيها « جوني أوين » والذي كان قد سافر من ويلز إلى « لوس أنجلوس » سعيا وراء بطولة العالم في الملاكمة ، ولكنه للأسف لم يحقق ما كان يصبو اليه بل أنه فقد حياته ثمنا لذلك ، فبعد تلقيه الضربة القاضية في هذه المباراة ظل لبضعة أسابيع في غيبوبة COMA تامة قبل أن يعلن الأطباء أنه لفظ أنفاسه الأخيرة ، وطيلة هذه الأسابيع ، كان أبوه لا يفارق مكانه بجوار سريره في المستشفى لحظة واحدة .



وكان التقرير الطبي يقول « انه كان هناك عيب خلقي في عظام فك « أوين » لم يكن يدري عنه شيئا قبل حدوث هذه المأساة ، وكان سمك عظام الفك ضعف سمك عظام فك أي شخص عادي ، ولكن في مقابل ذلك كانت عظام جمجمته هشة للغاية ورقيقة كعظام جمجمة طفل لذلك عندما تلقى أوين الضربة القاضية على فكه ، لم تتهشم عظام الفك كما كان متوقعا ، وانما انزلقت لصلابتها إلى أعلى مهشمة عظام الجمجمة ومتغلغلة الى داخل المخ » . إن جوني أوين ليس إلا واحدا من ثمانمائة وخمسين ملاكما لقوا حتفهم نتيجة إصابات لحقت بهم في حلبة الملاكمة منذ عام ١٩٦٠ وحتى الآن .

والحقيقة أن وفاة هذا العدد الكبير من الملاكمين كان السبب وراء ارتفاع أصوات كثيرة تنادي بإلغاء هذه اللعبة أو على الأقل وضع قواعد صارمة تحد من عنفها .

ونحن معشر الأطباء نريد أن نظهر للعالم كله أن الملاكمة **لعبة خطرة للغاية** ليس بسبب تزايد عدد من يلقون حتفهم بسببها فحسب ولكن بسبب العاهات التي تصيب أضعاف هذا العدد ، وفي سبيل تحقيق ذلك فإننا نحاول الضغط على هيئات رسمية مختلفة من أجل التنديد بهذه اللعبة

وعدم اعتبارها ضمن الألعاب الرياضية ، وأؤكد هنا مرة ثانية أن خطورة هذه اللعبة تكمن في الضرر الذي تلحقه بالمئات من ممارسيها نتيجة العاهات التي تصيبهم .

غير أن هنري كوبر أحد أبطال أوروبا السابقين في الوزن الثقيل له رأي آخر يقول « ما زلت أعتقد أن لعبة الملاكمة للهواة من أفضل الألعاب الرياضية التي يمكن لشاب أن يمارسها ، ففي رأيي أنها لعبة تنمي الشخصية وتقوي العزيمة ، فالملاكمة تقوم على ضبط النفس سواء في الحلبة أو في مكان التدريب أو في حياة اللاعب اليومية ، انك تتعلم ،! وهنا أقول بوجه خاص في حلبة الملاكمة ، إنك إذا تلقيت لكمة على أنفك تجعل عينيك تدمعان ، فإنك حينئذ ، لا تخفض رأسك وتسير كالتائه خشية أن تتلقى ضربة أسوأ بكثير من الأولى بل سوف تجد نفسك تجابه الموقف بشجاعة » .

وعندما سئل هنري كوبر عن الألم والمعاناة الدائمين اللذين يتعرض لهما من يمارس هذه اللعبة قال :

« إن الملاكمة ليست مؤلمة بالقدر الذي يتخيله الكثيرون وخاصة من خارج إطار اللعبة والمشتركين فيها . لماذا ؟ الاجابة بسيطة جدا ، وهي أنك قبل نزولك إلى الحلبة واشتراكك في مباراة لا بد أن تكون قد قضيت أعواما في التدريب مما يجعل بدنك قويا للغاية ويمكنه تحمل الضربات أو حتى الصدمات التي تسببها هذه الضربات ، انك تقوم بتدريبات عنيفة لتقوية عظام وعضلات الرقبة ، والوجه . أقول لك شيئا آخر ، وهو أن أهم تدريب يقوم به الملاكم لسنوات قبل اشتراكه في مباراة رسمية هو كيفية تفادي الضربات الموجهة الى وجهه وخاصة الضربات القاضية . قد يخيل اليك وأنت جالس في منزلك تشاهد مباراة الملاكمة على شاشة التلفزيون أن هناك مجزرة تحدث في الحلبة ، وتقول « يا الهي ! كل هذه الضربات تسدد الى وجهه ! » والحقيقة غير ذلك تماما ، فمعظم هذه اللكمات تطيش في الهواء بعد أن يتفاداها الشخص الذي تكون موجهة اليه وفي أغلب الأحيان لا يصيبه منها إلا مجرد لطمة جانبية بسيطة !!

وأقول : لحسن حظ هنري كوبر أن أحدا من الذين لقوا حتفهم « كجوني أوين » لا يستطيع أن يخبرنا بالضبط عن مدى الألم الذي شعر به وهو يتلقى اللكمات التي تنهال على وجهه كالمطر .

● المقاتلون الجائعون ●

واذا استعرضنا تاريخ لعبة الملاكمة فسوف نجد بجانب المحترفين الحقيقيين الذين أحرزوا بطولات فيها ، طائفة يمكن أن نطلق عليها اسم « **المقاتلون الجائعون** » ، فقد حدث في الثلاثينات من هذا القرن عندما أصاب الركود الاقتصاد العالمي دول أوروبا بأسرها أن ظهرت جماعة من الرجال كانت تعتمد في كسب عيشها على قبضتها . ولكن « ماك وليامز » أحد مديري اللعبة في ويلز

يقول « لقد انتهى ذلك العصر تماما ، ولم تعد الملاكمة وسيلة لإبعاد شبح الجوع عن الانسان فحسب ، بل أصبحت وسيلة لكي يصبح لاعبوها من أصحاب الملايين . إن عدد هؤلاء يفوق عددهم في أي لعبة أخرى .

وقد يتبادر إلى الذهن أن نقول : ولكنهم يدفعون الثمن غاليا . بعضهم يفقد حياته كجوني أوين والبعض الآخر يعيش بقية حياته شبه أعمى أو أصم أو صاحب عاهة أخرى . وأقول لك إن هناك أمثلة فظيعة بدون شك . ولكن أسوق اليك والى جميع من ينادون بالغاء اللعبة مثالا على أنها ليست اللعبة الرياضية الخطيرة الوحيدة . كثير منا يذكرون « فيكتور لنداس » الذي كان بطل العالم في الملاكمة في الوزن الخفيف ، لقد تحول بعد اعتزاله الملاكمة ، الى ممارسة سباق السيارات وفي أول سباق له لقى مصرعه » .

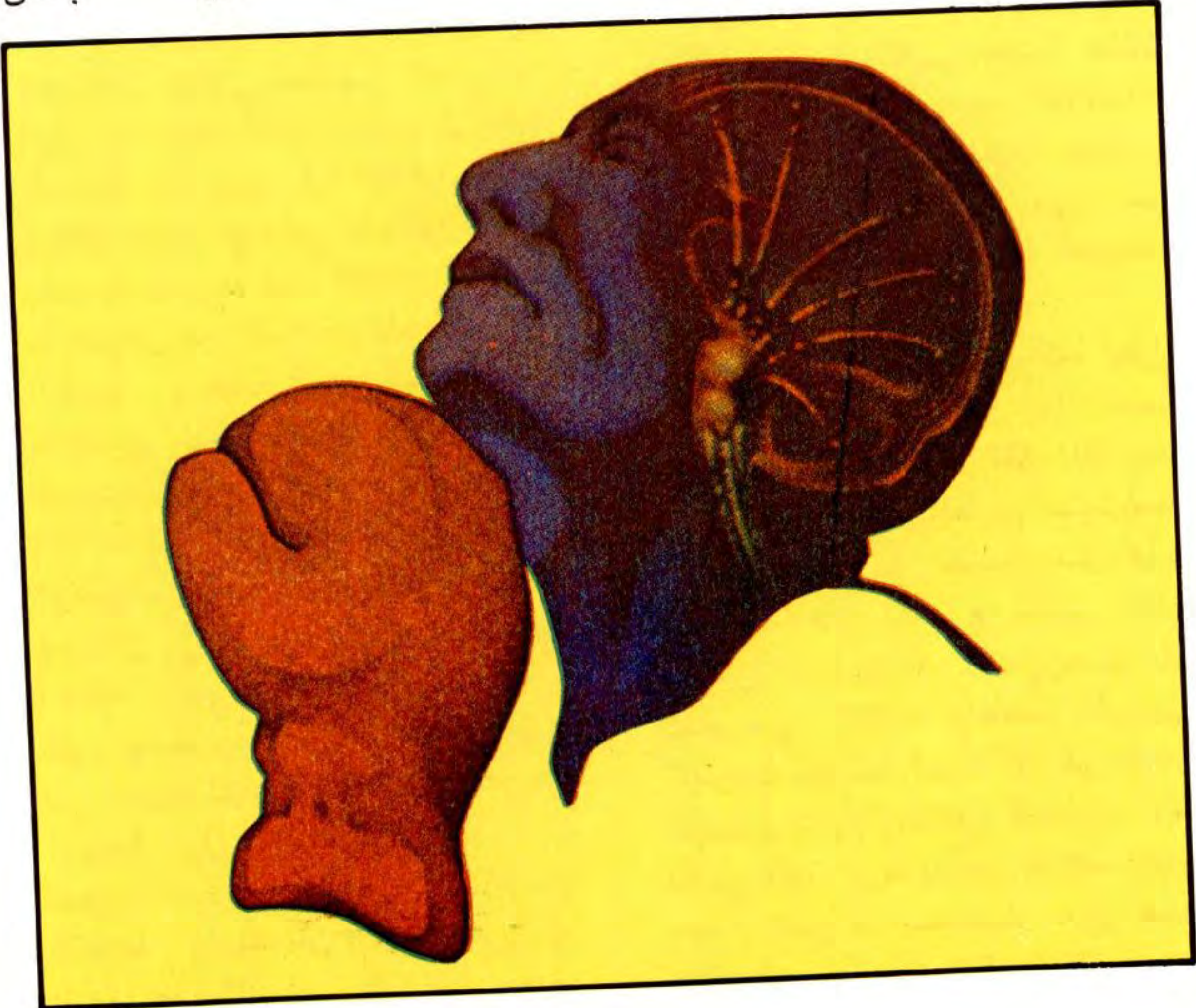
ولكن ... نحن كأطباء لسنا قلقين بشأن عدد الذين يموتون نتيجة لممارسة الرياضة إذ أن عدد هؤلاء أقل بكثير من عدد ضحايا هذه الألعاب ممن أصيبوا بعاهات خطيرة لذا يقول جيه . ر . وليامز أحد لاعبي كرة الرجبي المعروفين انه سيفتح عيادة

متخصصة في معالجة الاصابات التي تلحق بالرياضيين .

وحقيقة لا يمكن بسهولة تصور ما يحدث داخل جسم الانسان نتيجة تعرضه لضربة وراء أخرى على عظام الفك أو الجمجمة . إن الشيء المحتمل حدوثه دائما هو نزيف داخلي سواء في أنسجة المخ نفسه أو في الأغشية المحيطة به . ونتيجة لذلك فقد يحدث على المدى الطويل ، بعد الاسعافات الأولية ضمور في خلايا المخ وتدهور في بعض مراكزه . وهناك أيضا حالة قد تحدث للشخص المصاب وهي فقدانه التوازن بقية حياته فيتصرف وكأنه شخص مخمور تماما . وفي الحقيقة فإن شخصيته تتعرض لتغير كبير وأحيانا تام » .

وعندما سئل « جيه . ر . وليامز » عما إذا كانت هناك وسائل يمكن بواسطتها تقليل خطر لعبة رياضية عنيفة كالملاكمة دون اللجوء إلى إلغائها ، خاصة وانها تتمتع بشعبية كبيرة من قبل الجمهور الذي يجد في مشاهدة مبارياتها الكثير من المتعة والإثارة قال :

« هناك بالطبع وسائل يجري بحثها الآن من قبل بعض الهيئات المقتنعة بعنف هذه الرياضة ، البعض



ينادون بأن تكون القفازات المستخدمة أخف وزنا كما يجب أن تغطي أرضية الحلبة بنوع من « القانون » الذي سنته هيئة الملاكمة البريطانية والذي يقضي بإبعاد أي لاعب عن الحلبة لمدة ثلاثة أسابيع على الأقل اذا أصيب بضربة قاضية ، حتى ولو كانت غير عنيفة » .

وهناك رأي آخر من الآراء التي تنادي بإيجاد حل وسط يختص بإبقاء لعبة الملاكمة على ما هي عليه أو الغائها ، هذا الرأي يتمسك به « آيدي توماس » أحد مديري اللعبة في جنوب ويلز :

« قد يرى البعض في رأيي شيئا من القسوة ، ولكني بمنتهى الصراحة أقول إن هناك أناسا يقفون في حلبة الملاكمة لا يجب أن يكونوا هناك إطلاقا انهم في رأيي ما زالوا أطفالا بالنسبة لممارسة هذه اللعبة . فأحيانا ما يكونون غير أكفاء من ناحية اللياقة البدنية ، وأحيانا أخرى يكونون غير مؤهلين للاشتراك في مباراة للمحترفين ، حيث أنهم لم يتدربوا على ذلك بما فيه الكفاية . نصيحتي لهؤلاء الأشخاص أن ينسحبوا من الميدان قبل أن يصيبهم ضرر لا يمكنهم تحمله . انني كمدير للعبة الملاكمة ، أقوم بسحب أي ملاكم تحت رعايتي من الحلبة لو سقط ثلاث مرات على أرضها ، بل أحيانا قبل ذلك ، إذا شعرت أنه ليس بالمستوى اللازم من الكفاءة . وأعتقد أن باقي المديرين لو اتبعوا هذا الأسلوب لانخفض معدل الاصابات التي تلحق بالملاكمين الى درجة كبيرة . لقد رأيت بعيني بعض المديرين يسمحون للملاكمين بالاستمرار في الملاكمة بعد سقوطهم عشر مرات أو أكثر على أرض الحلبة . إنني أعتبر هذا السلوك جريمة يجب أن يعاقبوا عليها بالحبس أو بسحب تراخيصهم على الأقل » .

هناك الآن حملة يقوم بها والد « جوني أوين » الملاكم الذي لقى مصرعه قبل سنتين وتهدف هذه الحملة الى ضرورة قيام الهيئات الرياضية المسؤولة بإجراء فحص طبي دقيق يتضمن رسما كاملا للدماغ ، إذ أنه يقول لو كان ذلك متبعا لما لقى ابنه حتفه حيث أنهم كانوا سيكتشفون كم كانت هشة عظام جمجمته ولما سمحوا له بالملاكمة ، والمشكلة الوحيدة التي تقف عقبة في سبيل نجاح هذه الحملة هي : من سيتكفل بنفقات إجراء هذا الفحص الدقيق ؟

ولكن المشكلة الكبرى -كما يقول « ماك وليامز » ستنشأ إذا ألغيت اللعبة فما أخشاه هو أن تقام المباريات بشكل خفي ، وبالطبع سيتهافت الناس حينئذ على حضور مثل هذه المباريات لأن الممنوع مرغوب كما يقولون إذ سيضاف عنصر جديد الى عنصري الاثارة والمتعة اللذين توفرهما الملاكمة أصلا ألا وهو عنصر الشعور بأنهم يخالفون القانون . ولا داعي للقول ان مزيدا من العنف وعدم اتباع القواعد سيسيطر على هذه المباريات مما يعني وقوع المزيد من الوفيات والاصابات الخطيرة .



● إنذار طبي خطير ●

هذا هو حال لعبة الملاكمة اليوم . بيد أن التقارير الطبية التي بحثت مؤخرا في موضوعها أجمعت على أن ممارسة الملاكمة تعد وبالا على هؤلاء الشباب مما يستلزم الحد منها وتطويقها بالنظم والاجراءات الضرورية للتخفيف من أضرارها الجسيمة على أبدانهم وعقولهم .

وتؤكد التقارير الطبية الأمريكية والأوروبية أن ممارسة لعبة الملاكمة قد تكون سببا مباشرا في تعرض اللاعب للموت أو للإصابة بالشلل نتيجة العنف الذي تتسم به . وانطلاقا من ذلك يطالب المسؤولون بحظر ممارسة هذه اللعبة الخطيرة أو العمل على الحد منها بعد تنظيمها وتوجيهها الاتجاه السليم ، وفيما يلي نستعرض معا أهم الحقائق التي توصل اليها الباحثون في هذا الصدد :

● تبين أن حوالي ١٥٪ من مجموع الملاكمين المحترفين العالميين في أمريكا يعانون حاليا من اصابات وارتجاجات شديدة في أدمغتهم قد تعرضهم للموت

في أية لحظة إن لم يصبهم الشلل الكامل . كما ان حوالي ١٧٪ من مجموع الملاكمين المحترفين في بريطانيا أصبحوا معرضين للأضرار نفسها .

● كما تبين أن آلاف الملاكمين من الشباب الأوروبي والأمريكي قد تعرضوا لتلف مستديم في أدمغتهم واصابة بعضهم باضطرابات عقلية وفقدان الذاكرة والتلعثم في الكلام بالإضافة الى تعرضهم للإصابة بمختلف أنواع الصداع ، ورعشة اليدين ، وغير ذلك من الاضطرابات النفسية والعصبية .

في دراسة أجريت على ١٢ ملاكما فنلنديا اتضح أن عشرة منهم يعانون مما وصفتهم الدراسات بموجات غريبة في الدماغ Funny Brain Waves الأمر الذي يرجح الاصابة بتلف في عمل بعض أجزائه .

وفي دراسة أخرى أجريت في بريطانيا حديثا استخدم فيها التصوير الماسح بأشعة اكس (X Ray) على ثمانية أدمغة لملاكمين هواة ، وستة أدمغة لملاكمين محترفين تبين وجود تلف بارز وضمور في أجزاء معينة من أدمغتهم عزاها العلماء إلى لعبة الملاكمة نفسها . ولقد انعكست هذه التغييرات الدماغية على أصحابها فأصبحوا يعانون من قلة الذاكرة ، ويشكون من شدة الصداع ، والاصابة بداء « التأتأة » أو « الفأفأة» . كما أن معظم هؤلاء اللاعبين رسبوا في اختبارات الذكاء البسيطة التي أجريت عليهم .

لهذه الأسباب مجتمعة ينادي علماء الطب بضرورة التدخل لفرض رقابة أفضل حالا مما هي عليه الآن . بل ان البعض ينادي **بتحريم لعبة الملاكمة المحترفة تحريما قاطعا** .

وقصرها على ملاكمة الهواة التي لا تتعدى بضع جولات قصيرة يراعى فيها الأخذ بتقارير لياقة الملاكم الجسدية والدماغية قبل السماح له بمزاولة هذه اللعبة الخطيرة . بل يرى البعض أن الدور آت قريبا إلى لعبة المصارعة الحرة التي لا تخلو أيضا من العنف والسقوط على الأرض والاصطدام وغيره ، وفي كل ذلك ضرر بالغ على صحة العقل والجسد .. فهل يتعظ الانسان ؟



حدث في مثل هذا الشهر

صلح الحديبية

نصر عزيز وفتح مبين

للاستاذ/سعيد كامل معوض

بسم الله الرحمن الرحيم

« **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً** » الفتح/ ١ ـ ٣ .

وبعد .... فقد أتمت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عامها السادس . ست سنوات تمر .. في شوق عارم ، وحنين دافق ، ومعاناة مضنية .

ست سنوات تمر .. والمهاجرون لم يروا وطنهم الأول الأحب إلى نفوسهم ، الساكن في قلوبهم .. مكة المكرمة . ست سنوات تمر .. والرسول والمسلمون لم

يؤدوا فريضة الحج التي فرضها الله في قرآنه الكريم في السنة الخامسة للهجرة .

ست سنوات تمر .. وقولة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما خرج مهاجراً مكرهاً من مكة الحبيبة يتردد صداها في أرجاء نفسه ونفوس أصحابه : « والله اني لأعلم أنك أحب أرض الله إلى الله ورسوله ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت » .

ست سنوات تمر تملؤها الأماني الصادقة ، والدعوات الخالصة أن يجمع الله شمل هؤلاء الصابرين على بلاء الله ، الخاضعين لحكمه ، بمكة قرة العين ، وقبلة الروح .

.. وتمر الأيام تكاد تمرق ، وتتابع السنون تقرب ما كتبه الله في غيبه المجهول ، وجهاد الحق والباطل مستمر على قدم وساق ، والاسلام ينتشر في سرعة مذهلة ، تذهل أهل الباطل ، وتأخذ بألبابهم ، فيكيدون للحق ، ويتآمرون على الرسول وصحبه في خسة وغدر .. لكن الله الذي اصطفى عبده الأمين فجعله رسولاً ونبياً يخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الايمان متم نوره وان كره الكافرون .

.. ست سنوات تمر ... وتنام الدنيا وتقوم ، ويهجع الناس ويستيقظون .. إلا قلوب المؤمنين تظل ساهرة وان نامت العيون ، متعلقة بالله عز وجل تدعوه وترجوه ..

.. وينام الرسول .. والظلام يغلق الدنيا من حوله بستاره القاتم ، والليل يبسط على الاكوان رداء السكينة والصمت . ويرى الرسول في نومه انه دخل مكة ومعه الصحابة آمنين ، محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وانه دخل البيت الحرام وأخذ مفتاحه ، وطاف هو وأصحابه مع الطائفين .

.. وفي السحر يسرع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ليصلي الفجر .. منطلق الوجه ، تبدو سعادة غامرة على محياه الوضاء .. ويؤذن بلال للصلاة ، ويتجمع المسلمون خلف الرسول ليؤدوا فرضا من فروض الله في خضوع وخشوع .. وتنقضي صلاة الفجر .

.. وفي عذوبة ويقين يقص الرسول رؤياه الصادقة على أصحابه .. فيعلو صوتهم بالحمد لله والتهليل والتكبير . إن الفتح آت لا محالة .. ومكة لن تكون محرمة عليهم وعما قريب تفتح لهم الأحضان فتلقاهم لقاء من غاب عنه أحبابه ثم عادوا إليه بعد شوق حارق وانتظار طويل :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » الفتح/٢٧ .

وبسرعة البرق طار الخبر في ربوع المدينة ، وبدأت الأسئلة تنهال على

العقول والألسنة : كيف سيدخلون المسجد الحرام ويؤدون فريضة الحج ؟

كيف ستسمح قريش لهم بذلك ؟ أهي الحرب ؟!

وكيف تكون الحرب وقد أذن الرسول في الناس بالحج في شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم التي لا قتال فيها ولا سفك دم ؟!..

ودعا الرسول القبائل التي لم تسلم بعد ... إلى الاشتراك معه في الخروج إلى بيت الله الحرام مسالمين غير مقاتلين .

.. وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه غالبية المسلمين ، ومن لحق به من العرب غير المسلمين .. خرجوا جميعاً يرتدون ثياب الاحرام .. وجهتهم جميعاً بيت الله الحرام .. بيت الله الحرام وحده .. فلا قتالا يطلبون ولا حرباً يبتغون .. فاذا وقفت قريش للرسول وصحبه تريد منعه من اتيان بيت الله الحرام ، فهي بذلك تصد عن سبيل الله وتصرف الناس عن دين اسماعيل وعن ملة ابراهيم الخليل ، وهي إذاً لن تكون في موقف تحسد عليه بين القبائل الأخرى .

.. خرج الرسول وليس معه من السلاح الا ما يحمله كل مسافر معه . سلاح المسالم .. لا سلاح المحارب ، وراح الرسول وهو على متن ناقته « القصواء » يمر بين صفوف المسلمين ، ثم بعث احدى سراياه ـ وكانت مكونة من اثنى عشر فارساً ـ لتستكشف الطريق خشية مفاجأة قريش للمسلمين .

.. وعلمت قريش بخروج النبي ومن معه ، فملك الخوف منهم أزمّة أنفسهم وأخذوا يقلبون الأمر على كافة وجوهه .. ثم استقر رأيهم على أن يصدوا المسلمين عن مكة .. يا للغطرسة والجبروت !!

وعبأت قريش قواتها ، ثم أرسلت كتيبة من الفرسان على رأسها خالد بن الوليد ، فنزل بقواته على مرمى البصر من المسلمين ، وتربص بفرسانه في أحد التلال المجاورة ، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله ووقف بازاء خالد .

وحان وقت صلاة الظهر .. فأذن بلال وأقام واصطف المسلمون خلف رسول الله ووقفوا بين يدي الله ، فقال خالد بن الوليد « قد كانوا على غرة ، لو حملنا عليهم أصبناهم ، ولكن تأتي الساعة صلاة أحب اليهم من أنفسهم وابنائهم » يقصد صلاة العصر ، فنزل جبريل عليه السلام فيما بين الظهر والعصر يتلو على الرسول الأمين قوله جل علاه :

« وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً . وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك

وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً » النساء/١٠١ و ١٠٢ .

ودخل وقت صلاة العصر .. فصلى الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة جديدة هي صلاة الخوف التي علمه الله إياها في الآيات السابقة .. وفيها يصلي فريق خلف الرسول وفريق يحرس المصلين ، ثم يصلي الفريق الثاني خلف الرسول والفريق الذي صلى أولاً يحرس المصلين ، وهكذا حتى تتم الصلاة .

.. ولما رأى خالد بن الوليد ذلك من المسلمين ، تملكه الغيظ والحنق ، وعلم أن المسلمين أخبروا بما أراد هو بهم .. فبدأ في تعديل خطته .

ولم يرد الرسول الاصطدام بخالد ، فعدل عن الطريق إلى مكة ذات اليمين ، وسلك طريقاً بين شعاب ملتوية يفضي إلى « الحديبية » ، فلما رأى خالد ذلك ركض بفرسانه راجعاً إلى مكة ليقفوا مدافعين عنها إذا ما هاجمها المسلمون .

وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى الحديبية بركت ناقته القصواء فقال المسلمون : خلأت القصواء .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » رواه الشيخان واحمد وغيرهم واللفظ لأحمد .. ثم دعا المسلمين إلى النزول فقالوا له : يا رسول الله ما بالوادي ماء تنزل عليه .. فأنزل الرسول صلى الله عليه وسلم كنانته وأخرج منها سهماً وأعطاه لأحد الرجال فذهب به إلى بئر من الآبار المنتشرة في تلك الأنحاء ، فغرزه في الرمال من قاع البئر ، فخرج الماء بغزارة ، وأخذ المسلمون يقيمون الخيام حول البئر وهم في نشوة ايمانية غامرة يهتفون : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد ، والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وأعيت قريشاً حال المسلمين ، ومرادهم ، فرأت أن ترسل من رجالها إلى الرسول من يتعرف على قوته ويعرف مراده ويحاول صده عن مكة ، فأرسلت بديل ابن ورقاء في رجال من خزاعة .. وحادث الرجال الرسول فرأوا من صدق منطقه وقدرته على الاقناع ما أعجبهم ، فعادوا إلى قريش يريدون إقناعها أن تخلي بين الرسول وصحبه وبين البيت العتيق ، لكن قريشاً ظلت على موقفها المعاند المكابر .. وتكررت الوفود بين قريش والرسول .. والرسول باق على موقفه العقلي السلمي ، وقريش على موقفها الجاهلي المتغطرس !

وأخيراً .. قرر الرسول الحليم أن يرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالة يؤكد فيها نواياه السلمية الصادقة . وعثمان من أسرة بني أمية وتربطه بأبي سفيان صلة قربى . ودخل عثمان مكة بعد أن أجاره ابان بن سعيد بن العاص طول المدة التي مكثها فيها .. وتعثرت المفاوضات بين رسول رسول الله عثمان بن عفان وبين قريش ، وعلم الرسول أن قريشاً قد أقسمت أن لا يدخل

عليهم مكة أبداً ، فقال : « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فان أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله دخلوا في الاسلام وهم وافرون ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة » رواه الشيخان واحمد واللفظ لأحمد .

ورجع عثمان رضي الله عنه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يرافقه سهيل بن عمرو ، فلما رآه الرسول قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا بهذا الرجل » رواه الشيخان واحمد واللفظ لأحمد .

.. وتم الاتفاق بين الرسول المبعوث من رب الناس جل علاه وبين سهيل بن عمرو ، فلما رآه الرسول قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا بهذا الرجل » رواه الشيخان واحمد واللفظ لأحمد .

.. وتم الاتفاق بين الرسول المبعوث من رب الناس جل علاه وبين سهيل بن عمرو مبعوث قريش على الشروط التالية :ـ

(١) وقف القتال بين قريش والمسلمين عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

(٢) رجوع محمد وصحبه عن مكة في عامهم هذا ، فإذا كان العام المقبل دخلها المسلمون وخرجت منها قريش لمدة ثلاثة أيام .. على أن لا يحمل المسلمون معهم إلا سلاح المسافر .

(٣) من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من عند محمد لم يردوه إليه .

(٤) من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه .

.. ولما تحددت هذه الشروط « دعا الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب : « باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب « هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير اذن وليه رده عليه ، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه ، وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال ، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب انه من أحب أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد الرسول

وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدها ،وانك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة ، وانه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها باصحابك واقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب » رواه الشيخان واحمد واللفظ لأحمد . وبمجرد توقيع الاتفاق أقبل أبو جندل بن سهيل ابن عمرو يريد الانضمام إلى المسلمين فلما رآه أبوه سهيل ضربه على وجهه وأخذ بتلابيبه وجعل يجره جراً ليرده إلى قريش ، وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته قائلاً : يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنونني في ديني ؟ فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهداً وانا لن نغدر بهم » رواه احمد بلفظه .

.. ولم يرق هذا الاتفاق في أعين الكثيرين من المسلمين فقد رأوا مراجعة سهيل للرسول في غطرسة وتشدد ، وموافقة الرسول على كل ما أراد في حلم وأناة وسعة صدر ، فعجبوا من ذلك ، ونظروا إلى ظاهر الأمر ولم يتعمقوا بفكرهم إلى جوهره ، وكان على رأس الرافضين لهذا الاتفاق العظيم عمر بن الخطاب وقد جهر بصوت معارضته حين (أتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أو ليس برسول الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟! قال بلى . قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه الزم غرزه حيث كان فاني أشهد أنه رسول الله ، فقال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد .. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله :

أو لسنا بالمسلمين ؟

قال : بلى .

قال : أو ليسوا بالمشركين ؟

قال صلى الله عليه وسلم : بلى .

قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : أنا عبدالله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني » رواه احمد بلفظه .

وانصرف عمر من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امتلأت نفسه ألماً وندماً وظل يردد : « ما زلت أصوم واصلي واتصدق واعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً » .

.. وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين وجوب التحلل من العمرة ، وأمرهم بحلق رؤوسهم ونحر هديهم ـ والعودة الى المدينة ، فتباطؤوا حتى أمرهم بذلك ثلاث مرات ، ثم دخل خيمته فقابلته أم سلمة زوجه التي كانت ترافقه ، ورأت علامات الغضب تلوح على وجهه الصبوح ، فأشارت عليه أن يتحلل أمامهم ، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه وقص أظافره أمام

المسلمين ، ثم اتجه إلى مكان الهدى فاختار جمل أبي سفيان فأناخه ونحره بسيفه ، فما كان من المسلمين إلا أن تدافعوا ينفذون ما أمرهم رسول الله به ، والرسول يرقب عملهم في غبطة ورضى .

.. وقفل المسلمون عائدين الى المدينة ، وبينما هم في طريقهم نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم فتلا الرسول عليهم قوله تعالى : « **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما** » .. إلى نهاية سورة الفتح .

.. وهكذا رجع المسلمون إلى المدينة من الحديبية وقد سكنت جوانحهم ، واطمأنت قلوبهم ، وأيقنوا أن الله أراد بهم الخير فيما أراد لهم من أمر هذا الصلح .. فقد كان هذا الصلح نصراً بلا قتال وفتحاً دونه أي فتح ، ولقد أدى هذا الصلح إلى اتساع دائرة الاسلام وازدياد عدد المسلمين بدرجة هائلة ، فقد زحف المسلمون بعد سنتين من توقيع صلح الحديبية إلى مكة في عشرة آلاف مقاتل ، في حين كان عددهم عندما أتوا الحديبية لا يتجاوز الألف وخمسمائة .

وروى ابن هشام عن ابي اسحاق عن الزهري قال : « ما فتح في الاسلام فتح قبله كان أعظم منه « أي من صلح الحديبية » إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر » .

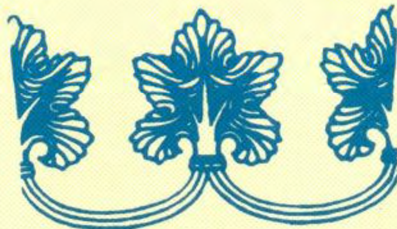
وبهذا الصلح اتضح الفرق بين تفكير البشر العادي ، وبين تفكير البشر الرسول الذي يستلهم أقواله وأعماله من الالهام الالهي .. فلقد غضب المسلمون من الشروط المجحفة التي تساهل فيها الرسول لقريش لانهم لم يكونوا يعلمون المغزى وراء كل ما فعله الرسول لاتمام هذا الصلح .. لكنهم علموا مؤخراً بحكمة الرسول ورجاحة عقله وتأييد ربه له دائماً ، وقد نبه هذا الصلح عقول كفار قريش إلى صدق رسالة النبي فآمن به الكثيرون فكان ذلك نصراً للاسلام ونبي الاسلام .

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « ما كان فتح في الاسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس قصر رأيهم .» .

وصدق الله العظيم حيث قال :

« **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً** » الفتح/ ٢٠ .

والحمد لله من قبل ومن بعد .،



ما قدروا الله حق قدره

للدكتور/عز الدين علي السيد

تخرق الأرض .. أو تجوب السماء   لست دون الايمان إلا هباء !
عالم يجحد القدير جهول !   أيّ علم يكذب الأنبياء ؟
رادة الحق .. صفوة الخير والنو   ر .. تحلّوا بعصمة عصماء
أيّ علم يشكك العقل في الحق   مبينا ويحجب الأضواء ؟
أيّ علم يرى الوجود من الذّرة : حيّا ، وجامدا ، وهواء ؟
وهي صنع العليم .. من أتقن الصنع حكيماً وشيّأ الأشياء !
ضل قوم تخرصوا فتمادوا   لم يبالوا بموتهم سفهاء !

* * *

كلفوا العقل ما يطيق لنفع الناس طرا ولا تعبثوا افتراء
قد شقيتم لتدركوا من سراب   لجة الماء .. لن تنالوا الماء !
سائلوا اليوم عن هداه (جرودي)   فيلسوفا رأى هداه ففاء !
كان طودا للمذهب الباطل اهتز   فألقى الضلالة العمياء
فهو اليوم مسلم وحنيف   يعبد الله قانتا بكاء !
محض الحق للوعاة حصيفا   فاسألوه : لم اطرحت الولاء ؟
سترون الجواب : أن حجابا   من شقاء خبا .. فشمت السماء
فرأيت الله العلي ودودا   مس قلبي برفقه فأضاء !
ورأيت القرآن معجزة الله   إماما دعا فجل نداء !
بفؤادي رشفته فاستحالت   رشفاتي به هدى وضاء !

* * *

أيها الجامح الشرود عن الله   أزح عنك ـ كي تفيق ـ الغشاء !
هو سواك من سلالة طين   بشرا سابق الزمان نماء
وعلى رزقه عظامك قامت   فتوثبت فارسا عداء !
بقوام مهذب .. شامخ الرأ   س .. ووجه غزا القلوب بهاء
ترك المهد للحياة طليقا   ناسيا .. قاسيا .. يفيض عداء !
ينسب الكون للطبيعة خلقا   ومسارا .. بداية وانتهاء
وهي لا شيء غير آية ابدا   ع قدير أجرى الورى كيف شاء !

هي مرآة قدسه .. في سناها يشرق الحق حكمة وسناء !
أيها الذارع الفضاء ذهابا لنجوم بهية غراء
أرأيت النجوم إلا سطوحا معتمات كأرضنا غبراء ؟
كيف تبدو بأرضنا مشرقات تغمر الكون بهجة ورواء ؟
أرأيت الفضاء يحمل ليلا ونهارا يلائم الأحياء ؟
يطلبون الأرزاق ان عسعس الصبح نشاطا ..ويهجعون مساء
كي يعيد الحكيم للجسم بالنو م خلايا تمزقت أشلاء !
وأخو النوم غارق مستلذّ حالم القلب لا يرى البناء !
كم جهاز حويت .. مالك فيه من يد ، حير النهى إنشاء !
تتبارى العقول بالأمس واليو م سباقا لسبر سر تناءى
ما به الحي عائش .. وستبقى أبد الدهر تستريد عماء
كلما لج في اقتحام المجا هيل حكيم تزيده إعياء !
انما يدرك الأنام من السر بصيصا يراود النجباء
في كشوف ظلت زمانا خبايا علها تمنح القلوب شفاء
فاذا أعظم العقول اجتلاء للخبايا أجلهن شقاء !
لا يرى الله من وراء سناه اذ يرى تحت نوره الأرجاء !
صنعوا أقمار التجسس للغد ر .. فألقى بها الردى أجزاء
ثم ما أدركوا عن الله سرا يعجز العقل جل عنه اعتلاء !
يزعمون الحياة في اليد ملكا قسروه : بقاءها والفناء !

* * *

يا حكيما لك المحامد والمجد جميعا .. ما أعظم الآلاء !
في الكتاب العزيز « ما قدروا الله » ولكن رزقتهم إملاء !
مذ شققت الجفون مني عن العين أرتني صفاتك الحسناء
فترشفت من سنى حسنك الباهر زادي تفضلا وسخاء !
حيثما ارتدت انت ملء حياتي تنفث العطر .. تبعث الأنداء !
تخلق اللطف ، والهلاك خضم مستبد ، فتكشف البأساء !
عد قطر السماء .. أو نغم الطير تسابيح بكرة وعشاء
عد أنفاس عابديك صلاة وابتهالا .. ضراعة ودعاء
أنا يا مبدعي أناجيك بالحمد فقيرا .. فليس حمدي كفاء !
كيف والحمد نعمة توجب الحمد .. وفضل علا وجل جزاء ؟
أنا والموت يا رحيم نجيان وقد شمتُ لمتى بيضاء !
والبشير النذير يثقل خطوى وقناتي به تزيد انحناء !
فأعني على لقائك عبدا لم يزده السياق إلا هناء !
هو ظني الجميل عند وهوب زاد أنسي به .. فزدت رجاء !

سماحة العلماء

للأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني

حين نقرأ عنوان هذا المقال ننظر إلى مفهوم السماحة في اللغة والأدب وعلى سبيل المثال أضع أمام القارىء الكريم ما تدل عليه هذه اللفظة من معان . جاء في لسان العرب لابن منظور :

سمح الرجل سماحة وسموحة وسماحا : جاد ، وأسمحت نفسه انقادت ، وسمح لي بذلك يسمح سماحة ، وأسمح وسامح : جاد ، وأسمحت نفسه انقادت ، وسمح لي بذلك يسمح سماحة ، وأسمح وسامح : وافقني على المطلوب ، والمسامحة : المساهلة ، وتسامحوا : تساهلوا ، ومنه الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما : سئل عن رجل شرب لبنا محضا أيتوضأ ؟ قال : اسمح يسمح لك ،

قيل معناه سهل يسهل لك وعليك ، والحنيفية السمحة : ليس فيها تعقيد ولا ضيق ولا شدة ، وتقول العرب : عليك بالحق فإن فيه لمسمحا أي متسعا ، وعود سمح : لا عقدة فيه .

فقد رأينا أن هذا اللفظ ثري بما تضمنه من معاني الجود والانقياد والموافقة والتساهل والاتساع وعدم التعقيد . وجدير بالعلماء أن يتصفوا بالمساحة بمعانيها السخية وبما تؤديه لفظتها من مدلولات متعددة ، ولعلني أوفق في ضرب الأمثلة لتوافر هذه الصفات فيهم .

أما السماحة بمعنى الجود فإن العالم الحق جواد بما في يده ولو كان على غير حظ من الدنيا ، والعالم الحق الذي يعمل بعلمه لا ينبغي أن يكون بخيلا شحيحا ، لأنه من يقينه بالله وعلمه به يدرك أن المال وديعة عنده فهو ينفق مما استخلفه الله فيه ، ويصدق وعد الله للمنفق بحسن الخلف ووعيده للممسك بالتلف .

والمثل في جود العلماء نجده في الامام الليث بن سعد رضي الله عنه ، إمام أهل مصر في الفقه والحديث ، كان في سعة من العيش وثراء عريض وكان من الكرماء الأجواد ، يقال إن دخله في كل عام كان خمسة آلاف دينار ولم تجب عليه زكاة لأنه كان ينفقها كلها في الصلات ، قال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وزار المدينة في حج فأرسل إليه الامام مالك صينية فيها تمر فأعادها إليه مملوءة ذهبا ومنزلة الامام الليث بن سعد في العلم عظيمة ، يشهد لذلك ما حكاه ابن خلكان قال بعض أصحابه : لما دفناه الليث بن سعد سمعنا صوتا يقول :

ذهب الليث فلا ليث لكم ... ومضى العلم قريبا وقبر

قال : فالتفتنا فلم نر أحدا .

وترجم له الواقدي في طبقاته الكبرى فقال عنه : كان ثقة كثير الحديث صحيحه وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر وكان سريا من الرجال نبيلا سخيا له ضيافة وتوفي سنة خمس وستين ومائة وله آثار في الكرم لا تعد .

وأما السماحة بمعنى الانقياد والموافقة فالعلماء الواعون جديرون بذلك ما دام رائدهم الحق والوصول إلى الصواب ، ولا يبالي العالم الفطن بأن يكون الحق مع غيره في مجال النقاش والمحاورة ، أو أن يترك الجدال زهدا فيه ورغبة عنه ، لأن الجدال لا يؤدي إلى خير غالبا ، وفي أقوال بعض الحكماء : إذا غضب الله على قوم أعطاهم الجدل وحرمهم العمل وإذا رضي عنهم حبب إليهم العمل وزوى عنهم الجدل .

ومما يروى في ذلك أن الامام الشافعي رضي الله عنه قال : ما جادلني أحد إلا وأحببت أن يظهر الحق معه ، وكثير من العلماء الأجلاء كانوا يفرحون بفائدة علمية تظهر لهم ولو كانت ممن هم أدنى منهم منزلة روى ابن خلكان في ترجمة محمد بن

عبد الرحمن المعروف بابن أبي ليلى : أنه قال ؟ دخلت على عطاء فجاء يسألني فأنكر بعض من عنده فكلمه في ذلك فقال : هو أعلم مني . فانظر إلى عطاء وهو العالم الجليل الشأن يقبل على من دونه في السن والمنزلة يسأله عن مسائل في العلم ويعترف أمام الحاضرين بتفوقه .

وعطاء هذا هو عطاء بن أبي رباح من أجلاء الفقهاء والتابعين والزهاد ، وكان الأمويون يأمرون في الحج من يصيح بالناس : لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح ، وإياه عني الشاعر بقوله :

سـل المفتي المكي هـل في تـزاور / وضمـة مشتـاق الفـؤاد جنـاح
فقال : معاذ الله أن يذهب التقى / تـلاصـق أكبـاد بـهـن جـراح

ولما بلغه البيتان قال : والله ما قلت شيئا من هذا ، ويبدو أن الشاعر حينما عرف أن عطاء يميل إلى السهولة في آرائه وفتاواه صاغ هذين البيتين (وإن كان المرحوم مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم صاغاقصة طريفة حول الفتوى التي أشار إليها الشاعر) .

أما ابن ليلى فهو إمام جليل تفقه على الشعبي وأخذ عنه سفيان الثوري .

بينه وبين أبي حنيفة : وكانت بين ابن أبي ليلى وأبي حنيفة وحشة يسيرة وقصتها لا تخرج عن موضوع المقال ومرد هذه الوحشة إلى الغيرة على أحكام الله .

قالوا : إن ابن أبي ليلى كان جالسا للحكم في مسجد الكوفة فانصرف يوما من مجلسه فسمع امرأة تقول لرجل : يا ابن الزانيين ، فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه وأمر أن تضرب حدين وهي قائمة ، فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال : أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء ؟

في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه في الحال .

وفي ضربه الحد في المسجد وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحدود في المساجد .

وفي ضرب المرأة قائمة وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات .

وفي ضربه إياها حدين وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد .

ولو وجب أيضا حدان لا يوالي بينهما بل يضرب أولا ثم يترك حتى يبرأ ألم الضرب الأول .

وفي إقامة الحد عليها بغير طالب .

فلما سمع ذلك ابن أبي ليلى سار إلى والي الكوفة وقال : ههنا شاب يقال له أبو

حنيفة يعارضني في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي ويشنع علي بالخطأ فأريد أن تزجره عن ذلك . فبعث إليه الوالي ومنعه من الفتيا ، فانقاد أبوحنيفة لأمر الوالي ، فيقال إنه كان في بيته ومعه زوجته وابنه حماد وابنته ، فقالت ابنته : إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم ، فهل أفطر إذا بلعت الريق الآن ؟ فقال أبو حنيفة ؟ سلي أخاك حمادا فإن الأمير منعني من الفتيا .

قال ابن خلكان : وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر ، فإن إجابته طاعة ، حتى إنه أطاعه في السر ولم يرد على ابنته جوابا وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر .

ولا يغيب عن الذهن أن هذا الانقياد كان فيما لا يترتب عليه إضرار بالدين فأما إذا ترتب عليه ذلك فمن حقه المعارضة ، وقد رفض أبو حنيفة الانقياد للأمر بتولي القضاء وأوذي في ذلك لأنه رأى فيه إضرارا بدينه .

والقصة الآنفة هي في حق أبي حنيفة منقبة ولكنها في حق ابن أبي ليلى أنفة ، والأنفة محمودة إلا في شأن الرجوع إلى الصواب والاذعان للحق ، وهو يتنافى مع سماحة العلماء .

بين مالك والشافعي : ومن صور الانقياد للحق ما يقصه الدميري في كتابه حياة الحيوان قائلا : كان الشافعي جالسا بين يدي مالك رضي الله عنهما ، فجاء رجل فقال لمالك : إني رجل أبيع القماري وإني بعت في يومي هذا قمريا فرده علي المشتري وقال : قمريك لا يصيح ، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح فقال الامام مالك : طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها . وكان الشافعي يومئذ سنه أربع عشرة سنة فقال : أيما أكثر ؟ صياح قمريك أم سكوته ؟ فقال الرجل : بل صياحه .

فقال الشافعي : لاطلاق عليك .

فقال مالك : يا غلام من أين لك ذلك ؟ فقال : لأنك حدثتني عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت : يا رسول الله ، ان أبا جهم ومعاوية خطباني ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح وقد قال صلى الله عليه وسلم لايضع عصاه على سبيل المجاز ، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ، ولما كان صياح قمري هذا أكثر من سكوته جعلته كصياحه دائما .

فتعجب الامام مالك رضي الله عنه من احتجاجه وقال له : أفت فقد آن لك أن تفتي .

فانظر كيف انقاد مالك لرأي غلام من تلاميذه ولم يأنف من قبوله حينما تبين له أن

الحق بجانبه ، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها . أما الاستبداد بالرأي والتعصب له فليس من سمات العلماء المحققين .

وأما التساهل فهو يناقض التزمت ، ويعني به المرونة وسعة الصدر ، قد قرأنا آنفا بيتي الشعر الواردين في حق عطاء بن أبي رباح وهما يدلان ـ إن صحت الرواية ـ على أن الامام لا ينبغي أن يضيق صدره حينما يستفتى أو يوجه إليه سؤال ، وأسلوب الحكيم يملي عليه أن يوجه الاجابة نحو ما يفرضه الدين ويرضى به الشرع الحكيم ، والعالم رجل من الناس إلا أنه أوسع منهم أفقا وأرحب صدرا وأعظم قدوة وأفضل مروءة ونبلا .

وكونه رجلا من الناس لا يعني أنه يخوض مع الخائضين ، ولكنه يعني أنه غير متعال عليهم بعلمه أو مزهو عليهم بفضله فإن حلية العلم التواضع وثمرته الورع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه كأحدهم وهو صفوة الله ورحمته الشاملة .

وفيما يرويه الامام القاسم الحريري في كتابه القيم درة الغواص مثل للعالم السمح بمعنى السهولة والظرف معا . قال الحريري : فيما أسنده إلى أبي ظبيان الحماني ـ اجتمع قوم على شراب لهم ، فغناهم مغنيهم :

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال أحدهم : امرأته طالق إن لم يسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر الذي قاله حسان بن ثابت ، لم قال إن التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى ؟ فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بني شقرة وعبيد الله بن الحسن يصلي عندهم .

فلما فرغ من صلاته قالوا له : قد جئناك في أمر دعتنا إليه ضرورة وشرحوا له خبرهم وسألوه الجواب ، فقال : إن التي ناولتني فرددتها عني بها الخمر الممزوجة بالماء ، ثم قال من بعد : كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات في قوله تعالى : « **وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا** » النبأ / ١٤

فلم يأنف هذا الرجل الامام من أن يجيب عن سؤال فيه ذكر الخمر ، لم يضق صدره بالسؤال أو يتأثم ولكنه قابل السائل بصدر رحب وأفق واسع وأخذ يتبسط في الاجابة تبسط العالم البصير بمواقع الكلام وحسن التأتي ولذلك علق الحريري على هذه القصة بقوله : وليس ما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الاسماح وخفض الجناح مما يقدح في نزاهته أو يغض من نبله ونباهته .

ثم أتبع الحريري القصة بقصة أخرى توازن بين موقفين لعالمين قدم لها بقوله : ويضارع هذه الحكاية في وطأة القضاة المتقشفين للمستفتين وتلاينهم في موطن اللين ما حكى أن حامد بن العباس سأل على بن عيسى في ديوان الوزارة عن داء الخمار ، فأعرض عن كلامه وقال : وما أنا وهذه المسألة ؟ فخجل حامد منه ثم التفت إلى قاضي القضاة أبي عمر فسأله : فتنحنح القاضي لاصلاح صوته ثم قال : قال الله تعالى « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » الحشر/ ٧ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا في الصناعات بأهلها والأعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية وقد قال :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس في الاسلام فقال :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ودواني بالتي كانت هي الداء

فأسفر وجه حامد حينئذ وقال لعلي بن عيسى : ما ضرك أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسألة بقول الله تعالى أولا ، ثم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ثانيا ، وبين الفتيا وتفصى من العهدة ، فكان خجل علي ابن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسألة . ولم تنزل هذه الاجابة القاضي عن منزلته بل رفعته درجات ودلت على سعة علمه ورجاحة عقله ومرونته ، والأدب كما يقول الأدباء : هو الأخذ من كل فن بطرف ، وهذه هي الثقافة بمفهومها القديم والحديث . وكان حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه يقول : كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ، وما أصدق الذي يقول :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن الأمثلة الدالة على مرونة العلماء وسماحتهم ما يرويه العاملي في كتابه الكشكول قال :

خرج أبو حازم الصوفي في بعض أيام المواقف وإذا بامرأة جميلة حاسرة عن وجهها قد فتنت الناس بحسنها فقال لها : يا هذه إنك بمشعر حرام وقد شغلت الناس عن مناسكهم فاتقى الله واستترى ، فقالت : يا أبا حازم إني من اللائي قال فيهن الشاعر :

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأرخت على المتنين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال أبو حازم : لأصحابه : تعالوا ندعوا الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها الله بالنار ، فجعل يدعو وأصحابه يؤمنون ، فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما رأيقكم يا أهل الحجاز أما لو كان من أهل العراق لقال : لعنة الله عليك . وقد ذكر مؤلفو كتاب

قصص العرب هذه القصة في كتابهم نقلا عن الأغاني ، وجعلوا الحاج هو عبد الله ابن عمر العمري ، وجعلوا الذي بلغته القصة هو سعيد بن المسيب .

ويتصل بمفهوم الادب الذي أشرت اليه ما يقصه الحصري في كتابه ذيل زهر الآداب ـ قال : قال الاصمعي : أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة ـ

يا أيها السائل عن منزلي نزلت بالخان على نفسي
يغدو على الخبز من خابز لا يقبل الدين ولا ينسي
آكل من كيسي ومن كسوتي حتى لقد أوجعني ضرسي

فقال : اكتب لي الأبيات ، فقلت : أصلحك الله هذا لا يشبه مثلك إنما يروى مثل هذا الأحداث ، قال : اكتبها فالأشراف يعجبهم الملح . قال الحصري : وقد قال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :

الجد شيمته وفيه فكاهة سمح ولا جد لمن لا يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة لاخير في الصهباء إن لم تقطب

والسماحة في تلك الأمثلة المتقدمة بمعنى الاتساع أيضا ، فالعالم بمساحته يتسع لمختلف الفنون ، وهو ما كان في المباح لا يضيق صدره ولا يقطب وجهه ولا يلوي عنقه عن سائل .

ولعل في القصة الآتية دليلا على أن التبسط والاسماح لا يزري بالعلماء ولا يسقط هيبتهم . جاء في قصص العرب نقلا عن الأغاني . قال دحمان الأشقر : كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار فجعلت أتغنى

ما بال أهلك يارباب خزرا كأنهم غضاب ؟

قال : فإذا خوخة قد فتحت وإذا وجه قد بدا تتبعه لحية حمراء فقال : يافاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ، ثم اندفع يغنيه فظننت أن طويسا قد نشر بعينه .

قلت : أصلحك الله من أين علمك هذا الغناء ؟

قال : نشأت وأنا غلام حدث أتتبع المغنين وأخبارهم وآخذ عنهم فقالت لي أمي : يابني إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت إليه فدع الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضر مع قبح الوجه ، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء فبلغ الله عز وجل بي ما ترى .

فقلت له : فأعد جعلت فداك ، قال : لا ولا كرامة ، أتريد أن تقول أخذته عن مالك ابن أنس ؟ واذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

وجاء في العقد الفريد : حدث إبراهيم بن المنذر الخزاعي أن ابن جامع السهمي قدم مكة بمال كثير ففرقه في ضعفاء أهلها ، فقال سفيان بن عيينه : بلغني أن هذا السهمي قدم بمال كثير . قالوا : نعم قال : فعلام يعطى ؟ قالوا : يغني الملوك

فيعطونه . قال : وبأي شيء يغنيهم ؟قالوا : بالشعر قال : فكيف يقول ؟ فقال فتى من تلاميذه : انه يقول :

أطـوف بـالبيت مـع من يطـوف وارفـع مـن مئـزري المسبـل

قال : بارك الله عليه ، ما أحسن ما قال ، ثم ماذا قال ؟

قال : وأسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المنزل

قال سفيان : وأحسن أيضا أحسن الله اليه ، ثم ماذا قال ؟

قال : عسى فارج اللهم عن يوسف يسخر لي ربة المحمل

قال : أمسك أمسك أفسد آخرا ما أصلح أولا .

قال ابن عبدربه : ألا ترى سفيان بن عيينه رحمه الله حسن الحسن من قوله وقبح القبيح ؟

ولعل العماء ينظرون في ذلك ما رواه صاحب العقد الفريد أيضا من حديث عبدالله بن أويس ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهري ، قال ؟ مر النبي صلى الله عليه وسلم بجارية في ظل فارع وهي تغني :

هـل علـي ويحكـم ان لـهـوت مـن حـرج ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا حرج إن شاء الله .

وربما كان من معاني السهولة والاتساع المرح والدعابة ولو على نحو من التجوز ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وهو الذي يقول : بعثت بالحنيفية السمحاء ، وفي ذلك يقول الحصري في زهر الآداب : روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : من كانت فيه دعابة فقد برىء من الكبر .

وهناك من العلماء الأجلاء من تحلوا بروح الدعابة البريئة التي تذهب عن النفس السأم والملل ، وتبعث فيها النشاط والاقبال فان القلوب اذا كلت صدئت ، ومن هؤلاء : القاضي شريح ، وهو أبو أمية شريح بن الحارث ابن قيس كان من كبار التابعين أقام قاضيا خمسا وسبعين سنة ، وكان أعلم الناس بالقضاء ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل وإصابة - قال عنه صاحب وفيات الأعيان : وكان مزاحا ، دخل عليه عدي بن أرطاة ، فقال له : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الحائط .

قال : استمع مني . قال : قل أسمع .

قال : إني رجل من أهل الشام . قال : من مكان سحيق .

قال : تزوجت عندكم . قال : بالرفاء والبنين

قال : وأردت أن أرحلها . قال : الرجل أحق بأهله .

قال : وشرطت لها دارها . قال : الشرط أملك .

قال : فاحكم الآن بيننا . قال : قد فعلت .

قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أمك .

قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن اخت خالتك .

ومنهم الشعبي ، وهو عامر بن شراحيل ، كوفي تابعي جليل القدر ، وافر العلم ، شهد له ابن عمر رضي الله عنهما ، فقد مر به يوما وهو يحدث بالمغازي فقال : شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني ، أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم .

ومع علمه هذا كان لا يخلو من دعابة ، يحكي أن رجلا دخل عليه وهو مع امرأته بالبيت فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال الشعبي : هذه .

وحكى الحريري في درة الغواص قصة له مع ليلى الأخيلية في مجلس عبدالملك بن مروان ، وقد استأذنه في أن يضحك منها فأذن له ، ولكنا مع الخفاجي شارح الدرة في استبعاد هذه القصة لأن فيها تجاوزا لحد الدعابة المقبول . ولكن لا بأس أن نستشهد على دعابته وخفة روحه بهذه النادرة التي يرويها الحصري في ذيل زهر الآداب . قال رجل للشعبي : ما تقول في رجل أدخل إصبعه في أنفه فخرج عليه دم أترى له أن يحجم ؟ فقال : الحمدلله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة . وقال له رجل : ما تقول في رجل شتمني في أول يوم من رمضان أتراه يؤجر ؟ قال : ان كان قال لك ياأحمق رجوت له ذلك .

ومنهم ابن القوطية وهو أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز الأندلسي الأشبيلي ، كان من أعلم الناس باللغة والحديث والفقه والأدب والنوادر وأروى الناس للأشعار وطال عمره حتى سمع الناس منه طبقة بعد طبقة وله مؤلفات جليلة منها كتاب تصريف الأفعال وكتاب المقصور والممدود ، قال عنه أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي إنه من أنبل واعظم من رأى بالأندلس من العلماء .

وكان له مع ذلك ظرف وخفة روح ، حكى الأديب الشاعر ابو بكر يحيى بن هذيل التميمي ـ فيما يرويه ابن خلكان في وفيات الأعيان ـ أنه توجه يوما الى ضيعة له بسفح جبل قرطبة فصادف أبا بكر بن القوطية صادرا عنها وكانت له أيضا هناك ضيعة ، قال : فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي فقلت له على البديهة مداعبا له :

من أين أقبلت يامن لا شبيه لـه ... ومن هو الشمس والدنيا له فلـك

قال : فتبسم واجاب بسرعة بقوله :

من منـزل يعجب النساك خلـوتـه ... وفيه ستر عـلى الفتاك ان فتكـوا

قال : فما تمالكت ان قبلت يده إذ كان شيخي ومجدته ودعوت له .

هذا وان هذه الدعابات البريئة لهؤلاء العلماء الأجلاء واضرابهم لتدل على روح السماحة التي ركبت في طبعهم وانها لتضفي على سيرتهم الى جانب نبوغهم العلمي نفحة من الأنس والرضا ، إنهم نظروا في سلوكهم هذا الى قول أبي الفتح البستي :

أفـد طبعك المكـدود بـالهم راحـة ... بـروح وعلـلـه بشيء مـن المـزح

ولكـن اذا أعطيتـه ذاك فليكـن ... بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

الاستطاعة في الحج

للاستاذ/سعد عوض المر

يقول الله تعالى : (**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**) آل عمران/ ٩٧

الحج هو قصد مكة المكرة في اشهر معلومات بنية أداء فريضة مكتوبة ، تتم مرة كل عام خلال أيام معدودات يكون فيها ذكر الله هو الغالب حين تؤتي المناسك : تلك التي أولها الطواف ثم تستكمل باقي هذه الشعائر فوق ربوع أرض الحجاز بين سعي ورمي ووقوف وهدي ثم طواف .. طواف الوداع .

ان تلك الفريضة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل قادر أي يجب عليه أن يؤديها بمجرد أن يستطيع ، بشرط أن يكون قد رد المظالم وأدى الديون ووصل

الأرحام من قبل أن ينوي الإحرام لأن الحج يجعل ذلك البنيان الاسلامي في الانسان مكتملا في الكيان عميقا في الوجدان ، فهذا المسلم الذي لا يحج رغم استطاعته كذلك الذي لا يصلي ولا يصوم رغم بلوغه وعقله وكأنه لم يعلم أو يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بني الاسلام على خمس .. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » رواه البخاري .

موقف الذي يتباعد عن الحج وهو يستطيع استخفافا به :

نكاد نرتعد خوفا أو نرتعش خشية حين نسمع أو نقرأ ما ورد من كلمات في نهاية الآية السابعة والتسعين من سورة آل عمران : (**ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**) تلك التي جاءت بعد بيان فريضة الحج في حق ذلك الذي كفر وجحد هذا الركن ، فبالرغم من استطاعته نراه قد أبى ونأى بجانبه استخفافا به منه ، لقد اعرض عنه لا بسبب تكاسل أو انغماس في معصية أو حتى انشغال في لهو ، بل كان إعراضه نتيجة لتقلب قلبه في جحود عقله وتكبر فكره في ضعف إيمانه ونكرانه .

إنك تراه قد أصر واستمر على هذا الحال الذي تردى فيه بارادته دون أن يرتد عنه برهة أو يتردد عنه لحظة رغم دوام استطاعته التي آتاه الله إياها ، فماذا بعد ذلك ينتظر ؟ ماذا ينتظر سوى هذا الخسران المبين الذي ينتظره كل كافر وينتظر كل كافر ، لم لا ؟ وهو الذي يعلم تماما أنه قد رَدّ الأمر على خالقه حين استخف بفريضة مكتوبة ، هل يظن أنه يستوي مع أولئك الذين قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فكان منهم من استطاع فنوى ثم ذهب ليسعى ملبيا نداء ربه الأعلى : (**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**) الحج/ ٣٢ .

ماذا تعني الاستطاعة التي توجب أداء تلك الفريضة ؟

اذا نظرنا الى فريضة الصلاة نراها لا تسقط أبدا عن أي مسلم مهما كانت حالته الصحية طالما كان فيه رمق من حياة ، وطالما كان مالكا شروط التكليف العامة « البلوغ والعقل » ، لِمَ لا ؟ وهي التي يمكن أن تؤدي حتى بحركات الجفون ، ان الله عز وجل قبل أن يكلف المؤمنين بالعبادات قدّر وعَلِمَ بأنها قدر طاقة البشر ، لهذا كان فرضها بمقدار تلك الطاقة : (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) البقرة/ ٢٨٦ .

لكن إياك أن تعتقد أن هذا اليسر او ذلك التيسير الذي اقترنت به تلك الفريضة المتمثل في تلك الاستطاعة هو إعطاء كل مسلم رخصة مطلقة لهجر هذا الركن ، أو

منحه الحرية الكاملة لأدائه إن أحب أو عدم إتيانه إن كره ، صحيح اننا اذا بحثنا هنا وهناك في أركان الاسلام لن نجد ركنا مقرونا بالاستطاعة سوى ذلك الركن ، حتى في الصيام حين نتطلع إلى ذلك الشيخ الهرم الذي يكون صومه مصحوبا بجهد كثير وعناء مرير وطاقة كبرى قد بين الله له - بعد أن أعطاه رخصة الإفطار نظير فدية إطعام مسكين عن كل يوم - أن صومه رغم ذلك هو خير له حتى لو كان فوق طاقته : **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم)** البقرة/ ١٨٤ .

لكن فريضة الحج تسقط عن صاحبها - ووزر عدم القيام بها - إن لم تتوافر له تلك الاستطاعة في أي وقت من عمره ، لهذا فان أي مخلوق لا يستطيع أن يحدد وقت حدوثها إلا ذلك الذي استطاع ، لهذا كانت النية للحج بل وستظل سرا محفوظا في قلب كل مسلم ووديعة غالية في ضميره تنتظر .. تترقب تلك اللحظة ، لحظة الاستطاعة لأنها قد تضيع منا في ساعة أو في نفس العام أو بعده بأعوام لأن دوام الحال من المحال ، ومن ثم كان علينا أن نقول وكل جزء فينا يردد « لبيك .. لبيك اللهم لبيك » نقولها حين تأتينا الاستطاعة .. طاعة لربنا ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « تعجلوا الحج فان أحدكم لا يدري ما يعرض له من مرض أو حاجة » رواه احمد .

عناصر الاستطاعة لأداء تلك الفريضة بالنسبة للرجل :

انها تلك التي يجب أن تتوفر بالاضافة الى الشروط العامة للتكليف التي يمكن ايجازها في :

اولا : المقدرة المالية :

تلك التي تعني تملك المال الحلال الذي يكفي نفقات الحج ونفقات من يعول طوال فترة تغيبه عنهم حتى لا يستدينوا أو يسألوا الناس حاجة ، ومن ثم يكون العجز عن توفير ذلك المال مانعا لتلك الاستطاعة التي اشترطها الله رأفة بالعباد ورحمة من أنفسهم عليها وعلى من يعولوا ، لذلك كان الاقتراض من أجل الحج يتعارض مع ما أمر الله به : **(ما استطاع إليه سبيلا)** لأن المقترض باقتراضه هذا سيكون ظالما لنفسه ظالما لأهله : أهل بيته مخالفا لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم : عن عبدالله بن أبي أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج ، أيستقرض للحج ؟ قال : لا » رواه البيهقي .

ثانيا : المقدرة البدنية :

تلك التي تعني سلامة الجسم : أي خلوه من الأمراض التي تمنع صاحبها من القيام بالسفر أو أداء مناسك الحج على الوجه الأكمل .

ثالثا : عدم وجود موانع أخرى :

تلك التي تكون خارجة عن الارادة فتحول دون تحقيق انعقاد النية نتيجة للوقوع تحت قهر أو الخضوع تحت أمر رغم وجود عنصري المقدرة المالية والقدرة البدنية .

شروط الاستطاعة تزيد عند المرأة مراعاة لضعفها وتيسيرا لها :

ان جميع عناصر الاستطاعة للرجل تنطبق كلها على المرأة ـ تلك التي تمتلك حرية التصرف في مالها بعكس تلك المرأة غير المسلمة في الدول الأوروبية التي تدعى المدنية ـ الا ان هذه العناصر بالنسبة لها تزيد في ناحيتين تكريما لها ورحمة بها :
الأولى : الا تكون واقعة في العدة ـ أي معتدة في بيت العدة ـ نتيجة لطلاقها أو بسبب وفاة زوجها :
(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة اشهر وعشرا) البقرة/ ٢٣٤ .
الثانية : ضرورة وجود محرم ـ ان لم تكن هناك رفقة نسائية مأمونة ـ مع استطاعة إنفاقها عليه طوال فترة حجها ، أما اذا مات بعد احرامها : أي اثناء وجودها في أرض الحجاز وهي تؤدي شعائر الحج فانها تستطيع أن تتمها ان أمنت على نفسها ، أما اذا لم تأمن فان عليها الرجوع قبل أن تتم الحج ، ولا أثم عليها .

استطاعة المرأة الاحرام ولو كانت حائضا أو نفساء :

إن المرأة تستطيع أداء مناسك الحج كلها ـ فيما عدا الطواف ـ إذا ما كانت نفساء أو حائضا بشرط أن تغتسل قبل أن تحرم فاذا ما حدث أن امتنع الدم قبل طوافها ، كان عليها التطهير ثم الطواف : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن النفساء والحائض تغتسل وتحرم وتقضي المناسك كلها غير أنها لا تطوف بالبيت » رواه داوود والترمذي .
وأنتهز تلك الفرصة لأنصح اختي المسلمة التي تنوي الحج سواء كانت امرأة

أو فتاة وتخشى قدوم موعد الدورة الشهرية أثناء مناسك حجها خاصة إذا كانت مشتاقة متلهفة لأداء طوافها كي لا تفوتها أية شعيرة .. أقول لها : إنك تستطيعين أن تتناولي الدواء الخاص بهذا الظرف مثل « حبوب منع الحمل » تلك التي تؤخر الدورة طوال فترة الحج نتيجة لمنعها سقوط أية بويضة من أي من المبيضين ، ومن ثم يمتنع الدم ، على ان يتم ذلك كله بمشورة طبيبة متخصصة بزيارة واحدة لها حتى لا يترتب على عدم دقة اختيار نوع الدواء أي ضرر .

استطاعة المرأة أداء تلك الفريضة ولو رفض الزوج :

لقد أعطى الله تلك المرأة التي تخرج من بيتها قاصدة بيت ربها ثواب الجهاد في سبيله دون أي قتال ، عن ابي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « جهاد الكبير ، والضعيف ، والمرأة : جهاد » رواه النسائي ، لهذا كان الحج بالنسبة لها فريضة وجهادا ، فاذا ما استطاعت ثم أرادت أن تخرج ووجدت رفضا من زوجها واصرارا على منعها ، فان عليها أن تتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه الحاكم واحمد .

ان الحج مثل الصوم لا يستطيع أي زوج أن يمنع زوجته من أدائه طالما كان هذا الصيام فرضا « مثل صوم رمضان وصيام النذر بعكس صيام التطوع الذي قد يراه الزوج وقتها مانعا لرغبته في مباشرتها » لكن على أي حال يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها إذا ما أرادت ان تحج حتى يستعد نفسيا لذلك ، أو يبحث معها أمر محرمها ان لم يكن في نيته الخروج معها كمحرم أو في بحث أمر خروجها في صحبة نسائية مطمئنة ، أما في حالة اصراره على عدم خروجها فان عليها أن تذهب لحال أمرها فيما عقدت العزم عليه إذ أن حجها لا يسقطه عنها رفضه ، ومن ثم لا يكون استئذانها منه الا إعلاما له بنيتها كي يستعد لتنظيم شؤون حياته خلال فترة غيابها .

الحج عن الغير في حالة عدم الاستطاعة :

في كثير من الأحيان تكتمل كل جوانب الاستطاعة إلا جانبا منها يظل قائما ملازما من يريد فلا يستطيع بسبب عجز الشيخوخة أو بسبب مرض مستعصي ، فهل يجوز أداء تلك الفريضة بواسطة الغير ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتبلور فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما حين قال : إن امرأة قالت : يارسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : نعم » متفق عليه .

أما إذا لم يتم هذا الحج عن الغير فانه لا أثم على ذلك الذي لا يستطيع طالما لم

يتيسر له ذلك ولم يستطع وطالما لم يمر بفترات كان فيها يستطيع ، هذا ويمكن للولد البار أن يؤدي فريضة الحج عن أحد أبويه الذي مات خاصة إذا كان قد نذر ذلك في حياته بشرط أن يكون هذا الابن قد أدى عن نفسه تلك الفريضة المكتوبة عليه أولا .

الاستطاعة وشغف القلوب للحج أكثر من مرة :

لقد امتدت رحمة ربك فوق تلك الأمة وأظلت ربوعها ومسحت فوق شوق الأفئدة التي تهفو لأداء تلك الفريضة كل مرة لكنها لا تستطيع ، وتلك التي تهفو لأداء الحج ولو مرة ، كذلك امتدت نحو تلك التي حجت وأحبت .. أحبت أن تحج مرة من بعد أخرى لكنها لا تستطيع .

لقد جعلت هذه الرحمة تلك الفريضة في العمر مرة ، مرة واحدة حتى لا تقنط النفوس أو تتألم حين تحس باحباط أو تحزن القلوب نتيجة لعجز أو قهر عن أدائها كل عام ،، ان الذي فرضها هو الله الرحمن الرحيم الذي علم منذ الأزل أن المسلمين سيملئون الدنيا يوما ما بتلك الأعداد الغفيرة والملايين الكثيرة .. اذن كيف لتلك الجموع ان تجتمع أو تتجمع في مكان واحد إن لم تكن هذه الفريضة كذلك ؟ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج » فقام الأقرع بن حابس فقال : أفي كل عام يارسول الله ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه احمد والنسائي .

فلنسلك السبل الميسرة لأداء مناسكنا قدر استطاعتنا :

حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخير بين امرين كان يختار أيسرهما ، لم لا ؟ وهو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة وهو الذي كان خلقه القرآن : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) البقرة/ ١٨٥ ، لقد كان يدعو ربه دائما : (**ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به**) البقرة/ ٢٨٦ ، وهل هناك دعاء أحب إلى الله إلا ما علمنا الله إياه ، لكن يجب علينا هنا أن نفرق بين معنى التحميل الذي ورد في هذه الآية وبين معنى التكليف الذي جاء في صدرها (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) : ان معنى التحميل هو ما يثقل كاهل الانسان نتيجة لابتلاء أو نتيجة مباشرة لمباشرة الانسان بنفسه حريته التي أعطاها الله إياها ، أما التكليف فانه يعني تلك العبادات التي كتبها الله على سائر خلقه .

فاذا ما رأيت يوما حاجا يتحامل على نفسه بسبب عجزه عن المسير باذلا كل ما يستطيع وما لا يستطيع كي يتحرك معتقدا انه بذلك سيكسب ثوابا أكبر ، حينئذ تحرك .. تحرك نحو . ياأخي ولا تتردد .. لا تتخوف .. انصحه أن يجفف عرقه .. اجعله ينصف، نفسه .. يخفف عنها ، انصحه ان يركب مذكرا إياه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفضل الركوب أثناء حجه لكونه رحمة من الله وأعون .. أعون على الدعاء والتلبية والتكبير بعكس ذلك الذي يمشي : عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخا يهادي بين ابنيه – أي يتوكأ عليهما كي يستطيع المسير – فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : نذر أن يمشي ، قال : « إن الله عز وجل عن تعذيب هذا نفسه لغني ، وأمره أن يركب » رواه البخاري .

ولماذا نذهب بعيدا وتلك الآية المباركة في كتاب الله تقول لنا : (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**) البقرة/١٩٧ تلك التي فسرها بعض العلماء بأن قوما كانوا يحجون بغير زاد ، وكان بعضهم إذا أحرم رمى بما معه من زاد حتى جاء امر الله واضحا لمن لم يتزود منهم أن يتزود ، ومن كان منهم ذا زاد أن يحتفظ بزاده فلا يرم به ، إن هذا التفسير يتفق تماما مع هذا اليسر والتيسير الذي أحبه الله ورسوله ، إن ما يريده الله حقا هو زاد . التقوى لتبقى الروح دائما في أنواره سابحة مسبحة متنعمة ناعمة بقربه ، لكن هذا الزاد يحتاج ان يكون معه زاد الجسد ايضا كي يعين صاحبه على ذكر ربه دون أن يأخذه ألم بطن ، أو يشده عطش جوف .

فلنسارع الى تلبية النداء ولا نتلكأ :

ما أحلاه نداء ، ما أطيبها تلبية حين تأتينا الاستطاعة فلا نتردد ولا نتلكأ لا ندري متى يأتينا الموت ، نعم : ما أجملها لحظات حين نشد الرحال فنأتي أرض الحجاز نلبي مع حجيج بيت الله مع وفد الله ، حقا ما أحلاها ايام نحيا فيها بين أنفاس الرحمة بين ضيوف الرحمن نعيش فيها في بقاعه المقدسة نؤدي فيها مناسك الحج المباركة : (**ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**) النساء/١٠٠ .



مائدة القارئ

آداب الحج

قال تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولى الألباب »

الآية ١٩٧ من سورة البقرة

من رياض الجنة

عن عبد الله بن زيد المازني ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »



أعداء السنن

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر : ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنين ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم ، فضلوا وأضلوا ، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، ما نضل ما تمسكنا بالأثر .

رغوة الشباب

سئل أعرابي عن سبب إشتعال رأسه شيبا ، فقال : هذا رغوة الشباب .. وسئل آخر .. فقال : هذا غبار وقائع الدهر .

لو صبرا

خرج أحمقان للصيد ، ومعهما كلب صيد مدرب ، وقوس ، ونشاب فمر بهما ظبي سمين ، فأطلقا الكلب ، ثم لم يصبرا ، فأطلقا السهام ، فأصابا الكلب ، فمات على الفور ، ونجا الظبي .

الحرص الشديد

وذى حــرص تـراه يلم وفـرا
لــوارثـه ويــدفــع عن حمــاه
ككلب الصيد يمسك وهـو طاو
فــريستــه لـيـأكلــهـا ســواه

العياذة .. واللياذ

العياذة تكون لدفع الشر ، مثل قولنا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أي أستجير بجناب الله سبحانه من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به .

أما اللياذ فيكون لطلب الخير ـ كما قال المتنبي :

يــا من ألوذ بــه فيمــا أؤملــه
ومن أعـوذ بــه ممــا أحــاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره
ولا يهيضون عظما أنت جابره

القوانين

قــالوا : القــوانــين كنسيج العنكبوت ، لا تمسك إلا بالحشرات الضعيفة ، أما الطيور الكبيــرة ، فــإنــهــا تمزقها » .

البعل

يقول ابن فارس : ما في القــرآن من ذكـر البَعْل ، فهو الزوج ، كقوله تعالى :

« وبعــولتهن أحق بــردهن » إلا حـرفـا واحــدا في« الصافات » « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » فإنه أراد صنما .

دعاء

كـان جعفـر بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول : اللهم انك بما انت اهل له من العفو اولى بما انا اهل له من العقوبة .

المسلمون تحت السيطرة البوذية

يتعرض المسلمون في العديد من المجتمعات المختلفة لأنواع من العذاب والاضطهاد والاذلال والقتل والاحراق أحياء وهتك أعراض المسلمات وتدمير بيوت المسلمين جميعا . ويتعرض المسلمون كأقلية لذلك في الفلبين حيث يقوم حاكمها السفاح الصليبي بتنفيذ خطة منذ أكثر من عشر سنوات لابادة المسلمين في الجنوب الفلبيني ويقوم جميع الحكام الصليبيين في بلادهم بتنفيذ خطة عالمية دقيقة من أجل تصفية المسلمين بكل ألوان التصفية .

ويتعرض المسلمون ـ كأقلية ـ لنفس العذاب والاضطهاد والاذلال والقتل في العديد من المجتمعات الشيوعية فهذه الممارسات كلها وغيرها تتم في الاتحاد السوفيتي .. وبلغاريا ويوغسلافيا وغيرها من المجتمعات الملحدة التي تنكر وجود الله سبحانه .

وما يتعرض له أخوتنا في الاسلام الآن الممثل في السيطرة البوذية عليهم وتعذيبهم وقتلهم حتى أنه يبدو هذا التشابه العجيب في كل ما تقوم به المجتمعات

في تايلاند وبورما

للأستاذ / معالي عبد الحميد حموده

كلها ضد المسلمين فالهدف واحد هو إبادة الأقلية المسلمة الموجودة في المجتمعات الصليبية والشيوعية والبوذية بل أن الوسائل أيضا تتشابه إلى حد عجيب في بعض المجتمعات الصليبية والمجتمعات البوذية .

ونحن إذ نضع ما يجرى لاخوتنا المسلمين في المجتمعات البوذية أمام أعين الجميع فإننا نطالب كل مسلم ـ كل في موقعه ـ بتحمل مسؤوليته كاملة في هذا المقام وأن نتحرك جميعا لانقاذ اخوتنا المسلمين مما يتعرضون له ثم يكفي في هذا المقام أن نؤكد أننا إذا لم نهتم بأمر إخوتنا المسلمين فمن سيهتم بهم ؟ وكل القوى في العالم تناوئهم وتبيدهم وتحرقهم بسبب أنهم مسلمون .

كما علينا أن نفهم جيدا أن المسلمين الأقليات في المجتمعات غير المسلمة هم



بمثابة خط الدفاع الأول لنا فإذا سقطوا فالدور سيجيء علينا ويكفي هؤلاء البواسل أنهم يقاتلون وحدهم وأنهم يدافعون عن دينهم وحدهم .. وأنهم أقلية ولكنهم يواجهون الأغلبية ـ الصليبية والشيوعية والبوذية وعباد البقر ـ بكل صور البسالة والشجاعة والاقدام دفاعا عن دينهم وعقيدة التوحيد .

● المسلمون في تايلاند ●

قبل أن نتعرف على ما يجري للمسلمين في تايلاند فإننا نذكر المسلمين بالدور الدنس الذي لعبته بريطانيا ـ عندما كانت زعيمة للصليبية العالمية ـ في تشكيل تلك المأساة المدوية التي يتعرض لها المسلمون في تايلاند .

ثلاثة ملايين مسلم يعيشون في جنوب تايلاند (شعب فطاني المسلم) وكانت أرضهم جزءا من الملايو ولكن تايلاند إقتطعتها واستعمرتها واستخدمت كل وسائل العنف والتنكيل ضدهم وقد تم ذلك في ١٨٣٢م .

وفي عام ١٩٠٢م . تم طرد سلاطين وزعماء المسلمين تحت سياط القهر والتعذيب وإحلال اللغة البوذية مكان اللغة الملايوية وتغيير الأسماء الاسلامية بأسماء بوذية .

وفي سنة ١٩٠٩ قام الاستعمار البريطاني في الملايو والاستعمار التايلاندي في فطاني بالاتفاق على اعتبار فطاني من تايلاند ؟ هكذا شعب بأسره من المسلمين تتفق ضده حكومتان من أجل بيعه هكذا بثمن بخس وما في ذلك غرابة في مسلك بريطانيا وتاريخها البشع في محاربة الاسلام والمسلمين .

وتايلاند كانت تعرف باسم سيام وهي دولة تقع في جنوب شرقي آسيا بين بورما ولاوس وكمبوديا وماليزيا وتطل سواحلها على خليج سيام الذي يتصل بالمحيط الهادي من جهة الجنوب والشرق كما يطل على خليج البنغال المتصل بالمحيط الهندي من جهة الغرب .

أما فطاني فهي المنطقة الواقعة في جنوب تايلاند على حدود ماليزيا وهي جزء من شبه جزيرة الملايو وكما ذكرنا في عام ١٩٠٩م . سمحت بريطانيا لتايلاند أن تبتلع فطاني .

وتقوم حكومة تايلاند البوذية بتنفيذ سياسة التسييم (أي تحويل فطاني إلى قطعة من سيام) في فطاني وترتكز تلك السياسة على ثلاثة خطوط :

١ ـ التهجير

وذلك بمحاولة تهجير التايلانديين البوذيين إلى أراضي فطاني مع تيسير وسائل العيش لهم بإقطاعهم أراضي المسلمين وإنشاء المساكن والدور لهم . وقد بلغ عدد المهجرين حتى سنة ١٩٦٧ فقط حوالي ٥٠ ألف نسمة . وفي مقابل ذلك يجري تهجير المسلمين من أراضيهم أو بعبارة أخرى أصبح طردهم إلى مناطق داخل تايلاند يحرم عليهم فيها ممارسة شعائر دينهم أو حتى التسمي بأسماء إسلامية مع العمل الدائب لتذويبهم في المجتمع البوذي .

٢) التعليم

تحرص حكومة تايلاند على تسييم التعليم في فطاني وإبعاده عن المنهج الاسلامي فهي تحرص على تدريس البوذية واللغة السيماوية . وفي المدارس الخاصة تقرر تدريس البوذية كما يتم محاربة « الكتاتيب » التي تعلم القرآن في المناطق الريفية .

٣) القمع والارهاب

وذلك بحصد الأبرياء بالرصاص أو اغتيال العناصر الاسلامية التي تحس بتجمع المسلمين حولها وإحراق جثث المسلمين أحياء ولا تزال قصة إحراق سبعة من الفدائيين المسلمين في (تلاكاباكونج) بولاية فطاني تمثل أبشع وسائل الغدر

والحقد والاجرام التي يمارسها الاستعمار التايلاندي لفطاني المسلمة .

هذه هي الخطوات السياسية التايلاندية الاجرامية التي يتم تنفيذها بكل الدقة ضد المسلمين في مجتمع تايلاند البوذي .

فماذا تفعل حكومة تايلاند لتضع سياستها هذه موضع التطبيق العملي ؟

- تم حرمان المسلمين من الحقوق المدنية ومن المساهمة في الوظائف الحكومية وحرموا من حق الاشتراك في ميدان العلم وخاصة الانتساب إلى الجامعات والمعاهد والمؤسسات العليا .

- تمنع حكومة تايلاند المسلمين من الشكوى وتعتبر الشكوى في هذه الأمور خيانة وانتهاكا للأمن العام وفي نفس الوقت تفتح الباب واسعا للبوذيين للاعتداء على المسلمين وانتهاك حرماتهم وتتتبع زعماءهم تقتيلا أو سجنا أو تعذيبا . ومن الزعماء البارزين الذين لقوا مصرعهم على أيدي البوذيين الزعيم المناضل الحاج محمد سولونج . وبين سنة ١٩٦٨ إلى ١٩٧٥ بلغ عدد الضحايا المسلمين أكثر من ١٠ آلاف مسلم .

- وتشجع حكومة تايلاند البوذيين على هدم المساجد وقد تم هدم المساجد في ولاية (ناراتيوت) ودمر مسجدان أحدهما بولاية فطاني والآخر بولاية ساتول .

- وحتى تمكن الحكومة لنفسها وللبوذيين من رقاب المسلمين دون تعرض لنقد من الخارج روجت الحكومة لاشاعات عديدة ولاتهامات مضللة بأن الحركات الوطنية الاسلامية إنما هي حركات شيوعية هدامة وأن العناصر الثائرة إنما هم قراصنة لا يبغون إلا إشاعة الفوضى وقلب نظام الحكم ؟؟

- وتحرص حكومة تايلاند على توثيق صلاتها باليهود للافادة منهم في مخطط محاربة المسلمين وتصفيتهم في ولاياتهم فعلى سبيل المثال لا الحصر في شهر آذار ١٩٧٥ زار موشي ديان وزير الدفاع اليهودي السابق حكومة تايلاند ونظم اتفاقات مع زعماء البوذيين وخاصة جنرال (كريس سيبارا) قائد القوات المسلحة التايلاندية - السابق - بموجبها تقوم اسرائيل بتدريب الجنود البوذيين على حرب العصابات وليس من شك أن الهدف الأول من ذلك هم أبناء أمة لا إله إلا الله .

- ومن الأمور المحظورة على المسلمين في تايلاند إصدار جرائد أو مجلات باللغة الوطنية (الملاوية) فهذا يعتبر في نظر السلطات التايلاندية المحتلة إحياء للروابط بين شعب فطاني المسلم وشعب الملايو حيث تجمعهما وحدة الأصل والجذور .

وجرائم الاحتلال التايلاندي لفطاني المسلمة لا تعد ولا تحصى وأكثرها جرما واستهتارا الاعتداء على شرف الفتيات المسلمات وزوجات المسلمين وتحويلهن إلى جوار وخادمات بالقسر والارهاب .

- وفي الوقت الذي تضع حكومة تايلاند القيود على الأفلام الخليعة والمسرحيات الماجنة في كافة أنحاء تايلاند تقوم الحكومة العابدة للتمثال عاري البطن جاحظ العينين بتشجيع عرض هذه الافلام والمسرحيات في الولايات المسلمة وإلى جوار ذلك تحرص الحكومة على إقامة التماثيل البوذية وسط الاحياء المسلمة مع الضغط

المستمر على المسلمين لاجبارهم على الهجرة وترك ديارهم للبوذيين بالاضافة إلى طابور الداعرات البوذيات الذي هدفه الوحيد إيقاع الشباب المسلم التايلاندي في الزنا .

- وكالعادة تستعرض الأغلبية الجبانة عضلاتها على الأقلية الباسلة فتقوم حكومة تايلاند بممارسة أعمال العنف والارهاب ضد الشعب المسلم في الجنوب فيتم إحراق المدارس ومنازل القرويين ومتاجر التجار بل وصل الأمر بعبدة بوذا أن قاموا في أواخر عام ١٩٧٧ بإحراق مدرسة دينية في ولاية (بندانج ستار) لمحافظة جالا وقد اتضح أن الذين أحرقوا المدرسة هم قطاع الطرق الذين تستعين بهم السلطات التايلاندية على تحقيق أغراضها . كما أحرقت هذه السلطات ثلاثين متجرا في مركز التسويق بمدينة جالا يمتلكها التجار المسلمون تقدر قيمتها بخمسة ملايين دولار كما قام جيش تايلاند بقتل الوطنيين المسلمين في قرية (ستول) بمحافظة سبايا وإحراق آخرين أحياء في (كواكاوي) بمركز رسو .

- في سنة ١٩٧٠ بدأت حكومة تايلاند تحريف القرآن الكريم بتعديل وتغيير آيات فيه وفشلت المحاولة فبدأت في منع تعليم الأطفال والبنات المسلمين تعاليم القرآن واستبدلت البرامج التعليمية ببرامج ثقافية بوذية .

- وفي ظل الظروف المضطربة التي تسود الهند الصينية كلها تواجه فطاني خطرا محدقا في كل اتجاه خطر الحكم التايلاندي فعلى الحدود مع ماليزيا يتمركز الشيوعيون المحليون في الجبال والأدغال وهم فريقان : أحدهما موال للصين والآخر موال لموسكو وهم يقومون بين حين وآخر بإرسال عملائهم إلى قرى المسلمين في فطاني للاجتماع بالقرويين وإيهامهم أنهم يعملون من أجلهم وأنهم يؤمنون بالاسلام ويدافعون عنه ويسعون للعدالة الاجتماعية ومحاربة الرجعية وهم في ذلك يسعون لترويج مذهبهم ونشر شعاراتهم .

- وكأن الأمور لا تكفي إلى هذا الحد إذ يواجه المسلمون في فطاني خطرا آخر تمثله الارساليات التبشيرية ففي مدينة (تلوين) أنشأ المبشرون مستشفى ضخما هو بمثابة المركز الرئيسي للعمليات التبشيرية .

- ولم يتوقف الأمر على البوذية والنصرانية ولكن الخطر بدأ بدوره يزحف على فطاني في محاولة لغزو المجتمع المسلم وقد قام اليهود بإنشاء نوادي الروتاري في كثير من المجتمعات مثل مدينة (جالا) و(ناراتيلواس) وبالطبع يجد اليهود - كما يجد أبناء الصليب - كل لون ومساعدة وترحيب من حكومة تايلاند .

- أنشأت حكومة تايلاند تنظيما جديدا في قرى المسلمين أسمته (لواء سينج حاوبان) ومعناه كشاف القرية تشرف عليه الحكومة وقد أعلنت الحكومة البوذية أن مهمته هي تثقيف القرويين وتعليمهم أصول الدفاع عن أنفسهم ولكن الحقائق أثبتت أن مهمة التنظيم هي إفساد المسلمين في القرى المسلمة .

وبعد ..

فبينما يعيش غير المسلمين في بلاد الاسلام - خاصة دول الخليج العربي -

يتمتعون بكل الحقوق التي يتمتع بها المسلمون بل كثيرا ما يتجاوزون هذه الحقوق نرى حملات التصفية والابادة للمسلمين قائمة في تايلاند . وهاهم المسلمون يتعرضون تحت حكم بوذي لا يعرف إلاها له إلا بوذا لكل صنوف التعذيب والتنكيل والقتل والاحراق .

والمعادلة غريبة : يقوم الحكم البوذي في تايلاند بإبادة إخوتنا المسلمين ويقوم حكامنا المسلمون بعقد أواصر العلاقات مع حكومة تايلاند .. وأموالنا تذهب إلى أعدائنا ليأخذوها ويحولوها إلى سلاح يقتلون به إخوتنا المسلمين ؟

بقي أن نسأل : ماذا سنفعل تجاه إخوتنا المسلمين في تايلاند ؟

المسلمون في بورما

إن التقارير عن الطرد الجماعي للمسلمين والمذابح والأعمال الوحشية التي ترتكب ضد الثلاثة ملايين من المسلمين في بورما تعرض لنا هذه المأساة الخطيرة المدوية التي يتعرض لها المسلمون على يد حكومة بورما والبوذيين المعروفين بالماج (الحزب الحاكم في بورما)

والمذابح هي هي واحدة في الفلبين .. وتايلاند .. وبورما .. وكمبوديا .. والهند وغيرها من كل المجتمعات التي تناصب الاسلام العداء .

المسلمون في أراكان المعروفون بالروهنجياس هم من ذرية المسلمين الأوائل الذين استوطنوا البلاد وأقاموا بالمنطقة كجنس عرقي . وكي يعرف كل مسلم حقيقة المسلمين في بورما وكيف وصل الاسلام إلى ذلك المكان فإننا نقتطف من التقرير الهام الذي نشرته نشرة معهد شئون الاقليات المسلمة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة تحت عنوان : الأقلية المسلمة في بورما . . يقول التقرير :

(الأركانيون هم برمانيون وإن كانوا قد اختلطوا بالدم الهندي ولغتهم عبارة عن نوع قديم بعض الشيء من اللغة البرماوية وقد ثبت بدرجة لا تحتمل الشك من الشواهد التاريخية أن المسلمين البرماويين كان لهم جذور في بورما في الألفي سنة الأخيرة . أما مسلمو أراكان فلهم تقاليد ترجع إلى أكثر من ١٣٠٠ عاما وثقافة وتاريخ وحضارة خاصة بهم . وفي غضون ٥٠ عامامن ظهور الاسلام (أي ٦١٠ - ٦٦٠ ميلادية) دخل الاسلام في أراكان أبان حكم الملوك الهندوكيين الذين سبقوا أسرة شاندرا (٧٨٨ - ٩٥٧م) وكان هذا على أيدي الصوفيين العرب والمغاربة والتجار الايرانيين . وكانت عواصم أراكان الحالية في الفترة من القرن السابع إلى القرن العشر على التوالي في (واسيلي) و(ولونجريت) وقليل من المدن الأخرى الواقعة على نهر (ليمرو) عندما كانت الهندوكية والبوذية سائدتين في الأقليم . ثم حدث بعد أن دخل المسلمون بأعداد كبيرة أن جاء الغزو المنغولي في أراكان وأنهى حكم أسرة شاندرا عام ٩٥٧م . وكان وضع منغوليا مستقرا جدا لدرجة أنه كان يطلق عليهم اسم صانعي الملوك في أراكان . ولم تكن لهم رغبة في إقامة مملكة لهم

حتى عام ١٤٣٠م . عندما أعيد الملك البوذي المخلوع (نارمثلا) إلى عرش أراكان باسم مسلم هو سليمان والذي غير فيما بعد إلى سامان أو صوموان وكان سليمان أول ملك الأسرة . وقد أخذ ملوك أراكان حوالي مائة عام بعد ذلك بتعلم الدين الاسلامي . وفي المائة سنة التالية ١٤٣٠ ـ ١٥٣٠م . ظلت أراكان قريبة من البنغال المسلمة في التاريخ والسياسة)

وظل الاسلام مسيطرا هناك وفي عام ١٩٣٧ انفصلت عن الهند ومنحت بورما الاستقلال عام ١٩٤٨ وأصبحت دولة في ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ تحت حكم الجمهورية الاشتراكية لاتحاد بورما يرأسها ما يسمى ب : يوني ون .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت المعاناة الشديدة ضد الاسلام والمسلمين في بورما .

- بدأ ذلك بالكبت والاضطهاد بالتطبيق التعسفي الخاطيء غيرالشرعي لقانون تسجيل الأجانب على المواطنين المولودين في بورما وهذه الخطة غاية في الخبث لابادة السكان المسلمين ولاقامة مستوطنات للبوذيين على الأرض المنهوبة .

- في أواخر عام ١٩٤٨ عندما كانت حركة المجاهدين ضد الحركة البرماوية على أشدها قامت القوات المسلحة لبورما بقتل كثير من المسلمين والقبض عليهم وحرق قراهم وخطف نساءهم والاعتداء عليهم وقد هرب من البلاد حوالي ٣٣ ألفا لجأوا إلى شرق باكستان .

في عام ١٩٤٩ قامت قوات الحكومة بأعمال وحشية مختلفة مثل النهب والاغتصاب والتعذيب الجسماني والحرق مما كانت نتيجته أن انعدم كثير من القرويين المسلمين من الوجود كما تم طرد ٢٠٫٠٠٠ مسلم إلى شرق باكستان .

- في أثناء نوبات عمل الجيش والرحلات الرسمية قام الجيش بحرق ٣ مساجد ومئات من الكتب الدينية بما في ذلك القرآن الكريم والاحاديث النبوية ومما يذكر أنه في شباط ١٩٥٥ قام البرماويون بتدنيس مسجد في قرية (كيوندونج) فقد تحول مسجد الحاج إسماعيل في النهاية إلى معسكر من معسكرات الجيش .

- في ١٤/٥/١٩٥٥ قام بعض الموظفين البوذيين المسلحين بخطف خمس مسلمات وتزوجهن بالقوة وكانت هذه الفتيات من قرية (سيد حسين) من كازربل وبنفس الطريقة قد تزوج بعض موظفي الجيش الآخرين فتيات مسلمات من منجداو .

- ويمضي الحكم البوذي اليساري في خطته الممتدة من أجل إبادة المسلمين في برورما . ونتجاوز الذبح والاعتقالات والتصفيات الجسدية لنصل إلى (عملية التنين) .

عملية التنين

في شباط ١٩٧٨ بدأت الحكومة البرماوية (عملية التنين) في منطقة ماند هوو وكانت العملية تحمل هدفا هو التحقق من جنسيات المواطنين في منطقة

ماندهوو وولايات أراكان وكاشين ومناطق مندلاي وساجاياج فماذا حدث في تلك العملية ؟

ـ تم استجواب ١٠٤٤٣١ شخصا واتخذت إجراءات ضد ٦٤٣ منهم وهرب ٣٥٥٩٦ شخصا من مدينة بوفياونج وترك ٦٠٠٠ مساكنهم في نفس المدينة .

ـ نتيجة لهذا فإن الحدود بين بورما وبنجلاديش ما زالت تشهد آلاف المآسي مع آلاف الهاربين من نظام الحكم البوذي الماركسي إلى أراضي بنجلاديش .

ـ أعلنت إذاعة دكا في مايو ١٩٧٨ أن تدفق اللاجئين البورميين مستمر بدون انقطاع وقد زاد عدد اللاجئين إلى ١٧٥ ألفا في أواخر مايو ١٩٧٨ وقد زاد من عذاب اللاجئين هطول الأمطار الموسمية الغزيرة على معسكراتهم الثمانية مما أدى إلى موت ١٨٦ منهم أغلبهم من الأطفال .

ـ ذكرت مجلة (امباكت) أن بنجلاديش قد أرسلت إلى الأمم المتحدة تطلب العون الخارجي نظرا لضخامة المشكلة وقالت المجلة أن اللاجئين في حالة يرثى لها وأن الحكومة البورمية قد ارتكبت إنتهاكا خطيرا لحقوق الانسان وأنه على الرغم من أن بنجلاديش قد أوت اللاجئين مؤقتا إلا أنها لا تستطيع أن تتحمل عبئهم لفترة طويلة .

ـ في أواخر أغسطس ١٩٧٨ وصلت مجموعة من ٢٠٠ مسلم من مسلمي بورما إلى الحدود وجاء رئيس إقليم أراكان البورمي ليعلن عن قبول ٥٨ فقط ورفض الباقين . وفي نفس اليوم سارت قافلة العائدين التي تضم المسنين والنساء والأطفال مسافة ١٢٠ ميلا عبر طريق جبلي وعر وتعرض الجميع للضرب والاهانة الوحشية من الحرس البورمي وضربت إحدى السيدات المسلمات وكانت حاملا حتى وضعت حملها وتوفيت بعد ذلك هي ورضيعها ومر يوم عيد الفطر على الباقين دون طعام أو شراب ولم يسمح لهم حتى بالتوقف لأداء صلاة العيد .

ـ ثم بدأت الحكومة ـ في عملية التنين ـ البورمية في ذبح المسلمين وخطف نسائهم ونهب بيوتهم وإحراقها وإجبارهم على الهجرة خارج بورما .

ـ في ٣ مايو ١٩٧٨ نشرت جريدة (لوموند الفرنسية) موضوعا قالت فيه : يلجأ الآن أكثر من ٧٠٠٠٠ من المسلمين إلى بنجلاديش وفي نفس التاريخ نشرت جريدة (ديلي تلجراف) أنه وجدت حالات كثيرة جدا من سوء التغذية والدوسنتاريا الحادة من معسكرات اللاجئين التي أقيمت على عجل فيمناطق الحدود لاقامة المسلمين المطرودين من أرضهم في بورما .

ـ وتعاود جريدة لوموند الفرنسية في ٣ مايو ١٩٧٨ فتكمل قولها : قد أكد هؤلاء اللاجئون المسلمون الذين هم أصلا من أراكان انهم يعانون من المعاملة العنيفة عندما كان الجيش يطردهم خارج منازلهم وقد اكتشفت خمس جثث في نهر « ناف » تحمل آثار التعذيب الوحشي .

- ونشرت صحيفة (لي كوتيديان دي باري) حديثا خطيرا جاء فيه :
(ذكرت امرأة أصيبت بجرح عميق في الجزء الأيسر من الصدر بأنها كانت الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة من بين ١٧ امرأة هاجمهن الجنود البرماويين كما ذكرت أنهم قطعوا ثدي النساء الأخريات ثم طعنوهم حتى الموت)

- شاهد وفد رابطة العالم الاسلامي إلى بنجلاديش بأنفسهم الأدلة على تدنيس القرآن الكريم على يد الجنود البرماويين والمعاملة اللا إنسانية التي يعامل بها هؤلاء اللاجئين .

هذا كله يحدث وما زال النظام البوذي الماركسي في بورما يواصل السياسة الخطيرة من أجل إبادة المسلمين هناك .. ومازال هذا النظام يواصل الاستهزاء بحكامنا المسلمين ولا يقيم لنا جميعا وزنا وهكذا يصير دم المسلم في بورما أدنى من قلامة الظفر .

وما زالت حكوماتنا تواصل التعامل مع هذا النظام البوذي الوثني الملحد الذي يقتل أخوة لنا لم يفعلوا أي شيء سوى أنهم قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فماذا نحن فاعلون ؟

المصادر :

١ - البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر
د . غلاب ود . حسن صالح ومحمود شاكر - جامعة الامام محمد بن سعود صفر ١٣٩٩هـ

٢ - المسلمون في العالم
د . عادل طه - دار البحوث العلمية - الكويت - طبعة ١٤٠٠هـ

٣ - مجلة الدعوة الاسلامية المصرية
عدد ١٠ - غرة ربيع الثاني ١٣٩٧هـ
عدد ١٤ - غرة شعبان ١٣٩٧هـ
عدد ٢٠ - صفر ١٣٩٨هـ
عدد ٢١ - غرة ربيع الأول ٣٩٨هـ
عدد ٢٨ - غرة شوال ١٣٩٨ هـ
عدد ٢٩ - غرة ذي القعدة ١٣٩٨هـ
عدد ٣١ - غرة المحرم ١٣٩٩هـ

٤ - نشرةمعهد شئون الاقليات المسلمة - مجلد ٢/ ٦٤ - جماد الثاني ١٣٩٨ هجرية .

المخدرات

آثارها وحكمها

للأستاذ عاطف شحاتة زهران

كرم الله بني آدم على شتى المخلوقات ، وجعل مناط ذلك التكريم هو العقل ، فهو النعمة الكبرى ، وهو المعتبر في التكاليف الشرعية وفي الثواب والعقاب ، به يثيب الله وبه يعاقب ، وبه يأخذ وبه يعطي .

ولما كان العقل هو الهداية الكبرى ، فقد أوجب الشرع الحفاظ عليه ، وصيانته مما يضر به أو يخل بوظيفته التي من أجلها كان ، حتى تبقى للانسان انسانيته ... يفكر ويتدبر ، ويفهم ويتعقل .. ينظر آيات الله في الكون ، ويعتبر بالماضين ويتعظ بالهالكين .. « **وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون** » الذاريات / ٢٠ ـ ٢١ .

فالمسلم يسير في الأرض بوعيه وبفكره حتى يتسنى له أن يرى سنن الله وآياته الدالة على وحدانيته وعلى قدرته وهي آيات لا يعقلها الا العالمون . ولا يعلمها الا العاقلون . وهؤلاء هم الذين امتدحهم الله وأثنى عليهم في كتابه : « **ان في ذلك**

لآيات لأولى النهى » طه ٥٤ وقوله « **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك** » آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١ .

وغير هذه الآيات كثير في كتاب الله مما يدلنا على مكانة العقل ، ويطلب منا أن نعمله لا أن نعطله ، وعليه فلا يجوز لك أن تقدم على ما من شأنه أن يبطل وظيفته ، كما أن الدين وضع عقوبات دنيوية لمن أقدم متعمدا على عمل يخل بالعقل . ومن ذلك أوجب الحد على من شرب مسكرا متعمدا وقامت البينة عليه . حتى لا يستهين أحد بما عظمه الله سبحانه وتعالى ، ولا يتجرأ على أقدس ما وهبه . وذلك من المعلوم من الدين بالضرورة . فلا يختلف عليه اثنان .

ولكن الجدل يثور بين الآن والآخر حول بعض المواد المؤثرة على العقل وهي المواد المخدرة على اختلاف انواعها الطبيعية والصناعية ، ففريق يرى حرمتها حرمة الخمر من حيث أنها تذهب العقل وتغطيه اذا تعاطي المدمن كمية منها ، وفريق آخر يرى أنها ليست في درجة الخمر بل هي أخف وطأة ، وليست محرمة قطعيا فهي مكروهة فقط . حيث لم يرد نص صريح في القرآن او السنة يحرم هذه المواد كما ورد في الخمر . وطالب بعضهم بالغاء قوانين العقوبات على تعاطي هذه المواد ، أو تخفيفها على الأقل .

ووقع المسلمون في حيرة بين الرأيين .. أيهما يصدقون وأيهما يكذبون ؟ مما يلقي المسئولية على أجهزة الاعلام الاسلامي لتقول فيها الرأي الشرعي الذي يطمئن اليه المسلم . بشرط أن تكون كلمة واضحة .

ومن هنا رأيت أن أعالج هذا الموضوع في ضوء شريعتنا السمحة وآراء فقهائها الأجلاء . وفي ضوء ما وصلت اليه الدراسات الطبية والاجتماعية في هذا الامر ، والله الهادي والمستعان .

وسأحاول قدر المستطاع أن أعالج الموضوع من عدة جوانب :
أسباب تعاطي المخدرات ـ الأضرار الصحية والاجتماعية الناتجة عن تعاطيها .
رأى الشرع في تعاطي المخدرات والاتجار فيها ـ الآثار الاقتصادية الناتجة عن تعاطيها ـ دور الاستعمار في انتشارها .

أولا : أسباب تعاطي المخدرات

في البداية نطرح هذا السؤال :ـ
لماذا تعاطي المخدرات وعلى رأسها الحشيش ؟ وبغده سائر المواد حتى الأقراص المخدرة ؟. وبحثا عن اجابة لهذا السؤال أجريت عدة دراسات اجتماعية قررت أن المتعاطي يسعى لتحقيق رغبتين :
أ ـ الرغبة في استمرار تأثير المخدر فترة طويلة مع زيادة فعل التخدير .

ب ـ الرغبة في زيادة مستوى الحيوية الجنسية كما يزعم المتعاطون .
وقد ثبت بطلان الغرض الثاني . والذي يدفع نسبة كبيرة للتعاطي . انما هو زعم فقط لا صحة له علميا .

ولهذين السببين يرجع الاقدام المطرد على تعاطي المخدرات الطبيعية مثل : الخشخاش والأفيون ، والقنب الهندي (حشيش) والقات ، أو المصنعة مثل الهيروين والمورفين والكوكا ، وغيرها من المواد التخليقية مما يذهب الكثير منه أو القليل العقل .

ثانيا - الآثار الصحية والاجتماعية

حين يحرم الشرع ما يحرم ، أو يبيح ما يبيح انما يهدف بذلك الى المصلحة العامة للناس في دنياهم وآخراهم ، فما من خير للناس في دينهم أو دنياهم الا وأمر به الشرع . وما من شر لهم في دينهم أو دنياهم الا ونهاهم عنه . فمصالحنا هي المعتبرة وعليها المدار في التحريم أو الاباحة . فالدين يريد أناسا أسوياء أقوياء ، لا ضعفى ولا حمقى ، ولا غثاء كغثاء السيل كثرتهم في الكم فقط .

وحين حرم الله الخمر كانت العلة ظاهرة والغاية معروفة ، وهي الحفاظ على العقل والمال ، فالخمر مفسدة للعقل مذهبة للمال . وفيها على الصحة أضرار .

والمخدرات لا تخلو من الآثار الضارة على الصحة وعلى العقل نذكر بعضها : تؤثر هذه المخدرات ـ والحشيش بالذات وهو أكثرها شيوعا ـ على الوظائف العقلية وعلى الأعصاب ، وتؤدي الى اصابة الجسم بالوهن والضمور .

يقول د . سعد المغربي في دراسته عن (ظاهرة تعاطي الحشيش) : كما يؤثر تعاطي المخدرات تأثيرا متفاوت الدرجات في الوظائف العقلية للفرد .

ويقول التقرير الأول لهيئة تعاطي الحشيش في مصر : (ان المدمن على تعاطي المخدرات يصاب جسمه بالوهن والضمور وشحوب الوجه ، وضعف الأعصاب وغالبا ما ينتهي الادمان بصاحبه الى الجنون) .

وقرر المؤتمر الدولي السابع والأربعين للجمعية العامة للشرطة الجنائية الدولية والمنعقد في بنما سنة ١٩٧٨م : أن الدراسات الحديثة انتهت الى أن الحشيش مادة خطرة يجب تجنب تعاطيها . .

وهناك ضرر صحي ناجم عن الاشتراك في وسيلة واحدة للتعاطي (جوزة) وهنا يكون المجال واسعا لانتقال العدوى من أحد المتعاطين إلى غيره عن طريق هذه الوسيلة المشتركة . ففي تقرير لمنظمة الصحة العالمية ثبت أن هذه الوسيلة تنقل أمراض الجهاز التنفسي بين مستخدميها وبخاصة الدرن الرئوي .

وأعتقد أن فيما أوردناه ما يكفي لبيان آثار هذه المواد على الصحة . مما يدخلها في القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار) وعليها المعول في التحليل والتحريم وهي تقريرات لمنظمات دولية لا يستهان بها .

وهذه الآثار تضر بالمتعاطي نفسه ، وهناك من الآثار ما يتعداه الى غيره وهي ما نسميه بالآثار الاجتماعية . فالمسلم كما أنه مسئول عن نفسه ، فهو مسئول عن رعيته ... أبنائه وزوجته وأبويه ممن يعولهم . وتجب عليه النفقة عليهم . فينبغي ألا يضر بهم ، ولا يهمل متطلباتهم . وعليه ألا يضيعهم . وهنا نسرد بعض هذه الآثار الاجتماعية لتعاطي هذه المواد .

** الآثار الاجتماعية :

١ ـ مما لا شك فيه أن المخدرات تمثل بالنسبة لمتعاطيها عبئا اقتصاديا ، وهو مضطر دائما أن يقتطع ثمنها من قوته وقوت أولاده ، وهو مسئول عنهم ، ومن ناحية أخرى يرى أبناؤه وزوجته أنهم لا يحصلون على احتياجاتهم الضرورية ، مما يضطر الأم والأبناء ـ أحيانا ـ للبحث عن عمل وغالبا ما يكون غير مشروع .
٢ ـ المتعاطي لا يقدر المسئولية ، ويهمل واجباته الأساسية ، وبذا يقدم النموذج السيء لأولاده . فلا ينشأ لديهم شعور بالمسئولية حيال أسرهم في المستقبل .
٣ ـ المتعاطي نفسه غالبا ما يلجأ إلى سلوك غير مشروع من سرقة أو رشوة أو نصب أو غيرها للحصول على الأموال اللازمة لشراء المخدر ..

واذا أضفنا هذه الآثار الى الآثار الصحية رأينا مدى خطورة تلك المواد حين تنتشر بين العوام .

وبعد ذلك نستفتي الشرع لبيان رأيه في هذه المواد بعد هذه المقدمة الضرورية التي يبني الشرع حكمه عليها .

ثالثا : حكم المخدرات في الشرع

الشرع لا يفتي حين يفتى من فراغ . وانما يبني حكمه على حيثيات . ولذا رأينا أن نورد هذه الآثار قبل أن نستفتي الشرع . ليكون القارىء على بينة من الأمر . وأقرر بأن هذه المواد المخدرة لم يرد ذكرها صراحة في القرآن أو السنة ، وذلك لأنها لم تكن موجودة في زمن التشريع ، وانما وجدت في عصور متأخرة .

ولكن علماء المسلمين اجتهدوا فيها منذ ظهورها . وبحثوا . وحاربوها لما بدا لهم ما لها من آثار على الصحة والعقل . ووضعها كثير منهم في درجة الخمر . وأسروا عليها نفس حكم الخمر ...

فالخمر ما خامر العقل وأسكره ، وهي كل مسكر . فقد جاء في البخاري من خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (... والخمر هي ما خامر العقل) هذا من جهة التسمية أما من ناحية الأثر . وهو المعتبر شرعا . فالخمر هي كل ما أسكر ، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر حرام » فما أسكر من أي نوع فحكمه التحريم ، ولا عبرة بالتسمية ، والخمر هي كل ما

يسكر ، وما يسكر فقليله وكثيره حرام .

والحشيش ثبت إسكار الكثير منه . نقل ابن حجر الهيثمي في الزواجر رأي ابن البيطار فيه فقال : (وقال ابن البيطار وإليه انتهت رياسة زمنه في معرفة النبات والأعشاب في كتابه الجامع لقوى الأدوية والأغذية : ومن القنب الهندي نوع يقال له الحشيشة . وهو مسكر جدا إذا تناول منه الإنسان قدر درهم أو درهمين) .

وفي الزواجر وضع الهيثمي المواد المخدرة في عداد الكبائر بانيا حكمه على إسكارها كما صرح به النووي ، فقال في الزواجر عن اقتراف الكبائر (وإذا ثبت أنها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر لاشتراكهما في ازالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله . والمتميز به الإنسان عن الحيوان) .

كما افتى ابن تيمية بحرمة الحشيش وسائر المخدرات في السياسة الشرعية فقال : (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما غطى العقل وأسكر ، ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولا أو مشروبا ، وكل ذلك حرام) . وحين نتجاوز هذه القرون الطوال . ونأتي الى العصر الحديث نستفتي علماءه نجد الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية يقول في فتوى له سنة ١٩٤٠ بحرمة تعاطي هذه المواد او الاتجار فيها او زراعتها . فقال رحمه الله :

(إنه لا يرتاب مرتاب في أن تعاطي هذه المواد ـ المخدرة ـ حرام لأنها تؤدي الى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة ، فهي تفسد العقل وتفتك بالبدن ، وكيف تبيح الشريعة الاسلامية شيئا من المخدرات مع أن مبنى الشريعة على جلب المصالح الخالصة أو الراجحة ، وعلى درء المفاسد والمضار كذلك .

وفيها أفتى فضيلته بحرمة الاتجار في هذه المواد ، وحرمة زراعتها وحرمة الربح الناتج عن الاتجار فيها ، وهي فتوى طيبة مفيدة .

ومن جملة تلك الآراء نرى حرمة تعاطي هذه المواد بما يشبه الإجماع .

ولقد ورد في السنة النبوية نصوصا تذكر المسكر بعمومة حتى لا يبقى مجال للرأي والاجتهاد . فالقاعدة أن ما يسكر فهو خمر .

جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قادما من اليمن فسأله عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل : أو مسكر هو ؟ قال نعم . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (كل مسكر حرام ، وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال) قالوا وما طينة الخبال ؟ قال : (عرق أهل النار) رواه مسلم والنسائي .

فالحديث يذكر المسلم مطلقا ، دون أن يحدد الخمر بالذات . حتى ينسحب العقاب والاسم على أي مادة تسكر أو تفتر . وقد روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر .

واختلفوا بعد ذلك في متعاطي هذه المواد هل يحد حد شارب الخمر أم لا .؟ فقال البعض يحد وقال الآخر يعزر فقط .

ماذا يبقى بعد ذلك لهؤلاء الذين يدعون ان المخدرات غير محرمة قطعيا بعد أن قال هؤلاء الفقهاء رأي الدين واضحا جليا في هذه المواد .؟

رابعا : الآثار الاقتصادية

اذا كنا قد بينا آثار المخدرات الصحية والاجتماعية . فلا يمكن أن نغفل الحديث عن الآثار الاقتصادية لهذه المواد . فهناك ملايين الجنيهات تنفق على تلك المواد ، كان من الممكن أن تتوجه لما يعود على المسلمين بالخير او أحسن استثمارها أو توجيهها ، وغالب البلاد الاسلامية ما زالت في طور النمو أي التخلف بالمعنى الصريح .

وحسبي هنا أن أشير الى مثال واحد مما تنشره صحافتنا . لنرى هذه الملايين المهدرة . التي تضيع ثمنا لشراء المخدرات .

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية في تحقيق عن (الحشيش) يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٨٣ قالت فيه :

ان السلطات المصرية قبضت على (١٥٢) طن حشيش في أقل من ثلاث سنوات . ويقدر المسئولون أن خمسة أضعاف هذا الرقم ـ تقريبا ـ قد تسرب الى البلاد (حوالي ٧٦٠ طن) .

وذلك مجرد مثال فقد لأحد البلاد الاسلامية . فهل يتصور أن بلدا واحدا من هذه البلاد الكثيرة يدخله أكثر من (٢٥٠) طن سنويا من الحشيش ؟ أين تذهب هذه الأطنان ؟ وما حكم الآلاف المؤلفة من الجنيهات التي تدفع ثمنا لها ؟ وماذا لو سخر المسلمون هذه الأموال لاغاثة منكوبي أفغانستان وهم اخوة لنا في العقيدة ، ذلك الشعب المناضل المسلم الذي حارب الغزاة ـ وما زال ـ لسنوات وهو أشد حاجة الى هذه الأموال الطائلة أو ما دونها ليأسو جراحه ، ويشتري السلاح للمقاتلين والطعام للمسغبين ، والغطاء الذي يقيهم ويقي أطفالهم من البرد القارس ، وصورهم ومآسيهم أضحت شيئا عاديا تنقلها وكالات الأنباء الى شتى الاقطار فتمر علينا مرورا كريما . وكأنهم أبناء كوكب آخر ، أو أتباع ملة غير ملتنا فماذا لو أزداد وعي هؤلاء الذين ينفقون تلك الملايين ووجهوها لخدمة قضية عادلة ونصرة شعب مظلوم !

ألا يجعلنا ذلك نقول : ان المتعاطين للمخدرات أصبحوا لا يهتمون الا بأنفسهم ولا يشغلون ألا بنزواتهم فقط . حتى ولو كان من خلفهم الطوفان .. ولا غرو ما داموا قد أهملوا اسرهم وأقرب الناس اليهم وأضاعوا ذويهم ورعيتهم لا غرو أن يموت لديهم الشعور بالانتماء للأسرة الكبرى .. المجتمع الاسلامي كله ، فلا تشغلهم قضاياه ، ولا تثيرهم معاناته ، فنظرهم لا يتعدى مصالحهم وشهواتهم قيد شبر . وأفغانستان جرح واحد في كبد الأمة الاسلامية . وكم فيها من جراح أخرى !! سقتها كمثال حي قريب نعايشه جميعا .

خامسا : الاستعمار والمخدرات

اذا كانت هذه هي بعض آثار المخدرات . فلماذا انتشرت بين العامة والخاصة في أوطاننا . ومن المسئول عن انتشارها لهذه الدرجة حتى أمست قضية تؤرق المصلحين ، وهيئات مكافحة المخدرات ؟

وحين نستقرىء التاريخ يظهر لنا جليا أن الاستعمار له اليد الطولى في نشر هذه المواد بين بلادنا . وليس ذلك من قبيل الاسقاط ، بل هي الحقيقة يقول د . حسن فتح الباب في كتاب (المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية) : (هناك حقيقة بارزة لا ينكرها منكر ، وهي أن النسبة الغالبة من مدمني الحشيش في العالم تتمثل في الدول الآسيوية والافريقية التي خضعت للاستعمار فترات طويلة ، عمل خلالها على نقل هذه الأوبئة الى اراضيها ، وساعد بشتى الطرق على انتشارها حتى تظل في قبضته .

ويقول في موضع آخر من الكتاب : (وعندما وقع الشرق الأوسط فريسة للاستعمار الغربي بعد انحلال الامبراطورية العثمانية وتقسيم ممتلكاتها بين فرنسا وانجلترا كانت المخدرات احدى مخلفات هذه الامبراطورية في البلاد ، فأجادت الدولتان استخدامها حتى تفشي الداء ، وتعذر الدواء . فلم تجل فرنسا عن لبنان الا بعد أن جعلت منه حقلا خصيبا لانتاج الحشيش ، ولم تغادرا انجلترا مصر الا بعد أن حولتها الى سوق متعطش الى مزيد من الحشيش والأفيون) .

هذه هي بعض جناية الاستعمار على الأمة الاسلامية . والآن قل أن يمر يوم دون أن نقرأ أو نسمع عن كميات من المخدرات في محاولات لتهريبها يتم ضبطها وما خفي كان أعظم . مع أن هناك كثيرا من التشريعات سنت لمكافحتها ولكنها لم تنجح . فالأهم هو زيادة الوعي الديني لدى عامة المسلمين . ولا يكفي أن نلقي المسئولية على الاستعمار فنريح ونستريح ، فقد ذهب الاستعمار وعلينا أن نفيق .

** وختاما :

لقد سمع المسلمون آيات تحريم الخمر لما نزلت فانتهوا عنها وأراقوا دنانها على الأرض طاعة لربهم . واستجابة لأمره . وهنا نحن أولاء نتلوا الآيات عسى أن يهتدي بها أناس ، أو يستجيب لها بعض من استجابوا لنداء شهواتهم . وعساها تجد قلوبا يقظة ، وعقولا نيرة ، ونفوسا طيعة تقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير يقول عز وجل : « **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » المائدة ٩٠ ـ ٩١ .

هدانا الله لما فيه الخير ، وأرشدنا للتفكر في آلائه ، ورزقنا الفهم عنه ..... آمين .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

قارىء من أم درمان بالسودان يقول زوجتي لم تحج من قبل وتنوي الحج هذا العام وظروفي لا تسمح بالسفر معها هل يجوز أن تسافر مع زوج اختها وأختها ؟

يشترط ان يكون مع المرأة في سفرها زوج او محرم وبعض الناس يفهم ان المحرم هو القريب اي قريب وهذا خطأ فالمقصود بالمحرم من حرم عليه نكاحها الى الأبد كالأخ والعم والخال وابن الاخ وابن الاخت وكل من لا يحل له ان يتزوجها يعتبر محرما لها ويلاحظ ان أخا الزوج ليس محرما لانه يحل له ان يتزوجها اذا طلقها الزوج او مات عنها كذلك زوج الاخت لا يعتبر محرما لهذا المعنى . والاسلام باشتراطه الزوج او المحرم في سفر المرأة يهدف الى صيانة المرأة والمحافظة عليها لانها في الاسفار قد تتعرض للمخاوف والأخطار والمحرم من واجبه ان يصونها ويعمل على حمايتها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . لايخلون رجل بامرأة الا و معها ذو محرم ولا تسافر المرأة الا مع ذي محرم فقام رجل فقال يارسول الله ان امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال انطلق فحج مع امرأتك رواه البخاري ومسلم - أشترط هذا الشرط كثير من العلماء فمن لم تجد محرما تعتبر غير مستطيعة للحج ولو كانت موسرة غير ان رأيا للشافعية يبيح سفر المرأة مع جمع من النسوة الثقات مادامت لم تجد محرما او زوجا يسافر معها ومادام الطريق غير مخيف استنادا الى مارواه البخاري عن عدي بن حاتم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة يعني الفقر والحاجة ثم اتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدي هل رأيت الحيرة - وهي قريبة من الكوفة - قال قلت لم أرها ولكن أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة - والظعينة هي الهودج فيه امرأة ام لا - قال ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الا الله وعلى هذا يجوز للزوجة ان تحج حجة الفريضة مع جمع من النسوة على خلاف رأي جمهور الفقهاء

القارىء محمد شعبان من المحلة الكبرى ج م ع يقول مات والدي قبل ان يحج فهل يجوز أن أحج عنه أو ارسل من يحج عنه ؟

جمهور الفقهاء يرى ان من مات وعليه حجة الاسلام وجب على وليه ان يجهز من يحج عنه من ماله سواء أوصى الميت بالحج أو لم يوص لانه يعتبر دينا يجب على ولي الميت ان يسدده ومن المقرر ان الأولياء مطالبون بقضاء ماعليه من ديون للغير اولله

والحج حق الله يجب الوفاء به فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة من جهينة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن أمي نذرت ان تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال . نعم حجي عنها . أرأيت لو كان على امك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء . رواه البخاري اما اذا لم يترك الميت مالا فلا يجب الحج عنه لعدم استطاعته والقول بوجوب الحج هو ماعليه اكثر الفقهاء سواء كان فيه وصية من الميت أم لا وقال الامام مالك انما يحج عنه اذا كان الميت أوصى بالحج اما اذا لم يوص بالحج فلا يجب الحج عنه لان الحج في نظره عبادة بدنية لا تقبل النيابة وهذا خلاف ماذهب اليه الجمهور هذا ويلاحظ ان من يحج عنه الغير يشترط ان يكون قد حج عن نفسه اولا . كما ان الحج عن الوالدين من برهما والاحسان اليهما بعد وفاتهما

قارىء من الكويت يقول اذا كان الحج قد فرض في السنة السادسة من الهجرة لماذا لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم بالناس الا في السنة العاشرة ؟

من المعلوم ان فتح مكة كان في السنة الثامنة من الهجرة ، دخل المسلمون المسجد وطهروه مع الرسول صلى الله عليه وسلم من الاصنام . ولكنهم بمقتضى المعاهدة التي عقدها الرسول الكريم مع المشركين قبل الفتح ترك لهم حرية دخول المسجد .

فاستطاع ان يحج المشركون مع مسلمي مكة عام الفتح في وقت واحد واتخذ المسلمون ناحية خاصة في المسجد واتخذ المشركون ناحية أخرى لهم وفي السنة التاسعة نزل كثير من الآيات التي ترشد الى مناسك الحج وآدابه وتملك الشوق قلوب المسلمين في المدينة فخرجوا للحج ولم يخرج معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ما أحب ان يرى المشركين وهم يطوفون بالبيت عرايا حسب تقاليدهم في الحج التي كان منها انهم لا يقفون بعرفة مع الفقراء مع تعظيمهم للاصنام فلم تطب نفس النبي الكريم ان يحج حجا مختلطا بين التوحيد والشرك وتمنى على الله ان يضع حدا لهذا الامر وامر سيدنا ابا بكر رضي الله عنه ان يخرج بالناس في حج جماعي لاول مرة ، وهو في الطريق الى مكة نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اوائل سورة التوبة لتضع حدا لعبادة المشركين الضالة وحجهم الباطل فارسل النبي الكريم سيدنا عليا رضي الله عنه ليعلن مانزل من الوحي على الناس يوم الحج الاكبر وفي يوم النحر وقف عند جمرة العقبة وقال ايها الناس وفيهم المسلم والمشرك ـ وقرأ عليهم اوائل سورة التوبة ثم قال إني رسول رسول الله اليكم امرت بتبليغ اربع . لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الى مدته وبذلك امتنع دخول المشركين المسجد وخلصت العبادة لله وحده في السنة العاشرة من الهجرة التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت حجة الوداع .

الحجاب الشرعي

أخت مؤمنة أشارت الى اسمها بحروف رمزية تقول . تزوجت من موظف هنا في الكويت وتحجبت قبل الزواج ، ولكن الحجاب كان غير كامل ، ثم - الآن - أصبح الحجاب شرعيا ، ولكني فوجئت بزوجي يطلب مني ترك الحجاب ، ويلح في ذلك ، وبدأ الخلاف يشتد بيننا فماذا أصنع ؟

أرجو أن تنصحوه لعله يعدل عن رأيه .

- في الواقع وصلت أكثر من شكوى عن طريق الهاتف في هذا الموضوع ، وهذا تصرف عجيب وغريب ، المفروض أن الزوج يغار على زوجته ، ويحاول أن يسترها ويصون عرضها - السفور الذي يطلبه وكونها تخرج عارية الشعر والصدر والعنق والساق أمر يعرضها للنظرات الجائعة وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه النظرات صورة من صور الزنا حيث قال . « العينان تزنيان وزناهما النظر » كما ورد في البخاري . وسماه صلى الله عليه وسلم زنا لأنه نوع من التلذذ واشباع الغريزة الجنسية بطريق غير مشروع ، فكيف يسمح بتعريض الزوجة لهذا الزنا ؟

● يا أخي اسلامك يفرض عليك أن تلتزم بما جاء في الكتاب والسنة ، فاحمد الله أن زوجتك وفرت عليك أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، والتزمت بآداب الاسلام واهتدت الى طريق الكرامة والفضيلة ، لا تنس أنك باصرارك على نزع الحجاب تخالف أمر الله حيث قال : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** »وقال . « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » وقال . « **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** » .

لمادخلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما على النبي عليه الصلاة والسلام في ثوب رقيق شفاف أعرض بوجهه وقال يا أسماء . إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه .

يا أخي هداك الله لنداء الاسلام : من الخيرلك في دينك ودنياك أن تصون عرضك وتعين زوجتك على طاعة الله ورسوله ، فبعض الأزواج يلح على الزوجة أن تتحجب وأنت تعكس القضية وتطالبها بالسفور ، وهذا أمر

مؤسف حقا.، فالسفور يا أخي لا يمكنها من الصلاة لأن صلاة السافرة لا تجوز ويجعل أصحاب القلوب المريضة يطمعون فيها ، ويجرح كبرياءها أمام الساخرين منها ، ولقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب أنهم يصدون من آمن ، فكيف بك وأنت المدرك للحلال والحرام ؟! قال تعالى : « **يا أهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعلمون** » . اتق الله ولا تتحمل أوزارا فوق أوزارك ، ولعلها نزعة شيطان تنتصر عليها بارادتك وايمانك .

وصاحبة الرسالة ننصحها بألا تطيعه في ذلك ان أصر ، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وعليها أن تعالج الموقف بالحكمة وبالاقناع وبالمنطق وبالتفاهم وفي داخل البيت ، هي مأمورة بابداء الزينة له ، هذا حقه فقط ، وليس من حق غيره من الأجانب . ولعله يستجيب ليسير في طريق النور . والله ولي التوفيق .

الزوجة .. ومال زوجها

من الكويت . تقول . أنا ربة بيت ، وغير موظفة ، ولا أملك ما يخصني ، وأحب أن أتصدق من مال زوجي ، فهل يجوز لي ذلك ؟ ثم تقول : هل لي الحق في الأخذ من مال زوجي بغير علمه ؟

بالنسبة **للسؤال الأول** : للمرأة أن تتصدق من مال زوجها اذا أذن لها ، لأن المال حقه ، ولا تتصرف فيه الا برضاه . وإذنه ، وإن كان لا يرضى بذلك فلا حق لها في أن تتصدق ، وإذا علمت انه يرضى بهذا التصرف ولا يمانع فلها أن تتصدق ولو لم يصرح بالإذن لها .

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال . **اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا** » .

وأيضا ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم نبه في حجة الوداع إلى أن المرأة لا تنفق شيئا من بيت زوجها إلا باذنه .

اما إذا كانت الصدقة ليست لها قيمة مالية فلا يشترط إذن الزوج ، مثل التصدق برغيف ، أو بفلوس ، أو بثوب قديم مثلا ، فهذه أشياء يمكن التسامح فيها ولا تحتاج إلى إذن منه .

وبالنسبة للسؤال الثاني : **فليس للمرأة أن تأخذ من مال زوجها لنفسها من غير علمه ما دام قائما بالنفقة ، ويوفر لها ولاولادها الغذاء ، والكساء والدواء ، وكل ضروريات الحياة .**

أما ان كان الزوج بخيلا بمعنى أنه يحرمها من الاشياء الضرورية فلها أن تأخذ من ماله في حدود القدر الذي يكفيها بدون علمه .

فامرأة أبي سفيان قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطيني وولدى إلا ما أخذت منه . وهو لا يعلم . قال (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف) .

لها أن تأخذ بقدر الضرورة ، ولا تأخذ بقصد الإسراف وشراء الكماليات ، لأنها ليست ضرورية .

هدية أم رشوة

قارىء كريم كتب يقول : عزمت على تقديم هدية إلى رئيس المصلحة في مناسبة من المناسبات الاجتماعية ، فقال لي أخي : إنها تعتبر رشوة ، وأنا أقول : إنها هدية ، فلو قدمتها أهي حلال أم حرام ؟

يا أخي إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، إن كنت تقدمها لأنه رئيسك وتطمع من وراء تقديمها أن يفضلك على غيرك ، يرقيك مثلا بالاختيار من غير وجه حق ، أويوليك عملا فيه رئاسة أو ينقلك الى مكان أفضل ، فانها تكون رشوة في صورة هدية ، وتسميتها هدية لا يجعلها حلالا .

ورئيسك هذا هل يبادلك الهدية ؟ وهل لو كان في عمل لا يرأسك كنت تقدم له هدية ؟ ان كان الأمر كذلك فانها تعتبر هدية لا رشوة ، ولكن اذا كنت تنتظر من ورائها كسبا ماديا أو أدبيا ، أو يعطيك حقا ليس لك ، فهذا حرام : حرام على الراشي وهو من يقدمها ، حرام على المرتشي الذي يقبلها ، حرام على الوسيط بينهما ، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش . والرائش هو الوسيط بينهما . فقد روى أن عبيد الله بن رواحة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من الخراج ، فعرضوا عليه أن يعطوه مالا لنفسه ليقدر لهم تقديرا بسيطا ، فقال لهم ما عرضتموه من الرشوة سحت ، وإنا لا نأكلها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر الموظف الذي يستغل وظيفته ويأخذ من الناس الرشوة فيقول : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا ـ يعني

أعطيناه معاشا – فما اخذه بعد ذلك فهو غلول » .

وسيدنا عمر بن عبدالعزيز أهدى له رجل هدية فردها ، فقال الرجل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية . قال : كان ذلك له هدية ، وهو لنا رشوة . والوالي الذي جمع صدقات قبيلة من القبائل وجاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض الصدقة وحجز بعضا منها وقال : هذا هدية لي ، فغضب النبي وقال : ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك ؟! ياأخي من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، إذا استعنت فاستعن بالله ربما يكون أولادك في حاجة الى هذا المال ، وقد يكون رئيسك من الأثرياء . فتعاونوا على البر والتقوى .

المسح على الجوربين

ورد سؤال من الأخ / موسى محمد من طرابلس . لبنان . يقول –

المسح على الخفين نعرف أنه من التيسير على الناس خاصة في زمن البرد ، ولكني في بيتي ألبس جوارب ليلا ونهارا ، فهل أمسح عليها أم لا يجوز المسح عليها ؟

هذا المسح من التيسير على الناس ، وفي المسح عدم المعاناة من البرد للأطراف ، ولذلك أفرد الفقهاء في أبحاثهم بابا خاصا لبيان أحكام المسح على الخفين ، يلبسهما الانسان على طهارة يعني بعد أن يتم الوضوء ، وكلما انتقض الوضوء يتوضأ اذا أراد الصلاة ، ما عدا غسل الرجلين فانه لا ينزع الخف ويغسل الرجلين ، ولكن يمسح على الخفين بدل غسل الرجلين ، ومدة هذا المسح للمقيم يوم وليلة ، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها . والجوارب التي يسأل عنها الأخ القارىء مثلها في المسح عليها كالخفين تماما ، واشترط كثير من الفقهاء أن تكون الجوارب ثخينة بمعنى أنها لا تسمح بوصول الماء الى الرجلين ، وأن تكون غير شفافة ، واللفائف التي تستعمل للحاجة مثل الحماية من البرد أو المحافظة على جرح في الرجلين حكمها حكم المسح على الجوربين والخف ، ويبطل المسح على كل هؤلاء بانقضاء مدة يوم وليلة للمقيم ، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها ، من باب التيسير على المسافر ، ويبطل المسح بنزع الخفين والجوربين أو اللفافة ويبطل المسح كذلك بالجنابة .

هذه الرخصة لاشك من محاسن الشريعة الاسلامية ، وصدق الله العظيم « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » .

تماثيل للزينة

سؤال من القارىء الفاضل مطهر مولاي مصطفى ـ باب دكاله درب الدقاق . مراكش . المغرب . يقول : ما حكم الاسلام في التماثيل المصنوعة من الجبس على هيئة حيوانات ، هل هي حرام مع أنها توضع للزينة لا أقل ولا أكثر ؟

نقول : من المقرر شرعا تحريم التماثيل وهي الصورة المجسمة غير الممتهنة لأن وجود هذه التماثيل في البيت المسلم سبب في أن الملائكة لا تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل (أو تصاوير) متفق عليه .

وبين العلماء أن سبب هجر الملائكة لبيت فيه تماثيل يرجع الى تشبه من يتخذ ذلك بالكفار لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها ، يستوي في التحريم التماثيل المصنوعة من الجبس أو من النحاس او الحديد أو المعادن . واتخاذها للزينة لون من ألوان احترامها وتكريمها واذا كانت عقيدة المسلمين الآن نقية من شبهة الوثنية ولكن الاسلام يسد بالتحريم باب الفتنة لا سيما وأنه يشرع للبشرية كلها الى أن تقوم الساعة وما يستبعد الآن قد يكون مقبولا في عصر آخر . ومن جهة أخرى اتخاذ التماثيل مظهر من مظاهر الترف والاسلام يحارب الترف والاسراف وخاصة فيما لا فائدة تعود من ورائه للفرد او المجتمع ولذلك حرّم على الرجال الذهب والحرير وحرّم على النساء والرجال استعمال آنية الذهب والفضة فمن باب أولى تحريم التماثيل ، وكما حرم الاسلام اقتناء التماثيل حرم على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل وان كان يعملها لغير المسلمين قال عليه الصلاة والسلام : (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) . وفي رواية ـ الذين يضاهون بخلق الله . متفق عليه .

انظر الفتوى المنشورة في عدد صفر من المجلة ١٤٠٤هـ ص ١٢٤ .



مع الصحافة

○ عن الجهاد في أفغانستان

نشرت صحيفة الغارديان البريطانية في أواخر شوال مقالا عن الأوضاع في أفغانستان بعد أن عزز جيش الاحتلال الروسي قواته ب ٥٠ ألف جندي آخرين ليصبح عددهم ١٥٠ ألفا . وجاء في المقال :

تفيد التقارير الواردة من بلاد الحرب المنسية ، أفغانستان ، بأن الاتحاد السوفياتي يقوم ومنذ فترة بتصعيد هجمته التي بدأت قبل عدة شهور على مواقع المقاومة الافغانية مستخدما مزيدا من وحداته الأفضل تدريبا والمعززة بقاذفات استراتيجية ثقيلة هذه المرة ومنفذا لحملة واسعة هدفها طرد كافة المدنيين من كافة المناطق التي يتواجد فيها الثوار .

والنتيجة كانت حدوث نقص شديد في المواد الغذائية ولجوء اعداد كبيرة من الأفغان الى مناطق جديدة هربا من المعارك وملاحقة الجنود الروس ، وتزايد مشكلة « اللجوء الداخلي » هذه في البلاد كما يلاحظ المراقبون وتؤكد التقارير أن الاتحاد السوفياتي بدأ بتنفيذ سياسة من الاعتماد على جنوده تماما في القتال وابعاد القوات الحكومية بعيدا عن مناطق القتال وخاصة بعد ازدياد حوادث الانشقاق في الجيش بين القوات الحكومية وانضمام المنشقين الى رجال المقاومة . ومن الجدير بالذكر أن الهجوم الرئيسي الذي بدأته القوات الروسية ضد المقاومة في شهر ابريل الماضي يلاقي نجاحا في قطع خطوط الامداد الخاصة برجال المقاومة داخل البلاد ، وقد بدأ يتركز في الأيام القليلة الماضية على مهاجمة خطوط الامداد الرئيسية بالقرب من الحدود الباكستانية . وقد نجح الروس في الاسبوع الماضي في الاستيلاء على جبل استراتيجي بالقرب من مدينة خوست الأفغانية القريبة من الحدود مع باكستان . وجبل تورا غارا المذكور يطل على أحد خطوط تموين الثوار الرئيسية داخل افغانستان ، وتفيد مصادر الثوار الموثوقة بأن الروس نجحوا أخيرا في إقامة مواقع مدفعية بعيدة المدى على قمة الجبل المذكور . ويقول مصدر آخر بأن « الواقف على قمة الجبل يستطيع مشاهدة مخيمات اللاجئين الأفغان داخل الحدود الباكستانية . وعلى بعد ٥٠ ميلا شمالي جبل تورا غارا ، نجح الروس وبعد قتال عنيف مع الثوار في الوصول الى حصن لهم كان يقع تحت حصار رجال المقاومة الأفغان منذ مدة طويلة وقد استطاع الروس فك الحصار عن الحصن المذكور الذي يلعب دورا في مراقبة وضبط أعمال التسلل في هذه المنطقة ، كما قاموا بتعزيز القوة المدافعة عنه باعداد كبيرة من الجنود



والمعدات العسكرية الحديثة . وتفيد التقارير بأن ما لا يقل عن ست طائرات عسكرية سوفياتية اسقطت خلال معركة الحصن تلك ، ومما يقال عن الجماعات التي تقاتل في هذه المنطقة إنها مزودة بأسلحة حديثة تم شراؤها بأموال عربية . كما تفيد مصادر الثوار بأن المنطقة شهدت تواجد أكبر قوة روسية حتى الآن منذ بداية الغزو السوفياتي لا فغانستان عام ١٩٨٠ ، والهدف على ما يبدو هو السيطرة على إعادة بناء الطريق الذي يربط مدينة جلال أباد بوادي كونار الذي يسير موازيا للحدود الأفغانية مع باكستان ، ويضم عدة طرق هامة

يستخدمها الثوار في عمليات الامداد الخاصة بهم . والحقيقة أن قدرة الروس على تنفيذ عدة عمليات عسكرية كبيرة وفي نفس الوقت يؤكد على صحة التقارير الخاصة بأن الروس قاموا بتعزيز وجودهم في افغانستان بادخال وحدات جديدة في الخدمة هناك . ويرى بعض المحللين أن ما لا يقل عن ٥٠ الف جندي سوفياتي اضافي قد دخلوا افغانستان مؤخرا ليرتفع عدد الجنود السوفياتي الذين يخدمون في تلك البلاد الى ١٥٠ الف جندي . وتشير تقارير الثوار الى أن الجيش الروسي بدأ يستخدم المظليين المدربين جيدا في معاركة حيث تلقي بهم طائرات الهيلكوبتر باعداد كبيرة في مواقع القتال .
ويبدو أن الروس لم يعودوا يثقون بالقوات الحكومية بعد الآن وتشير التقارير كذلك الى

أن الروس لم يعودوا يشركون الضباط الأفغان في أعمال التخطيط للمعارك ولا يطلعونهم على بعض المعلومات بهذا الشأن الا في الدقائق الأخيرة التي تسبق عملية التنفيذ . ويقول قائد أفغاني آخر « من قادة المقاومة » لقد بدأ الروس يركزون على اعمال القصف البري والجوي حيث لا يدخلون القرية المهاجمة الا بعد التأكد بأن قذائفهم دمرت كل شيء فيها » وما على من يشك في صحة هذا القول سوى زيارة القرى الأفغانية التي تمتد عبر وادي بخشير حيث وقعت أفدح الخسائر بين المدنيين الأفغان ، في الممتلكات وفي الأرواح كذلك .

يبدو أن السوفيات يسيرون على درب تنفيذ خطة جهنمية تدعو الى « تفريغ » البحر لقتل السمك » اي طرد الأهالي لتعرية الثوار عملاً بقول ماوتسي تونغ الذي ينص على أن المقاومة عبارة عن « سمكة تسبح في بحر من السكان المحليين » فإذا أردت قتل السمكة ، ما عليك سوى تفريغ المنطقة من سكانها » ، وفي رسالة بعث بها أحد قادة المقاومة من وادي بنجشير ، قال فيها بأن أكثر من مائة الف أفغاني شردوا من الوادي بعد هجوم الروس الأخير وأن المنطقة تعاني من نقص حاد في الأغذية والمواد الطبية . وكذلك الحال في معظم المناطق الأفغانية حيث يتواجد رجال من المقاومة .

○ عن نهب دول العالم الثالث

نشرت مجلة الحوادث في عددها ١٤٤٦ مقالا عن ديون الدول الفقيرة التي تم تسديدها للدول الغنية بوساطة الفوائد المترتبة عليها ، ولكنها مع ذلك لم تسدد . جاء في المقال :

حين يصل الى علم المرء أن حجم الأموال التي حولتها الدول الفقيرة الى الدول الغنية خلال عام ١٩٨٣ وحدة بلغا٢١ مليار دولار فإن سؤالا كبيرا لا بد من أن يقفز الى الذهن : ما هو





مدى مصداقية التحليلات الاقتصادية الغربية التي تتحدث عن ضرورة التخلص من « الثقل » الذي تضعه دول العالم الثالث على عملية الانتعاش الاقتصادي في الغرب ؟ الرقم جاء على لسان محمود الحق وزير الخطة والتنمية الباكستاني في الاجتماع الذي عقدته منظمة التعاون والتنمية الأقتصادية مؤخرا في ايطاليا .. أما دلالاته فانها أبعد مدى من المؤتمر ، ومن بلد انعقاده ، إذ أنها تمس مجمل النظام الاقتصادي الدولي القائم وتشير الى أحد أهم أسباب الأمراض التي يعاني منها .

فحين تصل الأختيارات في هذه الدول الى حد ضرورة التفصيل بين دفع فوائد الديون واقساطها أو الانفاق على الطعام ، فإن فكرة مثل الامتناع عن الدفع من الأصل ، بل وتكوين منظمة للدول المدينة ، يمكن أن تقفز الى جدول الاقتراحات المطروحة على قادة هذه الدول .

ذلك أن حسبة بسيطة لحجم الفوائد التي دفعتها الدول المدينة ستوضح أن هذا الحجم قد غطى أصول الديون ، أي أن الديون دفعت .. ولكنها لم تدفع في الوقت نفسه . اذ لا يزال المدينون يدفعون الفوائد ، التي تتضخم عاما بعد عام باشارة بسيطة من نيويورك ، حتى بلغ الأمر حد العجز عن دفعها دون تجويع الناس ودفعهم الى فقر اكثر مما يعانون منه بالفعل .

فإذا ما تكونت مثل هذه المنظمة وهددت بصورة جماعية برفض دفع الديون أو الفوائد فان حكومات الدول المقرضة أو التي تتبعها المصارف التجارية الاساسية ستجد نفسها مضطرة لتحرك سريع من أجل الوصول الى حل تفاوضي مع المدينين .

وحرية الحركة أمام هذه الحكومات ـ في حالة فشل التفاوض ـ ستظل محدودة ، اذ أن شروط التجارة الدولية تتطلب وجود دول نامية تستورد السلع المصنعة وتصدر المواد الخام .

بقي أن تدرك الدول « الفقيرة » أن الهدف هو أن تظل دائما في حالة ما بين الحياة والموت .. تعيش بقدر ما يسمح لها بدفع ما لديها للدول المتقدمة ، وتموت بقدر ما يحرمها هذا الذي تدفعه من أي فرصة حقيقية لتجاوز خط الفقر .. وسيظل الاستنزاف المتواصل عبر الديون وفوائدها وسيلة عملية لتحقيق هذا الهدف .

إلى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند إرسال مقالاتكم وإنتاجكم إلينا :

* المقال او البحث المرسل لا يقل عن خمس صفحات فلسكاب - مكتوب بخط واضح - ولا يزيد عن سبع صفحات . وأن يتم إرسال أصل المقال (ولا تقبل صورة المقال) .
* ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .
* لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة . ولا ينشر لكاتب واحد في عددين متتاليين .
* موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر على الاقل حتى يتسنى نشرها في حينها .
* أن تكون المقالات العلمية والطبية مدعومة بالصور والرسوم المتعلقة بالموضوع .
* أن يكون الانتاج المرسل خاصا بالمجلة وألا يكون قد سبق نشره أو إرساله إلى جهة اخرى للنشر ، (وأن يتم اخطار المجلة في حالة إرساله الى جهة أخرى) .
* النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه .

والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية أو النشر . ولا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

* ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة .
* البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية .
* كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث .
* ترسل المقالات باسم رئيس تحرير « مجلة الوعي الاسلامي » - ص ب : ٢٣٦٦٧ (الصفاة) دولة الكويت ..

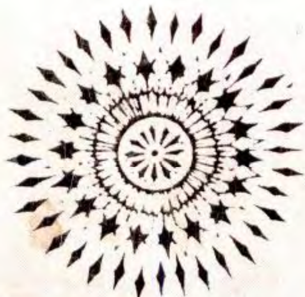
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	: القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	: الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	: الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	: الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	: الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	: بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	: عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	: **جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ .**
	الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
	الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق .
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	: مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	: دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	: دار الهلال
قطر	: دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	: المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	: دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –